سورة الشعراء ١	سورة النمل ١٤	سورة قصص ٢٩	سورة العنكبوت ٤٣	سورة الروم ٥٤
سورة لقمان ٦٣	سورة الم السجدة ٦٩	سورة الاحزاب ٧٤	سورة السبا ٩٢	سورة الملائكة ١٠٥
سورة يس ١٢٠	سورة الصافات ١٤٠	سورة ص ١٦٦	سورة الزمر ١٨٦	سورة المؤمن ٢٠٨
سورة حم السجده ٢٣٢	سورة الشورى ٢٤٦	سورة الزخرف ٢٦١	سورة الدخان ٢٧٦	سورة الجاثيه ٢٨٤
سورة الاحقاف ٢٩٢	سورة القتال ٣٠٢	سورة الفتح ٣١٢	سورة الحجرات ٣٢١	سورة والذاريات ٣٣٩
سورة والطور ٣٤٨	سورة والنجم ٣٥٣	سورة القمر ٣٦٢	سورة الرحمن ٣٦٩	سورة الواقعه ٣٧٦

سورة ق
٣٣٠

سورة الحديد ٣٨٦	سورة المجادلة ٣٩٦	سورة الحشر ٤٠٢	سورة الممتحنة ٤١٠	سورة الصف ٤١٥
سورة الجمعة ٤١٨	سورة المنافقون ٤٢١	سورة التغابن ٤٢٣	سورة الطلاق ٤٢٥	سورة التحريم ٤٢٩
سورة الملك ٤٣٣	سورة ن ٤٤٠	سورة الحاقة ٤٤٥	سورة المعارج ٤٥٢	سورة نوح عليه السلام ٤٥٧
سورة الجن ٤٦٠	سورة المزمل ٤٦٢	سورة المدثر ٤٧٢	سورة القيمة ٤٨١	سورة الانسان ٤٨٨
سورة والمرسلات ٥٠١	سورة النبا ٥٠٧	سورة والنازعات ٥١٧	سورة عبس ٥٢٦	سورة التكوير ٥٣٢
سورة الانفطار ٥٣٧	سورة المطففين ٥٤٠	سورة الانشقاق ٥٤٥	سورة البروج ٥٤٨	سورة الطارق ٥٥٢
سورة الاعلى ٥٥٤	سورة الغاشية ٥٥٩	سورة الفجر ٥٦١	سورة البلد ٥٦٩	سورة الشمس ٥٧٣

T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KITAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 82/3

RAĞIP P.
Ka. Nu.
113

شيخ زاده علي القاضي
الثالث
١١٤

سورة والليل ٥٧٧	سورة والضحى ٥٧٩	سورة الم نشرح ٥٨٠	سورة والتين ٥٨٢	سورة العلق ٥٨٤
سورة القدر ٥٨٧	سورة لم يكن ٥٩٠	سورة الزلزلة ٥٩٥	سورة العاديات ٥٩٧	سورة القارعة ٥٩٩
سورة التكاثر ٦٠١	سورة العصر ٦٠٢	سورة الهمزة ٦٠٤	سورة الفيل ٦٠٥	سورة قريش ٦٠٧
سورة الماعون ٦٠٨	سورة الكوثر ٦١٠	سورة الكافرون ٦١٢	سورة النصر ٦١٣	سورة تبت ٦١٧
سورة الاخلاص ٦١٩	سورة الفلق ٦٢٤	سورة الناس ٦٢٧		

لا اله الا الله محمد رسول الله
صادق الوعد الامين

سورة الشعراء مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** بالامالة اى بامالة فتحة طاء الى الكسر لان فواتح السور ليست بحروف بل هى اسما لما يتهجى بها فجازت الامالة فيها وقرأ الباقون بتفخيم الفها على الاصل واظهر حمزة نون سين اى لم يدغمها فى الميم لان حروف الهجاء فى تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها فوجب اظهارها لانها اى تخفى منفصلة بحرف من حروف الفم واذا لم تتصل بها لم يوجد شئ يوجب اخفاءها فاظهروا والباقون يدغمون النون فى الميم نظرا الى اتصالها بحرف المشتمل ظاهرا **قوله** والاشارة الى السورة او القرآن يعنى ان طسم اسم لهذه السورة او للقرآن وتلك اشارة الى المسمى بهذا الاسم بتقدير المضاف اى ايات طسم تلك ايات الكتاب المبين ليصح حمل تلك ايات الكتاب المبين عليه واخبر فى الاشارة بلفظ البعيد مع انه لم يتخلل بين اسم الاشارة والمشار اليه وهو طسم شئ آخر لبعد المشار اليه باعتبار ان الاسم الدال عليه قد تكلم به وانقضى او باعتبار انه قد وصل من المرسل الى المرسل اليه فقوله تعالى طسم مبتدا وتلك مبتدا ثان وايات الكتاب المبين خبر المبتدا الثانى وهذه الجملة خبر المبتدا الاول وهو طسم بتقدير المضاف فيه ليصح الاخبار عنه بان تلك ايات الكتاب المبين والتقدير ايات طسم بمعنى ايات هذه السورة او ايات جملة القرآن العظيم تلك ايات الكتاب المبين وهو من ابان بمعنى بان وظهر ولهذا فسره بقوله الظاهر اعجازه ومحصول قوله ايات طسم ايات الكتاب المبين ان هذه السورة الكريمة او القرآن العظيم كتاب مبين اى ظاهر اعجازه وصحة انه كلام الله تعالى اذ لو لم يكن كذلك لقدروا على الاتيان بمثله ولما عجزوا عن معارضته **قوله** ولعل للاشفاق اى الخوف وهو تعالى منزه عن الخوف فالمعنى انه تعالى يأمره ان يخاف على نفسه فلا تتحسر لئلا تؤديه الحسرة الى الهلاك وهو قول المصطفى الشفيق على نفسك **قوله** لئلا يؤمنوا يعنى قوله تعالى ان لا يؤمنوا فى موضع النصب على انه مفعول له بحذف لام التعليل ثم ان كما هو المشهور او بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه والتقدير خشية ان لا يؤمنوا او لمخافة الخشية فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو البخع من حيث ان كل واحد منهما فعل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم لم يحتج الى اللام فى انتصاب خشية بخلاف عدم الايمان فانه فعل الكفار والبخع فعله عليه الصلوة والسلام فلما لم يكن فعلا لفاعل الفعل احتيج الى اللام فى تعلق الفعل به الا انه حذفت اللام لما ثبت من ان حذف اللام من ان وان قياس مستمر لا لكونه مفعولا له **قوله** فظلت معطوف على ننزل واتما جئ به ماضيا لتحقق كون اعناقهم خاضعين ح **قوله** واصله فظلوا لها خاضعين جواب عما يقال قوله خاضعين مسند الى ضمير الاعناق وهى ليست من قبيل العقلاء فلا يجوز ان يخبر عنها بلفظ الجمع السالم لانه مختص بالعقلاء وتقرير الجواب ان الخضوع صفة اصحاب الاعناق واخبر عن الاعناق بقوله خاضعين بناء على اصل الكلام ولما اقحمت الاعناق لبيان محل الخضوع كان ينبغى ان يغير الكلام الى خاضعة او خاضعات الا انه ترك الخبر على اصله للدلالة عليه **قوله** وظلت عطف على ننزل جواب عما يقال كيف عطف الماضى على المستقبل بحرف التعقيب او بالفاء السببية والماضى يمتنع ان يكون عقيب المستقبل وان يكون مستببا عنه وتقرير الجواب ان ننزل وان كان مستقبلا لفظا الا انه فى قوة الماضى لانه لو اورد بدله لفظ الماضى كان صحيحا كما لو قيل

RAGIP P.
Ka. Nu. 113

MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ

اكن المجزوم على اصدق المنصوب لكونه في موضع الجزاء من حيث ان المعنى ان اخرتني اتصدق واكن بين الله
تعالى ان ايات هذه السورة الكريمة من حيث كونها ايات الكتاب الظاهر اعجازه كافية في الدلالة على وجود الله قادر
على ما يشاء وعلى صدق مدعي الرسالة في دعواه فهي كافية في دخولهم في الايمان وفي قبولهم جميع ما فيها من الاصول
الاعتقادية والفروع العملية فان لم يؤمنوا بسببها فلا تبالغ في الحزن والاسى على بقائهم على الكفر والضلال
والشفق على نفسك ان تقتلها بلا فائدة فصبره الله تعالى وعزاه وعرفه ان غمه وحزنه لا ينفع في ايمان من سبق حكم
الله تعالى بعدم ايمانه كما ان الكتاب البين الاعجاز لم ينفع في ايمانه ثم بين انه تعالى قادر على ان ينزل آية ملجئة
الى الايمان او بلية قاسرة عليه الا انه تعالى لم يفعل ذلك بناء على انه لا عبرة بالايمان المبني على القسر والالجاء
ثم بين انه من حسنه ووفور رحمته وفضله واحسانه جدد لهم الانذار والتذكير وقتا بعد وقت وكلما نزل عليهم
شيء من الموعظة والتذكير وطائفة من القرآن النذير اصروا على ما كانوا عليه من الاعراض والتكذيب والاستهزاء المدلول
عليه بقوله فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن والفاء في قوله فقد كذبوا للتعقيب كما اشار اليه بقوله ان فقد كذبوا
بالذكر بعد اعراضهم عنه وفي قوله تعالى فسيأتيهم سببية اي فسيأتيهم بسبب اعراضهم المؤدي الى التكذيب المؤدي
الى الاستهزاء انباء ما كذبوه واستهزؤا به انه هل هو حقيق بالتصديق والتعظيم او بالتكذيب والاستهزاء ثم انه تعالى بعد ما
بين انه تعالى انزل عليهم ذكرا جديدا وقتا بعد وقت لم يزدهم ذلك سوى النفور والاعراض بين ايضا انه اظهر
لهم دلائل تحدث في الارض وقتا بعد وقت تدل على وحدانيته وكمال قدرته ومع ذلك استمر اكثرهم على ما هم
عليه من الكفر والعصيان فقال او لم يروا الى الارض الآية ووبخهم على تركهم نظر الاعتبار ليستدلوا بما في الارض
من العجائب على وحدة الصانع وعلمه وقدرته او هو استفهام تقرير ان قد نظروا الى ما فيها من العجائب ورأوا الا انهم لم
يؤمنوا بسببها وكم في قوله تعالى كم انبتنا خبرية للتكثير ومنصوبة المحل بالفعل الذي بعدها على المفعولية اي كثيرا من الازواج
انبتنا ومن كل زوج تمييز جيء به للدلالة على ان الكثير الذي انبته الله تعالى ليس من بعض اصناف النبات بل من
جميع اصنافه على التفصيل **قوله** وهو صفة يعني ان الكريم اسم يوصف به كل ما يحمد ويرضى في بابه وفي ما له من المنافع
والكمالات التي لا يقدر على اتيانها الا رب العالمين ومنه وجه كريم اي محمود ومرضي في حسنه وجماله وكتاب كريم
اي مرضي في لفظه ومعانيه وفوائده وفارس كريم اي مرضي في شجاعته وبطشه ووصف الزوج بالكريم يحتمل معنيين
الاول انه صفة مقيدة له تخصصه بما هو النافع من نوعي النبات فانه على نوعين نافع وضار فبين الله تعالى
كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وترك ذكر الضار والثاني ان يكون صفة مادحة لا مخصصة فيعم
جميع اصناف النبات نافعه وضاره ويصف جميعها بالكرم وينبه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة ومنفعة
جليلة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لمعنى صحيح وحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون
قوله او ظرف لما بعده وهو قال رب اني اخاف ان يكذبون اذ نادى ربك في قيل انه مفعول به لاذكر اي واتل على قومك ان كنت
اذ نادى الله تعالى موسى فيما تقدم ويدل عليه قوله تعالى فيما بعده واتل عليهم نبأ ابراهيم وذلك حين رأى موسى الشجرة
والنار

٢
والنار **قوله** ولعل الاقتصار على القوم يعني انه لا شك ان موسى عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا الى فرعون وقومه
من الرؤساء والاتباع الا انه لم يذكر في بعض الآيات قومه حيث قال اذهبا الى فرعون انه طغى ولم يذكر في بعضها الاتباع
حيث قال الى فرعون وملائه والملأ هم الرؤساء دون الاتباع لان المتبوع ورؤساء القوم لما كانوا الاصل يتبعهم الاتباع
في الايمان كان ذكرهم يغني عن ذكر الاتباع فلذلك اقتصر تارة على ذكر فرعون وتارة على ذكره وذكر رؤساء قومه
واقتصر في هذه الآية على ذكر قومه من الرؤساء والاتباع للعلم بان نفس فرعون كان اولى بذلك وقوله تعالى
الا يتقون استيناف لا محل له من الاعراب وهو متعين على قراءة يتقون بياء الغيبة واما على القراءة بتاء الخطاب
فانه يحتمل ان يكون التقدير ائت القوم الظالمين وقل لهم الا تتقون باضمار القول فلا يكون استينافا وانما يكون الاستيناف
على تقدير كونه استينافا وطريق الالتفات انه تعالى بعد ما شكاية من قوم فرعون وظلمهم الى نبيه موسى عليه الصلوة
والسلام فلما اشتد غضبه اياهم قطع بث الشكوى الى موسى واقبل عليهم يوبخهم بالعنف والغلظة وقال لهم الا تتقون
ولما ورد كيف يصح الالتفات اليهم وهم غيب والالتفات الى الطائفة انما يصح اذا كان الطائفة حاضرا في مجلس الشكاية وهم
ليسوا حاضرين في مجلس خطابه تعالى مع موسى في وقت المناجاة اجاب عنه بقوله وهم وان كانوا غيبا حين
مخاطبة الله تعالى موسى وتقرير الجواب انهم وان كانوا غيبا الا انهم اجروا مجرى الحاضر في كلام الشخص الذي ارسل اليهم
من حيث ان ذلك الشخص لما كان مبلغ ذلك الكلام اليهم وكان استماعه مبتداء استماعهم كان حضور ذلك
الشخص مع المتكلم بمنزلة حضورهم معه ولذلك صح الالتفات اليهم في كلام ذلك الشخص وان كانوا غيبا في
نفس الامر وقت المكالمة معه وفي الالتفات اليهم بهذا الطريق مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده
لانه لما وبخ الغائب على ترك التقوى وحث عليه مع عدم استماعه كلام الموبخ بالذات فالحاضر المدبر يكون
اولى بحفظ الحث عليه **قوله** اكتفاء بها عن ياء الاضافة فان اصله على قراءة الكسر الا يتقونني فحذفت
احدى النونين تخفيفا واكتفى بكسر النون عن ياء المتكلم فصار الا يتقون ويحتمل ان يكون قراءة الكسر مبنية على ان
يكون اصل الكلام الا يا ناس اتقون بان يكون اليائي ينتقون حرف النداء ويكون المنادى محذوفا كما في قوله
الا يسجدوا فان اصله الا يا هؤلاء اسجدوا ويكون اتقون امرا حاضرا حذف منه ياء المتكلم اكتفاء بالكسر ويكون
النون فيه نون الوقاية ويكون ارتباط الكلام بما قبله على هذا الوجه بتقدير القول اي ائت القوم الظالمين
وقل لهم الا يا ناس اتقون فان قلت هذا التوجيه لا يساعده خط المصحف فالجواب ان خط المصحف سنة
متبعة غير منوطة بالقياس **قوله** رتب استدعاء الضم اضافه اليه على الامور الثلثة بني على ان يكون قوله
يضيق ولا ينطلق مرفوعين بعطفهما على خبر ان وهو اخاف لانهما اذا كانا منصوبين عطفا على يكذبون
يكون استدعاء الضم مرتبا على علة واحدة هي الخوف عن الامور الثلثة فان المعنى اخاف ان يكذبون
واخاف ان يضيق صدري واخاف ان لا ينطلق لساني وعلى قراءة الرفع يكون لكل واحد من الامور الثلثة
علة مستقلة لاستدعاء الضم غاية ما في الباب ان يكون بعضها مرتبا على البعض في الوجود لان حاصل

[illegible]

الكلام فيه انه لو لم يشترك به هرون في الامر لاختل المصلحة المطلوبة من بعثة موسى وذلك من وجهين الاول
ان فرعون ربما كذبه والتكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسر الكلام على من يكون في لسانه حبسة
لان عند ضيق القلب ينقبض الروح والحرارة الغريزية الى باطن القلب واذا انقبضا الى الداخل وخلا الخارج
ازدادت الحبسة في اللسان فالتأذي من التكذيب سبب لضيق القلب وضيق القلب سبب للحبسة فلهذا
بدا عليه الصلوة والسلام بخوف التكذيب ثم ثنى بضيق الصدر ثم ثلث بعدم انطلاق اللسان ثم قال وهرون
افصح مني لسانا وليس في حقه هذا المعنى فكان ضمه الي وارساله معي لازما والثاني ان لي عندهم ذنب فاخاف
ان يبادروا الى قتلي وح لا يحصل المقصود من البعثة واما هرون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة بضمه
الى **قوله** وليس في ذلك تعللا منه جواب عما يقال كيف ساغ لموسى ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع و
طاعة من غير توقف وتشبث بعلل ومن حقه ان يسارع في امتثال المامور به بلا توقف وتقرير الجواب انه عليه الصلوة
والسلام لم يرد بذكر الامور الثلثة الاستعفاء عن تلقي الرسالة والتعلل فيها بل اراد به تمهيد العذر في التماسه المعين فانه
قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه
عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذكره وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا
بتعلل فيه واراد بذنب قتله القبطي بالوكزة دفعا عن السبطي واراد بكون ذلك القتل عليه تعلق تبعة ذلك
القتل اي موجبه وجزائه من عقبه على زعمهم والتبعة كل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه **قوله**
اجابة له الى الطلبتين تثنية طلبة بكسر اللام وهي ما طلبته من شيء طلب موسى امرين الاول ان يدفع عنه شرهم
والثاني ان يرسل معه هرون فاجابه الله تعالى الى الاول بقوله كلا ومعناه ارتدع يا موسى عما تظنه فانهم لن
يقتلوك به لاني لا اسلطهم عليك بل اسلطك عليهم واجابه الى الثاني بقوله فاذهبا اي انت والذي طلبته وهو
هرون **قوله** مع موسى وهرون وفرعون فهو تمسكا منهما بالعون والنصر ومع فرعون بالكسر والقهر **قوله** سامعون
حقيقة الاستماع طلب السمع بالاصغاء وامالة حاسة السمع الى جهة الكلام والله تعالى سامع مخفي عن الاستماع
والاصغاء فلذلك جعل المعنى نسمع ما تقولانه وما يجيبونكما به وجعل الكلام استعارة تمثيلية لكون وجه الشبه
هيئة منتزعة من عدة امور **قوله** لانه مصدر وصف به مبالغة او تقدير ذو رسالة رب العالمين **قوله**
بعد ما اتياه فقالا له ذلك اشار به الى ان في الكلام حذفا اي فذهبا اليه فدخلا عليه وقالا له ما امرهما الله تعالى به
فعند ذلك قال فرعون ما قال يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب له ان ههنا
انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاذن لهما فدخلا عليه واديا اليه الرسالة
فعرف موسى فعدد عليه نعمه واولا ثم اساءة موسى اليه كانه يريد ان من بلغ سوء خلقه الى ان لا يعرف حق المربي كيف
يليق لمنصب الرسالة والوليد الصبي الصغير وكان عليه الصلوة والسلام ولد فيهم ثم كان فيما بينهم حتى صار رجلا والفعلة
بالفتح بناء المرة وكانت وكزة واحدة وبالكسر بناء النوع وتعظيم تلك الفعلة يستفاد من عدم التصريح باسمها كما
فان تنكير

فان تنكير الشيء وابهامه قد يقصد به التعظيم فان ذكر الشيء مجملا يؤذن انه لتقاطع عنه وخروجه عن حد امثاله لا يمكن
ان يعبر عنه بكلمة خاص كقوله تعالى وغشيهم من اليم ما غشيهم وقوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله تعالى اذ يغشى
السدرة ما يغشى **قوله** او وممن تكفرهم الآن اي فعلتها والحال انك في ذلك الوقت من القوم الذين تزعم الآن
انهم كافرون اي كنت الى الآن معنا وعلى ديننا والآن جئت تكفرنا وهذا من غاية جهل اللعين لان الانبياء عليهم
الصلوة والسلام لم يزالوا على التوحيد والبراءة عن الشرك والله تعالى عاصمهم من كل كبيرة فاظنك
بالكفر واذن في قوله تعالى فعلتها اذن حرف جواب فقط لان ملاحظة المجازاة ههنا بعيد فان سيبويه وان نص
على انها للجزاء والجواب لكن شراح كتابه قد ذهبوا الى انها قد تتمحض للجواب وتتخلى عنها الدلالة على المجازاة
قوله من الجاهلين عبر عن الخاطئ بالضال والحاصل انه عليه الصلوة والسلام لم يرد بالضلال الكفران لانه
اراد به رد قوله وانت من الكافرين بل المراد منه اما الجهل والسفه والمعنى وانا من الذين على ذلك فعل اولي
الجهل والسفه من غير اتباع الوحي والدليل واما الخطأ في الفعل حيث قصد المنع والتأديب وضل عنه ووقع
منه القتل واما الذهاب والضلال عما يؤول اليه الوكز ونحو سوقه واما النسيان كما في **قوله** ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى فان الضلال فيه بمعنى النسيان لان التذكير انما يكون بعد النسيان وخلاصة جوابه عليه الصلوة
والسلام على جميع التقادير ان ما توبخني به وتعده علي ذنبا انما فعلته على وجه لا يعاتب من فعله على ذلك
الوجه فضلا عن ان يعد كافرا حقيقة او كافر النعمة فانه كيف يعاتب من فعل فعلا برأيه على قصد الاصلاح و
التأديب بل يستحق لان يثنى عليه ويستحسن فعله وان ادى الى القتل والاهلاك **قوله** لانه كان قصد قالا ان
تربيته له امر ظاهر معلوم لا يصح رده وانكاره وكان غير قادح في دعواه لما تقرر في العقول ان الرسول اذا ثم
اذا كان معه معجزة وحجة لم يتغير حاله بان يكون المرسل اليه انعم عليه او لم ينعم فلذلك لم يكن لقول فرعون الم نربك
فينا وليدا انفعاله ولا فائدة حالموسى فلذلك لم يصرح برده **قوله** اي وتلك التربية نعمة الخ اشارة الى ان
تلك مبتدأ اشير به الى التربية المدلول عليها بقوله الم نربك ونعمة خبره وتمنها على صفة نعمة وان عبدت
خبر مبتدأ محذوف اي وهي في الحقيقة تعبيدك قومي اقر عليه الصلوة والسلام بكون تلك التربية في صورة
النعمة والاحسان ثم ابطل كونها نعمة بكونها مسببة بالنقمة التي هي قهره بني اسرائيل بذبح ابنائهم فانه لو لم
يفعل ذلك لتكفلت امه بتربيته ولما قذفته في اليم حتى يصل الى فرعون ويربي بتربيته فكيف يمتن عليه
بما كان بلاؤه سببا له يقال عبدت فلانا واعبدته واستعبدته وتعبدته اذا اتخذته عبدا او قهرته وذللته **قوله**
او بدل نعمة كانه قيل وتلك نعمة تعبيدك بني اسرائيل فقول المعنى الى ان تلك التربية تعبيدك بني اسرائيل لا شك
ان التربية ليست نفس التعبيد الا انها لما وقعت بسبب التعبيد وتتحققه جعلت نفس التعبيد مبالغة في السببية
والاستلزام **قوله** اذ الجر باضمار الباء والنصب بحذفها كما ان محل الضمير البارز في تمنها كذلك فان تمن يتعدى
بالباء فهي مضمرة والتقدير تمن بها ومحذوفة كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وعلى التقدير بين كيفما ان عبدت

بدلا من بها نعمتها قوله الى حصلة شنعا مبهمة وصف الخصلة بالشنعا دلالة على ان المقصد يلفظ تلك الدال
على بعدان اليه بحقيره بتنزيل بعده عن ساحة عز الحضور والخطاب والخطاط درجته منزلة بعد المسافة
وجعل المشار اليه مبهما لعدم كونه من الامور الخارجية المتقدم ذكرها بل هو امر ذهني تصوره عليه الصلوة والسلام
واشار اليه بقوله تلك ثم فسره بما اخبر عنه فانه عليه الصلوة والسلام تصور قوله نعمة تمنها على ان عبدت
بني اسرائيل من حيث انها نعمة فيكون خصلة شنعا فاشار اليها بتلك وجعلها مبتدا واخبر عنها ثم بينها بقوله
ان عبدت كما تقول هو اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ فكان المعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها على قال
اللعين وان امتن بتربيته اياه الآن تلك التربية لما كانت مسببة عن تعبيده بني اسرائيل كان الامتنان
بالتربية امتنانا بتعبيدهم قوله لم يرعوا ام لم ينكف ولم ينتبه وهو من باب افعل من رعا يرعوا كتفي عن الام
يقال ارعوى عن القبيح وتقديره افعول ووزنه افعلل ولم يدغم لسكون اليا المبدلة من الواو لوقوعها رابعة في الطرف
قوله شرع في الاعتراض على دعواه لم يذكر في نظم هذه الآية ان موسى دخل على فرعون وادعى الرسالة وقال له رب
العالمين الآن المصل ما اشار اليه بقوله قال فرعون لموسى بعد ما اتيناه فقالا له ذلك كما ذكرناه هناك فانه تعالى لما
قال لهما فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين استلزم ذلك انهما اتياه وقالا له ذلك حين دخلا عليه
فعند ذلك قال فرعون وما رب العالمين يسأل به عن حقيقته الخاصة ويقول اي شيء هو مما يطلع عليهم
الشيء الكائن يريد به التعريض بانكار الالهية ويدل عليه قوله تعالى بعد هذا حكاية عنه لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك
من المسجونين فاجاب عليه الصلوة والسلام بما فيه انكار الالهية وان يكون رب العالمين هو بعينه حيث قال رب
السموات والارض وما بينهما كانه قال انت احقر من ذلك واذل فان رب العالمين هو رب السموات والارض وما بينهما
وما احدهما على التفصيل ثم قال ان كنتم وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك الها وسموك برب العالمين من الذين
يحققون الاشيا بالنظر الصحيح الذي يؤديهم الى الايقان علمتم ان العالم عبارة عن كل ما يعلم به الخالق من السموات
والارض وما بينهما وان ربها هو الذي خلقها ورزق من فيها ودبر امورها فيجب ان يكون واجبا لذاته مبدا لجميع الممكنات
وعلمتم ايضا ان ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية فتعجب اللعين من جوابه فقال لمن حوله الا
تستمعون اطلب منه الماهية وهو يجيبني بالفاعلية او يزعم ان السموات ممكنة مربوبة وهي واجبة متحركة لذاتها
فثنى عليه الصلوة والسلام ربكم ورب ابائكم الاولين استدل اولا بامكان الاجرام العلوية والسفلية واحتياجها
الى مؤثر واجب لذاته على وجود رب يستند اليه جميع الموجودات ثم خص من جملة الموجودات ما هو اقرب بالنسبة
الى المستدل وهو نفسه ومن ولد هو منه فان دليل الانفس اقرب من دليل الافاق واظهر دلالة على المؤثر القادر
الحكيم فعدل اليه اشعارا بغباوتهم وايضا يمكن ان يتوهم كون السموات والارضين واجبة لذواتها غنية
عن الخالق ولا يتوهم ذلك في انفسهم وابائهم واجدادهم لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم
وعدموا بعد الوجود ومن كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته ووجب ان يكون وجوده مستندا الى مؤثر واجب
لذاته

٤

واجب لذاته فكان التعريف بهذا الاثر اظهر فلهذا عدل موسى اليه فقوله ربكم منصوب معطوف على ان تبوءا
وقوله ويكون مرفوع معطوف على قوله لا يمكن فعند ذلك احتد اللعين وغضب ونسبه الى الجنون استكبارا
وعنادا قائلا المقصود من سؤالنا طلب الماهية والحقيقة والتعريف بهذه الاثار الخارجية لا يفيد الخصوصية
البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم المقصود من السؤال فضلا عن ان يجيب عنه فعاد تبين الله تعالى
الى تعريف ثالث اوضح من الثاني فقال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وذلك لانه اراد بالمشرق
طلوع الشمس وظهور النهار واراد بالمغرب غروب الشمس وزوال النهار وظاهر ان هذا التدبير على الوجه العجيب
لا يتم الا بتدبير مدبر حكيم وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه الصلوة والسلام مع نمرود فانه استدل اولا بالاحياء و
الاماتة حيث قال ربي الذي يحيي ويميت فلما عارضه نمرود بقوله انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر فكذا موسى عرف رب العالمين اولا بقوله ربكم ورب
ابائكم الاولين فانه بمنزلة الاستدلال بالاحياء والاماتة ثم عرفه بقوله رب المشرق والمغرب فانه بمنزلة قول الخليل
فات بها من المغرب واما قوله ان كنتم تعقلون فكانه عليه الصلوة والسلام قال ان كنتم من العقلاء عرفتم
انه لا جواب عن سؤالك الا ما ذكرت لانك طلبت مني تعريف حقيقته وقد ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته و
لا باجزاء حقيقته فلم يبق الا ان اعرف حقيقته بالاثار الخارجية والافعال المختصة به وانا قد عرفت حقيقته
بتلك الاثار فثبت ان كل عاقل يقطع بانه لا جواب عن هذا السؤال الا ما ذكرته قوله لاينهم اولا جواب عما
يقال كيف قال اولا ان كنتم موقنين واخرا ان كنتم تعقلون فانه معارض لقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
قوله تعالى قالوا ارجه قرأ ابن كثير وهشام هنا وفي سورة الاعراف ارجئهو ابالهمزة وضم الهاء التي يصلها واو وابو عمرو
بالهمزة من غير صلة وضم الهاء وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء ولا يصلها بياء وقالون بغير همزة ويختلس الكسرة وورش
بغير همزة ويصلان الهاء بياء وعاصم وحمزة بغير همزة ويسكنان الهاء والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف الا في
مذهب من ضمها سواء وصلها او لم يصلها فان الروم والاشمام جائز فيها كذا في تيسير القراءة يقال ارجأت الامر
بالهمزة وارجيته بالياء كلاهما بمعنى اخرته وقرئ وآخرون مرجون لامر الله ومرجؤون لامر الله اي مؤخرون حتى ينزل
الله فيهم ما يريد قوله شرطا حاشرون اشارة الى ان قوله حاشرين صفة موصوف محذوف هو مفعول ابعث والشرط
جمع شرطة بسكون الراء وفتحها وهي اسم لخيار الجند وهم اول كتيبة تحضر الحرب الجوهري بالتحريك العلامة واشرط
فلان نفسه لامر كذا اي اعلمها واعدها قال الاصمعي ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها الواحد
شرطة وشرطي وقال ابو عبيدة سموا شرطا لانهم اعدوا قوله لما وقت به من ساعات يوم معين يعني ان الميقات
ههنا الوقت المضروب للفعل ويطلق ايضا على المكان المعين له ومنه مواقيت الاحرام يقال لها مواقيت
اهل الشام للموضع الذي يحرمون منه واضيف الميقات الى اليوم على طريق اضافة الشيء الى زمانه لكون الميقات
جزءا من ذلك اليوم وساعة من ساعاته حقيقة بالاضافة اليه كانه قيل الميقات الذي هو في ذلك اليوم وجزء منه

واليوم المعلوم هو يوم الزينة وهو يوم عيد كان لهم في كل عام روي عن ابن عباس رضي الله عنه وافق يوم السبت في اول يوم
من السنة وهو يوم النيروز وقيل كان ذلك يوم عاشوراء وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذي وقت لهم موسى
من يوم الزينة في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس
الاشهاد ويشيع ذلك في الاقطار واختاره قوم فرعون ايضا ليظهر فساد قول موسى بحضور الجمع العظيم ورضي فرعون
بما قالوه وعمي شاهده لان حب الشيء يعمي ويصم وكان هذا ايضا من لطف الله تعالى في ظهور موسى عليه الصلوة و
السلام **قوله** او عبد رب منصوب بالعطف على محل دينار فانه وان كان مجرور اللفظ بالاضافة الا انه في محل
النصب على انه مفعول لباعث ودينار اسم رجل وكذا عبد رب واخا عون منادى مضاف اي يا اخا عون و
لو اريد بقوله هل انتم مجتمعون حقيقة الاستفهام طلب جواب الناس فعلم منه انه استبطاء اريد به الحث على مبا
درتهم الى الاجتماع وكذا في البيت قال الامام روي ان العصا لما انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي ارسلك الا اخذتها فعادت
عصا كما كانت قال فان قيل كيف قال في هذه الآية ثعبان مبين وفي آية اخرى فاذا هي حية تسعى وفي آية انها
كانها جان والجان مائل الى الصغر والثعبان الى الكبر فاجاب عنه بقوله اما الحية فهي اسم الجنس ثم انها لكبرها صارت
ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعة حركتها وصح الكلامان ويحتمل انه شبهها بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل
من نار السموم ويحتمل انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا والمراد بقوله ثعبان مبين انه يبين للنا
ظرين انه ثعبان بحركاته وبسائر ما فيه من العلامات وليس شيئا مزورا يشبه الثعبان كما اظهره السحرة **قوله**
والترجي باعتبار الغلبة اي وترجي الاتباع باعتبار ترجي الغلبة فالمراد انا نرجو ان يكون الغلبة لهم فنتبعهم الا انهم
علقوا الترجي باتباع السحرة عدولا الى طريق الكناية التي هي ابلغ **قوله** ولم يرد به امرهم بالسحر جواب عما يقال كيف جاز
لموسى عليه الصلوة والسلام ان يامر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك سحر وتلبيس وكفر والامر بمثله لا يجوز **قوله**
قرا حفص تلقف بالتخفيف اي باسكان اللام مخففا والباقون بفتح اللام مشددا والتلقف تناول الشيء بسرعة حذفت
احدى التائين من اصله تتلقف بتائين والافك بالكسر الكذب وبالفتح مصدر قولك افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء ومنه
قوله قالوا اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا جعل المص كلمة ما موصولة بحذف العائد ثم جوز كونها مصدرية والافك
بالمعنى المصدري لما لم يصح ان يتعلق به التلقف سواء جعل بمعنى الاخذ او بمعنى الابتلاع جعل الافك بمعنى المافوك
وسمي الحبال بالافك مبالغة كانها عين الافك كما في قولهم هذا ضرب الامير اي مضروبه **قوله** وتزويق اي تحسين بتقلب و
الكلام والكذب اذا حسنته ووجه الدلالة على ان منتهى السحر تمويه وتزويق ان حقيقة الشيء لو انقلبت
الى حقيقة شيء اخر بالسحر لما عد وانقلاب العصا حية من قبيل المعجزة الخارقة عن حد السحر ولما خروا ساجدين
عند مشاهدته ووجه دلالته ان التبحر في كل فن نافع لان السحرة لو لم يكونوا في الطبقة العالية من علم السحر لم
يكونوا عالمين ان منتهى السحر انما هو التمويه والتزويق ولما تيقنوا ان ما جاء به موسى ليس بسحر وما كان ذلك التيقن
الا ببركة

الا ببركة تبحرهم في علم السحر **قوله** دال على بدل الجزء بالتمام يعني ان المعنى خروا وسقطوا ساجدين لكن عدل
الى الفاء الدالة على التعقيب لقوله القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم فالقى موسى عصاه وليدل على انهم لم يتمالكوا
انفسهم حين ما شاهدوا امرا خارجا عن السحر فخروا بدون الاختيار كان ملقيا اخذهم والقاهم على وجوههم
فقوله فالقي السحرة استعارة تبعية **قوله** بدل من الثاني فلذلك لم تتخلل بينهما عاطف **قوله** ابدال للتوضيح ودفع
التوهم فان من قال لئن اتخذت الها غيري وتعجب من نسبة الربوبية الى غيره فقال الا تستمعون لا يبعد ان
يتوهم ان السحرة ارادوا بقولهم امنا برب العالمين الايمان بربوبية اللعين فابدلوا منه قولهم رب موسى
وهرون ليندفع ذلك الوهم وليشعر اضافته اليهما ان الموجب لايمانهم به ما شاهدوا من اثر قدرته الباهرة
وهو ما اجراه على ايديهما فلما سمع اللعين انهم باجمعهم امنوا بالله تعالى وصرفوا وجوههم عنه خاف ان يقول
قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن معرفة بصحة امر موسى فيؤمنوا به كالسحرة فبادر الى
ان يلبس على قومه وينفرهم عن موسى واتباعه فقال اولا للسحرة امنتم له قبل ان اذن لكم واراد به وصفهم بركة
الاغترار وسوء التدبير والسفاهة ثم قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر صرح به ما ذكره اولا بطريق الرمز كانه قال
ان استاذكم هذا لم يعلمكم بعض اسرار صنعته ليغلب به عليكم وقت الحاجة فاغتررتم وظننتم انه غلب عليكم
بالمعجز الالهي وليس كذلك فانه انما غلب عليكم بقوة علم السحر لكنكم لم تحيطوا بما احاط به علما ويحتمل ان يكون
مراده وصفهم بالجناية على سلطانهم بعصيانه وتنفير رعيته عنه كانه قال لم تهتموا في اظهار صنعتكم والغلبة
على خصمكم عن مواطاة بينكم وبينه ليظهر امره ويتم مقصوده والا فكيف عجزتم عن ان تفعلوا مثل ما فعله
ساحر مثلكم ثم اوعدهم على الاجمال والابهام فقال فلسوف تعلمون ثم بين ذلك المجمل وفصل ذلك المبهم فقال لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف فظهر منكم على ان كلمة من للتعليل كما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا وتفسير قطع اليد والرجل
من خلاف بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى كما في الحدود لا يناسب حال فرعون ولما هو بصدده لانه للتخفيف للعقوبة
واحتراز عن تفويت منفعة البطش والمشي على الجاني ومثله لم يخطر بباله هذا الشاني بل قال قوله هذا دليل على
جمعه حيث اوعدهم في موضع التغليظ بما وضع للتخفيف وليس في الآية ما يدل على انه فعل بهم ذلك او لم يفعل
والله تعالى اعلم بذلك **قوله** لا ضير علينا في ذلك تقرير للخبر المحذوف وليس مرادهم ان ما اوعدهم به ان وقع لا يضرهم
اصلا بل المراد ان ذلك ليس بضرر بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر عليه مؤديا الى تكفير الخطيئات ورفع
الدرجات او من حيث انه من جملة اسباب الانقلاب الى ربنا وانه انفعها وارجاها فمعنى الكشاف على هذا ان عدم
وقوع ما توعدنا به لا يغنينا عن الموت حتى يكون وقوعه ضررا مؤديا اليه فان الانقلاب الى الموت الذي لا حاكم على
الانسان بعده سوى الله تعالى امر كائن لا محالة باي سبب كان فلا وجه للاحتراز عن خصوص شيء من اسبابه
لكونه اضر من غيره كانه قيل لا ضرر علينا في ذلك بالنسبة الى سائر اسباب الموت لانا ما نموتون لا محالة باي
سبب كان فلمت بهذا السبب المعنى الاول لا ضرر علينا فيه بل فيه نفع عظيم لنا من حيث كون الصبر

عليه مشوديا الى الكرامة عند الله تعالى **قوله** تعليل ثان لنفي الضير بهذا الظاهر على تقدير ان يكون خلاصة التعليل الاول
انا منقلبون الى الموت بسبب من الاسباب فلا ضير في بعضها بالنسبة الى الباقي واما على تقدير كون خلاصته انا الى كرامة ربنا
منقلبون بذلك فالظاهر كونه تعليلا للعلة المتقدمة **قوله** او على طريقة المدل بامره اى الواثق به يقال ادل بالامر اذا وثق
به واعتمد عليه **قوله** من سرى بشرى واسرى لغتان بمعنى سرى ليلا بشرى اى بالكسر سريا بالضم وسرية بالفتح واسرى ايضا
اى سار ليلا روى انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوت القبط ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروى ان الله تعالى
اوحى الى موسى ان اجمع بنى اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها على ابوابكم فانى سامر الملائكة
ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسامرهم بقتل ابكار القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم والفطير خلاف العجين
لم يختمر وكل شئ اعجلته عن ادراكه فهو فطير ثم اسر بعبادى حتى تنتهى الى البحر فيأتيك امرى وموسى لا يشعر به **قوله**
لغائظون ما يغيظنا يقال غاظه واغاظه وغيظه اذا اغضبه والاول اشهر واكثر واختلفوا في الفعل الذى
غاظهم وضاق به صدرهم فقيل ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم
حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فمرادهم بالفعل الذى غاظهم ما اخذوه
من العوارى وقيل ارادوا به خروجهم من عبودية فرعون واستقلالهم بانفسهم وقيل المراد به مخالفتهم في الدين
وخروجهم عنهم **قوله** او اعتذر بذلك كانه قال انقلتهم وحقارتهم لا يبالى بهم ولا يتوقع غلبتهم وكنهم يفعلون
افعالا لا ننبسط لها وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج
علينا خارج سارعنا الى حسم مادة فساده **قوله** المؤدى الى السلاح بالهمزة اسم فاعل من آدى الرجل اى
اقوى من جهة الاداة والسلاح **قوله** بان خلقنا فيهم داعية الخروج يعنى انهم وان خرجوا باختيارهم الا انه
اسند الاخراج اليه تعالى اسنادا مجازيا من حيث انه تعالى خلق في قلوبهم داعية الخروج فاستلزمت الداعية الفعل
وهو الخروج من جنات اى بساتين كانت لهم وعيون اى انهار جارية وكنوز اى الاموال الظاهرة من الذهب
والفضة ونحوهما سماها كنوزا لانه مالا يؤدى منه حق الله تعالى فهو كنز وان كان ظاهرا على وجه الارض وما ادى
حق الله تعالى فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وبعضه بالمقام الكريم المنازل الحسنة من منازل الامراء والوزراء
التى كانت تحف بها الاتباع **قوله** مثل ذلك الاخراج يعنى ان محل الكاف اما النصب على انه صفة مصدر محذوف
واما الجر على انه صفة مقام واما الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقراءة العامة فاتبعوهم بقطع الهمزة من
اتبعه بمعنى لحقه فالمعنى لحق فرعون وقومه قوم موسى داخلين في وقت شروق الشمس اى طلوعها على ان
مشرقين حال اما من الفاعل او من المفعول او منهما جميعا لان الدخول في وقت شروق الشمس قائم بهم جميعا
يقال تبعه اذا قفى اثره واتبعه اذا لحقه **قوله** وقرئ لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من الادراك وهو التتابع
في الهلاك يقال ادرك الشئ اذا تتابع بعضه بعضا ففنى ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في الاخرة اى جهلوا علم الاخرة
قبل الادراك والتتابع من الاسماء الغالبة في الهلاك كالدابة والبيت والسنة في الفرس والكعبة وعام القحط
قوله

قوله اى فضرب فانفلق يعنى ان الفاء في فانفلق للعطف على محذوف والانفلاق الانشقاق اى فانشق البحر و
تفرق اثنى عشر فرقة اى قطعة وطريقا لكل سبط منهم طريق وقام الماء بين الطريق وهى بسيارة كالجبل
العظيم كما قال الله تعالى فكان كل فرق اى كل جزء تفرق منه كالطود العظيم والطود الجبل وعظمه ارتفاعه طولا نحو
السماء فالفرق فعل بمعنى مفعول كالطحن بمعنى المطحون والنقض بمعنى المنقوض **قوله** وقربنا وقيل جمعنا
ومنه ليلة المزدلفة اى ليلة الجمع وثمه ظرف مكان للبعيد والمراد بذلك المكان حيث انفلق البحر والاخرين
مفعول ازلفنا والمعنى قربناهم من بنى اسرائيل او قربنا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او
قدمناهم الى البحر وروى ان جبرئيل عليه السلام كان بين بنى اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبنى اسرائيل
ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول رويدكم يلحق اخركم اولكم وروى ان موسى عليه الصلوة والسلام
قال عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا مخرجا وهذا معجز عظيم
من وجوه احدها تفرق ذلك الماء وثانيها اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى صار كالجبل العظيم في ارتفاعه
وفي عدم انبساطه الى اطرافه وثالثها انه ثبت في الخبر انه تعالى ارسل على فرعون وقومه من الرياح والظلمة
ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل معه عبور بنى اسرائيل ورابعها ان جعل الله تعالى في تلك الجدران المائية
كوى ينظر منها بعضهم الى البعض وخامسها ان ابقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون فطمعوا
ان يتخلصوا من البحر كما تخلص موسى عليه الصلوة والسلام جعل الله تعالى ذلك البحر طريقا يبسا لبنى اسرائيل
حتى خرجوا عنه سالمين واغرق فرعون ومن معه بانه لما تكاملوا دخولهم في البحر انطبق الماء عليهم فغرقوا
اجمعين **قوله** وآية يعنى ان التنكير في قوله لآية للتعظيم والتفخيم وفيه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم
لانه قد يغتم قلبه المنير بتكذيب قومه مع ظهور المعجزات على يديه فذكر له امثال هذه القصص ليقتدى بمن
قبله من الانبياء في الصبر على عناد قومه والانتظار لمجئ الفرج **قوله** وبنو اسرائيل بعد ما نجوا ابتداء
قوله سألوا البقرة خبره يعنى انهم بعد ما نجوا من الغرق ارتد اكثرهم وما داموا على الايمان يريد ان ضمير اكثرهم
يعود الى من عاين هذه الآية العظيمة وشاع امرها فيما بينهم سواء كان من القبط او من بنى اسرائيل ويجوز
ان يكون الضمير فيه راجعا الى القبط خاصة فانه روى انه لم يؤمن من اهل مصر غير آسية امرأة فرعون
وحزبيل مؤمن آل فرعون ابن عمه ومريم بنت ناموسا التى دلت على عظام يوسف عليه الصلوة والسلام
فان موسى عليه الصلوة والسلام لما اسرى ببنى اسرائيل من مصر اراد ان يأخذ معه جسد يوسف فلم يوجد من
يعرف قبره سوى تلك المرأة **قوله** سألهم مع انه عليه الصلوة والسلام يعلم انهم عبدة الاصنام فقال اى شئ
تعبدون ليبنيه على ضلالهم وكان يكفيهم في الجواب ان يقولوا اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون
قل العفو اى ينفقون العفو الا انهم اطالوا جوابهم بان زادوا على قولهم نعبد ولم يقتصروا على زيادته بل
زادوا ايضا قولهم فنظل لها عاكفين فانه كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصناما فلم يقتصروا عليه

بل عطفوا عليه قولهم فنظل لها عاكفين اظهارا لما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار بعبادة الاصنام والبجح بتقديم
الجيم على الحاء الفرح يقال بجحته اي بالجيم فبجح اي افرحته ففرح فيقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته
بالنهار دون الليل والظاهر ان عبادتهم الاصنام لا تختص بالنهار فلذلك قال فنظل ههنا بمعنى ندوم قوله
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون يعني ان حق يسمعون حقها ان يتعدى الى مفعول واحد من قبيل الاصوات
المسموعة نحو سمعت كلامك وسمعت حديث زيد او يتعدى الى مفعولين اولهما من قبيل الجواهر العينية
وثانيهما من قبيل الاصوات المسموعة نحو سمعت زيدا يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا او لا سمعت زيدا يقوم لان
القيام ليس مما يسمع وقوله يسمعونكم من قبيل سمعت زيدا فلا بد ان يحمل على تقدير المضاف او على تقدير المفعول
الثاني الذي يكون من قبيل المسموعات قوله ومجيئه مضارعا مع اذ جواب عما يقال ان كلمة اذ ظرف للماضي والزمان
الماضي لا يكون ظرفا لما سيكون فالظاهر ان يقال هل سمعوا دعاءكم او سمعوكم الجواب اذ دعوتموهم و
تقرير الجواب ان اصل الكلام ما قلتم الا انه عدل الى لفظ المضارع على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا
الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا فقط وهذا ابلغ في التبكيت والالزام من ان يقال
هل سمعوا او اسمعوا اذ دعوتموهم وتقرير الحجة التي ذكرها ابرهيم عليه الصلوة والسلام لابيه وقومه ان من
عبد غيره لا بد ان يلتجئ اليه في قضاء حاجته وان المعبود لا بد ان يعرف مراده ويسمع دعاءه ثم يستجيب له
في جلب منفعة او دفع مضرة فقال عليه الصلوة والسلام لهم اذا كان الذي تعبدونه ساقطا عن هذه المنزلة
بالكلية كيف تعبدونه فعند قيام هذه الحجة الباهرة لم يجد قومه ما يدفعون به حجته فتمسكوا بالتقليد فقالوا
وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي وجدناهم يفعلون مثل فعلنا على ان كذلك منصوب بيفعلون ويفعلون
مفعول ثان لوجدنا ولما كان خلاصة جوابهم انا وافقنا اباءنا فيما ثبت بطلانه بما اقمته من الحجة قال لهم
ابرهيم افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان الباطل لا ينقلب حقا بكثرة فاعليه
وكونه ذا اقدمية ثم انه عليه الصلوة والسلام ترقى في تخطئتهم فقال ان ما كنتم تعبدونه اعداء لعبادهم
فضلا عن ان ينفعوهم او يضروا فانهم يتبرؤون من عبدتهم ويبغضونهم كما قال الله تعالى واتخذوا من دون الله
الهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا قوله من حيث انهم يتضررون من جهتهم
جواب عما يقال كيف وصف الاصنام بالعداوة وهي جماد لا يتصور العداوة منها يعني انها شبهت بالعدو
من حيث كونها سببا للحوق المضرة من جهتها فسميت عدوا على سبيل الاستعارة وتقرير الجواب الثاني انها وصفت
بالعداوة لكون السبب الحامل على عبادتها عدوا وهو الشيطان فهو من قبيل الاسناد المجازي
حيث اسند وصف السبب الحامل الى مسببه قوله استثناء منقطع لكونه تعالى غير داخل فيما يرجع اليه ضمير
انهم وهو ما كان قومه يعبدونه والمعنى لكن رب العالمين الذي شانه كذا وكذا هو المستحق للعبادة ولم يذكر
المفعول به النفع الصريح لقوله يهدين ليعم كل ما يهدي الله تعالى اليه من امور المعاش والمعاد كما اشار اليه
وقوله

وقوله الذي خلقني يحتمل ان يكون في محل الرفع على الابتداء فيكون فهو مبتدأ ثانيا ويهدين خبره والجملة خبر الاول
ودخل الفاء في خبره لتضمن المبتدأ معنى الشرط وهو قوله والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ ولا يخلو عن بعد لان
الموصول ههنا معين ليس بعام كما في قولك الذي ياتيني فله درهم ولان الصلة ليس مما يحتمل صدوره من المتعدد
فلا يشبه الشرط فالظاهر ان يقال ان جعل الموصول مبتدأ يكون زيادة الفاء في خبره مبنيا على ما ذهب اليه الاخفش
من جواز زيادة الفاء في الخبر مطلقا نحو زيد فاضربه ويحتمل ان يكون في محل النصب على انه صفة رب العالمين
فيكون الفاء لعطف الجملة الاسمية على خلقني لتدل على ان هداية الله تعالى الى كل ما يحتاج اليه في امر معاشه
ومعاده متعلقة به على سبيل التجدد والاستمرار من حين خلقه الله تعالى ونفخ فيه الروح الى ابد الاباد فانه
هداه الى ان يتغذى بالدم في بطن امه امتصاصا ومن هداه الى خروجه منها منكسا راسه والى معرفة الثدي
عند الارتضاع والى معرفة البكاء عند الحاجة الى الغذاء وعند حدوث الالام والادواء الى غير ذلك من هدايات
المعاش والمعاد قوله فيكون اختلاف النظم يعني قال خلقني بلفظ الماضي لان خلقه قد وقع على وجه لا يتجدد في
الدنيا بل لا وقع بقي الى الامد المعلوم وقال فهو يهدين بلفظ المستقبل لان الهداية مما يتجدد في كل حين قوله
والذي هو يطعمني ويسقين اضاف الاطعام الى ذاته تعالى لان الركون الى الاسباب عادة الانعام وليس
الاطعام والسقي عبارتين عن مجرد خلق الطعام والشراب له وتمليكهما اياه بل يدخل فيهما اعطاء
جميع ما يتوقف الانتفاع بالطعام والشراب عليه كالشهوة وقوة المضغ والابتلاع والهضم والدفع ونحو
ذلك واقتصر على ذكر الطعام والشراب من جملة ما يتوقف عليه انتظام حاله في الدنيا ونبه بذكرهما على ما عداهما
هما قبل تقديم كلمة هو في هذه الصلات دليل على انه لا يهدي ولا يطعم ولا يسقي ولا يمرض ولا يشفي الا الله وحده
وذلك انهم كانوا يقولون المرض من الزمان ومن الاغذية والشفاء من الاطباء والادوية فاعلم ابرهيم عليه الصلوة
والسلام ان المؤثر في جميع ذلك ليس الا رب العالمين قوله الصحة والمرض في الاغلب يتبعان الماكول و
المشروب فان البطنة تورث الاسقام والاوجاع والحمية اصل الراحة والسلامة وعليه بنى الشاعر
قوله • عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب • فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او
الشراب وقالت الحكماء لو قيل لاكثر الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخم وفي الحكمة ليس للبطنة خير من خمصة
تتبعها قوله وانما لم ينسب المرض اليه ولم يقل واذا امرضني مع ان المرض والشفاء كلاهما من الله تعالى لان مقصود
ابرهيم تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يضفه اليه تعالى ولما ورد عليه ان هذا الجواب ان يقال الاماتة
اشد من المرض وقد اسنده عليه الصلوة والسلام اليه تعالى حيث قال والذي يميتني ثم يحيين اجاب عنه
بانا لا نم انها اشد من المرض بل ليس فيه ضرر اصلا لان الضرر ما ينافي الانسان باحساسه وحال
حصول الموت لا يتبعه الاحساس به وانما الضرر في مقدماته وهي عين المرض ثم ترقى في الجواب وقال بقاء
النفوس الزاكية والارواح الطاهرة الكاملة في العلوم والاخلاق المرضية في هذه الاجساد عين

ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف و
اي هو الذي خلقني فيكون الفاء
للعطف على خلقني لتدل على
ترتيبه عليه وجودا وتعقيبه على خلقه
ونفخ الروح فيه منه

والا عم الاغلب في الموصول الذي
بعده خبره الفاء ان يكون عاما
وصلته مستقبلة وقد يكون
حاصلا وصلته ماضية كقوله
تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات الاية لان الاية
مسوقة للحكاية عن جماعة
مخصوصة حصل منهم الفتن
اي الاحراج شرح الرضي

ويجب ان يعلم انه
لا بد لصحة دخول الفاء في
الخبر من ان يتصور ان المبتدأ
يجوز ان يكون غير معين
منه

الحزن في حقهم وحصل لهم عنها عين السعادة لهم بخلاف المرض فكان نعمة عظيمة في حقهم فلذلك اضافه اليه تعالى
قوله ولان المرض عطف على قوله لان المقصود تعديد النعم اي لم ينسب المرض اليه تعالى لكونه في غالب الامر يحدث
بتقصير الانسان سببية ظاهرة في حدوث المرض نسب اليه وان كان الكل من عند الله تعالى وايضا لما كان حدوث
المرض باستيلاء بعض الاخلاط على بعض من حيث انها لما كانت مكيفة بكيفيات متضادة كان بينها تنافرا
طبيعيا وذلك التنافر يستدعي استيلاء بعضها على بعض المستلزم لبطلان الاعتدال النوعي وسوء المزاج وذلك
البطلان وسوء المزاج هو المرض فكان حدوث المرض مستندا الى الانسان وتنافر اخلاطه فلذلك
اسند اليه بخلاف الصحة فانها انما تحصل عند بقاء الاخلاط على الاجتماع على الوجه الخاص المسمى بالاعتدال
النوعي وذلك الاجتماع والاعتدال وكذا عود الاخلاط اليهما بعد طريان سوء المزاج انما يكون بسبب قاهر
يقهرها عليهما من حيث انها بطباعها مائلة الى التفرق واستيلاء بعضها على بعض وذلك السبب القاهر هو
الله تعالى فلذلك اسندت الصحة والشفاء اليه تعالى واسند المرض الى العبد قوله حكما منصوب على المصدرية
لقوله باستحفاظ لانه نوع منه والاستحفاظ ابلغ من الحفظ فان استفعل قد يكون بمعنى فعل كتوطن وقر
قوله كمالا في العلم والعمل اي زيادة على ما اعطيتني من الحكمة وهي العلم الذي يتصل به العمل بمقتضاه فان
من يعلم شيئا ولا يأتي بما يناسب علمه لا يقال له حكيم قوله وحسن صيت الصيت الذكر الجميل الذي
ينتشر في الناس دون القبيح عبر عن الثناء الحسن والقبول العام في الامم التي تجيء بعده الى يوم القيمة
باللسان لكون اللسان سببا في ظهوره وانتشاره وبقاء الذكر الجميل على السنة العباد الى آخر
الدهر دولة عظيمة من حيث كونه دليلا على رضاء الله تعالى ومحبته للعبد فانه تعالى اذا احب عبدا يلقي محبته الى
اهل السموات والارض ومحبته الخلائق كافة حتى الحيتان في البحر والطيور في الهواء قوله او صادقا من ذريتي
فيكون ذكر اللسان من قبيل تسمية الكل باسم جزئه فيكون الآية نظير قوله تعالى حكاية عنه عليه الصلوة والسلام
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم
روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سأخبركم باول امري دعوة ابي ابراهيم وبشارة عيسى عليهما
الصلوة والسلام ورؤيا امي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور اضاءت لها قصور الشام قوله
وقد مر معنى الوراثة فيها وهو ان يشبه الجنة التي استحقها العامل بعد فناء عمله بالميراث الذي
استحقه الوارث بعد فناء مورثه فيطلق عليها اسم الميراث وعلى استحقاقها اسم الوراثة وعلى العامل
اسم الوارث قوله واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان فانه يجوز الاستغفار للاحياء من المشركين
لان المغفرة مشروطة بالايمان وطلب المشروط يتضمن طلب شرطه فيكون الاستغفار للاحياء منهم عبارة
عن طلب توفيقهم للايمان والذي لا يجوز هو الاستغفار لهم من بعد ما تبين انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا
على الكفر وان كان هذا الاستغفار منه بعد موت ابيه فلعله كان يظنه انه قد آمن باطنا وان
كان

ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد

وان كان على دين نمرود ظاهرا خوفا منه والظنة بهذا قد وعد اباه ان يستغفر له حيث قال لاستغفرن لك
لانه استغفار في حق المؤمن وان جاز ان يكون معناه لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب
ما قبله ولا وجه لان يقال قوله ولذلك وعده به معناه ان اباه وعد ابراهيم بالايمان لانه وان روي ان اباه
وعده به يوم فارقه الا انه لا يناسب هذا المقام قال الامام ان اباه قال له انه على دينه باطنا وعلى
دين نمرود تقية وخوفا فدعا له بالمغفرة لاعتقاده ان الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك
قال في دعائه انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه في الحال ليس بضال لما قال ذلك انتهى وحاصله انه
دعا لابيه حال حيوته بالمغفرة بناء على اعتقاده انه مؤمن باطنا وان قوله انه كان من الضالين معناه انه كان
فيما مضى من المشركين وعلى تقدير كون معنى استغفاره لابيه طلب توفيقه للايمان يكون معنى قوله انه كان من
الضالين انه كان من المشركين في الحال كما في قوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا فان كان فيه زائدة للتأكيد
والمعنى من هو صبي في الحال قوله ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت حمل دعاءه عليه الصلوة والسلام بترك الاخزاء
على الدعاء بترك المعاتبة على ما وقع منه مما هو من قبيل ترك الاولى كما هو المراد من الخطيئة في قوله اطمع ان يغفر لي
خطيئتي لانه لو حمل على الدعاء بترك تعذيبه لما كان لهذا الدعاء كثير فائدة بعد قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي
في الدين بخلاف ما لو حمل على ترك المعاتبة فان مغفرة الخطيئة لا تستلزم ترك المعاتبة فلذلك افرد الدعاء
بتركها بعد ذكر مغفرة الخطيئة ثم جوز ان يكون المراد منه الدعاء بترك تعذيبه بناء على ان قوله اطمع ان يغفر لي خطيئتي
مبني على الدلائل الدالة على ان الانبياء معصومون عن سوء العاقبة وان دعاءه بترك تعذيبه يوم البعث مبني
على انه لا يجب على الله تعالى لاحد شيء وانه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله فيكون
العاقبة حسنة من هذا الوجه مع جواز التعذيب عقلا والوجه الاول اظهر من هذا الوجه لان حسنات
الابرار سيئات المقربين فكذا درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد بما يليق به والجوهري خزي بالكسر
يخزى خزيا اي ذل وهان وخزي ايضا يخزى خزاية اي استحيى فهو خزيان وهم خزايا وهي خزيا قوله
اي لا ينفعان احدا الا مخلصا على ان يكون مفعول لا ينفع محذوفا وهو قوله احدا او يكون من نكرة موصوفة في
محل النصب على انه بدل من المفعول المحذوف او على الاستثناء المتصل به قوله او لا ينفعان الا مال من هذا شانه
على ان يكون الا من اتى الله به لا من فاعل ينفع بتقدير مضاف قبل من اتى قوله اي لا ينفع غنى الا غناه
فان المال والبنين لكونهما من اسباب الغنى يمكن ان يراد بهما معنى الغنى مجازا مرسلا ثم استثنى
من جنس الغنى غنى من اتى الله تعالى بقلب سليم بناء على ادخال سلامة القلب في جنس الغنى لاشتراكهما في التأدية
الى سعة الحال وقطع الاحتياج لان من سلم قلبه عن الشرك والمعاصي والاخلاق الذميمة يكون قلبه منورا
بنور اليقين والتوكل والاعتماد على ضمان الله تعالى وكفالته فلا يحتاج الى احد سواه ويؤيده ما روي انه
قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال عليه الصلوة والسلام افضله لسان ذاكر

لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة الآية قال بعض الاصحاب رضي الله عنهم

وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين المؤمن على ايمانه **قوله** يوم لا ينفع بدل من يوم يبعثون وقوله وازلفت الجنة عطف على قوله يبعثون كانه قيل ويوم ازلفت وقوله وقيل لهم اي قيل للغاوين على جهة التقريع والتوبيخ اين الهتكم التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون ويمنعون عنه بانفسهم وباب افتعل هنا مطاوع فعل ثم يؤمر بهم فيلقون في النار فلذلك قوله تعالى فكبكبوا فيها هم اي الالهة والغاوون **قوله** تكرير الكب اي تكرير عينه بنقله الى باب التفعيل لتكثير الفعل والكب الطرح والالقاء منكوسا فعال كبت الاناء اكبه كبا اذا اقلبته فاصل كبكبوا اكببوا فاستثقل اجتماع الباءات فابدلت الثانية كافا كما في زحزح فان اصله زحح من زحه يزحه اي نحاه عن موضعه ثم نقل الى باب التفعيل فقيل زححه فابدلت الحاء الثانية زايا فقيل زحزحه اي باعده جعل التكرير في لفظ كبكب دليلا على التكرير في معناه كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر في قعرها **قوله** تعالى اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدا خبره ما بعده فيكون الضمائر التي في قوله قالوا وهم فيها يختصمون للجنود ايضا اي يختصم الرؤساء منهم والاتباع ويجادل بعضهم مع بعض نحو ما ذكر في قوله تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين الى اخر الاية **قوله** والا فللضمير اي وان لم يجعل قوله وجنود ابليس مبتدا يكون اجمعون تاكيد الضمير كبكبوا وما عطف عليه من الغاوين والجنود **قوله** وكذا الضمير المنفصل اي وكذا يكون الضمير المنفصل في قوله قالوا وهم وما يعود اليه في قوله يختصمون راجعا الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه اي على تقدير ان لا يكون الجنود مبتدا لان الاختصام يكون بين هؤلاء المذكورين من الاصنام والعبدة والجنود اي شياطين ابليس وهم ذرية الذين اضلوا بني ادم يجادل بعضهم مع بعض بان ينطق الله تعالى الاصنام فتخاصم العبدة **قوله** ويؤيده اي يؤيد كون التخاصم بين العبدة والمعبودين بان يرجع الضمير المنفصل وما يعود اليه الى ضمير كبكبوا وما عطف عليه خطاب المعبودين في قوله نسويكم وضمير قالوا للعبدة **قوله** ويجوز ان يكون الضماير اي الضمير المنفصل وما يعود اليه للعبدة كضمير قالوا ويكون التخاصم لبعض العبدة مع بعض ويكون خطاب الجمادات في قوله اذ نسويكم على وجه التندم والتحسر من غير ان يجيبها الملك وينطقها لا على سبيل المخاطبة حقيقة وبعد الاعتراف بانهم كانوا في الضلال عن الهدى يقولون وما اضلنا الا المجرمون اي الشياطين وقيل اي الاولون الذين اقتدينا بهم وقيل اي كل من دعانا الى عبادة الاصنام من الجن والانس قال تعالى حكاية عنهم ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا قوله تعالى اذ نسويكم ظرف للاستقرار الذي تعلق به كلمة في في قوله تعالى لفي ضلال **قوله** او فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم الفرق بين الاوجه الثلثة ان المنفي في الوجه الاول مطلق الشفيع والصديق وفي الثاني شفاعة اشخاص مخصوصين وصداقتهم ممن عدوهم شفعاء واصدقاء وفي الثالث ما نفوا انفس الشفعاء والاصدقاء ولا شفاعتهم وصداقتهم وانما نفوا نفعهما على سبيل الكناية من حيث ان ما لا ينفع له في حكم المعدوم **قوله** كالحنين مصدر حن اليه يحن حنينا اي اشتاق اليه من الحنين وهو الشوق

وهو الشوق ونوقان النفس والصهيل صوت الفرس يقال صهل الفرس يصهل بالكسر صهيلا **قوله** لتلاقيهما في معنى التقدير اي تقدير المعدوم وفرضه فان معنى ليت له ما لا تقدير المعدوم كما ان المعنى في قولك لو كان كذا لكان كذا تقدير المعدوم الا انه في التمني مقرون بالطلب وفي لو ليس كذلك وبدل على ان كلمة لو ههنا للتمني انه نصب جوابه مع الفاء ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت اي لو جئنا شفعاء واصدقاء فعلى هذا يكون نصب فنكون باضمار ان عطفا على كرة كقول الميسون بنت بحدل للبس عباءة وتقر عيني **قوله** تعالى واتبعك الارذلون جملة حالية من كاف لك باضمار قد وارذال الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لقلة جاههم ومالهم **قوله** وما علمي الظاهر ان ما فيه استفهامية في محل الرفع على الابتداء وعلمي خبرها ويجوز ان يكون نافية والباء متعلقة بعلمي على التقديرين وعلى الثاني لا بد من اضمار الخبر ليتم الكلام **قوله** وايمانهم معطوف على اتباع المقلين ودليلا معطوف على ما نعا اي جعلوا ايمان المقلين دليلا على بطلان ما يدعوهم نوح اليه **قوله** اظهارا لما يدعو عليهم لاجله يعني ان قوله رب ان قومي كذبون لم يقله نوح عليه الصلوة والسلام افادة له تعالى بمضمون هذا الخبر لانه يكون له تعالى عالما بمضمونه لعلمه بانه تعالى عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد به اني لا ادعو عليهم لاجل تخويفهم اياي بالرجم واستخفافهم اياي بقولهم واتبعك الارذلون وانما ادعو عليهم لاجلك ولاجل دينك لانهم كذبوني وحيك ورسالتك فافتح بيني وبينهم فتحا اي فاقض واحكم بيني وبينهم قضاء وحكما من الفتاحة وهي الحكومة والفتاح الحاكم سمي به لفتحه المنغلق من الامر كما سمي فيصلا لفصله بين الخصومات واراد به الحكم بانزال العقوبة عليهم لقوله عقيبه ونجني ولولا ان المراد انزال العقوبة لما كان لذكر النجاة بعده معنى **قوله** تعالى تعبثون جملة حالية من فاعل تبنون والريع بكسر الراء وفتحها جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع وكانوا يبنون في المواضع المرتفعة من الطرق اعلاما طوالا ليهتدوا بها في اسفارهم فعده هود عليه الصلوة والسلام عبثا لاستغنائهم عنها بالنجوم **قوله** ما خذ الماء يعني الحياض واحدها مصنعة ولعل بمعنى كي وبابها والمعنى تتخذونها ترجون الخلود وقيل معناها التشبيه اي كانكم تخلدون اي تبقون فيها خالدين ويؤيده ما في حرف ابي كانكم تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا ذمهم اولا باضاعتهم المال عبثا بلا فائدة وثانيا باحكامهم البناء على وجه يدل على طول الامل والغفلة اي تتخذونها الخ ومن يؤمل الخلود في الدنيا **قوله** تعالى غاشمين اي ظالمين من الغشم وهو الظلم والبطش السطوة والاخذ بعنف قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا ضربتم بالسياط وقتلتم بالسيف فعلتم فعل الجبارين اي كان ذلك ظلما وعلوا بلا رافة ولا داعية حكمة والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب **قوله** وتغيير شق النفي يعني ان المقابلة تقتضي ان يقال ام لم تعظ وهو احصر من ان يقال ام لم تكن من الواعظين الا انه ترك مقتضى المقابلة وعدل الى الاطوال للمبالغة المذكورة فان التسوية بين وعظه اياهم وعدم كونه من اهل الوعظ والنهي ومباشرته اصلا بمنزلة ان يقال سواء علينا اوعظت ام كنت حجرا اصم او لا شك انه ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من ان يقال او عظت ام لم تعظ وللقائل ان يقول انما يكون هذا ابلغ ان لو لم يكن قولنا هو من

الواعظين ابلغ من قولك هو واعظ لكنه ابلغ منه ولهذا قالوا ان قول الزمخشري في خطبة احمد الله على ان
جعلني من علماء العربية ابلغ من ان يقال جعلني عالما بالعربية ويمكن ان يجاب عنه بان المقابلة بين قوله وعظت
وقوله لم تكن من الواعظين يابى الحمل على الكمال ويوجب ان يكون المعنى ام لم تكن من اهله ومباشريه اصلا قوله
وقرا نافع الخ وقرا الباقون وهم ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين بفتح الخاء وسكون اللام وهو
اما بمعنى الاختلاق والكذب كما يقال خلق الافك واختلقه اي افتراه ومنه قوله تعالى وتخلقون افكا او بمعنى الخلقة
والتكوين فعلى الاول يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود عليه الصلوة والسلام وعلى الثاني يكون اشارة الى الخلقة
النائلين والخلق بضمتين وبواحدة العادة فعلى هذه القراءة يجوز ان يكون هذا اشارة الى ما جاء به هود
وان يكون اشارة الى ما هم عليه من الدين او من الحيوة والموت قوله انكار لان يتركوا كذلك والمعنى اتظنون انكم تتركون
في الذي استقر في هذا المكان من النعيم وان لا دار للمجازاة والهمزة للانكار والتوبيخ وعلى الثاني تكون الهمزة لتذكير
تحلية الله تعالى اياهم في اسباب تنعمهم امنين بطريق الامتنان عليهم وعد النعمة قوله ثم فسره يعني ان قوله
فيما ههنا مجمل فصله بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل كما ان قوله امدكم بما تعلمون مجمل فصله بقوله امدكم بانعام
وبنين وجنات الخ قوله لطيف لين فيكون الهضيم من الهضم بفتحتين وهو الرقة والهزال الجوهري الهضم
بالتحريك انضمام الجنبين وهو في الفرس عيب يقال للاسبق اهضم من غاية بعيدة ابدا وكون طلع النخل لطيفا
قد يكون للطف الثمر وقد يكون لكون النخل انثى فان طلع البرني الطف من طلع اللون والبرني اجود التمر واللون
الدقل وهو اردأ التمر واهل المدينة يسمون ما عدا البرني والعجوة الوانا وكذا طلع ذكور النخل لا يكون لطيفا
حلبانه ثم فسر الطلع بقوله وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والشماريخ جمع شمراخ ويقال
له شمروخ ايضا كالشيخاخ والعثكول النهاية العثكال العذق وكل غصن من اغصانه شمراخ وهو الذي عليه
البسر والقنو العذق والكباسة من التمر بمنزلة العنقود من الكرم والعرجون اصل العذق وهو العود الاصفر
الذي فيه شماريخ العذق وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والواو والنون فيه زائدتان تقطع منه
الشماريخ فيعوج ويبقى على النخل يابسا شبهه الله تعالى بالقمر في ليلة ثمان وعشرين حيث قال حتى عاد
كالعرجون القديم من حيث ان كل واحد منهما دقيق منقوس قوله او متدل منكسر عطف على قوله لطيف لين
فيكون هضيم من الهضم وهو الكسر يقال هضمه حقه اذا ظلمه وكسر عليه حقه والتدلي التسفل والتنزل من موضعه
يقال من الشجرة قوله وافراد النخل بالذكر مع ان اسم الجنة تتناول النخل وغيرها مما يقصد اثباته في البساتين
للتنبيه على فضل النخل على سائر ما في الجنات حتى كانه ليس من جنس ما يدل عليه اسم الجنة تنزيلا للتغاير
في الذات او لان المراد بالجنات ما عدا النخل لان اسم الجنة يصح ان يطلق على ما يشتمل على جميع اشجار البساتين
وعلى ما يشتمل على بعضها فيجوز ان يراد به ههنا ما يشتمل على بعضها ويكون عطف النخل عليه دليلا على ارادة
البعض قوله بطرين او حاذقين قال ابو عبيدة فرهين وفارهين بمعنى يقال هما بمعنى فرحين بطرين

اشرين

اشرين وفرق الجوهري بينهما وقال الفاره الحاذق بالشيء من فره بالضم يفره فروهة وفراهة فهو
فاره وفره بالكسر بمعنى اشر وبطر ومن قرأ فرهين جعله من هذا ومن قرأ فارهين جعله من فره بالضم
قال الامام واعلم ان ظاهر هذه الآيات يدل على ان الغالب على قوم هود هو اللذات الخيالية وهي طلب
الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية وهي الماكول والمشروب
والمساكن الطيبة انتهى كلامه فقال صالح عليه الصلوة والسلام لقومه على سبيل الانكار والتوبيخ اتتركون
ثم قال فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون ويحتمل ان يقوله على سبيل تذكير النعمة والتعداد عليهم قوله استعير الطاعة
ارتكب المجاز لتعذر ارادة الحقيقة لان الطاعة انما تكون للآمر كما ان الامتثال يكون للامر فيقال اطيعوا الله
وامتثلوا امره فلما قيل في هذه الآية ولا تطيعوا امر المسرفين تعين المصير الى المجاز وذلك اما بان يشبه
الامتثال بالطاعة من حيث ان كل واحد منهما يقتضي ايجاد المامور به فاطلق اسم المشبه به وهو الطاعة
واريد الامتثال ثم اشتق منه قوله ولا تطيعوا على طريق الاستعارة التصريحية التبعية فالمعنى ولا تمتثلوا امرهم
واما بان يحمل الكلام على الاسناد المجازي فان حق الطاعة ان تنسب وتعلق بالآمر فنسب الى امره وجعل
الامر مطاعا والمراد الآمر للملابسة بينهما قوله وصف موضح لاسرافهم حيث تبين به ان المراد باسرافهم
على انفسهم بالتمرد على الله تعالى فيه خلف في المسرفين كل من افسد في الارض بالكفر والظلم ولا يصلح بالايمان والعدل
من تسعة رهط الذين عقروا الناقة وغيرهم قوله الذين سحروا كثيرا على ان يكون بناء التفعيل للتكثير والفعل
والمعنى من المسحورين مرة بعد اخرى وعلى الثاني يكون بناء التفعيل للنسبة الى السحر بفتح السين وسكون
الحاء قوله كما اقترحوا متعلق بقوله اخرجها الله فانهم اقترحوا عليه بان قالوا ائت بناقة عشراء تخرج من هذه
الصخرة فتلد سقبا مثلها فتفكر صالح فقال له جبرئيل عليهما الصلوة والسلام صل ركعتين وسل ربك الناقة
ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم وحصل لها سقب مثلها في العظم عن ابي موسى الاشعري قال رأيت
مبركها فاذا هو ستون ذراعا في ستين ذراعا ثم وصاهم صالح بامرين الاول قوله لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم قال قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب في اليوم الثاني الذي لا تشرب هي فيه والثاني قوله
ولا تمسوها بسوء ثم ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها بسهم فسقطت ثم ضربها قدار في عرقوبها
قوله لان عاقرها انما عقرها برضاهم روي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على
المرأة في خدرها فيقولون لها اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم قوله فيكون توبيخا بانهم كانوا يفعلون
مثل ذلك بنسائهم فتكون الآية دليلا على حرمة ادبار الزوجات والمملوكات قوله اي اتاتون من بين من عداكم
فعلى هذا الوجه يكون من العالمين حالا من فاعل اتاتون انكر عليهم تفردهم واختصاصهم بهذا الفعل
الشنيع من جملة العالمين اي الناكحين وعلى الثاني يكون حالا من الذكران انكر عليهم اختيارهم الذكران من جملة
العالمين مع كثرة الاناث فيهم قوله او اصفاها بان توصفوا بالعدوان ان الظلم لانكم يقال عدا عليه عدوا

عليه واعتدى عليه كله يعني وعلى هذا الوجه لا ينظر الا متعلق العدوان اصلا فوجه الاضراب على هذا انه
جعل اتيانهم الذكور جريمة ومعصية ووبخهم عليه بقوله اتركبون هذه الجريمة ثم اضرب عنه الى ما هو ابلغ
في التوبيخ فقال بل انتم بارتكابها قوم عادون اي اصحابها بان توصفوا بالعدوان بسبب ارتكابها كانه قيل
بل هي معظم الجرائم والمعاصي لا يستحق المرء الا ان يوصف بالعدوان الا بارتكابها وعلى الوجهين الاولين يكون
تعلق عادون بالمفعول مرادا فالمراد بعد توبيخهم بارتكاب المعصية المذكورة بل انتم قوم متجاوزون
عن حد شهوة سائر الناس بل الحيوانات او متجاوزون الحد في ارتكاب جميع المعاصي وهذا الاتيان من جملة
تعديكم وافراطكم **قوله** ولعلهم كانوا اخرجوا من اخرجوه على عنف يعني انهم لم يقولوا لنخرجنكم بل قالوا
لتكونن من المخرجين بلام العهد للمبالغة في الوعيد والاشارة الى انهم يبغون به من الاخراج على الحالة السيئة
ما فعلوه بغيره ولما جاز في هذا الاحتمال ان يكون اللام لجنس المخرجين ويكون اشارة الى انهم اخرجوا اكثر من
الناس وهم قادرون على اخراجه ايضا قال المصنف لعلهم بطريق الاحتمال لغيره وهو مثل ما حكى الله تعالى عن فرعون
لاجعلنك من المسجونين **قوله** من المبغضين يعني ان قالين اسم فاعل من القلى وهو البغض الشديد وقوله
من القالين متعلق بمحذوف تعلق الوصفية اي لقال من القالين ومبغض من المبغضين فذلك المحذوف
وهو قال خبر قوله اني ومن القالين صفته وقوله لعملكم متعلق بالخبر المحذوف ولو جعل قوله من القالين خبر ان
لجعل القالين في لعملكم فيفضي الى تقديم الصلة على الموصول قال ابو البقاء اي لقال من القالين فمن صفة للخبر متعلقة بمحذوف
واللام متعلقة بالخبر المحذوف فيتخلص من تقديم الصلة على الموصول اذ لو جعلت من القالين الخبر لاعملته
في لعملكم **قوله** لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد كانه قيل كيف انتهي عن نهيكم وتقبيح امركم واني لعملكم من القالين
وقيل وجه كونه جوابا عن ايعادهم اياه بالاخراج ان معناه كيف توعدونني بالاخراج من بينكم واني لعملكم
الذي تعملونه من المبغضين اكره المقام فيكم وابغض رؤية عملكم الذي تعملونه فيكون في اخراجي ايصال
الراحة الي ولولا امر الله تعالى اياي بالمقام فيكم لادعوكم الى الحق لما كنت اقيم بينكم لشدة بغضي عملكم **قوله**
مقدرة في الباقين في العذاب يعني ان في الغابرين صفة لقوله عجوزا وان المراد بالغابرين الباقون في العذاب
والمكان ظاهر النظم والاعلام ان العجوز موصوفة بكونها باقية في العذاب وقت تنجية لوط واهله وليس كذلك
لكونها من الاخرين الذين دمرهم الله تعالى بعد تنجية الناجين بحكم كلمة ثم في قوله تعالى ثم دمرنا الاخرين ذكر ان ليس
معنى الكلام ان العجوز غابرة اي باقية في العذاب بل المعنى ان العجوز مقدرا غبورها في عذاب الشذاذ اي الخارجين
من القرية المؤتفكة بالامطار عليهم بانها خرجت من بين القوم مع لوط كسائر اهله فصارت من شذاذ القوم
فاهلكت بما اهلك الشذاذ وهو صفة لها وقت التنجية ثم نقل توجيها اخر وهو ان يكون المعنى الا عجوزا غابرة
في القرية مع المهلكين غير خارجة مع الناجين وهو صفة لها وقت التنجية **قوله** على شذاذ القوم الذين
كانوا خارجين من بلادهم حين دمرهم الله تعالى بالائتفاك بل وتهم عليهم والحق بهم فيكون المعنى ان الله تعالى
دمر

دمر قوم لوط بعذابين الائتفاك والامطار دمر من كان في بلادهم بالائتفاك ومن كان خارجا عنها
بالامطار قال الله تعالى فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل يقال ائتفكت
البلاد باهلها اي انقلبت ملتبسة بهم والمؤتفكات البلاد التي قلبها الله تعالى على قوم لوط سميت مؤتفكات لكونها
منقلبات ملتبسة باهلها وقيل لم يرض الله تعالى بالائتفاك بهم حتى اتبعهم مطرا من حجارة **قوله** حتى صح نوع
المضاف اليه يعني فرع اللام لذي اضيف الى المنذرين فان شرط افعال المدح والذم ان يكون فاعلها معرفا
بلام الجنس او يكون مضافا الى المعرف بها او مضمرا مميزا **قوله** الايكة غيضة اي موضع يغيض فيه الماء ولا يسيل
عنه الى المواضع الغائرة فينبت فيه الشجر وقد يطلق الايكة والغيضة على نفس الاشجار الناعمة الملتفة **قوله**
وقرئ كذلك متوجه الى قرئ اصحاب ليكة بفتح التاء على ان ليكة غير منصرف للعلمية والتانيث فلذلك
فتحت في موضع الجر ومن قرا اصحاب ليكة بالجر قال اصله اصحاب الايكة على ان ايكة اسم جنس عرف بلام التعريف
ثم خففت الهمزة بان القيت حركتها على اللام ثم حذفت للساكنين واستغنيت عن الف الوصل لان اللام
قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الجر كما تقول مررت بالاحمر على تحقيق الهمزة ثم خففتها فتقول بلحمر فان شئت
كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان شئت كتبته بالحذف على حكم لفظ اللافظ فلا يجوز فيه الا الجر بالاضافة كما
لا يجوز في الايكة الا الجر **قوله** وكان شعيب اجنبيا منهم وكان اخا مدين في النسب فلذلك قال تعالى في اية
اخرى والى مدين اخاهم شعيبا ثم انه عليه الصلوة والسلام كلفهم بامور امرهم بايفاء الكيل ونهاهم عن التطفيف
لا في الكيل ولا في الوزن حيث قال اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي من الناقصين لحقوق يقال خسرت الشيء
بالفتح واخسرته اي نقصته ثم نهى عن نقص حق المستحقين باي طريق كان كنقص العدد والذرع ودفع الزيوف
مكان الجيد والغصب والسرقة والتصرف بغير اذن صاحبه ونحو ذلك حيث قال ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال
بخسه حقه اذا نقصه اياه **قوله** فعلا من عثى بكسر العين الظاهر ان يقال فعلا لان التكرير يقتضي ان يوزن
المكرر بلفظ ما قبله ثم نهاهم عن افساد شيء مما خلقه الله تعالى وصوره على طريق الافساد بقوله ولا تعثوا في الارض
مفسدين يقال عثى في الارض يعثو اي افسد وكذلك عثي بالكسر يعثى وانما قيده بقوله مفسدين لان افساد الصورة
والخلقة هو ان غلب في الافساد الا انه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه
ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة والجبلة على ان الجبلة بمعنى الخلقة ولا
يتعلق بها الخلق فلا بد من تقدير المضاف والكسف بفتح السين وسكونها جمع كسفة وهي القطعة كسدرة وسدر
في جمع سدرة فقال عليه الصلوة والسلام في جوابهم ربي اعلم بما تعملون يريد انه اعلم باعمالكم وبما تستوجبون
عليها من العقاب فينزله عليكم في وقته المقدر له **قوله** على نحو ما اقترحوا بقولهم فاسقط علينا كسفا من
السماء هذا على تقدير ان يكون مرادهم بالسماء السحاب لان المراد بالظلة سحابة اظلتهم بعد ما حبس عنهم
الريح واستولى عليهم الحر الشديد سبعة ايام فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون الاسراب

فانه حد شهوة ... اقبال الاناث مثلهم

اي لقال كائن من القالين منه

اي لقال ... وقت التنجية ... بعد ... الاخرين

فيجوز ان يشتد حرا فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحرقتهم واما على تقدير ان يكون مراده بها السماء المظلة فيكون العذاب
النازل بهم على خلاف ما اقترحوه **قوله** واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم الخ جواب عما يقال لم لا يجوز
ان يقال ان العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم لم يكن لكفرهم وعنادهم بل كان ذلك بسبب قرانات
الكواكب واتصالاتها على ما اتفق عليه اهل النجوم ومع قيام هذا الاحتمال لم يحصل الاعتبار بهذه القصص
لان الاعتبار انما يحصل ان لو علم ان نزول هذا العذاب كان بسبب كفرهم وعنادهم وكما يقال
ان الله تعالى قد ينزل العذاب محنة للمكلفين وابتلاء لهم على ما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم
والصابرين وقد ابتلي المؤمنون بانواع البليات فلا يكون نزول العذاب على هؤلاء الاقوام دليلا على كونهم
مبطلين مؤاخذين بذلك ثم انه تعالى لما ذكر قصص الانبياء عليهم الصلوة والسلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اتبعه بذكر ما يدل على نبوته فقال وانه اي وان القران او ما نزل من هذه القصص والايات وثبت به صدقك
في دعوى الرسالة لان اخبارك عن مثلها لا يكون الا بطريق الوحي لتنزيل رب العالمين اي لمنزل له على ان
التنزيل بمعنى المنزل او ذو تنزيله على حذف المضاف وجاز عود الضمير وانه الى القرآن وان لم يجر له ذكر
للعلم به والقران المنزل لما كان مشتملا على القصص المذكورة والايات الدالة عليها كانت هذه الاية
تقرير الحقية تلك القصص وتنبيها على اعجاز القران كانه قيل لو لم يكن تنزيل رب العالمين لما قدرت
على الاخبار عما فيه من المغيبات وثبت به صدقك في دعوى الرسالة لان اخبارك عن مثلها لا يكون الا
بطريق الوحي وقوله تعالى وانه لفي زبر الاولين كانه يؤكد هذا المعنى فانه عليه الصلوة والسلام لما ذكر هذه
القصص السبع على ما هي موجودة في زبر الاولين من غير تفاوت اصلا مع انه لم يشتغل بالتعلم والاستفادة
دل ذلك على انه ليس الا من عند الله تعالى **قوله** قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا ورفع الروح
الامين من غير تعيين على اسناد الفعل الى الروح وكون الامين صفته وقرا باقي السبعة نزل مثقلا
ونصب الروح الامين على ان الروح مفعول به والامين صفته ومعنى التشديد نزل الله
الروح الامين به اي جعل الله الروح نازلا به ومعنى التخفيف نزل الروح به والباء في به على القراءتين
للتعدية او للملابسة على الاول تتعلق بنزل وعلى الثاني تتعلق بمحذوف على انه حال وقوله على قلبك لتكون متعلق
بنزل ويجوز ان يتعلق بتنزيل والمعنى انه لتنزيل رب العالمين على قلبك لتكون لكن فيه ضعف من حيث الفصل
بين المصدر ومعموله بجملة نزل به الروح الامين الا ان هذه الجملة لما كانت اعتراضية جرى بالتاكيد لم تكن
اجنبية وان مثل هذا الفصل مغتفر فيما اذا كان المعمول ظرفا او عديله وسمى جبريل روحا لكونه سببا لحيوة قلوب
المكلفين بنور المعرفة والطاعة من حيث ان الوحي الذي فيه الحيوة من موت الجهالة يجري على يده وقيل لانه
روح كله وليس كجسد فيه روح وسمي امينا لانه مؤتمن على ما يؤديه الى الانبياء عليهم الصلوة والسلام قوله

قوله والقلب ان اراد به الروح فذاك لانه هو الذي نزل عليه القرآن الملتبس بكسوة الحروف والالفاظ
فانه انما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ليس عبارة عن مجرد الجسد وليس للجسد حظ من ادراك المعاني
الروحانية والقلب في سائر الاعضاء والحواس الات الادراك والمتلقي والمخاطب والمدرك انما هو الروح
لا الاعضاء والالات الا انه يجوز ان يراد بالقلب العضو المخصوص كما هو المتبادر عند اطلاقه فيكون
جعل القران نازلا على قلبه مع انه نازل عليه لا على عضوه مبنيا على كون القلب موضع القوة التعقل والفهم
فان الروح انما يدرك بتلك القوة المودعة في القلب فلا جرم تنتقل المعاني الروحانية النازلة على الروح
الى القلب لما بينهما من التعلق على الوجه المذكور وذهب طائفة من القدماء الى ان موضع قوة التعقل والفهم
هو الدماغ لا القلب بسند لا ان طريان الآفة على الدماغ يوجب اختلال العقل وبان الحواس التي هي الات
الادراك نافذة الى الدماغ دون القلب فاشار المص الى ان الدماغ محل القوى الباطنة التي يستعين
بها الروح في ادراك المعاني فلذلك كان سلامة الدماغ شرطا لسلامة القلب وظهور اثاره فالقران كلام
الله تعالى وصفته القائمة به فكساه كسوة الالفاظ المركبة من الحروف العربية ونزله الى جبريل وجعله امينا
عليه لئلا يتصرف في حقائقه ثم نزل به جبريل كما هو على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفهمه بجنانه ويمكن
من تفهيمه لغيره وتخلق بخلقه وتنور بانواره وتحلى بحلاوته وهو عليه الصلوة والسلام مختص بهذه الرتبة
العلية والكرامة السنية من بين سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام فان كتبهم انزلت عليهم بالالواح
والصحف جملة واحدة فهي منزلة على صورهم وظواهرهم لا على قلوبهم **قوله** فهو متعلق بنزل فيكون معناه
ان القران انما انزل عليه عربيا كما قال تعالى في اية اخرى انا انزلناه قرانا عربيا لا ما زعمت الباطنية من انه
تعالى انزله على قلبه عليه الصلوة والسلام غير موصوف بلغة ولسان ثم انه عليه الصلوة والسلام اداه بلسانه
العربي المبين من غير ان انزله كذلك لكن هذا فاسد مخالف للنص والاجماع **قوله** وان ذكره لما كان ظاهر
النظم يدل على ان عين القران العربي المبين مثبت في سائر الكتب السماوية وظاهر انه ليس كذلك
احتيج الى تقدير المضاف اي ان ذكر القران وانزاله على النبي المبعوث في اخر الزمان او ان اصول معانيه
مثبت في كتبهم على معنى انه تعالى اخبر في كتبهم عن القران وانزاله في اخر الزمان او انه تعالى بين اصول معانيه
في كتبهم لان جميع ما فيه من الاحكام والامثال مثبت فيها وبه يحتج ابي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة
بالفارسية في الصلوة وهو كقوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى وقال مقاتل بتقدير الاية وان امر محمد صلى الله
عليه وسلم ونعته وذكره لفي كتب الاولين وهو كقوله يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل **قوله**
وهو تقرير لكونه دليلا يعني ان الاستفهام في اولم يكن استفهام تقرير بمعنى قد كان علم علماء بني اسرائيل اية
دالة على صحة نبوته عليه الصلوة والسلام لهؤلاء المنكرين بنبوته فانه قد روي ان اهل مكة بعثوا رسولا
الى اليهود الذين كانوا في المدينة يسالونهم عن رسول الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا لنجد ذكره ونعته

وهذا او ان خروجه فكان ذلك آية على صدقه وحقية امره **قوله** وقرأ ابن عامر يكن بالتاء من فوق ورفع آية
والباقون يكن بالياء من تحت وبنصب آية اما قراءة ابن عامر فيحتمل ان يكون كان فيها تامة وان يكون ناقصة
فان كانت تامة تكون آية فاعلا لها وان يعلمه بدلا منها او خبر مبتدأ محذوف ولهم حالا منها او متعلقا بكان اى
اولم يحصل آية كائنة لهم او ولم يحصل لهم آية وهى علم علماء بنى اسرائيل او ولم تحدث لهم علامة علم علماء بنى اسرائيل
وان كانت ناقصة جاز ان يكون لهم خبر يكن متقدما على اسمها ويكون آية اسمها وان يعلمه بدلا او خبر محذوف
وجاز ان يكون اسمها ضمير القصة المستتر فيها وقوله آية ان يعلمه جملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدا منصوبة
المحل على انها خبر كان كما تقول كان زيد منطلق على معنى كان الامر هذا ولا يجوز ان يكون آية اسم كان وان
يعلمه خبرها لانه اذا اجتمع في باب كان معرفة ونكرة فالذى يجعل اسم كان منهما هو المعرفة كما في المبتدأ والخبر و
قد يجئ العكس في الشعراذا اضطر اليه الشاعر ولا يجوز مثله في التنزيل **قوله** ولذلك جمع جمع السلامة اى و
لكونه جمع اعجم لانه لو كان جمع اعجم لما جمع بالواو والنون لان مؤنث اعجم عجماء وافعل فعلاء لا يجمع جمع السلامة
فلا يقال احمرون مثلا والكاف في قوله تعالى كذلك منصوب المحل على انه صفة مصدر محذوف اى سلكناه سلكا
مثل هذا السلك في قلوب مشركى مكة فيكون المشار اليه بقوله كذلك هو مضمون قوله سلكناه ويكون قوله لا يؤمنون
به مقررا او موضحا لمعنى قوله سلكناه في قلوب المجرمين اى يكون مستأنفا على جهة البيان والايضاح
لما قبله وان كان ضمير سلكناه للقرآن يكون الاشارة الى السلكة في قلوب المؤمنين ويكون لا يؤمنون به مستأنفا
لبيان عنادهم قوله تعالى فيأتيهم معطوف على قوله يروا وقوله فيقولوا عطف على يأتيهم وظاهر النظم
يدل على ان يكون مفاجأة العذاب واقعة عقيب رؤيته ويكون سؤال النظرة واقعا عقيب مفاجأته و
ليس كذلك بل الذى يقع اولا هو المفاجأة ثم الرؤية ثم سؤال النظرة فوجب ان لا يكون كلمة الفاء فيهما للتراخى
الزمانى بل يكون للتراخى الرتبى بان يكون المعنى لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب الملجئ الى الايمان به
فما هو اشد من رؤيته وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو اشد منه وهو سؤالهم النظرة مع القطع بامتناعها
فانهم انما يرون العذاب عند معاينة ملائكة الموت او في الآخرة وهم يعلمون في ذلك الوقت ان لا خلاص لهم
ولا امهال وانما يسألونه تعللا واسترواحا ثم انه تعالى لما وصف عذاب المجرمين بان رؤيته يلجئهم الى
الايمان وانه يأتيهم بغتة فيضطرون الى سؤال النظرة والامهال طرفة عين فلا يجاب اليها قال على
سبيل التبكيت والتوبيخ للذين كانوا يستعجلون العذاب في الدنيا بمثل قولهم امطر علينا حجارة من السماء
وقولهم لن نؤمن لك حتى تسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك افبعذابنا يستعجلون اى كيف يستعجلون
ما يأتيهم بغتة ويسألون عند رؤيته الامهال فلا يمهلون لحظة والعاقل لا يستعجل ما فيه هلاكه ثم قال
تعالى افرأيت اى اخبرنى يا محمد ومعناه اعلم قوله تعالى ما اغنى كلمة ما نافية يجوز ان يكون استفهامية في محل
النصب مفعول لا مقدما لاغنى وما كانوا هو الفاعل كلمة ما فيه مصدرية والمعنى اى شئ اغنى عنهم
كونهم

تقديره او الفاعل عطف على قوله الاسم وقوله وان الاسم عطف على قوله انها الاسم منه

اى سلكنا الشرك والكفر منه كذا وبمجاهد
نقل عن ابن والحسن
او خلقنا الشرك والتكذيب
في قلوب المجرمين
منه [illegible]

وهو قول الحسن [illegible]
وقتادة منه

١٣

كونهم متمتعين وان يكون نافية فيكون مفعول اغنى محذوفا اى لم يغن عنهم تمتعهم شيئا وقرئ تمتعون
باسكان الميم وتخفيف التاء من قولك امتع الله زيدا بكذا **قوله** ومحلها النصب على العلة اى لقوله منذرون والمعنى
لها منذرون لاجل الموعظة والتذكرة ويحتمل ان يكون معمولة لاهلكنا فان النفى فيه لما انتقض بالا وكان المراد
بالقرية القرية الظالمة آل المعنى الى قولك اهلكنا القرية الظالمة بعد الزام الحجة بارسال المنذرين اليها لتكون
اهلاكها تذكرة وعبرة لغيرها ويحتمل ان يكون ذكرى في محل النصب على انه مفعول مطلق لقوله منذرون من
قبيل قعدت جلوسا لان انذروا ذكر متقاربان كانه قيل يذكرون تذكرة ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف
من لفظه اى يذكرون ذكرى وذلك المحذوف صفة لمنذرون ثم انه تعالى بعدما وصف القرآن بانه تنزيل رب
العالمين ونبه به على اعجازه باشتماله على قصص المتقدمين من غير تفاوت وعلى نبوة نبيه عليه الصلوة
والسلام رد قول من زعم من الكفار انه من القاء الجن والشياطين كسائر ما ينزل على الكهنة فقال
وما تنزلت به الشياطين **قوله** في صفات الذات اى في الصفات اللازمة لذوات الملائكة مثل كونهم
اجساما نورانية خيرة طائعة لله تعالى طاهرة من دنس الذنوب والمعاصى يسبحون الليل والنهار لا يفترون
[illegible] اهل السنة والجماعة قالوا صفات الله تعالى كلها صفات الذات على معنى انها قديمة قائمة بذاته
[illegible] المعتزلة قسموا صفات الله تعالى الى صفات الذات وصفات الافعال فقالوا كل ما يصح ان يثبت
وينفى [illegible] من صفات الفعل كالخلق والترزيق والاماتة والاحياء وما ليس كذلك كانت من صفات الذات
كالعلم والقدرة والحيوة وقالوا صفات الافعال حادثة غير قائمة بذات الله تعالى بخلاف صفات الذات
قوله ولطف لسائر المكلفين فان اكرم خلق الله تعالى عليه لما خوطب بانك لو اتخذت من دونى آلها
لعذبتك مع انك اكرم الخلائق عندى كان ذلك زجرا بليغا عن الشرك لكل من سمعه من المكلفين يعذبح
عزيمته على ازدياد الاخلاص **قوله** مستعار من خفض الطائر جناحه شبه التواضع ولين الاطراف
والجوانب عند مصاحبة الاقارب والاجانب بخفض الطائر جناحه عند ارادة الانحطاط فاطلق على
المشبه اسم الخفض على سبيل الاستعارة التصريحية ثم اشتق منه قوله واخفض جناحك **قوله**
ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره فان ما قيل من التبيينية يجب ان يكون مبهما من ذواتها
حتى يتحقق فيه الابهام والاحتياج الى البيان ولم يظهر كون من اتبعك اعم من المؤمنين من حيث انه لا
يحتمل غير المؤمنين بل هما متحدان في الوجود وان تغايرا في المفهوم فلا وجه للبيان ظاهرا الا ان
المتبعين اعم في نفس الامر من المؤمنين لانه يتناول من اتبعه عليه الصلوة والسلام في امر الدين وغيره
بخلاف المؤمنين فانه لا يتناول الا من اتبعه عليه الصلوة والسلام في امر الدين وبهذا الاعتبار صح
ان يكون كلمة من للتبيين لا للتبعيض لان مدخول من التبعيضية اعم مما قبلها على عكس من البيانية ولما
جعل من اتبعك اعم من المؤمنين امتنع ان يكون من تبعيضية وانما يكون كذلك ان لو اريد بمن اتبعك

يكون بانه اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم
فلا يعصوا مثل عصيانهم منه

فان قيل العلم بكون الشياطين
لا يحصل الا بخبر النبى
عليه الصلوة والسلام
ممنوعة عن ذلك الصادق عليه الصلوة والسلام
فاذا اثبت كون محمد صلى الله عليه وسلم
صادقا بفصاحة القرآن واخباره
عن الغيب ولا ثبت كون الفصاحة
والاخبار عن الغيب معجزا الا اذا
ثبت كون الشياطين ممنوعين
عن ذلك فلزم الدور قلنا الجواب
انا لا نسلم ان العلم بكون الشياطين
ممنوعة عن ذلك لا يستفاد
الا من قول النبى صلى الله عليه وسلم
لانا نعلم بالضرورة ان النبى صلى
الله عليه وسلم كان يلعن
الشياطين ويأمر الناس
بلعنهم فلو كان ذلك انما
حصل من القاء الشياطين
لكان الكفار اولى على فعله
ولما لم يكن كذلك علمنا ان
الشياطين ممنوعون لانهم
معزولون عن تلقى الغيب
انتهى [illegible]

المتبعون في امر الدين ظاهرا او باطنا وبالمؤمنين ما هو اعم من ذلك بان يراد بهم الذين شارفوا الايمان وكانوا بصدده وسماهم الله تعالى مؤمنين باعتبار ما يؤول اليه امرهم والمتبعون حقيقة بعض منهم فيصح ان يكون للتبعيض بهذا الاعتبار كانه قيل واخفض جناحك لبعض المؤمنين وهم الذين اتبعوك حقيقة او يراد بهم الذين صدقوا باللسان فانه ايضا اعم من الذين اتبعوه حقيقة قوله وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء بان جعلا ما بعد الفاء كالجزاء للشرط فان عصوك مرتبا عليه وجعلاه بدلا من اجزاء المتقدم وقرا الباقون بالواو وجعلوه لمجرد عطف الجملة على جملة اخرى من غير ملاحظة السببية والترتيب ووصف الله تعالى نفسه بالعزيز ليدل على انه يقدر على قهر اعداء رسوله بعزته وبالرحيم ليدل على انه يقدر على نصره عليهم واعلاء كلمته برحمته وقوله الذي يراك يجوز ان يكون مرفوع المحل على انه خبر مبتدا محذوف وان يكون منصوب المحل على المدح ومجرور المحل على انه صفة او بدل او بيان وقوله وتقلبك على مفعول يراك اي ويرى تقلبك لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة ليؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يرحم عليه اتبعه ما هو كالسبب لتلك الرحمة وهو قيامه الى التهجد في جوف الليل وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين ليطلع على سرائرهم ويحتمل ان يكون المعنى يراك حين تقوم في الصلوة ويرى تصرفك فيما بينهم بالقيام والركوع والسجود والقعود فقوله في الساجدين بمعنى مع المصلين في الجماعة فكان حاصل المعنى يراك حين تقوم وحدك للصلوة ويراك اذا اصليت مع المصلين جماعة والدندنة الصوت الخفي يقال دندن الرجل اذا اخفى كلامه وفي الصحاح الدندنة ان تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول وقيل الدندنة النغمة والترنم قال الامام واعلم ان الرافضة ذهبوا الى ان آباء النبي صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنين وتمسكوا في ذلك بهذه الآية وبالخبر اما هذه الآية فقالوا قوله تعالى وتقلبك في الساجدين يحتمل الوجوه التي ذكرتم ويحتمل ان يكون المراد ان الله تعالى نقل روحه من ساجد الى ساجد كما نقوله نحن واذا احتمل كل هذه الوجوه وجب حمل الآية على الكل ضرورة انه لا منافاة ولا رجحان واما الخبر فقوله عليه الصلوة والسلام لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وكل من كان كافرا فهو نجس لقوله تعالى انما المشركون نجس قالوا فان تمسكتم على فساد هذا المذهب بقوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه آزر قلنا الجواب عنه ان لفظ الاب قد يطلق على العم كما قال ابناء يعقوب عليه الصلوة والسلام له نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل اباه مع انه كان عما له وقال عليه الصلوة والسلام ردوا علي ابي يعني العباس ويحتمل ايضا ان يكون متخذ الاصنام اب امه فان هذا قد يقال له الاب قال تعالى ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابرهيم مع ان ابرهيم كان جده من قبل الام ثم قال الامام واعلم انا نتمسك بقوله تعالى لابيه آزر وما ذكروه صرف للفظ عن ظاهره واما حمل قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على جميع الوجوه فغير جائز لما بينا ان حمل المشترك على جميع معانيه غير جائز واما الحديث فهو خبر واحد فلا يعارض القرآن قوله اي الافاكون يلقون السمع على ان يكون يلقون السمع في محل الجر على انه صفة كل افاك لكونه في معنى الجمع ويكون الضمائر كلها

كلها الا انكيس قوله فيقرها يعني الخافي اي يصبها يقال قررت على راسه الماء اذا اصببته عليه وفي الحديث في اذنه بقرة كانه صب فيها والذي قال عليه الصلوة والسلام كان قبل ان اوحي اليه وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا قال مقاتل ان الله تعالى اذا اراد امرا في الارض علم به اهل السموات من الملائكة فتكلموا به فيما بينهم فتسمع الشياطين وترميهم الملائكة بالشهب فيختطفون الخطفة فذلك قوله تعالى يلقون السمع اي يلقون حاسة سمعهم او مسموعهم انتهى فعلى هذا يكون ضمير يلقون راجعا الى الشياطين ويكون جملة يلقون السمع حالا من الضمير في تنزل قوله وقد فسر الاكثر بالكل جواب عما يقال كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم بان كل واحد منهم افاك وحاصله ان كونهم كاذبين مفترين على الجني في اكثر ما يحكيه عنه لا ينافي كونهم افاكين كثير الكذب قوله ولا كذلك محمد صلى الله عليه وسلم فانه لا يتبع ما اخبر به من الشياطين فيزيد عليه كذبات كما يفعله الكهنة كيف ولم يظهر في اخباره عليه الصلوة والسلام عن المغيبات الا الصدق فعلمنا بذلك ان حاله بخلاف حال الكهنة ثم انه تعالى بعد ما تميز بين حاله عليه الصلوة والسلام وحال الكهنة بانهم كذابون كثير الاثم بخلافه عليه الصلوة والسلام بين ما يتميز به عن الشعراء فقال والشعراء يتبعهم الغاوون اي الضالون ثم بين غوايتهم بامرين الاول انهم يهيمون ويذهبون في كل واحدة من الطرق المختلفة بخلاف امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه من اول امره الى آخره بقي على طريق واحد وهو الدعوة الى الله تعالى وطاعته والترغيب في الآخرة والتنفير عن الدنيا والثاني انهم يقولون ما لا يفعلون فانهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون الناس بادنى شيء صدر عنهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية بخلافه عليه الصلوة والسلام فانه قد كان زكي النفس الكريمة او لانه لم يدع احدا من الناس الا الى ما هو عليه الصلوة والسلام ما هو راسخ او صدق فيه فكيف تشتبه حال الشعراء والنسيب مصدر قولك نسب الشاعر بالمراة ينسب بالكسر نسيبا اذا ذكر صفات حسنها وذكر حالة معها في الشعر والغزل اسم لمحادثة النساء ومراودتهن وعرض الاشتياق اليهن والابتهار الاشتهار يجب واحدة من النساء يقال ابتهر فلان بفلانة اي تشهر بها ويقال ايضا على ادعاء الشيء كذبا والحرم حرم الرجل اهله وسكان حرمه من نحو زوجته وامه وبنته ثم انه تعالى لما وصف الشعراء بهذه الاوصاف الذميمة بيانا لما بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم من البون البعيد استثنى عنهم شعراء المسلمين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله تعالى ولم يجعلوا الشعر همهم وهجيراهم وقيل المراد بالكثير ذكر الله تعالى ان يكون شعرهم في التوحيد والثناء على الله تعالى وفي النبوة ودعوة الخلق الى الحق ثم قال وانتصروا من بعد ما ظلموا اي لا يهجون الا على سبيل الانتصار ممن يهجوهم ثم الشرط فيه ترك الاعتداء لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن ابن رواحة رضي الله تعالى عنه انه قال لما نزل قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخر الآية خشيت ان اموت على هذا فنزل قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات

فاستثنى شعراء الاسلام وقال كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ماذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما تنضحونهم بالنبل من ترمونهم بالسيوف وعن عروة عن عايشة رضي الله عنها انها كانت تقول الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح واعلم ان الشعراء طبقات الجاهليون كامرء القيس وزهير والمخضرمون وهم الشعراء الذين ادركوا الجاهلية والاسلام كحسان ولبيد والمتقدمون من اهل الاسلام كالفرزدق وجرير ويستشهد باشعارهم ثم المحدثون كابي تمام والبحتري ولا يستشهد بشعرهم **قوله** لما في سيعلم من الوعيد البليغ لان السين يدل على ان ذلك كائن لا محالة

قوله حين عهد اليه ابن حينا وصاه من العهد وهو الوصية قال تعالى الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان اي الم اوص اليكم روي انه لما ايس ابو بكر رضي الله عنه من حيوته استكتب عثمان رضي الله عنه كتاب العهد وهو هذا ما عهد ابن ابي قحافة الى المؤمنين في الحال التي يؤمن فيها الكافر ثم قال بعد ما غشي عليه وافاق اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان عدل فذاك ظني فيه وان لم يعدل سيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون قال الزجاج اي منقلب منصوب بينقلبون على المصدر لا بقوله سيعلم لان اياً وساير اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها وقدم على عامله لتضمنه معنى الاستفهام وهو متعلق لسيعلم ساد مسد مفعوليها وقال ابو البقاء اي منقلب صفة لمصدر محذوف اي ينقلبون انقلاباً اي منقلب وردبان اياً الواقعة صفة لا تكون استفهامية وكذلك الاستفهامية لا تكون صفة بل كل واحدة منهما قسم براسه فان اياً تنقسم الى اقسام كثيرة وهي الشرطية والاستفهامية والموصولة وما تكون صفة وغير ذلك تم ما يتعلق بسورة الشعراء والحمد لله كثير الآلاء والصلوة والسلام على سيد الانبياء وعلى آله واصحابه الاتقياء رضوان الله تعالى عليهم يوم الحشر والجزاء سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين **سورة النمل مكية**

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** الاشارة الى آي السورة بناء على ان طس اسم لهذه السورة الكريمة وهو مبتداء وتلك مبتداء ثان وآيات القرآن خبر الثاني والجملة خبر الاول والاشارة قائمة مقام العائد ولابد في المبتداء الاول من تقدير اي آيات طس ليصح الاشارة اليه بتلك ويخبر عنه بانها آيات القرآن لان الحكم على نفس السورة بانها آيات لا يخلو عن تكلف قوله تعالى وكتاب مجرور بالعطف على القرآن وقرئ مرفوعاً بالعطف على آيات وهذه القراءة لما استلزمت اثبات الشيئين احدهما مذكر والآخر مؤنث يعلم اشارة المؤنث ولا وجه له لانه لا يقال تلك هند وزيد فلذلك احتيج في توجيه هذه القراءة الى تقدير المضاف اي تلك آيات القرآن وآيات كتاب مبين **قوله** وتاخيره يعني اخر الكتاب الذي اريد به اللوح عن القرآن في هذه السورة وقدم عليه في قوله تعالى في سورة الحجر الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين نظراً الى الاعتبارين **قوله** او القرآن عطف على قوله اما اللوح فيكون عطف الكتاب على القرآن من قبيل العطف في قولنا الملك الفرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم **قوله** وتنكيره للتعظيم والمقصود من تعظيم الكتاب تعظيم الآيات المضافة اليه لان المضاف الى العظيم عظيم

قوله

قوله الذين يعملون الصالحات من الصلوة والزكوة اي من هذين الجنسين في كونهما عبادة بدنية او مالية اشارة الى ان تخصيص الصلوة والزكوة بالذكر لكونهما معظم الاعمال البدنية والمالية ووصف آيات السورة بكونها هادية ومبشرة للجامعين بين معرفة المبداء والايمان به ومعرفة المعاد والايقان بما يتعلق به والاشتغال بطاعة المولى بنفسه وماله **قوله** وتغيير النظم يعني ان الظاهر على تقدير كونه من تتمة الصلة ان يقال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويوقنون بالآخرة على العطف او وهم يوقنون بالآخرة على الحالية الا انه قدم قوله بالآخرة على متعلقه وهو يوقنون للعناية والاهتمام بها واخراج الكلام على صورته انما عرفت حيث قدم ضميرهم على يوقنون وجعل مبتداء وكرر ذلك المبتداء على سبيل التاكيد اللفظي ليفيد الاختصاص في التاكيد لما تقرر من ان اعتبار تقديم الفاعل المعنوي على عامله يفيد الاختصاص فيكون المعنى انهم او حقيقون في الايقان بالآخرة لا يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون للصفات المذكورة جعل الجملة اسمية مكرراً فيها المبتداء للدلالة على قوة يقينهم وثباته ولما كان اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مما يتكرر ويتجدد في اوقاتها جعلت الصلتان المتقدمتان جملة فعلية فقيل يقيمون ويؤتون ولما كان الايقان بالآخرة امراً ثابتاً مطلوباً دوامه اتى بالصلة الدالة عليه جملة اسمية وجعل خبر المبتداء في هذه الجملة فعلاً مضارعاً للدلالة على ان ايقانهم يستمر على سبيل التجدد وغير منقطع اصلاً **قوله** او جملة اعتراضية عطف على قوله من تتمة الصلة اي ويحتمل ان يكون قوله تعالى وبالآخرة هم يوقنون جملة مستانفة غير داخلة في حيز الموصول ويتم الصلة عند قوله ويؤتون الزكوة وجعلها معترضة نظراً الى اتصال ما بعدها بما قبلها من حيث ان ما قبلها لبيان ما للمؤمنين من البشرى بحسن العاقبة وما بعدها لبيان ما للكفار من سوء الجزاء يوم القيمة ويحتمل ان يكون جعلها معترضة بناء على مذهب من يجوز وقوع الاعتراض في آخر الكلام بان لا يليه الجملة المعترضة جملة اصلاً او يليها جملة غير متصلة بها معنى ووجه اتصال هذه الجملة بما قبلها انها تؤكد مضمون قوله للمؤمنين الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة من حيث ان الايقان بالآخرة حق الايقان يستلزم الخوف من تبعاتها وذلك الخوف يستلزم تحمل المشاق والمتاعب حذراً عن نيل ما يخاف منه فمضمون قوله وهم بالآخرة هم يوقنون يؤكد مضمون ما قبله فصح كونه اعتراضاً وقوله كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون اشارة الى ان الضمير الاول وضع موضع اسم الاشارة من حيث ان الاسم الاشارة يدل على ان المذكورين قبله احقاء لما يرد بعده من اجل الخصائل التي عدت لهم كما في قوله تعالى والذين يؤمنون بالغيب الى قوله اولئك على هدى من ربهم فكذا ههنا فان المعنى هم احقاء بان يوقنوا بالآخرة من اجل كونهم جامعين لمشاق التكليف من الايمان والاعمال الصالحة **قوله** زين اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع اسناد تزيينها اليه تعالى بهذا الوجه لا ينافي اسناده الى الشيطان في قوله زين لهم الشيطان اعمالهم فانه زينها لهم بان دعاهم الى ما تشتهيه طباعهم

وتميل اليه نفوسهم **قوله** ما يتبعها من ضر على تقدير ان يكون المزين اعمالهم القبيحة وقوله او نفع على تقدير ان يكون المزين اعمالهم الحسنة فهو من قبيل اللف والنشر المرتب والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رايت الناس عمهين اي ارادانهم مترددون في اعمالهم واشغالهم **قوله** كالقتل والاسر يوم بدر جعل سوء العذاب على عذاب الدنيا لعطف قوله وهم في الاخرة هم الاخسرون على قوله اولئك لهم سوء العذاب **قوله** لتؤتاه قال تعالى وما يلقيها الا الذين صبروا اي وما يؤتاها وقيل لتلقي كذا ماخوذ من قولهم تلقيته ولقيته اي اخذته **قوله** اي حكيم واي عليم اشارة الى ان التنكير فيهما للتعظيم **قوله** مع ان العلم داخل في الحكمة فان الحكمة اتقان الفعل باتيان فعله على وفق العلم فان من يعمل امرا ولا ياتي بما يناسب علمه لا يقال انه حكيم فلما وصف الله تعالى نفسه بانه حكيم علم منه كونه عليما فما وجه الجمع بينهما وتقرير الجواب ان العلم الذي يدخل في الحكمة هو العلم العملي وهو الذي يتعلق بكيفية العمل والعلم اعم منه لانه يتناول العلم النظري ايضا وهو الذي يقصد لذاته لا للعمل به فذكر الحكيم لا يغني عن ذكر العليم فلذلك وصف نفسه بالحكمة المشتملة على العلوم العملية ثم اتبعه بقوله عليم اي بالغ في كمال العلم كانه قيل يصيب في افعاله لا يفعل شيئا منها الا على وفق علمه عليم بكل شيء واحواله سواء كان ذلك العلم مؤديا الى العمل ام لا ثم اشار الى جواب اخر مبني على ان يكون الحكمة نفس العلم بالمعنى الاعم المتناول للعلوم النظرية والعملية فيكون تقرير السؤال ح الحكمة نفس العلم فلم ذكر العلم بعد ذكر الحكمة ويكون تقرير الجواب ح ان الحكمة التي هي نفس العلم هي الحكمة المنقسمة الى العملية والنظرية كالعلم المتعلق بالشرايع والاحكام والعلم المتعلق بالاعتقاديات والعلم اعم من الحكمة بهذا المعنى حيث يطلق على ما لا يسمى حكمة كعلم القصص والعلم بالمغيبات فان شيئا منهما غير مندرج تحت الحكمة بالمعنى المذكور فلو اقتصر على قوله حكيم لا فهم الا كونه تعالى عالما بما يتعلق بافعال المكلفين وعقايدهم وان علوم القران ليست الا ما هي حكمة فلما اتبع ذكره قوله عليم فهم منه ان علوم القران منها ما هي حكمة ومنها ما ليس كذلك **قوله** ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم يعني ان قوله تعالى وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم بعد قوله تلك ايات القران وكتاب مبين ذكر تمهيد لما يذكر بعده من العلوم التي ليست من قبيل الحكمة والا فمعلوم انه عليه الصلوة والسلام يلقى من قبله تعالى **قوله** والسين للدلالة على بعد المسافة جواب عما يقال التسويف لا يناسب المقام لان المفارقة عن الاهل في الليلة الشاتية مع انفرادها لا يقبل التسويف في الاتيان اليها اجاب عنه اولا بانه انما سوف الاتيان للتنبيه على بعد المسافة فلو لم ينبه على بعدها ربما خالجها عند تاخر اتيانه شبهة وثانيا بان السين فيه ليست للتسويف بل للتاكيد والوعد بالاتيان مع قطع النظر عن التسويف والفور **قوله** شعلة نار مقبوسة اشارة الى انه اختار قراءة من قراها باضافة شهاب الى قبس اضافة بيانية والى السهاء

وان الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة الماخوذة من قولك اقبست منه نارا او علما اي استفدته منه فعل بمعنى مفعول كالقبض والنقض كانه قيل شعلة نار مقبوسة **قوله** والعدتان على سبيل الظن اشارة الى جواب ما يقال انه عليه الصلوة والسلام قال ساتيكم منها بخبر وفي سورة طه لعلي اتيكم منها بقبس وهما كالمتنافيين لان احدهما ترج والاخر تيقن ومحصول الجواب انه لا تنافي بينهما لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه خلاف ذلك **قوله** والترديد يعني ان كلا واحد من الامرين مطلوب فالظاهر ان يقال ساتيكم منها بخبر وبشهاب قبس بالواو الجامعة والجواب انهما وان كانا مطلوبين الا ان المظنون حصول احدهما بناء على الظن او على ان سنة الله تعالى ان لا يجمع حرمانين على عبد **قوله** اي بورك يعني ان كلمة ان تحتمل ثلثة اوجه احدها انها المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول والثاني انها الناصبة للمضارع باسقاط الخافض اي نودي موسى بان بورك والثالث انها المخففة واسمها ضمير الشان وبورك خبرها ولما ورد ان يقال كيف جاز ان يكون مخففة وهي اذا دخلت على الفعل وكان ذلك الفعل من الافعال المتصرفة وجب ان تفصل المخففة من الفعل بحرف من حروف التعويض وهي السين نحو علم ان سيقوم وسوف نحو ان سوف يقوم وقد نحو ليعلم ان قد ابلغوا او حرف نفي نحو علمت ان لم يقم وان لن يقوم ولا يقوم وما قام وما يقوم فرقا بينها وبين ان المصدرية لا يكون بينها وبين الفعل شيء من الحروف المذكورة لكونها مع الفعل بتاويل المصدر معنى فلا يفصل بينها وبين ما يؤثر فيها لفظا وسمى النحاة هذه الحروف التي بعد ان المخففة حروف التعويض لكونها كالعوض من احدى نوني ان ولما وردت هذه الشبهة اجاب عنها بقوله والتخفيف وان اقتضى التعويض ومنع صاحب الكشاف كونها مخففة بناء على انتفاء حرف التعويض وهذا امر مبني على ان بورك خبر لا دعاء فانه اذا قلنا انه دعاء لم يحتج الى الفاعل ومن في النار قايم مقام الفاعل لبورك فان بارك يتعدى بنفسه والذي يبنى للمفعول يقال باركك الله ويقال ايضا بارك عليك وبارك لك فيقولنا بورك من في النار وعلى من في النار وفيمن في النار سواء قال فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها والذي بوركت له البقعة بورك من فيها وحواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله تعالى موسى عليه الصلوة والسلام وتخصيصه بالرسالة والاكرام واظهار المعجزات العظام له فيها ورب خير يحدث في بعض البقاع فينشر الله تعالى بركته في اقاصيها فكيف بمثل ذلك الامر الذي جرى في تلك البقعة **قوله** الموسومة بالبركات في قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين فان قوله تعالى للعالمين دليل ظاهر على ان الذين بورك فيهم عام والكفات ما يكفت فيه شيء اي يضم ويجمع وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان الشيطان خطفة ومنه قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا **قوله** من تمام ما نودي به يعني انه عليه الصلوة والسلام نودي بمجموع الامرين ناداه وخاطبه اولا بقوله بورك من في النار بشارة له بانه قد قضي له امر عظيم ثم ناداه

بتنزيه رب العزة عما لا يليق به في ذاته وحكمته لئلا يتوهم من سماع كلامه ان كلامه مركب من الحروف والاصوات
وانه محل الحوادث كسائر المتكلمين وانه يحيط به الزمان والمكان ونحو ذلك بذاته الا على قال اهل السنة
انه عليه الصلوة والسلام سمع الكلام المنزه عن مشابهة كلام المخلوقين فعلم بالضرورة انه كلام الله سبحانه صفته
القائمة فكما جاز ان يرى ذاته بلا كم ولا كيف فكذا جاز ان يسمع كلامه بلا حرف ولا صوت قوله والمتعجب عطف على
قوله لئلا يتوهم يعني انه تعجيب لموسى لما شاهده من تلك البقعة المباركة وايذان له بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين
فيكون قوله وسبحان الله رب العالمين كالتذييل والتاكيد لما تضمنه قوله بورك الخ او هو تعجب من موسى بتقدير القول وهو معطوف
على قوله من تمام ما نودي به قوله او للمتكلم عطف على قوله للشان اي ويحتمل ان يكون ضميره راجعا الى ما دل عليه ما قبله
والمعنى ان مكلمك انا ولفظ الجلالة بيان لانا قوله يهتز جملة حالية من مفعول رآها وقوله كانها جان يجوز ان يكون
حالا ثانية وان يكون حالا من فاعل تهتز فيكون حالا متداخلة وقوله ولم يعقب عطف على ولى والمعنى ولم يرجع
على عقبه وكل راجع معقب قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا. قيل ان العصا
انقلبت حية عظيمة لكنها في سرعة حركتها والتوائها كانها جان وهي الحية الصغيرة فان الحية الكبيرة لا تقدر عليها
فلذلك خاف موسى عليه الصلوة والسلام وظن ان في انقلاب العصا حية امرا اريد به هلاك نفسه ويدل على ان خوفه كان
لذلك قوله تعالى يا موسى اي قلنا له يا موسى لا تخف من غيري لا انه عليه الصلوة والسلام نهي عن الخوف مطلقا فان الخوف
اللازم للايمان والمعرفة لا يفارق المرسلين ولا ينهون عنه قال الله انما يخشى الله من عباده العلماء فمن كان معرفته
اكمل كان خوفه وخشيته اتم واوفر فلذلك قال عليه الصلوة والسلام انا اخشاكم لله وانما نهوا عن الخوف من غير الله تعالى
وهم في كنف عصمته آمنون فلذلك قيل لا تخف من بأس الحية ويحتمل ان يكون المعنى لا تخف مطلقا فان حال خطاب الله اياهم ووحيه
اليهم ينفي عنهم الخوف مطلقا لفرط الاستغراق لا الخوف من غيره تعالى فقط قوله او لا يكون لهم عندي الخ في حكم وفصل وهو
وقوله ومطلقا كل واحد منهما معطوف على قوله لانه غيري فالمعنى على الثالث لا تخف من سوء العاقبة اذ ليس
لاحد من المرسلين سوء عاقبة في حكمي فيخافون منه قوله استثناء منقطع وانما جعله كذلك لان المستثنى فيه وهو من ظلم
اي من زل من المرسلين غير مخرج من الحكم المذكور وهو عدم الخوف لانه كما لا يخاف الرسل المعصومون من الزلات لا يخاف
ايضا من فرط منه ما غفر له ثم ترحم عليه لان المغفور له والمرحوم عليه كيف يخاف الله تعالى من الذنب الذي غفر له فاذا
تعين الا يخاف احد من المرسلين من سوء العاقبة البتة فلما لم يكن المستثنى مخرجا من الحكم المذكور لم يكن
الاستثناء متصلا وكلمة الا بمعنى لكن التي للاستدراك لانه لما نفى الخوف عن المرسلين كلهم اختلج في الصدور وهم
وهو ان يقال كيف يصح نفي الخوف عمن ظلم اي زل من المرسلين فدفعه بان قال الا من ظلم يعني زل ثم بدل حسنا اي
توبة وندما بعد سوء اي بعد زلة كائنة ما كانت وهو فائدة التنكير فاني غفور رحيم وقيل انه متصل والمعنى لا يخاف
لدي المرسلون الا من ظلم منهم فانه يخاف فيتم الكلام عند قوله الا من ظلم ويكون قوله ثم بدل حسنا مستانفا
معطوفا على محذوف واعلم ان الناس اختلفوا في جواز الذنب على الانبياء عليهم الصلوة والسلام قالت الحشوية يجوز

يجوز صدور الكبائر عنهم عمدا وقالت المعتزلة لا يجوز صدور الكبائر عنهم ويجوز صدور الصغائر الا ما
ينفر كالكذب وسرقة لقمة وتطفيف حبة وقال الجبائي لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التاويل
وقالت الرافضة لا يقع منهم ذنب قط لا قبل البعثة ولا بعدها بل هم معصومون من ابتداء ولادتهم قال
الامام والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب حال النبوة لا الصغيرة ولا الكبيرة وفي اثناء كلامه اشعار بان ترك
الاولى منهم كالصغيرة منا لان حسنات الابرار سيئات المقربين فتاويل الآية على راي الامام الا من ظلم قبل النبوة ثم
بدل بعدها حسنا ويؤيده لفظة ثم فانها للتراخي قال الحسن كان والله موسى ممن ظلم بقتل القبطي ثم بدل حسنا
فانه عليه الصلوة والسلام قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فلذلك قال المصنف فيه تعريض بموسى بوكزه القبطي
قوله لانه كان مدرعة صوف لا كم لها علة لامره عليه الصلوة والسلام بادخال يده في جيبه وسترها به يعني
انه تعالى لما اراد ان يجعل يده بيضاء براقة كشعاع الشمس اراد ان يجعلها كذلك الا وهي مستورة محتجبة بشيء
وكانت يده الكريمة مكشوفة من حيث انه مدرعة لا كم لها امره بادخال يده في جيبه اي في مدرعته وقميصه
والمدرعة جبة صغيرة يتدرع بها اي تلبس بدل الدرع وهو القميص والجيب كما يطلق على ما جيب في القميص
اي قطع لخروج الراس منه يطلق ايضا على نفس القميص وفي الصحاح الجيب القميص تقول جبت القميص
اجوبه واجيبه اذا قورت واختار المصنف ان يكون المراد بالجيب المدرعة لا القميص لما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال وكانت زرمانقة من صوف كمها الى مرفقيه ولم يكن لها ازرار فادخل يده في جيبها فاخرجها
فاذا هي تبرق مثل البرق وقال المفسرون كانت عليه مدرعة من صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في
جيبه واخرجها فاذا هي تبرق مثل البرق وكان تعالى قادرا على ان يجعل يده بيضاء من غير ادخالها في جيبه
وايضا كان قادرا على ان يصير عصاه ثعبانا وهي في يده لكنه تعالى امتحنه بالامر بالادخال يده في جيبه والقاء
عصاه والله تعالى يمتحن عباده بما شاء من انواع المحن قوله تعالى تخرج مجزوم على انه جواب لقوله ادخل اي ان
ادخلها تخرج على هذه الصفة وقوله تعالى بيضاء حال من فاعل تخرج ومن غير سوء يجوز ان يكون حالا ثانية منه
او من الضمير في بيضاء او يكون صفة لبيضاء قوله في جملتها او معها على الاول يكون الآيات تسعا ويكون هاتان الآ
يتان داخلتين في جملتهن وعدادهن ويكون في تسع آيات خبر مبتدا محذوف اي هما داخلتان في جملة
تسع آيات وعلى الثاني يكون لفظة في بمعنى مع ويكون في تسع آيات حالا من الضمير في بيضاء فتكون الآيات احدى عشرة
وهما اثنتان والباقية تسعة فكانه تعالى لما اراه هاتين الآيتين اشار الى ان له تسع معجزات اخرى مثلهما
في الاعجاز وكلمة في قد تكون بمعنى مع ولذلك قالت الائمة اذا قال لزيد علي عشرة في تسعة واراد المعية يلزمه
تسعة عشر ومن جملة الآيات انه موسى عليه الصلوة والسلام دعا ربه بقوله ربنا اطمس على اموالهم فجعل الله تعالى
اموالهم حجارة والطموس الدروس والامحاء قوله ان يعد الاخيرين واحدا لان الجدب والنقصان كالشيء
الواحد غاية ما في الباب ان الجدب كان بالنسبة الى اهل البوادي ونقصان الزرع بالنسبة الى مزارعهم فقط

بهذا الاعتبار واحد وسقط الآخر باعتبار المراد بالآيات التسع هي الآيات التي بعث موسى بها الى فرعون وذويه لا غير
وفلق البحر ليس من الآيات التي كانت لدعوة فرعون الى الايمان بل انما كانت لاهلاكهم بشؤم اصرارهم وعنادهم
قوله واذهب في تسع آيات عطف على قوله في جملتها اي ويجوز ان يكون في تسع آيات متعلقا باذهب المقدر وجعل
ذهابه فيها عبارة عن كونه محفوظا بها متحصنا عن بأس الاعداء بسببها كما يتحصن من هو داخل الحصن المحيط به
عن شر من يعاديه قوله او ذات تبصر على ان يكون صيغة اسم الفاعل للنسب كتامر ولابن فيكون اثبات
البصر لها تخييلا للاستعارة المكنية بان يشبه الآيات بالشخص الهادي ويثبت لها الابصار على وجه التخييل قرينة
لها لان الاعمى لا يقدر على الاهتداء فضلا عن ان يهدي غيره قوله او مبصرة كل من نظر اليها يعني ان الابصار في الحقيقة
صفة من نظر وتأمل في الآيات وجعل نفس الآيات مبصرة على الاسناد المجازي لملابسة بينها وبين المتأملين فيها
فان المتأملين انما يبصرون بسبب تأملهم فيها فلما كانت سبب الابصار لهم اليها اسناد المجاز بان جعل صيغة
اسم الفاعل اولا بمعنى المفعول كقولهم ماء دافق اي مدفوق ثم جعلها للنسب ثم جعل ما فيها من الاسناد المجازي
وقرئ مبصرة بفتح الميم والصاد على وزن مسبعة ومأسدة في قولهم ارض مسبعة ومأسدة اذا كثر فيها السباع
والاسد وانتصابها على القراءتين على انها حال من آياتنا قوله وكذبوا بها لما كان المشهور ان الجحود انكار الشيء
بعد المعرفة والايقان بتحققه وكان حمله على هذا المعنى يستلزم كون قوله واستيقنتها انفسهم مستدركا فسره
بالتكذيب بها والمعنى كذبوا بالسنتهم كونها آيات الهية وقد استيقنت قلوبهم وضمائرهم بذلك وقوله ظلما
وعلوا يجوز ان يكون في موضع الحال اي ظالمين وعالين وان يكون مفعولا له اي الحامل لهم على ذلك الظلم و
العلو وقوله كيف كان خبر كان قدم عليها وعاقبة اسمها قوله طائفة من العلم على ان يكون التنكير للنوعية كما
في قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة وقوله او علما اي علم على ان يكون التنوين للتعظيم قوله عطفه بالواو
مع ان الظاهر الحال يقتضي عطفه بالفاء السببية لتؤذن بانهما انما حمد الله تعالى شكرا على نعمة ايتاء العلم
الذي من جلائل النعم لكن عطف بالواو التي تستدعي معطوفا عليه مسببا عن تلك النعمة لتشعر بانهما قالاه بعض
بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة كانه قيل ففعلا شكرا له ما فعلا من الشكر بالجوارح والجنان وقالا
بلسانهما الحمد لله فلو عطف بالفاء لاقتصر على الشكر اللساني وفات الاشعار المذكور قوله وكانوا تسعة
عشر اي كان لداود تسعة عشر ابنا واعطي من بينهم سليمان ما اعطي داود عليهما الصلوة والسلام من الملك
وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين وقال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان
داود اشد تعبدا من سليمان قوله تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها يعني انه عليه الصلوة والسلام لم يقل
ذلك على سبيل الافتخار والاستكبار بل على سبيل الاعتراف بفضل الله تعالى واحسانه اليه وعلى طريق التحدث
فذكر ذلك التفضل واعلاء ذكره يقال نوهت باسمه اذا رفعت ذكره واعليت شأنه قوله بذكر المعجزة
متعلق بالدعاء لا بالتصديق والا القبيل بالمعجزة قوله والنطق والمنطق في المتعارف النطق في الاصل مصدر

مصدر نطق الرجل ينطق اذا تكلم فاشار المص الى انه يستعمل في عرف الناس بمعنى الكلام المنطوق الدال
على ما في الضمير ثم قال وقد يستعمل بمعنى الصوت مطلقا سواء صدر عمن له فؤاد وكلام نفسي اولا اما على تشبيه صوت
من لا فؤاد له بصوت العقلاء في كونه صوتا تابعا للتخييل او لمجرد التبعية والاطراد بمعنى ان اسم النطق والمنطق
لما اطلق على بعض الاصوات اطلق على البواقي ايضا على سبيل الاطراد ثم اشار الى وجه الشبه بقوله فان الاصوات
الحيوانية الخ ثم انه لما بين وجه اطلاق المنطق على صوت الطير قال لعل المراد بتعلم سليمان منطق الطير
علمه بالتخييل الذي حمل الطير على ذلك الصوت وبالغرض الذي توجه بصوته لانه يعلم ان يصوت بذلك الصوت من غير
ان يفهم التخييل الذي نشأ منه ذلك الصوت والعفاء الدروس وذهاب الاثر وقيل العفاء التراب قال تعالى
في صفة الهدهد فمكث غير بعيد فقال احطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين والحجة فيه انه عليه
الصلوة والسلام علم كلام من لا صوت له كالنمل قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم الى قوله
فتبسم ضاحكا من قولها وروي انه صاح ورشان فقال عليه الصلوة والسلام انه يقول لدوا للموت وابنوا
للخراب والطاوس يقول كما تدين تدان والهدهد يقول كل حي ميت وكل جديد بال والخطاف
يقول قدموا خيرا تجدوه والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمواته وارضه والقطاة تقول من سكت سلم
والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والدراج الرحمن على العرش استوى والقنبر يقول اللهم العن مبغض
محمد وآل محمد والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد عن الناس انس
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والحمار يقول اللهم العن العشار
والفرس يقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح والزرزر يقول اللهم اني
اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق فكل صنف من الطير يفهم بعضهم الغرض الذي يتوجه الآخر والذي
علمه سليمان من منطق الطير هو ما يفهم بعضها من بعض من مقاصده واغراضه ولذلك قال يا ايها الناس
تنقص الله تعالى علي بزيادة على ما ورثته من ابي من النبوة والملك والعلم بان علمني منطق الطير اي فهمني ما
يقوله الطير قوله والضمير في علمنا يعني ان علمنا واوتينا من كلام المتكبرين فكيف يليق بسليمان ذلك
اجاب عنه اولا بانه ليس ضمير المعظم نفسه وثانيا بانه ضمير المعظم نفسه الا انه لم يتكلم تكبرا بل قاله
على عادة الملوك فانهم يتكلمون مثل ذلك رعاية لقاعدة السياسة ومقتضى الملك صيانة لوقعهم
وقدرهم في قلوب الرعايا قوله تعالى واوتينا من كل شيء اراد به كثرة ما اوتي به كما يقال فلان يقصده كل
احد ويراد كثرة قاصديه اقامة الكثير مقام الكل ونحوه قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقوله عليه الصلوة
والسلام ان هذا الذي اوتينا لهو الفضل المبين وارد على سبيل الشكر لا الافتخار كما قال عليه الصلوة
والسلام انا سيد ولد آدم ولا فخر اي قوله شكرا لا فخرا قوله تعالى من الجن وما بعده بيان لجنوده فيتعلق
بمحذوف ايضا وكون طوائف الجن والانس والطير جنود السليمان عليه الصلوة والسلام يقتضي ان يكون

كل واحد من هذه الاصناف متصرفا على مراده ممتثلا لامره ولا يكون كذلك الا بالعقل الذي يصح معه التكليف
بان لا يكون احد من تلك الاصناف اقل عقلا من المراهق الذي قد قارب حد التكليف فلزم منه انه تعالى جعل الطير
في ايامه من ذوات العقل والفهم وان لم يكن كذلك في ايامنا وكذا قوله تعالى قالت نملة يدل على انها تكلمت بذلك
وليس بمستبعد لان الله تعالى قادر على ان يخلق فيها العقل والنطق قال المفسرون كان لسليمان اذا اراد سفرا امر
فجمع له طوايف من هؤلاء الجنود على بساط واحد نسجته الجن له من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ ثم يأمر الريح فتحملهم
بين السماء والارض فجمع له جنوده في مسيرة من الاماكن المختلفة ومعنى الوزع في اللغة يقال وزعه يزعه
اذا كفه ومنه قولهم ما يزع القرآن مما يزع السلطان وقال عثمان رض ما يزع السلطان اكثر مما يزع القرآن
وقالوا لا بد للناس من وزعة اي ممن يكفهم من الشر والغيث قال الشاعر • ومنهم لم يزعه لبه وحياؤه •
فليس له من شيبه خود به وازع • قوله تعالى اذا اتوا متعلق بقوله يوزعون لانه يتضمن معنى فهم يسيرون ممنوعا
بعضهم من مفارقة بعض في مسيرهم ليجتمعوا فانه احسن في الهيئة واهيب في الرؤية حتى اذا اتوا ويجوز ان يتعلق
بمحذوف اي فساروا حتى **قوله** وتعدية الفعل اليه بعلى مع انه قد يتعدى بنفسه وبكلمة الى يقال اتيته واتيت
اليه اما لانهم اتوا اليه مستعلين فوقه لانهم كانوا محمولين على الريح وقيل هو من قولهم اتيت عليه اذا قطعته
وبلغت آخره والمعنى حتى اذا قطعوا الوادي كله وبلغوا آخره **قوله** كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي
لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف النملة حطمهم **قوله** كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي [illegible]
لما لم يكن النملة من العقلاء الناصحين الذين يعبرون عما في ضمائرهم بتراكيب ملفوظة يدل عليه دلالة و
ضعا لم يمكن حمل الآية على الحقيقة ظاهرا فلذلك حمله المص على الاستعارة التمثيلية بان شبهت الحالة
الواقعة بينها وبين قومها بما يقع بين العقلاء الناصحين فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبه
بها فقيل قالت نملة الى آخر الآية والظاهر ان الكلام محمول على حقيقته بناء على انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها العقل
والنطق الا ترى انه تعالى سخر الريح والشياطين والطير لسليمان عليه الصلوة والسلام وجعل جميع ذلك جنودا له واعوانا
منقادين له لا يخالفونه في شيء مما امرهم به وذلك لا يكون الا بجعلهم عقلاء مميزين ومع ذلك كيف يستبعد ان يخلق
الله تعالى العقل والنطق في النملة وقد روي ان سليمان لما سمع قول النملة قال ائتوني بها فاتوا بها فقال لها لم حذرت
النمل ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة اما سمعت قولي وهم لا
يشعرون ومع ذلك اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشيت ان يروا ما انعم الله تعالى به عليك من
الجاه والملك العظيم فيقعوا في كفران النعم فلا اقل من ان يشتغلوا بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها سليمان عظيني
فقالت النملة هل سمي ابوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت
لانك سليم القلب والصدر ثم قالت اتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت اخبرك الله تعالى بذلك ان الدنيا كلها
ريح فمن اعتمد عليها فكانما اعتمد على الريح وقول النملة وهم لا يشعرون يدل على انها عرفت ان النبي معصوم
فلا يقع منه

معصوم فلا يقع منه قتل وايذاء بغير ذنب الا على سبيل السهو وهذا تنبيه على وجوب الجزم بعصمة الانبياء **ولفظة**
النملة في قوله تعالى قالت نملة مؤنث حقيقي بدليل لحوق علامة التأنيث فعلها لان نملة تطلق على الذكر والانثى
فاذا اريد تمييز ذلك احتيج الى مميز خارجي نحو نملة ذكر ونملة انثى وكذا حمامة ويمامة من المؤنثات اللفظية **ذكر الامام**
ان قتادة دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رح حاضرا وهو غلام حدث
السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين
عرفت فقال من كتاب الله تعالى وهو قوله قالت نملة ولو كانت ذكرا لقيل قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة
والشاة في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى انتهى يعني ان التأنيث
لفظي ومعنوي واللفظي لا يعتبر في لحوق علامة التأنيث بالفعل البتة بدليل انه لا يجوز قامت طلحة ولا حمزة
علمي مذكر فتعين ان يكون اللحوق انما هو للتأنيث المعنوي **قوله** نهى لهم ان سليمان وجنوده والحطم الكسر
يعني ان النهي في لا يحطمنكم متوجه الى سليمان وجنوده ظاهرا الا انه في المعنى كناية عن نهي النمل من الوقوف
في مكانهم فيحطمهم سليمان وجنوده كما ان النهي في لا ارينك ههنا متوجه بحسب اللفظ الى المتكلم لكنه كناية
عن نهي المخاطب من الوقوف في مكانه فيراه المتكلم فان وقوف المخاطب فيه ملزوم لرؤية المتكلم اياه فجعل النهي
عن اللازم كناية عن النهي عن الملزوم والفاء في قوله فهو استيناف او بدل من الامر لتفريع جواز كل واحد من
الامرين على كون النهي المذكور كناية عن نهي النمل عن التوقف لانه لو كان النهي على ظاهره لما جاز كون لا يحطمنكم
بدلا عن قوله ادخلوا لان نهي جماعة لا يصلح ان يكون بدلا عن الامر لجماعة اخرى بخلاف ما لو جعل كناية فان المأمور
والمنهي حينئذ يكون جماعة النمل فيصح البدلية ومعنى كلامه انه لما كان نهي الجنود عن الحطم كناية عن نهي النمل عن
التوقف جاز ان يكون لا يحطمنكم نهيا مستأنفا لا تعلق له بما قبله من حيث الاعراب وان يكون بدلا من جملة
الامر قبله وهي ادخلوا ولا مدخل لكون النهي كناية في جواز كونه نهيا مستأنفا وانما المتفرع عليه جواز كل
واحد من الامرين **قوله** وقيل استيناف عطف على ما فهم من تقرير كلامه من ان قوله وهم لا يشعرون حال من فاعل
لا يحطمنكم قوله تعالى فتبسم ضاحكا ليس معناه انه عليه الصلوة والسلام ضحك متبسما لان التبسم والضحك لا يجتمعان
بل المراد انه تعالى بالغ في تبسمه حتى بلغ نهايته التي هي اول مراتب الضحك فكانه قيل فتبسم شارعا في الضحك واخذا فيه
قوله ولذلك اي ولاختصاصه بهذه النعمة الجليلة التي هي سماعه ما همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر
والحاطة بمعناه فان احدا من الناس لم يسمع صوت النملة فضلا عن ان يفهم غرضها منه **قوله** اجعلني ازع
شكر نعمتك اشارة الى ان همزة اوزع للتعدية وانه من الوزع بمعنى الكف والمنع من التفرق والانتشار يقال وزعته
وزعا كففته والوزع الذي يكف الجيش عن التفرق والانتشار ويكف الرعية عن التظالم والفساد
قدم آنفا ان قوله تعالى فهم يوزعون بمعنى يحبسون ويمنعون عن الانتشار حتى يجتمعوا في مسيرهم فانه احسن
في الهيئة واهيب في الرؤية سأل عليه الصلوة والسلام ان يجعله الله تعالى وازعا حابس شكره فيكون قوله

اوزعني ان الشكر استعارة مكنية حيث شبه الشكر بالجماعة النافرة وجعل تعليق الوزع والربط به تخييلا وقرينة
للتشبيه المضمر في النفس وذكر الحوب النعمة وحشية قيدها بالشكر فانها اذا شكرت قرت واذا كفرت فرت قوله
ادرج ذكر والديه اما ادرج ذكر النعمة الواصلة اليهما في ذكر النعمة المستدعية لشكر نفسه قوله فان النعمة عليهما
نعمة عليه ضرورة ان انتساب الابن الى الاب شريف نعمة من الله تعالى على الابن فيشكر لتلك النعمة الواصلة منه تعالى الى الابن
قوله والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية فان الابن اذا كان تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء
المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله تعالى عنك وعن والديك فاشتغل بشكر نعم الله تعالى علي وعلى والديه ايضا اشعارا
بان نعمتهما من اثار ما انعم به عليه قوله في عدادهم الجنة لفظ الجنة بدل من العداد المقدر يعني ان المراد من اد
خاله في العباد ادخاله في عدادهم والمقصود منه ادخاله فيما اعد لهم وهو الجنة لانه قد سال ان يوفقه الله تعالى
لاعمال الصالحة ودخوله في زمرة الصالحين بقوله وان اعمل صالحا ترضاه فلو حمل قوله وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين على طلب التوفيق للاعمال الصالحة لكان تكرارا فالاية دليل على ان دخول الجنة انما يكون برحمة الله تعالى
وفضله لا باستحقاق العبد وصلاحه والصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله ولا يهم بمعصية وهو درجة عالية
يطلبها كل نبي وولي قوله وتفقد الطير اي طلبه وبحث عنه والتفقد طلب ما فقد وغاب عنك قوله
ام منقطعة لان قوله ما لي لا ارى الهدهد تعجب من عدم رؤية الهدهد وهو يستدعي كون حضور الهدهد مجزوما به
عنده فلا وجه لكون الاستفهام لطلب التعيين بل يجب ان يكون للاضراب عن ظن كونه حاضرا عنده قوله او جعله
مع ضده في قفص عد ذلك من العذاب الشديد لما قيل اضيق السجون معاشرة الاضداد وقرا ابن كثير ليأتينني بنونين
اولاهما نون التاكيد المشددة المفتوحة وثانيهما نون الوقاية المكسورة والباقون بنون واحدة مشددة
مكسورة والاصل قراءة ابن كثير لكن حذفت النون التي قبل ياء المتكلم كراهة اجتماع النونات قوله والحلف في الحقيقة
على احد الاولين جواب عما يقال انه عليه الصلوة والسلام حلف على ثلثة اشياء اثنان منها فعله فيصح الحلف
عليهما بان يقول والله لاعذبنه او لاذبحنه والثالث فعل الهدهد وهو اتيانه بحجة تبين عذره في غيبته
فكيف يصح حلفه على فعل غيره ومن ابن درى انه ياتي بسلطان مبين حتى يقول والله ليأتينني وتقرير الجواب
لا اشكال انما يرد ان لو حلف على وقوع الثالث بخصوصه وليس كذلك بل حلف ليكونن احد الامور الثلثة ومحصوله
انه ان وقع الثالث لا يكون ذبح ولا تعذيب وان لم يقع يكون احد الاولين لا محالة ولا محذور في الحلف على هذا
الوجه قوله زمانا غير مديد يعني ان قوله غير بعيد صفة زمان محذوف ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اي
مكثا غير مديد فاتاه الهدهد بحجة تبين عذره في غيبته فقال احطت بما لم تحط به اي اطلعت على ما لم تطلع عليه
وعلمته من جميع جهاته بحيث لا يخفى علي منه شيء فان الاحاطة بالشيء علما ان يعلم من جميع جهاته بحيث لا يخفى
منه معلوم اصلا قوله باطباق وبغير اطباق الاطباق ان ترفع ظهر لسانك الى ما يحاذيه من الحنك الاعلى عند
تلفظ حرف من الحروف المطبقة واختلفوا في ان الحروف المطبقة اذا ادغمت في غير المطبقة هل يبقى ما فيها من
الاطباق

من الاطباق ام لا والظلان الاطباق يقتضي بقاء المطبقة بحالها وعند الادغام يلزم غير المطبقة فيجب ابدالها الى
المدغم فيه فلا يبقى الاطباق مع ابدالها **قوله** غير مصروف اي قرئ من سبأ بفتح الهمزة للعلمية والتأنيث وقرأ البا
قون بالجر والتنوين وجعلوا اسما للحي او المكان وسبأ في الاصل اسم رجل من قحطان واسمه عبد شمس بن يشجب بن
يعرب بن قحطان وسبأ لقب له لانه اول من سبى ثم اطلق على القبيلة وعلى البلدة ايضا والنبأ الخبر الذي له شان
قوله وكان الهدهد رائده اي طالبه يطلب له الماء يقال راد الكلأ يروده رودا وريادا اي طلبه فهو رائد و
كان الهدهد فتفقده سليمان وهو الدليل الهادي البصير بالماء تحت الارض وكيفية حفر القناة وكذلك القناقن
بالضم الجمع قناقن بالفتح وكان الهدهد يرى الماء تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة ويعرف الفصل بين
قربه وبعده فيدلهم على موضع الماء فيأتون بنقره بمنقاره ثم الشياطين يسلخون عنه الارض كما يسلخ الاهاب عن
المذبوح ذكر ان ابن عباس لما قال ان سليمان طلبه لانه كان يعلم مسافة الماء ويبصر تحت الارض قيل له ان
الصبي يضع له الفخ فيغطيه بالتراب فكيف لا يبصره حتى يقع فيه فقال ويحك اما علمت ان القدر يحول دون البصر
وانه اذا جاء القضاء عمي البصر **قوله** خوافي الطرم اي اتاه **قوله** اذ حقق عليه لقوله لم يجده وتحقيق الطائر انه غائب
في طيرانه **قوله** فتواصفا اي وصف كل واحد من الهدهدين ملك صاحبه وصف هدهد سليمان للآخر ملك سليمان
وما سخر له من كل شيء ووصف هدهد بلقيس ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف مقاتل
قوله والضمير لسبأ يعني ضمير تملكهم لسبأ ان اريد به القبيلة او لاهلها ان اريد به البلدة باضمار اهلها او بطريق الاستخدام حيث
اريد بالاسم الظاهر احد معنييه وبضميره معناه الآخر **قوله** واوتيت من كل شيء يحتاج اليه الملوك حمل كل شيء
في حق بلقيس على اسباب الدنيا ولوازم الملك لئلا يلزم التسوية بينها وبين سليمان فان المراد بقوله عليه
الصلوة والسلام واوتينا من كل شيء ما اوتي من النبوة والعلم والحكمة ومن الملك واسباب الدنيا **قوله** عظيم بالنسبة
اليها او الى عروش امثالها جواب عما يقال كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا
كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظم والسمك البعد الآخذ من اسفل الى الاعلى وعكسه
العمق وكان ابو بلقيس ملكا عظيم الشان وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج منهم
فتزوجه امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها فلما مات ابوها طمعت
في الملك فطلبت من قومها ان يبايعوها فاطاعوها فملكوها وفي الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا وكانت
هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس **قوله** فصدهم لان لا يسجدوا قرأ الجمهور الا بالتشديد على ان اصلها ان لا
فان ناصبة للفعل بعدها فلذلك سقطت نون الرفع من الفعل ولا بعدها حرف نفي وان مع ما بعدها في موضع المفعول
له لقوله فصدهم اي فصدهم عن سبيل الحق لاجل ان لا يسجدوا فحذفت لام الاجل وادغمت النون في اللام
فصار الا يسجدوا والوجه الثاني ان يكون ان مع ما بعدها بدلا من اعمالهم وما بينهما اعتراض تقديره و
زين لهم الشيطان عدم السجود لله عز وجل والوجه الثالث ان يكون ان وما بعدها في موضع مفعول تهتدون

على اسقاط الخافض اى الا ان لا يسجدوا ويكون لا مزيدة كزيادتها في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا
يهتدون الى ان يسجدوا لله وان قرئ الا مخففا يكون الا حرف تنبيه يستفتح بها الكلام وما بعدها حرف نداء هؤلاء اسجدوا
فعل امر فحق الخط على هذه القراءة ان يكون على صورة يا اسجدوا الا ان الصحابة اسقطوا الف يا وهمزة وصل من اسجدوا
خطا لما سقط النطق ووصلوا الياء بسين اسجدوا فصارت على صورة يسجدوا كما ترى فاتحد صورة القراءتين
لفظا وخطا واختلفا تقديرا ومثل تحذف المنادى مع بقاء حرف النداء بقوله • فقالت الا يا اسمع اعظك بخطة
• فقلت سميعا فانطقي واصيبي • اى الا يا صاحبي اسمع والخطة الخصلة المهمة قوله فقلت سميعا اى نادت سميعا
قوله وعلى هذا اى على قراءة التخفيف كما يجوز ان ينتهى كلام الهدهد عند قوله رب العرش العظيم يجوز ان ينتهى عند
قوله لا يهتدون ويوقف عليه ويكون قوله الا يسجدوا استئناف خطاب من الله تعالى للمشركين او من قبل سليمان
لقومه بعد تمام كلام الهدهد وعلى قراءة التشديد لا يوقف الا على العرش العظيم قوله وعلى الوجهين يقتضى
وجوب السجود في الجملة يعنى انها لا تجب على الفور بل في قراءتها متوسع في ان وقت اذيت يكون اداء لا قضاء وهو
رد على من فرق بين القراءتين فاوجبها على قراءة التخفيف نظرا الى وجود لفظ الامر فيها ولم يوجبها على
قراءة التشديد لعدم وجود لفظ الامر فيها ولم يرض المص بهذا الفرق لان السجدة كما تجب بالامر بها تجب
ايضا بذم من تركها وبمدح من اتى بها ففى قراءة التشديد وان لم يصرح بالامر بها الا انها تدل على ذم من تركها فتدل
على الوجوب ايضا وفى كلام الشارح بينهما بحث آخر وهو ان الامر المحتج في قراءة التخفيف اما ان يكون
من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد محكيا عنه فان كان من كلام الله فدلالته على الوجوب ظاهر وان كان
من كلام الهدهد وهو الظاهر ففى دلالته على الوجوب نظر الا ان يقال انه تعالى لما حكى كلامه على طريق الارتضاء
والقبول كان كانه قرر مضمونه واوجبها ابتداء من قبل نفسه فكان قراءة التخفيف دليلا على الوجوب
سواء كان فيها لفظ الامر من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد قوله وقرئ هلا بقلب الهمزة هاء مع تشديد لا
وتخفيفها وقرئ الا تسجدون وهلا تسجدون بالتخفيف فيهما وتاء الخطاب واثبات نون الرفع فمع
اثبات نون الرفع جعل الاحرف للتحضيض او للعرض كما في الا تنزل عندنا قوله والخبء ما خفى في غيره والخبء
في الاصل مصدر خبأت الشيء اخبأه خبأ اى سترته واخفيته ثم اطلق على الشيء المخبوء ونحوه هذا
خلق الله اى مخلوقه والمخبوء في السموات كالكواكب والامطار اخرجها الله تعالى باشراق الكواكب
وانزال الامطار والمخبوء في الارض كالنبات اخرجه الله تعالى بانباته والانشاء ايجاد الشيء المسبوق
بالمادة والابداع ايجاد ما ليس بمسبوق بها والمقصود من وصفه تعالى بالتفرد بكمال القدرة حيث قيل يخرج
الخبء وبالتفرد بكمال العلم حيث قيل ويعلم ما يخفون وما يعلنون الحث على سجوده تعالى والرد على من
يسجد لغيره كالشمس في تقرير كونه ردا عليه ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبء وعالما بالخفيات
والشمس مثلا ليست كذلك فهى لا تكون الها واذا لم تكن الها لم يجز السجود لها اما ان الاله يجب ان يكون قادرا
وعالما

وعالما على الوجه المذكور فلانه يجب ان يكون واجبا لذاته فلا تختص قادريته وعالميته ببعض المقدورات
والمعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فلانها جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا
في الصفات قوله فبين العظيمين احدهما عرش بلقيس والآخر عرش الله العظيم يعنى ان قوله الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم سواء كان من كلام الله تعالى او من كلام الهدهد يكون المقصود منه الاشارة الى البون البعيد بين
العظيمين فان كان من كلام الهدهد يكون المقصود استدراكا منه لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان كان من
كلام الله تعالى يكون المقصود الرد عليه في وصفه عرشها بالعظم قوله والتغيير للمبالغة فان ام كنت من الكاذبين
ابلغ من ام كذبت لان معناه من الذين اشتهروا بالكذب وانخرطوا في سلك الكاذبين قوله ماذا يرجع
بعضهم اى ماذا يرد من الجواب من الرجع وهو الرد ان جعلنا انظر بمعنى تأمل وتفكر كانت ما في ماذا يرجعون
استفهامية وفيها وجهان احدهما ان يجعل مع ذا بمنزلة اسم واحد منصوب بيرجعون على انه مفعول تقديره اى
شيء يرجعون وثانيهما ان يجعل ما مبتدأ وذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف تقديره اى شيء الذى
يرجعونه وهذا الموصول مع صلته خبر ما الاستفهامية وعلى التقديرين فالجملة الاستفهامية متعلقة لانظر محلها النصب
على اسقاط الخافض اى انظر في كذا وفكر فيه وان جعلناها بمعنى انتظر كما في قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم
كانت ماذا بمعنى الذى ويرجعون صلتها وعائدها محذوف وهذا الموصول مع ما في خبره مفعول به لانظر اى
انتظر الذى يرجعونه قوله كريم مضمونه اى ما في ضمنه من اللفظ والمعنى قوله او مرسله وعرفت كرم مرسله
بناء على انها لما رأت الخاتم او تعدت قرائنه وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذى
ارسل الكتاب اعظم ملكا منها لطاعة الطير اياه وهيبة الخاتم قوله او لانه كان مختوما فان مجرد ختم الكتاب
يكفى لصحة توصيفه بالكرم لما روى عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كرم الكتاب ختمه و
كان عليه الصلوة والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاتخذ لنفسه خاتما نقشه
محمد رسول الله وقال مقاتل اتاها الهدهد وهى جالسة في قصرها فرفرف على رأسها ساعة والناس ينظرون
فرفعت رأسها ناظرة اليه فالقاه في حجرها فقرأته وكانت عربية من قوم تبع قوله استيناف يعنى انه من كلام
بلقيس اجابت به لمن قال ممن هو وما هو اى ما صفته وليس مما كتبه سليمان في كتابه حتى يقال كيف
قدم سليمان اسمه على قوله بسم الله الرحمن الرحيم فان بلقيس اذا ذكرت ان هذا الكتاب من سليمان
ثم حكت ما في الكتاب بانه كيت وكيت لم يرد ذلك ثم ان العامة قرأوا انه وانه بكسر الهمزة فيهما على الا
ستيناف جوابا للسؤال قدرها كانهم قالوا ممن الكتاب وما فيه فاجابهم بالجوابين وقرئ بالفتح الهمزة فيهما
اما على انه بدل من كتاب بدل اشتمال او بدل الكل من الكل كانه قيل القى الى انه من سليمان وانه كذا او كذا واما على
اسقاط لام العلة والتقدير لانه من سليمان ولانه كذا وكذا كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا
ببسم الله الرحمن الرحيم قوله اى مفسرة بناء على ان بسم الله متعلقة بالقول كانه قيل القول بسم الله ثم المقول

بقوله ان لا تعلوا علي ولا تتكبروا وان كانت مصدرية يكون مع صلتها في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف
او على انه بدل من كتاب كانه قيل التي القي ان لا تعلوا **قوله** مع كمال الدلالة على المقصود وهو الدعوة الى الاستكمال
بالقوة النظرية والعملية والتحلي بالفضائل العلمية والعملية مقدم على العمل فابتدا بقوله بسم الله الرحمن الرحيم
لاشتماله على اثبات الصانع تعالى وصفاته صريحا والتزاما اما صريحا فظاهر واما التزاما فلان ما ذكر صريحا يستلزم
كونه تعالى حيا مريدا عالما قادرا ولما ورد ان يقال النهي عن الاستعلاء والامر بالانقياد قبل اقامة ما يدل على
رسالته حقا يدل على الاكتفاء بالتقليد والدعوة اليه اجاب عنه بانه اين التقليد والحال ان رسول سليمان الى
بلقيس كان الهدهد ورسالة الهدهد معجزة والمعجزة يدل على وجود الصانع وعلى صفاته ويدل على صدق
مدعي الرسالة فلما كانت رسالة الهدهد دليلا تاما على التوحيد والنبوة لم يحتج الى ذكر دليل آخر روي
ان نسخة الكتاب كانت هكذا بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبا
السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون
ولا يكثرون ويجوز ان يكون الكتاب اطول من هذا القدر لكن الله تعالى ذكر ما هو المقصود منه وهو دعاؤها
الى التوحيد **قوله** في امري الفتي اي الحادثة من قريب والمعنى اشيروا علي بما عندكم من الراي والتدبير في حادثة
من الامر يقال فتي بكسر التاء يفتى فتى فهو فتي السن بين الفتاء يقال قد ولد له في فتاء سنه اولاده والفتى
الشاب والفتاة الشابة والفتوى هو الجواب في الحادثة ولفظ الحادثة اشارة الى اعتبار معنى الفتاء
في السن في مفهوم الفتوى حيث عبر عما اشير به عما حدث من الامر بلفظ مشتق من الفتاء في السن وهو لفظ
الفتوى لجامع الحداثة **قوله** ليمالئوها اي ليساعدوها يقال مالأته على الامر ممالأة اي ساعدته عليه
وشايعته وتمالئوا على الامر اي اجتمعوا عليه وتعاونوا فاجابها قومها بان ذكروا لها قوتهم وشجاعتهم تعريضا
منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك في القتال وتركه ولما احست منهم الميل الى المحاربة
رأت من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن فذيفت اولا ما ذكروه وارتهم الخطاء فيه وقالت
ان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا اخربوها وقوله تعالى وكذلك يفعلون من تمام قولها ارادت وهذه عادتهم
المستمرة التي لا تتغير لانها كانت ربيت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورأت ويجوز ان ينتهي كلامها
عند قولها اذلة ثم يصدقها الله تعالى فيما قالت فقال وكذلك يفعلون اي وكما قالت يفعل الملوك ثم قالت الراي
المستقيم ان نبتدئ بارسال رسل ملتبسين بهدية فننظر بم يرجع المرسلون وقولها بم متعلق بيرجع لا بقولها
ناظرة لان اسم الاستفهام صدر الكلام واعلم ان بلقيس كانت امراة لبيبة حيث اختارت ان ترسل اليهم
الى سليمان وقومه هدية وان تختبر بها امَلِكٌ هو ام نبي وقالت ان يكن ملكا قبل الهدية ورضي بها وان يكن
نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض بها منا الا ان نتبعه على دينه فذلك قولها فناظرة بم يرجع المرسلون فان هذا
الكلام يدل على انها لم تثق بالقبول وجوزت الرد واردات ان ينكشف لها غرض سليمان **قوله** وقرأ حمزة

٢٢

حمزة ويعقوب بالادغام اي بادغام نون الرفع في نون الوقاية واما الياء فان حمزة يحذفها وقفا ويثبتها وصلا
على قاعدته والباقون بنونين على الاصل جمعوا بين المثلين ولم يدغموا لان الثانية ليست بلازمة فانها تراد
مع ضمير المتكلم واما الياء فان نافعا وابا عمرو وحمزة يثبتانها وصلا ويحذفانها وقفا وابن كثير يثبتها في الحالين و
الباقون يحذفونها في الحالين وروي عن نافع انه يقرأ بنون واحدة خفيفة وياء على حذف النون الثانية التي تجيء
مع ضمير المتكلم وحذف الاولى لحن لانها علامة ومعنى قوله اتمدونني بمال اتريدون ان تمدوني بمال وهذا الاستفهام انكار
لا طلب زيادة في المال فكانه قيل لا اقبل هديتكم بل اردها عليكم ثم علل هذا الانكار بقوله فما آتاني الله خير مما آتاكم
ثم اضرب من انكار الامداد وتعليله الى ذمهم بالاغترار بالامور العاجلة وغفلتهم عن الفضائل الروحانية
والامور الاخروية فقال بل انتم بهديتكم تفرحون اي بالاهداء اليكم تفرحون كانه قال انا لا ارضى بالهدية والمعنى
بل انتم تفرحون بذلك لان نظركم مقصور على الزخارف الدنيوية والعلم والامور الاخروية قال تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون هذا على ان يكون الهدية في قوله بهديتكم مضافا الى المهدى اليه فان الهدية
اسم لما يهدى اي يبعث ما يختص بنكرما كان العطية اسم لما يعطى فيضاف تارة الى المهدي وتارة الى المهدى اليه يقال
هدية فلان فيراد هدا ابا فلان او ما اهديت اليه والمراد ههنا الاضافة الى المهدى اليه والمعنى بل انتم بالاهداء اليكم تفرحون
ويجوز ان يجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك
بانكم قدرتم على اهداء مثلها فيكون وجه الاضراب انه لما قال اتمدونني بمال وكان ذلك متضمنا معنى انظنونني افرح بهديتكم
وآل المعنى الى اني لا افرح بهديتكم اضرب عنه بقوله بل انتم بهديتكم تفرحون **قوله** فلناتينهم جواب قسم محذوف وكذلك
قوله ولنخرجنهم اي والله لناتينهم فان قيل كيف حلف سليمان على ذلك ولم يحفظ بينه فالجواب انه معلق على شرط حذف
لدلالة المقام عليه اي ان لم ياتوني مسلمين وحقيقة قولهم لا قبل لا مقابلة ولا طاقة لهم بها قال ابن عباس لما
رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان واخبروها الخبر قالت قد عرفت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى
سليمان اني قادمة عليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم ارتحلت الى سليمان في اثني عشر الف قيل
تحت كل قيل الف فلما قربت منه على مقدار فرسخ بينها وبين سليمان رآها سليمان وهي قريبا او قد تزار فقال يا هذا
قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان فاقبل سليمان على جنوده فقال يا ايها الملأ ايكم ياتيني بعرشها قبل ان
ياتوني مسلمين طائعين وقد روي انها حين خرجت الى طاعة سليمان امرت ان يجعل عرشها في آخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه **قوله** لانه يقال للرجل الخبيث
تعليل لكون من للتبيين فان ما قبلها يجب ان يكون اتم من مدخولها وههنا كذلك فان العفر والعفريت والعفرية و
العفرات والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه اي يلقيهم في التراب ومن الشياطين الخبيث
المارد واشتقاقه من العفر وهو التراب **قوله** انا آتيك يجوز ان يكون فعلا مضارعا على وزن افعل نحو اضرب
واصله أأتيك بهمزتين فابدلت الثانية الفاء وان يكون اسم فاعل فالالف زائدة والهمزة اصلية على عكس الاول

قوله والطرف تحريك الاجفان للنظر فالطرف بالنسبة الى النظر كالنظر بالنسبة الى الرؤية فان الناظر اذا اراد النظر الى شيء حرك اجفانه نحو ذلك الشيء اعني ارسال الطرف واذا اراد الامساك عنه رد الاجفان الى مكانها الاول فلما وضع الطرف موضع النظر كان ارسال الطرف وارتداده بمعنى ارسال النظر وارتداده وارسال النظر عبارة عن امتداد النور من العين الى المرئي فاذا غمضت الجفن فقد يتوهم ان ذلك النور ارتد الى العين وانه في البيت نحو على الحال نظر فكر وجواب اذا انبعث والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم اي اذا جعلت عينك رائدا لقلبك لطلب ما يشغلك مناظرها ويوقعك في اشنع المكاره ثم ان الشاعر فصل ما اجمله قوله انبعتك المناظر بقوله في البيت الثاني رايت الذي لكله انت قادر عليه ولا عن بعضه انت صابر واختلف المفسرون في قوله قبل ان يرتد اليك طرفك على وجهين الاول انه اراد المبالغة في السرعة كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وهذا قول مجاهد والثاني ان يكون الكلام مجريا على ظاهره فان قيل كيف يجوز ان ينقل العرش من ناحية اليمن الى ارض الشام في هذا القدر من الزمان وهو يقتضي اما القول بالطفرة او حصول الجسم الواحد دفعة واحدة في مكانين اجيب بان المهندسين قالوا كرة الشمس مثل كرة الارض مائة واربعا وستين مرة ثم ان زمان طلوعها زمان قصير فاذا قسم زمان طلوع تمام القرص على زمان المقدار الذي بين الشام واليمن كانت تلك اللمحة كثيرا فلما ثبت عقلا امكان وجود هذه الحركة السريعة وثبت انه تعالى قادر على كل الممكنات زال السؤال قال الملخص في سورة الاسراء والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه الصلوة والسلام او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات روي ان آصف بن برخيا قال لسليمان عليه الصلوة والسلام ارسل طرفك فنظر نحو اليمن فدعا آصف فغار الكرسي تحت الارض فنبع لدى كرسي سليمان قبل ان يرجع اليه طرفه قوله تعالى نكروا لها عرشها اي اجعلوه منكرا متغيرا عن شكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه فالتنكير التغيير والتنكير التغيير فلما امر سليمان عليه الصلوة والسلام الشياطين بتنكيره عمدوا فجعلوا اسفله اعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه ونقصوا وجعلوا موضع الجوهر الاحمر الاخضر وبالعكس قيل انما جاءت بلقيس خافت الجن ان تفشي سرهم الى سليمان لان امها كانت جنية وان يتزوجها سليمان فتلد له ولدا فلا ينفكون من التسخير فاحتالوا التنفير عنها فقالوا ان في عقلها شيئا من الخفة وانها شعراء الساقين وان رجلها كحافر حمار فلما سمع سليمان ذلك منهم امرهم بتنكير عرشها ليختبر بذلك عقلها وامر الشياطين بان يبنوا الصرح ماثم دار من قوارير املس فاروا انه بيضاء تضطرب كانها الماء الثابت صفاها وجعلوا فيها تماثيل حيوانات الماء تسبح فيها ليقول الاعين بجيئها اليه ادخلي الصرح لتكشف عن ساقيها حين ما ارادت دخوله بناء على ظن انه ماء عظيم ليختبر بذلك حال ساقيها ورجليها وقيل امر سليمان بتنكير العرش واتخاذ الصرح ليعارضها بمثل ما فعلت هي في امر الوصفاء والوصائف وتنكيرها اياهم وامر الدرة العذراء والجزعة المعوجة الثقب فاتهدي كما هو عليه الصلوة والسلام لنبوته ولم تهتد اليه فاستبان له حالها في ذلك فاطاعته واسلمت قوله تشبها عليها اي ليسلم الشبهة بمعنى الالتباس حتى قالت في الجواب كانه هو ولم تقل هو هو ولا ليس هو فقال سليمان عرفته ولكن

ولكن شبهت عليهم كما شبهوا عليها وتوقفت في محل التوقف لئلا تكذب وذلك من كمال عقلها فقيل لها انه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وتسليط الحرس عليه قوله واوتينا العلم من قبلها ان كان من كلام بلقيس يكون ضمير قبلها راجعا الى الحالة او المعجزة الدالة عليهما السياق كانها قالت واوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة بما شاهدنا من رسالة الهدهد ورد الهدية وسائر ما علمنا من قبل الرسل وان كان من كلام سليمان واتباعه يكون ضمير قبلها راجعا الى بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم واوتينا نحن العلم بالله وبقدرته على ما يشاء من قبل هذه المراة مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في انه خصهم بمزية التقدم في الاسلام قوله وصدها عبادتها الشمس على ان يكون فاعل صد قوله ما كانت تعبد بمعنى عبادتها والظاهر ان هذه الجملة حينئذ يكون معطوفة على جملة واوتينا العلم على ان يكون من كلام سليمان واتباعه وان كانت من كلام بلقيس يكون هذه الجملة استئنافا اخبارا من الله تعالى بذلك قوله او صدها الله تعالى على ان يكون فاعل صد ضمير الباري وعلى هذا يكون قوله ما كانت تعبد في محل النصب على اسقاط الخافض اي وصدها الله تعالى عما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس اي منعها عن عبادة الشمس قوله تعالى انها كانت الجمهور على كسر همزة انها استئنافا وتعليلا وقرئ بالفتح على انها بدل مما كانت تعبد على تقدير كونه فاعل صد اي وصدها انها كانت او على اسقاط لام العلة اي لانها فهي قريبة من قراءة الجمهور قوله وقيل عرصة الدار اي قيل الصرح الصحن المنكشف من غير سقف وهو سواها كان بمعنى القصر او العرصة ماخوذ من التصريح بالشيء وهو كشفه واظهاره قوله حملا على جمعيته يعني ان بعض من العرب قولهم في جمع ساق سؤق واسؤق بالهمزة فاجري عليه الواحد قال ابن عباس رضي لما كشفت عن ساقيها ظهر قدم لطيف وساق حسن خدلج اي ممتلئ لكنه اشعر قيل ان عليه الصلوة والسلام تزوجها وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها فسال الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت بلقيس لم تمسني حديد قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسال الشياطين فقالوا الحتال لك حتى يكون ساقها كالفضة الملساء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ فلما ابصر سليمان ساقيها وقدميها وعرف حالهما صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وذلك لم يجز له النظر الى ساقيها بعد ما تبين حال ساقيها وانما جاز ذلك قبل ان تبين حالها ولذلك ناداها بذلك حتى تستر ساقيها وتم بيان جعله عمل تمثال سحرا مرد وغلام امرد الزمام وروح له الا شعر فلما قيل انه ليس ماء بل هو صرح ممرد من قوارير ارسلت ذيلها وسترت ساقيها وتعجبت من ذلك واستحكم ما شاهدته من دلائل الوحدانية والنبوة فقالت نادمة على ثباتها على الكفر فيما تقدم من عمرها ومنشئة لعقد الاسلام بكمال الرغبة والايقان رب اني ظلمت نفسي اي فيما سبق من عمري واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقيل ارادت بظلمها نفسها سوء ظنها بسليمان حيث حسبت ان سليمان اراد ان يغرقها بان يغرقها في اللجة قال محمد بن كعب القرظي لما رات بلقيس الصرح قالت ما وجد ابن آدم عذابا يقتله به الا الغرق فلما وقفت على حقيقة الحال قالت ظلمت نفسي حيث اساءت به الظن قوله وقد اختلف في انه تزوجها والمشهور انه تزوجها واحبها حبا شديدا واقرها على ملكها وكان يزورها كل شهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له داود بن سليمان وامر الجن فبنوا لها مدينة تسلحين

وقصر غمدان بصنعاء وقيل بل زوجها ذا تبع همدان فانه قد روي ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا
من قومك حتى ازوجكه اياه فقالت ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك والسلطان قال نعم انه لا يكون
في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله لك قالت فان كان لا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها اياه ورده
الى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبعة ملك جن اليمن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له
ما اراد الى ان مات سليمان فلما مات وعلمت الجن موته نادى زوبعة يا معشر الجن قد مات سليمان فارفعوا ايديكم
فرفعوا ايديهم فتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع انقضاء ملك سليمان فسبحان من لا انقضاء لدوامه ولا نهاية لملكه
روي ان سليمان ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وقد تمت ههنا قصة داود وسليمان
عليهما الصلوة والسلام وقد ذكر قصصها قصة موسى عليه الصلوة والسلام فالآن ذكر الله تعالى قصة ثالثة وهي
قصة صالح عليه الصلوة والسلام فقال ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا **قوله تعالى** اطيرنا اصله تطيرنا وقرئ به اي
فادغمت التاء في الطاء وزيدت همزة الوصل ليمكن الابتداء والتطير التشؤم ببروح الطير وهو ان يقابلك ميلطره بان يمر
من ميامنك الى مياسرك والعرب تتطير بالبارح لانه لا يمكنك ان ترميه حتى تتحرف وتتيمن بالسانح وهو الذي يقابلك من ميامنه
بان يمر من مياسرك الى ميامنك والمراد بالتطير ههنا التشؤم روي انهم قحطوا بعد مبعث صالح عليه الصلوة والسلام
لتكذيبهم اياه فنسبوه الى مجيئه وتشاءموا به كما تشاءموا بالطائر فقال عليه الصلوة والسلام طائركم عند الله اي
السبب الذي يحصل منه خيركم وشركم عند الله وهو قضاؤه وقدره وكل ما يصيب العبد من الخير والشر انما يصيبه بقضاء الله
وقدره ومشيئته وارادته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه لا مانع لما اعطاه ولا معطي لما منعه اطلق الطائر على ما
هو سبب حقيقي للخير والشر وهو قضاء الله تعالى وقدره تشبيها له بالطائر الذي هو سبب لهما في زعمهم ويحتمل ان يكون
الطائر مستعارا لاعمالهم التي كانت سببا لما اصابهم من الشدائد فانها مكتوبة عند الله تعالى كما ان القضاء والقدر كذلك
فانهما ثابتان له تعالى **قوله** الى ذكر ما هو الداعي اليه وهو اخبار انهم بل تختبرون ان ما اصابهم من حسنة فبفضل
الله ورحمته وان ما اصابهم من سيئة فبشؤم كسبهم قال ابن عباس رضي الله عنه بل انتم قوم تفتنون اي تختبرون بالخير
والشر كقوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة **قوله** وانما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى يعني ان تمييز ما فوق الثلثة
الى العشرة يجب ان يكون مجموعا والرهط مفرد اللفظ مع ذلك وقع تمييز التسعة لكونه بمعنى الجماعة كانه قيل تسعة
انفس **قوله** اي شانهم الافساد الخالص اشارة الى فائدة قوله ولا يصلحون بعد قوله يفسدون في الارض وهي ان المفسدين
قد يجيء منهم الاصلاح في بعض الاوقات وهؤلاء التسعة كان حالهم بخلاف ذلك اذ لم يكن منهم الاصلاح اصلا وكانوا عتاة
قوم صالح عليه الصلوة والسلام وكانوا من ابناء اشرافهم وهم الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف
وهو عاقر الناقة وقوله يفسدون صفة تسعة او رهط فيكون في موضع الرفع او الجر **قوله** امر اي يحتمل تقاسموا ان
يكون امرا اي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا ويجوز ان يكون فعلا ماضيا ويجوز ان يكون بدلا من قالوا ومفسرا له
كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا من فاعل قالوا على اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين **قوله**

وقرا

٢٤

وقرا حمزة والكسائي لتبيتنه بتاء الخطاب المضمومة وضم التاء الثانية والباقون بنون المتكلم وفتح التاء **قوله**
ثم لنقولن قراه الاخوان بتاء الخطاب المفتوحة وضم اللام والباقون بنون المتكلم وفتح اللام وقرئ بياء الغيبة
في الفعلين فاما قراءة الاخوين فان جعلنا تقاسموا فعل امر فالخطاب واضح رجوعا باخر الكلام الى اوله وان جعلناه
ماضيا فالخطاب على حكاية خطاب بعضهم لبعض بذلك واما قراءة بقية السبعة فان جعلناه ماضيا او امرا
فالامر فيها واضح وهو حكاية اخبارهم عن انفسهم واما قراءة الغيبة فيهما فظاهرة على ان يكون تقاسموا ماضيا
رجوعا باخر الكلام الى اوله في الغيبة وان جعلناه امرا كان لنبيتنه جوابا لسؤال مقدر كانه قيل كيف تقاسموا
فقيل لنبيتنه والبيات مباغتة العدو ومفاجأته بالقتل ليلا والمعنى لنقتلنه بياتا اي ليلا واهله اي قومه
الذين اسلموا معه ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا مهلك اهله اي ما حضرنا اهلاكهم او موضع هلاكهم او زمانه
او موضع اهلاكهم او زمانه ولا ندري من قتلهم قرا العامة مهلك بضم الميم وفتح اللام من الاهلاك وحفص بفتح الميم
وكسر اللام وابو بكر بفتح الميم واللام وكلاهما من الهلاك الا انه على قراءة ابي بكر لا يكون الا مصدرا لان المهلك من باب ضرب
واسماء الزمان والمكان منه مهلك بكسر اللام لا يكون الا مكسور اللام واما مهلك بكسر اللام فانه يحتمل الثلثة وكذا
مهلك بضم الميم وفتح اللام تحالف القوم على ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند اوليائه انهم فعلوا ذلك واراده
وكان هذا مكرا عزموا عليه نهوا على تقدير ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا متنفي الواو ولا يكون معمول القول
قوله ونحلف انا لصادقون يعني ان جملة انا لصادقون في محل النصب بنزع الخافض المتعلق بفعل محذوف معطوف
على قوله لنقولن اي لنقولن كذا ونحلف فيما قلنا او على انه حال من فاعل لنقولن ولما ورد ان يقال كيف يكونون
صادقين فيما قالوا وهو خبر غير مطابق للواقع ولجحود ما فعلوه عمد اجاب عنه بوجهين الاول ان الكذب انما يلزمهم
ان لو انكروا المباشرة ولم ينكروه بل انكروا الشهود وانكاره لا يستلزم انكار المباشرة ليلزم الكذب والثاني
انهم انكروا شهود مهلك اهله وحده وهم صادقون فيه سمى الله مواضعتهم على قتل صالح واهله خفية مكرا
في الحقيقة لان المكر قصد الاضرار على طريق الغدر والحيلة وسمى تدميره واهلاكه اياهم وهم لا يشعرون على سبيل
المجازاة على مكرهم مكرا ايضا تشبيها له بالمكر من حيث كونه اضرارا في خفية لقوله وهم لا يشعرون او للمشاكلة
في الحجر وهو اسم مدينة ثمود قال تعالى ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين الراغب الحجر ما سور بالحجارة
وبه سمي حجر الكعبة وديار ثمود والشعب بالكسر ما انفرج بين الجبلين وقيل الطريق في الجبل **قوله** زعم انه
يفرغ منا الى ثلث وذلك انهم لما عقروا الناقة اخبرهم صالح بنزول العذاب المستأصل عليهم عند انتهاء
ثلثة ايام فقالوا ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى
التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة
فقتلتهم وهو قول الكلبي وقال قتادة والسدي دخلوا ليلا في حرق في جبل يترصدون فارسل الله تعالى
عليهم صخرة فسدت عليهم فم الحرق فهلكوا فيه واهلك الله تعالى سائرهم بصيحة جبرئيل وقرا الكوفيون انا

دمرناهم بفتح الهمزة والباقون بكسرها على الاستيناف اختار المص قراءة ان بكسر الهمزة وجوز ان يكون كان
تامة وناقصة وجوز على تقدير كونها ناقصة ان يكون ان المكسورة مع ما في حيزها استينافا وان يكون خبر مبتداء
محذوف حالا بنا فيه اقتضاؤها الصدارة لانها لا يقتضي ان يكون في صدر الجملة التي دخلت هي عليها وهذه الصدارة
حاصلة سواء جعلت خبر مبتداء او استينافا او خبر كان الا انه لم يجوز كونها خبر كان لان المكسورة مع ما في حيزها جملة
والجملة لا تكون خبرا بدون العائد بخلاف المفتوحة فانها مع ما في حيزها في تأويل المفرد فيصح كونها خبرا بدون العائد
وعلى تقدير كونها مستانفة يجب ان يتم الكلام قبلها بان يكون كان تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها او بان
يكون ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ويجوز على تقدير ان يكون ناقصة ويتم الكلام قبل ان المكسورة ان يكون
قوله انا دمرناهم بكسر همزة انا خبر مبتدا محذوف اي وهي انا دمرناهم على معنى وتلك العاقبة انا دمرناهم وعلى قراءة
الكوفيين يجوز ان يكون انا دمرناهم خبر مبتداء محذوف سواء جعل كان تامة او ناقصة فانه ان جعل كان
تامة وعاقبة فاعلها وكيف حالا منها جاز ان يكون انا دمرناهم خبر محذوف كما اذا كانت ناقصة وجاز ايضا
ان يكون بدلا من عاقبة والمعنى كيف كان تدميرنا اياهم بمعنى كيف حدث ووقع ويجوز هذا الوجه على تقدير ان يكون
كان ناقصة ايضا كما اشار اليه بقوله او بدل من اسم كان ولم يقل من فاعل كان ويجوز على تقدير كونها ناقصة ان
يجعل عاقبة اسمها وانا دمرناهم خبرها وكيف حالا اي فانظر على اي حال كان عاقبة مكرهم تدميرنا اياهم اجمعين
ولا يجوز على تقدير كون كان ناقصة وعاقبة اسمها وكيف خبرها ان يكون انا دمرناهم بدلا من كيف لانه لو كان انا دمرناهم بدلا من حرف
الاستفهام والبدل من الاستفهام يلزم فيه اعادة حرف الاستفهام نحو كم مالك اعشرون ام ثلثون وكيف فلان اصحيح ام سقيم و
لو قلت عشرون او صحيح بغير اعادة حرف الاستفهام لم يجز **قوله** واذكر لوطا او ارسلنا لوطا يعني ان لوطا منصوب اما
باذكر مضمرة او بارسلنا المدلول عليه بما ذكر في القصة السابقة لان قصة لوط معطوفة على قصة ثمود وقد ذكر
في خاتمتها ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا فيقدر لامثاله واذ بدل اشتمال من لوط على تقدير ان يكون لوطا منصوبا
باذكر ولا يجوز ان يكون ظرفا لاذكر لان ذكر الرسول عليه الصلوة والسلام اياه ليس في زمان قوله لقومه اتاتون الفاحشة
وظرف لارسلنا على تقدير ان يكون لوطا منصوبا به ولا يجوز ان يكون بدلا من لوطا اذ لا يستقيم ان يقال ارسلنا و
قت قوله والفاحشة الفعلة القبيحة واراد بها اللواطة باتفاق المفسرين **قوله** او يبصرها بعضكم من بعض يعني
ويجوز ان يكون تبصرون من بصر العين لا على ان المعنى وانتم تبصرون ونها تأتونه بل على انه يبصر بعضكم فعل بعض واعلاء المعصية
معصية زائدة على نفس اتيانها **قوله** بيان يعني ان قوله ائنكم لتاتون الرجال عطف بيان لقوله اتاتون الفاحشة
لكونه اوضح في الدلالة على فعلتهم القبيحة وقوله شهوة مفعول له اي اتاتون لقضاء الشهوة متجاوزين النساء
مع انه تعالى انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى فاتيانكم الرجال للشهوة مضادة لحكم الله تعالى
وحكمته **قوله** تفعلون فعل من جهل قبحها الخ جواب عما يقال كيف وصفهم بالعلم اولا حيث قال وانتم تبصرون اي تعلمون
فحشها ثم وصفهم بعده بالجهل حيث قال بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء وجهلاء معا اجاب بثلثة اجوبة
الاول

٢٥

الاول انه ليس المعنى انتم تجهلون فحشها ليلزم التناقض بل المعنى تفعلون فعل من جهل فحشها مع علمكم بذلك والثاني
ان المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها والثالث ان المراد تجهلون العاقبة وعاقبة العصيان **قوله**
والتاء جواب عما يقال تجهلون صفة لقوم وهو اسم ظاهر منزل منزلة الغائب فينبغي ان يكون صفته بياء
الغيبة ليطابق الصفة الموصوف ومحصول الجواب ان القوم وان كان غائبا باعتبار اللفظ فهو مخاطب باعتبار معناه
لكونه جاريا على انتم خبرا عنه فلما اجتمع فيه جهتا الغيبة والخطاب اعتبر جانب الخطاب لان الاصل في الكلام انما هو
المتكلم والمخاطب والغائب متوسط بينهما **قوله** يتنزهون عن افعالنا اي لا يوافقوننا فيها بل يتنزهون عنها او
نحن لا نرضى بتركها فليس لنا حضور الا باخراجهم من بيننا قراءة الجمهور فما كان جواب قومه بنصب جواب على انه خبر مقدم والا ان
قالوا في موضع الاسم وقرئ جواب قومه بالرفع والنصب احسن لان ان قالوا في تأويل قولهم وهو اعرف من جواب قومه لان المضاف
الى المضمر اعرف من المضاف الى المظهر الى المضاف ولان ان قالوا لا تقبل التنكير بخلاف جواب قومه فانه يتقيد بان يقال جواب
لقومه **قوله** قدرناها كونها من الباقين يريد ان المضاف مقدر في قوله قدرناها لان التقدير متعلق بغبورها وكونها من زمرة
الباقين في العذاب لا بذاتها فانها ان بقيت مع جملة من بقي في القرية اهلكها الله تعالى بعذاب الائتفاك وان خرجت منها
مع لوط عليه الصلوة والسلام هلكت بان اصابها حجر في الطريق والمتبادر من هذه الاية ان امطار الحجارة غير مختص
بشذاذ القوم بل هو امر شامل لجميعهم وان الباقين في القرى المؤتفكات اهلكوا بنوع اخر من العذاب ايضا
قوله الزام لهم يعني ان الاية بظاهرها وان دلت على ان المقصود الموازنة بينه تعالى وبين الاصنام والاعلام انه تعالى
خير لمن عبده ام الاصنام لعابديها ولا وجه له ضرورة ان احدا من العقلاء لا يرى ان المخلوق العاجز باطلا الخالق القا
در على كل شيء في معنى الخيرية بل المقصود الزام المشركين والتهكم بهم وتسفيه لرأيهم تبين الله تعالى اولا اهلاكه
كفار الامم السالفة ونجاة الموحدين المؤمنين منهم ثم خاطب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وامره ان
يحمد الله تعالى على هلاك المشركين السالفين ويسلم على المصطفين للتوحيد والايمان من عبيده وخاطب لوطا
عليه الصلوة والسلام وامره بذلك ثم التفت الى المشركين وخاطبهم على سبيل التبكيت والالزام بقوله الله خير
اما يشركون ومن قرأ يشركون بياء الغيبة حمله على ما قبله من قوله وامطرنا عليهم وما بعده من قوله بل اكثرهم و
ام في قوله اما يشركون متصلة عاطفة بمعنى ايهما خير وما بمعنى الذي وقيل مصدرية على حذف المضاف من الاول
اي اتوحيد الله خير ام شرككم وام في قوله امن منقطعة بمعنى بل والهمزة اشارة اليه المص بقوله بل لعدم
تقدم همزة الاستفهام وقصد التسوية ومن موصولة مرفوعة المحل على الابتداء وخبرها محذوف والتقدير بل امن خلق
السموات والارض اضرب من السؤال بايهما خير الى تقريرهم بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء كانه قيل دع هذا
السؤال الستم تعرفون بانه تعالى خالق العالم فهو خير من جماد لا يقدر فهو استفهام تقرير **قوله** لتاكيد اختصاص
الفعل بذاته تعالى فانه لو اخرج الكلام على مقتضى الظ وقيل فانبت به حدائق لافاد الكلام اختصاص الانبات به تعالى
بحكم المقابلة بين الشركاء وخالق العالم فلما التفت ونسب الفعل الى ذاته تاكد ذلك الاختصاص حيث

دل عليه بامرين **قوله** من الاحداق وهو الاحاطة فان الحديقة كل روضة وبستان عليه حوائط او انشاز محدقة اي محيطة به واللف والنشر المكان المرتب **قوله** اغيره يقرن به يعني انه استفهام انكاري يعني هل معه معبود سواه اعانه على خلق اصول الكائنات وانزال ما تنبت به ارزاق المخلوقات وليس شريك في ذلك جل الابتداء بالنكرة وهي اله تخصص بالعموم المستفاد من همزة الانكار الداخلة على النكرة **قوله** يعدلون عن الحق على انه من العدول وقيل هو من العدل من التسوية والمعنى بل هم يعني كفار مكة قوم يعدلون بالله سبحانه غيره وهو الاصنام **قوله** بدل من ام من خلق فيكون ام فيه منقطعة ويكون معنى الهمزة تقرير كما في المبدل منه **قوله** خلالها يجوز ان يكون ظرفا لجعل بمعنى خلق المتعدية الى مفعول واحد وان يكون في محل المفعول الثاني لجعل على ان يكون بمعنى صير **قوله** جبالا تتكون فيها المعادن بيان لوجه كون خلق الجبال في الارض من جملة وجوه الانعام وذلك لان اكثر العيون والانهار والمعدنيات انما تتكون في الجبال وفيما يقرب منها والرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ من رسا الشيء اذا رسخ وثبت ولم يذكر من منافع الجبال كونها حافظة للارض عن الميدان كما قال تعالى وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بهم لان ذلك فهمت من قوله تعالى جعل الارض قرارا فانها لا تكون مستقر الخلق الا بكونها ساكنة سالمة من الاضطراب **قوله** او خليجي فارس والروم الخليج من البحر ما انشعب منه قال بعضهم المراد بالبحرين بحر الفارس وبحر الروم جعل الله تعالى بينهما جزيرة العرب حاجزا وسميت جزيرة لما جزر عنه الماء اي ذهب وقال بعضهم المراد بهما بحر الشام وبحر العراق **قوله** واللام فيه للجنس جواب عما يقال من انه تعالى ذكر في جملة ما تفضل به على عباده انه يجيب المضطر اذا دعاه والمضطر اسم جنس يحلى بلام الاستغراق فيفهم منه انه يجيب كل مضطر دعاه وكم من مضطر يدعوه فلا يجاب له وقرئ يذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع الادغام وبدونه والحذف وقرئ تتذكرون بالتائين وقليلا صفة مصدر محذوف وما زائدة **قوله** ولو صح ان السبب الاكثري جواب عما يقال لا نسلم انه تعالى هو الذي يحرك الرياح ويرسلها فان الفلاسفة قالوا ان الرياح انما تتولد من الادخنة المتصاعدة بتصعيد الحرارة اياها سواء كانت الحرارة حرارة الشمس او حرارة النار فانها اذا صعدت ادخنة كثيرة الى فوق فعند وصولها الى الطبقة الباردة وانكسرت حرها ببرد ذلك الهواء لا محالة تثقل وتنزل فيحصل من نزولها تموج الهواء فتحدث الريح وقوله ولو صح اشارة الى منع ما ذكروه وذلك ان الريح عند حركتها يمنة ويسرة ربما تقوى على قلع الاشجار وهدم الجدار فلو كانت الريح عبارة عن الهواء بسبب حركة تلك الاجزاء الدخانية الى السفل حركة طبيعية وجب ان تهدم سقوف البيوت عند وقوع تلك الاجزاء عليها لان الحركة الهابطة طبيعية فتكون اقوى من الحركة العرضية التي هي الحركة يمنة ويسرة ولا شك ان شيئا من السقوف لا يسقط بسقوط الاجزاء الدخانية عليها فظهر بطلان ما ذكروه ثم انه تعالى لما عدد نعم الدنيا اتبع ذلك ذكر نعم الاخرة فقال ام من يبدأ الخلق ثم يعيده فان نعم الاخرة لا تتم الا بالاعادة بعد الابداء والابلاغ الى حد التكليف وذلك لا يتم الا بالارزاق فلذلك قال بعده ومن يرزقكم من السماء والارض فلا يرد ان يقال كيف يمكن الزام الكفرة بذكر نعمة الاعادة وما يترتب عليها وهم منكرون للاعادة اجاب عنه بانهم وان انكروا الاعادة الا انه لما لم يبق لهم عذر في انكارها من حيث قيام الادلة القاطعة الدالة على امكانها وكونها مقدورا لله تعالى واقتضاء الحكمة لوقوعها نزلوا منزلة من اقر بها فتوجه اليهم الالزام والتجهيل

بذلك

بذلك ثم بين ان امر الدين لا يبتنى الا على الحجة والبرهان ولا يصح بمجرد التقليد فقال قل هاتوا برهانكم وقد تم ههنا ذكر الدلائل الدالة على كمال قدرة الله تعالى وفضله وبين بعده انه المختص بعلم الغيب ليثبت بمجموع الامرين تفرده تعالى بالالوهية واستحقاق العبادة فان الاله الحق هو الذي يحيط علمه باعمال المكلفين من الطاعة والمعصية ويقدر على مجازاة كل احد جزاء وفاقا بحيث لا يزيد عقاب العاصي على قدر معصيته ولا يضيع شيئا من طاعة المطيع **قوله** الاستثناء منقطع لعدم دخوله تعالى في قوله من في السموات والارض والمستثنى المنقطع منصوب ابدا عند الحجازيين فانهم يقولون ما جاءني احد الا حمارا ورفع المستثنى المنقطع في الآية مبني على لغة تميم فانهم يقولون ما في الدار احد الا حمار ويجعلون المستثنى المنقطع في حكم المفرغ ويقولون في قولك ما في الدار احد الا حمار اصله ما فيها الا حمار على ان يكون المستثنى منه المقدر اعم العام بمعنى ما في الدار شيء الا الحمار الا ان المتكلم لما ظن ان المخاطب يستبعد خلو الدار عن الادمي ذكر الاحد من جملة افراد المستثنى منه المقدر تاكيدا لنفي كون الادمي فيها وابقى اعراب المستثنى على ما كان عليه في الاصل تنبيها على الاصل وقد كان المستثنى في الاصل مرفوعا على الفاعلية فلما ذكر الاحد كان لا بد لامته ففعل بهذا الوجه لا يكون المستثنى المنقطع من قبيل المتصل حيث لم يعتبر دخول المستثنى منه وهذا الذي يفهم من قول صاحب الكشاف يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمار كان احدا لم يذكر الان قوله بعد ذلك اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم ممن يعلم الغيب يدل على انه جعل المنقطع كالمتصل وقدر دخوله في المستثنى منه ليشتمل الكلام على التعليق بالمحال ليفيد الكلام المبالغة في نفي علم الغيب عن اهل السموات والارض وهذه المبالغة لا تحصل على تقدير النصب لانه حينئذ يكون المعنى لا يعلم من في السموات والارض الغيب لكن الله يعلمه فيكون نصبه على انه اسم لكن فتفوت هذه المبالغة المبتنية على تعليق علمهم الغيب بالمحال **قوله** او متصل فلا يحتاج في رفع المستثنى الى العدول عن مذهب الحجازيين الى مذهب بني تميم لان المستثنى المتصل يجوز فيه النصب ويختار البدل في كلام غير موجب اذا كان المستثنى منه مذكورا باتفاق الجمهور والآية الكريمة من هذا القبيل ووجه اندراجه تعالى في من في السموات والارض قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقول المتكلمين الله في كل مكان على معنى ان علمه تعالى في الاماكن كلها فكان ذاته فيها ورد صاحب الكشاف هذا الوجه بانه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وبيانه ان الظرفية المستفادة من قوله من في السموات والارض حقيقة بالنسبة الى غير الله تعالى ومجاز بالنسبة اليه تعالى ولا يجوز الجمع بينهما في كلمة واحدة عند اكثر العلماء وان قال به الشافعي رحمه الله كما في قولهم القلم احد اللسانين والخال احد الابوين ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وجوزه المصنف ايضا بناء على ان واما بناء على ما ذكره الامام وهو قوله لا يقال كونه تعالى في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة الحقيقة والمجاز غير جائزة لانا نقول كونهم في السموات والارض كما انه حاصل حقيقة وهو حصول ذواتهم في الاحيان فذلك حاصل مجازا ايضا وهو كونهم عالمين بتلك الامكنة فاذا حملنا هذه الكونية على المعنى المجازي الكون فيها بمعنى العلم دخل الرب سبحانه وتعالى فيه فيصح الاستثناء **قوله** والضمير لمن يعني ان قوله وما يشعرون وصف لاهل

السماء والارض نفى اولا ان يكون لهم علم الغيب ثم نفى عنهم الشعور بوقت البعث من بين جملة الغيب للدلالة على تفرده
بعلمه وقيل ضمير لا يشعرون للكفرة الذين يسألون رسول الله عليه الصلوة والسلام بقولهم ايان مرسيها انكارا لاصل البعث
فوبخهم الله تعالى بقوله وما يشعرون ايان يبعثون مع استواء الخلايق بأجمعهم في الجهل بوقت البعث فالمقصود توبيخهم على انكار
اصل البعث في قد اشار اليه المص بقوله واكد ذلك نفى شعورهم بما هو مالهم لا محالة وهو اصل البعث الا انهم لما انكروه بقولهم
ايان وقت ارسائها واماتتها وبخهم على انكار البعث بذلك اشعارا بطريق انكارهم له والاشارة الى ان الجهل بقرب وقته
مما لا ينبغي فضلا عن الجهل باصله **قوله** لما نفى عنهم اي عن اهل السموات والارض علم الغيب اختار قراءة ابن كثير وابى
عمرو فانهما قرءا بل ادرك بهمزة القطع كاكرم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص ادارك بهمزة الوصل و
تشديد الدال المفتوحة بعدها الف اصله تدارك ابدلت التاء دالا وادغمت الدال في الدال واجتلبت همزة الوصل للابتداء اختصار
ادارك كاثاقل وجعل ادرك بمعنى بلغ وانتهى من قولهم ادركت الفاكهة اذا بلغت وتكاملت نضجها وقدر مضافا بعد
قوله ادرك حيث قال بتبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج وبين وجه الاضراب في قوله بل ادرك علمهم
مع كون ارتباطه بما قبله خفيا من حيث ان مدلول الآية المتقدمة انه تعالى وحده هو الذي يعلم الغيب ويعلم متى الساعة ولا
يظهر المناسبة بينه وبين الآية الدالة على ان اسباب علمهم بان الآخرة والقيمة كائنة تكاملت واستحكمت حتى يتوسط
بينهما كلمة الاضراب وتحصيل ما ذكره من المناسبة ان خلاصة ما سبق بيان عجزهم عن علم لا دليل عليه اصلا
وهو مطلق الغيب وخصوص وقت الساعة وخلاصة قوله بل ادرك علمهم في الآخرة بيان عجزهم عن علم ما تعا
ضدت الادلة على وقوعه لا محالة حيث لا يعلمونه كما ينبغي فظهر وجه المناسبة بينهما وصحة الاضراب الثاني عن الاول
قال في الاضرابات الثلثة تنزيل لاحوالهم من حالة سيئة دنية الى ما هو اسوء وادنى منها فانه تعالى وصفهم اولا
بانهم لا يشعرون وقت البعث اي لا يعلمون متى يكون يوم القيمة ثم بين ان حالهم ادون واسوء من هذا بان قال
بل ادرك علمهم في الآخرة اي تكاملت اسباب علمهم بان القيمة ستكون وستقع وهم مع ذلك لا يعلمونه كما ينبغي وهذه المرتبة
اسوء وانزل من الحالة الاولى لان اصل البعث ليس بغيب من حيث انه تعاضدت الادلة على حقيقته ووقوعه فكأنه قيل
لا يعلمون الغيب بل ولا ما ليس بغيب ولا شك ان الجهل بمثله اسوء حالا من الجهل بما هو غيب ثم بين ان حالهم اسوء من هذه
المرتبة ايضا من الجهل بان القيمة ستكون بقوله بل هم في شك منها اي هم مستغرقون في جهلهم لا يطلبون التفحص عنه بالتفكر
في الدلائل المنجية عن ظلمات الشكوك والاوهام فحالهم اسوء من حال الجاهل المتردد الذي يطلب الحق والتوصل
الى الصواب فان الجهل بالشيء وان كان شيئا قبيحا لكن ابقاء ذلك الجهل والوقوف عليه وترك التفتيش وطلب
التفحص عنه اقبح واسوء ثم بين انهم اسوء من هذا ايضا بقوله بل هم منها عمون بمعنى انه ليس لهم بصيرة يدركون بها
دلائل وقوعها من حيث ان اشتغالهم باللذات النفسانية من همّ البطن والفرج صيرهم كالبهائم والانعام و
ابطل استعدادهم للنظر والتفكر وهذه الحالة اسوء من الحالة الاولى والثانية وان يقال مضمون الاضرابات الثلثة
على ما ذكر مختص بالمشركين المنكرين للبعث فكيف يرجع الضمائر المذكورة في قوله علمهم وبل هم منها عمون الى قوله من

٢٧

في السموات والارض اجاب عنه بقوله وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض الخ **قوله** وقيل الاول
اضراب عن نفي الشعور بوقت القيمة عطف على قوله بان اضرب عنه اي عن نفي علم الغيب عنهم اي وقيل في بيان المناسبة
بين الآيتين ووجه الاضراب الاول فالمراد على هذا الوجه التهكم من قوله بل ادارك علمهم بانهم ايان يبعثون وان القيمة متى
تقع واما على الوجه الاول فمعنى الآية انهم لا يعلمون ان البعث كائن مع كثرة الدلائل عليه **قوله** وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل
عطف من حيث المعنى على قوله تبين ان ما انتهى وتكامل الخ فانه يتضمن تفسير الادراك بالتكامل والاستحكام وعلى هذا التفسير
لا حاجة الى تقدير المضاف ثم فسر قراءة ادارك بوجهين ايضا احدهما تدارك وتتابع حتى استحكم وثانيهما تتابع حتى الهلاك (?)
حتى انقطع **قوله** وابو بكر ادرك عطف على قوله نافع فهذه القراءة ايضا من السبعة على رواية ابي بكر عن عاصم ثم ذكر ثماني
قراءات من الشواذ نشتان بأم ونشتان اضراب ببلى والباقية ببل وصحح الزمخشري قراءة بل ادرك بقوله بالتخفيف
والنقل اي بتخفيف الهمزة ونقل حركتها الى اللام واصله ما قرأه ابن كثير وابو عمرو ثم ذكر قراءة اخرى بقوله بل ادرك
بفتح اللام وتشديد الدال واصل بل ادرك على سبيل الاستفهام انتهى كلامه فيكون اصله اأدرك على وزن افتعل فدخل عليه
همزة الاستفهام فسقط همزة الوصل فصار أادرك بهمزة مفتوحة بعدها دال مشددة ثم نقلت حركة الهمزة الى اللام
فصار بل ادرك ولم يذكر المص هذه القراءة بل ذكر احدى عشر قراءة ثم شرع في بيان معانيها فقال وما فيه استفهام صريح
او مضمن كما في قراءة ام ادرك وام تدارك فان ام فيهما بمعنى بل والهمزة فانكار لادراك علمهم **قوله** وما فيه بلى فاثبات
لشعورهم فانه لما قيل بلى ادرك بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم
في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها
فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون فقوله وتنبيه انما هو على قراءة بلى ادرك بغير همزة الاستفهام واما على قراءة بلى
ادرك على الاستفهام فالمعنى بلى يشعرون متى يبعثون فنبه على ان بلى لاثبات شعورهم ويكون الاستفهام الذي بعد للانكار
علمهم بوجود الآخرة وثبوتها والمعنى ما ادرك علمهم بنفس الآخرة فضلا عن العلم بوقت وقوعها على ان يكون المقصود
من انكار علمهم بنفس وقوع الآخرة نفي علمهم بوقت وقوعها بالطريق البرهاني **قوله** او رد لشعورهم عطف على
قوله اضراب عن التشبيه (?) يعني ان قوله تعالى بل هم في شك منها متعلق بالتقرير (?) او بالمعنى المستفاد من بلى وقوله عمون جمع عم و
اعمى القلب يقال عمي عليه الامر اذا التبس ورجل عمي القلب اي جاهل **قوله** وهما من الصفات الغالبة جعلهما من
قبيل الراوية دليل على ان ليس مراده من الصفات الغالبة الصفات التي يحملها الاسمية لان الراوية ليست من تلك
المقولة لكونها من الفاظ المبالغة بمعنى كثير الرواية فينبغي ان يكون مراده بالصفات الغالبة على احاد جنسها من حيث القوة
والكمال فيكون الغائبة والخافية بمعنى شديد الغيبوبة والخفاء ويكون التاء فيهما للدلالة على هذا المعنى كما في الراوية
ويحتمل ان لا يكونا صفتين بل يكونا اسمين لما يغيب ويخفى فيكون التاء فيهما كالتي في العاقبة والعافية من حيث
كونهما اسمين بناء على التاء [illegible] ثم انه تعالى قص احوال الانبياء مع اممهم وانه دمر من خالفهم وعصاهم ونجى
من آمن بهم واطاعهم وقال لكفار مكة على سبيل الالزام والتبكيت آلله خير اما تشركون وبين انه خير بتفصيل ما يدل

على قدرته الكاملة والآية المتكاثرة وتفرده بعلم الغيب والشهادة وتهدد المنكرين بالبعث وتحملهم على النظر في احوال المكذبين
وما نزل بهم بشؤم تكذيبهم قال ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون تحريكا للمشركين على اتباع
القران فانه لما اشتمل على بيان الحكم والحق في اكثر ما اختلف فيه اهل الكتاب الذين هم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يجدوا مطعنا في شيء مما قصه تنبه ذلك المشركين يرجعون اليهم في كثير من امورهم وعلموا عجزهم عن الطعن
فيه ظهر لهم ان ما فيه من الشرائع واصول القواعد الدينية كالتوحيد والحشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى ايمان
نعوت جلاله يطابق لما تقتضيه العقول السليمة ويوافق لما في الكتب المتقدمة وذلك يحرك لهم داعية القبول والاتباع
فان قيل ان بني اسرائيل يعلمون بانفسهم ما اختلفوا فيه ولا يحتاجون في بيانه الى القران والجواب والله اعلم ان المعنى
ان هذا القران يبين لهم الحكم او يبين لهم الحق في اكثر ما كانوا يختلفون فيه وقيل عليه ذكر في مواضع من القران ان فيه
بيان كل حكم حيث قال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وقال نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء فما وجه
قوله يبين لهم الحكم في اكثر ما كانوا يختلفون فيه واجيب بان المراد انه يبين لهم اكثر ما اختلفوا فيه على طريق التنصيص
والتصريح ويبين الباقي بطريق الدلالة والاشارة فان البيان ضربان صريح ودلالة **قوله** بحكمه وهو الحق جواب
عما يقال القضاء والحكم واحد فقوله يقضي بحكمه بمنزلة ان يقال يقضي بقضائه او يحكم بحكمه فما معناه وفائدته وتقرير
الجواب ان الحكم بمعنى الحق المحكوم به او بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرا بحكمه جمع حكمة **قوله** فان اسماعهم نهوت
الحالة ابعد بيان لفائدة التقييد بقوله اذا ولوا مدبرين فان الاصم اذا ولى مدبرا ثم ناديته كان ابعد من الاسماع
من حيث انه اصم بعيد المسافة **قوله** وقرا ابن كثير ولا يسمع بفتح الياء التحتانية وفتح الميم ايضا ورفع الصم
على الفاعلية والباقون بضم التاء الفوقانية وكسر الميم ونصب الصم والدعاء على انهما مفعولان **قوله تعالى** بهادي العمي
عن ضلالتهم اي بمبعدهم عنها بالهدي كما يقال سقاه عن العيمة اي ابعده بالسقي والعيمة شدة شهوة اللبن
ثم انه تعالى تكلم فيما يتعلق بقيام الساعة فذكر اول امر العلامات الواقعة عند قيامها دابة الارض فقال
واذا وقع القول عليهم واراد من القول متعلقه ومدلوله بوقوعه قرب من الوقوع بحيث يكون في حكم الواقع والجساسة
بالجيم المعجمة من تجسس الحال وتجسس خبره وتفحص عنها قيل سميت الدابة جساسة لانها تجس الكافر اي تطلبه والوعيد القيراط
العنق على ريش الفرخ قيل في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وهو التيس الجبلي وعنق نعامة
وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وان راسها يبلغ السحاب وما بين قرنيها فرسخ
للراكب وروي انها تخرج ثلثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وقيل لا يتم خروجها الا بعد ثلثة ايام
وروي ان لها ثلث خرجات خرجة باقصى اليمن ثم تكمن زمانا ثم تخرج قريبا من مكة ثم تكمن دهرا طويلا ثم تخرج بين الناس
في اعظم المساجد على الله تعالى حرمة يعني مكة شرفها الله تعالى لم تر عينهم الا وهي في ناحية المسجد ما بين الركن الاسود
الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط ذلك وقيل تخرج من الصفا ولا تخرج الا راسها وعنقها فيلي راسها
السحاب فيراه اهل المشرق والمغرب ثم عادت الى مكانها ثم تزلزلت الارض في ذلك اليوم في ست ساعات فيبقون فيها
ثنتين

٢٨

خائفين واذا اصبحوا جاءهم الصريخ بان الدجال قد خرج **قوله** اذ قرئ تكلمهم بفتح التاء وسكون الكاف وضم اللام
وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم والجمهور على التشديد وهو من الكلام ويجوز ان يكون من الكلم ايضاد
يكون بناء التفعيل لكثرة المحل كما في غلقت الابواب **قوله** وهو حكاية معنى قولها واعلم ان قراء الكوفيين ان الناس بفتح
الهمزة والباقون بكسرها ووجه القراءة بالكسر كون الكلام حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول كانه قيل تقول لهم
ان الناس او باضمار القول على تقدير تكون تكلمهم من الكلام بمعنى الجرح اي تكلمهم فتقول لهم ان الناس او كونه حكاية منها
لقول الله تعالى عند خروجها من الارض كانه قيل تكلمهم وتخبرهم بقول الله تعالى ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون ولما ورد
ان يقال لو كان الكلام حكاية من الله تعالى لقول الدابة لقيل ان الناس بخروجي وبسائر احوالي لا يوقنون دفعه بقوله وهو
حكاية معنى قولها لان قوله باياتنا يمنع كونه نفس قولها فان نفس قولها ينبغي ان يكون هكذا ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
وسائر احوالي الا ان تلك الاحوال لما كانت من ايات الله تعالى حكى الله تعالى كلامها بمعناه **قوله** او علة خروجها او تكلمها على
حذف الجار اي لان الناس وهو توجيه لقراءة الكوفيين بفتح **قوله** ويوم نحشر منصوب باذكر مقدرا اي واذكر يوم نجمع من كل امة
من امم الانبياء زمرة المكذبين باياتنا المنزلة على انبيائنا من المعجزات وغيرها وبالايات الدالة على وحدانيتنا الانفس والافاق
فيحبس اولهم على اخرهم ليجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب حتى اذا جاءوا الى ذلك الموضع قال الله تعالى موبخا لهم منكرا
عليهم اكذبتم باياتي وهو استفهام توبيخ وانكار **قوله** ام اي شيء كنتم تعملون يريد ان ماذا بمنزلة اسم واحد هو
اي شيء منصوب المحل بتعملون الواقع خبرا عن كنتم ويحتمل ان يكون ما اسم استفهام مرفوع المحل على الابتداء وذا بمعنى الذي
وكنتم تعملون صلته والموصول مع صلته خبر المبتداء والعائد محذوف والتقدير اي شيء الذي كنتم تعملون وام منقطعة
والاستفهام الذي تضمنته للتبكيت والزام الخصم حمله على ان يقر بالذي سئل عنه اولا على طريق التوبيخ والانكار
او لا بقوله اكذبتم باياتي بادي الرأي ثم اضرب عنه الى استفهام تقرير وتبكيت كانه قيل دعوا ما نسبه اليكم من التكذيب
فقوله الا اي شيء كنتم تعملون غير التكذيب **قوله** ووقع القول عطف على قوله اكذبتم باياتي والقول بمعنى العذاب المقول
الموعود للمكذبين وقوله بعد ذلك ظرف فالقول حل بهم العذاب الموعود بعدان خوطبوا خطاب التوبيخ والتبكيت
وكبوا على وجوههم في النار ثم قال فهم لا ينطقون كما قال في اية اخرى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون
وكيف يقدر على النطق والاعتذار من استغرق في معاناة عذاب الجحيم قال قتادة كيف ينطقون لان افواههم مختومة
وقيل لا ينطقون بما يكون لهم حجة او عذرا في الشرك والتكذيب ولا حجة لهم ولا عذر ثم انه تعالى لما خوفهم باهوال القيمة
ذكر كلاما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد وعلى الحشر وعلى النبوة مبالغة في الارشاد الى الايمان والمنع عن الكفر فقال
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا مضيئا يبصر فيه اما وجه دلالته على التوحيد فما ذكره بقوله لان
تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص الخ واما وجه دلالته على الحشر فما ذكره بقوله وان من قدر على ابدال الظلمة بالنور
الخ واما وجه دلالته على بعثة الرسل فما ذكره بقوله وان من جعل النهار ليبصرون فيه سببا من اسباب معاشهم
لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم وهو بعثة الرسل **قوله** فان اصله ليبصروا فيه تعليل لكون التقابل مراعى من حيث

المعنى فقوله لتسكنوا فيه ومبصرا وان كان في الاول علة لجعل الليل الا لخلقه والثاني حالا من النهار من حيث الاعراب وجب التعليل ان
المعنى خلقنا الليل ليكون زمانا للسكون اهله وخلقنا النهار ليكون زمانا لابصارهم الا انه اسند الابصار الى النهار وجعل
حالا منه اصالة للازمة للمبالغة مثل صائم نهاره ضرورة ان الابصار لا يقوم بنفس النهار وانما يقوم باهله فلما قوبل النهار
مبصرا تعين ان المراد ابصار اهله فيه وانما اسند الى نفس النهار للمبالغة في كونه ظرفا لابصار اهله ويوم ينفخ منصوب
باذكر مقدرا او قيل ناصبه متأخر عنه وهو قوله من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار
قوله في الصور او القرن يعني يحتمل ان يكون الصور جمع صورة كالصوف جمع صوفة وصور وصور كما يقال سورة وسور
وسور فيكون النفخ في الصور عبارة عن نفخ الارواح في صور الخلائق واجسادهم ويحتمل ان يكون الصور عبارة
عن شيء يشبه القرن وان اسرافيل عليه السلام ينفخ فيه باذن الله تعالى فاذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في الشدة بحيث
لا تحتمله طبائعهم يفزعون عنده ويصعقون ويموتون والى هذا القول ذهب اكثر المفسرين ويدل عليه قوله عليه الصلوة
والسلام كيف انعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ وروي عن رسول الله عليه الصلوة والسلام
انه سئل عن الصور فقال هو القرن وان عظم دارة فيه مثل ما بين السماء والارض فينفخ نفخة فيفزع الخلق ثم ينفخ
نفخة اخرى فيصعق اهل السموات والارض واذا كان وقت النفخة الثالثة جمعت الارواح كلها في الصور ثم ينفخ الاخرى فتخرج
الارواح كلها منه كالنحل والزنابير وتأتي كل روح الى جسده وتمسك به من قال النفخ ثلثة احدها للفزع وهو قوله تعالى
ففزع من في السموات ومن في الارض ونفخة اخرى للموت وهو قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض ونفخة ثالثة للبعث
وهو قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال بعضهم انما هي نفختان والفزع والصعق كناية عن
الهلاك والنفخة الثانية للبعث قال ابن عباس ومقاتل في قوله تعالى ففزع من في السموات والارض اي ماتوا لشدة
الخوف ونظيره قوله تعالى فصعق من في السموات والارض اي بلغ منهم الفزع الى ان يموتوا ويحتمل ان لا يكون هناك قرن فضلا
عن ان ينفخ فيه حقيقة ويكون ذكر النفخ فيه استعارة للمسارعة الموتى الى الانبعاث من قبورهم عند سماع صوت الداعي تشبيها
لانبعاثهم بمجرد سماع صوت الداعي لانبعاث الجيش عند سماع صوت الآلة من غير توقف وتخلف احد منهم **قوله**
وقيل الشهداء قال ابن عباس هم الشهداء لا يموتون فهم احياء عند ربهم يرزقون وروي انه عليه الصلوة والسلام
قال ما اعطي آدمي من بعد النبوة افضل من الشهادة لا يسمع الشهداء الفزع يوم القيمة **قوله** حاضرون الموقف
اختار قراءة من قرأ آتوه على لفظ اسم الفاعل المضاف الى مفعوله فان حمزة وحفص قرأ اتوه فعلا ماضيا في محل
النصب على المفعولية والباقون آتوه اسم فاعل مضاف الى الهاء **قوله** ثابتة في مكانها يقال جمد في مكانه اذا لم يبرح
وقوله تحسبها جامدة جملة حالية من فاعل ترى او من مفعوله لان الرؤية بصرية وقوله وهي تمر جملة حالية من مفعول
تحسبها والمعنى انك اذا رأيت الجبال وقت النفخة الاولى تحسبها ثابتة في مكان واحد لعظمها لان النظر لا يحيط بها وهي
في الحقيقة تسير سيرا سريعا كالسحاب اذا ضربتها الريح فان الاجسام الكبار اذا تحرك حركة سريعة على نهج واحد في السمت
والكيفية يظن من نظر اليها انها واقفة الا ترى ان السماء لا تحس حركتها قال الله تعالى يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي اي

ان يقلعها من اماكنها ويسيرها كما تسير السحاب بالريح حتى تقع على الارض **قوله** مصدر مؤكد لنفسه يعني ان قوله صنع الله
مفعول مطلق وجب حذف عامله لكونه تأكيدا لمضمون الجملة المتقدمة التي لا يحتمل الا غيره فان قوله وهي تمر مر السحاب
بل جميع ما تقدم من نفخ الصور المؤدي الى الفزع العام وحضور الكل الموقف وما فعل بالجبال انما هو من صنع الله تعالى لا يحتمل
لغيره فلما كان هذا المصدر تأكيدا لمضمون تلك الجملة ولم يكن لها محتمل غيره صار كانه مؤكد لنفسه فسمي لذلك تأكيدا لنفسه ووجب
حذف ناصبه لكون الجملة المتقدمة كالنائب عنه والاصل صنع ذلك صنعا فلما حذف العامل اضيف المصدر الى
فاعله لانه لم يذكر في الجملة المتقدمة وهذا التقدير يقتضي انه تعالى هو مضمون الجملة المتقدمة بدون اللام الجارة والمعنى
وذلك المؤكد بهذا المصدر هو مضمون الجملة كما وجد في بعض النسخ الا ان الموجود في اكثر النسخ وهو لمضمون الجملة باللام
فالمعنى على هذا انه مصدر مؤكد لنفسه الذي هو الحدث المدلول عليه بلفظ عامله المحذوف وهذا المؤكد مع مؤكده المحذوف
مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة **قوله** وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها فيكون خير صفة بمعنى شيء فاضل مرغوب فيه وكلمة
من متعلقة بمقدر وهو مع متعلقها المقدر في محل الرفع صفة لخير وعلى الاول يكون خير اسم تفضيل بمعنى الافضل ومن متعلقة
به ولم يرتض المص بهذا التوجيه لان المتبادر من لفظ الخير كونه للتفضيل وكون كلمة من الواقعة بعده صلة له لا للتعليل
ومن ذهب الى هذا التوجيه انما ذهب اليه دفعا لان يقال من ان الحسنة التي جاء بها العبد يتناول معرفة الله تعالى و
الاخلاص في الطاعة والثواب الذي هو الجنة انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله
ولما حمل معنى الآية انه من جاء بالحسنة في الدنيا فله في الاخرة ثواب وخير يناله من اجل ما جاء به من تلك الحسنات لم يرد ذلك
والمص اختار ان يحمل الآية على ما هو المتبادر منها وجعل ثواب الاخرة خيرا من الحسنات التي جاء بها العبد في الدنيا لان اجل
حسناته هي معرفة الله تعالى واخلاص العمل له ولا شك ان المعرفة الضرورية الحاصلة في الاخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم
اجل واشرف من المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا وان ما جاء به من الاعمال الطالحة فانية مشوبة بانواع التنغيص و
بانواع المشقة ومخالفة الهوى وافعال اهل الجنة سالمة من اللغو والتأثيم صافية عن كدر المشقة والتكليف وشكرهم
حال استغراقهم فيما يشتهون من اللذائذ مشاهدة جمال من انعم بها ومحادثة عظم شانه وعلو كبريائه والانس بتقديسه
وتمجيده طبعا والتذاذا لا قسرا وتكليفا وليس حالهم كحال المتنعمين في الدنيا من الاشتغال بالنعمة عن المنعم فاي
مناسبة بين احوالهم في الجنة واحوالهم في الدنيا **قوله** يعني به خوف عذاب يوم القيمة اشارة الى دفع التدافع بين
قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض وبين قوله وهم من فزع يومئذ آمنون فان من قرأ من فزع يومئذ بالاضافة
يحمل الفزع على الفزع المخصوص بذلك اليوم وهو فزع العذاب الاليم والعقاب الدائم واهل الجنة آمنون منه واما ما يلحق
الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال العظام على ما عليه الجبلة البشرية فانه يعم الكافر والمؤمن وتنوين
يومئذ عوض عن المضاف اليه فان اذ تضاف الى الجملة وقد حذفت ههنا وعوض عنها التنوين واشار المص
بقوله يعني به خوف عذاب يوم القيمة الا انه اختار قراءة من قرأ باضافة فزع الى يوم وان الجملة التي اضيف اليها اذ
في الاصل هي قامت القيمة والاصل يوم اذ قامت القيمة وهو احسن من ان يجعل التقدير يوم اذ جاء بالحسنة

او يوم اذ ترد الجبال او يوم اذ ينفخ في الصور **قوله** وقرأ الكوفيون بالتنوين للافراد والتعظيم وقرأ الآخرون بالاضافة
وعلى قراءة التنوين يكون يومئذ منصوبا بالمصدر لكونه مؤولا بان مع الفعل تقديره وهم آمنون من ان يفزعوا يومئذ او بآمنون
اي آمنون يومئذ وعلى الاضافة يكون يومئذ مبنيا على الفتح لكونه مضافا الى اذ وهو غير متمكن **قوله** وامن يتعدى بالجار
كما في هذه الآية فان من فزع صلة آمنون **قوله** فكبوا فيها لان ما يكبح يلقى في النار ليس وجوههم وحدها الا انه
اسند الكب اليها ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين ووجه الايذان انه انما اكتفى بذكر الوجوه من المعلوم
انه لا يمكن الالقاء الوجه في النار مع كون ما وراءها خارجا عنها علم ان الوجوه اصل في ذلك وانها اول ما يلابس
النار وان ما وراءها تابع لها **قوله** وقرئ التي حرمها صفة للبلدة وقرأ الجمهور الذي صفة للرب عز وجل و
الكلام مسوق لتعظيم الرب لا لتوصيف البلدة فلذلك كانت قراءة العامة واضحة والمعنى جعلها الله تعالى حرما
آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها والالتجاء اليها آمن اخلى بالقصر النبات
ما دام رطبا فاذا يبس فهو حشيش ومعنى لا يعضد لا يقطع **قوله** وان واظب على تلاوته على ان يكون اتلو من التلاوة
وهي القراءة ثم جوز كونه من التلو وهو الاتباع للاوامر ونواهيه كما قال واتبع ما يوحى اليك **قوله** وقرئ واتل
عليهم هذا القرآن امر له عليه الصلوة والسلام بتلاوته على اهل مكة وهو معطوف على الامر المقدر قبل قوله انما
امرت فان تقديره قل للمشركين امرت ان اخص الله تعالى وحده بالعبادة وقد اشار اليه المص بقوله امر الرسول
عليه الصلوة والسلام بان يقول لهم ذلك وان قرئ وان اتل يكون على حكاية لفظ الامر وان يجوز ان يكون مصدرية
موصولة بالامر وان يكون مفسرة كما في قال امرت ان قد تم ما يتعلق بسورة النمل والحمد لله وحده والصلوة على رسوله **سورة**
القصص مكية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** نتلو نقرأ بقراءة جبريل فيكون اسناد
التلاوة من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر اسنادا مجازيا والمعنى نتلو عليك جبرائيل بامرنا بعض قصتهما وعلى الثاني
يكون المجاز في المفرد ويكون نتلو استعارة تبعية حيث شبه التنزيل بالتلاوة من حيث كون كل واحد منهما من قبيل
التبليغ فاستعير اسم التلاوة للتنزيل استعارة اصلية ثم اشتق منه نتلو **قوله** محتص اشارة الى ان قوله بالحق في
موضع الحال من فاعل نتلو كقوله تعالى تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وقوله لقوم متعلق بقوله نتلو اي نتلو لاجلهم
قوله استئناف مبين لذلك البعض الذي اجمل بقوله من نبأ موسى وفرعون كان قائلا قال كيف نبأهما فقيل ان
فرعون علا في الارض **قوله** وذلك كان من غاية حمقه قال الزجاج والعجب من حمق فرعون ان هذا الكاهن ان كان عنده
صادقا فما ينفع القتل وان كان كاذبا فما معنى القتل **قوله** او حال من يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريدان
نمن عليهم اي ننعم عليهم بخلاصهم منه وقد رحسن لتكون جملة اسمية حتى يصح دخول الواو فان المضارع المثبت اذا وقع
حالا لا تدخل الواو وكما جوز كونه حالا اورد ان يقال جعله حالا يستلزم اجتماع المتنافيين وهما استضعاف فرعون
اياهم وارادة الله تعالى المنة عليهم لانه تعالى اذا اراد شيئا كان ولم يتوقف الى وقت آخر فيلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف
مقارنة المراد له وهي اجتماع المتنافيين واجاب المص بمنع استلزام مقارنتها له اجتماع المتنافيين لان ارادته تعالى
ازلية

ازلية مستمرة فيكون مقارنة للاستضعاف اياهم ويكون المراد حادثا عند تعلق الارادة به والاستحالة في ان يريد الله تعالى حال
استضعافه اياهم ان يمن عليهم بالخلاص بعد وقت قدره وقضاه وانما الاستحالة في ان يتعلق ارادته بخلاصهم حال الاستضعاف
ودلك غير لازم من جعله حالا وهذا الجواب لا يتاتى على مذهب المعتزلة فانهم قالوا الارادة الله تعالى حادثة لا في محل قائمة بذاتها
لا بذاته تعالى فيلزم من كون قوله ونريد ان نمن حالا من فاعل يستضعف ان يقارن الارادة للاستضعاف ومقارنتها تستلزم
مقارنة المراد له على مذهب المعتزلة وهي اجتماع المتنافيين والجواب على مذهبهم ما اشار اليه بقوله مع ان منة الله تعالى
بخلاصهم الخ وخلاصه ان الله تعالى لما اراد ان يمن على بني اسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك
المنة قريبة الوقوع جعلت كانها واقعة مقارنة لاستضعافهم **قوله** ويرى فرعون وهامان بقراءة حمزة والكسائي
ويرى بفتح الياء والراء مضارع رأى مسند الى فرعون وما عطف عليه فلذلك قرأ الاسماء الثلثة بالرفع
وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء وفتح الياء بعدها مضارع ارى فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا
اول وما كانوا يحذرون المفعولين ومنهم متعلق بفعل الرؤية او الارادة لا بيحذرون لان ما بعد الموصول
لا يعمل فيما قبله **قوله تعالى** واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا فذهب عامة المفسرين الى ان الوحي الهام لم
يكن بارسال رسول اليها من الملائكة واختار الرازي بوساطتهم لانه لو كان وحي ارسال لكانت رسولا وذلك لا يجوز لما
قيل وما كانت نبيا قط انثى ولا عبد وشخص ذو افتعال فان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان الذكورة شرط
للرسالة لقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم وفيه بحث لانه وان جاز ان تلهم هي ارضاعه والقاءه
في اليم الا انه كيف يجوز ان يلهم ويقذف في قلبها ما ذكر في الآية بقوله ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه
من المرسلين فانه لا سبيل الى معرفة ذلك وعلمه الا بطريق المشافهة والقول الصريح من احد ويجوز ان يوحى ذلك اليها بارسال
رسول يخبرها بذلك مشافهة ولا يستلزم ذلك كونها رسولا كما ذكر في قصة مريم من ان جبريل ارسل اليها وقال لها انما انا رسول
ربك لاهب لك غلاما زكيا فقد اوحي اليها بارسال الملك ولم تصر بذلك رسولا فلم لا يجوز ان يكون الوحي الى ام موسى
بنت لاوى بن يعقوب عليهما الصلوة والسلام **قوله تعالى** ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة اشارة الى الفرق بين الخوف
والحزن وان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع لم يقع بعد وهو بصدده والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه فنهيت
عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويسكن قلبها وهو قوله تعالى انا رادوه اليك لتكوني انت
المرضعة وجاعلوه من المرسلين الى اهل مصر والشام **قوله** فلبس يديع منهم ان قتلوا الوفا روي انه ذبح في طلب
موسى تسعون الف وليد سعوا في دفع قضاء الله تعالى بالاطائل تحته ثم اخطأوا بالتقاطه بسبب هلاكهم
وربوه بايديهم وتبنوه وليس في ذلك الا لان ما قدره الله تعالى كائن لا محالة وان الحذر لا يغني من القدر **قوله** والجملة
اعتراض يعني ان قوله تعالى ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين جملة معترضة وقعت بين المعطوف
والمعطوف عليه فان قوله وقالت امرأة فرعون معطوف على قوله فالتقطه آل فرعون فقوله خاطئين ان
كان ماخوذا من الخطأ ضد الصواب يكون الاعتراض لتاكيد خطائهم في التقاطه فان معنى فالتقطه آل فرعون

لكون لهم عدوا او خاطئين او التقطوا اعتدوهم فاكد هذا المعنى بالمعترضة وان كان مأخوذا من الخطأ بمعنى الذنب
لكون الاعتراض لبيان الموجب لما ابتلوا به كانه قيل انهم كانوا خاطئين آثمين بالكفر والمعاصي فعوقبوا على ذلك بما
جرى عليهم بسببه **قوله** هو قرة عين لي يريد ان قرة عين خبر مبتدأ محذوف وقوله لي ولك صفتان لقرة روي انه لما
رأته غواة قوم فرعون قالوا انه هو الذي يحذر منه فأذن لنا في قتله فهم فرعون بذلك فقالت آسية امرأة فرعون
قرة عين لي ولك لا تقتلوه فان الله اتانا به من ارض اخرى وليس من بني اسرائيل ثم قالت عسى ان ينفعنا
فلما قالت ذلك قال فرعون عسى ان ينفعك اما انا فلا اريد نفعه قال وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما لو ان عدو الله
قال في موسى كما قالت امرأته آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله تعالى به ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله تعالى عليه
ومعناه انه لو لم يكن مطبوعا على قلبه لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت قال المفسرون كانت آسية لا تلد فاستوهبت
موسى من فرعون فوهبه لها وقال لآسية سميه قالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر فمو هو الماء وسا هو الشجر قال
الامام كانت لفرعون بنت لم يكن له ولد غيرها وكان لها كل يوم ثلث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد شاور
الاطباء والسحرة في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر يؤخذ منه شبه الانس فيؤخذ من ريقه فتلطخ به برصها فتبرأ
من ذلك في يوم كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في مجلس كان له على شفير النيل ومعه
آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها حتى جلست على الشاطئ اذ اقبل النيل بتابوت تضربه الامواج
وتعلق بشجرة فقال فرعون ائتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم
يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته
فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه فالقى الله تعالى محبته في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت
برصها فبرأت وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن ان هذا هو الذي نحذر منه رمي في البحر فرقا اي خوفا
من ذبحه فهم فرعون بقتله فاستوهبته امرأة فرعون وابنته فترك قتله **قوله** او من احد ضميري نتخذه فيكون الجملة
من كلام امرأة فرعون وعلى تقدير كونها حالا من آل فرعون او من القائلة والمقول له يكون من كلام الباري تعالى **قوله**
صفرا من العقل حتى ذهل عن الوحي الذي اوحي اليها ان القيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وانه جاءها
الشيطان وقال لها كرهت ان يقتل فرعون ولدك فيكون لك اجر فتوليت انت اهلاكه فالقيته في البحر فاوقعته البحر بيد
عدوه **قوله** او من الهم عطف على قوله من العقل والفرغ بكسر الفاء وسكون الراء والغين المعجمة الهدر **قوله** انها كادت
لتظهر يريد ان ان هي المخففة واللام فارقة والباء في به مزيدة في المفعول اي لتظهره وتقول انه ابنها او تقول وا ابناها
قوله تعالى لولا ان ربطنا جوابه محذوف اي لابدت كقوله تعالى وهم بها لولا ان رأى برهان ربه **قوله** من فرط الضجرة يصح
على كون فارغا بمعنى صفرا من العقل **قوله** والفرح مبني على كون قوله فارغا بمعنى صفرا من الهم فكما ان فرط الضجرة يصح
كونه مؤديا اياها الى اظهار امر موسى فكذا الفرح بما سمعته من ان فرعون احبه واكرمه وتبناه يصح كونه مؤديا اليه
ايضا سيما وقد انضم اليه الاعتماد على تكفل الله تعالى بمصلحته فان قيل كيف كان فؤادها فارغا من الهم والحزن والله تعالى
يقول

يقول لولا ان ربطنا على قلبها وهل يربط الا على قلب الجازع المحزون قلت الحصر ممنوع فانه تعالى كما يربط على قلب الجازع
المحزون يربط على قلب الواثق بوعد الله تعالى وضمانه ومعنى الربط على القلب الهام الصبر وتقويته كما يربط على الشيء
المنفلت ليقر ويطمئن وقوله لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اي ربطنا على قلبها لتكون من المصدقين بوعد الله تعالى
وهو قوله انا رادوه اليك **قوله** او من الواثقين بحفظه لا تبني فرعون مرتبط بقوله او الفرح بتبنيه **قوله** فبصرت به
اي ابصرته فان بصر به وابصره بمعنى واحد **قوله** ومعناه ان يرتضع لما كان التحريم الحقيقي لكونه عبارة عن النهي و
اقتضاء ترك الفعل غير متصور هاهنا لكونه فرع التكليف جعل التحريم مستعارا للمنع من الارتضاع بان شبه المنع بالتحريم لكمال
بينهما في التأدية الى الامتناع فاطلق عليه اسم التحريم واشتق منه حرمنا فانه تعالى منعه ان يرتضع ثدي مرضع قطعا اما
بان احدث في طبعه عليه الصلوة والسلام النفرة عن لبن ساير النساء فلذلك لم يرتضع او احدث في لبنهن من الطعم ما ينفر
عنه طبعه او وضع في لبن امه لذة فلما تعودها لا جرم كان يكره لبن غيرها فانه روي ان امه قد ارضعته ثلثة اشهر حتى عرف
ريحها فلا يبعد ان لا يقبل لبن غيرها لذلك والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني
الثدي او مصدر بمعنى الرضاع **قوله** يكفلونه لكم اي يضمنون رضاعه والقيام بمصالحه لاجلكم والنصح اخلاص العمل
عن شائبة الفساد وقوله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون اي قالت لا اعرف الغلام وانما قلت ذلك ليزول اضطراب
الملك ويسكن قلبه فتخلصت بنفسها بهذه الكلمة عن التهمة واحسنت وليس ببدع لانها من بيت النبوة واخت نبي
لابيه وامه تحقق لها مثال ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لما قالت اخته هل ادلكم على اهل بيت قالوا لها من هي
قالت امي قالوا ولامك لبن قالت نعم لبن هرون اخي وكان هرون ولد في سنة لا يقتل فيها الولدان فقالوا صدقت
والله **قوله** واجرى عليها في كل يوم دينارا فدفعه اليها واجرى عليها واخذته لانها مال حربي لا انها اجرة حقيقة على
ارضاعها ولدها فذهبت به الى بيتها قيل لما دفعه اليها لم يبق من آل فرعون احد الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجواهر
قوله علم المشاهدة اي علما بمشاهدة الموعود فانها كانت عالمة قبل ذلك بطريق الوحي ان ما وعده
الله تعالى اياها من انه يرده اليها حق لكن ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الكشاف حمل الوعد على الوعد بجعله من المرسلين
حيث قال ان الله تعالى وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها انه سيكون نبيا فانه تعالى وعد اتم موسى اربعين
رد موسى اليها وجعله من المرسلين فحين حقق الامر الاول استقر في علمها انه تعالى يحقق الثاني ايضا **قوله** واستوى
الاصح عطف على قوله علم المشاهدة يعني ان المراد من العلم اما العلم الحاصل بالمشاهدة او اصل العلم **قوله**
ولا يرد عليه نبوة اي شابه والناشي الحدث الذي جاوز الصغر يقال نشأت في بني فلان نشأ اذا شببت فيهم **قوله**
او علم الحكماء عطف على قوله نبوة يعني ان قوله حكما وعلما يحتمل ان يراد به النبوة وما يوقف بها من العلوم والاخلاق ويحتمل
ان يراد به علم الحكماء واخلاقهم فعلم موسى عليه الصلوة والسلام وحكم قبل ان يبعث نبيا ويدل عليه قوله تعالى وكذلك
نجزي المحسنين لانه تعالى جعل ايتاء الحكم والعلم مجازاة على احسانه والنبوة لا تكون جزاء على العمل وعلى تقدير ان
يراد به النبوة ليس في الآية دليل على ان هذه النبوة كانت قبل قتله او بعده لان الواو في قوله ودخل المدينة لا يفيد

الزنيب وقد امر انه قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم بقي
بعد الغرق خمسين سنة **قوله** وقيل منف اسم مدينة من ارض مصر ومنف كماه وجوز فيه وجوب منع الصرف لاجتماع التانيث والعلمية
والعجمة يعني انه اختلف في المدينة فقيل هي مصر وقيل منف وقيل قرية تدعى حابين على راس فرسخين من مصر وقيل عين شمس قوله
على حين غفلة في موضع الحال من فاعل دخل اي دخل كائنا على حين غفلة اي مستخفيا متجنبا للتجاوز من المدينة اي دخلها حال
غرة اهلها واشتغالهم بعيد لهم وقيل بين المغرب والعشاء وقيل وقت الظهيرة عند المقيل وليس في طرقها احد لاشتغال اهلها
بالقيلولة ومن اهلها صفة لغفلة اي غفلة صادرة من اهلها واختلف في السبب الذي لاجله دخل موسى على حين غفلة من اهلها قيل
انه كان يسمى ابن فرعون وكان يركب ويسير معه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب
فركب في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد فذلك على حين غفلة من اهلها وقيل ان موسى لما
بلغ اشده وآتاه الله الحكم والعلم وعلم ان فرعون وقومه على الباطل خالفهم في دينهم وفارقهم وطلع بشيعته له من بني
اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف وذكر ذلك منه اخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا
فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها وقيل ليس المراد من قوله على حين غفلة من اهلها حصول الغفلة في تلك الساعة بل
المراد الغفلة من ذكر موسى وامره وذلك لان موسى حين كان صغيرا ضرب راس فرعون بالعصا ونتف لحيته فاراد فرعون قتله
فقالت امرأته هو صغير لا يدري فجربه بجمرة فاخذها فطرحها في فيه فحصلت عقدة في لسانه فقال لا اقتله ولكن اخرجوه من
الدار والبلد فاخرج ولم يدخل عليهم حتى كبر والقوم نسوا ذكره فدخل على حين غفلة من اهلها ولا يخفى ان ترجيح بعض
الروايات على بعض اذ ليس في القرآن ما يدل على شيء منها **قوله** والاشارة على الحكاية يعني ان الاشارة انما يكون للحاضر وهما
غائبان لكن اشير اليهما على الحكاية اي رجلين مقولا فيهما هذا من شيعته وهذا من عدوه كقوله جاؤوا بمذق هل رايت الذئب
قط اي بمذق مقول فيه هذا القول **قوله** ولذلك اي ولكونه متضمنا معنى الاعانة والنصرة عدي بعلى **قوله** وفيه فلكزه الوكز
واللكز كلاهما بمعنى واحد وهو الضرب بجمع الكف على الصدر وقيل الوكز في الصدر واللكز في الظهر وجمع الكف بالضم الكف المقبوضة
الاصابع وكان عليه الصلوة والسلام شديد البطش فلذلك لم يتحمل القبطي بوكزه ومات وقيل الاسرائيلي الذي اعانه موسى هو السامري
والقبطي طباخ فرعون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب الى مطبخ فرعون **قوله** فقتله بيان لحاصل المعنى فان قضيا الشيء
اتمامه والفراغ منه وكل شيء اتممته وفرغت منه فقد قضيت عليه فندم موسى على القتل الصادر منه وان لم يكن قصده القتل فدفنه
في الرمل فقال مشيرا اليه هذا من عمل الشيطان من حيث انه هيج غضبه وحمله على الوكز بسبب الوكز والقتل الى الشيطان من حيث كونه سببا له
قوله وسماه ظلما جواب عما يقال قوله يكاد وهو انه عدو يدل على ان القبطي كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا فلم جعل
من عمل الشيطان وظلم به نفسه واستغفر منه ومحصل الجواب انه فعله قبل ان يؤذن له في قتل الكافر فكان زلة يستغفر منها التنزه
على عادتهم وان كانت محقرة صدرت شططا **قوله** اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة فقدر متعلق الباء وجعل ما مصدرية وجعل انعامه تعالى
عليه بالمغفرة مقسما به والا ادري كيف علم ان الله تعالى قد غفر له وقد كان هذا قبل ان اوحي اليه وعين ان الجواب المقدر هو قوله لاتوبن الى
الله او لارجعن عما فرط مني من الزلة وجعل قوله فلن اكون معطوفا على الجواب المقدر فيكون الجملة الخبرية التي اكدت بالجملة القسمية هي مجموع

هي مجموع المعطوف عليه المقدر وما عطف عليه **قوله** او استعطاف عطف على قوله قسم جعل الانعطاف قسيما للقسم
مع ان النحاة صرحوا بان القسم على قسمين قسم للاستعطاف وقسم لغير الاستعطاف وقالوا القسم جملة انشائية يؤكد بها جملة
اخرى فان كانت الاخرى خبرية فالقسم لغير الاستعطاف وان كانت طلبية فهو للاستعطاف ولم يجعله المصنف والزمخشري قسما لان
القائل اذا قال بالله لا افعلن كذا انعقد اليمين على القائل واما لو قال بالله افعل كذا لا ينعقد اليمين لا على المتكلم ولا على المخاطب
فلذلك لم يجعلاه من القسم ولم يجعله قسما من القسم عند النظار لان صورته صورة القسم من انه يؤكد الطلب على المستعطف
وليس بقسم على الحقيقة لان شرطه ان يؤكد به جملة خبرية موجبة او منفية ومن امثلة قسم الاستعطاف قول ابرهيم بن هرمة
بالله ربك ان دخلت فقل له هذا ابن هرمة واقفا بالباب وعلى تقدير كون قوله بما انعمت على استعطاف مؤكدا لجملة طلبية
مقدرة وهي اعصمني يكون قوله فلن اكون جوابا للامر المقدر مسببا عنه **قوله** وعن ابن عباس ومن استثن تائيدا لكون
قوله بما انعمت قسما للاستعطاف لان الابتلاء انما يكون بالزلة لا بعدم كونه مجاب الدعوة وقوله فابتلي به مرة اخرى في اليوم
الثاني قال الامام وهذا ضعيف لانه في اليوم الثاني لم يبتل باعانة المجرم بل ترك الاعانة وانما خاف منه ذلك العدو فقال ان
تريد الا ان تكون جبارا الا انه وقع منه ذلك **قوله** وقيل معناه بما انعمت علي من القوة الخ فعلى هذا القول لا تكون الباء
للقسم ولا للاستعطاف بل يكون للسببية اي بسبب ما انعمت علي من القوة اشكر فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك بل على
اعدائك لا ادع احدا من اعدائك يغلب احدا من اوليائك ثم ان موسى عليه الصلوة والسلام لما قتل ذلك القبطي بالوكز اصبح
ان صار خائفا على نفسه من ان يظهر انه هو القاتل ويستقاد اي يطلب ان يقتل قودا او تعريف المدينة للعهد والمعهود المدينة
التي قتل فيها القبطي وخائفا خبر اصبح في المدينة متعلق به ويترقب بدل من خائفا او خبر ثان ومفعول يترقب محذوف
اي يترقب وينتظر المكروه روي انه اتي الدم جاء فرعون وقال له قد قتل منا بنو اسرائيل قتيلا فخذ حقنا منهم فقال
له اما علمت انا لا نقضي الا بالبينة فبينما هم يطوفون في طلب البينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل
فرعونيا اخر فاستغاثه على الفرعوني فغضب عليه موسى فقال انك لغوي مبين اي بين الغواية والضلالة على ان
الغوي فعيل بمعنى الغاوي وقيل انه بمعنى المغوي والمعنى انك وقعت بالامس فيما وقعت فيه بسببك فالآن تريد ان توقعني في
ورطة اخرى فلما اراد ان يبطش بالقبطي الذي هو عدو لموسى وللاسرائيلي ووثب عليه ليمنعه من اضطهاد الاسرائيلي فتوهم ظن
الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به بناء على انه خاطبه بقوله انك لغوي مبين ورأى غضبه عليه فقال له يا موسى اتريد ان تقتلني كما
قتلت نفسا بالامس فصار هذا القول منه سببا لظهور ان القتل الواقع امس صدر من موسى حيث لم يطلع على ذلك الا ذلك
الاسرائيلي فلما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني امس فانطلق الى فرعون واخبره بذلك فامر فرعون
بقتل موسى عليه الصلوة والسلام **قوله** او القبطي عطف على الاسرائيلي يعني يجوز ان يكون قائل يا موسى اتريد ان تقتلني الخ القبطي
وكان قد عرف القصة من الاسرائيلي وتوهم من قول موسى له انك لغوي مبين انه الذي قتل القبطي بالامس لاجله قال الامام هذا
هو الظاهر لقوله فلما اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى فان الظاهر ان ضمير قال هو عدو لهما وايضا قوله ان تريد الا
ان تكون جبارا في الارض لا يليق الا بالقبطي الجافي والجبار هو الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل ظلما لا ينظر في العاقبة

وقيل هو المنعظم الذي لا يتواضع الا من احد **قوله** اذا جعل من اقصى المدينة صفة لرجل ينبغي ان يسبق مع كونه موخرا عن النكرة انما يكون حالا
عنها اذا تخصصت بالصفة فان ذا الحال اذا كان نكرة وجب تقديم الحال عليه كما في قوله لعزة موحشا طلل قديم **قوله**
اللام للبيان كانه قيل لمن تنصح فقال لك كما في هيت لك وسقيا لك **قوله** لان معمول الصلة فان اللام في الناصحين موصولة وما في
حيز الصلة لا يتقدم على الموصول **قوله** قرية شعيب وهو شعيب بن نويب بن مدين ابن ابرهيم وسميت تلك البلدة مدين باسم
جد اهلها مدين بن ابرهيم وكان لابرهيم ربعة بنين اسمعيل واسحق ومدين ومداين واليهما نسبت البلدتان
مدين ومداين **قوله** جماعة كثيرة مختلفين الامة جماعة يجمعهم امر ما اما دين واحد او زمان او مكان واحد سواء كان ذكر
الامر الجامع حاصلا لهم اختيارا او تسخيرا واخذ اختلاف الناس من لام التعريف لانه ليس للاستغراق وهو ظاهر ولا للجنس لان قوله
يسقون ينفي عنه بيان ان المراد بالامة جنس الناس فتثبت انه للعهد والمعهود عرفا ان يكون الجماعة المجتمعة للاستقاء اناسا مختلفين
وقوله من دونهم يقول في مكان اسفل من مكانهم ويجوز ان يغني سوى تلك الامة والمراد بالامراتين ابنتا شعيب عليه الصلوة
والسلام قيل كبرا هما اسمها صفرا والاخرى صفيرا والرعاء جمع راع كتيام جمع قائم قيل الرعاء هم الذين يرعون المواشي
والرعاة هم الذين يرعون الناس وهم الولاة **قوله** دونه اي دون المفعول وبيانه **قوله** وقرا ابو عمرو وابن عامر
يصدر بفتح الياء وضم الدال اي يرجع يقال صدر يصدر اذا رجع من الماء وهو لازم والمعنى حتى ينصرف الرعاة وقرا الباقون بضم
الياء وكسر الدال من الاصدار وهو متعد والمعنى حتى يردوا ويصرفوا مواشيهم والرعاء بكسر الراء جمع راع كتجار وهو الاسم
من ولد الضان والرخال بضم الراء اسم **قوله** مع ما كان له من الوصب في كبد لانه قد خرج عليه الصلوة والسلام من غير زاد ولا حذاء
ولا ظهر ولم يطعم في الطريق الا ورق الشجر وسقط جلد قدميه في الطريق وكانت خضرة البقل تتراءى في بطنه من الهزال
ورقة البدن وجلده قيل لما سقت الرعاة مواشيهم وضعوا الصخرة على البئر كما هو عادتهم في كل سقية وكانت عادة
ابنتي شعيب ان تسقيا من فضل مواشيهم انتهى موسى الى البئر وقد اطبقت عليها الصخرة الموصوفة فاقتلعها بنفسه ثم سقى لهما
غنمهما وفي رواية الكلبي انه كان البئر دلو يجتمع عليه اربعون رجلا حتى يخرجوه من البئر فاتى موسى اهل الماء فسالهم ان يعطوه الدلو
منهما فقالوا ان شئت اعطيناك الدلو على ان تستقي انت فقال نعم فاخذ موسى الدلو فاستقى بها وحده فصب في الحوض ودعا فيه
بالبركة فسقيا غنمهما فروي منه جميع الغنم وقيل انه عليه الصلوة والسلام لما سقى لهما رجعتا فاقتلع صخرة من البئر اخرى
كانت بقربها لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل في وجه الجمع بين قوله وجد عليه امة من الناس يسقون وبين كون
موسى هو الذي رفع الحجر وحده عن رأس البئر ان معنى قوله يسقون يريدون ان يسقوا الا انهم منتظرون لحضور الرعاة جميعا
ليتعاونوا على رفع الحجر فرفعه موسى وسقى لهما قبل اجتماع الرعاة وسقيهم وهو الاظهر **قوله** لاي شيء انزلت الي من خير صبر ما
موصوفة بقوله انزلت الي من خير ولما كان الوصف بالعام يفيد عموم الموصوف قال لاي شيء انزلت الي اي والا فالظاهر ان يقال انه
الي وفي الوجه الثاني جعل ما موصولة لان ما انزلت في الوجه الاول عبارة عن شيء غير معلوم لانه مطلوب شيء من جنس الخير اي شيء كان
بخلاف الثاني لان ما انزلت في ذلك الوجه عبارة عن خير الدين وتنكير خير في الوجه الاول للتعميم **قوله** ولذلك عدي باللام اي فقير
ضمن معنى سائل وطالب عدي باللام فان قوله لما انزلت متعلق بفقير وكان الاصل فيه ان يعدى بالي وقيل ليست اللام متعلقة

بفقير

بفقير حتى يحتاج الى اعتبار التضمين لان المعنى اني وان صرت فقيرا في الدنيا الان ذكر الفقر انما اصابني لما انزلت الي من الخير
العظيم المتعلق بالدين وهو الخلاص من صحبة الظالمين وقوله لانه كان في سعة عند فرعون بيان لكونه خرج من عندهم بسبب النبوة
من خير الدنيا وقال ذلك رضا بالبدل السني وفرحا به وشكرا له **قوله** متخفرة على لفظ اسم الفاعل من الخفر بالتحريك وهو شدة
الحياء تقول منه رجل خفر بالكسر وجارية خفرة ومتخفرة اي مستحيية اشد الحياء **قوله** وليعلم موسى الخ جواب عما يقال انه عليه الصلوة
والسلام سقى اغنامهما تقربا الى الله تعالى خالصا لوجهه فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه فان ذلك غير جائز في الشريعة
روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس قال ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذ
هبي فادعيه لي فلما اتته وبلغت اليه رسالة ابيها تبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفت جسدها لموسى لان
الريح كانت تجيء من خلفها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض بصره اخرى فنادى يا امة الله كوني خلفي وارني الطريق
بقولك وفي رواية لحجرة ترمين الى قدامي ان اخطأت الطريق فلما دخل على شعيب اذا هو بالعشاء مهيأ فقال له شعيب
اجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله فقال له شعيب ولم ذلك الست بجائع قال بلى ولكني اخاف ان يكون عوضا
لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الاخرة بملء الارض ذهبا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكن
عادتي وعادة ابائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى ياكل قال الضحاك لما دخل عليه قال له من انت يا عبد الله
قال انا موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع
والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه فقال له شعيب عليهما الصلوة والسلام لا تخف نجوت من القوم الظالمين
اي لا سلطان له بارضنا ولسنا في مملكته **قوله** فان قيل ان المفسرين قالوا ان فرعون يوم خرج على اثر موسى ركب
في الف الف وستمائة الف والمملكة التي بهذا الشان كيف يعقل ان لا يكون في مملكته قرية على بعد ثمانية ايام من دار مملكته ماجوا..
ان هذا وان كان نادر الكنه ليس بمحال والقصص مصدر يقال قص يقص قصا وقصصا سمي به المقصوص فقوله استاجره
اي اتخذه اجيرا ليرعى اغنامنا ثم قالت ان خير من استاجرته من هو قوي على العمل واد للامانة **قوله** للمبالغة فيه الخ بيان
لوجه العدول عن مقتضى الظاهر فان الظاهر ان يجعل القوي الامين اسم ان وخير من استاجرت خبرها وان يؤتى بلفظ
المضارع بدل استاجرت وعكس جميع ذلك وجعل خير من استاجرت اسما وهو نكرة والقوي الامين خبرا وهو معرفة
وعبر عن الاتي بلفظ الماضي للمبالغة في الدلالة على انه حقيق بالاستيجار وذلك لان ما هو اعني فهو بالتقديم اولى فان شدة
العناية والاهتمام لما كانت متعلقة بالخيرية قدمت وجعلت اسم ان ونظيره قول الشاعر الا ان خير الناس
حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل **قوله** تعليل شايع يعني ان المناسب للمقام ان موسى بخصوصه حقيق
بالاستيجار لقوته وامانته لكونها في صدد تعليل طلبها استيجار موسى بخصوصه فذكرت في تعليله ما يدل على ان مطلق
من وجد فيه القوة والامانة حقيق بالاستيجار ليستدل بهذه المقدمة الكلية المسلمة على مدعاها وهو استحقاق موسى
للاستيجار **قوله** على ان تاجر نفسك مني على ان يكون المفعول الثاني محذوفا فان تاجر نفسك يتعدى الى مفعولين اجرت دارى
ومملوكي غير ممدود واجرت ممدودا والكلام هنا بمعنى اكريتها والاول اكثر وقوله او تكون لي اجيرا من قولهم اجرته اذا كنت له اجيرا في

اى تصير اجيرى كما يقال ابوته اذا كنت له ابا وعلى التقدير بن يكون ثمانى حجج منصوبا على الظرفية وعلى ان تأجرني في محل النصب على الحال
من كاف انكحك وقوله او تثيبني على ان يكون تاجرني من اجرك يعني اثابك فان اصل الاجر الثواب والعوض وكما في قوله عليه الصلوة والسلام
بعوديان يقول اجركم الله والمفعول الثاني فيه محذوف اى اجركم الله الجنة او العوض الجميل فيكون على ان تاجرني ايضا
حالا وثماني حجج منصوبا به بتقدير رعية ثماني حجج لان العمل هو الذي تقع به الاثابة لا نفس الزمان **قوله** فاتمامه من عندك اشارة
الى ان قوله فمن عندك خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط والتزوج على رعي الغنم جائز بالاجماع لانه من باب
القيام بامور الزوجية فلا مناقضة بخلاف التزوج على الخدمة فانه لا يجوز عندنا لما فيه من الهوان والذل والزوج جعل
عليها بالنص المراد بالقوامية المالكية وكونه مستخدما لها فلو جاز امهار الخدمة لصارت مالكة مستخدمة ولصار
مملوكا خادما فعاد على موضوعه بالنقض **قوله** وهذا استدعاء العقد لا نفسه جواب عما يقال كيف يصح ان ينكح احدى
ابنتيه من غير تمييز ونكاح المبهم لا يصح لانه عقد موضوع لحل الاستمتاع والاستمتاع انما يرد على المعينة دون المبهمة وعلى تقدير
تسليم ان المنكوحة معينة فالمهر غير معين لكونه رعية احد المدتين وهي غير معلومة وايضا كيف يجوز الاجارة على رعية
احد الاجلين من غير تعيين مدة العمل وايضا كيف صح ان يمهر بالاجارة نفسه في رعية غنم ابيها مع ان الصداق يجب
ان يحصل للمنكوحة لا لابيها باتفاق العلماء وذلك لانه بدل بضع المراة فيجب ان يكون منفعة الرعي حاصلة لها لا لابيها واجاب
عن الاول بان قول شعيب ليس انشاء لعقد النكاح حتى يجب تعيين المنكوحة بل هو مواعدة مع موسى عليهما الصلوة والسلام
ذكر له انه يريد شيئين احدهما انكاح احدى ابنتيه اياه وثانيهما ان يكون موسى اجيرا لرعي الغنم ولا محذور في الابهام عند المواعدة
والظاهر ان العقد جرى على المعينة وعن الثاني بان قوله على ان تاجرني ثماني حجج ليس المقصود منه جعل عمله مهر الاهل
المقصود منه كونه اجيرا الى اجل معلوم على صورة من غير ان يكون منفعته مهرا لها ثم تزوجها اياه بمهر اخر فكان هناك عقدان
مختلفان عقد الاجارة بالاجرة المعلومة وعقد النكاح بالمهر المعين على تقدير ان يكون العمل مهرا لها فلا نسلم ان مدة
العمل غير معلومة بل هي متعينة وهي الاجل الاول غاية ما في الباب ان موسى وعد له ان يوفي له الاجل الاخر ان تيسر له قبل
العقد وعن الثالث ان الاغنام للمنكوحة لا لابيها ثم قال ويجوز ان يكون النكاح جائزا في تلك الشريعة بشرط ان يكون منفعة
العمل في المدة المعلومة لولي المراة كما يجوز في شريعتنا بشرط رعي غنمها في مدة معلومة **قوله** اى ذلك الذي عاهدتني فيه قائم
بيننا اشارة الى ان ذلك مبتدأ والاشارة به الى ما تعاهدا عليه والظرف الذي بعده خبره وان في ايما الاجلين منصوب
بقضيت وما زائدة مؤكدة لابهام اي وهي شرطية وجوابها فلا عدوان علي اى لا يعتدى علي في طلب الزيادة على ما اتممت
ووفيت ومن المعلوم انه لا يعتدى عليه بطلب الزيادة على اطول الاجلين لكن جمع بين اطول الاجلين واقصرهما ليعلم
ان الوفاء بالاقصر كالوفاء بالاطول في ان طلب الزيادة عليه ظلم وعدوان كما ان طلب الزيادة على الاطول كذلك **قوله**
او فلا اكون معتديا فعلى هذا يكون علي متعلقا بمحذوف واقع في محل خبر لا اى ثابت علي او واقع علي وكذا على الوجه الاول
هو متعلق بمحذوف واقع في محل خبر لا لكن المعنيان مختلفان من حيث ان المراد بالعدوان على الاول اعتداء الغير عليه بطلب
الزيادة وعلى الثاني اعتداؤه وظلمه على نفسه بارتكاب الاثم وهو ترك الزيادة عليه فهو على الثاني في معنى لا اثم علي ولا يجوز ان

اى يكون

ان يكون علي متعلقا بعدوان لان الكلام عدوان مشابها بالمضاف من حيث ان كل واحد منهما عامل فيما بعده وان
ما بعدهما متمم ومخصص لهما فكان يجب نصبه لما تقرر في النحو من اسم لا التي لنفي الجنس اذا كان مضافا او مشابها له يجب نصبه
قوله وهو ابلغ اى النظم الواقع في التنزيل ابلغ في تقرير كونه مخيرا بين الاجلين من ان يقال ان قضيت الاقصر فلا عدوان
علي وان كان مقتضى الظاهر ان يقال هكذا اذ لا يتصور عدوان غيره عليه ولا عدوانه على نفسه على تقدير ان يقضي اطول الاجلين
حتى يجمع بينهما ويقال ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي **قوله** تنظرت نحو السماكين اى انتظرت رجلا اسمه نصر و
السماكين طلبا للجود فيهما ولم افرق بين النصر وبين السماكين في الجود ولم اعلم ايهما انهلت مواطره علي من الغيث والسماكان
نجمان الاعزل وهو الذي لا شيء بين يديه والرامح وهو الذي بين يديه الكواكب وتهلل السحاب واستهل اى انصب شديدا
ونصر اسم الممدوح بالجود وايهما سكون الياء اصله ايهما فسكن الياء للضرورة ومن في من الغيث للبيان والمواطر جمع
ماطرة وقوله ايهما الخ فيه حذف تقديره لا اعلم ايهما انصب علي ولما رضي موسى بان يرعى غنم شعيب بهذه المدة باجرة
معلومة وعلق شعيب انكاح ابنته اياه بالرعي المذكور او بان يرعى على ان ينكح هو ابنته اياه وتم العقد الذي جرى بينهما
امر شعيب ابنته ليلا ان تعطي موسى عصى يدفع بها السباع عن غنمه وكان عصي الانبياء عنده فدخلت فاخذت عصى
فاتته بها فلما راها شعيب قال لها ردي هذه العصى واتيه بغيرها فدخلت والقتها وارادت ان تاخذ غيرها فلا يقع
في يدها الا هي حتى فعلت ذلك سبع مرار فعلم شعيب ان لموسى شانا واختلفوا في تلك العصا فقيل كانت من آس
الجنة هبط بها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وصلت
الى شعيب وقيل كانت تلك استودعها اياه ملك في صورة رجل فلذلك لم يرض ان يعطيها موسى وامر بنته ان تردها الى
موضعها وتاتي بغيرها وقيل ما كانت الا عصى اخذها موسى من غصن واحد من جنس الشجر ان من جانب الشجر وعلى القولين
الاولين لما اخذها موسى من شعيب واصبح قال له شعيب سق هذه الاغنام الى مفرق الطريق ثم خذ جانب يمينك وليس بها عشب
كثير ولا تاخذ جانب يسارك وفيها عشب كثير لكن فيها تنين اخاف منه عليك وعلى المواشي فساق موسى المواشي
الى مفرق الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطهن وانتشرت في الكلا ونام موسى فخرج التنين فقامت
العصى فصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى فلما انتبه موسى راى العصى مخضوبة بالدم
والتنين مقتولا فارتاح لذلك وعاد الى شعيب فمس الاغنام فاذا هي امثل حالا فساله عن القصة فاخبره بها ففرح
بذلك شعيب واراد ان يجزي موسى عليها فقال كل ما ولدت الاغنام في هذه السنة من اولاد سود فهو لك فكانت الاولاد
في تلك السنة كلها سوداء فحازها كلها وفي السنة الثانية شرط ذلك في البيض فولدت كلها بيضا فحازها جميعا و
في السنة الثالثة كل ولد له لونان سواد وبياض فهو لك فكان الكل كذلك فحازها كلها وعلم شعيب بذلك ان له عند الله منزلة
ولما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في ان يخرج الى مصر مع اهله ليصل اخاه واخته وقرابته التي فيها فاذن له فسار
باهله اليها فاظلم عليه ليلة من الليالي في الصحراء وهبت الريح شديدة ففرقت ماشيته وضل الطريق واصابهم
مطر وبرد شديد واخذ امراته الطلق فعند ذلك ابصر من جانب الطور نارا فسار اليها يطلب فيها من يدله على الطريق

وهو قوله تعالى لعلي آتيكم منها بخبر فانه يدل على انه ضل الطريق وقوله او آتيكم منها بجذوة من النار لعلكم تصطلون يدل على انه اصابهم
برد اشتد به وفي الجذوة ثلث لغات فتح الجيم وضمها وكسرها مع سكون الذال وقرئ بهن جميعا وهي العود الغليظ سواء كان
في رأسه نار او لم يكن واورد بيتين استشهد بهما ولهما على ان الجذوة تطلق على العود الذي لم يكن في رأسه نار وبالبيت
الثاني على انها تطلق على ما في رأسه نار البيت الاول قوله باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والمراد
بحواطب ليلى جوار لها اللتي يطلبن لها الحطب والجزل الحطب اليابس او ما عظم منه ايضا والجذى جمع جذوة وفي الجمع ايضا
ثلث لغات كما في مفرده والخوار الضعيف من الخور وهو الضعف والدعر مصدر قولك دعر العود بالكسر يدعر دعرا فهو عود
دعر اي رديء كثير الدخان ومنه الدعارة وهو الفسق والخبث والبيت الثاني قوله والقى على قبس من النار جذوة
شديدا عليها حرها والتهابها اراد انه قبيلة قبس بأن القى عليها نار الفتنة والعداوة والجذوة في الآية التي في رأسها نار
بقرينة قوله لعلكم تصطلون **قوله** والذكر ولفظ اطلاق الجذوة على العود في رأسه نار بينها بقوله من النار جعلها شدة
شبث النار بها كانها نار كلها **قوله** اتاه النداء من شاطئ الوادي الايمن لموسى اشارة الى ان كلمة من في قوله شاطئ لابتداء
الغاية وان الايمن من اليمن المقابل لليسار لا من اليمن وهو البركة وانه صفة للشاطئ لا للوادي وان كون الشاطئ
ايمن انما هو بالنسبة الى موسى وشاطئ الوادي حافته وطرفه **قوله** متصل بالشاطئ من حيث انه متعلق بمحذوف
على انه حال من الشاطئ والبقعة قطعة من الارض لا شجر فيها وصفت بكونها مباركة لانه حصل فيها ابتداء الرسالة والتكليم
الله تعالى اياه **قوله** هذا وان خالف ما في طه والنمل قال الله تعالى في سورة طه نودي انا انا ربك وقال في سورة النمل نودي ان بورك
من في النار ومن حولها وهما مخالفان لما في هذه السورة من حيث اللفظ الا ان الجميع متوافقة في المقصود وهو فتح باب
الاستنباء وسوق الكلام على وجه يؤدي اليه قال الامام لا منافاة بين هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل الا انه حكى
في كل سورة بعض ما اشتمل عليه النداء وقوله وان الق عصاك اي نودي ان الق **قوله** اي فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت
تحركت يريد ان هذه الجمل الثلث مضمرة في الآية وصيرورتها ثعبانا قد نص عليها في سورة الشعراء بقوله تعالى فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان ولما كان الثعبان اسما لما يكون عظيم الجثة من الحيات والجان اسما للحية الصغيرة الدقيقة
الملساء توهم ان يكون قوله كانها جان مناقضا لقوله فاذا هي ثعبان مبين فاشار الى دفعه بقوله كانها جان في الهيئة والجثة
او في السرعة يعني ان التناقض انما يكون اي لو قيل انها في نفسها جان ولم يقل هكذا بل انه تعالى شبهها بالجان فلا يكون
هذا مناقضا لانقلابها ثعبانا عظيم الهيئة والجثة الا ان تشبيهها بالجان في الهيئة والجثة ينبو عنه جانب المناقضة
ظاهرا فوجب ان يكون مراده انها تشبه الجان في الهيئة وقت انقلابها حية ولا ينافيه تزايد جرمها بعد ذلك
الى ان يبلغ غاية عظم الثعبان لان مشابهتها بالجان في اول حالها وبالثعبان في مآلها ومنتهاها واما قوله او في
السرعة فواضح اذ لا منافاة بين كونها في عظم الثعبان وجثتها وبين كونها في سرعة الجان وخفتها **قوله** ادخلها
عبر عن هذا المعنى بثلث عبارات احدها ما في هذه السورة وهو قوله تعالى اسلك يدك في جيبك وثانيها قوله تعالى في سورة
طه واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء وثالثها قوله تعالى في سورة النمل وادخل يدك في جيبك اي في مدرعتك والمدرعة
ثوب

وقيل جاز ان لا تشتمل [illegible]

ثوب من صوف يلبس بدل القميص ولا يكون لها كم بل ينتهي كمه عند المرفقين ويقال لها زرمانقة وقيل الجيب القميص
قوله بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى فيكون ضم يديه الى نفسه وادخالهما في الجيب متغايرين من حيث العبارة والمعنى و
اما اذا فسر ضم اليدين الى نفسه بادخالهما في الجيب فلا يكون التغاير الا في العبارة لا في المعنى وجاز تكرير المعنى الواحد عند
اختلاف الغرض فانه اذا ذكر الفعل الواحد يتعلق بكل ذكر غرض آخر فصار كانه هناك فعلين باعتبار الغرضين
كما في هذه الآية فان الغرض في قوله تعالى اسلك يدك في جيبك خروج اليد بيضاء وظهور معجزة اخرى والغرض في قوله تعالى واضمم يدك
الى جناحك اخفاء الرهبة والتجنب عن الفضاحة وهي المذلة والنقصان لدى العدو فانه تعالى لما قلب العصا حية فزع
موسى واتقاها بيده او جعل يده حاجزة بينه وبين المخوف فقال تعالى بعد ان امره بادخال يده في جيبه واضمم اليك جناحك
فكانه قال اذا ألقيتها عند العدو واظهار المعجزة فانقلبت حية هائلة مخوفة لا تتق بيديك فان ذلك غضاضة ونقصان
عند العدو بل اذا ألقيتها فانقلبت حية ادخل يدك في جيبك ليحصل لك الامران احدهما اظهار الجرأة والتجنب عما هو الفضيحة
عليك والثاني اظهار معجزة اخرى **قوله** ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات استعارة من حال الطائر حتى صار ذكر اللفظ مثلا
في امنه يشبه الانسان في حال ثباته وضبط نفسه بالطير الآمن فاثبت له ما هو من لوازم المشبه به وضم الجناح ليكون
تخييلا للاستعارة المكنية ويمكن ان يجعل استعارة تمثيلية تشبيها لحال الصبر والثبات ممن لا جناح له بحال الطير
في امنه وطمأنينته فكما يعبر عن امنه بضم جناحه اليه عبر عن ثبات الآدمي وصبره بذلك ايضا بناء على التشبيه المذكور **قوله** اي اذا
عراك الخوف واصابك عند رؤية الحية فاضمم اليك جناحك من اجل اصابة ذلك جعل الرهب الذي كان يصيبه عند رؤية الحية
سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه وعن مجاهد انه قال كل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقراءة الآية **قوله**
وقرئ بضمهما في الشواذ وقرأ حفص بفتح الراء وسكون الهاء وباقي السبعة بفتحتين **قوله** مرسلا تقدير متعلق قوله من
ربك الى فرعون وانتصابه على انه حال من كاف الخطاب في فذانك والعامل فيها معنى الاشارة اي احاطتك بالاشارة اليهما
مرسلا من ربك الى فرعون ويحتمل ان يكون من ربك متعلقا بمحذوف هو صفة برهانان والى فرعون متعلق بمرسلا المقدر المنصوب
على الحالية من كاف ربك والعامل فيها معنى الاضافة من معنى الفعل ويجوز انتصاب الحال من المضاف اليه كما في قوله تعالى ملة
ابراهيم حنيفا وردءا حال من مفعول ارسله اي اجعله رسولا معي الى فرعون وقوله حال كونه معينا يقال ردأته على عدوه اذا
اعنته عليه ردءا بالفتح والردء بالكسر اسم لما يعان به فعل بمعنى مفعول كالدفء والصبغ والشبع لما يدفأ به ويصبغ
ويشبع فاطلق على المعين الذي يتبع غيره معينا له تسمية للفاعل باسم ما يفعل به وقرئ يصدقني بالرفع على الوصفية
اي ردءا مصدقا وبالجزم جوابا لارسله وليس طريق تصديقه اياه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق اخي موسى
لانه لا يحتاج فيه الى اختصاصه بزيادة الفصاحة لان سحبان وباقلا فيه سواء وانما طريقه ان يلخص الحق ويبينه
ويجادل الكفار ببيانه وذلك يجري مجرى التصديق كما يصدق القول بالبرهان **قوله** فان القوة الشخص بشدة اليد ينبغي ان
سنشد عضدك عبارة عن قولنا سنقويك مجاز مرسل على طريق اطلاق السبب وارادة المسبب من بين
فان شدة العضد سبب مستلزم لشدة اليد وشدة اليد مستلزمة لقوة الشخص فشدة العضد سبب لقوة الشخص

الثانية فصيح ان يطلق شدة العقد ويراد به قوة التخصص على طريق المجاز المرسل **قوله** غلبة او حجة يعني ان السلطان
اما بمعنى التسلط والاستيلاء او بمعنى الحجة والبرهان سميت الحجة سلطانا لكونها سببا للتسلط والغلبة **قوله** او قسم جوابه لا يصلون فيه
تساهل لان جواب القسم لا يتقدم عليه وايضا لا يدخل الفاء في جواب القسم عند الجمهور ولعل مراده انه قسم حذف جوابه اعتمادا
على دلالة ما قبله عليه **قوله** يعني انه صلة لمحذوف كانه قيل بماذا نغلب فاجيب باياتنا انتم تغلبون باياتنا فالباء متعلقة بمحذوف
قدر بيانا للغالبون ولا يتعلق بنفس الغالبون لان اللام فيه موصولة بمعنى الذي ولا يتقدم ما في حيز الصلة عليها الا ان يكون
اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي فيجوز ان يتعلق الباء به **قوله** سحر مختلق يريد ان يبين فائدة توصيف السحر بقوله مفترى مع
انه قد علم كونه مفترى من تسمية المعجزة سحرا لان من اظهر المعجزة يدعي انها امر خارق للعادة خلقه الله تعالى على يده تصديقا له
في دعوى الرسالة فمن سماها سحرا لزمه ان يجعلها مفترى على الله تعالى فلا يظهر لتوصيف السحر به فائدة فالمص فسر قوله تعالى مفترى
بثلثة اوجه على الاولين يكون صفة مخصصة لتقييد السحر لان كل سحر لا يكون كذلك وعلى الثاني يكون صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة
الوجه الاول ان يكون بمعنى مختلق مصنوع لم يعمل قبله بمثله احد فيه ثم قولهم فرية المزادة اي خلقتها وصنعتها وظاهر ان
كل سحر لا يكون كذلك لانه كم من سحر يصنعه اكثر السحرة بل جميعهم والثاني ان يكون بمعنى مسند الى الله تعالى كذبا ولا يكون كل سحر
مفترى على الله تعالى ويكون لفظ هذا اشارة الى خصوص ما اظهره موسى عليه الصلوة والسلام مع قطع النظر عن انه اظهر ليكون
معجزة له والثالث ان يكون بمعنى مكذوب فيه ثم ادعاء ان حقيقة العصا قد انقلبت ثعبانا مبينا بل هو من قبيل التمويه والتلبيس
كما هو شأن كل سحر **قوله** كائنا في ابائنا مهم اشارة الى ان في ابائنا في محل النصب على انه حال من هذا فاجمل موسى في جوابهم تلطف
في الخطاب واثار الاحسن الوجوه في المجادلة معهم فقال ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده والمعنى ما جئتكم به حق وهدى
وليس بسحر وربي عالم بذلك وانتم ظالمون **قوله** لانه قال ما قاله جوابا لقولهم فان الجملة الثانية اذا كانت كالمتصلة بالاولى لكونها
جوابا لسوال اقتضته الاولى تنزل الاولى منزلة السوال فتفصل الثانية عنها كما يفصل الجواب عن السوال لما بينهما من الاتصال
ويسمى الفصل لكون الثانية جوابا لسوال اقتضته الاولى استينافا كما تسمى نفس الجملة الثانية بذلك ووجه القراءة المشهورة
ان المراد حكاية قولهم وذكر قول موسى بهذا يعطف احدهما على الاخر ليوازن الناظر بين القول والقول ويعرف فساد
احدهما وصحة الاخر فان الواو يفيد جمع القولين في ذهن السامع فيميز بين الصحيح والسقيم لان كل شيء يتميز بضده **قوله**
لانها خلقت مجازا الى الاخرة يعني لان الدنيا خلقت مواضع الجواز والمرور الى الاخرة والمقصود بالذات من الاخرة انما هو الثواب
والجنة والعقاب انما حصل من سوء اختيار العصاة فالعاقبة الاصلية للدنيا هي الجنة لان العاقبة السوء لا اعتداد
بها لانها من نتائج ايثار اللذات العاجلة على الحظوظ الباقية ومما يدل على ان المراد بالعاقبة العاقبة المحمودة قوله
اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن فان المراد من الدار الدنيا وقد صرح بان عقباها الجنة **قوله** وقرا حمزة والكسائي يكون
بالياء لمكان الفصل بينه وبين اسمه ولكون تانيث العاقبة غير حقيقي وقرا العامة تكون بالتاء الفوقانية لتانيث العاقبة
فانه اسم كان وخبرها **قوله** نفى علمه باله غيره دون وجوده اي لم ينف وجود اله غيره بان قال ليس لكم اله غيري بناء على انه لم يكن
عنده ما يقتضي الجزم بانتفائه واثبت الالهية لنفسه حيث قال من اله غيري فكان عنده ما يقتضي الجزم بالالهية والظاهر انه

انه لابد بالبديهة نفسه كونه خالق السموات والارض وما فيهما من الذوات والصفات فان العلم بامتناع ذلك مما لا يخفى
على احد فالشك في ذلك يقتضي زوال العقل بالكلية فالمخذول كان يظن ان هذه الكواكب والافلاك كافية في اصلاح هذا العالم
السفلي فلا حاجة الى اثبات صانع فلهذا قال ما علمت لكم من اله غيري وكان يقول لا يجب على الناس الان يطيعوا امكنهم و
ينقادوا للامر كما قيل لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا وهذا هو المراد من ادعائه الالهية
لا كما يظن من انه يدعي كونه خالق السموات والارض الا ان قوله هذا فيه نوع مناقضة لقول الصحابة في حق موسى عليه الصلوة
والسلام ويذرك والهتك فان من يزعم تفرده بالالوهية كيف يكون له الهة فكانه قال هذا الكلام للملائكة والاشراف قومه
بخصوصهم وانه كان اتخذ للاتباع والسفلة اصناما يعبدونها وجعل للملا عبادة نفسه فانه لما لم ير الاتباع اهلا
لعبادة نفسه جعل لهم عبادة الاصنام ورأى الملا اهلا لها فلذلك خصهم بها وجعل نفسه الها لهم ومن هذا اتخذ المشركون
عبادة الاصنام دون الله تعالى من حيث انهم يروا انفسهم اهلا لعبادة الله تعالى **قوله** وهو من خواص العلوم الفعلية
بيان لوجه ضعف ما قيل فان علم المخذول انفعالي **قوله** وتذكير امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة حيث قال اوقد لي
على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه والوجه في كون التعرض لتعليم الصنعة مبنيا على التعظيم ان ايقاد النار على الشيء
المسمى بالطين امر هين حقير يقدر عليه العجائز والصبيان فيكون التعبير عن الامر بطبخ الآجر الذي يكون لبناء الصرح المذكور
بقوله اوقد لي على الطين مبنيا على الاستهانة بطبخه وعدم الاعتداد به ولان طبخ الآجر صنعة خسيسة لا يليق بالملوك
وعظماء الناس ان يباشروه به ويذكروا اسمه على ملا الناس فهذا معنى قوله مع ما فيه من تعظيم وكذا الكلام في ندائه وزيره
باسمه العلم من غير تكنية وتلقيب وفي ندائه بحرف يا الموضوعة لنداء البعيد مع كون المنادى قريبا وندائه في وسط الكلام مع
ان العادة تقديم النداء على المنادى له مبني على التعظيم والتجبر ودليل عليه اما كون الاولين مبنيا على التعظيم فظاهر
واما كون الثالث مبنيا عليه فلانه لو قدم النداء وقيل فيا هامان اوقد لي لزم ان يتقدم ذكر هامان على ذكر نفسه ولم
يرض به تعظما وتجبرا **قوله** كانه اخذهم مع كثرتهم روي ان جنوده يوم خرج خلف موسى عليه الصلوة والسلام كانوا
الف الف وستمائة الف **قوله** بالحمل على الاضلال متعلق بقوله وجعلناهم ائمة اي صيرناهم قدوة لاهل الضلال
بان حملناهم على الاضلال الى آخره فالآية من جملة ما تمسك به اصحابنا في انه تعالى خالق للخير والشر حيث ذكر فيها انه تعالى
جعلهم قادة ورؤساء يدعون اتباعهم الى عمل يوجب النار من الكفر وانواع المعاصي كما ذكر في حق الرسل واهل
الخير انه تعالى جعلهم ائمة يدعون الى الطرق والهدى حيث قال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا فدل ذلك على انه كان
من الله تعالى في حق اهل الخير صنع معنى صاروا به ائمة الخير ولم يكن ذلك منه في حق اهل الشر والضلال ولو كان الامر كما
زعمت المعتزلة من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى وهو منحة الالطاف لما منعها وانه لم يكن من الله تعالى الى الرسل
وقادة الخير شيء الا وقد ادى ذلك منه الى كل كافر وفاسق لما كان لقوله في حق احد الفريقين جعلناهم ائمة يدعون الى النار
وفي حق الآخر جعلناهم ائمة يهدون الى الهدى والصراط المستقيم وجه فدل ذلك على انه كان منه تعالى في حق احد
الفريقين معنى صاروا به ائمة الخير وفي حق الآخر ما صاروا به ائمة الشر غاية ما في الباب انه جعل كل فريق اماما يقتدى به

فيما هو عليه من الطاعة والعصيان فكانوا أئمة بحسب اعمالهم فظهر بذلك ان ما كان من الله تعالى اليهم فهو على السوية فيما
بينهم وما بينهم من التفاضل ليس الا بحسب تفاوت اعمالهم لا بانه تعالى جعل بعضهم ائمة الخير وبعضهم ائمة الشر وليس كذلك لان ما
صدر عنهم من الخير والشر وان كان سببا لجعلهم ائمة فيما هم عليه من الخير والشر الا انه تعالى اصنع في ذلك السبب فان فعلهم لا يتحقق
بلا اقدار الله تعالى اياهم عليه باعطاء الآلة وحقيقة القدرة والاختيار ونحو ذلك فيه اضيف الجعل اليه تعالى نظرا الى كونه موجبا لحقيقة
الفعل والاسباب جميعا ولو اضيف الى فعل العباد نظرا الى مجرد قيام الفعل بهم وكسبهم اياه من غير ان يكون لهم مدخل في اسباب وجوده
لكان اضافته اليه تعالى وقد وجد منه حقيقة الفعل والاسباب اولى من اضافته اليهم ولم يوجد منهم الا الفعل دون الاسباب والله اعلم **قوله**
وقيل بالتسمية اي قالت المعتزلة الجعل محمول على التسمية كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وكما يقال جعله
بخيلا وفاسقا بمعنى سماه بخيلا فمعنى الآية وسميناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة كذلك وهو معطوف على قوله بالحمل كذا
او بمنع الالطاف وهو الامور المقربة الى الاتيان بالطاعة والاجتناب عن المعاصي فانه تعالى يمنعها عمن علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على
الكفر الذي لا تنفع عنه الآيات والنذر والقول بانه تعالى خذلهم ومنع عنهم الالطاف لا ينافي مذهبهم من ان رعاية الاصلح واجبة عليه تعالى
لانهم يقولون انما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة انفسهم وهو تصميمهم على الكفر **قوله** من المطرودين على انه من القبح بمعنى الابعاد
والطرد يقال قبحه الله تعالى اي نحاه عن الخير **قوله** انوار القلوب يعني ان بصائر جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يبصر به الرشد والسعادة
كما ان البصر نور العين يبصر به المحسوسات وبصائر حال من الكتاب اي آتيناه الكتاب انوارا للقلوب ان تستبصر بها انوار القلوب ثم
حيث ان القلوب اذا كانت خالية عن انوار النبوة وعلومها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل فاوقع بصائر حالا من الكتاب
ليوفق بشدة احتياج القوم الى ما ينفتح به قلوبهم العمياء **قوله** ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر يعني ان لعل للترجي الا انه
لما كان مستحيلا منه تعالى صرف الى من يعرف حال الكتاب ويمكنهم بسبب من ادراك الحق وقبوله منهم ومن شبه (يعني صاحب الكشف في) الارادة بالترجي
من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر غير كائن فاستعار الترجي للارادة اصالة ثم لعل تبعا فمعنى قوله تعالى لعلهم يتذكرون
يقول لارادة ان يتذكروا فالقاضي عنا طبا حرف ذلك يدل على ارادة التذكر من كل مكلف سواء اختار ذلك او لم يختره فنفيه
ابطال مذهب المجبرة الذين يقولون ما اراد التذكر الا ممن يتذكر فاما من لا يتذكر فقد كره ذلك منه ونقض القرآن والرد بهذا
القول بهذا الدليل لانه مبنية على كون الترجي مستعارا للارادة وهو غير مسلم واشار المص بقوله وفيه ما عرفت لانه تعالى لو اراد
من كل مكلف ان يتذكر بما فيه من المواعظ والبصائر لوجب ان لا يموت احد على الكفر والضلال لئلا يلزم تخلف المراد عن ارادة
الله تعالى **قوله** يريد الوادي يعني ان الغربي صفة موصوف محذوف وهو الوادي او الطور او المقام وما كنت بجانب الوادي
الغربي من مقام موسى عليه الصلوة والسلام او بجانب الطور الغربي منه والوجه في ارتكاب حذف ان الغربي لو جعل صفة للجانب
وكما هو اصل الكلام في وما كنت بالجانب الغربي للزم ان يكون اضافة الجانب الى الغربي اضافة الموصوف الى الصفة وهي ليست
بجائزة عند البصريين لكونها في قوة اضافة الشيء الى نفسه فان الصفة هي الموصوف في المعنى فانك اذا قلت جاءني
زيد الظريف فلفظ الظريف يدل على شيء متعين في نفسه حصلت له الظرافة الا انه مجهول من حيث كونه مدلولا لهذا
اللفظ واذا انصبت على زيد واجريت هذا اللفظ عليه علم ان ذلك الشيء الذي حصلت له الظرافة هو زيد فلو اضيف
زيد

[illegible]

فقوله انوار القلوب [illegible] والاحكام [illegible] رحمة [illegible] الى العلة والمال قره ملى

فان قلت الكتاب مفرد والبصائر جمع فلا مطابقة بينهما قلت جمعه باعتبار الناس لانه كان سببا لبصيرة كل بصير او باعتبار الاجزاء لانه كتاب جامع لاجزاء منورة القلوب او باعتبار الآيات فانه مشتمل على امر المبدأ والمعاد وما بينهما قره ملى

صرح به ابن عطية وارتضاه الشريف وكن من كون [illegible] تجعل بمعنى لعل على الطلب وهو غير الارادة والطلب [illegible] من وقوعه المطلوب بالاتفاق كما تقرر في علم الكلام او على معنى الامر والامر غير الارادة عند اهل السنة [illegible]

زيد الى الظريف للزم اضافة زيد فلذلك ذهب البصريون الى امتناع اضافة الموصوف الى الصفة والتي اوهم خلاف ذلك
بجانب الغربي وذكر دين القيمة وقوله حق اليقين وقوله لدار الآخرة فالى تقدير موصوف محذوف فقالوا تقديرها جانب المكان
الغربي ودين الملة القيمة وحق الشيء اليقين ودار الساعة الآخرة ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه والكوفيون
جوزوا اضافة الموصوف الى الصفة مطلقا والمص قوله اذ جانب الغربي منه تخلى من تابعهم حيث جعل الغربي صفة للجانب
ولم يقدر موصوفا آخر **قوله** الموحى اليه او على الوحي اليه الاول على ان يكون الشاهد من الشهود بمعنى الحضور والثاني على ان
يكون من الشهادة والمعنى ما كنت حاضرا في المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي
اليه او على الوحي اليه حتى تكون وقوفك على ما جرى من امر موسى في ميقاته واخبارك به من جهة المشاهدة فان قيل
لما قال وما كنت بجانب الغربي ثبت انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد وان يكون حاضرا فما الفائدة في اعادة
قوله وما كنت من الشاهدين فالجواب نظر [illegible] عن ابن عباس رضي الله عنه قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت
ما شاهدت ما وقع فيه مما جرى على موسى فانه يجوز ان يكون هناك ولا يشهد ولا يرى ما كان فيه **قوله** المختارون
للميقات الميقات هو الوقت المحدود المضروب للفعل ثم استعير للمكان كما في قولهم مواقيت الحج وكما في هذا الموضع فانما
لان المراد به المكان الذي عينه الله تعالى لمناجاة موسى ربه وتكليمه فيه وقوله تعالى تتلوا عليهم يجوز ان يكون حالا
من الضمير في ثاويا وان يكون خبرا ثانيا اي لم تشاهد ما تقدم من الاحوال فتخبر بها اهل مكة عن مشاهدة ولكنا ارسلناك
اليهم رسولا لتحيي آثارهم وتظهر سننهم واعلامهم وانزلنا عليك هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها ولما اخبرت بها
والمقصود اثبات نبوته عليه الصلوة والسلام بالمعجزة الدالة على صدقه في دعوى النبوة فكانه قال ان في اخبارك
عن هذه الاخبار من غير حضور ولا مشاهدة تعلم من اهلها لدلالة ظاهرة على نبوتك لانه تعالى لا يطلع على غيبه احدا الا من
ارتضى من رسول **قوله** لعل المراد به يعني انه تعالى لما بين قصة موسى قال لرسوله عليهما الصلوة والسلام وما كنت بجانب
الغربي ثم قال وما كنت ثاويا في اهل مدين ثم قال وما كنت بجانب الطور الدالة على انه عليه الصلوة والسلام لما لم يكن حاضرا
في هذه المواضع التي جرى فيها على موسى عليه الصلوة والسلام ما جرى من الاحوال العظيمة ثم اخبر بتلك الاحوال على ما جرت ووقعت
من غير ان يشاهدها ويتعلمها من احد ثبت به انه رسول بعثه الله تعالى سبحانه وعرفه هذه الاحوال رحمة من ربه وتفضلا منه عليه ثم
ان تكون المواضع المذكورة وما جرى فيها من الاحوال امورا متغايرة فاختار المص في وجه مغايرتها ان يكون المراد بالاول
حيث استنبأه في اثناء رجوعه من مدين الى مصر وبالثاني ما تقدم عليه من اقامته في مدين مع شعيب وبالثالث وقت
اعطائه التورية بناحية الطور اذ جاء لميقات ربه مع السبعين فكلمه ربه واعطاه الالواح وناداه ربه بقوله يا يحيى
خذ الكتاب بقوة وقد اشار اولا بقوله او على الوحي اليه الى جواز ان يكون المراد بالاول حيث انزل عليه التورية فيكون المراد
بالثالث حيث استنبأه في ليلة المناجاة والله اعلم **قوله** متعلق بالفعل المحذوف اي ولكن علمناك وارسلناك
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك هم العرب على رجاء تذكرهم واتعاظهم فان دعوة عيسى عليه الصلوة والسلام ان كانت
مختصة ببني اسرائيل لكون العرب واقعة في فترة بين رسول الله وبين اسمعيل عليهما الصلوة والسلام وان تفاوت

العرب ايضا يكونون في فترة بينه وبين عيسى عليه الصلوة والسلام فقوله ما اتاهم من نذير في موضع النصب على انه صفة
لقوما وما فيه نافية **قوله** لولا الاولى امتناعية وهي التي دلت على امتناع النفية الثانية لوجود النفية الاولى
والنفية الثانية جوابها وهو محذوف ههنا وهو ما ارسلناك اليهم هي ههنا دلت على امتناع عدم الارسال لوجود
قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم على تقدير عدم الارسال ربنا هلا ارسلت الينا رسولا الخ وقولهم
ان تصيبهم في موضع رفع بالابتداء وقوله فيقولوا عطف على ما في حيز ان اي لولا اصابتهم مصيبة بسبب ما قدمت ايديهم في
الشرك والمعاصي فقولهم ربنا لولا ارسلت الخ ما ارسلناك يعني ان الحامل على ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول
ولما كان اكثر الاعمال مزاولا باليد جعل كل عمل معبرا عنه بانه كسب اليد وان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام
وجعل الاعمال تابعا للاكثر وعطف المعاصي على الكفر في قوله بسبب كفرهم ومعاصيهم اشارة الى ان الكفار مما يعذبون بترك الايمان
يعذبون بارتكاب ما يعلم حرمته بالدلائل القطعية من الكبائر والصغائر والفاء في قوله فيقولوا عاطفة وفي قوله فنتبع فاء جواب
لولا التحضيضية فانها مما اجيبت بالفاء لكونها في حكم الامر من حيث ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد
واحد والفاء تدخل في جواب الامر فكذا في جواب ما هو في حكمه **قوله** مفعول فيقولوا اخر بعد جزء لقوله والثانية **قوله** وانه
لا يصدر عنهم الخ اي والمنبهة على ان ذلك القول لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة اليه والمقصود الجواب عما يقال ما
الفائدة في هذا التطويل وما يكفي ان يقال لولا ان يقولوا هذا العذر لما ارسلناك وتقرير الجواب انه ارتكب هذا التطويل للدلالة
على انهم لو لم يعاقبوا وقد عرفوا بطلان دينهم لما قالوا ذلك القول بل انما يقولون ذلك القول اذا نالهم العقاب فيدل ذكر على
انهم لم يذكروا هذا العذر تأسفا على كفرهم بل لانهم ما اطاقوا العذاب وفيه تنبيه على استحكام رسوخ فيهم **قوله** يعني
ابنا جنسهم يعني ان الكلام مسوق لتوبيخ اهل مكة بانه لما جاءهم الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات اقترحوا
من الايات ما ظهر به عنادهم فقالوا لولا اوتي موسى فكانه تعالى قال لو عذبناهم قبل الارسال لقالوا هلا ارسلت الينا
رسولا وقد ارسلنا الى اهل مكة فقالوا لولا اوتي الخ فقبل البعثة يتعللون بشبهة وبعد البعثة باخرى فليس شانهم
الا الدفع والعناد ثم قيل في حقهم لبيان ان اقتراحهم هذا ليس لطلب اليقين بل لمجرد التعنت والعناد اذ لو كان
لطلب اليقين لما كفروا بما اوتي موسى عليه الصلوة والسلام من قبل والظاهر ان يكون ضمير او لم يكفروا راجعا الى كفار مكة الا
انهم لما لم يكفروا بما اوتي موسى حيث لم يكونوا موجودين في عصره بل الذين كفروا به هم الذين كانوا في زمانه جعل ضمير لم يكفروا
راجعا الى ابناء جنس اهل مكة وجعلهم مع كفار مكة بمنزلة جماعة واحدة من حيث اشتراكهم في التعنت واللجاج فلما
كفر هؤلاء بما شاهدوه من ايات الله تعالى في يد موسى فكفار مكة اولى بالكفر به لانهم مثلهم او لكن في العناد بل هم اعتى واطغى او
هو توبيخ للعرب بالذات بناء على ما روي عن الحسن انه قال قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا او لم يكفر اباؤهم
وقالوا في موسى وهرون سحران تظاهرا على حد تعنت الناس صرفهم عن دين اباءهم باظهار هذه الايات **قوله** بتقدير مضاف
اي هما ذوا السحرين وعلى هذا كان ينبغي ان يقدر ذو سحر لكنه ثنى تنبيها على التنويع **قوله** او اسناد تظاهرهما الى فعلهما اي انما
فعلوه واظهروه من الكتابين وعلى الاولين يكون التظاهر مسندا الى النفس النبيين لان الضمير في قولهم هما سحران راجع

راجع اليهما وعلى هذا يكون الضمير راجعا الى الكتابين فيكون التظاهر مسندا الى الكتابين فيكون التظاهر دلالة
على سبب اعجاز القران **قوله** وقالوا انا بكل كافرون معطوف على قوله سحران لما اقترح المشركون تعنتا وعنادا
بقولهم مثل ما اوتي موسى واجاب الله تعالى عن اقتراحهم بقوله او لم يكفروا بما اوتي موسى من قبل اي من قبل محمد او من قبل هذا
القول بين كيفية كفرهم بما اوتي موسى من وجهين الاول قولهم ساحران تظاهرا والثاني قولهم انا بكل كافرون
ثم انه تعالى لما اجاب عن اقتراحهم بيان انهم متعنتون فيه امر رسوله عليه الصلوة والسلام بان يتحداهم بما يظهر
عجزهم عنه ليكون ذلك حجة على صدقه في دعوى الرسالة فقال قل فأتوا بكتاب من عند الله الاية وقوله اتبعه مجزوم
على انه جواب الامر وهو فأتوا وقرئ اتبعه بالرفع استئنافا اي فانا اتبعه **قوله** وهذا من الشروط التي يراد بها الالزام
والتبكيت لان مثل هذا الشرط انما يذكره من يثق بامره ويعتمد على صحته كقول العامل لمن اخر جعله ان تم اعمل لك فعطل
اقطع الطمع **قوله** فحذف المفعول فان استجاب بمعنى اجاب وهو يقتضي الدعاء البتة ويتعدى اليه فان قيل فاين
الدعاء من قبله عليه الصلوة والسلام قلنا هو امره اياهم بقوله فأتوا بكتاب من عند الله فان الامر بعث على الفعل دعاء اليه
قوله لان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء فيقال استجاب دعاءه وباللام الى الداعي فيقال استجاب له فاذا عدي الى
الداعي كما في الاية حذف الدعاء غالبا فلا يقال استجاب له دعاءه الا نادرا فحذف الدعاء في الاية ايضا اتباعا للعرف
الغالب واول البيت • وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب • فقلت ادع اخرى وارفع الصوت
دعوة • اي رب داع دعا هل من يجيب الى الندى اي هل احد يمنح المستمنحين فلم يجبه احد واورد البيت استشهادا على تعديته
الى الدعاء بنفسه بناء على ان تقديره فلم يستجب دعاءه على حذف المضاف ففي الاية فان لم يستجيبوا لك فاعلم انهم اليه
ولم يأتوا بمثل التورية والقران فاعلم انما يتبعون اهواءهم وان ما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه ثم ذمهم على اتباعهم
الهوى بغير هدى بقوله ومن اضل الاية وهذا من اعظم الدلائل على فساد التقليد وانه لا بد من الحجة والاستدلال **قوله**
اتبعنا بعضه بعضا يعني ان التوصيل من الوصل ضد القطع واصله من وصل الحبل والمراد بهذا التواصل اما التعاقب
في النزول الى التناسب والتعاضد ولعل بناء التفعيل للدلالة على كثرة الوصل وتكرره باي معنى كان ولا
لكونه للتعدية لان الوصل ايضا متعد **قوله** الذين اتيناهم الكتاب مبتدأ وهم مبتدأ ثان ويؤمنون خبره
والجملة خبر الاول وبه متعلق بيؤمنون قدم عليه لكون العناية متعلقة ببيان ايمانهم به ولا يمكن جعله للا
ختصاص لانهم لو خصوا ايمانهم بهذا الكتاب فقط لزم كفرهم بما عداه وهو عكس المراد **قوله** باعتقادهم صحته في
الجملة اي لكونهم على دين الاسلام باعتقادهم صحته وان لم يتدينوا به قبل ذلك **قوله** نزلت في ابي طالب وروي انه
قال عند موته يا معشر بني عبد مناف اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا او ترشدوا فقال صلى الله عليه وسلم يا عم تأمرهم
بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر يوم من ايام الدنيا
ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله تعالى قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكن اكره ان يقال خرع عند
الموت ولولا ذلك لاقررت عينك بها ولكني على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقضي فمات عليه

خبر ونعته وصلنا

عليه الصلوة والسلام عنده باكيا لما كان حريصا على اسلامه لتكفله اياه في صباه وذبه عنه في كبره حتى قال ابو طالب
لقريش حين همّوا بقتله كذبتم ورب الكعبة لا نقتلونه وانما نطاعن حوله ونقاتل ولا نسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا
والحلائل وهذه الآية حجة لنا على المعتزلة في قولهم ان الهدى هو البيان وقد هدى الناس جميعا ولكن لم يهتد البعض لسوء
اختيارهم فهذه الآية دلت على ان وراء البيان ما يسمى هداية وهو خلق الاهتداء واعطاء التوفيق والقدرة ودواعية اكتساب
الخير والاجتناب عن الشر يفعل ما يشاء بالحكمة لا يسال عما يفعل **قوله** اولم نجعل مكانهم حرما ذا امن اشارة الى ما مرّ ان
اصل التمكين ان يجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ثم استعمل بمعنى الجعل عدّي بنفسه الى قوله حرما وان قوله آمنا فاعل بمعنى النسب
اي ذا امن يكون من دخله آمنا ومن قرأ تجبى بالتاء الفوقانية اعتبر لفظ ثمرات ومن قرأ بالياء نزل الفاصل منزلة التاء واعتبر كون
التانيث غير حقيقي والجملة صفة ثانية لحرما والظاهر ان الرزق اسم بمعنى المرزوق فيكون في موضع الحال من ثمرات لتخصصها
بالاضافة كنصب الحال عن النكرة المخصصة بالصفة ويجوز ان يكون مفعولا له بمعنى تسوقها اليه رزقا او ان يكون مصدرا
من غير لفظ الفعل لان تجبى اليه بمعنى نرزق فان قيل فحينئذ يكون التقدير نرزق الحرم ولا معنى له قلنا يجوز ان يسند الرزق
الى الحرم مجازا والاصل نرزق اهله **قوله** جملة لا يتفطنون له اي لتقدير ربوبية الله تعالى وعظمته حيث آمنهم ورزقهم بحرمة
الحرم حال شركهم ممكنين لا يتعرضهم من الخوف والقحط اذا ضموا الى حرمة الحرم حرمة التوحيد فيكون بالاقتدار كما ينتفع بقوله
قوله اولم نمكن لهم حرما آمنا الا بقوله من لدنا كما ذهب اليه صاحب الكشاف **قوله** ثم بيّن ان الامر بالعكس اي بعد ما رد الله
عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا بيّن ان الامر بالعكس مما يظنون من ان الايمان يستلزم الخوف من زوال نعمة الدنيا فان
الاصرار على عدم قبول الايمان هو الذي يزيل هذه النعمة لا الاقدام الى الايمان **قوله** وخفض العيش الخفض الدعة والرفاهية وكم
في محل النصب بقوله اهلكنا ومعيشتها منصوب بنزع الخافض اي في معيشتها والبطر الطغيان في النعمة وان لا يحفظ حق الله
فيها بصرفها فيما امر به **قوله** فتلك مبتداء ومساكنهم خبره ولم تسكن جملة حالية والعامل فيها معنى تلك ويجوز ان يكون خبرا ثانيا
والا قليلا اي الا سكنى قليلا او الا زمانا قليلا **قوله** وانتصب معيشتها بنزع الخافض كقوله امرته الخبر اي بطرت في معيشتها
قوله او بجعلها ظرفا بنفسها كقوله زيد ظني مقيم لما في ظني جعل كل واحد من المعيشة والظن ظرفا مبنيا على الاتساع وليسا
بظرفين حقيقة لانهما مصدران والمصدر لا يكون ظرفا للحدث الا انه جعلت المعيشة كانها زمان البطر والظن زمان
الاقامة او زمان الاخبار عن اقامة زيد او زمان الحكم به عليه او زمان اسناد القيام الى زيد وهذا معنى قوله شرف
الدين الطيبي والعامل في ظني الامر المنتزع من معنى الجملة كالاخبار والاسناد والحكم وقد تقرر ان ظروف الزمان كلها
تقبل النصب بتقدير في من غير اعتبار نزع الخافض بخلاف ظرف المكان فانه لا يقبله الا اذا كان مبهما او محمولا على المبهم فان اريد
بجعل المعيشة مكان البطر احتيج الى اعتبار نزع الخافض وان جعل من زمان البطر يكون ظرفا بنفسه او باضمار زمان مضافا
اليها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج اي بطرت ايام معيشتها ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب
باعرابه او مفعولا اي او بجعلها مفعولا لبطرت بحمله على تضمنه معنى كفرت او جهلت اي كفرت نعمتها وجهلت شكر معيشتها
ثم حذف المضاف **قوله** التي هي اعمالها اي توابعها وسوادها وضمير هي يرجع الى القرى **قوله** لان اهلها اي اهل ام القرى يكون

يكون افطن وانبل اي اكثر فطانة ونبالة وهي المتصلة بالشرف يقال نبل فلان فهو نبيل اي شرف فهو شريف فان
الرسل انما تبعث غالبا الى الاشراف وهم غالبا يسكنون في المدن والمواضع التي هي ام ما حولها فلذلك خصت ام
القرى ببعثة الرسول فيها ووجه اتصال قوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا بما قبله انه تعالى لما
قال وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها توجه ان يقال فلما لم يهلك الله تعالى الكفار قبل بعثة الرسول مع انهم كانوا مستغرقين
في الكفر والبطر وان يقال لم لم يهلك بعد بعثته عليه الصلوة والسلام مع تماديهم في الكفر بالله تعالى وتكذيب رسوله ومعاداته
فاجاب الله تعالى عن الاول بقوله وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة وعن الثاني
بقوله وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون انفسهم بالشرك واهل مكة ليسوا كذلك فان بعضهم قد آمن وبعضهم
علم الله تعالى منهم انهم سيؤمنون وآخرون علم الله تعالى انهم وان لم يؤمنوا لكن يخرج من نسلهم من يكون مؤمنا اعلم انه تعالى
رد اولا على الذين قالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا ثم بين ان الامر بالعكس
ثم شرع في ازاحة شبههم بوجه آخر فقال وما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا لان حاصل شبههم انهم قالوا تركنا
الدين لئلا يفوتنا الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله خير وابقى **قوله** وهو ابلغ في الموعظة لان الالتفات
من الخطاب الى الغيبة يدل على ان حقهم ان يعرض عنهم وان لا يتوجه اليهم بالخطاب فيكون ابلغ في الزجر والموعظة
ثم انه تعالى لما رجح ثواب الآخرة على المنافع الدنيوية واشار بقوله افلا تعقلون الا ان من لا يرجح منافع الآخرة على منافع الدنيا
فهو كانه منسلك في سلك المجانين الخارجين عن حد العقل بالكلية اكد هذا الترجيح بقوله افمن وعدناه على ايمانه
وعدا حسنا وهو الجنة وثوابها فهو لاقيه اي مصيبه ومدركه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة من
المحضرين والفاء في قوله افمن وعدناه للتعقيب والتقدير بعد هذا التفاوت العظيم بين منافع الدنيا والآخرة ايستوي
التساوي بين ابناء الدنيا والآخرة والمقصود انهم لما قالوا تركنا الدين للدنيا قال الله تعالى لهم لو لم يحصل
عقيب دنياكم مضرة العقبى لكان العقل يقتضي ترجيح منافع الآخرة على منافع الدنيا فكيف وهذه الدنيا يحصل
بعدها العقاب الدائم ثم انه تعالى بين انه يسال الكفار يوم القيمة عن ثلثة اشياء اولها قوله ويوم يناديهم فيقول
اين شركائي وثانيها قوله تعالى وقيل ادعوا شركاءكم وثالثها قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين
فان الكفار يعرفون يوم القيمة بطلان ما كانوا عليه وصحة التوحيد والنبوة بالضرورة فيقال لهم على وجه التقريع
والتوبيخ اين شركائي فالظاهر انهم يعتذرون حينئذ بان الشياطين او الرؤساء دعونا الى عبادتها وحملونا على
الغواية فحكى الله تعالى ما يقوله الشياطين او الرؤساء جوابا لهم فقال قال الذين حق عليهم القول الآية فانهم
اختلفوا في ان الذين حق عليهم القول من هم فقال بعضهم هم الرؤساء الدعاة الى الضلال وقال آخرون هم
الشياطين **قوله** اي هؤلاء هم الذين اغوينا يريد ان هؤلاء مبتداء وقوله الذين اغوينا هم صفة للخبر
المحذوف واغويناهم مستأنف واغوينا صلة الذين حذف منها العائد الى الموصول واعرابه صاحب الكشاف
بان جعل هؤلاء مبتداء والذين اغوينا صفته بحذف العائد وجعل اغويناهم خبرا وجعل كما غوينا نعتا

لمصدر محذوف عامل ذلك المصدر مطاوع لهذا الفعل اي فغووا غيا كما غوينا ولم يرض به المعرب لانه ليس في الخبر
زيادة فائدة على ما في صفته فان قلت قد وصل الخبر بقوله كما غوينا وفيه زيادة ليست في الصفة والموصول اجيب
بان الزيادة في الظرف لا تصيره اصلا في الجملة لان الظروف فضلات لا تصير كما هي شطر الجملة قال ابو البقاء ولا يمتنع ان
يكون هؤلاء مبتدأ والذين صفته واغويناهم الخبر لانه يفيد فائدة زائدة على ما يستفاد من الصفة فيه اجيب بانه يحصل
به وان كان ظرفا لان الفضلات في بعض المواضع يلزم كقولك زيد عمرو في داره فان في داره وان كان ظرفا لكنه
لابد منه ليعود من الجملة ضمير الى المبتدأ فصار بذلك كانه شطر من الجملة **قوله** اغويناهم فغووا غيا مثل غينا حاصله
انه لا فرق بين غينا وغيهم في ان كل واحد منهما بالاختيار اما غينا فلانه ما كان لنا قاسر على ذلك ولا داع
اليه سوى انفسنا واما غيهم فلانه ما كان لهم قاسر الجأهم عليه بل غووا باختيارهم لان اغوانا لهم لم يكن الا وسوسة
وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق بين غينا وغيهم في ان كل واحد منهما وقع بالاختيار **قوله** ما كانوا اي ما كانوا
يعبدوننا اشارة الى ان ايانا مفعول يعبدون قدم لاجل الفاصلة وعلى تقدير ان يكون ما مصدرية لابد من تقدير حرف
جر اي تبرأنا مما كانوا اي من عبادتهم ايانا كما اشار اليه المص **قوله** فدعوهم من فرط الحيرة لا بناء على اعتقاد ان الا
صنام يشفعون لعابديهم ويخلصونهم عما اصابهم من العذاب لان المشركين يعرفون بالضرورة يوم القيمة
ان الحكم لله الواحد القهار وانه لا ينفع احد الا باذنه قال الامام والاقرب ان هذا على سبيل التقدير لانهم يعلمون انه
لا فائدة في دعائهم لهم فالمراد انهم لو دعوهم لم يوجد منهم اجابة في النصرة وان العذاب ثابت وكل ذلك على وجه التوبيخ
قوله يدفعون به العذاب صفة لقوله لوجه من الحيل ولو كان جواب لو لا التقييد بدفعوا به العذاب بلفظ الماضي كما
قال لما راوا العذاب والمقصود ان جواب لو محذوف وهو قوله لما راوا العذاب وتقدير الكلام لو كانوا يهتدون الى
الحق في الدنيا لما راوا العذاب في الاخرة او لو كانوا يهتدون بوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب لدفعوه به
ولما راوه وعلى تقدير ان يكون لو للتمني يكون المعنى وراوا العذاب فتمنوا الاهتداء في الدنيا **قوله** فانه تعالى سال
اولا عن اشراكهم به توبيخا لهم من عبادة غير الله تعالى لتحقق في الشفاعة والنصرة منهم ثم عن تكذيبهم الانبياء تبكيتا
لهم بالاحتجاج عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل وذكر بينهما ما يقوله الشياطين او الرؤساء بناء على انهم اذا
وبخوا بعبادة الالهة كانوا يعتذرون بانهم استغوونا وصدونا عن الهدى وزينوا لنا عبادتها فحكى الله تعالى
جواب الشياطين او الرؤساء لهم بقولهم انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل انتم غويتم باختياركم ثم عقبه
بذكر ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم فهذا وجه ارتباط الكلام من
قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين **قوله** فعميت عليهم الانباء كالعمي عليهم اشارة الى ان الانباء استعارة
بالكناية بان شبهت في النفس بذوي الارادة المتوجهين الى شيء وجعل اثبات العمى لها دليلا عليه والعمى العين
يقال عمي عمى اذا اختل عينه وقولهم عمي عليه الخبر اي خفي مجاز من عمى البصر فالاصل ان يسند العمى عن الانباء
الى الكفار لكنه عكس مبالغة في نفي الجواب فان الاصل يوهم ان يتحقق الجواب في نفسه وانهم لم يطلعوا عليه

عليه لخلل من قبلهم بخلاف العكس **قوله** يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب والتعتعة في الكلام التردد فيه من حصر او عي **قوله** تعالى فهم لا يتساءلون
كما يسال الناس في المشكلات اما لفرط الدهشة او لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب **قوله** فان
اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى لدخول اختيارهم في عموم قوله تعالى يخلق ما يشاء فان قوله ما يشاء يتناول الاعيان
والاعراض وقد اتفق المسلمون على انه تعالى شاء جميع ما يفعله العباد من جميع الحركات والطاعات التي من جملتها اختيار الطاعة فلما
كان جميع ذلك مما شاءه الله تعالى لزم ان يوجد بخلق الله تعالى اذ اخبر انه يخلق ما يشاء فالآية حجة لنا على المعتزلة في مسئلة
خلق افعال العباد لانه اذا كانت الحركات بمشية الله تعالى وجب كونها مخلوقة لله تعالى بحكم هذه الآية **قوله** وقيل المراد
اي قيل ليس المراد نفي الاختيار عنهم رأسا بل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه شأنا من الامور بل الخيرة لله تعالى في
جميع افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة في جميع ما يفعله فيكون قوله ما كان لهم الخيرة بيانا لقوله ويختار فلذلك لم يعطف عليه
ولما قال المشركون لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم واختاروا للرسالة الوليد بن مغيرة من مكة
او عروة بن مسعود الثقفي من الطائف رد الله تعالى عليهم انه يختار من يشاء للنبوة والرسالة لانه حكيم ان اطلق
له فالاختيار في النبوة اليه ليس لهم ان يختاروا على الله تعالى شأنا من افعاله **قوله** وقيل ما موصولة فعلى هذا يوقف
على قوله وربك يخلق ما يشاء ثم يبتدأ بقوله ويختار ما كان لهم الخيرة بخلاف ما اذا كانت كلمة ما حرف نفي فانه حينئذ
يوقف على قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار ويبتدأ من قوله ما كان لهم الخيرة **قوله** عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه
به على الاول ما مصدرية وعلى الثاني موصولة بتقدير المضاف **قوله** ابتهاجا بفضله والتذاذا بالحمد لا بناء على الامر والتكليف
ومما يدل على ان التحميد في الآخرة على وجه اللذة ما روي عن جابر رضي انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام
قال عليه الصلوة والسلام جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتقديس كما يلهمون النفس والالهام ان
يلقي الله في النفس امرا يبعثه على الفعل والترك وهو نوع من الوحي فان قوله عليه الصلوة والسلام يلهمون يدل
على انهم لا يكلفون بها ثم انه تعالى لما بين ان المحمود في الاولى والآخرة للنعم كلها عاجلها وآجلها فصل عقيب ذلك بعض
ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه فقال قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية ونبه به ايضا على
هدم قاعدة الشرك ببيان انتفاء لازم الالوهية عما سواه وهو القدرة على كل شيء فيكون تقديرا لقوله لا اله الا الله
كميم دلامص وهو البراق يقال دلصت الدرع تدلص من باب نصر اي صار لينا براقا يقال درع دلاص وادرع دلاص
الواحد والجمع على لفظ واحد والميم زائدة في دلامص فكذا في سرمد فوزنه فعمل نبه الله تعالى بهذه الآية على
ان الليل والنهار نعمتان متعاقبتان على الزمان ووجه ذلك ان المرء في الدنيا مضطر الى ان يتعب لتحصيل ما
يحتاج اليه ولا يتم ذلك الا براحة وسكون بالليل ولا بد منهما في الدنيا واما في الجنة فلا نصب فيها ولا تعب فلا حاجة
لاهلها الى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء واللذات فبين بذلك ان القادر على ذلك ليس الا الله تعالى فقوله تعالى قل

ارايتم ان اخبروني يا اهل مكة وسرمدا منصوب ثان لجعل ان كان بمعنى صير وحال ان كان بمعنى خلق وانشا والظاهر ان يقال بهل اله لان
المقام مقام انكار اله يقدر على ذلك غير الله تعالى لا مقام تعيين اله يقدر عليه غيره الا انه ذكر من بدل هل بناء على زعمهم تعدد الالهة
فقيل في الرد عليهم لان الالوهية تقتضي القدرة على كل شيء فان شيء ازعمون انه اله من دون الله يقدر على ماكرنا **قوله**
ولعله لم يصف الضياء بمعنى انه تعالى وصف الليل بقوله تسكنون فيه فكان المناسب ان يصف الضياء بما يقابل ما وصف
به الليل ويقول من يأتيكم بضياء تنتشرون فيه ان جعل الله الليل سرمدا الا انه عدل عنه ولم يصف الضياء اصلا للايذان بان
الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولو قيل بضياء تنتشرون فيه لتوهم انه انما يقصد لما يتوسل به اليه ولا يقصد بنفسه ولانه لو
وصف الضياء بما يقابل ما وصف به الليل لتوهم ان منفعته منحصرة فيما وصف به وليست بمنحصرة فيه بل له منافع كثيرة فاطلق
للايذان بذلك والاحتراز عن توهم الانحصار **قوله** ولذكره لاجل كون منافع الضياء اكثر من منافع ما يقابله
قرن بالضياء ما يكون منفعته اكثر من منفعة ما يقارن الليل وهو البصر وانما قلنا ان منافع السمع اكثر من منافع البصر لان
العقل لا يستفيد من البصر الا صور المبصرات بخلاف السمع فان العقل يدرك بواسطة السمع جميع انواع المحسوسات بل المعقولات
المعرفة اذا عبر عنها بالعبارة الدالة عليها **قوله** ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك اي في خلق الليل والنهار بحيث يتعاقبان
على وجه معين بين الله تعالى بهذه الاية ان الحكمة في خلقهما هكذا ثلثة اشياء اثنان منها يترتب على خلقهما بطريق
اللف والنشر والثالث على خلقهما جميعا فليس فيه اعتبار اللف **قوله** شهيدا وهو نبيهم سمي النبي شهيدا لانه
شهد ما عملوا وحضر ما كان منهم من التصديق والتكذيب والرد والقبول **قوله** والتعبير لبيان انه اي القول
بالسؤال كائن لم يكن عن سند بقرينة ما بعده فان قوله ونزعنا فعلا معطوفا على قوله ينادي بهم فيقول اوثر فيهما لفظ
الماضي لكونهما في حكم الواقع لتحقق وقوعهما **قوله** وغاب عنهم غيبة الضائع فرق ما بين الغيبة والضياع وجعل
المقام مقام ذكر الغيبة وجعل ضل مستعارا بمعنى غاب بتشبيه ما غاب بالشيء الضائع الهالك من حيث تحقق الناس
عن حضوره والانتفاع به واطلاق اسم الضال عليه على طريق اطلاق اسم الاسد على الشجاع **قوله** يصهر بن فاهث عطف
بيان لعمه فان يصهر ابا قارون وعمران ابا موسى كانا اخوين ابني فاهث وكان كل واحد من موسى وقارون ابن عم
الاخر لان قارون كان ابن يصهر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وموسى كان ابن عمران بن فاهث
بن لاوي وقيل معنى كونه من قوم موسى انه كان مؤمنا به وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية فنافق كما نافق السامري وروي
ان قارون كان من السبعين المختارين الذين يسمعون كلام الله عز وجل والبغي تجاوز الحد في الظلم فذكر المصنف طريق
بغيه اربعة اوجه الاول انه طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده ولا يبعد فان كثرة المال سبب للبغي والتكبر والثاني
انه تكبر وتجبر وسخط عليهم والثالث ان فرعون ملكه على بني اسرائيل فظلمهم والرابع انه حسدهم لما روي ان موسى عليه
الصلوة والسلام لما قطع البحر واغرق الله تعالى فرعون جعل الحبورة لهرون عليه الصلوة والسلام فحصلت له النبوة و
الحبورة فكان له القربان والمذبح وكان لموسى الرسالة والربانية فغضب قارون من ذلك في نفسه فقال يا موسى لك الرسالة
ولهرون الحبورة وانا في غير شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى عليه الصلوة والسلام والله ما صنعت ذلك لهرون

يقال ضل الشيء اي ضاع
ويهلك منه

وخروج عن طاعتهم خروج البغاة
عن طاعة السلطان منه

والحبورة رياسة المذبح وكان بنو
اسرائيل يأتون بهديهم الى هرون
فيضعه في المذبح فتنزل نار من السماء
فتأكله منه

لهرون فامر موسى عليه الصلوة والسلام رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد منهم بعصاه فجاؤا بها فالقاها موسى في القبة
التي كان ينزل الوحي عليه فيها وكانوا يعبدون الله تعالى فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ربه ان يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون
عصيهم فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى عليه الصلوة والسلام لقارون
اما ترى ما صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بالعجب مما تصنع من السحر فاعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع
من بني اسرائيل فما كان يأتي موسى ولا يجالسه **قوله** من الاموال المدخرة الكنوز في الاصل عبارة عن الاموال المدفونة تحت الارض
فشبهت الاموال المدخرة بها فاطلق عليها اسم الكنوز **قوله** وقيل خزائنه عطف على قوله صناديقه اي قيل
مفاتح خزائنه كما في قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب اي خزائنه وقياس واحده المفتح بفتح الميم لانه ليس اسم آلة بل هو اسم
للمكان الذي يفتح وكلمة ما في قوله ما ان مفاتحه موصولة بمعنى الذي وان مع اسمها وخبرها وما يتعلق به صلة الذي ولذلك كسر ان
والموصول مع صلته في محل النصب على انه مفعول ثان لآتيناه والباء في قوله لتنوء بالعصبة للتعدية كما في قولك انأه
الحمل اي اثقله والمعنى ان المفاتح لتثقل العصبة الاقوياء فكما يتعدى ذهب تارة بالباء واخرى بالهمزة فكذا ناء يجيء
انثقل متعديا بالهمزة فيقال اناءه الحمل ويتعدى ايضا بالباء فيقال ناء به اي اثقله **قوله** وقرئ لينوء بالياء من تحت بناء
على ان يكون الضمير في مفاتحه لقارون وان يكون المفاتح بمعنى الخزائن فاكتسب المضاف من المضاف اليه التذكير كما يكتسب
منه التانيث في قولهم ذهبت اهل اليمامة **قوله** وهو ان تحصل بها آخرتك فان نصيب المرء من الدنيا ان يتوسل بها الى سعادة
الآخرة وقدر ما لا بد لك واما ما خلفه فهو نصيب غيره وجوز ان يكون المراد بنصيبه من الدنيا ان يتمتع بها بالوجوه المباحة
قوله بامر يكون علة للظلم والبغي يعني ان المراد بالفساد في الارض الظلم والبغي ويكون ابتغاؤه بمباشرة ما يؤدي الى السعي
لحب المال والجاه والركون الى الدنيا وايثار الحظوظ الفانية على اللذات الباقيات فان من ابتلي بامثال هذه الرذائل
لا يتحاشى عن الظلم والبغي كما قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض من حيث
ان شوم المعصية ينقص بركة الارض وقيل في تفسير قوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض اي لا تجعل نعمة الله تعالى عليك
ذريعة الى عصيانه وعونا على مخالفة امره ونهيه وقيل الفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وهو معنى ما
وجد في بعض النسخ نهي له عما كان عليه من الظلم والبغي قيل هذا الواعظ هو موسى عليه الصلوة والسلام وقيل بل هو مؤمنوا
قومه فهو كائنا من كان فقد جمع في وعظه ما لو قبل لم يكن عليه مزيد لكان حقا لكنه ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة
فقال انما اوتيته اي انما اعطيت هذا المال كائنا على علم وفضل علمه الله عندي فرأني اهلا لذلك ففضلني بهذا المال
عليكم كما فضلني بسائر الفضائل نظر الى نفسه ورأى ان ما له من السعة انما حصل له لنفسه واستحقاقه ولم ينظر الى منة
الله عليه في ذلك فافتخر بها وادعاها لنفسه فهلك وكذا كل من ترين في عينه افعاله واقواله واحواله وابتهج بها ولم يعرف
حق من انعم بها فانه يهلك بها بشوم صنيعه كما حسف بقارون لما ادعى لنفسه فضلا فقوله على علم حال من مرفوع اوتيته
فيه بالعامل للاشارة الى علة الايتاء وبيان موجب استحقاقه وقال سعيد بن المسيب والضحاك كان موسى يعلم علم الكيميا
انزل الله عليه من السماء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه //

نحو عنهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان ذلك سبب كثرة امواله لانه كان يأخذ الرصاص فيجعله فضة والنحاس
فيجعله ذهبا وقال عطاء انه اصاب كنزا من كنوز يوسف عليه الصلوة والسلام وقيل كلمة ما في قوله انما اوتيته ليست بكافة
بل هي بمعنى الذي واوتيته صلة وخبر ان محذوف دل عليه الصلة اي ان الذي اوتيته على علم وعندي صفة لعلم قوله
او رد لادعائه العلم عطف على قوله تعجيب وتوبيخ الاول على ان يكون قوله اولم يعلم اثباتا من الله تعالى لعلمه بان الله تعالى قد اهلك
من القرون قبله من هو اقوى منه واغنى على ان يكون الاستفهام في اولم يعلم للانكار لان انكار النفي نفي ونفي النفي اثبات و
الثاني على ان يكون قوله نفيا لعلمه بذلك بناء على ان يكون الاستفهام المذكور للتقرير قوله واكثر جمعا معناه اكثر جمعا للمال
او اكثر جماعة وعددا وحاصل الجواب ان اغتراره بماله وقوته وجمعه من الخطأ العظيم فانه تعالى اذا اراد اهلاكه لم ينفعه
ذلك ولا ما يزيد عليه اضعافا كثيرة قوله سوال الاستعلام اي لا يسألون ذلك من قبلهم لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة
به الى ان يسأل عن كيفية ذنوبهم وكميتها ولا ينافيه انه يسألون سوال توبيخ وتقريع كما دل عليه قوله تعالى فوربك
لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ويحتمل ان يكون بالسوال المنفي سوال المعاتبة ويكون المعنى انهم يدخلون النار بغير
حساب ويعذبون فيها بذنوبهم بدون ان يعاتبوا ويعاتبوا عليها وقوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين يعني ان يحمل
على وقت آخر ح قوله كانه لما هدد قارون اشارة الى وجه اتصال قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله قوله على بغلة
شهباء وهي التي يغلب ما فيها من البياض على سوادها والارجوان قطيفة حمراء وقيل كل ما يكون لونه احمر بناء على ان
الارجوان معرب ارغوان وهو شجر له نور احمر وكل ما يشبهه فهو ارجوان قوله على زينته وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج
الاحمر في المنتخب الديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم وقيل اسم للمنقش قوله حرزا على الحسد وهو ان يتمنى ان
يكون نعمة صاحبه له دونه وهذا التمني مذموم بخلاف الغبطة وهي ان يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه
وما في الآية من هذا القبيل قوله الضمير فيه للكلمة اي ما يليق بهذه الكلمة ولا يوفق للعمل بها الا الصابرون قوله فخسفنا
به اي غيبنا في الارض يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسفا اي غاب به
فيها قوله فبرطل بنيه اي اعطاها الرشوة ومنه المثل البراطيل تنصر الاباطيل وهو جمع برطيل وهو في الاصل الحجر الطويل
به سميت الرشوة كما يقال لقمة الحجر اذا اسكته بالحجة قوله مشتقة من فاء وث رائسه فوزنها فئة والهاء عوض من اللام
الساقطة بالاعلال سميت الاعوان فئة لميلهم الى صاحبهم بالمعاونة والنصرة قوله منذ زمان قريب اي اول زمان
قريب والامس في الاصل اسم لليوم الذي قبل يومك ثم استعير ههنا للزمان القريب والمعنى وصار القوم الذين تمنوا
منزلته وما رزق من اموال وزينة بالوقت القريب او الزمان حسبه مما مضى يقولون والعرب تعبر عن الصيرورة باصبح
وامسى واضحى قوله مركب من وي للتعجب كان القوم الذين شاهدوا قارون في زينته لما شاهدوا ما نزل به من الخسف
نبهوا على خطأهم في تمنيهم مثل ما اوتي قارون حيث علموا ان بسط الرزق لا يكون لكرامة الرجل على الله سبحانه ولا
تضييقه لهوانه عليه تعالى فتعجبوا من انفسهم كيف وقعوا في مثل هذا الخطاء ثم ابتدءوا يقولون كان الله تعالى يبسط الرزق
ويقدر لمن يشاء من عباده بحسب مشيته وحكمته ويضيق لمن يشاء لحكمة وقضائه ابتلاء وفتنة والمعنى ليس
الامر

ليس الامر كما زعمنا من ان البسط يبتني على الكرامة والقبض على الهوان بل الاشبه ان كل واحد من القبض والبسط مقتضى
المشيئة الالهية المستندة الى الحكمة وكذا الكلام في قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون تعجبوا من تمنيهم مثل حال قارون ثم قالوا
ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح والهاء في كأنه ضمير الشأن اي ان الشأن امرهم انهم لا يفلحون **قوله** وقيل من ويك ان قال
الكوفيون ويكأن مركب من ويك وان واصل ويك ويلك الذي اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على
ترك ما لا يرتضى وفتح ان لكونها معمولا لما حذف بانه في موضع النصب بفعل محذوف وهو اعلم فعلى هذا يكون معنى الاية الزجر والردع عن الجهل
بان كل واحد من القبض والبسط ليس الا بحسب مشيئة الله تعالى وحكمته والبعث على العلم بهذه القضية وهي ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وكذا الكلام في قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون فان المقصود منه ايضا الزجر عن الجهل والبعث على العلم
بان الكافرين لا يفلحون **قوله تعالى** لخسف بنا قراءة حفص بفتح الخاء والسين اي لخسف الله بنا وادخلنا في الارض والباقون
بضم الخاء وكسر السين على بناء المفعول فقوله بنا هو القائم مقام الفاعل **قوله** اشارة تعظيم الظاهر ان معنى التعظيم مستفاد من الا
الاشارة بلفظ البعد تنزيلا لبعد درجة المشار اليه ورفعة محله منزلة بعد المسافة كما في قوله تعالى الم ذلك الكتاب فان الاصل
في اسماء الاشارة ان يشار بها الى مشاهد محسوس قريب او بعيد الا انه قد يشار بها الى محسوس غير مشاهد والى ما تخيل
احساسه ومشاهدته بناء على تصييره كالمشاهد المحسوس وتنزيل الاشارة العقلية منزلة الحسية وما نحن فيه من هذا
القبيل **قوله** كما اراد فرعون وقارون يعني ان المراد من عدم ارادة العلو عدم ارادته كارادة فرعون حيث استكبر عن الايمان
واستعلى على ما في الارض من خلق الله تعالى حتى على نبيه المؤيد بالمعجزات الظاهرة ومن عدم ارادة الفساد ان لا يريده كارادة قارون
لقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ولقوله ناصحا قارون ولا تبغ الفساد في الارض وليس كل من يصدق عليه انه اراد علوا او فسادا
في الجملة محروما من سعادة الدار الاخرة للنصوص الدالة على كل مؤمن من اهل الجنة ومن جملتها قوله عليه الصلوة والسلام من
قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ثلثا وقال في الثالثة وان رغم انف ابي ذر الا ان الاية فيها زجر بليغ عن
الخصلتين حيث لم يعلق الوعد بترك العلو والفساد لكن بترك ارادتهما وميل القلب اليهما كما علق الوعيد بالركون
الى الظلم دون نفس الظلم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وايضا فيها دلالة على ان ارادة ما ليس له من العلو
والرفعة مما ينقص حظ المرء من سعادة الاخرة لما روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها آية وعن الفضيل بن عياض انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا يعني ان الاية تدل على وجوب ترك التمني
وارادة ما ليس له من العلو والرفعة كما تدل على وجوب ترك ارادة الفساد وذكر ركاكة لا في قوله ولا فسادا ليفيد ان كل واحد من
الخصلتين على حيالها مانع سعادة الاخرة وان لم تجامع الاخرى ثم انه تعالى لما بين ان الدار الاخرة ليست الا لمن اتقى عذاب
الله تعالى باداء فرائضه واجتناب معاصيه تبين بعد ذكر ما يحصل لهم فقال من جاء بالحسنة فله خير منها ان ذاتا وقدرا ووصفا فان
ثواب المعرفة النظرية الحاصلة في الدنيا هي المعرفة الضرورية الحاصلة في الاخرة ولذة النظر الى وجهه الكريم جل جلاله ولا شك
ان هذا خير من الاولى ذاتا وكذا خير منها قدرا لان الثواب دائم والعمل منقض وكذا وصفا لان العمل فعل العبد والثواب فعل الله
سبحانه وقيل فله خير حاصل من جهة ما جاء به من الحسنة لئلا يرد ما يقال الحسنة التي جاء بها العبد تدخل فيها معرفة الله تعالى

والاخلاص في العمل والثواب انما هو الاكل والشرب فكيف يجوز ان يقال الاكل والشرب خير من معرفة الله تعالى وقد مر هذا البحث في
اخر سورة النمل **قوله** ان معاد اشارة الى التنوين معاد للتعظيم والمعنى ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا
يحيط به الوصف بان يردك الى معاد تحصل لك ولا يبلغ لغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذي وعده الله تعالى ان يبعثه فيه بقوله
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا والظاهر ان المعاد ههنا بمعنى المصير والمنقلب لا بالمعنى المتبادر منه وهو المكان الذي يكون
فيه المرء ثم يرجع اليه بعد ان خارج عنه لانه عليه الصلوة والسلام لم يكن في ذلك المقام مرة حتى يعود اليه **قوله** او مكة
التي اعتدت بها اي صرت معتادا بها وكانت موضع اعتيادك على ان يكون المعاد اسم مكان من عاده بمعنى اعتاده وتعوده
اي صار عادة له يقال عوده الصيد فتعوده واعتاده قال الامام الاقرب ان يراد بالمعاد مكة لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه
وحصل العود اليه وذلك لا يليق الا بمكة والمصحح جواز ان يكون المراد مكة الا انه جعل المعاد من العود بمعنى الاعتياد لان مكة لم يكن
من جبالة الا باعتبار ما يؤول اليه ولانها موضع اعتياده حقيقة ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذرت الحقيقة ووجه تنكير ان مكة ذلك
اليوم كانت معادا له من جبالة اعتداد الغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل
الشرك وحزبه **قوله** لا بلغ الجحفة وهو موضع بين مكة والمدينة وهو ميقات اهل الشام فلما نزلت الآية هنالك لم تكن مكية ولا
مدنية وكانت من جملة ما يدل على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر فيكون من جملة معجزاته **قوله** ومن منتصب بفعل يفسره اعلم لا بنفس
اعلم ان اسم التفضيل لا يعمل في مظهر لعدم كونه بمعنى الفعل لانه يدل على التفضيل والفعل لا يدل عليه فما وقع في حيز مفعوله فانه
معمول لمضمر يدل عليه اسم التفضيل لما وعد رسوله عليه الصلوة والسلام ان يرده الى المعاد قال له قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى
الآية تقريرا للوعد السابق **قوله** محمولا على المعنى فان قوله ما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب في معنى ما القي اليك الكتاب عبر عنه بقوله
ما كنت ترجو للمبالغة فان نفي رجاء الالقاء ابلغ من نفي نفس الالقاء فكانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي الا في حال كونه رحمة
او الا للرحمة فيكون الاستثناء متصلا مفرغا ويكون المستثنى منه اعم الاحوال او اعم العلل ولا يجوز ان يكون الاستثناء باعتبار
اللفظ لانه اذا قيل ما كنت ترجو الا رحمة لزم ان يكون عليه الصلوة والسلام راجيا ان يلقى اليه الكتاب لاجل الرحمة وظاهر انه
عليه الصلوة والسلام لم يكن راجيا له اصلا ثم انه تعالى لما اظهر المنة عليه بانزال القرآن عليه مع عدم رجائه اياه نهاه عن مظاهرة
الكافرين وان يلتفت اليهم ويسمع اقوالهم فيصدوه عن اتباع ايات الله تعالى يعني القرآن قال الضحاك وذلك حين دعوه
الى دين ابائه ليزوجوه ويقاسموه شطرا من اموالهم اي لا تلتفت الى هؤلاء ولا تركن الى قولهم فيصدوك اي قراءة العامة
يصدنك بفتح الياء وضم الصاد من صده يصده وقرئ بضم الياء وكسر الصاد من اصده بمعنى صده وهي لغة كلب قال شاعر
اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم والحوائم العطاش من حام اذا عطش **قوله**
بمساعدتهم فان من ساعدهم بان رضي بطريقتهم ومال اليهم كان منهم **قوله** فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم فان
الممكن لما استفاد الوجود من الخارج كان الوجود له كالثوب المستعار بالنسبة الى الفقير فكما لا يخرج الفقير بالمستعار
ذلك الثوب من الفقير عن كونه فقيرا في حد ذاته فكذا الممكنات لا يخرجن عن كونها هالكة بعارية من الوجود في حد انفسها
فظهر بهذا ان كل ما سواه من الممكنات هالك فبطل ما زعم بكون الجنة والنار مخلوقتين الآن كما يدل عليه قوله

السواقي جمع ساقية وهي نهر صغير ... والحوائم الابل العطاش ... يستقون الابل ... ومعنى صدود ... اذا عطش ... وانما عدى عنه ... سوء ودها

واستدلت المعتزلة بهذه الآية على انهما غير مخلوقتين الآن لان هذه الآية تدل على فناء الكل فلا يصح قوله تعالى في صفة الجنة اكلها دائم منه

قوله تعالى في صفة الجنة اعدت للمتقين وفي صفة النار اعدت للكافرين ويدوم اكل الجنة كما قال تعالى اكلها دائم وظلها
مع كونهما هالكتين بهذا المعنى والله اعلم تم ما يتعلق بسورة القصص هذا اوان الشروع في توضيح ما يتعلق بسورة
العنكبوت بعون الله الملك الودود والحمد لله والصلوة والسلام على نبيه محمد واله وصحبه اجمعين

سورة العنكبوت

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** دليل استقلاله بنفسه بان يكون حرفا مسرودا على نمط التعداد ولا محل لها من الاعراب
لكونها جارية مجرى الاصوات المنبهة فان الحكيم اذا خاطب من هو في محل الغفلة او من هو مشغول البال بمهم من المهمات
فانه يقدم على الكلام المقصود شيئا غيره ليلتفت المخاطب بسببه اليه ويقبل بقلبه عليه وذلك الشيء المقدم على المقصود
قد يكون كلاما له معنى مفهوم كقول القائل اسمع مني واجعل بالك الي وانظر الي وقد يكون شيئا هو في معنى الكلام المفهوم كقوله
ازيد ويا زيد والا يا زيد وقد يكون ذلك المقدم على المقصود صوتا غير مفهوم كمن يصفق خلف انسان ليلتفت اليه وقد
يكون ذلك الصوت بغير الفم كما يصفق الانسان بيديه ليقبل السامع عليه ثم ان توقع الغفلة كلما كان اتم والكلام
المقصود اهم كان المقدم على المقصود اكثر ولهذا ينادى القريب بالهمزة فيقال ازيد والبعيد بيا فيقال يا زيد و
الغافل بالا فيقال الا يا زيد ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان يتيقظ الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فكان
يحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود حروفا كالمنبهات ثم ان تلك الحروف اذا لم يكن بحيث يفهم معناها يكون
اتم في افادة المقصود الذي هو التنبيه من تقديم الحروف التي لها معنى لان تقديم الحروف اذا كان لاقبال السامع على المتكلم
لسماع ما بعد ذلك فاذا كان ذلك المقدم كلاما مفهوم المعنى فربما يظن السامع ان مدلوله هو كل المقصود ولا كلام
له بعد ذلك فيقطع الالتفات عنه واذا سمع منه صوتا بلا معنى فانه حينئذ يقبل عليه ولا يقطع نظره عنه ما لم يسمع غيره جزما
بان ما سمعه ليس هو المقصود فتقرر ان تقديم الحروف التي لا معنى لها في الموضع الذي ذكرت فيه على الكلام المقصود فيه
حكمة بالغة ثم اعلم ان حروف التهجي التي ذكرت في اوائل السور ذكر بعدها في اكثرها الكتاب او التنزيل والقرآن كقوله تعالى
الم ذلك الكتاب الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب المص كتاب انزل اليك يس والقرآن الحكيم ص والقرآن ذي
الذكر ق والقرآن الم تنزيل الكتاب ولم يذكر بعدها غيره الا في ثلث سور كهيعص الم احسب الناس الم غلبت
الروم والحكمة في افتتاح السور التي ذكر فيها بعد حروف التهجي القرآن او التنزيل او الكتاب بتلك الحروف المنبهة هي
ان القرآن عظيم الشان وكذا الانزال والكتاب وانزال الوحي له ثقل عظيم لا يطيق القوة الحيوانية ثقله قال
تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فكل سورة في اوائلها ذكر القرآن او الكتاب او التنزيل قدم عليها منبه يوجب ثبات
المخاطب لاستماعه ثم اعلم ان التنبيه قد يحصل في القرآن بغير الحروف التي لا يفهم معناها كما في قوله تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وقوله يا ايها النبي اتق الله ويا ايها النبي لم تحرم لانها اشياء هائلة عظيمة فان
تقوى الله حق تقاته امر عظيم فقدم عليها النداء الذي يكون للبعيد الغافل عنها واما هذه السورة فافتتحت بالحروف
وليس فيها الابتداء بالكتاب والقرآن لان القرآن ثقله بما فيه من التكاليف والمعاني وهذه السورة فيها ذكر جميع

فعلى انفسح سمح ليس ... اي لا ينفك احد من ... من الاخ ... فلان باب اعطيت فان ... بالانكار لم يجوز الاستغناء بالدرجها حال

التكاليف لكونها مصدرية بقوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا يعني لا يتركون بمجرد ذلك بل يؤمرون بانواع التكاليف فوجد فيها المعنى الذي في صدر السورة التي فيها ذكر القرآن المشتمل على الاوامر والنواهي **قوله** او بما ينضم معه اما بان يجعل هذه الالفاظ المفردة اسماء للحروف التي تتركب منها الكلام افتتحت السورة بطائفة منها ابقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينطقون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه والمعنى هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها هو الذي تحديتم به وعجزتم عن اتيان ما يدانيه واما ان تجعل اسماء القرآن او السورة ويكون المعنى هذه الم واياما كان تكون هذه الالفاظ كلاما مستقلا منقطعا عما بعدها كما هو مقتضى الاستفهام الواقع بعدها فانه تقتضي صدر الكلام **قوله** الحسبان مما يتعلق بمضامين الجملة لما كانت افعال القلوب من جملة نواسخ الابتداء وجب ان تدخل على الجملة التامة للدلالة على ان جهة ثبوت مضمونها هل هي ظن او علم ويقين والواقع بعد فعل الحسبان هو الفعل المضارع المصدر بان المصدرية وما في حيزه لا جملة مؤلفة من المبتدأ والخبر حتى يستوفي فعل الحسبان مفعوليه لكن تلك الجملة الفعلية لما اولت بالمفرد في محل النصب على انها مفعول اول وقوله ان يقولوا الثاني المنفي لكن قوله ان يقولوا مع كونه علة لتركهم غير منفيين لكونه في تقدير لان يقولوا فهو يصح ان يكون خبرا له كما في قولك ضربه للتأديب وخروجه مخافة الشر فاذا اردت ان تبين ان ثبوت مضمون هذه الجملة عندك على وجه الظن دون اليقين قلت حسبت ضربه للتأديب فكذا قوله ان يقولوا آمنا خبر في الاصل ثم جعل مفعولا ثانيا للفعل الحسبان وقوله وهم لا يفتنون من تمام قوله ان يتركوا لكونه حالا من المرفوع المستتر فيه **قوله** او انفسهم متروكين عطف على قوله تركهم غير مفتونين والفرق بين الوجهين ان فعل الحسبان على الوجه الاول استوفى مفعوليه المتلازمين بمعنى انه لا يجوز الاقتصار على احدهما وعلى الثاني حذف كلاهما اكتفاء بذكر ما يسد مسدهما **قوله** خرجوا باخبار المنطوقة من فوق بمعنى ضعفوا وبرءوا جزعوا **قوله** متصل با حسب بيان يكون حالا من فاعله لبيان علة انكار الحسبان وتقرير جهة اشكاله والمعنى احسبوا ذلك وقد علموا انه خلاف سنة الله تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا والمقصود التنبيه على خطائهم في الحسبان **قوله** او بلا يفتنون بان يكون حالا من فاعله لبيان ان لا وجه لتخصيصهم انفسهم بعدم الافتتان والمعنى احسبوا ان لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسلك الامم السالفة فيكون داخلا في حيز متعلق الحسبان المنكر تخطئة لهم **قوله** فليتعلقن علمه بالامتحان اي فليمتحننهم بمشاق التكاليف وبانواع السراء والضراء ويبلو بذلك صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم ونصوع نياتهم ليتميز المخلص منهم عن المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن في العبادة من العابد على حرف فيتعلق علمه بوجود كل طائفة على ما هي عليه من الحال كما علم قبل ذلك بانه سيوجد موصوفا بتلك الحال ومقصود المصنف بهذا الكلام ان يجيب عما يقال انه تعالى عالم بجميع الكائنات فيما لم يزل فكيف قيل وليعلمن الله وهو بظاهره يقتضي ان يكون علمه تعالى حادثا متجددا عند الامتحان لا قبله قال الامام الآية محمولة على ظاهرها وذلك ان علم الله تعالى صفة يظهر فيها كل ما هو واقع فقبل التكليف كان الله تعالى يعلم ان زيدا مثلا سيطيع وان عمرا سيعصي ثم وقت التكليف والاتيان يعلم انه مطيع والآخر عاص وبعد الاتيان يعلم انه اطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه في شيء من الا
حوال

ان الآية الاولى نزلت في ناس من الصحابة رضي الله عنهم والثانية بهذه الآية نزلت في حق الكافرين كانه قيل احسب الذين قالوا ان يكتفي منهم بالايمان بدون الامتحان ام حسب الكفار ان يعجزونا فتركوا الآخرة ذكر الايمان فالكفر وانهم يطمعوا في الفوت لانكارهم البعث والجزاء اصلا واساكنهم نزلوا منزلة من عرف وصدق به وطمع في السبق اي الفوت وذلك لغفلتهم واصرارهم على الكفر مع ظهور الدليل القائم على انه لا بد من البعث والجزاء فانكر عليهم ذلك الطمع والحسبان فكان تلك حاصل المعنى ان اجراء الخصم البتة لانه لما انكر حسبانهم السبق اي الفوت تبين انهم لا يفوتون فلا محالة يلحقهم العذاب لاجل ثباتهم على الكفر والمعاصي تنبيه لا يجرؤن بحيثه **قوله** ولا يستوفيا لما اشتمل على المسند والمسند اليه ستر مسد مفعولي حسب والمعنى الظن المسيئون انهم يفوتوننا فلا نقدر على الانتقام منهم وهو في قوة قولنا احسبوا انفسهم فائتين وام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والاضراب لاجل الانتقال لا لابطال السابق لان انكار الحسبان الاول ليس بباطل لان الحسبان الثاني ابطل وادنى بالانكار وذلك لان صاحب الحسبان الاول يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازي بما وبه والثاني ابطل لانه خلاف ما يقتضيه العقل والاول انما يخالف النقل فقط ولم يجعل ام هذه متصلة معادلة لهمزة الاستفهام في قوله احسب الناس لوجهين احدهما ان ما بعدها ليس مفردا ولا في قوة المفرد والثاني انه لم يكن هنا ما يجاب به من احد الشيئين او الاشياء **قوله** اما بئس الذي يحكمونه يريد انها بمعنى بئس وان ما يجوز ان يكون موصولة بمعنى الذي ويحكمون صلتها والعائد محذوف والموصول مع صلته في محل الرفع على انه فاعل بئس فيكون فاعل بئس كالمعرف باللام ويكون المخصوص بالذم محذوفا اي بئس الحكم الذي يحكمونه حكمهم هذا ويجوز ان يكون الفاعل مضمرا مفسرا بما وهي في محل النصب على التمييز ويحكمون صفتها بحذف العائد والمخصوص ايضا محذوف والتقدير بئس الحكم حكما يحكمونه حكمهم هذا حيث ظنوا ذلك قال الامام لما بين حسن التكاليف بقوله احسب الناس ان يتركوا بين ان من كلف بشيء ولم يأت به يعذب وان لم يعذب في الحال فيعذب في الاستقبال ولا يفوت الله تعالى شيء لا في الحال ولا في المآل **قوله** وقيل المراد بلقاء الله تعالى اي قال من ذهب الى ان لقاء الله بمعنى ابصاره غير ممكن ان المراد بلقاء الله عز وجل الوصول الى ثوابه والى العاقبة بان استعير اللقاء للوصول المذكور حيث شبه الوصول باللقاء ثم ذكر اللقاء واريد ذكر الوصول على الاستعارة التصريحية ووجه الشبه بين الوصول واللقاء ان من وصل الى ثواب الله تعالى والى عاقبة مكنته في الدنيا من الموت والبعث والحساب والجزاء على حسب ما وعدله في الدنيا فقد انكشف الامر وتبين ما اعتقده في الدنيا من امور الآخرة وصفات الله تعالى ووحدانيته ووعده ووعيده فصار كانه لقاء الله تعالى وكلمه بهذه الاشياء وبينها له فان وصول الآثار المختصة بالشيء يقوم مقام الوصول الى ذات الشيء ورؤيته او صار حاله في وصوله الى عاقبة مكنته في الدنيا كحال من لقي سيده بالبشر وطلاقة الوجه او بالسخط والعبوسة **قوله** فليبادر ما يحقق امله مبني على ما اختاره من ان المراد بلقاء الله تعالى النظر الى وجهه الكريم في الجنة **قوله** او ما يستوجب به القربة مبني على ما قيل من ان المراد بلقاء الله تعالى الوصول الى العاقبة على تمثيل حال الواصل بحال من لقي سيده المطلع على احواله **قوله** واذا كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء آتيا لا محالة اشارة الى جواب ما يقال وهو ان قوله من كان يرجو شرط وجزاؤه فان اجل الله والمعلق بالشرط عدم عند عدم الشرط فيلزم منه ان من لا يرجو لقاء الله لا يكون اجل الله تعالى آتيا له والاجل آت لكل احد لا محالة فما وجه جعل رجاء اللقاء شرطا لاتيان الاجل والشرط لا بد ان يكون سببا للجزاء او للاخبار به ولا يظهر السببية باحد المعنيين ههنا ومحصول الجواب ان قوله فان اجل الله آت ليس بجزاء بل هو قائم مقام الجزاء فان اصل الكلام من كان يرجو لقاء الله فليبادر العمل الصالح الذي يحقق امله او الذي يستحق به التقربة والرضا فان اجل الله آت عن قريب الا انه اقيم ما هو السبب الاصل للجزاء وهو كون اجل الله آتيا عن قريب مقام ذكر الجزاء المسبب ثم عطف الامر بمبادرة الاعمال الصالحة بقوله وهو السميع العليم اي وهو المجازي بجميع صالحات اعماله فان العمل الصالح لا يخرج عن ثلثة اقسام احدها عمل القلب كالتصديق والنية الخالصة وغيرهما وهو لا يرى ولا يسمع ولا يتعلق به الا العلم وثانيها عمل اللسان وهو يسمع وثالثها عمل الاعضاء والجوارح وهو وان كان من قبيل

من الاحوال وانما المتغير المعلوم ويتبين هذا بمثال من الحساب وهو ان المرآة الصافية الصقيلة اذا علقت في موضع و
قوبل بوجهها جهة ثم عبر عليها زيد لابسا ثوبا ابيض فظهر فيها زيد في ثوب ابيض ثم عبر عليها عمرو في لباس اصفر فظهر فيها كذلك
فهل يقع في ذهن احد ان المرآة في كونها حديدا تغيرت او كونها صقيلة صافية مدورة متقابلة الى جهة فلانية تحولت وتبدلت
لا يقع في ذهن احد تغيرها في شيء من هذه الاوصاف بل يقطع كل احد بان المتغير الامور الخارجة عنها فعلم الله تعالى في عدم
تغيره وتجدده من هذا القبيل بل علمه تعالى اعلى واجل فان المرآت مخلوقة وعلم الله تعالى ازلي قديم لكن يتجدد تعلقه
على حسب تجدد المعلوم فمعنى قوله فليعلمن الله الذين صدقوا معناه انه يقع ممن يعلم الله تعالى انه يطيع الطاعة فيعلم انه
مطيع بذلك العلم وقوله وليعلمن الكاذبين يعني من قال انا مؤمن وكان كاذبا فبفرض العبادات يظهر منه ذلك
لانه يقع ممن يعلم الله تعالى انه سيعصي ولا يطيع المخالفة والعصيان فيعلم انه كاذب في دعوى الايمان والطاعة لقيام
شواهد كذبه فيها فان اللسان ترجمان القلب والاعضاء شهود على ما يدعيه المرء باللسان فمن ادعى بلسانه الايمان
واستعمل الاركان على حسب ما يقتضيه الايمان فقد صدقه شهوده في دعواه وتحقق ما في علمه تعالى من انه سيطيع فيعلم
بانه قد اطاع ومن لم يستعمل اركانه حسبما يقتضيه ايمانه فقد كذبته شهوده وتحقق ما في علمه تعالى من انه لا يطيع وعلمه تعالى
بانه من العصاة الكاذبين وفي قوله الذين صدقوا بصيغة الفعل وقوله الكاذبين بلفظ اسم الفاعل فائدة مع ان
الاختلاف في اللفظ ادل على الفصاحة وهي ان اسم الفاعل يدل في كثير من المواضع على ثبوت المصدر في الفاعل ورسوخه
فيه والفعل الماضي لا يدل عليه كما يقال فلان شرب الخمر وفلان شارب الخمر وفلان نفذ امره وفلان نافذ الامر لا يفهم من صيغة الفعل التكرار
والرسوخ ويفهم ذلك من اسم الفاعل اذا ثبت هذا فنقول وقت نزول الآية كانت الحكاية عن قوم قريبي العهد بالاسلام
في اوائل ايجاب التكليف وعن قوم مستديمين للكفر مستمرين عليه فقال في حق المؤمنين صدقوا بلفظ الفعل اي وجد منهم
الصدق وقال في حق الكافرين الكاذبين بالصيغة المنبئة عن الثبات والدوام قوله ولذلك اي ولكون المراد بالعلم
تعلقه الحالي الذي هو سبب للتمييز والمجازاة فسر العلم بهما على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وقيل
المعنى فليميزن او فليجازين فان التمييز بين الشيئين والمجازاة على الشيء مسبب عن تعلق العلم به فافهم قوله
ليعلمن مقام ليميزن او ليجازين قوله اي ليعرفهم الناس على ان يكون اعلم من علمت بمعنى عرفت نقل الى باب
الافعال فعدي الى مفعولين احدهما الذين والآخر محذوف وهو الناس والمعنى ليعرفن الله الناس الذين صدقوا من
الكاذبين قوله او ليسمنهم على ان يكون اعلم من اعلم القصار الثوب فهو معلم بالكسر والثوب معلم بالفتح يقال
وسمه وسما اذا اثر فيه بكي او علامة يعرف بها والضمير في ليعرفنهم وليسمنهم للصادقين والكاذبين قوله الكفر و
المعاصي ذكر او لان الآية ظاهر بالوجود الولد بالولادة ولبقائه بالتربية المعتادة كما انه تعالى سبب حقيقي لوجوده
بالارادة ولبقائه بالاعادة للسعادة الدائمة فاول ما يجب على العبد ان يحسن حاله مع مولاه ثم مع من ولده
ورباه فلذلك وصى الله تعالى به بعدما بين حسن التكليف ووقوعه ليتبين به صدق العبد من كذبه وان نفع المجاهدة
انما يرجع اليه وانه يجزى باحسن جزاء اعماله بسبب ثباته على طاعة مولاه فهذا وجه اتصال الآية بما قبلها والله اعلم

المجازاة الآن بحكمه تعالى بذلك لما لم يمكن باستعانة الآلة جعل من قبيل عمل القلب واثر رائي احاطة بحكمه به بقول
العليم وههنا لطيفة وهي ان من اتى بهذه الاعمال الصالحة جعل الله تعالى له ما لا عين رأت ولا اذن سمعت والمراد به ما لا عين
رأت ولعل قبله ما لا خطر على قلب احد كما ذكر في الخبر الوارد في وصف الجنة قوله على مقتضى الطاعة الذي تعالى
اي على تعبها وفي الصحاح المقتضى وجع المعيبة يقال مقتضى الجرح امضاضا اذا اوجعك وفيه لغة اخرى مضني
الجرح لما بين الله تعالى ان التكليف والامتحان حسن واقع بين ان نفعه يعود الى المكلف وانه تعالى غني عن العالمين
والظفر المذكور في الآية اضافي معناه ان جهاده لا يصل منه الى الله نفع خلاف ما يقال كيف يستقيم الظفر المذكور من ان جهاد
المرء قد ينتفع به غيره كما ينتفع الآباء بصلاح الاولاد وينتفع من سن سنة حسنة بفعل من استن به انه تعالى لما بين اجمالا ان من
عمل عملا صالحا فانما يعمل لنفسه فصل ذلك الشيء بعض التفصيل فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن والذين بعد آخر كلمة
القسم المحذوفة وجوابها اي والله لنكفرن والتكفير اذهاب السيئة بالحسنة والمعنى لنذهبن سيئاتهم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل والعمل الصالح
عندنا كل ما امر الله تعالى به فانه صار صالحا بامره ولو نهى عنه لما كان صالحا فليس الصلاح والفساد من لوازم الفعل في نفسه
وقالت المعتزلة ذلك من صفات الفعل ويترتب عليه الامر والنهي فالصدق عمل صالح في نفسه ولهذا امر الله تعالى به لذلك فعندنا الصلاح و
الفساد والحسن والقبح يترتب على الامر والنهي وعندهم الامر والنهي يترتب على الحسن والقبح قوله احسن جزاء
اعمالهم يريد ان المضاف محذوف اي احسن جزاء الذي كانوا يعملونه يعني ان للعمل جزاء حسنا وجزاء احسن فهو تعالى
يجزيهم الجزاء الاحسن قوله بايتائه والديه يعني ان الباء صلة ووصى وحذف المضاف الذي هو المأمور به واقيم
المضاف اليه مقامه وان حسنا منصوب على انه صفة لمفعول المصدر المحذوف وفيه اما بتقدير ذا او بجعل نفس
ذلك الفعل حسنا للمبالغة لما بين الله تعالى حسن التكليف وحرض المكلف على طاعة مولاه فيما كلفه به بقوله
انما يجاهد لنفسه وانه يجزى باحسن جزاء اعماله حرضه على طاعة والديه لكونهما سببين بحسب الظاهر لوجوده وتربيته
فقال ووصينا الانسان الآية قوله وقيل هو بمعنى قال فيكون حسنا منصوبا بوقوعه موقع المصدر للفعل المحذوف
الذي تعلق به قوله بوالديه او بكونه مصدر الحذف الزوائد على ان يكون وصينا بمعنى قلنا قوله وقيل حسنا منتصب
على انه مفعول به لفعل مضمر هو مقول قول مقدر مفسر للتوصية قوله اولهما امر المخاطب من قولك اوليته معروفا اي
اعطيته اياه ويقال اوليته الشيء فوليه قوله وهو اوفق لما بعده اي تقدير فعل الامر اوفق لقوله فلا تطعهما لانه اذا كان
التقدير اولهما حسنا ولا تطعهما في الشرك اذا حملاك عليه يكون عطف الانشاء على الانشاء بخلاف ما اذا
جعل وصينا بمعنى امرنا فعلى هذا يكون جملة قلنا اولهما كلاما مستأنفا كأنه لما قيل ووصينا الانسان
بوالديه قيل ما تلك الوصية فاجيب اولهما ولا تطعهما فلذلك حسن الوقف على قوله بوالديه قوله
وقرئ حسنا بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وقرئ احسانا كما قوله تعالى وبالوالدين احسانا قيل نزلت
الآية في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة فانه لما اسلم وكان من السابقين الاولين قالت امه ما هذا الدين
الذي احدثته والله لا آكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير بذلك ابد الدهر ويقال لك يا قاتل امه
ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب فجاء سعد اليها وقال يا اماه لو كانت لك مائة نفس فخرجت
نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي وان شئت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله تعالى هذه
الآية وامره بالبر بوالديه والاحسان اليهما وان لا تطيعهما في الشرك امر الله تعالى بالاحسان الى الوالدين لكونهما
سببا ظاهرا يا صحصح

قوله ولا بد من اضمار القول بعد قوله حسنا على تقدير ان يكون وصيناه بمعنى امرناه اى امرناه بكذا وقلنا ان جاهداك
ليكون المعطوف عليه جملة خبرية كالمعطوف عليه ولا يلزم عطف الانشاء على الاخبار ومن هذا يعلم ان الجملة الشرطية انما
يكون خبرية اذا لم يكن جزاؤه انشاء قوله ان لم يضمر قيل يدل على انه لا بد من اضمار القول على تقدير ان يكون وصى بمعنى قال
وكذلك لان الجملة الشرطية الانشائية ح يكون معطوفة على الانشائية المقدرة الناصبة لقوله حسنا قوله من الضح
وهو الموضع الذى يقع موضع الشمس وفى الحديث لا يقعدن احدكم بين الضح والظل فانه مقعد الشيطان قوله تعالى
والذين امنوا يجوز ان يكون فى محل الرفع على الابتداء وفى محل النصب على الاشتغال قيل الفائدة فى اعادة الذين
امنوا وعملوا الصالحات ان ذكرهم اولا لبيان حال المهتدين وثانيا لبيان حال الهادين ويدل عليه انه تعالى قال
اولا لنكفرن عنهم سيئاتهم وقال ثانيا لندخلنهم فى الصالحين والمراد بهم الهداة لكون الصلاح المتصل منصب الانبياء عليهم
الصلوة والسلام ولهذا قال يوسف والحقنى بالصالحين هذا ما قيل والظاهر ان الاول ذكر لتقرير قوله فانما يجاهد لنفسه والثانى ذكر
تحريضا للانسان على قبول ما وصى به والحاصل ان الاول وعد وتحريض على طاعة المولى فيما كلف به والثانى وعد وتحريض على طاعة
الوالدين فى غير المعصية ثم ان المكلفين ثلثة اقسام مؤمن ظاهر بحسن اعتقاده وكافر مجاهر بكفره وعناده ومذبذب
بينهما يظهر الاسلام بلسانه ويضمر الكفر فى فؤاده فالله تعالى لما ذكر القسمين بقوله فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين
وبين احوالهما بقوله ام حسب الذين يعملون السيئات الى قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات ذكر القسم الثالث فقال
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله اى اذا اصابه مكروه بسبب دين الله قوله ليقولن قرأه الجمهور
بضم اللام على اسناد الفعل الى ضمير الجمع حملا على معنى من بعد ان حمل على لفظها فى ثلثة الفاظ ويؤيد هذه القراءة قوله انا كنا وقرئ
ليقولن بفتح اللام حملا على اللفظ كما حمل عليه سابقا فى ثلثة مواضع فلما حكى الله تعالى قولهم وكذبهم بقوله او ليس الله باعلم بما فى
صدور العالمين ذكر ما يكون وعدا فى حق احد الفريقين ووعيدا فى حق الاخر فقال وليعلمن الله الذين صدقوا
الاية قوله وانما امروا انفسهم باطلاح الحال الى الامر مع انه ما مور وامر الشخص نفسه غير معقول والحاصل ان قوله ولنحمل وان
كان على لفظ الامر الا ان مراد الكفار تعليق حمل خطايا المؤمنين باتباعهم سبيل الكفر فكان الاصل ان يقال اتبعوا سبيلنا
نحمل خطاياكم على معنى ان اتبعتم سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم الا انه عدل عنه الى ما عليه النظم ليفيد المبالغة فى تعليق حمل
الخطايا بالاتباع وفى الوعد بتخفيف الاوزار حيث ابرز الكلام فى صورة امر نفسهم لا شك انه يدل على المبالغة فى الالتزام
قوله وبهذا الاعتبار اى باعتبار كون المراد تعليق الحمل بالاتباع توجه عليهم الرد والتكذيب اذ لو كان المراد حقيقة الامر
لما توجه عليهم ذلك لان التصديق والتكذيب انما يتوجهان على الخبر دون الانشاء وقد كذبهم الله تعالى بقوله وما هم بحاملين
من خطاياهم الخ وانما كذبهم مع ان العجز عن الوفاء بالمضمون لا يوجب الكذب على تشبيه حالهم بحال الكاذبين من حيث انهم
ضمنوا بما لا يصح الضمان به كما ان الكاذبين اخبروا بما لا يصح الاخبار به قوله من الاولى للتبيين ومن الثانية زائدة يعنى
ان قوله من شىء مفعول لقوله حاملين ومن خطاياهم حال من شىء لانه لما تقدم عليه انتصب حالا والتقدير وما هم بحاملين
شيئا من خطاياهم وهو المراد من قوله من الاولى للتبيين قوله من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شىء اشارة الى جواب ما يقال
انه تعالى

انه تعالى نفى الحمل اولا حيث قال وما هم بحاملين من خطاياهم من شىء ثم اثبته حيث قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم فما وجه
الجمع وتلخيص الجواب انه ليس فيه اثبات ما نفى اولا لانهم لا يحملون شيئا من اوزار اتباعهم شيئا لانه اذا حمل احد عن آخر شيئا لزم ان
يخف حمل الاخر فاذا لم يخف حمله فلا يكون قد حمل عنه شيئا بل يحملون اثقال ما اقترفوه بانفسهم واثقالا اخر بسبب اضلال غيرهم
لقوله عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من وزره شىء ونظيره قوله تعالى
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم واللام فى وليحملن جواب قسم محذوف اى والله ليحملن
هؤلاء الذين وعدوا المؤمنين على حمل اثقالهم ان اتبعوا على شركهم قوله من الاباطيل التى اضلوا بها قيل تلك الاباطيل
التى افتروا بها يحتمل ثلثة اوجه احدها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لا خطيئة فى الكفر والارتداد ثم يوم القيمة
يظهر لهم ذلك فيسألون عن ذلك الافتراء وثانيها ان قولهم ولنحمل خطاياكم مبنى على اعتقادهم ان لا حشر فاذا جاء يوم القيمة
ظهر ضلالهم فيسألون فيقال لهم اما قلتم ان لا حشر وثالثها انهم لما قالوا ولنحمل خطاياكم يوم القيمة يقال لهم فاحملوا خطا
ياهم فلا يحملون فيسألون بان يقال لهم فلم افتريتم قوله بعد المبعث او قبل الطوفان قوله ولعل اختيار هذه العبارة
مع ان الظاهر ان يقال فلبث فيهم تسعمائة وخمسين سنة لدلالته على كمال العدد فانه لو قيل تسعمائة وخمسين لاحتمل
ان يحمل الكلام على المجاز بان يراد بالعدد المذكور ما يقرب منه تنزيلا للاكثر بمنزلة الكل فلما عدل الى ما عليه النظم لم يتوهم ذلك
لان الاستثناء انما يذكر فى العدد لتكميل العدد وبيان ان المراد كله قوله واختلاف المميزين حيث ميز العدد اولا
بالسنة وثانيا بالعام ثم انه خص لفظ العام بالخمسين ايذانا بان نبى الله عليه الصلوة والسلام لما استراح من قومه
بالاغراق طاب زمانه وصفا عيشه فان العرب تعبر عن الخصب بالعام وعن الجدب بالسنة قوله اى السفينة او الحادثة
قيل كانت السفينة آية من وجوه احدها انها اتخذت قبل ظهور الماء ولولا ان الله تعالى انبأ نوحا بما سيكون وبطريق النجاة
منه لما اشتغل باتخاذها فلا يحصل لهم النجاة وثانيها ان نوحا عليه الصلوة والسلام امر باخذ قوم معه ورفع قدر من القوت
والبحر العظيم لا يتوقع احد نضوبه ثم ان الماء غيض قبل نفاد الزاد ولولا ذلك لما حصلت النجاة فهو بفضل الله تعالى لا بمجرد
السفينة وثالثها ان الله تعالى كتب سلامة السفينة عن الرياح المزعجة والحيوانات المؤذية ولولا ذلك لما حصلت النجاة
قوله اى ارسلناه حين كمل عقله كانه جواب عما يقال ان يكون ظرفا لارسلنا والارسال يكون قبل الدعوة فكيف يجوز
ان يقال ارسلنا ابرهيم حين دعا قومه الى عبادة الله تعالى وهو مرسل قبله وحاصل الجواب ليس المراد بالامر بعبادة الله
ما يكون نتيجة الارسال بل ما يكون نتيجة كمال العقل ومعرفة الصح ولم يكن ارسال قبل ذلك قوله ان قدر باذكر ولا يجوز ان يكون
بدلا منه على تقدير كونه معمولا لارسلنا والا لزم ان يكون الوقت مرسلا قوله او كنتم تنظرون فى الامور بنظر العلم
اى بنظر البصيرة المؤدى الى العلم فقوله تعالى تعلمون على هذا الوجه بمعنى تنظرون وتتفكرون فان النظر سبب للعلم مستلزم
له فاطلق اللازم واريد الملزوم على سبيل الكناية وجواب الشرط محذوف على الوجهين اى علمتم انه خير لكم قوله
وتخلقون كذبا لان خلق الكلام افتعاله من عند نفسه من غير ان يقصد به الحكاية عن الواقع فيكون تخلقون بمعنى تكذبون
فيكون انتصاب افكا على المصدرية وان كان اطلق بمعنى العمل والانشاء بمعنى وتعملون الاوثان يكون افكا مفعولا له

وقراء العامة تخلقون بفتح التاء وسكون الخاء وضم اللام وافكا بكسر الهمزة وسكون الفاء والمعنى كما ذكره تخلقون كذبا او تنحتون الاوثان الكذب وقرئ تخلقون بضم التاء وكسر اللام المشددة مضارع خلق بالتضعيف للتكثير وقرئ تخلقون بفتح التاء والخاء واللام المشددة مضارع تخلق للتكلف والاصل تتخلقون بتائين فحذفت احديهما بمعنى التخلق والتكذب اذا افتعل الكذب بالتخلق وقرئ تخلقون بضم التاء وكسر اللام وقرئ افكا بفتح الهمزة وكسر الفاء وهو مصدر كالكذب لفظا ومعنى اي تكذبون كذبا او صفة لمصدر محذوف اي خلقا وعملا ذا افك قوله وتنكيره للتعميم فان النكرة في سياق النفي تفيد العموم اي لا يملكون شيئا من الرزق ثم عرف باللام الاستغراقية ليفيد ان الرزق كله لله تعالى قوله وان تكذبوا اشارة الى ان المخاطب بقوله تكذبوا هو قوم ابرهيم عليه الصلوة والسلام وان هذه الاية الى قوله فما كان جواب قومه من جملة ما قاله ابرهيم عليه الصلوة والسلام ثم جوز ان تكون خطابا لقوم محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يكذبوا ايها القريش فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا بسبب التكذيب فكيف لا تخافون ان يتبع بكم ما وقع بمن قبلكم من المكذبين فيكون هذه الجملة معترضة في اثناء قصة ابرهيم والجملة الاعتراضية لا بد لها من ان تتصل بطرفيها فبين وجه الاتصال ههنا بقوله من حيث ان مساق قصة ابرهيم لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل انكم يا معشر قريش ان كذبتم محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكذا سائر الانبيا كذبهم اممهم ولم يضر تكذيب احد منهم نبيه لان الرسل انما ارسلوا الا لحجوا قومهم ولا يجب عليهم ان يصدقهم اممهم لانهم لا يحملون بفعل غيرهم قوله كان ممنوا اي مبتلى ببلاء منوية ومنيه اذا ابتليه فان قيل كيف يكون هذه الآية من جملة ما قاله ابرهيم لقومه مع ان قوله فقد كذب امم من قبلكم يابى ان يكون من قصة عليه الصلوة والسلام لان قوم ابرهيم لم يسبقهم الا قوم نوح وهم امة واحدة قلنا ان نوحا عليه الصلوة والسلام بعث الى جميع ابن آدم ولا شك انهم طوائف شتى وايضا وكان قبل نوح اقواما اخر كقوم ادريس وقوم شيث وقوم آدم عليهم الصلوة والسلام ولا يبعد ان يكون اقوامهم من كذب نبيه ولقد عاش ادريس عليه الصلوة والسلام في قومه الف سنة الى ان رفع الى السماء وآمن به الف انسان بعود دينه واعقابهم على التكذيب قوله وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالتاء على الخطاب لتقدم ابرهيم بتقدم القول اي قال ابراهيم لقومه او لم تروا ولم يتعرض لاحتمال ان يكون خطابا من الله تعالى لاهل مكة ولا يكون محكيا بتقدم القول وقرا الباقون بيا الغيبة ردا على الامم المكذبة ولا يكون محكيا بتقدم القول وقرا الجمهور يبدي بضم الياء من ابداء وقرئ يبدأ مضارع بدأ قوله معطوف على او لم يروا فان قلت اوليس هذا من عطف الخبر على الانشاء اجيب بان الاستفهام فيه لما كان للانكار وتقرير الرؤية كان اخبارا من حيث المعنى اي قد راوا ذلك وعلموه قوله فان الرؤية غير واقعة عليه فان قلت الابداء كذلك لانه كان قبل وجود الامم قلت اللام في الخلق للجنس وابداء بعض الخلق مرئي وذلك يكفي في صحة رؤية ابداء الجنس فان قيل علق الرؤية بالكيفية لا بنفس الخلق حيث قال او لم يروا كيف يبدئ ولم يقل او لم يروا ان الله يبدئ الخلق او بداء الخلق والكيفية غير معلومة فالجواب هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيئا مذكورا او انه خلقه من نطفة هي مخلوقة من غذاء متكون من ماء وتراب وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة استدلالا بالابداء وقد تقرر ان امهات علوم القران ثلثة التوحيد والرسالة والحشر ولما بين الاصل الاول وهو التوحيد و

اشار

واشار الى الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله وما على الرسول الا البلاغ المبين شرع في بيان الاصل الثالث وهو الحشر وقد جرت العادة الالهية في كلامه المجيد على ان لا ينفصل بعض هذه الاصول من بعض وفي اي موضع جرى ذكر اثنين منها يذكر الثالث معهما فلهذا لما ذكر الاعادة استدل عليها بالابداء فقال او لم يروا كيف يبدئ الله الخلق الآية قوله حكاية كلام الله تعالى وليس من مقالة ابرهيم عليه الصلوة والسلام لقومه من عند نفسه على تقدير ان يكون الآيات المذكورة من قوله وان تكذبوا الى قوله فما كان جواب قومه من قصة ابرهيم ولا من مقالة سيد المرسلين عليه الصلوة والسلام من عند نفسه على تقدير كونه معترضة واقعة في اثناء قصة ابرهيم تذكيرا وانذارا لقريش اذ لا وجه لهما ان يقولا من عند انفسهما قل سيروا بل الظاهر انه كلام احدهما لقومه على حكاية كلام الله تعالى ومقصود المص انه يجب عليهما كيف يكون هذا من كلام احدهما ولا يصح لواحد منهما ان يقول ذلك ومحصول الجواب انه لا يصح ان يقوله من عند نفسه الا انه يصح ان يقوله على حكاية كلام الله تعالى حكاية ابرهيم ومحمد عليهما الصلوة والسلام لقومه اي قال الله تعالى قل لهم وقد يحكي رسولنا كلام الله تعالى على هذا المنهاج والمعنى قل لمنكر البعث سيروا في الارض لتشاهدوا كيف انشاء الله تعالى جميع الكائنات بدءا ومن قدر على انشائها بدءا اما يقدر على اعادتها لما قال ابراهيم عليه الصلوة والسلام لقومه اليه ترجعون ثم قال لهم وان تكذبوني فيما اخبرتكم به من البعث والجزاء فلا علي في تكذيبكم ثم البعث عن خطابهم وقال على طريق التنبيه في حجاله منكري البعث اولم يروا البعث ما يدل على صحته وهو انه تعالى انشأ الكائنات باسرها على وجه الابداء ثم اخبر بانه تعالى يعيدهم لا محالة امره الله تعالى بان يحتج على هؤلاء المنكرين بما ذكره من الدليل فقال له قل سيروا على تقدير كون الآيات المذكورة من قصة ابرهيم وقيس عليه كونها معترضة في اثناء قصة قوله والقياس الاقتصار عليه اي على الاضمار لانه لما ابرز اسم الله تعالى في قوله كيف يبدئ الله الخلق كان المناسب ان يضمر بعده انما ذكر كما اضمر في قوله ثم يعيده وفي قوله كيف بدا الخلق قوله للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وجه دلالة الافصاح عليه انه اذا ابرز اسم الله تعالى وجعل مبتدا يكون الكلام جملة اسمية مفيدة للثبوت والتاكيد بخلاف ما اذا اضمر وقيل ثم ينشئ مع ان ابراز الاسم جامع يدل على اعادة جميع الاوصاف المعتبرة في الابداء من العلم والقدرة والحكمة والرحمة فهو كاسم الاشارة في افادة هذا المعنى وابلغ فكانه بنى الحكم على الاسم الظاهر بمنزلة بنائه على علته قوله والكلام في العطف ما مر فكما ان قوله ثم يعيده ليس بمعطوف على قوله يبدأ الله لكون الرؤية غير واقعة على الاعادة كما وقعت على الابداء بل هو معطوف على جملة قوله او لم يروا كيف يبدئ الله الخلق فكذا قوله تعالى ثم ينشئ الله ليس بمعطوف على قوله بدا الخلق لكون النظر غير واقع على الانشاء الثاني بل هو معطوف على جملة سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق وكل واحد من المعطوف والمعطوف عليه داخل في حيز القول قوله وقرئ النشاءة بالمد قراءة ابن كثير وابو عمرو والباقون بالقصر وسكون الشين وهما لغتان كالرأفة والرآفة وانتصاب النشأة على انه مصدر محذوف الزوائد والاصل الانشاءة وعلى حذف العامل اي ينشئ فتنشئون النشأة وفي الصحاح انشأه الله اي خلقه والاسم النشأة والنشاءة بالمد ثم انه تعالى لما ذكر النشأة الاخرة الواقعة بعد الموت ذكر ما يكون فيها وهو تعذيب اهل التكذيب والمعصية عدلا وحكمة واثابة اهل الانابة فضلا ورحمة فقال يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ثم قال واليه تقلبون مع ان

ان هذه المسئلة قد سبق اثباتها وتقريرها تقرير المجازاة كانه قيل ان تأخر عنكم جزاء اعمالكم فلا تظنوا انه فائت فان
الينا ايابكم وعلينا حسابكم وعندنا ثوابكم وعقابكم ثم قال وما انتم بمعجزين من اراد نفوذ حكمه وتنفيذ قضائه فيكم بالهرب
عنه في الارض ولا في السماء والخطاب لبني آدم وهم من اهل الارض ولبسوا في وسعهم الهرب في السماء والمقصود بيان اتساع
القدرات على جميع التقادير ممكنا كان او مستحيلا ونهاه ان جميل الارض على الغبراء والسماء على الخضراء ويجوز ان يراد بهما
جهة السفل وجهة العلو والمهاوي جمع المهوى وهو ما بين الجبلين ونحو ذلك وقيل هو بعد ما بين الشيئين المنتصبين
حتى يقال البعد ما بين المنكبين مهوى والقلاع جمع القلعة بسكون اللام وهي الحصن على الجبل **قوله** وقيل ولا من
في السماء ان عصوا فالكلام على هذا محمول على حذف الموصول الاسمي وبقاء صلته فيكون الموصول معطوفا على انتم اي
اي ما انتم بمعجزين في الارض ولا من في السماء بمعجزين ان عصوا كقول حسان بن ثابت * امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه
وينصره سواء * اراد ومن يمدحه وينصره سواء ومن يهجوه فاختصر لانه لو لا ذلك لكان يمدحه عطفا على يهجو مكان
داخلا في حيز صلة من يهجو فكان الهاجي والمادح شخصا واحدا فيختل المعنى ولا يصح قوله سواء لان الاستواء انما يكون بين
اثنين قيل ان ابا سفيان بن الحرث هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاب حسان بن ثابت رضه بقصيدة منها البيت
منها ولما انتهى الى قوله * هجوت محمدا فاجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء * قال له النبي صلى الله عليه وسلم جزاك الله الجنة
ولما بلغ الى قوله * فان ابي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء * قال له النبي عليه الصلوة والسلام وقاك الله حر النار ثم لما
بلغ الى قوله اتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما فداء * قال من حضر هذا انصف بيت قالته العرب وفيها بيت مطهرا
بر احنيفا * امين الله شيمته الوفاء * **قوله** اي يأسون منها يوم القيمة جواب عما يقال اليأس عن الشيء مسبوق برجائه
وتصوره ومن كفر بالله تعالى وبالبعث والجزاء لا يرجو ولا يتصور رحمة الله تعالى لانه لا يتصور يوم البعث واللقاء فضلا
عن ان يتصور رحمته تعالى عند لقائه فكيف يصح الحكم عليه بانه يئس من رحمته تعالى وتقرير الجواب اولا انه ليس المراد انهم
يئسوا في الدنيا ليلزم ما قلت بل هو كناية عن الوعيد والمعنى انه يحصل لهم اليأس من رحمة الله يوم القيمة والتعبير بلفظ الماضي
لتحقق وعده وتقرير الجواب ثانيا ان اليأس من رحمة الله تعالى عبارة عن عدم رجائها على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم
والكفار آيسون من رحمته تعالى في الدنيا بمعنى انهم لا يرجونها لانهم لما انكروا البعث والجزاء امتنع منهم ان يرجوا الرحمة المرتجاة
يوم البعث **قوله** وقرئ بالرفع لان جواب قومه معرفة فيصح كونه اسم كان الا ان الجمهور نصبوه على انه خبر كان قدم
على اسمه لان قوله ان قالوا في تأويل المصدر المضاف الى الضمير فيكون اعرف من جواب قومه لان المضاف الى الضمير اعرف
من المضاف الى المضاف الى الضمير واعرف الاسمين اولى ان يكون اسم كان **قوله** وكان ذلك قول بعضهم جواب عما يقال
قوله الا ان قالوا اقتلوه يستلزم ان يكون الآمر نفس المأمور لان ضمير قالوا عبارة عن قوم ابرهيم وكذا الضمير المرفوع في اقتلوه
ولا وجه لكون القوم آمرين لانفسهم بقتله وتقرير الجواب ان الآمرين هم الاكابر والرؤساء والمأمورون هم الاتباع
والاعوان فليس هنا اتحاد الآمر والمأمور الا انه اسند امر الاكابر الى الكل تنزيلا لرضا الاتباع بذلك منزلة الامر بالقتل
فما كان جواب قومه الا ان قالوا موضع ان يقال فما كان جواب الاكابر الا ان قالوا وجملة اوفي قولهم او حرقوه ليست

فان المؤمن انما يكون له رجاء وخوف [illegible] ما الكافر [illegible]

ليست للعناد لانه لا يصح ان يقال وان لم تقتلوه فحرقوه لكون التحريق مشتملا على القتل غير مناف له فيكون قولهم
اقتلوه او حرقوه مثل ان يقال هذا حيوان او انسان ولا معنى له بل هي بمعنى بل كما في قولك اعط دينارا او دينارين بمعنى
بل دينارين كانه قيل اقتلوه بل زيدوا على القتل وحرقوه والفاء في قوله تعالى فانجاه الله من النار فصيحة اشار اليه المص
بقوله ان قذفوه في النار فانجاه الله منها وبين كيفية الانجاء بقوله بان جعلها بردا وسلاما فان قيل الحرارة للنار
صفة لازمة ذاتية كالزوجية للاربعة فكيف يمكن ان يفارقها فالجواب انا لا نسلم ان الحرارة تقتضيها ذات النار
بل انما هي بارادة الفاعل المختار فجاز ان يزيل عنها تلك الكيفية فيبقى نورا محضا لا احراق لها كما ان الماء كيفية
البرودة لكن قد يزول عنه البرودة ويصير حارا فكذلك النار يجوز ان يزول عنها الاحراق ويبقى نورا غير محرق وقيل في كيفية
الانجاء منها انه تعالى خلق في ابرهيم كيفية استبرد معها النار وقال بعضهم ترك على ما هو عليه وترك النار على ما كانت
عليه من الحرارة ومنع اذى النار عنه والكل ممكن والله تعالى قادر عليه والبعد بحسب العادة لا ينافي الوقوع لانه معجز والمعجز لا بد ان
يكون خارقا للعادة الا ان قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما يؤيد ما ذكره المص حتى روي انه لم ينتفع بالنار احد
يوم القي ابرهيم لذهاب حرها ثم انه تعالى قال في حق سفينة نوح عليه الصلوة والسلام جعلناها آية وقال في انجاء ابرهيم
عليه الصلوة والسلام ان في ذلك لايات لان الانجاء بالسفينة شيء يسع له العقول لم يكن فيها من الآية الا انه تعالى
اعلمه باتخاذها لوقت الحاجة فانه لولاه لما اتخذها لعدم علمه بالغيب واما الانجاء من النار فغيه ايات ذكرها المص
وقال تعالى في حق السفينة آية للعالمين وقال هنا لايات لقوم يؤمنون لان السفينة بقيت اعواما ومر عليها
طوائف الناس حتى رأوها فحصل العلم بها للكل احد بخلاف تبريد النار فانه لم يبق فلم يظهر لمن بعده الا بطريق الايمان به
بالنحص عنه والتأمل فيه **قوله** اي لتتوادوا بينكم اشارة الى ان مودة منصوب على انه مفعول له لاتخذ فتكون ما كافة و
اوثانا مفعول اول لاتخذتم ومفعول الثاني محذوف ومن دون الله حال من فاعل اتخذتم والمعنى اتخذتم اوثانا آلهة من دون
الله ليكون سبب التواد بينكم لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب
تحابهم وتصادقهم **قوله** ويجوز ان يكون مودة المفعول الثاني عطف من حيث المعنى على قوله لتتوادوا فانه في معنى
انه مفعول له والمعنى انما اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم من دون الله عز وجل **قوله** والوجه ما سبق اي وجه انتصاب
مودة كونها مفعولا له او مفعولا ثانيا بتقدير المضاف او بتأويلها بمودودة وبينكم ح يكون منصوبا على الظرفية فان من اضاف
مودة جعل بينكم اسما لا ظرفا ومن نون مودة منصوبة او مرفوعة جعل بينكم ظرفا للمودة ومن قرأ مودة بالرفع فلا يخلو اما
ان يجعل ما كافة او لا فان جعلها كافة رفع مودة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودة بينكم او سبب مودة بينكم وان
جعلها موصولة بمعنى الذي منصوبة المحل على انها اسم ان واتخذتم صلتها بحذف العايد الذي هو مفعول اول لاتخذتم و
اوثانا مفعوله الثاني جعل مودة خبر ان والتقدير ان الذي اتخذتموه اوثانا مودة او سبب مودة بينكم او جعل نفس المودة
مبالغة وكذا ان جعلها مصدرية وح يجوز ان يقدر المضاف قبل اسم ان وخبرها والتقدير ان سبب اتخاذكم اوثانا
مودة بينكم او ان اتخاذكم اوثانا سبب مودة او مودودة وجاز ان لا يقدر شيء ولا يؤول بل يجعل الاتخاذ نفس

[illegible] مودة [illegible]

المودة مبالغة **قوله** ومضافة بفتح بينكم الاضافة لانساع في الظرف كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار وفتح بينكم لكونه
مبنيا بالاضافة الى غير متمكن كما في قراءة من قرا لقد تقطع بينكم بالفتح مع جعل بينكم فاعلا وقرا ابن مسعود اوثانا انما
مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها او تتوددون في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض الى التعادي
وقوله في الحيوة الدنيا يجوز ان يتعلق باتخذتم وبمودة وبنفس بينكم لانه بمعنى الفعل اذ التقدير اجتماعكم ووصلكم **قوله**
فامن له لوط عطف على قوله وقال انما اتخذتم اي صدقه لوط بعد هذا التنبيه واقامة الحجج من جملة من دعاهم الى عبادة الله تعالى ولزم
الوقف على لوط لان قائل ما بعده ابرهيم فلو وصل توهم ان يكون الفعل الثاني للوط فيفسد المعنى **قوله** هو ابن اخته وفي جامع
الاصول هو لوط بن هاران تارخ بالخاء المهملة وهاران هو اخ ابرهيم بن تارخ فلوط ابن اخيه عليهما الصلوة والسلام
قوله اي حيث امرني ربي بالهجرة اليه فان قيل اذا كان المراد هذا المعنى فلم اختير ما ورد عليه التنزيل مع انه يوهم الجهة والجواب انه
اختير ذلك لكونه ادل على الاخلاص منه ان يقال اني مهاجر الى حيث امرني ربي فانه لو هاجر اليه لغرض نفسه يصدق ان يقول اني مهاجر
الى حيث امرني ربي ولا يصدق ان يقول مهاجر الى ربي لانه لم يهاجر اليه خالصا لوجهه وطلب لمرضاته وانما امره الله تعالى بالمهاجرة
من قومه لان المقصود الكلي من بعثة الانبياء الزام الحجة عليهم وقطع معذرتهم وقد حصل ذلك بان بالغ ابرهيم عليه الصلوة والسلام
في ارشادهم بتقرير الدلائل الناطقة وازاحة شبههم الباطلة فلما حصل الياس الكلي من ايمانهم وجبت المهاجرة من بينهم لانه لو
بقي فيهم ودام على الارشاد والدعوة لكان مشتغلا بالاطائل تحته وان سكت عن دعوتهم غرهم ما قالوا انه رضي بافعالنا
وقررنا على ما نحن عليه علما كانت عادة فيهم لا للخلو عن منفعة ووجبت المهاجرة من بينهم من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته
سارة فنزل فلسطين وهي قرية من قرى الشام ونزل لوط بسدوم ويقال لها المؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من فلسطين
قوله ولدا نافلة فالمعنى ووهبنا له اسحق ولدا بعد اسمعيل ويعقوب نافلة حيث ولد من اسحق **قوله** ولذلك اي ولكون
المقصود الامتنان عليه بهبة الولد والنافلة في كبر سنه لم يذكر اسمعيل مع انه من اولاد ابراهيم لان ابراهيم كان ابن
ست وثمانين سنة اذ ولدت هاجر له اسمعيل وكان ابن مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق وقد اتى عليها تسعون سنة
وكان اسمعيل في ابن اربع عشرة سنة **قوله** فلم يزل منهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام قبل ان الله تعالى لم يبعث نبيا بعد
ابرهيم الا من نسله فان قيل كيف جاءت النبوة في اولاد اسحق اكثر من النبوة في اولاد اسمعيل مع استوائهما في الانتساب
الى شيخ الانبياء وكون اسمعيل اكبرهما سنا قال الامام في جوابه قسم الله تعالى الزمان من وقت ابرهيم الى القيمة قسمين
فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه انبياء فيهم فضائل جمة وجعلوا تترى واحدا بعد واحد ومجتمعين في عصر واحد
كلهم من نسل اسحق ثم في القسم الثاني من الزمان اخرج من ذرية ولده الآخر وهو اسمعيل واحدا جمع فيه جميع ما كان فيهم وارسله
الى كافة الخلق وهو محمد المصطفى عليه افضل الصلوة والسلام وجعله خاتم النبيين وامام المرسلين وقد دام الخلق على دين
اولاد اسحق اكثر من اربعة آلاف سنة ولا يبعد ان يبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل مثل ذلك المقدار وعد من جملة ما
آتاه الله تعالى من الاجر في الدنيا انه كان اخو لا الا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنياوية ثم آتاه الله تعالى اجره من المال
والجاه فكثر ماله حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر الف كلب حارس بأطواق ذهب واما الجاه فانه
صار

49

فانه صار بحيث تقرن الصلوة عليه بالصلوة على سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام الى يوم القيمة وصار معروفا بشيخ المرسلين
بعد ان كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا فيمن كان مجهولا بين الناس **قوله**
عطف على ابراهيم او على ما عطف عليه يجوز عطفه على ابرهيم سواء كان ابرهيم معطوفا على نوحا او منصوبا باذكر واما كون
قوله ولوطا معطوفا على نوحا فانه يجوز على تقدير ان لا يكون لوطا وابرهيم منصوبا باذكر لانه لو كان منصوبا باذكر للزم ان يكون
اذكر مع ما في حيزه فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون قول المص اشارة الى الاختلاف في المعطوف الثاني
انه هل هو معطوف على المعطوف الاول او على ما عطف عليه المعطوف الاول وجه الاول قرب المعطوف من المعطوف عليه ووجه
الثاني قرب المعطوف عليه من العامل **قوله** الفعلة البالغة في القبح وذلك لان كل واحد من الشهوة والغضب صفتان
قبيحتان لولا المصلحة الداعية الى خلقهما لما خلقهما الله تعالى في الانسان والمصلحة في خلق الشهوة الفرجية هي بقاء
النوع بتعاقب الاشخاص وذلك انما يكون بوجود الولد وبقائه بعد الاب فظهر به ان كل واحد من الزنا واللواطة
فاحشة وان الزنا وان كان مؤديا الى وجود الولد لكنه لا يؤدي الى بقائه لان المياه اذا اشتبهت لا يعرف الوالد
ولده فلا يقوم بتربيته والانفاق عليه فيضيع الولد ويهلك فتبين ان الزنا ليس فيه مصلحة البقاء فلذلك قال تعالى
ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة فاذا كان الزنا شهوة قبيحة خالية عن المصلحة مع انه يفضي الى وجود الولد تبين
كون اللواطة فاحشة بالطريق الاولى **قوله** في مجالسكم الغاصة اي الممتلئة باهلها فان النادي انما يطلق على
المجلس ما دام فيه القوم فاذا قاموا عنه لا يسمى ناديا وكل ما كان اخفاؤها معصية فابداؤها افحش واقبح ولذلك
قيل من القى جلباب الحياء فلا غيبة له والحذف بالخاء المعجمة رمي الحصاة بين الاصابع او بخنه عليه الصلوة والسلام
انهم كانوا يحذفون اهل الارض ويسخرون منهم وقيل كانوا يجلسون على الطريق وعند كل واحد قصعة فيها حصى فمن مر بهم
حذفوه فمن اصابه منهم فهو احق به فيأخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلثة دراهم ولهم قاض يقضي بينهم بذلك ومنه قولهم
هو اجور من قاضي سدوم **قوله** لان المعنى للاستقبال واسم الفاعل يعمل اذا كان للاستقبال فيكون مهلكوا مضافا الى معموله
فيكون اضافته لفظية لما دعا لوط على قومه بقوله رب انصرني استجاب الله تعالى دعاءه وارسل ملائكة لاهلاك قومه
وجعلهم مبشرين ومنذرين حيث جاؤا ابرهيم وبشروه بذرية طيبة ثم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية وقدموا
البشارة على الانذار لكون البشارة اثر الرحمة والانذار اثر الغضب ورحمة الله سابقة على غضبه ثم ان ابرهيم عليه
الصلوة والسلام لما سمع قول الملائكة انا مهلكوا اظهر الاشفاق على لوط ونسي نفسه وما بشروه به ولم يظهر له
فرحا وقال ان فيها لوطا ثم ان الملائكة لما راوا ذلك منه زادوا عليه وقالوا انك ذكرت لوطا وحده ونحن ننجيه و
ننجي معه اهله فانظر الى الشفقة كل واحد منهم في حق اهل الخير **قوله** اعتراض عليهم يعني ليس مقصوده عليه الصلوة
والسلام من القاء هذه الجملة الخبرية الى الملائكة افادة مضمونها لهم ولا افادة كونه عالما بمضمونها لان كل واحد منهما
معلوم عند الرسل بل الفائدة في القائها اليهم ما اقتضاه المقام من الاعتراض واظهار الشفقة عليه لما
كان منشأ اعتراضه قول الملائكة انا مهلكوا اهل هذه القرية اجاب الملائكة عنه بما يحتمل ان يكون بيانا لتخصيص

اوبيان التوقيت الاول بنى على كون قوله عليه الصلوة والسلام ان فيها لوطا اعتراضا والثاني بنى على كونه معارضة قوله صلة لتاكيد
الفعلين واتصالهما فانه لولم يذكر كلمة ان لكان معنى الكلام وجود الفعلين اى مجئ الرسل ومساءة لوط عليهم الصلوة
والسلام بسببهم مرتبا احدهما على الآخر فزيادة ان اكدت هذا المعنى بحيث صار كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان قوله
كان الطويل الذراع بيان لوجه كون طول الذراع وضيقه عبارتين عن القدرة والعجز وهو انه من قبيل اطلاق السبب وارادة
المسبب والذراع من المرفق الى اطراف الاصابع فان لوطا عليه الصلوة والسلام لم يعلم انهم ملائكة بل ظن انهم غرباء
ضافوه وخاف عليهم من قومه وتمكنهم بالغرباء من الفاحشة لانهم جاؤا الى لوط على صورة البشر في احسن صورة
قوله وموضع الكاف على المختار الجر باضافة اسم الفاعل اليه فلما لم يجز ان يعطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور من غير اعادة
الخافض باعتبار الاصل فان الاصل منجون اياك فكان اصل الكاف النصب على المفعولية فلما اضيف لم يبق له محل باعتبار
الاضافة الآخر عند سيبويه فقيل في نصب واهلك وجهان احدهما كونه منصوبا بعامل مضمر اى وننجي اهلك وثانيهما بالعطف
على المحل هذا عند سيبويه وذهب الاخفش الى ان الكاف في محل النصب وان اهلك منصوب بالعطف على محل الكاف لان الاضافة في
حكم الانفصال لكون اسم الفاعل للاستقبال كما لو كان المضاف اليه اسما ظاهرا كمنجو لوط وسيبويه يفرق بين المضمر والمظهر
في الاضافة ويقول الاضافة الى المضمر في حكم الاتصال لشدة اتصال الضمير بخلاف الاضافة الى المظهر فانها في حكم الانفصال
فيجعل المضمر في محل الجر والمظهر في محل النصب قوله والى مدين اى وارسلنا الى مدين عطف على قوله ولقد ارسلنا نوحا
قوله فاقيم المسبب مقام السبب فان الايمان والطاعة سبب لرجاء ثواب اليوم الآخر فامر بالمسبب واريد الامر بالسبب
قوله ولا تعثوا اى لا تنشروا ما اوجده الله تعالى في الارض لغرض فساد التعبد والطاعة كالقتل بغير حق بخلاف قتل
اهل الحرب والمرتد والقتل قصاصا ولا تظهروا في الارض ما في طبائعكم من الفساد قوله فكذبوه فان قيل كيف يكذبه
شعيب في قوله اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا ولا يكذب الامر والنهي قلنا ما ذكره من الامر والنهي يتضمن جملا
اخبارية فكانه قال الله تعالى واحد فاعبدوه والحشر كائن فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه فالتكذيب يرجع الى الاخبارات الضمنية فان قيل قال ههنا وفي الاعراف فاخذتهم الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة قلنا
يجوز ان يجمع على اهلاكهم بسببان كل واحد منهما يصح ان يسند اليه هلاكهم قيل ان جبريل صاح فتزلزلت الارض من صيحته
فرجفت قلوبهم والاضافة الى السبب لا ينافي الاضافة الى سبب السبب قوله في بلدهم او ارضهم لما لم يكن جثوهم في دار
واحدة بين لافراد الدار وجهين الاول انه ليس المراد بالدار البيت بل هي بمعنى البلد والارض وهي واحدة والثاني ان المراد
بالدار الديار عبر عنها بلفظ الواحد للامن من الالتباس قوله او فعل دل عليه ما قبله اى وهو منصوب بفعل مضمر
دل عليه قوله فاخذتهم الرجفة فانه في معنى اهلكناهم فذكر اهلاكهم يدل على اضمار اهلكنا اى واهلكنا عادا قوله
اى قد تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم يعني ان كلمة من للتبعيض ان كان تبين مسندا الى المساكن وللابتداء ان كان
تبين مسندا الى مصدر اهلكنا المضمر قوله فيما اتخذوه معتمدا يعني ان الآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة شبه حال
من اتخذ الاصنام اولياء واعتمد عليها راجيا نفعها وشفاعتها بحال العنكبوت التي اتخذت بيتا لا يغني عنها في حر ولا برد
ولا مطر

٥١

ولا مطر ولا اذى فان البيت انما يكون بيتا بالحائط يحول عن نظرة الشرور الى ما فيه وسقف مظل يدفع عنه الحر والبرد والذى
لا يكون له ذلك فهو كالبيداء من حيث انه لم يحصل للعنكبوت باتخاذه شيء من معاني البيت وكذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الاوثان
آلهة شيء من معاني الآلة والغرض من التشبيه تقرير وهن امر دينهم وانه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها وانما قلنا انه من تشبيه المركب
بالمركب لان كلا واحد من الطرفين اتخاذ وتجوز ومتخذ واتكالا عليه وعدم ترتب شيء من المعاني المطلوبة من المعتمد عليه على
اتخاذه فان العنكبوت وان انتفع بنسجه لكن تلك المنفعة ليست من المنافع المطلوبة من البيت قوله او مثلهم بالاضافة
الى الموحد اى فعلى هذا يكون الآية من قبيل تشبيه المفرق والغرض ابراز تفاوت المتخذين والمتخذ مع تصوير توهين امر احدهما
وادماج تقوية امر الآخر قوله والتاء فيه كتاء طاغوت في انها زائدة لا لاجل التأنيث قوله يرجعون الى علم لعلموا ان هذا
مثلهم يعني انه لا يجوز ان يكون متعلق العلم في قوله لو كانوا يعلمون مضمون قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لان كل احد
يعلم وهن بيته فلا يصح نفي العلم عنه بالنسبة الى احد ما فلذلك نزل يعلمون منزلة اللازم وان جواب لو محذوف وهو قوله
لعلموا ان هذا مثلهم او ان دينهم اوهن من ذلك ثم اشار الى انا جوازان يكون متعلق العلم مفعوله مرادا ويكون متعلقه مضمون
قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت بان يراد ببيت العنكبوت معنى مجازي هو ما اتخذوه معتمدا في دينهم على طريق اطلاق
اسم المشبه به على المشبه فان المقصود بتشبيه حال المشرك بحال العنكبوت تشبيه دينهم ببيت العنكبوت فاطلق
اسم المشبه به على المشبه تحقيقا للتشبيه المذكور فانه قد تقرر ان الاستعارة لابتنائها على التشبيه تحقق التشبيه
لا محالة قوله وقرأ البصريان اراد بهما ابا عمرو وعاصما على التغليب فان المشهور ان العاصم كوفي لا بصري وبهما قرآ
بياء الغيبة حملا على ما قبله من لفظ الغيبة وهو قوله مثل الذين اتخذوا والباقون بتاء الخطاب على اضمار القول
قوله وما استفهامية اى ان الله يعلم اى شيء تدعون من دونه ام غيرها ان لا يخفى عليه ذلك فيؤاخذكم على كفركم ويعاقبكم
عليه قوله وشيء مفعول يدعون كانه قيل ما يدعون من دون الله ما يستحق ان يطلق عليه شيء فيكون تاكيدا للتشبيه
السابق وزيادة عليه لانه بين بالتشبيه السابق وهن دين المشرك وضعفه وجعله ههنا عدما محضا فلا يستحق
معبوده لان يسمى شيئا قوله وشيء مصدر قيل فيه نظر اذ يصير التقدير يعلم دعاءكم من شيء من الدعاء قوله تعليل على المعنيين
اى سواء كان ما سبق تجهيلا لهم او وعيدا قوله يعني هذا المثل ونظائره المثل الشبه وضرب المثل عبارة عن بيان الشبه
بين المعاني المحتجبة من الافهام والامور الجلية لذي العقول واطوائق تصوير تلك المعاني وتقريبها الى فهمها كما شبه الله تعالى
حال من اتخذ الشركاء معتمدا ومتكلا بحال العنكبوت فيما نسجه وذلك لان التشبيه يؤثر في النفس تاثيرا مثل تاثير الدليل
فانك اذا قلت لمن يغتاب انك بالغيبة كانك تاكل لحم ميت لانك وقعت في هذا الرجل وهو غائب لا يدري ما تقول ولا يسمعه
حتى يجيب كمن يقع في ميت ياكل منه وهو لا يعلم ما يفعل به فلا يقدر على دفعه فقد كشفت قبح الغيبة بتصويرها بصورة
ما يجلي قبحه ولما ضرب الله تعالى الذباب وبيت العنكبوت مثلا لحال المشركين قالت الجهلة منهم ان الله لا يستحي ان يضرب
المثل بالذباب والبعوضة والعنكبوت ولم يعرفوا حسن التمثيل وفائدته فرد الله تعالى عليهم وجهلهم فقال وتلك
الامثال المفردة في القرآن بكل شيء نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم فان لم يكونوا الا كالانعام لم يعقلون حسنها

وفائدتها والافلا تتهدون الى حسنها **قوله** نفرها يجوز ان يكون خبر تلك والامثال صفة او بدل او عطف بيان وان يكون الامثال خبرا ونفرها حالا او خبرا ثانيا ثم انه تعالى لما بين اصرار الامم السالفة على الكفر والضلال بين ان اصرارهم ذلك ليس لانعدام الآيات الدالة على وحدانية الآله وكمال علمه وقدرته وحكمته لان خلق السموات والارض ملتبسا بالحق والحكمة البالغة آية دالة على ما ذكر آية آية الا ان هذه الآية العظمى لا يجعلها مسرح النظر ومطرح الفكر ليستدل بها على وجود صانع حكيم يستحق لان يعبد ويطاع في جميع ما امر به ونهى عنه الا من علم الله تعالى انه يؤمن ويتقي فانه هو المنتفع به دون من اعرض عنها وابى واستكبر واتبع هواه وآثر اللذة العاجلة على السعادة الابدية ثم انه تعالى لما بين انه خالق الحق اتبعه بما يدل على ان المخالفة عنادا واستكبارا لا القصور في البرهان والبيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواظبة على تلاوة ما اوحى اليه وباقام الصلوة وخصهما من بين سائر العبادات بالامر بهما لان العبادات المختصة بالعبد ثلث قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي ذكر الحسن وبدنية خارجية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل يدوم ذلك الاعتقاد ويستمر الا ان يطرأ عليه ضده فلما لم يمكن تكرير العبادة القلبية امر بتكرير التلاوة التي هي جامعة لجميع الاذكار وبتكرير اقام الصلوة التي هي معظم العبادات البدنية **قوله** بان يكون سببا للانتهاء الخ جواب عما يقال كم من مصل يرتكب الفحشاء وهي الفعلة القبيحة والمنكر وهو ما ينكره الشرع والعقل ولا تنهاه صلوته عنهما وتقرير الجواب ان الصلوة التي يصليها المرء بلا رياء ولا سمعة بل يصليها خالصا لوجهه الكريم مناجيا له بانواع التذلل والتواضع لا جرم تذكر الله تعالى وتورث النفس خشية منه تعالى فتكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وبعد الفراغ عنها ايضا الى ان يطرأ عليه شيء من الغفلة ثم ان الصلوة متكررة واحدة بعد واحدة فيدوم ذلك التذكر والخشية وبدوامه يدوم الامتناع عن المعاصي فجعل الصلوة ناهية على طريق اسناد الحكم الى سبب سببه فان الصلوة سبب للتذكر والخشية وهما سببان لانتهاء العبد عن المعاصي **قوله** للتعليل اي للاشارة الى ان علة كونها افضل من سائر الطاعات اشتمالها على ذكر الله تعالى بحيث تصير كانها نفس الذكر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلوة لمن لم يطع الصلوة واطاعة الصلوة ان تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقد قيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى ان ينتهي عن السيئات يوما وقد روي انه قيل للنبي عليه الصلوة والسلام ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال عليه الصلوة والسلام ان صلوته تردعه ثم انه تعالى لما بين طريق ارشاد المشركين وانهم ينحي آراؤهم وينسب الى الضلالة آباؤهم عند المناظرة معهم ودعوتهم الى الاسلام بين بعده طريق ارشاد اهل الكتاب فقال ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن فانهم وحدوا وآمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل والحشر والحساب والجزاء وجاؤا بكل حسن سوى الاعتراف برسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجانس معهم في المناظرة بتجهيلهم وتجهيل آبائهم الاقدمين واستركاك عقولهم واكتفائهم بمجرد تقليد السفهاء ونحو ذلك فلا تجادل معهم في امر الدين الا باحسن طرق المجادلة وهو ان يبحث معهم بازالة شبههم وتبيين الطرق لهم باقامة الحجة والبرهان وتلاوة القرآن **قوله** بالافراط في الاعتداء والعناد فسر الظلم بالافراط لان الكافر اذا وصف بالظلم يراد به ذلك **قوله** وجوابه انه

ولا تجادلوا

انه اخر الدواء يعني انها لا تعارض هذه الآية لان المجادلة في المجادلة انما هي في حق من لم يظلم منهم بالافراط في الاعتداء وآية السيف في حق من ظلم وافرط بمنع الجزية والاقدام على المحاربة قوله عليه الصلوة والسلام لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم تمام الحديث وهو في بعض الروايات نهي عن تصديقهم لان الله تعالى اخبر انهم كتبوا بايديهم وقالوا هذه من عند الله ووجه النهي عن تكذيبهم ظاهر **قوله** ومثل ذلك الانزال اي لمثل ذلك اشارة الى ما بعد اسم الاشارة وهو الانزال الذي يدل عليه انزلنا والمراد به انزال قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والكاف في كذلك كالمثل في قولك مثلك لا يبخل اي مثل ذلك الانزال العجيب الشأن الداعي الى الايمان بجميع الكتب المنزلة والى التوحيد انزلناه وانما كان من شأن الكتاب الكامل العجيب الانزال ان يكون موصوفا بما يفيده فضيلة ومزيد شرف بالنسبة الى سائر الكتب الالهية يعني كونه عجيب الانزال في كل مقام بما يناسبه وبينه ههنا بقوله وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لسبق قوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم فظهر بما ذكرنا وجه قوله وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به فانه لما كان كتابا كاملا عجيب الانزال بكونه وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية لزم ان يؤمن به اهل الكتاب لما شاهدوا فيه دلائل يدل على انه كتاب سماوي ووحي الهي والفاء في قوله فالذين آتيناهم لتفريع ايمانهم على كونه كتابا كاملا عجيب الانزال واختلف المفسرون في ان المراد بقوله فالذين آتيناهم الكتاب من هم فقال بعضهم هم الذين سبقوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب فيكون المراد بقوله ومن هؤلاء الذين هم في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه فقيل وهذا اقرب ينبغي ان يصرف قوله ومن هؤلاء الى اهل الكتاب اولى لان الكلام فيهم ولا ذكر للمشركين ههنا ان كان هذا الكلام بعد الفراغ من ذكرهم والاعراض عنهم لاصرارهم على كفرهم وقال الآخرون المراد بالاول مؤمنو اهل الكتاب وبقوله ومن هؤلاء العرب او اهل مكة ثم انه تعالى لما وصف القرآن بكونه كتابا كاملا عجيب الانزال وبين من آمن به ذكر ان من لم يؤمن به انما لا يؤمن به لتوغله في الكفر من حيث ان توغله في الكفر يمنعه عن التأمل في دلائل حقيته واعجازه ثم بين كونه معجزة بالاضافة اليه عليه الصلوة والسلام بقوله وما كنت تتلوا من قبله اي من قبل انزال القرآن عليك من كتاب وهو مفعول تتلو ومن زائدة في المفعول اي ما كنت قارئا كتابا قبل ذلك ولا تخطه بيمينك اي ولا تكتب الآن بيمينك كتابا وكذا كان صفته في التورية والانجيل انه امي لا يقرأ ولا يكتب **قوله** ذكر اليمين جواب عما يقال ما فائدة ذكر اليمين مع ان الكتابة انما تراد باليمين وذكر له فائدتين الاولى زيادة تصوير عدم كونه كاتبا كما في وصف الطائر بقوله يطير بجناحيه لذلك والثانية دفع التجوز في الاسناد فان الفعل كثيرا ما يسند الى السبب الآمر فلما قيل بيمينك اندفع ذلك الاحتمال **قوله** وانما سماهم مبطلين مع انه عليه الصلوة والسلام لو كان قارئا كاتبا وقال مشركو مكة لعله تعلمه والتقطه من كتب الاقدمين لكانوا صادقين محقين في الذهاب الى هذا الاحتمال وحاصل الجواب الاول انهم مبطلون الآن لكفرهم به عليه الصلوة والسلام مع كونه اميا وليس المراد انهم مبطلون على تقدير كونه عليه الصلوة والسلام قارئا كاتبا وحاصل الجواب الثاني انه ليس المراد انهم مبطلون في الذهاب الى هذا الاحتمال على تقدير كونه قارئا كاتبا بل المراد انهم مبطلون في الارتياب في كون القرآن وحيا الهيا مع كثرة وجوه اعجازه سوى كون الموحى اليه اميا **قوله** فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر

لانهم لا يكونون مبطلين في ارتيابهم على تقدير كونه عليه الصلوة والسلام قارئا كاتبا لان ارتيابهم ح يكون عن
دليل الا انه سماهم مبطلين وان لم يكونوا مبطلين على ذلك التقدير لكونهم مبطلين في الواقع حيث ارتابوا مع وجدانهم
نعته عليه الصلوة والسلام على وفق ما في كتبهم وهو كونه اميا **قوله** بل القران فيه للاضراب عن بيان كونه منزلا الى الاضراب
الى بيان ما هو اتم منه وهو كونه آيات بينات الاعجاز محفوظة في صدور العلماء بحيث لا يقدر احد على تحريفه وبينات صفة آيات
وفي صدور العلماء صفة ثانية اي هو آيات بينات الاعجاز محفوظات في صدور العلماء وكل واحد من كونه آيات بينات الاعجاز
وكونه محفوظا في صدور وحفاظ يجب بتلوه كثير من الامة عن ظهر القلب من خصائص القران فان ساير الكتب لم تكن الا
معجزات وما كانت تقرا الا من المصاحف نظرا فيها فاذا انطبقت لم يعرف الامة من كتابهم شيئا وقد ورد في صفة هذه الامة
قرابينهم في نفوسهم واناجيلهم صدورهم والاناجيل جمع انجيل وهو اسم كتاب عيسى عليه الصلوة والسلام والمعنى انهم يقرؤون
كتاب الله عن ظهر قلوبهم وهو ثابت محفوظ في صدورهم كما كان كتاب النصارى مثبتا في اناجيلهم قال تعالى قبل بيان كون
الآيات القرانية معجزة بالاضافة اليه عليه الصلوة والسلام ببيان كونه انبياء وما يجحد باياتنا الا الكافرون ثم قال بعد
بيان ذلك الا الظالمون مع انه لا تنافي بين الكلامين لان الكافر ظالم لان المناسب في مقام ارشاد اهل الكتاب
وتنبيههم عن تكذيب القران لفظ الكافرين لان اهل الكتاب تميزوا عن المشركين بان آمنوا الجميع ما يجب الايمان به من التوحيد و
ارسال الرسل وانزال الكتب والحشر والجزاء وسوى الايمان برسالة سيد المرسلين وحقية كتابه فهم يدعون الايمان
ويستنكفون عن الكفر فالمناسب في دعوتهم الى الايمان ان يقال لهم انكم قد حصل لكم من الايمان فلا تبطلوها بانكار آيات الله تعالى
مع ظهور حقيتها بقيام الحجة عليها فتكونوا كافرين بخلاف مقام التقريع عليهم باجرائهم على التكذيب بعد ما تبين كونها معجزة
بالاضافة اليه عليه الصلوة والسلام فان الانسب بذلك المقام لفظ ينبئ عن الشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فكانه قيل
ان جحودهم بالآيات القرانية بعد ما تبين كونها معجزة مبلغها ان يكون من انكار الرسالة والكتب المنزلة باسرها اذ لا طريق الى الاقرار
باسرها الا عتقاد بالمعجزة فمن لم يعتقد بالمعجزة لزمه ان يلتحق بالمشركين ويكون من جملة الظالمين بالاشراك ثم انه تعالى لما بين
طريق المجادلة مع اهل الكتاب في دعوتهم الى الايمان عاد الى حكاية ما تعنتت به كفار مكة باقتراح ايات كما جاءت بها
الانبياء الى اممهم فقال وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه آية من ربه فارشد نبيه عليه الصلوة والسلام الى ان يقول في جوابهم
اولا انما الآيات عند الله وليس في شأني الا انذار اهل المعصية بالنار بما اعطيت من الآيات ثم انكر عليهم ذلك الاقتراح
ببيان ان القران آية فوق الكفاية واتم من كل معجزة تقدمها فان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا حية
واحياء الموتى واخراج الناقة من الحجر الصلد لم يبق لشأنه اثر فلو انكر احد شيئا من ذلك لم يمكن اثباته له الا بالكتب وبالتواتر
فانه آية باقية في كل مكان وزمان لا تزول ولا تضمحل كسائر آيات الانبياء عليهم الصلوة والسلام التي اضمحلت بعد ما اختصت
بمكان دون مكان فلو انكره احد يقال له فأت بآية مثله **قوله** متحدين حال من الضمير عليهم والتحدي ان يعارض فعل
الغير ويفعل مثل فعله على وجه المنازعة في الغلبة وقيل في تفسير الآية اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك فعلى هذا يكون القائلون لولا انزل عليه آية من ربه اليهود ويكون هذه الآية
ايضا

ايضا متعلقة بجدال اهل الكتاب **قوله** وقيل نا ساقوا المسلمين وفي التيسير وروي ان بعض الصحابة اتوا بكتاب فيه ورق
فيه شيء مكتوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا قال كتبته من كتابهم لازداد علما الى علمي فتغير وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي فانزل الله تعالى هذه الآية ولم يرض الغض بهذا القول اختار ان يكون المعنى اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه من الآيات
وذلك لان الظاهر من النظم انه جواب لقولهم لولا انزل وعلى ذلك القول يكون تصديقا له عليه الصلوة والسلام في انكاره الى
بعض اصحابه الاخبار بما اتى به من كتابهم فقد لك عن حيث قوله وقيل **قوله** شهيدا بصدقي على ان يكون الآية جوابا لكعب بن الاشرف
واصحابه حين قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله **قوله** او تبليغ ما ارسلت به على ان يكون المقصود من الآية
تهديد المعاندين من اهل الكتاب كما يقول الصادق اذا كذب وقد اتى بكل ما يدل على ما يدل على صدقه ولم يصدق الله
يعلم صدقي وتكذيبك ايها المعاند وهو على ما اقول شهيد يحكم بيني وبينك ثم بين كونه تعالى عالما بجميع الاشياء فقال
يعلم ما في السموات والارض **قوله** هم الخاسرون في صفقتهم اشارة الى ان قوله والذين آمنوا بالباطل وكفروا
بالله استعارة بالكناية بان شبه ما فعلوه من اختيار الضلالة على الهدى بعقد المبايعة وقوله اولئك هم الخاسرون
استعارة تخييلية قرينة للمكنية ولما هددهم الله بقوله اولئك هم الخاسرون قال النضر بن الحارث اللهم امطر علينا حجارة
من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء اظهارا لقطعهم بعدم العذاب واستهزاء منهم و
تكذيبا لمن يهددهم به **قوله** ستحيط بهم يعني ان اسم الفاعل بمعنى الاستقبال لكن جيء بالجملة الاسمية موكدة بان واللام
للايذان بان ما وعده الله ووعيده كالمتحقق في الحال للتحقق ووقوعه البتة ويحتمل ان يكون اسم الفاعل بمعنى الحال ويكون
المعنى ان جهنم محيطة بهم في الدنيا باعتبار ان اسباب احاطتها من الكفر والمعاصي محيطة بهم في الحال فنزل المسبب
ايضا منزلة الواقع في الحال **قوله** وكان رفيق ابرهيم محمد عليهما الصلوة والسلام خص ابرهيم لانه هاجر من كوثى
الى الشام قرار ابد به حيث قال اني مهاجر الى ربي ومحمد سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم هاجر الى المدينة حين تعذر
عليه رعاية ما امر به في امر الدين امر المؤمنين بالهجرة من الموضع الذي لا يمكنهم فيه عبادة الله تعالى وكذا يجب على من كان
في بلدة يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث يمكن له ان يعبد الله تعالى فيه حق عبادته وقوله فاياي منصوب
بفعل مضمر يفسره الظاهر وهو فاعبدون تقديره فاياي فاعبدوا فاعبدون فاستغني بالثاني عن اظهار الاول ولا يجوز
انتصابه بالفعل الظاهر لاشتغاله عنه بالضمير الذي بعده ذهب صاحب الكشاف الى ان قوله تعالى فاياي فاعبدون
جواب شرط محذوف وجعل تقديم المفعول عوضا عن الشرط المحذوف مع افادة تقديمه معنى الاختصاص ثم انه تعالى لما امر المؤمنين
بالمهاجرة الى ارض يمكن لهم فيها رعاية وظائف العبادة صعب عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان فخوفهم الله تعالى
بالموت ليهون عليهم الهجرة والمعنى لا محيص لاحد من الموت في مكان فلا بد من المهاجرة عنه الى مكان يتيسر ذكر فيه ثم ذكر
ثواب من هاجر فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني المهاجرين والذين يجوز ان يكون في محل الرفع على الابتداء وفي
محل النصب على الاشتغال وعلالي جمع علية وهي الغرفة ووزنها فعلية مثل مريقة واصلها علليوة فابدلت الواو ياء

وادغمت قوله وقرئ لنثوينهم بثاء مثلثة ساكنة بعد النون وياء مفتوحة بعد الواو من الثواء وهو الاقامة يقال
ثوى الرجل اذا اقام واثويته اذا انزلته منزلا يقيم فيه وهذه قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون لنبوئنهم بياء موحدة
مفتوحة بعد النون وهمزة مفتوحة بعد الواو من المباءة وهي الانزال اي لننزلنهم من الجنة غرفا وانتصاب غرفا على قراءة الا
خوين اما على انه مفعول به على تضمين اثوى معنى انزل لان ثوى لازم فيتعدى بالهمزة الى واحد ويتعدى الى اثنين باعتبار التضمين
واما على الظرفية بتشبيه الظرف المحدود بالمبهم فان ظرف المكان انما ينصب بتقدير في اذا كان مبهما والمحدود لا بد له من في
كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم او باسقاط الخافض اتساعا اي في غرف واما على قراءة العامة فهو منصوب
على انه مفعول ثان لان بوأ يتعدى الى اثنين قال تعالى تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال وقوله تجري صفة لغرفات قوله وفي ثم
بزيادة الفاء العاطفة الجملة التي قبلها لا التنبيه ان مضمون الجملة التي بعدها واقعة عقيب مضمون الجملة التي قبلها من غير ان يتخلل
بينهما زمان فاصل كما في نحو قام زيد فقعد عمرو وليس للدلالة على كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها في الذكر لا ان
مضمونها عقيب مضمون ما قبلها في الزمان كما في قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فان ذكر ذم
الشيء او مدحه يصح بعد جري ذكره والمخصوص بالمدح محذوف والتقدير نعم اجر العاملين خالصا لوجه الله الغرف الموصوفة
حذف لدلالة ما قبله عليه قوله وكاين من دابة كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي تستعمل استعمال من وما ثم كثر استعمالها
جعل المركب بمعنى كم الخبرية وكاين مبتدا ولا تحمل صفتها والله يرزقها خبره ومن دابة تمييز كم وكم من نفس في تب على وجه
الارض عقلت او لم تعقل لا تطيق ان تحمل رزقها لضعفها عن حمله مع احتياجها الى الغذاء مثلكم او لا تدخر شيئا من الرزق
لغدها تصبح ولا معيشة عندها فيرزقها الله تعالى من حيث لا تحتسب قيل لا يدخر شيء من الحيوان قوتا الا ابن آدم والفارة و
النملة ويقال للعقعق مخابئ الا انه ينسى خبيئه قوله لا يرزقها واياكم الا الله استفاده من تقديم الجلالة وبناء الفعل
عليه فان مثل هذا التركيب يفيد الاختصاص كما ذكر الزمخشري في سورة الرعد في قوله الله يبسط الرزق عن عطاء عن ابن عمر
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك
لا تأكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال انا اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت انا لله والله المستعان
قال يا ابن عمر لو سألت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك
يا ابن عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت
وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وقال عليه الصلوة والسلام لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قوله لان رزق الكل بالاسباب فانه تعالى لو لم يخلق النبات لم يكن للحيوان رزق
وايضا ليس الاغتذاء بمجرد الابتلاع بل لا بد في صيرورة الغذاء جزءا من المتغذي وتحوله لحما وعظما وشحما من ان يخلق الله تعالى
فيه قوة جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة وغيرها من القوى التي لا تحصل الا بمحض قدرة الله تعالى وارادته فاذا تقرر ان
رزق الكل بالاسباب هو المسبب لها وحده ثبت انه تعالى هو الذي يرزق الدواب كلها ومباشرة الاسباب وسلوك طرق
الاكتساب لا ينافي التوكل وكذا جمع ما اكتسبه واعداده لوقت حاجته اليه لا يقدح في التوكل بل الذي يقدح فيه

فيه ان يكون اعتماده الى ما في يده والى ما تيسر له من طرق الاكتساب واما من تمسك بالاسباب وسلك سبيل الاكتساب اتباعا
لسنة الله تعالى في تربية العباد التي جرت عادته في افاضة الخيرات على الاستفاضة والطلب ثم في قضاء الحاجات بالتسبب
لما جعله سببا لنيل المرادات مع الاعتقاد بانه تعالى قادر على ان يرزقه من غير كد واهتمام وعلى ان يجعل سعيه في تمسك
الاسباب ضائعا غير مؤد الى المراد فهو متوكل على العزيز العلام حيث كد وسعى معتمدا عليه لا على عمله واجتهاده ثم انه تعالى لما
خاطب المؤمنين وامرهم بالمهاجرة الى ارض يتسهل لهم فيها عبادة الله تعالى قال على سبيل التعجب من جهالة كفار مكة ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض وكرر في السموات والارض خلقهما وفي الشمس والقمر تسخيرهما لان الحكمة لا تتم بمجرد خلق
الشمس فان الشمس لو كانت مخلوقة بحيث تستقر في موضع واحد لما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتاء فاذن الحكمة
في تحريكهما وتسخيرهما ثم انه تعالى لما بين ايجاد الذوات بقوله خلق السموات والارض وبين ايجاد الصفات بقوله وسخر الشمس
والقمر ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقاء الانسان بالرزق فكانه قيل المعبود اما ان يعبد لاستحقاقه العبادة فالا
صنام ليست كذلك بل المستحق لها هو الله تعالى لكونه عظيم الشان فالله الذي خلق السموات والارض هو المنفرد بعظم
الشان فله العبادة واما لكونه ولي الاحسان فالله الذي يرزق الخلق هو المنفرد بالفضل والاحسان فله العبادة
فاني تشركون قوله ويقدر اي يضيق فان القدر والقتر بمعنى واحد وهو التضييق قوله يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق
عليه واحدا وهذا الاحتمال هو الظاهر لان من في قوله من يشاء موصولة اريد بها من افراد الانسان من تعين بكونه
في الله التوسيع له ولما رجع ضمير يقدر له الى ذلك المتعين كان الظاهر اتحاد الموسع له والمضيق عليه ولما كان التوسيع
والتضييق متضادين لا يجتمعان في محل واحد في زمان واحد وجب ان يكون اجتماعهما فيه على سبيل التعاقب واما
احتمال اختلافهما ذاتا مع وجوب كون الضمير راجعا الى عين ما ذكر اولا وهو من تعلق به مشيئة التوسيع فبعيد لان مفهوم
من يشاء البسط وان كان مبهما من حيث تناوله للافراد المندرجة تحته لكن لا ابهام فيه من حيث تناوله الموسع له والمضيق
عليه المختلفين ذاتا حتى يكون الضمير الراجع اليه مبهما شاملا متناولا للمضيق عليه الا ان يقال المراد بقوله الا ان من يشاء
مبهم ان مفهوم من يشاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمفعول المحذوف مبهم يتناول المتوسع له والمضيق عليه فان
ذاته تعلق به المشيئة كما يصدق على من تعلقت المشيئة بالتوسيع له يصدق ايضا على من تعلقت بالتضييق عليه فيكون
الضمير الراجع اليه مبهما شاملا فيتخلل الموسع له والمضيق عليه ذاتا مع رجوع الضمير الى من يشاء كانه اذا قيل يبسط
لمن يشاء ويقدر لمن يشاء فانه اذا قيل ويقدر لمن يشاء لا يشتبه عند احد ان المبسوط له غير المقتور عليه
فكذا اذا قيل ويقدر له لانه في قوة ذلك لان من يشاء مبهم بالتوجيه الذي ذكرنا فيكون ضميره ايضا كذلك فيصلح لابهامه ان
يراد به غير الاول ثم انه تعالى لما قال الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك فقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء الآية
لان تنزيل الماء سبب لوجود الرزق فالاعتراف بان موجد السبب هو الله تعالى اعتراف بان الرزاق هو الله تعالى
على ما عصمك من مثل هذه الضلالة وهي ضلالة المناقضة بين اعترافهم بان موجد الممكنات باسرها
اصولها وفروعها هو الله تعالى وبين اشراكهم به تعالى ما لا يقدر على شيء فان موجب هذا الاعتراف توحيد الالوهية

الانداد عنه وهم يفعلون ذلك فناقض فعلهم قولهم فكان اعترافهم بذلك بمجرد لقلقة اللسان **قوله** او على نصر بكر
من اضافة المصدر الى مفعوله اي على تصديق الله تعالى اياك بحملهم على الاقرار بما يحتج عليهم المستلزم لتبكيتهم بالحجة
قوله فيتناقضون يعني ان كلمة بل للاضراب والاخذ فيما هو اهم فانه تعالى ذكر اولا انهم اقروا بما يدل على التوحيد و
يناقض سلوكهم طريق الشرك ثم انتقل الى ما هو اهم وهو بيان انهم مسلوبو العقول فلا يبعد عنهم مثل هذه الجهالة المناقضة
فهو اضراب عن اظهار جهلهم الخاص الى بيان ان شانهم الجهل مطلقا فعلى هذا يكون قوله تعالى قل الحمد لله اعتراضا
بين المنتقل عنه والمنتقل اليه وعلى الثاني يكون جملة الاضراب من تتمة قوله الحمد لله ومعنى الاضراب انهم اذا لم يتفطنوا
بتلك المناقضة الظاهرة فاولى ان لا يتفطنوا انك لم حمدت الله تعالى عند اعترافهم بذلك **قوله** اشارة تحقير فانه
قد ينزل قرب الدرجة ودناءة المنزلة منزلة قرب المسافة فيشار اليه بلفظ القريب كقول الكفرة في حق النبي
عليه الصلوة والسلام اهذا الذي يذكر آلهتكم واللهو ما يتلذذ به الانسان ويجعله مشتغلا به موضعا بسببه عما يهمه
ويلهيه ساعة ثم ينقضي **قوله** لهي دار الحيوة جواب عما يقال كيف اطلق الحيوان بمعنى الحيوة او بمعنى النامي
الحساس على الدار الآخرة مع انها ليست عبارة عن الحيوة ولا بنام حساس وتقرير الجواب ان الحيوان مصدر
بمعنى الحيوة والكلام على تقدير المضاف او جعلت هي في ذاتها حيوة للمبالغة فان ما فيها من الحيوة لما كانت حيوة مستمرة
دائمة لا موت فيها صارت كانها في ذاتها حيوة **قوله** متصل بما دل عليه يعني ان الفاء عاطفة لمدخولها على الجملة المدلول عليها
بما ذكر قبلها **قوله** كائنين في صورة من اخلص دينه لله تعالى يعني ان تسميتهم مخلصين تهكم بهم من حيث انهم ليسوا
مخلصين حقيقة من حيث الجائهم الى ان يذكروا الله تعالى خاصة وترك ما سواه خوف الغرق والهلاك وفي الآية بعض
تقدير الكلام اذا ركبوا في الفلك وهاجت الرياح واضطربت الامواج وكادت تغرق بهم دعوا الله ودل على هذا المحذوف
ذكر التنجية بعده **قوله** اللام فيه لام كي اي يشركون ليكون اشراكهم كفرا بنعمة الانجاء والمعنى انه لا فائدة لهم في
الاشراك الا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير ان يترتب عليه نصيب في الآخرة ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين
يخصون ربهم بالدعاء والتضرع عند ما وقعوا في الخوف الشديد من امواج البحر ثم يعودون الى الشرك القديم وقت الخلاص
عنه بالخروج الى البر ذكر حالهم عند غاية الامن وهي اشراكهم بالله الذي جعل لهم حرما آمنا يأمنون فيه على نفوسهم واموالهم
فان اخوف احوال الانسان حال كونه في بحر متلاطم الامواج فيضطر الى التوحيد واخلاص الدين له فمعاودته
الى الشرك بعد ما نجاه الله تعالى الى البر اذا كان قبيحا فشركه في حرم الله تعالى الذي ليس في بلاد الله تعالى ما يدانيه في كونه
مأمنا في غاية القبح فلذلك انكر عليهم بقوله افبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون ثم بالغ في وجه الانكار بان تبين
ان مجرد الشرك نهاية الظلم لا احد اظلم من المشرك فكيف اذا كان الاشراك في مقام يجب ان يكون العبد فيه احسن حالا منه
في سائر البلاد وانما قلنا الشرك نهاية الظلم لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه سواء امكن وضعه فيه او امتنع فمن
وضع شيئا في موضع لا يمكن ان يكون ذلك موضعه يكون اظلم لان عدم الامكان اقوى من عدم اللياقة وكذا التكذيب الحق
ظلم ومن كذبه اول ما سمعه من غير توقف وتأمل يكون اظلم **قوله** الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح

الندى

الندى الجود يقال رجل ندي اي جواد وفلان اندى من فلان اذا كان اكثر خيرا منه قيل لما بلغ الشاعر بهذا البيت من
قصيدته وكان الخليفة متكئا استوى جالسا فرحا وقال من مدحنا فليمدحنا هكذا واعطاه مائة من الابل ولو كان
مقصود الشاعر بقوله الستم الاستفهام لما اعطاه الخليفة مائة من الابل بل الهمزة فيه للانكار دخلت على النفي
فافادت اثبات الخيرية وتقريرها فكذا في الآية كانت لتقرير ثوائهم فيها وكان المعنى الا يثوون في جهنم والا يستحقون
الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله تعالى **قوله** او لاجترائهم عطف على قوله لثوائهم اي او هو تقرير لاجترائهم
ثم انه تعالى لما فرغ من اقامة دلائل التوحيد وابطال الشرك وتقريع المشركين وتهديدهم بتقرير ثوائهم في جهنم شرع
في تثبيت المؤمنين على ما هم عليه من المجاهدة مع كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء الدين
فقال والذين جاهدوا فينا اي جدوا وبذلوا وسعهم في حقنا ولاجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبل السير الينا
والوصول الى جانبنا فان من جاهد في الله حق جهاده وهو صدق الافتقار الى الله تعالى بالانفصال عن كل شيء سوى
الله تعالى انكشف عنه الحجب الظلمانية وحجب عالم الاكوان كلها وتجلى له اسرار الملكوت وانوار عالم الغيب ومن اجتهد
برفض العادات البشرية ومخالفة الاهوية الطبيعية وتهذيب ظاهره عن المخالفات المنهية بملازمة الاعمال السنية
وباطنه عن الاخلاق الردية بالتحلي بالاخلاق المرضية انفتح له سبل السير الى الله تعالى بالقوة القدسية
والقابلية الملكية والطاقة الروحانية فانه يتدرج بكسب المعالي الى الله يتسهل في ان يخلصه من طريقة الذين
يقولون ما لا يفعلون ويوفقه للسعي والاجتهاد في تهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال انه قريب مجيب وقيل معنى
الهداية ههنا التثبيت عليها والزيادة منها فانه تعالى يزيد المجاهدين هداية كما انه يزيد الكافرين بكفرهم ضلالة تم
ما يتعلق بسورة العنكبوت والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله واصحابه الطاهرين فضله و
الآن اوان الشروع وايراد ما يتعلق بسورة الروم

سورة الروم مكية

بسم الله الرحمن الرحيم افتتحت هذه السورة الكريمة بحروف التهجي مع انه لا يفهم منها معنى بقصد تحصيله التنبيه
السامع وايقاظه حتى يقبل على استماع ما يلقى اليه بقلب حاضر فانه لما ذكر في اول هذه السورة ما هو معجزة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي اخباره عن الغيب الذي هو غلبة الروم على فارس في بضع سنين افتتحت بهذه الحروف
لينتبه السامع فيقبل بقلبه على استماع ما يلقى اليه بعدها **قوله** لانها اي لان ارض العرب المعهودة عندهم يعني
ان اللام في لفظ الارض ان كانت للعهد فالمراد بها ارض العرب لان ارضهم هي المعهودة عندهم والمعنى غلبت فارس
في اقرب ارض العرب الى الروم فقوله ارض العرب منهم اي من الروم ومنهم صلة ادنى يقال دنا منه اي قرب منه
والمراد بادنى ارض العرب من الروم اطراف الشام وان كانت اللام فيه بدلا من المضاف اليه يكون المعنى غلبت الروم
في ادنى ارض الروم من العرب وضمير ارضهم يعود الى الروم فان قلت جعلت الارض التي غلبت الروم فيها للعرب تارة
وللروم اخرى فما وجهه قلت يجوز ان يكون تلك الارض مسكنهم جميعا بان يسكن فيها البعض من كل فريق فجاز
اضافتها تارة الى العرب واخرى الى الروم **قوله** من اضافة المصدر الى مفعوله وهم اي الروم من بعد مغلوبيتهم

سيغلبون في بضع سنين واذرعات موضع بالشام وبصرى ايضا موضع بالشام والجزيرة موضع بعينه وهي
ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب وحدها على ما روي عن الاصمعي انها من اقصى العدن الى ريف العراق طولا
ومن جدة وما والاها الى اطراف الشام عرضا وسبب تسميتها جزيرة احاطة البحار والانهار العظام بها كبحر حبشة
وبحر فارس ودجلة والفرات قوله وقيل بالجزيرة وهي ادنى ارض الروم من فارس فعلى هذا يكون قوله في ادنى الارض يعني ادنى
ارض الروم من فارس كما روي عن مجاهد انه قال هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس فيكون اللام عوضا عن المضاف
اليه قوله وشمتوا بالمسلمين اي فرحوا بانفعال المسلمين وحزنهم فان الشماتة عبارة عن الفرح ببلية العدو وهي
من باب علم وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون
ان تغلب فارس الروم لان اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث
كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهريار وبعث قيصر جيشا واستعمل عليهم رجلا يدعى بحنس فالتقيا باذرعات
وبصرى وهي ادنى ارض الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق ذلك عليهم وفرح به كفار
مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب والنصارى اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من
الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم فانزل الله تعالى هذه الآيات بيانا ان الغلبة لا تدل على الحق بل الله تعالى قد يريد بعض
من ارباب الحق فيبتليه ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب للادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم الميعاد والمناحبة المراهنة
والتلاعب ... وهي من النوع الثابت وهذه المناحبة قبل تحريم القمار وهو الظاهر لان السورة مكية وتحريم الخمر والقمار
من الامر الآية بعد نزول قوله من قبل كونهم غالبين الخ يعني ان جمهور القراء قرؤا من قبل ومن بعد مبنيان على الضم من حيث انهما
لما قطعا عن الاضافة مع كونهما منوية مرادة صار كبعض الاسم في عدم احتياج الاعراب فلا بد من تقدير المضاف
اليه فقدره بقوله من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين بناء على ان كلا من الوقتين اعني وقت كونهم غالبين ووقت
كونهم مغلوبين بالنسبة الى الاخر باعتبار القبلية والبعدية فان الروم كانوا في اول الامر مغلوبين وفي ثاني الحال صاروا
غالبين فكونهم مغلوبين قبل كونهم غالبين وكونهم غالبين بعد كونهم مغلوبين وكان المعنى لله الامر في اول الوقتين
وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون فعبر عن اول الوقتين بقوله من قبل كونهم غالبين لكون وقت مغلوبيتهم قبل
كونهم غالبين وعبر عن ثاني الوقتين بقوله ومن بعد كونهم مغلوبين لكون وقت غلبتهم بعد ذلك قوله وقرئ من قبل و
من بعد بالجر والتنوين انه اذا لم يكن المضاف اليه المحذوف منويا يكون اسما تاما فيعرب على حسب اقتضاء العامل
كقول الشاعر فساغ لي الشراب وكنت قبلا اكاد اغص بالماء الفرات قوله في رهانهم وهو مصدر بمعنى المراهنة و
المناحبة والمغالبة بما يستحق السبق وهو بفتحتين الخطر الذي يتراهن عليه ويوضع بين اهل السباق يقال اخطر المال
اذا جعله خطرا بين المتراهنين قوله وقيل بنصر الله المؤمنين عطف على قوله بنصر الله من له كتاب وهو الروم على من لا كتاب
له وهو فارس قوله لان ما قبله في معنى الوعد فان قوله سيغلبون وقوله يومئذ يفرح المؤمنون وعد من الله تعالى بنصره فاكده
بقوله وعد الله وعامله مضمر اي وعدهم الله ذلك وعدا ثم قرر معنى هذا المصدر بقوله لا يخلف الله وعده اي بتحقيقه وتنجيزه فيظهر الروم

على فارس

على فارس ولكن اكثر الناس يعني كفار مكة لا يعلمون وعده حيث ينكرون الرسالة والوحي قوله وهو على الوجهين مناد على
تمكن غفلتهم عن الاخرة يعني ان الكلام سواء كانت هم الثانية تكريرا للاولى وكان غافلون خبر الاولى او كانت مبتدأ ما بعدها وكانت
الجملة خبر الاولى يدل على تمكن غفلتهم عن الاخرة وذلك لان هم الاولى سواء كان خبرها مفردا او جملة تدل على اختصاص الغفلة عن
الاخرة بهم وان الغفلة لا تثبت ولا تستقر الا فيهم وهو معنى تمكنها فيهم قوله المحققة صفة غفلتهم والمراد بالجملة
المتقدمة قوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا واشار الى ان هذه الجملة بدل من قوله لا يعلمون وكل واحد من قوله تقريرا وتشبيها
واشعارا منصوب على انه مفعول له لقوله المبدلة علل ابدال قوله يعلمون من قوله لا يعلمون بثلث علل الاولى تقريرها لتمهيد الاول
عليها بالمبدل منه فان من لا يتجاوز علمه عن بعض ظواهر الدنيا ولا يتعلق بالبعض الاخر فضلا عن ان يتعلق بامر الدين و
احوال الاخرة لا يكون جاهلا قوله وتشبيها وان كان في صورة العلة الثانية الا ان المقصود منه بيان وجه كون
جملة البدل تقريرا لجهالتهم ووجه كون الابدال مشعرا بما ذكره ان قوله يعلمون لما اقيم مقام قوله لا يعلمون وجعل سادا
مسده علم منه انه لا فرق بين عدم العلم وبين علمهم قوله اولم يتفكروا التفكر فيها على ان يكون قوله في انفسهم ظرفا
للتفكر والمعنى اولم يشغلوا قلوبهم الفارغة عن الفكر بالفكرة الصالحة والتفكر وان لم يكن الا في القلوب الا انه زيد
قوله في انفسهم لزيادة تصوير حال المتفكرين كما قيل والحظه بعينك وابصره بعينه واضمره في نفسه ونحو ذلك فيكون جملة
ما خلق الله السموات والارض الآية متصلة بما قبلها في محل النصب بقوله اولم يتفكروا والمعنى اولم يتفكروا في قلوبهم ان
ما خلق الله السموات والارض الا بالحق باضمار ان الخفيفة ويكون التفكر واقعا على خلقهما بالحق واضمار ان للوصل
جائز كما في قوله تعالى في هذه السورة ومن اياته يريكم البرق اي ان يريكم البرق كذا في التيسير ... يحتاج الى اضمار في ايضا
والاظهر ما ذكره المص من كونه متعلقا بقوله او علم محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيقولوا او فيعلموا انه تعالى ما خلق
السموات فعلى هذا لا يكون المتفكر فيه مذكورا بخلاف الاحتمال الثاني الذي ذكره بقوله اولم يتفكروا في امر انفسهم على ان
يكون قوله في انفسهم مفعولا به غير صريح ليتفكروا والاظهار له كقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والمعنى هلا تفكروا في امر
انفسهم التي هي اقرب اليهم من سائر المخلوقات وهم اعلم باحوالها وهي كلمة استبطاء كانه قيل ينبغي لهم ان يتفكروا فيها ليتضح
لهم كمال قدرة الله تعالى فان من تفكر في تشريح بدن الانسان وما اودع فيه من غرائب التدبير التي حصل له العلم القطعي بانه
تعالى فاعل مختار كامل العلم والقدرة وان من يكون كذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد والا لكان عاجزا عند ارادة
شريكه ضد ما اراده وايضا حصل له العلم بحقية الحشر والجزاء لانه اذا تفكر في نفسه يرى قواه صائرة الى الزوال واجزاءه
مائلة الى الانحلال فيقطع بانه سيفنى عن قريب فلو لم يكن له حيوة اخرى لكان خلقه على هذا عبثا كما اشير اليه بقوله تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وهذا ظاهر لان من بالغ في تدبير شيء انه سيفنى عن قريب بالكلية وصوره احسن تصوير واعتنى
انتظام احواله ابلغ ما يمكن من الاعتناء مع علمه بانه عن قريب كان لم يكن شيئا مذكورا يضحك منه ويتعجب من سفاهته فمن
تفكر في شان نفسه على هذا الوجه علم انه تعالى خلقه للبقاء ولا بقاء الا بالحشر والاحياء فظهر ان تفكر الانسان في امر نفسه
يؤديه الى القطع بان العالم له اله واحد قادر على الابداء والاعادة فيكون قوله ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا

بالحق جملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها ذكرت بعد اقامة الدليل الانفسي لا بدليل الافاقي فمعنى الآية على هذا الوجه
اولم يتفكروا في خلق السموات والارض فيعلموا ان الله تعالى لم يخلقهما عبثا ولا جزافا ولكن ليعتبر بهما عباده ويستدلوا بهما
على وحدانيته وكمال قدرته وانه انما خلقهما لمنافع عباده بلا عالم في دار التكليف عونا لاكتساب ما يسعدهم في
دار الجزاء وهو معنى قوله بالحق والباء فيه اما سببية او حالية اي ما خلقهما الا للحق او ملتبسا بالحق مقرونة به
لا باطلا ولا عبثا حالبا عن حكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقهما مؤجلة باجل مسمى في نفوس البشر مندرجة في
مفهوم قوله وما بينهما ثم انه تعالى لما ارشد الى ما يؤدي الى العلم بحقيقة الاخرة وان السموات والارض وما بينهما جميعا مخلوقة
للانتهاء الى اجل مسمى نبه على الغافلين عن الاخرة المصرين على الكفر وتكذيب الانبياء بقوله اولم يسيروا في الارض وهو
استفهام تقرير لسيرهم ونظرهم الى اثار المدمرين قبلهم وبعد تقرير ذلك ذكر انهم اي اهل مكة اولى بالهلاك لان من تقدم من
عاد وثمود كانوا اشد من اهل مكة قوة واكثر مالا وعمارة ولم ينفعهم قواهم ولم يمنعهم من الهلاك اموالهم وحصونهم
قوله او الايات الواضحات اي دلائل الحق وبراهينه وعن ابن عباس رض بالحلال والحرام والحدود والاحكام وقوله تعالى فما
كان الله ليظلمهم قبله مضمر تقديره فلم يؤمنوا فاهلكوا فما ظلمهم الله بتعذيبهم من غير ذنب وثم في قوله ثم كان لترتيب الاخبار
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو عاقبة الذين مرفوعا على انه اسم كان وتذكير كان مبني على ان تانيث عاقبة غير حقيقي والسوأى
خبر كان واختار المص هذه القراءة حيث قال ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى وقوله ان كذبوا اما علة بتقدير لام
العلة اي لان كذبوا او باء السببية اي بان كذبوا واما بدل او عطف بيان للسوأى ولا شك ان التكذيب خصلة سوأى
وعقوبة سوأى فيصح ان يكون بدلا او عطف بيان للعقوبة السوأى وللخصلة السوأى فمعنى الآية ثم كان التكذيب اخرامهم
اي ماتوا على ذلك جازاهم الله تعالى بذلك على اسائتهم حيث طبع على قلوبهم حتى ماتوا على تكذيب ويحتمل ان يكون قوله ان
كذبوا خبر كان وح يكون السوأى مصدرا بمعنى الاساءة منصوبا باساؤا او يكون مفعول اساؤا والتصغير بمعنى اقترفوا
والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة التي هي اسوأ الخطايا ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها فان
السوأى تانيث الاسوأ بمعنى الاقبح ثم ذكر احتمالا آخر وهو ان يكون السوأى مفعول اساؤا ايضا وان كذبوا عطف
بيان له او بدلا منه ويكون الخبر محذوفا للابهام والتهويل والمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة السوأى وهي
التكذيب والاستهزاء ما لا يمكنه كنهه ولا يقادر قدره في الشدة والفظاعة ثم انه تعالى لما ذكر ان عاقبة المسيء العقوبة
السوأى قرر ذلك بيان ان المخلوقات باسرها يحشرون بعد الموت ثم اليه يرجعون للجزاء ثم بين ما يكون وقت الرجوع
اليه فقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون اي ينقطع كلامهم وحجتهم ويبقون آيسين من كل خير ساكتين متحيرين
قوله التي لا ترعو من الرغاء وهو صوت ذات الخف يقال رغى البعير يرغو رغاء اذا صاح وابلست الناقة اذا لم ترغ
من شدة الضبعة وهي شهوة الناقة الفحل **قوله** يكفرون بالهتهم على ان الباء في قوله بشركائهم صلة كافرين وما قيل
بعده على ان الباء للسببية **قوله** وكتب في المصحف شفعوا وعلموا بني اسرائيل بالواو وقبل الالف على لغة من يميل الالف
الى الواو وعلى هذه اللغة كتب الصلوة والزكوة والربوا ثم ان الالف المكتوبة على صورة الواو ان كانت آخرا جمع بينها وبين الواو

في الرسم كما في الربوا وعلموا آخلاف الالف المتوسطة كما في الصلوة والزكوة **قوله** لقوله فاما الذين وجه التفصيل لا لان
الفاء فيه لتفصيل ما اجمل بقوله يتفرقون **قوله** يسلمون اي تتلألأ وجوههم وقال الراغب الحبر الاثر المستحسن ومنه ما روي
انه يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه والحبر التحسين والفاء في قوله تعالى فاما الذين امنوا التفصيل
ما اجمل في قوله يومئذ يتفرقون اسند التفرق الى فريقي المؤمنين والكافرين المذكورين على الاجمال ثم فصل حالهما و
بين مصيرهما بما هو وعد في حق احدهما ووعيد في حق الآخر ثم فرع على هذا الوعد والوعيد قوله فسبحان الله الآية فان
الفاء فيه فاء الجزاء لشرط محذوف والاسم يكون للكلام وجه ارتباط بما قبله كانه قيل اذا تقرر عندكم مصير كل واحد من
الفريقين واتضح عاقبة المعرضين عن طاعته والمقبلين اليها فسبحوا الله تسبيحا في هذه الاوقات وهذا اشارة الى قول المص
ان قوله تعالى فسبحان الله خبر في معنى الامر بتنزيه الله تعالى ولم يجعله امرا حقيقة بان يكون المصدر منصوبا بفعل الامر لكونه
مصدرا ابقاء الجزاء والامر بل الجملة الانشائية مطلقا لا يصح تعليقها بالشرط لان الانشاء ايقاع المعنى بلفظ يقارنه
ولو جاز تعليقه للزوم تأخره عن زمان التلفظ وانه غير جائز واما المعلق بالشرط وهو الاخبار عن انشاء التسبيح و
الزجر وانشاء المدح والذم والاستفهام ونحوها فاذا قلت ان فعلت فعلا كذا غفر الله لك او فنعم ما فعلت
كان المعنى فقد فعلت ما تستحق به ان يغفر لك او يمدح بسببه الا ان الجملة الانشائية اقيمت مقامه للمبالغة
في الدلالة على الاستحقاق فمعنى الآية اذا كان الامر كما تقرر فانتم تسبحون الله تعالى في الاوقات المذكورة وهو في معنى الامر
بالتسبيح فيها وكذا قوله تعالى وله الحمد اخبار في معنى الامر بالثناء عليه فكانه قيل اذا تقرر ذلك فعليكم بتسبيح الله تعالى و
تحميده اللذين يوصلان الى الوعد وينجيان عن الوعيد **قوله** التي يظهر فيها قدرته اشارة الى وجه تخصيص هذه الاوقات
بالتنزيه **قوله** وتجدد فيها نعمته اشارة الى وجه تخصيصها بالثناء **قوله** او دلالة عطف على قوله اخبار في معنى الامر لا على
مجرد كونه اخبارا لما بين ان كونه جواب الشرط يستلزم كونه اخبارا البتة وانما الاحتمال في كونه في معنى الامر او المجرد
الدلالة على ان ما يحدث فيها من الدلائل الدالة على تنزيه الله تعالى عن سمات العجز والامكان واستحقاقه الحمد والثناء بلسان
من السن الملائكة والجان **قوله** لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر من حيث انه يتبدل فيهما احد الضدين بالآخر
كتبدل الظلمة بالنور وبالعكس وكتبدل ما يشبه الموت بما يشبه الحيوة وبالعكس واصبح وامسى من الافعال الناقصة
الا ان قوله تمسون وتصبحون في الآية من الافعال التامة بمعنى تدخلون في المساء وتدخلون في الصباح وكذا تظهرون اي
تدخلون في الظهيرة **قوله** وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح وتخصيص الحمد بالعشي والظهيرة مبني على كون قوله وعشيا
معطوفا على قوله في السموات والارض لانه لو كان معطوفا على قوله حين تمسون كما ذهب اليه عامة المفسرين لكانت الاوقات
المذكورة باسرها اوقات التسبيح ولكان المعنى سبحوه حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون فيكون
قوله وله الحمد اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وفائدة الاعتراض التنبيه على انهم انما يسبحون في هذه الاوقات
بتمكين الله تعالى اياهم وتوفيقه لهم فعليهم ان يحمدوا الله تعالى اذا سبحوه كما قال تعالى يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا
علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم **قوله** وعن ابن عباس رض عطف من حيث المعنى على قوله في معنى الامر بتنزيه الله تعالى

فانه بمنزلة ان يقال المراد بالتسبيح التنزيه وهذا المعطوف بمنزلة ان يقال المراد به الصلوة بطريق تسمية الشيء
باسم ما فيه وما بعده من الاحاديث يؤيد كون التسبيح على اصل معناه فانه اذا قيل سبح فلان يكون معناه انه قال
سبحان الله وكذا كبر وحوقل معناهما قال الله اكبر وقال لا حول ولا قوة الا بالله والعامل في حين هو الفعل
المقدر الناصب لسبح الله اي سبحوه سبحانه حين تمسون وقيل العامل فيه سبحان لقيامه مقام ذكر الفعل **قوله**
وقرئ حينا بالتنوين فيكون الجملة بعده صفة له بحذف العائد كما في قوله تعالى واخشوا يوما لا تجزي والد عن ولده اي لا تجزي فيه
ثم انه تعالى بين استحقاقه للتحميد والتسبيح ببيان انه يخرج احد الضدين عن الآخر وبيان الابداء والاعادة متساويان
بالنسبة الى قدرته تعالى يخرج الحي من الميت الخ فهذه الآية كالدليل على قوله الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده **قوله تعالى** ومن آياته خبر
مقدم لقوله ان خلقكم اي ومن آياته الدالة على كمال قدرته المستلزم لوحدانيته وتفرده في الالوهية خلق اصلكم من تراب ثم
بثكم ونشركم على وجه الارض وثم للتراخي الرتبي بين تكثيرهم وانتشارهم في الارض وبين كونهم مخلوقين من اصل واحد و
اذا المفاجأة للدلالة على ان ذلك التكثير والانتشار لم يكن بعد انقضاء زمان مديد منذ زمان خلق اصلهم وقوله
تنتشرون صفة لبشر لان المراد به الجنس **قوله** لان حوا خلقت من ضلع آدم اي ان من عظم جنبه جعل ضمير لكم وانفسكم
منا ولا لآدم ولمن بعده من ابناء النساء وهم اموات لا يعلمون بطريق تغليب الاحياء على الاموات وقولهم ان مقابلة
الجمع بالجمع يقتضي انقسام الآحاد على الآحاد غير مرعي في هذا التوجيه والظاهر ان جعل ذلك الاصل اكثريا لا كليا **قوله**
اولان نسلهن من جنسهم يعني ان قوله من انفسكم يعني من جنسكم كما في قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله لتسكنوا
اليها فان السكون النفس وميل القلب لا يتوقف على كون المسكون اليه منفصلا منه وانما يتوقف على الاتحاد في الجنس
فان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما الى الآخر **قوله** حال الشبق وغيرها لف ونشر على ترتيب قوله مودة ورحمة
فان كل واحد من الزوجين يود صاحبه حال شبابهما وغلبة شهوتهما ويعطف عليه ويرحمه حال كبرهما رعاية
لحق قدم المصاحبة وان انقطع حاجة نفسه اليه فان العطف الواقع في تلك الحال ليس بسبب المحبة وانما هو
بسبب الرحمة **قوله** او بان تعيش الانسان اي ناظر الى قوله او بين افراد الجنس مع قطع النظر عن علاقة الازدواج
قوله كقوله ورحمة منا قال تعالى في حق عيسى عليه الصلوة والسلام ولنجعله آية للناس ورحمة منا والمراد بها عيسى
جعله الله تعالى آية ورحمة **قوله تعالى** ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق الازواج وجعل المودة والرحمة بين الزوجين لآيات
لقوم يتفكرون في عظمة الله تعالى وقدرته فانه تدبير عجيب في بقاء نوع الانسان بتعاقب اشخاصه في ضمن هذا التدبير
خلق السوي من شيء ايسر من المني وتربيته في بطن امه تسعة اشهر من غير خادم يخدمه ويقوم بمصالحه ثم اخراجه
من بطن امه مع سلامته وسلامة امه آيات عجيبة تدل على كمال عظمة الله تعالى وقدرته فان ذلك لو كان
من صنع غير الله لافضى الى هلاك الام وهلاك الولد ايضا لان الولد لو سل من موضع ضيق بغير اعانة الله لمات **قوله تعالى**
ومن آياته الدالة على وحدانيته وقدرته على البعث والاحياء خلق السموات ورفعها في الهواء واقرارها فيه بغير
عمد وخلق الارض وبسطها واقرارها على الماء او على الريح وكانت العرب مقرين بان الله تعالى هو المنفرد بخلقهما
فبكتهم

او خلق الشيء من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من الماء والتراب
منه

الا ان المفاجأة اكثر ما تقع بعد الفاء
لانها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم
بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد
تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع آخر
من كوننا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم
عظما مجردا ثم عظما مكسوا لحما فاجاء
البشرية والانتشار اي فاجأ ذلك
وقوله بشر كما جعل خبر ان تنتشرون
كان في معنى الجمع فلذلك اسند تنتشرون ان
الضمير الجمع العائد اليه ولا شك ان خلق
الحيوانات المنتشرة من التراب الساكن عجيب
فضلا عن خلق البشر منه

وجعل بينكم اي بين الازواج اما مع تغليب الرجال على النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم
وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين
الرجال والنساء او بين الآباء والابناء فقوله تعالى مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة
الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف
من قرابة او رحم
ابو السعود

٥٧

فبكتهم الله تعالى بان من قدر على خلقهما على ما فيهما من عجائب الصنعة وبدائع الخلقة لا يكون الا متفردا بالالوهية والربوبية قادرا
على احياء الموتى ومجازاتهم على الاحسان والاساءة وفسر اختلاف الالسنة باختلاف اللغات لان انفس الالسنة ليست
بمختلفة بل هي على هيئة واحدة **قوله** بان علم كل صنف لغته على ان يكون اللغات باسرها توقيفية لا اصطلاحية كما ذهب اليه الجمهور
وذو الهمه وحسنها على ان يكون اصطلاحية ثم ان التعليم لا يتوقف على تقدم اللغة وجريان الاصطلاح عليها ذلك الاصطلاح
على لغة متقدمة واصطلاح سابق وهلم جرا فاما ان يدور او يتسلسل بل طريق التعليم ان يخلق الله تعالى في كل صنف علما
ضروريا بتلك الالفاظ وبتلك المعاني وباختصاص كل لفظ من تلك الالفاظ بواحد من تلك المعاني والضروري ههنا بمعنى الاولي
الحاصل بمجرد التفات النفس من غير ان يتوقف على شيء آخر من احساس او تجربة او الهام وهو الغاء المعنى في القلب سواء الفاه
الله تعالى بالذات او بواسطة الملك فالعلم الضروري بان اللفظ موضوع لان معنى مقابل لما يحصل بالالهام **قوله** واجناس نطقكم
اي ويحتمل ان يكون المراد باختلاف الالسنة اختلاف الكيفيات العارضة للاصوات والالفاظ المنطوقة مع اتحاد اللغة
فانكم لا تكادون تسمع منطقين في همس واحد ولا في جهارة ولا حدة ولا لين ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير
ذلك من صفات النطق واحواله وكذا اختلاف الوانهم وصورهم وهيآتهم مع انهم ولد رجل واحد وامرأة واحدة وان اصل
الكل واحد هو الماء والتراب فاختلاف النغمات واللغات وتفاوت الالوان والكيفيات بحيث لا يشبه وجه وجها على اتحاد الصورة و
ولا يشبه نغمة نغمة على اتحاد الآلة دليل واضح على كمال قدرته ونفاذ مشيئته ولطيف حكمته فان تمايز الاقارب والاجانب
وتعارف اصحاب المعاملات بعضهم مع بعض يتوقف على ما ذكر من الاختلاف فانه لو اتفقت الافراد الانسانية بحسب العوارض و
المشخصات لوقع الاشتباه والالتباس بينهم فيتأدى ذلك الى تعطيل الامور الجمة والمصالح الكثيرة **قوله** وجلاها جمع جلية بمعنى
الصفة **قوله** لاستراحة القوى النفسانية وهي بحسب القسمة الاولى نوعان محركة ومدركة والمحركة اثنتان شهوية تجذب بها
النفس ما يلائمها وغضبية تدفع بها ما لا يلائمها والمدركة عشرة خمس منها الحواس الظاهرة وخمس الحواس الباطنة الحس المشترك
الذي يجتمع فيه صور جميع المحسوسات والخيال الذي هو خزانة الحس المشترك والوهم الذي به تدرك النفس المعاني الجزئية والمتخيلة
التي هي مناط التركيبات والتحليلات ويتعلق بها استنباط الصنائع العجيبة والافكار الغريبة والذاكرة وهي خزانة الصور
الوهمية كما ان الخيال خزانة الصور الحسية وللنفس قوى اخر لا محركة ولا مدركة وتسمى القوى الطبيعية وهي سبع الغاذية التي
تتصرف في مادة الغذاء وتوصل الاغذية الى الاعضاء المغتذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة
والدافعة وللنفس ثلث قوى سوى هذه القوى المدركة وهي روح حيواني وروح طبيعي وروح نفساني والروح الطبيعي هو
البخار اللطيف الحاصل من غليان الدم الكائن في تجويف اللحم الصنوبري وذلك البخار منبث في جانب الايسر من اللحم الصنوبري
والذي انفصل منه واتصل بالكبد يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة والطبخ والافعال النباتية والذي يتصاعد
منه الى جانب الدماغ بواسطة الشرايين يسمى روحا نفسانيا ويتوسط به الافعال الحيوانية وهو لغاية لطافته يسري
وينفذ في جميع العروق والاعضاء والله تعالى اعلم ولا شيء من القوى الطبيعية ما يتعطل بالنوم حتى يكون النوم استراحة
لها لكنها تتقوى بسببه بخلاف القوى النفسانية فان اكثرها يتعطل بالنوم فيكون النوم سببا لاستراحتها ولما لم يكن النوم

مختصا بالليل لكون القيلولة وقت الظهيرة عادة اكثر الناس وكذا لم يكن طلب المعاش مختصا بالنهار لوقوعه في
الليل ايضا فقدم احتمال ان لا يكون الآية من قبيل اللف والنشر حيث قال منامكم في الزمانين وطلب معاشكم فيهما ثم ذكر
احتمال كون الآية من باب اللف حيث ذكر في تفسيرها ما يدل على اختصاص كل واحد من الزمانين بواحد من الفعلين فقال
او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فخص كل واحد من الفعلين بزمان على حدة واقتصر على عطف احد الفعلين على
الآخر ولم يعطف احد الزمانين على الآخر بل خص كل زمان بما وقع فيه من الفعل ليظهر ان النظم وارد على طريق اللف
ثم قال فلف اي ذكر الزمانين ثم ذكر ما وقع لكل واحد منهما من غير تعيين ان ما وقع في كل واحد منهما اي فعل من الفعلين
المذكورين اعتمادا على كون التعيين معلوما للسامع فان اللف عبارة عن ذكر متعدد مع ذكر ما لكل من آحاد ذلك
المتعدد من غير تعيين اعتمادا على ان السامع يرد الكلام آحاد المتعدد المذكور الى ما هو له ثم قال ويؤيده اي يؤيد الاحتمال
الثاني قوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم وقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا
قوله فان الحكمة فيه اي في جعل الزمانين محلا للفعلين ظاهرة اشار به الى وجه تخصيص هذه الآية بقوله لقوم
يسمعون والآية السابقة بقوله لقوم يتفكرون قوله مقدر بان المصدرية حتى يكون مع ما في حيزها مبتدأ وما قبلها
خبره على وفق نظائره ولما حذفت ان بطل عملها وعاد الفعل مرفوعا كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويروى
برفع احضر ونصبها وحسن حذف ان فيه لدلالة ما بعده عليه وهو قوله وان اشهد اللذات هل انت مخلدي وقد نزل
الفعل بنفسه منزلة المصدر كما في قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي سماعك به وهو مثل يضرب للرجل الذي له صيت
في الناس فاذا رأيته ازدريته قيل المعيدي تصغير معدي منسوب الى معد خففت الدال استثقالا للجمع بين التشديدين
ياء التصغير فتقدير الآية على تقدير ان ينزل الفعل منزلة المصدر ومن آياته اراءتكم البرق ووجه كونها آية ان السحاب ليس
فيه الا الماء والهواء وخروج النار منهما بحيث تحرق الجبال في غاية البعد فلا بد له من خالق قادر على جميع ما يشاء ثم ذكر
لارتفاع يريكم وجها ثانيا وهو كونه صفة لمحذوف والتقدير ومن آياته آية يريكم الله تعالى بها البرق فحذف الموصوف و
عائده كما في قول الشاعر وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها قوله
على العلة لفعل يلزم المذكور لا لنفس الفعل المذكور لان شرط انتصاب المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل
والله تعالى منزه عن الخوف والطمع فاحتيج الى ان يقال في تأويل الآية يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا على طريق اقامة
عاقبة الفعل مقام علته قوله قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما في حيزيهما فان السماء وان كانت تتحرك
حركة وضعية الا انها ثابتة على الهيئة التي خلقت عليها من غير عمد ترونها وكذا الارض مع غاية ثقلها تثبت في مكانها
ولا تنزل ولا تسقط وما يمسكهما الا الله القادر على ما يشاء ثم فسر قوله تعالى بامره بان يقول اي يقول لهما قوما في حيزكما
مع انه هو الاوفق لقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن لان كون الامر سببا للقيام انما هو اذا كان للمخاطب
فجعل الامر بالقيام مجازا عن الاقامة وارادة القيام بان شبه تكون الكائنات عند تعلق الارادة بتكونها بامتثال
المامور المطيع لامر الآمر المطاع فعبر عما تعلق الارادة بالامر للمبالغة في الدلالة على كمال القدرة وكلا الشقين منزلة له

يعم من اولئك الالات وليس هنا كالامر اصطلاحي حتى يقال الامر الذي للتكوين مستلزم للارادة بالاتفاق بيننا وبين المعتزلة
بخلاف الامر الذي للتكليف فانه مستلزم للارادة عندهم لا عندنا قوله يحمل على ان تقوم على تأويل المفرد ومعنى ما بعد كلمة ثم
جملة شرطية عطفت على المفرد فاحتيج لانتظامها مع المفرد الى تأويلها بالمفرد على اسلوب قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم
ومن دخله كان آمنا فانه في معنى وأمن داخله وفائدة هذا الاسلوب الاشعار بانه مع كونه آية مستقلة خارجة عن عداد
ما سبق من الآيات وانه حكم مقصود بذاته مع قطع النظر عن كونه آية قوله ولذلك ناب مناب الفاء في جواب الاول كما في قوله
في الدلالة على التعقيب قوله منقادون لفعله فيهم يعني ان المراد بالقنوت الانقياد في قبول جميع ما اراد الله تعالى
في حقهم وفعل بهم من الاحياء والاماتة والصحة والسقم والحركة والسكون وغير ذلك لا الانقياد لرعاية ما كلفوا به من
لان بعضهم عصوا في العبادة
الامتثال للاوامر والاجتناب عن المعاصي وهو دليل على وحدانيته تعالى لان جميع الكائنات لما كانوا منقادين للارادة
ومشيئته ثبت انه لا شريك له اصلا لان الشريك يكون منازعا للشريك الآخر في متعلق ارادته ثم استدل على الاصل الثاني
وهو القدرة على الحشر والاعادة بقوله وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده قوله وذلك اي لعدم كون شيء اسهل
من شيء بالنسبة الى قدرة الله تعالى وان كل واحد من الابداء والاعادة مساويا للآخر بالنسبة اليه تعالى فقيل ضمير عليه للخلق
اي والعود اهون على الخلق وهذا على تقدير ان يكون اهون للتفضيل فانه يدل على كون الاعادة اهون عليه من
الابداء وليس كذلك واما اذا كان صفة بمعنى هين كقولك الله اكبر فلا حاجة الى التوجيه لانه لا يدل على كون بعض الممكنات
اهون من بعض بالنسبة الى قدرته تعالى قوله اي الوصف العجيب الشان استعير لفظ المثل من معناه العرفي وهو القول السائر
المشبه مضربه بمورده للوصف العجيب تشبيها له بالمثل السائر لانه لا يخرج الا ما فيه غرابة وامر عجيب وقوله في السموات متعلق بما
تعلق به قوله ولله وهو المجرور على انه حال من الاعلى او من المثل ومعنى ثبوته له تعالى في السموات انه تعالى عرف ووصف به فيهما على السنة
الخلائق والسنة الدلائل ثم انه تعالى لما استدل على وحدانيته بقوله وله من في السموات والارض شرع في بيانها بالمثل فقال عز من قائل
ضرب لكم مثلا من انفسكم اي بين الله تعالى لكم ايها المشركون مثلا اي شبها لحالكم التي هي اثبات الشريك لله تعالى وذلك الشبه منتزع
من احوال انفسكم ومن الاحوال التي لا تزيدونها في حقكم ضربه لتقريب الامر من افهام المشركين ثم بين ذلك المثل فقال هل لكم مما
ملكت ايمانكم ومن في قوله من انفسكم لابتداء الغاية وهو في موضع الصفة لمثلا اي مثلا مأخوذا منها ومن في قوله مما ملكت
للتبعيض والجار والمجرور في محل النصب على انه حال من شركاء لانه في الاصل نعت نكرة هي شركاء والتقدير هل لكم شركاء
كائنون مما ملكت ايمانكم فلما قدم عليها انتصب على الحال ومن في قوله من شركاء مزيدة لتأكيد الاستفهام الجاري مجرى
النفي لانها لا تزاد في الاثبات الا عند الاخفش والجار والمجرور في محل الرفع على انه مبتدأ ولكم خبره قدم عليه وقوله
فانتم فيه سواء الجملة من مبتدأ وخبر في موضع فعل فاعل بها فتستووا وقوله فيه متعلق بسواء ومحلها النصب على جواب
الاستفهام الذي بمعنى النفي كانه قيل هل لكم من كيت وكيت فتستووا والمعنى انهم لا يملكون شيئا وكم هذا ما ذكره
ابو البقاء بقوله قوله فانتم فيه سواء الجملة في موضع نصب جواب الاستفهام اي هل لكم فتستووا انتهى كلامه بعبارته وفيه
نظر لانه كيف يجوز ان يجعل الجملة الاسمية حالة محل الجملة الفعلية ويحكم على موضع الاسمية بالنصب باضمار ان وهو لا يجوز

الا ان الحكم بان هذه الجملة الاسمية جواب للاستفهام المذكور قبله كلام حق وقوله تعالى تخافونهم فيه وجهان احدهما انها خبر ثان
لانتم تقديره فانتم مستوون معهم فيما رزقناكم خائفون كخوف بعضكم بعضا ايها الاحرار السادات والمراد نفي الثلثة
اعني الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم اياهم وليس المراد نفي ثبوت الشركة ونفي الاستواء والخوف كما هو احد الوجهين في قولك
ما تاتينا فتحدثنا بمعنى ما تاتينا محدثا بل تاتينا ولا تحدثنا بل المراد نفي الجميع كما تقدم والوجه الثاني ان تخافونهم في محل النصب
على انه حال من ضمير الفاعل في سواء اي فانتم فيه مستوون خائفين عبيدكم خيفة مثل خيفتكم الاحرار الذين هم امثالكم اذا
كان بينكم وبينهم شركة فاذا لم ترضوا ان يشارككم عبيدكم في الاموال فكيف تشركون بالله من هو مصنوع له واعلم ان المثل لا بد ان يشابه
الممثل به من وجه ويخالفه من وجه اخر ووجه المشابهة ههنا ظاهر واما وجه المخالفة فقد اشير اليه في الاية بوجوه الاول
اشار اليه بقوله من انفسكم اي من نفسكم مع حقارة انفسكم ونقصها وعجزها وجلاله تعالى وعظمته وقدرته وكماله والثاني اشار اليه بقوله مما
ملكت ايمانكم اي من عبيد لكم عليهم ملك اليد الطارئ القابل للنقل والزوال اما النقل فبالبيع وغيره واما الزوال فبالعتق
ومملكه تعالى لا خروج له عن الملك بوجه من الوجوه فاذا لم يجز ان يكون مملوككم شريكا لكم مع انه يجوز ان يصير مثلكم من جميع الوجوه بل هو
في حالة الرق مثلكم في الادمية حتى انكم ليس لكم تصرف في روحه وادميته بقتل وقطع وليس لكم منعهم من العبادة وقضاء
الحاجة فكيف يجوز ان يكون مملوك الله تعالى الذي لا يتصور خروجه من ملك الله ومملوكه من جميع الوجوه شريكا له والثالث اشار اليه
بقوله من شركاء فيما رزقناكم يعني في الذي هو في الحقيقة ليس لكم بل هو لله تعالى ومن رزقه حقيقة فاذا لم يجز ان يكون لكم شريك فيما
هو لكم من حيث الاسم وفي ظاهر الامر فكيف يجوز ان يكون له تعالى شريك فيما هو له حقيقة بل كل شيء له تعالى وما ادعوه الهة لا يملك
شيئا اصلا فلا يصلح لعظمته ولا لمنفعة تصل اليكم منه واما قولكم هؤلاء شفعاؤنا فليس كذلك لانه اذا لم يكن لما ملكت ايمانكم
مع مساواته اياكم في الحقيقة والصفة حرمة عندكم كحرمة الاحرار فكيف يكون حال المماليك الذين لا مساواة بينهم وبين المالك
الحق بوجه من الوجوه هل يتصور ان يكون لهم حرمة عند المالك المطلق والى هذا اشير بقوله تعالى تخافونهم كخيفتكم ثم انه تعالى لما بين
بطلان الشرك بما ضربه من المثل بعد بيان دلائل الوحدانية وبعد ما بين حسن ذلك التمثيل بقوله وكذلك نفصل اي مثل ذلك التفصيل
العجيب والبيان الغريب نبين الايات قال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم اي لكن الذين اشركوا اتبعوا اهواءهم فيما ذهبوا اليه
من الشرك من غير دليل جهلا بما يجب عليهم ثم بين ان ذلك بارادة الله تعالى حيث قال فمن يهدي من اضل الله اي هؤلاء اضلهم الله
فلا هادي لهم فلا يحزنك شانهم ثم قال اذا بان بطلان الشرك بما اتضح لك من الايات فاقم وجهك للدين حنيفا اي غير ملتفت يمينا
وشمالا الى الهوى على انه يكون حنيفا حالا من فاعل فاقم او غير ملتفت عنه بفتح الفاء على ان يكون حالا من الدين والحنيف من الحنف
وهو الاعوجاج في الرجل بان تقبل احدى ابهامي رجليه على الاخرى والرجل احنف وقد سمي المسلم المستقيم في امر الدين حنيفا
بطريق تسمية احد الضدين باسم الاخر تفاؤلا كما سمي الغراب اعور او لكونه مائلا الى الدين الحق في كل حال وفي كل وقت قوله
وهو تمثيل لان الدين هو الاقبال على طاعة الله تعالى بالجنان واللسان والاركان وليس من قبيل الاعيان الخارجية حتى يتصور
تقويم الوجه اليه حقيقة فلذلك جعله من قبيل التمثيل يعني انه شبه اقبال القلب على الدين وثباته عليه في اهتمامه برعاية حدوده
واركانه باقبال الشخص المرضي معنى وقصده اياه وتقويم وجهه اليه سمته معتقدا اياه لو انحرف عنه ضل عن معتقده فعبر

عن المشبه باسم المشبه به وهو التقويم ثم اشتق منه اقم قوله نصب على الاغراء اي الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله او على
المصدر المؤكد لمضمون الجملة كقوله صبغة الله وصنع الله الذي فطركم الله فطرة فسر الفطرة بالخلقة ثم بين ان المراد بها احد
ثلثة اوجه فيكون الخلقة على حسب تلك الوجوه بمعنى ما خلق عليه المكلف الوجه الاول ان تكون الفطرة عبارة عن قبولهم للحق و
تمكنهم من ادراكه فانه تعالى خلق المكلفين على الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين الحق وهو التوحيد والطاعة فلو تركوا
عليها لاستمروا على لزومها لان هذا الدين موجود حسنه في العقول ويقتضيه النظر الصحيح ولا يعدل عنه احد الا بآفة تمارضه
كالتقليد واغواء شياطين الانس والجن فمن سلم من تلك الافات لم يعتقد غيره ويؤيده قوله عليه الصلوة كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها قالوا يا رسول الله افرايت
من يموت منهم صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قال الامام الغزالي في تاويلاته قوله تعالى ولله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى بالتوحيد
بالفردانية في الوجود والوحدة الذاتية وما احسن قول مجاهد في معناه لا اله الا الله فاقم وجهك للدين التوحيد
والوجه هو الذات الموجودة مع جميع لوازمها وعوارضها واقامته للدين تجريده عن كل ما سوى الحق قائما بالتوحيد
والوقوف مع الحق غير ملتفت الى نفسه ولا الى غيره حنيفا مائلا منحرفا عن الاديان الباطلة التي هي طرق الاغيار والانداد
لمن اثبت غيره واشركه بالله فطرة الله اي الزموا فطرة الله وهي الحالة التي فطرة الحقيقة الانسانية عليها من الصفاء
والتجرد في الازل وهي الدين القيم ازلا وابدا لا يتغير ولا يتبدل عن الصفاء الاول ومحض التوحيد الفطري وتلك الفطرة الاولى
ليست الا من الفيض الاقدس الذي هو عين الذات من بقي عليها لم يمكن انحرافه عن التوحيد واحتجابه عن الحق وانما
يقع الانحراف والاحتجاب من غواشي النشأة وعوارض الطبيعة عند الخلقة او التربية والعادة واما الاول فلقوله
عليه الصلوة والسلام في الحديث القدسي كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان
يشركوا بي غير ان الله استخفهم وصرفهم عنه فجالوا معهم تقال للقوم اذا تركوا القصد الى الهدى اجتالتهم الشياطين
اي اضلتهم فجالوا معهم في الضلالة واما الثاني فلقوله عليه الصلوة والسلام كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون
ابواه يهودانه وينصرانه لا ان تتغير تلك الحقيقة في نفسها عن الحالة الذاتية فانه محال وذلك معنى قوله تعالى
لا تبديل لخلق الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون تلك الحقيقة انتهى كلامه قدس سره والوجه الثاني ان يكون الفطرة عبارة
عن الدين الذي هو ملة الاسلام فان الدين والملة متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار فان كل واحد منهما عبارة
عما شرعه الله تعالى للعباد وسنه لهم على لسان انبيائه ليتوصلوا به الى اجل ثوابه الا انه ذكر يسمى ملة باعتبار انه تعالى
انزل في صحفه ما يمليه العباد ويكتبونه ويتدارسونه فيما بينهم لان الملة من امللت الكتاب اي املته ويسمى دينا
باعتبار طاعة العباد لمن سنه وانقيادهم لامره من قولهم دان له اي ذل واطاع والناس مفطورون على ملة الاسلام ضرورة
انهم مخلوقون على قبول ما تطابقت الادلة النقلية والعقلية على حقيقته وصدقه والاتصاف به فكانوا مخلوقين على الاسلام الا ان
بعضهم عنه صارف فالظاهر على هذا الوجه ان يكون فطرة الله منصوبا على الاغراء اذ لا يستقيم لقولنا فطركم الله فطرة هي الاسلام
وجه ظاهر والوجه الثالث ان يراد بالفطرة العهد المأخوذ عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم

على ذلك الاقرار وهى الحنيفية التى وقعت الخلقة عليها وان بعد غيره فقال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله و
قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى لكن لا عبرة بالايمان الفطرى فى احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى المامور به المكتسب
بالارادة والفعل الا ترى انه عليه الصلوة والسلام يقول فابواه يهودانه جعله فى حكم ابويه مع وجود هذا الايمان الفطرى فيه
قوله لا يقدر احد ان يغيره على تقدير ان يراد بفطرة الله تعالى خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام فان خلقهم على هذا
القابلية امر يتعلق به قضاء الله تعالى وارادته فمن يقدر على تغييره **قوله** او ما ينبغى ان يغير على تقدير ان يراد به الاسلام
او الاقرار الفطرى فيكون لا تبديل نفيا فى معنى النهى **قوله** اذا رجع مرة بعد اخرى يعنى على ان اناب افعل من النوبة **قوله**
من الناب وهو السن فكان القائل جعل همزة اناب للصيرورة بمعنى صار ذا ناب وجعله كناية عن التقوى بالانقطاع اليه
قوله تعالى ولا تكونوا من المشركين قيل انه متصل بما قبله والمعنى واقيموا الصلوة ولا تتركوها فتكونوا ممن تركها فقد يفضى الى الكفر قال
محمد بن اسلم الطوسى بلغنى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر وقد كان بلغنى عنه عليه الصلوة
والسلام انه قال اذا روى لكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى فان وافق كتاب الله تعالى فاقبلوه وان خالفه فردوه
فطلبت صحة الحديث الاول فى القران ثلثين سنة حتى وجدته فى هذه الآية كذا فى التيسير **قوله** ويجوز ان يجعل فرحون صفة
كل لان التقدير كل حزب فرحين بما لديهم كائنون من الذين فرقوا دينهم وجعلوه اديانا مختلفة على حسب اختلاف ادياننهم
ولكنه رفع فرحون على انه صفة كل وان كان الشائع فى مثله ان يكون تابعا للمضاف اليه لان كلا كاسماء العدد فى
ان الوصف الذى يجىء بعدها ينبغى ان يكون للمضاف اليه فانك تقول جاءنى ثلثة رجال كاملين ولا تقول كاملون ثم انه تعالى
وبخ بهذه الفرق المختلفة الاديان بقوله واذا مس الناس ضر اى شدة كالمرض والقحط ونحوهما يعنى انهم يتضرعون
عند اصابة الضر فى دعاء رب العالمين راجعين اليه من دعاء غيره **قوله** واللام للعاقبة اى لم يتركوا شكرهم الى الله
سوء الكفر بنعمة الانجاء من تلك الشدة ثم انه تعالى اضرب عما تقريعهم على ما اشركهم حال الرخاء وانابتهم اليه حال الشدة
الى تقريعهم بوجه آخر وهو اتخاذهم الدين من غير حجة تدل على صحته فقال ام انزلنا عليهم سلطانا فان ام منقطعة والهمزة
التى فى ضمنها للانكار اى بل انزلنا عليهم حجة تتكلم اى تدل وتشهد بما شركهم به اى بالله تعالى وصحته ويحتمل ان يكون ام متصلة
ونيعادلها ما قبلها والتقدير اشركوا بمجرد التشهى واتباع الهوى ام انزلنا عليهم سلطانا فهم لذلك معذورون فى الشرك
فى الرخاء مع اخلاصهم فى الشدة **قوله** او بالامر الذى على ان تكون ما فى قوله بما كانوا موصولة وان يكون المراد بالسلطان ملكا
برهان لان نفس الحجة لا تتكلم بالامر الذى بسببه يشركون فان المراد بالامر الدليل الذى اشركوا بسببه ثم ذكر من جملة قبائحهم
بطرهم عند النعمة ويأسهم عند الشدة فقال واذا اذقنا الناس يعنى الكفرة رحمة فرحوا بها فرح البطر وتركوا الشكر وان تصبهم
سيئة اى امر يسوءهم من قحط ومجاعة بما قدمت ايديهم اى بسبب معاصيهم سوابق كسبوها بايديهم ام لا وقيدها بالبدل اقامة
للاكثر مقام الكل واتباعا للاقل بالاكثر لان اكثر المعاصى يقع بالايدى ولم يذكر الله تعالى ما يكون سببا لاذاقة الرحمة وذكر
سبب اصابة السيئة لما بينهم لان الاول تفضل من الله تعالى ورحمة محض لا يقتضيه شىء من اعمال العبد بخلاف الثانى فانه مقتضى
العدل فانه تعالى يجازى المعصية بما يماثلها من العقوبة فان قيل الفرح بالنعمة مامور به لقوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك

فليفرحوا فكيف ذمهم هنا على الفرح بالرحمة اجيب بان المامور به الفرح برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله تعالى و
المذموم هنا هو الفرح بنفس الرحمة حتى لو كان المطر مثلا من عند غير الله تعالى لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى ولا شك
ان قصر النظر على نفس النعمة مقتضى البهيمة بخلاف الفرح الناشئ من تذكر المنعم اياه وملاحظة ان المنعم نظر اليه بعين الرأفة
ونظر الرضا فلكم بين الفرحين ثم انه تعالى انكر على فرحهم حال الرخاء وقنوطهم حال البلاء فقال اولم يروا ان الله يبسط
ان يفرحون ويقنطون حالتى السراء والضراء او لا يعلمون ان ضر المر ليس لهوانه على الله تعالى والسعة لكرامته عليه
لكنه تعالى يمتحن عباده بما شاء من العسر واليسر فعلى العبد ان يشكر حال السراء ويصبر على الضراء ويشتغل بالافتقار اليه
فى الحالين لا ان ينقطع عنه ويتعلق بالنعمة ولا ان ييأس من رحمته حال النقمة **قوله** كصلة الرحم يعنى انه ليس المراد
بحق ذى القربى حقا كان له عليك بل المراد به حاجته عندك من المواصلة بالبر كما فى قوله تعالى ما لنا فى بناتك من حق اى حاجة
قال قتادة اذا كان لك ذو قرابة فلم تصله بمالك ولم تمش اليه برجلك فقد قطعته وقال الزجاج وكان من فرائض المواريث
نسخت بهذا واحتج ابو حنيفة رحمه الله بهذه الآية فى وجوب النفقة للمحارم من ذوى القرابة اذا كانوا محتاجين عاجزين
عن الكسب وعند الشافعى لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين والمسكين اى ذا الفقر ودرجة الحاجة حتى يبلغ الشدة فلا يجب
على من له مقدرة دفع حاجته وان لم يكن ممن يجب عليه الزكوة وكذلك من انقطع فى سفر او غزو ولا دابة يمكنه ان يصله بها ما يلزمه
ذلك واختلف فى ابن السبيل فقيل المراد به المنقطع عن ماله فيجب اعطاؤه حتى يصل الى ماله وقيل المراد به ضيفه الذى يأوى اليه فيجب اليه الا ان يخرج
وبتحول قيل المراد بحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما فى آية الصدقة **قوله** على وجوب النفقة للمحارم اى
من المحارم بسبب القرابة فان مجرد المحرمية لا توجب النفقة بالاجماع كالمحرمية بسبب الرضاع والمصاهرة كما لا توجبها مجرد القرابة
بدون المحرمية فان من كان ذا رحم ولم يكن محرما كاولاد العم والخال لا تجب نفقته **قوله** وغير مشروط بالحاجة لان الظاهر انه امر بتوفير حقهم من
الصلة فان صلة الرحم من الواجبات المؤكدة وحمله على الامر بالانفاق مع ان الظاهر كونه امرا بتوفير حقهم من الصلة لا وجه له ولا سيما
ان المراد بايتاء المسكين وابن السبيل التصدق عليهما الا الانفاق مع ان تخصيص ذى القربى من ذى الرحم المحرم تخصيص بلا مخصص **قوله**
ولذلك رتب ويكون الخطاب لما ذكر رتب قوله فآت على ما قبله بالفاء فان الخطاب على تقدير كونه للنبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيه امته اذا
لم يكن الحكم المخاطب به من خصائصه عليه الصلوة والسلام ويكون تخصيصه بالخطاب تعظيما له فكانه قيل اذا علمتم ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر لا ينبغى لكم التوقف فى الاحسان الى المحتاجين فانه تعالى اذا شاء ان يبسط لكم الرزق فعطاؤه لا ينقص
بالانفاق وان شاء ان يضيق عليكم فلا يزداد بالامساك فلا يحصل لكم بالامساك الا زيادة البخل **قوله** او عطية يتوقع بها
مزيد مكافاة حمل الربوا على هذه العطية لا يخلو من بعد لان نفس تلك العطية ليست بزيادة وانما الزيادة ما يتوقع بها فلا
يكون معطيها آتيا للربوا فضلا عن ان يكون اعطاؤه ليربو فى اموال الغير بل يكون اخذ الخلاف من اعطى الكلمة الربوا فضلا
خاليا عن العوض فانه معط للربوا الميسر اى ليزيد فى اموال من اخذ شيئا فحمل الربوا المذكور فى الآية على الزيادة المحرمة ظاهر
الا انه لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره من عامة اهل التأويل ان المراد بالربوا هنا هدية الرجل يهديها ليثاب اكثر منها افتى المص بانهم
فسمى مهديها آتيا للربوا ولعل اطلاق اسم الربوا عليها لكونها سببا لاخذ الربوا كما ورد فى الحديث المستغزر يثاب من هبته

وهو الذي يطلب اكثر مما يهدى فان القراءة الكثيرة وقوله يثاب عليها اى يعوض ويجازى فعلى هذا يكون قوله ليربوا مسندا
الى ضمير الربوا بمعنى العطية والمعنى ليزيد ذلك الربوا في جذب اموال الناس وجلبها وقوله تعالى فلا يربوا عند الله اى ليس له اجر ثابت
عند الله قال اهل التأويل هذا ربوا حلال لا وزر فيه الا انه انما يباح في حق عامة الناس اما في حق النبي صلى الله عليه
وسلم فلا لقوله عز وجل في حقه عليه الصلوة والسلام ولا تمنن تستكثر اى لا تعط لتعطى اكثر منه ابتغاء الثواب الدنيوي لكن
اعط ابتغاء الثواب الاخروي وقرا العامة آتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير اتيتم مقصورا وهو يؤول من حيث المعنى الى
القراءة المشهورة لانه يقال اتى معروفا واتى قبيحا اذا فعلهما وقرا نافع ويعقوب لتربوا بضم التاء الفوقانية وسكون الواو على
الخطاب اى لتربوا وتصيروا ذوى زيادة من اموال الناس وقرا الآخرون بفتح الياء التحتانية ونصب الواو وجعلوا الفعل مسندا
الى ضمير الربوا اى ليزداد قوله تعالى تريدون وجه الله صفة زكوة فلا بد فيه من ضمير يرجع الى الموصوف اى تريدون بها او حال من
فاعل آتيتم والمقصود من التنبيه للاشارة الى ان الاعتبار بالقصد لا بنفس الفعل والظاهر ان يقال وانتم المضعفون ليوافق
قوله وما آتيتم الا انه التفت الى الغيبة فقيل فاولئك هم المضعفون لكونه امدح لهم من ان يقال انتم المضعفون لما فيه من
تشهير امرهم بين خواص خلقه واظهار الرضا عنهم بحسن صنيعهم فكانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون
وجه الله تعالى بصدقاتهم هم المضعفون ولو قيل فانتم المضعفون لما حصل التشهير المذكور لكونه كلاما جاريا بينهم وبين الله تعالى
قوله ذووا الاضعاف فيكون بناء افعل بمنزلة الفعل ذا اصله كانه اعتبر بمعنى صار ذا عدد واقوى وابصر بمعنى صار ذا قوة و
بصار وعلى الثاني للتعدية كانه اخرج قوله وتغيير عن سنن المقابلة فان مقابلته بقوله وما اوتيتم من ربوا يقتضى ان
يقال في خبره فيربوا ويزداد عند الله وعدل عن عبارة الربوا الى عبارة الضعف وعن نظم الفعلية الى نظم الاسمية المفيدة للحصر
للمبالغة في بيان ثوابهم قوله او للتعظيم فانه لو قيل فانتم المضعفون لم يكن الحكم الا على ذوات المخاطبين ولما اورد
بدل انتم اسم الاشارة الى المشار اليه المخاطبين لا من حيث ذواتهم بل من حيث كونهم آتين للزكوة فيكون المعنى من فعل
ذلك فاولئك هم المضعفون قوله ان جعلت ما موصولة فانه يجوز ان يكون شرطية وموصولة ويصح دخول الفاء في الجواب
على الوجهين فان كانت شرطية كان محلها النصب بآتيتم وان كانت موصولة كانت في موضع رفع بالابتداء والعائد محذوف اى
والذي آتيتموه ويكون قوله فاولئك هم المضعفون خبر جملة فلا بد فيها من عائد الى المبتدأ فان كان الالتفات فيه للتعظيم يكون
تقدير الكلام فاولئك هم المضعفون به وان كان للتعميم يكون التقدير فمؤتوه اولئك هم المضعفون على ان مؤتوه مبتدأ ثان
واولئك ثالث وهم المضعفون خبر الثالث والجملة خبر الثاني والثاني مع خبره خبر الموصول ثم انه تعالى ذكر دليل القدرة وفرع
عليه صحة الحشر واستدل بذلك على تفرده بالالوهية فقال الله الذي خلقكم الآية فقوله الله مبتدأ خبره الذي خلقكم مع ما عطف
عليه والمعنى الله فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ومن المعلوم ان من قدر على الابداء قدر على
الحشر والاعادة ومن قدر على جميع ذلك يكون منزها عن الشركاء والانداد كما دل عليه بقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء وقوله من شركائكم خبر مقدم ومن فيه للتبعيض ومن يفعل هو المبتدأ ومن ذلكم متعلق بمحذوف لانه حال من شيء بعده
فانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا ومن الثالثة مزيدة في المفعول به لانه في حيز النفي المستفاد من الاستفهام
والمعنى

اى ليست تلك الزيادة بحرام ولكن ... منه

ان تزيدوا انتم في اموال الناس منه

الاول على ان يكون الربوا بمعنى الزيادة المحرمة والثاني على ان يكون بمعنى العطية منه

والمعنى انه ليس من شركائكم من يفعل شيئا من ذلك على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق قوله ويجوز ان يكون الموصول
اى ويجوز ان يكون قوله الذي خلقكم صفة للمبتدأ ويكون الخبر قوله هل من شركائكم والرابط لهذه الجملة بالمبتدأ قوله من ذلكم
لان معناه من افعاله المختصة به لان المشار اليه بذلكم هو الخلق والرزق والاماتة والاحياء ومن المعلوم انها من افعال
الله تعالى قوله تفيد ان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال وذلك لان الاستفهام فيه في معنى النفي ومن المعلوم ان كلمة من
الواقعة في سياق النفي تفيد الشيوع والعموم فالاولى تفيد شيوع الحكم في جنس الشركاء والثانية تفيد شيوعه في جنس
الافعال فالمعنى ليس شيء من جنس الشركاء من يفعل شيئا من جنس الافعال المختصة به تعالى قوله والموتان بضم الميم موت
عام يقع في المواشي وقيل في الناس والدواب والحرج والفرج كل واحد منهما بفتحتين على وزن الشفق اسم بمعنى الاحراج
والاغراج والاخفاق الخيبة يقال اخفق الرجل اذا غزا ولم يغنم واخفق الصائد اذا رجع ولم يصد شيئا وطلب حاجة
فاخفق والغاصة جمع غائص وهو من ينزل في البحر على طلب اللؤلؤ وكثرة الفرج واخفاق الغاصة مثالان لما ظهر في البحر
من الفساد بناء على ان المراد بالبحر البحر المعهود وقيل فساد البحر يكون بقلة المطر فانه اذا قل المطر قل الغوص لان الاصداف تفتح افواهها
اذا امطر فما وقع فيها من ماء السماء فهو اللؤلؤ فظهر به ان قلة المطر كما تفسد البر تفسد البحر ايضا وقيل المراد به المداين والقرى التي كانت
على شاطئ نهر او بحر والبر البرية التي ليست عند نهر ولا بحر قال السدي البر كل قرية من قرى العرب نائية من البحار كمكة
والمدينة والبحر كالكوفة والبصرة والشام وقيل كانت العرب تسمي الامصار بحارا قيل من اذنب ذنبا يكون جميع الخلايق من الانس
والدواب والوحوش والطيور والذر خصماءه يوم القيمة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فينضر بذلك اهل البر والبحر جميعا وعن
شقيق الزاهد رح انه قال من اكل الحرام فقد خان جميع الناس قيل اول فساد البر كان من قابيل حيث قتل اخاه هابيل واول
فساد البحر كان من جلندا الملك حيث كان يأخذ كل سفينة غصبا قال الضحاك كانت الارض خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها
ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعر ما في الارض وشاكت الاشجار
وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا قوله او الضلالة والظلم عطف على قوله كالجدب والموتان اى يجوز
ان يراد بالفساد الظاهر في البر والبحر فساد الافعال والاخلاق كالظلم والضلالة كما جاز ان يراد به فساد اسباب المعاش كالجدب
ونحوه مما فعله الله تعالى بهم بشؤم معاصيهم فكلمة ما في قوله بما كسبت ايدي الناس على الثاني موصولة والباء سببية اشار المصنف
اليه بقوله بشؤم معاصيهم وعلى الاول مصدرية اشار اليه بقوله بكسبهم اياه واللام في قوله تعالى ليذيقهم على الثاني للتعليل والمعنى
فعل الله تعالى بهم ما ظهر من اسباب المعاش كالجدب ونحوه ليذيقهم بهذا الفساد وبمحق البركة بعض جزاء ما عملوا وعلى الاول للعاقبة
فان ما ظهر من الفساد في افعالهم واخلاقهم ليس غرضهم من كسبها ان يذيقهم الله تعالى وبال ما كسبوا لكن لما ترتب ذلك على كسبهم
اياها ترتب العلة الغائية على معلولها دخل عليه لام العلة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ثم انه تعالى
لما هدد المفسدين ببيان ان المعصية سبب لتعجيل بعض العقوبة في الدنيا عقبه بقوله قل سيروا في الارض لتشاهدوا مصارع
ذلكم فان اهل مكة لو سافروا الى الشام لشاهدوا بلاد عاد وثمود وقوم لوط ونحوهم وعلموا انه تعالى اهلكهم بما كسبت ايديهم
وخرب ديارهم واذاقهم بعض جزاء اعمالهم القبيحة في الدنيا وهو اعلم بما يفعل بهم في العقبى قوله استيناف للدلالة على ان سوء

وذكر الفقيه ابو الليث في تنبيه الغافلين ... والعاشر الخيانة جميع الخلايق لان المطر يقل بالذنب

عليهم لفشو الشرك فيهم ففي الاستثناء على هذا انه تعالى اهلكهم جميعا لفشو الشرك فيما بينهم وانه تعالى اهلك العامة بسبب الشرك وحده وان لم يتفق الكل عليه الا انه لما شاع وغلب فيهم جعل الكل في حكم المشرك فهلكوا جميعا بسببه كما قال تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة **قوله** او كان الشرك في اكثرهم ففي الاستثناء على هذا انهم هلكوا جميعا بما كسبت ايديهم ولم يهلك احد منهم من غير معصية الا ان سبب هلاك اكثرهم هو الشرك الظاهر وسبب هلاك الباقين ما دون الشرك من المعاصي كاعتداء اصحاب السبت ونحوهم ثم انه تعالى لما بين ان المعاصي سبب لسخط الله تعالى في الدنيا امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يستقيم على الدين القويم تثبيتا للمؤمنين على ما هم عليه الا انه تعالى خاطب به ليتبعوه تعظيما له ولكونه عليه الصلوة والسلام واسطة بينه تعالى وبين الامة **قوله** كما قال من كفر فعليه كفره بعد انه بيان لوجه التفرق بين انه تعالى غني عنهم وعن اعمالهم **قوله** والاقتصار جواب عما يقال اذا كانت علة ليصدعون كان ينبغي ان يذكر جزاء الكافرين ايضا **قوله** فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين فان عدم محبة الكافر كما يتضمن محبة ضده وارادة اللطف والاكرام به يتضمن ايضا بغض الكافر وارادة الانتقام منه ولا شك ان بغضه تعالى لاحد وارادة الانتقام منه كمال العقوبة ومؤداها اسوا الجزاء والعياذ بالله فاكتفى بهذه الدلالة الضمنية عن التصريح بجزاء الكافرين **قوله** وتاكيد اختصاص الصلاح بهم اصل الاختصاص يفهم من وضع الظاهر موضع المضمر في قوله ليجزي الذين امنوا فان مقتضى الظاهر ان يقال ليجزيهم فلما وضع الموصول موضع الضمير وجعل الصلاح صلة له اكد به اختصاص الصلاح بهم وتميزهم به عن اضدادهم فقصد بهذا التاكيد تعليل اثبات البغض للكافرين واثبات المحبة للمؤمنين فكونه علة لمجازاة المؤمنين من فضله ظاهر واما كونه علة لبغض الكافرين فلكون اختصاص الصلاح بالمؤمن يتضمن فساد الكافر وهو علة لبغضه والانتقام منه **قوله** وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر طعن لصاحب الكشاف ووجه الطعن ان الفضل اسم لما يتفضل به من غير استحقاق وايجاب والاثابة كذلك عند اهل السنة فانه لا يجب عليه شيء وان المكلف كيف يستحق ان يثاب عليه بعمله مع انه يسبغ من نعم الله تعالى اليه ما لم يتهيأ له القيام بشكر واحدة منها فضلا عن ان يقوم بشكر كلها ويستحق بعد ذلك اجرا زائدا عليها بخلاف العقوبات فانها انما تصل الى العبد بحسب استحقاقه لها عدلا والمعتزلة لما ذهبوا الى وجوب اثابة المطيع على حسب الاستحقاق ولم يتات لهم القول بان اصل الاثابة تفضل فلذلك فسره صاحب الكشاف بقوله بما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب او اراد من عطائه **قوله** الشمال والصبا الرياح اربعة الجنوب والشمال والصبا والدبور وريح الشمال تجيء من ناحية القطب والجنوب يقابلها والصبا تجيء من جانب المشرق والدبور يقابلها والنكباء ما بين الريحين **قوله** يعني المنافع التابعة لها اي لبشارتها بالمطر او لنفس الرياح فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص او التخصيص بعد التعميم والاول اظهر واولى **قوله** والمعطوف عليه علة محذوفة اي يرسل الرياح مبشرات ليبشركم بها وليذيقكم او على مبشرات باعتبار المعنى فان تقييد الفعل بالحال يدل على كونها علة له كانه قيل يرسل ليبشركم وليذيقكم وعلى التقديرين حرف الجر متعلقة بقوله ان يرسل وان جعل من قبيل عطف الجملة وكان تقدير الكلام ويرسلها ليذيقكم ولكذا وكذا كان الجار متعلقا بالفعل المضمر المعلل وجه دلالة قوله ولتجري الفلك على اضمار الفعل ان جريان الفلك وابتغاء الفضل ليسا من تبعات ارسال الرياح حال كونها مبشرات بل على ارسالها مطلقا فعلم انه لم يتعلق بالفعل

المقيد

وجه اخر [illegible] قوله والاقتصار [illegible] يعني الاختصاص [illegible] والثاني في الاكتفاء [illegible] الكافرين [illegible] الصلاح [illegible] وضع الظاهر موضع الضمير [illegible] محل الاشكال لان الظاهر ان قضية الاكتفاء [illegible] مرجح كيف يتصور الاظهار مقام الاضمار بعينه يترتب عليه التخصيص الذي قالوا

[illegible]

المقيد فقدر فعل آخر ليتعلق به ليذيقكم وقوله تعالى بامره اشارة الى ان الفلك لا تجري بمجرد هبوب الرياح بناء على انها قد يكون عاصفة تغرق السفينة وقد لا يكون ملايمة للمقصد فلا بد من ارساء السفن والاحتيال لجريها وعلى التقديرين لا تجري الفلك وانما تجري بارادة الله تعالى وجعله الريح موافقة للمقصد ثم انه تعالى لما بالغ في تقرير دلائل الوحدانية والقدرة الشاملة على البعث والجزاء ثم اعترض من اصر على الشرك والتكذيب تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم على وجه يتضمن التهديد والوعيد للمكذبين فقال ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة تفصح انه في الكلام مطويا وتقدير الكلام فجاؤهم بالبينات اي بالدلائل الواضحة على صدقهم في دعوى الرسالة فصدقت طائفة منهم رسوله وآمنت به وكذبه الآخرون واجرموا فانتقمنا من الذين اجرموا بان اهلكناهم وانجينا من آمن منهم بالرسل ولا شك ان اهلاك اعدائهم وانجاءهم من شر اعدائهم ومما اصابهم من العذاب نصر عزيز لهم فلذلك قال تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين حيث انجاهم مع الرسل واهلك المكذبين وقيل في تفسيره وكان حقا علينا جعل العاقبة للمؤمنين كقوله والعاقبة للمتقين وقيل معناه وكان حقا علينا نصر المؤمنين بالحجة اي اعطاهم الحجة اي كان حقا علينا اعطاء الحجة لهم ونصرهم وجوابهم بالحجة واورد الحديث لنا بيدان اسم كان هو نصر المؤمنين وان المعنى دفع الجرمين نصرة للمؤمنين واظهار الكرامتهم وعلى تقدير ان يوقف على حقا يكون اسم كان ضمير الانتقام وهو خلاف ما يدل عليه الحديث لانه صلى الله عليه وسلم ذكر انه كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم واستدل عليه بقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين **قوله** في سمتها اي في جهة السماء ووجوها الا انه نسبها كقوله تعالى وفرعها في السماء **قوله** مطبقا من قولهم طبق الغيم تطبيقا اذا اصاب مطره جميع الارض ومطر طبق اي عام والكسفة القطعة من الشيء ويجمع على كسف بفتح السين مثل حكمة وحكم والكسف بالسكون يجوز ان يكون مخففا عنه ويجوز ان يكون صيغة اخرى لجمع كسفة قال الجوهري ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا والكسف بالفتح مصدر كسفت البعير اذا قطعت عرقوبه وكذلك كسفت الثوب اذا قطعته ولم يذكر كون الكسف بالكسر مصدرا **قوله** تكرير للتاكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر لا خفاء في دلالة التكرير على التاكيد ووجه دلالته على بعد عهدهم بالمطر انه لما صرفت العناية الى بيان قبلية الابلاس وتقدمه على نزول المطر بتكرير ما يدل على القبلية دل ذلك على طول عهدهم بالمطر واستحكام شدتهم وحيرتهم من فقدان المطر لكون استبشارهم بنزول المطر على قدر اغتمامهم بفقده انه يحكى ان ادم على نبينا وعليه الصلوة والسلام ناجى ربه يوما فقال الهي الست تشهد انك عدل تحب العدل ولا تجور فيما تقضي فما الحكمة فيما قضيت علي من الهوان بعدما اكرمتني بكرامة لم تكرم بها احدا قبلي فاوحى الله تعالى اليه يا آدم من لم يذق الم البعد لم يجد طعم القرب ومن لم يجد طعم القرب استخف به ومن استخف بنعمة وصلي فقد استوجب الحرمان كلمة ان في قوله تعالى وان كانوا من قبل مخففة من الثقيلة واللام في قوله لمبلسين هي الفارقة بينها وبين النافية **قوله** وقيل الضمير للمطر عطف على قوله تكرير للتاكيد فان الضمير حينئذ يكون للتنزيل ومن لم يجعله تكريرا جعل القبل الثاني مضافا الى ضمير المطر وقد كان الاول مضافا الى تنزيله فلا تكرير لان تنزيل المطر قبل نزوله والمعنى كانوا مبلسين قبل تنزيل المطر الواقع قبل نزوله وقيل الضمير للسحاب لانه اسم جنس يجوز تذكيره وتانيثه او للارسال او للريح اي كانوا مبلسين من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبل ارسال الريح او من قبل السحاب

لان بعد الارسال ونشر السحب يجري الخبر ان الريح فيها مطر وان لم ينزل بعد فقبل نشر بل المطر انما يكون الخلق مبلسين قبل
ارسال الريح وبسط السحب ثم انه تعالى لما ذكر ان الودق يصيب بلاد المبلسين واراضيهم فيستبشرون به ويفرحون فرحا ظهر
اثره في بشرات وجوههم طمس في الخطب قال فانظر الى آثار رحمة الله اي فانظر يا من انكر البعث وشاهد حيوة الارض بسبب
نزول الغيث من خلال السحاب الى آثار الغيث النازل والى انه تعالى كيف يحيي الارض بانواع النبات بعد موتها اي بعد يبسها و
جفافها فالمراد برحمة الله تعالى ههنا المطر سمي المطر رحمة تسمية للمسبب باسم السبب لانه انما يتكون ويصل الى الخلق بسبب
رحمة الله تعالى اياهم والمراد بآثار تلك الرحمة ما يترتب على نزول المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار وقرأ العامة كيف
يحيي بياء الغيبة على اسناد الفعل الى الله تعالى او الى اثر الرحمة عند من قرأ اثر بالافراد ومن قرأ بلفظ الجمع جعل يحيي مسندا
الى الله تعالى وقرئ تحيي بتاء التأنيث على اسناده الى ضمير الرحمة **قوله** ومن المحتمل عطف على قوله احياء الارض احداثه لمثل
ما كان فيها من القوى يعني انه قول حقيق بالاخذ والقبول فان احياء الارض عبارة عن اعادة مثل ما كان من القوى الا انه
لا يبلغ ذلك الى ان يكون من الكائنات الراهنة اي الثابتة المتجددة ما يتكون من مواد الاشياء المتفتتة في بعض الاعوام السالفة
التي هي من جنس الكائنات الراهنة بان يحدث الله تعالى في تلك المواد مثل ما كان فيها من القوى والصور الزائلة بعينها ثم انه تعالى لما
بين انهم عند تأخر المطر يكونون مبلسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين ذكر بعده انهم لو اصابت زرعهم ريح مفسدة لكفروا
النعمة السالفة وجحدوها ولم يعطوا اشياء من الاحوال حقها فقال ولئن ارسلنا ريحا الآية وقال تعالى اولا الله الذي يرسل الرياح على
طريق الاخبار وقال ههنا ولئن ارسلنا بطريق الفرض والتقدير لان الرياح النافعة من رحمته وهي متواترة والريح المفسدة
من عذابه وهو تعالى رؤف بالعباد فليس من شأنه الافراط في التعذيب فلذلك ترى الرياح النافعة تهب في الليالي والايام وفي
البراري والاكام وريح السموم لا تهب الا في بعض الازمنة وفي بعض الامكنة وعبر عن الريح النافعة بلفظ الجمع رياح وعن الضارة
بلفظ الواحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وذلك لان النافعة كثيرة الانواع والافراد والضارة لا تهب
الا نادرا ولذلك اي ولكونه سادا مسد الجزاء فسر بالاستقبال لان كل واحد من الشرط والجزاء لا بد ان يكونا مستقبلين وان كانا على
لفظ الماضي **قوله** ناعية على الكفرة انه هذا عليهم مفضحا اياهم بما ذكر من الفضائح نعى عليه هفواته اذا اشتهرها
ثم انه تعالى لما اعاد من دلائل الآفاق قوله الله الذي يرسل الرياح الآية اعاد البيان من دلائل الانفس ايضا وهو خلق الآدمي فقال
الله الذي خلقكم من ضعف **قوله** ابتدأكم ضعفاء اي خلقكم اول ما خلقتم في حال كونكم جنينا وطفلا ضعفاء لا تقدرون
على شيء ولا يقوى شيء منكم على شيء فصار كان الضعف مبدأ تكونكم ومادة خلقتكم فكانه من الابتداء الى الغاية جعل حالة الضعف
اساس امرهم ومبتدأ جبلتهم والضعف على حقيقته وكون الانسان مخلوقا منه مجازا فانه لما كان في بدء امره ضعيفا
جعل كانه خلق من الضعف وعلى تقدير ان يكون المعنى خلقكم من اصل ذي ضعف هو النطفة يكون الضعف مجازا وكون الانسان
مخلوقا منه حقيقة فعلى تقدير كون قوله خلقكم من ضعف بمعنى ابتدأكم ضعفاء يكون قوله ثم جعل من بعد ضعف قوة بمعنى ثم جعلكم
من بعد ذلك الضعف اقوياء تقدرون على اشياء كثيرة ثم خلقكم من بعد تلك القوة والفترة ضعفا شيوخا لا تقدرون على شيء
مما تقدرون عليه قبل وعلى تقدير كونه بمعنى خلقكم من اصل ذي ضعف يكون معنى ما بعده ثم خلق من بعد الضعف الكائن في ذلك

في ذلك الاصل قوة بان تعلق به الروح وصيرورته انسانا يقوى على ما لا يقوى عليه ذلك الاصل ثم جعله شيخا فانيا كما قال ومنكم
من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا **قوله** والتنكير لان المنكر ما ذكرنا ثانيا وهو الذي وقع منكرا الاول لاجل ان المتأخر ليس
عين المتقدم فان النكرة اذا اعيدت معرفة تكون الثانية عين الاول وههنا لما لم تكن الثانية عين الاول اعيدت نكرة
وهذا ظاهر على تقدير ان يكون الضعف الاول بمعنى الضعيف وتقدير المضاف والثاني على اصل معناه وليس بظاهر على الاول
الا ان يكون المراد بالضعف المخلوق منه ضعف المخاطبين كما يشعر به قوله ابتدأكم ضعفاء وتنظيره بقوله تعالى خلق الانسان
ضعيفا وبالضعف الثاني جنس الضعف وحقيقته **قوله** فان الترديد في الاحوال المختلفة اي اشارة الى وجه مناسبة
قوله وهو العليم القدير بتقديم العليم على القدير بعد تخصيصهما بالذكر في الآية دلالة على صحة البعث من حيث ان من قدر على ان
يرد الحي في آخر حيوته الى اول حاله فغير بعيد ان يرده بعد موته الى ما كان عليه في اول الامر **قوله** لانها تقوم في آخر ساعة من
ساعات الدنيا يعني ان ساعات الدنيا اجزاء من اجزاء الزمان وسمي ما وقع في آخر ساعة من ساعات الدنيا ساعة بطريق
تسمية الحال باسم المحل مجازا او لان الساعة بمعنى السرعة والبغتة لا تقول المستعجل افعله في ساعة والقيمة لما
كانت بحيث تقع بغتة وفجاءة سميت ساعة لما ذكر الله تعالى دلائل قدرته التامة واستدل بذلك على صحة البعث وقال
ان ذلك لمحيي الموتى ذكر حال المشركين الذين ينكرون البعث كما اخبر الله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون انهم يحلفون **قوله** وهو يحتمل الى آخره روي عن ابي هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بين النفختين اربعون فقيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت وقيل اربعون شهرا قال ابيت وقيل اربعون
سنة قال ابيت قال صاحب الكشاف هذا الوقت الذي ذكر في الحديث وقت يفنون فيه وينقطع عذابهم **قوله** استقلوا مدة
لبثهم الخ قيل انهم حلفوا انهم كاذبين بدليل قوله تعالى كذلك كانوا يؤفكون قال الكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
بان قالوا لا بعث ولا حساب ولا جزاء يقال افك فلان اذا صرف عن الصدق وعن الخير ايضا فيكون المعنى كما صرفوا عن الصدق
في حلفهم هذا صرفوا عن الايمان في الدنيا **قوله** في علمه او قضائه الجوهري الكتاب الفرض والحكم والقدر وقيل الكتاب عندهم
العالم قال تعالى ام عندهم الغيب فهم يكتبون والكتب الجمع وجواب ذي العلم والايمان للكفار بقولهم لقد لبثتم في كتاب الله
الى يوم البعث يدل على ان مراد الكفرة ما لبثوا في القبور غير ساعة لان لبثهم في الدنيا لم يكن منتهيا الى يوم البعث
واللبث لا يوصف به الفاني وهم فيما بين النفختين فقد تغايروا ورد المؤمنون بالبعث العالمون به ما قاله المشركون وحلفوا
عليه بان قالوا لهم قد لبثتم مدة طويلة الى ان حضر يوم البعث وانقضت ايام الدنيا والمدة التي بين النفختين ثم وصلوا ذلك
الرد بتقريعهم على انكار البعث فقال فهذا يوم البعث وهو جواب شرط محذوف يدل عليه الكلام كانه قيل ان كنتم منكرين البعث
فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان قولكم ومثل هذه الفاء ما في قول الشاعر قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ۞ ثم القفول فقد
جئنا خراسانا ۞ والمعنى ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى المراد بنا فقد جئناها فان المخاطبين وعدوا الشاعر واتباعه
انكم مكلفون بالسير للغزو الى خراسان ولا تكلفون ابعد من ذلك فاذا بلغتم خراسان فليس عليكم مجاوزته للغزو بل
اذنتم القفول على انفسكم فلكم ذلك فيقول الشاعر ان صح قولكم ذلك فنخبركم انا قد بلغنا خراسان ونطلب منكم ان لا تكلفونا

مجاوزته ذلك قوله لا تدعون اي ما تقتضي اعتابهم اي لا يقال لهم ارضوا ربكم بتوبة يقال عتب عليه يعتب ويعتب
عتبا اي وجد عليه وغضب ويقال اعتبه اذا ازال عتبه وغضبه واستعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
قوله مثل صفة المبعوثين كما قال ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى ان كذبوا وقال ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون
ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين وقال ومن كفر فعليه كفره ويقولون حالفين ما لبثوا غير ساعة وقيل
لهم لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون فهذه هي الصفات العجيبة الثابتة
لهم يوم القيمة ويحتمل ان يكون المراد بقوله من كل مثل الدلائل العجيبة الدالة على التوحيد والبعث وصدق الرسول صلى الله عليه
وسلم تم هنا ما يتعلق بسورة الروم وهذا اوان الشروع فيما يتعلق بسورة لقمان بعون الله الملك المعين وحده

سورة لقمان وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله سبق بيانه في يونس في اول تلك السورة هكذا الر تلك ايات الكتاب الحكيم قال المصنف في تفسيرها
تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم
او محكم اياته لم ينسخ شيء منها انتهى كلامه هناك فالظاهر على هذا ان يكون الم اسما لهذه السورة او القران ويكون مبتدأ
بتقدير المضاف اي ايات الم ويكون تلك مبتدأ ثانيا اشير به الى المضاف المقدر وايات الكتاب خبر للمبتدأ الثاني والجملة خبر الاول
والتقدير ايات الم ايات الكتاب الحكيم واحتيج الى تقدير المضاف ليصح الاخبار بقولك تلك ايات الكتاب الحكيم وقوله الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون صفة كاشفة للمحسنين كما ان الموصول مع صلته صفة كاشفة
للالمعي في قول الالمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا فيكون اللام في المحسنين لتعريف الجنس اي الذين
يعملون الحسنات ليكون ما بعده موضحا له وعلى قوله او تخصيص لهذه الثلثة من شعب الاحسان يكون تعريف المحسنين للاستغراق
والمعنى هدى للذين يعملون جميع ما يحسن اعتقادا وعملا ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث من بين شعب ما يحسن
لفضل الاعتداد بها ويرد من هذا التعبير ان يكون الموصول مع صلته صفة مخصصة مميزة للموصوف وليس كذلك لان الصفة
المخصصة ما يدل على بعض الاحوال الخارجة عن مفهوم الموصوف كما في قولك زيد التاجر حضر والصفة ههنا ليست بخارجة
عن مفهوم المحسنين بالمعنى المذكور فينبغي ان يكون صفة مادحة وهي ما يدل على اشرف المعاني الفاضلة الداخلة في مفهوم
الموصوف كالصفات الجارية على اسم الله تعالى اختار ان يكون هم الاولى مبتدأ ويوقنون خبره وبالاخرة متعلقا به وهم الثانية
تكرير للاولى لفائدتين الاولى التاكيد اللفظي والثانية جبر للنقصان الحاصل بتخلل الفاصل بين المبتدأ وخبره ثم انه
تعالى لما بين ان القران كتاب حكيم يشتمل على ايات حكمية بين حال من يتركه ويشتغل باللهو من الحديث
واللهو كل باطل الهى عن الخير فيكون اعم من الحديث لان الباطل الذي يلهو عن الخير قد يكون حديثا وقد يكون غير حديث
فاضافته الى الحديث من اضافة العام الى الخاص للبيان فقوله من يشتري لهو الحديث معناه من يشتري اللهو الذي هو الحديث
فلما كانت الاضافة لبيان ان المراد باللهو الحديث وجب ان تقيد الحديث بالمنكر لان غير المنكر منه لا يكون لهوا ولما كانت
الاضافة بمعنى من التبعيضية لا يحتاج الى تقييد الحديث بالمنكر منه لان اللهو القولي الباطل بعض من مطلق الحديث

فيصح

فيصح ان يجعل من تبعيضية مع بقاء الحديث على اطلاقه بخلاف جعلها بيانية فانه يستلزم ان يراد بالحديث المنكر لان مدخول من
البيانية يجب ان يكون اخص من المبين فلا بد ان يصدق المبين على كل فرد من مدخولها ولا يكون ذلك الا بان يكون الحديث منكرا
والحاصل انه لما كان كل واحد من اللهو والحديث اعم من الاخر من وجه جاز ان يكون اضافة اللهو الى الحديث بمعنى من التبعيضية و
البيانية فباعتبار عموم اللهو يكون من للبيان وباعتبار عموم الحديث يكون للتبعيض والاكاسرة جمع كسرى على خلاف القياس
وكسرى لقب ملوك الفرس والقيان جمع قينة وهي الامة مغنية كانت او غير مغنية من قرا ليضل عن سبيل الله بضم حرف المضارعة
جعل المعنى ليضل غيره ولا شك ان من اضل غيره فقد ضل هو بنفسه ومن قرأ بفتح الياء جعل معناه ليثبت على ضلاله الذي
كان عليه ولا يصرف عنه ويزيد فيه فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة الدين وصد الناس عنه قوله
بغير علم حال من فاعل يشتري ومن قرأ ويتخذ بنصب الذال عطفا على ليضل جعله علة كالذي قبله ومن قرأ مرفوعا بالعطف على
يشتري جعله صلة ولما كانت كلمة من مفرد اللفظ مجموع المعنى حمل قوله اولئك لهم على معناه فجمع وقوله واذا تتلى عليه على لفظه
فافرد واصل قوله كأن المخففة كانه والضمير ضمير الشان قوله لهم جنات وعدا قوله وعد الله مضمون هذه الجملة التي لا محل
لها من جميع المصادر الا كونه وعدا فكان تاكيدا لنفسه كما في قولك له علي الف درهم اعترافا قوله حقا اكد مضمون تلك الجملة
ايضا الا ان مضمونها محتمل غير الحقية لان كل وعد من حيث هو وعد ليس بحق فكان تاكيدا لغيره ثم انه تعالى وصف نفسه
بانه هو العزيز الحكيم بين ذلك بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها والعمد جمع عماد وهو الاسطوانة سميت عمادا لكونها
يعتمد عليها وقوله بغير عمد حال من السموات وقوله ترونها صفة لعمد والضمير الذي فيه راجع الى العمد اي بغير عمد مرئية وان كان هناك
عمد غير مرئية هي قدرة الله تعالى وارادته ويحتمل ان يكون ترونها جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب جيء بها لبيان ان السموات
خلقت بغير عمد فيكون الضمير المنصوب فيها راجعا الى السموات كانه لما قيل خلق السموات بغير عمد قيل وما الدليل عليه فاجيب
ترونها غير معمودة كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني قوله شوامخ اي شواهق مرتفعات والرواسي من الجبال
الثوابت والرواسخ واحدها راسية من رسا الشيء اي ثبت قوله وماذا نصب بخلق على ان يكون ماذا بمنزلة اسم
واحد وهو اي شيء ويحكم على موضعه بحسب ما يقتضيه العامل وههنا محله النصب على الثاني يكون ذا بمعنى الذي وما للاستفهام و
التقدير اروني ما الذي خلقوا فما مبتدأ والموصول مع صلته خبره والعائد محذوف اي ما الذي خلقه الذين من دونه قوله
ومن حكمته قيل اول ما سمع من حكمته ان مولاه دخل الكنيف يوما فاطال فيه المكث فلما خرج قال له لا تطل المكث في الخلاء فان طول
المكث فيه يورث الباسور واتفق العلماء على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال انه كان نبيا وتفرد بهذا
القول فعلى قوله يكون المراد بالحكمة ههنا النبوة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يكن نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن
اليقين احب الله تعالى فاحبه قوله لان اشكر على ان يكون ان مصدرية موصولة بفعل الامر كقولك امرتك بان قم اي بالقيام
فكذا ههنا آتيناه الحكمة لان اشكر اي للشكر والظاهر انها مفسرة لان ايتاء الحكمة لكونه في معنى التعليم والتلقين يتضمن
معنى القول والمعنى اشكر لله تعالى فيما اعطاك من الحكمة بالتوحيد والطاعة وقد نبه الله تعالى على ان الحكمة الاصلية والعلم
الحقيقي في حق المخلوق هو عبادة الله تعالى وشكر نعمه حيث قرن ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ثم قال ومن يشكر الخ

اللہ تعالی علیہ بالطاعة له فمن شکره یرجع الیه و من کفر نعم اللہ تعالی علیه بترک التوحید والطاعة له فان اللہ غنی عن شکر خلقه

وعبادتهم **قوله تعالی** واذ قال ای واذکر حین قال لقمان لابنه وهو یعظه الجملة حال من لقمان قال واعظا له **قوله تعالی** یا بنی تصغیر

اشفاق کتب مایتعلق بہ فی الصحیفة الآتیة وموضعها **قوله تعالی** ووصینا الانسان بوالدیه قیل هو عطف علی قوله ولقد آتینا

لقمان الحکمة ای لقد اتینا ابانا ووصینا الانسان وقیل هذا الکلام معترض فی قصة لقمان الی قوله بما کنتم تعملون کما قال المص

والآیتان معترضتان من علی الکلام الی القصة وقیل هو متصل کله باضمار القول ای وقلنا له ای للقمان ووصینا الانسان بوالدیه

ای ببر والدیه ثم نبه علی المعنی الموجب لبرها فقال حملته امه وهنا فلا محل لهذه الجملة من الاعراب لانها جملة مستأنفة لبیان علة

التوصیة وقوله وهنا مصدر منصوب علی انه حال من امه بتقدیر ذات وهن ویحتمل ان یکون منصوبا بالفعل المقدر ای تهن وهنا و فی

الجملة المرکبة من الفعل المقدر ومافی حیزه حال من فاعل الفعل السابق وقوله تعالی علی وهن صفة لوهنا ای وهنا وهن آخر ای تزاید

ضعفها وتضاعف بحسب تزاید ثقل الحمل ولیس المراد بقوله وهنا علی وهن وهنین اثنین بل المراد التکرر والکثرة **قوله**

وقرئ بالتحریک ای بفتح الهاء فیهما فاحتمل ان یکون لغتین کالشعر والشعر وان یکون مفتوح الهاء مصدر وهن بکسر الهاء فانه یقال

وهن یهن وهنا مثل وعد یعد وعدا او وهن یوهن وهنا مثل وجل یوجل وجلا **قوله** وفطامه وهو ان یفصل الولد عن الام کیلا

یرضع الجوهری فطام الصبی فصاله عن امه ویطلق الفطم علی القطع مطلقا فیقال فطمت الحبل وفطمت الرجل عن عادته ای

قطعته والمکان قوله وفصاله مبتدأ وقوله فی عامین خبر کان المعنی وفصاله یقع فی عامین ولیس فیه تعیین مدة الرضاع ملاکا

فسره بقوله وفطامه فی انقضاء عامین علی معنی ان انقضاءهما هو الغایة التی لا یتجاوز عنها الارضاع والام فیما بین العامین

موکول الی اجتهاد الام ان علمت انه یقوی علی الفطام فلها ان تفطمه ویدل علیه قوله تعالی والوالدات یرضعن اولادهن حولین

کاملین لمن اراد ان یتم الرضاعة وبه استشهد الشافعی رح علی ان مدة الرضاع سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما

من وقت الولادة وهو مذهب ابی یوسف ومحمد واما عند ابی حنیفة رح فمدة الرضاع ثلثون شهرا استدلالا بقوله تعالی وحمله وفصاله

ثلثون شهرا حیث جعل المدة المذکورة مدة لکل واحد من الحمل والفصال لکن قول عائشة رضی الله عنها وعن ابیها لا یبقی الولد فی رحم

امه اکثر من سنتین ولو بفلکة مغزل بین ان اکثر مدة الحمل سنتان لان مثله لا یعرف قیاسا بل سماعا من الشارع فبه ثبت

النسخ وبقیت المدة المذکورة فی حق الفصال فلا یکون مدة الرضاع عنده ثلثین شهرا فعلی ان هذه الآیة عنده لبیان الرضاع المستحق

علی الام لا لبیان المدة التی ینتهی حکم الرضاع عندها **قوله** یا بنی تصغیر اشفاق وقرأ ابن کثیر یا بنی لا تشرک بالله باسکان الیاء وفی

یا بنی اقم الصلوة باسکان الیاء وحفص فیهما وفی یا بنی انها ان تک بفتح الیاء والبزی مثله فی الاخیر وقرأ الباقون فی الثلثة بکسر الیاء

کتبت هذه النسخة لکونها غیر موجودة فی نسخة مطالعتی وکانت موجودة فی اکثر النسخ وتوضیحها ان قوله تعالی یا بنی مذکور فی القرآن

فی ستة مواضع یا بنی ارکب معنا فی هود ویا بنی لا تقصص فی یوسف یا بنی لا تشرک ~~انها~~ یا بنی انها یا بنی اقم فی لقمان یا بنی انی اری فی الصافات

وقرأ حفص بفتح الیاء فی المواضع الستة وقرأ شعبة بفتح الاول وکسر الخمسة الباقیة وقرأ البزی باسکان اول لقمان وفتح آخر

لقمان وکسر الاربعة الباقیة وقرأ قنبل باسکان اول لقمان وآخرها وکسر الاربعة الباقیة وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر

وحمزة والکسائی بکسر الیاء مشددة فی الجمیع ومن قرأ بفتح الیاء او کسرها فقد قرأها مشددة **قوله** تنبیه لوجوب لان التوصیة

بمعنی

بمعنی القول الا ان الموصی به هو بر الوالدین فالظاهر ان یفسر التوصیة ببرهما بالترغیب فی شکرهما بان یقال ان اشکر لی ولوالدیک

لکونهما سببا ظاهرا بالوجود ذکر وقربه الآ انه تعالی لما کان سببا حقیقیا لوجود الکائنات وتربیتها وکان شکر الوالدین

والاعتراف بحقهما علیه من حیث انه نعمة الله تعالی علیه ظهرت من جهتهما کانت التوصیة ببر الوالدین فی الحقیقة عبارة عن

البعث علی شکره تعالی بالتوحید والعبادة له وشکر الوالدین ببرهما لمقابلة احسانهما الیه فلذلک فسرت التوصیة ببر الوالدین

بقوله ان اشکر لی ولوالدیک **قوله** وعلة له ای ووصیناه ببر الوالدین لشکرنا وشکر والدیه قال سفیان بن عیینة فی هذه الآیة

من صلی الصلوات الخمس فقد شکر الله تعالی ومن دعا لوالدیه فی ادبار الصلوات الخمس فقد شکر لوالدیه وان کان علة لامر والدیه یکون

التقدیر ووصینا الانسان بان یشکر لی وعلی التقادیر الثلث یکون قوله تعالی حملته امه وهنا علی وهن وفصاله فی عامین معترضة

بین المفسر والمفسر او بین العلة والمعلول او بین البدل والمبدل منه تاکید التوصیة فی حقها خاصة فظهر بهذا جواب ما یقال

انه تعالی وصی ببر الوالدین ثم بین ما یوجب بر الام ولم یتعرض لبیان ما یوجب بر الاب وتقریر الجواب ان الاب وان حمل الولد

فی صلبه سنین ورباه بکسبه سنین الا ان ما تحملته الام من المشقة اشق وابلغ فلذلک اکدت التوصیة فی حقها خصوصا بعد التوصیة

ببرهما معا وروی ان صحابیا قال قلت یا رسول الله من ابر قال امک قال قلت ثم من قال امک قال قلت ثم من قال امک قال قلت ثم

من قال اباک ثم الاقرب فالاقرب ثم اشار الی ان حقوقهما وطاعتهما انما تکون واجبة ما لم تکن فیها ترک طاعة الله تعالی وان جهدت

الیه فلا تطعهما حیث قال وان جاهداک الآیة **قوله** مکثت لا سلامة ثلث فان سعد بن ابی وقاص رض لما اسلم وکان من

السابقین الاولین وکان بارا بامه قالت له امه ما هذا الدین الذی احدثته والله لا آکل ولا اشرب حتی ترجع الی ما کنت علیه

او اموت فتعیر بذلک ابد الدهر ویقال لک یا قاتل امه ثم انها مکثت ثلثا لا تطعم ولا تشرب حتی فتحوا فاها بعود وروی ان سعدا

قال لو کانت لها سبعون نفسا فخرجت واحدة فواحدة لما ارتددت الی الکفر فلما علمت انه لا یرتد عن دینه حلفت انعم سهلا کما رضیت

بان تاکل وتشرب **قوله** واتبع سبیل من اناب الی فی شان سعد قیل المراد بقوله تعالی من اناب الی ابو بکر الصدیق رض فان ابا بکر حین

اسلم اتاه عثمان وطلحة والزبیر وسعد بن ابی وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضی الله تعالی عنهم اجمعین وقالوا له قد صدقت

هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم الی النبی صلی الله علیه وسلم حتی اسلموا فهؤلاء لهم سابقة الاسلام

اسلموا بارشاد ابی بکر رض فلما کان من سبیله الثبات علی التوحید والایمان ودعوة من کان خارجا منه تلک السبیل الیها قال تعالی واتبع سبیل

من اناب الی **قوله** اراد بنفی العلم به نفیه والمعنی علی ان تشرک بی ما لیس بشیء عبر عن هذا المعنی بنفی العلم به لان العلم بوجود الشیء

لازم لوجوده فی نفسه من حیث ان ما لا یکون موجودا فی نفسه لا یعلم بکونه موجودا فعبر بنفی اللازم عن نفی الملزوم ولم یرض به المص

لان علم المخلوق بوجود الشیء لیس بلازم لوجوده فی نفسه بل اللازم له هو العلم الفعلی **قوله** ای ان الخصلة یعنی ان ضمیر انها

عبارة عن الخصلة او الفعلة التی یاتی بها المکلف ولم یکن مستترا فیه راجع الی ما یرجع الیه ضمیر انها ومثقال منصوب علی انه خبر کان

والفاء فی قوله فتکن لافادة اجتماع الشرطین فی التحقیق علی سبیل التعاقب کان لقمان لما نهی ابنه عن الشرک قال له ابنه

یا ابت ترعم انه تعالی مطلع علی ما یفعله الانسان من الخیر والشر فیجازیه جزاء وفاقا ان خیرا وان شرا فان فعلت ما فعلته من

الفعلة حیث لا یرانی احد کیف یعلمه الله تعالی فقال له ابوه یا بنی ان الفعلة ان تک فی الصغر کحبة الخردل فلا مع صغرها تکون

خفية نحو مضي حصين كالصخرة لا تخفى على الله تعالى ومن قرأ مثقال مرفوعا جعل ضمير انها للقصة وجعل قوله ان تك تامة لاحتياجه
الى الخبر ورفع مثقال على انه فاعل كان التامة وانث فعله مع ان المثقال مذكر من حيث انه اكتسب التانيث باضافته الى حبة كما
انث الصدر للاضافة الى القناة في قول الشاعر وتشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم. الشرق الشجى والغصة
يقال شرق فلان بريقه اي غص به والشجى ما ينشب في حلقه بحيث لا ينزل ولا يخرج وزاع الخبر يزيع زيعا وزيوعا انتشر واذاعه غيره اي افشاه
يلوم شخصا اذاع خبرا وكان من حقه ان يخفيه نقل الامام محيي السنة عن بعض الكتب ان قوله يا بني انها ان تك مثقال حبة الاية اخر
كلمة تكلم بها لقمان فلما تكلم بها لقمان انشقت مرارته من هيبتها فمات روح الله تعالى روحه قوله كجوف صخرة او اعلاها او اسفلها
اشارة الى دفع ما يقال من ان الصخرة لا بد وان تكون في السموات او في الارض فما يكون في الصخرة لا بد وان يكون في احديهما لا محالة
فما وجه عطفهما عليها بكلمة او وتقرير الجواب ان المراد بالصخرة ما يكون على وجه الارض وبما في السموات ما يكون في محدبها وبما في الارض
في مقعرها فيتحقق الانفصال وقيل هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض بل هي تحت سبع ارضين عليها ملك قائم وقيل عليها
الثور قبل خلق الله تعالى الارض على حوت وهو النون الذي ذكره الله تعالى في قوله نون والقلم وما يسطرون والحوت في الماء والماء
على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السموات ولا في الارض والصخرة على الريح
ثم انه نهى ابنه عن الشرك وخوفه بعلم الله تعالى وقدرته امره بما يتفرع على الايمان بالله وحده وابتدا بالامر باقام الصلوة وعلم
منه ان الصلوة كانت في سائر الملل غير ان هيئاتها اختلفت قوله مصدر اطلق للمفعول فيكون العزم بمعنى المعزوم اي المقطوع الذي
قطعه الله تعالى واوجبه ثم اضيف الى الامور اضافة بمعنى من التبعيضية اي المقطوع من الامور وان جعل العزم بمعنى العازم اي
الموجب القاطع يكون اسناد العزم الى الامر مع ان العازم هو الشارع لا الامر المشروع للمبالغة في وجوبه والاشارة الى
انه لكونه متضمنا للحكم والمصالح الجمة كانه اوجب نفسه وذكر لانتصاب مرحا ثلثة اوجه الاول انه مصدر وقع موقع الحال
اي لا تمش مرحا فرحا والثاني انه مفعول مطلق لفعله المحذوف اي لا تمش تمرح مرحا والجملة حال من فاعل تمش والثالث
انه مفعول له والمعنى لا تمش لغرض كالمشي للبطالة والفرح كما يمشي كثير من الناس كذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي كقوله
لا اربحي فارغا شغلا في امر دنيا ولا في امر آخرة ونسبه بصحة هذا التوجيه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا ورئاء الناس اي لرؤية الناس اياه قوله علة للنهي يعني ان الاية من قبيل اللف والنشر فان عدم محبته تعالى المختال
علة لقوله ولا تمش في الارض مرحا وعدم محبة الفخور علة لقوله ولا تصعر خدك الا انه لم يراع في النشر ترتيب اللف رعاية
لفواصل الآي والاختيال مشية المتكبر والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع قوله وقول عائشة رضي يحتمل كل جملة
من قوله تعالى حكاية عن لقمان واقصد في مشيك ومن الحديث المروي يدل على ان سرعة المشي ليس من اداب المؤمنين وقد روي
عن عائشة رضي انها نظرت الى رجل كاد يموت فقالت ما لهذا فقيل انه من القراء فقالت كان عمر رضي سيد القراء وكان اذا مشى
اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب اوجع فقد اسندت سرعة المشي الى عمر رضي فظاهرهما متنافيان وتقرير الجواب ان الاسراع
المذموم هو ما يكون احد طرفي النقيصة في المشي وهو الاسراع المفرط والذي اسند الى عمر رضي ليس كذلك بل المراد به ما فوق
دبيب المتماوت وهو الذي يرى من نفسه الموت وليس بميت كالمتمارض الذي يظهر من نفسه المرض وليس بمريض قوله وانقص
منه

وانقص منه اي انقص شيئا منه فان الظاهر ان مفعول اغضض محذوف ومن صوتك صفة له ومن للتبعيض ويجوز ان يكون
من صوتك مفعول اغضض على ان يكون من زائدة على مذهب الاخفش ويؤيده قوله تعالى يغضون اصواتهم قوله والحمار
مثل في الذم يعني اذا اطلق على غير مسماه الحقيقي انما يطلق عليه على طريق الذم البليغ والشتيمة تشبيها له باخس مسماه
في اخص اوصافه وهو البلادة والعراء عن خواص الآدمية فكان جاريا مجرى المثل السائر الذي يضرب في مقام الذم والتهجين
وكذا نهاقه فانه ايضا غاية في ذم ما اطلق عليه من الصوت قوله ولذلك اي ولكونه مثلا في غاية الدناءة والحقارة
يحترزون عن التصريح باسمه بل يكنون عنه بطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة قوله وفي تمثيل الصوت
المرتفع بصوته اي اشارة الى ان قوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير جملة مستانفة جيء بها لتعليل الامر بغض الصوت
كانه قيل لم اغضض الصوت فاجيب بانك اذا رفعت صوتك كنت بمنزلة الحمار في اخص احواله لكان صوتك بمنزلة النهاق
في نفرة الطباع عنه مع خلوه عن الفائدة ثم ترك المشبه واداة التشبيه ووجهه واقتصر على ذكر المشبه به على طريق
الاستعارة التصريحية للمبالغة في ذم المشبه وتهجينه وفي حث المخاطب على غض صوته والاحتراز عن رفعه قوله
وتوحيد الصوت يعني ان الحمير جمع حمار فينبغي ان يعبر عن الصوت المضاف اليها بلفظ الجمع ايضا لان صوت الجماعة لا يكون
واحدا الا انه وحد المضاف اما لانه مصدر في الاصل فواحده يفيد ما يفيده لفظ الجمع منه او لانه ليس المراد ان يحكم
صوت كل واحد من احاد هذا الجنس ويقصد تفضيله على اصوات سائر الاجناس التي لها صوت حتى يجمع بل المراد تفضيل صوت هذا
الجنس على اصوات غيره فيكون المراد من المضاف الجنس فلا وجه لجمعه فوجب توحيده فان قيل اذا كان المراد تفضيل جنس الصوت
المتعين بالاضافة الى جنس الحمير كان ينبغي ان يوحد المضاف اليه ايضا قلنا الجمع المحلى باللام يضمحل منه معنى الجمعية ويراد به
الجنس فانه اذا قيل العصبة كل من ياخذ ما ابقته الفرائض يكون المعنى ياخذ ما بقي من جنس الفريضة وهي السهم المقدر
ضرورة ان اجتماع الفروض في المسئلة ليس شرطا في العصوبة فكذا لفظ الحمير يراد به الجنس لا الاحاد ثم انه تعالى لما استدل على
عزته وحكمته بقوله خلق السموات بغير عمد ترونها الاية ومهد به قاعدة التوحيد ثم بكت المشركين بقوله هذا خلق الله
فاروني ماذا خلق الذين من دونه ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال المبين ثم اورد قصة لقمان للدلالة
على ان ما امر به ونهى عنه ليس مما يتوقف معرفته على الوحي والنبوة بل كل ذلك على وفق الحكمة ونتيجة الفكرة فوجب على العاقل
ان يهتدي بمجرد فكره الصحيح ونظره الصائب وان لم يهتد بذلك فبارشاد النبي المؤيد بالمعجزات الباهرة ومن لم يهتد
بشيء من ذلك فهو ملحق بالحيوانات العجم واضل سبيلا انتقل بعد ذلك الى الاستدلال على وحدانيته بوجه اخر وهو كونه
موليا للنعم كلها ظاهرة وباطنة فان الملك كما يجل لعظمته وان لم ينعم يحمد لنعمته ايضا فلما بين انه المعبود لعظمته
بخلقه السموات بلا عمد والقائه في الارض رواسي وذكر بعض النعم بقوله وانزلنا من السماء ماء ذكر بعده عامة
فقال الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض الاية اي الم تعلموا العلم الذي يقوم مقام رؤية العين انه تعالى سخر
لاجلكم وذلل ما في السموات بان يجعله سببا لحصول ما تحتاجون اليه من المهمات وسهل لكم الانتفاع بذلك الا
على حسب مشيئته وارادته وسخر ما في الارض ايضا بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط والنعمة في الاصل الحالة

الطيبة التي يستلذ بها الانسان فاطلقت للامور اللذيذة الملايمة للطبع المؤدية الى تلك الحالة الطيبة ونعم الله تعالى وان كانت
لا تحصى اشخاصها لكنها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح فيه و
اشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة
له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات
المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوءه في اعلى عليين مع الملائكة
المقربين ابد الآبدين هذا ما ذكره المصنف في سورة الفاتحة واسباغ النعم توسيعها واتمامها يقال سبغت النعمة تسبغ سبوغا اذا تمت
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما هذه النعمة الظاهرة والباطنة فقال يا
ابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله تعالى من خلقك وما افضل عليك من الرزق واما ما بطن فستر مساوي عملك
ولم يفضحك بها يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلوة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله
وجعلت له ثلث ماله اكفر به خطاياه والثالث سترت عليه مساوي عمله فلم افضحه بشيء منه ولو ابديتها عليه لنبذه اهله
فمن سواهم وقيل الظاهرة شهادة ان لا اله الا الله باللسان والباطنة الاعتقاد بالفؤاد ابنه بالجنان وقيل الظاهرة اتباع
الرسول والباطنة محبته وروي ان موسى عليه الصلوة والسلام قال يا رب دلني على اخفى نعمتك على عبادك قال تعالى اخفى نعمتي عليهم
النفس وهم غافلون عما فيه من النعمة وروي ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس **قوله** وقرأ نافع وابو عمرو و
حفص نعمه بفتح العين على انه جمع نعمة مضافا الى ها الضمير فقوله ظاهرة حال منها وقرأ الباقون نعمة بسكون العين
وتنوين تاء التانيث على انه اسم جنس في معنى الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فقوله ظاهرة نعت لها ثم انه تعالى لما بين
ما تفضل به عباده واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ذكر بعده ان منهم من يجادل في توحيده واخلاص طاعته فقال ومن
الناس من يجادل في الله بغير علم قيل نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف واشباههم الذين كانوا يجادلون النبي صلى الله
عليه وسلم في وحدانيته تعالى وصفاته من غير علم مستفاد من دليل العقل ومن غير هداية حاصلة من قبل صاحب الوحي ومن غير كتاب
منزل من رب العالمين ثم اذا قيل لهؤلاء المجادلين الذين لا تمسك لهم اصلا اتبعوا ما انزل الله في كتابه واتبعوه تهتدوا اعرضوا عن كلام
الله تعالى وقالوا بل نتبع كلام ابائنا ومن المعلوم ان بين كلام الله وكلام العقلاء بون عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام
الجهال **قوله** من التغليب والاشراك من قبيل اللف والنشر الاول على ان يكون الضمير لهم والثاني على ان يكون لابائهم **قوله**
من اسلمت المتاع الى الزبون اي سلمته الى الطريق اي المعامل الذي يشاركك في الحرفة والعمل يعني ان اسلم اذا عدي بالى يكون
بمعنى سلم وان عدي باللام كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله فذلك باعتبار تضمنه معنى الاخلاص فمعنى الاية ومن يسلم نفسه الى الله
عز وجل بان يفوض امره اليه ويقبل بشر اشره عليه ومعنى قوله تعالى من اسلم وجهه لله من جعل ذاته ونفسه سالما لله تعالى خالصا
له **قوله** وهو تمثيل للمتوكل اراد التشبيه التمثيلي لا الاستعارة التمثيلية لذكر كلا الطرفين طرفي التشبيه غايته انه لم يذكر اداة التشبيه
للمبالغة فيه والوثقى تانيث الاوثق واوثق الامور جانب الله تعالى لان كل ما عداه هالك منقطع وهو باق لا انقطاع له ثم
ذكر ما دل على وجوب اسلام الوجه الى الله تعالى فقال والى الله عاقبة الامور فان من تعين لتدبير عاقبة الامور وتغيرها

كبن

وعن الحسن حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة منه

واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وهي ما في الاعضاء من السلامة وباطنة وهي ما في القلب [illegible] العين العضو ظاهر وفيه من باطنه [illegible] والانف والاذن لحم وعظم ظاهر وكل واحد منها [illegible] باطن من الاجسام والسمع والذوق والشم وكذلك كل عضو وقد يبطل النور ويبقى العضو قائما وهذا احسن ما قيل فان على هذا الوجه تكون الاشياء لان نعمة الافاق ونعمة الانفس كبير

يعني ان من اتبع [illegible] فان النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] يأخذون بكلام ابائهم [illegible] كلام الله تعالى منه

كبن لا يسلم من انفه اليه **قوله** وليس بمستفيض فان اللغة الشايعة هي الثلاثي الجوهري حزن الرجل بالكسر فهو حزن
وحزين واحزنه غيره وحزنه ايضا مثل اسلكه وسلكه ومحزون بني عليه قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم
وقد قرئ بهما انتهى كلامه **قوله** ثم نضطرهم الى عذاب غليظ بان نسلط عليهم ملائكة غلاظا شدادا يعذبونهم اغلظ
فيختارون دخول النار عن اضطرار فرارا عن عذاب هؤلاء الملائكة الذين يعذبونهم بمقارع من نار فان الاكراه
انما ينافي الرضا دون الاختيار فان المضطر يعرف الشرين ويختار اهونهما قيل فيه وجه آخر لطيف وهو انهم
لما كذبوا الرسل عليهم الصلوة والسلام ثم تبين لهم الامر وقع عليهم من الخجالة ما يكون دخول النار اهون عليهم من
الوقوف بين يدي ربهم بمحضر الانبياء صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم اجمعين مع تلك الخجالة فيختارون
دخولها عن اضطرار **قوله** يثقل عليهم ثقل الاجرام يعني ان الغليظ صفة مشبهة تنبئ عن الثقل والكثافة او عن التراكم والانضمام
وعلى التقديرين لا يوصف به العذاب حقيقة وانما يوصف به الاجرام والاجسام فتوصيف العذاب به تخييل لتشبيه العذاب الواقع عليهم
بالجرم الثقيل او بالاجرام المتلاصقة المطابقة الواقعة بعضها على بعض استعارة بالكناية وعلى التقديرين يكون
اثبات الغلظة له سواء كانت بمعنى الثقل والانضمام تخييلا لتلك الاستعارة المكنية ثم انه تعالى بين استحقاق المشركين
للعذاب الغليظ ببيان ان كفرهم اقبح وجوه الكفر من حيث انهم ينكرون ما اضطروا الى الاقرار به فان اعترافهم بان خالق
السموات والارض وما فيهما وما بينهما هو الله تعالى يستلزم الاعتراف بان لا يستحق العبادة الا هو ومع هذا انما يصفون
انفسهم بالاشراك ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحمد الله تعالى على ظهور صدقه وكذب مكذبيه باعترافهم على انفسهم بالكذب
والضلال ثم قرر ما اقروا به من تفرده تعالى بالخالقية بتقرير ان ما فيهما من الجواهر والاعراض لله تعالى ملكا وملكا فكيف يكون
شيء منها شريكا له فقال لله ما في السموات والارض ثم لما تبين ان انفس السموات والارض وجميع ما فيهما محتاج الى الله تعالى من جميع
الوجوه ثبت انه تعالى هو الغني المطلق والحميد المطلق لان كل محتاج يحمد من يدفع حاجته بلسان الحال او المقال فمن كان غنيا مطلقا
يكون حميدا مطلقا **قوله** ولو ثبت كون الاشجار اقلاما اشارة الى ما بعد لو موقع المفرد لكونه فاعلا للفعل مقدرا لان لو تطلب
الفعل لفظا او تقديرا فقوله لو ان ما ثم تقديره لو وقع ثبت والفاعل يجب ان يكون مفردا فلذلك فتحت كلمة ان الواقعة
بعد لو وما في قوله تعالى ولو ان ما في الارض موصولة في محل النصب على انها اسم ان واقلام خبرها ومن شجرة في محل النصب على انه حال
من المنوي في قوله في الارض **قوله** وتوحيد شجرة مع ان الظاهر ان يقال من شجر بلفظ اسم الجنس الدال على العموم لان المراد بما في قوله
ما في الارض العموم بدليل الاخبار عنه باقلام فالوجه ان يبين باسم الجنس الا انه بين بلفظة الدال على الوحدة لان المراد
تفصيل الاحاد شجرة شجرة الى ان لا يبقى من جنس الشجرة احاد كثيرة ولا شجرة واحدة الا وقد بريت اقلاما وهذا المعنى انما تستفيد
من افراد الشجرة ولو قيل من شجر لدل على انه لا يبقى من اجناس الشجر جنس الا بريت اقلاما ولا يدل على تناول الحكم لكل
فرد وهذا اقرب مما قيل ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع **قوله** ممدود بسبعة ابحر بان يكون سبعة ابحر مدادا
للبحر المحيط الذي فرض كونه بسعته مدادا فقوله بعده معناه يصير مدادا له من بعده وينصب فيه من بعده ان من خلفه و المقصود
كما يتوقف على ان يفرض كون اشجار الارض اقلاما يتوقف ايضا على ان يفرض كون البحر المحيط ممدودا بسبعة ابحر مدادا

فعلى هذا كان الظاهر ان يقال والبحر مداده من خلفه سبعة ابحر لكن لم يذكر المداد اكتفاء بذكر ما يدل عليه وهو قوله يمده فانه من
مد الدوات وامدها اذا صب فيها المداد فيكون البحر الاعظم بمنزلة الدوات والابحر التي خلفه بمنزلة المداد له وفي الآية الاختصار
يسمى حذف الايجاز لدلالة السياق على المحذوف وتقدير الكلام ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت
بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله تعالى لما نفدت كلماته ونفدت الاقلام والمداد ونظير هذه الآية في اشتمالها على ايجاز الحذف
قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية اي فحلق راسه لدفع ما به من الاذى ففدية قال الامام قوله سبعة ابحر ليس لحصر الابحر في سبعة
بل المراد الاشارة الى كثرة المدد ولو كان الف بحر وخصت السبعة بالذكر من بين اسماء الاعداد لكونها عدد الحصر اكثر المعدودات
الابد ان لكل اصل لا يخرج عن زمان ومكان والزمان منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر في سبعة اقاليم وان الكواكب السيارة
سبعة وكانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعا وكانت ابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة
هي الثامن والملكات السبعة عدد الحصر معظم الموجودات واكثرها عبر بها عن مجرد الكثرة من غير اعتبار انحصار المعدود وفي مرتبة نحو
ان العرب يجعلون السبعة نهاية العدد ويزيدون عند الثامن واوا يقول القراء الواو واو الثمانية ويزعمون ان العدد تم بالسبعة
وان الواو المذكورة بعدها للاستيناف والمراد بالكلمات عند المفسرين معلومات الله تعالى ولما كان معلومه تعالى لا يتناهى كانت الكلمات
التي يعبر بها عنه لا يتناهى ايضا **قوله** ورفعه للعطف معنى ان قوله تعالى والبحر قراه ابو عمرو ويعقوب بالنصب والباقون بالرفع
وفي الرفع وجهان الاول كونه معطوفا على محل ان ومعمولها فان ان مع اسمها وخبرها في محل الرفع على انه فاعل فعل مقدر يقتضيه
ويدل عليه كلمة لو فيجوز ان يرفع البحر ايضا بالعطف عليه وقوله تعالى يمده جملة حالية من البحر وتقدير الكلام ولو ثبت كون الاشجار
اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر والثاني ان يكون البحر مبتدأ ويمده الخبر والظاهر ان الواو حالية والمعنى ولو ان
الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها استغناء عنه بالواو كما في قولك جئت و
الجيش قادم وجوز المص كونها استينافية وفي النصب ايضا وجهان الاول ان يكون معطوفا على اسم ان وهو ما وخبره يمده والتقدير
ولو ان البحر يمده على معنى ولو وقع مده والثاني ان يكون من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير **قوله تعالى** ان الله عزيز حكيم
تاكيد لعدم نفاد كلماته لان من هذا شانه لا ينفد كلماته **قوله** وقرئ تنفد ويمده ان قرئ بتاء التانيث لاسناد الفعل الى جمعه
وقرئ بالياء مضمومة وكسر الميم من امده بمعنى عاونه والاية جواب قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسألونك
عن الروح الى قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا انك
تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا افعنيتنا ام قومك قال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا
التورية وفيها علم كل شيء فقال صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم فقالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت
تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية جوابا لهم فعلى هذا يكون الآية مدنية
وقيل انما امر اليهود وفد قريش ان يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فسأله الوفد بمكة فنزلت بمكة **قوله** ما خلقكم
ولا بعثكم جواب لكفار قريش حين قالوا ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحما فكيف يبعثنا خلقا جديدا
في ساعة واحدة **قوله** ونعم غرضا حقيقة او مجازا الى ان قيل يجري الى اجل مسمى يكون ادراك الاجل غرضا مطلوبا من الجري حقيقة ان قلنا ان
كل

[illegible]

ان لكل واحد من الكواكب السيارة والافلاك له شعور وحركة ارادية او مجاز ابتناء على تشبيه عاقبة الشيء بالعلة الغائية
ان قلنا انها جمادات لا شعور لها ولا غرض **قوله تعالى** وان الله بما تعملون خبير قراه ابو عمرو في رواية بيا الغيبة والباقون بتاء
الخطاب والظاهر ان الخطاب للمشركين وان الآية احتجاج عليهم وتهديد ووعيد وقوله تعالى الم تر خطاب عام والمراد بالرؤية
العلم الجلي المنزل منزلة الرؤية والمشركون وان لم يعلموا احاطة علم الله تعالى بتفاصيل اعمال عباده الا انهم نزلوا منزلة من يعلم
بالتمكن من العلم بها لادنى التفاوت لكثرة دلائل العلم بها ووضوحها **قوله** اشارة الى الذي ذكر ذكر الله تعالى عجائب صنعه واعترف
المشركين باختصاصه تعالى بخلقها ووصف نفسه بانه عزيز كامل القدرة لا نهاية لمقدوراته وانه حكيم كامل العلم لا نهاية لمعلوماته
وانه هو الغني الحميد وانه سميع بصير وانه بما تعملون خبير وانه عليم بذات الصدور وبعد اجراء تلك الصفات على الذات المتميزة بها
اشار اليها من حيث ثبوتها لموصوفها بقوله ذلك وحكم بانها انما تثبت له لانه هو الاله الثابت الالهية لما تقرر في العقول ان هذه
الصفات لوازم الالوهية المساوية لها وان تحقق الملزوم يستلزم تحقق اللوازم المساوية تحقق ملزومها فاشتمل الآية
لوازمها كما يستلزم تحقق جو
يتحقق لوازم الالوهية على كونه تعالى ثابتا في ذاته او ثابت الالهية **قوله** وقد جوز في مثله اي قيل كل ما كان على فعلة يجوز
في جمعه ثلث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسرها كنحو سدرة وسدرات وسدرات وسدرات **قوله**
لكل صبار على مشاق التفكر في اصابة الحق شكور يعرف النعم الكثيرة التي ما خلقت هي الا لاجله مع قطع النظر عن كونه منبها
او لا **قوله** فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وذلك لان التكاليف نصفان افعال وتروك والتروك صبر عن المالوف
والافعال شكر على المعروف ذكر الله تعالى آية سماوية حيث قال الم تر ان الله يولج الليل في النهار الآية ثم ذكر آية ارضية فقال الم
تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله التي هي الريح الملائمة لجريانها ليريكم باجرائها بنعمته بعض آياته ثم قال ان في ذلك لآيات لكل
صبار شكور يستدلون بها على كمال علمه وقدرته ووحدانيته ويعترفون بها من غير ان يتغولوا في شدة تلجئهم الى الاعتراف بها ثم
وصف الكفار بقوله واذا غشيهم موج كالظلل حين ركبوا البحر انابوا الى الله تعالى ودعوه مخلصين له الدين حين علموا انه لا
منجي لهم غيره والظلل جمع ظلة وكذا الظلال كقلة وقلل وقلال وحد الموج وشبهه بالظلل اي بالامور التي تظلل كالجبال والسحب
المتراكمة او غيرها الدالة على عظم الموج وكثرته وارتفاعه بحيث ينفصل منه وقت الانحدار الا جانب السفل امثال الظلل
قوله تنبيه على طريق التفصيل العدل السوي فقوله تعالى فمنهم مقتصد اي عدل في الوفاء بما عاهد الله تعالى عليه في البحر من التوحيد له
فالمعنى فمنهم من ثبت على ايمانه وهو مضمر وهو قوله ومنهم من ينقض العهد اكتفى عنه بقوله وما يجحد باياتنا الا كل ختار كفور
والختار الكفور موازن للصبار الشكور لفظا ومقابل له معنى فان الصبار الشكور يتذكر بما فيه من الآيات حالة الرخاء من غير
ان يلجئه اليه شيء من الشدائد والختار الكفور وان اضطر الى الاعتراف بالحق حال الضرورة الا انه تعالى اذا انجاه من الغرق
وانتهى الى البر ينقض العهد ويعود الى الضلالة القديم روي عن مصعب بن سعد عن ابيه انه قال لما كان يوم فتح مكة آمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الناس الا اربعة نفر وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة بن ابي
جهل وعبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد ابي سرح فاما عكرمة فركب البحر فاصابتهم ريح عاصف
فقال اهل السفينة اخلصوا فان آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر الا الاخلاص ما ينجيني

[illegible]

في البر ايضا غيره ثم قال اللهم ان لك علي عهدا ان انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا حتى اضع يدي في يده فلاجدنه عفوا كريما
فسكنت الرياح فجاء واسلم وحسن اسلامه ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل من اول السورة الى هنا ختم السورة بما يحملهم على التفكر في
تلك الدلائل والاهتداء بها الى ما يؤدي بهم الى حسن العاقبة وينجيهم من شدائد يوم القيمة فقال يا ايها الناس اتقوا اي لا تخالفوا شيئا
مما امر به ونهى عنه واكد الامر بتقواه بقوله واخشوا يوما اي عقاب يوم وقوله لا يجزي والد عن ولده صفة لقوله يوما والعائد
محذوف اي فيه وقوله لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه شيئا من الحقوق الثابتة عليه ولا ينفعه بشيء لما كان بعض الاقرباء
يتحمل عن البعض الاخر ما يتوجه اليه من المكاره والشدائد بالوصلة التي كانت بينهم في الدنيا والمنافع التي كان ينفع بعضهم
بعضا بها في الدنيا اخبر الله تعالى ان ذلك كله ينقطع في الاخرة لهول ذلك اليوم واشتغال كل امرء بنفسه ولا ينفع احد صاحبه و
خاصة ما ذكر من الولد لوالده والوالد لولده فان ما بينهما من القرابة القريبة يقتضي ان يجتهد كل واحد منهما ويبذل كل جهده
وطاقته في دفع ما يلحق الآخر من المكاره للشفقة والمحبة التي جعلت فيما بينهما ومع ذلك قد اخبر الله تعالى انه لا ينفع احدهما
صاحبه لاشتغاله بنفسه كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل نسب وسبب فهو منقطع الا نسبي وسببي ونسبه دينه الذي دعا
اليه وعلماه وسببه شفاعته يوم القيمة فاخبر ان ذلك كله منقطع الا نسبه فانه من تمسك بدينه فانه يشفع له يوم القيمة
فيما فرط وقصر واما من لم يقبل دينه ولم يجبه الى ما دعاه فانه ليس له شيء من نسبه وقد انقطع عنه باقي الانساب
والاسباب ايضا قال بعضهم هذه الآية في الكفار فاما المؤمنون فينفع الوالد ولده والولد والده في الآخرة بدفع الاب الى
ابنه بفضل عمله وكذلك الولد لابيه لقوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين وقد روي في الاحاديث الشفاعة للاخيار ويعد ان يشفع للاجانب دون الاقارب والله اعلم قوله وقرئ لا يجزئ من
اجزا اذا اغنى على بناء افعل من المهموز اللازم يقال اجزأت عنك مجزأ فلان ومجزأ فلان ومجزأة فلان اي اغنيت
عنك مغناه واجزأت عنك شاة لغة في جزت اي قضت واذت فان جزى غير مهموز بمعنى قضى قوله ولا مولود عطف على
والد فيه بحث لان المولود ح يكون فاعل قوله لا يجزي فيكون قوله هو جاز عن والده صفة للمولود فيلزم ان يكون المولود جازيا عن
والده وغير جاز عنه فكيف يجتمع فيه المتنافيان والجواب ان اللازم من التوصيف كون المولود جازيا عن والده في الدنيا والمنفي كونه
جازيا عنه يوم القيمة ولا منافاة بينهما لاختلاف الزمان قوله او مبتدا وجوز الابتداء بالنكرة الواقعة في سياق النفي كقولك
ما احد خير منك والمبتدا مع خبره جملة معطوفة على قوله لا يجزي والد عن ولده قوله وتغيير النظم فان قوله ولا مولود ان كان
معطوفا على والد كان الظاهر ان يقال ولا ولد عن والده فغير لفظ الولد الى المولود ووصف بكونه جازيا عن والده في الدنيا
للدلالة على ان الولد الصلبي الذي شانه ان يقضي حقوق ابيه في الدنيا لا يقضي عنه شيئا من الحقوق يوم القيمة فضلا عن سائر
الاولاد فان الولد يقع على الولد الصلبي وولد الولد بخلاف المولود فانه لا يطلق الا على الولد الصلبي فتخصيص المولود بالذكر لقوة
قرابته يدل على انه اولى بان يجزي واولى بان يبين انه لا يجزي وان كان قوله ولا مولود مبتدا وما بعده خبره فقد غيرت الجملة
المعطوفة الى ما هو اكد من المعطوف عليه فان الاسمية اكد من الفعلية لا سيما اذا توسطت كلمة هو بين المبتدا والخبر ومع
ذلك فقد غير لفظ الى لفظ المولود ووجه التغيير ما ذكر من الدلالة على انه اولى ببيان حكمه وقطع طمع من توقع ان ينفع اباه الكافر
قوله

قوله بالثواب والعقاب علما ان يكون قوله تعالى ان وعد الله حق لتحقيق اليوم المذكور على معنى اخشوا يوما هذا شانه وهو كائن
لا محالة لوعد الله تعالى بمجيئه ووعده حق ويحتمل ان يكون لتحقيق العدم انه يجزي احد عن احد على معنى انه لا يجزي والد عن ولده لان الله تعالى قد
وعد بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق فلا يجزي احد عن احد ولما كان اليوم الموعود حقا واقعا لا محالة وكان الاغترار بما في
الدنيا وزينتها والاغترار بحلم الله تعالى وامهاله اياهم صارفا عن التزود لذلك اليوم نهى الله تعالى عن الاغترار بهما فقال لا يغرنكم شيء
منهما واجتهدوا فيما يسعدكم فيه والغرة بالله تعالى عبارة عن ان يتمادى الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة والغرور
بالضم مصدر وبالفتح صيغة مبالغة كشكور سمي الشيطان غرورا اذ من شانه وحرفته ان يغر قوله لان فيها معنى الحيلة فان
الدراية هي العلم مع تكلف وحيلة ولهذا لم يجوز اطلاق اسم الدار على الله سبحانه لما قال تعالى واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده وذكر انه كائن لا محالة حيث قال ان وعد الله حق كان قائلا قال فمتى يكون هذا اليوم فاجيب بان العلم
بوقت قيام الساعة مما لم يحصل لغير الله تعالى فحكمكم ان تستعدوا لقيامها وتزودوا لها قوله وشبه سيبويه تانيث اي
بتانيث كل في قولهم كلتهن يعني ان تانيث اي لغة ضعيفة كتانيث كل لان ايا اسم مبهم لازمة الاضافة
لا تخلو من بشاعة لما فيه من الفصل بين المضاف والمضاف اليه باجنبي وهو تاء التانيث فاللغة الشائعة ان
يقال ايهن وكلهن فان انث اي كان حقها ان تقطع عن الاضافة نحو اية امرأة جاءتك تشبيها لها بقولهم كلتهن
تم هنا ما يتعلق بسورة لقمان بحمد الله تعالى وحسن توفيقه وهذا اوان الشروع في توضيح ما يتعلق بسورة الم السجدة

سورة الم السجدة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله وان جعل تعديدا للحروف ليتنبه السامع ويقبل نحو المتكلم ويستمع ما يلقى اليه بقلب حاضر
والسامع هنا وان كان يتيقظ من الجنان لكنه انسان يشغله شان عن شان فالاحسن من الحكيم ان يقدم على الكلام المقصود
حروفا كالمنبهات البالغة التي تطلب اليه سمعه ويقبل بقلبه عليه ثم يشرع في المقصود فلا يكون لسكك الحروف محل من
الاعراب لعدم تركبها مع العامل فح يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدا محذوف تقديره الذي يتلى عليك منزل الكتاب اي كتاب
منزل ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت للبيان كما في جرد قطيفة ونحوه مما اضيف الصفة فيه الى الموصوف
ولا ريب فيه خبر ثان او حال من الكتاب ومن رب متعلق بتنزيل قوله حال من الضمير في فيه فيتعلق بمحذوف ولا يجوز ح ان يتعلق بتنزيل
لان المصدر قد اخبر عنه فلا يعمل فيما بعد الخبر قوله والضمير في فيه لمضمون الجملة يعني على تقدير كونه اعتراضا بين المبتدا والخبر
لتاكيد مضمون الجملة يكون الضمير لمضمونها كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين واما على تقدير ان يكون تنزيل
مبتدا ولا ريب فيه خبره فالضمير ح يكون راجعا الى تنزيل الكتاب والى كونه اعتراضا اشار بقوله الاول قوله ام يقولون
والثاني قوله بل هو الحق ثم بين وجه انتظام الكلام على تقدير كونه لا ريب فيه اعتراضا انه تعالى اشار اولا الى اعجاز الكتاب المنزل
بافتتاح السورة بالم على سبيل التعديد قال المص في اول سورة البقرة ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه
التي يتركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم
مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون

اول ما نوع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط
الكتاب فمستبعد ومستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة الى هنا كلامه **قوله** فان ام منقطعة علة لكون الاضراب الى ما يقولون
فيه انكار له فان ام المنقطعة متضمنة لهمزة الاستفهام الذي لا محل له في هذا الموضع سوى الانكار اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين
وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن اثباته ان تنزيله من رب العالمين وليس الاضراب لابطال الكلام السابق بل بمعنى ترك الاول
والاخذ فيما هو اهم فكانه قيل اترك هذا الذي ذكر من كونه من رب العالمين وانظر في كلمتهم الحمقاء وتعجب منها ثم اضرب عن ذلك ايضا
فكانه قال لا تلتفت الى قولهم وانظر الى كونه حقا واستغرق اوقاتك في التفكر فيه وتبليغه والعمل بما فيه وقوله من ربك حال من الحق
وعامله محذوف وهو العامل في التنذر ايضا ويجوز ان يتعلق لتنذر بعامل آخر اي انزله لتنذر كما يشعر به قول المصنف بين المقصود من
تنزيله فقال لتنذر وقوله قوما مفعول اول للانذار وقوله ما اتاهم جملة منفية في محل النصب على انها صفة قوما والمفعول الثاني
للانذار محذوف اي لتنذرهم العذاب ان اصروا على كفرهم ولم يؤمنوا بك وبكتابك فان انذر يتعدى الى اثنين قال تعالى فقل انذرتكم
صاعقة ويحتمل ان يكون كلمة ما في قوله ما اتاهم موصولة في محل النصب على انها المفعول الثاني للانذار والتقدير لتنذر قوما
العقاب الذي اتاهم من نذير من قبلك على ان من نذير متعلق باتاهم اي اتاهم العقاب على لسان نذير من قبلك وكذا الحال في قوله تعالى
لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اي لتنذر قوما العقاب الذي انذره آباؤهم فما مفعول في الموضعين والمراد بالقوم اهل الفترة وهم
الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ومعنى عدم اتيان النذير اليهم انهم ضيعوا شريعة عيسى عليه الصلوة والسلام
وضلوا بالكلية باتباع الاهواء الفاسدة فاقتضت الحكمة الالهية ان يرسل اليهم رسولا يدعوهم الى التوحيد والطاعة و
ينذرهم عذاب الله تعالى ان اصروا على الضلالة وما اتاهم من نذير مع احتياجهم الى انابة حيث لم يبق على وجه الارض عالم
يهديهم وينتفع بهدايته فبقوا على ذلك سنين متطاولة فلم ياتهم رسول من قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا قوما
ما اتاهم من نذير بعد الضلالة الذي حدث بانطماس الشريعة المتقدمة وقيل المراد بالقوم العرب فانهم امة امية لم ياتهم
نذير قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا بعيد فانهم كانوا من اولاد ابرهيم عليه الصلوة والسلام وجميع انبياء بني اسرائيل
من اولاد اعمامهم وكيف يتجاسر ان يقال انه تعالى ترك قوما من ابتداء نشأتهم الى زمان نبينا صلى الله عليه وسلم بلا دين ولا شرع
وان اريد بالعرب طائفة مخصوصة منهم وهم اهل العصر الواقع قبيل عصر النبوة لزم تخصيص العام بلا مخصص لان القوم الموصوف
بانه ما اتيهم من نذير من قبلك يعم جميع اهل العصر الواقع قبيل بعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سواء كان من مشركي العرب او
من اهل الكتاب فحمله على العرب خاصة تخصيص بلا دليل والترجي المستفاد من قوله تعالى لعلهم يهتدون من جهة رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما كان ذلك من جهة موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر فالمعنى
لتنذرهم راجيا انت اهتداءهم ثم انه تعالى لما بين حقيقة الرسالة والتنزيل بين ما على الرسول صلى الله عليه وسلم من الدعاء
الى التوحيد واقامة البرهان عليه فقال الله الذي خلق السموات فقوله الله مبتدأ والموصول مع صلته خبره وقد اتفق المشركون
على انه تعالى لا شريك له في خلقها فكذا لا شريك له في الوهيته **قوله** مر بيانه في الاعراف وهو قوله تعالى في ستة ايام اي في ستة
اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي وقتئذ او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها
ولم يكن ح

ولم يكن ح وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار والاعتبار وحث على التأني في الامور ولما
كان تعالى منزها عن الاستقرار والتمكن جعل الاستواء على العرش كناية عن نفاذ قدرته وتصرفه في مخلوقاته لان الجلوس على العرش
من لوازم الملك والاستيلاء فاطلق اللازم واريد الملزوم والاستواء على العرش من جملة المتشابهات التي لا يعلم تاويلها الا الله تعالى
عند بعض العلماء حتى قيل تاويله الايمان به وان يفوض العلم بان المراد منه ما هو الى الله ورب العرش فوق العرش لكن بلا
وصف التمكن والاتصال **قوله** ما لكم اذا جاوزتم رضا الله تعالى لما كان ظاهر اللفظ يدل على انه ليس لنا ولي ولا شفيع غير الله
لان ولينا وشفيعنا هو الله تعالى وحده والله تعالى منزه عن ان يكون شفيعا يستشفع به الى احد ولذلك رد النبي صلى الله
عليه وسلم على اعرابي قال انا نستشفع بالله اليك اشار المصنف الى ان ذلك المعنى انما يتوهم اذا كان قوله من دون الله بمعنى من غير
الله وليس كذلك بل المعنى ما لكم مجاوزين الله اي مجاوزين رضاه وامتثال امره وطاعته ولي ولا شفيع فيكون من دونه حالا من
كم في لكم والعامل معنى الاستقرار الذي تعلق به لكم اي ما استقر لكم مجاوزين رضا الله تعالى وامتثال امره شفيع يشفع لكم وناصر
ينصركم وفي الكلام حذف مضاف اي من دون رضاه ومن استعمال دون في معنى المجاوزة قول الشاعر يا نفس ما لك من دون الله
من واق اي ما لك اذا جاوزت وقاية الله واق يقيك ثم اشار الى توجيه آخر بقوله او ما لكم سواه ولي ولا شفيع ونصير مسلما
ان معنى من دون الله من غير الله لكن انما يتوهم ذلك المعنى المهروب عنه ان لو كان الشفيع على اصل معناه وليس كذلك بل
هو بمعنى الناصر لان الشفاعة تستلزم النصرة فاطلق الملزوم واريد اللازم فيكون من دونه حالا من ولي او شفيع قدم
على ذي الحال لكونه نكرة فان قيل كيف قدم على ذي الحال المجرور وقد صرح ابن الحاجب في الكافية بان الحال لا يتقدم
على ذي الحال المجرور في الاصح فالجواب ان حرف الجر هنا زائد لا اعتداد به ووجه اتصال قوله تعالى ما لكم من دونه من ولي بما
قبله انه لما نزل قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الآية قال بعض المشركين نحن معترفون بان خالق
السموات والارض واحد هو الله تعالى الا ان هذه الاصنام صور كواكب منها نصرتنا وقوتنا وقال البعض الآخر منهم هذه الاصنام
صور ملائكة مكرمين عند الله منهم شفاعتنا فقال الله تبارك وتعالى اذا علمتم انه لا اله غير الله فاعلموا انه لا نصرة من غير الله
ولا شفاعة الا باذن الله فعبادتكم لهذه الاصنام باطلة ضايعة لانه ليس الخالقكم ولا ناصركم ولا شفيعكم لان من بلغ
في القدرة وعلو الشان الى ان تمكن من خلق هذه الاجسام العظام والتصرف فيها كيف شاء هل يكون عند هذا الملك العظيم
الشان لهؤلاء الاصنام المكونة قدر وحرمة حتى ترجون منها نصرة وشفاعة **قوله** تدبر امر الدنيا ارشادها وحالها والا
مور التي تقع فيها والمراد بتدبيرها القضاء السابق الذي هو الارادة الازلية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص
جعل القضاء مبتدأ من جانب السماء الكون المتقضي منوطا باسباب سماوية ومنتهيا الى الارض لانتهاء آثار تلك الاسباب الى
الارض وعروج امر الدنيا اليه تعالى مجاز عن ثبوته في علمه تعالى موجودا او عطف عن وجوه الامر على ما تدبيره بكماله ثم قدر زمان
العروج بالف سنة من سني الدنيا استطالة لما بين التدبير والوقوع لا للتعيين والتوقيت **قوله** في برهة من الزمان
اي في مدة متطاولة منه **قوله** وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح على ان يكون المراد بالامر امر الوحي وتدبيره اظهاره
في اللوح وان يكون قوله من السماء متعلقا بمحذوف اي فينزل به بعض ملائكته من السماء الى الارض فيلقي ذلك الى الذي امر بالقائه

اليه من الرسل ثم يعرج ذلك الملك اليه اى الى الموضع الذى امر بالعروج منه السماء في يوم كان مقداره في نزول الملك الى الارض وعروجه
منها الى السماء الف سنة مما تعدون من ايامكم في الدنيا يعني انه كان الف سنة على انه من قبيل التشبيه البليغ من حيث ان مسافة
ما يقع فيه من النزول والعروج مسيرة الف سنة بسير بني آدم واستطالة نفس اليوم عبارة عن امتداد مسافة نزول الملك
وعروجه لكونها مسيرة الف سنة فانه لو سار احد من بني آدم فيها لم يقطعها الا في الف سنة والملائكة يقطعونها في يوم واحد من
ايام الدنيا بل في الطف ساعة فالتدبير عبارة عن كتبة الوحي في اللوح المحفوظ واظهاره فيه للملائكة الموكلين
به حتى اذا رأوا انه قد وجد ذلك في اللوح عرفوا انه تعالى اراد ان ينزلوا به الى نبيه في الارض فيفعلون ذلك ثم يعرجون الى
مكانهم الذي كانوا فيه والعروج بحسب الظاهر وان كان مسندا الى ضمير الامر الا ان المراد عروج الملك المامور بتبليغ ذلك
الامر وكذا ضمير اليه يرجع بحسب الظاهر اليه تعالى الا ان المراد عروج الملك الى مكانه الذي في السماء وقيل ضمير اليه يرجع الى السماء
المذكور قبله وهو يذكر ويؤنث قال تعالى السماء منفطر به **قوله** وقيل يقضي قضاء الف سنة يعني ان يدبر بمعنى يقضي والامر
امر الدنيا واحوالها الواقعة في يوم واحد من ايام الله تعالى وهو الف سنة كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
فان قوله من السماء متعلق بمحذوف اى فينزل به الملك من السماء الى الارض ثم يعرج بعد الالف لانزال قضاء الف آخر
قوله في يوم تنازع فيه الفعلان واعمل فيه الفعل الثاني وهو يعرج وحذف ظرف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والمص
اشار اليه بقوله يقضي قضاء الف سنة اى يقضي ما قضى وقوعه في الف سنة وعبر عن الفعلين بلفظ المضارع الدال على الا
ستمرار التجددي للدلالة على ان شانه تعالى الاستمرار على ان يقضي ما قضى وقوعه في يوم واحد مقداره الف سنة فينزل به الملك
فيوقعه في الاوقات المقدرة له ثم يعرج في انقضاء ذلك اليوم ليوم آخر وهلم جرا الى ان يقوم الساعة **قوله** وقيل يدبر الامر
اى يقضي شان الدنيا وما قضى ما قدر فيها من الامور وقوله من السماء الى الارض بيان للامر اى يدبر الامر الذي مبتدؤه من
السماء ومنتهاه الى الارض وهذا كما تقول من السماء الى الارض في قبضة قدرة الله تعالى ومن المشرق الى المغرب كله لله واشار
بقوله الى قيام الساعة الى ان قوله في يوم غير متعلق بالتدبير وانه غير مقيد بالظرف المذكور بعده بل هو قيد للعروج والمعنى ثم يرجع
اليه جميع ما قضى وقدر يوم القيمة ليحكم فيه ويميز ما هو الحق منه من الباطل ويثيب المحق ويعاقب المبطل ووصف
يوم القيمة بان مقداره الف سنة لان يوما من ايام الآخرة كالف سنة من ايام الدنيا **قوله** وقيل يدبر المامور به منزلا يعني
قيل ان المراد بالامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة وتدبيرها الامر بها والترغيب فيها بالوعد وتعديته بمن والى لتضمنه
معنى ينزل وان قوله ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة ليس المراد به تعيين مدة العروج بذلك الوقت بل المراد به
تقليل الاعمال الصالحة والعاملين بها لم يرتض شيئا من هذه الاقوال المذكورة لكثرة ما فيها من التكلفات بالنسبة الى
ما ارتضاه قيل في التلفيق بين قوله تعالى في هذه السورة في يوم كان مقداره الف سنة وبين قوله تعالى في سورة اخرى تعرج
الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ان الاول في وصف عروج الملائكة من الارض الى السماء والثاني
في وصف عروجهم من الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبرئيل عليه الصلوة والسلام فان مسافة ما بينها وبين الارض
مسيرة خمسين الف سنة بسير بني آدم ثم ان جبرئيل والملائكة الذين معه من اهل مقامه يقطعونها في يوم واحد من ايام الدنيا

وقيل

وقيل الف سنة وخمسون الف سنة كلها في القيمة يكون على بعضهم اطول كخمسين الف سنة وعلى بعضهم اقصر منها كالف سنة
حتى جاء في الحديث الشريف انه يكون على المؤمن كقدر صلوة مكتوبة صلاها في الدنيا وقيل لا يكون على المؤمنين الا كما بين
الظهر والعصر ويحتمل ان يكون هذا عبارة عن بيان ما فيه من الشدائد والاهوال لا التحديد بذلك وروي ان ابن عباس سئل عن هذه
الآية وعن قوله خمسين الف سنة فقال ابن عباس هي ايام سماها الله تعالى لا ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب الله ما لا
اعلم **قوله** وقرئ يعرج على البناء للمفعول والاصل يعرج به ثم حذف الجار فارتفع الضمير واستتر وقرئ تعدون بتا الخطاب
وبيا الغيبة **قوله** وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا اتفق المسلمون على انه تعالى لا يفعل فعلا خاليا عن حكمة ومصلحة الا ان
الحكمة لازمة لفعله وليست حاملة له على الفعل عندنا خلافا للمعتزلة **قوله** وخلقه بدل من كل يعني ان ابن كثير وابا عمرو وابن
عامر قرؤا خلقه بسكون اللام على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير عائد على كل شيء **قوله** وقيل علم كيف يخلقه عطف
على قوله موفرا عليه ما يستعده فان المعنى حسن هيئة كل شيء وصورته بان خلقه مشتملا على جميع ما يليق به فيكون
كل شيء مفعولا به وخلقه بدلا منه بمعنى احسن خلق كل شيء وان كان احسان الشيء بمعنى علمه يكون المعنى علم كل شيء قبل
ان يخلقه انه كيف يخلقه وكيف يكون اذا خلقه فيكون كل مفعولا اول وخلقه مفعولا ثانيا ومن كون الاحسان بمعنى
العلم قول من قال قيمة المرء ما قد كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء اى ما قد كان يعلمه ويحسن علمه بان يعرفه معرفة
حسنة بتحقيق واتقان لا مطلق العلم وقيل معناه ان من زاد علمه زاد في صدور الناس قدره وقيمته وكل من نقص علمه نقص
عند الناس جاهه وحشمته **قوله** فالشيء على الاول يعني ان خلقه سواء جعل بدلا او مفعولا ثانيا لا بد من تخصيص الشيء الا بما
لم يخلق كل شيء فضلا عن ان يحسن خلقه او يحسنه ويتم زينته والمخصص على الاول الدليل المنفصل وهو العقل فانه يدل
فانه تعالى لم يخلق نفسه سبحانه
على ان المراد الموجودات الممكنة وعلى الثاني الدليل المتصل وهو الوصف اعني خلقه **قوله** لانها تنسل منه اى تنفصل يقال
نسل الطائر ريشه ينسل وينسل اى اسقطه ونسل الوبر وريش الطائر بنفسه يتعدى ولا يتعدى **قوله** وجعل لكم
التفات من ضمير الغائب المفرد في قوله ثم جعل نسله الى الخطاب ولم يخاطبهم قبل ذلك لان الخطاب انما يكون مع الحي فلما
قال ونفخ فيه من روحه خاطبه بعد ذلك وقال وجعل لكم **قوله** تشكرون شكرا قليلا اشارة الى ان قوله تعالى قليلا صفة مصدر
محذوف للفعل المذكور بعده وما زائدة لتاكيد القلة **قوله** وقالوا ائذا ضللنا معطوف على ما سبق منهم فان المشركين
كانوا ينكرون الوحدانية والرسالة والحشر وقد اشير الى الثاني بقوله تعالى ام يقولون افتراه والى الاول بقوله الذي خلق السموات والارض
وقد تقرر ان معظم مقاصد القرآن العظيم تمهيد اصول ثلثة وتقرير دلائلها التوحيد والرسالة والحشر وانه تعالى كلما ذكر اصلين
من هذه الاصول الثلثة يذكر الاصل الثالث معهما وههنا قد ذكر الرسالة بقوله تنزيل الكتاب الى قوله لتنذر قوما ما اتاهم
من نذير من قبلك وذكر الوحدانية بقوله الله الذي خلق السموات الى قوله وجعل لكم السمع والابصار ثم ذكر الاصل الثالث
وهو الحشر بقوله ائذا ضللنا اى ضعنا وهلكنا بان صرنا ضائعا وهالكا بان صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز
منه كما يضيع اللبن في الماء يقال ضل الشيء يضل ضلالا اى ضاع وهلك واضله غيره اى اضاعه واهلكه ويقال ايضا
ضل الشيء اذا غاب وخفي مكانه يقال اضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم يعرف موضعهما و

وكذلك كل شيء مستهلك لا يتبين له فعله قولهم أئذا ضللنا في الأرض أي غبنا فيها بسبب الدفن وقراءة العامة ضللنا بضاد
معجمة ولام مفتوحة والمضارع منه يضل بكسر العين وهي اللغة الشائعة وقرئ ضللنا بكسر اللام والمضارع منه يضل بفتح
العين وهي لغة عالية وقرئ صللنا بصاد مهملة ولام مفتوحة وبكسر اللام أيضا وهما لغتان يقال صل اللحم يصل ويصل
بفتح الصاد وكسرها بمعنى أنتن وتغيرت رائحته وقرأ عاصم وحمزة أئذا ضللنا أئنا بالجمع بين الاستفهامين للمبالغة
في إنكارهم البعث وقرأ ابن عامر إذا ضللنا بهمزة مكسورة على الخبر أئنا بهمزتين قال لأنهم كانوا يقرون بالموت ويشاهدونه
وإنما أنكروا البعث فيكون الاستفهام في البعث دون الموت وقرأ نافع والكسائي ويعقوب أئذا ضللنا إنا بجعل
أولى الكلمتين استفهاما والثانية خبرا اكتفاء بالهمزة الأولى عن الثانية **قوله** والعامل في إذا محذوف ولا يجوز أن
يعمل فيه قوله خلق جديد لأن ما بعد إن وهمزة الاستفهام لا تعمل فيما قبلها **قوله** بالبعث متعلق بقوله بلقاء ربهم وليس
ببيان له إلا أنما بقي للإضراب وجه لأن كفرهم بالبعث قد ذكر في أول الآية ووجه الإضراب أنه تعالى ذكر إنكارهم للبعث بناء
على استبعادهم دخوله تحت قدرة الله تعالى كما يدل عليه قولهم أئذا ضللنا في الأرض ثم أضرب عنه بما معناه ليس
إنكارهم للبعث بناء على استبعادهم قدرة الله تعالى عليه لما أقيم عليهم من الدلائل الدالة على قدرة الله تعالى عليه وإنما أنكروه
لكفرهم بلقاء الله تعالى أي بلقاء ما وعده الله تعالى من اجتماع الخلائق في موقف الحساب وتفرقهم على حسب أعمالهم إلى دار
الثواب والعقاب فأنكروا ما يفضي إليه من البعث والإحياء فعلى هذا كان الظاهر أن يكون قوله أو بتلقي ملك الموت
معطوفا على قوله بالبعث ويكون كل واحد منهما بيانا لطريق لقاء الرب ولقاء موعده إلا أن عطف قوله وما بعده
على بتلقي ملك الموت يأبى ذلك لأن لقاء ما يلقونه بعد تلقي ملك الموت هو نفس لقاء ما وعده الرب لا طريق إلى لقائه فينبغي
أن يجعل قوله بالبعث وما عطف عليه عطف بيان أو بدلا من قوله تعالى بلقاء ربهم تفسيرا له ويجعل الكفر بالبعث مغايرا
لإنكار البعث المدلول عليه بقولهم أئنا لفي خلق جديد إذا ضللنا فإن إنكار الشيء يكفي فيه مجرد الاستبعاد
والكفر به إنما يكون بالقطع بعدم وقوعه فترتيب النظم أنه تعالى ذكر أولا أنهم قالوا ذلك استبعادا للبعث ثم أضرب
عنه بقوله بل هم كافرون بالبعث قاطعون بعدم وقوعه أو بقوله بل هم كافرون بتلقي ملك الموت وما يكون
بعده من أمور الآخرة بأسرها لا بالبعث وحده ويؤيده هذا المعنى أنهم خوطبوا بقوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت والتوفي الحق والاستيفاء
أخذه وافيا تاما من غير نقصان واستيفاء النفس وهي الروح أن يقبض كلها ولا يترك منها شيء أو لا يبقى من أصحاب الأرواح أحد
كتب عليه الموت أو أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض
أنفس الخلق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب فإذا قبض أرواح
المؤمنين دفعها إلى ملائكة الرحمة وإذا قبض روح الكافر دفعه إلى ملائكة العذاب **قوله** ويجوز أن يكون للتمني لأن كلمة لو للتقدير
والتمني فيه معنى التقدير لأن المتمني لا يخلو من تقديره وطلب حصوله ولما كان في التمني معنى التقدير استعملت كلمة لو للتمني كما في قوله
عليه الصلاة والسلام للمغيرة حين خطب امرأة لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما أي أن يكون بينكما المحبة والاتفاق
والأدم الألفة يقال أدم الله بينهما أدما أي أصلح وألف وعلى تقدير كون لو للتمني لا تقتضي جوابا كما هو المشهور ثم إن

فإن قيل إنه ذكر الرسالة من قبل وذكر [illegible] ... خلق السموات والأرض [illegible] ... على أن يخلق مثلهم بلى [illegible]

فإن الدنيا لملك الموت [illegible] يأخذ منها ما [illegible]

ثم إن التمني يستحيل أن يكون منه تعالى فلا بد أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الترحم له عليه الصلاة والسلام في
في قوله تعالى لعلهم يهتدون بمعنى الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام أن يتمنى رؤيتهم على تلك الصفة الفظيعة لما
تجرع منهم أنواع الأذية والإطلاق مكان صلى الله عليه وسلم حقيقا بأن يتمنى ذلك **قوله** والمضي فيها وفي إذ يعني أن كلمة
لو إذا لم يكن للتمني بل كانت لوقوع الشيء لوقوع غيره فيما مضى إذا دخلت على المضارع تصرفه إلى الماضي وكذا كلمة إذ
ظرف لما مضى فمدلول الكلام أن يكون نكس المجرمين رؤوسهم واقعا فيما مضى وأن يعرض وقوع رؤية المخاطب
إياهم على تلك الحالة الفظيعة فيما مضى ولا شك أن النكس أمر استقبالي لم يقع بعد فلا وجه لدخول إذ عليه
كما لا وجه لفرض وقوع الرؤية المتعلقة بالنكس المترقب فيما مضى إلا أن الثابت في علم الله تعالى لما كان بمنزلة الواقع
كان نكس رؤوسهم بمنزلة الواقع فيما مضى فصح دخول كلمة إذ عليه وصح فرض كون المخاطب رائيا في ذلك الوقت
إن لم يقدر لترى مفعول أو فرض وقوع الرؤية المتعلقة به فيما مضى إن قدر لترى مفعول لا يدل عليه صلة إذ ثم إن المجرمين
لما قالوا حين شاهدوا ما وعده الله تعالى من البعث والحساب ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا قال تعالى جوابهم
ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها أي رشدها وتوفيقها للإيمان والعمل الصالح فإن كل فعل من أفعال العباد يقع بسبب يتجدد و
يفيض عليه من عند الله تعالى وذلك السبب إن كان نحو طاعة يسمى توفيقا ولطفا وإن كان نحو معصية يسمى خذلانا وطبعا
وتقرير الجواب أن الرجوع إلى الدنيا إنما ينفعكم أن لو شئت توفيقكم للإيمان والعمل الصالح ولو شئت ذلك فيكم لهديتكم و
أنتم في الدنيا ولما لم أهدكم فيها تبين أني ما أردت إيمانكم وصلاحكم لأنكم لو رددتم إليها لعدتم لما كنتم عليه من الكفر والضلال
كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فلا فائدة لكم في الرجوع إلى الدنيا وهو كقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم
جميعا وكقوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فإنه تعالى إنما يوفق للإيمان والطاعة من علم منه اختيار ذلك في أيامه
ومن علم منه اختيار الكفر والمعصية فإنه تعالى يخذله ويطبع على قلبه وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب أهل السنة فإنهم يقولون
إن الله تعالى ما أراد إيمان الكافر وما شاء منه إلا الكفر والمعتزلة يقولون شاء الله تعالى أن يهتدي كل نفس وآتى كل نفس ما
تهتدي به لكنها لم تهتد فهذه الآية حجة عليهم ويقولون في الجواب عنها وفي توجيهها المراد بالآية لو شئنا إيتاء كل نفس هداها
على طريق القسر والجبر لفعلنا ذلك لكن بنينا الأمر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا الكفر على الإيمان فحقت كلمة العذاب
على الكافرين ونحن نقول هذا التأويل فاسد لأنهم زعموا أنه تعالى شاء من الكافر أن يهتدي وآتاه ما به يهتدي إلا أنه لم يهتد
ولم تنفذ فيه مشيئة الله تعالى فكيف يقدر ويملك أن يشاء مشيئة تقهرهم وتجبرهم على الاهتداء وأيضا يقال لهم إن الإيمان والتوحيد
في حال الجبر والقهر لا يكون إيمانا لأن الإكراه يرفع الفعل عن فاعله ويحوله إلى المكره وروي عن الحسن أنه قال خطب أبو هريرة
رضي على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول ليعتذرن الله تعالى إلى آدم عليه
الصلاة والسلام ثلاث معاذير يقول الله تعالى يا آدم لولا أني لعنت الكاذبين وأبغضت الكذب والخلف وأعذب عليه
لرحمت اليوم ولدك أجمعين من شدة ما أعددت لهم من العذاب ولكن حق القول مني لئن كذبت رسلي وعصي أمري
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ويقول الله تعالى يا آدم اعلم أني لا أدخل من ذريتك النار أحدا ولا أعذب منهم

[illegible]

لأن القضاء هو حكم الله تعالى الأزلي وإن الحكم تابع للإرادة والإرادة تابعة للعلم [illegible]

بالنار لحد الآن قد علمت بعلمي اني لو رددته الى الدنيا لعاد الى ما كان فيه ولم يرجع ولم يتب ويقول الله تعالى يا آدم قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك قم عند الميزان فانظر ما يرفع اليك من اعمالهم فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة حتى تعلم اني لا ادخل منهم النار الا ظالما فقوله تعالى ولكن حق القول منى تقديره ولكن لم اشا ايتاء توفيق الايمان لكل نفس فبقي بعض منهم غير موفق للايمان والطاعة فاختار الكفر والعصيان على الايمان فثبت قضائي وسبق وعيدي في حقهم وهو قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك من كفار الفريقين لاختيارهم الكفر والتكذيب وفي قوله تعالى من الجنة والناس دلالة على انه تعالى قد عصم ملائكته عن عمل يستحقون به جهنم وانهم منزهون عن دخول النار وهذا يقتضي ان لا يكون ابليس من الملائكة وهو الصحيح وقوله تعالى اجمعين تاكيد لاجتماع الفريقين في كونهما مالئين لجهنم المدلول عليه بعطف الناس على الجنة بواو الجمع ولا يلزم منه دخول كل واحد من احاد الفريقين النار لان المراد اجتماع الجنسين في ان يملأ بهما جهنم لاستغراق احادهما في ذلك كما اذا قلت ملأت الكيس من الدراهم والدنانير جميعا فانه لا يقتضي ان لا يبقى درهم خارج من الكيس **قوله** وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشية لان لو لانتفاء الثاني لانتفاء الاول الذي هو المشية وكون عدم المشية سببا عن سبق الحكم بانهم من اهل النار مبني على ان قوله تعالى ولكن حق القول منى جيء به تعليلا لعدم المشية كانه قيل لو شئت ايتاء كل نفس هديها لاتيناه ذلك لكن لم نؤته ذلك لعدم مشيتنا اياه ولم نشأ ذلك لثبوت الحكم وسبق الوعيد بان من الفريقين من هو من اهل النار وهم الذين ثبت في علم الله تعالى انهم يختارون الحظوظ العاجلة على السعادات الباقية ويتركون التفكر في العاقبة ترك الشيء المنسي **قوله** ولا يدفعه جعل ذوق العذاب الخ جواب عما يقال اول الآية يدل على ان جميع ما هم عليه من سوء الحال مستند الى القضاء السابق المتعلق بشقاوتهم لانه يفهم منه ان عدم ايمانهم مستند الى عدم المشية المستند الى سبق الحكم بانهم من اهل النار فيلزم منه ان يكون ذوق العذاب مستندا الى الحكم المذكور فكيف جعل مستندا الى نسيانهم العاقبة اليس بينهما تدافع وتقرير الجواب انه لا تدافع بينهما لان نسيان العاقبة من العلل المتوسطة لذوق العذاب واستناده الى النسيان لا ينافي استناده بالاخرة الى الحكم المذكور فانه تعالى انما قضى وحكم بذلك لعلمه بانه يترك تفكر العاقبة ترك الشيء المنسي فان قيل النسيان مغفور معفو عنه لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان فكيف يواخذهم الله تعالى بسبب نسيانهم فالجواب انه ليس المراد بالنسيان المذكور بقوله بما نسيتم نسيان السهو والغفلة اذ لا تبعة بما فعل في حال السهو والغفلة بل المراد به عدم التذكر مع ظهور براهينه فان من انهمك في اتباع الشهوات واعرض عن التفكر في العاقبة والتزود لها بالايمان والطاعة مع وضوح دلائلها وفور دواعي التنبيه لها فانه بمنزلة من علمها ثم نسيها فلذلك عبر عن عدم تذكرها والتفكر فيها بلفظ النسيان اشارة الى كونهم منكرين لامر ظاهر وقوله تعالى انا نسيناكم بمعنى جازيناكم جزاء نسيانكم وسمى جزاء النسيان نسيانا على طريق المشاكلة كما سمي جزاء السيئة سيئة في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها او بمعنى تركناكم ترك الشيء المنسي فيكون استعارة تبعية ثم انه تعالى لما ذكر ان المشركين ينكرون البعث ويقولون ائذا ضللنا

في الارض

في الارض ائنا لفي خلق جديد وانهم لا يؤمنون بآيات الله اي بالقرآن ثم اجابهم بان ذلك كائن لا محالة ثم لما وصف حال اهل النقيصة في موقف الحساب ذكر المؤمنين بعد ذلك وقال انما يؤمن بآياتنا اي بالقرآن المتدبرون له المنتفعون بمواعظه بحيث اذا قرئ عليهم القرآن ووعظوا به خروا سجدا لله تعالى على وجوههم تذللا وتعظيما لآياته **قوله تعالى** تتجافى جنوبهم يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا وكذلك يدعون واذا جعل يدعون حالا احتمل ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا من الضمير في جنوبهم **قوله** سيعلم اهل الجمع مقول قول مقدر اي ينادي قائلا سيعلم **قوله** فيرجون اي يرسلون يقال سرحت فلانا الى موضع كذا اي ارسلته اليه قيل نزلت الآية في الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة في جماعة قال صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة والمشهور ان المراد منه صلاة الليل لقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان صوم شهر المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله تعالى لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام **قوله** مما تقر به عيونهم على ان القرة مصدر وصف به الثواب الذي تقر بسببه عيونهم واي نوع من القرار فان القلب اذا اطمأن بالشيء ورضي به لا يبقى للعين طموح والتفات الى غيره فتقر الجوهر من القرار الذي هو الاستقرار فيه تقول منه قررت بالمكان بالكسر اقر قرارا وقررت ايضا بالفتح اقر قرارا وقرورا وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر نقيض سخنت واقر الله تعالى عينه اي اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال حتى تبرد ولا تسخن فان للسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة فالقرة بالضم البرودة والقر بالضم البرد ويوم قر وليلة قرة اي باردة والقرتان الغداة والعشي **قوله** عليه الصلاة والسلام بله ما اطلعتم عليه من جملة قوله عليه الصلاة والسلام حكاية عن الله تعالى وبله اسم فعل بمعنى دع واترك **قوله** وقرأ حمزة ويعقوب اخفي بضم الهمزة وسكون الياء على لفظ المضارع المرفوع المسند الى ضمير المتكلم وحده وقرئ نخفي بضم النون العظمة وقرئ اخفي ماضيا مبنيا للفاعل وهو الله تعالى وقراءة العامة اخفي على لفظ الماضي المبني للمفعول ومن ثمة فتحت ياؤه وقراءة الجمهور قرة اعين بافراد قرة لكونها مصدرا والمصدر اسم جنس والاصل فيه ان لا يجمع وقرئ قرات اعين على لفظ الجمع بالالف والتاء على ان يراد بالقرة نوع من القرار **قوله** وما موصولة والمعنى فلا تعلم نفس الشيء الذي اخفي لهم وقرة حال من ما واستفهامية فعلى قراءة من قرأ ما بعدها فعلا ماضيا يكون ما في محل الرفع بالابتداء والفعل الذي بعدها الخبر وعلى قراءة من قرأ مضارعا يكون مفعولا مقدما **قوله** جزاء اي جزوا جزاء يعني ان جزاء منصوب اما على انه مصدر لفعله المحذوف واما على انه مفعول له لقوله اخفي فان اخفاء الجزاء عن الاعين والاسماع والقلوب لعلو شأنه فكأنه قيل فلا تعلم نفس ان ثواب عظيم اعد لهم جزاء بقي الكلام في ان الثواب كيف يكون جزاء لعمل العبد مع ان اخلاص العمل لله عز وجل جزاء للنعم الواصلة منه تعالى اليه قبل العمل كالتخليق والترزيق وغيرهما والثواب الواصل منه تعالى اليه بعد العمل انما هو تفضل محض وعطية مبتدأة وليس جزاء للعمل السابق الا انه تعالى سماه جزاء تشبيها له بالجزاء في وقوعه بعد العمل اظهارا للكرم وسبق رحمته حيث لم يعتد بما انعم به عليه سابقا ولم يطلب من العبد ان يشكره

بمقابلة ذلك جميعه تفضلا محضا بلا عوض اجرا او الثواب بمقابلة احسان العبد وقال له كلما عملت حسنة اعطيتك
لك اجرا وثوابا ثم اذا عرف هذا من فضل الله تعالى وكرمه فالواجب من جانب العبد ان يقول فعلي جزاء نعم الله تعالى السابقة والانعام
بجزاء فاذا اثابه الله تعالى يقول الذي اثيب به كان جزاء وهذا ابتداء احسان من الله تعالى يستحق بذلك ثناء وشكرا فيأتي بمقابلة
حسنة وطاعة فيقول الله بمقتضى فضله وكرمه الى احسنت اليه جزاء فعله الاول وما فعلته اولا انما فعلته تفضلا لا
اطلب شكره فيجازيه ثانيا فيشكر العبد ثانيا فيجازيه ثالثا فيشكر العبد ثالثا فيجازيه رابعا وعلى هذا لا ينقطع المعاملة
مع الرب والعبد ثم انه تعالى لما بين فضاعة المجرمين ونكس رؤسهم في موقف الحساب ووصف ثواب المؤمنين و
ما اخفي لهم من قرة اعين قال افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ثم صرح بانهما لا يستويان ثم فصل طريق امتياز
احدهما عن الآخر بقوله اما الذين آمنوا الآية والنزل ما عد للنازل من طعام وشراب وصلة وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف قال الشاعر ٭ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ٭ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ٭ وقوله تعالى
في حق المؤمنين لهم بلام التمليك زيادة اكرام لهم لان من قال لغيره اسكن هذه الدار يكون محمولا على العارية وله
استرداده واذا قال له هذه الدار لك يكون محمولا على نسبة الملكية اليه وليس له استرداده الا يرى انه تعالى لما قال
لآدم اسكن انت وزوجك الجنة اخرجهما منها ولو قال لكما الجنة لما اخرجهما ولما لم يكن للمؤمنين الخروج من
الجنة في الآخرة قال لكم الجنة ولهم جنات ثم انه تعالى لما هددهم بالعذاب الاكبر الذي هو النار اوعدهم بعذاب الدنيا
ايضا فقال ولنذيقنهم من العذاب الادنى اي الاقرب فان عذاب الدنيا قريب دون العذاب الاكبر يعني قبيل عذاب الآخرة
الذي هو اكبر من عذاب الدنيا لكونه اشد وابدا بخلاف عذاب الدنيا قوله فنزلت هذه الآيات من قوله افمن كان
مؤمنا كمن كان فاسقا قال الوليد بن عقبة لعلي رضي الله عنه تهددني فوالله اني لاحد منك سنانا وانشط منك جنانا وابسط
منك لسانا واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي رضي الله عنه اسكت يا فاسق فانزل الله تعالى هذه الآيات تصديقا لعلي رضي الله عنه فان قيل
ما وجه الترجي المستفاد من قوله تعالى لعلهم يرجعون والترجي محال على الله تعالى فالجواب ان المعنى ولنذيقنهم اذاقة من يرجو
رجوعهم الى الايمان كما ان قوله انا نسيناكم معناه تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت اليه اصلا ويجوز ان يكون المعنى
ولنذيقنهم العذاب اذاقة يقول من رآه لعلهم يرجعون بسببه ثم انه تعالى لما هدد الفاسقين واوعدهم بعذاب
الدارين بين استحقاقهم لذلك بقوله ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فان مجرمي مكة قد ذكروا بمواعظ القرآن ولم يتفكروا
فيها ولم يؤمنوا بها فلا احد اظلم منهم فاستحقوا بذلك لان ينتقم منهم قوله بعد التذكير ظرف الاعراض وقوله عقلا
متعلق بالاستبعاد في منزله والغمار الكربة الشديدة التي تغطي اهلها والمراد بها ههنا شدة اقتحام الحرب او لا
يكشف الامر العظيم الا رجل كريم يرى غمرات الموت ثم يتوسطها وانما قال ابن حرة ليهيجه ويحرضه على الزيادة والمعنى
ان زيادة غمرات الموت بعد رؤيتها مستبعدة مستنكرة في العقل والعادة وهو مع ذلك يزورها بعد استيقانه
بانها غمرات الموت والزيادة بعد اليقين مما يستبعد وفي ايثار لفظ الزيارة اشعار بانه يلاقيها لقاء المعظم
لمحبوبه مبالغة على مبالغة حيث جعل ثم للاستبعاد لا للتراخي اذ زمانا فظاهر لانه لا وجه لان يتاتى في مقام المدح

انه

اي نزل بنا ضيفا القنا جمع قناة وهي الرمح والمراد بالمرهفات السيوف المحددة منه

وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوا انزالا منه

الحشو ما يحشى به الشيء وهو تمييز من فعله والكثيرة الاتباع في خلال العسكر منه

جمع غمرة بالضم وهي الهلكة وغمرة الطريق معظمه منه

انه يرى غمرات الموت ثم يمكث زمانا طويلا متفكرا ثم يزورها لانه ذم له واما رقبة فلانه لا يستقيم ان يقال ان
الاعراض ارفع درجة من التذكير وكذا لا يصح ان يقال في البيت ان الزيارة ارفع رتبة من رؤية غمرات الموت قوله
من لقائه الكتاب على ان اللقاء مصدر اضيف الى مفعوله والمقصود تقرير رسالته عليه الصلوة والسلام وتحقيق
ان ما معه من الكتاب وحي سماوي وكتاب الهي لا كما زعمه المشركون من ان البشر لا يوحى اليه ولا يتلقى الكتاب
من لدن حكيم عليم كانه قيل لست بدعا من رسول الله اوتي الكتاب الا ترى الى موسى عليه الصلوة والسلام قد بعث رسولا
واوتي الكتاب وهو بشر مثلك فلا تشك في كونك رسولا مؤيدا بالكتاب السماوي فانه تعالى لما قرر الاصول الثلثة
الرسالة والتوحيد والحشر عاد الى الاصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكور في قوله التنزيل [illegible] من تقرير
الآدم من الناس الاسمر والطوال بالضم الطويل يقال رجل جعد لمن يكن شعره مسترسلا وشعر سبط وسبط اذا
مسترسل غير جعد وازد شنوءة حي من احياء اليمن وكانت الجعودة غالبة فيهم او ران التورية انما جعلت
هدى لبني اسرائيل خاصة دون بني اسمعيل ولما اشار اليه بقوله وجعلنا منهم ائمة يهدون الى ان منهم من
لم يهتد به فضلا عن ان يهدي الناس الى ما فيه قال ان ربك هو يفصل بينهم ثم انه تعالى لما اعاد ذكر الرسالة
بقوله ولقد آتينا موسى الكتاب اعاد ذكر التوحيد بقوله او لم يهد لهم الآية اي الم يبين ولم يظهر لاهل مكة كثرة من اهلكنا
هم من القرون الماضية لما ان مخالفة الرسول يؤدي الى الهلاك العاجل وان اتباعه فيما دعا اليه من التوحيد والطاعة
واجب على الامة وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من ضمير لهم ثم انه تعالى لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر
بقوله ويقولون متى هذا الفتح والمراد بالفتح اما القضاء والفصل بالحكومة بين المحق والمبطل واما نصر المؤمنين
واظهارهم على الكفار فان المؤمنين كانوا يقولون يبعث الله الخلايق اجمعين ويحكم بين المطيع والعاصي
فيثيب المطيع ويعاقب العاصي فيقولون متى هذا الفتح والحكم وكذا كان المؤمنون يقولون ان الله تعالى سيفتح لنا
على المشركين ويظهر دين الاسلام وينصرنا الله تعالى ويظهرنا عليكم فقالوا متى هذا الفتح والنصرة وقيل المراد به يوم
فتح مكة وقيل يوم بدر وقد قتل بعض من بني كنانة يوم فتح مكة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه وقوله لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ظاهر
على تقدير ان يراد بيوم الفتح يوم القيمة لان الايمان المقبول هو الذي يكون في دار الدنيا لا يقبل بعد خروجهم منها ولا ينظرون
اي لا يمهلون بالاعادة الى الدنيا ليؤمنوا فيقبل ايمانهم ومن حمل يوم الفتح على يوم بدر او يوم فتح مكة قال معناه
لا ينفع الذين كفروا ايمانهم اذا جاءهم العذاب وقتلوا لان ايمانهم حال القتل ايمان اضطرار وقد قال الله تعالى فلم
يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولا هم ينظرون اي يمهلون بتأخير العذاب عنهم ولما فتحت مكة هرب قوم من بني
كنانة فلحقهم خالد بن الوليد فاظهروا الاسلام فلم يقبل منهم خالد وقتلهم فذلك قوله تعالى لا ينفع الذين كفروا ايمانهم
والله تعالى اعلم قوله وانطباقه جوابا مبتدأ ومن حيث المعنى خبره يعني انهم سألوا عن وقت الفتح وقوله تعالى قل يوم الفتح لا ينفع
الذين كفروا ايمانهم لا يطابق ظاهر السؤال لكنه مطابق لمعنى سؤالهم وما ارادوه منه فانهم ارادوا به استعجال الفتح
تكذيبا له واستهزاء فاجيبوا بان قيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزؤوا فانه في وقعه ما يسوؤكم ويجعلكم نادمين تحت

اي اعاده على وجه يتضمن تحقيق الرسالة وهو عيد لمن يكذب الرسول فلذلك قال الا يابه [illegible] منه

فعل الهداية اما من حيث نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول المراد انتفاء [illegible] واما بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا ان الفعل ولم يفعل الهداية بهم [illegible]

فان الفتح الحكم والقضاء والفتاح الحاكم قال تعالى ربنا افتح بيننا اي احكم [illegible] الحكومة منه

فعند ذلك لم ينفعه ايمانه كفرعون حالة الغرق منه

استجيب له والشهداء به قوله تعالى فاعرض عنهم معطوف على قوله قل يوم الفتح فانهم لما كذبوا ما اخبروا به من نصرة المؤمنين عليهم
او من حشر الخلايق اجمعين والحكم بينهم بتمييز المحق من المبطل ومجازاته كل واحد منهما على حسب حاله واستعجلوه على سبيل
الاستهزاء قال تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام اجبهم بان تقول لهم لا تستعجلوه فانه واقع وقوعه ضررا عظيما لكم ثم اعرض عنهم
وانتظر وقوع ما اخبروا به من النصر والفصل بالحكومة وقرأ العامة انهم منتظرون بكسر الظاء على لفظ اسم الفاعل
وقرئ منتظرون بفتح الظاء روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلوة الفجر يوم الجمعة
الم تنزيل وهل اتى على الانسان تم ههنا ما يتعلق بسورة الم تنزيل السجدة والآن اوان الشروع بما يتعلق بسورة الا
حزاب والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده

سورة الاحزاب مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** وتخييبا لشان التقوى فان تعظيم المنادى ذريعة الى تعظيم شان المنادى له **قوله**
والمراد به الامر بالثبات عليه جواب عما يقال المشتغل بالشيء لا يؤمر به فلا يقال للجالس مثلا اجلس فكيف امره عليه
الصلوة والسلام بالتقوى وهو مشتغل به وتقرير الجواب ان المشتغل بالشيء اذا امر به لا يكون المطلوب احداث اصل الفعل
لانه طلب تحصيل الحاصل بل يكون المطلوب الثبات عليه بالجد والاهتمام وعدم الميل الى ما ينافيه والموادعة المصالحة
وترك الحرب روي في نزول هذه الآية ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي واسمه عمرو بن ا
سفيان قدموا المدينة بعد قتال احد فنزلوا على عبد الله بن ابي رأس المنافقين وجد بن قيس وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعطاهم الامان على ان يكلموه فكلموه ما شق ذلك عليه فقال عمر رضي ائذن لي يا رسول الله في قتلهم فقال عليه
الصلوة والسلام قد اعطيتهم الامان فاخرجهم من المدينة فقال لهم عمر رضي اخرجوا منها في لعنة الله وغضبه فانزل
الله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين اي من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة **قوله** وقرأ ابو عمرو بيا الغيبة
والباقون بتاء الخطاب لقوله تعالى يا ايها النبي لان المراد هو وامته او خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كما في قوله فان تنتم حرمت
النساء سوا كم **قوله** لان القلب معدن الروح الحيواني المتعلق للنفس الانساني الروح الحيواني هو البخار اللطيف
المتكون من غليان الدم الحاصل في جوف اللحم الصنوبري المثبت في الجانب الايسر منه وينفصل من هذا البخار قسم
ويتوجه الى جانب الكبد وذلك القسم يسمى روحا طبيعيا ويتعلق به احوال المعدة وطبخ الاغذية والافعال النباتية
وقسم آخر يتصاعد الى الدماغ بواسطة الشرائين ويسمى روحا نفسانيا ويتعلق به الافعال الحيوانية وهذا
القسم لغاية لطافته يسري الى جميع اطراف البدن وعروقه واعصابه ويتعلق به النفس الناطقة الانسانية اولا وبواسطته
تتعلق بالبدن **قوله** وذلك يمنع التعدد اي وكون القلب معدنا للروح الحيواني ومنبع القوى باسرها يمنع تعدد القلب
من حيث ان تعدده يستلزم التناقض وهو ان يكون كل واحد منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لها كما ان تعدد العلة التامة
يستلزم ذلك بان يكون كل واحد منهما محتاجا اليه ومستغنى عنه فان كون كل واحد منهما قلبا يستلزم كونه اصلا
لساير القوى وكون الآخر قلبا يستلزم ان لا يكون الاول اصلا له كما ان كون احد العلتين علة تامة يستلزم كونها محتاجا
اليه وكون الآخر كذلك يستلزم كون الاول مستغنى عنها هذا على تقدير ان يفعل بكل واحد منهما مثل ما يفعله بالآخر واما

فعلى تجويز التغيير لا وجه للاثنينية لان فيسوء بانه السبق اولا فانه فيهما معه

عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال والذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي رضي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما ما يحكى انه كانت الآيات في صحيفة في بيت عائشة رضي فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة والروافض كشاف

وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم على النفاق فكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنهم وكان يسمع منهم فنزلت كشاف

وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع الى دينهم ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة ابنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت كشاف

واما ان فعل باحدهما غير ما يفعله بالآخر فحينئذ يلزم ان يكون الانسان في حالة كاره له موقنا شاكا في حالة واحدة وهو
محال **قوله** ولا الدعوة والبنوة الدعوة بفتح الدال مصدر يراد به الدعا الى الطعام وبكسر يستعمل في التبني وادعا النسب
والادعيا جمع دعي بمعنى مدعو فعيل بمعنى مفعول واصله دعيو فادغم وجمع على ادعيا على خلاف الاصل لان افعلاء انما يكون جمعا
لفعيل المعتل باللام اذا كان بمعنى فاعل نحو تقي واتقياء وغني واغنياء وهذا وان كان فعيلا معتل اللام الا انه بمعنى مفعول
فكان القياس ان يجمع على فعلى كقتيل وقتلى وجريح وجرحى ونظير هذا في الشذوذ قولهم اسير واسراء والقياس اسرى
وقد سمع فيه الاصل فقوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم معناه ما جعل من تبنيتموهم ابناءكم نسخ الله تعالى به التبني
وكان الرجل في الجاهلية يتبنى رجلا فيدعوه الناس ابنه ويرث ميراثه وكان عليه الصلوة والسلام اعتق زيد بن
حارثة وتبناه فلما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ام المؤمنين زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة
قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية ونسخ التبني بها واللب
العقل واللبيب العاقل وكذا الاريب من الارب وهو الدهاء وجودة الرأي وكان كل واحد من ابي معمر وجميل رجلا لبيبا
حافظا لما يسمعه من الوقايع مكثر الرواية الحوادث الماضية وكان لا يتحير في طريق من طريق البلدان النائية الا
يعرفها بعد سنين متطاولة وكانت قريش تقول في حقهما انهما ما يحفظان هذه الاشياء الا ولهما قلبان وكانا
يدعيان ذلك وكان ابو معمر يقول لي قلبان اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه انهزم يوم
بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ابو سفيان ما فعل الناس فقال هم ما بين
مقتول وهارب فقال ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فعلم الناس يومئذ انه لو كان
له قلبان لما نسي نعله في يده فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضرب به مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس رضي كان المنافقون
يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في صلوته فقال اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب معكم وعن الحسن
نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني **قوله** والزوجة المظاهر عنها منصوب بالعطف على اللبيب اي وما جعل
ان الزوجة المظاهر عنها كالام وان دعي الرجل ابنه وكان الظهار طلاقا في الجاهلية وكان يتجنبون المرأة المظاهر
منها تجنب المطلقة فرد الله تعالى ما زعمه العرب من كونه طلاقا مزيلا للنكاح الا انه قرر كونه موجبا لاصل الحرمة وجعل
تلك الحرمة موقتة الى اداء الكفارة كما يجيء في سورة المجادلة من انه تعالى نهى عن الظهار وجعله منكرا من القول وزورا
واوجب الكفارة على من ظاهر من امرأته **قوله** او المراد نفي الامومة الخ عطف على قوله والمراد رد ما كانت العرب عليه
يعني ان المراد من الآية اما نفي كل واحد من الامور الثلثة التي زعمها العرب او نفي الاخيرين منها ونفي الاول انما هو لبناء
عليه انتفاؤهما من حيث اشتراك الجميع في كونه نفولا محضا لا حقيقة له **قوله** وقرأ ابو عمرو والبزي اللاي يعني ان جمع
قولنا التي فيه ثلث لغات قرئ بهن فقرأ الكوفيون وابن عامر اللائي ههنا وفي سورة الطلاق بياء ساكنة بعد همزة
مكسورة وهو الاصل في هذه اللفظة وقرأ ابو عمرو والبزي بياء ساكنة بعد الف محضة اصله اللائي فحذفت الهمزة
تخفيفا فبقيت الياء ساكنة ومن قرأ بهمزة مكسورة بدون الياء حذف الياء اكتفاء بالكسرة **قوله** واصل تظهرون

الدعي من يدعى النسب الى اب غير ابيه سعد

بفتح التاء والظاء والهاء وبغير الف بينهما فانها قراءة الجمهور واصله تتظهرون بتائين فادغمت الثانية في الظاء
كما في تذكرون وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء والهاء وتشديد الظاء بعدها الالف مضارع تظاهر واصله تتظاهرون
بتائين فادغمت الثانية وكذا في الماضي الا انه اتى بهمزة الوصل بعد الادغام فيه ليمكن الابتداء فصار اظاهر
وحمزة والكسائي تظاهرون بتخفيف الظاء والاصل ايضا تتظاهرون بتائين حذفت احديهما وعاصم تظاهرون
بضم التاء وكسر الهاء وتخفيف الظاء والالف بعدها مضارع ظاهر وقرئ تظهرون بضم التاء بضم التاء وفتح الظاء
المخففة وتشديد الهاء المكسورة مضارع ظهر بتضعيف العين وقرئ تظهرون بفتح التاء والهاء وسكون الظاء مضارع
ظهر مخففا ثلاثيا وقوله من الظهر بيان لكون البناء ماخوذا من الفعل الثلاثي ببيان مصدره وليس المقصود
ان من قرأ تظهرون منهن يجعله ماخوذا من الظهر لتصريحه بان الافعال المستعملة في الظاهر كلها ماخوذة من
الظهر على طريق اخذ اللفظ من لفظ آخر كما يقال لبى المحرم بمعنى قال لبيك وامن بمعنى قال آمين وسبحان قال سبحان
الله وان كان الاصل والاكثر في الاستعمال ان يعبر بالالفاظ عن المعاني لا عن اللفظ ومدلول نحو قولك اظهر واظاهر و
ظاهر وتظاهر وظهر وظهر كلها الفاظ فامعنى الجميع انه قال لزوجته انت علي كظهر امي **قوله** كما عدي آلى بها
وهو بمعنى حلف وحلف لا يتعدى بمن الا انه لما تضمن معنى التجنب من قربان زوجته في مدة الايلاء عدي بمن
قوله وذكر الظهر للكناية عن البطن يعني ان قصد المظاهر ان يحرم عليه قربان امرأته بتشبيه قربانها بقربان
امه والمرأة انما يؤتى بها من قبل بطنها فكان الظاهر ان يقول المظاهر انت علي كبطن امي في الحرمة الا انه كنى عن
البطن بالظهر احترازا عن ذكر البطن الذي ذكره قريب من ذكر الفرج ووجه الكناية التي هي ذكر اللازم وارادة
الملزوم كون الظهر عمود البطن والازم له في قيامه واستمساكه **قوله** او للتغليظ في التحريم فان قربان الام
من جانب ظهرها لما كان اغلظ في الحرمة كان تشبيه الزوجة بظهر الام اغلظ في تحريمها عليه وكان اهل المدينة
يقولون اذا اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول **قوله** اشارة الى كل ما ذكر اذ يصدق على كل واحد
منها انه قول بالنم تحسب اذ ليس منها اخبار عن الواقع فيكون من قبيل اصوات الحيوانات من حيث ان يشاء منها ليس
حكاية عن الواقع والله يقول الحق اي يقول القول المطابق للواقع وهو يهدي السبيل الحق ثم افرد من جملة اقواله الحقة ما
هو المناسب لهذا المقام فقال ادعوهم لآبائهم وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يدعون زيد
بن محمد الى ان نزل هذه الآية فلما نزلت قالوا زيد بن حارثة **قوله** ولكن الجناح فيما تعمدت يعني ان كلمة ما يجوز
فيه وجهان احدهما ان يكون مجرورة المحل عطفا على ما المجرورة قبلها بفي والتقدير ولكن الجناح فيما تعمدت
والثاني ان يكون مرفوعة المحل على الابتداء وخبره محذوف **قوله** لعفوه عن المخطئ علة لكونه تعالى رحيما للمخطئ
في مغفرته فان المغفرة هي ان يستر القادر قبيح من تحت قدرته حتى ان العبد اذا ستر عيب سيده مخافة عقابه
لا يقال انه غفر لسيده والرحمة ان يميل الى المرحوم بالاحسان اليه لمجرد عجز المرحوم من غير توقع عوض من قبله
فاذا ذكرت المغفرة قبل الرحمة يكون المعنى انه ستر عيبه ثم رآه مفلسا عاجزا فرحمه واعطاه ما كفاه ولما
كان

مضارع تظهرت النساء افعل تظهر فصار يظهر بفتح الظاء والهاء المشددتين وياء الاظهر مضارع اظهر بتشديد الظاء الاظهر واوصل
بهمزة الوصل سل

ولما كان هذا المعنى غير مناسب في هذا المقام اذ لا وجه لان يحمل الكلام على انه تعالى يغفو للمخطئ ثم يتفضل عليه بعد ستر خطئه
بالاحسان الزائد على المغفرة فلذلك جعل ذكر الرحمة للاشارة الى علة عفوه عن المخطئ وهي الاحسان اليه بناء على عجزه عن الاحتراز
عما ارتكبه لنسيانه او سبق لسانه **قوله** وعند ابي حنيفة رح يوجب عتق مملوكه سواء كان المملوك معروف النسب
او مجهوله وسواء كان اصغر سنا من المتبنى بحيث يولد مثله لمثله او لا وعند صاحبيه لا يعتق اذا كان المملوك اكبر سنا من
المتبنى وهو وافق الشافعي في هذه المسئلة **قوله** منزلات منزلتهن يعني انه من باب التشبيه البليغ حذف فيه اداة التشبيه
للمبالغة ووجه الشبه وجوب تعظيمهن وحرمة نكاحهن قال تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن فيما وراء
ذلك كالاجانب وليس المراد التشبيه في جميع احكام الامهات الا يرى ان النظر اليهن والخلوة بهن حرام كما في الاجانب قال تعالى
فان سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء الحجاب ولا يقال لبناتهن اخوات المؤمنين الا يرى انه صلى الله عليه وسلم
زوج بناته العلي وذي النورين رض ولا يقال ايضا لاخوتهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالاتهم حتى تزوج الزبير
اسماء بنت ابي بكر رض وهي اخت ام المؤمنين عائشة رض وهذا ما روي مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا امه
فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم تريد ان معنى الآية التشبيه في بعض الاحكام وكونهن محرمات على الرجال
كحرمة امهاتهم **قوله** وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام وهو ان يكون التوارث مبنيا على كون المتوارثين متوافقين
في الهجرة او في التعاون والتناصر في الدين فمن وجد فيه هذه الصفة وان كان من الاجانب يرجح على القريب
المؤمن الذي لم يوجد فيه هذه الصفة ويقصد بذلك تأليف قلوبهم على التناصر في الدين وتحمل مشاق الهجرة
كما تألف قلوب قوم باعطائهم سهما من الصدقات ثم نسخ ذلك بقوة الاسلام وكثرة اهله كان الناس في اول الاسلام يتوارثون
بالهجرة لكونها من اكد اسباب الديانة وبالمواخاة اذ هي اجتماع على نصرة دين الله تعالى ثم بعد ذلك توارثوا بالايمان مع
القرابة لكون ذلك اجتماعا على نصرة الدين بجمع الله تعالى **قوله** او فيما فرض الله تعالى على ان الكتاب مصدر بمعنى المكتوب
وهو المفروض من كتب اذا فرض واوجب الجوهري الكتاب الفرض والحكم والقدر قال الله تعالى كتاب الله عليكم اي فرض
الله عليكم فرضا وقوله في كتاب الله يجوز ان يتعلق باولى لان افعل التفضيل يعمل في الظرف ويجوز ان يتعلق بمحذوف
على انها حال من الضمير في اولى والعامل فيها اولى وقوله من المؤمنين يجوز فيه وجهان احدهما ان يكون كلمة من فيه بيانية جيء بها
بيانا لاولي الارحام والمعنى واولو الارحام الذين هم المؤمنون والمهاجرون اولى بالميراث من الاجانب فيكون صلة افعل
محذوفا وثانيهما ان من فيه التي تجر المفضول كالتي في قولك زيد افضل من عمرو والمعنى واولو الارحام اولى بالميراث من المؤمنين
والمهاجرين الاجانب وقوله الا ان تفعلوا يجوز ان يكون استثناء متصلا بان يكون استثناء من اعم ما يقدر الاولوية
فيه من النفع كانه قيل القريب اولى من الاجنبي في كل نفع من ميراث وهبة وصدقة وهدية ونحو ذلك الا في الوصية فان المراد
بالمعروف هنا الوصية فالاجنبي احق بالوصية من القريب فان القريب لا يستحق شيئا من تركة الميت بجهة الوصية وانما
يستحقه بجهة الارث وذلك ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالولاية في الدين بالهجرة اباح ان يوصى للذين يتولونه ما احب
من الثلث ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بناء على ان المراد بما فيه الاولوية هو التوارث فيكون الاستثناء من خلاف الجنس

فان قلت وجد النسخ فما حكمه قلت
اذا كان المتبنى مجهول النسب واصغر سنا
منه ثبت نسبه وان كان عبدا له
عتق مع ثبوت النسب وان كان لا يولد
مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق
عند ابي حنيفة وعند صاحبيه لا يعتق وان
كان معروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني
وان كان عبدا عتق كش ف

المدلول عليه بنحو الكلام ومعناه كانه قيل لا تورثوا غير اولى الارحام لكن فعلكم الى اوليائكم معروفا جائز وهو ان توصوا
لمن احببتم من هولا بشي فيكون له ذلك بالوصية لا بالميراث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسندوا وتزلوا وفي الحديث
من ازلت اليه نعمة فليشكرها **قوله** كان ما ذكر في الآيتين جعل ذلك الاشارة الى نسخ ما ذكر في قوله تعالى ادعوهم لابائهم
في قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم تخفيفا وتقرير المقصود ولو جعل اشارة الى نسخ التوارث بالهجرة والولاية
وجعله منوطا بالرحم والقرابة لكان له وجه ظاهر ثم انه تعالى لما اكد ما ذكره في الآيتين ذكر ان المقصود من بعثة الانبياء
عليهم الصلوة والسلام واخذ عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم ان يسال الصادقين عن صدقهم
والكاذبين عن كذبهم فيجازي كل فريق بما يستحقه لتحريض المكلفين على قبول احكامه فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
والمراد بالميثاق الماخوذ منهم ارسالهم وامرهم بتبليغ ما اوحى اليهم اخذ كل واحد منهم عهده بذلك حين ارسله
ليسال الصادقين اي الانبياء الذين صدقوا الله تعالى في عهدهم وجعل المسئول عنه ما قالوه لقومهم او تصديق القوم
اياهم **قوله** لانهم مشاهير ارباب الشرائع وآدم عليه الصلوة والسلام وان كان اقدم الانبياء الا ان المقصود الاول
من خلقه عمارة الدنيا ببث الاولاد فيها ونبوته كان من قبيل ارشاد الاباء الاولاد الى التوحيد وحسن المعاشرة ولهذا
لم يكن في زمانه اهلاك قوم ولا تعذيب بخلاف الانبياء المذكورين في الآية فانهم اصحاب الكتب والشرائع واولو العزم من
الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلوة والسلام كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث **قوله**
تبكيتا لهم مفعول له لقوله ليسال الله تعالى الانبياء يعني ان الحكمة في السوال انه تعالى عالم بانهم صدقوا الله تعالى فيما عاهدوا
عليه وبالذي اجابه به قومهم تبكيت قومهم وفسره ثانيا بالمصدقين لهم وبين انهم انما سموا صادقين لان من قال
للصادق صدقت كان صادقا في قوله وفسره ثالثا بالمؤمنين وبين انهم سموا صادقين لانهم صدقوا عهدهم
اي صدقوا الله تعالى في عهدهم بحذف الجار كما في قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا اي في الرؤيا وجعل المسئول عنه
صدقهم في عهدهم وشهادتهم التي صدرت عنهم حين اشهدهم على انفسهم فان قوله بلى شهادة منهم على ربوبية
الله تعالى وعهد منهم على الثبات عليها يسالهم الله تعالى عن صدقهم ليدعوا انهم صدقوا فيشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا
عهدهم وشهادتهم فيتبين صدقهم على رؤس الاشهاد فيفوزوا بسعادة الابد ولما كان اخذ ميثاق الانبياء مؤديا
الى سوال المؤمنين عن صدقهم في عهدهم وكان ذلك السوال مؤديا الى تبيين صدقهم بين اهل الموقف وكان
تبين ذلك مستلزما لحكم الوعد الالهي باثابتهم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب البشر كان
خلاصة الكلام ومدلوله اخذنا منهم ميثاقهم ليسال عن صدق المؤمنين فيتبين صدقهم فلما تبين ذلك
اثاب المؤمنين واعد للكافرين فهذا معنى قوله المص قوله تعالى واعد عطف على ما دل عليه ليسال وكان اصل
الكلام اخذنا ميثاقهم ليسال المؤمنين عن صدقهم والكافرين عن تكذيبهم فاستغني عن الثاني بذكر مسببه وهو
قوله واعد فان سوال كل واحد من الفريقين سبب لتبيين حاله على رؤس الاشهاد المستلزم لاثابة احدهما و
تعذيب الاخر **قوله** عطف على اخذنا اي على ما دل عليه اخذنا فان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم بتبليغ الرسالة
الى الامم

الى الامم ودعوتهم الى الدين القويم انما هو لاثابة المؤمنين فكانه قيل ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاثابة
المؤمنين واعد للكافرين **قوله** وكانوا زهاء اثني عشر الفا حضروها لما ذكر الله تعالى في اول السورة قوله ولا تطع
الكافرين والمنافقين وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ذكر شان الكافرين والمنافقين مع اهل الاسلام مما
يدل على وجوب التوكل على الله تعالى وكفايته وكيلا في الامور كلها فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وذكر النعمة
شكرها وغطفان ابو قبيلة وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان وقيس ابو قبيلة من مضر وهو قيس عيلان والصبا ريح
يجي من قبل المشرق والدبور من قبل المغرب والنبل السهام العربية وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها **قوله** فاخصرتهم اي
ابردتهم والخصر بالتحريك البرد وقد خصر الرجل اذا آلمه البرد في اطرافه وسفت التراب سفيا اي ذرته وطرته والذاريات
الرياح **قوله** فالنجاء اي الزموا النجاء من قولك نجوت نجاء اي اسرعت والهمزة فيه منقلبة عن الواو كما في كساء اقبلت
قريش ايام الخندق في عشرة آلاف من الاحابيش وهم الجماعة المتفرقة اجتمعوا على امر واحد من بني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان معهم في الف ومن تبعهم من اهل نجد وقائده عيينة بن حصين وعامر بن
الطفيل في هوازن ومعهم يهود قريظة والنضير وحين سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم اشار عليه سلمان
رض بحفر الخندق على المدينة ثم خرج في ثلثة آلاف من المسلمين وضرب معسكره والخندق بينه وبين العدو وامر بالذراري
والنساء الى الاطام واشتد الخوف ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل
الله النصر روي ان شابا قال لحذيفة بن اليمان رض يا ابا عبد الله هل رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اي
والله لقد رايته قال والله لو رايناه لحملناه على رقابنا وما تركناه يمشي على الارض فقال له حذيفة يا ابن اخي
افلا احدثك عنى وعنه قال بلى قال والله لو رايتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف ما لا يعلمه الا الله قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله تعالى رفيقا لي في الجنة
فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع ثم صلى ما شاء الله ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله
تعالى رفيقي في الجنة فقال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعاني
فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك فقال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فاتيت القوم
وان ريح الله وجنوده تفعل بهم ما تفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر واني كذلك اذ خرج ابو سفيان
من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال الراوي يخوفهم ان يكون عليهم عيون من المسلمين قال حذيفة رض فضربت
بالذي الى جنبي فقلت من انت قال انا فلان ثم دعا ابو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش فوالله ما انتم بدار مقام والله
لقد هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شي ولا تثبت لنا نار ولا تطمئن قدر
فارتحلوا فاني مرتحل قال ثم عمد فركب راحلته وانها لمعقولة ما حل عقالها الا بعد ما ركبها قال فقلت في نفسي لو رميت عدو
الله فقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله
عليه الصلوة والسلام لا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فلما سمع حسي

فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل على طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته فقال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور فانهزموا بغير قتال وكفى الله المؤمنين القتال والحمد لله رب العالمين **قوله** الانواع من الظن يعني
الاصناف لا لجمع الظن لانه مصدر الا انه يجمع من حيث انه قصد به ظنون مختلفة ظن كل فريق على حسب اختلاف بينهم في قوة
وضعفا وتعريف الظنون يحتمل ان يكون للاستغراق مبالغة يعني يظنون كل ظن لان كل احد يظن شيئا عند اشتداد
الامر ويحتمل ان يكون للعهد ان ظنونهم المعهودة لان المعهود من المؤمن ظن الخير بالله تعالى كما قال عليه الصلوة والسلام ظنوا
بالله خيرا ومن الكافر الظن السوء قال تعالى ذلك ظن الذين كفروا **قوله** والالف مزيدة في امثاله كقوله واطعنا الرسولا
وقوله واضلونا السبيلا قرا نافع وابن عامر وابو بكر باثبات الالف فيها وصلا ووقفا موافقة للرسم لانهن رسمن في
المصحف بالالف وايضا فان هذه الالف تشبه هاء السكت في كونها مزيدة لبيان الحركة وهاء السكت تثبت وقفا للحاجة
اليها وقد تثبت وصلا اجراء للوصل مجرى الوقف فكذلك هذه الالف وقرا ابو عمرو وحمزة بحذفها في الحالين لانها لا
اصل لها والباقون باثباتها وقفا وحذفها وصلا اجراء للفواصل مجرى القوافي في ثبوت الف الاطلاق كما في قوله
اقلي اللوم عاذل والعتابا وقولي ان اصبت لقد اصابا فكما زادوا الالف في القافية زادوها في الفاصلة ايضا
تشبيها لرؤس الاي باواخر الابيات من حيث ان كل واحدة منهما ينقطع الكلام ولان هذه الالف كهاء السكت
وهي تثبت وقفا وتحذف وصلا فكذا الالف وقوله تعالى هنالك منصوب بابتلي اي في ذلك المكان البعيد وهو
الخندق وبعده كونه موضع الشدة والبلاء او في تلك الحال او الزمان على ان يكون هنالك ظرف زمان اختبر المؤمنون
اما الذين اظهروا الايمان ليتبين المخلص من المنافق والابتلاء من الله تعالى ليس لابانة الامر له بل لاظهاره لغيره
من الملائكة والانبياء كما ان السيد اذا علم من عبده المخالفة وعزم على معاقبته على تمرده وعصيانه وعنده
غيره فانه يامر ذلك العبد بامر بحضر من عنده عالما بانه يخالفه لكي يتبين الامر عند الغير فتقع المعاقبة على احسن
الوجوه حيث لا يذهب وهم احد انه ظلم عبده **قوله** ما هذا الا وعد غرور هو الاطماع فيما لا مطمع فيه وهذا
للظنون وبيان الظن من يرى كثرة العدو وضيق الامر بالمسلمين فيقول لو كان الله يريد ان ينصرهم لما بلغ الامر
هذا المبلغ بل الظاهر ان الاعداء يستاصلهم في هذا الموضع وما وعده الله تعالى ورسوله من نصرة المؤمنين و
اعلاء الدين وفتح مداين كسرى وقيصر ليس الا وعد غرور وكيف لا ونحن لا نامن ان نذهب الخلاء روي
انه عليه الصلوة والسلام ضرب بالمعول في الخندق ضربات اضاءت له منها قصور الشام واليمن والعراق فبشرهم
بانها ستفتح عليهم وهم حينئذ في جهد شديد وخوف عظيم فقال بعض من المنافقين يعدنا محمد بهذا ونحن لا
نستطيع ان نبرز الخلاء **قوله** ضعف اعتقاد اشارة الى ان الذين في قلوبهم مرض غير المنافقين لان المنافق
كافر لا اعتقاد له بخلاف الذين في قلوبهم مرض فانهم مؤمنون معتقدون الا انهم ضعاف القلوب واليقين
لا بصيرة لهم في الدين فالمؤمنون الذين اظهروا الايمان ثلثة اقسام المخلصون الثبت القلوب والمنافقون
قوله فارجعوا الى منازلكم هاربين وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مع اصحابه عام الخندق حتى

ان يتوجه الاعداء اليهم من كل جانب فقصد اهلاكهم بالكلية

فتنتج نذكر الله تعالى لانه عليه الصلوة و السلام كان بعد ذلك يمن الله تعالى فكان وعده وعد الله تعالى

حتى جعلوا ظهورهم الى سلع جبل بالمدينة والخندق بينهم وبين القوم فقال هؤلاء المنافقون الذين ينشوا عن نصرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم ههنا موضع قيام لكثرة العدو وغلبتهم فارجعوا الى منازلكم او لا مقام لكم على دين الاسلام فارجعوا
الى الشرك واسلموا الرسول الى صلى الله عليه وسلم اي اجعلوه مخذولا ليتال اسليه اي خذله او مقام لكم بيثرب ما دمتم على الاسلام
قوله واصلها الخلل الجوهري العورة كل خلل يتخوف منه في ثغر او حرب وعورات الجبال شقوقها والعورة صفة
مشبهة يقال عور المنزل يعور عورا وعورة فهو عور وبيوت عورة ومن سكن الواو فسره بذات عورة او جعله
تخفيف عورة **قوله** دخلت المدينة او بيوتهم وهم فيها من قولك دخلت على فلان داره فالرجل مدخول عليه والدار
مدخولة وهي في الحقيقة مدخول فيها لان الدار ونحوها من الظروف المحدودة لا تقبل النصب بتقدير في بل لا بد من التصريح
بكلمة في الا ان ما بعد دخلت حمل على المكان المبهم توسعا والمقصود ان دخلت فعل ماض مبني للمفعول والقائم
مقام الفاعل المستتر فيه راجع الى المدينة اي الى البيوت والاصح لو دخلت الاحزاب المدينة او البيوت عليهم ثم
وهم فيها الا انه حذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول للايماء بانه ليس المقصود بيان خصوص الفاعل بل المقصود
بيان الحكم المترتب على الدخول والفتنة هي الشرك الكون في قول الحسن كما في قوله تعالى حتى لا يكون فتنة والمعنى ولو دخلت البيوت
او المدينة من جميع نواحيها ثم سئل اهلها الفتنة لم يمتنعوا من اعطائها ولو كانوا على معاداة المشركين وموافقة المؤ
منين اعتقادا واخلاصا ولو كانوا استيذانهم لاجل الرجوع لحفظ البيوت لما ابوا عن المسارعة الى اجابة المشركين في
سؤال الارتداد والكفر بعد ما فات عنهم حفظ البيوت لان من جعل فعلا لغرض لا يفعله بعد فوت ذلك الغرض فلو كانوا صادقين
في قولهم ائذن لنا حتى نرجع عنك لحفظ بيوتنا لما رجعوا عنه بعد ما تسلطت الاحزاب على بيوتهم واخذوها منهم وليس كذلك
فانه لو دخلها الاحزاب واخذوها منهم لرجعوا عنك ايضا فليس رجوعهم عنك الا بسبب كفرهم وحبهم الفتنة **قوله**
ريثما يكون السؤال تفسير يسيرا ان مقدارا من الزمان يقع فيه السؤال والجواب وهو مصدر راث على خبرك يريث ريثا اي ابطا
وما مصدرية وكان تامة فالمعنى زمان حصول السؤال والجواب **قوله** من حتف انفه الحتف الموت يقال مات فلان حتف
انفه اذا مات من غير قتل ولا ضرب ولا يبنى منه فعل ثم انه تعالى لما هددهم بقوله وكان عهد الله مسؤلا اي مسؤلا عنه
اخبر ان الفرار لا يزيد في آجالهم وان الامور بمقدرة لا يمكن الفرار بما قدره الله تعالى لانه كائن لا محالة فيه وان فررتم
فتمتعتم بتاخر الاجل فليس ذلك لنفع الفرار في تاخره بل ذلك لعدم تمام المدة المقدرة للحيوة فلا تمتعون بعد الفرار الا
لاستيفاء مدة آجالكم وهي قليل لان ما هو ات قليل وما هو آت قريب **قوله** اي ان نفعكم الفرار اشارة الى ان في الكلام
حذفا وان اذا جواب وجزاء لذلك المحذوف ثم لما بين ان الفرار من قدر الله تعالى لا ينفع الفار علله بانه لا ينفذ
ارادته لا محالة فلا ينازعه احد في نفاذ ارادته فكيف ينفع الفرار فقال قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي من عذاب الله
والمعنى من ذا الذي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا كالهزيمة والمغلوبية او اراد بكم رحمة كالنصرة والغلبة ولما ورد
ان يقال عطف قوله او اراد بكم رحمة على قوله ان اراد بكم سوءا يستلزم ان يكون المعنى من ذا الذي يعصمكم من رحمة الله
ان اراد بكم رحمة والعصمة لا تكون من الرحمة ولا تكون الا من السوء اشار الى الجواب عنه بقوله اي او يصيبكم بسوء ان اراد بكم

رفع عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

على المنافقين

والمعنى لو كانت بيوتهم مختلفة بالكلية ودخلها كلها في ارادتهم ابطل الله عادة والفساد

رحمة يعني ان الكلام من قبيل ما حذف فيه المعطوف مع ابقاء العاطف كما في قوله يا ليت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا
اي وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلده المرء على نفسه واجاب ثانيا بانا سلمنا ان قوله او اراد بكم رحمة معطوف على المذكور
قبله لكن لا نم انه باطل لان المعنى من ذا الذي يمنعكم من الله ان اراد بكم سوءا او رحمة وقوله تعالى ولا يجدون من دون
الله وليا ولا نصيرا تقرير لقوله من ذا الذي يعصمكم من الله اي ليس لكم قريب ينفعكم ولا نصير ينصركم ويدفع عنكم السوء اذا اتاكم
ثم انه تعالى لما هدد المعوقين الذين يخوفون من كان في معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون ما محمد واصحابه
الا اكلة راس يبتلعهم ابو سفيان وحزبه بمرة فخلوه وتعالوا الينا بقال عاقه اذا صرفه عن الوجه الذي يريده ونقل
الى باب التفعيل للتكثير والتكثير وثبطه عن الامر اي شغله عنه قال مقاتل المعوقون هم المنافقون والقائلون هم اليهود
ارسلوا الى اخوانهم من المنافقين ايام الخندق يخوفونهم بابي سفيان ومن معه ويقولون لهم تعالوا الينا وما الذي
يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يبقوا منكم احدا وقيل المعوقون
طائفة من المنافقين والقائلون لاخوانهم طائفة اخرى منهم يخوف كل واحدة منهما المؤمنين من حرب ابي سفيان
واصحابه لكثرتهم وقلة المؤمنين وفي تقرير المص نوع اشارة الى ان المراد منهما طائفة واحدة من المنافقين وان عطف
احدهما على الاخر من قبيل عطف الصفات كما في نحو قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله من ساكني
المدينة بيان لقوله لاخوانهم يشير به الى الدلالة على ان المراد بالاخوة الاشتراك في سكنى المدينة والا فالمعوقون المنافقون
والمراد باخوانهم جماعة الانصار الذين هم بمعزل عن النفاق فانه قد روي ان عبد الله بن ابي واصحابه اقبلوا على المؤمنين
يعوقونهم بابي سفيان ومن معه قالوا لئن قدروا عليكم لم يبقوا منكم احدا ما ترجون من محمد ما عنده خير ما شانه الا
ان يقتلنا ههنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا
قوله وقد ذكر اصله في الانعام في تفسير قوله تعالى قل هلم شهداءكم اي احضروا وهو اسم فعل لا ينصرف عند اهل الحجاز وفعل
يؤنث ويجمع عند بني تميم فيقال للجماعة هلموا وللنساء هلممن واصله عند البصريين ها لم اي اقصد حذفت الالف
لتقدير السكون في اللام فانه الاصل فيها فان لم امر من لم اصله لم عند الكوفيين هل ام حذفت الهمزة بالقاء حركتها
على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في هذه الآية اي هلم شهداءكم لانه نصب مفعوله وهو شهداءكم اي
احضروهم ولازما كما في قوله هلم الينا اي احضروا وتعالوا هذا ما ذكره المص في سورة الانعام الا ان كلامه في هذه السورة
يدل على انه متعد في هذه السورة ايضا وحذف مفعوله وهو انفسكم قوله فانهم يعتذرون ويثبطون يعني ان هؤلاء
القائلين لاخوانهم لا يخرجون مع المؤمنين ولا ياتون موضع الحرب الا قليلا ويجمعون بين الوصفين ما امكن لهم
فهم يثبطون لغيرهم ويتخلفون في اكثر الاحوال بانفسهم ويتعللون في الاشتغال على القتال وقت حضورهم مع المؤمنين
قوله جمع شحيح على غير القياس لان قياس فعيل الذي بمعنى ولامه من جنس واحد ان يجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء وعزيز
واعزاء وشحيح واشحاء وقد سمع اشحاء وهو القياس لما وصفهم الله تعالى بالبخل وصفهم بالجبن ايضا فقال فاذا جاء الخوف
رايتهم ينظرون اليك فقوله ينظرون حال من مفعول رايتهم لان الرؤية بصرية وتدور اما حال ثانية واما حال
من فاعل

من فاعل ينظرون وقوله كالذي اما صفة بتقدير المضاف اما المصدر ينظرون او لمصدر تدور المحذوف اي ينظرون اليك
نظرا كائنا كنظر الذي او تدور اعينهم دورا كدوران عين الذي واما حال من فاعل ينظرون او من اعينهم اي مشبهين
بالذي او مشبهة بعين الذي قرب من حالة الموت وغشيته سكراته فيذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذلك هؤلاء
تشخص ابصارهم وتجاور اعينهم لا يلتجئهم من الخوف وينظرون اليك بهذه الهيئة قوله لواذا بك اي التجاء بك وعياذا
يقال لاذ به اي لجأ اليه وعاذ به قوله ضربوكم اي آذوكم ورموكم في حالة الامن وبالغوا فيكم في الكلام بعد ان كانوا اجبانا
معتقلا السنتهم بالخوف والحداد جمع حديد يقال سلقه بالكلام سلقا اذا آذاه وهو شدة القول باللسان والذرب الحاد
من كل شيء وعن قتادة قال يبسطون السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا فانا شهدنا معكم القتال وبنا
غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ولستم باحق بالغنيمة منا فهم عند قسمة الغنيمة اشح قوم واعظم الناس واجبن قوم
قوله لان كلا منهما شيء من وجه فان المراد بالاول الشح بمعاونة المؤمنين ونصرتهم او الشح بالانفاق في سبيل الله
او بظفر المؤمنين وبالثاني الشح على الحران المال والغنيمة والشح حال من سلقوكم ولما كان الاحباط يتعلق بالعمل المعتبر شرعا
ومن لم يكن مخلصا في ايمانه لا يعتبر اعماله شرعا لابطانه الكفر في قلبه فلا يلحقها الاحباط والابطال اول قوله تعالى فاحبط الله
اعمالهم بوجهين مبنى الاول ان يراد بالاعمال ما يكون على صورة الطاعة والقربة واحباطه اظهار بطلانه وبيان انه لا حكم له
والاخر ان الاحباط عبارة عن الاعدام والاهدار والاعمال لكونها من قبيل الاعراض معدومة في انفسها وبقاؤها
انما هو ببقاء حكمها وآثارها وما كان منها مقرونا بالكفر والنفاق لا يكون له فائدة واعتبار فهو معدوم حقيقة وحكما
فقوله تعالى فاحبط الله اعمالهم معناه فاظهر الله تعالى كونها ضايعة لا فائدة لها ومبنى الثاني ان لا يكون المراد باعمالهم ما عملوه
تصنعا ونفاقا حتى يقال انه لا اعتبار لها ولا فائدة في اصل حدوثها فكيف يلحقها الاحباط بل المراد بها نفس تصنعهم ونفاقهم
فانهم ارادوا به ان يحصل لهم بذلك قدر ووجاهة عند المؤمنين فاحبط الله تعالى ذلك التصنع حيث لم يترتب عليه ما ارادوا
قوله فغروا الى داخل المدينة عطف على يظنون ولفظ الماضي للمبالغة في بيان جبنهم فكان طائفة منهم فروا عقيب
انهزام الاحزاب بناء على ظن انهم لم يذهبوا ولم ينهزموا قوله بادون جمع باد وهو المقيم بالبادية يقال بدا يبدو بداوة اذا
خرج الى البادية وقوله يسألون يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا من فاعل يحسبون والعامة على سكون السين
بعدها همزة ونقل عن ابي عمرو وعاصم بنقل حركة الهمزة الى السين وحذفها كقوله سل بني اسرائيل وقرئ يتساءلون
بتشديد السين والاصل يتساءلون فادغم اي يسال بعضهم بعضا عجبا ما فعل محمد واصحابه ما فعل بهم فيعرفون
حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة قوله خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اشارة الى ان الاسوة بكسر الهمزة وضمها
وان كان اسما موضوعا موضع المصدر وهو الائتساء بمعنى الاقتداء الا انه استعمل ههنا بمعنى ما من حقه ان يؤتسى
به وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة حيث وقعت هذه اللفظة والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة والقدوة
لفظا ومعنى يقال ائتسى فلان اي اقتدى به وظاهر المفهوم لقد كان لكم فيه قدوة اي اقتداء والمراد لقد كان لكم
فيه ما من حقه ان يقتدى به واسوة اسم كان وفي الخبر وجهان احدهما هو لكم وفي رسول الله متعلق بما تعلق به لكم او

قوله في رسول الله على ما تقدم ولكم وثانيهما ان الخبر هو في رسول الله بمحذوف على انه حال من اسوة اذ لو تأخر لكان صفة
او متعلق بمحذوف على التبيين اي لكم
او هو في نفسه قدوة على ان يكون كلمة في تجريدية وتجريد من نفسه الزكية ما هو قدوة كما في قوله تعالى لكم فيها دار الخلد مع
ان الجنة في نفسها دار الخلد جرد منها آخر مثلها في كونها دار الخلد والمراد بالاسوة الحسنة الثابتة في رسول الله صلى الله
عليه وسلم كالثبات في الحرب ونصرة دين الله تعالى والصبر على ما يصيبه من الشدائد والمكاره كما فعل عليه الصلوة والسلام
اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه الكريم وقتل عمه حمزة واوذي بضروب من الاذى فواساكم مع ذلك كله بنفسه فافعلوا انتم
كذلك في نصرة دينه واظهار شرعه واستنوا بسنته قوله ان ثواب الله تعالى احتيج الى تقدير المضاف لان الذات من
حيث انه ذات لا يؤمل ولا يخاف فلا يتعلق به الرجاء سواء كان بمعنى الامل او الخوف فان كان المقدر ثوابه او لقاءه او ما
اعده للمتقين من نعيم الآخرة يكون الرجاء بمعنى الامل وان كان التقدير يرجو ايام الله يكون عطف اليوم الآخر عليه
من قبيل عطف الخاص على العام ويكون الرجاء بمعنى قوله وقيل هو كقولك في ان عطف اليوم الآخر على الله لتنبيه
المبهم وتفصيل المجمل فان الذات من حيث انها ذات لا يتعلق بها الرجاء كان قولك اعجبني زيد مشتملا على نوع من الاجمال والابهام
في الدلالة على المعنى المراد فازيل ذلك الابهام بالعطف فكان معنى الآية لمن كان يرجو ثواب الله لانه وضع اليوم الآخر موضع ثوابه لان ثواب
الله تعالى يقع فيه فعبر به عن الثواب الواقع فيه على طريق اطلاق اسم المحل على الحال فيه كقوله تعالى فاما الذين ابيضت وجوههم ففي
رحمة الله اي ففي الجنة وقوله لمن كان متعلق بحسنة او بمحذوف على انه صفة لحسنة اي حسنة كائنة لمن كان قوله
والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه الظاهر بدل الكل قال ابن الحاجب في لا يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل الا من ضمير الغائب نحو ضربته
زيدا وهو مذهب جمهور البصريين واجازه الكوفيون والاخفش تمسكا بقوله بكم قريش كفينا كل معضلة وام نهج
الهدى من كان ضليلا والظاهر ان مقصود المص الاعتراض على صاحب الكشاف حيث جعله بدلا من ضمير المخاطب باعادة
الجار الا انه انما يتجه على تقدير ان يجعل بدل الكل من الكل وليس بلازم لجواز ان يكون المراد انه بدل البعض من الكل لان المخاطب بقوله
لكم اعم ممن كان يرجو الله وغيره ثم خصص ذلك العموم بابدال قوله لمن كان يرجو الله لان المتأسي به عليه الصلوة والسلام في الواقع
انما هم المؤمنون وقول صاحب الكشاف لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم لا يلزم ان يكون
مراده التشبيه في كونه بدل الكل من الكل لجواز ان يكون مراده تشبيهه به في ان الظاهر بدل من المجرور باعادة الجار فلا
يتوجه عليه اعتراض المص قوله كثيرا صفة مصدر محذوف اي ذكرا كثيرا ثم انه تعالى لما ذكر احوال المنافقين والذين
في قلوبهم مرض ضعف اليقين وصف حال المؤمنين المخلصين عند لقاء الاحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا
هذا الخطب اي هذا البلاء او هذا الاحزاب اشير اليها بلفظ هذا لانها وليها بما رأوا او هذا البلاء ما وعدنا الله في سورة البقرة
بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب وعد الله المؤمنين بهذه الآية ان ينزل لهم الكفار ويخوفهم تخويفا شديدا
ووعدهم ايضا ان يكونوا منصورين عليهم فلما رأوهم قالوا هذا ما وعدنا الله على لسان رسوله وكذا وعدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمضمون هذه الآية فقال ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال
او عشر

وانما ذكر الخلاف [illegible] تمهيدا لما ذكره بعده منه

هذا القول [illegible] منه

او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وما زادهم ما رأوه او مجيئهم الا ايمانا الا تصديقا بوعد الله وتسليما لامره
وقضائه قوله كحمزة ومصعب روي ان الآية نزلت في عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وحمزة ومصعب بن عمير
وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم فمن قضى نحبه حمزة ومصعب وانس بن النضر وممن ينتظر عثمان وطلحة وفي الحديث
من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة قوله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة اي اوجب لنفسه الجنة
لانه وقى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فصارت يده شلاء فبذلك استحق الجنة بسببه قوله ظهر صدق خبر الله تعالى لما كان الصدق
جرح اربعا وعشرين جراحة
من اوصاف الخبر وان صدق المتكلم عبارة عن صدقه فيما اخبر به وجب ان يأول الآية اما بتقدير المضاف او بتقدير ما يعدى
اليه صدق المتكلم بكلمة في قوله من قولهم صدقني اذا قال لك الصدق واعلم ان صدق يتعدى الى اثنين الى احدهما بنفسه
والى الثاني بحرف الجر ويجوز حذفه ومنه المثل صدقني سن بكره اي في سن بكره وقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه يجوز
ان يكون من هذا القبيل والمعنى صدقوا الله فيما عاهدوا الله عليه واليه اشار المص بقوله فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه ويحتمل ان يكون قوله ما عاهدوا الله عليه هو الذي عدي اليه الفعل بنفسه كالذي في قولك صدقني زيد
وكذبني عمرو اي قال لي الصدق وقال لي الكذب ويكون المعاهد عليه مصدوقا مجازا كأنهم قالوا للشيء المعاهد عليه
لنوفين بك وقد فعلوا فيكون ما بمعنى الذي فلذلك عاد اليه الضمير في عليه وقوله تعالى وصدق الله ورسوله من تكرير
الظاهر تعظيما له ولانهم لو اعادوهما مضمرين لقالوا صدقا لزم ان يجمع بين اسم الباري تعالى واسم رسوله في
لفظة واحدة وقد نهى صلى الله عليه وسلم من قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له بئس خطيب
القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى قصدا الى تعظيم الله تعالى قوله تعليل للمنطوق وهو عدم تبديل المؤمنين
الذين صدقوا فيما عاهدوا الله عليه والمعرض به وهو تبديل اهل النفاق ومرض القلب وهذا القول منه اشارة الى
جواب عما يقال كون عدم تبديل العهد مؤديا الى الجزاء بسبب صدقهم ظاهر فيصح تعليله بقوله ليجزي الله الصادقين ولا
يصح ان يكون سببا مؤديا الى عذاب المنافقين فكيف قيل ويعذب المنافقين عطفا على قوله ليجزي فلما اعتبر في الكلام
منطوقا ومعرضا به وجعل الاول علة للمنطوق والثاني للمعرض به اندفع الاشكال فان تبديل النفاق مذكور بطريق
التعريض من حيث ان الكلام في قوة ان يقال وما بدلوا كما بدل اهل النفاق قوله فكان المنافقين الخ اشارة
الى جواب ما يقال تعذيب اهل النفاق كيف يكون علة حاملة لهم على التبديل مع ان من المعلوم انهم ما قصدوا بالتبديل
ان يعذبوا وتقرير الجواب ان العاقبة المترتبة على التبديل شبهت بالغرض والعلة الحاملة فاستعملت
فيها لام العلة مجازا واللام الداخلة على علة المنطوق وان صح كونها لام العلة الحاملة بناء على ان المخلصين
قصدوا بالثبات والوفاء العاقبة الا انه يجب جعلها لام العاقبة لئلا يلزم استعمال اللفظ الواحد في معنيين
مختلفين وهذا التقرير مبني على ان يكون قوله تعالى ليجزي الله متعلقا بقوله وما بدلوا منطوقا ومفهوما اي وما بدلوا
كتبديل اهل النفاق ليجزي اهل الصدق بصدقه واهل النفاق بنفاقه ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله من المؤمنين
رجال صدقوا فانه يدل على ان بعضا ممن اظهر الايمان لم يصدقوا ولم يفوا بالعهد فيكون تعليلا للمنطوق والمعرض

ايضا ومفعول قوله ان شاء محذوف وكذا جواب الشرط وهو عذبهم والمعنى ويعذب المنافقين ان شاء تعذيبهم بان يميتهم
على النفاق عذبهم او يقبل توبتهم ان تابوا واخلصوا فان توبة الله على العبد عبارة عن رجوعه عن تعذيب من تاب ورجع
عن المعصية فيكون التوبة عليهم مشروطة بتوبتهم كما ان تحتم تعذيبهم مشروطة بموتهم على النفاق من غير توبة فان قيل
من تاب على النفاق يتحتم تعذيبه بالنصوص القاطعة فكيف يصح تعليق تعذيبه على المشية قلنا المعلق على المشية
حقيقة هو ما يستلزم ذلك التعذيب وهو الموت على النفاق وبذلك الاعتبار يظهر كون قوله او يتوب عليهم مقابلا لما
قبله كانه قيل يعذبهم ان لم يتوبوا او يقبل توبتهم ان تابوا فان عطفه على يعذب يوهم انه يكون التوبة عليهم لاجل النفاق كما ان
تعذيبهم لذلك ولما كان قوله تعالى او يتوب عليهم مشعرا بانه تعالى يقبل توبتهم ما داموا منافقين كما انه تعالى يعذبهم على نفاقهم ما
داموا عليه لئلا يضيع اعتبار وصف النفاق في الموت عليهم وفي المعذب منهم ومن المعلوم انه تعالى لا يتوب على المنافق ما دام
منافقا احتاج الى ما احتاج اليه من قبيل قولك المحدث يجب عليه الوضوء ان شرط ارادة اداء الصلوة وثانيا بان المعنى
او يوفقهم التوبة ان شاء **قوله** ورد الله معطوف من حيث المعنى على قوله ليجزي الله الصادقين فان اللام فيه لام
العاقبة فكانه قيل حكاية عاقبة الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ان جزاهم الله بصدقهم ورد اعداءهم
متغيظين وهذا الرد من جملة جزائهم على صدقهم والباء في قوله تعالى بغيظهم للمصاحبة فيكون حالا بمعنى متغيظين كما
في قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسا به والغيظ غضب كامن للعاجز يقال غاظه فهو مغيظ ولا يقال اغاظه وتداخل الحالين
ان تجعل الحال الاولى في الثانية فيكون احالا ان لشيئين مختلفين لفظا وتعاقبهما ان يكونا لشيء واحد **قوله**
وكفى الله المؤمنين القتال اي لم يحوجهم الى القتال في دفع عدوهم وكفى يتعدى الى مفعولين يقال كفاه مؤنته كفاية
قوله بني قريظة وكانوا ذمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد فصاروا يدا واحدة مع المشركين على رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فلما هزم الله المشركين يوم الخندق بالريح والملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ الا
ان الله تعالى لما ارسل الريح عليهم كسر تكبير الملائكة في جوانب معسكرهم فخافوا وانهزموا فامر الله تعالى رسوله بالمسير الى
قريظة فجاء جبرئيل عليه الصلوة والسلام وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اي درعه واغتسل واستجمر
فقال له عليه الصلوة والسلام قد وضعت اللامة وما وضعنا بعد ثم قال ان الله يامرك ان لا تصلي العصر الا ببني قريظة
فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك في المسلمين فخرجوا اليه قوله عليه الصلوة والسلام تنزلون على حكمي يجوز ان يكون بمعنى
الاستفهام حذف منه حرف الاستفهام ويجوز ان يكون خبرا بمعنى الامر اي انزلوا **قوله** فوق سبعة ارقعة اي سبع سموات يقال
لكل سماء رقيع والجمع ارقعة ويقال ايضا الرقيع اسم سماء الدنيا فسمي كل سماء باسمها والمعنى ان هذا الحكم مكتوب
في اللوح الذي هو فوق السموات وكان السبب في رضاء بني قريظة بحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه لانه كان من الاوس وكان
بنو قريظة موالي الاوس وحلفاءهم فظنوا منه ان يسعى لهم بخير ويحكم بما لا يكرهونه **قوله** اعطكن المتعة وهي
درع وخمار وملحفة على حسب حال الزوج من السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما
ويجب المتعة لمطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر وتستحب لمن طلقت بعد وطيء سمي لها مهر او لم يسم الا لمن سمي لها مهر

٨١

مهر وطلقت قبل وطيء فان نصف المسمى انما وجب على سبيل المتعة قال الامام وجه تعلق الاية بما قبلها ان مكارم الاخلاق
منحصرة على شيئين التعظيم لامر الله تعالى والشفقة على خلق الله واليه اشار عليه الصلوة والسلام بقوله الصلوة وما ملكت
ايمانكم ووصى به في مرضه الذي توفي فيه فان الله تعالى لما ارشد نبيه الى ما يتعلق بجانب التعظيم لله تعالى بقوله يا ايها النبي اتق
الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة بدأ بالزوجات لكونهن اولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن في النفقة وروي
انه صلى الله عليه وسلم قسم غنائم بني قريظة بين اصحابه رض وعائشة تنظر وكان لصلى الله عليه وسلم الخمس في كل غنيمة
فقالت عائشة رض في نفسها اليوم يوم خارسنا ومتعنا وصرف النبي صلى الله عليه وسلم الخمس ايضا الى الناس فلم
يحصل لعائشة رض شيء فجادلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رض حاضر فرفع يده اليها ليلطمها فمنعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال دعها فانها صبية ثم وضع يده على كتفها وقال اخرج يا شيطان منها وقيل قال اخرج ما خبث
منها الطاهرة فقامت وقالت والذي بعثك ما طمع لقد خرج ونزلت هذه الآية في عتابهن وبيان تخييرهن وهو انتظام
حسن وقيل انتظامها بما قبلها انه نوع اذى كان منهن في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم والاول كان اذى في حقه عليه
من الكفار والمنافقين وقيل سبب نزولها ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة
في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فامر عليه الصلوة والسلام باعتزالهن فهجرهن والى ان لا يدخل عليهن
شهرا فصعد الى غرفة له فمكث فيها ولم يخرج الى الصحابة ثم لما مضى شهر انزل الله تعالى هذه الآية وامر بتخيير نسائه وكانت تحته
يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت
ابي امية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية و
صفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعائشة رض وكانت احبهن اليه عليه الصلوة والسلام فخيرها وقرأ عليها القرآن فاختارت الله ورسوله
والدار الاخرة وتابعتها سائر نسوته رضي الله عنهن وظاهر الاية تدل على انه عليه الصلوة والسلام خيرهن بين ان
يخترن الدنيا وبين ان يخترن الله ورسوله الا انهن ان اخترن الدنيا وزينتها فارقهن وليست صريحة في ان
ذلك كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختيارهن انفسهن فلذلك اختلف العلماء في هذا الخيار
هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس اختياره من غير تطليق الزوج اياهن ام لا فذهب الاكثرون الى
انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن
واسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رض لا تعجلي حتى
تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب اخرون الى انه كان تفويض طلاق ولو اخترن
انفسهن كان طلاقا فان الرجل اذا خير امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها تقع طلقة
واحدة بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي رح وقال زيد بن ثابت رض اذا اختارت زوجها تقع طلقة واحدة
وان اختارت نفسها فثلث وهو قول الحسن وبه قال مالك رح وروي عن علي رض ايضا انها اذا اختارت زوجها تقع طلقة

وامها امينة بنت عبد المطلب عمته عليه الصلوة والسلام

واحدة رجعية واذا اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع شيء **قوله**
وقيل لان الغرفة اي قيل في جواب ما يقال ان حق التمتيع ان يؤخر عن التسريح لكونه سببا عن التسريح وحاصل الجواب انه يتاخر
عن سببه لان الغرفة لم تنتج تسريحه صلى الله عليه وسلم اياهن حتى ينال التسريح سببا للتمتيع فكان حقه ان يتقدم بل الغرفة وقعت
بارادتهن الدنيا بدل ارادة الله ورسوله وتلك الارادة هي سبب التمتيع فهو مذكور في موقعه واصل تعال ان يقوله من في المكان
المرتفع لمن في المكان المنخفض يطلب بذلك ان يرتقي الى مكانه ثم كثر وشاع استعماله في طلب الاقبال مطلقا حتى يقوله من في المكان المنخفض
لمن في المكان المرتفع يريد ان يقول انزل الي **قوله** وقرئ امتعكن قراءة العامة امتعكن واسرحكن بجزمهما على ان قوله فتعالين
جواب الشرط وقوله امتعكن جواب لهذا الامر وقرئ برفعهما على الاستئناف وقوله سراحا اسم اقيم مقام التسريح كما ان نباتا موضع
انباتا في قوله انبتكم الله نباتا حسنا **قوله** وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن ما عند الله به وتحبونه رسوله والدار الاخرة اي الجنة
ونعيمها فان الله اعد للمحسنات منكن ولم يقل لكن مع ان المقام موضع الضمير ايذانا بان كل الاحسان في ايثار مرضاة الله ورسوله
على مرضاة انفسهن ومن للتبيين لا للتبعيض لان كلهن كن محسنات والعظيم في الاجسام ما امتد ابعاده في جهة الطول
والعرض والعمق جميعا حتى لو امتد ابعده الكائن في جهة الطول فقط يقال له طويل ولو امتد ما في جهة عرضه يقال له عريض
ولو امتد ما في جهة عمقه يقال له عميق ولا يقال للجسم عظيم الا اذا امتد ابعاده الكائنة في جميع جهاته الثلث وشبه الاجر
الآخرة به في ارتفاع شانه في الجهات الثلث في لطافة ذاته وصفائه جوهره في خلوه عن وجوه المشقة والتعب في تحصيله
وعن وجوه الغرر في تناوله وفي دوامه وعدم انقطاعه فهو اجر عظيم بخلاف اجر الدنيا قال المفسرون لما اختارن الله تعالى ورسوله
رفع الله تعالى محلهن واجل قدرهن بتميزهن عن سائر النسوة في العقوبة على المعصية والاجر على الطاعة حيث قال
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين فان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة
الفضل والرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا لاحد منهن مثل ما
عليهن من النعمة فانه تعالى جعلهن امهات المؤمنين في الدنيا والآخرة وشاهدن اعماله واقواله واحواله بالليل والنهار
فكون المعصية منهن اقبح منها من غيرهن وكلما كانت المعصية اقبح كان عقابها اشد وازيد ولذلك فضل حد الاحرار على
حد العبيد واظهار الشرف الحرية عن ابن عباس رضي المراد بالفاحشة ههنا النشوز وسوء الخلق وقيل هو كقوله تعالى لئن
اشركت ليحبطن عملك وقيل المراد بها العصيان **قوله** وقرأ البصريان يضعف بضم الباء والضاد والعين المشددة
ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل وابن كثير وابن عامر نضعف بنون العظمة وتشديد العين مكسورة على بناء الفاعل
ونصب العذاب لانه مفعول به وقرأ الباقون يضاعف على بناء المفعول من المفاعلة ورفع العذاب لقيامه مقام الفاعل
ولما بين الله تعالى تضاعف عذابهن على تقدير المعصية بين تضاعف ثوابهن على تقدير القنوت وهو الطاعة وليس المراد
احدا ثابدا وهو ظاهر فلذلك قال المص ومن يدم على الطاعة **قوله** للتعظيم او للقول وتعمل صالحا لا معنى لكلمة او ههنا فلذا لم
لم توجد في بعض النسخ لان المقصود الاستدلال على ان ذكر الله للتعظيم ببيان ان طاعة الله تعالى قد فهم من قوله وتعمل صالحا
فينبغي ان يكون ذكر اسم الله لفائدة اخرى حذرا عن التكرار فحمله على التعظيم لكونه هو المناسب للمقام واللام في قوله مرة

وتبعهن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن حيث قال لا يحل لك النساء من بعد بقوله

يمكن حالة من فاعل يات

مرة على الطاعة للعهد والمعهود طاعة الله وقرأ الجمهور يا نساء النبي من يات ومن يقنت بالياء من تحت حملا على لفظ
من وتعمل بالتاء من فوق حملا على معنى من لان المراد بها المؤنث ونؤتها بنون العظمة على طريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وفيه
لطيفة وهي ان عند ذكر ايتاء الاجر صرح بذكر المؤتي وهو الله عز وجل وعند ذكر العذاب لم يصرح بالمعذب فقال يضاعف اشارة
الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائي ويعمل ويؤتها بالياء من تحت فيهما لما ذكره المص **قوله** والمعنى لستن كجماعة
من احد اعلى الجماعة ليطابق من قصد تفضيلهن بالمفضل عليهن فان نساء النبي صلى الله عليه وسلم جماعة فجعل المشبه بهن
ايضا جماعة للمطابقة المذكورة **قوله** مثل قول المريبات من اللاتي يوقعن الرجال في الريبة والتهمة من حالهن وصف
قولهن بكونه خاضعا لينا للاشارة الى ان الباء في قوله تعالى فلا تخضعن بالقول للتعدية **قوله** ان اتقيتن في جوابه وجهان
احدهما انه محذوف لدلالة ما تقدم عليه اي ان اتقيتن مخالفة الله ورضا رسوله فلستن كاحد قال صاحب التيسير في
تفسيره اي بهذه الخصلة لكن ان اتقيتن المعاصي ومخالفة الله ورسوله والرغبة في الدنيا وزينتها فلا تلن الكلام اذا
كلمتن الرجال من وراء الحجاب كما تكلم الانسان من يخضع له بالطاعة وينقاد له فيما يريد والوجه الثاني ان يكون جوابه
قوله فلا تخضعن واغلاظ القول لغير زوجها محمود وفي جملة محاسن خصال النساء في الجاهلية والاسلام كما عن منها بخلافهن
بالمال وجبنهن وفيه دليل على انه ينبغي للمرأة اغلاظ القول اذا خاطبت محرما لها بالمصاهرة الا ترى ان الله اوصى امهات
المؤمنين به وهن عليهم محرمات على التابيد وقرأ العامة فيطمع بالنصب على انه جواب النهي بالفاء وقرئ بالجزم وكسر العين
لالتقاء الساكنين عطفا على محل النهي لم يقل عطفا على فعل النهي لانه ليس بمجزوم بل هو مبني لاتصال النون به فجزم المعطوف
عليه ليس الا بالنظر الى محله فالمعنى لا تخضعن بالقول فلا يطمع اهل الفجور في موافقتكن له **قوله** من وقر يقر وقارا اذا سكن و
ثبت واستقر اصله اوقرن حذفت الواو تبعا للمضارع فاستغني عن همزة الوصل فصار قرن بكسر القاف على وزن علن ومعناه
كن اهل وقار وسكون واطمينان وهي قراءة العامة او من قر بالمكان يقر بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وهي اللغة
الفصيحة فاصله اقررن ولما احتيج الى التخفيف لاجتماع حرفين من جنس واحد نقلت حركة الراء الاولى الى القاف فاجتمع ساكنان
فحذفت احديهما ثم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها فصار قرن على وزن فعن او فلن ومن قرأ بفتح القاف يحتمل ان
يجعله من قررت بالمكان اقر به بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر اصله اقررن فاعل كما سبق ويحتمل ان يجعل امرا من قار يقار
كخاف يخاف اذا اجتمع ومنه القارة وهي اسم قبيلة سموا قارة لاجتماعهم واتفاقهم فيقال في الامر منه قرن كخفن على وزن
فلن وهذا وجه ظاهر الا ان المقام مقام الامر بالوقار والسكون او بالاستقرار في البيوت والامر بالاجتماع فيها لا يناسب المقام
قوله ولا تبرجن اي اختار ان يكون التبرج بمعنى التبختر وهو المشي المبني عن الغنج والدلال وقيل التبرج هو اظهار الزينة
وابراز المحاسن للرجال وعن الزجاج قال التبرج اظهار المرأة زينتها وما تستدعي به شهوة الرجال وعن قتادة هو مشية
فيها تغنج وتكسر **قوله** وبعضده اي يعضد ان الجاهلية يطلق على جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام كما تطلق على جاهلية
الكفر وجه التقوية ان ابا الدرداء رضي سأل فقال اجاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال صلى الله عليه وسلم بل جاهلية
كفر فعلم بذلك ان الجاهلية تتحقق فيهما والمعنى ولا تتحرشن بالتبرج جاهلية في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر

بحد وخشونة من غير تخنث
رد قولا جميلا مع كونه خشنا
بشجاعة

اي اثبتن في بيوتكن
منها

ر[؟] الشئون بان الجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام منه

فيوع بهذا القول اشبه لانهم كانوا يتخذون البغايا يستغلونهن بذلك قوله واطعن الله ورسوله تعميم بعد التخصيص وخص الاولين بالذكر لكونهما اصل الطاعات البدنية والمالية من اعتنى بهما جرتا الى كل طاعة قوله الذنب المدنس للعرض حكم اشارة الى ان الرجس مستعار للذنب وان وجه الشبه بينهما كون كل واحد منهما سببا للتدنس الرجس بدنس كالثوب والبدن والذنب يدنس العرض وجعل التطهير ترشيحا للاستعارة من حيث انه ملايم للمستعار منه قوله وهو تعليل لامرهن ونهيهن بيان لوجه العدول من خطاب المؤنثات التى هن ازواج النبى صلى الله عليه وسلم الى خطاب الذكور حيث قيل ليذهب عنكم ويطهركم كانه قيل انما امرتكن ونهيتكن لان ارادة الازلية قد تعلقت بتطهير اهل بيت رسول الله من الذنوب والمعاصى قوله ولذلك اى ولكونه تعليلا على طريق الاستيناف عمم الحكم باذهاب الرجس والتطهير عمم المعاصى من عدا ازواجه عليه الصلوة والسلام حيث عبر عن جميع اهل بيته من الذكور والاناث بطريق التعبير عن الذكور خاصة على تغليب الذكور على الاناث حيث قيل عنكم اهل البيت فان اهل البيت بيتا واولاده وازواجه والحسن والحسين رضى الله عنهم وكذا على رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لانه كان من اهل بيته بسبب معاشرة اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وقرابة اباه وقيل المراد باهل البيت ههنا ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لانهن فى بيته لما تقدم وما تاخر من خطابهن وانما ذكر الخطاب من قوله عنكم ويطهركم لان النبى صلى الله عليه وسلم كان فيهن فغلب المذكر وقال الاخرون ومنهم الشيعة ازواجه عليه الصلوة والسلام ليست من اهل بيته بل المراد باهل بيته على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله تعالى عنهم قوله وتخصيص الشيعة مبتدا وقوله والاحتجاج عطف عليه وضعيف خبره والمراد المرحل اذا اخر خبره علم قوله من الكتاب الجامع بين الامرين يعنى ان عطف الحكمة على ايات الله من قبيل عطف الصفات فان الكتاب كما انه ايات دالة على صدق مدعى النبوة من حيث انه معجز بنظمه العجيب الشان فانه ايضا حكمة من حيث كونه مشتملا على العلوم النظرية وطريق الاصابة فى القول والعمل قوله وهو تذكير اشارة الى ان المراد بقوله واذكرن تذكر النعمة حملا على شكرها ورعاية حقها وقيل المراد به تلاوة القران وذكر بالبلاد وقيل المراد ذكره بالقلب بتدبر اسراره ولطايفه واللفظ صالح للكل ورجا الطبرى غير باشنة الاذان قوله يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين على ان يكون المقصود تقرير الاية التخيير وما بعدها وقوله او يعلم من يصلح للنبوة على ان يكون تقريرا لما ذكر من اول السورة الى هنا قوله المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم وقيل المراد به الخشوع فى الصلوة ومن الخشوع ان لا يلتفت قوله والحافظات اى والحافظاتها ترك المفعول الثانى لدلالة الاول عليه وكذا فى قوله والذاكرات اى والذاكراته عن ابى سعيد الخدرى رض قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا ايقظ الرجل اهله من الليل فتوضأ وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وعن ابن عباس رض قال جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فانه من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان افضل من ذكر الليل والنهار وكن له غرسا فى الجنة وتحاطت عنه خطاياه كما تحاط ورق الشجر اليابسة وينظر الله تعالى اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه قوله روى ان ازواج النبى نهادا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الاية منفصلا فى النزول عما قبلها يا نساء النبى لستن كاحد من النساء وقوله

وقوله وصل لما نزل فيهن ما نزل بنى على ان يكون مؤخرا عنه قوله وعطف الاناث على الذكور الخ يعنى انه تعالى ذكر عشرة اوصاف وجعل من اتصف بكل واحد منها زوجين باعتبار الذكورة والانوثة فصار اصناف من اتصف بها عشرين صنفا باعتبارها وعطف اناث كل صنف ممن اتصف بتلك الخصال العشر على ذكورها كعطف المسلمات على المسلمين والمؤمنات على المؤمنين وعلى هذا عطف ايضا كل صنف من الزوجين المتعاطفين على الصنف الاخر منهما كعطف مجموع المؤمنين والمؤمنات على مجموع المسلمين والمسلمات والفرق بين العطفين المذكورين ان عطف الاناث على الذكور من قبيل عطف الذوات المختلفة بالذكورة والانوثة بعضها على بعض بعد اشتراكهما فى الاتصاف بوصف واحد وفى مثل هذا العطف يجب توسيط العاطف واما عطف مجموع الزوجين من صنف على المجموع من صنف اخر فهو من قبيل عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان المعنى ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم ونظيره فى دعاء صلوة الجنازة اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا الى اخر المزوجات الاربع ولا يجب تخلل العاطف بين المختلفين وصفا كما فى قوله تعالى مسلمات مؤمنات لكنه تخلل فى هذه الاية للدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات كانه قيل الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر اعد الله لهم قوله بنت عمته بدل من بنت جحش وامية عطف بيان عمته وابن زينب عن قبول كون زيد بن حارثة زوجا لها لكونها قرشية وبنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معتق من الموالى ولعل زيدا اشتهر ابيضا من تزوجها لاباؤها منه فانزل الله تعالى قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الاية والمراد بالمؤمن عبد الله بن جحش ويكفى فى ارتباط الاية بما قبلها انه تعالى قال اولا واطعن الله ورسوله ومدح بعد ذلك المطيعين والمطيعات لله ورسوله فبين فى هذه الاية وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وتوعد من عصى الله ورسوله قوله وقيل فى ام كلثوم وهى اول من هاجرت من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده فعلى هذا القول المراد بقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ام كلثوم واخوها وعلى الاول زينب واخوها قوله اذا قضى الله ورسوله امرا اى حكما او اتنفذا امرا من امور انفسهم والخيرة اسم بمعنى الاختيار وبدل عليه قوله ان يختاروا من امرهم شيئا لان ان مع الفعل فى معنى المصدر وقوله والخيرة ما يتخير يدل على ان الخيرة بمعنى المختار كما فى قوله محمد خيرة الله اى مختاره والمقصود بيان انه قد يكون بمعنى المختار الا انه فى الاية بمعنى الاختيار وجمع ضمير لهم مع كونه راجعا الى المتون بتنوين الوحدة لانه لما وقع فى سياق النفى كان بمعنى كل مؤمن ومؤمنة فى الدنيا وجمع الثانى اى جمع ضمير امرهم مع كونه راجعا الى الله ورسوله للتعظيم المرجع اليه والمعنى ليس لواحد منهم ان يريد وايثر ما اراده الله ورسوله ويمتنع عما اراده الله ورسوله قوله وقراء الكوفيون ان يكون بالياء من اسفل لكون تانيث الخيرة غير حقيقى وللفصل ايضا والباقون بالتاء من فوق اعتبار اللفظ الخيرة قوله وانعمت عليه بما وفقك الله تعالى فيه من الاعتاق والتبنى والاختصاص فان ذلك مسند اليه عليه الصلوة والسلام من حيث صدوره منه ومسند اليه تعالى من حيث كون ذلك الصدور بتوفيق الله تعالى اياه ولذلك روى انه صلى الله عليه وسلم لما زوج زينب من زيد ومكثت عنده حينا اتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فابصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة من اتم نساء قريش فوقع فى قلبه شىء فقال سبحان الله مقلب القلوب

فانصرفن وسمعت زينب اي قوله ارايك يجوز ان يكون الهمزة للاستفهام وان يكون همزة افعل كاكرم واخرج يقال رابه الدهر
وارابه اي اقلقه قوله والواو للحال اي الواو في قوله وتخفي للحال وكذا الواو في كل احد من قوله وتخشى الناس وفي قوله والله احق
ان تخشيه الا ان الاول حال من فاعل تقول وقوله وتخشى الناس حال من الضمير في تخفي وقوله والله احق حال من الضمير في تخشى فهذه الاحوال
متداخلة الا ان كل واحد من تخفي وتخشى مضارع مثبت والواو في المضارع المثبت انما تكون للحال بتقدير المبتدا اي وانت تخفي و
وانت تخشى كما في قولك قمت واصك وجهه والمعنى على هذا تقول لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها
وتخفي ذلك خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله ويحتمل ان يكون الواوان للعطف على تقول
كانه قيل واذ جمعت بين قولك امسك عليك زوجك واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا
تفعل مثل ذلك وليس المعنى انه صلى الله عليه وسلم خشي الناس ولم يخش الله تعالى بل المعنى انه تعالى احق ان تخشاه وحده
ولا تخشى احدا معه وانت تخشاه وتخشى الناس ايضا فاقصر خشيتك على الله تعالى كما قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله
ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله قال عمر وابن مسعود وعائشة والحسن رضي الله تعالى عنهم اجمعين ما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم آية هي اشد عليه من هذه الآية وقالت عائشة رض لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي لكتم هذه الاية
لما ارادت من شدتها عليه وروي عن علي بن الحسين بن زين العابدين رض انه قال في هذه الاية كان الله تعالى قد اعلم نبيه ان زينب
ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال اني اريد ان اطلقها قال صلى الله عليه وسلم له امسك عليك زوجك
فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى والاليق بحال الانبياء و
لعل الحكمة في ذلك انه كان من حكم العرب ان من تبنى ولدا كان كولده من صلبه في التوريث وحرمة نكاح امراته على الاب المتبنى فاراد
الله تعالى ان يبطل حكمهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله ليكون ذلك اثبت في قلوبهم واقطع لعاداتهم فاخبر الله تعالى رسوله
ان زينب ستكون من ازواجك فتزوجها لزيد ثم انهما يتفرقان بعد مدة فتزوجها انت لينفسخ ليتقرر عندهم بطلان حكم العرب
وكان عليه الصلوة والسلام يخفيه في نفسه الى ان يظهره الله تعالى في وقته ولما وقع هذا النكاح ومضت مدة وقعت بينهما خشونة
فجاء زيد يشكوها الى النبي صلى الله عليه السلام ويذكر ترفعها عليه وسوء خلقها معه فقال له امسك عليك زوجك اي حافظ عليها وتخلق
الحسن عاملها ولا تطلقها وكذا الحث على المتوسط بين الزوجين ان يدعوهما الى حسن المعاشرة والتوجه بازيد في رعاية
حقوق النكاح وتخفي في نفسك يا محمد ما الله مبديه اي مظهره وهو ما اعلمك الله تعالى انك تتزوجها اذا طلقها زيد برضاه واختياره
وانقضت عدتها وتخشى الناس ان تكره مقالة الناس انه تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه فتفعل ما اباحه لك واذن
لك فيه قوله فانه حسن اي اخفاء الميل الى نكاحها ان طلقها زوجها او اخفاء ارادة طلاقها حسن للظهور وقبيح ان يقول له
طلقها فاني اريد نكاحها الا ان الاولى له ان يصمت عند ذلك او ان يقول له انت اعلم بشانك حتى لا يخالف ظاهره باطنه فان
اللائق بالانبياء موافقة الظاهر الباطن قوله بحيث ملها الملال السامة وانقطاع الرغبة وقوله ولم يبق له فيها حاجة
عطف تفسير لملالة منها عن الزجاج قال معنى قضاء الوطر في اللغة بلوغ منتهى ما في النفس من الشيء يقال قضى وطرا منها
اذا بلغ ما اراد من حاجته فيها من النكاح واعتبر في قضاء وطره منها تطليقه اياها وانقضاء عدتها لان الزوجة ما دامت

فان قلت ما اراد بقوله [illegible] قلت اراد انه [illegible] لا يخبر بان الاولى [illegible] وقيل [illegible] زوجه

ولا تقل احمد الله تعالى كما رواه السيوطي وغيره عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان عن زين العابدين علي بن الحسين [illegible] ازواجه [illegible] ذكره اعلام [illegible] امر الله تعالى [illegible] غيره ولا يلتفت الى ما سواه حاشية

ما دامت في نكاح الزوج لا يكون الزوج قاضيا الوطر بالكلية لبقاء التمكن من استيفاء حاجته منها وكذا اذا كانت
في العدة يكون له بها تعلق لكونه في صدد تعرف براءة رحمها من الشغل فلا يكون قاضيا وطره منها بعد فاذا طلقت وانقضت
عدتها استغنى عنها ولم يبق له تعلق بها فحينئذ قد قضى منها الوطر قوله اوجبنا بها زوجته بلا واسطة عقد روي انه صلى الله عليه وسلم
ارسل رسولا يخطبها لزيد فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربي فقامت الى مسجدها فنزل القران ودخل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير اذن وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث
ما من نسائك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله تعالى في السماء وان السفير لجبريل عليه السلام قوله وقيل كان
السفير في خطبتها بكسر الخاء والمثوبة كان ضمير زيد وذكر في الكشاف انها لما اعتدت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما اجد احدا
اوثق في نفسي منك اخطب على زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان
انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله تعالى
يخطبك ففرحت فقالت ما انا بصانعة شيئا حتى او امر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران زوجناكها فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل عليها بغير اذن ولما بين الله تعالى ان الامر الذي اراده كتزويج زينب من رسوله كائن
لا محالة بين انه لا حرج عليه في هذا النكاح فقال ما كان على النبي من حرج اي من اثم وضيق وقوله تعالى سنة الله مصدر مؤكد
لفعله المحذوف اي سن الله ذلك سنة كصنع الله ووعد الله يبين به ان انتفاء الحرج عن هذا النبي فيما فرض الله له
سنة قديمة له تعالى في حق جميع من مضى من الذين يبلغون رسالات الله وقرر هذا الحكم بانه امر اراده الله تعالى وكان
امر الله قضاء مقضيا يقع لا محالة كما قدر تزويج زوجة دعيه عليه الصلوة والسلام اياه بقوله وكان امر الله مفعولا وقوله
الذين يبلغون يحتمل ان يكون مجرور المحل على انه صفة قوله الذين خلوا وان يكون في محل الرفع او النصب بتقدير هم
او اعني او امدح قوله تعريض بعد تصريح فانه تعالى صرح بقوله وتخشى الناس والله احق ان تخشيه بانه صلى الله
عليه وسلم يخشى الله تعالى ويخشى الناس ايضا ثم قال والله احق ان تخشيه وحده ولا تخشى احدا معه ثم وصف الرسل
المتقدمة بانهم يخشون الله ولا يخشون احدا الا الله تعريضا له عليه الصلوة والسلام بانه يخشى الناس ايضا قوله
كافيا للمخاوف او محاسبا الاول على ان يكون حسيبا من قولك حسبك درهم اي كفاك حتى صير كافيا للمخاوف والثاني
على ان يكون من قولك حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته اي وكفى بالله حفيظا لاعمال خلقه
مجازيا بها فهو الاحق ان يخشى دون خلقه ثم انه صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا
تزوج امراة ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني انه ليس بابي زيد فتحرم عليه امراته وعبر عن هذا النفي
بما يدل عليه كناية حيث قيل من رجالكم للمبالغة فيه وهو صلى الله عليه وسلم وان كان ابا الحسن والحسين رض الا انهما
لم يبلغا مبلغ الرجال حينئذ كما لم يبلغه ابناؤه الصلبية ولئن بلغاه لكانا من رجاله عليه الصلوة والسلام لا من رجالهم
وايضا المنفي كونه عليه الصلوة والسلام ابا صلبيا للرجال وليس ابا صلبيا لهما لكونهما ولدي ولده ولعل وجه
الاستدراك في قوله تعالى ولكن رسول الله انه تعالى لما نفى كونه عليه الصلوة والسلام ابا لهم على الحقيقة كان ذلك

تنبيه [illegible] قوله تعالى زوجناكها [illegible] عقد نكاح ولا اصداق [illegible] واطعم الناس خبزا ولحما حتى امتد النهار

قوله تعالى قدرا مقدورا [illegible] والقدر بان القدر عبارة عن [illegible] والقضاء عبارة عن [illegible] فعله بالذات [illegible] فهذا نسبة اصطلاحية [illegible] الى الله تعالى [illegible] ان القدر عبارة عن التقدير على الشيء بالاطلاع والقضاء عبارة عن [illegible] بالفعل

مظنة ان يتوهم ان ليس بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم ما يوجب تعظيم اياه وانقيادهم وعدم اعتراضهم عليه
في شيء مما فعله فدفعه ببيان ان حقه آكد من حق الاب الحقيقي وكان قوله من رجالكم مظنة ان يتوهم انه عليه
الصلوة والسلام ابو احد من رجال نفسه الذين ولدوا منه فدفعه بعطف قوله وخاتم النبيين على قوله رسول
الله فانه يدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يكون ابا الواحد من رجال نفسه ايضا لانه لو بقي له ابن بالغ بعده لكان اللائق
به ان يكون نبيا بعده فلا يكون هو عليه الصلوة والسلام خاتم النبيين روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يريد الله
لو لم اختم به النبيين لجعلت له ولدا يكون نبيا بعده على ما روي انه عليه الصلوة قال في ابرهيم رضي الله عنه حين توفي
لو عاش لكان نبيا وروي انه صلى الله عليه وسلم انه قال مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه
موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون منه سوى خلو موضعها فكنت
انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل **قوله** واخرهم الذي ختمهم على ان خاتم بكسر التاء وهي
قراءة من عدا عاصم من القراء وقراء عاصم بفتح التاء وهو اسم لما يختم به اي يطبع ويقال له الطابع ايضا
وفي الصحاح الطبع الختم وهو التاثير في الطين ونحوه والطابع بالفتح الخاتم وبالكسر الطابع لغة فيه فمن قرأ
خاتم بكسر التاء اراد انه عليه الصلوة والسلام فاعل الختم حيث ختم النبيين ومن قرأ بفتحها اراد انه عليه الصلوة
والسلام آخر النبيين لا نبي بعده حيث ختموا به وتم به بنيان النبوة واعتد به كما يعتد الكتاب بالخاتم ولما
كان عليه الصلوة والسلام آخر النبيين صار بمنزلة الخاتم بالنسبة اليهم حيث ختموا به فسمي خاتم النبيين
قوله وقرئ رسول الله بالرفع والعامة على تخفيف لكن ونصب رسول الله ونصبه اما على اضمار كان لدلالة كان
السابقة عليها اي ولكن كان او بالعطف على ابا احد والاول اولى لان لكن ههنا ليست بعاطفة لاجل الواو فالاليق
بها ان لا تكون هي التي تدخل على الجمل كبل التي ليست بعاطفة وقرئ لكن بتشديد النون على ان رسول الله اسمها وخبرها
محذوف **قوله** يغلب الاوقات كما قال مجاهد الذكر الكثير هو ان لا تنساه ابدا وقال مقاتل هو التسبيح والتحميد والتكبير على كل
حال بان يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فان هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والحدث
والحدث والحيض والنفاس **قوله** وتخصيصهما بالذكر مع ان المقصود الامر بتسبيحه على الدوام بقرينة ان قوله
وسبحوه بعد قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا من قبيل التخصيص بعد التعميم لاظهار الشرف الخاص وايماء بانه لغاية فضله وزيادة
شرفه لم ينل له العام المذكور قبل فاحتيج الى ذكره على حدة وهي النكتة في كل ما كان هو من هذا القبيل ولما كان المراد
بالذكر الكثير الذكر على الدوام من غير تخصيصه بوقت دون وقت كان المراد بالتسبيح المندرج تحته التسبيح في كافة
الاوقات ايضا الا انه خص طرفي النهار بالذكر للدلالة على فضلهما وتمحيصا لما جرى بينهما من الذنوب يقال محصت
الذهب بالنار اذا اخلصته مما يشوبه **قوله** وقيل الفعلان اعني اذكروا واسجدوا وهو عطف على ما قبله من حيث المعنى
فانه فسر الفعل الاول بما يعم ما ذكره في عموم الاوقات والاحوال بما يعم انواع ما هو اهله ثم جعل قوله بكرة واصيلا ظرفا
لقوله سبحوه فقط ثم نقل قول الزمخشري انه من قبيل صم وصل يوم الجمعة ولم يرض به لان حمل الذكر على ما يعم انواعه

وحمل

٨٥

وحمل كثرته على وقوعه في كافة الاوقات والاحوال ثم ذكر التسبيح وطرفي النهار بخصوصهما لاظهار المزيد شرفهما فائدة بليغة لا توجد
فيما قاله الزمخشري **قوله** وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمعنى صلوا لله بالغداة والعشي قال الكلبي اما بكرة فصلوة الفجر
واما اصيلا فصلوة الظهر والعصر والمغرب والعشاء كما قال تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل وكقوله فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الاية **قوله** مستعار من الصلوة لما فسر الصلوة المسندة اليه تعالى بالرحمة والى الملائكة بالاستغفار
وورد عليه ان يقال كيف يصح ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد اشار الى جوابه بان الصلوة المدلول عليها
بقوله يصلي عبارة عن معنى مجازي هو القدر المشترك بين المعنيين المذكورين وهو العناية بصلاح امر الانسان
وظهور شرفه وهذا المعنى المشترك يصح ان يسند اليه تعالى والى الملائكة الا ان العناية المسندة اليه تعالى هي الرحمة
وما اسند الى الملائكة هو الاستغفار فليس ههنا ارادة معنيين مختلفين بلفظ واحد ووجه كون هذا القدر
المشترك معنى مجازيا للصلوة ان الصلوة اسم موضوع موضع المصدر وهو التصلية فان القياس ان يقال صلى
تصلية ولا يقال كذا انما يقال صلى صلوة وتصلية العصا مثلا عبارة عن اصلاحها وتقويمها يقال صليت العصا
بالنار اذا لينتها بها وقومتها فشبهت العناية بصلاح امر الانسان وظهور شرفه بصلوة العصا فسميت باسم المشبه به
على سبيل الاستعارة **قوله** وقيل الترحم معطوف على قوله وهو العناية اي وقيل الامر المشترك بين رحمة الله تعالى واستغفار
الملائكة هو الترحم والانعطاف المعنوي اطلق لفظ الصلوة على هذا المعنى المشترك بينهما تشبيها له بالصلوة التي هي الانعطاف
الصوري بالركوع والسجود ولفظ الصلوة مجاز في الانعطاف الصوري ايضا لكونه ماخوذا من الصلا وهو العظم
الذي عليه الاليتان يقال صلى صلوة اي حرك صلويه ثم نقل لفظ الصلوة الى الاركان المعهودة والاذكار المخصوصة لان المصلي
ينعطف ويتحرك في ركوعه وسجوده ويحرك صلويه فيهما فلما كان الصلوة مجازا من سائر الاركان المعلومة كان مجازا في الانعطاف
المعنوي في المرتبة الثانية وهذا الانعطاف قدر مشترك بين الرحمة والاستغفار يطلق على كل واحد منهما على سبيل الحقيقة
وهو قوله والاستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم اشار بقوله سببا وهو سبب للرحمة الى جواز ان يكون الترحم و
الانعطاف المعنوي حقيقة في الرحمة مجازا في الاستغفار الملائكة ترحما لكونه سببا للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة فيكون
لفظ الصلوة مجازا في الترحم بالمعنى الاعم المتناول لرحمة الله تعالى ودعاء الملائكة بالرحمة في حقهم فان الملائكة لما قالوا اللهم
صل على المؤمنين جعلوا كانهم فاعلون الرحمة في حقهم لكونهم مستجابي الدعوة فليس لفظ الصلوة مستعملا فيما هو رحمة
الله تعالى حقيقة وفيما هو رحمة مجازا وهو استغفار الملائكة ودعاؤهم بل هو مستعمل في الترحم المتناول لهما على طريق عموم
المجاز فلفظ الصلوة ليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز بل مستعمل في الترحم الذي هو معنى مجازي له وذلك الترحم متناول
لما هو رحمة الله تعالى حقيقة ولما هو رحمة مجازا على طريق عموم المجاز اي يحيون يجوز ان يعظمهم الله تعالى بسلامة عليهم كما
يفعل بهم سائر انواع التعظيم فقد ورد في الخبر ان الله تعالى يقول السلام عليكم مرحبا بعبادي المؤمنين الذين ارضوني في دار
الدنيا باتباع امري وروي ايضا ان الله تعالى يقول سلام عليكم عبادي انا عنكم راض فهل انتم عني راضون فيقولون بأجمعهم
يا ربنا كل الرضا وقيل تحييهم الملائكة على ابواب الجنة بالسلام اذا دخلوها من كل باب وقيل تحييهم تحية ملك الموت

عند قبض الارواح لا يقبض روح مؤمن الا سلم عليه وعن ابن مسعود رض قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن
قال ربك يقرؤك السلام وقيل يسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم بالجنة ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى
فاعله على معنى يحيي بعضهم بعضا في الجنة ويقول امنا لنا ولكم من كل مكروه **قوله** يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او
دخول الجنة جعل لقاء احد هذه الثلثة لقاء الله تعالى لان الانسان حال حيوته غير مقبل بالكلية على الله تعالى وكيف وهو
حال نومه غافل عنه في اكثر اوقات تيقظه مشغول عنه بتحصيل امور دنياه بخلاف هذه الاحوال فانه لا اشتغل لاحد فيها
بل يسعى ذكر الله تعالى فهي في حكم لقاء الله تعالى حقيقة **قوله** ولعل اختلاف النظم حيث عطف الجملة الفعلية على الاسمية
فان التعبير عن مضمون الجملة بالفعلية التي يكون فعلها ماضيا مشابه الى بيان ثبوتها من الاسمية الدالة على مجرد
الثبوت ثم انه تعالى لما بين انه اخرج المؤمنين من ظلمات الكفر والمعصية الى انوار الايمان والطاعة من جهته وبسبب دعاء
الملائكة واستغفارهم وقرر ذلك بقوله وكان بالمؤمنين رحيما اشار الى ان معظم رحمته في حقهم ارسال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك وعلى جميع الامم بتبليغ الرسالة والتصديق منهم
والتكذيب مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل ومبشرا بالجنة لمن صدقك ونذيرا
اي منذرا لمن كذبك بالنار **قوله** واطلق له ان اطلق لفظ الاذن واريد به التيسير والتسهيل بطريق اطلاق اسم السبب
على المسبب فان الدخول في حق المالك متعذر فاذا صدق الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن سببا للتيسير بما تعذر
صح ان يراد به التيسير مجازا وانما صرف عن ظاهره وحمل على المجاز لانه قد فهم من قوله انا ارسلناك داعيا انه صلى الله عليه
وسلم ماذون له في الدعاء الى الله وتوحيده وطاعته فلو لم يحمل على المجاز لما بقي له فائدة **قوله** وقيد به الدعوة فان
قوله باذنه حال من المنوي في داعيا اي داعيا ملتبسا باذنه او صفة مغيرة له وقوله تعالى وسراجا منيرا من قبيل التشبيه
البليغ فقول الجن يستضاء به ويقتبس من نوره بيان لوجه الشبه **قوله** او على اجر اعمالهم على ان المراد بالفضل ما يتفضل
به عليهم زيادة على الثواب الموعود لهم بمقابلة اعمالهم **قوله** ولعله معطوف على محذوف اعتمادا على
دلالة المقام لانه تعالى وصفه بخمس صفات وكلفه بمقابلة كل واحد منها بتكليف على حدة ولما لم يذكر ما يقابل قوله
شاهدا مع انه قد ذكر ما يقابل سائر الصفات علم انه ملحوظ في الكلام وان لم يذكر لنكتة فصح العطف من جملة ما يدل على
كونه ملحوظا معتبرا في الكلام فكانه قيل ارسلناك شاهدا ومبشرا فراقب وبشر اخرج عن عطا بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو[ظ] قلت له اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية قال والله انه لموصوف في التورية
ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للمؤمنين انت عبدي ورسولي سميتك
المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا ثم انه تعالى لما ذكر في ارشاد
رسوله صلى الله عليه وسلم وتاديبه ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها النبي اتق الله ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت
يده من ازواجه بقوله يا ايها النبي قل لازواجك ذكر في ارشاد المؤمنين ما يتعلق بجانبه تعالى فقال يا ايها الذين امنوا
اذكروا

الصخب الصياح والجلبة وفعله صخب بكسر العين واصطخب افتعل منه قال ان الضفادع في الغدران تصطخب منه

٨٦

اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ذكر ما يتعلق بجانب من تحت ايديهم فقال يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات **قوله**
تجامعوهن والخلوة الصحيحة تقوم مقام المساس عند الحنفية وهي ان يخلو بها من غير ان يكون في احد الزوجين
مانع شرعي كالاحرام والصوم الفرض والحيض او مانع حسي كالمرض او مانع عقلي بان يكون هناك شخص يستحيي منه الزوج
فلو خلى بها على هذا الوجه ثم طلقها قبل الدخول يجب على الزوج المهر كاملا وعليها العدة احتياطا واما اذا خلى بها مع
احد الموانع المذكورة ثم طلقها قبل الدخول فعليه نصف المهر وعليها العدة احتياطا **قوله** من عددت الدراهم فاعتدها
اي استوفى عددها فقوله تعتدونها تفتعلونها من العد على ان بناء افتعل للاتخاذ لنفسه والمعنى فما لكم عليهن
من ايام يتربصن فيها بانفسهن تستوفون انتم عددها بالاقراء او الاشهر فقوله تعتدونها صفة لعدة **قوله** او تعدونها
على ان يكون افتعل بمعنى فعل كما يقال صبر واصطبر فكذا عد واعتد **قوله** على ابدال احد الدالين بالياء كراهة لاجتماع
حرفي التضعيف كما في تقضي البازي فيكون القراءتان بمعنى واحد لكونهما من الاعتداد وان كان من الاعتداء
بمعنى الظلم يكون التقدير فما لكم عليهن من عدة تعتدون فيها فان الزوج المطلق ان الزمها العدة ومنعها من
ان تنكح زوجا اخر فقد ظلمها بغير حق وضمير تعتدونها للعدة اجرى الظرف مجرى المفعول به حيث لم يقدر كلمة في
اتساعا كما في قولك الذي سرته يوم الجمعة وفي قوله ويوم شهدناه سليمان وعامر[اي سرت فيه] **قوله** والحكم عام فان من نكح كتابية
ثم طلقها قبل المسيس فليس له عليها من عدة كما في المؤمنة فلا وجه بحسب الظاهر لتخصيص المؤمنات بالذكر وحاصل
الجواب ان مفهوم المخالفة انما يثبت ان لو لم يكن للتخصيص فائدة سواه وههنا فائدة سواه وهي التنبيه على ما ذكر
قوله تخير النطفة اي اختيارا واصطفاء لها **قوله** وفائدة ثم الخ جواب عما يقال ما الفائدة في الاتيان بكلمة ثم مع ان
حكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك **قوله** اي ان لم يكن مفروضا لها جعل الامر للوجوب ولا يجب المتعة الا لمن
لم يسم لها مهر وقد روي عن ابن عباس رض انه قال اذا لم يكن سمى لها صداقا فانه يجب لها المتعة ان طلقت
قبل المسيس وان كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها **قوله** ويجوز ان يأول على
قوله ان لم يكن مفروضا لها ويجوز ان لا يكون الامر بالتمتيع مشروطا بان لا يكون مفروضا لها بل يكون في حق
من طلق قبل الدخول مطلقا سواء سمى لها او لم يسم بان يأول قوله فمتعوهن باعطاء ما يتمتعن به وهو يتناول
المتعة المتعارفة ونصف المفروض او بان يحمل الامر على ما يعم الايجاب والندب فان من سمى لها مهر حين
العقد ان طلقت قبل وطيء يستحب تمتيعها بشيء زائد على نصف المسمى والمذكور في الكتب الحنفية ان المطلقات
اربعة مطلقة لم توطأ ولم يسم لها مهر فيجب لها المتعة وهي درع وخمار وملحفة ومطلقة لم توطأ وقد سمى لها مهر
فهي التي لم يستحب لها المتعة بل يجب لها نصف المسمى ومطلقة قد وطئت ولم يسم لها مهر ومطلقة قد وطئت
وسمى لها مهر فهاتان يستحب لهما المتعة فالحاصل انه اذا وطئها يستحب لها المتعة سمى لها مهرا او لم يسم لانه
او حشر بالطلاق بعد ما سلمت اليه المعقود عليه وهو البضع فيستحب ان يعطيها شيئا زائدا على الواجب
وهو المسمى في صورة التسمية ومهر المثل في صورة عدم التسمية وان لم يوطأها ففي صورة التسمية يأخذ نصف

بطلب النصف

المسمى من غير تسليم البضع فلا يجب لها شيء آخر وفي صورة عدم التسمية تجب المتعة لانها لم تأخذ شيئا **قوله**
ولا يجوز تفسير السراح الجميل بالطلاق السني وهو ان يطلق غير الموطوءة طلقة واحدة ولو في زمان حيض وان
يفرق طلقات الموطوءة في ثلثة اطهار لا وطي فيها ان كانت ممن تحيض وفي ثلثة اشهر ان كانت آيسة او صغيرة
او حاملا فان الاشهر في حقهن قائمة مقام الحيض **قوله** لانه مرتب على الطلاق من حيث كونه معطوفا على ما هو
مرتب على الطلاق وهو قوله فمتعوهن وغير المدخول بها بعد ما طلقت لا يكون محلا للطلاق لزوال علقة النكاح بالكلية
بطلاقها قبل الدخول فامتنع تفسيره بالطلاق ثم انه تعالى قال على سبيل الامتنان لنبيه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي انا
احللنا لك ازواجك اي نساءك اللاتي آتيت مهورهن والمراد بالايتاء وهو الاعطاء حقيقة الاداء وقد يطلق على مجرد
القبول والالتزام كما في قوله تعالى حتى يعطوا الجزية اي يلتزموها وغيره عليه الصلوة والسلام ممن كان له اكثر من اربع نسوة
امره ان يترك ما زاد على الاربع وقد احل الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم امساك التسع ولم يأمره بالفرقة عما زاد على
الاربع وايضا قد اختار له ما هو الافضل والاولى من المحللات كما اختار للمؤمنين نكاح المؤمنات لكونه الاولى لهم
الا يرى انه تعالى وصف الازواج المحللة له عليه الصلوة والسلام بقوله اللاتي آتيت اجورهن وبكونهن مهاجرات
معه وبكونهن من اقاربه من جهة ابيه او امه ووصف المملوكات منهن بقوله مما افاء الله عليك فان تسمية
المهر واداءه افضل من تركهما وكذا الجارية اذا كانت مسبية مالكها يكون احل واطيب ممن يشترى من اهل الحرب
لانها لو لم يكن مما غنمه الله تعالى من دار الحرب احتمل ان يكون من سبي خبيثة بان سبيت من اهل العهد والذمة وكذا كون
المهاجرة افضل من غيرها لان الهجرة ح كانت من فروض الاعيان وكذا اقارب النبي صلى الله عليه وسلم من جهة ابيه او امه
اقرب منه في الكفاءة من غيرها فتوصيف المحللات بهذه الصفات ليس لبيان انحصار حلها فيما وجد فيه احدى هذه
الصفات بل للامتنان بان المسوق اليه عليه الصلوة والسلام من انما بها واولاها وافضلها **قوله** فاعتذرت اليه
قيل اعتذرت اليه عليه الصلوة والسلام بان قالت اني مُصْبِيَة اي ذات صِبْيَة والطلق اي جمع طليق وهو فعيل بمعنى
المفعول وهو الاسير اذا اطلق عنه اساره اي بعده وخلي سبيله ولما فتح عليه الصلوة والسلام مكة عنوة صار
اهلها غنيمة وملكا له فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسموا الطلقاء **قوله** نصب بفعل يفسره ما قبله اي ونحل لك
امرأة مؤمنة او عطف على مفعول احللنا اي واحللنا لك امرأة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو البقاء وقد رد
هذا قوم وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المرأة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون
ماضيا في المعنى ثم قال وهذا ليس بصحيح لان معنى الاحلال هنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول ابيح
لك ان تكلم فلانا ان سلم عليك انتهى يعني ليس المعنى ان وهبت لك نفسها في المستقبل احللنا لك اياها فيما مضى بل المعنى
ان وهبت فاعلم انا احللناها لك **قوله** ولذلك نكرها اي ولاجل ان الاحلال كان على تقدير ان يتفق الهبة نكر امرأة
اذ لو كانت الواهبة متحققة لكانت متعينة فكان المناسب التعريف **قوله** واختلف في اتفاق ذلك اي اختلف
في انه صلى الله تعالى عليه وسلم هل كانت عنده امرأة من التي وهبت نفسها له فقال عبد الله بن عباس ومجاهد رض
لم يكن

رض لم يكن عنده عليه الصلوة والسلام امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعقد نكاح او ملك يمين وقوله تعالى
ان وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة فقيل هي زينب بنت خزيمة الانصارية
وقيل هي ميمونة بنت الحارث وقيل هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقيل هي خولة بنت حكيم من بني سليم **قوله** او مدة
ان وهبت على ان يكون ان مع الفعل في حكم المصدر الذي حذف معه الزمان المضاف كما في قولك رأيتك خفوق النجم وصلاح الديك ونظيره في
كون المصدر المأول محذوفا معه الزمان قولك جلست ما دام زيد جالسا بمعنى مدة دوامه جالسا **قوله** شرط للشرط
الاول اي قيد له ولذلك يقال في اعرابه انه حال من الاول لان الحال قيد لعامله ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الشرط الثاني
على الاول في الوجود فلو قال ان اكلت ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب على الاكل ليتحقق الطالقية والتقييد
اذ لو لم يتقدم لصار جزء من الاكل غير متقيد بالركوب فجعل الاكل شرطا للطلاق وجعل ركوبه منه شرطا لكون الاكل شرطا
للطلاق فلما كان الشرط الاول بمنزلة جزاء الشرط الثاني وجب ان يكون الشرط الثاني مقدما في الوجود على الاول لان الشرط
مقدم على الجزاء في الوجود حتى لو وجد الشرطان على الترتيب الذي يلفظ به لا تنحل اليمين اي الجزاء ما لم يوجد الاول
بعده ثانيا فكانه قيل واحللنا لك امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها لك اي ان ملكت نفسها اياك بالنكاح بلفظ الهبة
من غير مهر حال ارادتك وحبك ان تنكحها على ان يكون استنكح بمعنى نكح كما يقال نكر واستنكر وعجل واستعجل وعجب واستعجب
كما اشار اليه بقوله الآن ارادة نكاحها فينبغي ان يكون قوله بعد هذا والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه بيانا لمعنى
الاستنكاح لغة لا بيانا لما اريد به في نظم الآية اذ ليس لان يقال ان اراد النبي ان يطلب نكاحها وان يرغب فيه معنى
ظاهر فلذلك فسر الامام النسفي في قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها بقوله ان احب ان ينكحها كما يقال نكر واستنكر **قوله**
واحتج به اصحابنا يعني ان قوله خالصة لك لما دل على ان حصول التزوج وحل ما يتفرع عليه من الاستمتاع بلفظ الهبة
من خصايصه عليه الصلوة والسلام دل ايضا على ان الانعقاد بلفظ الهبة ايضا من خصايصه لان اختصاصه بمعنى
الهبة وحكمها يستلزم اختصاصه باللفظ ايضا قال الامام قوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين قال الشافعي رح معناه
اباحة الوطي بالهبة وحصول التزوج بلفظها من خواصك وقال ابو حنيفة رح معناه تلك المرأة صارت خالصة لك زوجة
من امهات المؤمنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزوج ثم قال ويمكن ان يقال فعلى هذا يكون التخصيص بالواهبة لا فائدة فيه
لان ازواجه عليه الصلوة والسلام كلهن خالصات له بهذا المعنى انتهى كلامه وقال علماؤنا رح ان النكاح ينعقد
بلفظ الهبة اذا طلب الزوج منها النكاح حتى لو طلب منها التمكين من الوطي فقالت وهبت نفسي منك وقبل الزوج
لا يكون نكاحا واستدلوا عليه بان الآية قد دلت على احلال الواهبة وصحة نكاحها بلفظ الهبة وقد تقرر انه عليه الصلوة
والسلام وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل ولا دلالة لقوله تعالى خالصة لك على كون صحة النكاح بلفظ
الهبة من خصايصه عليه الصلوة والسلام لما مر من ان معناه كون الواهبة من امهات المؤمنين لا تحل لاحد بعده ابدا
فلو وهبت نفسها من احد بغير مهر وقبل الآخر بحضرة الشهود يصح النكاح ولها مهر مثلها **قوله** اي خلص احلالها اي
احلال من وهبت نفسها بلا مهر على ان يكون الخلوص صفة المرأة الواهبة نفسها فقط **قوله** او احلال ما احللنا لك

و قوله تعالى بما اجرى معك الا ودية وجود الهجرة
منهن دون القرابة حتى كان في قوله تعالى اللاتي هاجرن معك لا يكون
مع سلمان او قوله ويحتمل تقييد الحل لانه يحتمل تقييد حل الاقارب
قوله تعالى اللاتي هاجرن معك ان منهم بما هاجر
من شرط
معه منهن ثم نسخ
في الهجرة في التحليل ولعله تمهيد لما يجيء
من قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد كانه
قيل قد وسعنا لك في باب مصاحبة
النساء فاقتصر على ما عندك

فقد ارد المفسر على الشرط الفارع للابدو
ما ذكره ابو البقاء

على القيود المذكورة وهي الاصناف الاربعة المذكورة بعد قوله تعالى انا احللنا لك والمراد بالقيود المذكورة كون الازواج
اعطيت مهورهن معجلة وكون المماليك مسبيات وكون الاقارب مهاجرات وكون المرأة المؤمنة واهبة نفسها له
عليه الصلوة والسلام فعلى هذا يكون صفة الخلوص متعلقة بالاصناف الاربعة المتقدمة فان قيل ما وجه كون المسبيات
والمهاجرات ومن عجلت مهورهن خالصة له مع كونهن محللات لغيره عليه الصلوة والسلام قلنا ليس المراد بالخلوص
خلوص حلالهن مطلقا بل المراد خصوص احلالهن على القيود المذكورة كما اشار اليه المص بقوله على القيود المذكورة فانه متعلق
بقوله او احلال فانهن احللن في حقه عليه الصلوة والسلام بهذه القيود وهي ايتاء الاجور والايتاء والهجرة والهبة
واما في حق غيره فانهن احللن غير مقيدات بهذه القيود والمصدر قد يجيء على وزن فاعلة نحو عاقبة وكاذبة قال الله تعالى
ليس لوقعتها كاذبة اي كذب وقد يجيء على وزن فاعل نحو ما عندي قوله اما عيدا وقد سار الركب وكذا خالصة في الآية فانه يجوز
ان يكون مصدرا مؤكدا للفعلة المحذوف كوعد الله والتقدير خلص خلوصا ويحتمل ان يكون انتصابه على انه حال من فاعل وهبت
اي ان وهبت نفسها حال كونها خالصة لك لا تحل لاحد غيرك في الدنيا والاخرة او على انه حال من امرأة لانها وصفت فتخصصت
وهو بمعنى الاول واليه ذهب الزجاج ثم انه تعالى لما بين انه احل له الاصناف الاربعة الموصوفة بما فيهن من القيود المخصوصة
قال بعده قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين والمعنى انه تعالى قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الازواج والاماء
وعلى اي حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه كذلك حيث فرض عليهم ان يقتصروا على الاربع وحرم عليهم الزيادة
عليها وان ينكحوا الحرة على الامة وجوز ان يزيدوا عليها في الجواري المملوكة وان كثرن وفرض عليهم ان لا يتزوج الرجل
امرأة الا بولي وشهود ومهر بخلاف النبي عليه الصلوة والسلام فانه تعالى احل له الواهبة نفسها منه بغير مهر وبغير ولي ولم
يوجب عليه ان يقتصر على الاربع بناء على انه تعالى علم الحكمة في اختصاصه عليه الصلوة والسلام بما خصه الله تعالى به ففعل ذلك
وقوله لكي لا يكون عليك حرج متصل بقوله خالصة لك من دون المؤمنين والمعنى خلص احلال ما احللنا لك على القيود المذكورة
خلوصا لك لينتفي الحرج عنك في دينك ودنياك اما الاول فلانه تعالى اختار له عليه الصلوة والسلام ما هو افضل واولى للاختيار
وهو من سمى لها مهر وعجل مهرها ومن كانت مهاجرة ومن المماليك من كانت مسبية واما الثاني فلانه تعالى احل له اجناس
المنكوحات وزاد له الواهبة نفسها من غير مهر وفيه توسعة عليه الصلوة والسلام بهذه الملاذ المباحة عونا له على القيام
بما امر به **قوله** وقرأ حمزة والكسائي وحفص ترجي بالياء على ان ارجي افعل من الناقص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر ترجئ بالهمزة وفي الصحاح ارجئت الامر اخرته يهمز ولا يهمز فيقال ارجأت الامر وارجيته بمعنى اخرته
نزلت الآية في انه تعالى اباح للنبي صلى الله عليه وسلم مضاجعة نسائه ومعاشرتهن كيف يشاء من غير حرج عليه
تخفيفا له وتفضلا اباح له ان يجعل لمن احب منهن يوما او اكثر ويعطل من شاء منهن فلا يأتيها وقد كان القسم
والتسوية بينهن واجبا عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه ذلك وصار الاختيار اليه فيهن فارجأ عليه
الصلوة والسلام بعضهن وآوى اليه بعضهن وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وزينب وام سلمة
وكان يقسم بينهن سواء وارجأ منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان يقسم
لهن

لهن ما شاء وقيل ما اخرج واحدة منهن عن القسم مع انه تعالى فوض امر القسم اليه بل كان يستوي بينهن في القسم
الا سودة فانها تركت حقها في القسم وجعلت يومها لعائشة رضي الله عنهما وقوله تعالى ومن ابتغيت يجوز ان يكون من شرطية
في محل النصب بما بعدها وقوله فلا جناح عليك جوابها والمعنى ومن طلبتها من النسوة اللاتي عزلتهن فليس عليك في ذلك
جناح ويجوز ان يكون في محل الرفع على الابتداء وحذف العائد وعلى هذا يجوز ان يكون موصولة وان يكون شرطية
وقوله فلا جناح عليك اما خبر او جواب ولا بد من ضمير راجع من الجواب الى اسم الشرط والتقدير والتي ابتغيتها فلا
جناح عليك في ابتغائها وطلبها **قوله** اقرب الى قرة عيونهن اختار المص قراءة الجمهور وهي ان تقر بالتاء الفوقانية
والنصب على بناء الفاعل وهو اعينهن من قرت عينه تقر قرة وقرورا بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر نقيض
سخنت تسخن فان السرور له دمعة باردة وللحزن دمعة حارة او نقيض طمحت وارتفعت الى ما هو فوقه ولم يستقر
فالمعنى على الاول ذلك اقرب الى ان تبرد اعينهن لانهن يعدن مسرورات وان تطيب انفسهن لانهن اذا علمن ان
هذا جاء من الله تعالى كان اطيب لانفسهن واقل لحزنهن وعلى الثاني ذلك اقرب الى ان تستقر اعينهن فلا تطمح الى ما
هو فوقه وقرئ ادنى ان تقر اعينهن بضم التاء وكسر القاف واسناد الفعل الى ضمير المخاطب ونصب اعينهن
على المفعولية من اقر الله عينه اي اعطاه حتى استقرت عينه او بردت وقرئ ايضا ان تقر على بناء المفعول
ورفع اعينهن لقيامه مقام الفاعل وقرأ العامة كلهن بالرفع على انه تأكيد لنون يرضين التي هي ضمير الفاعل
وقرئ بالنصب على انه تأكيد لمفعول آتيتهن **قوله** من بعد التسع لما بني بعد على الضم علم انه قطع عن الاضافة و
ان المضاف اليه المحذوف منوي وذكر المص في تعيين المضاف اليه المنوي احتمالين الاول انه التسع والثاني انه
يوم نزول الآية واشار الى الفرق بين الاحتمالين ان يكون المقصود من الآية على الاحتمال الاول بيان ان
التسع في حقه عليه الصلوة والسلام نصابه من الازواج فلا يحل له ان يتجاوز النصاب وان جاز له نكاح امرأة
اخرى على تقدير ان تموت واحدة من التسع وعلى الاحتمال الثاني يكون المقصود قصره عليه الصلوة والسلام على هؤلاء
التسع اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة بدل الحيوة الدنيا وزينتها حين خيرهن رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم بحيث لو ماتت واحدة منهن لم يحل له نكاح اخرى وقال الامام والاولى ان يقال لا يحل لك النساء من بعد
اختيارهن الله ورسوله ورضائهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران والنقص والحرمان انتهى كلامه يريد ان
الآية لما نزلت بعد ما خيرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترن الله ورسوله كان المناسب ان يكون
المضاف اليه المقدر ما ذكره لكونه ادل على انه تعالى انما حرم عليه النساء سواهن وزاه عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن
شكرا لهن على حسن صنيعهن وقول المص من بعد اليوم خلاصة ما ذكره وقوله تعالى ولا ان تبدل اصله ولا ان تتبدل بمعنى
تستبدل يقال استبدل الشيء بغيره وتبدله به اذا اخذه به مكانه قيل ولا ان تأخذ بمقابلتهن احدا من الازواج بان تطلق
واحدة منهن وتنكح بدلها اخرى فحرم عليه طلاق النساء اللواتي كن عنده اذ جعلهن امهات المؤمنين وحرمهن على
غيره عليه الصلوة والسلام حين اخترنه وقيل كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول للرجل بادلني بامرأتك

وابادلكم امرأة تنزل لي عن امرأتك وانزل لك عن امرأتي فانزل الله عز وجل ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني ان تبادل بازواجك
غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته ثم استثنى من هذا الحكم الاماء فقال الا ما ملكت يمينك اي لا باس في ان تبادل
بجاريتك ما شئت واما الحرائر فلا ويؤيد هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضه قال دخل عيينة بن حصين على
النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة رض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين الاستيذان قال يا رسول الله
ما استاذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الحميراء الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين فقال
عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد حرم ذلك فلما خرج قالت
عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه **قوله** ولو اعجبك حسنهن كقوله
عليه الصلوة والسلام اعطوا السائل ولو على فرس اي اعطوه في كل حال ولو على هذه الحال المنافية فمعنى الآية لا يحل لك
ان تطلق احداهن وتنكح بدلها اخرى في كل حال ولو في حال اعجابك حسنها **قوله** لتوغله في التنكير والحال عن النكرة
لا يجوز تاخرها عن ذي الحال قيل فيه نظر لانه اذا كان في الحال واو جاز تاخرها عن ذي الحال النكرة لان الواو تدفع التباسها
بالصفة بناء على انه لا يجوز توسيط الواو بين الصفة والموصوف واختلفوا في انه عليه الصلوة والسلام هل ابيح له
النساء من بعد ما نسخت هذه الآية او هي محكمة قالت عائشة رض ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل
له النساء وقال انس رض مات على التحريم وقال الزهري قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تعلق بتزوج النساء قال ابن
عباس رض انه عليه الصلوة والسلام ملك بعد هؤلاء مارية فكان الامر موسعا عليه فيهن كما هو موسع على امته **قوله** وقيل المعنى
عطف على قوله من بعد التسع قيل لابي بن كعب لو مات نساء النبي اكان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل انما
يمنعه قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال انما احل الله له ضربا من النساء بقوله يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الآية ثم قال
لا يحل لك النساء بعد ذلك من بعد هؤلاء الاصناف المذكورة فلان يتزوج من نساء قومه المهاجرات ما شاء ولو ثلثمائة
والفرق بين القولين ان الآية على القول الاول فيها حكمان الزيادة على التسع وتحريم التبديل وعلى الثاني فيها حكم
واحد وهو تحريم غير ما نص عليه من الاجناس الاربعة المذكورة في قوله تعالى انا احللنا لك الخ ولا ان تبدل بهن تاكيد
لذلك فيجوز ان يزيد على العدد المذكور وان يبدل بكلهن او بعضهن ازواجا اخر من جنس ما نص عليه ولم يرض في النص
لان تخلل العاطف بين التاكيد والمؤكد غير معهود **قوله** استثناء من النساء فيجوز ان يكون في محل النصب على اصل
الاستثناء وفي محل الرفع على البدلية وهو المختار ولم يرض بكون الاستثناء منقطعا لابتنائه على ان يحمل النساء
على الازواج حتى يكون استثناء الاماء من خلاف الجنس وهو خلاف الظاهر **قوله** الا وقت ان يؤذن لكم على ان يكون ان
مع الفعل في معنى الظرف قائما مقامه على خلاف ما اشتهر عند النحاة من ان المصدرية لا تقع موقع الظرف فلا يقال آتيك
ان يصيح الديك وانما يجوز ذلك في المصدر الصريح نحو آتيك صياح الديك اي وقت صياحه **قوله** او الا مأذونا لكم على
ان يكون ان مع الفعل في موضع النصب على الحال والمعنى على الاول لا تدخلوا منازله عليه الصلوة والسلام التي فيها نساؤه
في وقت من الاوقات الا وقت كذا وعلى الثاني لا تدخلوا منازله على حال من الاحوال الا حال كذا **قوله** غير ناظرين وقته

والغرض من قوله مفروضا مستغنيا ومن كلمة لو ... منه

يعني الآية قد نسخت ولا يخفى ان النسخ انما يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ك ش ف

ومنها قوله تعالى ولا ان تبدل بهن ... احلال الاجناس ... بدل ان يكون ... ذلك انما ... [illegible]

٨٩

وقته على ان يكون الاناء اسما بمعنى الوقت فيجمع على اناء قال تعالى ومن اناء الليل اي ساعاته فيحتاج الى تقدير
المضاف اي اناء اكله او تقديره لكم لان الزمان لا يضاف الى العين بل يضاف الى الحدث **قوله** او ادراكه على ان يكون
الاناء مصدر انى يأني اي مثل قلى يقلي قلى يقال انى الطعام انا بمعنى ادرك ادراكا وانظر قد يكون بمعنى الانتظار قال تعالى
انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا ووجه كون قوله تعالى غير ناظرين اناه مشعرا بما ذكره انه لما نهى عن الدخول في جميع الاحوال
الا في حال عدم انتظار الداخل وقت تناول الطعام دل ذلك على ان الدخول على الطعام من غير دعوة لا يجلس وان اذن
فان الداخل بالاذن اذا نهي عن الانتظار لادراك الطعام كيف يجلس للمستاذن في الدخول على الطعام ان يستاذن ويدخل
عليه من غير دعوة **قوله** وهو حال من فاعل لا تدخلوا او وقع الاستثناء على الوقت والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي
في وقت من الاوقات الا وقت الاذن ولا تدخلوها في حال من الاحوال الا غير ناظرين او من المجرور في لكم والعامل على هذا ان
يؤذن **قوله** وقرئ بالجر يعني ان العامة قرؤا غير ناظرين (منتظر) بالنصب على الحال وفي ذي الحال وجهان كما تقدم وقرئ بالجر على
انه صفة لطعام على راي الكوفيين فانهم يجوزون ان يستتر الضمير في اسم الفاعل الجاري صفة على غير من هي له كما جاز
في الفعل نحو مررت برجل تضربه ولا يلزمهم ان يقال تضربه انت لعدم اللبس فيجوزون ايضا ان يقال دعينا الى طعام غير
منتظرين تقديمه الينا لعدم اللبس واما عند البصريين لا يجوز ذلك بل يجب ان يقال غير منتظرين نحن فانهم يقولون
يجب اظهار الضمير الذي في ناظرين بان يقال الى طعام غير ناظرين اناه انتم **قوله** لتقوم تحينون طعامه بان تنتظرون
وقت تناول الطعام يقال تحين الوارش اذا انتظر وقت الاكل ليدخل والوارش الداخل على القوم وهم يأكلون
ولم يدع مثل الواغل في الشراب ولما كان مدلول الآية تحريم الدخول في جميع الاوقات الا وقت الاذن الى الطعام و
تحريم اللبث لمن دخل بالاذن الى الطعام بعد الطعام لاجل قضاء مهم فيلزم منه ان لا يجوز الدخول لمن اذن له لاستفتاء
امر ديني واستماع حديث نبوي ولا اللبث بعد الطعام لمهم شرعي دفع هذا الاشكال بجعل الخطاب لطائفة
مخصوصة كانه قيل يا ايها المتحينون لا تفعلوا ما انتم عليه من تحين الطعام والدخول بغير اذن والقعود منتظرا لادراكه
وليس يلزم الا الدخول بعد الدعوة والاذن والانتشار بعد ما طعمتم من غير لبث وكان قوم منهم اذا طعموا جلسوا
يتحدثون بعضهم بعض للحديث اي لاجل او لحديث اهل البيت يستمعه فنهوا عن ذلك بقوله تعالى ولا مستانسين
لحديث ولا طالبين انس بعضكم لبعض لاجل حديث يحدثه به على ان اللام في قوله لحديث لام العلة او ولا (مستانسين)
انس حديث اهل البيت وغيرهم على ان تكون اللام لتقوية العامل لانه فرع روي في سبب نزول الآية ايضا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم على زينب بتمر وسويق وشاة وامر انسا رض ان يدعو بالناس فترادفوا
افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم و
تفرق الناس وبقي ثلثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ليخرجوا فانطلق الى حجرة
عائشة رض فقال السلام عليكم يا اهل البيت فقال وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك فطاف
بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله تعالى عليه وسلم شديد

لانه استثناء المفرغ ... بمعنى ... منه

ومن ... عن الدخول ... عن الانتظار ... وقت الطعام ... فقيد خلوا ... منه

فمن نفي ... عند الدعوة ان ... الاذن ... فيجوز له ... كذا

الحياء منه حياؤه من امرهم بالخروج فتوسطه فلما راوه متوليا خرجوا فرجع فلما دخل الحجرة ارخى الستر فنزل قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا الى آخر آية الحجاب الذي سبق آنفا ان الآية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام فيقعدون الى ان يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان عليه الصلوة والسلام
يتأذى بهم لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله فيما لا يعنيه كذلك مروي عن ابن عباس **قوله** من اخراجكم
لقوله والله لا يستحيي من الحق على انه لا بد من تقدير المضاف في قوله منكم ووجه الاستدلال انه لو لم يقدر
لكان الظاهر ان يقال والله لا يستحيي منكم ليكون متعلق النفي والاثبات شيئا واحدا فلما قيل والله لا يستحيي من الحق ولم يمكن
حمل الثاني على الاول اذ لا معنى لان يقال والله لا يستحيي من انفسكم لان استحياء الله تعالى من شيء معناه الامتناع عنه امتناع
المستحيي عن امثال ذلك يراد منه الغاية نحوه تعالى وامكن حمل الاول على الثاني بتقدير المضاف فيه فعل ذلك فكان المعنى فيستحيي
من اخراجكم والله لا يستحيي منه لكونه حقا وروي انه لما نزلت آية الحجاب قال رجل من اصحاب رسول الله لو توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتزوجت عائشة رض فنزل قوله تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله بوجه من الوجوه ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا اي من بعد موته او فراقه اياها بحياته **قوله** تزوج المستعيذة وهي اسماء بنت النعمان الكندية وكانت من احسن
النساء الا انها لم تكن من اقربائه عليه الصلوة والسلام بل كانت من الغرائب ولما تزوج عليه الصلوة والسلام اياها ودخلت
عليه قالت اعوذ بالله منك فقال صلى الله عليه وسلم لقد عذت بعظيم الحقي باهلك ولما كانت كل واحدة من امهات المؤمنين
خالصة له عليه الصلوة والسلام في الدنيا والآخرة نهي المؤمنون عن تزوجهن من بعده تعظيما من الله تعالى لرسوله وايجابا
لحرمته حيا وميتا روي عن حذيفة رض انه قال لامرأته ان اردت ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فان المرأة لآخر
ازواجها فلذلك حرم الله على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يتزوجن بعده **قوله** وفي هذا التعميم اي تعميم متعلق الابداء والاخفاء
حيث قيل ان تبدوا شيئا او تخفوه وتعميم متعلق علمه تعالى حيث قيل فان الله بكل شيء عليم مع ان الظاهر ان يقال وان تبدوا اما
ذكر من ايذائه ونكاح نسائه او تخفوه فان الله يعلم ذكر فوضع موضعها شيئا في قوله تعالى ان تبدوا شيئا وشيء في قوله تعالى فان
الله بكل شيء عليما ليدخل تحت هذا العام ذكر دخولا اوليا لان المقصود ذكر الوعيد على خصوص ايذائه ونكاح نسائه
والمراد بالمقصود بيان حرمة الايذاء ونكاح النساء وبرهانه قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما وفي كل واحد من اقامة
البرهان على المقصود المذكور والتعميم المعتبر في الوعيد زيادة تهويل لمن يقصد ما تبين تحريمه **قوله** مخافة ان يصفنا لا
بنائهما وابناؤهما ليسوا المحارم الا انهن لو لم يحتجبن من الاعمام والاخوال لربما يحكي العم محاسن بنت اخيه لابنه وكذا
الخال ربما يحكي محاسن بنت اخته لابنه فيكون سماع المحاسن والاوصاف بمنزلة المشاهدة عيانا في كونه مؤديا الى الفتنة
قوله يعني النساء المؤمنات فيجوز للمسلمة النظر الى المرأة المسلمة سوى ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمسلمة ان تنكشف
للكافرة لانها ليست من النساء المؤمنات وروي عن عمر رض انه كتب الى ابي عبيدة بن الجراح خليفته بالشام ان يمنع الكتا
بيات من دخول الحمامات مع المسلمات ولا يجوز للمسلمة ان تكشف بدنها للمشركة الا ان تكون امة لها فان المسلمة يجوز ان تكشف
بدنها عند امتها مسلمة كانت الامة او كافرة لان في كشف مواضع الزينة الباطنة عند امتها الكافرة في احوال استخدامها من
الضرورة

من الضرورة التي لا تخفى ففارقت الحرة المشركة **قوله** من العبيد والاماء يعني ان قوله تعالى ما ملكت ايمانهن يدخل فيه العبيد ايضا
اذا كانوا اعفة لما روي عن ام المؤمنين عائشة رض انها قالت لعبدكم ان ينظر الي اذا وضعت في القبر وخرجت فانت حر وهو
قول ابن المسيب في الامة ثم رجع عنه وقال لا يغرنكم آية النور فانها نزلت في الاناث دون الذكور ومثله روي عن سمرة بن جندب
وعليه عامة العلماء ومن الائمة من قال المراد من كان دون البلوغ قال الامام قوله تعالى واتقين الله عند ذكر المماليك دليل على ان
التكشف لهم مشروط بشرط السلامة والعلم بعدم المحذور **قوله** لا يخفى عليه خافية عن ابن عطاء ان الشهيد من يعلم خطرات
القلوب كما يعلم حركات الجوارح **قوله** يعتنون باظهار شرفه يعني ان المراد بالصلوة القدر المشترك بين ما اسند الى الله تعالى من
الرحمة والى ملائكته من الاستغفار للمؤمنين والاهتمام بما يصلحهم والى المؤمنين من التضرع والابتهال الى الله تعالى ان يعظم
شانه ويرفع درجاته ابد الآباد وهو العناية بصلاح امرهم واظهار شرفهم مستعار من صلوة العصا اذا اصلحتها بالنار وتقويمها
وتقويمها كالامر عن قريب فصح ان يكون قوله تعالى وملائكته منصوبا بالعطف على اسم ان وان يكون يصلون خبرا عن الله تعالى وملائكته
وقيل هو خبر عن الملائكة فقط وخبر الجلالة محذوف لتغاير الصلوتين لما امر الله تعالى المؤمنين بالاستيذان وعدم النظر الى نسائه
احتراما له كمل بيان حرمته في جميع حالاته وذلك لان حالاته منحصرة في اثنين حالة كونه في ملاء والملاء اما الملأ الاعلى واما
الملأ الادنى فبين الله تعالى احترامه وهو في خلوته بقوله لا تدخلوا بيوت النبي وبين احترامه وهو في الملأ الاعلى بقوله ان الله
وملائكته يصلون على النبي ثم ذكر كونه واجب الاحترام في الملأ الاسفل بقوله يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
اي ادعوا الله تعالى بان يترحم عليه ويسلم سئل عليه الصلوة والسلام كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وكيفية السلام عليه ان يقال السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وروي انه عليه الصلوة والسلام
قال اخبرني جبريل عليه السلام عن الله سبحانه ان الله تعالى قال من صلى عليك صلوة صليت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات
وكتبت له عشر حسنات وروي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله عز وجل وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي
علي الا قال ذانك الملكان غفر الله تعالى لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين والصلوة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وان ذكر في مجلس واحد الف مرة
وهو المختار عند الجمهور ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره فيه كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط
ان يصلي عليه كلما جرى ذكره عملا بما ورد في الاخبار ثم انه تعالى لما امر بالصلوة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بين
حال من يؤذيه ويؤذي رسوله ليتبين فضيلة من امتثل امره تعالى وفضيلة من يصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
لان فضيلة الاشياء تتبين بانحطاط اضدادها وايذاء الرسول حقيقة وان كان ممكنا بحسب العقل الا ان ايذاءه تعالى
حقيقة ممتنع غير متصور لانه تعالى لا يتأذى بشيء منزه عن ان يلحقه اذى فلو حمل ايذاء الله تعالى على المجاز وايذاء الرسول
على الحقيقة لزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فوجب ان يحمل الايذاء على معنى مجازي يعمهما ويصح اسناده اليهما وهو

قوله [illegible] وعدم النظر الى نسائه [illegible] حالة الخلوة [illegible] حالاته منحصرة [illegible] فذكر ما يدل على احترامه [illegible] بقوله لا تدخلوا بيوت النبي واما في ملاء والملاء اما الملأ الاعلى او الملأ الادنى اما احترامه في الملأ الاعلى فان الله تعالى وملائكته يصلون عليه واما احترامه في الملأ الادنى فبقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما [illegible]

فان قيل اذا صلى الله تعالى وملائكته عليه فاي حاجة الى صلوتنا فالجواب ان الصلوة عليه ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة له الى صلوة الملائكة مع صلوة الله تعالى عليه وانما هو لاظهار تعظيمه كما ان الله تعالى اوجب علينا ذكر نفسه ولا حاجة له اليه وانما هو لاظهار تعظيمه منا شفقة علينا ليثيبنا عليه ولهذا قال عليه الصلوة والسلام من صلى علي مرة صلى الله تعالى عليه عشرا [illegible]

قوله وروي الحديث على ما في الكشاف [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله وملائكته يصلون على النبي [illegible] العلم المكنون [illegible] الصلوة والسلام [illegible] ان الله عز وجل وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته لذينك الملكين آمين انتهى الحديث في الكشاف فانظر ان شئت وكذا في تفسير مولانا ابو السعود

ارتكاب ما يكرهانه ولا يرضيانه به قولا كان او فعلا او اعتقادا لكانه قيل ان الذين يرتكبون ما لا يرضى الله تعالى ورسوله فان مخالفة
الامر وفعل ما لا يرضى سبب للايذاء في الجملة فاما نسنا اذن به فاطلق السبب واريد المسبب ثم اشار الى توجيه اخر و
هو ان المراد ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وان ذكر الله تعالى تمهيد لذكره واشارة الى انه عليه الصلوة والسلام عند الله تعالى
بمكانة حتى ايذاءه ايذاؤه تعالى قوله فسره بالمعنيين باعتبار المتولين اي فسر الايذاء باعتبار تعلقه بمفعوله اصالة بمعنى
يتصور فيه وهو ارتكاب ما يكرهه ولا يرضاه وهو سبب للايذاء في الجملة فاطلق عليه اسم المسبب مجازا وباعتبار تعلقه
بما عطف على مفعوله اصالة فسر الايذاء حقيقة لكونه متصورا في حقه عليه الصلوة والسلام فلا وجه لحمله على المجاز في حقه قوله
بغير جناية استحقوا بها الايذاء اطلق ايذاء الله تعالى ورسوله وقيد ايذاء المؤمنين بكونه بغير جناية استحقوا بها ذلك لان اذى
الله تعالى ورسوله لا يكون بغير حق يوجبه البتة واما اذى المؤمنين والمؤمنات فمنه ما يكون بحق ومنه ما لا يكون كذلك والموجب
للعقوبة هو الثاني او عن عبد الرحمن بن سمرة رض قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ذات يوم فقال رايت الليلة عجبا رايت
رجالا يعلقون بالسنتهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل فقال هؤلاء الذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قوله
وقيل في زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيغمزون المراة فان سكتت اتبعوها وان زجرتهم
انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا يعرفون الحرة من الامة لان الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار فشكون
ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الاية ثم نهى الحرائر عن ان يتشبهن
بالاماء بقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب
وهو الملحفة التي تشتمل بها المراة فوق الدرع والخمار ليعلم انهن حرائر قوله وتتلفع ببعضها تتلحف يقال تلفع رجله
تلفيعا اذا غطاه وتلفعت المراة بمرطها اذا تلحفت به قوله عن تزلزلهم في الدين متعلق بقوله لئن لم ينته مبني على ان
يكون المراد بمرض القلب ضعف الايمان وقلة الثبات عليه وقوله او فجورهم مبني على ان يكون المراد بالذين في قلوبهم مرض الزناة
الذين يتعرضون للنساء بالليل كما في قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والارجاف ايقاع الخبر على غير حقيقة من الرجفة وهي
الزلزلة فالمرجف المخبر بمتزلزل غير ثابت وقوله عن ارجافهم ايضا متعلق بقوله لم ينته قوله تعالى لنغرينك بهم جواب
قسم مضمر اي والله لئن لم ينته هؤلاء لنسلطنك عليهم بان نامرك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة والاغراء هو
التحريش وتهييج الشخص على اخر قوله والاستثناء شامل له ايضا اي لا يجاورونك فيها في جميع الاوقات او شيئا من الجوار
على حال من الاحوال الا وقتا قليلا او جوارا قليلا الا على حال كونهم ملعونين ولا يجوز ان ينتصب على انه حال من فاعل اخذوا
الذي هو جواب الشرط لان معمول الجواب لا يتقدم على اداة الشرط فلا يقال خيرا ان تاتني تصب كما لا يتقدم معمول فعل الشرط على
اداته فلا يقال زيدا ان تضرب اهنك وقول المص ما بعد كلمة الشرط يتناول فعل الشرط وجواب الشرط واجاز الكسائي تقدم
معمول كل واحد من فعل الشرط وجوابه على اداته واجاز الفراء تقديم معمول الجواب عليها ولم يجوز تقديم معمول فعل الشرط فظهر ان
المسئلة فيها ثلثة مذاهب المنع مطلقا والتجويز مطلقا والتفصيل ثم انه تعالى لما بين حالهم في الدنيا وهي انهم يلعنون ويهانون
ويقتلون اراد ان يبين حالهم في الاخرة فذكرهم اولا بالقيمة وما يكون لهم فيها وبيانه لعنهم واعد لهم سعيرا خالدين فيها

[illegible]

[illegible]

[illegible]

حينها ابدا واخفاء وقت قيامها لحكمة وهي امتناع المكلف عن الاجتراء وخوفهم منها في كل وقت والآية نزلت حين
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة وعن وقت قيامها لما نزل قوله تعالى في وعيد المؤذين لعنهم الله في الدنيا
والاخرة قالوا متى الاخرة انكارا للبعث والجزاء واستهزاء قوله شيئا قريبا يعني ان قريبا فعيلا بمعنى الفاعل حقه ان يطابق المذكر
والمؤنث وقريبا في الاية خبر يكون المسندة الى ضمير الساعة فحقه ان يقال قريبة الا انه ذكر لكونه صفة لموصوف مذكر هو خبر كان
اي الساعة تكون شيئا قريبا ثم اشار الى وجه اخر لتذكيره وهو ان قريبا ليس خبر كان بل هو ظرف في موضع الخبر اي الساعة تكون
في زمان قريب فان قريبا كثر استعماله استعمال الظرف والمعنى اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها اي
انت لا تعلمه ثم خوفهم فقال لعل الساعة تكون قريبا وقوله تعالى لا يجدون حال ثانية او حال من ضمير خالدين والمعنى لا يجدون
شفيعا لهم ولا ناصرا يدفع عنهم وقراءة العامة تقلب بضم التاء وفتح القاف على بناء المفعول ورفع وجوههم على انه قائم مقام
الفاعل وقرئ تقلب بفتح التاء ورفع وجوههم على الفاعلية اصله تتقلب وقرئ تقلب بضم التاء وكسر اللام على بناء الفاعل
ونصب وجوههم على المفعولية اي تقلب السعير او الملائكة وجوههم قوله متعلق الظرف اي عامله يعني ان يوم معمول
ليقولون بعده ويحتمل ان يكون معمولا لخالدين او لاذكر مقدرا فقوله يقولون حينئذ يكون حالا من الوجوه لان المراد بها الجملة
او من الضمير المجرور بالاضافة فان الحال يجيء عن المضاف اليه ثم انهم لما علموا انه لا تخلص مما هم فيه من العذاب
الا من اطاع الله تعالى ورسوله في الدنيا ندموا على عصيانهم فيها حيث لا ينفعهم الندامة واعترفوا بذنوبهم حيث قالوا
اطعنا سادتنا وكبراءنا بدل طاعة الله ورسوله وقالوا يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اشبعت فتحة اللام لا
طلاق الصوت ورعاية الفواصل ثم انهم لما راوا ان ضلالهم عن الطريق كان باضلال قادتهم اياهم سالوا الله تعالى ان يضاعف
عذاب سادتهم والسادة يجوز ان يكون جمع سيد على خلاف القياس لان فعيلا لا يجمع على فعلة وسادة فعلة لان اصله
سودة ويجوز ان يكون جمعا لسائد نحو فاجر وفجرة وكافر وكفرة وابن عامر جمع هذا الجمع بالالف والتاء للدلالة على
الكثرة كجمرات وطرقات وبيوتات وجمالات في جمع جمر وطرق وبيوت وجمال والسيد هو الذي يملك تدبير السواد
الاعظم والكبراء الرؤساء ويجوز ان يكون المراد به علماءهم كما قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر قوله مثلي ما اشبعتنا منه
اشارة الى ان ضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله كما ذكره الجوهري في صحاح اللغة حيث قال ذكر
الخليل ان التضعيف ان يزاد على اصل الشيء فيجعل مثلين او اكثر وكذلك الاضعاف والمضاعفة يقال ضعفت الشيء
واضعفته وضاعفته بمعنى وضعف الشيء مثله وضعفاه مثلاه واضعافه امثاله هذا كلامه بعبارته وروي عن ابي
عبيدة في قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين انه قال معناه يجعل الواحد ثلثة تعذيبات ثلثة اعذبة وانكره الاز
هري وقال هذا الذي يستعمله الناس في مجاري كلامهم وتعارفهم وانما الذي قاله حذاق النحويين انها يعذب مثلي
عذاب غيرها لان الضعف في كلام العرب المثل قوله كثير العدد يعني ان جمهور القراء قرؤا كثيرا بالثاء المثلثة وقرا عاصم
بالباء الموحدة ليدل على شدة اللعن وعظمه والاول يدل على كثرة اعداد اللعن ثم انه تعالى لما بين ان الذين يؤذون
الله ورسوله لعنهم في الدنيا والاخرة وعظ المؤمنين ونهاهم عن ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذكر حكاية

[illegible]

[illegible]

شيء مما يكرهه كمقالة الناس في تزوجه عليه الصلوة والسلام زينب بنت جحش رضي وقول من قال حين قسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قسما ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله تعالى روي انه عليه الصلوة والسلام اخبر بهذا القول غضب حتى ظهر
اثر الغضب في وجهه الكريم ثم قال يرحم الله موسى لقد اوذي اكثر من هذا فصبر كأنه قيل ايها الذين امنوا اذا امركم الرسول بشيء
فأتوا منه ما استطعتم ما اطمئن ان قلبي في صدق رغبة فيما دعاكم اليه ولا تجدوا في انفسكم حرجا مما قضى به عليكم وسلموا
تسليما **قوله** فاظهر براءته من مقولهم يعني ان برأ فعل للنسبة كما في قولك فسقته وبرعه لا للتعدية وان ما يقال من كلمة
ما في قوله تعالى مما قالوا اما مصدرية او موصولة فعلى الاول يكون المعنى فاظهر براءته من تكلمهم وعلى الثاني من كلامهم والمعنى
للبراءة من تكلمهم ولا من كلامهم لان البراءة انما تكون من نحو الذنب والعيب لا من التكلم والكلام وان كان متجها بحسب
الظاهر الا انه ينبغي ان يجعل كلمة ما موصولة ويكون معنى البراءة من كلامهم البراءة من مؤداه ومضمونه **قوله** فاطلعهم الله تعالى
على انه بريء منه روي ان موسى عليه الصلوة والسلام حيا تو ماني موضع ليغتسل فيه فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ
اقبل على ثيابه ليأخذها ففر الحجر بثوبه فاخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملاء
من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن الرجال خلقا واظهر الله تعالى براءته مما كانوا يقولون فوقف الحجر فاخذ ثوبه فلبسه
وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلثا او اربعا او خمسا والأدرة نفخة تكون في الخصية
قوله وكان عند الله وجيها بيان لوجه تبرئة الله تعالى اياه كأنه قيل ولوجاهته عنده اماط عنه ما نسب اليه من العيب
والنقصان كما يفعل الملك بمن له عنده قربة وقدر والوجيه فعيل من وجه الرجل وجاهة بضم العين في عطف قوله فبرأه الله
مما قالوا بالفاء على قوله آذوا اصريح في ان المشبه به من اتصف بامرين مترتب ثانيهما على الاول وهما ايذاء من له وجاهة
عند الله وانتقام الله من المؤذي باظهار براءة الوجيه وتفضيح المؤذي وتخجيله فكان مدلول الآية ايها المؤمنون لا تؤذوا نبيكم
فانكم ان اذيتموه تكونون كالذين آذوا موسى فبرأه الله تعالى مما قالوا فتفتضحون باظهار شرفه وتنكيس رؤسكم **قوله** قاصدا الى
الحق اي عدلا مستويا في تأدية الحق والوصول اليه من القصد بمعنى العدل يقال سدد قوله يسدد بالكسر اي صار سديدا اي ذا سداد
وهو الاستقامة والصواب وسدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها واصاب في الامر بالشيء لما لم يقتض التكرار والدوام
حمله على النهي عن ضده كما قيل الامر بالشيء نهي عن ضده **قوله** باستعمالكم في القول والعمل متعلق بمجموع قوله يصلح ويغفر
واشارة الى ان كل واحد منهما مسبب عما سبق وهو استقامة القول المدلول عليه بقوله وقولوا قولا سديدا او استقامة
العمل المدلول عليه بقوله اتقوا الله **قوله** يعيش في الدنيا حميدا اي يعيش عيشا محمودا **قوله** تقرير للوعد السابق اي
وعد الفوز العظيم لمن اطاع الله ورسوله بتعظيم الطاعة وهي الطاعة الاختيارية التي كلف الانسان بها وتعلق بادائها
الثواب وبتضييعها العقاب عظمها الله تعالى ببيان انها في صعوبتها وعظم شأنها وثقل تحملها بحيث عرض على اعظم
ما خلقه الله تعالى من الاجرام واشده واقواه ان يتحملها ويرعاها حق رعايتها فابى حملها واشفق منها اي خاف منها ان
لا يؤديها ويراعي حقها فلما فخم الله تعالى شأنها وعظم امرها بقوله انا عرضنا الامانة الآية ظهر ان من تحملها وراعى حقها فقد
استحق بفضل الله تعالى ورحمته لان يفوز فوزا عظيما فكان تعظيم شأنها تقريرا للوعد السابق **قوله** والمعنى انها

وهو الامر المعيب

ان قيل مر ببا ... عليه الثوب
3
الندبة اثر الجرح

كلمة الظرفية المجازية

انها لعظم شأنها بحيث لو عرضت ... يدان الآية من قبيل الاستعارة التمثيلية شبهت حالة المحققة في الطاعة التي عبر عنها
بالامانة من عظم امرها وثقل رعاية حقها بالحال المفروضة فيها وهي انها لو عرضت على السموات والارض والجبال لابين ان يحملنها
كما يصح تشبيه الحال المحققة كما في قولك لمن لا يثبت على رأي واحد اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فانه شبهت حال المحققة في تردده
واضطرابه بين الرأيين وتركه المضي على واحد منهما بحال اخرى محققة ايضا وهي حال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي
على الذهاب فكذا يصح تشبيه الحال المحققة بالحال المفروضة كما في الآية فان المفروضات تتخيل في الذهن فيصح جعلها مشبها
بها فان عرض الامانة على الجماد واباءه واشفاقه وان كان امرا مستحيلا في نفسه الا انه يصح فرضه وجعله مشبها به والعرض
من التشبيه تصوير عظم شأن الامانة والعرض في الاشفاق والاباء على حقيقتها والحمل بمعنى الاضطلاع الالتزام لرعاية حقها **قوله**
وهذا وصف للجنس يعني ان التعريف في قوله وحملها الانسان تعريف الجنس وصح توصيف الجنس بوصف باعتبار وجوده في بعض
افراده فكيف اذا وجد في اكثر افراده واحتيج الى هذا التوجيه لان الصديقين والابرار من بني ادم حاشاهم ان يكونوا ظلوما جهولا
قوله وقيل المراد بالامانة الطاعة المجازية المتناولة لما يليق بالجمادات او بالمكلفين من الحيوانات فينبغي ان
يحمل العرض على معنى مجازي يصح تعلقه بالفاعل المختار وغيره ومجرد الاستدعاء المتناول لطلب الفعل من المختار وارادة
صدوره من غيره ومعنى قوله فابين ان يحملنها الانسان فابين الخيانة فيها بان لا يؤدونها وحملها الانسان اي لم يؤدها الى صاحبها
ولم يخلص ذمته عن عهدتها روي عن الحسن انه قال يعني الكافر والمنافق حملا الامانة اي خاناها ولم يطيعا ومن اطاع من النبيين و
الصديقين والمؤمنين فلا يقال فيه كان ظلوما جهولا وتصديق ذلك ما بعده من قوله تعالى ليعذب الله والمنافقات الآية **قوله**
وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام الخ فعلى هذا القول يكون العرض تخيير الالزام والاباء لاختيار الامرين مخافة وخشية
لا مخالفة ومعصية قالوا ان كان هذا عرض تخيير فقد تركنا الثواب مخافة العقاب نطيعك في لا نعصيك طاعة عين طاعة
طبيعية على حسب ما خلقتنا ولا نلتزم ما يشق علينا رعاية حقه قال الحسن ومجاهد قال الله تعالى لآدم اتحمل هذه الامانة
وترعاها حق رعايتها فقال آدم عليه الصلوة والسلام وما لي عندك ان حملتها قال لك ان احسنت واطعت ورعيت
الامانة فلك الكرامة وحسن الثواب في الجنة وان عصيت واسأت فاني معذبك ومعاقبك قال قد رضيت وتحملتها فقال تعالى
قد حملتكها فذلك قوله تعالى وحملها الانسان وروي عن ابن عباس رض فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج من الجنة
الا قدر ما بين الظهر والعصر وكان ظلوما لنفسه حين خالف امر ربه جهولا لا يدري ما العقاب عليه فيها **قوله** وعلى هذا
يحسن ان يكون كونه ظلوما جهولا علة للحمل عليه فان الظاهر ان يكون قوله انه كان ظلوما جهولا استينافا للتعليل
حمل الامانة على الانسان لا لبيان ما يتفرع على حمله ثم ما يتعلق بسورة الاحزاب والحمد لله وحده والآن نشرع فيما
يتعلق بسورة سبأ

سورة السباء مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** فله الحمد في الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته يعني ان الحمد يقع بازاء الفضائل
اللازمة لذات المحمود والفواضل المتعدية منه الى الحامد وان اختصاص ما في السموات وما في الارض به تعالى خلقا دليل على
قدرته الباهرة وان اختصاص جميع ذلك به تعالى نعمة واصلة الينا دليل على كثرة عوائد افضاله وانعامه علينا فظهر به

انه كان ظلوما جهولا الى اية كانت تحرك ... الكتب
من الظلم ... تعلق الوجوب فظهر
افراده الذين لم يتعلق ... السابع دون
السعيدة او اعتبر فيهم ... لم ... فظهر الله
من عدانهم من الذين لم ... بقوله عز
شيد بلا واي الفريق الاول اشير بقوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات
وجعل ليعذب الله المنافقين ... ان
والمشركين والمشركات اي حملها الانسان ...
ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها
ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة
فان التعذيب وان لم يكن غرضا من الحمل
لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى البعض
افراده ترتب الاعراض على الافعال
المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي
كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب
الله تعالى بعض افراده لخيانتهم الامانة
وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق
الثاني اشير بقوله تعالى ويتوب الله على المؤمنين
والمؤمنات اي كان عاقبة حمله
لها ان يتوب الله تعالى على بعض افراده اي
يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة
عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط
منهم من فرطات فلما يخلو عنها الانسان
بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة و
الانابة. ابو السعود

انه تعالى يستحق حمد جميع الحامدين استحقاقا ذاتيا ووصفيا من جهة فضله الذاتي وافضاله المتعدي وتعريف الحمد سواء جعل
للحقيقة او للاستغراق ثم الحكم باختصاصه به تعالى يفيد اختصاص جميع افراد الحمد به تعالى اذ لو ثبت شيء من افراد الحمد لغيره تعالى
للزم ثبوت جنس الحمد لذلك الغير في ضمن ذلك الفرد وجميع افراد الحمد مختص به تعالى في الحقيقة اذ ما من خير الا وهو تعالى موليه بوسط
او بغير وسط كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وحاصل قوله وليس هذا من عطف المقيد على المطلق انه من عطف المقيد و
ذلك انه تعالى لما عقب الحمد بما يدل على كمال قدرته وافضاله علينا بالنعم الدنياوية عرف انه المحمود على نعم لما عطف عليه
الحمد في الاخرة علم انه ايضا على النعمة الاخروية ليلائم الكلام ولما قيد الحمد هناك بان محله الاخرة علم ان الاول محله
الدنيا لذلك ايضا فصار المعنى انه المحمود على نعم الدنيا فيها وانه المحمود على نعم الاخرة فيها وقدم الحمد اولا على الاصل فان
حق المبتدا التقديم واخره ثانيا ليفيد الحصر فان الحمد في الاخرة ليس الا له واما في الدنيا فقد يحمد غيره تعالى لوصول نعمة الله
اليه من يده ذكره النيسابوري بخلاف الاخرة فان الملك والنعمة فيها ليس الا له تعالى قوله يشعر هذا المعنى بتقديم الخبر والمعتزلة فرقوا بين الحمد
الواقع في الدنيا والواقع في الاخرة بان الحمد في الدنيا واجب لانه على نعمة متفضل بها بخلاف الحمد في الاخرة فانه ليس بواجب
لكونه بمقابلة نعمة واجبة الايصال الى مستحقها بناء على زعمهم ان ثواب المطيع واجب عليه تعالى والجميل الذي يجب صدوره
من الفاعل لا يجب الحمد عليه لان الحمد لا يكون الا على الجميل الاختياري وعند اهل السنة لا يجب عليه تعالى شيء لا في الدنيا ولا في
الاخرة ويجب الحمد على المكلف في الدنيا لكون الدنيا دار التكليف ولا يجب في الاخرة لانقطاع التكليف فيها ومع ذلك فاهل
الجنة يذكرون الله تعالى ويشكرونه لذة يجدونه اكثر مما يجدونه في الدنيا من لذاتها فانها جابذكره وكيف لا وقد صار حالهم كحال
الملائكة الذين قال تعالى في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب ان العبادة ليست عليهم بتكليف
بل هي حالة شبيهة بمقتضى الطبع **قوله** والفلزات الفلز اسم جامع لجميع الجواهر وقوله تعالى يعلم ما يلج مستانف لبيان كونه
خبيرا فان الخبير هو الذي يعلم عواقب الامور وبواطنها والحكيم هو العالم الذي يفعل ما يناسب علمه ويكون فعله على وفق
علمه قدم ما يلج في الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تبذر اولا ثم تسقى ولم يقل ما يعرج اليها بدل قوله وما يعرج فيها
لان كل واحد من الملائكة والاعمال ليس منتهى عروجه نفس السماء بل ينفذ فيها ويصعد الى ان يصل الى منتهى صعوده فالملك
يصعد الى ان يصل الى مقامه المعلوم والعمل الصالح يصعد الى ان يصل الى محل الاعمال المقبولة ولو قيل ما يعرج اليها لتوهم
الوقوف عند السموات فقال وما يعرج ليفهم نفوذها فيها وصعودها ولهذا قيل في الكلم الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لانه تعالى
هو المنتهى لا مرتبة فوق الوصول اليه ثم قال وهو الرحيم الغفور الرحيم لعباده بانزال ما ينزل من السماء من الملائكة والكتب
والارزاق وانواع الخيرات والبركات مما يلج في الارض وما يخرج منها والغفور للمفرطين في شكر نعمته مع كثرتها حيث
لا يعاجلهم بالعذاب بل يغفر لمن تاب منهم واناب فهو المستحق للحمد بذلك ايضا فعلى هذا يكون المراد بالرحمة والمغفرة
ما يكون في الدنيا منهما ويحتمل ان يكون المراد بالرحمة سوابق النعمة ايضا وبالمغفرة ما يكون في الاخرة ثم انه تعالى لما
اثبت الدار الاخرة وحكم بان الحمد فيها مختص به لاختصاص ما فيها من النعم به تعالى خلقا ونعمة حكى مقالة من ينكر البعث
والقيامة وهي ما روي عن مقاتل انه قال قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لا تاتينا الساعة ابدا فلما حلف

قال الله

[هامش: ... والليل وجمع على / انواع ... / والقصب جعله ... / انسب بما قبله من / نعم الدارين منه]

٩٣

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل بلى وربي لتاتينكم امره بان يقسم باغلظ الايمان وهو الحلف بالله **قوله** بلى جواب لقولهم
لا تاتينا وما بعده قسم على ذلك الايجاب وقوله لتاتينكم تكرير لذلك الايجاب حال كون ذلك الايجاب مؤكدا بالقسم وهو ظاهر
ومؤيدا باتباع المقسم به بذكر اوصافه الدالة على امكان نفوذه فان من كان عالما بجميع الاشياء يعلم اجزاء الاحياء ويقدر على
جمعها فتلك الاوصاف تدل على كون الساعة ممكنة القيام وقد اخبر عنه الصادق فتكون واقعة لا محالة فقوله تعالى
لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان له جسم وروح والاجسام اجزاؤها في الارض
والارواح في السماء فقوله لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات اشارة الى احاطة علمه بالارواح وقوله ولا في الارض
اشارة الى احاطة علمه بالاجزاء الجسمية فاذا علم الارواح والاشباح وقدر على جمعها لا يبقى استبعاد فيما نفوه من البعث
واتيان الساعة وايضا من جملة الوجوه الداعية لهم الى الاستبعاد ذلك انهم زعموا ان احاطة العلم بتفاصيل اشخاص
المكلفين عسير فكيف بتفاصيل اعمالهم من الخير والشر واذا كان العلم بتفاصيل الاعمال بعيدا يكون اتيان الساعة
ايضا بعيدا لان اتيانها انما يكون للمجازاة على حسب الاعمال فازيل هذا الاستبعاد ايضا بوصف المقسم به بقوله تعالى
عالم الغيب الى قوله ليجزي الذين الاية فان المقسم به انما وصف لما يدل على حقيقة المقسم عليه ويزيل استبعاده فان
قيل كيف يصح التاكيد بقوله وربي مع انهم ينكرون وجود الرب وان كانوا يقولون به لكن المسئلة الاصولية لا تثبت
باليمين اجيب بانه لم يقتصر على اليمين بل ذكر الدليل وهو قوله ليجزي الذين امنوا الخ وبيان كونه دليلا هو ان المسيء
قد يبقى في الدنيا مدة مديدة في سعة العيش وسرور البال ويموت عليها والمحسن قد يعيش في الدنيا في الالام الشديدة
وضيق الحال الى ان يموت فاقتضى ذلك ان يكون الدنيا دار التكليف وان يكون بعدها دار اخرى للجزاء والا لجاز ان
يكون المسيء احسن حالا من المحسن والتسوية بينهما خلاف مقتضى الحكمة فضلا عن ان يكون العاصي احسن حالا
قوله جملة مؤكدة لنفي العزوب فان ما هو اصغر من مثقال ذرة وما هو اكبر منه اذا كان معلوما ومكتوبا في اللوح المحفوظ
يعلم منه ان ما هو مثقال ذرة معلوم ايضا وجمهور القراء على رفع اصغر واكبر على الاصل للابتداء فان الاسم للابتداء في الاصل
فيجوز ابقاؤه على اصل حاله بعد دخول لا عليه والخبر قوله الا في كتاب وقراءة الرفع وان جاز كونها مبنية على كونهما معطوفين
على فاعل يعزب بحسب الظاهر الا ان قراءة الفتح يؤيد كونهما مرفوعين على الابتداء لا معطوفين على ما قبلهما لتتحد مؤدى
القراءتين **قوله** ولا يجوز الخ جواب عما يقال لم لا يجوز ان القراءة بالفتح تؤيد ذلك لجواز كون المرفوع معطوفا على مثقال
والمفتوح على ذرة فيتحد مؤدى القراءتين ايضا **قوله** لان الاستثناء يمنعه وذلك لان المعنى حينئذ عالم الغيب لا يعزب عنه
عنه ان علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر او ولا مثقال اصغر من ذلك ولا مثقال اكبر منه
على ان يعطف على ذرة الا في كتاب مبين فانه يعزب عنه فيه وفساده ظاهر وهذا الفساد انما يلزم على تقدير
ان يكون الضمير في عنه لعالم الغيب كما هو الظاهر واما اذا جعل للغيب وجعل الغيب عبارة عما خفي على جميع الخلائق
حتى على الملائكة وذلك انما يكون قبل ان يكتب الامر الخفي في اللوح لانه اذا كتب فيه يكون له نوع بروز حيث
يظهر لمن ينظر فيه من الملائكة فح لا يلزم الفساد المذكور لانه يصير المعنى ح لا يعزب عن الغيب اي لا ينفصل عنه شيء ولا يزول عنه

[هامش: قوله بلى اثبات لما نفوه من اتيان الساعة ونفي البعث / وانكارهم ... والسخرية ... / ... / منه ... / انه ليس الامر الا اتيانها س ق]

[هامش: فان قلت ... قلت نعم وذلك / وجه اختصاصه ... / ان قيام الساعة ... / اوخفاء في الحقيقة ... / الى التغلب ... عالم الغيب / اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة ثم وصف بما ... / فانه كائن لا محالة ... / الى علم الغيب وانه لا يعزب ... / من الخفيات اندرج تحته احاطته / بوقت قيام الساعة ... / وجه الاختصاص بحثا واضحا / س ق]

[هامش: يعني فعلى لا يعزب مثقال ذرة والاشتغال / اصغر من ذلك ولا اكبر س ق]

[هامش: قوله الا استثناء من الصرف / لعوزه والصفة منه]

الامسطور في اللوح ولا افساد فيه لان المثبت في اللوح عازب خارج عما حضر من اطلاعي لان ما اثبت فيه يظهر لمن نظر فيه قوله اولئك لهم مغفرة
ورزق كريم استئناف لبيان الجزاء المدلول عليه بقوله ليجزي الذين لما وصف من يستحق الجزاء بامرين الايمان والعمل الصالح بين ان جزاءهم امران
المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان لانه كفارة لما قبله والرزق الكريم جزاء العمل الصالح فان من عمل لسيد كريم عملا فعند فراغه
من العمل ينعم عليه السيد بمقتضى كرمه ووصف الرزق بكونه كريما لانه خطير حسن في الكريم من كل شيء ما يكون جامعا لجميع محاسن ذلك الشيء او لانه
يأتي من غير طلب وتعب في حصوله بخلاف رزق الدنيا قوله بالابطال وتزهيد الناس فيها المذكور مطلق السعي المتناول للسعي في ذلك
ايات الله تعالى وافسادها بان يقال في حقها انها سحر او شعر او اساطير وصرف الناس عن التفكر فيها وقبول احكامها الا انه حمله على
السعي بالابطال والافساد لان سعيهم حال كونهم مسابقين معاجزين لا يكون الا بان يكون مقصودهم الابطال والتزهيد و
اطلق المعاجزة على المسابقة لكون كل واحد من المسابقين في طلب اعجاز الاخر عن اللحوق به والمسابقة مع الله تعالى وان
كان مما لا يتصور الا ان المكذبين بايات الله تعالى لما قدروا في انفسهم وطمعوا ان كيدهم في الاسلام يتم لهم وان معاندتهم للحق
تنفعهم شبهوا بمن يسابق الله تعالى بحسب زعمهم والفرق بين قراءة معاجزين ومعجزين ان المعاجزة والمسابقة
متقدمة على التعجيز والسبق يقال عاجزه اي سابقه فاذا سبقه يقال اعجزه قوله من سيء العذاب على ان الرجز اسوأ العذاب
فتكون كلمة من لبيان جنس العذاب المذكور سابقا كما في قولك خاتم من فضة والسيء في قراءة الجمهور مجرور على انه صفة رجز الكائن
ما في الرجز من الشدة والفضاعة ومن رفعه جعله صفة لقوله عذاب بين الله تعالى اولا حال الذين امنوا وعملوا الصالحات
يوم تقوم الساعة ثم بين حال من كذب بايات الله وسعى في ابطالها ثم بين جهالة المكذبين وفضاحتهم في الدنيا بقوله ويرى
الذين اوتوا العلم الخ وقوله الذي انزل والحق هما مفعولان ليرى لانها من رؤية القلب وقوله هو فصل وتسميه الكوفيون عمادا
ومن رفع الحق جعل هو مبتدأ والحق خبره والجملة في محل النصب على انه مفعول ثان ليرى ومن ابى كل حال على القراءتين قوله
ويهدي مرفوع مستأنف يعني ان قوله تعالى ويهدي مرفوع لكونه مجردا عن الناصب والجازم وهو كلام مستأنف غير معطوف على ما قبله
اخبر بذلك عنهم انهم يعلمون ان القران حق وانه يهدي الى الصراط المستقيم فيقطعون بان الساعة آتية لا ريب فيها ثم عطف
عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا الاية فحصول الاية انه صلى الله عليه وسلم لما قال بلى وربي لتأتينكم اعتقد المؤمنون باتيانها
وقالوا القران هو الحق وهو يهدي وقال الكافر المنكر لاتيانها متعجبا هل ندلكم على رجل يخبركم بحشر الاموات بعد تفرق اجسادهم
كل التفرق قوله وعامله محذوف يعني اذا منصوب بمقدر اي تبعثون وتحشرون وقت تمزقكم حذف لدلالة قوله انكم لفي خلق
جديد عليه ولا يجوز ان يعمل فيه ينبئكم لانه صلى الله عليه وسلم لم يخبرهم في ذلك الوقت ولا مزقتم لانه مضاف اليه لا يعمل في المضاف
ولا خلق جديد لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والممزق يحتمل ان يكون مصدرا ميميا بمعنى التخريق والتقطيع ويحتمل ايضا ان يكون اسم
مكان فان القياس فيما زاد على الثلاثي ان يجيء مصدره وزمانه على وزن مفعوله قوله وجديد بمعنى فاعل من جد الشيء
يجد بالكسر جدة اي صار جديدا او هو ضد الخلق وقيل بمعنى مفعول من جددت الشيء اجده جدا اي قطعته وثوب جديد
اي مجدود ومقطوع قطعه الحائك او الخياط الساعة وهذا القائل يقول كان لفظ الجديد في الاصل لا يستعمل الا في الثوب
المقطوع عن قريب ثم شاع في كل شيء ظهر قريبا وان لم يكن ثابت فيه القطع كبناء جديد وفرس جديد واستدل على ذلك
بقولهم

وهو لغة تميم يجعلون ضمير الفصل مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر ... عند الجمهور منه

بقولهم ملحفة جديدة بغير تاء التأنيث قال ولولا انه بمعنى مفعول لوجب ان يقال جديدة لان الفعيل بمعنى الفاعل قد يستوي
فيه المذكر والمؤنث بخلاف ما هو بمعنى المفعول واجاب البصريون بان ما هو بمعنى الفاعل قد يستوي فيه المذكر والمؤنث حملا على ما
هو بمعنى المفعول او بتقدير موصوف مذكر كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قوله استدل بمعنى الجاحظ استدل على ان الخبر
غير منحصر في الصدق والكذب بل بينهما واسطة بان منكري البعث حصروا قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم اذا مزقتم تبعثون في
الافتراء والاخبار حال الجنة على سبيل منع الخلو فظهر منه ان الاخبار حال الجنة ليس بكذب لانهم جعلوه قسيما للافتراء الذي
هو الكذب وليس بصدق ايضا لانهم غير معتقدين بصدقه عليه الصلوة والسلام في هذا الاخبار فيكون واسطة بينهما والمص
اجاب عنه بان كون الاخبار حال الجنة قسيما للافتراء لا يستلزم كونه مباينا للكذب وانما يلزم ذلك ان لو كان
الافتراء بمعنى الكذب مطلقا وليس كذلك بل الافتراء اخص من الكذب لان الافتراء هو الكذب عن عمد وقسيم الخاص لا
يلزم ان يكون قسيما للعام فان الخبر الكاذب وهو الذي لا يطابق الواقع قد يكون عن عمد وهو الافتراء وقد يكون من
غير عمد وهو خبر المجنون فالذين انكروا البعث بعد ما قطعوا بكذب خبر البعث حصروه في نوعي الخبر الكاذب وجعلوا احد نوعيه
قسيما للاخر فقيل الجاحظ لا يثبت دعواه وفسر الجاحظ الخبر الصادق بما يكون مطابقا للواقع مع اعتقاد انه
مطابق وفسر الكاذب بما لا يكون مطابقا مع اعتقاد انه غير مطابق وجعل الخبر المطابق مع اعتقاد اللامطابقة او
بدون الاعتقاد والخبر الغير المطابق مع اعتقاد المطابقة او بدون الاعتقاد واسطة بين الصادق والكاذب
وقوله افترى على الله كذبا يحتمل ان يكون من تمام كلام من قال هل ندلكم ويحتمل ان يكون من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم و
همزة افترى مفتوحة لكونها همزة الاستفهام وحذفت لاجلها همزة الوصل قوله رد من الله تعالى عليهم ترديدهم والمعنى
ليس الامر على ما زعموا من ان يكون مفتريا او يكون به جنون بل الذين لا يؤمنون بالاخرة اي بالبعث والثواب والعقاب
في العذاب اي واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون عن ذلك وذلك غاية الجنون
والحماقة قوله وجعله رسيلا له اي جعل العذاب تابعا مقارنا للضلال حيث عطف احدهما على الاخر بالواو المؤذنة
للاجتماع في الوقوع مع ان ضلالهم كائن في الدنيا والعذاب في الاخرة ومع ذلك قدمه على الضلال في اللفظ للمبالغة
في استحقاقهم له ورسيل الرجل الذي يراسله في نضال ونحوه والمراد به ههنا مطلق الاتفاق والمقارنة و
البعيد عن الحق في الاصل صفة الضال اسند الى الضلال للملابسة بينهما ولما كان الضلال بعيدا عن الحق كان كالضال
ابعد ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على اتيان الساعة من كونه عالم الغيب ومن اقتضاء الحكمة ان يهيء للمكلفين دار المجازاة
ليجزي كل واحد من المحسن والمسيء على حسب عمله ذكر دليلا اخر يتضمن التهديد والتوحيد فقال افلم يروا الى ما بين
ايديهم وما خلفهم اي الى ما هو محيط بهم من جميع جوانبهم وهو السماء والارض فان الانسان اينما توجه وحيثما نظر رأى
السماء والارض قدامه وخلفه وعن يمينه وشماله وهما يدلان على وحدانية الصانع وعلى كمال قدرته ومن قدر على
خلقهما قادر على الحشر والاعادة لا محالة قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ثم
هددهم بقوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء كانه قيل انهم حيث كانوا فان ارضي وسمائي

يحيط بهم واني قادر عليهم ان نشأ نخسف بهم الارض وان نشأ اسقطت عليهم قطعة من سماء ثم قال ان في ذلك لاية فيما يرون
من السماء والارض لاية تدل على قدرة الله تعالى على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم ونحوه من وجوه القهر والاهلاك **قوله** والمعنى
اعموا فلم ينظروا اليه ان الفاء في افلم يروا للعطف على مقدر بعد الهمزة وان قوله افلم يروا معطوف على ذلك المقدر والتقدير كما ذكره
فصيح بذلك وجه الجمع بين الهمزة المقتضية لصدر الكلام والفاء المقتضية لتقدم المعطوف عليه ثم انه تعالى لما ذكر من ينيب من
عباده ذكر منهم من اناب واصاب ومن جملتهم داود عليه الصلوة والسلام كما قال تعالى فاستغفر ربه وخر راكعا واناب فبين
ما آتاه على الانابة ولقد آتينا داود منا فضلا وتنكير فضلا للتعظيم كما في قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما واكد
تعظيم الفضل بقوله منا فانه حال من قوله فضلا قدم عليه لكونه نكرة والفضل الذي آتاه الله تعالى اذا كان مما يختص به تعالى و
يكون من عنده خاصة يكون فضلا عظيما وهو ما ذكره بعده من تسخير الجبال والطير والانة الحديد او ما يعم النبوة والكتاب
والملك وحسن الصوت ونحوه **قوله** يا جبال محكي بقول مضمر ثم ان شئت قدرت ذلك القول مصدرا ويكون بدلا من فضلا
على جهة تفسيره كانه قيل آتيناه فضلا قولنا يا جبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ جاز لك ان تجعله بدلا من آتينا
اي آتينا قلنا يا جبال وان تجعله مستانفا **قوله** اوبي قراءة العامة بفتح الهمزة وتشديد الواو على انه امر من
التاويب وهو الترجيع وترديد الصوت والرجوع الى الصوت الاول ومنه الترجيع في الاذان والتضعيف في اوبي وارجعي
يحتمل ان يكون للتعدية وان يكون للتكثير والمعنى رجعي معه ما ياتي به من ذكر الله تعالى وتسبيحه فكان داود عليه الصلوة اذا سبح سبح
الجبال ويعقل معناه معجزة له كما سمع الخطاب من الشجرة وعقل معناه او كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وتسعده الجبال
باصدائها وقرئ اوبي بضم الهمزة على انه امر من آب يؤوب اذا رجع اي ارجعي معه بالتسبيح كلما رجع فيه ومآل القراءتين
واحد لان الجبال اذا رجعت معه ما ياتي به من التسبيح فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال اما ان يخلق فيها صوت مثل صوته عليه
الصلوة والسلام ويكون اسناد التسبيح اليها من قبيل اسناد الفعل الى السبب الحامل **قوله** او سيري معه عطف على قوله ارجعي
قيل قوله اوبي من التاويب في السير وهو ان يسير النهار كله وينزل الليل فالمعنى سيري معه حيث سار وفي التفسير كانت الجبال
تسير مع داود حيث سار **قوله** والطير عطف على محل الجبال فان عامة القراء نصبوا والطير عطفا على محل يا جبال لان
كل منادى في موضع النصب او على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير حكاه ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء وهو كقوله علفتها تبنا و
ماء باردا بتقدير وسقيتها ماء ورد على جعله منصوبا على انه مفعول معه انه كيف يجوز ذلك وقد ذكر قبله لفظة معه والعامل
الواحد لا يقتضي اكثر من مفعول معه واحد الا بالبدل او العطف لا يقال جائني زيد مع عمرو مع بكر **قوله** وعلى هذا اي على جواز كونه
مفعولا معه يجوز ان يكون ارتفاع والطير بالعطف على ضمير اوبي والتقدير اوبي معه انت والطير كقوله تعالى اذهب انت
وربك الا ان المرفوع المتصل في اوبي لم يؤكد بمنفصل استغناء عنه بالفصل بينه وبين المعطوف بالظرف فتاويب
الطير معه ان يسبح منها ما يسبح من المسبح بان ينطقها الله تعالى بالتسبيح معه اذا سبح معجزة له **قوله** وكان الاصل يعني لما كان
قوله تعالى يا جبال اوبي بدلا من فضلا او من آتينا باضمار القول كان الظاهر ان لا يؤتى بصورة النداء ولا يحتاج الى الاضمار
الا انه اوثر هذا النظم لما فيه من فخامة امر التاويب فان التصدير بالنداء يدل على ان ما يذكر بعده امر مهم يعتنى بشأنه
ومن الدلالة

الكسفة القطعة من الشيء والجمع كسف وكسف

اي آتيناه وحسن الانابة ... فضلا ... خاصة به وهو ما ذكر بعده

ومن الدلالة على عظم شأنه **قوله** وان اعمل عطف على آتيناه وجوز ان تكون كلمة ان في قوله تعالى ان اعمل مفسرة ومصدرية
ولما كان من شرط المفسرة ان يتقدمها ما هو بمعنى القول ولم يتقدم ههنا الا قوله الناقد ر ما هو بمعنى القول اي وامرناه ان
اعمل وان كانت مصدرية كان الكلام مبنيا على حذف حرف الجر المتعلق بالنا وكان المعنى النا له ذلك لان يعمل دروعا
سابغات فاسند الفعل الى المخاطب نظرا الى جانب المعنى **قوله** وهو اول من اتخذها وكانت قبله الصفائح تحصل بعضها
شبالا لبس العسر وحقة الحمل قيل كان داود عليه الصلوة والسلام يفرغ من صنعة درع في نصف يوم او نصف ليلة وبيعها
بالف درهم وقيل باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعلى عياله قدر ما يكفيهم ويتصدق بالفضل **قوله** وقدر في نسجها
يعني ان السرد نسج الدرع وهو في الاصل متابعة الشيء ومنه سرد الحديث اذا تابعه **قوله** ولسليمان الريح عطف على قوله
والنا له الحديد والانة الريح عبارة عن تسخيرها لما بين الله تعالى ما آتاه داود عليه الصلوة والسلام على انابته بين ما آتاه
سليمان عليه الصلوة والسلام على انابته فانه ايضا من جملة من اناب لقوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب **قوله**
اي ولسليمان الريح مسخرة فان قيل فعلى هذا يلزم عطف الجملة الاسمية على الفعلية وهو لا يجوز او لا يحسن قلنا لا يلزم كونها معطوفة
على الفعلية المذكورة قبلها لجواز كونها معطوفة على اسمية مقدرة دل عليها تلك الفعلية فانه لما بين حال داود فكانه قيل
ما ذكر لداود ولسليمان الريح فانها كانت له كالمملوك المختص بالمالك يأمرها بما يريد ويسير عليها الى حيث يريد لما سبحت الجبال
وشرفت بذكر الله لم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب فقال يا جبال اوبي معه والريح لم يذكر فيها انها
سبحت فجعلها كالمملوك له فقال ولسليمان الريح وايضا كان داود اصلا في التاويب وكانت الجبال تابعة له في التاويب
فقيل اوبي معه والريح لما لم تكن حركتها تابعة لحركة سليمان بل هي تتحرك بنفسها بل تحمل سليمان وجنوده وتحركهم بحركة نفسها
فلم تكن وجه لان يقال والريح مع سليمان لانه عليه الصلوة والسلام كان مع الريح **قوله** جريها بالغداة مسيرة شهر يعني ان
الغدو مصدر قولك غدا زيد يفعل كذا يغدو غدوا اذا فعله وقت الغداة وهي اسم الوقت من طلوع الصبح الى زوال الشمس
وفعل الريح في هذا الوقت جريها بسليمان وجنوده على البساط فصار قوله تعالى غدوها بمعنى جريها بالغداة وهو مبتدأ وكان
خبره ولما لم يصح حمل الوقت على الجري احتيج الى تقدير المضاف في جانب الخبر فقيل مسيرة شهر وهي مصدر ميمي بمعنى السير ليصح
حملها على الجري لانها لو جعلت مكانا او زمانا ما صح الحمل وكذا الرواح مصدر قولك راح يروح رواحا اذا فعل وقت العشي
وهو من زوال الشمس الى الليل والمعنى جريها بسليمان وجنوده مسيرة شهر والجملة الاسمية اما مستانفة لبيان وجه التسخير
او حال من الريح وكانت الريح تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين عن الحسن انه قال كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر
وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل الهند وبينهما ايضا مسيرة شهر وقيل كان
يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند وحكي انه وجد مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه
ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى **قوله** النحاس المذاب
يعني ان القطر النحاس المذاب من القطران واراد بعين القطر معدن النحاس ولو اريد به العين السائلة لما صح ان يتعلق
به الاسالة لانها لا تتعلق بالسائل فوجب ان يراد بعين القطر معدن النحاس ولما كان مآل المعدن الى السيلان وان كان في نفس

كما في شعر ... ربما جعلنا ... بقدر في زرده ... بالنسبة الى قوته ... كما شمخ بالنسبة الى سابر ...

صفائح اللباب الواحدة صفيحة

جامدا قبل الاسالة سماه عينا باعتبار ما آل اليه امره وهذا معنى قوله ولذلك سماه اي سمي المعدن عينا وهو جامد لكونه نبوعه

كنبوع الماء متفرعا على اسالة الله تعالى اياه اسال الله تعالى له معدن النحاس من غير معالجة بالنار كما الان الحديد لداود ونبعت له كما قيل

اجريت له ثلثة ايام ولياليهن كجري الماء وان ما يعمل الناس اليوم مما اعطي سليمان عليه الصلوة والسلام وقيل كانت تسيل في كل

شهر ثلثة ايام **قوله** بامر ربه اي بان سخرها له وامرهم لطاعته فهذا الامر مصدر مضاف الى فاعله وفي قوله عن امرنا بمعنى المامور به

وهو طاعة سليمان **قوله** وقرئ يزغ بضم الياء وكسر الزاي على بناء الفاعل من ازاغه بمعنى اماله فيكون مفعوله محذوفا اي من

يزغ نفسه هذا هو المفهوم من تعبير المصنف ووجدت في بعض التفاسير وقرئ يزغ على بناء المفعول من ازاغه والله اعلم ومن في قوله

من عذاب السعير لابتداء الغاية او للتبعيض وفسر عذاب السعير بعذاب الاخرة لانه المتبادر من العبارة وانهم مكلفون كبني

ادم وقيل هو عذاب الدنيا روي عن السدي انه قال ان الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن طاعة سليمان

ضربه ضربة احرقته **قوله** قصورا حصينة وكان مما عملوا له بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى اليه

اني لم اقض اتمامه ذلك على يدك ولكن ابن لك اسمه سليمان اقضي اتمامه على يده فلما توفاه الله تعالى واستخلف سليمان اتمه بايدي

الجن والشياطين **قوله** على ما اعتادوا متعلق بمحذوف منصوب على انه حال من الملائكة والانبياء **قوله** وصحاف جمع

صحفة وهي اناء من جنس القصعة قال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع

الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والجوابي جمع جابية كضاربة وضوارب والجابية الحوض

العظيم سميت بذلك لانه يجبى اليها الماء اي يجمع واسناد الفعل اليها مجاز لانه يجبى فيها **قوله** وجفان اي وقصاع في العظم

كحياض الابل يجتمع على القصعة الواحدة الف رجل ياكلون منها **قوله** لا تنزل عنها لعظمها قيل كان يصعد في كل قدر الى ثناة

وكان يصعد عليها بنصب السلاليم وكان ذلك باليمن **قوله** حكاية ما قيل لهم اي محمول على اضمار القول اي قلنا لهم اعملوا

بطاعة الله تعالى شكرا له على نعمه وذلك لان امرهم به ليس في زمان نزول الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر

لانتصابه شكرا خمسة اوجه الاول انه مفعول له لاعملوا والثاني انه مصدر على غير لفظ الفعل من حيث ان العمل لله هو الشكر له

والثالث انه صفة مصدر اعملوا تقديره اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر والرابع انه مصدر واقع موقع الحال اي اعملوا

شاكرين والخامس انه مفعول به لقوله اعملوا اي اعملوا الشكر الذي هو الطاعة لله تعالى فيما امر به ونهى عنه ويجوز ان

يكون منصوبا بفعل مقدر من لفظه اي اشكروا شكرا **قوله** وقليل خبر مقدم ومن عبادي صفة له والشكور مبتداء والمعنى ان العامل

بطاعتي شكر النعمي قليل من عبادي والشكور صيغة مبالغة وقوله المتوافر الى قوله اكثر اوقاته صفة كاشفة له

اكثر اوقاته ظرف المتوفر وبعد ما كشف عن همه وفصله قال ومع ذلك لا يوفي حقه **قوله** وقيل انه يعني ضميره لهم قيل

انه لا آل سليمان روي ان داود عليه الصلوة والسلام اسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه الصلوة والسلام

فمات قبل ان يتمه فامر سليمان عليه الصلوة والسلام باتمامه فشرع فيه بعد ما مضى من ملكه اربع سنين وامر الشياطين

بذلك فلما بقيت عمارته سنة دنا اجله فدعا الله تعالى ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا من بنائه وكان عمره ثلثا وخمسين

سنة وملك وهو ابن ثلث عشرة سنة وعاش في ملكه اربعين سنة وقيل كانت الشياطين تدعي انهم يعلمون

٩٦

يعلمون الغيب وكانوا يسترقون السمع وزعم بعض الناس من الجهلة انهم يعلمون الغيب كما تدعون فاحب الله ان يعلم

سليمان موته على الشياطين ليعلموا انهم ليس في شيء من علم الغيب فجاءه ملك الموت وكان قائما في محرابه متكئا

على عصا فقال له امهلني حتى اوصي الى اهلي فقال لا زمان فقال اذن لي حتى اجلس فقال كذلك امرت فقبض روحه على

حاله فلما مات مكث قائما على عصاه حولا باسناد الجن تعمل تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حيوته ولا يشعرون

بموته حتى اكلت الارضة فخر ميتا فعلموا بموته فارادوا ان يشعروا وقت موته فوضعوا الارضة على عصا فاكلت منها

مقدار اربع يوم وليلة فحسبوا على ذلك النحو فعلموا بموته منذ سنة فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض وهي الارضة

التي تاكل الخشب والارض فعلها اعني اكلها الخشب فاضيفت الى فعلها يقال ارضت الارضة اي السرفة الخشب ارضا

فهو مأروض اي ماكول وقرئ الارض بفتح الراء من ارضت الخشبة بالكسر ارضا وهو من باب فعلت تفعل كقولك اكلت

القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا **قوله** تاكل اما حال او مستانف **قوله** وقرئ بفتح الميم قرا نافع وابو عمرو

منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة والجمهور بهمزة مفتوحة كالمكسحة والمكنسة وقرئ منساته بفتح الميم مع تخفيف الهمزة

وابدالها الفا وحذفها تخفيفا وقرئ منساءته على وزن مفعالة كما يقال في ميضاة ميضاءة وهي المطهرة التي يتوضا بها وكلها

لغات وانشد على الابدال والحذف اذا دببت على المنساة من كبر فقد تباعد عنك اللهو والغزل **قوله** ومن سأته بفصل كلمة

من على انها حرف جر وان سأته مجرورة بها والسأة والسية هنا العصا وهي في الاصل ما عطف من طرفي القوس سميت

العصا بها على وجه الاستعارة ووجه ذلك كما جاء في التفسير انه عليه الصلوة والسلام اتكا على عصا خضراء من خروب

والعصا الخضراء متى اتكئ عليها تصير كالقوس في الاعوجاج غالبا وفي سية القوس لغتان كسر السين وفتحها كحوحة

وجحة يقال رجح الرجل بضم القاف اذا صار قليل الحياء فخة بفتح القاف وكسرها والهاء عوض من الواو المحذوف من سئة

القوس اللام ووزنها فعة والهاء عوض من اللام واختلف فيها اهي واو ام ياء قيل كان رؤبة يهمز سئة القوس وسائر

العرب لا تهمز **قوله** او ظهرت الجن عطف على قوله علمت الجن يعني ان تبين يحتمل ان يكون متعديا من تبينت الشيء اذا عرفته من

جليته بعد التباس الامر عليهم وان يكون لازما من تبين الشيء اي ظهر والمعنى ظهرت حال الجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا موت

سليمان عليه الصلوة والسلام حين وقع وما تكلفوا اتلك المشاق وان بهذه مع صلتها بدل الاشتمال من الجن كقولك تبين زيد

جهله والظهور المجهول في المعنى ثم انه تعالى لما بين حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما الصلوة والسلام بين حال

الكافرين بها بحكاية قصة اهل سبا فقال لقد كان لسبا صرفه الجمهور لا عتدده باطرد والتنوين على انه اسم حي او رجل هو

عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرا البزي عن ابن كثير بعدم صرفه وروي قنبل عن ابن كثير الصرف وابو عمرو لسبا

بفتح الهمزة من غير تنوين على انه اسم القبيلة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا ما هو اكان رجلا او امراة او ارضا

قال عليه الصلوة والسلام بل هو رجل من العرب ولد عشرة من الولد فسكن اليمن منهم ستة وبات منهم اربعة فاما الذين

تيامنوا فالازد وكندة ومذحج على وزن مسجد والاشعرون وحمير وانمار منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة

وغسان ولخم وجذام ولما هلكت اموالهم وخربت ديارهم تفرقوا في غور البلاد ونجدها ايدي سبا شذر مذر ولذلك

قيل لكل متفرقين بعد الاجتماع تفرقوا ايدي سبا فنزلت طوائف منهم الحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ومنهم الاوس والخزرج نزلوا بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزلت عندهم ثلث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوائف اخر منهم الشام وهم الذين تنصروا فيما بعد ومنهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبائل كلها **قوله** ولعله اخرجه بين بين فانه هو الاصل في تليين الهمزة التي تحرك ما قبلها **قوله** قرا حمزة وحفص في مسكنهم بفتح الكاف مفردا والكسائي كذلك الا انه كسر الكاف والباقون مساكنهم على لفظ الجمع واما الافراد فلعدم اللبس في ان المراد الجمع كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا انه في بعض بطونكم والقياس فتح الكاف لان الفعل متى ضمت عين مضارعه او فتحت يجيء الزمان والمكان والمصدر منه على مفعل بفتح العين والكسر مسموع على غير القياس والمسكن ههنا موضع السكون واما الجمع فهو الظاهر لان لكل واحد منهم له مسكن على حدة ورسم مسكنهم في المصاحف بدون الف بعد الكاف فلذلك احتمل القراآت المذكورة **قوله** بدل من اية وهي اسم كان قدم عليه خبره ابدل المثنى من المفرد وبيانا له وتفسيرا بناء على ان البدل على تقدير المضاف اي لقد كان لهم اية قصة جنتين والا لكان الظاهر ان يقال آيتان جنتان و نظيره قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه آية فان الظاهر ان يقال آيتين الا انه افرد لكون المعنى وجعلنا امرهما وحالهما آية وهي ولادتها اياه من غير ان يمسها بشر على ان الجنتين المحيطتين بمسكنهم آية واحدة في انفسها دالة على وجود الصانع وعلى كونه قادرا على ما يشاء من الامور العجيبة الخارجة عن وسع البشر فلما كان المفرد المذكور صادقا على هذا المثنى صح ابداله منه على سبيل البيان والتفسير **قوله** معاضدة صفة ثانية لقوله علامة اشار به الى وجه مناسبة قصة سبا لقصتي داود وسليمان عليهما الصلوة والسلام وهو ان في قصتهما دلالة على وجود الصانع وكمال قدرته وانه تعالى مجاز للمحسن والمسيء حيث جاز كل واحد منهما بما يحقه من الفضل العظيم وقال ومن يزغ منهم عما امره الله تعالى به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير وكذا في قصة سبا دلالة على وجود الصانع و كمال قدرته لان ما اعطاهم من انواع الشجر والوان الثمر خارج عن وسع البشر وفيها ايضا دلالة على انه تعالى مجاز للمحسن والمسيء حيث كلفهم شكر ما انعم عليهم من جلائل النعم ليزيد عليهم من فضله ثم قال فاعرضوا عما كلفوا به من الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم فالعلامة التي اشتملت عليها هذه القصة معاضدة للبرهان السابع المدلول عليه بقصتهما ذكر الله تعالى هذه القصة لمشركي العرب تحذيرا لهم عن ان ينزل بهم بشوم شركهم وسوء افعالهم ما نزل باولئك على كثرتهم وقوتهم **قوله** والمراد جماعتان جواب عما يقال كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبا وجعلهما آية دالة على ما ذكر مع ان المسكن المتوسط بين جنتين كثير في الدنيا وتقرير الجواب ان ما ذكرت انما يرد ان لو كان المراد بستانين اثنين فحسب وليس كذلك بل المراد جماعتان من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شماله سميت كل جماعة منها جنة لكونهما في تقاربهما وتضامهما كانتهما واحدة **قوله** او بستانا كل رجل عطف على قوله جماعتان اي يجوز ان يكون المراد بستانين اثنين وتعظيمها من حيث

٩٧

من حيث ان مسكن كل رجل متوسط بينهما وكون جميع المساكن هكذا حالة عظيمة **قوله** اودلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك عطف على قوله حكاية لما لم يكن الامر المذكور واقعا في زمان الوحي على نبينا صلى الله عليه وسلم وجب جعله محكيا بقول مضمر ومقولا بلسان من بعث اليهم من الانبياء او بلسان الحال او جعله منزلا منزلة المحكي المقول من حيث كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك فكانه قيل لهم ذلك فجيء بالجملة كما يجاء بها بعد القول **قوله** استيناف كانه قيل واشكروا له لان بلدتكم بلدة طيبة وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور فارتفاع كل واحد من قوله بلدة ورب على انه خبر محذوف كانت بلدتهم اخصب البلاد واطيبها حيث كانت المرأة تخرج فتحمل مكتلها على رأسها و تمر بين تلك الاشجار فيمتلئ مكتلها من الوان الفاكهة من غير ان تمس شيئا بيدها وطيبها انه لم يكن بها عاهة كالوباء والحمى وغيرهما من الامراض المتفرعة على وخامة الهواء ولا هامة وهي واحدة الهوام المؤذية قيل لم ير ببلدتهم بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل الغريب يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت القمل كلها من طيب الهواء فلذلك قوله تعالى بلدة طيبة اي طيبة الهواء **قوله** فاعرضوا اي عن القيام بما وجب عليهم من شكر نعم الله تعالى وكذبوا رسلهم قال وهب ارسل الله تعالى الى سبا ثلثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فانتقم الله تعالى منهم بان ارسل عليهم سيلا اغرق اموالهم وخرب ديارهم **قوله** سيل الامر العرم على ان يكون العرم صفة مشبهة من العرامة وهي الشدة والصعوبة يقال عرم فلان فهو عارم وعرم اذا ساء خلقه وصعب صحابه ولما كان اضافة السيل الى العرم من قبيل اضافة الموصوف الى صفته اذ الاصل السيل العرم احتيج الى التاويل المعتبر في هذا الباب وهو ان يحمل الكلام على حذف الموصوف واقامة صفته مقامه كقولهم مسجد الجامع مثلا تقديره مسجد الوقت الجامع فكذا سيل العرم اصله سيل المطر العرم او الامر العرم وجعل قوله او المطر الشديد وجها آخر بناء على انه لم يعتبر فيه كون السيل موصوفا بكونه عرما وان اضافته اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة ليحتاج الى التاويل بل جعله ابتداء من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه **قوله** او الجرذ اي قيل العرم اسم للجرذ وهو بضم الجيم وفتح الراء ضرب من الفار اعمى والجمع الجرذان ويقال له الخلد ايضا لاقامته عند جحره لعماه واضافة السيل اليه من قبيل اضافة المسبب الى سببه فانه كان سببا لخراب السكر وانقلاب الماء المحتبس وراء السكر عليهم وذلك ان اهل سبا كانوا يقتتلون على مائهم عند احتياجهم الى سقي بساتينهم فسدت لهم بلقيس الملكة ما بين الجبلين بالصخر والقير فحبست بذلك السد ماء العيون والامطار وجعلت له ابوابا ثلثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة عظيمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدد انهارهم الى اراضيهم وبساتينهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء اودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد واجتمع فيه الى ان صار كالبحر فامرت بالباب الاعلى فيفتح فيجري ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى الى ان يستفل الماء عنه ثم من الباب الثاني ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الماء الى ان ينقطع احتياجهم الى الاراضي ثم يجتمع فيه الماء

اوان الشتا غيرها كالبحر ايضا فيسقون منه في السنة المقبلة كما سقوا في السنة الماضية فكانت تقسيم الماء بينهم على
هذا الوجه في كل سنة فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا انقب الجرذ السكر فخرب السكر بسببه وانقلب البحر عليهم فغرق
بلادهم ودفن الرمل بيوتهم ومنازلهم وتفرقوا في البلدان ايدي سبا. **قوله** لحجفت به اي منعت من ان يسيل ماء
الشجر وهو ساحل البحرين عمان وعدن **قوله** او المسناة اي ويحتمل ان يكون المراد بالعرم نفس البناء الذي يجعل سدا
قال البيضاوي العرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس الماء اضيف السيل الى العرم للملابسة بينهما من حيث ان السيل انما
انبسط وغلب على اراضيهم وخرب ديارهم بخراب العرم وفسر الجوهري كلا واحد من المسناة والعرم بالآخر ثم انه تعالى
بين دوام خراب بلادهم بعطف قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين على قوله فارسلنا عليهم سيل العرم فان الرمل اذا دفن
بيوت الناس وبساتينهم وايس اصحابها من عمارتها وتركوها على حالها تنبت فيها الاشجار الخبيثة بدل ما كان
فيها من الفواكه الطيبة الحاصلة بسبب العمارة وقد تقرر ان المجرور بالباء الواقعة بعد فعل التبديل هو الخارج من
اليد والمنصوب هو الداخل وسمي ما كان بدلا من الخارج جنة على طريق المشاكلة تهكما بهم **قوله** من بشع اي كريه الطعم
يأخذ بالحلق فلا يمكن اكله وفي الخمط ثلاثة اوجه الاول ما ذكره الزجاج وهو انه كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن
اكله والثاني انه شجر الاراك والاكل ثمره وبعال له البرير والثالث انه كل شجرة له شوك وما وجد في نسخ القاضي او كل شجر لا
شوك له مخالف لرواية سائر الكتب قال الامام في الكبير الخمط كل شجر له شوك او كل شجر مر ثمرها مرة او شجرة ثمرها لا يؤكل
والاثل نوع من الطرفاء ولا يكون عليه ثمرة الا في بعض الاوقات يكون عليه شيء كالعفص اصغر منه في طعمه وطبعه الى
كلامه قرأ ابو عمرو ذواتي اكل خمط بضم الكاف اكل مضافا الى خمط من غير تنوين وقرأ نافع وابن كثير اكل خمط بسكون
كاف الاكل وتنوينه والباقون بضم كافه وتنوينه وفي الصحاح الاكلة بالضم اللقمة ويقال هذا الشيء اكلة لك اي طعمة
لك والاكل ايضا ما يؤكل ويقال ايضا فلان ذو اكل اذا كان ذا حظ من الدنيا ورزق واسع ثم قال وكل ما يؤكل فهو
اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم فظهر منه ان المراد بالاكل في الآية هو الثمر والجنى وهو ما يجتنى من الشجر والجنا واحده
وان وجه اضافته الى الخمط ظاهر فان قولك اكل خمط مثل قولك اعناب كرم وثوب خز واما وجه التنوين فهو
ان يجعل تقدير الكلام ذواتي اكل اكل خمط على ان المضاف المقدر بدلا او عطف بيان للمذكور لبيان ان الاكل
اي شجر هو **قوله** النبق مما يطيب اكله يعني ان السدر شجر النبق وجناه ينتفع به اكلا وكذا ينتفع بورقه لغسل اليد
ولما كان التبديل لمجازاة لهم على كفران النعمة ناسب ان يقلل من البدل ما هو اكرم ما بدلوا وهو السدر فلذلك قلله الواحدي
وفي السدر سدران سدر له ثمرة عفصة لا تؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال وهو الضال وسدر له ثمر يؤكل وهو النبق ويغتسل
بورقه والمراد به في الآية هو الاول وحاصل الآية انه كانت اشجارهم خير الاشجار فصيرها الله تعالى من شر الاشجار بسوء اعمالهم
قوله بكفرانهم يعني ان ما في قوله بما كفروا مصدرية ومحل ذلك النصب على انه مفعول ثان لجزيناهم اي جزيناهم ذلك التبديل بسبب
كفرانهم النعمة بالرسل ولو كان تقديم المفعول للتخصيص لزم ان يحصر عقابهم في التبديل المذكور وليس كذلك لان الكافر
لا يحصر عقابه في نوع من العقاب الآجل فلذلك جعله للاهتمام به وتخصيص شأنه لان الاضطرار على ترك الوطن المألوف
لاسيما

يقال له شجر عمان

اي اذهبنا جنتيهم واتيناهم بدلهما جنتين الخ

اي لو لم يقدر لكان الخمط صفة الاكل ضد الثمر ولا شك ان الثمر لا يوصف بالخمط

لا سيما اذا كان اخصب البلاد واطيبها في غاية الصعوبة **قوله** وهل يجازى قرأ الجمهور بضم الياء وفتح الزاء على بناء المفعول
ورفع الا الكفور لقيامه مقام الفاعل وقراءة بنون العظمة وكسر الزاي اعتبر موافقته لقوله جزيناهم فيكون قوله الا
الكفور منصوبا على انه مفعول به **قوله** وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم يعني ان المراد بالجزاء في قوله تعالى هل يجازى هو الجزاء
المصدر في قوله جزيناهم بما كفروا فان المراد العقاب العاجل فكذا في قوله وهل نجازي فكأنه قيل ذلك عاقبناهم به بسبب
كفرهم وهل يعاقب بمثله الا البليغ في الكفر او الكفران وليس المراد به مطلق الجزاء والا لما صح قصره على الكافر فان
مطلق الجزاء يعم المؤمن والكافر **قوله** بالتوسعة على اهلها اي بالمياه والاشجار والثمار والخصب لكونها مجرى الانهار
والمعنى جعلنا من اهل سبأ وهم باليمن وبين الشام قرى ظاهرة اي متواصلة يظهر بعضها لبعض او يرى سواد القرية
من القرية الاخرى لقربها منها كانوا يسافرون من اليمن الى الشام فيبيتون بقرية ويقيلون بقرية اخرى حتى يرجعوا ولا
يحتاجون الى حمل زاد ولا ماء من وادي سبأ الى الشام او ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم بل
يرونها من متن الطريق وهذا بيان لما انعم الله تعالى به على اهل سبأ بعد ارسل الله تعالى عليهم سيل العرم فانه لما
هلك ما لهم قالوا نحن نتوب ويرد علينا خير فنجا بوا فرد الله عليهم خيرا اكثر مما هم عليه قبل ان يرسل عليهم سيل
العرم روى الامام ابو الليث عن الكلبي انهم قالوا للرسل عليهم الصلوة والسلام انا عرفنا نعمة الله تعالى فوالله لئن
رد علينا وجاعتنا والذي كنا عليه لنعبدنه عبادة لم يعبدها اياه قوم قط فدعت لهم الرسل ربهم فرد الله تعالى اليهم
ما كانوا عليه فاتاهم نعمه وجعل لهم من ارضهم الى ارض الشام قرى متصلة بعضها الى البعض فذلك قوله تعالى وجعلنا بينهم
وبين القرى التي باركنا فيها قرى ثم انهم عادوا الى كفرهم فاتاهم الرسل فذكروهم وكذبوهم فمزقهم الله تعالى كل ممزق و
قال غيره قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية ما كانوا عليه قبل ان يرسل الله تعالى عليهم سيل العرم
بين الله تعالى حال بلدهم انها بلدة طيبة وان لهم فيها جنات عزيزة البركات مكنهم منها وامرهم ان يأكلوا من رزقه وان
يشكروا له ثم انهم كفروا النعمة واعرضوا عما وجب عليهم من الشكر فبدل ما بهم من النعمة نقمة ثم ذكر حال خارج بلدهم و
ذكر عمارتها بكثرة القرى من اليمن الى الشام فبطروا النعمة وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما ملت بنوا اسرائيل
المن والسلوى وسألوا الثوم والبصل فتمنوا ان يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وبوادي ليحتاجوا الى
ان يحملوا معهم ازوادهم وقالوا لو كان جنى الجنات ابعد مما هو عليه اليوم لكان اجدر ان نشتهيه فقالوا ربنا
باعد بين اسفارنا واجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود والا زواد
فعجل الله لهم الاجابة ومعنى تقدير السير فيها جعل ما بين كل واحدة منها وبين الاخرى متساوية على مقدار واحد
يقطع ما بين كل واحدة منها في مضي يوم بحيث يقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام لا
يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء خص الليالي والايام بالذكر مع ان السير لا يكون
الا فيهما للاشعار بان الامن لا يتفاوت باختلاف الاوقات او للاشعار بان الامن مستمر وان تطاولت مدة السفر
على ان يراد بالايام والليالي الكثرة والمواظبة على السير وعلى الثالث يكون المقصود من ذكر الايام والليالي الاشعار

باستمرار الامن وان استغرق السفر ليالي المخاطبين وايامهم مدة اعمارهم بان يكون معنى قوله ليالي واياما لياليكم
وايامكم فترك الاضافة اعتمادا على دلالة المقام على المراد واقيم المضاف مستغرقا يعني ان المعنى على الاضافة
المفيدة للاستغراق لمكانه قيل سيروا فيها ليالي اعماركم وايامها آمنين قوله اشروا النعمة الاشر البطر يقال اشر بالكسر
يأشر اشرا فهو اشر واشران كما يقال بطر يبطر بطرا فهو بطر والبطر الطغيان الحاصل بسبب كثرة النعمة ويحتمل ان يكون
قولهم هذا لفرط (?) واعتدادهم وشدة اعتمادهم على ان ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربني اشارة الى انه
لا يقدر عليه ويحتمل ان يكون قولهم ربنا باعد مقولا بلسان الحال فانهم لما كفروا واصروا فكأنهم طلبوا ان يتعد بين
اسفارهم ويخرب المعمور من ديارهم قرأ العامة بنصب ربنا على النداء وباعد على لفظ الامر من باب المفاعلة
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعّد بتشديد العين على لفظ الامر من باب التفعيل وقرأ يعقوب ربنا باعد برفع
ربنا على الابتداء وباعد على لفظ الفعل الماضي خبره وقرأ ربنا بالنصب على النداء وبعد على لفظ الماضي المبني للفاعل
وبُعِّد على لفظ الماضي المبني للمفعول واسناد الفعل فيهما الى بين ورفعه كقراءة تقطع بينكم برفع بين قوله تعالى
فجعلناهم احاديث جمع حديث على غير القياس اي اهلكناهم كل اهلاك فصاروا عظة وعبرة لمن بعدهم فجعلناهم به
مثلا يتحدثون بما فعلوا او ما فعل بهم ويتعجبون من احوالهم في المجالس قوله ومزقناهم كل ممزق بيان لجعلهم احاديث
فان الناس ضربوا المثل بتفرقهم فقالوا ذهبوا ايدي سبا اي تفرقوا في طرق شتى واليد في كلام العرب يطلق على الطريق
يقال اخذ يد البحر اي طريقه وقيل ايادي سبا اولاده لان الاولاد اعضاد الرجل لتقويته بهم والمعنى تفرقوا مثل تفرق اولاد
سبا في المفصل الايادي الانف (?) كناية او مجاز وهو احسن من تفسيره بالطرق وبالايادي وسبا مهموز في الاصل غير انه
التزم التخفيف في هذا المثل ولا بد من اضمار لفظ المثل في هذا المثل لان ايدي سبا وقع حالا من فاعل ذهبوا وهو معرفة
لان اضافته حقيقية ومن حق الحال ان يكون نكرة والتقدير ذهبوا متفرقين قوله صبار عن المعاصي شكور على النعم و
هما من صفة المؤمن كأنه قيل ان في ذلك التمزيق او فيما ذكر من حال الشاكرين المنيبين ووبال الكافرين المعاندين لعبرة
ودلالات للمؤمن قوله اي صدق في ظنه يعني ان ما عدا الكوفيين قرؤا بالتخفيف اي دال صدق ونصب ظنه اما بنزع
الخافض اي في ظنه او بانه مفعول مطلق لفعل مقدر من لفظه اي صدق ابليس يظن ظنا والجملة حالية من فاعل
صدق كقولك فعلته جهدك اي فعلته تجتهد جهدك وتتعب تعبك ويجوز ان ينتصب على انه مفعول به فان الصدق
يعدى الى ما هو بمعنى القول بنفسه فيقال صدق وعده اي جعل وعده صادقا والظن كالوعد في انه نوع من القول
ومن قرأ صدّق بتشديد الدال ونصب ظنه جعله مفعولا به وقال معناه حقق عليهم ظنه على يقين لانه ظن اولا
انه يغويهم حيث قال في حق بني ادم لاغوينهم ولاضلنهم ولاحتنكن ذريته ولاقعدن لهم صراطك المستقيم لآتينهم
من بين ايديهم الى غير ذلك الا انه لم يكن على ثقة ويقين في انه يتأتى له ذلك لانه لم يجربه والا كان عالما بالغيب
وانما قال ما قاله استدلالا بنفاذ حيلته في ابيهم ادم عليه الصلوة والسلام وبعلمه بما ركب فيهم من الشهوة و الغضب
وظن ذلك ايضا في اولاد سبا بما رأى من انهماكهم في الشهوات ثم انهم لما اتبعوه وقبلوا وسوسته صار مظنونه معلوما
له

فانه ظن بهم انه اذا اغواهم اتبعوه فوجدهم كذلك منه

بان حققت الامر اي حققته ووثقت منه على يقين منه

له وحقق عليهم ظنهم حتما قوله بمعنى وجد ظنه صادقا فكان ابليس قال لظنه لأغوينهم فيتبعون اغوائي ثم انه لما اغواهم
فقبلوا منه وجد ظنه صادقا وان قرئ بنصب ابليس ورفع ظن مع تخفيف الدال يكون المعنى قال له ظنه الصدق حين
خيله اي حين خيل الظن ابليس اغواءهم يقال صدقك ظنك اذا ظهر المظنون كما خيل اليه وان قرئ بتخفيف الدال
ورفع الاسمين يكون المعنى صدق عليهم ظن ابليس ويكون الثاني بدلا من الاول بدل الاشتمال قوله وذلك اما ظنه
بسبا او ببني آدم الاول على ان يكون الضمير في عليهم واتبعوه لاهل سبا والثاني على ان يكون لبني آدم جميعا الا المؤمنين
منهم فانهم لم يتبعوه في اصل الدين وان استزلهم الشيطان عن بعض الفروع قوله الا فريقا هم المؤمنون اشارة الى
ان كلمة من للبيان لا للتبعيض لانه يستلزم ان يكون بعض من آمن اتبع ابليس في اصل الدين عن ابن عباس رضي الله عنه
قال في قوله تعالى الا فريقا من المؤمنين يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في اصل الدين وقد قال تعالى ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان يعني المؤمنين وقيل هو خاص في المؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه وهم المخلصون كما قال تعالى
حكاية عنه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قوله تعالى وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم
استثناء مفرغ من اعم العلل العامة تقديره وما كان له عليهم استيلاء لشيء من الاشياء الا لهذا وهو تعلق علمنا بالذي يؤمن بالآخرة
مميزا عمن هو في شك منها والمعنى الا لنعلم ايمان المؤمن بالآخرة ظاهرا موجودا ونعلم كفر الكافر الذي هو في شك منها ايضا كذلك لان العلم بهما
موجودين هو الذي يتعلق به الجزاء على التسلط بالعلم والمراد ما يتعلق به العلم وهو الايمان والكفر فانه تعالى لا يجازي الخلق بعلمه
بخلقه ولم يكتسبه في دار التكليف وانما يثيب من اطاع الحق وخالف الهوى والشيطان باختياره وسعيه ويعاقب من اطاع
نفسه واتبع هواه وآثره على طاعة الرحمن بحكمه وغوايته فقوله الا لنعلم معناه لكن تعلقا يترتب عليه الجزاء معناه ليتعلق
العلم بحال واحد من ايمان المكلف وكفره حال كونه موجودا واقعا وقد كان معلوما له تعالى في الازل بانه سيقع ولا يترتب عليه الجزاء
وهو في كونه حالا لا يتغير
قال الامام ان علم الله تعالى من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر
فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما
كذلك مثاله المرآة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا قابلها عمرو يظهر فيها صورته والمرآة لا تتغير
في ذاتها ولا تبدلت في صفائها وانما التغير في الخارجات فكذلك ههنا فالمراد من العلم ما يترتب عليه من التميز والانكشاف
في الوجود العيني الكائن فانه مترتب على الثبوت العيني الكائن قبل الوجود فقوله الا لنعلم اي لنعلمه موجودا حال وجوده
كما علمنا قبل وجوده انه يوجد قوله او ليتميز المؤمن من الشاك اي ليتميز في الخارج من هو يؤمن في علمه تعالى عمن هو شاك
فيه فان المكلف اذا كان له داعيان يدعوه احدهما الى الحق والآخر الى الباطل وتمكن من الانقياد والمتابعة لكل واحد
منهما فان اتبع داعي الحق يكون مؤمنا مطيعا وان اتبع داعي الباطل يكون ضالا عاصيا فيكون ما في علم الله تعالى من هو
حاله ظاهرا متميزا التميز المتحقق في الخارج ويحتمل ان يكون المراد من التمييز تميز ذلك بالنسبة الينا لا التميز باعتبار وجوده
في العلم الى الاعيان قوله ليؤمن من قدر ايمانه فيكون العلم مجازا مرسلا من قبيل ذكر المتعلق وارادة المتعلق
والنكتة في ايثار طريق التجوز المبالغة في تحقق المتعلق فان العلم متفرع على تحققه فكان بمنزلة ذكر الشيء بدليله

قوله وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى فان كلمة من في الموضعين موصولة جعلت صلة احديهما فعلية استقبالية
وصلة الاخرى اسمية للدلالة على ان الايمان يحدث بالنظر في الدليل والكفر حالة اصلية ثابتة قوله والزمان ان زمانا يحتمل
ومفاعيل كثيرا ما يجيئان بمعنى واحد كشريك ومشارك وعشير ومعاشر فسره بالمحافظ وهو المراقب المطلع على جميع الاحوال
لان الحفظ لا يتعدى بعلى لا يقال حفظ عليه بل حفظه لان معنى الحفظ الحراسة والاستظهار وكل واحد منهما غير ملائم لهذا
المقام بل الملائم هنا معنى المراقبة وفي الصحاح حفظت الشيء حفظا اي حرسته وحفظته ايضا بمعنى استظهرته والمحافظة
المراقبة والحفيظ المحافظ ومنه قوله تعالى وما انا عليكم بحفيظ ثم انه تعالى لما ذكر لمشركي العرب قصة سبا وحذرهم
بذكرها عن ان ينزل بهم بكفرهم ما نزل بهم ولا دلّ ساينتين لهم ان ما اتخذوه الهة من دون الله ليس له شيء من اثار القدرة فمن زعم الوهيته
واستحقاقه العبادة فقد ضل ضلالا مبينا فقال لرسوله صلى الله عليه وسلم قل للمشركين توبيخا لهم وتجهيلا ادعوا
الذين زعمتموهم الهة من دون الله لجلب نفع او كشف ضر كما تدعون الله تعالى او ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في
سني المجاعة فانظروا هل يقدرون على قضاء شيء من حوائجكم ثم اخبر عن عجزهم فقال لا يملكون حذف اول مفعولي زعمتم
وهو عائد الموصول طلبا للتخفيف لطول الموصول بصلته ثم حذف ثانيهما وهو الالهة اكتفاء عنه بالصفة وهي قوله من دون
الله ولا يجوز ان يكون قوله من دون الله هو المفعول الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما فلا يقال هم من دون الله الا بتقدير الموصوف
ولا يجوز ايضا ان يكون لا يملكون هو الثاني لان المعنى يكون ح زعمتموهم لا يملكون وهم لا يزعمون قوله وذكر سماوات
الخ المقصود بيان انهم لا يملكون مثقال ذرة في امر ما اصلا ولما بحسب العرف جميع الامور او لان الالهة السماوية
اذا لم تملك شيئا ما في السموات لزم ان لا تملك شيئا ما اصلا وكذا الالهة الارضية او لان ما لا يملك شيئا من الاسباب القريبة لزم
ان لا يملك شيئا اصلا قوله تعالى وما له منهم اي وما لله تعالى من ظهير يعاونه على خلق شيء فيهما او منهما حال كونه منهم اي مما
زعموه الهة ثم ان المشركين لما قالوا انا لا نعبد الاصنام لاعتقادنا انهم في خلق الكائنات وتدبير امرها ولا لان لهم شركة في
الخلق والملك ولا لكونهم اعوانا له تعالى في الخلق والتدبير وانما نعبد ليشفعوا لنا فان الاصنام صور الملائكة المقربين فلا ترد
شفاعتهم عند الله تعالى قال الله تعالى في ابطال قولهم ولا تنفع الشفاعة عنده قوله اذن له ان يشفع على ان يكون اللام داخلة
في الشافع والمعنى لا تنفع شفاعة شافع في حال من الاحوال الا في حال كونها كائنة لمن اذن الله تعالى ان يشفع فكلمة من
عبارة عن الشافع ودخلت اللام عليه كما دخلت على الكرم في قولك الكرم لزيد قوله او اذن الله تعالى ان يشفع له على ان
يكون كلمة من عبارة عن المشفوع لاجله ويكون اللام لام الاجل كما في قولك جئتك لزيد اي لاجله فكأنه قيل الا لمن وقع الاذن
للشفيع لاجله قوله ولم يثبت ذلك فانه تعالى لا يأذن للاصنام ان تشفع لعابديها وقدم الوجه الاول لان ابطال قول من
قال هؤلاء شفعاؤنا عند الله انما يظهر على هذا الوجه قوله غاية لمفهوم الكلام يحتمل ان يكون المراد من الكلام مجموع قوله و
لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فانه يفهم منه ان ثمة انتظارا للاذن وتوقفا وفزعا من الراجين للشفاعة و
المشفع اهل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص ويحتمل ان يكون المراد
منه قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الاية على ان الكلام بمعنى الكلم لان التفزيع عن القلوب يدل على ان ثمة فزعا وانتظارا وكذا
كلمة

كلمة حتى لكونها للغاية تؤذن ان ثمة توقفا وانتظارا كأنه قيل لا تنفع الشفاعة يوم القيامة الا لمن اذن له فيتربصون
ويتوقفون مليا فزعين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم
بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي قالوا قال الله القول
الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى والتفزيع ازالة الفزع كالتمريض ازالة المرض والتقريد ازالة القراد يقال قرد
بعيرك اي انزع عنه القردان روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال اذا اذن ان يشفع فزع عنه الشفاعة اي ازالت الشفاعة
الفزع عنه فعلى هذا يكون الضمير في قوله عن قلوبهم للشافعين والمشفوع لهم وقيل الضمير فيه للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا
لان الاية نزلت رد القول من قال انما نعبد الاصنام لكونها صور الملائكة الذين هم شفعاؤنا عند الله فان الملائكة يفزعون
حين ورد عليهم كلام الله تعالى بالاذن لهم بالشفاعة من هيبة ما يقرن به من الامر الهائل او لما يخافون من وقوع التقصير
منهم في شفاعة الذين يشفعون لهم بان كان على الاجمال دون التعيين فيشتبه عليهم احوال المشفوع لهم حتى اذا كشف
عنهم الفزع قالوا للملائكة الذين فوقهم وهم الذين يبلغوا ذلك اليهم ماذا قال ربكم اي ماذا امر به وهو كلام الخاضع المتذلل
والمعنى انهم مع منزلتهم يفزعون ويشفعون في شفاعة من لهم يشفعون وهم بامر الله يعملون فكيف يشفعون للكفار
وقيل انما يفزعون من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله سبحانه لما روى ابو هريرة رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى ان يوحي بالامر وتكلم بالوحي سمع اهل السموات
صلصلة اخذت السموات منها رجفة او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا
لله سجدا فيكون اول من رفع رأسه جبريل عليه الصلوة والسلام فيكلمه من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء
سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل الحق وهو العلي الكبير فيقول الملائكة كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل
بالوحي حيث امره الله تعالى وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة وذلك انه كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
الصلوة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله
تعالى عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد عليه الصلوة والسلام فلما سمعت الملائكة ذلك ظنوا انها الساعة لان بعثته صلى الله
عليه وسلم كان من اشراط الساعة عند اهل السموات فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل
يمر باهل كل سماء فيكشف عنهم الفزع فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي
وهو العلي الكبير قراءة الجمهور فزع بضم الفاء وكسر الزاي وقرأ ابن عامر بفتحهما على بناء الفاعل وهو الله تعالى وقرئ
فرغ بالغين المعجمة من فرغ الماء بكسر الراء يفرغ بفتحها فراغا اي فني وانصب والحق منصوب بقال مضمرة اي قالوا
قال ربنا الحق اي القول الحق ومن رفعه جعله خبر مبتدأ محذوف اي مقوله الحق قوله اذ لا جواب سواه علة لامره تعالى اياه
عليه الصلوة والسلام بان يتولى الجواب بنفسه بعد ما امره عليه الصلوة والسلام بان يحملهم على الاقرار بان من يرزقهم
المطر من السموات ومن يرزقهم النبات من الارض هو الله تعالى فان قوله من يرزقكم استفهام تقرير وكون السؤال والجواب

سمع اهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا

من واحد يشعر بتعيين الجواب وانهم لو اجابوا لا يمكنهم ان يجيبوا الا به فانه اذا انفتح الامر وتعين الجواب لا يحتاج الى
ان ينطقوا به بالسنتهم والتلعثم في الامر التمكث فيه والتأني والذي حملهم على السكوت عن الجواب او على التلعثم فيه انهم لو
اجابوا او قالوا ارزقنا هو الله تعالى وحده توجه اليهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون الله الذي تفرد في رزقكم وتؤثرون عليه
من لا يقدر على ان يرزقكم **قوله** وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال داخل تحت الامر بالقول والمعنى وقل ان احد الفريقين
متصف منكم لعلى احد الامرين من الهدى والضلال المبين **قوله** وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ جملة اسمية فانه تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم اولا ان يلزمهم ويوبخهم بقوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ثم بان يسألهم سؤال
تقرير عن تعيين رازقهم ثم بان يتولى الجواب بنفسه ايذانا بانهم مع كونهم معتقدين للحق يتمنعون عن الاقرار به بالسنتهم
عنادا او خوفا من الزام الحجة عليهم وتنزل عن هذه الدرجة ثانيا وامره بان يرخي العنان معهم ويقول لهم انا او
اياكم الآية ليتمادى على تماديهم في الضلال على وجه هو ادخل في اثبات الغرض والغلبة على الخصم واوجب لسد طريق
الشغب والجدال عليه **قوله** او اياكم عطف على اسم ان وما ذكر بعده خبر الاول وحذف خبر الثاني لدلالة عليه اي وانا او
لعلى هدى او في ضلال او انكم لعلى هدى او في ضلال ويحتمل ان يكون ما ذكر بعده خبر الثاني ويكون خبر الاول محذوفا و
هذان الوجهان لا ينبغي ان يحملا على ظاهرهما قطعا لانه عليه الصلوة والسلام لم يشك في انه على هدى ويقين وفي ان الكافر
على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل الفرض والتقدير
قوله وقيل انه على اللف والنشر والتقدير وانا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين وفيه نظر لانه لو كان من قبيل اللف والنشر لوجب ان يكون
كل واحد من المعطوفين بالواو وكلمة او بمعنى الواو وليس بشائع **قوله** واختلاف الحرفين وهما كلمة على الداخلة على الهدى وكلمة
في الداخلة على الضلال والمنار علم الطريق وسمي ملك من ملوك اليمن ذو المنار لانه اول من وضع المنار على طريقه في مغازيه
ليهتدي بها اذا رجع والارتباك الاختلاط والدخول في الامر الصعب الذي لم يمكنه التخلص منه والمطمورة الحفرة التي يطمر فيها الطعام
اي يخبأ شبه الهدى بالمنار او الجواد وجعل كلمة على تخييلا وشبه الضلال بالظلام والمطمورة وجعل كلمة في تخييلا **قوله**
قل اروني يحتمل ان يكون من الرؤية بمعنى العلم المتعدية قبل النقل الى اثنين فلما جيء بهمزة النقل عديت الى ثلثة اولها ياء
المتكلم وثانيها الموصول وثالثها شركاء وعائد الموصول محذوف اي الحقتموهم ويحتمل ان يكون من الرؤية البصرية المتعدية
قبل النقل الى واحد وعديت بالنقل الى اثنين اولهما ياء المتكلم وثانيهما الموصول وشركاء منصوب على الحال من عائد
الموصول اي بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء **قوله** والضمير لله او للشأن يعني ان هو في قوله تعالى بل هو الله يحتمل
ان يكون راجعا الى الله تعالى والمعنى ليس الامر على ما انتم عليه من الحاق الشركاء به في العبادة بل هو الله وحده فقوله
هو مبتدأ والله خبره والعزيز الحكيم صفتان فيكون هو من قبيل الضمير المبهم المفسر بما بعده تفخيما لشأن المرجع اليه وتمكينا
له في الذهن فانك اذا قصدت الابهام للتفخيم تعقلت المرجع في ذهنك ثم تعبر عنه بضمير الغائب لتتشوق نفس السامع
الى العثور عليه ثم تذكر المرجع اليه ويحتمل ان يكون ضمير الشأن فلفظة الجلالة ح مبتداء والعزيز الحكيم خبران والجملة
خبر هو والفرق بين الاحتمالين ان الجملة التي بعد ضمير الشأن هي المبينة له بخلاف ما اذا كان ضمير الجلالة فان خبره اسم

فصل بما لانه ... ان صدر ... قال بعض
فشر كما يخبر بها الغداة ... الانصف ...
من حضر ... وقول ...
قالت العرب وتوصيف الكلام
بالمنصف من قبيل الاسناد
المجازي لان المنصف هو المتكلم
به
منه

كما في قوله نحن بما عندنا وانت
بما عندك راض والرأي مختلف
حذف خبر الاول اي نحن راضون
منه

اسم موضع مفعول له **قوله** الا رسالة عامة لهم على ان كافة صفة مصدر محذوف وانها بمعنى عامة لهم محيطة بهم لان الارسالة
اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج احد منهم من الكل وهو المنع يقال كف يكف اي منع تعليل لتفسير الكافة بالعامة المحيطة فكانه قيل
اريد بالكافة العامة لان الشمول والعموم يستلزم الكف فيكون كناية او مجازا **قوله** والا جامعا على ان يكون كافة بمعنى جامعا و
يكون حالا من كاف ارسلناك ويكون التاء فيه للمبالغة كالتي في علامة وراوية ونسابة ومن استعمال كف بمعنى جمع قول الفقهاء
ذكره للمصلي كف ثوبه اي جمع ما تفرج من اطرافه ولا يجوز كونها حالا من المجرور متقدما عليه لان تقدم حال المجرور عليه بمنزلة تقدم
المجرور على الجار من حيث ان حال المجرور يكون معمولا لحرف الجر ايضا وتقدم المجرور على الجار ممتنع فكذا ما هو بمنزلته عند الجمهور
وان جوزه بعض النحاة استشهادا بقول الشاعر • اذا المرء اعيته المروة ناشئا • فمطلبها كهلا عليه شديد • اي كهلا وجه
ارتباط الآية بما قبلها انه تعالى حقق مسئلة التوحيد اولا ثم شرع في تحقيق الرسالة فقال وما ارسلناك الا كافة للناس
اي الا رسالة تكف ان يخرج منها احد منهم والا جامعا لهم في الابلاغ روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ثم انه تعالى لما ذكر الرسالة بين الحشر على وجه يتضمن تجهيل منكريه فقال ويقولون
متى هذا الوعد **قوله** لكم ميعاد جملة اسمية والميعاد زمان الوعد او مكانه لغة وهو ههنا الزمان الذي هو القيمة
او هو وقت موتهم يدل عليه قوله لا تستأخرون ساعة ولا تستقدمون اي لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون ويراد المص
احتمال ان يكون الميعاد مصدرا مضافا الى زمانه حيث قال وعد يوم الميعاد يطلق على الوعد والوعيد قال ابو عبيدة
الوعد والوعيد والميعاد بمعنى واضافته الى اليوم سواء جعل مصدرا او زمانا بيانية لانه اضافة العام الى الخاص
كما في سحق عمامة وثوب خز وبعير سانية فان السحق الثوب البالي اضيف الى العمامة للبيان وكذا الثوب والبعير والسانية
الناضحة وهي الناقة التي تستقي عليها يقال سنت الناقة تسنو اي سقت الارض وفي المثل سير السواني سفر لا ينقطع
قوله ويؤيده انه قرئ ميعاد يوم اي قرئ ميعاد يوم منونين على ابدال يوم من ميعاد ان ويؤيد كون الميعاد عبارة عن
زمان الوعد ابدال اليوم منه وقرئ ميعاد يوما على تعظيم اليوم بتقدير اعني فيكون منصوبا على المدح والتعظيم اي يوما
من صفته كيت وكيت **قوله** وهو جواب تهديد جواب عما يقال كيف انطبق هذا جوابا لسؤالهم مع انهم سألوا عن تعيين
وقت الوعد من حيث ان متى سؤال عن الوقت المعين ولا تعرض في الجواب لتعيين الوقت وتقرير الجواب ان سؤالهم
وان كان على صورة استعلام الوقت الا ان مرادهم الانكار والتعنت والجواب المطابق لمثل هذا السؤال ان يجاب بطريق
التهديد على تعنتهم فلذلك اجيبوا بانكم مرصدون ليوم يفاجئكم فلا تستطيعون تأخرا عنه ولا تقدما عليه ثم انه تعالى لما
بين الاصول الثلثة التي هي التوحيد والرسالة والحشر وكان المشركون كافرين بكل واحد منها بين كفرهم العام
بقوله وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن فان الكفر بالقرآن يتناول الكفر بجميع ما نطق به القرآن ثم انه تعالى
لما حكى عنهم الكفر المذكور بين عاقبة امرهم ومآل حالهم في الآخرة فقال ولو ترى يا محمد او يا من يتصور منه الرؤية
اياهم على اذل حال محبوسين للسؤال يرد بعضهم الى بعض القول في الجدال كما يكون عليه حال جماعة اخطأوا في امر رتبت
امرا عجيبا وحالا فظيعا والعياذ بالله فحذف جواب لو للتهويل **قوله** ولذلك اي ولكون المقصود انكار كونهم

اي فطلبها عليه

حكي ان رسالة نوح عليه الصلوة والسلام
... نبي عليه الصلوة
... الا ان ... وطمع رسالته
عامة الى الانس ...
والسلام الى الانس ... سكت
نوح خاصة بالانس

صادقين للاتباع من الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا انفسهم بنوا الانكار على الاسم فقالوا انحن فان وقوع المسند
اليه بعد حرف الانكار بلا فصل يفيد نفي الفعل عن المسند اليه المذكور وثبوته لغيره ومثل هذا الكلام انما يقال اذا اتفق المتكلم والمخاطب
على تحقق الفعل وصدوره من فاعل وزعم المخاطب انه صدر من المتكلم فيقول المتكلم في رده انا فعلت ذلك بتقديم المسند اليه وايلائه
حرف الانكار يريد بذلك انكار كونه فاعلا له واثبات كونه مفعولا لغيره كما في هذه الاية ان نحن صددناكم عن قبول الهدى والايمان
بعد اذ جاءكم اسبابه من دعوة الرسول وقيام المعجزة بل كنتم مجرمين بترك الايمان اختيارا واجرم الذنب تقول منه جرم
واجرم واجترم بمعنى فقال لهم المستضعفون مجيبين لهم بل مكر الليل والنهار اي بل الذي صدنا هو مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا
والعاطف في قوله تعالى وقال الذين استضعفوا لعطفه على كلامهم الاول ما يعطف كلامهم المشتمل على الاضراب عن اضراب
الاشراف والمقصود بيان الفرق بين قوله قال الذين استكبروا وبين قوله وقال الذين استضعفوا حيث صدر الثاني
بحرف العطف دون الاول ووجه الفرق ان الاول كلام مستانف ذكر جوابا لمن قال ماذا قال المستكبرون في جواب المستضعفين
فلا وجه لتخلل العاطف بخلاف كلام المستضعفين فانه لم يقصد به كونه جوابا للسوال المقدر بل سبق منهم كلام ثم
المستكبرين فعطف كلامهم الثاني على كلامهم الاول قوله بل مكركم دائبا اي دائبا بل صدنا مكركم لنا في هذين الوقتين
على ان مكر الليل مرفوع على انه فاعل فعل مقدر ويحتمل ان يكون مرفوعا على انه مبتدا حذف خبره على معنى بل مكركم لنا
في الليل والنهار وحملكم ايانا على الشرك واشباهه الذي اوقعنا في الكفر والضلال او على انه خبر مبتدا محذوف اي سبب
كفرنا مكركم قوله حين اغرتم من قولك اغار على العدو يغير اغارة اي غلب عليه واستلب ما معه ونهبه قوله واضافة
المكر الى الظرف يعني ان قوله بل مكر الليل والنهار معناه مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
واضافة المكر اليه على طريق اضافة المصدر الى مفعوله كما اتسع في قوله يا سارق الليلة اهل الدار او جعل ليلهم ونهارهم
ماكرين على الاسناد المجازي كما في قول جرير • لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنائم • فيكون من
قبيل اضافة المصدر الى فاعله وكل واحد من الوجهين احسن من قول من قال ان الاضافة فيه بمعنى في اي مكر في الليل
لان ذلك لم يثبت في غير محل النزاع قوله ومكر الليل من الكر وقرئ مكر بفتح الكاف وتشديد الراء مرفوعا
ومنصوبا اما الرفع فعلى ما ذكر في القراءة بسكون الكاف اي بل صدنا كرورهما علينا واختلافهما كرا ذاجيا
وذهب على معنى صدنا طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم واظهر منه ان يكون
ارتفاعه على انه مبتدا حذف خبره او خبر مبتدا محذوف اي بل مكركم اي كروركم بالاغواء في الليل والنهار دائبا سبب
وصدودنا عن الهدى او سبب في ذلك مكركم وخلاصة المعنى انا انما اشركنا بسببكم واما النصب فعلى انه مصدر فعل محذوف
من لفظه اي بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اي وقت كرورهما مثل اتيتكم خفوق النجم والمعنى بل تكرون الاغواء
مكرا دائبا لا تفترون عنه قوله كما في اشتكيته فانه يجيء بمعنى اثبت له الشكاية وازلت عنه الشكاية وقد جمعهما
من قال • تشكوت الى الايام سوء صنيعها • ومن عجب باك تشكى الى المبكي • فما زادت الايام الا شكاية • وما زالت الايام تشكي
ولا تشكي • اي تزيد شكايتي ولا تزيلها قوله تنوشا بهم اي تعتريهم كابة من ناش الشيء ينوشه اذا ارتفع ونوهته تنويها
اذا رفعته

ولو اولي حرف الاستفهام الفعل لكان مدلوله مجرد نفي الفعل عنه لا نفي كونه الفاعل له مع اثباته لغيره • منه

اذا رفعته ونوهت باسمه اذا رفعت ذكره قوله هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء اعمالهم من الكفر والمعاصي
اشار به الى ان ذلك على حذف المضاف وهو استفهام تقرير وعدي يجزون الى اعمالهم مع ان جزى لا يتعدى الى مفعولين بل يقال
جزيته بما صنع اما على طريق الحذف والايصال وهو ظاهر او لتضمين جزى معنى قضى وهو يتعدى الى اثنين يقال
قضيته سرين قوله مما منيت به اي ابتليت يقال منوته ومنيته اي ابتليته كانه قال تعالى عليه الصلوة والسلام يا ايها النبي
لا تحزن على تكذيب الكفرة اياك فان ايذاء الكفرة للانبياء عليهم الصلوة والسلام ليس بدعا بل ذلك عادة قديمة لهم
قوله ولذلك اي لكون المفاخرة بزخارف الدنيا والاستهانة بمن لم يحظ منها معظم الدواعي الى التكذيب ضموا التهكم و
المفاخرة الى التكذيب حيث تهكموا بقولهم بما ارسلتم به فانهم انما قالوا ذلك تهكما بالمرسلين ضرورة انهم غير معتقدين
بالارسال وتفاخروا بقولهم نحن اكثر اموالا قوله بما ارسلتم متعلق بكافرون قدم عليه اي بما ارسلتم والتقدير انا كافرون بالذي ارسلتم
به من الايمان والتوحيد قوله فنحن اولى بما تدعونه من الرسالة جعل المترفون قولهم نحن اكثر اموالا واولادا بالنسبة
الى الرسل وسيلة الى تكذيبهم وزعموا انهم اكرم على الله تعالى من الانبياء ومن المؤمنين قائلين انهم لو لم يكرموا عليه لما
رزقهم ذلك وان المؤمنين لو لم يهونوا عليه تعالى لما حرمهم فابطل الله تعالى ظنهم ذلك بهاتين الآيتين وهما قوله تعالى قل
ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وليس البسط والقبض للكرامة والهوان فكم من موسر شقي ومعسر تقي وانما يوسع
ويضيق بمشيئته لما راى من الحكمة والمصلحة يبسط لمن يشاء لا للفضل ومنزلة له عنده ويقتر على من يشاء لا للاهانة
كانت منه اليه بل له ان يبتلي عباده بما يشاء قوله قربة يعني ان زلفى مصدر كقوله تقربكم من غير لفظه او اسم المصدر كقوله
انبته الله نباتا حسنا لما استدل المترفون بكثرة اموالهم واولادهم على كونهم احسن حالا عند الله تعالى ابطل الله تعالى
استدلالهم ذلك بان البسط والقبض لا يدلان على الكرامة والهوان ثم اكد ذلك بقوله وما اموالكم ولا اولادكم الاية فكانه
قيل استدلالكم بكثرة الاموال والاولاد على كونكم احسن حالا عند الله ليس استدلالا صحيحا فانهما لا يدلان على
قربة العبد من الله تعالى وكيف كل واحد من المال والولد يشغل عن الله تعالى وكيف يتقرب منه بل الذي يتقرب به اليه تعالى هو العمل
الصالح لانه اقبال على الله تعالى واشتغال بطاعته ومن توجه الى الله تعالى وحصل من التجائه اليه ظفر بالامل قوله والتي
يعني ان الظاهر ان يقال باللاتي لان التي اسم مفرد فلا حاجة لتوصيف الاموال والاولاد به وحمله عليهما لتاويلهما بالجماعة
كانه قيل وما جماعة اموالكم واولادكم بالجماعة التي تقربكم او لكون التي صفة لموصوف محذوف اي وما هما بالتقوى
التي او بالخصلة التي تقربكم قوله استثناء من مفعول تقربكم وهو ضمير الخطاب المتناول لجملة بني ادم فيكون الاية
اشارة الى ان العمل الصالح بالنظر الى الاموال ان ينفقها صاحبها في سبيل الله وبالنظر الى الاولاد ان يعلمهم اباؤهم
الخير ويربوهم على الصلاح ويجوز ان يكون استثناء من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من آمن
واولاده قوله وقرئ بالاعمال اي وقرئ جزاء مرفوعا منونا والضعف منصوبا فان الاصل ان يجازوا الضعف
ثم جزاء الضعف بالاضافة ومن نصب جزاء ونونه ورفع الضعف جعل جزاء تمييزا او حالا اي فاولئك لهم الضعف
جزاء العامل في الحال الاستقرار كما في قوله تعالى فله جزاء الحسنى فيمن قرأ بنصب جزاء في الكهف ويحتمل ان يكون انتصاب

قالوا ذلك لانهم زعموا ان السعة في الرزق من علامة الكرامة ... منسوب الى الاحسان وقالوا ليس من الحكمة ان يحسن احد الى عدوه ويقطع عن حبيبه فلو كان الرسل والمؤمنون اولياء الله لما ضيق عليهم في الدنيا • منه

الا ان يضاف فحسن ثم ... الواحدة بعشر الى سبعمائة والضعف لا يكون الا في الحسنة فان السيئة لا تكون الا بالمثل • منه

جزاء على انه مصدر لفعله الذي دل عليه لهم وذلك لان فاولئك مبتدا والضعف مبتدا ثان ولهم خبر الثاني والجملة
خبر اولئك ويحتمل كونه تمييزا ولئك الضعف لهم يجزون جزاء **قوله** على ارادة الجنس للعلم بانهم جميعا لا يشتركون في غرفة
واحدة بل لكل احد غرفة تخصه وفي الصحاح العلية والجمع غرفات وغرفات وغرفت بتين الله تعالى او لا ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات يضاعف حسناتهم ثم زاد وقال وهم في الغرفات آمنون اشارة الى دوام النعم
وتأبيدها ثم بين حال المسيء فقال والذين يسعون في اياتنا معاجزين الاية اي مقدرين في انفسهم ان يسبقوا
الانبياء الذين شانهم اظهار الايات واثبات الحق المبين او ان يفوتونا فان المعاجز الهارب يهرب لكي يعجز فيقال
عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل اليه **قوله** فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فان ما سبق رد لظنهم
انه تعالى اكرمهم بكثرة الاموال والاولاد فلا يعذبهم بالتعذيب وانما يهين ويعذب من ضيق عليه في الدنيا فرد عليهم بان
اختلاف الاشخاص في السعة والضيق لا يبتنى على كرامة الموسع عليه وهوان المضيق عليه وانما يبتنى على مجرد
مشيته تعالى وههنا لما بين ان الايمان والعمل الصالح هو الذي يقرب العبد الى ربه ويكون مؤديا الى التضعيف جمع
بين ان نعيم الاخرة وتضاعف الحسنات جبرا لا ينافي سعة الرزق في الدنيا بل الصالحون قد يبسط لهم الرزق
في الدنيا مع ما لهم في الاخرة من الجزاء الاوفى والمثوبة الحسنى بمقتضى الوعد الالهي وان كانوا في بعض الاوقات يضيق عليهم
وكلمة ما في قوله تعالى وما انفقتم شرطية في محل النصب على انه مفعول مقدم لانفقتم وقوله فهو يخلفه جواب الشرط ويجوز ان يكون
ما موصولة في محل الرفع بالابتداء ومن شيء بيانه وقوله فهو يخلفه خبره ودخلت الفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط
اي ما تصدقتم وانفقتم في الخير من نفقة فهو يعطي خلفه للمنفق اما بان يعجل له في الدنيا واما بان يدخر له في الاخرة
وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه ويصلحه فليقتصد في الانفاق فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم
له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما قسم له ثم يبقى في طول عمره في فقر ولا يتاولن قوله تعالى وما انفقتم
من شيء فهو يخلفه فان هذا في الاخرة وفي الحديث الرفق في المعيشة من بعض التجارة وما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا
ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ويؤيد ما ذكره المص قوله تعالى ويوم يحشرهم قراءة يعقوب وحفص بالياء والباقون
قوله اياكم منصوب بخبر كان قدم لاجل الفواصل الاهتمام والكلام وان كان في صورة الخطاب للملائكة الا ان المقصود
تقريع المشركين فان الملائكة لما اجابوا بتنزيه الله تعالى من ان يعبد احد معه وبانه لا يستحق العبادة سواه اشتد خزي
المشركين وخجالتهم **قوله** ولان عبادتهم مبدا الشرك واصله لان عابديهم يزعمون انهم بنات الله تعالى من مصاهرة
الجن قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا والاولاد تكون من جنس الاباء والقول بتعدد الالهة اصل الشرك
بخلاف العبادة بناء على طمع الشفاعة فبراء الملائكة منهم ومن الرضى بعبادتهم اياهم بقولهم سبحانك اي تنزيها من ان
يكون لك شريك في الالوهية واستحقاق العبادة والولي فعيل من الموالاة وهي ضد المعاداة ويقع على الموالي والموالى
وهو ههنا بمعنى الموالي يعنون انا نواليك بالعبودية لك لا نواليهم بعبادتهم لنا والظاهر في جواب قوله تعالى اهؤلاء

الكم

اياكم كانوا يعبدون ان يقال لا او نعم لا انهم اجابوا باثبات موالاة الله تعالى ومعاداة الكفار رببا بالبراءة منهم من الرضى
بعبادتهم لهم بطريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان اختصاصهم بموالاة الله تعالى ومعاداة الكفار يستلزم عدم الرضى
بعبادة الاعداء اياهم **قوله** حيث اطاعوهم جواب عما يقال ان المشركين كانوا يقصدون بعبادة الاصنام عبادة
الملائكة ولا يخطر الشياطين ببالهم حين عبادتهم الاصنام فضلا عن ان يعبدوا الشياطين فما وجه قولهم
كانوا يعبدون الجن واجاب عنه بوجهين الاول ان الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فاطاعوا الشياطين
في عبادة الملائكة فالمراد بقولهم يعبدون الجن انهم يطيعونها الجن في عبادة غير الله تعالى وان العبادة هي الطاعة وانهم
لما اطاعوهم فكانهم عبدوهم والثاني انهم عبدوا الجن حقيقة بناء على ان الجن مثلوا لهم صور قوم منهم وقالوا هذه
صور الملائكة فاعبدوها فلما عبدها المشركون فقد عبدوا الجن حقيقة **قوله** الضمير الاول للانس جواب عما يقال الظاهر ان ضمير
اكثرهم عبارة عما يرجع اليه ضمير كانوا يعبدون الجن وهم المشركون والمعنى اكثر المشركين مؤمنون بالشياطين اي
مصدقون قولهم ومطيعون لهم وجميع المشركين كانوا متابعين للشياطين مطيعين لهم فاوجه قوله اكثرهم مؤمنون
فانه يدل على ان بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم واجاب عنه بوجهين الاول انا لا نم ان ضمير اكثرهم يرجع الى المشركين
بل يرجع الى الانس المذكور حكما واكثر الانس كفار يؤمنون بالجن والشياطين سلمنا ان ضمير اكثرهم للمشركين الا ان الاكثر
بمعنى الكل كما في قوله تعالى واكثرهم كاذبون وهو من ترقيق الكلام ثم انه تعالى بين ان ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم فقال فاليوم
لا يملك بعضكم لبعض والخطاب لمجموع العابدين والمعبودين والمراد بالبعض الاول الملائكة وبالثاني عابدوهم والمعنى
ويوم القيمة لا يملك الملائكة لعابديهم نفعا بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب فالكلام تنكيل للكافرين حيث بين لهم ان
معبودهم لا ينفع ولا يضر كقوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من ارتضى ويحتمل ان يكون الخطاب منا والا للجن ايضا
قول وفي تكرير الفعل فانه لما ذكر قوله قالوا في جواب قوله واذا تتلى عليهم اياتنا كان الظاهر ان يذكر مقول الكفرة بان
يعطف بعضه على بعض بان يقال قالوا كذا او كذا من غير ان يعاد فعل القول مع كل مقول وقد اعيد ذلك ههنا حيث
قيل اذا تتلى عليهم اياتنا قالوا كذا وقالوا كذا ثم قيل وقال الذين كفروا باعادة الفعل مرة ثالثة وتصريح فاعله
والمقام مقام الاضمار **قوله** وما في اللامين في الاولين اراد بهما اسم الموصول المذكور في قوله وقال الذين كفروا
ولام التعريف في قوله للحق على سبيل التغليب وفي تعريف الموصول اشارة الى القائلين بانهم الكفرة المعاندون الذين
حملهم كفرهم على الجراءة على الله تعالى وان يقولوا في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وكتابه ودينه ما لا يتفوه به من له ادنى
والتعريف اللامي اشارة الى المقول فيه بانه الحق المبين الذي لا يطعن فيه الا المكابر المعاند والبت بهذا القول
من مثل ذلك القائل في مثل هذا القول فيه في غاية القباحة والفضاعة لا سيما اذا كان البت المذكور على سبيل المبادهة
من غير تأمل بيان بادهه امر فاجأه وسلوك هذه الطريقة لا يكون الا للايذان بان الامر عظيم وان ارتكابه عجيب
غريب ثم انه تعالى بين ان اجتراءهم على هذه الاقوال الباطلة عند ما تتلى عليهم الايات البينات غاية الضلالة ونهاية
الجهالة فان الايات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية والكتب السماوية او بمبيان الرسل المؤيدة بالمعجزات

ان قلت ما فائدة قوله مفترى فقوله الاول الافك الكذب من وجهين الاول الافترا وبعد ما كذب من الحق عمدا او سهوا والافترا هو القول الباطل الكذب انت في الافك هو الكذب صادر عنه في نفسه وان كان قائله صادقا في نفسه مثل ان يخبر الشخص بنخبر عمرو بقيام زيد وهو صادق في الاخبار عن عمرو ولكن ذكر الكلام في نفسه كذب فلما قال مفترى افاد ان الكلام في نفسه كذب وكذا قائله كذب ايضا عن المنقول عنه في حكايته سلمه

البارة وليس عندهم شيء من ذلك في قولهم هذا رجل كاذب وان ما يقرؤه افك مفترى وان ما جاء به سحر مبين وهذا معنى ما نقله عن الفراء انه قال في تفسير هذه الآية من اين كذبوك ولم يأت لهم كتاب ونبي يبين لهم صحة طريقهم وكذبك فيما دعوتهم اليه وقوله تعالى وما ارسلنا اليهم اي الى اهل مكة ومن حولهم من العرب الذين بعث اليهم والايراد من تقدمه عليه الصلوة والسلام من العرب لان اسمعيل عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا قبله الى العرب **قوله** وما بلغ هؤلاء حال من الموصول اي هؤلاء المشركون عشر ما اتينا المتقدمين كعاد وثمود او ما بلغ المتقدمون عشر ما اتينا مشركي مكة والمعشار العشر كالمرباع الربع والمعنى على الاول كيف امن مشركوا مكة مع ضعفهم ان يلحقهم بسبب تكذيبهم ما لحق من قبلهم من الاقوياء وعلى الثاني كيف امنوا ان يلحقهم بتكذيب البينات القاطعة المتكاثرة ما لحق من قبلهم بتكذيب ما هو اقل من عشر ما كذب به المشركون **قوله** والا تكرير في كذب جواب عما يقال ما وجه قوله فكذبوا رسلي بعد قوله وكذب الذين من قبلهم وما الفائدة في هذا التكرير اجاب عنه اولا بان الاول لتكثير الفعل لا للتعدية والثاني للتعدية فلا تكرير وثانيا بان الاول مطلق حيث لم تعد له مفعول بل اجري مجرى اللازم فكانه قيل فعلوا التكذيب مطلقا واقدموا عليه والثاني مقيد بتعلقه بالمفعول وجعل تكذيبهم الرسل مسببا عن كونهم اهل التكذيب فعطف عليه عطف المسبب على السبب والمعنى فعلوا التكذيب فكذبوا الرسل بسبب **قوله** وهو القيام من مجلس النبي يعني ان القيام يحتمل ان يراد به المثول على الرجلين من مجلسه عليه الصلوة والسلام لاجله تعالى وطلب وجهه ورضاه لا لحمية ولا عصبية او القيام للامر والتشمر لاجله تعالى بالجد والاهتمام من قولك قمت لامر كذا اذا تهيأت وتمسكت لاجله وتشمرت له **قوله** فان الازدحام علة لتشويش القيام به لله تعالى بكونهم متفرقين مثنى وفرادى يعني ان الاجتماع مما يشوش الخاطر ويعمي البصائر ويقل معه الانصاف ويكثر فيه الاعتساف بخلاف الاثنين فاذا اجرى بينهما امر يتفكران فيه ويعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه سالكا مسلك العدل والانصاف متجانبا عن التعصب والاعتساف فيؤديهما فكرهما الصحيح الى الحق الصريح وكذلك الواحد فانه يتفكر في نفسه طالبا للاصابة الحق باتباع عقله السليم عن معارضة المجادلين واغواء المبطلين فيصيب الحق المؤيد بالبرهان وقوله ثم تتفكروا عطف على قوله ان تقوموا ومحل ان تقوموا الجر على انه بدل من واحدة على سبيل التفسير والبيان او عطف بيان لها او الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي ان تقوموا او النصب باضمار اعني ومثنى وفرادى حال من فاعل تقوموا **قوله** فتعلموا ما به جنون لو استأنف يعني ان قوله تعالى ما بصاحبكم من جنة يجوز ان يكون متعلقا بفعل مقدر معطوف على تتفكروا ومعلق عنه بحرف النفي وهي كلمة ما وان يكون مستأنفا للتنبيه على طريقة النظر المؤدي الى العلم بصدقه عليه الصلوة والسلام في دعوى الرسالة فان امر الرسالة امر عظيم تحته ملك الدنيا والاخرة ومن ادعاها لا بد له ان يتحدى الفراعنة الذين كانوا يقتلون من خالفهم في ادنى شيء الى قبول ما جاء به من الدين وترك ما الفوه منه ولا شك في انه امر عظيم لا يدعيه الا مؤيد من عند الله تعالى قاطع بحجة امره بما عنده من حجته وبرهانه او مجنون لا يبالي افتضاحه على رؤس الاشهاد وهلاكه في الدنيا ويوم التناد ومن المعلوم عندهم انه صلى الله عليه والصلوة والسلام ارجح قريش عقلا واصدقهم قولا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال فكان علمهم بهذا كافيا لهم في ترجيح جانب صدقه عليه الصلوة والسلام **قوله** وقيل ما استفهامية لكن في النسق

ونظره ان يقول الشافعي اقدم فلان على التكلم بحجة النبي صلى الله عليه وسلم ك ن

ان قلت ما تقدم شيء على غير ادري وكان الاصل التكلم كان علي ان الحصول لم ... بالنظر الى الا ... اي ... حصول حالة الانفراد ... والتفكر فكان تقديم الاثنين الوعظ ... اهم من الواحد سلمه

قوله يعني ما سألتكم من اجر فهو لكم من النبي للتكلم ... اخذ الاجرة على تعليم القرآن ولا يجوز اخذ الاجرة وفيه خلاف في الائمة ... الاحاديث يجوز وقيل يجوز حكاه ابن الصلاح قيل ان لا يجوز واختار بعض المتأخرين ان كان ذلك يشغله عن معاشه فجائز والا لم يجز واما الحديث الواحد فلا يجوز اخذ الاجرة على تبليغه سلمه

ليس المراد حقيقة الاستفهام بل هو بمعنى النفي والانكار فلهذا لم يرض به لان الاستفهام لما كان بمعنى الانكار الذي مآله النفي كان الاولى ان يحمل كلمة ما من اول الامر على النفي قصر اللمسافة وحملا للكلام على المعنى المتبادر **قوله** ان شيء سألتكم يعني انه كلمة ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول سألتكم قدم عليه وقوله فهو لكم جوابها كما قال عليه الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة ان جئت ابتدائها واقبلت واوائلها واصله من نسيم الريح وهو اول هبوبها حين يقبل بلين قبل ان تشتد **قوله** وايا ما كان يلزم احدهما يعني ان التنبوة دعوى النبوة كاذبا سواء كان لغرض ولغيره يستلزم احد الامرين اما ان كان لغرض فلان ذلك الغرض لا يكون غرضا اخرويا لان الكاذب معذب في الاخرة غير مثاب فلا بد ان يكون دنيويا وان لم يكن لغرض يلزم احد الامرين ايضا وهو الجنة والحاصل ان من ارتكب العناء الشديد بالنبوة الاخروة وجب ان يكون مجنونا او متوقعا النفع دنيوي لانه ان كان لا لغرض فهو مجنون وان كان لغرض فذلك الغرض انما هو نفع دنيوي ولما نفي كل واحد منهما لزمه ان لا يكون متنبيا بل صادقا في دعواه **قوله** تعالى في سورة الفرقان ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان الا فعل من شاء ان يتخذ سبيلا بان يتقرب اليه بالايمان والطاعة بر بدل انه ارضى بتقربه اليه واعتد به كما يرضى المثاب بالثواب فالاجر المذكور في هذه السورة ان حمل على اتخاذ السبيل فمعنى كونه لهم ان يكون نفعه عائدا اليهم وكذا مودة قرباه عليه الصلوة والسلام يعود نفعها اليهم من حيث ان قرباهم قرباهم ثم ذكر ان اجره على الله وانه على كل شيء شهيد ليعلم انه عليه الصلوة والسلام لا يطلب الاجر على نصيحتهم وتبليغ الرسالة اليهم الا منه تعالى **قوله** يلقيه وينزله يعني القذف في الاصل هو الطرح والالقاء مع الدفع والاعتماد واطلق ههنا على مجرد الالقاء فهو مجاز مرسل بطريق استعمال المقيد في المطلق واطلق القرآن والوحي والباء فيه زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة **قوله** او يرمي به الباطل ان يدفع الباطل ويزيله بايراد الحق عليه كما يدفع الشيء بان يقذف عليه ما يدفعه شبه ايراد الحق على الباطل لاذهاب الباطل بالقذف اي بالقاء الشيء على الشيء بدفع واعتماد ثم ذكر القذف واريد ايراد الحق على الباطل لاذهابه فيكون قوله تقذف استعارة تصريحية تبعية وكذا على قوله او يرمي به الى اقطار الآفاق حيث شبه نشر الاسلام واظهاره في الآفاق بالقاء الشيء على وجه الدفع والاعتماد **قوله** صفة محمولة على محل ان واسمها فان محلها الرفع على الابتداء عند الجمهور علام الغيوب بالرفع على انه صفة تابعة لمحلها ومن نصب جعله نعتا لاسم ان او منصوبا على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث في الغين بالضم والكسر كما في البيوت وبالفتح على انه صفة مبالغة كالشكور والصبور وهو الامر الذي غاب جدا واخفى والكلب الصبور وهو الماهر في امر الصيد **قوله** زهق الشرك بحيث لم يبق له اثر يعني ان قولهم لا يبدي فلان ولا يعيد عبارة يعبر بها عن هلاكه وموته كقولهم لا ياكل فلان ولا يشرب ولا يقبل ولا يدبر فان انقطاع آثار الشيء ونواتج وجوده من لوازم هلاكه وانتفائه فصح جعله كناية عنه روي ان المنذر بن ماء السماء كان ملكا وكان له يوم في السنة يذبح فيه اول من يلقاه فبينا هو يسير في ذلك اليوم اذ اشرف عليه عبيد بن الابرص فقال لرجل ممن كان معه من هذا الشقي فقيل انه المنذر بن ماء السماء وافيناه يوم بؤسه فلما رآه المنذر امر بقتله فقيل له امدحه

فصل ... قال ... ما نقلناه ... عن ... احد ... ما يحق ... في قلوب ...

... في الاصل ... والاسم ... في ... والاقسم ... حال

فقال حال الجريض دون القريض فقال المنذر انشدنا قولك اقفر من اهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب فقال اقفر
من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد قوله اقفر اي صار الى القفر (اي خلا من اهله وهلك) وهو مفازة لا نبات بها ولا ماء وملحوب موضع وكذلك
القطبيات والذنوب والجريض الغصة من الجرض بالتحريك وهو الريق يغص به يقال جرض بريقه يجرض على مثال كسر يكسر
وهو ان يبتلع بريقه على هم وحزن بالجهد والقريض الشعر فكأنه مأخذ قوله تعالى وما يبدئ الباطل نافية ولا مفعول ليبدئ
ولا ليعيد اذ المراد لا يوقع الباطل هذين الفعلين وقيل مفعوله محذوف اي ما يبدئ الشيطان لاهله خيرا ولا يعيده كان
كفار مكة يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك ضللت حين تركت دين ابائك فنزل قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي قراءة العامة بفتح اللام في الماضي وكسرها في الغابر وقرئ بكسر اللام في الماضي وفتحها في المضارع وقرئ
اضل بكسر الهمزة وفتح الضاد على لغة من يقول اعلم قوله فانه اي فان ضلال الشخص بسبب نفسه الجاهلة الامارة
بالسوء وهو علة لكون وبال الضلال راجعا الى نفسه قوله وبهذا الاعتبار اي باعتبار ان النفس كل ما هو وبال عليها وضار
لها فهو بها وبسببها وقع التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وبين قوله فبما يوحي الي ربي والا فلا تقابل بينهما ظاهرا
لانه انما يظهر التقابل بينهما ان لو ورد فيهما كلمة على او كلمة الباء بان يقال ان ضللت فانما اضل على نفسي وان اهتديت
فانما اهتدي لنفسي او بان يقال ان ضللت فانما اضل بنفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فيكون مدلول الاية على الاول
بيان مآل الضلالة والهداية وعلى الثاني بيان سببهما فلما جيء بعلى في الاول دلت على ان الضلال وبال على النفس
وجيء بالباء في الثاني فدلت على ان سبب الاهتداء هو هداية الله تعالى وتوفيقه وما يوحي الى القلب من الحكمة والبيان و
تقابل بينهما ظاهرا الا انهما متقابلان من جهة المعنى لان قوله فانما اضل على نفسي في قوة ان يقال فانما اضل بنفسي
فالمصراعان مشتملان على السبب وان اشتمل الاول على بيان مآل الضلال ايضا قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا التنبيه
لنبيه بهم بعد ذمهم الله تعالى اولا بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما اتيناهم وساق الكلام الى
ههنا ثم بين ان قدامهم امرا هائلا يفزعهم وهو انهم حيثما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه بل يأخذهم من ظهر الارض
الى بطنها عند الموت او من الموقف الى النار عند البعث ومن صحراء بدر الى القليب يوم بدر او من تحت اقدامهم
اذا خسف بهم على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الاية نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا
يأتون من قبل المشرق يقال لهم السفيانية يقصدون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا بيداء المدينة خسف بهم
وقصتهم مذكورة في تفسير الامام النسفي وقراءة العامة فلا فوت بنا على الفتح واخذوا فعلا ماضيا للمجهول
معطوفا فزعوا وقيل على معنى فلا فوت اي فلم يفوتوا واخذوا او قرئ فلا فوت واخذ مرفوعين منونين و
قرئ بفتح فوت ورفع اخذ على الابتداء من حيث كونه معطوفا على محل فلا فوت ومحله رفع على الابتداء وخبره محذوف اي
وهناك اخذ او على انه خبر مبتدأ محذوف اي وحالهم اخذ فيكون من عطف الجملة المثبتة على المنفية ولما تعين في هذه
القراءة كونه معطوفا على قوله فلا فوت ايد ذلك كونه معطوفا عليه في قراءة اخذوا ايضا قوله وقالوا آمنا به
اي قالوا ذلك وقت فزعهم وهو وقت نزول العذاب بهم عند الموت كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا او

فان قلت علام عطف واخذوا قلت فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا كشاف

قيل كان ذلك من ايام ابن الزبير كشاف

روينا في مسند احمد بن حنبل عن ام المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى اذا كانوا في البيداء خسف بهم فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان منهم مستكرها قال يبعثهم الله تعالى على نياتهم قيل كان ذلك في ايام ابن الزبير والبيداء بيداء المدينة طيبي

او عند البعث فان الكفار كلهم يؤمنون حين لا ينفع الايمان عنهم بقوله وانى لهم التناوش والتناوش
مبتداء وانى خبره بمعنى من اين ولهم حال وهو تناول ما قرب منك بسهولة ولما انقضى وقت تناول الايمان وان كان
انقضاؤه عن قرب صار ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه ابد الآباد يوم القيمة بالنسبة الى اهل الدنيا فانه قرب
لكونه بصدد القرب والدنو شيئا فشيئا والغلوة مقدار رمية بسهم **قوله** وهو تمثيل حالهم في الاخلاص بالايمان اي
ارادة الاتصاف به حال الصبا بعد فوات وقته ومضيه وبعد عنهم وانه جعله تمثيلا اذ ليس في قولهم امنا به تناول الشيء
من المكان بل ليس فيه الا ارادة الاتصاف بالايمان بعد فوات وقته وكونه ابعد ما يكون لامتناع الوصول اليه فتعين
حمله على التمثيل وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة بعد الالف وقرا الباقون بواو مضمومة
فاحتمل ان يكونا مادتين مستقلتين مع اتحاد معناهما وروي عن ابي عمرو انه قال التناؤش بالهمزة التناول من بعد
من قولهم نأشت اي ابطأت وتأخرت وفي الصحاح التناؤش بالهمزة التأخر والتباعد وقد نأشت الامر
انأشه نأشا اخرته فانتأش ويقال فعله نئيشا اي اخيرا قال الشاعر • تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت
بعد الامور امور • اي تمنى اخيرا وان يكون مادة واحدة ويكون الهمزة مبدلة من الواو للزوم ضمة الواو كما في ادؤر واجؤه
في ادور ووجوه قال الزجاج كل واو مضمومة ضمة لازمة فانت فيها بالخيار يقال ناشه ينوشه نوشا اي تناوله
قال الشاعر فهي تنوش الحوض نوشا من علا نوشا به تقطع اجواز الفلا اي تتناول ماء الحوض من فوق وتشرب
شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ماء آخر والاجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه ويحتمل ان
يكون التناؤش بالهمزة من الناؤش بمعنى التطلب كما في قوله فجئت جارا ابا الجاموش اليك نأش القدر النؤوش اي تطلب
القدر الطالب اقحمه اي كلفه واوقعه في الامر الشديد من التقحم بالضم وهي المهلكة وقحم الطريق مصاعبه والجاموش
لغة في الجاموس **قوله** ويتكلمون بما لم يظهر لهم يعني ان القذف رمي اللفظ باللسان والتكلم من غير روية والغيب الشيء
الغائب عنهم غير المعلوم لهم فان قولهم في حقه عليه الصلوة والسلام انه شاعر ساحر مفتر كذاب ونحو ذلك تكلم بالغيب
لانهم لم يشاهدوا منه عليه الصلوة والسلام شيئا من ذلك واتوا به من جهة بعيدة من حاله عليه الصلوة والسلام لان
ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم الكذب والزور وكذا انكارهم الاخرة راسا و
قولهم ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والحساب والميزان والثواب والعقاب فنحن بمعذبين لانه لما اكرمنا
بالاموال والاولاد في الدنيا فلا يهيننا بالتعذيب في دار اخرى فانه ايضا تكلم بالغيب يقذفون به من جهة بعيدة فاسوا
امر الاخرة على امر الدنيا ومن المعلوم ان دار الجزاء لا تنقاس بدار التكليف **قوله** ولعله تمثيل حالهم وهي التكلم بما
لم يظهر لهم من المطاعن في حقه عليه الصلوة والسلام ومن البت في نفي العذاب على وجه بعيد الاول من حاله عليه الصلوة والسلام
والثاني من حكمة الله تعالى وعدله شبه حالهم هذه بحال من يرمي شيئا يكرهه من مكان بعيد **قوله** والعطف على وقد
كفروا وهو جملة حالية فيكون ما عطف عليه ايضا حالا فكان الظاهر ان يقال وقذفوا بالغيب الا انه جيء بلفظ
المضارع على حكاية الحال الماضية بان قدر ان ذكر الفعل الماضي واقع في حال التكلم فكانك تحضر للمخاطب بتعجبه منه

وانى لهم التناول الايمان في الاخرة
وقد كفروا به في الدنيا ... بمكان بعيد ... قريبا في الدنيا
... وقد كان ... امامه
ويهوا الايمان ... وقبله
فضعفوا ... قال
... قال ابن
... لهم ...
مكان بعيد ان من الاخرة الى الدنيا
ابن عج

نصب على الظرف اي تمنى مدة مديدة
لان النئيش التأخير سعدي

نعم لو انه صاحبه تمنى اخر الامور
بعد انه يكونه اطاع عنى فيما نصحته
ثم قتل واطال انه قد حدثت امور
بعد امور دالة على رشادي
مصدق رأيي صدق منه

الجاموش اسم رجل ناش اي
طالبه والنئوش فعول بمعنى
المفعول اي المطلوب حاشية

قوله او على قالوا لكانه قيل ولو ترى اذ قالوا امنا به ويقذفون بالغيب اى بما غاب وفات عنهم وهو الايمان في الدنيا
ومعنى قذفهم اياه طلب تحصيله والاتصاف به بعد فوات وقته وعبر عنه برمي المطلب الغائب من مكان بعيد تشبيها له
به في كون المطلب مستبعد الحصول لا يطمع حصوله قوله موقع في الريبة او ذي ريبة فالمريب على الاول اسم فاعل من اراب
المتعدي وعلى الثاني من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ووقع فيه وعلى التقديرين اسناد الارابة الى الشك مجاز لانه
فعل صاحب التشكيك الى الشك على الاول وفعل صاحب الشك الى نفس الشك على الثاني حيث جعل الشك ذا شك كما جعل
الشعر شاعرا فان المريب بالمعنى الاول هو المشكك وبالمعنى الثاني هو الشاك اطلق كل واحد منهما على نفس الشك للمبالغة

سورة الملائكة مكية

تم سورة سبا والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله وصحبه

بسم الله الرحمن الرحيم قوله مبدعهما اى موجدهما على غير مثال سبق والاضافة تكون محضة ان جعلته بمعنى
اذا لم يكن المضاف صفة مضافة الى معمولها اما بان لا يكون صفة نحو غلام زيد او يكون صفة ولكن لا يكون مضافة
الى معمولها كفاطر السموات فان اسم الفاعل ههنا بمعنى الماضي فلا يعمل فاذا لم يكن له معمول فكيف يضاف الى معموله فيكون
اضافة معنوية تكتسب التعريف مما اضيف اليه فيصح كونه نعتا لله تعالى وقد فسر الفطر بالابداع وهو ايجاد الشيء لا على مثال
سبق والفطر بهذا المعنى غير شائع الاستعمال بل المشهور ان الفطر بمعنى الشق ومنه فطر ناب البعير اى طلع وفطر
العجين اى اختبزه قبل وقته واختماره ولما كان هذان المعنيان غير مناسبين بالمقام فسر الفطر بالايجاد
الابداعي وجعله ماخوذا من الفطر بمعنى الشق لوجود معنى الشق فيه وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي وجاعل
يجوز ان يكون بمعنى مصير وبمعنى خالق فعلى الثاني يكون رسلا حالا مقدرة مثل فادخلوها خالدين وعلى الاول لا يخ
اما ان يكون بمعنى الماضي او بمعنى الحال والاستقبال فعلى الاول يكون اضافته محضة ويكون انتصاب رسلا بفعل مقدر
اى وجعلهم رسلا لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان بمعنى الماضي وعلى الثاني يكون اضافته لفظية مفيدة للتخفيف بحذف
التنوين ويكون رسلا مفعولا ثانيا لجاعل بمعنى مصير واذا لم يتعرف بالاضافة لم يصلح صفة لله فيكون بدلا منه و
كون اللفظ المشتق بدلا جائز على قلة وهو تعالى يرسل الملائكة الى الانبياء والى ما شاء من الامور قوله تعالى اولي اجنحة
رسلا ومثنى وثلث صفة لاجنحة وتعليق الحكم بالعدد وتجرده لا يدل على حكم الزائد والناقص لا نفيا ولا اثباتا الا
اذا علق الحكم على عدد وهو علة لذلك الحكم كقوله عليه الصلوة والسلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحتمل خبثا فانه يدل على
ثبوت ذلك في الزائد على ذلك العدد ولا في الناقص عنه فتخصيص الاجنحة بما ذكر من الاعداد لا ينفي كون اجنحة بعض الملائكة
زائدة عليها قوله بالخواص والفصول لف ونشر مرتب اى اختلاف الاصناف بالخواص واختلاف الانواع بالفصول لما
امتنع ان يكون لذواتهم المشتركة تعين ان يكون بمقتضى المشيئة الالهية قوله والاية متناولة اى ليس المعنى انه تعالى
يزيد في خلق الاجنحة فقط ما يشاء ان يكون الاصل المزيد عليه الجناحين او الاعداد المذكورة في الاية بل المعنى انه تعالى
يزيد على اصل الخلقة ما يشاء من الاعضاء والجوارح الظاهرة ومن المعاني والفضائل النفسية وحصافة العقل
بالحاء المهملة متانة العقل وقوته والحصيف الرجل المحكم العقل واحصاف الامر احكامه وقد حصف بالضم حصافة

قوله تعالى

قوله تعالى ما يشاء هو المفعول الثاني للزيادة ولم يذكر الاول استغناء عنه بدلالة قوله في الخلق عليه قوله تجوز بالسبب
للمسبب لما كان الفتح والارسال من عوارض الباب جعل الفتح مجازا عن الاطلاق والارسال على طريق اطلاق اسم
السبب وارادة المسبب قوله من رحمة تبيين او حال من اسم الشرط ولا يجوز كونه صفة لما لان اسم الشرط لا يوصف
وما بعدها بمثله مجزوم ايضا لها
فان ما شرطية منصوبة المحل بيفتح ويفتح مجزوم بها فلذلك قرئ ما يفتح الله بكسر الحاء لالتقاء الساكنين ولو كانت
موصولة لقرئ بضم الحاء وسماها المص موصولة حيث قال لان الموصول الاول مفسر بالرحمة باعتبار ان الثانية موصولة
بالاولى بحرف العطف فيكون الاولى موصولة بالثانية ايضا لان الوصلة تكون من الجانبين قوله واختلاف الضميرين
اى ضمير لها وله بالتذكير والتانيث مع كونهما راجعين الى ما باعتبار الجانب المعنى اولا حيث فسر الاول بالرحمة ولما
اطلق الثاني اعتبر فيه اصل التذكير فذكر ما يرجع اليه قوله وفي ذلك اشعار بان تفسير المرسل بالرحمة واطلاق الممسك المؤذن
التانيث الضمير في قوله فلا ممسك لها وتذكيره في قوله فلا مرسل له ووجه الاشعار ان تانيث الضمير الاول تصريح بان
المفتوح ابواب الرحمة وانها واصلة الى من رحمه الله تعالى وان اطلاق الثاني وتذكير الضمير ليس فيه تصريح بانه تعالى له
ان يمسك رحمة فلا مرسل لها حيث عبر عما يمسكه بلفظ يتناول الرحمة والغضب فاحتمل ان يكون المراد وما يمسك من
غضبه فلا مرسل له من حيث كون كل واحد من الاطلاق والتذكير مساعدا لهذا المعنى قوله من بعد امساكه يعني ان ضمير
بعده راجع الى الله تعالى بتقدير المضاف وحذفه لدلالة يمسك عليه اذ لا وجه لرجوعه الى ما ولا الى الجلالة بدون المضاف
قوله لما بين انه الموجد للملك والملكوت بين الاول بقوله فاطر السموات والارض والثاني بقوله جاعل الملائكة رسلا و
بين انه المتصرف فيهما بقوله ما يفتح الله للناس من رحمة الاية والشكر عبارة عن معرفة حق النعمة بالقلب والاعتراف
بها باللسان وطاعة من انعم بها بالجوارح كما اشار اليه المص قوله احفظوها بالشكر وانما عبر عن الشكر بالحفظ لان
الشكر يربط العتيد ويجلب المزيد قوله ثم انكر اشارة الى ان هل استفهامية قصد بها الانكار كانه قيل لا خالق غير الله
يرزقكم من السماء المطر ومن الارض النبات فكيف تشركون المنحوت بمن له الملك والملكوت والافك بفتح الهمزة
مصدر قولك افكه يافكه افكا اى قلبه وصرفه عن الشيء قال تعالى اجئتنا لتافكنا عما وجدنا عليه اباءنا وقرئ غير الله
بالحركات الثلث قرأ حمزة والكسائي بالجر على انه صفة لخالق محمول على لفظه ولكون خالق مخصصا بالصفة
صح وقوعه مبتدأ وهو نكرة ومن زائدة لكون الاستفهام بمعنى النفي فانها لا تزاد في الاثبات عند غير الاخفش
ولكونه بمعنى النفي صح جعل غير بدلا من خالق لانه على تقدير جعله بدلا منه لا يكون خالق موصوفا فلا يصح ان يقع مبتدأ
لان المبتدأ يجب ان يكون معرفة او مخصصا بوجه ما فلما كان الاستفهام بمعنى النفي تخصصت النكرة بالعموم
كما في قولك ما احد خير منك فقوله فان الاستفهام بمعنى النفي تعليل لكون خالق مرفوع المحل بالابتداء لكون خالق
مرفوع المحل بالابتداء على زيادة من لصحة ابدال غير من النكرة الواقعة مبتدأ من غير تخصيصها بالصفة وباقي القراء
السبعة قرؤا مرفوعا حملا على محل من خالق على الوصفية او البدلية فانه مبتدأ مرفوع المحل وخبره محذوف
تقديره هل خالق غير الله لكم او لما ذكر من النعم او في الوجود او فاعل يرزقكم المقدر ويرزقكم المذكور مفسر له غير ناسخ

لما قبله في اعرابه لان المفسر لا محل له من الاعراب والمراد بقوله او استئناف مفسر لما انه غير تابع لما قبله في اعرابه كما انه تابع له
اذا كان صفة تابعة للفظه او محله ويحتمل ان يكون ارتفاعه بناء على انه فاعل خالق لان اسم الفاعل يعمل عند اعتماده
على اداة الاستفهام وقد اعتمد هنا قوله وقد نصب على الاستثناء كما قيل هل من خالق الا الله وقد تقرر انه يجوز النصب ويختار
البدل فيما بعد الا في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور وهذه القراءة شاذة وقوله يرزقكم على جميع التقادير لا يخلو اما ان يكون
صفة لخالق في محل الجر او الرفع حملا على لفظ موصوفه او على محله او يكون غير تابع لما قبله بان يكون مفسر الفعل المقدر الرافع
محلا لقوله من خالق او بان يكون كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله جيء به تعليلا على انتفاء خالق سوى الله تعالى موجودا
فلما قيل ذلك اتجه ان يقال لم لم يكن غيره تعالى خالقا فقيل لانه الذي يرزقكم من السماء والارض وذلك يستلزم انتفاء خالق
سواه لان الخالق ينبغي ان يكون رازقا لان الخالقية لا تتم الا بالرازقية قوله وعلى الاخير وهو ان يكون يرزقكم كلاما
مبتدأ يكون اطلاق هل من خالق وعدم تقييده بكونه رازقا من السماء والارض مانعا من اطلاق لفظ الخالق على غير
الله تعالى لانه تم الكلام حتى على قوله ليس خالق سوى الله موجودا فلا يصح اطلاقه على غيره بخلاف ما اذا جعل قوله يرزقكم
صفة لخالق او مفسر الرافع فان الخالق على التقديرين يكون مقيدا بكونه رازقا من السماء والارض ويكون المعنى ليس
في الوجود خالق سوى الله صفته ان يكون رازقا من السماء والارض وانتفاء المقيد لا يستلزم انتفاء المطلق فيجوز
ان يكون هناك خالق سوى الله تعالى ليس برازق ثم انه تعالى عزى رسوله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه اياه فقال وان
تكذبوك الآية قوله فتاسى بهم اي اقتد بهم في الصبر من الاسوة وهي بالضم القدوة وكسر بها لغة يتسلى به الحزين ويتسلى
عما به من الحزن يقال اتسى به اي اقتدى به ولا تأسى بمن ليس لك باسوة اي لا تقتد بمن ليس لك بقدوة وفي تأسي
اي تسلى بسببه من الهم والمقصود ان قوله تعالى فقد كذبت رسل من قبلك لا يصلح جزاء لقوله وان تكذبوك لان المعلق
بالشرط حقه ان يكون بعده في الوقوع وتكذيب الرسل واقع قبل تكذيب قريش نبينا صلى الله عليه وسلم الا انه اقيم
مقام الجزاء لكونه سببا لما هو الجزاء حقيقة فان التأسي والتسلي متفرع على الاخبار بما وقع قبل الشرط وهو سبب له
فاقيم مقام المسبب كما اذا قلت ان اكرمتني الآن فقد اكرمتك امس فان الاخبار بما وقع قبل منه علما هو الجزاء حقيقة
وهو الاعتداد به فاقيم مقام الاعتداد به فكانه قيل ان تعتبر ما وقع منك الآن فاعتبر ما وقع مني قبل ذلك ثم انه تعالى حمله
على الصبر على اذاهم بتين على الاجمال ثواب الصابرين ووعيد المكذبين بقوله والى الله ترجع الامور فيجعل العاقبة
المحمودة للانبياء عليهم الصلوة والسلام والمؤمنين والعاقبة المذمومة للمكذبين فهو وعد ووعيد وقرئ ترجع
بالضم التاء وفتحها افتتح السورة الكريمة ببيان الاصل الاول وهو التوحيد ثم ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله
وان يكذبوك الخ ثم ذكر الاصل الثالث بقوله يا ايها الناس ان وعد الله حق والمذكور بعده وان كان نهيا للحيوة
الدنيا وللشيطان بحسب الظاهر الا ان المقصود نهي الناس عن الاغترار بالتلذذ بمنافع الدنيا عن العمل للآخرة
وعن الاغترار بحلم الله تعالى في تاخير العذاب وسعة فضله ورحمته بتسويل الشيطان وقراءة العامة الغرور بفتح الغين
وهو صيغة مبالغة كالصبور والشكور سمي غرورا لكون شانه وعادته ان يغر وقرئ بضم الغين وهو اما جمع غار

كتاعد

ان قلت ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له قلت معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي كشاف

كتاعد وقعود واما مصدر كالجلوس ووجه كون الغرور بمعنى المصدر غارا ان النفس الغرور وان لم يكن غارا داعيا
الى الغرور الا ان الاغترار بالغرور وفرط الاغترار مطلقا قد يكون سببا داعيا الى الاغترار بامر مخصوص كالاعتداد
بالتكذيب يكون سببا لتكذيب التصديق ويجوز ان يجعل الكلام على تقدير المضاف اي اهل الغرور او ذو الغرور ثم انه
تعالى لما نهى عن الاغترار بتسويل الشيطان الاصرار على المعاصي اعتمادا على عفو الله تعالى وسعة رحمته بين وجه النهي
بقوله ان الشيطان لكم عدو حيث عادى اباكم وامكم وتسبب بسبب وسوسته بخروجهما من الجنة وقال لاحتنكن ذريته
الا قليلا ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قوله عداوة قديمة اشارة الى ان تنكير عدو للتعظيم تنكيره
ويحتمل انه حمله على النوعية كما في قوله تعالى على ابصارهم غشاوة قوله بحذف الخبر وفي بعض النسخ بحذف
الجواب وكلاهما صحيح فان من في قوله تعالى افمن زين له سوء عمله يجوز ان يكون موصولة وزين صلتها وقوله فرآه عطفا
عليه بفاء التعقيب وان يكون شرطية ومحلها على كلا التقديرين الرفع على الابتداء وخبره محذوف وذكر الخبر على الثاني
جواب الشرط وهو كمن لم يزين له وهذا المحذوف دل عليه قوله تعالى فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فانه لا
يصح كونه خبرا لما قبله فلا بد ان يكون قائما مقام الخبر دليلا عليه ووجه دلالته عليه انه يقتضي ان يكون الكلام السابق
مشتملا على ذكر الفريقين المتقابلين وانهما ليسا بمتساويين من حيث المجازاة وجعل الزجاج تقدير الآية افمن
زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء وقال حذف الخبر لدلالة قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فانه يقتضي سبق معنى ان نفسه تذهب عليهم حسرة
والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر قوله ومعناه ولا تهلك نفسك عليهم اشارة الى ان قوله فلا تذهب نفسك بفتح
التاء والهاء ورفع نفسك كما هو قراءة العامة من باب لا ارينك ههنا من حيث ان النهي في الظاهر متعلق بنفسه عليه
الصلوة والسلام نهاها عن ان تهلك عليهم حسرة واغتماما على غيهم واصرارهم على التكذيب والمراد نهي المخاطب عن
اهلاك نفسه كما ان قولك لا ارينك ههنا في الظاهر نهي المتكلم نفسه عن رؤية المخاطب هناك والمراد نهي المخاطب
عن ان يحضر هناك والذهاب عبارة عن الهلاك يقال ذهب فلان اذا هلك وفي قوله حسرات اشارة الى ان انتصاب حسرات
على انه مفعول له وجوز صاحب الكواشي انتصابها على الحالية على معنى لا تهلك نفسك حال الضرورة كلها حسرات لفرط التحسر او على
معنى متحسرات كانه قيل متحسرة الا انها جمعت للدلالة على تعدد حسراتها وتكررها او للدلالة على كثرة ما يكون سبب التحسر
من احوالهم القبيحة فعلى الاول يكون حسرات حقيقة وعلى الثاني يكون مجازا مرسلا على طريق اطلاق اللازم
وارادة الملزوم وعليهم صلة تذهب باعتبار تضمنه معنى السقوط كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او
هو بيان للمتحسر عليه كقوله لك في هيت لك كانه لما قيل له عم فلا تذهب نفسك قيل على من فقيل عليهم على ان عليهم
متعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته قوله والفاء
آت الثلث الخ وهي التي في قوله افمن زين له سوء عمله وفي قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وفي قوله فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات للسببية فان الفاء التي لغير العطف لا تخلو عن افادة معنى الترتيب وهي تسمى فاء السببية وتخص

[illegible]

باحل وتدخل على ما هو جزاء مع تقدم كلمة الشرط وان لقيته فاكرمه ومن جاءك فاعطه وبدون تقدمها نحو زيد فاضل
فاكرمه وتعرف دخولها على الجزاء بان يصح تقدير اداة الشرط قبل الفاء وجعل مضمون الكلام السابق شرطا لما بعدها
كما في مثالنا هذا فان المعنى فيه ان كان كذا فاكرمه قال الله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في
الاسباب وقال تعالى حكاية عن ابليس انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها اي اذا كان عندك
هذا الكبر فاخرج وقال رب فانظرني اي اذا كنت لعنتني فانظرني وقال فانك من المنظرين اي اذا اخترت الدنيا على الاخرة
فانك من المنظرين والفاء الداخلة على المسبب اكثر من ان تحصى وكثيرا ما تكون الفاء السببية بمعنى اللام السببية وذلك
اذا كان ما بعدها سببا لما قبلها كقوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وتقول اكرم زيدا فانه فاضل وهذه الفاء تدخل على ما
هو شرط في المعنى كما ان الاولى دخلت على ما هو جزاء في المعنى فانك تقول زيد فاضل فاكرمه وتعكس وتقول اكرمه فانه فاضل
والتي في الايتين الاوليين دخلتا على السبب وكانتا بمعنى اللام السببية فكانه تعالى قال بعد ما بين اختلاف جزاء
الفريقين ووعد لاحدهما واوعد الاخر وذلك بسبب ان المسيء ليس كالمحسن في الجزاء وهذه الجملة لما كانت متضمنة
لاختلاف افراد الانسان بكون بعضها مسيئا وبعضها محسنا بين سبب ذلك بقوله فان الله يضل من يشاء فكانه
قيل في ذلك بسبب تعلق ارادة الفاعل المختار به فان من علم منه اختيار الضلال فانه تعالى يضله ومن علم منه اختيار
الهداية يهديه كل ذلك على حسب مشيته وقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات جواب شرط محذوف اي اذا علمت ان
الامر كله بيد الله ومتوقف على ارادته ومشيته فلا تهلك نفسك اغتماما على عدم اهتدائهم بهدايتك والجزاء مسبب
عن الشرط فظهر ان الفاء فيه داخلة على المسبب ثم انه تعالى نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن ان يهلك نفسه عليهم
للحسرات على غيتهم قال ان الله عليم بما يصنعون ثم بين كمال قدرته وكونه فاعلا مختارا بقوله الله الذي ارسل الرياح
فان الهواء تسكن تارة وتتحرك اخرى وعند حركته تتحرك تارة الى اليمين وتارة الى اليسار وفي حركاته المختلفة
قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ وفيه دليل على انه تعالى فاعل مختار وقادر على كل شيء يتصرف في ملكه كيف يشاء
قوله على حكاية الحال بيان لوجه ايراد قوله فتثير بلفظ المضارع على خلاف لفظ ارسل مع كونه معطوفا عليه
ومعنى حكاية الحال الماضية ان يقدر ان ذلك الفعل الماضي واقع في حال التكلم وانما يفعل ذلك في الفعل المشتمل
على نوع غرابة كانك تحضره للمخاطب وتصوره له ليتعجب منه ويفعل هذا ايضا في الفعل المهم للمخاطب فيستحضر ليحصل
له الوثوق بحصوله وكذا يفعل في الفعل السار او المحزن لان بمشاهدة السار او المحزن يقوى السرور او الحزن
كما ان مشاهدة الامر الغريب ادخل في افادة التعجب من سماع خبره قوله اولان المراد بيان احداثها بهذه
الخاصية وجه ثان لاختلاف الفعلين وتقريره انه جيء بفعل اثارة السحاب على لفظ المضارع للدلالة
على ان الرياح في حال احداثها وارسالها تثير السحاب وان اثارتها مقارنة لحال ارسالها وهذا المعنى لا يفهم
من لفظ الماضي فليس معنى تثير انها تثير السحاب حال التكلم كما هو المعنى على كونه لحكاية الحال الماضية بل معناه انها
تثيره حال احداثها بحيث كان الاثارة من لوازم ذاتها وللتنبيه على هذا المعنى اسندت الاثارة الى الرياح
والامر

[illegible]

اشارة الى ان قوله تعالى فلا تذهب نفسك [illegible] عليهم حسرات [illegible] على غيتهم [illegible]

والامر في الحقيقة مسندة الى الفاعل المختار كسوق السحاب الى البلد الميت ثم ذكر وجها ثالثا لاختلاف الفعلين
وهو ان الامر لما كان مستمرا في جميع الازمنة كان كل واحد من التعبيرين مطابقا للواقع وعبر عنه بالماضي والحال بالا
حوال تغليبا والمراد بلفظ الجمع في قوله اختلاف الافعال ما فوق الواحد قوله وذكر السحاب كذكره جواب عما يقال كيف
صح رجوع ضميره الى المطر وهو غير مذكور وانما المذكور هو السحاب وتقرير الجواب ان المطر وان لم يذكر صريحا فانه مذكور
دلالة بذكر سببه المادي كانه كان من معاني لفظ السحاب من حيث انه يصح اطلاق السحاب عليه مجازا بطريق اطلاق
اسم المادي على المسبب فيكون ارجاع ضميره الى المطر المدلول عليه بلفظ السحاب من قبيل الاستخدام بهذا الوجه وهو
ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بالضمير العائد الى ذلك اللفظ معناه الاخر ثم قال ويجوز ان يرجع الضمير الى
السحاب المذكور صريحا وجعله سببا لاحياء الارض مبني على كونه سبب السبب فيكون سببا له وان كان سببيته
بالواسطة او هو سبب له باعتبار تحوله الى المطرية فانه باعتبار تخلخله وانتشاره يسمى سحابا وباعتبار تكاثفه
وتقاطره يسمى مطرا فقوله او الصائر مطرا عطف على قوله سبب السبب قوله بعد يبسها لما كانت رطوبة الارض
مبدءا للاثار المترتبة عليها من الانبات والتربية صارت شبيهة للحيوة التي هي مبدأ الحس والحركة الا
رادية وكان زوال تلك الرطوبة عن الارض شبيها بزوال الحيوة عن الحيوان استعير حيوة الارض لرطوبتها
وموت الارض ليبسها استعارة تصريحية قوله والعدول فيهما اي في قوله فسقناه وفاحييناه فانهما التفاتا
الى ضمير المتكلم بعد اسناد قوله ارسل الرياح الى ضمير الغيبة والافعال المختصة بفاعل واحد اذا اسند بعضها
اليه مذكورا بطريق الغيبة وان فهم منه اختصاصه به الا ان اسناد البعض الاخر اليه حال كونه مذكورا
بطريق التكلم يكون ادل على الاختصاص من حيث ان ضمير المتكلم اعرف المعارف والمسند اليه كلما كان
اعرف واوضح كان الكشف والبيان ادخل في افادة اختصاص المسند اليه به ولما كان سوق السحاب الى البلد
الميت واحياء الارض بعد يبسها مشتملان على مزيد الصنع بالنسبة الى ارسال الرياح من حيث
انهما يتوقفان على ارسالها ويترتب عليها مصالح شتى وان ارسالها وسيلة مختصة اليهما والى ما يتفرع
عليهما كانا ادل على كمال القدرة بالنسبة الى ارسالها فكانا احق بان يسند اليه تعالى بطريق يكون ادخل
في افادة الاختصاص به تعالى فلذلك عدل عن الغيبة الى التكلم في اسنادهما اليه تعالى ثم انه تعالى لما بين ان
الارض الميتة تقبل الحيوة اللائقة بها قاس عليها قبول الاجساد الميتة للعود الى حالتها الاولى فقال كذلك
النشور والنشور مبتدأ والكاف في محل الرفع على انه خبر له واشار اليه المص بقوله مثل احياء الموات
نشور الاموات وقوله في صحة المقدورية بيان لوجه الشبه فان من قدر على جمع القطع السحابية يقدر على جمع
اجزاء الاعضاء وابعاض الاشياء ومن قدر على سوق السحاب الى البلد الميت يقدر على سوق الروح الى
الجسد ولا فرق بينهما الا باحتمال اختلاف المادة في المقيس عليه ولا احتمال لذلك في المقيس فان النشور
الموعود هو احياء كل واحد من الاموات المخصوصة باعادة الروح الذي فارق منه بعينه بخلاف المقيس عليه

فانه يحتمل ان يكون احياء الارض الميتة بان يساق اليها من الامطار والرطوبات غير الذي فارق منها والماورد ات
يقال بنا على هذا الفرق القياس المذكور لا يثبت صحة مقدورية احياء الاموات لانه قياس مع الفارق فانه لا يلزم
من مقدورية احياء الاموات باطبوة المبداة مقدورية احياء الاموات بجوهرها الاول واشار المصنف الى دفعه بقوله وذلك لا مدخل
فيها وحصوله ان هذا الفرق لا يقدح لصحة القياس لانه لا مدخل لاحتمال اختلاف المادة في صحة مقدورية احياء الاموات
قوله ان فليطلبها من عنده يعني ان قوله بعكس كان يريد شرط جوابه مقدر وقوله فلله العزة جميعا دليل على الجواب
المقدر اقيم مقام المدلول واستغني به عنه وليس جوابا له لوجهين احدهما ان العزة لله تعالى مطلقا وليس بمشروط
بارادة احد اياها وثانيهما انه لا بد في الجواب من ضمير يعود على اسم الشرط اذا كان غير ظرف ولم يوجد ههنا ضمير و
جميعا حال والعامل فيها الاستقرار فمعنى الاية من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله تعالى وهذا دعاء الى طاعة من
له العزة كما يقال من اراد المال فالمال لفلان ان فليطلبه من عنده ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن انس رض
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن اراد عز الدارين فليطع العزيز ثم
بين طريق الاطاعة وطريق طلب العزة عنده فقال اليه يصعد الكلم الطيب والكلم جمع كلمة وذكر صفتها حملا
على اللفظ كما في اعجاز نخل منقعر قوله وصعودهما اليه مجاز لتعذر حمله على الحقيقة من حيث ان انتقال الاعراض عن
موضوعاتها مع بقائها على هوياتها المخصوصة مستحيل لان موضوعاتها من جملة مشخصاتها فاذا تعذرت الحقيقة
تعين المصير الى المجاز وفي قوله وصعودهما اشارة على ان ارتفاع قوله والعمل الصالح بالعطف على الكلم الطيب فيكون
كل واحد من الكلم والعمل صاعدا اليه تعالى بصعود صحيفته اليه تعالى او بكونه مقبولا عنده فيكون قوله يرفعه كلاما مستانفا
لبيان ما يصعد العمل على ان يكون المستكن في يرفعه للكلم والبارز للعمل ويكون المعنى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح
بان يتقبل بسببه لان طاعة الكافر مردودة ويؤيده القراءة بنصب العمل الصالح على الاشتغال او لبيان
ما يصعد الكلم الطيب على ان يكون المستكن في يرفعه للعمل والبارز للكلم ويكون المعنى ان العمل الصالح يرفع
الكلم الطيب ولما كان الكلم الطيب مقبولا عند اهل السنة وان كان صاحبه عاصيا تبين ان المراد بكون العمل رافعا
للكلم الطيب كونه محققا للايمان ومقويا له او لبيان من يصعد العمل وهو الله عز وجل على ان يكون المستكن في يرفعه
لله تعالى والبارز للعمل ويكون المعنى انه تعالى يرفع العمل الصالح ولما كان تخصيص العمل بكونه تعالى يرفعه بعد الحكم بان
كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح يصعد الى الله تعالى تخصيصا له بمزيد الشرف بالنسبة الى الكلم بين انه وجه
ذلك بما فيه من الكلفة وقيل المستتر في يرفعه يرجع الى الله تعالى والبارز الى كل واحد من الكلم الطيب والعمل الصالح
وقيل وحد الضمير المنصوب مع رجوعه الى شيئين ذهابا به مذهب اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك
بعد قوله لا فارض ولا بكر وقيل لاشتراكهما في صفة واحدة وهي الصعود قوله وقرئ اليه يصعد على البنائين
يعني ان العامة على بناء يصعد للفاعل من صعد ثلاثيا ورفع الكلم على الفاعلية وقرئ اليه يصعد بضم الياء
وكسر العين على بناء الفاعل من اصعد ونصب الاسمين بعده على الاول مفعول والثاني نعته وقرئ بضم

وقرئ بضم الياء وفتح العين على بناء المفعول قوله وقيل الكلم الطيب يتناول عطف على قوله وهو التوحيد قوله
تحيا بها وجه الرحمن يقال حياك الله اي ابقاك على انه من الحيوة وقيل هو من استقبال المحيا وهو الوجه وهذا هو الملائم
ههنا فمعنى حيا بها استقبل بها وجه الرحمن على سبيل الاستعارة التمثيلية قوله المكرات السيئات يعني ان يمكرون
فعل لازم لا ينصب المفعول به فلا يقال مكر فلان عملا سيئا فانتصاب السيئات على انه صفة مصدر محذوف او على انه
مفعول به على تضمين يمكرون معنى يكسبون ويعملون لان المكر كسب وعمل ودار الندوة هي التي بناها قصي بمكة كان
اهل مكة يجتمعون فيها للتشاور في مهماتهم فاجتمعوا مرة لان يتفقوا على راي في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمكروا
به كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك والاثبات الحبس وقيل
جرح موهن لا يقدر المجروح معه على الحركة قوله لا يؤبه دونه يقال فلان لا يؤبه به اي لا يبالى به لما بين الله تعالى
ان العزة انما تطلب بالطاعة وهي التوحيد والعمل الصالح بين ان العمل السيء يبدل صاحبه ويؤديه الى عذاب
شديد في الدنيا والآخرة قوله تعالى ومكر اولئك مبتدا وهو مبتدا ثان ويبور خبره والجملة خبر الاول وجوز ابو البقاء
ان يكون هو فصلا بين المبتدا والخبر ورد بان الفصل لا يقع قبل الخبر اذا كان فعلا وان جوزه البعض والبوار
الهلاك في البطلان ولما قدر الله ان ينصر رسوله ويظهر ما جاء به من الهدى ودين الحق على الدين كله وجب
ان يظهر ولا محالة وان يتغير ذلك بمكرهم وان يكون يبور ويبطل قوله كما دل عليه يعني ان المقدرات لا تتغير بمكر
الماكرين فانه تعالى بين اولا كمال قدرته بقوله خلقكم من تراب ثم بين كمال علمه بقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه فان
ما في الارحام قبل ان يكتسي صورة البشر بل بعده ما دام في بطن امه لا يعلم احد حاله كيف واللام الحاملة لا تعلم منه
شيئا فكيف يعلم غيرها هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء ثم بين ان الاشياء كلها مقدرة في كتاب وان العلم فرع عن
كتبة مقاديرها واحوالها وحتى فلا يعتريها التبدل والتغير بمكر الماكرين وحيلهم فدل بذلك على ان الامور كلها بقضاء الله
وقدره خاطب الله تعالى كفار قريش بانه تعالى خلقكم من تراب بواسطة خلق اصلكم منه ثم بين نطفة بحكم انه تعالى خلق
ما تناسل من آدم منها ويمكن ان يكون المعنى ايها المخاطبون انه تعالى خلق كل واحد منكم من تراب صار في اخر اطواره
نطفة لان كل واحد منهم مخلوق من نطفة هي مخلوقة من غذاء والغذاء ينتهي بالآخرة الى الماء والتراب فهو مخلوق
من تراب صار نطفة ومن في قوله من انثى مزيدة وكذا في قوله من معمر الا ان الاولى زائدة في الفاعل والثانية في
المفعول القائم مقام الفاعل والا بعلمه حال اي الا ملتبسة بعلمه اشار اليه المص بقوله الا معلومة له والمراد من معلومية
الانثى معلومية حالها من زمان وضعها وعوارضها وضعفه قوله وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر يعني ان المراد
من المعمر في العمر ومن المعمر من مصيره الى الكبر ويؤول امره اليه اذ لا معنى لتعمير المعمر بمعنى تمدد العمر بالفعل لانه
تحصيل الحاصل ولما كان المعمر بمعنى ما من شانه ان يعمر وانه سمي معمرا باعتبار ما يؤول اليه كان ضمير عمره في قوله
ولا ينقص من عمره راجعا الى المعمر بالمعنى المذكور اذ لو كان المراد بالمعمر من هو طويل العمر حقيقة وكان ضمير عمره
راجعا الى المعمر بهذا المعنى للزم ان يجتمع طول العمر ونقصانه في شخص واحد وهو محال فمعنى الاية ولا ينقص

[illegible] الكلم الطيب [illegible] الاعمال فمن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل صح

[illegible] بعد النطفة [illegible] والعلقة [illegible] الا في كتاب [illegible] صح

من عمر من من شانه ان يعمر بان يعطى له عمرا ناقصا من عمر غيره فعلى نسب الى شخص واحد من شانه ان يعمر الى الكبر ان يكون
عمره والعمر موصوله الى حد الكبر وان يكون منقوص العمر بالنسبة الى غيره اى الى من هو اطول عمرا منه ولا استحالة فيه فقوله
لغيره متعلق بينقص اى لا ينقص نقصا معتبرا بالنسبة الى غيره ممن هو اطول منه عمرا كما ان المد ايضا بالنسبة الى غيره الذى
هو انقص منه عمرا ولما كان المتبادر من قوله ينقص من عمر المعمر لاجل غيره ان عمر الغير يا نقص من عمر المعمر وهو باطل فسره
بقوله بان يعطى له عمرا ناقصا من عمره **قوله** او لا ينقص من عمر المنقوص عمره اه ويحتمل ان لا يرجع ضمير عمره الى المعمر بل
يرجع الى المنقوص عمره المدلول عليه بذكر مقابله ويحتمل ان يرجع الى المعمر لا بمعنى من معمره الى الكبر بل بان يكون كل واحد
من الاسم الظاهر والضمير بمعنى من اعطى له العمر فكانه قيل ما يعمر من احد ولا ينقص من عمره واعيد الضمير الى الاحد تسامحا
اعتمادا الى فهم السامع وامنا من الالتباس اذ لا يذهب الوهم الى كون المراد من الاحد الذى رجع اليه الضمير عين
الاحد الذى نسب اليه طول العمر لاستحالة ان ينقص عمر طويل العمر فيعلم كل احد ان المراد بالمعمر الثانى معمر آخر كما فى المثال
المذكور فان مفهوم المعمر تحته افراد كثيرة والفرق بين الوجه الاول وبين ما ذكره بقوله وقيل الزيادة والنقصان الخ
وبين قوله وقيل المراد مع ان ضمير عمره فى الكل للمعمر المذكور اولا ان الزيادة والنقصان فى الوجه الاول باعتبار النسب
كما مر وفى الوجه الثانى باختلاف الشروط والاسباب والمعمر على الوجه الثالث من قدر له اصل العمر وكتب فى صحيفته
ان عمره كذا او كذا مدة والمراد بما ينقص عمر ما يمر من عمره وينقص شيئا فشيئا **قوله** فانه يكتب اى فان ما يمر من عمره
يكتب فى صحيفة عمره يوما فيوما كما روى عن سعيد بن جبير انه قال يكتب فى الصحيفة عمر فلان كذا وكذا سنة ثم
يكتب فى اسفل ذلك مضى يوم مضى يومان حتى يأتى على اخره **قوله** وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل نقص فعل
يتعدى ولا يتعدى تقول نقصت الشئ نقصا ونقص الشئ نقصانا فهو على قراءة البناء للمفعول متعد ليس الا واما اذا قرئ
على بناء الفاعل فيجوز ان يكون لازما على معنى ولا ينقص شئ من عمره وان يكون متعديا على معنى لا ينقص الله شيئا من عمره كما
فى قراءة البناء للمفعول **قوله** او الصحيفة اى صحيفة الانسان **قوله** ضرب مثل للمؤمن والكافر اى بيان مماثلة
لهما بالبحر العذب والملح من حيث ان المؤمن باق على الفطرة الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الانسان
كما ان البحر العذب باق على حالته الاصلية والوصف المقصود من حقيقة الماء وان الكافر متغير عن الفطرة
الاصلية والكمال المطلوب منه كما ان البحر الملح كذلك فذكر البحران واريد المؤمن والكافر ونفى الاستواء بينهما لتفاوت
ما فيهما من الوصفين كتفاوت ما بين البحرين واذا لم يستو المصدق والمكذب فى الثبات على اصل الفطرة
فلا بد ان يتفرقا فى المجازاة واذا لم يقع بينهما التفرقة فى الدنيا ثبت ضرورة البعث والقيامة ولما كان لفظ البحرين
مستعارا للمؤمن والكافر وكان قوله تعالى هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مستعارا للبقاء على الحالة الاصلية
والتغير عنها اورد تعليلا لانتفاء استواء البحرين وقوله شرابه يجوز ان يكون مبتدأ وسائغ خبره والجملة
خبر ثانيا لهذا وان يكون سائغ خبرا وشرابه فاعلا له لاعتماده على المبتدأ فيقال ساغ الشراب يسوغ سوغا
اذا سهل دخوله فى الحلق لعذوبته وعدم تنفر طبع الشارب عنه لملايمته له وسغته انا يتعدى ولا يتعدى والفرات

والفرات المتناهى فى العذوبة والملح الماء الذى فيه ملوحة فى اصل خلقته والمالح هو الماء العذب ذاتا التى فيه ملح فيحصل ملحه والاجاج
جاج اشد المياه ملوحة وهو الذى شدة ملوحته يحرق من احس الغار اى لهبتها فلا يقال لماء البحر اذا كان فيه ملوحة مالح
لانه ليس ما جاوره ملح بل هو فى اصل خلقته كذلك فقول من قال ان ملح على فعل فى قراءة من قرأ به مقصور من مالح ضعيف
لان اطلاق المالح على ماء البحر لغة شاذة والاقرب ان يقال ان ملحا بالفتح والكسر لغة فى ملح بالكسر والسكون **قوله**
استطراد فى صفة البحرين لانه لا يدخل له فى التمثيل ولا فى بيان عدم التسوية لتكون من تتمته قوله هذا عذب فرات وهذا
ملح اجاج اذ ظاهره افادة التسوية بينهما واذا لم يكن له مدخل فيما سيق له الاية تعين كونه استطرادا **قوله** او تمام التمثيل
عطف على قوله استطراد وبيّن المعنى على كونه من تمام التمثيل بقوله كما انهما لا يتساويان وهو متعلق بقوله لا يتساوى المؤمن
والكافر شبه عدم تساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما فى بعض الصفات بعدم تساوى البحرين مع اشتراكهما
فى بعض الفوائد **قوله** او تفضيل للاجاج على الكافر من حيث ان الاجاج يشارك العذاب فى منافع كثيرة فان اللحم الطرى
يوجد فيهما والحلية تؤخذ منهما والفلك تجرى فيهما ولا منفعة للكافر فالاية على هذا التوجيه نظير قوله تعالى اولئك كالانعام بل
هم اضل وقوله تعالى ثم قست قلوبهم فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار **قوله** والمراد بالحلية اللآلى
واليواقيت قيل هذه الاية وقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يدل على ان الحلية كما تخرج من البحر الملح تخرج من
العذب ايضا مع انها تخرج من الملح دون العذب وذكر فى توجيه الاية انه قد يكون فى البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح و
تغلب عليه فى بعض المواضع فيتفق ان الحلية تخرج من ذلك الموضع الذى عذب ماؤه وهو من مواضع الاجاج حقيقة **قوله**
وترى بحرية يتعدى الى مفعول واحد وهو الفلك ومواخر حال من الفلك وهو جمع ماخرة يقال مخرت السفينة الماء اى شقته اى
ترى الفلك فى كل واحد من البحرين تشق الماء بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة **قوله** ويجوز ان يتعلق بما دل عليه الافعال
وهى ما تكون تستخرجون وترى الفلك ومدلولها قولنا فعلنا ذلك وسخرنا لتبتغوا ولا يجوز ان يتعلق بنفس تلك الافعال لان
تعلقها بها يستلزم حذف اللام من المفعول له لاتحاد فاعل الابتغاء مع فاعل الافعال **قوله** وحرف الترجى باعتبار
ما يقتضيه ظاهر الحال اى ظاهر حال من انعم بهذه النعم على المخاطبين فانه يدل على انه تعالى انعم عليهم البحرين وما
فيهما من جلائل النعم ليستدلوا بها على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال قدرته ولا استقامة لحرف الترجى نظرا الى حقيقة الحال
لان الله تعالى محيط بانفس الامور وعواقبها فيستحيل عليه الترجى لانه انما يتأتى ممن لا يعلم عاقبة الامر وتحقيق الكلام ان الاية
الكريمة من قبيل الاستعارة التمثيلية شبه معاملته تعالى مع المكلفين فى انعامه عليهم جلائل النعم بان منحهم عظائم
احسانه واظهر لهم دلائل قدرته واراد منهم ان يعرفوا مواقع احسانه ويشكروه بصورة معاملة من يرجوه ويتأمل فعبر
عن معاملته تعالى معهم معاملة اهل الرجاء ولما ضرب الله تعالى مثلا للمؤمن والكافر ثم ذكر على سبيل الاستطراد صفات البحرين
وما فيهما من النعم ليستدل به على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال قدرته كما اشار اليه بقوله لعلكم تشكرون اشار الى
الاستدلال عليه بوجه اخر باختلاف الازمنة وما يؤدى اليه من تسخير الشمس والقمر فقال يولج الليل فى النهار لمن يدخل
فيه فيأخذ من هذا ويزيد فى الاخر ويولج النهار فى الليل كذلك وسخر الشمس والقمر اى ذللهما فى المسير بالطلوع والغروب

لا يتشعان عما سخرهما له ويعلق بهما معايش العباد ومصالحهم كما يعلق ذلك بتفاوت الليل والنهار في الفصول **قوله** هي مدة
دوره يبني ان اجل الشيء مدته فقد يطلق على جميع المدة وعلى آخرها وآخر مدة الشمس والقمر آخر مدة دورهما ببلوغهما الى منتهى
منازلهما في دورهما او آخر مدة جريهما مطلقا بالطلوع والغروب على العادة المعروفة بقيام الساعة وانشقاق السماء
وانتثار الكواكب والمعنى على الاول لكل واحد من الشمس والقمر يجري في المدة التي جعلها الله تعالى فالقمر تنقطع منازله في كل شهر مرة و
الشمس في كل سنة مرة فعلى هذا تكون اللام في قوله تعالى لاجل لام التاريخ وعلى الثاني كل منهما يجري لان يبلغ منتهى منازله في
دوره وعلى الثالث كل منهما يجري في الدنيا على العادة المعروفة لان يبلغ المدة التي سماها الله تعالى لتنقض هذه العادة
بقيام الساعة **قوله** وفيها اي في الاشارة ثم اشعار بان فاعلية تعالى لهذه الاشياء وهي فطر السموات والارض وجعل الملائكة
رسلا وارسال الرياح واحياء الموات ونشر الاموات وخلق الانسان من التراب واحاطة علمه بجميع المعلومات وغير ذلك
موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ووجه الاشعار ان تعليق الحكم بما هو متميز باوصاف متعددة مفيد علية تلك الاوصاف
لذلك الحكم اي ذلك الذي فعل هذه الاشياء هو المتصف بالالوهية وبانه مالككم ومربيكم بما يصلحكم وله الملك كله فله
العبادة كلها وما تدعونه لا يفعل شيئا من ذلك فلا يثبت له شيء من هذه الاخبار المترادفة قال صاحب التلخيص تعريف
المسند اليه باسم الاشارة قد يكون للتنبيه على ان المشار اليه جدير بما يرد بعد اسم الاشارة من اجل اتصافه بالاوصاف
التي ذكرت بعد المشار اليه وهذا انما يكون عند ايراد الاوصاف على عقب ذكر المشار اليه كما في قوله تعالى الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة الى قوله اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون فان قوله اولئك يشعر بان كونهم على الهدى
في العاجل والفلاح في الآجل انما هو لاتصافهم بما ذكر من الاوصاف ويحتمل ان لا يكون قوله تعالى له الملك خبرا فالتابل
يكون كلاما مبتدأ عطف عليه ما يقابله وهو قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون قطمير وعلى الاحتمال الاول يكون
هو معطوفا على مجموع قوله ذلكم الله ربكم له الملك قرأ الجمهور تدعون بتاء الخطاب لقوله ربكم وقرئ بياء الغيبة
اما على الالتفات واما على الانتقال الى الاخبار عن حال طائفة اخرى والفرق بينهما انه يكون المراد بالضمير واحدا
على الالتفات بخلاف الثاني **قوله** لعدم قدرتهم على الانتفاع اشارة الى ان معنى الاية وان تدعوهم لا ينفعوكم
ولو سمعوا على سبيل الفرض ما اجابوا لكم فيما تطلبونه منهم اما لعجزهم عن ذلك واما لتبريهم منكم واولى [illegible]
والفرق بين الدليلين ان الاول لا ينافي اصل الاجابة وانما ينافي ما يترتب عليها بخلاف الثاني فانه ينافيهما
ولما بين الله عدم نفعهم في الدنيا بين عدم نفعهم في الآخرة وان من يدعونهم في الدنيا يتبرؤون منهم فيها بقوله و
يوم القيمة يكفرون بشرككم اي باشراككم بالله غيره على ان الشرك مصدر مضاف الى الفاعل ويكفر اشراككم اياهم مع الله
معناه اما تبرؤهم والشهادة على بطلانه او انكاران يكون ثم اشركوه بالله تعالى هو انفسهم بان يقولوا ما كنتم
ايانا تعبدون بل كنتم تعبدون من سول لكم ذلك من الشياطين **قوله** والمراد اي المراد من حصر من يخبر بالامر
على حقيقته في الله تعالى تحقيق ما اخبر به لانه اذا لم يكن اخبار احد من المخبرين مثل اخبار من احاط علمه بجميع المعلومات
وعلم ما كان وما يكون قبل ان يكون وهو الله تعالى لزم ان يكون ما اخبر به حقا واقعا ولما كثر الدعاء من النبي

القران ما يقرن به شيئان معه

من النبي صلى الله عليه وسلم واصر الكفار على ما هم عليه قالوا ان الله عز وجل لعله محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا
بالغا ويهددنا على تركها مبالغا فنزل قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فلا يأمركم بالعبادة
لاحتياجه اليكم وانما هو لاشفاقه عليكم **قوله** وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم جواب عما يقال ان حق الخبر ان يكون
نكرة وانما يعرف اذا قصد بيان كونه مقصورا على المبتدأ مختصا به وههنا ليس الفقر مقصورا على المخاطبين
لان الممكنات باسرها مفتقرة اليه تعالى في انفسها وما يتفرع لها من العوارض في كل نفس وخطرة ولحظة وكيف لا ووجود
ذاتها وبقاؤها ليس الا به تعالى وتقرير الجواب نعم ان تعريف الخبر يفيد الحصر الا ان المقصود ليس حصر اصل الافتقار بل المقصود
حصر الكمال كما في مثل قوله تعالى ذلك الكتاب فان افتقار الانسان اشد واكمل من افتقار سائر الممكنات مع اشتراك
الجميع في الامكان الذي هو مناط الافتقار وذلك لان الانسان هو المكلف بالاستكمال بحسب قوتيه النظرية
والعملية والاجتناب عن مطاوعة النفس الامارة بالسوء واتباع قوتيه الشهوية والغضبية وسائر ما هو ممنوع
به من الشواغل الانفسية والآفاقية فلا جرم احتاج في صلاح احواله ورعاية ما كلف به الى امور كثيرة لا يحتاج
الى شيء منها سائر الممكنات **قوله** المنعم على سائر الموجودات يعني ان قوله تعالى الحميد من باب التكميل بعد ما ذكر كونه تعالى
مستغنيا على الاطلاق في مقابلة كون الناس فقراء وذلك لانه تعالى لما حكم بانه الغني على الاطلاق وليس كل غني نافعا
بغناه الا اذا كان منعما على المحتاجين مستحقا للحمد بانعامه عليهم قرن به ذكر الحميد اي المحمود على السنة عبيده
المنعم عليهم ليدل على انه مع كونه غنيا على الاطلاق نافع بغناه خلقه مستحق حمدهم اياه بانعامه عليهم فان الحمد
كناية عن الملزوم وهو كونه منعما على سائر الموجودات ومثله في كونه من قبيل التكميل قول حليم اذا ما الحلم زين اهله
مع الحلم في عين العدو مهيب ثم انه تعالى بين كونه غنيا على الاطلاق على وجه يتضمن الغضب والتهديد على من قال لعله
محتاج الى عبادتنا حتى يأمرنا بها امرا وكيدا فقال ان يشأ يذهبكم اي يعني انه استحققتم الهلاك فقد تحقق وانما توقف
الاهلاك الا على مشيئته فان يشأ يذهبكم ويأت بقوم اطوع منكم يطيعونه فيما امرهم به وينهاهم عنه ويتحرون بذلك فضله
لا لحاجة له الى احتياجه اليهم بل ليظهر جوده واحسانه وملكه وسلطانه وما ذلك الاذهاب والاتيان بعزيز يغلب عليه
تعالى بان يكون متعذرا عليه او متعسرا فان العزيز قد يطلق على الغالب بنفسه فيقال الله قوي عزيز وقد يطلق على الغالب
فيقال الفعل الفلاني عزيز اي غالب على فلان اذا كان لا يطيق على ذلك الفعل ومنه قوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك
الفعل لا يغلبه بل هو هين عليه وحاصل الآية بيان بليغ للاستغناء لان الاهلاك انما يتوقف على مجرد المشيئة اذا لم يكن
للمالك حاجة الى الملك بوجه ما واما اذا كان له نوع حاجة اليه فلا يقال في حقه انه ان شاء اهلك ملكه وانما يقال
لو انتفى احتياجه بالكلية وشاء اهلاكه لاهلكه وهو تعالى لما علق اذهابهم على مجرد مشيته ذلك ظهر استغناؤه عنهم
بالكلية ثم انه تعالى لما اجاب الكفرة بقوله يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله هددهم بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
فكأنه قيل اعلموا انكم ان ضللتم بالاصرار على التكذيب والعناد فلا يحمل عنكم احد وزركم وليس الامر كما يقول الاكابر كم
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم فتفكروا ذا امركم **قوله** ولا تحمل نفس آثمة اشارة الى ان وزرت الشيء فهي وازرة

[illegible]

اي انتم الكاملون في الفقر الى الله تعالى منه

صفة محذوف حذف للعلم به وان الوزر بمعنى الحمل مستعار للاثم تشبيها له بالحمل في كونه موذيا لصاحبه فلما دلت الآية الكريمة
على ان النفس الوازرة لا تحمل الا وزرها لا وزر غيرها احتيج الى التوفيق بينها وبين قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
ووجه التوفيق ظاهر من تقرير المص وكل واحد من الاثقالين وان كان اوزارهم ليس منها شيء من اوزار غيرهم الا
انه اضاف اثقال ضلالهم الى انفسهم حيث قال وليحملن اثقالهم ولم يضف اثقال الاضلال اليهم حيث قال واثقالا لكون
اثقال ضلالهم اشد اختصاصا بهم بالنسبة الى اثقال الاضلال لان ضرر الاول مقصور عليهم لا يتعداهم الى غيرهم بخلاف الثاني
قوله نفس اثقلها الاوزار يعني ان مثقلة صفة محذوف اي ان تدع نفس مثقلة بالذنوب غيرها الى حملها اي الى ان يحمل شيئا
مما عليها من الذنوب لم يجب لذلك ولو كان المدعو ذا قرابة للداعي ابنه او اباه او امه او اخاه عن ابن عباس
رض قال يلقى الاب والام ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع حسبي ما علي والحمل بالكسر ما كان على الظهر
وبالفتح ما كان في بطن المراة او على رأس الشجر قوله نفي ان يحمل عنها ذنبها جواب عما يقال قوله تعالى وان تدع مثقلة
الى حملها الآية تاكيد لما قبلها فحقه ان يفصل عنه ولا يعطف عليه فلم عطف عليه وانما قلنا انه تاكيد له لان مضمون
ان النفس الآثمة لا تحمل اثم غيرها بل تحمل كل نفس اثم نفسها ومضمون ان النفس المثقلة لا يحمل احد شيئا من ذنوبها
واحد وتقرير الجواب لا نم اتحاد مضمونهما لان مضمون الثاني نفي ان يحمل عنها ذنبها ومضمون الاول نفي ان يحمل
عليها ذنب غيرها فلما لم يتحد مضمون الجملتين عطفت الثانية على الاولى ولم يذكر مفعول تدع مع ان المعنى وان تدع
نفس مثقلة نفسا اخرى ليعم كل مدعو الا انه ليس المراد من عموم المضمر العموم بطريق الشمول بان يكون المعنى وان
تدع مثقلة جميع من يتصور منه الحمل لان ضمير كان في قوله ولو كان ذا قربى يرجع الى العام المضمر كما اشار اليه المص بقوله
ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه ولا يجوز ان يكون العام على سبيل الشمول ذا قرابة للمثقلة
بل المراد منه العموم على سبيل البدل على معنى وان تدع مثقلة احدا غيرها ممن يتصور منه الحمل وان كان ذلك الاحد ذا
قرابتها قوله على حذف الخبر والتقدير ولو كان ذو قرابتها مدعوها ولو جعل كان تامة على معنى ولو حضر او وجد ذو قربى
لفات انتظام الكلام لان نظم الكلام يقتضي ان يكون المعنى ان المثقلة اذا دعت احدا الى حملها لا يجيبه الى ما دعاه اليه
وان كان المدعو ذا قرابتها او وان كان ذو قرابتها مدعوها ولو كان المعنى لا يحمل مدعوه شيئا منه ولو وجد ذو قربى
لفاتت الملائمة لعدم اعتبار كونه مدعوا ثم انه تعالى لما اظهر غضبه وشدة سخطه على الكفار بقوله ان يشأ يذهبكم
عاد الى خطاب نبيه بقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم اي انما ينفع انذارك من شانه خشية ربه وحاله رعاية
طاعته دون غيرهم فانه عليه الصلوة والسلام وان كان ينذر كافة الناس بعقوبة المعصية الا ان غير اهل الخشية
والطاعة لما لم ينتفع بانذاره صار كانه لم ينذر غيرهم فلذلك نزل وجود الانذار الغير النافع منزلة عدمه
وجعل انذاره عليه الصلوة والسلام مقصورا على اهل الخشية لا يتعداهم الى غيرهم فقيل انما تنذر كما قيل
انما انت منذر من يخشاها باداة القصر قوله غائبين من عذابه او عن الناس على ان يكون قوله بالغيب
حالا من الفاعل وقوله او غائبا عنهم عذابه على ان يكون حالا من المفعول المقدر لان تقديره يخشون ربهم

ربهم يخشون عذابه بحذف المضاف قوله واختلاف الفعلين لما مر في تفسير قوله تعالى فتثير سحابا من ان اختيار
الافعال للدلالة على استمرار الامر قوله ومن تزكى اصل ازكى تزكى ادغم التاء في الزاي ثم اتي
بهمزة الوصل ثم اسقطت في الدرج قوله وهو اعتراض وقع بين قوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم
بالغيب واقاموا الصلوة وبين قوله وما يستوي الاعمى والبصير الى قوله وما انت بمسمع من في القبور فان قوله
وما يستوي الاعمى الآية متصل بالاول والمقصود من الكل تسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فانه تعالى
لما اظهر غضبه على المشركين بقوله ان يشأ يذهبكم واتبعه الانذار بيوم القيمة واهوالها وانه عليه الصلوة والسلام
لما قرا عليهم هذه الآية فلم يتعظوا بها ولم ينتبهوا عما هم عليه من الشرك وسوء الافعال التفت الى رسوله
صلى الله عليه وسلم تسلية له وخاطبه بان نفي اليه تمردهم وعنادهم وان الوعظ لا يؤثر فيهم لانهم لا يخافون
عقابه لكونهم جهالا لا يتفكرون في العاقبة والوعظ انما يؤثر فيمن يوقن بانه لا بد له من المصير الى موقف
الحساب والجزاء فيخشى عقاب الآخرة ثم بين ان مثل الفريقين الاحياء والاموات وان مثل الكفر والايمان
الظلمات والنور وان مثل الجنة والنار الظل والحرور فانى يتساوى بهذه الاشياء فلما كان قوله وما يستوي
الاعمى متصلا بقوله انما تنذر كان ما بينهما اعتراضا والكلام المعترض انما يؤتى به لتحقيق ما تقدم عليه وتاكيده
وهذا الكلام جيء ترغيبا لاهل الخشية والطاعة وتقوية لنشاطهم على ما هم عليه من الخشية واقام الصلوة
لانهما من جملة التزكي اي من جملة ما يتزكى به فكانه قيل ومن فعلهما فنفعه لا يعود الا اليه قوله فمن ازكى فانما
يزكى اصل ازكى تزكى على وزن تفعل ادغمت التاء في الزاي ثم اتي بهمزة الوصل للابتداء واصل يزكى يتزكى على وزن
يتفعل فادغمت التاء في الزاي كما ادغمت في الذال في نحو يذكرون في يتذكرون قوله المؤمن والكافر وقيل هما
مثلان اختار ان المشبه بالاعمى هو الكافر والمشبه بالبصير هو المؤمن ثم حكى قول من قال ان المشبه بالاعمى هو
الصنم والمشبه بالبصير هو الله عز وجل فعلى الاول يكون هذا التمثيل معطوفا على قوله وما يستوي البحران وعلى
الثاني يكون من تتمة قوله ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير والاول اوفق لسياق
النظم لان المؤمن والكافر شبههما اولا بالبحر العذب والملح الاجاج وبين فيه عدم استوائهما ثم نبه على ان الكافر
ادون حالا من البحر الملح بقوله ومن كل تاكلون لحما طريا الآية لان فيه منافع جمة والكافر خلو من النفع ثم اتى
بتمثيل آخر فشبههما بالاعمى والبصير في الضلال والاهتداء وشبه ما يردفهما من متابعة الحق التي تورث المؤمن
الثواب ومن الذهاب الى الباطل الذي يؤدي الكافر الى العقاب بالظلمات والنور والظل والحرور ثم جعل كلا
من التمثيلين تمهيدا او توطئة لقوله وما يستوي الاحياء ولا الاموات لان المراد بالاحياء المؤمنون الذين
دخلوا دار الاسلام وانتفعوا بدعوة سيد الانام عليه الصلوة والسلام وبالاموات الكفار الذين بقوا
خارجين عن دار امان الدعوة ولم يرفعوا اليها راسا واصروا واستكبروا والحاصل ان التمثيل الاول في المؤمن
والكافر والتمثيل الثاني عطف عليه ظاهرا فكونه في المؤمن والكافر اظهر من كونه في الله والصنم ثم انه تعالى

لما ضرب الأعمى والبصير مثلين للمؤمن والكافر عقبه بما يكون كل منهما فيه فالكافر في ظلمة والمؤمن في نور لان البصير وان كان صحيح
النظر لا بد له من ضوء يبصر به ثم ذكر ما يؤدي اليه نور المؤمن وظلمة الكافر والظل والحرور فجعل الاعمى والبصير مثلين
للصنم ولله عز وجل ليس فيه حسن انتظام وقدم الاعمى على البصير والظلمات على النور والظل على الحرور لتطابق
فواصل الآي ويكون الكل على نسق قوله والى الله المصير ولما تقدم الاعمى في الذكر لذلك ناسب تقديم ما هو فيه فلذلك
قدمت الظلمة على النور **قوله** ولا لتأكيد نفي الاستواء الخ جواب عما يقال لما نفى استواء الاعمى والبصير ثم اريد نفي
استواء الظلمات والنور ونفي استواء الظل والحرور كان يكفي ان يقال والظلمات والنور من غير ان تذكر كلمة لا في عطف
الشيء ولا في عطف المفرد على المفرد اما انه لا حاجة اليها في عطف الشيء على الشيء فلان العاطف يقوم مقام العامل
فهو الفعل المنفي بما قبله فقيل والظلمات والنور لفهم ان المعنى وما يستوي هذان الضدان ايضا فلا حاجة الى ايراد
كلمة لا في عطف مجموع الضدين المذكورين ثانيا على مجموع الضدين المذكورين اولا واما انه لا حاجة اليها في عطف
الوتر على الوتر فلان فعل الاستواء مثبتا كان او منفيا لا يكون الا بين شيئين او اكثر فلهذا لا يسند الا الى اسمين
ظاهرين عطف احدهما على الاخر او الى ضمير التثنية او الجمع فيقال استوى زيد وعمرو واستويا او لا يستوون ولا يجوز
اسناده الى اسم واحد فقط فلا يقال استوى النور او لا يستوي النور مثلا فلو قيل لا يستوي الظلمة ولا النور للزم
اسناده الى اسم واحد فقط ولا وجه له فتقرير الجواب انها وان لم يحتج اليها لا في عطف مجموع الضدين على مجموع الضدين
الاولين ولا في عطف احد الضدين على الاخر الا انها زيدت في الاول لتأكيد نفي الاستواء فانها تذكر النفي السابق وتؤكده
كما في قولك ما جاءني زيد ولا عمرو وكررت على الشفعين بان زيدت في عطف الوتر على الوتر حيث قيل ولا النور ولا الحرور
لمزيد التأكيد فالمراد بالشفعين الشفع الاخير اي في عطف مجموع الضدين على الضدين في الموضعين قيل النكتة
في جمع الظلمات وتوحيد النور ان الظلمات عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة والنور عبارة عن التوحيد وهو
امر واحد فالتفاوت بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي
هذا الواحد **قوله** ابلغ من الاول اي في الدلالة على ضلال الكافر وحرمانه عن الوصول الى ما ينفعه ويصلح حاله فان الاعمى
قد يهتدي الى المقصود بوجه من الوجوه بخلاف الميت فانه محروم عنه رأسا **قوله** وهل للعلماء والجهلاء فان تشبيه
الجهلة بالاموات شايع كما قيل لا تعجبن الجهول حلته • فانه ميت وثوبه كفن • لان الحيوة المعتبرة هي حيوة الارواح
وهي انما تكون بالحكم والمعارف وحيوة الانسان من حيث انسانيته لا تكون الا بها ولا عبرة بحيوة الاجساد
بدونها لاشتراك البهائم ولم يرض بهذا القول ايضا لما مر من فوات الانتظام ثم انه تعالى لما شبه الكفار بالاموات سلى
رسوله صلى الله عليه وسلم بان قال له ان الله يسمع من يشاء ولو كان صخرا صماء واما انت فلا تسمع من في القبور فما
عليك من حسابهم من شيء اقناطا له عن ايمان المصرين وايذانا بان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن تعلقت
مشية الله تعالى وارادته باسلامه فانه كالاحياء فينتفع بدعوتك ويؤثر فيه وعظك ومن تعلقت مشيته باضلاله
فهو كالموتى فلا ينتفع بوعظك فحالك معه لا خلو له فلا تشتغل انت في اسلام من يرد الله تعالى اضلاله فما انت
بجميع

بمسمع للموتى وترشيح الاستعارة اقترانها بما يلائم المستعار منه ولما استعير لفظ الاموات من معناه الحقيقي للكفار رشحت
تلك الاستعارة بما يلائم معناه الحقيقي وهو كونه موصوفا بانه في القبور وجعله ترشيحا للتمثيل لكون الاستعارة مبنية
على التشبيه والوجه في كون الترشيح مبالغة في اقناطه عليه الصلوة والسلام عن اهتدائهم بدعوته ان الترشيح
حيث ما وقع يحقق المبالغة في التشبيه من حيث ان الاستعارة تفيد المبالغة في التشبيه وترشيحها بما يلائم المستعار
منه يحقق تلك المبالغة ويقويها ولما كان الغرض من التشبيه الاقناط كان ما يفيد المبالغة في التشبيه مفيدا للمبالغة
في الاقناط **قوله** محقين على ان يكون بالحق حالا من فاعل ارسلناك وقوله او محقا على ان يكون حالا من مفعوله
والباء متعلقة بمحذوف اي ملتبسا بالحق **قوله** او ارسالا مصحوبا بالحق وملتبسا به على ان يكون صفة لمصدر
محذوف ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا الا انه لا يتعلق بهما معا بل انما يتعلق بهما على طريق التنازع وبا
يهما يتعلق يقدر للآخر ما يتعلق به ويكون حاصل المعنى ما اشار اليه بقوله بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد
الحق ووجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما قال ان انت الا نذير بين انه ليس نذيرا من تلقاء نفسه انما هو نذير
باذن الله تعالى وارساله **قوله** اهل عصر فسر الامة بهذا المعنى لانه المناسب في هذا المقام فان الامة كل جماعة
يجمعهم امر ويشتركون فيه اما دين واحد كامة الاجابة او دعوة واحدة كامة الدعوة او طريقة واحدة او
زمان واحد او مكان واحد فقوله تعالى وجد عليه امة من الناس يسقون يصلح مثالا لهذه الثلثة فكأنه قيل ما
من فرق فيما سلف الا مضى فيه من يبشر اهل الطاعة بالجنة واهل المعصية بالنار الزاما للحجة عليه وقوله
تعالى الا خلا فيها نذير خبر من امة **قوله** او عالم ينذر عنه جواب عما يقال الامة الواقعة في زمن الفترة بين عيسى
ونبينا عليهما صلوات الرحمن وسلامه لم يخل فيهم نذير فاوجه قوله وما من امة الا خلا فيها نذير وتقرير الجواب
ان النذير من ينذر العصاة بعذاب الآخرة وهو كما يتناول النبي يتناول ايضا عالما ينذر اهل عصره او ما بلغه اليهم من
امور الدين عن نبيه والفترة التي بعد عيسى عليه الصلوة والسلام لم يزل فيها من هو على دينه وداع الى شريعته مبشرا ونذيرا
وحين انقرضوا ولم يبق منهم بعث الله تعالى سيد المرسلين عليه الصلوة والسلام **قوله** والاكتفاء بذكره جواب عما يقال لم
اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية مع ذكرهما معا آنفا واجاب عنه بان النذارة والبشارة لما كان كل واحد منهما
من توابع الآخرة ولوازمها من حيث ان كل من ينذر على المخالفة يبشر على الموافقة وبالعكس كان الاخبار بمضي النذير في كل امة
في قوة الاخبار بمضي البشير فيهم فلذلك اكتفى بذكر احدهما عن الآخر ولان المقصود الاهم من البعثة هو الانذار لان الناس
لتماديهم في الغفلة والضلال وانهماكهم في اتباع الشهوات واللذات وتقليد البطلة المصرين على المنكرات كان احتياجهم
الى المنذر اشد من احتياجهم الى المبشر لان التخلية عن الرذائل متقدمة على التحلي بالفضائل ثم انه تعالى لما حقق رسالته
عليه الصلوة والسلام بقوله انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا او كذبه كفار قريش سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله
وان يكذبوك الآية لان البلية اذا عمت طابت وقوله تعالى جاءتهم رسلهم حال من فاعل كذب بتقدير قد اي كذب المتقدمون
وقد جاءتهم رسلهم والزبر جمع زبور كرسل جمع رسول اي الزبر وهو الكتابة والزبور الكتاب وهو فعول بمعنى

مفعول من زبره ان كتبه بهذا اصل معناه لغة ثم غلب على كتاب داود عليه الصلوة والسلام والمص حمل الزبر ههنا على اصل
معناه وهو الكتب مطلقا وجعل عطف الكتاب المنير عليه قرينة مخصصة له بما عدا الكتاب الكبير المنير اي الموضح لما يحتاج اليه
من الاحكام والدلائل والمواعظ والامثال والوعد والوعيد ونحوها وهو اربعة التورية والانجيل والزبور والفرقان والمراد
به ههنا غير الفرقان لان الكلام فيما جاء به رسل الامم السابقة فلم يبق بعد الا صحف الرسل المتقدمة عليهم الصلوة والسلام
قوله على ارادة التفصيل دون الجمع لما حمل البينات على المعجزات وحمل الزبر على الصحف التي هي غير الكتب المنيرة ومن المعلوم
ان الرسل المتقدمة لم يجيئوا بهذه الثلث جميعا ضرورة ان من جاء بالزبر لم يجئ بالكتب المنير بالمعنى المذكور ومن جاء
بالكتاب المنير لم يجئ بالزبر وان جاء كل واحد منهم بالمعجزة البينة فان الرسول الذي هو اخص من النبي لا بد له من معجزة
بينة ومن كتاب سماوي سواء كان من قبيل الصحف او من قبيل التورية والانجيل لم يمكن ان يكون قوله تعالى جاءتهم رسلهم
بالبينات والزبر والكتاب المنير بمعنى ان كل واحد منهم جاء بهذه الثلثة جميعا بل المعنى انهم جاؤا بها على التفصيل بان جاء
بعضهم ببعض منها كالبينات والزبر والبعض الاخر ببعض اخر كالبينات والكتاب المنير واسند المجيء بالثلثة الى المجموع
الرسل لا الى كل واحد منهم كما يسند قتل زيد الى المجموع في بني فلان فيقال بنو فلان قتلوا زيدا لوقوع القتل فيما بينهم لا لكون
كل واحد منهم مباشرا لقتله والاستفهام في قوله تعالى فكيف كان نكير للتقرير فانه عليه الصلوة والسلام علم بشدة الله تعالى
عليهم فحسن الاستفهام على هذا الوجه في مقام التسلية ثم انه تعالى استدل بدليل اخر على وحدانيته وكمال قدرته فقال
الم تر ان الله انزل من السماء ماء وقوله الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على امر يتعجب منه فان اخراج الثمرات المختلفة من الماء
الواحد وغير ذلك من الدلائل المذكورة ههنا امور عجيبة قوله فاخرجنا التفات من الغيبة الى التكلم لكون ما في
هذا الاخراج من مزيد الصنع مقتضيا لان يعبر عنه بما هو ادخل في افادة اختصاصه به تعالى وقوله ثمرات منصوب على انه
مفعول به لاخرجنا ومختلفا صفة للثمرات والوانها مرفوع على انه فاعل مختلفا كانه قيل فاخرجنا به ثمرات مختلف الوانها
ومختلفا لما اسند الى ظاهر الجمع المكسر لغير العقلاء جاز تذكيره ولو انث وقيل مختلفة الوانها جاز كما تقول اختلفت
الوانها والوان يجوز ان يكون جمع لون بمعنى الجنس وان يكون جمع لون بمعنى الهيئة المبصرة في الصحاح اللون هيئة
كالرمان والتفاح والتين والعنب ونحوها
كالسواد والحمرة واللون النوع ايضا فان فسرت الالوان بالاجناس يكون قوله مختلف الوانها صفة موكدة لثمرات لان
الثمرة مع كونه اسم جنس يعم القليل والكثير انما جمعت للدلالة على قصد الانواع فتوصيفها بكونها مختلفة الاجناس انما هو
لتاكيد ما دل عليه لفظ الجمع وان فسرت بالاصناف او بما هو من الكيفيات المبصرة يكون صفة مخصصة على معنى
فاخرجنا به اجناس الثمار المختلف اصنافها والوانها بمعنى ان كل واحد من تلك الاجناس لها اصناف مختلفة
او الوان مختلفة مع اتفاق الماء والتراب الدليل واوضح على كمال قدرة صانعه قوله اي ذو جدد يعني ان قوله جدد
مبتدا ومن الجبال خبره قدم عليه والجدد بضم الجيم وفتح الدال لا دال جمع جدة وهي طريقة التي يخالف لونها لون ما يليها
سواء كانت في الجبل او في غيره ومنه جدة الحمار وهي الخطة التي في ظهره تخالف لون الحمار والخطة بمعنى الطريق
فعلة بمعنى المفعول كالغرفة والقبضة ولما لم يصح الحكم على نفس الجدد بانها من الجبال احتيج الى تقدير المضاف في المبتدا
اي

[illegible]

فان قلت ما وجه ارتباطه بما سبق قلت والله اعلم ان المراد انه اذا علمت ما ذكر من قدرته الكاملة فاخش منه لانه انما يخشى الله كما ورد من عباده العلماء

ان ومن الجبال ما هو ذو جدد يخالف لونها لون الجبل فيؤول المعنى الى ان من الجبال ما هو مختلف الوانه لان بيض صفة
جدد وحمر عطف على بيض فيفيد هذه القرائن الثلث فان ما قبلها فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وما بعدها
ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اي منهم بعض مختلف الوانه فلا بد في القرينة المتوسطة بينهما من
ارتكاب الحذف ليؤول المعنى الى ما ذكر فيحصل تناسب القرائن وقرأ عامة القراء جدد بضم الجيم وفتح الدال جمع
جدة وهي الطريقة وقرئ جدد بضم الجيم والدال وهي جمع جديدة بمعنى الجدة يقال جديدة وجدد وجدايد
كما يقال سفينة وسفن وسفاين وقيل جمع جديد كسرر جمع سرير بمعنى اثار جديدة واضحة الالوان وقرئ
جدد بفتحتين وهو اسم مفرد بمعنى الطريق الواضح المسلوك وفي المثل من سلك الجدد امن من العثار الا انه وضع
في الاية في قراءة من قرأ به موضع الجمع اذ المراد الطرائق والخطوط بقرينة وصفه بالجمع وهو البيض والحمر والعيم
اللبس كما في قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا وقولهم اهلك الناس الدرهم البيض والدينار الصفر قوله بالشدة
والضعف اشارة الى ان قوله بيض وحمر وان كان صفة لجدد الا ان قوله مختلف الوانها صفة لكل واحد من الجدد
البيض والحمر بمعنى ان بياض كل واحد من الجدد البيض وكذا حمرة الجدد الحمر متفاوتان بالشدة و
الضعف فرب ابيض اشد بياضا من ابيض اخر وكذا رب احمر اشد حمرة من احمر آخر فنفس البياض مختلف
وكذا نفس الحمرة فلذلك جمع لفظ الوان مع انه مضاف الى ضمير كل واحد من البيض والحمر ويحتمل ان يكون
قوله مختلف الوانها صفة ثالثة لجدد فيكون ضمير الوانها للجدد فيكون تاكيدا لقوله بيض وحمر ويكون اختلاف
الوان الجدد بان يكون بعضها ابيض وبعضها احمر فيكون الجدد كلها على لونين بياض وحمرة الا انه عبر
عن اللونين بالالوان لتكثر كل واحد منهما باعتبار محاله وعلى الاحتمالين يكون قوله الوانه فاعل مختلف
لاعتماده على الموصوف ولا يجوز ان يكون الوانها مبتدا ومختلف خبرا مقدما عليه والجملة صفة جدد اذ
كان يجب ان يقال حينئذ مختلفة لاسناده الى ضمير المبتدا قوله عطف على بيض او على جدد فعلى الاول يكون
من تفاصيل الجدد والصفات القائمة بها كالبيض والحمر كانه قيل ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود
غرابيب وعلى تقدير كونه معطوفا على جدد ولا يكون داخلا في تفصيله بل يكون قسيما كانه قيل ومن الجبال مخطط
ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد كغرابيب واليه اشار المص بقوله كانه قيل فانه متفرع على قوله او على جدد فان
الغرابيب جمع غربيب وهو الاسود المتناهي في السواد فيكون الغرابيب على لون واحد فيما لا في الجدد و
الطرائق قوله وهو تاكيد مضمر جواب عما يقال الغربيب تاكيد للاسود كما ان القاني تاكيد للاحمر والناصع تاكيد
للابيض من حق التاكيد ان يتبع المؤكد فينبغي ان يقال سود غرابيب كما يقال احمر قان وابيض ناصع فلم قدم
التاكيد على المؤكد واجاب عنه بان ما ذكرته انما يرد ان لو كان غرابيب تاكيدا لما بعده وليس كذلك بل هو تاكيد
لمضمر يفسره ما بعده والتقدير وسود غرابيب سود كما ان تقدير البيت والمؤمن العائذات الطير وتفعل
ذلك لزيادة التاكيد حيث يدل على المعنى الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا قوله ونظير ذلك في الصفة

قال بعض صفة لجدد وحمر عطف عليه بيض جدد وخبر مبتدا ومن الجبال خبر قدم عليه وهو الذي تسوغ الابتداء بالنكرة منه

ان نظير اضمار المؤكد وتاكيده بالمذكور ثم تفسير ذلك المضمر بما ذكر بعد التاكيد اضمار الموصوف وتوصيفه بالمذكور ثم تفسير
المضمر بما ذكر بعد الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند والواو في قوله
والمؤمن للقسم والمؤمن اسم فاعل مجرور بها والعائذات منصوب على انه مفعول مؤمن والمراد بها الحمائم التي عاذت
بمكة والتجأت اليها وضمير يمسحها للطير والغيل والسند موضعان وجواب القسم في البيت الذي بعده وهو قوله ما ان اتيت
بشيء انت تكرهه اذا فلا رفعت سوطي الي يدي يقول والله المؤمن الطير العائذات ما اتيت بشيء انت تكرهه والا
فشلت يدي اضمر مفعول المؤمن وهو الطير والطير المذكور بعده والعائذات صفة لذلك المضمر لا للمذكور لتقدمه عليه ومن حق
الصفة ان تتبع موصوفها **قوله** كاختلاف الثمار والجبال اشارة الى ان محل الكاف في كذلك النصب على انه صفة لمصدر
محذوف والمعنى ومن الناس والدواب والانعام بعض او نوع او صنف مختلف الوانه اختلافا كائنا كاختلاف الثمرات
والجبال على ان قوله مختلف صفة لموصوف محذوف هو مبتدأ والجار والمجرور قبله وهو من الناس خبره ولا اعتماد لاسم
الفاعل على الموصوف فعمل العمل **قوله** ولهذا اتبعه ذكر افعاله اي ولكون شرط الخشية ما ذكر اورد هذه الاية عقيب قوله
الم تر ان الله انزل من السماء ماء فانه مسوق للحث والتحريض على النظر في عجائب صنعه وآثار قدرته ليجعل ذلك ذريعة
الى علمه بصفات كماله وعجائب افعاله فاشار المصنف الى ارتباط هذه الاية بما قبلها بما محصوله انها فصلت عما قبلها
لكونها كالاستئناف جيء به لبيان السبب الداعي الى الحث على النظر في عجائب صنعه وبدائع افعاله كأنه قيل ما وجه الحث
على النظر المؤدي الى علمه تعالى بصفاته وافعاله فاجيب بان قيل انما يخشى الله من عباده العلماء يعني ان ذلك العلم يورث الخشية
التي هي مقصودة لذاتها كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل لواحد من الفضلاء من افقه هذه المدينة فقال اتقاهم
لربه عز وجل قال الربيع بن انس من لم يخش فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن ابن مسعود
كفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا وعن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد كفضلي
على ادناكم ثم تلا هذه الاية انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله وملائكته واهل سمواته وارضه والنون في البحر يصلون
على من يعلم الناس الخير مرسل **قوله** ولو اخر انعكس الامر اي لو اخر لكان المعنى العلماء لا يخشون الا الله وهو غير مستلزم
للمقصود لانه لا ينافي ان يكون غير العلماء خائفا من الله تعالى والمقصود حصر الخوف من الله تعالى في العلماء والمعنى الاخر
وان جاء في التنزيل من قوله تعالى لا يخشون احدا الا الله لكن ليس هو الغرض في هذا المقام **قوله** الخشية مستعارة
للتعظيم والمعنى انه تعالى لا يجل ولا يعظم الا العلماء فقوله تعالى يخشى الله على قراءة رفع اسم الله استعارة تبعية
شبه التعظيم بالخشية من ان كل واحد منهما يتعلق بالمهيب فاطلق لفظ المشبه به وهو الخشية على المشبه الذي هو
التعظيم ثم اشتق من الخشية المستعارة لفظ يخشى **قوله** تعليل للخشية لدلالته قوله تعالى ان الله عزيز غفور على عقوبة
العصاة وقهرهم ومغفرة التائب عن ذنبه والعفو عنه ومن بيده العقوبة والغفران حقه ان يخشى فان قلت
اي مدخل لقوله تعالى غفور في الدلالة على انه تعالى يجب ان يخشى مع ان الوصف بالغفران موجب للرجاء دون الخوف قلت
ما ذكرته انما يرد اذا وقع التعرض لصفة الغفران فقط واما اذا اقترن بما يدل على عزته وانتقامه من المسيء فحينئذ يكون مدلول
بدل

وهو قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يتعين من يخشى ومن الناس بعدما اختلف في طبقاتهم بحسب المعنوية من ابهام امارات الاوصاف الصورية التنبيه والانذار الاوصاف في حديث فيظهر نتيجة التصريح توقفه الكلام اذنه منها حتى في الالاية بها مناسبا ان
انتهى

مدلول الكلام انه قادر على كل شيء وانه يفعل ما يشاء وهذه الصفة توجب الخشية **قوله** يداومون قراءته ومتابعة ما
فيه يعني ان قوله تعالى يتلون يجوز ان يكون مضارع تلاه تلوا بمعنى تبعه وان يكون مضارع تلاه تلاوة وان الفعل على المعنيين
محمول على الاستمرار لانه لولا قصد الاستمرار لجيء به ماضيا كما في قوله واقاموا الصلوة وانفقوا وكون المقام مقام المدح يؤيد كون
الفعل محمولا على الاستمرار فانك اذا قلت في مقام المدح فلان يطعم الجائعين ويغيث المضطرين فانما تريد ان شأنه و
ديدنه ذلك ولم يقصد الدلالة على الاستمرار في قوله واقاموا الصلوة وانفقوا لان المراد باقامة الصلوة الخمس وايتاء الزكوة
وهما لكونهما موقتين باوقات معينة لا يتصور الاستمرار فيهما والمصنف اشار بقوله حتى صارت سمة لهم وعنوانا الى ان معنى الاستمرار و
المداومة والاستمرار مستفاد من جعل الفعل المذكور صلة للموصول فان الوجه في كون الموصولات معارف كونها موضوعة لان
يطلقها المتكلم على ما يعتقد ان المخاطب يعرفه بانتساب مضمون الصلة اليه بحيث صار مضمونها سمة له وعنوانا
وذلك يشعر عن استمرار الانتساب **قوله** فيكون ثناء على المصدقين بعني على تقدير كون المراد بكتاب الله جنس كتب الله يكون
الاية مرتبطة بقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم الى قوله ثم اخذت الذين كفروا اختص به حال المكذبين
من الامم المتقدمين ثم اثنى بهذه الاية على المصدقين منهم كانه قيل لما ارسل الى كل امة رسولا لينذرهم صاروا فريقين
منهم من كذب رسولهم فاهلكهم الله تعالى ومنهم من صدق فاولئك يرجون تجارة لن تبور وعلى تقدير ان يكون المراد
بكتاب الله القرآن يكون الاية مرتبطة بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يبين اولا ان العلم بصفات الله تعالى وافعاله
يورث الخشية ثم بين ثواب العاملين بكتاب الله العاملين بما فيه وفي الاتيين اشارة الى ان اول الواجب على المكلف المطلق
النظر في مصنوعات الله تعالى ليؤديه ذلك النظر الى علمه تعالى بصفاته وافعاله ثم لان يؤدي ذلك العلم الى الخشية التي هي عمل
القلب ثم ان تلك الخشية تؤدي الى الذكر باللسان الذي افضله واجمعه تلاوة القرآن والى العمل بالجوارح الذي اجمعه
وافضله اقام الصلوة وهذه العبادات الثلث المتعلقة بالقلب واللسان والجوارح كلها من قبيل تعظيم امر الله تعالى
وبقي من الاعمال الدينية ما يكون من قبيل الشفقة على عباد الله تعالى فان تعظيم جانب الله تعالى انما يتم بالشفقة على
المحتاجين من خلقه واشير اليه بقوله وانفقوا مما رزقناهم **قوله تعالى** سرا وعلانية مصدران في موضع الحال اي مسرين
ومعلنين اي غير قاصدين واحدا منهما بعينه في انفاقهم بل يقصدون به مجرد المعاملة مع خلق الله تعالى بالشفقة
والاحسان كيفما تيسر فان تيسر الاخفاء اخفاه والا فعلانية ولا يمتنع من الانفاق بسبب ظنه ان انفاق العلانية الحث
رياء فان ترك الخير مخافة الرياء هو عين الرياء فعلى هذا يكون المقصود من العطف الدلالة على ان المقصود
على الانفاق مطلقا كيفما تيسر وعلى القول الاخر يكون العطف لتقسيم الانفاق الى الفرض والنفل والحث
على كل واحد منهما ويكون تعيين كل واحد من القسمين بما خص به من الوصف اشارة الى ان الاولى والمستحب
في الصدقة المسنونة الاخفاء وفي المفروضة الاعلان كما ان المستحب في الصلوة المفروضة اعلانها وفي النافلة
اخفاؤها **قوله** تحصيل ثواب بالطاعة يعني ان التجارة ههنا مستعارة للمعاملة مع الله تعالى لنيل الثواب شبهت المعاملة
المذكورة بالتجارة وهي معاملة الخلق بعضهم بعضا بالبيع والشرى لنيل الربح والمعنى انهم يرجون بالنواصي الطاعات

وفعل حسنى من الامم سبب الله فيكون ثناء على الصعد قوني منهم وليس بعد اقتصاص حال المكذبين منهم يذكر فان صيغته المضارع في معادنه باستمرار تشير وعقبه علاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما ياتي من توفيته الاجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا انما يسير اليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والاشتغال في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد العظيمة مما يورث الرغبة في تلاوتها والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس لا احكامها لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القرآن واما تلاوتها فمعزل من المشروعية واستتباع الاجر بالمرة فتدبر
انتهى

وعلى ما قال الراغب يكون من تبور
ترشيحا للاستعارة التجارة وكذا على ما
فى الاساس اذا اريد المعنى المجازى
سعدى

المذكورة مما جرة الله تعالى و نيل ثواب بمتاجرة لن تبور تلك المتاجرة بالهلاك او بالكساد بل يكون نافقة عند الله تعالى
تحصل لصاحبها زيادات كثيرة واضعاف مضاعفة وقوله تعالى يرجون اشارة الى انهم لا يقطعون بنفاق تجارتهم بل
يخافون ان لا يتقبل منهم ما اتوا به ففى الاية اشارة الى بطلان قول من قال انه يجب على الله تعالى ان تتقبل طاعة عبد ويثيب
عليها **قوله** علة لمدلوله اى لمدلول قوله لن تبور فان كون التجارة غير هالكة ولا كاسدة عند الله تعالى يدل على كونها نافقة مقبولة
عنده فقوله ليوفيهم علة متعلقة بهذا المدلول كانه قيل ان التالين والمقيمين والمنفقين راجون تجارة غير هالكة ولا كاسدة

ان اخبار برجائهم من اكرم الاكرمين
عدة قطعية بحصول مرجوهم انتهى

عنده تعالى بل تنفق عنده ليوفيهم جزاء عملهم ولا تتعلق اللام بنفس لن تبور لان الامر العدمى لا يكون علة حاملة للفاعل على
الفعل ولا معلولا مترتبا عليه فى الخارج **قوله** او بمدلول ما عد ولا يجوز كون اللام متعلقة لكل واحد من الافعال الثلثة لان
المعمول الواحد لا يتوارد عليه عوامل متعددة ولا يجوز تعلقها بها الا على سبيل التنازع واعمال واحد منها واضمار معمول
غيره او حذفه فالاحسن ان يتعلق بمدلول تلك الافعال اى فعلوا ذلك ليوفيهم بل لا يجوز تعلقها ببعض الافعال الثلثة
المذكورة على تقدير ان يكون قوله تعالى يرجون خبر ان لانه يستلزم ان يقع الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبى لان خبر
ان لا يكون فى حيز شىء من تلك الافعال فيكون اجنبيا عنها فلا بد ان يكون متعلقة بمحذوف دل عليه تلك الافعال اى فعلوا جميع
ذلك لهذا الغرض **قوله** او عاقبة ليرجون عطف على قوله علة لمدلول لن تبور جعل اللام على تقدير تعلقها بيرجون لام العاقبة
لان رجاء النجاة النافعة عند الله تعالى هو رجاء ان يوفيهم ثواب اعمالهم فجعل الاول معللا بالثانى ويجوز ان يكون التوفية غاية
لرجائهم **قوله** اى مجازيهم عليها فان الشكر فى حق العباد عرف بواردات من اللسان والجنان والجوارح لساطاعة المنعم
وفى حقه تعالى عبارة عن المجازاة على طاعة العباد والشكور من ابنية المبالغة ووجه المبالغة انه تعالى يتقبل القليل من
طاعة عباده فيضاعف لهم الجزاء **قوله** او خبر ان عطف على قوله علة للتوفية فتكون اللام متعلقة بمدلول الافعال المتقدمة
اى وانفقوا راجين تجارة رابحة ليوفيهم اى فعلوا جميع ذلك ليوفيهم وجعله حالا من فاعل انفقوا الا من فاعل الافعال
الثلثة لئلا يجتمع على معمول واحد عوامل متعددة وعلى تقدير ان يكون قوله انه غفور شكور خبر ان لا بد فيه من العائد على
اسمها فقدره صاحب الكشاف بقوله على معنى انه غفور لهم شكور لاعمالهم **قوله** احقه مصدقا يعنى ان قوله مصدقا حال مؤكدة
من مفعول احقه المقدر المدلول عليه بقوله هو الحق وقوله بين يديه معناه بين الجهتين المحاذيتين لليدين فهو ظرف مكان
مستعار للزمان المتقدم تشبيها للزمان المتقدم بالمكان المتقدم لما بين الله تعالى ثواب من يخشى الله تعالى من العلماء الذين
يواظبون على تلاوة كتاب الله تعالى واقام الصلوة والانفاق اثنى على الكتاب الذى اوحى اليه بقوله والذى اوحينا اليك
هو الحق وجعله ذريعة الى تحقيق رسالته ودليلا على صدقه فى دعوى الرسالة وعلل استحقاقه لها بقوله ان
الله بعباده لخبير بصير والعيار المعيار الذى يقاس به غيره ويستوى ما ان القران لكونه معجزا فى نفسه يكفى دليلا
على انه وحى الهى فاذا صدق امر نفسه فقد صدق امر من اوحى هو اليه وامر ما تقدمه من الكتب **قوله** حكمنا
بتوريثه منك او نورثه جواب عما يقال قوله تعالى ثم اورثنا بلفظ الماضى يدل على وقوع الايراث قبل الايحاء ولا معنى له
واجاب عنه اولا بان ايراث الكتاب المصطفين بمعنى اعطائه اياهم كاعطاء الارث للوارث من غير كد وتعب
فى طلبه

[illegible]

[illegible]

فى طلبه وان لم يكن ماضيا بالنسبة الى زمان نزول هذه الآية فكان الظاهر ان يقال ثم نورثه الا انه قيل اورثنا على لفظ بنا
على ان المراد بالايراث الحكم بتوريثه منه عليه الصلوة والسلام والحكم به متقدم على زمان نزول الآية فلذلك جىء اورثنا بلفظ
الماضى وعطف على اوحينا بكلمة التراخى الا ان تلك الكلمة لا يجب ان يكون للتراخى الزمانى البتة بل قد يكون للتبعيد مضمون
الجملة المعطوفة عن مضمون ما قبلها كما فى هذا المقام فان مضمون الحكم بتوريثه منه مستبعد عن مضمون ايحائه اليه ذكر فى شرح
الرضى انه قد يجىء ثم فى عطف الجمل خاصة لاستبعاد مضمون ما بعدها عن مضمون ما قبلها وعدم مناسبته له كما فى قوله تعالى استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه فان بين توبة العباد وهى انقطاع العبد اليه بالكلية وبين طلب المغفرة بونا بعيدا وهذا
المعنى فرع التراخى ومجازه انتهى كلامه واجاب ثانيا بان اورثنا بمعنى نورثه الا انه وضع الماضى موضع المستقبل تنزيلا
لما سيكون منزلة الكائن لكونه محقق الوقوع كقوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف فعلى هذين الوجهين يكون اورثنا
معطوفا على اوحينا ويكون المراد من الذين يتلون كتاب الله مؤمنى هذه الامة ويراد بالكتاب القران واجاب ثالثا
بان اورثنا على حقيقته بناء على ان ليس المراد توريث القران بعده عليه الصلوة والسلام المؤمنين من امته بل
المراد توريث جنس الكتب من الامم السالفة فعلى هذا يكون قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب معطوفا على قوله ان الذين
يتلون كتاب الله كما صرح به ويكون المراد بالذين يتلون اعم من مؤمنى هذه الامة وبالكتاب جنس كتب الله و
بالذين اصطفينا اهل الملة الحنيفية ويكون اورثنا ماضيا محمولا على ظاهره والمعنى ثم اورثنا هذا الكتاب الكريم
هذه الامة بعد اعطاء تلك الامم الزبر والكتاب المنير ويكون وجه انتظام الآيات ح انه تعالى اخبر اولا بانه ما من
امة الا خلا فيها نذير ثم بين ان تلك الامم تفرقوا فرقتين فرقة كذبوا رسلهم وما جاؤوا به واليه اشار بقوله
فقد كذب الذين من قبلهم الاية وفرقة صدقوهم وامنوا بهم وتلوا كتاب الله وعملوا بمقتضاه واليه اشار بقوله
ان الذين يتلون كتاب الله الاية ثم عطف على هذه القصة قوله ثم اورثنا الكتاب بكلمة ثم الدالة على التراخى وبلفظ الماضى
فى اورثنا لان ايراث الكتاب لهذه الامة متراخ عن ارسال النذير فى كل امة على الطريق المذكور وان الايراث المذكور
سابق وماض بالنسبة الى زمان هذه الآية فظهر وجه ايراد كلمة ثم داخلة على صيغة الماضى فعلى هذا يكون قوله تعالى
والذى اوحينا اليك اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان انه توريث جنس الكتاب لهذه الامة انما
هو حال كونه حقا مصدقا لما بين يديه وقوله اورثنا استعارة تبعية شبه اعطاء الكتاب اياهم من غير كسب وتعب
فى وصوله اليهم بتوريث الوارث وقوله الكتاب الذين اصطفينا مفعولا اورثنا والكتاب هو المفعول الثانى قدم على الاول
لشرفه وانعدام اللبس ومن فى قوله من عبادنا يجوز ان يكون للبيان على معنى ان المصطفين هم عبادنا و
ان يكون للتبعيض اى ان المصطفين بعض عبادنا لا كلهم ثم انه تعالى قسم الذين اورثوا الكتاب الى ثلث
طبقات فقال فمنهم ظالم لنفسه الآية فان التقصير فى العمل يكفى بهم لا يخرجهم عن كونهم مشرفين بشرف الا
صطفاء وتشرف الاضافة فى قوله من عبادنا لان منشأ ذلك الشرف اختصاصهم بشرف العلم وصحبة سيد
المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى اله وكونهم امة الاجابة لدعوته عليه الصلوة والسلام والتقصير فى العمل لا ينافى

ذلك وعلى قول من يقول المراد بالظالم الكافر بقرينة اطلاقه على الكافر في كثير من المواضع لا يكون المقسم علماء الامة
ولا امة الاجابة مطلقا ولا يرجع ضمير منهم الى الموصول ولا يكون كلمة من للبيان بل يكون للتبعيض ولا يكون الاضافة في
عبادنا للتشريف المضاف بل لتعظيم المضاف اليه ويكون المراد بالعباد مطلق الخلائق روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال الظالم لنفسه هو من مات على كبيرة ولم يتب منها والمقتصد هو الذي لم يصب كبيرة كما قال تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
اي على طريق الحق غير جائر عنه ومنهم سابق سبق الظالم والمقتصد في الدرجات بسبب الخيرات وقال الحسن الظالم الذي
ترجح سيئاته على حسناته والمقتصد الذي استوت حسناته وسيئاته والسابق من رجحت حسناته وروى اسامة بن
زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الاية كلهم من هذه الامة وعنه عليه الصلوة والسلام قال سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وعنه صلى الله عليه وسلم قال السابق من هذه الامة يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد
يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة والظالم يحبس في طول المحشر حتى يظن ان لن ينجو فتنالهم الرحمة ويدخلون الجنة
فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وعن ابن عباس رضي الله عنه الظالم اهل الاجرام يغفر لهم والمقتصد اصحاب
اليمين يحاسبون حسابا يسيرا والسابق يدخل الجنة بغير حساب **قوله** او للمقتصد والسابق هذا الاحتمال
مبني على ان يفسر الظالم بالكافر **قوله** يحلون فيها اشارة الى ان الاحسان بدخول الجنة اعز واكمل من الاحسان
بالتحلية حيث قال يدخلونها اولا ثم قال وفيها تنعم بحليتهم وتخصيص الاساور من بين وجوه زينة الجنة لكونها ادل على ان
الجنة دار التنعم والاستراحة لان اكثر الاعمال تحصل باليد فاذا حليت الايدي بالاساور علم الفراغ من الاعمال في
ان التحلي مطلقا لا يجامع الابتذال والاشتغال بنحو الطبخ وغسل الثياب فان التحلي يكون لمعنيين احدهما اظهار كون المتحلي
فارغا مستغنيا عن الابتذال بالخدمة وثانيهما اظهار كونه موسرا وان له مالا فاضلا عن حوائجه الاصلية اذ لو لم يكن
له مال زائد على قدر ما يصرف الى ما لا بد له منه لما صرفه في وجوه التنعم وزيادة الترفه فذكر التحلي كناية عن هذا الاستغناء
اللازم له **قوله** من الاولى للتبعيض فهذا التبعيض يفيد التعظيم كما ان التنكير يفيد ذلك فان من التبعيضية تجعل
مجرورها في معنى النكرة فتفيد التعظيم كما تفيد النكرة فالمعنى يحلون فيها ببعض من الاساور سابق على ساير
افراد الاساورة في الشرف كما سبق المسورون بهذا البعض من الاساور غيرهم **قوله** عطف على ذهب فان نافعا
وعاصما من السبعة قرءا ولؤلؤا بالنصب عطفا على ذهب فيكون اساور مبينة بشيئين ذهب ولؤلؤ ومعنى كون
الاساور فيها ذهبا ولؤلؤا كونها مركبة من هذين الجنسين حقيقة بان يرصع مرصع باللؤلؤ او يكونها مصنوعة من
ذهب في صفاء اللؤلؤ فهي كانها مصنوعة منهما **قوله** او همهم من اجل المعاش يعني ان المراد حزن الدنيا وما كان
فيها من الاهتمام في تحصيل اسباب المعاش من المأكل والملبس والمسكن والحزن بالضم والسكون وبالتحريك لغتان بمعنى
واحد كالبخل والبخل والعامة قرءوه بالتحريك والمعنى انهم اذا دخلوا الجنة يقولون ذلك لانهم لما اكرموا بدار
الكرامة والنعيم المقيم الذي لا يزول ولا يفنى ابدا وقد عاينوا وقاسوا قبل ذلك من الشدائد والاحزان في الدنيا
وفي القبر وفي المحشر والموقف وغير ذلك مما عاينوا وقاسوا فالآن قد اذهب الله تعالى بفضله جميع ذلك عنهم

[illegible]

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في نشرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن [illegible]

حمدوا من فضله بهذه الكرامة **قوله تعالى** احلنا الجليلة التقدير اي انزلنا دار الاقامة ودار الاقامة [illegible]

عنهم واكرمهم بالملك الدائم والعز المؤبد فبالضرورة يشعرون بان لا حزن لا ظرف له والا لوجب ان يتعدى اليه الفعل
بكلمة في لانه مكان محدود والمقامة مصدر ميمي بمعنى الاقامة لان المصدر الميمي من المزيدات يكون على صيغة اسم المفعول
يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة والمعنى انزلنا دار الخلود التي لا نتحول عنها ابدا ولا نموت بخلاف الدنيا فانها منزل
ينزل المكلف ويرتحل عنها الى القبر ثم الى عرصة القيامة التي هي المجمع ثم الى الجنة او الى النار وقد يكون النار لبعضهم منزل
الانتقال واما الجنة فهي دار الاقامة مطلقا وكذا النار لاهلها ومن فضله متعلق باحلنا ومن اما للعلة
واما لابتداء الغاية اي انزلنا بتفضله لا باعمالنا واستحقاقنا لان العمل متناه زائل وثواب الجنة دائم لا يزول
ولا سيما لان العمل لا يعادل عشر عشر النعم السابقة فكيف يستحق بها العبد النعم الاجلة وقوله لا يمسنا حال من المفعول
الاول لاحلنا او الثاني لان الجملة مشتملة على ضمير كل واحد منهما الا ان الاول اظهر **قوله** اذ لا تكليف فيها ولا كد
تعليل لانتفاء الامرين جميعا لان اصل التعب انما يحصل بسبب التزام ما كلف به او بمباشرة ما يشق على النفس
بالاختيار وكلاهما منتف في الجنة فينتفي فيها التعب الذي هو سبب اللغوب ولما ورد ان يقال ما الفائدة
في نفي اللغوب اصالة مع انتفائه يعلم من نفي النصب لان انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب ضرورة فاذا
قيل لم الكل يعلم منه انتفاء التبع فلا يحتاج بعده الى نفي التبع اصالة اجاب عنه بان انتفاء التابع وان كان يعلم
من نفي المتبوع لكنه تعالى نفى التابع بعد ذلك قصد المبالغة في بيان انتفائه وقيل النصب تعب البدن واللغوب تعب
النفس ونفي احدهما لا يدل على نفي الاخر وعن ابن عباس رضي الله عنه المراد باللغوب ههنا فترة تعقب الجماع واللغوب
بضم اللام مصدر يقال لغب يلغب لغوبا اذا اعيا وقرئ لغوب بفتح اللام وهو ايضا مصدر كالقبول والولوع و
يجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي لا يمسنا فيها لغوب كانه يصف اللغوب بانه قد لغب اي اعيا وتعب على
المبالغة كقولهم موت مائت وشعر شاعر **قوله تعالى** والذين كفروا لهم نار جهنم عطف على قوله ان الذين يتلون
كتاب الله وما بينهما كلام يتعلق بالذين يتلون كتاب الله وقد مر ان المراد بهم اما مؤمنو هذه الامة والكتاب
القران او المصدقون من الامم السابقة والكتاب جنس كتب الله فعلى الاول بين الله تعالى ثواب اهل الخشية الذين
ادت خشيتهم الى المواظبة على تلاوة القران والعمل بما فيه من اقام الصلوة والانفاق على ذوي الحاجات ثم شرع
في بيان وعيد اضدادهم وهم المكذبون وعلى الثاني اثنى الله تعالى على المصدقين من الامم السابقة بعد الفحص
حال المكذبين منهم في الدنيا ثم بين حال هؤلاء المكذبين في الاخرة بعطف هذه الجملة على جملة ان الذين
الاية **قوله** لا يحكم عليهم بموت ثان يعني ان قضى عليه وان كان يستعمل بمعنى اماته كما في قوله تعالى قالوا يا مالك ليقض
علينا ربك اي ليمتنا فكذا قوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا بمعنى لا يأتون فيستريحوا بالموت الا انه ماخوذ من قضى بمعنى
حكم كما في قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وقد يكون القضاء بمعنى الفراغ تقول قضيت حاجتي وضربه
فقضى عليه اي قتله كانه فرغ منه وسم قاض اي قاتل وقضى نحبه اي مات والنحب المدة والوقت **قوله** ونصبه باضمار
ان فان المضارع ينتصب بان مضمرة بعد الفاء بشرطين احدهما السببية والثاني ان يكون قبلها امر او نهي

[illegible]

او استفهام او تمن او عرض وقد وقعت الفاء ههنا بعد النفي فنصب بموتوا بحذف النون كما في قولك ما تاتينا فتحدثنا
اي ما يكون منك اتيان هو سبب الحديث فانتفى مسببه الذي هو الحديث ووجه القراءة بالرفع عطفه على يقضى وادخاله
في حكم النفي اي لا يقضى عليهم فلا يموتون اي انتفى الامران معا كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون اي فلا يعتذرون ورجحت
قراءة الجمهور بان فيها نفي القضاء عليهم من حيث انه سبب الموت واذا انتفى السبب فالمسبب اشد انتفاء وليس
في قراءة الرفع الا نفي الامرين جميعا مع قطع النظر عن سببية الاول فالاول ابلغ والجملة تفيد فائدة التابيد وتنجز
الى الفرق بين عذاب الدنيا والاخرة فان عذاب الدنيا لا يدوم وان دام يتخلص المعذب منه بالموت وان لم يمت
يعتاد البدن بان يفسد مزاجه بحيث لا يحس به العذاب قوله مثل ذلك الجزاء اشارة الى ان محل الكاف في كذلك في محل
النصب على انه مفعول نجزي قدم عليه اي جزاء مثل ذلك الجزاء قوله يستغيثون من الصراخ فاصل يصطرخ يصترخ
ابدلت التاء طاء للمناسبة بينهما في المخرج فان فاء افتعل اذا كانت احدى الحروف المستعلية وهي الصاد و
الضاد والطاء والظاء قلبت تاؤه طاء لان الحروف المستعلية تقتضي ارتفاع اللسان الى الحنك الاعلى والتاء
منخفضة تقتضي عدم الارتفاع فوجب القلب ليندفع به المنافاة بين الصفات وانما قلبت التاء طاء بخصوصها لقربها
في المخرج فسر يصطرخون بقوله يستغيثون وجعله مجازا فيه بطريق استعمال المطلق في المقيد بناء على ان الصراخ رفع
الصوت بشدة مطلقا اي باي وجه كان استعمل في رفع الصوت على وجه الاستغاثة قوله باضمار القول وذلك المضمر
ان شئت قدرته فعلا مفسرا ليصطرخون اي يقولون في صراخهم ربنا اخرجنا من النار وان شئت قدرته حالا
من فاعل يصطرخون اي يصطرخون قائلين ربنا قوله وتقييد العمل الصالح جواب عما يقال هلا اكتفي بقوله نعمل صالحا
كما اكتفي به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة قوله غير الذي كنا نعمل مع انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصا
لح الذي عملوه اولا والتلافي للتدارك قوله وانهم كانوا عطف على قوله بالتحسر اصابهم ان وصفوا العمل الصالح بقولهم
غير الذي كنا نعمل للاشعار بانهم كانوا يحسبون انهم على سيرة صالحة كما قال تعالى ويحسبون انهم يحسنون صنعا و
وجه الاشعار ان قولهم غير الذي كنا نعمل يوهم انهم ارادوا نعمل صالحا آخر غير الصالح الذي كنا نعمله في الدنيا
وقد تبين لهم الآن ان ما عملوه في الدنيا عمل سيء استحقوا به ذلك عذابا شديدا فينبغي ان يحمل كلامهم على معنى غير الذي
كنا نحسبه صالحا فنعمله قوله جواب من الله تعالى اي يقول الله عز وجل لهم على وجه التوبيخ والتقريع اولم نعمركم في الدنيا ما يتذكر
فيه من العمر من تذكر وما في قوله ما يتذكر فيه نكرة موصوفة اي اولم نعمركم عمرا او زمانا يتذكر فيه من اراد ان يتذكر او ولم
نجعل لكم من العمر في الدنيا شيئا او عمرا او مقدارا يتذكر ويتعظ فيه بالكتب وبمقالات الرسول من اراد ان يتذكر قيل
هذا الزام الحجة عليهم بالعقل والسمع فان التذكر من باب العقل والانذار من باب السمع قوله اعذر الله فيه اي صار ذا
عذر اليه في تعذيبه من قولهم اعذر الرجل اي صار ذا عذر قوله والعطف جواب عما يقال قوله تعالى وجاءكم النذير لا يصح عطفه
على قوله اولم نعمركم للاختلاف خبرا وانشاء ولا على قوله لم نعمركم بان يكون داخلا في حيز الاستفهام الانكاري ايضا لعدم
صحة المعنى ولا على نعمركم لان لم لا تدخل على صريح الماضي واجاب بانه معطوف على معنى اولم نعمركم لان الاستفهام فيه للانكار
وانكار

وانكار عدم التعمير اخبار عن التعمير فكانه قيل عمرناكم وجاءكم نذير ونظيره قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قوله و
وضعنا لانه في معنى شرحنا ووضعنا لان معنى الاستفهام التقرير قوله فلا يخفى عليه احوالهم من الكفر والظلم بوضع جميع
ما لهم من النعم في غير موضعه حيث استعملوا اجسادهم وجوارحهم في غير ما خلقت هي له ونفيهم ما في قوله الصدور قوله تعالى
ان الله عالم غيب السموات استيناف في معرض التعليل لما نبههم بقوله لهم فذوقوا فما للظالمين من نصير وقال الامام
انه علة لدوام عذاب الكافر ودفع لما يقال ان الله تعالى قال جزاء سيئة سيئة مثلها ولا يزاد عليها والكافر ما كفر بالله
الا ايام معدودة فكان ينبغي ان لا يعذب الا في مثل تلك الايام فقال تعالى ان الله لا يخفى عليه غيب السموات والارض فلا يخفى
عليه ما في صدورهم وقد علم من الكافر ان الكفر متمكن في قلبه بحيث لو دام الى الابد لما اطاع الله تعالى ولا عبده فلذلك كان
جزاء كفره مؤبدا والاظهر انه جواب اخر لقولهم ربنا اخرجنا نعمل صالحا كانه قيل انه لو رددكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا
لانه عالم غيب السموات والارض مطلع على عملكم ذلك بقوله انه عليم بذات الصدور فيكون الاية نظير قوله تعالى ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه قوله يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها اي مفاتيحه جمع مقليد وهو المفتاح كالاقليد والقاء مقاليد التصرف
عبارة عن تمكينهم من الانتفاع بمنافعها ويقال للمستخلف خليفة ويجمع على خلائف فالمعنى ان الناس خلفاء الله تعالى
في ارضه استخلفهم فيها بعد ان خلقها مشتملة على جميع ما يحتاج اليه اهلها وسلطهم على ما فيها من المنافع واباحها
كانه تعالى قال خلقتهم على هذا الوجه البديع لا لان يرجع الى منافعها لاني غني عن العالمين منزه عن شائبة الاحتياج
بوجه ما بل استخلفتكم على هذه النعم الجليلة لتشكروه بالتوحيد والطاعة فقوله تعالى فمن كفر ح من كفران النعمة
ومرتب على الاستخلاف والافضال فقوله تعالى هو الذي جعلكم الاية من تتمة الجواب والتوبيخ وكذا على قوله من قال
معنى قوله تعالى جعلكم خلائف جعلكم خلفاء بعد خلف بان يكون اهل كل عصر خليفة من سبقهم فان المعنى ح انكم
شاهدتم فيمن سبقكم ما ينبغي ان يعتبر به من اهلاك بعضهم بالطوفان وبعضهم بالصيحة ونحو ذلك مع علمكم ان ما
اصابهم لم يصبهم الا بكفرهم فهلا تذكرتم بذلك قوله بيان له اي بيان لكون جزاء الكفر ووباله راجعا الى الكافر وذلك
لان الكفر لما اقتضى لصاحبه مقت الله الذي هو اشد الشدائد وخسار الاخرة الذي هو نهاية الخسران تبين
ان وبال كفره لا يعود الا عليه ومقت الله تعالى شدة غضبه والعمر كراس المال من اشترى به رضاء الله تعالى ربح و
من اشترى به سخطه خسر خسرانا مبينا قوله والتكرير فان الظاهر ان يقال الا مقتا وخسارا من غير اعادة قوله
ولا يزيد الكافرين كفرهم بعد قوله مقتا ثم انه تعالى لما بين سوء عاقبة الذين كفروا ودوام عذابهم وكمال ذلتهم
وانهم وما يجابون به على سبيل التوبيخ والتقريع وهم يصطرخون في جهنم امر رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يقرر
للمشركين دلائل الوحدانية ويوضح لهم بطلان ما ذهبوا اليه من طريقة الاشراك فقال ارايتم شركاءكم
اي اخبروني ايها المشركون عن حال آلهتكم الذين تدعونهم شركاء من دونه او تعبدونهم ماذا خلقوا قوله
والاضافة اليهم يعني ان الاصنام لم يكن شركاء لله تعالى في الحقيقة وانما هم الذين جعلوها شركاء له تعالى فقيل
شركاءكم بالاضافة ليدل على ان المعنى شركاء جعلتموهم قوله او لانفسهم فانهم كانوا يجعلون شيئا من اموالهم

لالهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها قوله لانه بمعنى اخبروني علة لكون اروني بدلا من ارايتم لان ارايتم
لما كان بمعنى اخبروني صح ابدال اروني منه بدل الاشتمال للملابسة بين الاخبار والاراءة بتغير الكلية والجزئية فبل
ابدال الجملة غير مشهور في كلامهم واجيب بانه شاهده على النحو فلا تسمع وقد نقل النحويون على انه ان كانت الجملة
الثانية في معنى الاولى ومبينة لها ابدلت ومنه قول الشاعر ٭ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ٭ واذا كان ارايتم بمعنى
اخبروني يتعدى الى اثنين احدهما شركاءكم وثانيهما الجملة الاستفهامية وهي قوله ماذا خلقوا فان ارايتم يطلبه
مفعولا ثانيا وينازعه اروني فانها وان كانت بصرية لكنها تتعدى الى مفعول ثان بهمزة النقل وتكون المسئلة
من باب اعمال الثاني على مختار البصريين والاية تبكيت للمشركين وارغام لانفسهم بان يطلب منهم دليل يدل
على صحة ما يدعون من استحقاق الاصنام لان تعبد من دون الله على سبيل التنزل والتدرج من الدليل القوي
الى الضعيف والى الاضعف فان الاستبداد بخلق شيء ادل على الالوهية من الشركة مع الله تعالى في خلق بعض مخلوقاته
وكذا الشركة في خلق شيء ادل عليها من دلالة الكتاب عليها لان الاول يدل بالذات والثاني بالغير فان الشريك في
الخلق يستحق ان يكون شريكا في الالوهية شركة ذاتية والذين آتاهم الله تعالى كتابا ينطق بانه تعالى اتخذهم شركاء تثبت
لهم شركة جعلية وام في قوله تعالى ام لهم شرك في السموات منقطعة بمعنى بل والهمزة فيكون قد اضرب عن الاستفهام الاول
وشرع في استفهام آخر فقال الهم شرك في السموات على سبيل الانكار اليس لهم شرك في السموات فلم تدعونهم من دون الله
ثم اضرب عن هذا الاستفهام وشرع في استفهام الاخر فقال ام اتيناهم يعني الشركاء كتابا فهم اي الشركاء على بينة اي حجة وبرهان
من ذلك الكتاب على انهم شركاء فلذلك تعبدونها يعني ليس الامر كذلك فلم تعبدونها هذا اذا قلنا ان ضمير اتيناهم راجع الى الشركاء و
ان قلنا انه راجع الى المشركين ففيه التفات والمعنى بل اتيناكم كتابا فانتم مستقرون على حجة متمسكون بها في عبادة الشركاء
وليس الامر كذلك فلم تعبدونهم ولما بين انه لا تمسك لهم بوجه من الوجوه اضرب عن طلبه وبين ان امرهم ليس الا ان يتبعوا
ظنهم ورؤساءهم غروهم فاغتروا بسببهم وان في قوله تعالى بل ان يعد الظالمون نافية بمعنى ما والمعنى ما يعد الظالمون
بعضهم بعضا الا غرورا باطلا والغرور الاطماع فيما لا مطمع فيه ثم انه تعالى لما هدم قاعدة الشرك من اصلها بين
انه تعالى قادر على ما يشاء متفرد بخصائص الالوهية ولوازمها لا معبود غيره فقال ان الله يمسك السموات والارض
الخ قال الكلبي نزلت الاية حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركون الملائكة بنات الله
والمعنى كانتا جديرتين ان تهدا وتزولا لعظم فريتهم على الله تعالى الا انه امسكهما حلما منه وغفرانا حيث لم يعجل
عقوبتهم بل اخرها الى قيام الساعة فالاية نظير قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ان دعوا للرحمن ولدا قوله كراهة ان تزولا بنى على ان يكون قوله ان تزولا مفعولا له بتقدير المضاف وقوله فان الممكن
حال بقائه لا يزول من حافظ علة لاحتياجها الى الامساك والممسك فيكون الآية تبكيتا آخر للمشركين بعد
التنزل عن التبكيت الاول كانه قيل سلمنا ان الاصنام استبدوا في خلق شيء من الارض وكان لهم شرك في خلق
السموات او ثبتت لهم القدرة على الشفاعة عند الله يوم القيمة فهل يقدرون على امساك السموات والارض وامساكهما
ايضا

ان من المشركين من يقول ان الله تعالى اله السماء وهؤلاء الهة الارض ... الكواكب الذين قالوا ... ومنهم من يقول والاصنام صورها ومنهم من يقول ان السموات خلقت بشفاعة ... الملائكة فالملائكة شركاء في خلق السموات ومنهم وهذه الاصنام صورها ومنهم من يقول الاصنام شفعاؤنا عند الله وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فانكر سبحانه وتعالى على الاول بقوله اروني ماذا خلقوا من الارض وعلى الثاني بقوله ام لهم شرك في السموات وعلى الثالث بقوله ام اتيناهم كتابا الاية منه

ايضا من لوازم الالوهية ومن المعلوم انه لا يمكنهم القول بانهم يقدرون على ابقائه وحفظه كما لا يمكنهم ان يقولوا بانهم احدثوها
او شيئا منها على الاستقلال او بطريق الشركة فظهر بهذا بطلان ما زعموا من استحقاق الاصنام للعبادة قوله او يمنعهما
ان تزولا اشارة الى جواز ان يكون قوله تعالى ان تزولا مفعولا به غير صريح لقوله يمسكهما بتضمينه معنى يمنعهما لان الامساك فيه
معنى المنع والحفظ فكانه قيل يمنعهما من ان تزولا فاسقط الجار فقط وذهب الكوفيون الى انه مفعول له بحذف لام العلة و
لا النافية والاصل لئلا تزولا قوله والجملة سادة مسد الجوابين يعني ان قوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده
سادة مسد جواب القسم المضمر وجواب الشرط المذكور فان اللام في قوله ولئن زالتا لام موطئة للقسم وهي في اصطلاح
النحاة عبارة عن لام دخلت على حرف الشرط بعد تمام القسم مظهرا او مضمرا ليكون ما ياتي بعد ذلك الشرط جواب القسم
لا جواب الشرط ويكون جواب الشرط مضمرا ذكر في شرح الرضي انه اذا تقدم القسم اول الكلام ظاهرا او مقدرا وذكر بعده
كلمة الشرط فالاكثر والاولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ويستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب
الشرط مقامه كما في قوله ولئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم انتهى كلامه وقوله تعالى في هذه الاية
ولئن زالتا من هذا القبيل فلذلك كان فعل الشرط ماضيا قال ابن الحاجب في الكافية واذا تقدم القسم اول الكلام
على الشرط لزمه المضي لفظا او معنى وكان الجواب للقسم لفظا فقول المص والجملة سادة مسد الجوابين يريد به
انها جواب القسم وتقوم مقام جواب الشرط وتغني غناءه ولا يصح حمله على ما يفهم من ظاهره كيف وجواب القسم لا محل
له من الاعراب بخلاف جواب الشرط فلو كانت الجملة سادة مسد الجوابين لكان لها موضع من الاعراب وان
لا يكون وهو محال لان الشيء الواحد لا يكون معمولا وغير معمول قوله ومن الاولى زائدة زيدت لتاكيد النفي لان
قوله ان امسكهما من احد من بعده معناه ما يمسكهما احد من بعد امساكه اياهما وقيل من بعده اي الزوال وقيل من
بعده بمعنى سواه ومن الثانية على التقدير لابتداء الغاية قوله بان تهد بكسر الهاء من قولهم هد الحائط يهد هدا
اذا وقع وسمع صوته فقوله واما يهد بضم الهاء فهو متعد يقال هد البناء هدا اذا كسره وضعضعه ويفهم مما تقرر
المص ان قوله تعالى انه كان حليما غفورا استئناف في موضع التعليل لقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
والمعنى انه تعالى انما امسكهما حلما منه وغفرانا حيث لم يعجل عقوبتهم بل اخرها الى قيام الساعة ولولا حلمه و
غفرانه لعجل عقوبتهم بان يشق السماء ويهدها عليهم ويخسف بهم الارض او يغيب بهم فيها وتبتلعهم
الارض لفظاعة مقالتهم في الله تعالى بان له اندادا وشركاء ولو لم يكن المراد هذا المعنى لكان المناسب للمقام ان يقال انه قدير
على الاحداث والامساك وقيل هو تعليل بمعنى اقتضاء قوله ولئن زالتا ان امسكهما من احد بعده اي لم تدعها الله الى
مكانهما لمصالح العباد فانه حليم لا يعجل بالعقوبة غفور لمن تاب ثم انه تعالى لما بين انكارهم للتوحيد ذكر تكذيبهم للرسول
ومبالغتهم فيه فقال واقسموا بالله جهد ايمانهم ووجه كونه مبالغة في التكذيب انه نفورهم عن الايمان بمن جاءهم
من النذير بعدما كانوا اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم رسول ليكونن اهدى اي اصوب دينا واقوم طريقا من
احدى الامم اي من بعض الامم ومن الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا لها على غيرها كما يقال فلان واحد القوم اي

افضلهم شانا وعلى ان من التبعيضية تحتمل اللفظة حكم النكرة المحمولة على التعظيم كما مر في قوله تعالى من اساور
مبالغة عظيمة منهم في تكذيبه صلى الله عليه وسلم فان النفور عن الايمان به تاكيد القسم على الوجه المذكور في قوة
ان يقال انما يكذب به لكونه كاذبا ولو تبين لنا كونه رسولا لآمنا به ونظيره في سلوك طريق المبالغة ان من ينكر دين
انسان قد يقول والله لو علمت ان له شيئا على الحقيقة وزدت له اظهارا لكونه مطالبا بالباطل ومبالغة فيه
فكذا ههنا عاندوا وقالوا لو جاءنا رسول لكنا اهدى الامم واللام في قوله تعالى لئن جاءهم لام توطئة القسم وقوله
ليكونن جواب القسم المقدر روسا ومسد جواب الشرط وقوله لئن جاءهم حكاية لمعنى كلامهم لا اللفظ اذ لو كان كذلك لقيل
لئن جاءنا لنكونن قوله تعالى جهد ايمانهم منصوب على انه مفعول مطلق لاقسموا النوعي لان جهد اليمين نوع من مطلق
الاقسام ويجوز ان تجعله في موضع الحال اي جاهدين بالغين في تاكيد ايمانهم غاية وسعهم الجوهري قال الفراء الجهد بالفتح
من قولك اجهد جهدك في هذا الامر اي ابلغ غايتك والجهد بالضم الطاقة وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة اي اقسموا
ايمانا بالغوا في تاكيدها واكدوها بما هو غاية وسعهم قوله اي من واحدة من الامم اي من كذب الرسل من اهل الكتاب
كائنا من كان من اليهود والنصارى وغيرهم فان المكذبين احدى الامتين والمصدقون امة اخرى قوله من احدى الامم
لما كان شايعا في الامم كلها صالحا لكل واحدة منها على البدل صار في معنى النكرة والنكرة في الاثبات قد تحمل على العموم
والاستغراق بقرينة المقام كما في نحو قوله تمرة خير من جرادة اي كل احد من افراد التمر خير من كل جرادة فمعنى قوله لنكونن
اهدى من احدى الامم لنكونن اهدى من كل واحدة من الامم ومن ان احدى الامم بمعرض على قوله او من الامة التي يقال
فيها احدى الامم يكون قوله من احدى الامم بمعنى من بعض الامم فيكون في معنى النكرة المحمولة على التعظيم ويكون المعنى
لنكونن اهدى من افضل الامم واشرفها قوله على التسبب يعني ان اسناد زادهم الى النذير او مجيئه اسناد مجازي من
قبيل اسناد الحكم الى السبب لان نفس النذير او مجيئه لا يزيدهم نفورا وانما ازداد نفورهم عن الحق بسبب النذير او
بسبب مجيئه قوله تعالى نفورا مفعول ثان لزادهم مثل فزادهم الله مرضا وقوله استكبارا يجوز ان يكون بدلا من نفورا
كانه قيل ما زادهم الا استكبارا وعلوا وان يكون مفعولا له لنفورا اي ما زادهم مجيئه الا ان نفروا عن الحق لاجل
الاستكبار ان يكون لهم الكبرياء والعلو في الارض اي في بلادهم وان يكون حالا من المفعول الاول لزاد اي زادهم حال
كونهم مستكبرين قاله الاخفش وقوله ومكر السيء معطوف على استكبارا وحكمه في الاعراب حكمه فيما ذكر من الاوجه وجوز كونه
معطوفا على نفورا فيكون مفعولا به والمعنى ما زادهم مجيئه الا ان مكروا المكر السيء او ما زادهم الا ان نفروا عن الحق
ليستكبروا او ليمكروا المكر السيء او ما زادهم الا ان نفروا عن الحق ليستكبروا ويمكروا المكر السيء بان يخدعوا الضعفاء التابعين
لهم ويحتالوا ليصدوهم بذلك عن الايمان ويكونوا اعوانا لهم وينبغي ان يقولوا الحسن اكثر اشباعا او اعترفوا او ما
زادهم الا نفورا حال كونهم مستكبرين وماكرين المكر السيء قوله واصله وان مكروا المكر السيء يريد ان مكر السيء من اضافة
الموصوف الى الصفة كصلوة الاولى ومسجد الجامع بدليل قوله تعالى بعد ذلك ولا يحيق المكر السيء حيث وصف المكر بالسيء
فلما حذف الموصوف بقي وان مكر السيء ثم ابدل ان مع الفعل بالمصدر صار ومكر السيء ثم اضيف المصدر الى النعت اتساعا
كما

كما في صلوة الاولى قوله ينظرون يعني ان النظر بمعنى الانتظار والاستفهام بمعنى النفي والانكار اي ما ينتظرون هؤلاء الما
كرون الا سنة الله في الماكرين الاولين وهم مكذبوا الانبياء عليهم الصلوة والسلام بالانتقام منهم وسنة الاولين
من اضافة المصدر الى مفعوله واشار اليه بقوله سنة الله فيهم حيث صرح بفاعله واضافه اليه والماكرون ليسوا منتظرين
سنة الله في الاولين حقيقة لكنهم شبهوا بالمنتظرين لها من حيث ان نادية حالهم اليها ولحوقها بهم لا محالة كما يلحق
الامر المنتظر بالمنتظر له فاستعير اسم الانتظار لحالهم واشتق منه ينظرون فهو استعارة تبعية وقد وجد في بعض النسخ
هذه العبارة وقرا حمزة وحده بسكون الهمزة في الوصل يريد بهمزة السيء المجرور في قوله ومكر السيء واما السيء
المرفوع في قوله ولا يحيق المكر السيء فانه لا خلاف في تحريك همزته وجمهور القراء قرأوا بجر همزة السيء المضاف اليه على
الاصل وطعن كثير من الناس في قراءة السكون حال الوصل وقالوا ان حركة الهمزة حركة الاعراب والاسكان في حركة الاعراب
لغير ادغام ولا وقف ولا اعلال منكر عند النحويين لان حركة الاعراب انما وضعت للفرق بين المعاني واسكانها ابطال
للحكمة في وضعها وقالوا لعل حمزة انما يسكن الهمزة حال الوقف وظن السامع انه وصل فغلط عليه او انه اسمعه
يختلس تحريكه لضعف الصوت به وخفائه اسكانا فان معنى الاختلاس ان تلين الحركة ولا تشبعها بحيث يكون الذي
تحذفه من الحركة اقل مما تاتي به فجاز للسامع ان يظنه اسكانا وما من نظر تلك القراءة ان ما ثبت بالاستفاضة او
التواتر ان النبي عليه الصلوة والسلام قراه لا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل من صار الى التخطئة ان غيره
افصح منه وان كان هو فصيحا في نفسه ايضا وحسن قراءة السكون ههنا كون الكسرة على حرف ثقيل بعد يا مشددة مكسورة
ولما جاز حذف حركة الاعراب لاجل الادغام والاعلال والوقف جاز حذفها حال الوصل بما من الثقل المذكور مع ان الآخر محل
التغيير قوله اذ لا يبدلها بجعله غير التعذيب اشارة الى ان المراد بالتبديل المنفي تبديل التعذيب الذي هو سنة الله تعالى في المكذبين
بالاثابة التي هي ضد التعذيب وبالتحويل تحويله عن مستحقه الى غيره فكانه قيل فلن تجد لسنة الله التي سنها تبديلا بغيرها ولن
تجد لسنة الله تحويلا من الماكرين الى غيرهم واستشهد على كون المراد هذا المعنى بقوله تعالى اولم يسيروا في الارض الاية فانه
يدل على ان ما سنه الله تعالى في الماكرين لم يبدل بغيره ولم يحول الى غيرهم فتم به تهديد المسيء والظاهر ان الخطاب في قوله فلن تجد عام
جاز كونه للنبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكانوا اشد منهم قوة في موضع النصب على الحال والاجرى الله تعالى سنته التي سنها في
المكذبين في حق الذين من قبلهم مع شدتهم وقوتهم بالنسبة الى اهل مكة وانهم لم يعجزوا الله تعالى ولم يفوتوه فاهل مكة اولى
بان لا يعجزوه ولا يسبقوه فيفوتوه على ظهرها استعارة تخييلية شبه الارض بالدابة التي يركب الانسان عليها من حيث
تمكنه واستقراره عليها ثم اثبت لها ما هو من لوازم المشبه به وهو الظهر ليكون دليلا على الاستعارة بالكناية فان قيل كيف
يقال لما عليه الخلق من الارض وجه الارض وظهرها مع ان الظهر يقابل الوجه فهو من قبيل اطلاق الضدين على شيء
واحد قلت صح ذلك باعتبارين اي باعتبار كونها حاملة لما عليها وباعتبار كونه الظاهر منها كالوجه للحيوان وان
غيره كالبطن والباطن منها قوله بشوم معاصيهم بيان لكون مواخذة الناس بما كسبوا مستلزما
لعدم ان يترك شيء من الدواب على ظهر الارض مع ان المواخذة بالمعصية هو الانسان والدواب ليس لها معصية

وقوله تعالى وما كان الله
ليعجزه من شيء في السموات ولا
في الارض ... منه

... يختلس الحركة من بارئكم
مما نبوا انه الحركات فيرى من سمعه انه اسكن ولم يسكن عن الاصمعي عن ابي عمرو
قال سمعت اعرابيا يقول بارئكم فاختلس الكسر حتى كدت لا افهم الكسرة لعدم اشباعها
فنقلوا عن ابي عمرو الاسكان في هذا
النحو فلعله سمعه يختلس تحريكه لضعف
الصوت به وخفائه اسكانا فان
معنى الاختلاس ان تلين الحركة ولا
تشبعها بحيث يكون الذي تحذفه من الحركة
اقل مما تاتي به واسكان السيء اهون
من اسكان بارئكم ويامركم لانه يمكن
ان يقال ان حمزة انما اسكنه وقفا
فظن الراوي انه يفعل ذلك وصلا و
مذهب حمزة في الهمزة المتطرفة اذا
سكنت للوقف ان يبدلها بجنس حركة
ما قبلها وما قبل الهمزة في لفظ السيء
مكسور فيجب قلبها ياء لكنه استثقل
اجتماع ثلاث ياءات ... المكسورة
فترك الهمزة ساكنة على حالها ...
منه ابداله ويدل على انه انما اسكنه حال
الوقف انه اسكن في قوله ومكر السيء دون
قوله ولا يحيق المكر السيء مع ان الحركة
في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين
كسرتين وذلك لان الاول تمام الكلام
فيحسن الوقف عليه دون الثاني
منه

تؤدي الى هلاكهم ووجه الاستلزام ان الناس لو اخذوا بما اجترحوا من المعاصي لقطعت الامطار عنهم بشؤم معصيتهم
فلا ينبت شيء في الارض فيموتون جوعا ويموت الدواب باسرها تبعا لهم فيؤدي بشؤم معصية الناس الى هلاك جميع
الحيوانات والتسمية النفس فقوله ما ترك على ظهرها من دابة كناية اريد بها الملزوم والمعنى لقطع عنهم ما هو سبب
معاشهم وهو المطر فيموتون جميعا ويموت سائر الدواب ايضا تبعا لهم ويحتمل ان يكون مراده ان خلق الدواب نعمة
في حقهم فاذا كسبوا المعاصي يزيل الله تعالى نعمه وخص الدواب بالذكر من بين النعم لاشتمالها على وجوه المنافع
وكونها اقرب المركبات اليهم فان البسايط العنصرية اول ثم من المركبات المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم
الانسان فالحيوان اقرب درجة للانسان في عالم العناصر تم ههنا ما يتعلق بسورة الملائكة والآن شرع

في ايراد ما يتعلق بسورة يس مستعينا بالله عز وجل وكمال فضله وسعة رحمته

عن عائشة رض قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع لقارئها ويغفر لسامعها
الا وهي سورة يس تدعى في التورية المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه
اهاويل الاخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي
له كل حاجة وهي ثلث وثمانون اية كلها مكية الا قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار
حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا قوله واذا قيل
لهم انفقوا مما رزقكم الله وقد نزلت في اليهود بسم الله الرحمن الرحيم قوله يس
يس كالم في المعنى والاعراب فقد ذكر في الم احتمالات احدها ان يكون كل واحد من الالفاظ المدلولة للحروف
المقطعة اسم لمسماه المعين الذي هو حرف من حروف التهجي الا ان تلك الاسامي كتبت في المصحف على
صور مسمياتها لا على صور اساميها بناء على ان المقصود من ايراد المقطعات مسرودة غير متعاطفة التي هي
مسمياتها ان تعدادها باسمائها ايقاظا وتنبيها لمن تحدى بالقران على ان المتلو عليهم مؤلف من
عنصر كلامهم وبسائطه ليتيقنوا انه لو كان من عند غير الله تعالى لما عجزوا باسرهم عن الاتيان بما يدانيه
مع كمال فصاحتهم ولما كانت الكلام مركبة من ذوات المسميات وكان المقصود من ذكر الاسامي الدالة
عليها كتبت الاسامي على صور المسميات للدلالة على ذلك فمعنى نحو الم على هذا الوجه مؤلف من جنس هذه الحروف
واعرابه انه في موضع الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا حذف خبره تقديره هذا المتحدى به من السورة او القران
او هذا الذي يتلى عليكم الم او حم او يس ونحو ذلك اي مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها هو المتحدى
والمقصود من الاخبار بمضمون هذه الجملة الزام الحجة عليهم وتبكيتهم كانه قيل تنبهوا ان ما يتلى عليكم
كلام منزل من ربكم بمصالح دينكم ودنياكم وانا مرسل به من عنده لاصلاح شأنكم بالايمان به وتعملوا بمقتضاه
فان كنتم في ريب منه فأتوا بسورة من مثله فانه كلام مؤلف من جنس ما تألفون منه كلامكم ويحتمل ان يكون
المراد بذكرها مجرد تعداد الحروف باسمائها ليكون اول ما يلقى الى السامع دالا على ان المتلو وحي الهي لان تلفظ

لان يلفظ اسماء الحروف وتعدادها يختص بمن خط ودرس واما من الامي فمستغرب خارج للعادة كالكتابة
والتلاوة فلا يكون لها محل من الاعراب لعدم تركبها مع العامل تركيبا يحوجها الى ما يدل على ما يعبر بها من المعاني التركيبية
والاحتمال الثاني ان يكون نحو الم اسما مركبا من تلك الاسامي سمي به السورة او القران تنبيها على اعجازها من حيث
ان تركيبها كلها من جنس هذه الحروف التي هي مادة كل كلام كل ملة فلو كانت من عند غير الله لما عجزوا عن الاتيان بمثلها
فيكون لها محل من الاعراب اما الرفع على انها خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اي هذا المتلو سورة كذا او هذه سورة
من جملة ما انزل عليكم واما النصب بتقدير اتل سورة كذا وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا رض كان يقول
يا كهيعص يا حمعسق فيكون مقسما به مجرورا او منصوبا باضمار حرف القسم وحذفه والمراد بحذفه ان لا يكون
اثره باقيا وباضماره ان يبقى اثره مع عدم ذكره في الله لافعلن بجواز النصب بنزع الخافض واعمال فعل القسم المقدر
فان تقديره اقسم بالله ويجوز الجر باضمار حرف الجر وتقديره وعن الامام الواحدي انه قال في الوسيط اكثر اختلاف المفسرين
في الحروف المقطعة في القران فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانيها وقالوا ان الله عز وجل
متفرد بعلمها ونحن نؤمن بانها من جملة القران العظيم ونكل علمها اليه تعالى ونقرؤها تعبدا وامتثالا لامر الله تعالى
وتعظيما لكلامه وان لم نفهم منها ما نفهمه من سائر الايات قال داود بن ابي هند كنت اسأل الشعبي عن فواتح السور
فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القران فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك فان من الاحكام الشرعية
ما يجب الايمان به لقيام الدليل السمعي عليه ولم يكن للعقل سبيل الى ادراك وجهه كالصراط الذي هو ادق من
الشعر واحد من السيف ويمر عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذي يوزن به الاعمال مع انها لا تقبل لكونها
من خواص الاجسام ومقادير النصب واعداد الركعات والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير ان يعلم
ما فيه من الفائدة لا يكون اتيانه به الا لمحض العبادة بخلاف ما لو علم فائدته حيث ربما اتى به لتلك الفائدة فعلى
هذا اذا تلفظ شيئا من هذه الفواتح مع انه لا نفهم منه ما نفهمه من سائر الايات لا يكون تلفظه به الا امتثالا لما
امر به فيكون اقرب الى التعبد قوله بلغة طي فانهم يستعملون لفظ يس في معنى يا انسان روي عن ابن عباس رض
وهو قول اكثر المفسرين ان معناه يا انسان بلغة طي ووجهه ان صح عنه ان يكون اصله يا انيسين تصغير انسان
للتكبير كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب فيكون لفظ يا من يس حرف نداء و
سين شطر انيسين فلما اكثر النداء به في السنتهم اقتصروا على شطره الثاني للتخفيف كما قالوا في م الله من
الله اصله ايمن الله فاقتصروا على شطره الثاني لذلك وايمن الله بضم الميم والنون اسم وضع للقسم وربما حذفوا
منه النون فقالوا ايم الله وربما حذفوا الياء ايضا فقالوا ام الله وربما حذفوا ما عدا الميم المضمومة فقالوا م
الله واورد على هذا القول انه لا يجوز اطلاق اللفظ المصغر على النبي صلى الله عليه وسلم لانه تحقير له فانهم نصوا على
ان التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا حكي ان ابن قتيبة لما قال في المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل
مؤيمن فابدلت الهاء همزة قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله وقد تقدم للزمخشري نحو ط ما يقرب من

وفسرها الاخرون انتهى كلامه ح

هذا البحث ويدفعه ان صيغة التصغير قد يكون لاظهار العطف والتعظيم كما في قول الطبيب والشمال المتكلم بصيغة التصغير هو الله عز وجل وهو لا يقول ولا يفعل الا ما هو صواب وحكمة **قوله** وقرئ بالكسر تحكيه يعني قراءة العامة بسكون النون لان الاصل في الحروف المقطعة البناء على الوقف وقرئ بالكسر تحكيه لان الكسر اصل في تحريك الساكن وهو ابن ابي اسحق السبيعي وقوله بالكسر اشارة الى انها مبنية محكية عن حال التهجي وهي حال الوقف على السكون ولذلك اجتمع فيها التقاء الساكنين كما اجتمع في الكلم التي يوقف عليها فتكون تحريكها على انه من جنس الهرب عن التقاء الساكنين ومثل هذا المبني يجوز بناؤه على الفتح تخفيفه كاين وكيف وعلى الضم كحيث ويجوز ان يكون فتحة يس فتحة اعراب ويكون تقديره اتل يس او ان يكون فتحة غير المنصرف في موضع الجر فان يس غير منصرف للعلمية والتانيث وفي موضع الجر بناء على انه مقسم به باضمار باء القسم اي اقسم بيس على ان يس اسم من اسماء الله تعالى او اسم من اسماء القران او السورة اي اقسم بالكتاب المسمى بيس او اقسم بسورة تسمى يس **قوله** واماله حمزة والكسائي لان يس عندهما اسم مركب من جملة الاسماء وقد وقعت الفها بعد الياء فاميلت لتناسب الياء واذا امالوا يا التي هي حرف نداء فلان يميلوا الياء من يس اجدر لان الحروف لا حظ لها من الامالة بطريق الاصالة فلذلك لا يمال الى وعلى وحتى مع كون الفاتها مرسومة بالياء **قوله** وادغم النون قال الشيخ الشاطبي ويس اظهر عن فتى حقه بدا اي اظهر نون يس عمن اشير اليه بالعين في عن وهو حفص وبالفاء في فتى وهو حمزة وبلفظ حق وهما ابن كثير وابو عمرو وبالباء في بدا وهو قالون وتعين للباقين الادغام وهو ابن عامر والكسائي وابو بكر وورش ووجه الادغام ظاهر لان النون الساكنة قبل الواو تدغم فيها نحو من وال ووجه الاظهار ان حروف الهجاء حقها ان يوقف عليها على البناء لكونها الفاظا مقطعة غير مركبة مع العامل **قوله** لمن الذين ارسلوا يعني ان قوله على صراط متعلق بالمرسلين فان فعل الارسال يتعدى بعلى قال الله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لقوله انك على انه تعالى اقسم بالقران الحكيم على انه صلى الله عليه وسلم من جملة المرسلين وانه على صراط مستقيم فان قوله انك لمن المرسلين جواب القسم والحكيم بمعنى المحكم فان القران محكم بمعنى انه لا يلحقه التغيير بوجه ما كما قال وانا له لحافظون او بمعنى النسب مثل تامر فان القران والحكمة من حيث انه دليل ناطق بالحكمة او هو من قبيل وصف الكلام بصفة المتكلم به او هو بمعنى الحاكم فانه يحكم بما فيه من الاحكام **قوله** وفائدته جواب عما يقال ان حاجة الى قوله على صراط مستقيم سواء جعل متعلقا بالمرسلين او خبرا ثانيا او حالا ومن المعلوم ان الرسل لا يكونون الا على صراط مستقيم وحاصل ما ذكره انه ليس المقصود من ذكر قوله على صراط مستقيم تخصيص المرسلين حتى يقال لا حاجة اليه بل وصف ما جاء به من الشرع صريحا فكانه قال انك لمن المرسلين وانك جئت به صراط مستقيم فسلك طريقة الاختصار بان جمع بين الوصفين في نظام واحد **قوله** خبر محذوف في قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر برفع تنزيل على انه خبر مبتدا محذوف اي هو تنزيل ويجوز ان يكون خبر يس ان جعلته اسما للسورة اي هذه السورة المسماة بيس تنزيل العزيز او هذه الحروف المقطعة منزلة والجملة القسمية على هذا اعتراض وقراءة الباقون بالنصب باضمار اعني والتقدير والقران الحكيم اعني تنزيل العزيز انك لمن المرسلين

لتنذر

لتنذر او باضمار فعله على ان يكون المصدر على اصل معناه ولا يكون بمعنى المفعول ويكون التقدير نزل تنزيلا العزيز الرحيم فاضيف المصدر الى فاعله **قوله** او بمعنى لمن المرسلين اي وهو متعلق بفعل يدل عليه هذا اللفظ اي ارسلناك لتنذر ولا وجه لتعلقه بالمرسلين لان ارسالهم ليس لان ينذر سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين اقتصر على ذكر الانذار لانه المقصود الاهم من البعثة **قوله** قوما ما انذر اباؤهم اشارة الى ان ما نافية وان الجملة المنفية صفة لقوما فالاية نظير قوله تعالى وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فتكون الاية نازلة في حق قوم لم يبلغهم خبر نبي لتطاول مدة الفترة ويجوز ان تكون موصولة بمعنى الذي وان تكون نكرة موصوفة فتكون ما مع صلتها او صفتها منصوبة المحل على انها المفعول الثاني لتنذر ويكون العائد محذوفا والتقدير لتنذر قوما العذاب الذي انذر به اباؤهم او عذابا انذر به اباؤهم وان يكون مصدرية اي لتنذر قوما انذارا مثل انذار ابائهم وعلى هذه الاوجه يثبت الانذار لابائهم فيحمل الاباء على ابائهم الاولين ويجوز ان تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار الانبياء وان تطاول زمان الفترة **قوله** لانهم لم ينذروا فبقوا غافلين يعني ان الفاء داخلة على الحكم المسبب عما قبله وان النفي المتقدم سبب له كما في قوله تعالى السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما فان الفاء فيه داخلة على الحكم وما تقدمه سببه وهي على الوجوه الاخر داخلة على سبب الحكم المتقدم كما في قوله عليه الصلوة والسلام في حق المحرم الذي وقصته ناقته لا تقربوه طيبا فانه يحشر يوم القيمة محرما ملبيا **قوله** تعالى لقد حق القول الجوهري يقال حق الشيء يحق اي وجب والمشهور ان المراد من القول في هذه الاية ومن الكلمة في قوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين هو قوله تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهذا القول لا يتعلق بمن تبع ابليس ونزل في حقهم مؤكدا باللام ونون التاكيد وكان اكثر اهل مكة ممن علم الله تعالى منهم الاصرار على اتباعه وعدم الاعراض عنه واختيار الكفر الى ان يموتوا كانوا ممن وجب وثبت عليهم مضمون هذا القول والفاء في قوله فهم لا يؤمنون اي بانذارك اياهم داخلة على الحكم المسبب عما قبله ثم بين تركهم الايمان فقال انا جعلنا في اعناقهم اغلالا والغل ما يشد به اليد الى العنق للتعذيب والتشديد سواء كان من الحديد او غيره والاية من قبيل الاستعارة التمثيلية اذ ليس هناك غل حقيقي والاقماح تفرع عليه شبه الكفار في تصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه وعدم التفاتهم الى الحق وعدم انعطاف اعناقهم نحوه بالمغلولين المقمحين في عدم التفاتهم الى الحق وعدم انعطافهم نحوه وبالحاصلين بين السدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في عدم تاملهم وعدم تبصرهم وتعاميهم عن النظر في ايات الله تعالى والاقماح رفع الراس الى فوق مع غض البصر من قمح البعير فهو قامح اذا رفع راسه بعد الشرب لارتوائه او لبرودة الماء او لكراهة طعمه **قوله** فالاغلال واصلة الى الاذقان اشارة الى ان قوله فهي راجع الى الاغلال ووجه وصول الغل الى الذقن واما كونه غليظا عريضا يملأ ما بين الصدر والذقن فلا جرم يصل الى الذقن ويرفع الراس الى فوق واما كون طوق الغل الذي يجمع اليدين الى العنق بحيث يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة يدخل فيها راس العمود الواصل بين ذلك الطوق وبين قيد اليد خارجا من الحلقة الى الذقن فلا يخليه يطاطئ راسه فلا يزال مقمحا

... لان الابل اذا وردت الماء فيها رفعت رؤوسها لشدة البرد ...

قوله فهي راجع الى الايدي وان لم يجر لها ذكر فانها في حكم المذكور من حيث ان الغل فيه جامع بين الايدي الى العنق فكفى ذكر احدهما في ارجاع الضمير الى الآخر فان المغلول يكون يديه مجموعة في الغل مرفوعة الى العنق ويؤيد الاول انه تعالى جعل قوله فهم مقمحون نتيجة قوله فهي الى الاذقان فلو كان الضمير للايدي لما كان معنى التسبب ظاهرا في الاقماح على ان الاضمار فيه ضرب من التعسف **قوله** في انهم لا يلتفتون متعلق بقوله شبهناهم والفاء في قوله تعالى فاغشيناهم داخلة على الحكم المسبب عما قبله لان من احاطه السد من جميع جوانبه لا يبصر شيئا والظاهر ان المراد بقوله تعالى بين ايديهم ومن خلفهم ليس جهتي القدام والخلف فقط بل ما يعم جميع الجهات الا ان جهة القدام لما كانت اشرف الجهات واظهرها وجهة الخلف كانت ضدها خصتا بالذكر ويدل عليه ان المقصود جعل وجه الشبه كونهم محبوسين في مطمورة الجهل فان حفرة الجهل وظلمته تحيط بالجاهل من جميع جوانبه لا من امامه وخلفه فقط فينبغي ان يكون المانع في جانب المشبه به ايضا متحققا في جميع جوانبه ويظهر بذلك ترتب قوله فاغشيناهم على جعل السد والمعنى جعلنا بهم محاطا بالسد من جميع جوانبهم فاغشيناهم ان جعلنا على ابصارهم غشاوة فلا يبصرون شيئا اصلا والغشاء كالغطاء وزنا ومعنى وهو ما تغطيت به وقوله فاغشيناهم تقديره فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة فحذف المضاف قال الامام المانع عن النظر في الآيات والدلائل قسمان قسم يمنع عن النظر في الآيات التي في انفسهم فشبه ذلك بالغل الذي يجعل صاحبه مقمحا لا يرى نفسه ولا يقع بصره على بدنه وقسم يمنع عن النظر في آيات الآفاق فشبه ذلك بالسد المحيط فان المحاط بالسد لا يقع نظره على الآفاق فلا يتبين له الآيات التي في الآفاق كما ان المقمح لا يتبين له الآيات التي في الانفس فمن ابتلي بهما حرم عن النظر بالكلية لان الدلائل والآيات منحصرة فيهما كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم فقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم مع قوله وجعلنا من بين ايديهم سدا الآية اشارة الى عدم هدايتهم لآيات الله تعالى في الانفس والآفاق **قوله** وقرأ حمزة الخ وقرأ الاربع الباقية سدا بضم السين **قوله** وقرئ فاعشيناهم بالعين المهملة من العشى مقصورا وهو مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار يقال اعشاه الله فعشي بالكسر يعشى عشى والمعنى اضعفنا ابصارهم عن ادراك الهدى كما اضعفت عين الاعشى والقراءتان متقاربتان من حيث المعنى **قوله** ان يرضخ الرضخ بالضاد المعجمة وبالحاء المهملة والمعجمة لغتان بمعنى وهو كسر الشيء بالحجر يقال رضخت رأس الحية بالحجارة فعلى هذا القول يكون الآية الاولى في مخزومي بعينه وهو ابو جهل والآية الثانية في آخر بعينه ويكون ضمير الجمع فيهما على طريق قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل واحد منهم وقال القرطبي ان المخزومي الثاني هو الوليد بن المغيرة وكان هناك مخزومي ثالث قال والله لاشدخن انا رأسه ثم اخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقيل له ما شأنك قال عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فاذا فحل يخطر بذنبه ما رأيت قط فحلا اعظم منه حال بيني وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لاكلني فانزل الله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى آخر الآيتين لما اخبر الله تعالى عنهم بانهم لا يؤمنون بانذاره اياهم وعلله بانه لما علم منهم اختيار الكفر والا

صرار

فعلم بهذا ان الفاء في قوله فهي الى الاذقان للتعقيب وفي قوله فهم مقمحون فاء النتيجة منه

قوله ومن احاط عطف على الذين غلت مثلهم تارة بالذين غلت اعناقهم وتارة بالذين احاط بهم سدان وكل واحد من التمثيلين من قبيل الاستعارة المركبة ح

والاصرار عليه شاء منهم ذلك ولم يوفقهم للايمان والطاعة وجعلهم بمنزلة المغلول المقمح وبمنزلة من احاط به السد من جوانبه بين ان الانذار لا ينفعهم مع ما فعل الله تعالى بهم من الغل والسد والاغشاء والاعماء فقال وسواء عليهم أأنذرتهم الآية وسواء خبر لما بعده اي انذارك وعدمه سيان عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر فان الخبر في المعنى وصف قائم بالمبتدأ وعدل عن المصدر الى الفعل فقيل أأنذرتهم لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء **قوله** انذارا يترتب عليه البغية المرومة (المطلوبة) اشارة الى وجه الجمع بين قوله لتنذر قوما وبين قوله انما تنذر فان الاول يقتضي الانذار العام والثاني يقتضي تخصيصه بمن اتبع الذكر وخشي فكلفه اولا بانذار الناس كافة ارشادا لمن اطاع والزاما للحجة على من ابى واستكبر وينال المنذر ثواب الانذار والتبليغ سواء كان مفيدا او لم يفد فان الانذار وعدمه ليسا مستويين بالنسبة اليه عليه الصلوة والسلام لخروجه بالانذار عن عهدة ما كلف به ويكون ذلك سببا في زيادة شرفه في الدنيا والآخرة بل هما مستويان بالنسبة اليهم ثم بين ان الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من اتبع الذكر اي القرآن وما فيه من آيات التذكر والوعظ على ان يراد بالذكر القرآن الذي تقدم ذكره في قوله والقرآن الحكيم وقد عبر عن القرآن بالذكر في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر **قوله** وخاف عقابه قبل حلوله اشارة الى ان مفعول خشي مقدر وان قوله بالغيب حال من ذلك المقدر اي خشي عقاب الرحمن حال كون ذلك العقاب غائبا عنه وقوله او في سريرته اشارة الى جواز كونه حالا من المنوي في خشي حال كونه غائبا عن الناس في خلوته **قوله** ولا يغتر برحمته جواب عما يقال والتنوين في قوله تعالى بمغفرة للتعظيم اي فبشره بمغفرة واسعة من جميع جوانبه **قوله** الاموات بالبعث اي يحتمل ان يكون كل واحد من لفظي الاحياء والاموات حقيقة ويكون المعنى نحن نحيي من في القبور بالبعث وان يكون الاحياء مجازا عن الهداية والموتى مجازا عن الجهال وعلى التقديرين يكون الآية استئنافا اما على الاول فلانه تعالى لما اقسم على انه ارسله لانذار العصاة بانتقام الملك القهار ولتبشير المطيعين بالاجر الكريم اخبر انه تعالى يكون ذلك ولم يظهر بكماله في الدنيا فاجيب عنه على طريق الاستئناف بان ذلك لم يرد في الدنيا فالله تعالى يحيي الموتى ويجزيهم على حسب اعمالهم فيكون الآية اشارة الى اصل آخر وهو الحشر بعد تحقيق اصل الرسالة واما على تقدير ان يكون احياء الموتى مجازا عن هداية الجهال واخراجهم من الشرك الى الايمان فوجه الاستئناف ح انه تعالى لما ذكر انه عليه الصلوة والسلام مرسل للانذار تبين الحكمة فيه فقال انا نحن نحيي الجهال الذين ماتت قلوبهم بجهلها عن العقائد الحقة بان نملأ قلوبهم بنور الايمان والطاعة فان قيل الكتابة قبل الاحياء فكيف اخر في الذكر حيث قيل نحيي ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم فالجواب ان الكتابة ليست مقصودة لذاتها وانما يكون مقصودة ومعظمة لامر الاحياء ولولا الاحياء والاعادة لما ظهر للكتابة فائدة اصلا فلما كان الاحياء هو المقصود اصالة قدم على الكتابة تعظيما واعتناء لشأنه ولان قوله انا نحن ينبئ عن عظمة المتكلم وجبروته فالمناسب له ان يقدم من الافعال المسندة اليه ما هو اظهر واقوى في الدلالة على العظمة والجلال والاحياء ادل عليها بالنسبة الى الكتابة فلذلك قدم عليها فسر ما قدموه بما عملوه

وتقريره ان معنى الاول لتنذرهم على العموم سواء كان مفيدا او لم يكن ومعنى قوله انما تنذر ان الانذار المفيد لا يكون الا بالنسبة الى من اتبع الذكر اي القرآن صح احمد

هذا اورده من الصفات الالهية ما ينبئ عن القهر والانتقام فان ذلك يحصل الخشية واورد ما ينبئ عن اللطف والانعام فان ذلك يحصل الفرار عن العقاب الامن اهل الحياء والادب صح

مجاز مستعار شبه الجهل بالموت والهداية بالحيوة فاستعير لفظ الموتى للجهال ولفظ الاحياء للهداية صح

بالاشارة الى ان الكتابة لاجل الحساب والموافقة اليه انما يكون لاجل الجزاء قد ذكر في قوة ذكر الكتاب منه

في الدنيا من الاعمال صالحة كانت او فاسدة وفسر اثارهم بما هلكوا عنه وسنوه لمن بعدهم فانه كما يجازى المرء
بما باشره من الاعمال يجازى بكونه سببا لمباشرة من بعده لقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها
واجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجر العامل شيء ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من اوزار من سنها شيء وقيل المراد باثارهم اثار المشائين الى المساجد فان جماعة
من الصحابة رض بعدت دورهم عن المسجد فارادوا النقلة الى جوار المسجد فقال عليه الصلوة والسلام ان الله
يكتب خطواتكم ويثيبكم عليها فالزموا بيوتكم وروى عن جابر رض قال ارادنا النقلة الى جوار المسجد والبقاع
حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى في ديارنا وقال يا بنى سلمة بلغنى انكم تريدون النقلة
الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما يكتب اثاركم قال فما وددنا
حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت الاية وعن ابى موسى الاشعرى رض قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اعظم الناس اجرا في الصلوة ابعدهم اليها ممشى فابعدهم وعن عمر بن عبد العزيز رح
لو كان الله تعالى مغفلا شيئا لاغفل بهذه الاثار التى الرياح بعفى ان الله تعالى لا يترك الجزاء على الخطى سواء
كانت في حسنة او في سيئة واصل الاحصاء العد ثم استعير للبيان والحفظ لان العد يكون لاجلهما بين الله تعالى
ان كل شيء قدموه من خير وشر وكذا كل شيء سنوه لمن بعدهم يكتب عليهم ثم بين انه قد حصل العلم وفرغ عن كتبة
ما هو كائن الى يوم القيمة فانه تعالى كتب عليهم في اللوح انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا اكتب عليهم انهم فعلوه
سمى اللوح اماما لانه يؤتم به ويتبع ولا يخالف والمبين هو المظهر للاشياء واللوح كذلك بالنسبة الى من طالعه
لانه ما من شيء الا اكتب فيه فجميع احواله **قوله** ومثل لهم فان اضرب لما كان مشتقا من الضرب بمعنى المثال كان معنى
اضرب لهم مثلا مثل لاجلهم اى اورد واذكر مثلا اى مثل اصحاب القرية اى قصتهم العجيبة فالمثل المقدر بدل او
بيان للملفوظ لان اضرب بهذا المعنى يتعدى الى مفعول واحد وقد استوفاه بقوله مثلا ولا يتعدى الى اثنين الا
اذا عبر بتضمنه معنى الجعل فيكون مثل اصحاب القرية مفعولا اول له ومثلا مفعولا ثانيا وانطاكية بالتخفيف اسم
مدينة معروفة والمثل له معنى لغوى وهو الشبه والنظير ومعنى عرفى وهو القول السائر المشبه مضربه بمورده على
طريق تشبيه الحال بالحال المستعمل في المضرب بطريق استعمال لفظ المشبه به في المشبه ومعنى مجازى مستعار له من
المعنى العرفى وهو الحال العجيبة والقصة الغريبة او الصفة البديعة تشبيها للكلام احاده منها بالقول السائر في الغرابة لان
القول السائر لا يكون سائرا اشتهر بين الناس الا لغرابة فيه فقوله تعالى مثل الجنة اى صفتها العجيبة التى هى في الغرابة
كالقول السائر وقوله تعالى ولله المثل الاعلى اى ولله الوصف العجيب الشان ولما كانت لاصحاب القرية قصة عجيبة وهى
انهم بعث اليهم رسل يدعونهم الى الله تعالى فامن من امن منهم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبرئيل عليه الصلوة والسلام
فهلكوا امر الله تعالى سيد المرسلين عليه الصلوة والسلام وعليهم بانذار مشركى مكة بتذكيرهم قصة اهل انطاكية
ليتحذروا عن ان يحل بهم ما نزل بكفار اهل تلك القرية **قوله** اذ جاءها بدل من اصحاب القرية اى من المضاف

مطلب

من المضاف المقدر بدل الاشتمال لاشتمال الظروف على ما حل فيها كانه قيل واضرب لهم وقت مجىء المرسلين مثلا
ومثل ذلك الوقت بوقت مجىء محمد صلى الله عليه وسلم واذا الثانية وهى التى في قوله تعالى اذ ارسلنا بدل من اذ
الاولى كانه قيل واضرب لهم مثلا وقت ارسالنا اثنين الى اصحاب القرية **قوله** واضافته الى نفسه مع انهم رسل
عيسى عليه الصلوة والسلام جاؤها بارساله لان الارسال فعل رسوله فان فعل الرسول يسند الى آمره اذا فعله
الرسول باذن الآمر فلما كان عيسى مأذونا من قبل الله تعالى في ارسال الرسول اسند الارسال اليه تعالى وكانت
الرسل رسل الله تعالى ويؤيده مسئلة فقهية وهى ان وكيل الوكيل باذن الموكل بان قال الموكل له اعمل برأيك يكون
وكيلا للموكل لا للوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول قيل القول بكون القرية"
انطاكية ضعيف لان اهل انطاكية لما بعث اليهم عيسى عليه الصلوة والسلام ثلثة من الحواريين كانوا اول
اهل مدينة امنوا بعيسى في ذلك الوقت ولهذا كانت احدى المدن الاربع التى يكون فيها بطارقة النصارى وهى
انطاكية والقدس واسكندرية ورومية ثم بعدها قسطنطينية ولم يهلكوا واهل هذه القرية المذكورة اهلكوا
لقوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون وفي كلام المص اشارة الى التوفيق بين اهلاك اهل انطاكية بالصيحة
وبين كونهم اول مدينة امنوا بعيسى عليه الصلوة والسلام فان ايمان الملك في حق من تبعه يكفى في صحة القول بان اهل انطاكية
اول مدينة امنوا به وكذا اهلاك من لم يؤمن منهم بالصيحة يكفى في صحة اهلاك اهلها **قوله** فقوينا فرح بين قراءتى
التخفيف والتثقيل فجعل المخفف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه قوله تعالى وعزنى في الخطاب وقولهم في المثل من عز بز اى من غلب
سلب اى اخذ السلب وجعل المشدد بمعنى قوينا وكثرنا قال الكواشى القراءة فعززنا مخففا من عزه غلبه والمفعول
محذوف اى غلبنا اهل القرية برسول ثالث وعززنا مشددا من القوة والمفعول محذوف ايضا اى قوينا المرسلين
برسول ثالث لان عيسى عليه الصلوة والسلام بعد ما بعث الرسولين بعث شمعون تقوية لهما وكان شمعون الصفا
رأس الحواريين فدخل المدينة متنكرا لم يعرف امره ورسالته فاله امره ورسالته الى ان انس به الملك ذكر في القصة
ان عيسى ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فدعواه الى الله
وقالا نحن رسولا عيسى ندعوكم الى طاعة الله تعالى فطالبهما بالمعجزة فقالا نحن نشفى المرضى وكان له ابن مجنون وقيل
مريض على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فامن الرجل بالله وقيل هو الذى جاء من اقصى المدينة يسعى ففشا
امرهما وشفيا كثيرا من المرضى فارسل الملك اليهما وكان الملك يعبد الاصنام فسئلهما فقالا نحن رسولا عيسى عليه الصلوة
والسلام قال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونبرئ المرضى باذن الله وندعوك الى عبادة الله تعالى وحده فهم
الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك وجلد كل منهما مائة جلدة فانتهى الخبر الى عيسى فارسل ثالثا قيل هو شمعون الصفا
رأس الحواريين لينصرهما فجاء القرية وعاشر حاشية الملك حتى تمكن منهم واستأنسوا به ورفعوا حديثه الى
الملك فانس به واظهر موافقته في دينه فرضى الملك طريقته ثم قال يوما للملك بلغنى انك حبست رجلين دعواك الى الله
فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال ان الغضب حال بينى وبين سؤالهما فقال لو احضرتهما حتى نطلع ما عندهما"

والاول وصح ان يكون اول الثانية
ظرفا لجاءها اى جاءها المرسلون
حين ارسلناهم منه

وفيه تمهيد للاعتذار عن تسمية رسل عيسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانه قيل لا بعد في ان يسمى
حاضر رسول اى اولئك كانوا رسل الرسول
وزمانهم رسل الله فلذلك سموا وقيل بينهم
كذلك بينهم منه

يمكن ان كانت الرسل الثلثة المذكورة
في القرآن يبعثوا الى اهل انطاكية قبل
تمكنهم فاهلكهم الله تعالى ثم عمرت بعد
ذلك فلما كان في زمن المسيح امنوا برسله
اليهم فيجوز والله اعلم ابن عادل

ولم يكن التعيين الاثنين والثالث
من الرسل فائدة معتدة بها لكن اختلف
الثقاة من اهل التفسير واصحاب التواريخ
وارباب السير في التعيين قال العلامة
قاضى القضاة في تاريخه فقيل كانوا
ثلثة صادق وصدوق وشلوم بعثهم
الله تعالى الى انطاكية فلا تعيين فيه
للثالث وقال البيضاوى وغيره والاثنان
يحيى ويونس والثالث شمعون و
شمعون بفتح الشين المعجمة وسكون
الميم وضم العين المهملة وبعدها واو
وبعدها نون ويونس بفتح الباء الموحدة
وسكون الواو واخره سين مهملة و
يحيى بضم الباء المثناة التحتانية وفتح
الحاء المهملة والنون المشددة المفتوحة
وبعدها الف فيحيى ويونس المذكوران
في القرآن غلط ههنا فلا تغلط ثم جعل
الثالث حبيب النجار كما ذكره الكبير منهم
المحقق في شرح التلخيص سهو محض
وبالجملة التعيين مشكل وغير مفيد
عوض افندى رح

فامر الملك باحضارهما فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيانه فقالا نبرئ الاكمه والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين
موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين
يبصر بهما فتعجب الملك فقال ان ههنا غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى يجيء ابوه فهل يحييه ربكما فدعوا الله تعالى
علانية ودعا شمعون سرا فقام الميت حيا فقال للناس اني قد مت منذ سبعة ايام فوجدت مشركا فادخلت
في سبعة اودية من النار فاحذركم عما انتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه وهو عيسى يشفع
لهؤلاء الثلثة شمعون وصاحبيه حتى احياني الله تعالى وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان عيسى روح
الله وكلمته وان هؤلاء الثلثة رسل الله فقالوا له وهذا شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم شمعون انه
رسول المسيح اليهم فاثر قوله في الملك ودعاه الى الله تعالى فآمن الملك في اقوام كثيرة وكفر آخرون وحكى التفسير انه الملك
امن ولم يؤمن قومه وصاح جبرئيل عليه الصلوة والسلام صيحة مات بها كل من لم يؤمن من اهل القرية وروي ان عيسى
لما امرهم ان يذهبوا الى القرية قالوا يا نبي الله انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم ولغاتهم فدعا الله تعالى فناموا بمكانهم فهبوا
من نومهم وقد حملتهم الملائكة والقتهم في ارض انطاكية فكلم كل واحد منهم صاحبه بلغات القوم **قوله** وحذف المفعول
قد مر ان مفعول عززنا محذوف في كل واحدة من القراءتين والتقدير فقويناهما بثالث او فغلبنا اصحاب القرية
بثالث وذكر المص لحذفه وجهين حاصل الاول ان الفعل ليس منزل منزلة اللازم وان تعلقه بالمفعول مراد الا انه
حذف لدلالة القرينة عليه وكون ذكره بمنزلة العبث وحاصل الثاني ان الفعل منزل منزلة اللازم من حيث
ان المقصود ليس الا اثباته لفاعله مع اعتبار تعلقه بمفعوله الغير الصريح وبيان تعلقه بمفعوله الصريح ليس بمراد
فان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وبيان تدبيره اللطيف الذي به عز الحق وذل الباطل وليس بيان
المعزز وتعلق الفعل به بمراد فيجب ان يصاغ اللفظ على قدر الحاجة ويطرح ما زاد عليه **قوله** مطموس العينين اي
لا يتميز موضع عينيه عن جبهته والطموس الدروس والامحاء وقد طمس الطريق يطمس ويطمس اذا كان بحيث لا
يتميز عن جانبيه لما ارسل عيسى عليه الصلوة والسلام شمعون وقوى به امر من بعثهما قبله اظهر امره وبدل تنكره
ووافق صاحبيه فقالوا جميعا لاهل انطاكية انا اليكم مرسلون فآمن من آمن من القوم وقال الآخرون ما انتم الا بشر
مثلنا ولما كان الاستواء في البشرية والاتحاد في الحقيقة النوعية مستلزما بعدم جواز اختلاف الافراد بحسب اللوازم
والخواص على زعمهم بناء على انهم لم يعتقدوا ان الله تعالى فاعل مختار يصطفي لرسالته من يشاء من عباده فلذلك كنوا
بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا عن انكار اختصاص المرسلين بالرسالة اليهم وعن انكار اختصاص انفسهم بوجوب
طاعة المرسل عليهم ثم قالوا وما انزل الرحمن من شيء اي من الوحي السماوي ومن رسول يبلغ ذلك الوحي اليكم
فكيف صرتم رسولا وكيف يجب علينا طاعتكم وهو من تتمة الكناية المذكورة سابقا لانه يستلزم الانكار المذكور
ايضا ويحتمل ان يكون شبهة اخرى فانهم لما قرروا شبهتهم بالنظر الى المرسلين بقولهم ما انتم الا بشر مثلنا
فلا يجوز رجحانكم علينا ذكروا شبهة اخرى من جهة المرسل وهي انه تعالى ليس بمنزل شيئا في هذا العالم فان تصرفه

يكذبون قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه ممن يؤمن احد سوى حبيب ولو ان الملك وقوما من حواشيه آمنوا لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا او قتلوا في ذلك كحبيب النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة ملائه فيعتزل عنهم معتذرا بعذر من الاعذار انتهى

فانه اذا كان المقصود من ذكر الجملة الفعلية الاخبار بوقوع الفعل عن فاعله باعتبار تعلقه بمن وقع عليه من القرينة ويكون البعض منها مقدرا عند وجود ما يدل عليه والمقدر كالمذكور فيفهم السامع منها ان كل واحد من اثبات الفعل لفاعله وبيان تعلقه بمن وقع عليه داخل تحت قصد المخبر

فان تصرفه في العالم العلوي والآثار السفلية مستندة الى الكواكب والاوثان صورها فالله تعالى خصص اسم الرحمن للتعبير عن
ذاته المقدسة ردا عليهم لانه تعالى لما كان رحمن الدنيا والارسال رحمة فكيف لا ينزل رحمته وهو رحمن **قوله** ورفع بعض يعني
ان كلمة ما في قوله تعالى ما انتم هي المشبهة بليس وهي تعمل عمل ليس كما في قوله تعالى ما هذا بشرا الا انها انما تعمل لمشابهتها بليس
في النفي فاذا انتقض النفي بالا لم يبق المشابهة فلم تعمل **قوله** وزاد اللام جواب عما يقال ما الفرق بين قوله تعالى انا اليكم
مرسلون وبين قوله قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون حتى يجرد الخبر في الاول من لام التاكيد وتدخل في خبر الثانية و
تقرير الجواب يستدعي تمهيد مقدمة وهي ان الاخبار ثلثة اقسام ابتدائي وطلبي وانكاري لانه ان اخبر به من لم يكن له تردد
في نسبة احد الطرفين الى الاخر يقال له ابتدائي نحو زيد عارف وان اخبر به من هو متردد في ذلك طالب له منكرا ابا بعض
الانكار يقال له طلبي وان اخبر به من يبالغ في انكاره يقال له انكاري فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة حذرا
عن اللغو فالقسم الاول يستغنى فيه عن مؤكدات الحكم والقسم الثاني حسن تقويته بمؤكد والقسم الثالث يجب
تاكيد الحكم فيه بحسب الانكار وكلما ازداد الانكار زيد في التاكيد فرسل عيسى عليه الصلوة والسلام لما كذبوا في المرة
الاولى بمجرد الانكار والتكذيب من غير ان يبالغوا فيه لقوله تعالى اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما وتكذيب الاثنين تكذيب
للثالث ايضا لاتحاد المرسل والمرسل اليه والمرسل به اجابوا بقولهم انا اليكم مرسلون مؤكدا بان واسمية الجملة
ولم يزيدوا اللام في خبر ان ثم ان المكذبين لما اشتد انكارهم حيث قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن
من شيء ان انتم الا تكذبون فانه لاشتماله على كلمة الحصر واسمية الجملة واسلوب الكناية لان البشرية منافية
للرسالة في زعمهم اجيبوا بكلام مشتمل على وجوه من التاكيد وهو قولهم ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون ووجوه التاكيد
فيه انه استشهاد بعلم الله الجاري مجرى القسم في التاكيد واسمية الجملة وان واللام وقولهم وما علينا الا البلاغ المبين
تسلية لانفسهم لانا خرجنا عن عهدة ما علينا وهو البلاغ الظاهر البين على ان المبين من ابان بمعنى بان
وكونه بينا عبارة عن ظهور صحته بكونه مقرونا بالدلائل القاطعة والمعجزات الباهرة وفيه تعريض لهم بان
انكارهم للحق ليس لخفاء حاله وصحته بل هو مبني على محض العناد والحمية الجاهلية كانه قيل لما خرجنا عن عهدة
ما علينا من طاعة ربنا حيث بلغنا رسالته اليكم وحققنا صدقنا بالبينات القاطعة والمعجزات الباهرة وليس في وسعنا
اجباركم على الايمان ولا ان توقع في قلوبكم العلم بصدقنا ان ظهر منكم الانكار لا مرنا على وجه المكابرة والعناد **قوله** وهو
المحسن لقولهم وما علينا الا البلاغ المبين لما كان بمنزلة اقامة البينة على ما ادعوه من الرسالة حسن لهم ان
يجيبوا بالاخبار برسالتهم مؤكدا باليمين والاستشهاد بعلم الله تعالى فان من كذب في دعواه لو قال والله اني لصادق
فيما قلته من غير ان يقيم البينة على ما ادعاه لا يستفيد منه ذلك ولم يسمع قوله ولا ينتهض عليه الا من عجز عن اقامة
الدليل ولم يبق له متشبث سوى الحلف بالله وتعليمه فكان قولهم وما علينا الا انه بمنزلة البينة المحققة لليمين
المدعى فلما كان جوابهم بعد هذا الا ان قالوا انا تطيرنا بكم ان يكونكم بين اظهرنا واصل التطير التفاؤل بالطير فانهم
يزعمون ان الطائر السانح سبب للخير والبارح سبب للشر ثم استعمل في كل ما يتشاءم به ووجه تشاؤمهم بالرسل

في علم الله تعالى [illegible] السنة والنبوة [illegible]

وفعله ووجه تطيرهم بهم حسب الطبائع عندهم [illegible] والظاهر ان وجه التطير قد ذكره [illegible] ما اختاره المص سلمه

انهم دعوة القوم الى دين غير ما الفوه فاستقبحوه واستنكروه ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة فتشاءموا بمن دعا اليه كانهم
قالوا اعاذنا الله مما تدعونا اليه ما سمعنا بهذا قبل مجيئكم فكنتم لنا بمنزلة الطائر البارح مع ان مقتضى الرسالة
انذار المرسل اليهم بمكروه يلحقهم واهليهم وما يتعلق بهم من اسبابهم ان لم يؤمنوا فلذلك تشاءموا بالمنذر به و
قالوا لهم سمعنا منكم ما نتطير به فكفوا عنه ولا تعودوا الى مثله لئن لم تنتهوا اي والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم و
دعوتكم ايانا الى التوحيد ورفض الالهة لنرجمنكم اي لنقتلنكم شر القتلات وهو القتل بالحجارة وقيل الرجم الرمي
بالحجارة وان لم يؤد الى الموت وقيل هو الرمي بالقول القبيح فيكون لنرجمنكم بمعنى لنشتمنكم فان فسر الرجم بالرمي
بالحجارة يكون قولهم وليمسنكم منا عذاب اليم بمعنى لا نكتفي برجمكم بالحجارة وجرحكم بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم
او بمعنى يمسكم بسبب الرجم منا عذاب اليم اي مولم وان فسر بالشتم يكون المعنى لا نكتفي بالشتم بل شتمنا مؤد الى القتل
والايلام الحسي **قوله** سبب شؤمكم لما كان التطير بمعنى التشاؤم مطلقا كان الطائر بمعنى ما يتشاءم به مطلقا فيتناول
سوء العقيدة والاعمال فاجابهم الرسل بان ما اصابكم من المكاره ليس بسببنا وانما سبب شؤمكم ما معكم من سوء
الحال **قوله** وقرئ طيركم على لفظ المصدر وهو اسم جنس فيكون تفسيره واسباب شؤمكم وقرأ السبعة ائن ذكرتم بهمزة
استفهام بعدها ان الشرطية انكارا وتوبيخا لهم على تطيرهم وتوعدهم بالرجم والتعذيب عند ما ذكروا ووعظوا و
قرئ آان ذكرتم بالف بين الهمزتين وقرئ أان بهمزة الاستفهام وان الناصبة اي انطيرتم لان ذكرتم وقرئ
ان ذكرتم وأين ذكرتم بفتح الهمزة وكسرها بلا استفهام فيكون اخبارا اي تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم تطيرتم
وقرئ اين على مثال كيف ذكرتم بتخفيف الكاف اي شؤمكم معكم اين جرى ذكركم وهو ابلغ في الدلالة على الشؤم وان ثمة بهم
لانه اذا كان موضع ذكرهم مهبط الشؤم فكيف بمكان حلوا فيه بانفسهم فان المكان اذا كان بسبب ذكرهم فيه شؤما
يكون المكان بسبب حلولهم فيه اشأم **قوله** وجواب الشرط محذوف اختلف سيبويه ويونس في انه اذا اجتمع
استفهام وشرط ايهما يجاب فذهب سيبويه الى اجابة الاستفهام ويونس الى اجابة الشرط فالتقدير عند سيبويه ائن ذكرتم
تتطيرون وعند يونس تتطيروا مجزوما واختار المص قول يونس فمعنى كلامه ان جواب الشرط الذي يقوم مقام جواب
الاستفهام محذوف **قوله** قوم عادتكم الاسراف الاستمرار مستفاد من اسمية الجملة واشار الى ان الاسراف ان اريد به
الاسراف في العصيان والتجاوز فيه عن الحد يكون الكلام اضرابا عن الانكار المدلول عليه بقوله ائن ذكرتم وهو انكار
ان يكون تذكير الرسل اياهم سببا لشؤمهم وهو المعنى على تقدير ان يكون جواب الشرط المحذوف مثل تطيرتم او توعدتم كانه
قيل ايكون تذكيرنا المقرون بالمعجزات والبراهين سببا لشؤمكم لا والله بل انتم قوم مسرفون في العصيان فلذلك
جاءكم الشؤم وان اريد بالاسراف الاسراف في الضلال يكون الكلام اضرابا عن انكار ان يكون تذكير الرسل اياهم سببا لتوعدهم
كما هو المعنى على تقدير ان يكون ناظرا الى توعدتم كانه قيل ايكون تذكيرنا الظاهر البين سببا لتوعدكم ايانا لا والله بل سبب توعدكم
انما هو اسرافكم في الضلال **قوله** هو حبيب النجار وهو المشهور عند العلماء بصاحب يس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب رض وصاحب يس ومؤمن آل فرعون وهو

وائن بهمزة الاستفهام وان شرطية [illegible] ابن جرير ذكركم [illegible] عليه [illegible] ما تقدم [illegible] لا يحتاج الى [illegible] يجوز تقديم الجواب [illegible] الحذف ويكون ما تقدم عليه جوابه

وهو ممن آمن بسيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما
ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وكان سبب ايمانه به انه كان من العلماء بكتاب الله تعالى ورأى فيه نعته ووقت بعثته
فآمن به قبل ظهوره ذكر انه نكر رجل لتعظيم شأنه لا لكونه رجلا منكرا غير معلوم فانه رجل معروف معلوم عند الله تعالى واقصى
المدينة ابعد جوانبها يقال قصي المكان يقصو قصوا اي بعد فهو قصي يقال بالمكان الاقصى والناحية القصوى وكان منزل
الرجل عند اقصى باب في المدينة وفي مجيئه من اقصى المدينة بيان لكون الرسل اتوا بالبلاغ المبين حتى بلغت دعوتهم
الى اقصى المدينة حيث آمن الرجل الساعي وقوله يسعى اي يعدو وقيل يقصد وجه الله تعالى بالذب عن رسله وهو ما
قوله وسعى لا سعيا والمقصود منه ارشاد المسلمين وترغيبهم في بذل الجهد في نصح رسول الله تعالى عليه وسلم
والذب عنه روي ان القوم عزموا على قتل هؤلاء الرسل فسمع هذا الرجل ليخلصهم وقد كان يكتم ايمانه **قوله**
وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فسمع كما ذكر اولا بقوله فلما قربا الى المدينة رأيا حبيب النجار يرعى غنما الى قوله
فآمن حبيب فانه صريح في انه انما آمن على يديهما بدعوتهما وهذا القول يدل على انه كان قد آمن من قبل مجيئهما الا انه
لم يظهر ايمانه الى ان بلغه خبر الرسل وعن وهب انه قال كان حبيب مجذوما ومنزله عند اقصى باب من ابواب المدينة
وكان عكف على عبادة الاصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره فلم يستجيبوا له فلما ابصر الرسل
دعوه الى عبادة الله فقال هل لكم من آية قالوا نعم ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك من الضر فقال ان هذا لعجب ادعو
هذه الآلهة سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع افيفرجه ربكم في غداة واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع
شيئا ولا تضر فدعوا ربهم فكشف الله تعالى ما به كان لم يكن به بأس فآمن واقبل على التكسب على الوجه المشروع فيكسب بالنهار
ويجمع كسبه اذا امسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف فلما بلغه ان قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم
فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اضاف القوم الى نفسه حيث قال يا قوم للاشارة الى انه غير متهم بارادة السوء بهم ترغيب
قومه في اتباع الرسل بان قال لهم انهم مرسلون بشهادة ما معهم من الآيات الشاهدة على رسالتهم وقوله اتبعوا من
لا يسألكم اجرا بدل من المرسلين معمول لاتبعوا الاول والثاني تاكيد لفظي للاول فكان الرجل لما قال اتبعوا المرسلين
شك القوم في رسالتهم فتنزل الرجل درجة فقال هب انهم ليسوا مرسلين ما دين ليسوا بمهتدين في توحيد الله انهم
ليسوا بمتهمين بطلب الاجرة على الدعوة والانذار والمهتدين الى الطريق الحق الموصل الى خير الدارين اذا لم يكن متهما
في الدعوة اليه يجب اتباعه وان لم يكن رسولا لانه يصلح لان يتخذ دليلا ان من اتبعه لا يخسر باتباعه شيئا من دنياه
بل يربح ملكا دائما ونعيما مقيما فلما قال لقومه ذلك قالوا له انت على دين الرسل وكان يكتم ايمانه فقال عاتبا على
نفسه تبريا لهم واثباتا للحجة عليهم وما لي لا اعبد الذي فطرني والخلق والايجاد نعمة عظيمة توجب الشكر صور الحجة في
حق نفسه حيث اضاف نعمة الايجاد الى نفسه مع انه قصد ارشاد قومه تلطفا في الارشاد واضاف البعث الى
قومه تعريضا لهم على تركهم عبادة خالقهم ومبالغة في تهديدهم وقرأ حمزة ويعقوب وما لي باسكان الياء والباقون
بفتحها ثم عاد الى الاسلوب الاول وهو ابراز الكلام في صورة النصيحة لنفسه فقال أأتخذ من دونه آلهة اي لا اتخذ لانه

[illegible] تنبيه قومه على النصيحة [illegible] وحرصا على نصيحته [illegible] قومه تعالى

استفهام انكار وقوله لا تغن جواب الشرط والجملة الشرطية في محل النصب على انها صفة لآلهة او استئناف لا محل لها ولا في
قوله لا تغن للنفي ولا يجوز ان يقع موقعها ما لان ما وضع لنفي الحال نحو ما يفعل وما زيد منطلقا ولا لنفي الاستقبال نحو لا يفعل جزاء
الشرط مستقبل لا يقال **قوله** لا تنفعني شفاعتهم صدقه على وجهين الاول انهم يشفعون ولا تقبل شفاعتهم الثاني انهم لا شفاعة
لهم فتنفع وهذا هو المراد ههنا دون الاول لان الشفاعة يوم الجزاء مقبولة البتة اذ لا شفاعة يومئذ الا لمن اذن له
فيها وقوله ولا ينقذون عطف على تغن بمعنى وعلامة الجزم حذف نون الاعراب لان اصله لا ينقذونني والانقاذ التخليص
اي لا يخلصونني من ذلك الضرر والمكروه ثم قال اني اذا اي لو عبدت من دونه ما ليس بشيء واتخذت الها من عجز غيره وقدرة
الله تعالى على خلق بدء وعوده وعلى تعذيبي لفي ضلال مبين اي خطأ بين **قوله** وقيل الخطاب للرسل خاطبهم واشهدهم
على ايمانه بقوله فاسمعون اي اسمعوا قولي واشهدوا على ايماني وعلى تقدير ان يكون الخطاب لقومه يكون المعنى اجيبوني في
وعظي ونصحي واقبلوا قولي كما يقال سمع الله لمن حمده فلما فرغ من نصحه لهم وثبوا عليه وقتلوه وقيل لما قال لقومه اتبعوا
المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون رفعوه الى الملك وقالوا قد اتبعت عدونا فطول معهم الكلام ليشغلهم
بذلك عن قتل الرسل الى ان قال اني آمنت بربكم فوثبوا عليه فقتلوه وباشتغالهم بقتله تخلص الرسل فان قيل انه
قال وما لي لا اعبد الذي فطرني وقال ههنا آمنت بربكم ولم يقل آمنت بربي فالجواب انه ان قلنا الخطاب مع الرسل
فالامر ظاهر لانه لما قال آمنت بربكم ظهر عند الرسل انه قبل قولهم وآمن بالرب الذي دعوه اليه وان قلنا الخطاب مع
الكفار ففيه بيان للتوحيد لانه لما قال اعبد الذي فطرني ثم قال آمنت بربكم فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي فطرني
وهو بعينه ربكم بخلاف ما لو قال آمنت بربي لان الكافر يقول ح وانا ايضا آمنت بربي **قوله** قيل له ذلك لما قتلوه يعني
انه قتل ثم قيل له بعد القتل ادخل الجنة اما على انه اخبار بانك من اهل الجنة وانك تدخلها بعد البعث لا انه امر له بدخولها في
الحال لان الجزاء بعد البعث واما على انه اذن له في دخولها في الحال اكراما له كسائر الشهداء فانه تعالى قال في حقهم ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله قال في ... ادخله الله الجنة وهو حي
حتى يرزق **قوله** او انهم اعطف على قوله لما قتلوه اي روي انه لم يمت بل لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله تعالى الى السماء
فهو في الجنة لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة ادخلها خالدا فيها على ما قاله الحسن فعلى هذا يكون
قوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي صادرا عنه في حياته وعلى الاول يكون ذلك بعد قتله وعلى القولين يكون بسبب
تمنيه علم قومه بحاله ان يكون علمهم بها سببا في اكتساب مثل ما اكتسبه من الايمان والعمل الصالح ليكون ذلك مفضيا بهم
الى الخلاص عن العذاب المخلد ويفوزوا بالثواب المؤبد وفي الحديث المرفوع انه نصح قومه حيا وميتا قال السدي رجموه
بالحجارة كما قالوا لرسلهم لنرجمنكم وكانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه فان دأب
الاولياء كظم الغيظ عمن اراد بهم الشر وتمني ان لا يكون في الدنيا من يعصي الله تعالى والمتبادر في قوله
يا ليت قومي محذوف اي بالصحابي او بالحسباني او نحوهما **قوله** وما خبرية اي موصولة بمعنى الذي والعائد محذوف اي
بالذي غفر لي ربه والمستفهمية هنا [illegible] لانه يدل على انه تمنى ان يعلم قومه بان ذنوبه مغفورة وليس المعنى على ذلك

على ذلك اي لا وجه لتمنيه انما المعنى على تمني علمهم بغفران ربه ذنوبه بالايمان وتصديق الرسل على ان يكون ما مصدرية
قوله او استفهامية جارية على الاصل وهو ان لا تحذف الف ما الاستفهامية المجرورة بدخول حرف الجر عليها واليه ذهب
الفراء كما في قوله على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد وبما غفر لي على هذا الوجه مفعول له والباء سببية متعلقة
بيعلمون والكسائي بانه كان ينبغي ح حذف الفها لكونها مجرورة فان الاجود والاشهر من مذهب البصريين ان
ما الاستفهامية تحذف الفها عند انجرارها بحرف جر نحو عم يتساءلون وفيم انت من ذكراها فناظرة بم يرجع المرسلون
ووجه الحذف ان لها صدر الكلام لكونها استفهاما وهم يمكن تاخير الجار عنها فقدم عليها وركب معها حتى صار كالجزء منها لكلمة
موضوعة للاستفهام عن مرتبة التصدر وجعل حذف الالف دليل التركيب وقيل تحذف الف ما الاستفهامية
عند انجرارها دون الخبرية للفرق بينهما **قوله** وقيل استحقار لاهلاكهم حيث اكتفي في استئصالهم بما يتوسل به الى
زجر نحو الطيور والوحوش من صيحة عبد واحد مأمور وفيه ايضا ايماء الى تعظيم لسيد المرسلين صلى الله تعالى
عليه وسلم لانه اذا كان ادنى صيحة ملك واحد كافيا في اهلاك جماعة كثيرة ظهر ان انزال الجنود من السماء يوم
بدر والخندق كما يدل عليه قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقوله بالف من الملائكة مردفين وقوله
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وقوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين كل ذلك لم يكن الا تعظيما لشأنه
واجلالا لقدره لا لاحتياج الملائكة الى المظاهرة والمعاونة **قوله** وما صح في حكمتنا على ان ما الثانية نافية كالتي
قبلها فيكون الجملة الثانية جارية مجرى التاكيد للاولى **قوله** لا انتصار لك اي للانتقام من قومك وقيل انها موصولة
معطوفة على محل من جند اي جائز لنا لاهلاك قومه جندا من السماء والذي كنا منزليه على الامم قبلهم عند اهلاكنا
اياهم كالطوفان والصاعقة والريح فعلى هذا يستلزم ان يكون من الاستغراقية داخلة على المعرفة والجمهور
على انها لا تزاد الا في كلام غير موجب وان مجرورها لا يكون الا نكرة فينبغي ان يكون ما الثانية على تقدير كونها اسما
معطوفا على جند نكرة موصوفة ويكون المعنى ومن عذاب كنا منزليه ويكون الجملة بعدها صفة لها فان قيل انه
تعالى كما لم ينزل عليهم جندا من السماء لم يرسل اليهم جندا من الارض ايضا فما فائدة قوله من السماء فالجواب
انه ليس للاحتراز بل لبيان ان النازل عليهم من السماء لم يكن الا صيحة واحدة اهلكتهم بأسرهم **قوله** على ان
كان التامة اي ما وقعت الا صيحة واحدة وانكر النحاة قراءة الرفع وضعفوه لاجل تأنيث الفعل قالوا
القياس فيه وفي نظائره ان يذكر فانك اذا قلت ما قامت الا هند كان ضعيفا والجيد ما قام الا هند وذلك لان
الكلام محمول على معناه اي ما قام احد الا هند وكذا ههنا ما وقع شيء الا صيحة فلما كان هذا هو المراد اختاروا تذكير الفعل
ليؤذن بهذا المراد ولكن نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل فانث الفعل لذلك ومثله قراءة من قرأ فاصبحوا
لا ترى الا مساكنهم بالتاء فترى وعليه قول ذي الرمة: فما بقيت الا الصدور الجراشع. والقياس فيهما تذكير فعلهما لان
المراد لا يرى شيء الا مساكنهم وما بقي شيء الا الصدور واذا في قوله تعالى فاذا هم خامدون للمفاجأة وهي مكانية وما
بعدها مبتدأ وخبر اي ففي ذلك المكان هم خامدون وهو اشارة الى سرعة هلاكهم بحيث كان مع الصيحة ولم يتأخر عنها

قال الجوهري خمدت النار تخمد خمودا اسكن لهبها ولم يطفأ جمرها وهمدت اذا طفى جمرها وسطع الشيء يسطع سطوعا اذا ارتفع و
الشهاب شعلة نار ساطعة **قوله** شبهوا بالنار ان شبهوا احال طربان الموت عليهم بالنار التي سكن لهبها ولم ينطفى
جمرها فاطلق عليهم اسم المشبه به وهو الخامد على طريق الاستعارة التصريحية وفي هذه الاستعارة رمز الى تشبيه الحي بالنار
الساطعة في ان كل واحد منهما يرتفع ويتحرك الى جهات مختلفة على حسب الدواعي المختلفة والى تشبيه الميت القديم العهد
بالرماد من حيث انه سكن احركته الارادية بالموت ثم تحول جسده ترابا كالرماد • وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور
رمادا بعد اذ هو ساطع • وما المال والاهل الا ودايعة • ولابد يوما ان ترد الودايع • وكان الشاعر اخذ هذا المبلغ
من قوله صلى الله عليه وسلم ان من في الدار ضيف وما في يده عارية وان الضيف مرتحل والعارية مردودة وقوله يحور
بالحاء المهملة بمعنى يرجع وارتفع ودبعة لبطلان عملها بالا لانه لما انتقض ما فيها من معنى النفي بالا انتفت مشابهته
بليس فبطل عملها ثم انه تعالى لما بين هلاك قوم حبيب بصيحة واحدة بسبب تكذيبهم للرسل وتعذيبهم الرجل الذي ار
شدهم الى اتباع الرسل وعبادة الخالق القادر بين انهم احقاء بان يتحسروا على انفسهم حيث فوتوا على انفسهم
خير الدارين واستحقوا اشد العذاب فيهما وبان يتحسر عليهم كل من يتاتى منه التلهف والتحسر من الملائكة والمؤمنين فعلى
هذا تكون اللام في قوله تعالى على العباد للعهد والمعهود هم الذين اخذتهم الصيحة من قوم حبيب ولا يتعلق الغرض
بتعيين المتحسر وانه هل هم المستهزؤن او غيرهم وانما المقصود بيان ان تلك الحال من الاحوال التي من حقها ان
يتحسر فيها والحسرة اشد التلهف والندامة على الشيء الفائت بحيث حسر القلوب بها واعيى فلم يقو على احتمالها نقول منه
حسر على الشيء يحسر حسرا وحسرة وحسرت غير بحسر او انحسار اشد التلهف والرقة التي تعتري المتحسر من فوات امر مهم قراءة الجمهور
يا حسرة بالنصب والتنوين على انه منادى شابه للمضاف من اجل طوله فانهم يعنون بالمشابه للمضاف اسما يجيء بعده شيء
هو من تمامه اما معمول له نحو يا طالعا جبلا ويا حسنا وجهه ويا خيرا من زيد واما نعت هو جملة او ظرف نحو يا حليما لا يعجل
ويا جوادا لا يبخل وقوله ادارا بجزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض او يترقرق وقوله الا يا نخلة من ذات عرق
عليك ورحمة الله السلام فقوله يا حسرة على العباد من قبيل يا خيرا من زيد وعلى متعلق بحسرة والمعنى يا حسرة عليهم
تعالي فهذه الحالة اي حال استهزائهم بالرسل من حقها ان تحضري فيها والحسرة لا تدعى ولا يطلب اقبالها لانها مما لا
يجيب والعاقل فهي نداؤها مجرد تنبيه المخاطب وايقاظه ليتمكن في ذهنه ان هذه الحالة تقتضي الحسرة وتوجب التلهف
فانك اذا قلت لمن هو مقبل عليك يا زيد ما احسن ما صنعت كان ذلك ابلغ واوكد في افادة المطلوب من قولك ما
احسن ما صنعت لتنصيص الاول بايقاظ المخاطب وجعله متوجها لما يلقى اليه من المطلوب فكذا اذا قلت انا العجب
مما فعلت فقد افدته انك متعجب مما فعله ولو قلت يا عجبا مما فعلته كان ابلغ في افادة انك متعجب فكانك قلت
ايها العجب اقبل فهذا وقت اقبالك وحضورك وقوله تعالى ما ياتيهم من رسول الاية استيناف في حيز الجواب
عن السوال عن سبب التحسر عليهم فلا يكون لهذه الجملة محل من الاعراب **قوله** او يتحسر عليهم اشارة الى ان المتحسر
عام والمعنى ان الامر لفخامته وشدته بلغ الى حيث كل من يتاتى منه التلهف اذا نظر الى حال استهزائهم الرسل
تحسر

وقيل يتعين الجنس اي جنس الكفار المعرضين
على التكذيب والاستهزاء فانهم ايضا احقاء
بان يتحسروا على انفسهم حال استهزائهم
برسلهم منه

ويمكن تداركه

١٢٨

تحسر عليهم وما لهم فيها الا من خسار وخيبة على هؤلاء المحرومين حيث بدلوا الايمان بالكفر والسعادة بالشقا
وة وقوله وقد تلهف على احوالهم الملائكة والمؤمنون اشارة الى ان المتحسر كل من يعتد منه التحسر كما في قوله ويلعنهم
اللاعنون الا برالى ما حكي عن حبيب انه كان يقول حين ما قتل الا اهد قومي وما بعد ما قتلوه وادخل الجنة او
بعد ما رفع الى السماء قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وتحسر لهم على سوء افعالهم وعطف على معمول يهوا القول
قوله ويجوز ان يكون تحسرا من الله تعالى عليهم ولما استحال كونه تعالى متحسرا حقيقة لكونها عبارة عما يلحق المتحسر
من شدة التلهف والرقة بحيث يحسر القلب بها ولا يقوى على احتمالها وذلك مستحيل عليه تعالى حمل التحسر المسند اليه تعالى
على الاستعارة بان شبه استعظام الله تعالى لجناياتهم على انفسهم بتحسر الانسان على غيره لاجل ما فاته من الدولة
العظمى من حيث ان ذلك التحسر يستلزم استعظام ما اصاب ذلك الغير والانكار على ارتكابه والوقوع فيه والتفرق
بين ان يكون قوله تعالى يا حسرة على العباد تحسرا من الله تعالى عليهم مثل ان يكون يا عجبا مما فعلت تعجبا من
القائل وبين ان يقوله الله تعالى لبيان ان هذه الحالة من حقها ان تحضر فيها الحسرة وان اصحابها احقاء
بان يتحسروا على انفسهم ويتحسر عليهم كل من يتاتى منه التحسر او كل من يعتد بتحسره من الملائكة والمؤمنين ان قوله
يا حسرة على العباد على الاول يكون انشاء التحسر من القائل بعينه ان حمل على المجاز لامتناع حمله على الحقيقة
وعلى الثاني يكون المقصود منه الاخبار بان هذه الحالة من حقها ذلك وذلك لا يستلزم ان يكون القائل متحسرا حقيقة
او مجازا **قوله** ويؤيده قراءة يا حسرتا وجه التاييد ان اصله يا حسرتي قلبت يا المتكلم الفا لكون الالف والفتحة
اخف من الياء والكسرة فان نحو يا غلامي يخفف على وجوه منها حذف اليا اكتفاء بالكسرة وقلبها الفا لما ذكر فيكون
تحسرا من القائل **قوله** ونصبها اي نصب قوله تعالى يا حسرة لطولها بالجار المتعلق بها لكونها مشابها بالمنادى المضاف
في طولها بالجار المتعلق بها وقيل انها منصوبة على انها مصدر مؤكد لفعلها المضمر وكلمة على حرف متعلقة بذلك الفعل
المضمر والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء تحسروا حسرة او يا قوم تحسروا حسرة **قوله** بالاضافة الى الفاعل فيكون
العباد فاعلين للحسرة فان العباد الهالكين متحسرون على انفسهم وكذا الملائكة والمؤمنون يتحسرون على الكفار
حين كذبوا الرسل او حين شاهدوا عذابهم **قوله** او المفعول فيكون العباد مفعولين يتحسر عليهم غيرهم شفقة
لهم وقراءة من قرأ يا حسرة على العباد تؤيد هذا الاحتمال **قوله** وقرئ يا حسرة بالهاء المبدلة من تاء التانيث
وصلا وكانهم اجروا الوصل مجرى الوقف والظاهر ان المراد بالعباد في قراءة يا حسرة على العباد المعهودون وهم قتلة
حبيب ويجوز ان يراد بهم كل من كفر واصر على التكذيب فانهم جميعا احقاء بان يتحسروا على انفسهم ويتحسر عليهم وقيل
يجوز ان يراد بالعباد الرسل الثلثة كان الكافرين يقولون عند ظهور الباس يا حسرة عليهم يا ليتهم كانوا
حاضرين وقتلوا ايماننا لنؤمن بهم يتحسرون على قتلهم وتركهم الايمان بهم وتمنوا الايمان حين لا ينفعهم
قيل يا حسرة على العباد من الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب القوم لقتله وقيل ان الرسل
الثلثة هم الذين قالوه لما قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من اقصى المدينة تحسروا على القاتلين وتمنوا ان يكونوا

لان كلمة على متعلقة بالعبارة متعلقة به
فعامل العبارة شبه حسرة فيشابهت
بياخيرا من زيد فاعرب على النصب
ولم يبن على الضم كالمنادى المفرد
المعرفة
ابن محمد

قد امنوا انهم انه تعالى لما مثل حال كفار مكة بحال اصحاب القرية في تكذيب الرسول الناصح وبين اهلاكهم بصيحة واحدة عقبه
بان سجل عليهم انهم قد علموا ان المهلكين بسبب تكذيب الرسل غير منحصر فيهم بل هم طوائف كثيرة فلم لا يعتبرون بهم فقال
الم يروا كم اهلكنا اي الم يعلم كفار قريش كثرة اهلاك من قبلهم من المكذبين وكم ههنا خبرية منصوبة باهلكنا
تقديره كثيرا من القرون اهلكنا وهي معلقة ليروا اذ هي باخبرية مذهب الاستفهام ولا يعمل فيها ما قبلها استفهامية كانت
او خبرية لان الاصل هو الاستفهامية ولها صدر الكلام وكم الخبرية محمولة عليها لمشاركتها اياها في افادة الابهام فقوله لان
الاستفهام يريد به ان الاستفهامية اصل في ان لا تكون معمولة لما قبلها والخبرية محمولة عليها في ذلك لان احدهما اصل للاخر
بحسب الوضع اللغوي فان كل واحدة منهما اصل بنفسها ولكنهما لفظان مشتركان بين الاستفهام والخبر **قوله** بدل
من كم على المعنى اي لا من حيث اللفظ لان الم يروا لما كان معلقا عن قوله كم اهلكنا ولم يعمل فيها من حيث اللفظ كانت
معمولة منصوبة باهلكنا من حيث المعنى فلو كان قوله انهم اليهم لا يرجعون بدلا من كم من حيث اللفظ لكان معمولا لاهلكنا
ايضا لان البدل على نية تكرير العامل وذا لا يجوز لان قوله اهلكنا لو سلط على انهم لا اختل المعنى اذ لا يصح ان يقال
اهلكنا انتفاء رجوعهم او اهلكنا كونهم لا يرجعون فتعين كونه بدلا من كم على المعنى بان يكون معمولا لما عمل في كم من
حيث المعنى وهو الم يروا لان الفعل المعلق وان كان لا يعمل فيما علق عنه من حيث اللفظ الا انه عامل فيه من حيث
المعنى لان معنى علمت لزيد قائم علمت قيام زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزئين فمن ثمة جاز عطف الجزئين
المنصوبين على الجملة المعلق عنها نحو علمت لزيد قائم وبكرا قاعدا فيكون المعنى ما ذكره من قوله الم يروا كثرة اهلاكنا
من قبلهم من القرون كونهم غير راجعين اليهم مع ان كم مفعول اهلكنا لفظا وللقائل ان يقول كما لا يصح ان يكون
بدلا على اللفظ لما ذكر لا يصح ايضا كونه بدلا على المعنى لان كونهم غير راجعين اليهم ليس كثرة الاهلاك فلا يكون بدل كل
من كل وليس بعض الاهلاك ايضا فلا يكون بدل بعض من كل ولا بدل الاشتمال لان بدل الاشتمال يصح اضافته الى ما ابدل منه
فلو قلت اعجبتني الجارية ملاحتها او سرق زيد ثوبه يصح ان يقال اعجبتني ملاحة الجارية وسرق ثوب زيد ولا
تصح الاضافة ههنا فلا يقال الم يروا انتفاء رجوع كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم ويمكن ان يقال انه من
قبيل بدل الكل من الكل لان كونهم غير راجعين اليهم عبارة عن هلاكهم بالكلية لانه لازم له فعبر تجوزا والمعنى
الم يروا ان خروجهم من الدنيا ليس كخروج احدهم من منزله الى السوق او الى بلد آخر ثم عودته الى منزله عند
اتمام مصلحته هناك بل هو مفارق من الدنيا ابدا وهو المراد باهلاك كثير ممن قبلهم **قوله** وان مخففة من المثقلة
واسمها ضمير الشان واللام هي الفارقة بين المخففة والنافية واذا خففت المكسورة جاز الغاؤها واعمالها
والغاء اكثر كما في هذه الاية فان القراء اجمعوا فيها على تخفيف ان ورفع كل على انه مبتدا وجميع خبره ومحضرون
ثان وقرئ لما بالتخفيف والتشديد واختار المص قراءة التخفيف فجعل ما صلة للتاكيد والمعنى وانه الشان
كل واحد من المهلكين مجموع مع الآخر مضموم اليه محضرون لدينا للحساب والجزاء وقيل محضرون النار لما بين
الاهلاك بين ان من اهلكه ليس يترك على حاله بل بعده جمع وحساب وحبس وعقاب ولو ان من اهلك ترك

ترك بعده لكان الموت راحة للميت كما قيل • ولو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي • ولكنا اذا متنا
بعثنا • ونسال بعده عن كل شيء • • وجمع بمعنى جميع لان كلا يفيد الاحاطة دون الجمع وجميع يفيد الاجتماع و
التضام المعنى كل الخلائق مجتمعون لدينا في الموقف محضرون للحساب ومن شدد لما جعلها بمعنى الا وجعل ان نافية
والتقدير وما كل الا جميع كقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ اي ما كل نفس الا عليها حافظ وتنوين كل عوض من
المضاف اليه اي ما كل احد الا مجموع لدينا فالكلام مبتدا وخبر ومن استعمال لما بمعنى الا قولهم نشدتك بالله لما
فعلت اي ما سالتك الا ان تفعل ثم انه تعالى لما اشار بقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون الى انه يحشر الاموات
ويبعث من في القبور ذكر ما يدل على امكانه قطعا لاستبعادهم اياه واصرارهم على انكاره فقال وآية لهم
الارض الميتة تدل على قدرتنا على البعث وآية مبتدا ولهم صفتها ولذلك جاز الابتداء بالنكرة والارض الميتة
مبتدا ثان واحييناها خبر الثاني والجملة خبر الاول هو آية ولعل الوجه في خلوها عن العائد كونها في تاويل احياؤنا
الارض الميتة ويجوز ان تكون وآية خبرا مقدما ولهم صفتها والارض الميتة مبتدا موصوفا **قوله** او صفة لها اي
ويحتمل ان تكون وآية لهم مبتدا والارض الميتة خبرها واحييناها صفة للارض ولما ورد عليه ان الارض معرفة
باللام فكيف يصح توصيفها بالجملة الخبرية وهي نكرة اجاب عنه بان تعريف الارض ليس تعريف العهد الخارجي
حتى يراد بها حصة معينة لان اللام انما يشار بها الى حصة معينة بين المتكلم والمخاطب عند تقدم ذكرها
صريحا او كناية ولم يتقدم وليست اللام ايضا للاشارة الى نفس الحقيقة لان اخراج الحب لا يتعلق بنفس
الحقيقة ولا للاشارة اليها من حيث وجودها في ضمن جميع الافراد ايضا لما مر من ان الاحياء والاخراج
لا يتعلق بجميع افراد الافراد فتعين ان يشار بها الى حقيقة الارض من حيث وجودها في ضمن بعض الافراد
وقد تقرر ان المعرف بلام العهد الذهني في معنى النكرة وانه يعامل به معاملة النكرة فيصح توصيفه بالجملة الخبرية
كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني ويحتمل ان يكون وآية لهم الارض الميتة مبتدا وخبرا او مبتدا او يكون
احييناها استينافيا كان قائلا قال كيف تكون الارض آية فقال احييناها **قوله** جنس الحب يعني ان حبا
جمع حبة والمراد به جنس الحبوب التي تصلح قوتا للناس فيتقوتون به **قوله** قدم الصلة جواب عما يقال تقديم الصلة يفيد حصر
الماكولية بالحب وان لا يوكل غيره وليس كذلك فما وجه التقديم واجاب عنه بان التقديم ليس لحصر جنس الماكول في الحب
بل هو لحصر معظم الماكول فيه يعني لحصر الكمال فهو من قبيل حاتم هو الجواد لا نفي الاعم **قوله** من انواع النخل والعنب يعني انه جمع
لفظ النخيل والاعناب لكون النخل والعنب اسمين النوعين مقولين على افراد حقيقة واحدة فلا بد لان على
اختلاف ما تحتهما الا اذا عبر عنهما بلفظ الجمع بخلاف الحب فانه اسم جنس والجنس يشعر باختلاف مدلوله لكونه مقولا
على المختلفين بالحقيقة فلا يحتاج في الدلالة على اختلاف مدلوله الى الجمع ما يدل عليه فلذلك جمعها دون الحب
فان النخل والنخيل بمعنى واحد والواحدة نخلة **قوله** ليطابق الحب في الاعناب علة للمنفي وهو ذكر التمور لا للنفي
وهو عدم ذكر لان المطابقة بالحب في الاعناب انما تحصل بذكر التمور لا بعدم ذكرها يعني اختير النخيل على التمور

فائدة قلت اخبر عن كل بجميع و
معناهما واحد قلت ليس بواحد
لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان
لا ينفلت منهم احد والجميع معناه
الاجتماع وان المحشر يجمعهم كلهم

قوله آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكير للتفخيم
ولهم اما متعلقة بآية لانها بمعنى العلامة
او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدا و
الميتة صفتها وقوله احييناها استيناف
مبين لكيفية كونها آية وهذا هو الاولى
لان مصب الفائدة هو كون الارض الميتة
آية لهم لا كون الآية هي الارض

قال ابو البقاء آية مبتدا ولهم
خبره والارض الميتة مبتداء
واحييناها خبره وهذه الجملة
مفسرة للجملة الاولى منه

وان كان المناسب للحب والاعناب ان يذكر التمور بدل النخيل من حيث ان المقام مقام تعداد النعم المترتبة على
حيوة الارض واظهار الاية الدالة على كمال قدرته لذلك والنخيل في نفسها من جلائل النعم الدالة على كمال القدرة وان
ذكرها في قوة ذكر التمور فاختير ذكر النخيل للدلالة على هذا المعنى ولو ذكر بعدها التمور لتوهم ان النخيل وسيلة محضة وليست
نعمة في نفسها فان قيل قوله احييناها يكفي للاستدلال على جواز احياء الموتى فما فائدة قوله واخرجنا منها حبا وما بعده قلنا
فائدتها الدلالة على كمال حيوتها بحيث ثبت لها جميع منافعها فان موت الارض استعارة ليبسها وزوال رطوبتها
التي هي مبدأ انبات النباتات وتربيتها فيكون حيوتها مستعارا لثبوت تلك الحالة لها لكن لثبوتها مراتب مختلفة
بعضها اكمل من بعض فقوله واخرجنا منها الخ بمنزلة ان يقال احييناها احياء كاملا **قوله** كالفتح والتفتيح فكما
ان كل واحد من فتح الثلاثي وفتح الرباعي متعد وان بناء التفعيل فيه للتكثير لا للتعدية فكذا فجر الثلاثي وفجر الرباعي
قوله اي شيئا من العيون على ان من للبيان قدم هذا الوجه لان زيادة من في الاثبات قول مرجوح تفرد به الاخفش
قوله ثمر ما ذكر يعني ان ضمير ثمره راجع الى الجنات بتاويل المذكور وقيل انه راجع الى الله تعالى والمعنى ليأكلوا مما خلقه
الله من الثمر ومقتضى الظاهر ان يقال من ثمرنا لقوله وفجرنا وجعلنا واخرجنا لكن عدل من التكلم الى الغيبة على طريق
الالتفات **قوله** عطف على الثمر فيكون ما موصولة مجرورة المحل عطفا على ثمره اي ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته ايديهم
فعلى قراءة الجمهور الامر واضح لانهم قرؤوا وما عملته باثبات الهاء لكون عائد الموصول مذكورا في قراءتهم واما في قراءة
حمزة والكسائي وابي بكر فالعائد يكون محذوفا على تقدير ان تكون موصولة كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا
فانهم قرؤوا وما عملت ايديهم بدون الهاء والمص جعل قراءة الكوفيين غير حفص مؤيدة لكون ما موصولة في قراءة
الجمهور مع جواز كونها نافية وكون ضمير المفعول راجعا الى ثمره لا الى كلمة ما لانها حرف نفي وبين وجه التأييد بان
مفعول عملت محذوف في قراءة الكوفيين غير حفص وحذف ضمير المفعول من الصلة احسن من حذفه من غير الصلة
فكون ما موصولة احسن من كونها نافية على قراءتهم فيكون ذلك احسن في قراءة الجمهور ايضا لان الاصل في القراءات
المختلفة توافقها من حيث المعنى واعلم ان قوله وما عملته مرسومة بالهاء في غير مصاحف الكوفة وبحذفها فيما
عداها والاخوان وابو بكر وافقوا مصاحفهم حيث قرؤوه بدون الهاء على وفق الرسم والباقون غير حفص
وافقوا ايضا حيث قرؤوا بالهاء وحفص خالف مصحفه حيث قرأ بالهاء وقد رسم في مصحفه بغير هاء وهذا
يدل على ان القراءة متلقاة من افواه الرجال فيكون عاصم قد قرأها لابي بكر بالهاء ولحفص بدونها ثم انه تعالى
لما امر بشكر ما ذكره من النعم بقوله افلا يشكرون وشكره تعالى انما يكون بالاعتقاد اللائق لشأنه الاعلى بقلبه

> الاستفهام للانكار دخلت على حرف العطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل ايتركون تلك النعمة فلا يشكرون قرماني

والاقرار به كذلك باللسان والعمل بمقتضاه بالاركان وهم تركوا ذلك كله واشركوا به تعالى غيره قال تعالى ذا علمهم
سبحان الذي خلق الازواج كلها وغيره لم يخلق شيئا فكيف يستحق ان يشرك به تعالى وسبحان اسم علم للتسبيح
فان العلم كما يكون علما للاشخاص كزيد وعمرو وللاجناس كاسامة يكون للمعاني ايضا ومنه سبحان للتسبيح
وهو منقول باضافته اليه فقيل سبحان الله وسبحان الذي خلق الازواج فان قيل كيف اضيف والعلم
لا يضاف

> وعن ان يكون عاجزا عن احياء الموتى مع انه مبدع للازواج كلها والاعادة كالابتداء بل هو اهون

لا يضاف قلنا الذي لا يضاف هو علم الاعيان واما هو علم المعنى يجوز اضافته ويجب حذف فعله اي اسبح تسبيحا اي
انزه من صفات النقص تنزيها الله الذي خلق الانواع والاصناف كلها من عجز ان يشاركه فيه غيره وعن ان يشرك به
ما لا يخلق شيئا ابدا بل مخلوق عاجز وهذا التنزيه يتناول التنزيه بالقلب وهو الاعتقاد الجازم وباللسان مع
ذلك الاعتقاد وهو الذكر الحسن وبالاركان معهما جميعا وهو العمل الصالح والاول هو الاصل والثاني ثمرة الاول وذلك
لان الانسان اذا اعتقد شيئا ظهر من قلبه على لسانه واذا ما ظهر صدقه في مقاله من افعال جوارحه فاللسان
ترجمان الجنان والاركان برهان اللسان والزوج خلاف الفرد ويقال للانواع ازواج لان كل نوع زوج بنفسه
قال تعالى وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اي من كل نوع **قوله** نزيله ونكشف عن مكانه اي عن مكان الليل وملقى
ظلمته فان الاصل هي الظلمة والنهار داخل عليها فاذا غربت الشمس انسلخ النهار من الليل اي من مواضع ظلمته وسلخ
جلد الشاة عبارة عن ازالته عن مكانه والمسلوخ هو الشاة التي سلخ عنها الجلد فقوله نسلخ منه النهار
استعارة تبعية والمستعار له ازالة ضوء النهار عن الاماكن التي تقع عليها ظلمة الليل بحيث يكون تلك
الظلمة ظاهرة منكشفة والمستعار منه سلخ الجلد عن الشاة شبه ازالة ضوء النهار وانكشاف ظلمة
الليل بسلخ الجلد عن الشاة فاطلق اسم السلخ عليها على سبيل الاستعارة ثم اشتق منه نسلخ فهو
استعارة مصرحة تبعية لما استدل على قدرته الباهرة باحياء الارض الميتة وهي مهاد ومكان لسكانها
استدل عليها بالليل والنهار وكل واحد منهما زمان لهم وبين الزمان والمكان مناسبة **قوله** داخلون في
الظلام وهو اول الليل واظلم القوم اي دخلوا في الظلام مثل اصبحوا اذا للمفاجاة اي ليس لهم بعد ذلك
امر سوى الدخول فيه **قوله** والشمس معطوف اي وآية لهم الشمس وقوله تجري حال اي جارية ويحتمل ان يكون قوله
والشمس تجري جملة اسمية معطوفة على قوله الليل نسلخ منه النهار فيكون في حكم الخبر لقوله وآية لهم **قوله**

> والشمس مبتدا وتجري خبره

لحد معين على ان يكون المستقر اسم مكان ويكون اللام للتعليل اي تجري لبلوغ مستقر لها الذي هو ابعد مشارقها ومغاربها
الذي تنتهي اليه في آخر السنة ثم ترجع عنه فان الشمس لما لم يكن لها استقرار حقيقة كان استقرارها
فيه بمعنى الانتهاء اليه وعدم التجاوز عنه تشبيها له بمستقر المسافر اذا قطع مسيره ووجه الشبه الانتهاء اليه
وعدم التجاوز عنه وان كان لاحدهما استقرار دون الآخر **قوله** او لكبد السماء اي ويحتمل ان يراد بالمستقر بمعنى موضع
الاستقرار كبد السماء اي وسطها فيكون اللام بمعنى الى اي تجري الى ان تبلغ الى وسط السماء وتستقر فيه شبه بطوء
حركتها فيه بالوقفة والاستقرار **قوله** جرين نابت جران مثل عطشان وعطشى يقال دومت الشمس في كبد السماء
اي ابطأت وصارت كأنها لا تجري **قوله** او لاستقرار لها على ان يكون المستقر مصدرا ميميا واللام لام العاقبة اي
تجري بحيث يترتب على جريها استقرارها في كل برج من البروج الاثني عشر على نهج مخصوص بان تستقر في كل برج
شهرا او باخذ الليل من النهار في نصف الحول والنهار من الليل في النصف الآخر منه وتبلغ نهاية ارتفاعها في
الصيف ونهاية انخفاضها في الشتاء ويترتب عليه اختلاف الفصول الاربعة وتهيئة اسباب معاش الارضيين

> وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه التام والتباعد الكلي عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد التنزه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه ابو

> قال الماوردي وذلك ان ضوء النهار يتداخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم نقله ابن الجوزي عنه

وترتيبها قوله او لمنتهى مقدر لكل يوم على ان يكون المستقر اسم مكان كما في الوجه الاول الا ان ذلك المكان في الوجه الاول
تنتهي اليه كل يوم ولا تتجاوز عنه قوله او لمنقطع جريها على ان يكون المستقر اسم زمان اي تجري الى زمان ينقطع جريها
وانقطاع حركتها وذلك يوم القيمة قوله وقرئ لا مستقر لها بلا النافية للجنس مبنيا على الفتح ولها خبر
وقرئ لا مستقر لها بالرفع والتنوين على ان لا بمعنى ليس عاملة عملها ومستقر اسمها ولها في محل النصب خبرها والمعنى
انها لا تستقر في الدنيا بل هي دائمة الجريان والعموم المدلول عليه بقوله على كل مقدر ومحل معلوم مستفاد من ترك
المفعول به قوله تعالى والقمر قدرناه منازل قرأ الكوفيون وابن عامر بنصب القمر باضمار عامله على شريطة التفسير
والباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو برفعه اما على انه مبتدأ وقدرناه خبره واما بالعطف على قوله والشمس
والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت
لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها ولا بد حينئذ من تقدير لفظ
يتم به معنى الكلام لان نفس القمر لم يجعل منازل فلذلك قدر المص مضافا فقال قدرنا مسيره منازل او قدرنا
سيره في منازل فعلى الاول يكون المسير اسم مكان بمعنى موضع السير ويكون مفعولا اول لقدرنا ويكون منازل
مفعولا ثانيا على تضمينه معنى صيرنا وعلى الثاني يكون انتصاب منازل بنزع الخافض اي قدرنا سيره في منازل
وتلك المنازل ثمانية وعشرون ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ثم يستتر قبل ليلة الاجتماع ليلتين
او ليلة واحدة حتى عاد القمر اي صار في آخر الشهر واول الثاني في دقته واصفراره واستقواسه كالعرجون
القديم وهو اصل العذق والعذق بالكسر الكباسة وهو في النخل بمنزلة العنقود في الكرم والعرجون عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة والشماريخ جمع شمراخ او شمروخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة
والمص فسر العرجون بالشمراخ حيث قال كالشمراخ المعوج ولعله اراد به العود المتصل به وعود العذق
اذا قدم دق وانحنى واصفر شبه به القمر في آخر الشهر في هذه الوجوه الثلثة قوله العتيق يعني ان القديم
ما تقادم عهده بحكم العادة ولا يشترط في اطلاق لفظ القديم عليه مدة بعينها مثل ان يتم عليه حول فصاعدا
بل المعتبر في اطلاقه عليه ان يعد عتيقا في عرف الناس الا يرى انه لا يقال لمدينة بنيت من سنة او سنتين انها مدينة
قديمة ويقال لبعض الاشياء انه قديم وان لم يمض عليه حول وقيل اقل مدة القديم الحول فمن حلف كل مملوك قديم لي
فهو حر عتق من مضى عليه حول والعرجون قراءة العامة بضم العين والجيم وفي وزنه وجهان احدهما انه
فعلول فنونه اصلية وقيل انه فعلون فنونه مزيدة وانه مشتق من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ بكسر العين
وفتح الجيم وهما لغتان كالبزيون والبزيون السندس وهو مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه وقيل البزيون نوع من
بساط الروم قوله في سرعة سيره فان القمر اسرع سيرا حيث يقطع فلكه في شهر فانها ابطأ منه حيث لا تقطع
فلكها الا في سنة فهي لا تدرك القمر في سرعة سيره فانه تعالى جعل سيرها ابطأ من سير القمر واسرع من سير زحل لانها كاملة
النور فلو كانت بطيئة السير لدامت زمانا كثيرا في مسامتة شيء واحد فتحرقه ولو كانت سريعة السير لما حصل لها لبث في بقعة

قوله او لمنقطع جريها على لفظ اسم المصدر يعني زمان الانقطاع اي تجري الى زمان انقطاع جريها لح

لا فعلون لانه فعلول ليس في كلامهم منه
فائدة انه حاج وهو حسن من حيث المعنى وكنه ضعيف من جهة انه لا نظير له في كلام العرب منه

في بقعة واحدة بقدر ما يخرج النبات من الارض والاوراق والثمار من الاشجار وبقدر ما ينضج الثمار والحبوب ويحيى فيختل
بذلك تعيش الحيوان قوله او في اثاره عطف على قوله في سرعة سيره اي ليس للشمس ان تدرك القمر في اثاره ومنافعه مع قوة نورها و
استتار قمرها فان لكل واحد منهما اثارا ومنافع تخصه وليس للآخر ان تدركه فيها قوله او مكانه بالنزول المحلة عطف عليه ايضا فان
القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه في مكانه وكذا قوله او سلطانه اي ليس لها ان تدركه في سلطانه
والسلطان الوالي ويطلق على الحجة والبرهان واراد بسلطان القمر نوره الذي هو برهان لوجوده وسلطان القمر ونوره انما
يكون بالليل فليس للشمس ان تجامع القمر في وقت من اوقات ظهور سلطانه بان تطلع بالليل فتطمس نوره قوله وايلاء حرف
النفي للشمس اي ذكر حرف النفي بقرب الشمس مع ان اصل النفي ان تدخل على الفعل المنفي فيقال لا ينبغي للشمس ان تدرك القمر وجه دلالة
الايلاء على كونها مسخرة مبني على بيان الفرق بين ان يقال لا الشمس ينبغي لها وبين ان يقال لا ينبغي للشمس فان الاول ابلغ و
اكون دالة كونها مسخرة لما تقرر من ان قولك انت لا تكذب بتقديم المسند اليه يفيد تقوية الحكم المنفي وتقريره فهو اشد
لنفي الكذب عن المخاطب بالنسبة الى ان يقال لا تكذب لاشتمال الاول على تكرار الاسناد دون الثاني فكذا قولك لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك في قولك لا ينبغي للشمس ان تدرك جاز بهما وان اشترك في الدلالة على ان الشمس لا تدرك الا ان الاول فيه
دلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها قوله يسبقه فيفوته اي ولا الليل يسبق النهار فيعجز من ان ينتهي اليه ويجيء
الليل بعده ولكن الليل يعاقب النهار قرأ الجمهور سابق النهار بالاضافة وقرئ سابق النهار بالتنوين ونصب النهار على
الاصل وبالنصب مع حذف التنوين لالتقاء الساكنين قوله وقيل المراد بهما آيتاهما الخ فالمعنى لا يصح للشمس ولا يتسهل لها ان
تدرك القمر وتجتمع معه في وقت ظهور سلطانه فتطمس نوره ولا يصح للقمر ايضا ان تطلع في وقت ظهور سلطان الشمس
وله ضوء اي لا تطلع القمر بالنهار وله ضوء ولا يكون القمر ذا سلطان في النهار بل ترى فيه خبر ما لا نور فيه ولا بهاء فضلا عن
ان يزيل سلطان الشمس فان النيرين يسيران الدهر دائبين ولا يجتمعان في وقت واحد فسلطان القمر بالليل و
سلطان الشمس بالنهار ولو ادركت الشمس القمر لذهب ضوءه وبطل سلطانه ودخل النهار على
الليل وقد قال بعضهم حين ذكر القيمة وجمع الشمس والقمر وذلك عند ابطال هذا التدبير ونقض هذا التاليف فكما لا تطلع الشمس
في سلطان القمر بان يصير الزمان كله نهارا لا يطلع القمر ايضا في سلطان الشمس ليصير الزمان كله ليلا بل جعل لكل واحد
من النيرين سلطان على حياله وجعل لسلطان كل واحد منهما قسم من الزمان لا يداخله الاخر فيه ولا يزال الامر على
هذا النسق الى ان يبطل الله تعالى هذا التدبير ويجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها قوله وتبديل الادراك
بالسبق جواب عما يقال لما كان المراد بقوله تعالى ولا الليل سابق النهار عكس ما ذكر قبله كان المناسب ان يذكر
الادراك بدل السبق بان يقال ولا الليل مدرك النهار يعني ولا القمر مدرك الشمس فما الوجه في تبديل الادراك بالسبق
واجاب عنه بان القمر يقطع فلكه في شهر والشمس تقطعه في سنة فكان الانسب للشمس ان توصف بالادراك لبطئها
ان الانسب للقمر ان يوصف بالسبق قوله والضمير للشموس والاقمار يعني جمع ضمير كلهم مع ان المذكور ليس الا الشمس والقمر
تنزيلا للاختلاف بحسب الاوصاف والعوارض منزلة اختلاف الذات قال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على ان الشمس

ويحترق حينئذ ما يقع فيه فانه قدر لكل واحد منهما فلكا على حياله منه

معنى ان النظم ان يقال فلا ينبغي للشمس ان تدرك القمر على انه نتيجة للكلام السابق فانه لما قال والشمس تجري لمستقر لها اي الى احد معلوم ينتهي اليه ولا يتجاوز عنه فانه الشمس كل يوم تطلع من مشرق وتغيب في مغرب بسنة اشهر فتنتهي الى اقصى المشارق والمغارب في زمان الصيف ثم ترجع الى تلك المشارق و المغارب فتطلع فيها وتغرب بستة اشهر فتنتهي الى غاية الانخفاض في زمان الشتاء فلذلك حدها في الانخفاض لا تتعدوه كما ان ذلك حدها في الارتفاع لا تتعدوه فلزم منه انها لا تدرك القمر في سرعة سيره فالنظم انه نتيجة لما ذكر فالنتيجة تركت تعويلا على فهم السامع ان جعل حرف النفي في قرب الشمس او دخلت عليه على ما ذكره من نسخة اخرى

والنجم والكواكب السيارة احياء عقلاء لان الجمع بالواو والنون لا تطلق على غير العقلاء وقال الامام ان اراد والقدر الذي
يصح به التسبيح فمقبول به لان كل شيء يسبح بحمده وان اراد وا شيئا اخر فذلك لم يثبت والاستعمال لا يدل عليه كما في قوله تعالى في
حق الاصنام ما لكم لا تنطقون وقوله الا تاكلون وقال الامام النسفي في جمع يسبحون بالواو والنون لانه تعالى وصفها
بصفات العقلاء كالسباحة والسبق والادراك وان لم يكن لها اختيار في افعالها بل هي مسخرة عليها بفعل ما ذكر
جرا والفلك هو الجسم المستدير او السطح المستدير او الدائرة لان اهل اللغة اتفقوا على ان فلكة المغزل سميت
فلكة لاستدارتها وفلكة الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة
وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا يكون السماء مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على ان السماء مبسوطة لها اطراف
على جبال وهي كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع قال الامام ليس في النصوص ما يدل دلالة
قاطعة على كون السماء مبسوطة غير مستديرة بل دل الدليل الحسي على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف
المقبب لا يخرج عن كونه سقفا وكذا كونه على جبال **قوله** اولادهم على ان يكون الذرية اسما لما تناسل منهم من
كبار الاولاد **قوله** او صبيانهم ونسائهم على ان يكون اسما للصغار الاولاد ومن يهمهم حمله كالنساء الذين
يستصحبونهن مع صبيانهم فان اسم الذرية يقع على النساء ايضا مجازا على طريق تسمية المحل باسم الحال واليه
اشار المص بقوله لانهن مزارع الذرية قال الراغب الذرية اصلها الصغار من الاولاد وان كانت تقع على الصغار
والكبار في المتعارف وتستعمل في الواحد والجمع واصلها الجمع قال تعالى ذرية بعضها من بعض وذرية ضعافا وقيل المراد بالذرية
ههنا الاباء والاجداد فان الذرية تطلق على الاصول والفروع لانها من الذرء وهو الخلق فيصلح الاسم للاصل والنسل
لان بعضهم خلق من بعض فالاباء ذرية لان منهم ذرء الابناء حمل الله تعالى اباء اهل مكة في سفينة نوح عليه الصلوة والسلام
والظاهر ان الضمير في قوله تعالى واية لهم وقوله ذريتهم لاهل مكة لان المقصود من الاية الاحتجاج عليهم ببيان صحة البعث
وامكانه استدل عليه اولا باحياء الارض الميتة وجعلها سببا لتعيشهم ثم استدل عليه بتسخير الرياح والبحار والسفن
الجارية فيها على وجه يتوسلون بها الى التجارات البحرية كما قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ويستصحبون من يهمهم حمله من الصبيان
والنسوان الذين لا يستطيعون بانفسهم على قطع المسافة فعلى هذا كان المناسب ان يكون الالف واللام
في قوله في الفلك المشحون لتعريف الجنس كما في قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون **قوله** وتخصيصهم لما وتخصيص
الذرية بمعنى الصغار الذين يستصحبونهم في سفر البحر مع ان تسخير البحر والفلك نعمة في حق انفسهم ايضا **قوله** وقيل
المراد فلك نوح على ان يكون تعريف الفلك للاشارة الى حصة معينة مذكورة بقوله تعالى واصنع الفلك باعيننا فالمعنى
انا حملنا اولادهم الى يوم القيمة في ذلك الفلك ولولا ذلك لما بقي للادمي نسل ولا عقب فعلى هذا كان الظاهر ان يقال انا
حملناهم وذريتهم لان انفسهم ايضا محمولون في فلك نوح الا انه قيل حملنا ذريتهم لكونه ابلغ في الامتنان بكمال النعمة في
حقهم فانه لو قيل حملناهم لكان امتنانا بمجرد تخليص انفسهم من الغرق فلما قيل حملنا ذريتهم افاد الكلام ان نعمة التخليص
لم تكن مقتصرة عليكم بل كانت متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة من حيث ان المحمولين في سفينة نوح حاملون لمن في

قوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم ملحق باحياء الارض وهي مكان الحيوانات بين انه انعم عليه بان سخر للانسان [illegible] في البر وهي كقوله تعالى وحملناكم في البر والبحر ويؤيد هذا قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله ما يركبون اذا فسر بالابل فانها سفن البر

قوله فيه العجب وما يكسبه تسخير البحر والفلك كما انه نعمة في حقهم ايضا نعمة في حق الذرية [illegible] الا ان [illegible] كان النعمة في حقها فيه لما كان اشق واعجب انتم فلذلك خصت الذرية

[illegible]

في اصلابهم الى يوم القيمة **قوله تعالى** واية لهم مبتدأ موصوف وما بعده خبره او ما بعده مبتدأ واية خبر مقدم والفلك ههنا
مفرد بدليل وصفه بالمشحون وقد يكون جمعا كما في قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر جمع ماخرة اكتفاء بالفرق التقديري فان الفلك
عند كونه واحدا مثل قفل وعند كونه جمعا مثل اسد **قوله** او من السفن والزوارق هذا على تقدير ان يراد بالفلك المشحون سفينة
نوح والاول على تقدير ان يراد به الجنس فيلي والثاني هو الاظهر لانه ان اريد بمثل الفلك الابل لكان قوله وخلقنا لهم من مثله ما
يركبون فاصلا بين متصلين لان قوله وان نشأ نغرقهم متصل بالفلك في قوله تعالى وان نشأ نغرقهم اشارة الى فائدتين احديهما
ان المنعم عليه ينبغي ان لا يامن في حال النعمة عذاب الله تعالى وثانيهما انه رد على ما زعمه الطبيعي من ان السفينة تحمل بمقتضى الطبيعة
وان المجوف لا يرسب فقال تعالى رده ليس الامر كذلك بل لو شاء الله اغراقهم لاغرقهم وليس ذلك بمقتضى الطبيعة والا لما طرأ
عليها آفة ورسوب **قوله** فلا مغيث لهم اشارة الى ان الصريخ فعيل بمعنى مفعل اي مصرخ وهو المغيث يقال استصرخته فاصرخني
اي استغثته فاغاثني قال الجوهري المصرخ المغيث تقول منه استصرخني فاصرخته والصريخ صوت المستصرخ والصريخ ايضا
الصارخ وهو المغيث والمستغيث ايضا وهو من الاضداد اليها كلامه وفي اكثر نسخ هذا الكتاب وفلا استغاثة كقولهم
اتاهم الصريخ وهو مبني على ان يكون الصريخ عبارة عن صوت المستغيث كما في قولهم اتاهم الصريخ وفي بعض النسخ او فلا
اغاثة وكذا في الكشاف فهو مبني على ان يكون الصريخ بمعنى الصارخ وهو المغيث عبارة عن نفي الاغاثة كما ان انتفاء
الاغاثة وحصولها الا انه على هذا لا ينبغي للعطف وجه اللهم الا ان يجعل العطف مبنيا على ان يكون الصريخ عبارة عن
صوت المستغيث وان يجعل نفي الاستغاثة كناية عن نفي الاغاثة ومعنى الاية انه تعالى ان شاء اغراقهم لا يوجد لهم مغيث
يمنع عنهم اصل الغرق وانهم اذا ادركهم الغرق لا ينجون من الموت بسببه لان الخلاص من الهلاك قد يكون بدفع
ما يؤدي اليه كالغرق وقد يكون بدفع ما يترتب عليه فاشار تعالى الى ان كل واحد من طريقي الخلاص منتف اشار الى انتفاء
الاول بقوله فلا صريخ لهم يدفع عنهم الغرق والى انتفاء الثاني بقوله ولا هم ينقذون مما يترتب عليه من الموت به ولو سلم
انهم يخلصون من الموت بسبب الغرق لا محيص لهم من الموت اصلا قيل ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى
الحمام اي سلمت بهذا السبب المعين الى الموت بسبب آخر **قوله** الا لرحمة ولتمتيع بالحيوة الى حين اشارة الى ان قوله تعالى
الا رحمة منصوب على انه مفعول له وان قوله ومتاعا عطف عليها والاستثناء مفرغ من اعم المفعول له اي ولا هم ينقذون
لامر من الامور الا لرحمة منا ولتمتيع بالحيوة الى زمان قدر لآجالهم وقيل انه منصوب على المصدرية اي الا ان نرحمهم
رحمة ونمتعهم تمتيعا الى اجل يموتون فيه وقيل انه مستثنى منقطع اي ولا هم ينجون من الموت البتة ولكن رحمة ربك
هي التي تنجيهم منه **قوله** الوقائع التي خلت اي وقعت قبلكم من عقوبات الله تعالى للامم الماضية الذين كذبوا رسلهم اي اتقوا
ان ينزل بكم مثلها واتقوا ما خلفكم من العذاب المعد في الآخرة بعد هلاككم والوقائع الماضية باعتبار تقدمها عليهم جارية
كانها خلفهم واحوال الآخرة باعتبار ان مصيرهم اليها كانت كانها بين ايديهم وباعتبار انها تكون بعد هلاكهم كانت خلفهم
قوله او نوازل السماء ونوائب الارض على ان يكون المراد بما بين ايديكم وما خلفكم السماء والارض فانهما لما احاطا بهم
من جهتي امامهم وخلفهم بحيث انهما ساروا كان بكل واحد منهما امامهم وخلفهم محيطا بهم من جوانبهم ليس لهم ان يتخلصوا

اي انا اسلم منه من غير ان ابقى خالدا ولكن سلمت من الموت الى الموت بمرض او بسبب اخر

وقيل بنزع الخافض منه

منه بالهرب عنه ويكون المراد باتقائهما الاتقاء من نوازلهما ونوائبهما كالخسف واسقاط الكسف ففي هذه الاية كما في
قوله تعالى اولم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا
من السماء فان المراد به التخويف بنوازلهما ونوائبهما فكذا المراد بهذه الاية ويحتمل ان يكون المراد بما بين ايديكم
دار الدنيا فانها باعتبار كونهم فيها كانت كانها بين ايديهم وان يكون المراد بما خلفكم دار الاخرة فانها باعتبار
انهم يصيرون اليها بعد هلاكهم كانت كانها خلفهم ويكون المراد باتقائهما اتقاء عذابهما ويحتمل ان يكون المراد بما بين ايديكم
الاخرة وبما خلفهم الدنيا لان الاخرة باعتبار كون مصيرهم اليها كانها بين ايديهم وان الدنيا باعتبار انهم تاركون لها
كانها خلفهم كانه قيل اتقوا ما بين ايديكم من امر الاخرة فاعملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا
بها جواب اذا محذوف تقديره واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ولا يتقون وانما حذف لدلالة ما بعده عليه وهو قوله
وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين والمعنى ان الاعراض عن النصائح وترك الاعتبار بالآيات
دأبهم بحيث انهم فقوله تعالى وما تأتيهم من آية الخ كالتذييل للكلام السابق واليه اشار المص بقوله اعرضوا لانهم
اعتادوا الاعراض عن الموعظة وتعودوه ووجه تعلق الاية بما قبلها انه تعالى فصل لهم الآيات بقوله وآية لهم الارض وآية
لهم الليل وآية لهم انا حملنا ذريتهم ليعتبروا ويتعظوا بها وينبههم تنصيصها وتعدادها الاتقاء من معصية الله تعالى
وعقابه وهم مع ذلك لم يعتبروا بها ولم يتخلصوا بسببها من اودية الضلالة والجهالة بل بقي عليهم جهلهم شغلهم بافعال
واذا قيل لهم اتقوا الاية كانه قيل اذا قيل لهم ايها الجهال ان لم تستيقنوا بما ذكر من الدلائل الدالة على صدق المخبر فيما
ادعاه من اثابة المطيع وعقاب العاصي يوم البعث والجزاء فلا اقل من ان تتركوا ما انتم عليه من الضلال احتياطا و
احترازا عن العذاب الموعود بناء على احتمال صدق المخبر به فان من اخبر بوقوع العذاب تبعة وجب زجره عنه وان لم يقطع
بصدق قول المخبر احتياطا لا يلتفتون الى قول القائل ولا يتركون شيئا من غوايتهم ومن حق العقلاء الحكماء اتباع
البرهان ومن حق العوام بناء الامر على الاحتياط فهم نازلون عن درجة العوام ايضا لغاية جهلهم ونهاية غفلتهم
ثم انه تعالى لما وبخهم بتركهم التعظيم لجانب الله حيث قال واذا قيل لهم اتقوا عذاب الله اعرضوا عنه شرع في التوبيخ
بتركهم الشفقة على خلق الله تعالى فقال واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله فان جملة التكاليف ترجع الى امرين التعظيم لجانب الله
والشفقة على خلق الله وهم قد تركوا الامرين جميعا والمحاويج جمع محواج بمعنى كثير الحاجة **قوله** من لو يشاء الله يسوق اطعمه
قوله اطعمه جواب لو وجاء مجردا عن اللام ويجوز ذلك عند علماء العربية وان كان الاكثر والاشهر ان يجيء باللام نحو لو نشاء لجعلناه
حطاما **قوله** يعني متطلعة كانوا بمكة روي عن ابن عباس رض قال كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا
لا والله ايفقرهم الله ونطعمهم نحن وانما قالوا ذلك لانهم كانوا يسمعون المؤمنين يعلقون الامور بمشية الله تعالى فيقولون لو شاء
الله تعالى لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا وكذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بهم وبتعليقهم الامور
بمشية الله تعالى والا فهم ينكرون الصانع فلا يتصور ان يكون هذا الجواب منهم عن اعتقاد وجد فيكون تهكما واستهزاء فان
من لا يقر بالصانع كيف يعتقد بانه رزقه ما في يده وانه لو شاء لاغنى المساكين بل يسند الافعال الى نفسه ويقول انما اعطاني

وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للتأكيد والثانية تبعيضية ووقعت صفة لآية والاضافة الى الآيات المجرور باضافة الآية الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ الائه الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤون الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضميرهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها ابو

بالطعام اندفعت حاجة الاغنياء **قوله** ايهاما بان الله تعالى لما كان قادرا الخ علة لقوله قاله مشركو قريش يعني انهم تعلقوا
في ترك الانفاق على المحتاجين بقول فقراء المؤمنين لهم انفقوا مما رزقكم الله وقالوا لهم انكم قلتم انفقوا مما رزقكم الله واذا
كان رزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فلا معنى لالتماسكم الرزق منا وهذا الاحتجاج منهم باطل لانه تعالى اذا ملك عبدا مالا ثم اوجب
فيه حقا فانه انتزع ذلك القدر منه فلا معنى لاعتراض العبد عليه وقد صدقوا في قولهم لو يشاء الله اطعمه ولكن كذبوا في الاحتجاج
وذلك لانه تعالى اذا زوج عبدا انثى وملكه اياها لم ينقطع عنه ملكه واذا اوجب فيه حقا وامره باداته فليس للعبد ان
يمتنع من ادائه كالمالك منا اذا اعطى عبده مالا ثم امره بان يدفع منه في كذا فليس له ان يقول انت اعطيتني هذا
فاعط فلانا من عندك ايضا ولا تامرني به فيما هو مالي ومن الجهل ايضا ان يقول العبد لا اعطي من لم يعطه الله
فانه تعالى يعطي باسباب منها حث الاغنياء على اعطاء الفقراء روي عنه عليه الصلوة والسلام قال لو شاء الله تعالى
لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولو شاء لجعلكم فقراء لا غني فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف عطف الغني وكيف
صبر الفقير **قوله** حيث امرتمونا بما يخالف مشية الله على ان يكون قوله ان انتم الا في ضلال مبين من قول الكفار للمؤمنين
وقيل هو من قول الله تعالى للكفرة حين ردوا بهذا الجواب قيل ان ابا بكر الصديق رض كان يطعم مساكين المسلمين
فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر اتزعم ان الله تعالى قادر على اطعام هؤلاء قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلى قوما بالفقر
وقوما بالغنى وامر الفقراء بالصبر وامر الاغنياء بالاعطاء فقال يا ابا بكر والله ما انت الا في ضلال مبين اتزعم ان الله
قادر على اطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم انت فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى الايتين والقول الاول اولى لان ما قبله وما بعده الذي هو قوله ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
مقول الكفرة فالانسب ان يكون هو ايضا من مقولهم **قوله** يعنون وعد البعث اي البعث الموعود به المدلول عليه بقوله اتقوا
ما بين ايديكم وما خلفكم والمعنى متى الساعة التي تعدنا بمجيئها وتامرنا بالاتقاء من عذابها وبالانفاق ليضاعف لنا
اجره فيها فيقولون ذلك استبعادا لوقوعها وانكارا لها من اصلها فان قيل كلمة ان في قوله تعالى ان كنتم صادقين للشرط
فتستدعي جزاء ومتى للاستفهام فلا يصلح جوابا فاين الجواب قيل هو في صورة الاستفهام لانه في المعنى انكار فكانهم قالوا ان كنتم
صادقين في وقوع الحشر فقولوا متى يكون **قوله** ينتظرون فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل كانوا يجزمون بعدمها قلنا نعم الا
انهم جعلوا منتظرين نظرا الى قولهم متى يقع لان من قال متى يقع الشيء الفلاني يفهم من كلامه انه ينتظر وقوعه واعتبر
في ذكر الصيحة التي اريد بها النفخة الاولى وجوه يدل على عظمها احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اي لا يحتاج معها الى ثانية
وثالثها قوله تاخذهم اي تعمهم بالاخذ وتصل الى من في الارض مشارقها ومغاربها **قوله** في متاجرهم جمع متجرة بمعنى
التجارة ذكر المص في قوله يخصمون ست قراءات وقد قرئ بوجه سابع وهو يختصمون على الاصل الوجه ما رواه
المص يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصمون فادغمت التاء في الصاد فالتقى ساكنان
فكسر اولهما لكون الكسرة اصلا في تحريك الساكن والثاني يخصمون بالكسرات الثلث اي بكسر الياء اتباعا للخاء
والثالث يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد المكسورة بان نقلت الفتحة الخالصة التي على التاء الى الخاء

ما رويناه عن ... ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وهو قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا حكاه الله تعالى بقوله ... فقالوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه ... فنحن نوافق مشية الله تعالى فلا نطعم من لم يطعمه الله منه

قوله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم فعلى هذين الوجهين يكون استينافا جوابا لما عسى ان يقال ... وعلى الوجه الاول قالوا ان انتم الا ... ان يكون من تمام كلام الكفرة يكون ... التشبيه مح

الى الطاء وادغمت في الصاد فصار يخصّمون باختلاس فتحة الطاء واكثرها والرابع يخصّمون باخفاء فتحة الطاء واختلاسها وسرعة
التلفظ بها وعدم اكمال صوتها بان تنقل شيئا من حركة فتحة ما يخصمون الى الخاء تنبيها على ان الخاء اصلها السكون والخامس ما ذكره بقوله
وعن نافع التشديد والاسكان اي فتح الياء واسكان الخاء مع تشديد الصاد المكسورة والنحاة يستشكلون هذه القراءة لاجتماع الساكنين
على غير حده اذ المكين اول الساكنين حرف مد وان كان ثانيهما مدغما والسادس ما روى عن حمزة انه قرأ يخصمون بسكون الخاء
وتخفيف الصاد من خصمه اذا جادله والمفعول محذوف اي يخصم بعضهم بعضا قوله في شيء من امورهم اشارة الى ان التنكير في قوله
توصية للتعميم لوقوعها في سياق النفي والمعنى لا يقدرون توصية ما ولو كانت بكلمة يسيرة فاذا لم يقدروا عليها يكونون اعجز عما
يحتاج الى زمان طويل من اداء الواجبات ورد المظالم ونحوهما لان القول اسرع من الفعل فاذا عجزوا عن ايسر ما يكون من
القول تبين ان الساعة لا تمهلهم بشيء اما واختيار الوصية من بين الكلمات لانها اهم الكلام بالنسبة الى المحتضر فالعاجز عنها
يكون اعجز عن غيرها قوله ونفخ في الصور الجمهور على اسكان واو الصور وفيه وجهان احدهما انه القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
عليه السلام والثاني انه جمع صورة كصوف وصوفة ويؤيد هذا الوجه قراءة بعض القراء ونفخ في الصور بفتح الواو وهذه النفخة
هي نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة الاولى يميت الله تعالى بها كل حي والثانية يحيي الله تعالى بها كل ميت قوله
وقرئ بالفاء ايضا يعني ان الاجداف لغة في الاجداث كالثوم والفوم فان قيل اين يكون في ذلك الوقت اجداث وقد زلزلت
الصيحة الجبال اجيب بان الله تعالى يجمع اجزاء كل ميت في الموضع الذي اقبر فيه فيخرج من ذلك الموضع وهو جدثه قوله الى ربهم اي
الى دعوة ربهم وهي دعوة اسرافيل عليه السلام للنشور او الى موقف ربهم الذي اعد للجزاء والحساب قوله وقرئ بالضم يقال نسل
الثعلب ينسل وينسل بكسر السين وضمها اي اسرع في عدوه واذا المفاجاة بعد قوله ونفخ في الصور اشارة الى كمال قدرته تعالى
والى ان مراده لا يتخلف عن ارادته زمانا حيث حكم بان النسلان وهو سرعة المشي في شدة العدو يتحقق في وقت
النفخ لا يتخلف عنه مع ان النسلان لا يكون الا بعد مراتب وهي جمع الاجزاء المتفرقة والعظام المتفتتة وتركيبها واحياؤها
وقيامهم احياء ثم نسلانهم فان قيل قال تعالى في آية اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فاذا هم من الاجداث
الى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان وقد صدر كل واحد منهما في موضعه باذا المفاجاة فيلزم ان يكونا معا والجواب
من وجهين الاول ان القيام لا ينافي المشي السريع لان الماشي قائم ولا ينافي النظر ايضا والثاني ان الامور المتعاقبة
التي لا يتخلل بينها زمان ومهلة يجعل كانها واقعة في زمان واحد كقول من قال بكسر مغز متصل به معا قوله ومن بعثنا
على ان اصل يناسب بنا فحذف الجار واوصل الفعل يدعون بالويل على انفسهم من شدة ما دهمهم من امر القيمة
وويل منادى اضيف الى ضمير المتكلمين وهو كلمة بلاء وعذاب كما ان ويح كلمة رحمة والمعنى يقول الكفار يا ويلنا
هذا زمان حضورك وآن ان يجيء وقيل الويل واد في جهنم لو ارسلت فيها الجبال لماعت من حرها وقرئ يا
ويلتنا فان ويل قد تدخل عليها التاء فيقال ويلة قال الشاعر لك الويل وعليك اخرى قوله وفيه ترشيح
يعني ان اصل الكلام من احيانا وارسلنا من اجداثنا الا انه استعير الرقود للموت واشتق منه لفظ المرقد ثم قرنت
الاستعارة المذكورة بما يلائم المستعار منه وهو الهبوب والانتباه وقوله اهبنا ترشيح لها قوله وفيه ايضا رمز واشعار
بانهم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن [illegible] وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها

بانهم لاختلاط عقولهم لا يميزون بين الموت والرقاد وقيل انما يقولون هذا القول لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب
بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا اهوال القيمة دعوا بالويل تحسرا على استراحتهم بين
النفختين وخوفا من عاقبة ما عاينوه وسالوا من اهبنا وقيل ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب
القبر في جنبها كالنوم فقالوا من بعثنا من مرقدنا قوله مبتدا وخبر فيكون الوقف على مرقدنا تاما ويكون هذه الجملة
اما مستانفة على انها من قول الله تعالى او من قول الملائكة او من قول المؤمنين للكفار واما في محل النصب بالقول المتقدم
على ان الكفار لما قال بعضهم لبعض من بعثنا من مرقدنا صدقوا الرسل لما عاينوا ما اخبروهم به فقالوا هذا ما وعد
الرحمن وصدق المرسلون فكذبنا به اقروا حين لم ينفعهم الاقرار وكان حفص يقف على مرقدنا وقفة لطيفة دون قطع
نفس لئلا يتوهم ان اسم الاشارة صفة لمرقدنا ثم يبتدئ هذا ما وعد الرحمن على انها جملة مستانفة قال مجاهد فقال
لهم المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وقال قتادة فقال لهم الله هذا ما وعد الرحمن وقال الفراء فقال لهم الملائكة هذا ما
وعد الرحمن قوله وما مصدرية او موصولة اي هذا الذي ترونه وعد الرحمن وصدق المرسلين اي موعده والمصدوق
فيه المرسلون تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير والذي وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون وعلى التقديرين هذا مبتدا
وما وعد الرحمن خبره قوله او هذا صفة عطف على قوله مبتدا وخبر اي ويحتمل ان يكون هذا في محل الجر على انه صفة مرقدنا
ويكون قوله ما وعد الرحمن منقطعا عما قبله بان يكون ما في محل الرفع على انه مبتدا خبره محذوف اي الذي وعده الرحمن
وصدق فيه المرسلون حق عليكم او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو او هذا ما وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون قوله
وهو من كلامهم اي من كلام الكفار فانهم يتذكرون حينئذ ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وعلى تقدير
كونه جوابا للملائكة او المؤمنين عن سؤال الكفار يكون الجواب معدولا عن سنن السؤال لان السؤال كان عن الباعث
وقد اجيبوا بان البعث هو الذي وعده الرحمن واخبر به الرسل الصادقون قوله حكاية لما يقال لهم يعني ان الكلام
على اضمار القول اي فيقال لهم اليوم لا تظلم نفس اي لا ينقص من ثواب طاعته ولا يحمل عليه معصية غيره وقوله فاليوم
منصوب بلا تظلم وشيئا اما مفعول ثان واما مصدر اي شيئا من الظلم فقوله لا تظلم نفس لتأمين المؤمن وقوله ولا تجزون
الا ما كنتم تعملون لتيئيس الكافر فان قيل ما الفائدة في ايثار طريق الخطاب عند الاشارة الى تيئيس المجرم والعدول
عن الخطاب عند الاشارة الى امان المؤمن فالجواب ان قوله لا تظلم نفس شيئا يفيد العموم وهو المقصود في هذا المقام
فانه تعالى لا يظلم احدا مؤمنا كان او مجرما واما قوله ولا تجزون فانه يختص بالكافر فانه تعالى يجزي المؤمن بما لم يعمله
من جهة الوراثة وجهة الاختصاص الالهي فانه تعالى يختص برحمته من يشاء من المؤمنين بعد ان جازاهم الجنة
الاعمال فلذلك ترك الخطاب في الاول وجاء الثاني على طريق الخطاب قوله من الفكاهة بفتح الفاء وهي طيب العيش
والنشاط بالتنعم قال الجوهري الفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان
طيب النفس مزاحا فرحا اي ذا نشاط من التنعم فلما فسر الفاكهة بالمتلذذ المتنعم وجب ان يكون قوله من الفكاهة
بفتح الفاء وانما يكون بالضم اذا فسر الفاكهة بالمزاح النشاط وقيل فاكهون بمعنى الصحيح فاكهة كما يقال لابن و

وتامر وعاسل قوله وقرئ فكهون بالقصر وضم الكاف وهو لغة في فاكهون يقال رجل حذر وحذر ونطس ونطس قال
الجوهري النطس المبالغة في التطهر وكل من ادق النظر في الامور واستقصى علمها فهو متنطس يقال منه رجل نطس ونطس
اي زكي دقيق النظر في الامور قوله وهما خبران لان متعلق قوله في شغل ظرف مستقر خبران وفاكهون خبر ثان ومن كان في الدنيا
في شغل يكون في تعب فقال في حق اهل الجنة في شغل فاكهون ليعلم ان شغلهم شغل التلذذ لا شغل فيه تعب ويجوز ان يكون
فاكهون هو الخبر وفي شغل متعلق به ظرف لغو وقرا الكوفيون وابن عامر شغل بضمتين والباقون بضم وسكون وقرئ
في الشواذ بفتحتين قوله جمع ظل كشعاب جمع شعب بكسر الشين وهو الطريق في الجبل او جمع ظلة كقباب وقلال
جمع قبة وقلة قرا حمزة والكسائي في ظلل بضم الظاء والقصر وجمع ظلة كحلة وحلل وغرفة وغرف وحلة وحلل و
الظلة هو الستر الذي يستر كن من الشمس قرا الباقون في ظلال بكسر الظاء والالف قوله هم مبتدا وازواجهم عطف
عليه وفي ظلال خبره اي هم ونساؤهم اللواتي كن لهم في الدنيا وقيل من الحور العين وقيل ازواجهم اخلاؤهم كما
في قوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقيل يجوز ان يكون الكل مرادا اتابعون او مستترون في ظلال لا يرون فيها

> قوله هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والتفكه
> ابو السعود

شمسا لانه يراد قبل المعنى هم يحلون بهن لا يقع عليهن ابصار غيرهم وعلى الارائك مستانفة على ان يكون متكئون
خبر مبتدا محذوف وعلى الارائك متعلق به قوله او خبر ثان عطف على قوله جملة مستانفة اي ويحتمل ان يكون متكئون على
الارائك خبرا ثانيا ويعضده قراءة من قرا متكئين بالنصب على الحال من المنوي في الخبر الذي هو في ظلال لان الحال ضرب
من الخبر قوله او متكئون عطف على قوله في ظلال اي ويحتمل ان يكون الخبر متكئون ويكون قوله في ظلال متعلقا به وكذا على
الارائك قوله او تاكيد عطف على قوله مبتدا اي ويجوز ان يكون هم تاكيد للمستكن في قوله في شغل على تقدير ان يجعل ظرفا مستقرا
خبرا لان ويجعل وازواجهم عطفا على ذلك المستكن وفيه نظر لانه ح يلزم ان يفصل بين المؤكد والمؤكد بخبران ونظيره ان
يقال ان زيدا في الدار قائم هو وعمرو على ان يجعل هو تاكيد المضمر في قولك في الدار ويكون في الدار خبرا وقائم خبر ثان ويجوز
ان يكون هم تاكيد المستكن في فاكهون وازواجهم على هذين الوجهين عطف على الضمير المؤكد المستكن اما في الظرف او في اسم
الفاعل لافادة ان ازواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال او في ظلال حال من مجموع
قوله هم وازواجهم وعلى الارائك متكئون خبر ثان او ثالث والارائك هي السرر في الحجال واحدها اريكة وهي لا تكون
اريكة حتى يكون عليها حجلة وهي بيت يزين بالثياب والاسرة والستور واتكاؤهم عليها اشارة الى الفراغ وقوله
وازواجهم اشارة الى عدم الوحشة فيها وقوله لهم فيها فاكهة اشارة الى ان لا جوع فيها لان التفكه لا يكون
لدفع الم الجوع وتنكير فاكهة للتعظيم اي فاكهة لا توصف جمالا وبهجة وكمالا ولذة كما روي ان الرمانة منها تشبع السكن
وهم اهل الدار والتفاحة تنفتق عن حوراء عيناء وكل ما هو من نعيم الجنة فانما يشارك نعيم الدنيا في الاسم
دون الصفة قوله كاشتوى تمثيل لكون بناء افتعل الشيء بمعنى فعله لنفسه واجتمل الشحم المذاب يقال جمل الشحم
جملا واجمله واجتمله اذا اذابه فمعنى ما يدعون به لانفسهم اي ما يصح ان يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب قال الامام
ليس معناه انهم يدعون لانفسهم شيئا فيستجاب لهم بعد الطلب بل معناه لهم ما يدعون اي لهم ذلك فلا حاجة

الى الدعاء

الى الدعاء كما ان الملك اذا طلب مملوكه منه شيئا يقول لك ذلك فيغنيهم منه تارة انك مجاب الى مطلوبك واحرى الرد
اي ان ذلك حاصل لك فلم تطلبه اي لهم ما يدعون ويطلبون فلا طلب لهم او لهم الطلب والاجابة فان الطلب من الملك
والمخاطبة معه في حوائجه بلا واسطة لذة بليغة ومنصب عظيم واصل يدعون يدتعيون على وزن يفتعلون
استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى ما قبلها فحذفت لاجتماع الساكنين فصار يدتعون ثم ابدلت التاء دالا وادغمت
الدال في الدال فصار يدعون قوله او ما يتداعونه على ان لا يكون الافتعال لفعل الشيء لنفسه بل يكون بمعنى التفاعل فقوله
يدعون بمعنى يتداعون من قولهم تداعوا الشيء اذا دعاه وطلبه كل احد من صاحبه فالمعنى كل ما يطلبه احد من صاحبه
فهو حاصل لهم فلا طلب قوله او يتمنون على ان يكون يدعون يفتعلون من الدعاء بمعنى التمني والمعنى كل ما يتمنونه فهو حاصل
لهم قال ابن عباس رض يعني اذا خلا في نفسه فيتفكر وضع بين يديه من غير ان ينطق بلسانه قوله او ما يدعونه في الدنيا على
ان الادعاء هو الاتيان بالدعوى فان اهل الجنة كانوا يدعون في الدنيا ان الجنة ودرجاتها وما فيها من النعيم المقيم
لهم ويدعون ان لهم الله وهو موليهم وان الكافرين لا مولى لهم فقال تعالى لهم في الجنة ما يدعونه في الدنيا قوله وما
موصولة ويدعون صلتها او موصوفة بمعنى شيء ويدعون صفتها والعائد على الوجهين محذوف اي الذي يدعونه او شيء
يدعونه حاصل لهم وسلام بدل من قوله ما يدعون كانه قيل لهم سلام او صفة اخرى لما على تقدير كونها نكرة موصوفة كانه
قيل شيء يدعونه وشيء سلام اي سالم خالص عن المنازع او سليم من العيوب والآفات حاصل لهم وان جعلت ما
بمعنى الذي امتنع ان يكون سلام صفة لها لاختلافهما تعريفا وتنكيرا ويجوز ان يكون سلام خبر ما يدعون ويكون لهم متعلقا بسلام
والمعنى ما يدعونه سلام خالص لهم لا ينازعهم فيه منازع او ذو سلامة من العيوب ويجوز ان يكون خبر محذوف اي هو
سلام لهم اي سالم وقرئ سلاما بالنصب على انه مصدر فعله المضمر اي سلم الله عليهم او يسلم في الجنة سلاما على انه
من التحية او من السلامة او على انه حال اي ما يدعونه خالصا قوله اي يقوله الله قولا او يقال لهم قولا على ان يكون قولا مصدرا
مؤكدا للفعل المحذوف اي لهم سلام يقوله الله قولا او يقول الملائكة لهم ذلك قولا وقوله من رب متعلق بالمحذوف هو
صفة لقولا قوله ويحتمل نصبه على الاختصاص كانه قيل اعني قولا قيل وانتصابه بتقدير اعني اوجه من ان ينتصب على
المصدرية لفعل محذوف لان المقام مقام المدح من حيث ان هذا القول صادر من رب رحيم فكان جديرا بان يفخم امره
ويعظم قدره ويكون جملة مستقلة منفصلة عما قبله روي عن جابر رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فاذا الرب تعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام
عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شيء
من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل سلم عليهم الملائكة من
ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون سلام عليكم يا اهل الجنة من ربكم الرحيم
وهو قول المص انه تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وقوله تعالى وامتازوا اليوم داخل
في حكم القول المضمر وكذلك ما بعده الى قوله اليوم نختم على افواههم ويدل عليه تكرر ذكر اليوم في هذه الآيات كما اشار

الله المص ولما كان فعل الامتياز يقتضي فاعلا يقوم به الامتياز ومفعولا يتعدى اليه الفعل بكلمة عن ذكر الاول ولم
يذكر الثاني في الآية ذكر فيه ثلث احتمالات الاول ان يكون المعنى انفردوا واعتزلوا اليوم ايها المشركون عن الموحدين
فكونوا في السعير وذوقوا عذابها ولهبها بدل الجنة لهم والوان نعيمها وطربها ووجه اتصالها بما قبلها ان الكفار لما
شاهدوا ما يصل الى المؤمنين من الثواب وانواع الاكرام وتحسروا اشد التحسر قيل لهم تفرقوا وادخلوا مساكنكم
من النار اذ لا يتصور لكم ان تجتمعوا بهم ابدا ليزداد لهم حسرة الى حسرتهم والثاني ان يكون المعنى انفردوا عما ترجونه
واعتزلوا عن كل خير والثالث ان يكون المعنى تفرقوا في النار على خلاف ما للمؤمنين من الاجتماع بالاخوان وعذاب
الفرقة عن القرناء والاصحاب من اسوء العذاب واشد العقاب ويحتمل ان يكون قوله وامتازوا من قبيل قوله
تكاد تميز من الغيظ فان المعنى تميز بعض الاجزاء عن بعض فيكون وجه الارتباط ان المجرمين يرون منزلة المؤمنين
ورفعتهم ونزول دركات انفسهم وصفتهم فيتحسرون على ما فات منهم من رفعة حال المؤمنين فيقال لهم امتازوا
اليوم وتقطعوا حسرة وندامة اذ لا دواء لالمكم ولا شفاء لسقمكم **قوله** من جملة ما يقال لهم تقريعا بيان لوجه
ارتباط الآية بما قبلها فانه تعالى لما بين انه يقال للمجرمين امتازوا اليوم عن منازل المطيعين بين انه يقال لهم
عند ادخالهم النار تقريعا لهم وتوبيخا الم امركم على السنة رسلي ايها المجرمون ان لا تطيعوا الشيطان ولا تعظموا امره
بالانقياد لما يوسوس اليكم من اتباع الشهوات وارتكاب المحظورات والعهد الوصية يقال عهد اليه اذا اوصاه الم
اوص اليكم على لسان الادلة العقلية والسمعية والم انصب لكم بحيث تلزمكم بعبادة الرحمن وتزجركم
عن عبادة غيره **قوله** وجعلها عبادة الشيطان يعني المراد بعبادة الشيطان عبادة غير الله تعالى لان الشيطان
لا يعبده احد ولم يرو عن احد انه عبد الشيطان الا انه عبر عن عبادة غير الله تعالى بعبادة الشيطان لوقوعها
بامر الشيطان وتزيينه والانقياد له فيما سوله ودعا اليه فسمي اطاعة الشيطان والانقياد له عبادة له تشبيها لها
بالعبادة من حيث ان كل واحد منهما ينبئ عن التعظيم والاجلال **قوله** وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة لان
ماضيه فعل بكسر العين وكسر حرف المضارعة ما عدا الياء في باب فعل لغة وقرئ احهد بابدال عين اعهد
حاء وهي لغة هذيل وقرئ احد ايضا بابدال كل واحدة من العين والهاء حاء وادغام الحاء في الحاء وهي لغة تميم
ووجه عداوة ابليس لبني آدم انه تعالى لما اكرم آدم عليه الصلوة والسلام عاداه ابليس حسدا والعاقل لا يقبل
من عدوه وان كان ما يلقيه اليه خيرا اذ لا امن من مكره فان غربة الناصح خير تجنبة العدو والمراد بشق العهد
الانتهاء عن طاعة الشيطان والاقبال على طاعة الرحمن فقوله تعالى هذا صراط مستقيم بيان للمقتضي لشق
العهد على تقدير ان يكون هذا اشارة الى مجموع ما عهد اليهم وكونها بيانا لما يقتضيه شق الاخير مبني على كونه
اشارة الى الشق الاخير منه **قوله** والتنكير للمبالغة والتعظيم جواب عما يقال تنكير صراط مستقيم يدل بحسب
الظاهر على انه فرد من جملة الصراط المستقيمة مع انه ليس وراء الترك متابعة سبيل الشيطان والاقبال
على طاعة الرحمن شيء من الاستقامة فالمناسب للمقام بحسب الظاهر تعريف المسند اليه ليفيد الحصر بان تقال هذا

هذا الصراط المستقيم وهذا هو الصراط المستقيم واجاب عنه بان التنكير فيه ليس للافراد والبعضية حتى يرد ما
ذكرت بل هو للمبالغة في استقامة التوحيد والطاعة وتعظيمه فان تنكير الشيء قد يكون للدلالة على ان ارتفاع شانه
وعلو طبقته في بابه قد بلغ مبلغا لا يمكن تعيينه واحضاره بخصوصيته وانما يمكن احضاره باسم جنسه فنكر قوله صراط
مستقيم ليعلم انه بلغ في استقامته مبلغا لا يمكن الاشارة اليه بتعيينه بخصوصية ثابتة له في استقامته واستجماعه
جميع ما يجب ان يكون الصراط عليه وانه لا سبيل الى الدلالة عليه الا بان يعبر عنه باسم جنسه كانه قيل وصيت اليكم بهذا
الصراط لكونه في غاية الاستقامة ونهاية الرفعة وعلو الطبقة ثم جوز ان يكون التنكير فيه للافراد والبعضية بان يكون اشارة
الى الشق الاخير من الموصى به وهو توحيد الله تعالى وتخصيصه بالعبادة والتوحيد بعض من جملة الصراط المستقيم المعتبرة
في الايمان وصاحب الكشاف جعل حمل التنكير على البعضية مبنيا على التوبيخ على العدول عنه على معنى ان هذا الصراط
بعض الخصال الاستقامة فيه وكونه اقوم الصراط اقل حالة انه لا اعوجاج فيه ولا يضل سالكه فما بالكم تعدلون عنه كالعادل
عن الصراط المعوج وكونه من جملة الصرط المستقيمة كاف في اتباعه والحال انه هو المختص بالاستقامة فالتنكير
فيه للهضم من حقه وادماج التوبيخ والتقريع **قوله** والجبل الخلق اي المخلوق وقرأ يعقوب جبلا بضمتين وتشديد
اللام وقرأ نافع وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرئ جبلا بكسر الجيم وفتح الباء الموحدة وتخفيف اللام
جبلة وهي الخلقة كفطرة وفطر وقرئ جيلا بالياء المثناة من تحت يقال جيل من الناس اي صنف منهم
كالعرب والروم وجمع على اجيال **قوله** افلم تكونوا تعقلون لا يقدر له مفعول بل هو منزل منزلة اللازم والمعنى
افلم تكن لكم ذهن الانسانية فتقبلوا عبادة خالقكم وتعقلوا عن طاعة عدوكم ويحتمل ان يكون المعنى افلم تكونوا
تعقلون ما اتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
بها في الدنيا وفيه ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من ثلثة اوجه احدها قوله اصلوها فانه امر تنكيل واهانة كقوله
ذق انك انت العزيز الكريم وثانيها قوله اليوم يعني ان ايام لذاتك قد مضت وهذا اليوم وقت عذابك في صليتك يقال
صلي فلان النار يصلي صليا اذا احترق وهو من باب علم وثالثها قوله كنتم تكفرون على وجه التذكير والتقريع فان حياء
الكفور من المنعم من اشد الآلام ولما قيل لهم الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان جحدوا وقالوا ما كنا
مشركين وما عبدنا من دونك من شيء وما اطعنا الشيطان في شيء من المنكرات فيختم الله تعالى على افواههم ان يفعل
بافواههم ما لا يمكنهم معه ان يتكلموا بالسنتهم فيصير افواههم كانها مختومة فيعترف جوارحهم بما صدر عنها من الذنوب
ابدا لا انه حالهم عليها او بان باذن الله لا في الكلام والختم لازم للكفار ابدا اما في الدنيا ففي قلوبهم واما في الآخرة
ففي افواههم ففي الوقت الذي كان الختم على قلوبهم كان قولهم بافواههم كما قال الله تعالى ذلك قولهم بافواههم فلما
ختم على افواههم ايضا لزم ان يكون قولهم باعضائهم لان الانسان لا يملك غير القلب واللسان والاعضاء فاذا
لم يبق القلب واللسان تعين الجوارح والاركان **قوله** لمسحنا اعينهم اي لسوينا ها ومحونا ها بحيث لا يبدو لها
شق ولا جفن هذا تهديد من الله تعالى بهذا الكلام واشارة الى انهم كما استحقوا الآن اعماء قلوبهم في الدنيا ولان نختم

على افواههم وتكلمنا جوارحهم يوم القيمة فهم يستحقون ايضا الان نطمس على اعينهم الظاهرة ونمحوها في الدنيا
بكونهم الا انا لم نفعل ذلك بهم ولم نعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا ولينكروا ونعمنا عليهم هذا قول الحسن والسدي وقال
ابن عباس ومقاتل وعطاء وقتادة معناه لو نشاء لفقأنا اعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصا
رهم عن الضلال الى الهدى فاستبقوا الصراط فاهتدوا الى طريق الحق وابصروه فانى يبصرون ان لم يبصروا ولم
نشأ ذلك ولم نفعل بهم ذلك **قوله** وانتصابه بنزع الخافض وايصال الفعل اصله فاستبقوا الى الصراط او
بتضمين الاستباق معنى الابتدار وابتدر يتعدى بنفسه يقال ابتدروا السلاح اي تسارعوا اخذه من المبادرة
وهي المسارعة او جعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع اي ويجوز ان يكون انتصاب الصراط على انه مفعول به لاستبقوا
بان يجعل الصراط مسبوقا بطريق التجوز نبا على ان الصراط مسبوق اليه لا مسبوق الا انه جعل مسبوقا بان شبه
بالمسبوق في كونه متروكا كما يترك السابق المسبوق فمعنى استبقوا الصراط خلفوا الصراط المعهود بينهم وسلكوا
غيره قال صاحب الكشاف في تصوير المعنى على تقدير ان يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه لو نشاء لاعميناهم فلو طلبوا
ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه وان يسلكوا غيره لعجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك
الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوه واعتادوه من
المقاصد دون غيرها انتهى والوجه الرابع لانتصاب الصراط ان ينتصب على الظرف اي في الصراط فالمعنى لو نشاء
لاعميناهم فلو ارادوا ان يمشوا مستبقين في الصراط الذي اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا والمسخ تحويل الصورة الى ما
هو اقبح منها سواء كان ذلك التحويل بقلبها الى صورة البهيمة مع بقاء الحيوانية او بقلبها حجرا ونحوه من الجمادات بابطال
القوى الحيوانية واختلف في المسخ بها فعن ابن عباس رض لمسخناهم قردة وخنازير وقيل لمسخناهم حجارة و
قيل لاقعدناهم وازمناهم والمعنى على الاول تحويل تغيير صورهم والى الباقي بتحويل وابطال قواهم **قوله** بحيث يجمدون
فيه اي يقيمون فيه ولا يقدرون ان يبرحوا منه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع من قولهم جمد الماء يجمد جمدا وجمودا
اذا انعقد ولم يجر ويجوز ان تكون تخمدون باطلا كقوله فاذا هم خامدون والمكانات جمع مكانة بمعنى المكان كالمقامات في جمع
مقامة بفتح الميم وهي موضع القيام **قوله** وقيل لا يرجعون عن تكذيبهم والظاهر ان المعنى لمسخناهم مسخا يبطل قواهم فلا
يستطيعون معه الا الاصرار على التكذيب ولا الرجوع عنه كما ان المعنى على الاول لمسخناهم مسخا يلزمهم مكانهم لا يقدرون معه
ان يذهبوا امامهم ولا ان يرجعوا خلفهم **قوله** لتقلب الواو ياء علة لقوله المكسورة فان مضيا اصله مضوي على وزن
فعول قلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء الساكنة قبل الياء وكسرت الضاد قبل الياء الساكنة لتسلم الياء ثم كسرت الميم اتباعا
للضاد والقضي على فعيل من قضيت الفرخ ونحوه صاء الفرخ يصيء صيئا اذا صاح والقراءة المشهورة في مضيا ضم الميم وكل واحد
من فتح الميم وكسرها شاذ **قوله** لشمول الرحمة لهم فان رحمة الله تعالى تعم المؤمن والكافر في الدنيا **قوله** وقرا عاصم وحمزة
ننكسه على بناء التفعيل للتكثير لكثرة الاحوال الطارئة على من توجه الى الهرم على حسب كثرتها في حق الصبي الى ان يبلغ
اشده وقرا الباقون ننكسه بفتح النون الاولى واسكان الثانية وضم الكاف مخففة من نكسه ينكسه نكسا
اي قلبه

كاينكس السماء فيجعل اعلاه اسفله

اي قلبه على راسه فانتكس ومنه الولاد المنكوس ان يخرج رجلا الصبي قبل راسه **قوله** رد لقولهم ان محمدا شاعر فان
كفار مكة قالوا في حقه عليه الصلوة والسلام ان محمدا شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تعالى في حقه قوله وما علمناه
الشعر وما ينبغي له تكذيبا لهم ومع ذلك انه مرتبط بما قبله من حيث ان عادة الله تعالى في كتابه المجيد انه ذكر اصلين
من الاصول الثلثة التي هي الوحدانية والحشر والرسالة ذكر الاصل الثالث منها وقد ذكر ههنا اصل الوحدانية والحشر
اما الوحدانية ففي توصية بني ادم بتخصيص العبادة به تعالى واما الحشر ففي قوله هذه جهنم الاية فلما ذكرهما وبينهما
ذكر الاصل الثالث وهو الرسالة فقال وما علمناه الشعر اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم معلم من عند الله عز وجل
الا انه تعالى علمه علوم الاولين والاخرين وما علمه الشعر والظاهر في الرد ان يقال انه ليس بشاعر وان ما
يتلوه عليكم ليس بشعر الا ان عدم كونه عليه الصلوة والسلام شاعرا لما كان ملزوما لعدم كون معلمه علمه الشعر
نفى اللازم واريد نفي الملزوم وقد تقرر ان الكناية لكونها اثباتا للشيء ببينة ابلغ من التصريح فلذلك اورد
طريق الكناية ثم قال وما ينبغي له اي وما يتسهل له وما يتيسر له الشعر والبغاء الطلب والانبغاء انفعال
منه يقال بغيته فانبغى اي طلبته فانطلب ومعناه الانقياد والحصول لمن رامه قال واختيار لو اراد ان يتمثل ببيت شعر
لغيره جرى على لسانه منكسرا حتى روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالاسلام والشيب للمرء
ناهيا فقال ابو بكر الصديق رض يا نبي الله انما قال الشاعر كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا فقال عمر رض اشهد
انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له فالله سبحانه كما جعله اميا لا يهتدي الى الخط لكتابة
ولا يحسن قراءة ما كتبه غيره ومع ذلك كان مدينة العلم جامعا لعلوم الاولين لتكون الحجة اثبت والشبهة
للمرتابين في حقية رسالته ابطل جعله ايضا بحيث لو اراد ان يقول الشعر لم يتأت له ذلك لذلك ايضا فانه لو كان
شاعرا لدخلت الشبهة على كثير من الناس في ان ما جاء به يقوله من عند نفسه لانه شاعر صناعته نظم الكلام
ولذلك عقبه بقوله ويحق القول على الكافرين لانه اذا انتفت الريبة لم يبق الا المعاندة فيحق القول عليهم قال
الامام وما ينبغي له اي الشعر لا يليق بمثله ولا يصلح له لان الشعر يدعو الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن والشارع
يكون اللفظ منه تبعا للمعنى والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ لانه يقصد لفظا به يصح وزن الشعر او قافيته
فيحتاج الى ان يتحيل معنى ياتي به لاجل ذلك اللفظ ولان احسنه ما كان اكثر مبالغة ومجازفة واغراقا في الوصف
وكلها يستدعي الكذب وجل جناب الشارع عنه فما هو الا كتاب سماوي وتنزيل الهي فعلى هذا الشعر هو الكلام
الموزون الذي قصد الى وزنه قصدا اوليا واما من يقصد المعنى فيتفق ان يكون ما يدل عليه من اللفظ موزونا
فانه لا يكون شاعرا ولا يكون ذلك اللفظ شعرا كقوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب قاله يوم
حنين نزل ودعا واستنصر وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قاله
لما اصاب اصبعه حجر فدميت فان مثله لا يكون شعرا لعدم القصد الى الوزن والقافية قصدا اوليا ويؤيد
ذلك انك اذا تتبعت كلام الناس في المحاورات تجد فيه ما يكون موزونا واقعا في بحر من بحور الشعر ولا يسمى المتكلم

شاعرا ولا الكلام شعرا لفقد القصد الى الوزن والقريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر اقرضه اذا قلته والشعر قريض **قوله** على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا الرجز مستفعلن ست مرات والمشطور منه ما حذف شطره اي نصفه فبقي مستفعلن ثلث مرات نحو هل انت الا مستفعلن لا اصبع مستفعلن دميت فعولن هو مقطوع مخبون والقطع ان تحذف ساكن الوتد وتسكن متحركه والخبن ان تسقط الساكن الثاني فقوله على ان الخليل متعلق بقوله هل انت الا كما ذكرنا واما انا النبي لا كذب فرجز مجزو والجزء ان تحذف العروض والضرب **قوله** انه عليه الصلوة والسلام حرك البائين اي في البيت الاول باء بفتحها وكسرها في المطلب وكسر التاء الاولى في دميت من غير اشباع الكسرة وسكن التاء الثانية في لقيت فلا يكون شيء منهما شعرا اصلا **قوله** وقيل الضمير في قوله وما ينبغي له للقرآن لا للنبي حتى يرد ان يقال فانتقض بقوله عليه الصلوة والسلام هل انت الا اصبع دميت الخ وبقوله يوم حنين او يوم فتح مكة انا النبي لا كذب الخ وبقوله لبيك ان العيش عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة واجاب بانه من قبيل الكلام الوارد بمقتضى السليقة وكون وزنه موافقا لوزن الشعر لا يجعله شعرا فان اهل اللغة اجمعوا على ان من قال قولا موزونا لا يقصد به وزنه وقافيته فانه ليس بشعر وان وافق الشعر ولو كان شعرا لكان كل من نطق بكلام موزون من العوام الذين لا يعرفون الوزن شاعرا وليس كذلك ثم قال تعالى ان هو الا ليس هذا الذي يتلوه عليكم الا ذكر وقرآن مبين اي الا عظة تذكركم الله تعالى به وقيل شرف لكم لانه بلسانكم وكتاب منزل ومبين ما تحتاجون اليه وقوله لينذر متعلق بقوله وقرآن او بمجموع قوله الا ذكر وقرآن اي الا ذكر انزل لينذر ويخوف من كان حي القلب بان كان عاقلا فهما يميز المصلحة من المفسدة ويستخدم قلبه فيما خلق له ولا يضيعه باستعماله فيما لا يعنيه جعل العقل والفهم للقلب بمنزلة الحيوة للبدن من حيث ان منافع القلب منوطة بالعقل كما ان منافع البدن منوطة بالحيوة وعلى قوله او مؤمنا في علم الله تعالى بمنزلة الحيوة للبدن لكونه سببا للحيوة الابدية وخص كونه منذر المن كان حي القلب بالذكر مع انه منذر للناس كافة لانه هو المنتفع بانذاره **قوله تعالى** اولم يروا الآية اي الم ينظروا وانظروا اعتبارا انا خلقنا لاجلهم انعاما كائنة مما جملة ما تفردنا باحداثه بمحض قدرتنا وارادتنا من غير استعانة بالجوارح لانه تعالى منزه عن ذلك شبه اختصاص اثاره به وتفرده في احداثها باختصاص مصنوع من عمله بيديه به فان معمول الشخص بيديه يختص به مما يمكنه من معمول غيره فاستعمل فيه عمل اليد مع تنزهه عن الجوارح والعمل بها على سبيل الاستعارة التمثيلية ليفيد المبالغة في الاختصاص **قوله** ولم يقدر على احداثه غيرنا كانه استفاد الحصر من اقحام لفظ الايدي كما حققناه آنفا او من المقام ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر اصل الرسالة وساق الكلام الى ان قال القرآن كتاب ينتفع بانذاره احياء القلوب وتجب الحجة به على الاموات ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وانه يتضمن دعوى تفرده بالالوهية والقدرة على الحشر والجزاء انتقل الى تقرير ما يدل عليه فقال اولم يروا انا خلقنا لهم اي لاجل انتفاعهم بحيث لا يشاركهم فيه غيرهم مما عملت ايدينا من جملة ما تفردنا باحداثه بمحض قدرتنا من

قال ما عدا المقطوع من الشعر لا يكون شعرا واشتقاقه من الرجز وهو داء يصيب الابل في اعجازها فاذا ثارت ارتعشت اعجازها وتجدها كم ساعة ثم تنبسط ومنه سمي الرجز من الشعر لتفاوت اجزائه وقلة حروفه والخليل بن احمد العروضي اخرج اوزان الشعر ولم يعد المشطور من الرجز شعرا منه

استعير الحيوة للعقل بجامع التكميل والتزيين وعلى الثاني استعيرت للايمان لكونه سببا للحيوة الابدية فعلى هذا قوله من كان حيا يعني من كان مآل امره الى الايمان والحيوة بسببه في علم الله تعالى فذلك قبل كان ايمانه بتحقق الوقوع فلذلك جعل كانه حي الآن مؤمنا منه

وهي الابل الراعية

من غيران يشاركنا في احداثه غيرنا وقوله انعاما مفعول خلقنا وهو جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم مما فيه سير ونعومة او لبن ولا يدخل فيها الخيل والبغال والحمر لشدة وطئها الارض **قوله** فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا يعني ان قوله مالكون يجوز ان يكون من ملك اليد والتصرف وان يكون من الملك بمعنى الضبط والتذليل والفاء في قوله فهم لها على التقدير الاول للسببية فان قوله خلقنا لهم انعاما يصح ان يأول بانا ملكناها لهم فهم لها مالكون وبانا سخرناها لاجل انتفاعهم ولم نجعلها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهم لها مالكون اي متمكنون من ضبطها وقدم الاحتمال الاول لكونه اظهر من حيث ان قوله وذللناها لهم وتقسيمها الى الركوب والماكول يدل على الضبط والتسخير فلو حمل قوله مالكون بمعنى متمكنون من ضبطها لكان قوله وذللناها لهم عطف تفسير لقوله مالكون وليس بتكرار فالاظهر ان يكون قوله مالكون من التملك بمعنى اثبات اليد المحققة المانعة لا اليد المبطلة لكون المعنى انها مختصة لهم بحيث لا يكون لاحد ان يمنعهم من التصرف فيها او يزاحمهم في الانتفاع بها ثم يعطف قوله وذللناها لهم على قوله خلقنا لهم انعاما ليفيد فائدة اخرى وهي انا جعلناها في انفسها مسخرة لصاحبها بحيث لا يمتنع من التصرف فيها بما اراد صاحبها منها واستشهد على استعمال الملك في معنى الضبط والتذليل بقول ابن هرمة حين سئل كيف انت ◦ اصبحت لا املك السلاح ولا ◦ املك راس البعير ان نفرا ◦ والذئب اخشاه ان مررت به ◦ وحدي واخشى الرياح والمطر ◦ اي صرت لا اطيق حمل السلاح ولا اضبط راس البعير ان نفرا **قوله** وقرئ ركوبتهم بفتح الراء وزيادة تاء التانيث لان الانعام وفعول اذا كان بمعنى المفعول يفرق بين مذكره ومؤنثه بالتاء فيقال ناقة حلوبة وركوبة وحمولة اي محلوبة ومركوبة ومحمول عليها فرقا بينه وبين فعول بمعنى فاعل نحو امرأة صبور وشكور **قوله** وقيل جمعه اي اسم جمع لركوب اذ لم يرد هذه الزنة في ابنية جمع التكسير بل في ابنية اسماء الجموع ولهذا اضعفه بقوله قيل وقرئ ركوبهم بضم الراء ولا بد من حذف مضاف امامن الثاني اي فمنها ذو ركوبهم او من الاول او فمن منافعها ركوب **قوله** اي ما يأكلون لحمه ارتكب التقدير لان القسم المقابل للركوب لا بد ان يكون من افراد الانعام لما بين الله تعالى وجوه نعمه في خلق الانعام ثم امرهم بشكره بانكار عدم شكرهم حيث قال افلا يشكرون بين انهم متوغلون في الضلال من حيث انه كان الواجب عليهم ان يعبدوا الله تعالى شكرا لانعمه فتركوا عبادته واقبلوا على عبادة ما لا يجز ولا ينفع رجاء نصرهم اياهم حيث يزعمون ان لها شفاعة يوم القيمة فقوله تعالى واتخذوا الهة من دونه بيان غيهم وضلالهم والمعنى انا فعلنا لهم ما يوجب شكرهم وهم قد سلكوا سبيل الشرك وعبادة ما لا يضر ولا ينفع **قوله** فيما حزبهم اي اصابهم والفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم جزائية اي اذا سمعت قولهم في الله ان له شريكا وولدا وفيك انك كاذب شاعر وتألمت من اذاهم وجفائهم فتسل باحاطة علمي بجميع احوالهم وبانى اجازيهم على تكذيبهم اياك واشراكهم بي بين الله تعالى كمال غوايتهم وعظم جهالتهم بان ذكر انه خلق لهم من النعم الجليلة ما يوجب شكرها ثم ذكر انهم اذا اتهم ذلك الى الكفران والشرك وفرع عليه قوله فلا يحزنك قولهم الناشيء عن كمال الضلالة والجهالة واكتف باحاطة علمي بما يخفون في صدورهم من العقايد الفاسدة ومن عداوتك وما يعلنون بالسنتهم في باب التوحيد والرسالة ثم سلاه ثانيا بان ما يقولونه في باب التوحيد والرسالة اهون بالنسبة

الى انكارهم الحشر حيث عطف قوله اولم ير الانسان الخ على قوله اولم يروا انا خلقنا لهم انعاما وترتيب النظم انه تعالى بعد
ما رد عليهم قولهم انه شاعر وان ما يتلوه شعر انزل قوله اولم يروا انا خلقنا لهم الخ تسلية له عليه الصلوة والسلام
بانه اراهم تلك الايات الباهرة واولاهم تلك النعم المتظاهرة ليعلموا انه المتفرد بها ويشكروها ويخصوا العبادة بمنعمها
ومع ذلك كابروا وعاندوا واتخذوا من دونه الهة اشركوها به في العبادة وقابلوا امثال تلك النعم الجليلة بهذه الشنيعة
القبيحة ومن هذا استغراقه في الضلالة لجدير ان يعرض عنه وان يفوض امره الى من احاط بجميع احوالهم وقدر على
المجازاة عليها ثم انزل قوله اولم ير الانسان الخ تسلية ثانية له على اسلوب ما سبق عليه في توبيخهم بتعكيس الامر يعني
كما تولينا احداث تلك النعم لتكون احداثها ذريعة الى ان يشكروها فجعلوها وسيلة الى الكفر كذلك خلقناهم من
اخس الاشياء واحقرها بالخضوع او تنبه للواطالتهم فاذا هم انتصبوا في مقام المخاصمة والجدال مع ان اعجب الامور
وغاية الوقاحة من امثاله ان لا ينظر الى بدء امره وخسة عنصره وينتصب لمخاصمة الملك الجبار ويكذبه فيما اخبر به
من امر الحشر والحساب والثواب والعقاب ويقول من يقدر على احياء الميت بعد ما رمت عظامه مع اقراره
بانه تعالى احدثه في بدء امره من موات وهو ينكر انشاءه ثانيا من موات **قوله** حيث عجب منه التعجب مستفاد من
ترتيب قوله فاذا هو خصيم مبين على علم الانسان كونه مخلوقا من احقر الاشياء وهو النطفة المذرة الخارجة من
قناة النجاسة باذا المفاجاة والافراط في الخصومة مستفاد من صيغة الخصيم مما نشكرها ايضا وقوله ومنافاة
منصوب بالعطف على قوله افراطا للتغير فان كل واحد من الخصمين لكونه نافيا قول الآخر يكون المخاصمة منافية
والتخاصم تنافيا وقوله لجحود القدرة علة لقوله وجعل انكاره افراطا في الخصومة فكانه قيل جعله افراطا فيها
بناء على كونه مستلزما لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله وقدر عليه في بدء خلقه وقوله ومقابلة النعمة منصوب
بالعطف على افراطا ايضا وقوله بالعقوق متعلق بقوله ومقابلة النعمة وقوله وان نزلت في ابي بن خلف اشارة الى ان الاية
نزلت في حقه وانه المراد بالانسان وقد ثبت في موضعه ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالاية وان نزلت
ردا عليه في انكاره البعث فهي عام يصلح ذلك لكل من ينكره **قوله** وقيل معنى فاذا هو خصيم مبين اي فصيح لسن مبينا انه لوقاحته
وقلة حيائه لا ينظر الى خسة عنصره وعند المخاصمة العرير النهار بل المعنى انه ينكر البعث واحياء الاجساد البالية
والعظام النخرة ولا ينظر الى بدء حاله وانه لم يكن في بدء خلقه كما هو الآن بل كان مواتا جمادا ونشاء مهينا فاحيي وقوم
باحسن تقويم وجعل له اعضاء مختلفة وقوى ظاهرة وباطنة مع تشابه اجزاء النطفة وتجاذل في احياء العظام
ولا يتفكر في ابداع قوة التفهم والتمييز وقوة النطق التي بها يعرب عما في ضميره في جسم لحمي بعد ما كان ماء مهينا اعجب
واغرب من مجرد جمع المواد واعادة الحيوة فقوله خصيم على هذا التوجيه بمعنى ناطق واجراؤه على الناطق لان
التكلم مع الغير على وجه المخاصمة به اعلى مراتب النطق واكملها ولم يرض المص بهذا التوجيه لان الاول انسب بمقام
التسلية **قوله** امرا عجيبا قد مر مرارا ان المثل يستعار للامر العجيب تشبيها له في الغرابة بالمثل المعروف الذي هو
القول السائر ولا شك ان نفي قدرة الله تعالى على البعث مع انه من جملة الممكنات وانه تعالى على كل شيء قدير من اعجب

اولم ير الانسان انا خلقناه من
نطفة الخ الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف
للعطف على جملة مقدرة هي السابقة
اي منع الجملة الانكارية على ما يقتضيه
الم يتفكر الانسان ولم يعلم او لم يعاين
انا خلقناه من نطفة الخ او تاكيدا
الجملة السابقة اعيدت تاكيدا
للنكير السابق وتمهيد الانكار ما بعد
اصح منه بالانكار والتعجيب بان
المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق
بخلق اسباب معايشهم وههنا
عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم
ولا ريب في ان علم الانسان باحوال
نفسه اهم واحاطته بها اسهل
اكمل فالانكار والتعجيب هنا الاجلال
في ذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه
تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا
خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون
العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية
الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد
قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز
كون الواو لعطف الجملة الانكارية
الثانية على الاولى على انها متقدمة
في الاعتبار وان تقدم الهمزة
عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام
كما هو راي الجمهور اهـ

من اعجب العجائب **قوله** وتشبيهه مرفوع بالعطف على قوله نفي القدرة وقوله وصفه متعلق بتشبيهه وصاحب
الكشاف جعل اشتمال قوله من يحيي العظام وهي رميم على تشبيه القادر على كل شيء بمن يوصف بالعجز وجها ثانيا لتسميته
مثلا بناء على ان المثل والمثل كالشبه والشبه وزنا ومعنى فمعنى الاية ح وضرب لنا شبها بالمخلوقين وجعل
قدرتنا كقدرتهم ونسي خلقه العجيب وبدأه الغريب **قوله تعالى** ونسي خلقه اي ترك التفكر في بدء خلقه ليدله ذلك على قدرته
على البعث فانه لا فرق بينهما من حيث ان كل واحد منهما اموات وجماد **قوله** ولعله فعيل بمعنى فاعل جواب عما يقال لفظ
الرميم في الاية فعيل بمعنى الفاعل من رم العظم يرم بالكسرة رمة اذا بلي فهو رميم وقد تقرر ان الفعيل بمعنى الفاعل يفرق
فيه بين المذكر والمؤنث فينبغي ان يقال هي رميمة لكونه خبرا عن مؤنث مجازا التسليم تدخله الهاء وتقرير الجواب نعم انه في
الاصل صفة بمعنى الفاعل الا انه صار بالغلبة اسما لما بلي من العظام بمعنى الرمة والرفات والاسم لا يحتمل الضمير كالرغيف
فلا يؤنث واجاب ثانيا بانا لا نسلم انه بمعنى فاعل لجواز ان يكون بمعنى المفعول لان رم قد يستعمل متعديا فيقال رممته
وفعيل بمعنى المفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث نحو قتيل وذبيح **قوله** وفيه دليل في مذهب الشافعي رح الى ان عظم الميتة نجس
واستدل عليه بهذه الاية وصف العظام فيها بالحيوة وكل ما تحله الحيوة تنجس بالموت وقالت الائمة الحنفية رحمهم الله
عظم الميتة وشعرها وعصبها طاهر بناء على ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت اي لا تنجس وقالوا معنى احياء
العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس ثم انه تعالى اجاب عن قول الكافر فقال
قل يحييها الذي انشأها اول مرة واعلم ان المنكرين للحشر منهم من لم يذكر فيه دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد
الاستبعاد وهم الاكثرون كقولهم ائذا ضللنا في الارض ائنا لفي خلق جديد ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون ومن قال من يحيي العظام وهي رميم فانه على طريق الاستبعاد فابطل الله تعالى استبعادهم بقوله ونسي خلقه
اي نسي انا خلقناه من تراب ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا له من ناصيته الى قدمه اعضاء مختلفة
الصور وما اكتفينا بذلك حتى اودعناه ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذين بهما استحق الاكرام
فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من نطفة قذرة لم تكن محلا للحيوة اصلا
ويستبعدون اعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه ومنهم من ذكر شبهة وان كانت في آخرها تعود الى مجرد الاستبعاد
وهي على وجهين الاول انه بعد العدم لم يبق شيء فكيف يصح على العدم الحكم بالوجود فاجاب تعالى عن هذه الشبهة
بقوله قل يحييها الذي انشأها اول مرة يعني انه كما خلق الانسان ولم يكن شيئا مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا
مذكورا والثاني ان من تفرقت اجزاؤه في مشارق العالم ومغاربها وصار بعضه في ابدان السباع وبعضه
في حواصل الطيور وبعضه في جدران المنازل كيف يجتمع وابعد من هذا انه لو اكل الانسان انسانا وصار اجزاء
المأكول في اجزاء الآكل فان اعيدت اجزاء الآكل لا يبقى للمأكول اجزاء تخلق منها اعضاؤه وان اعيدت الاجزاء
المأكولة الى بدن المأكول واعيد المأكول باجزائه لا يبقى للآكل اجزاء تخلق منها فابطل الله تعالى هذه الشبهة بقوله وهو بكل
خلق عليم ووجهه ان في الآكل اجزاء اصلية واجزاء فضلية وفي المأكول ايضا كذلك فاذا اكل انسان انسانا صارت

الاجزاء الاصلية للماكول فضلا بالنسبة الى الاكل والاجزاء الاصلية للآكل هي ما كان قبل الاكل بها التي تجمع وتعاد مع
التكون والاجزاء الماكول مع الماكول والله بكل خلق عليم يعلم الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل ويجمع الاجزاء الاصلية
للماكول وينفخ فيه الروح وكذلك يجمع اجزاء المتفرقة في البقاع المتباعدة بحكمته وقدرته **قوله** يعلمه اي يعلمه الزائد
على ذاته لانه يعلمها بذاته بان يكون علمه عين ذاته كما ذهب اليه البعض **قوله** فيعلم اجزاء الاشخاص اي تفريع وبيان لكونه
وكيفية خلقها وقوله او احداث مثلها عطف على اجزاء الاشخاص اي بتين كيفية اعادة المخلوقات على احد وجهين
الاول ان يجمع اجزاءها المتفرقة ويضم بعضها الى بعض على النمط السابق والثاني ان يحدث مثلها بعد ما صارت نفيا
محضا وعدما صرفا بحيث لم تبق لها هوية متميزة ولا خصوصية خارجية وهذا العطف مبني على الاختلاف في ان
فناء الاجسام عبارة عن انعدامها وكونها نفيا محضا او عن تفرق اجزائها وخروجها عن الانتفاع بها كما ذهب
اليه من لم يجوز اعادة المعدوم بعينه ان بجميع عوارضه المشخصة من المعتزلة كابي الحسين البصري والكرامية
فانهم قائلون بالمعاد الجسماني ولا يجوزون اعادة المعدوم بعينه فلم يتيسر لهم القول بانعدام الاجسام بطريق
انعدام اجزائها بالكلية والا لم يمكنهم القول باعادتها قال القاضي عضد الدين في المواقف هل يعدم الله تعالى الاجزاء
البدنية ثم يعيدها او يفرقها ويعيد فيها التأليف الحق انه لم يثبت ذلك ولا نجزم فيه نفيا ولا اثباتا لعدم الدليل
على شيء من الطرفين وقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه لا يرجح احد الاحتمالين لان هلاك الشيء كما يكون باعدام
اجزائه يكون ايضا بتفريقها وابطال منافعها انتهى محصول كلامه فالجسم المعاد هو المبتدأ بعينه اي بجميع
عوارضه المشخصة سواء قلنا ان المبتدأ قد فني بجميع اجزائه وصار نفيا محضا وعدما صرفا ثم انه تعالى اعاده
باعادة اجزائه الاصلية وصفاتها الحالة فيها او قلنا ان المبتدأ قد فني بتفرق اجزائه الاصلية وابطال منافعها
ثم انه تعالى اتى بين تلك الاجزاء المتفرقة وضم بعضها الى البعض على النمط السابق وخلق فيها الحيوة فقوله المحض
او احداث مثلها ليس معناه ان الاجزاء المنعدمة باعيانها اذا اعيدت لا يكون الاجزاء المعادة عين اجزاء المبتدأ
بل يكون امثالها اذ لو كانت امثالا لها لكان الجسم المعاد المؤلف منها مثلا للمبتدأ لا عينه والكلام في المعاد الجسماني
بل معناه ان كل جزء من الاجزاء المحدثة مع انه عين ما هو جزء اصلي للمبتدأ فمجموع الاجزاء المحدثة مثل لمجموع اجزاء الجسم
المبتدأ في الاشتمال على اصول ذات الجسم وصفاتها فان الاجزاء الاصلية معادة باعيانها الا ان مجموع الاجزاء المعادة
ليس عين مجموع اجزاء الجسم المبتدأ بل مثله والله تعالى اعلم **قوله** كالمرخ وهو بالخاء المعجمة شجر سريع الورى والعفار
بالعين المهملة شجر آخر تقدح منه النار وفي المثل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يؤخذ منهما غصنان على قدر
المسواكين وهما يقطران ماء فيحك بعضهما ببعض فتخرج النار باذن الله تعالى قدرته تعالى على وحدانيته وكمال
قدرته على احياء الموتى بما يشاهدونه من اخراج النار المحرق اليابس من العود الندي الرطب فان الشجر
الاخضر بما فيه من الماء البارد الرطب الذي اخرج منه النار الحار اليابس وهما لا يجتمعان فكيف يستبعد
ان يخلق الحيوة في العظام النخرة **قوله** لا تشكون في انها نار خرجت منه مستفاد من قوله تعالى منه توقدون
بتقديم

١٤٠

بتقديم منه في المحل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى قوله تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم
فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فان ضميرمنها وعليه راجعان الى قوله شجر من زقوم انث الاول نظرا الى
المعنى وذكر الثاني اعتبارا للفظ شجر ثم انه تعالى نبه بخلق السموات والارض على قدرته على البعث فقال اوليس
الذي خلق السموات الخ **قوله** او مثلهم في اصول الذات وصفاتها فان المعاد مثل الاول في الاشتمال على الاجزاء
الاصلية للاول وان امتاز كل واحد منهما عن الآخر بحسب اختلاف الامور الخارجة عن هوية الشخص وعينه
قوله وعن يعقوب يقدر وقراءة العامة بقادر بزيادة الباء على اسم الفاعل معناه لان الانكار في الاثبات
ومعنى الكلام ههنا ايجاب لان الاستفهام انكار وانكار النفي ايجاب ووجه زيادتها فيه الاكتفاء بوجود
صورة النفي ولفظه وهو الوجه في ان يجاب ببلى المختصة بايجاب النفي المتقدم ونقضه فهي ههنا لنقض
النفي الذي بعد الاستفهام اي بلى انه قادر كقوله الست بربكم قالوا بلى اي بلى انت ربنا **قوله** مشعر بانه لا احد
سواه وجه الاشعار ان جواب الاستفهام التقريري ينبغي ان يكون من المخاطب بان يقر ويقول بلى فاذا بادر المستفهم
الى الجواب فكانه قال لم يتوقف وهل يذهب الوهم الى جواب سواه فان من قدر على خلق الاكبر يقدر على خلق الاصغر
بدءا واعادة **قوله** وهو تمثيل اذ لا وجه لحمل الكلام على الحقيقة اذ ليس هناك قول ولا امر ولا مأمور بل حقيقة الحال
ان شأنه تعالى اذا اراد تكوين شيء ان يكونه بمحض تعلق قدرته وارادته فيترتب عليه تكونه من غير توقف وامتناع و
ليس هناك قول كن ولا امر بالكون ان كان حال وجود المكون فلا وجه للامر وان كان حال عدمه فكذلك اذ لا معنى لان يؤمر
المعدوم بان يوجد نفسه الا انه اخرج الكلام على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه تأثير قدرة الله تعالى في المراد من
غير توقف ومن غير مزاولة عمل واستعمال آلة بامر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف وليس
هناك قول الكلام وانما هو وجود الاشياء بالتكوين مقرونا بالعلم والقدرة والارادة وقيل جرت سنة الله تعالى في تكوين
الاشياء بان يقول بهذه الكلمة والمعنى يقول له احدث فيحدث عقيب هذا الكلام فيكون الكلام على الحقيقة **قوله** قطعا
لمادة الشبهة علة لقوله وهو تمثيل والجمهور على رفع قوله فيكون بناء على انه في تقدير فهو يكون بعطف الجملة الاسمية
على الاسمية المتقدمة وهي قوله امره ان يقول له كن **قوله** معللا بكونه مالكا للملك كله اشارة الى ان الملكوت بمعنى الملك
وقرئ ملكة كل شيء بوزن شجرة وقرئ مملكة بوزن مفعلة وقرئ ملك كل شيء ومعنى الكل واحد والملكوت
ابلغ الجميع فانه فعلوت من الملك والواو والتاء فيه للمبالغة كالطاغوت والرغبوت والرهبوت فانها
مصادر بنيت للمبالغة لما اجاب الله تعالى عن قولهم من يحيي العظام وهي رميم بقوله قل يحييها الذي الخ
وعقبه بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون رتب عليه بالفاء قوله فسبحان الذي الخ تاكيدا
للجواب وتقريرا له اي اذا تقرر هذا فقد ظهر انه منزه عما اضربوا له وقالوا فيه لانه مالك للملك كله والتعليل مستفاد
من توصيف مفعول التسبيح بالمالكية بناء على تعليق الحكم بالموصوف يفيد علية الوصف له قال الفاضل شرف
الدين الطيبي نور الله مرقده ان هذه السورة الكريمة من فاتحتها الى خاتمتها نزلت في تقرير امهات علم الاصول

وتحريرالمسائل المعتبرة التي اوردها العلماء في مصنفاتهم بابلغ وجه واتمه ثم فصل وجه ذلك الى ان قال وقوله
انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون كالفذلكة للمذكورات وقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء
كالخاتمة المشتملة على اسرار عجيبة تتحير فيها الافهام وتكل من شرحها الالسن والاقلام ولهذا قال حبر الامة
ابن عباس رض ما قال من ان ما روي في فضل يس انما هو لهذه الاية قيل انما جعل يس قلب القران اي اصله
ولبه لان المقصود الاهم من انزال الكتب بيان انهم يحشرون وانهم جميعا لديه محضرون وان المطيعين يجازون
باحسن ما كانوا يعملون ويمتاز عنهم المجرمون وهذا كله مقرر في هذه السورة بابلغ وجه واتمه وروي عنه عليه الصلوة
والسلام انه قال اقرؤا سورة يس على موتاكم قال الامام وذلك لان اللسان ح ضعيف القوة وكذا الاعضاء
لكن القلب يكون مقبلا على الله تعالى بكليته فاذا قرئ عليه هذه السورة الكريمة تزداد قوة قلبه ويشتد
تصديقه بالاصول فيزداد اشراق قلبه بنور الايمان وتتقوى بصيرته بلوامع الفرقان تم ما يتعلق بسورة
يس والحمد لله رب العالمين وهذا اوان الشروع بذكر ما يتعلق بسورة الصافات بعون سبحانه سورة
الصافات مكية بسم الله الرحمن الرحيم والصف ان يجعل الشيء على خط مستقيم تقول صففت القوم
فاصطفوا اذا اقمتهم على خط مستقيم لاداء الصلوة او لاجل الحرب والصافات جمع صافة والواو القسم
فيها بدل من الباء والاصل اقسم بالصافات ثم حذف الفعل لدلالة حرف الجر المتعلق به عليه وابدلت الواو من الباء
لاشتراكهما في الجرح وتقاربهما في المعنى لان الالصاق والجمع من واد واحد وصفا مصدر مؤكد ومثله
زجرا وقيل صفا مفعول به على ان يكون بمعنى المصفوف وذكر انه يجوز ان يكون مفعولا به للتاليات وان يكون مصدرا
من معنى التاليات وهو وفق لما قبله والزجر الدفع بقوة التصويت وقيل مفعول الصافات والزاجرات غير مراد
والمعنى الفاعلات للصف والزجر وقيل هو مراد والمعنى الصافات انفسها او اقدامها او اجنحتها في الهواء
واقفة منتظرة لامر الله وقول المص بالملائكة الصافين في مقام العبودية يدل على ان مفعول الصافات غير مراد
وقوله الزجرات من الاجرام او الناس او الشياطين وقوله التالين ايات الله يدل على ان مفعول الزاجرات
والتاليات مراد وقوله الزاجرين الاجرام بالتدبير المامور فيها صفة ثانية للملائكة وقوله التالين صفة ثالثة لهم
والعطف لاختلاف الصفات وصفهم الله تعالى اولا بانهم طوائف مختلفة لكل طائفة منهم مقام معلوم ومرتبة
معينة في مقام العبودية يقف كل طائفة منهم في المرتبة المتعينة لها منتظرين لوصول اوامر الله تعالى اليهم وما
يفيض عليهم من الانوار الالهية وتلك الدرجات لما كانت مرتبة مصطفة كانت الملائكة الواقفون فيها مصطفين
على حسب اصطفافها كل طائفة منهم صافة والطوائف باسرها صافات ثم وصف كل طائفة منهم بكونها زاجرة
ووصف الطوائف باسرها بكونها زاجرات يقال زجرت البعير فانا ازجره اذا حثثته ليمضي وزجرت فلانا عن
سوء فانزجر اي نهيته فانتهى فزجر البعير كالحث له وزجر الانسان كالنهي قيل وصف الملائكة بالزجر لانهم يزجرون
السحاب اي يسوقونها من موضع الى موضع وقيل لان لهم تاثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الالهامات فهم يزجرونهم عن
المعاصي

قوله وتعجيب معنى التعجيب
مستفاد من كلمة سبحان
فانه يستعمل للتنزيه والتعجيب
وقد يتجرد للتعجب وقد
يستعمل للتنزيه
والتعجب معا كما هنا
كذلك تحج

نقل عن الراغب ان الزجر طرد
بصوت ثم يستعمل تارة في الطرد
وتارة في الصوت وفيه
واخرى في المنع والنهي فزجر البعير
الزجر المنع والزجر يقال للطائفة
سائقة والزجر التصويت
وهو ضرب من التكهن تقول
زجرت انه يكون كذا وكذا
وخالفه في فصل العين من باب
الفاء عند الطير تعيفها
عيافة اي زجرتها وهي ان
يعتبر باسمائها ومساقطها
واصواتها والعائف المتكهن
انتهى كلامه والعيافة نوع
تدبر لان التدبير في الامر
ان ينظر الى ما يؤول اليه وادبره
وعاقبته وذلك حاصل في
الزجر بمعنى العيافة فقول
المص الزاجرين الاجرام
العلوية اي الذين يعبرونها و
يدبرون امرها وكذا قوله و
الارواح المدبرة لها تفسير للزاجر
بالاعتبار والتدبير منه

عن المعاصي زجرا وقيل لانهم يزجرون الشياطين عن التعرض لبني آدم بالشر والايذاء واعلم انه قد ثبت في
العلوم العقلية ان الموجودات على ثلثة اقسام مؤثر لا يقبل الاثر وهو الله سبحانه ومؤثر لا يؤثر وهو عالم الاجسام
الاول اشرف الموجودات والثاني اخسها والقسم الثالث موجود يؤثر في شيء ويتاثر عن شيء آخر وهو عالم
الارواح وذلك لانها تقبل الاثر عن عالم كبرياء الله تعالى ثم يؤثر في عالم الاجسام العلوية والسفلية بالتدبير
المامور فيها وفي عالم الارواح القدسية البشرية بافاضة ايات الله وجلايا قدسه عليهم ثم ان الجهة التي
باعتبارها تقبل الاثر من عالم كبرياء الله تعالى غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الاجسام وتقدر على التصرف
فيها فهو تعالى اشار الى الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية اصناف الانوار الالهية والكمالات الصمدية
بقوله والصافات صفا اي والذوات يقفن صفا صفا في مقام العبودية وصنوف الخدمة والطاعة والخضوع والخشوع
واشار الى الجهة التي باعتبارها تقوى على التاثير في عالم الاجسام بالتدبير المامور فيها بقوله فالزاجرات زجرا المؤثرة
باخراج ما فيها من القوة الى الفعل ثم اشار بقوله فالتاليات ذكرا الى تاثيرات الجواهر الملكية في تنوير الارواح القدسية
البشرية واخراجها من القوة الى الفعل قوله وجلايا قدسه جمع جلية من جلوت الشيء اي اوضحته وكشفته والمعنى
دلائل قدسه وموضحاته قيل لا يجوز حمل هذه الالفاظ على الملائكة لانها مشعرة بالتانيث والملائكة مبرؤن عن
هذه الصفة واجيب بوجهين الاول انها انما حملت على الملائكة اذ لها موصوفات مقدرة هي المحمولة على الملائكة
فانه يقال جماعة صافة وجماعات صافات والثاني انهم مبرؤن عن التانيث المعنوي واما عن التانيث اللفظي
فلا كيف وهم مسمون بالملائكة مع ان علامة التانيث حاصلة فيه قوله او بطوائف الاجرام المرتبة عطف على قوله
بالملائكة اي ويحتمل ان يكون قوله والصافات قسما بطوائف الاجرام المرتبة كصفوف العناصر والافلاك والكواكب فقوله
المرتبة كالصفوف اشارة الى ان الصافات بمعنى المصفوفات مثل عيشة راضية في ان المبني للفاعل اسند الى المفعول به
ويكون قوله فالزاجرات زجرا قسما بالارواح المدبرة للاجرام المذكورة ويكون قوله فالتاليات ذكرا قسما بالجواهر
القدسية المستغرقين في معرفة الله تعالى والثناء عليه فالعطف على هذا لاختلاف الذوات اقسم الله تعالى اولا بعالم
الاجسام وثانيا بالملائكة الموكلين بتدبير عالم الاجسام وثالثا بالملائكة القدسية المتوجهة بكليتها الى معرفة
جلال الله تعالى المقبلة على تسبيحه المستغرقة في الثناء عليه بحيث لا يستكبرون عن عبادته ولا يفترون عن تسبيحه
والثناء عليه قوله او بنفوس العلماء عطف ايضا على قوله بالملائكة وكذا قوله او بنفوس الغزاة فعلى هذين الوجهين
يكون العطف لاختلاف الصفات فان نفوس العلماء صافات زاجرات تاليات وكذا نفوس الغزاة قوله كالصفوف
المرصوصة اي المنضمة المتلاصقة يقال رصصت الشيء ارصه رصا اي الصقت بعضه ببعض ومنه بنيان مرصوص
وتراص القوم في الصف اي تلاصقوا قوله مباراة العدو اي مقابلته يقال فلان يباري فلانا اي يعارضه و
يفعل مثل فعله وفلان يباري الريح سخاء قوله الفاء لترتيب الوجود ذكر صاحب الكشاف ان الفاء المفيدة
للترتيب والتعقيب اذا وقعت بين الصفات المتعاطفة فدلولها وحكمها لا يخلو عن احد ثلثة امور الاول

ان تدل على ترتيب الصفات في الوجود كما في بيت زيابة يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب
كانه قال الذي صبح فغنم فآب والثاني ان تدل على ترتيب تلك الصفات في الرتبة والفضيلة بان يكون بعضها
ارفع قدرا وافضل من الباقية فتكون الباقية متاخرة عنه بهذا المعنى وان تتاخر عنه في الوجود كما في الآية
اذا كان العطف لاختلاف مع وحدة ذات الموصوف فان الفاء ح تفيد ترتب الصفات في الفضل بان يكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة والثالث ان تدل على ترتب الموصوفات في الفضل والشرف كما اذا
قلت رحم الله المحلقين فالمقصرين فان الفاء فيه تدل على ان المحلقين افضل من المقصرين بناء على انه
احلق افضل من التقصير وان التقصير متاخر عنه في الفضل ثم انه جوز في الاية على تقدير تعدد الموصوف وكون
الفاء لترتب الموصوفات في الفضل ان تكون الطوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات
ابهر فضلا وان يكون الامر على عكس هذا والعقل يجوز قسما رابعا وهو ان تكون الفاء دالة على ترتب
الموصوفات في الوجود ولم يعتبره الزمخشري اذ ليس للفاء دالة على ان بعض الذوات متاخر عن البعض
في الوجود فقول المص والرتبة عطف على الوجود في قوله والفاء لترتيب الوجود يعني ان الفاء اما لترتيب
الوجود اي وجود الصفات اذا كانت لعطف الصفات واختلافها فان الصف كمال والزجر تكميل والتكميل
بعد الكمال او افاضة الخير التي هي التلاوة بعد المنع عن الشر وبعد الاسافة الى قبول الخير ايضا والاسافة
افغار من السافي التي كني بها عن القوة واما لترتيب الرتبة والفضل اي لترتيب رتبة الموصوفات وفضلها
اذا كانت لعطف الصفات واختلافها وقدم امكان حمل الفاء على كونها لترتيب وجود الصفات كما في الكشاف
ولم يتعرض له المص لعدم ظهور هذا الاحتمال في الاية اقسم الله تعالى بهذه الاشياء اظهارا لشرفها وقيل تقدير الكلام
فيها وفي مثلها ورب الصافات ورب التين والزيتون **قوله** وادغم ابو عمرو وحمزة التاءات اي تاء الصافات وتاء
بعد قلبها صادا
في الصاد والتاء الزاجرات في الزاي وتاء التاليات في الذال لاتفاق المدغم والمدغم فيه في انهما من طرف اللسان
واصول الثنايا وقرأ الباقون بالاظهار لاختلاف المخارج **قوله** والفائدة فيه جواب عما يقال القسم الواقع
في القران لا فائدة فيه لان المقصود منه اما اثبات المطلوب عند المؤمن او عند الكافر وعلى التقديرين لا فائدة
فيه اما على الاول فان المؤمن يقربه من غير حلف واما على الثاني فلان الكافر لا يقربه سواء حصل الحلف او لم يحصل
واجاب عنه بان القسم في مثل هذا الموضع ليس لاثبات المطلوب بل للتنبيه على شرف المقسم به ولتاكيد ما حقق
بالادلة القاطعة وتاكيد المطالب المثبتة بالدلائل القطعية طريقة مالوفة عند العرب وقد انزل القران على لغتهم
وعلى اسلوبهم في محاوراتهم فان امر التوحيد وسائر ما اقسم الله عليه في القران العظيم وحقق بالدلائل القاطعة
في مواضع شتى من القران فلا يبعد ذكر القسم لتاكيد التحقق بالدلائل وتقرير المدلولات **قوله** واما تحقيقه اي و
من جملة ما يحقق المقسم عليه ما ذكر عقيب القسم المذكور فانه دليل قطعي يحقق امر الوحدانية فان انتظام
هذا العالم وعدم فساده يدل على وحدة الاله فتاملوا فيه ليحصل لكم العلم بالتوحيد لانه لو كان فيهما آلهة لفسدتا
قوله

١٤٢

قوله بينهما حول افعال العباد لانها موجودة بين السماء والارض فلما ثبت ان كل ما ثبت بينهما فالله ربه ومالكه
فقد ثبت ان فعل العبد حصل بخلق الله والحكم على الاعراض بكونها حاصلة بين الشيئين لا يستلزم تحيزها بالذات
لانها اذا كانت حاصلة في الاجسام الحاصلة بين السماء والارض يصدق عليها انها حاصلة بينهما **قوله** والمشارق
مشارق الكواكب لان لكل كوكب مشرقا ومغربا فلذلك جمع المشارق ههنا ويجوز ان يكون المراد مشارق الشمس و
جمعت مع ان الشمس انما تشرق في كل يوم من موضع معين باعتبار جميع السنة فان لها في جميع السنة مشارق ومغارب
كثيرة تطلع في كل يوم من مشرق وتغرب وقوله رب المشرقين ورب المغربين اراد بهما مشرقي الصيف والشتاء و
ومغربيهما واكتفى بذكر المشارق مع ان اختلاف المشارق في جميع السنة يستلزم اختلاف المغارب فيه وانه تعالى رب
الجميع اما لان بيان كونه تعالى رب المغارب مراد ايضا الا انه لم يذكر صريحا لدلالة قوله ورب المشارق عليه لان تعدد المشارق
وكونه تعالى ربها يستلزم تعدد المغارب وكونه تعالى ربها واما لانه لم يقصد بيان كونه تعالى رب المغارب بل اكتفى ببيان كونه رب
المشارق من حيث ان الشروق ادل على القدرة من الغروب لان الاحداث افوى حالا من الاعدام وابلغ في النعمة لان
الاحتياج الى النور اشد واقوى من الاحتياج الى الظلمة **قوله** وما قيل انها اي مشارق الشمس في السنة مائة وثمانون
بناء على ان مشارقها حال كونها آخذة في الارتفاع هي بعينها مشارقها حال كونها آخذة في الانتقاص فيكون تعالى انها ثلثمائة
وستون اجاب عنه بان من سافر خمسة ايام بات كل ليلة في موضع ورحل عنه في صباح تلك الليلة ثم رجع في اليوم
السادس الى مامنه مسافرا بالتبيت في المواضع التي بات فيها اولا ورحل عنها فمن عد مواضع نزوله وارتحاله يعدها عشرة
ولا يعدها خمسة بناء على ان اوقات ارتحاله لما كانت عشرة كانت مواضع ارتحاله ايضا عشرة نظرا الى اختلاف
الاوقات فكذا المشارق والمغارب انما تختلف باختلاف اوقات الطلوع والغروب ضرورة ان الارتحال الواقع في
وقت مغاير للارتحال الواقع في وقت آخر فتختلف المراحل والمنازل والمشارق والمغارب على حسب اختلاف الاوقات
قوله والاضافة للبيان لان الزينة اسم لما يزان به الشيء فاضافتها الى الكواكب من قبيل اضافة العام الى الخاص للبيان
كخاتم فضة وثوب خز لان الزينة تتناول الكواكب وغيرها مما يزان به **قوله** او بزينة هي لها على ان يكون المراد بزينة الكواكب ما يزان
به الكواكب من الاضواء والاشكال الحسنة ويكون الاضافة بمعنى اللام فان الكواكب كما تزان بها السماء فهي ايضا تزان
لغيرها من اضوائها واشكالها الحسنة فجاز ان يكون المراد بالزينة انفس الكواكب والاضافة بيانية وان يكون ما
تزان به الكواكب والاضافة بمعنى اللام والزينة على الوجهين اسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة
اي يصلح مدادها وعلى الوجهين الاخيرين مصدر اضيف الى مفعوله في الوجه الثالث اي زيناها بان زينا الكواكب فيها بجعلها
مشرقة ذات اشكال حسنة وفي الوجه الرابع اضيف الى فاعله والمعنى انا زيناها بان زينتها الكواكب بضوئها وترتيبها وسائر
احوالها **قوله** وركوز الثوابت اي جواب عما يقال من انه قد ثبت في علم الهيئة ان الكواكب الثوابت مركوزة في الكرة الثامنة
وان السيارات ما عدا القمر مركوزة في الكرات الست المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب اجاب عنه اولا بالمنع حيث قال ان تحقق اي لا نسلم تحقق ذلك فان الفلاسفة لم يتم لهم دليل على كونها مركوزة

في الفلك الثامن واجيب ثانيا بتسليمه وبان ذلك لا ينافي الحكم بان المزين بها هو السماء الدنيا فان اهل الارض اذا نظروا اليها
يشاهدونها مزينة بهذه الكواكب فمحل الزينة بالنسبة اليهم انما هو هذه السماء **قوله** وحفظا منصوب باضمار فعله اي بانه
مصدر مؤكد لفعل المضمر والتقدير وحفظناها حفظا قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل اخر نصبت
المصدر لان العطف على هذا الوجه قد دل على اضمار فعله كقولك افعل وكرامة فانه من المعلوم ان الاسماء لا تعطف على
الافعال فعلم ان المعنى افعل ذلك واكرمك كرامة ويحتمل ان يكون منصوبا بالعطف على زينة باعتبار المعنى لان المعنى انا خلقنا
الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
ومن كل شيطان متعلق بحفظا ان لم يكن مصدرا مؤكدا او بالفعل المضمر ان جعل مصدرا مؤكدا والمارد المتمرد العاتي
وهو الذي يخرج عن الطاعة ويتملس منها كما تملس ذقن الامرد من الشعر **قوله** لا يسمعون قراءة حفص وحمزة
والكسائي بتشديد السين والميم واصله يتسمعون فادغمت التاء في السين والباقون قرؤه باسكان السين
وتخفيف الميم من سمع يسمع والقراءة بالتشديد ابلغ في نفي السماع لانه اذا نفى عنهم التسمع بعدما حفظ عنهم السماء
فقد نفى عنهم السماع بالاولوية والتسمع تطلب السماع اي طلبه بتكلف يقال تسمع فسمع او فلم يسمع ويسمع لا يتعدى
الا بالى فلذلك اختار ابو عبيد القراءة بالتشديد وقال لو كان مخففا لم يحتج في تعديته الى كلمة الى حيث يقال سمعت
فلانا يتحدث وسمعت حديثه واجيب عنه بان المخفف قد يتعدى بالى بتضمينه معنى الاصغاء قال الزمخشري بين سمع
المعدى بنفسه وبين المعدى بالى ان المعدى بنفسه يفيد الادراك والمعدى بالى يفيد الاصغاء مع الادراك فيكون
هذه الاية سواء قرئت بالتشديد او التخفيف ابلغ في نفي السماع من قوله انهم عن السمع لمعزولون لانها
تدل على التقديرين على انهم ممنوعون عن الاصغاء الذي هو تطلب السماع فكونهم ممنوعين عن السمع اولى **قوله**
كلام مبتدأ اي لا تعلق له بما قبله من جهة الاعراب فلا محل له من الاعراب وان كان متعلقا به من جهة المعنى لكونه
استئنافا فانه لما قيل وحفظا من كل شيطان سئل بان قيل فما يكون حالهم اذن وكيف يحفظ السماء عنهم فاجيب
عن الاول بانهم لا يسمعون وعن الثاني بقوله ويقذفون والمعنى انهم لا يسمعون او لا يتطلبون السماع الى الملأ
الاعلى وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك الا من اختلس خطفة خطفة او استرق استراقه فيعقبها
تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب ولا وجه لجعله صفة لكل شيطان لان الشيطان الذي لا يسمع او لا يتسمع
لا وجه لحفظ السماء عنه وكذا لا وجه لجعله علة للحفظ بان يكون المعنى والتقدير وحفظناها منهم لئلا
لا يسمعوا الى كلام الملائكة ثم تحذف اللام بناء على ان حذفها من ان وان شائع في كلامهم فبقي ان لا
يسمعوا ثم تحذف ان ويهدر عملها كما في قول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات
هل انت مخلدي • فان اصله ان احضر الوغى حذف ان لدلالة عطف وان اشهد عليه فلو لم يقدر ان لزم
عطف المفرد على الجملة لان قوله وان اشهد في تاويل المفرد وانما قلنا انه لا وجه لجعله علة للحفظ بالتقدير
المذكور لان كل واحد من هذين الحذفين على انفراده وان كان غير مردود ولكن اجتماعهما تعقيد يورث

وجه قراءة التشديد على المبالغة في نفي السماع ان معنى لا يسمعون بالتشديد انهم يجتهدون ... الاستماع ... لا يقدرون عليه تم

يورث تعقيد اللفظ يجب صون القران العظيم عن مثله والملأ الجماعة ووحدت صفته وهي الاعلى نظرا
الى افراد اللفظ وسميت الملائكة ملأ اعلى لانهم يسكنون السموات العلى بخلاف الانس والجن فانهم ملأ
الاسفل لكونهم سكان الارض **قوله** من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده اي صعود ذلك الجانب والتسمع
فيه بين اولا ان المراد من الجانب جانب السماء لا الجانب الذي شيء كان وبين ثانيا ان ليس المراد ان يقصد احد
منهم صعود الاستراق السمع من جانب يرمى من جميع جوانب السماء بل المراد انه يرمى من الجانب الذي يصعد
فيه اي جانب كان من جوانب السماء **قوله** علة الدحور قراءة الجمهور دحورا بضم الدال وذكر المص لنصبه اربعة
اوجه مبنى الوجه الاول والثاني منها ان يكون الدحور مصدرا كقولك دحره يدحره دحرا ودحورا اذا طرده و
ابعده فهو اما مفعول له اي يقذفون بالشهب لاجل الدحور والابعاد او مصدر مؤكد ليقذفون لان القذف
والطرد متقاربان في المعنى فكانه قيل ويقذفون قذفا او يدحرون دحورا الا انهما لما كانا متقاربين جاز
ان يقام الفعل مقام الفعل او المصدر مقام المصدر على التبادل ولم يلتفت الى احتمال كونه مصدرا مؤكدا
لفعله المحذوف كما في قوله وحفظا لعدم الحاجة الى ارتكاب الحذف مع امكان انتصابه بالعامل المذكور
وكونه حالا مبني على ان يكون مصدرا بتقدير المضاف اي ذوي دحور او على ان يكون المصدر بمعنى المفعول
اي مدحورين وقيل هو جمع داحر كقاعد وقعود فيكون حالا بنفسه من غير تاويل واحتمال كونه منصوبا
بنزع الخافض مبني على كونه جمع دحر كدهر ودهور والدحر ما يرمى به ويطرد اي يقذفون من كل جانب
بدحور **قوله** وتقويه اي تقوي كون الدحور بضم الدال جمع دحر وان انتصابه بنزع الخافض قراءة من
قرأ دحورا بفتح الدال على انه مبالغة اسم الفاعل كصبور وشكور اي ويقذفون من كل جانب بدحور
اي بما يدحرهم ثم حذفت الباء والدحور بفتح الدال كما يحتمل ان يكون اسم فاعل على حذف حرف الجر و
ارادته يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول فيكون مفعولا له او حالا بمعنى مدحورين او مفعولا
مطلقا ليقذفون وان يكون اسم فاعل من غير تقدير حرف الجر بان يكون صفة لمصدر محذوف اي
يقذفون قذفا دحورا على طريق اسناد الشيء الى سببه مجاز **قوله** دائم او شديد الاول على ان
يكون من وصب الامر وصوبا اذا دام والثاني على ان يكون من الوصب بمعنى الوجع والالم فيكون
واصب بمعنى النسبة كتامر اي ذو وجع وشدة **قوله** ومن بدل منه وهو المختار فيما بعد الا اذا
كان في كلام غير موجب والمستثنى منه مذكور كما في هذه الآية فان لا يسمعون غير موجب والمستثنى منه مذكور
فيختار ان يكون ما بعد الا مرفوع المحل على انه بدل من فاعل يسمعون وان جاز ان يكون منصوب المحل على
اصل الاستثناء والمعنى الا من اختلس الكلمة من كلام الملائكة واستلبها مسارقة فان الخطف هو
الاختلاس والاستلاب بسرعة والخطفة مصدر بمعنى المفعول اي لا يسمع الشياطين كلام الملائكة
مصغين اليهم اذ انهم الا الشيطان الذي استلب شيئا من كلام الملائكة مسارقة فلحقه شهاب ثاقب اي

الملأ الاعلى الملائكة ... وعن ابن عباس ... الكتبة وعنه اشراف الملائكة

كوكب مضي كانه يثقب الهوى بضوئه وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم قوله
وكذلك او تكون المراد من الخطفة كلام الملائكة الذي استلبه الشيطان عرف الخطفة لانه لما تلقى من
الشيطان سماع كلام الملائكة لاعلى كان كلامهم معهودا متقدم الذكر حكما وكناية لان السماع لا يتعلق
الا بالكلام فصح ان يعرف الخطفة بلام العهد الخارجي قوله واصله اختطف ولما اريد الادغام
اسكنت التاء وقلبت طاء فادغمت الطاء في الطاء فاجتمع ساكنان الخاء والطاء المدغمة فكسرت
الخاء لان الكسر اصل في تحريك الساكن فاستغني عن الهمزة فصار خطف ووجه من قرا خطف بفتح
الخاء انه نقل حركة التاء اليها وقرئ خطف بكسرتين والتشديد ووجهها لما كسرت الخاء لالتقاء
الساكنين كسرت الطاء ايضا اتباعا لحركة الخاء قوله وما قيل ان الشهاب بخار يصعد الى الاثير وهي
الطبقة العليا من طبقات الهوى الملاصقة لكرة النار وهو اشارة الى جواب ما يقال من ان
قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا معناه انا خلقنا الكواكب زينة للسماء و
حفظا لها بتلك الكواكب من الشيطان المارد بان ترميه بها فيلحقه شهاب ثاقب يحرقه او يؤذيه ايذاء شديدا
يمتنع بذلك عن المعاودة اليه مرة اخرى فالمفهوم من هذه الآية ومن قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين ان تكون الشهب المقذوفة التي ترجم بها الشياطين هي انفس
الكواكب المذكورة في السماء المزينة لها المجعولة مصابيح فيها وهو مناف لقول من قال من العقلاء ان شهاب
الرجوم بخار مشتعل بوصوله الى الاثير ليس من كواكب السماء ومصابيحها فما وجه التوفيق بينهما مع ان الامر
لو كان على ما يفهم من الآية وهو ان تكون هذه الشهب تلك الكواكب التي زين الله السماء بها لوجب ان يظهر نقصان
كثير في اعداد كواكب السماء ولم يوجد ذلك النقصان فان اعداد كواكب السماء من الثوابت والسيارات
باقية بحالها لم تتغير البتة وايضا جعلها رجوما للشياطين يوجب وقوع النقصان في زينة السماء فكان الجمع
بين كونها زينة وسببا لحفظ السماء بان يرجم بها الشياطين كالجمع بين المتناقضين اجاب المصنف عنه اولا
بان القائل انما قاله ظنا منه وتخمينا لا برهانا ويقينا فلا يصلح معارضا للكلام الحقيق بالخبر اذ من الجائز
ان يكون في السماء كواكب غير الثوابت والسيارات ترجم بها الشياطين من قديم الزمان بحيث لا ينتقص بذلك
شيء من الثوابت والسيارات ولا يعلم جنود ربك الا هو وثانيا بان صحة ذلك القول لا ينافي ما يفهم من هذه الآية و
ما في سورة الملك اذ ليس شيء منهما صريحا في ان جميع ما يرى بمنزلة المصابيح في السماء وزينة لها مركوز
في السماء وان ما يكون منها رجوما للشياطين يكون منقضا من السماء بل يجوز ان يكون بعض ما جعل زينة
لها ومصابيح مركوزا في السماء ويكون البعض الآخر حادثا في الجو العالي بحيث يرى كانه مركوز في السماء و
يكون ذلك الحادث في بعض الاوقات رجما للشياطين الذين يصعدون الى قرب الفلك للتسمع فقوله يصعد الى قرب
الفلك صفة للشيطان كما وصف اللئيم بيسبني في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قوله وما روي ان ذلك حدث

حدث الى جواب عما يقال التوفيق بين ما قيل ان بخار يصعد الى الاثير فيشتعل وبين هذه الآية بان الآية لا تصرح
فيها بانها جعلت زينة للسماء كواكب مركوزة فيها بل يجوز ان يكون البخار المشتعل بوصوله الى الاثير زينة للسماء
من حيث انه يرى كانه على سطحها وبين ما في ما قيل من انه حدث بميلاده عليه الصلوة والسلام اذ من الظاهر البين
ان اشتعال البخار بوصوله الى الاثير غير مختص بزمان ولادته صلى الله تعالى عليه وسلم حتى ان اهل التواريخ
المتواترة ذكروا ان حدوث الشهب كان حاصلا قبل ميلاده عليه الصلوة والسلام وان الحكماء الذين
كانوا موجودين قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا في سبب حدوثه فكيف يمكن
الجمع بين كون شهاب الرجوم بخارا مشتعلا وبين كون حدوثه مخصوصا بزمان ولادته عليه الصلوة
والسلام كما روي عن الشعبي انه قال لم تقذف بالنجوم حتى بعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما قذف بها جعل
الناس يسيبون انعامهم ويعتقون رقيقهم يظنون انها القيمة فاتوا عبد يا ليل الثقفي وكان قد عمي فقالوا له
قد سيبوا انعامهم واعتقوا رقيقهم فقال لم قالوا ان النجوم تهافت من السماء فقال لهم لا تعجلوا فان كانت نجوما
تعرف فهي عند قيام الساعة وان كانت نجوما لا تعرف فهو لامر حدث فنظر واذا هي نجوم لا تعرف قال الشعبي فما
مكثوا الا يسيرا حتى اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم حرس الله سبحانه السماء ببعثته عليه الصلوة والسلام عن الشياطين
ابطالا للكهانة وتحقيقا للنبوة والرسالة اجاب عنه اولا بانا لا نسلم صحة ما روي وثانيا ان سلمنا ذلك لكن
المراد بحدوثه بميلاده صلى الله عليه وسلم حدوثه على الوجه المخصوص بزمان ولادته صلى الله عليه وسلم فان من قال ان
هذا القذف لم يكن قبل ميلاده وانما رميت الشياطين بالرجوم بعد بعثته عليه الصلوة والسلام يجوز ان يكون
مراده ان الشياطين لم تكن ترمى قبل بعثته رميا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا وترمى
من جانب ولا ترمى من جانب ولعله تعالى اشار الى هذا المعنى بقوله ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب
واصب وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبا وانما كانوا من قبل كالمتجسسة
من الانس يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغ غيره ويسلم واحد ولا يسلم غيره بل يعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى
الله تعالى عليه وسلم زيد في حفظ السماء واعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا عن جميع جوانب السماء ولا يقروا
سماع شيء مما يجري فيها الا ان يختطف احد منهم بخفة حركة خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان ينزل الى الارض
فيلقيها الى اخوانه فيحرقه فبطلت الكهانة بذلك وحصلت الرسالة والنبوة ويحتمل ان يكون المراد بقوله انه حدث
بميلاده عليه الصلوة والسلام حدوث كونه داحرا لهم مع كون صعود البخار الى الاثير واشتعاله امرا واقعا
من قديم الزمان قوله واختلف في ان المرجوم الى جواب عن سؤال مقدر مبني على ما قاله المفسرون من ان الشياطين
يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب وكانوا يخبرون به الكهنة
ويوهمونهم انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله تعالى عن الصعود الى قرب السماء بهذه الشهب بان يرميهم
فيحرقهم بها وتقرير السؤال انه كيف يجوز ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون بالتجربة ان الشهب تحرقهم

اقول كان الاولى ان لا يتعرض لتطبيق قول الحكماء [illegible] للآية الكريمة [illegible] مذهبهم [illegible] وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه

ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن ان يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فضلا عن الشياطين الذين لهم مزية في معرفة الحيل الدقيقة وتقرير الجواب انهم ما اتفقوا على ان الصاعد المرجوم لا يصل الى مقصوده البتة اختلفوا انه ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به فيهلك لكن الرجم المحرق قد يصيب الصاعد ان اتفق ان يصل في حينه صعوده الى موضع يتحدث فيه الملائكة بما يكون في الارض من الغيوب وقد لا يصيبه ذلك بان لا يتفق وصوله الى ذلك الموضع فلما هلكوا في بعض اوقات صعودهم وسلموا في بعضها جاز لهم الاقدام على الصعود طمعا في استراق السمع مع السلامة كراكب البحر **قوله** ولا يقال انه تعالى كيف يحرق الشياطين المرجوم بالشهاب مع كونه مخلوقا من النار لقول ابليس خلقتني من نار ولهذا انفرد الشياطين على الصعود الى السماء واذا كان كذلك فكيف يعقل ان يحترق النار بالنار واجاب عنه بان كونه مخلوقا من النار معناه ان جزءه الغالب هو النار كما ان كون الانسان مخلوقا من التراب معناه كون جزءه الغالب هو التراب فلا يلزم منه ان لا يحترق بالنار مع ان الشياطين يجوز ان يكونوا نيرانا ضعيفة ويكون نيران الشهب اقوى حالا منهم والضعيف يضمحل ويتلاشى بالقوي ثم انه تعالى لما قرر وحدانيته بقوله رب السموات والارض الى ها هنا رتب عليه قوله فاستفتهم بالفاء المعقبة اي اذا تقرر انه تعالى رب هذه الاشياء ومالكها فسل كفار مكة اهم اشد خلقا ام من خلقنا وهو استفهام بمعنى التقرير ان هذه الاشياء اشد خلقا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وفسر قوله تعالى ام من خلقنا بما ذكر من مخلوقاته في اول السورة الى ها هنا وحمل كلمة من على التغليب ولم يلتفت الى قول من قال ان المراد بقوله ام من خلقنا الامم الماضية كعاد وثمود لاستدلاله بان كلمة من تذكر لمن يعقل وان المعنى ان هؤلاء ليسوا با حكم خلقا ممن قبلهم من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما بالهم آمنين من العذاب واستدل على ما اختاره من التفسير بوجوه الاول اطلاق قوله من خلقنا فانه لو كان المراد ممن خلقنا الامم الماضية لناسب تقييده بالبيان ولما ابقاه على اطلاقه ولم يبينه ظهر ان المراد به هو المذكور سابقا في اول السورة لان المطلق لا بد ان يحمل على المقيد ولم يسبق للامم الماضية ذكر ليحمل هذا المطلق عليه بخلاف الاشياء المعدودة قبل فيجب ان يحمل عليها والثاني قوله فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا بالفاء المعقبة بعد عد هذه الاشياء فيكون ما بعد الفاء مرتبا على خلق من هذه الاشياء فيكون ما بعد الفاء والثالث قراءة ام من عددنا وهو ظاهر والرابع قوله في بيان الفرق بينهم وبين من خلقه انا خلقناهم من طين لازب فانه انما يصلح للفرق بينهم وبين هذه الاشياء المعدودة لا بينهم وبين من قبلهم وهذا الوجه الرابع مبني على قوله وقوله تعالى انا خلقنا معطوف على قوله اطلاقه و الخامس ان المراد بقوله فاستفتهم الى قوله من طين لازب اثبات المعاد باثبات قدرته على اعادتهم ببيان انه خلق ما هو اشد خلقا بالاضافة اليهم ومن قدر على الاشد كيف لا يقدر على الاضعف الاهون وكيف يذهب الوهم الى استحالة المعاد مع ثبوت قدرته على ما هو اصعب واشق بالنسبة اليه

فعلى

وذكر ان مواضع الملائكة [illegible] مختلفة

فعلى هذا لا يكون المراد بمن خلقنا الامم الماضية لان خلق تلك الامم ليس اشد من خلقهم حتى يقال من قدر على خلق تلك الامم مع شدتهم كيف لا يقدر على اعادتهم التي هي اهون من خلق تلك الامم وانهم اضعف حالا من هؤلاء الامم **قوله** وتقريره انه تقرر كون الآية لاثبات المعاد ورد استحالتهم اياه ان صحة المعاد يتوقف على امرين الاول ثبوت قدرة الفاعل عليه والثاني قابلية المادة له وقد اثبت الاول بقوله اهم اشد خلقا ام من خلقنا واثبت الثاني بقوله انا خلقناهم من طين لازب وهو التراب الممتزج بالماء ومتى ثبت هذان الامران اضمحل القول باستحالة المعاد **قوله** اما الاعتراف بحدوث العالم فان الاعتراف بحدوثه يستلزم العلم بان تولد كل فرد من افراد الانسان من نطفة ابويه لا يذهب الى غير النهاية بل لا بد من الانتهاء الى انسان يكون ابتداء ولا يكون مسبوقا بالابوين فثبت ان الاعتراف بحدوث العالم يستلزم القول بان الانسان الاول يتولد من الطين وكذا يستلزم الاعتراف بقصة آدم **قوله** وشاهدوا عطف على قوله وقد علموا و قوله فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك اي بطريق التولد من الطين من غير ان يسبقهم ابوان والمراد من خلقهم من طين لازب خلق اصلهم آدم عليه الصلوة والسلام فيكونون مخلوقين منه بواسطة خلق ابيهم آدم منه ويحتمل ان يكون المراد انا خلقنا الناس كلهم من طين لازب وذلك لان الانسان بل الحيوان كلها انما تتولد من المني ودم الطمث والمني انما يتولد من الدم فالحيوان انما يتولد من الدم والدم انما يتولد من الغذاء والغذاء اما حيواني او نباتي والكلام في كيفية تولد الحيوان الذي صار غذاء كالكلام في تولد الانسان فلا بد ان ينتهي الغذاء الحيواني الى الغذاء النباتي لما ثبت من حدوث العالم وامتناع قدم نوع الحيوان فثبت ان الاصل في الاغذية هو النبات والنبات انما يتولد من امتزاج الارض بالماء وهو الطين اللازب فظهر ان جميع افراد الانسان متولد من الطين اللازب وانه قابل للحيوة وانه تعالى قادر على احيائه وهذه القابلية والقادرية واجبة البقاء في جميع الاوقات فثبت صحة المعاد وبطل القول باستحالته ومعنى بل في قوله بل عجبت الاضراب فان القوم لما بالغوا في استبعاد الحشر وقالوا ان من مات وصار ترابا وتفرقت اجزاؤه في العالم كيف يعقل عوده بعينه اراد الله تعالى تبكيتهم في هذا الاستبعاد والزام الحجة عليهم فامر رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله فاستفتهم اهم اشد خلقا الآية فقرر لهم ما يدل على صحة الحشر وبطلان القول باستحالته ثم ان القوم لما لم ينتفعوا بما ذكر من الدليل القاطع لمادة شبههم اضرب الله تعالى عن الامر بالاستفتاء وتقرير الدليل فكأنه قيل لا تستفتهم فانهم معاندون مكابرون لا ينتفعون بتقرير الدلائل وايضاح البراهين ولا يتعجبون من قدرة الله تعالى على خلق هذه المذكورات ولا يستدلون به على قدرته على الاعادة وانما يتعجب منها من كان متمسكا في اتباع البراهين و سلوك طريق النظر والاستدلال فانت الذي قد تعجب من قدرة الله على ما يشاء من الحشر والاعادة ونحوها من انكارهم البعث والقيمة مع ظهور حجته وقوة دليله فان هؤلاء المنكرين قد اقروا بانه تعالى قادر

على تكوين الاشياء التي تكوينها اصعب من اعادة الحيوة الى هذه الاجساد ومن المعلوم ببداهة العقول
ان القادر على خلق الاشق الاصعب يكون قادرا على الاسهل الايسر ثم مع قيام هذه الحجة البينة بقي
هؤلاء الاقوام مصرين على انكار البعث فهذا موضع التعجب الشديد فلذلك عجبت من قدرة الله تعالى واصرارهم
على الانكار قوله تعالى ويسخرون يجوز ان يكون استينافا وهو الاظهر وان يكون حالا والمعنى بل عجبت من
قدرته تعالى وانكارهم البعث وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث قوله والعجب من الله تعالى اما على
الفرض والتخييل والمعنى لو كان التعجب جائزا علي لتعجبت من كمال قدرتي او من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله
قوله فانه روعة اي دهشة وهيبة تعتري الانسان عند رؤية ما خفي سببه فيستعظمه لخروجه عن حد القياس
وهو تعالى منزه عن ان يعتريه دهشة وعن ان يخفى عليه شيء من الاشياء فلذلك كان شريح يقرأ بفتح التاء
وينكر على من يقرأ بضمها ويقول ان الله تعالى لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فبلغ ذلك ابرهيم النخعي فقال
ان شريحا كان معجبا برأيه قرأها من هو اعلم منه يعني عبد الله بن مسعود وابن عباس رض وقد ورد في
الاخبار اسناد التعجب اليه تعالى كقوله صلى الله عليه وسلم عجب ربكم من شاب ليست له صبوة اي ميل الى المعاصي
وعجب ربكم من ألّكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم وعجب الله البارحة من فلان وفلانة والألّ والأليل
الانين يقال ألّ يئلّ ألّا وألَلا وأليلا والألّ الجؤار ثم انه تعالى لما عجب رسوله عليه الصلوة والسلام من
اصرارهم على انكار البعث وانه بلغ استبعادهم اياه الى ان كانوا يسخرون من يقول به بيّن ان دأبهم
وشانهم ترك الاتعاظ بما وعظوا به فقال واذا ذكروا لا يذكرون اي لا يتعظون بل يعرضون عنه كانهم
لا يذكرونه ولا يحفظونه قوله يبالغون في السخرية على ان يكون سين يستسخرون للتاكيد والمبالغة قوله
او يستدعي بعضهم على ان يكون السين فيه للطلب قوله اصله انبعث اذا متنا يعني ان قوله اذا متنا
لا يجوز ان يعمل المبعوثون لان ما بعد انّ لا يعمل فيما قبلها فوجب ان يكون عامله محذوفا اي انبعث اذا
متنا وحذف لدلالة قوله لمبعوثون عليه ومقصودهم بهذا الاستفهام الانكاري بيان السبب الذي
حملهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وقولهم ان جميع ما نراه في صورة المعجزة ليس الا سحر مبين فانهم لما اعتقدوا
ان من مات وتفرقت اجزاؤه في العالم بان اختلط ما فيه من الاجزاء الارضية بتراب الارض وما فيه من
المائية والهوائية اختلط ببخار العالم استبعدوا واحالوا ان يعود الانسان الميت بعينه حيا
فقالوا على وجه المبالغة في انكاره أئذا متنا الآية فلما كانت قضية البعث محالا عندهم حملهم ذلك على
الاستهزاء بجميع ما يرونه من الآيات الدالة على صدق القائل به قوله عطف على محل ان واسمها وهو الرفع على
الابتداء لم يقل على محل اسم ان اذ ليس له حظ من الرفع بعد دخول ان عليه قراءة الجمهور او بهمزة
الاستفهام الداخلة على الواو العاطفة فعلى هذا يكون ارتفاع اباؤنا اما على انه معطوف على محل ان
واسمها او على الضمير المرفوع المستتر في قوله لمبعوثون وجاز العطف عليه من غير تأكيد بمنفصل استغناء

عنه بهمزة الاستفهام ومن قرأ او بسكون الواو على انها او العاطفة المقتضية للشك والترديد تعين عنده كونه
معطوفا على محل ان واسمها ولا يجوز عطفه على المستتر في لمبعوثون لعدم الفاصل قوله لزيادة الاستبعاد متعلق
بقوله مفصول ووجه زيادة الاستبعاد ان بعث من كان ترابا وعظاما اذا كان مستبعدا بالنسبة الى مجرد البعث
كان بعث من بعد زمان بلاء وتفتت اجزائه ابعد غاية البعد قوله تعالى قل نعم اي نعم تبعثون وقوله وانتم داخرون
جملة حالية والعامل فيها الجملة القائمة مقامها نعم اي تبعثون وانتم صاغرون اذلاء لانهم اذا رأوا وقوع ما يكرهوه
علما محالة يكونون اذلاء قوله وانما اكتفى به اي بقوله نعم تبعثون مع ان الاستبعاد البليغ الذي ذكروه بقولهم ائذا
متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لا يزول بمجرد ان يقال نعم قوله لسبق ما يدل على جوازه وهو البرهان
اليقيني القطعي المدلول عليه بقوله تعالى فاستفتهم فان القوم لما استبعدوا الحشر والقيمة وقالوا ائن مات وصار
ترابا وعظاما كيف يعقل عوده بعينه وبلغوا في هذا الاستبعاد الى حيث كانوا يسخرون من يقول به ازال
الله تعالى استبعادهم بهذا بان ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر والنشر بان قال لهم الم تعلموا ان خلق السموات
والارض اشد واشق من اعادة الانسان بعد موته والم تعلموا ان القادر على الاصعب الاشق يجب ان يكون
قادرا على الاسهل الايسر ولما لم ينتفعوا بهذا الدليل مع كونه جليا قويا ولم ينتبهوا لما ذكر فيه من المقدمات اضرب
عنه بقوله بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون لشدة بلادتهم وجهلهم وسلك في ازالة استبعادهم
مسلكا اخر وهو انه تعالى بعث رسولا واثبت رسالته بالمعجزات الباهرة فجاءهم الرسول وقال لهم لقد ثبت كوني
رسولا اليكم من عند الله بالمعجزات الواضحة فانا اخبركم عن الله تعالى بان البعث والقيمة حق ولم ينتفع هؤلاء المنكرون
بهذا الطريق ايضا بل حملوا كل ما راوه من المعجزات الباهرة والآيات القاهرة على كونه سحرا مبينا وسخروا منها
واستهزؤا وهذا هو المراد من قوله تعالى واذا راوا آية يستسخرون فهذه الجمل المتعاطفة متعلقة بالاضراب
السابق وتقرير لعنادهم ومكابرتهم فمعنى قول المص في الكشف به في الجواب سبق ما يدل على جوازه وقيام المعجز الدال
على صدق المخبر عن وقوعه انه لما ثبت بالبرهان القطعي امكان البعث وجوازه وقامت المعجزات القاهرة الدالة
على صدق من اخبر بوقوعه كان مجرد قوله تعالى قل نعم دليلا قاطعا على الوقوع لانه قد تبين الامكان بالدليل القطعي
وتبين وقوع ذلك الممكن بالدليل السمعي ومن المعلوم ان الزيادة على هذا البيان كالامر الممتنع ثم انه تعالى ذكر
ان بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال فانما هي زجرة واحدة اي اذا وقع البعث فانما هي صيحة واحدة فكيف تستبعدونه
وتستصعبونه لما كانت بعثتهم مسببة بالزجرة ناشئة عنها جعلت اياها للمبالغة في تسببها لها وهذه الصيحة
لا تاثير لها في الحيوة بدليل ان الصيحة الاولى استعقبها الموت والثانية الحيوة فدل ذلك على ان الصيحة
لا اثر لها في الموت ولا في الحيوة بل الموت والحيوة ليسا الا بخلق الله تعالى اياهما عند الصيحتين روي ان الله تعالى
يأمر اسرافيل عليه السلام فينادي ايتها العظام النخرة والجلود البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى
فيبعثون جميعا والزجرة في اللغة الصيحة التي يزجر بها النعم عند الحث والسوق ثم كثر استعمالها في مطلق الصياح

بمعنى الصيحة مطلقا وان لم يكن هنا معنى الزجر والحث كما في هذه الاية ولا يبعد ان يقال تلك الصيحة سميت
زجرة لانها تزجر الموتى عن الرقود في القبور وتحثهم على القيام من القبور والحضور في موقف القيمة قوله فانما
البعثة اشارة الى ان هي في قوله تعالى فانما هي زجرة راجعة الى البعثة المدلول عليها بقوله نعم لان المعنى نعم تبعثون
قوله وامرها في الاعادة امر الزجرة في ترتب الاعادة عليها من غير توقف وامتناع كامر كن في ترتب الابداء عليه كذلك
وان كانت الزجرة والنفخة حقيقة بخلاف كلمة كن فانها استعارة لسرعة التكوين ثم انه تعالى فصل الاحوال الواقعة
عقيب الصيحة فقال فاذا هم قيام ينظرون فيبصرون ما فيه من الاهوال الذي كذبوا به او ينتظرون ما يفعل بهم والحالة
الثانية من تفاصيل احوال القيمة قولهم بعد القيام من القبور يا ويلنا هذا يوم الدين والويل كلمة يقولها القائل وقت
الهلكة نادوا على انفسهم بالويل لانهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وتم به كلام من بعث من قبورهم وما بعده من كلام
الملائكة جوابا لهم يجيبونهم بان يقولوا هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون في الدنيا ويحتمل ان يكون من كلام
الله تعالى او كلام المؤمنين او من كلام بعضهم لبعض قوله او امر بعضهم اي بعض الملائكة لبعض والحشر الجمع
والسوق فان الملائكة يسوقونهم من موضع قيامهم الى موقف حسابهم امر الله تعالى الملائكة بان يحشروا
ثلثة اشياء الظالمين وازواجهم والاشياء التي كانوا يعبدونها من دون الله وفسر الازواج اولا بالاشباه
لما روي انه صلى الله عليه وسلم فسرها بها حيث قال وهم نظراؤهم واشباههم من العصاة كما في قوله تعالى وكنتم
ازواجا ثلثة اي اشكالا وامثالا وثانيا بنسائهم اللاتي على دينهم وثالثا بقرنائهم من الشياطين قال تعالى
يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة قال تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم وقال تعالى نقيض له شيطانا فهو له قرين
قوله وهو عام مخصوص جواب عما يقال ما وجه ان يحشر مع الظلمة كل ما كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله
وان يساقوا جميعا الى الجحيم مع ان بعضهم عبد المسيح بن مريم ومنهم من عبد الملائكة وتقرير الجواب ان قوله
وما كانوا يعبدون من دون الله وان كان عاما في كل ما عبدوه من دون الله الا انه خص بقوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون كما خص به قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
قال مقاتل المراد بما يعبدون هو ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى ان لا تعبدوا الشيطان قوله وفيه دليل اي في
قوله تعالى وما كانوا يعبدون من دون الله حيث ذكر من صفات الذين ظلموا كونهم عابدين لغير الله وهو يدل
على ان الظالم المطلق هو الكافر وعلى ان كل وعيد ورد في حق الظالم فهو مصروف الى الكفار ويؤيده هذا
قوله تعالى والكافرون هم الظالمون قوله احبسوهم فان وقف يتعدى ولا يتعدى يقال وقفت الدابة اقفها و
قفا فوقفت هي وقوفا قوله والواو لا توجب الترتيب جواب عما يقال كيف ذكر قوله وقفوهم انهم مسئولون
بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم ومن المعلوم ان حشرهم الى الجحيم انما يكون بعد الحبس والسؤال قال
المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط كذا في معالم التنزيل فيكون ذكر
قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون بعد قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وسوقهم اليها انما هو بعد حبسهم في موقف

في موقف الحساب فترتيب الذكر ليس على وفق ترتيب الوجود حتى يجاب عنه بان الواو لا يدل على الترتيب
ويجوز ان يكون الترتيب في حقهم ان يعرفوا اولا انهم اهل النار وهذا طريقها ويؤمروا بسلوكها ثم اذا انتهوا
الى موقف الحساب ان يؤمروا بالوقف للسؤال ثم ان يساقوا منها الى النار وفي حق غيرهم لا يبدأ بتعريف
طريق الجحيم وانما يساقون الى الموقف ثم الى ما شاء الله تعالى وانما يبدأ به في حقهم تعجيلا لمسائتهم وحسرتهم
وقيل يجوز ان يكون المراد بالسؤال في قوله وقفوهم انهم مسئولون ما يذكر بعده مالكم لا تناصرون وهم تنقادون
من يسوقكم الى النار فعلى هذا يكون هذا الوقوف وما يكون فيه من السؤال غير الموقف العام وما فيه فلا يرد
ما ذكر ايضا ولعل ما يوجد في بعض النسخ من قوله مع جواز ان يكون موقفهم متعددا وابدل قوله مع جواز ان يكون
موقفهم بعد الهدى والتوبيخ للسؤال اشارة الى هذا القول وما اشار اليه المص من الايراد وجوابه انما
يرد ان لو كان المراد بقوله احشروا الذين ظلموا اسوقوهم الى الموقف وهم واقفون عقيب ما بعثوا من
قبورهم وكان فاء التعقيب في فاهدوهم للدلالة على ان مضمون الهداية واقع عقيب الحشر الى الموقف بحسب
الزمان فيرد ان السؤال للوقوف واقع بينهما فلم اخر عنهما قوله مع جواز ان يكون موقفه مالكم لا تناصرون
اي مع جواز ان يكون سبب الموقف لهم في هذا الموقف هو السؤال المذكور بعده وهو قوله مالكم لا تناصرون وهم انما
يسألون بهذا وهم في الجحيم فانهم يسألون فيها توبيخا فيقال مالكم لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك
ان ابا جهل قال يوم بدر نحن جميع منتصر فيقال لهم يوم القيمة مالكم لا تناصرون اي غير متناصرين وقيل المراد سؤال
خزنة جهنم اياهم الم يأتكم نذير الم يأتكم رسل منكم بالبينات قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قوله
وهو توبيخ اي لوم لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا متعاضدين متناصرين في الدنيا وتعريض لابي جهل في
قوله يوم بدر نحن جميع منتصر والتعريض خلاف التصريح يقال عرضت لفلان وبفلان اذا قلت قولا على الطف
وانت تعنيه والتوبيخ التعنيف وقوله لا تناصرون جملة حالية والعامل فيها الاستقرار في لكم قوله منقادون اي
لامر الله وحكمه لعجزهم عن دفع تلك المضار عن انفسهم يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع قوله يتسائل
بعضهم بعضا للتوبيخ يعني ليس ذلك تسأل المستفهمين بل هو تسأل التوبيخ واللوم ثم انه تعالى شرح كيفية ذلك
التسأل فقال قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قوله مستعار من يمين الانسان يعني ان اليمين لما كانت اقوى
العضوين واشرفهما وانفعهما استعيرت لاقوى الوجوه او اشرفها او انفعها ومعنى الاتيان عن اليمين بحسب
هذه المعاني انكم كنتم في الدنيا تخدعوننا وتوهموننا ان اقوى الوجوه او اشرفها او انفعها ما تضلوننا به و
تدعوننا اليه وتروننا انا نغصو ذكم الدعوة لاقوى الوجوه قال الزجاج تأتوننا عن اليمين اي من قبل
الدين فتروننا ان الدين الحق ما تضلوننا به وقيل معنى قولهم اتاه عن اليمين اتاه من قبل الخير وناحيته
فصده عنه واضله فالمعنى قال الاتباع للقادة انكم كنتم في الدنيا تأتوننا من قبل الحق والدين والطاعة
فتضلوننا عنها وتنهوننا امر الشريعة وتنفروننا عنها وقول المص كانكم تنفعوننا نفع السانح صريح في

وما في مالكم استفهامية مبتدأ في موضع رفع بالابتداء وخبره لكم ولا تناصرون في موضع النصب على الحال اي ما لكم غير متناصرين وعامله معنى الاستقرار في لكم
منه

ان مراده المعنى الاول والسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب
تتيمن به لان ما مر من جهة يسارك الى يمينك يعرض عليك يمينه واليمين من اليمن فلذلك يتيمنون
به بخلاف البارح وهو ما مر من جهة يمينك الى يسارك فانه يبعد عنك يمينه فيتشاءمون به قوله او عن القوة
عطف على قوله عن اقوى الوجوه وكذا قوله او عن الحلف واليمين على الاول اسم الجارحة عبر بها عن
القوة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان اليد اليمنى سبب للقوة والقهر وعلى الثاني بمعنى الحلف
قوله عن اليمين على الوجهين حال من فاعل تاتوننا اى تاتوننا اقوياء قاهرين فتبعناكم خوفا منكم او تاتوننا
مقسمين حالفين فتبعناكم اعتمادا على حلفكم وحاصل الجميع انكم اضللتمونا فاجابهم الرؤساء بانه
انما يصح قولكم اضللتمونا ان لو كنتم في انفسكم على الهدى وليس كذلك بل كنتم ضالين في انفسكم ثم قالوا ما كنتم عليه
من الضلال والكفر انما كان باختياركم اياه مع تمكنكم من الايمان وما كان لنا عليكم من تسلط وجبر نسلب به عليكم
ذلك التمكن والاختيار بل كنتم قوما طاغين بالاختيار قوله جنحوا اليه اى مالوا قوله ثم بينوا اى بين الرؤساء
انه تعالى قضى علينا جميعا وحكم بوقوعنا في العذاب لعلمه بحالنا واستحقاقنا فانا ذائقون العذاب ولما كان ما اخبر الله تعالى
وحكم امرا واجب الوقوع لا جرم كان الوقوع في العذاب لازما لا محيص عنه فقوله تعالى انا لذائقون في محل
النصب على انه مفعول المصدر وهو قول ربنا والقول بمعنى الوعيد عدل عن لفظ الواعد الى لفظ الموعود
لهم العذاب حيث قيل انا لذائقون بلفظ المتكلم لانهم متكلمون بذلك عن انفسهم ولو حكى لفظ الواعد كما هو لقيل
انكم لذائقون وفسر قوله اغويناكم بدعوناكم الى الغي وجعل قوله انا كنا غاوين استئنافا لبيان ما يدعو الرؤساء
الى دعوة الاتباع الى الغي قوله وفيه ايماء انه قوله انا كنا غاوين من غير ان يتعرض لسبب غوايتهم اشارة
الى معنى اخر غير كون غواية الاتباع مستندة الى اغواء الرؤساء وهو انا اى ان الفريقين كنا في علم الله تعالى
وقضائه غاوين وان غوايتكم في الحقيقة ليست مستندة الى اغوائنا لان كل غواية لو اسندت الى اغواء
غاو سابق واخر للزم التسلسل وهو محال لان مجموع الغوايات المندرجة في السلسلة من حيث هو مجموع غير كل
واحد منها فله علة خارجة عن السلسلة والا لم تكن السلسلة مشتملة على جميع الغوايات وبتلك العلة الخارجة
عن السلسلة ينتهي التسلسل وتلك العلة هي ما اشير اليه فيما قبل بقوله فحق علينا قول ربنا ولما حكى الله تعالى كلام الاتباع
للرؤساء وكلام الرؤساء للاتباع قال بعده فانهم يومئذ في العذاب مشتركون ثم بين الله تعالى انهم انما وقعوا في
العذاب لانهم كانوا يكذبون بالتوحيد ويستكبرون عن ان يقولوا لا اله الا الله وبالنبوة بقولهم أئنا لتاركوا
آلهتنا لشاعر مجنون ثم انه تعالى كذبهم في ذلك الكلام فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين اى صدق في مجيئهم
بالتوحيد ونفي الشرك فثبت به ان القول بالتوحيد مما تطابق عليه المرسلون ولما حكى الله عنهم تكذيبهم
بالتوحيد وبالنبوة نقل الكلام من طريق الغيبة الى الخطاب مؤكدا له بوجوه من التاكيد فقال انكم لذائقوا
العذاب الاليم ولما كان المقام مظنة ان يقال كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالي عن النفع والضرر ان يعذب
عباده

اقول الانسب منه ان يقال هو من اطلاق لفظ المحل على الحال او من اطلاق لفظ الملزوم على اللازم فان اليد محل القوة الذي هو ... ملزوم للقوة والقهر
منه

عباده اجاب عنه بقوله وما تجزون الا ما كنتم تعملون وتقريره ان الحكمة تقتضي الامر بالخير والطاعة والنهي
عن القبيح والمعصية ولا يكمل المقصود من الامر والنهي الا بالترغيب في الثواب والترهيب بالعقاب ولما
وقع الاخبار بذلك وجب تحقيقه صونا للكلام عن الكذب فلهذا السبب وقعوا في العذاب قوله وقرئ
بنصب العذاب باضافة لذائقون اليه والاضافة تقتضي حذف النون كما تقتضي حذف التنوين ومن قراءة
بنصب العذاب مع حذف النون فان اجرى النون مجرى التنوين في حذفها عند ملاقاة الساكن كقراءة من
قرأ احد الله الصمد وقول من قال ولا ذاكر الله الا قليلا اصله ولا ذاكر الله بتنوين ذاكر ونصب لفظ الجلالة
حذف التنوين لالتقاء الساكنين لا للاضافة والا لوجب جر اسم الله والرواية بنصبه وذاكر مجرور عطفا
على مستعتب قبله وهو فذكرته ثم عاتبته عتابا رفيقا وقولا جميلا فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر
الله الا قليلا المعنى ذكرته ما بيننا من المودة ثم عاتبته على ما فعله من الفعل القبيح فالفيته اى فوجدته
غير راجع عن ذلك بالعتاب ولا تائب عنه فعبر عن عدم التوبة بعدم ذكر الله لان التائب عن القبيح لا يخلو
عن ذكر الله تعالى ويحتمل ان يراد بالقلة العدم كما في قوله قليل التشكي للمهم يصيبه قوله وهو ضعيف في غير المحلى
باللام اى حذف النون من لفظ اسم الفاعل الذي ينصب ما بعده قياسا على حذف التنوين ضعيف عند
النحاة في غير المحلى باللام بخلاف المحلى باللام فان حذف النون منه ليس بضعيف اذا نصب ما بعده به نحو الحافظو
عورة العشيرة لا ياتيهم من ورائهم نطف ووجه الحذف فيه ان اللام موصول وقد طالت الصلة بنصب
المفعول فجاز التخفيف بحذف النون كما حذفت في الموصول في قوله ابني كليب ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا
الاغلالا فلما كان حذف النون لاجل التخفيف لم يكن لحذفه تاثير في الحكم فنصب ما بعده كما في حال قيام النون
واما اذا عرى عن الالف واللام وحذف منه النون فذلك الحذف لا يكون الا للاضافة فيجب ان يكون ما بعده
مجرورا بالاضافة قوله وعلى الاصل وهو اثبات النون وهو معطوف على قوله على تقدير النون اى كما قرئ
لذائقوا العذاب بالنصب مع حذف النون قرئ لذائقون العذاب باثبات النون قوله استثناء منقطع
لان المستثنى وهم المخلصون ليسوا بداخلين في المستثنى منهم وهم المخاطبون المستكبرون من التكلم بكلمة التوحيد
وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم والذي يفهم من تقرير المصنف ان المستثنى منه ضمير تجزون وهم المشركون
كانه قيل وما تجزون ايها الكفرة الا جزاء مماثلا لعملكم في المقدار وفي كونه سيئا كعملكم كما قال وجزاء سيئة
سيئة مثلها لكن عباد الله المخلصون يضاعف جزاؤهم اضعافا كثيرة تفضلا منه تعالى عليهم فالمستثنى هم
عن المشركين باعتبار ان جزاء المشركين مماثل لعملهم وان جزاء المخلصين الموحدين يضاعف
وقيل ان المستثنى منه ضمير لذائقوا والمعنى انكم ايها المجرمون ذائقوا العذاب لكن عباد الله المخلصون
لا يذوقونه قرأ الكوفيون ونافع لفظ المخلصين بفتح اللام حيث وقع والباقون بكسرها والمخلصون
بالفتح هم الذين اخلصهم الله تعالى لدينه وطاعته وبالكسر هم الذين اخلصوا العبادة لله تعالى قوله

ولذلك فسره بقوله فواكه اي ولكون المراد من كون رزقهم معلوما معلومية خصايصه من كونه دايما
طيب الطعم والرايحة وحسن المنظر وكونه ماكولا لمحض التلذذ لا لاجل الحاجة بين ان ذلك الرزق
فواكه وهو اشارة الى ان قوله فواكه عطف بيان للرزق او بدل الكل من الكل لان بدل الكل لا يخلو عن
افادة البيان والتفسير فان رزق اهل الجنة كله فواكه يأكلونها للتلذذ لا للحاجة لانهم مستغنون عن
حفظ الصحة بالاقوات وقيل هو بدل البعض من الكل لان الفواكه بعض رزقهم والمقصود من ابداله
منه التنبيه بالادنى على الاعلى لانه اذا كانت الفاكهة حاضرة ابدا كان ما يوكل للتغذي اولى بالحضور ثم
انه لما فصل خصايص رزقهم بين ان ذلك الرزق يصل اليهم بالتعظيم والاكرام لان مجرد اصابة
المطعوم من غير اعزاز واكرام يليق بالبهايم ولما ذكر ماكولهم وصف مساكنهم فقال في جنات النعيم
واضافة جنات الى النعيم للاختصاص واشار المصنف اليه بقوله ليس فيها الا النعيم وقوله في جنات النعيم
يجوز ان يكون ظرفا متعلقا بقوله مكرمون وان يكون حالا وان يكون خبرا ثانيا لاولئك وقوله على سرر
يحتمل ان يكون حالا من ضمير مكرمون على ان يكون في جنات ظرفا لمكرمون وان يكون خبرا آخر لاولئك على
تقدير ان يكون في جنات خبرا ثانيا وعلى التقديرين يكون متقابلين حالا من المستكن في قوله على
سرر او في قوله مكرمون ويحتمل ان يكون على سرر متعلقا بقوله متقابلين فعلى هذا يكون قوله متقابلين
حالا من ضمير مكرمون قوله باناء فيه خمر يعني ان الكاس يطلق على الزجاجة ما دام فيها خمر والا فهو قدح
واناء وقد يطلق على الخمر نفسها كما في قول الاعشى • وكاس شربت على لذة • واخرى تداويت منها بها •
لكي يعلم الناس اني امرء • اتيت المعيشة من بابها • يقول رب شربة لطلب لذة الخمر وكاس اخرى شربتها
للتداوي من خمارها لما ذكر الله تعالى ماكل المخلصين ومسكنهم ذكر بعده صفة مشربهم فقال يطاف عليهم
وهو في موضع الحال من المستكن في قوله على سرر او في مكرمون اي يطوف عليهم بكاس او في قوله متقابلين
ومن معين صفة لكاس لما كان المعين اسم مفعول قدر له موصوفا من شراب معين او نهر معين
ثم فسر العين الجاري على موصوفه بقوله اي ظاهر للعيون بكونه مبصرا بحاسة البصر فيكون المعين اسم
مفعول من عانه يعينه اي نظر اليه بعينه الجوهري عنت الرجل اصبته بعيني فانا عاين وهو معين على الاعلال
ومعيون على الاصل مثل مبيع ومبيوع فهو اسم مفعول من العين بمعنى حاسة الرؤية ثم فسره بقوله خارج
من العيون فيكون معين اسم مفعول ماخوذ من عين الماء وهو منبعه ومخرجه والماء المعين هو الماء الجاري
الذي له عين يخرج منه ويجري والعين بهذا المعنى من صفات الماء فانه الذي ينبع من العين اي يخرج منه
ويجري وتوصيف خمر الجنة به واطلاقه عليها اما حقيقة بناء على انها تجري في الانهار كالماء قال الله تعالى وانهار من خمر
فالظاهر ان ما يجري في الانهار له عين يخرج منه واما استعارة مبنية على تشبيهها بالماء في استجماعها لما يطلب
منه لكمال لذتها وهو قول المصنف او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة

فان

معنى الحصر والتخصيص مستفاد من اضافة الجنات الى النعيم لان الاضافة بتقدير اللام تفيد الاختصاص الكامل فاذا قيل جنات النعيم يفهم منه عرفا ان ليس فيها غير النعمة وهذا الطريق خارج من الطرق الاربعة المشهورة الموضوعة لافادة معنى القصر عند علماء المعاني لم يعدوا هذا الطريق من الطرق المفيدة للقصر في بابه لانه لم يفهم معنى القصر فيه بمعونة استعمال العرف لا من نحو الكلام فقط على ان هذه الطرق المخصصة في المركب التقييدي وتلك الطرق الاربعة انما هي في الاسنادي

فان خمر الجنة اذا وصفت بما هو من خصايص الاشربة الجارية وهو الخروج من العيون كان ذلك مشعرا بكونها
مشابهة للماء الجاري من العين في استجماعها لما يطلب من الاشربة لكمال لذتها قوله وكذلك بيضاء يعني انها ايضا من
صفاتها وصفت بها خمر الجنة لما روي من ان خمر الجنة اشد بياضا من اللبن قوله وهما ايضا اي كما ان بيضاء ولذة
وصفت بهما خمر الجنة فهما ايضا صفتان لكاس لصفائها ووصف ما فيها بيضاء وهو ظاهر وتوصيف الكاس باللذة
اما من قبيل توصيف الذات بالمصدر للمبالغة في اتصافها بمدلول المصدر اي كاس لذيذة صارت في لذتها كانها نفس
اللذة واما من قبيل توصيف الشيء بالصفة القائمة به مثل رجل كريم بناء على ان اللذة تانيث لذ بمعنى لذيذ وفي
الصحاح شراب لذ ولذيذ بمعنى واللذ بمعنى النوم في قول الشاعر • ولذ كطعم الصرخدي تركته • انتهى يعني ان الموصوف
المقدر فيه هو النوم لان معنى اللذ هو النوم والصرخد موضع بالشام ينسب اليه الخمر اي رب نوم لذيذ كطعم الشراب الصرخدي
تركته خشية الحوادث قوله لا فيها غول صفة لكاس ايضا وبطل عمل لا وتكررت لتقدم خبرها قال ابن الحاجب وان
كان اسم لا التي لنفي الجنس معرفة او مفصولا بينه وبين لا وجب الرفع والتكرير والغول اسم بمعنى الغائلة يطلق على
كل اذية ومضرة يقال غاله الشيء واغتاله اذا اخذه من حيث لم يدر وقيل حقيقة الغول الاهلاك يقال غاله غولا واغتاله
اي اهلكه والغول والغائل المهلك ومنه الغول بالضم شيء توهمته العرب ولها اشعار واخبار كالعنقاء فالغول اسم
جميع الاذى وقيل المراد بالغول في الآية الاثم وقيل وجع البطن وقيل ان تغتال عقولهم وقيل المعنى ليس فيها غائلة الصداع
لانه تعالى قال في موضع آخر لا يصدعون عنها وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق امرا في خفية وخمر الدنيا يحصل فيها
انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والبول ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة قوله
وقرا حمزة والكسائي ينزفون هنا وفي الواقعة بضم الياء وكسر الزاي ووافقهما عاصم على ما في الواقعة فقط من
انزف الشارب اذا ذهب عقله من السكر او نفد شرابه والمعنى انه لا تذهب عقولهم عنها او لا تنفد خمورهم بل هي
باقية والباقون بضم الياء وفتح الزاي من نزف الشارب ثلاثيا مبنيا للمفعول بمعنى سكر وذهب عقله ويجوز ان يكون من
انزف ايضا بالمعنى المتقدم ومن النوادر ان يكون الثلاثي متعديا واذا نقلته الى باب الافعال يكون لازما نحو نزف
الشارب الخمر فانزف هو وكببته فاكب وقشعت الريح السحاب فاقشع قوله نجل العين هو بضم النون وسكون
الجيم جمع نجلاء تانيث الانجل من النجل وهو بفتح النون والجيم سعة شق العين والرجل انجل والعين نجلاء والجمع نجل
ورجل اعين وامراة عيناء اي واسع العين والجمع فيهما عين واصله فعل بالضم كبيض جمع ابيض واصله
فعل ثم كسر الفاء لتسلم الياء والبيض بفتح الباء جمع بيضة وهو المعروف والمراد به هنا بيض النعام والمكنون
المصون المستور من كننته اي جعلته في كن وهو السترة والبياض الذي يشوبه شيء من الصفرة احسن الوان
الابدان عند العرب قال ذو الرمة بيضاء في برج صفراء في غنج • كانها فضة قد مسها ذهب • وقيل شبهت المراة
ببيض النعام في تناسب اجزائها فان البيضة من اي جهة اتيتها كانت في راي العين مشبهة بالاخرى وقد لاحظ
بعض الشعراء هذا المعنى حيث قال تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى بهن اختلافا بل اتين على قدر وقيل في معنى

المكنون انهن عذارى صحيحي مصونات عن الكسر قال الفرزدق خرجن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض
النعام وذكر المكنون مع انه وصف به الجمع فينبغي ان يؤنث اعتبار اللفظ الموصوف **قوله** وما بقيت من اللذات
الا اشارة يراد بهذا البيت الى ان عادة الشرب في الدنيا التحادث على الشرب واحاديث جمع حديث وهو الخبر قلّ
او كثر على غير القياس **قوله** للتاكيد فيه اي تحقق وقوعه فانه لتحقق وقوعه كانه واقع ولذلك عبر به ماضيا كما في سنة الله تعالى
في اخباره في التنزيل **قوله** وقرئ بتشديد الصاد والدال من التصدق والمعنى انك لمن الذين يعطون الصدقة
لطلب الجزاء في الآخرة ويدل عليه قوله ائنا لمدينون فانه قد روي ان الآية نزلت في شريكين حصل لهما ثمانية
الاف دينار فاقتسماها فاشترى احدهما دارا بالف دينار فاراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما احسنها
ثم خرج فتصدق بالف دينار وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بالف دينار وانا اسالك دارا من دور
الجنة ثم ان صاحبه تزوج امراة حسناء بالف دينار فتصدق صاحبه بالف دينار لاجل ان يزوجه الله تعالى
من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بالفي دينار فتصدق هذا بالفي دينار رجاء ان يعوضه الله تعالى
من بساتين الجنة ما شاء فاطلع شريكه على ما فعل بماله فقال له اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله تعالى في الآخرة
خيرا منه فقال انك لمن المصدقين لطلب الجزاء في الآخرة فانكر ما فعل فبين الله سبحانه انهما بعد ما توفيا وبعثا
يوم القيمة ينطلق بالمتصدق الى الجنة ويبوأ دارا من قصور الجنة هيئت له ويزوجه حورا ويسلم له بساتين
فيتمكن فيها بالبهجة والسرور فيقول في اثناء مكالمة مع من في مجلسه اني كان لي قرين في الدنيا يوبخني على اعتقاد
حقية البعث والجزاء وانفاق المال على المحتاجين لطلب ثواب الآخرة فهذه الرواية ترجح القراءة بتشديد
الصاد والدال الا انها قراءة شاذة والجمهور على تخفيف الصاد على انه من التصديق بالبعث وان المعنى انك لمما
يصدق بالبعث بعد ان تصير ترابا وهو المناسب لقوله ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون واعلم انه تعالى
لما ذكر ان اهل الجنة يتسائلون عند اجتماعهم على الشرب ويتحدثون ذكر انه كانت من جملة كلماتهم انهم يتذكرون
ما كان قد حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله تعالى ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالسعادة الابدية برحمة
الله تعالى وعصمته فقال قائل منهم في اثناء التحادث انه كان لي قرين شانه كذا وكذا ثم انه ذكر القائل قال جلسائه
يدعوهم الى كمال السرور بالاطلاع الى النار لمشاهدة ذلك القرين ومخاطبته بطريق التوبيخ والتعنيف هل انتم
مطلعون الى اهل النار لننظر كيف منزلة قريني فقال جلساؤه في الجنة انت اعرف به منا فاطلع انت
فاطلع فرأى قرينه في وسط الجحيم وقيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وان كان القائل هو الله تعالى
او بعض الملائكة يكون المعنى هل تحبون ان تطلعوا او تعرفوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين المكذب بالبعث
فاحب قرينه ان يراه فاطلع فرأى قرينه المكذب في وسط الجحيم فان سواء الجحيم وسطها قال ابن عباس رض
سمي بذلك لاستواء المسافة منه الى جميع الجوانب **قوله** وقيل فتعلموا اي قيل بدل قوله لاريكم فتعلموا **قوله** وعن
ابي عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف اي بسكون الطاء اصله مطلعوني فخففت الياء كما تحذف في رؤس الآي و
بقيت

وبقيت الكسرة دليلا عليه **وقوله** فاطلع بقطع الهمزة مضمومة وكسر اللام وفتح العين اما على انه ماض مبني
للمفعول او على انه مضارع منصوب بان المقدرة بعد الفاء في جواب الاستفهام كما في قوله تعالى فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
فقوله مطلعون من اطلعه غيره فاطلع وقوله فاطلع بمعنى فاطلع فان اطلع يستعمل لازما ومتعديا يقال اطلع علينا
فلان واطلع كاكرم واطلع بالتشديد بمعنى واحد وان جعل اطلع ماضيا مبنيا للمفعول يكون القائم مقام الفاعل
ضمير القائل لاصحابه ما قاله ويكون الهمزة للتعدية فانه يقال طلع زيد واطلعه غيره ولا يجوز ان يكون القائل في هذه القراءة
الله عز وجل ولا الملائكة وهو ظاهر بل القائل هو ذلك القائل المذكور اولا بقوله لاصحابه في الجنة هل انتم مطلعون اي
على حال ذلك القرين فاطلع انا اي انتظر واحال حتى انظر اليه فان نظري اليه متوقف على نظركم اليه لانه ليس من داب
المجالسة ان يستقبل احد الجلساء بامر دون اصحابه ويحتمل ان لا يكون الخطاب في قوله هل انتم مطلعون لجلسائه
من اهل الجنة بل يكون للملائكة والمعنى يا ملائكة الله هل انتم مطلعي على حال قريني فاطلع عليها قرينا من اهل الجنة
والاستفهام ليس على حقيقته بل هو بمعنى الامر اي اطلعوني قريني لاطلع انا قريني عليه قال ابو البقاء هذه القراءة
بعيدة جدا لان النون في مطلعون ان كانت للوقاية فهي لا تلحق الاسماء وان كانت للجمع فلا تثبت في حال الاضافة
فان اسم الفاعل اذا ذكر بعده ضمير المتكلم والمخاطب لا يذكر بعد النون ولا التنوين فتقول زيد ضاربك وهما ضارباك وهم
ضاربوك ولا يقال هم ضاربني ولا هم ضاربونك الا في الشعر الا انه قد قرئ مطلعون وجمع بين النون وضمير المتكلم و
القياس مطلعي بياء مشددة وكسر العين لان الاصل مطلعوي باضافة مطلعون الى ياء المتكلم سقطت النون
بالاضافة ثم ابدلت الواو ياء وادغمت كما في مسلمي وقوله عليه الصلوة والسلام او مخرجي هم وذكر المص لهذا النون
وجهين الاول انها نون الجمع وان اطال البيت حال الاضافة فان مطلعون وان كان على صورة الاضافة لكنه
ليس بمضاف حقيقة لان اصله مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كما في قولهم الآمرون الخير والفاعلونه
فان اصله والفاعلون اياه وفيه ان هذا ليس من مواضع المنفصل حتى يقال ان المتصل وضع موضعه فانه لا يقال
زيد ضارب اياي لانه لا يصار الى المنفصل الا اذا تعذر المتصل ولم يتعذر ان يقال مطلعي وضاربني ويمكن ان يجاب
عنه بمنع الانفراد او على تقدير حال ثبوت النون والتنوين قبل الضمير فيصير الموضع موضع المنفصل فيصح التوجيه
المذكور والوجه الثاني ان هذه النون نون الوقاية الا ان اسم الفاعل شبه في اتصال نون الوقاية به بالفعل
المضارع لما بينهما من المواخاة كانه قيل هل انتم تطلعون واصله تطلعونني بنونين نون الجمع ونون الوقاية
فحذفت احدى النونين والياء ايضا اكتفاء بالكسر **قوله** عطف على محذوف جواب عما يقال كيف جاز دخول همزة
الاستفهام على فاء العطف في قوله تعالى افما نحن وهمزة الاستفهام تقتضي صدر الكلام وفاء العطف تقتضي
وسط الكلام وتقدم شيء يعطف بها ما بعدها عليه فكيف يجتمعان وتقرير الجواب ان الذي عطف عليه بالفاء مقدر بعد
الهمزة والتقدير انحن مخلدون منعمون وقوله فما نحن بميتين معطوف على هذا المقدر وحذف قوله نحن مخلدون منعمون
لدلالة قوله بميتين عليه وحذف منعمون لدلالة قوله وما نحن بمعذبين عليه وتقديرهما لابقاء صدارة الهمزة

تا لي معا بهذا كان ذلك القرين شيطانا
وقيل كان من الانس وقال مقاتل
كانا اخوين وقيل كانا شريكين
حصل لهما ثمانية الاف دينار
[illegible] منه

وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما
في سورة الكهف بقوله واضرب
لهم مثلا رجلين الآية
منه

ولما تم كلام المؤمن مع قرينه الذي في النار رجع الى مخاطبة جلسائه من اهل الجنة فقال افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
على جهة التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون ولا يعذبون وقيل هو من كلام اهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت ويقال
يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت بناء على ان اهل الجنة لا يعلمون في اول دخولهم الجنة انهم لا يموتون فاذا
جيء بالموت على صورة كبش املح وذبح يقول اهل الجنة للملائكة افما نحن بميتين فيقول الملائكة لا فعند ذلك يعلمون انهم
لا يموتون وقيل هو من قول المؤمن على وجه التوبيخ والتقريع للكافر فيقول له اليس حال المؤمنين وصفتهم انهم مخلدون
منعمون لا يذيقهم الله الموت الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم بحال يتمنون فيه الموت كل ساعة قيل لبعض الحكماء ما الذي
هو شر من الموت فقال الذي يتمنى فيه الموت **قوله** ونصبها على المصدر يعني انه مستثنى مفرغ معرب على حسب العوامل اي
منصوب بميتين كما ينصب المصدر بالفعل المذكور قبله في مثل قولك ما ضربت زيدا الا ضربة واحدة كانه قيل افما نحن
نموت موتة الا موتتنا الاولى وقيل انه منصوب على الاستثناء المنقطع اي لكن الموتة الاولى كانت لنا في الدنيا والموتة المستثنى
عنها هي ما يكون في الجنة والتي كانت في الدنيا خارجة عنها **قوله** تعريض له حيث كان ينكر البعث والثواب الدائم للمطيع
قوله او معاودة عطف على قوله تمام كلامه يعني ان ذلك القائل لما تم الكلام مع قرينه الذي هو في النار عاد الى مخاطبة
جلسائه من اهل الجنة وقال افما نحن بميتين على صورة الاستفهام ومقصوده التقرير والتحدث بنعمة الله تعالى والابتهاج
والسرور بحاله فان التذكر الخلود في الجنة لذة دونها كل لذة والبجح الفرح يقال بجح به من باب علم وبجحته انا تبجيحا
فتبجح اي افرحته ففرح **قوله** وهو ايضا يحتمل الامرين اي يحتمل ان يكون من تمام كلام ذلك القائل ويحتمل ان يكون
من كلام الله سبحانه ثم انه تعالى لما ذكر ثواب اهل الجنة من جنة النعيم وما فيها من الماكل والمشارب والحور العين وانهم
على سرر متقابلين وعلى الشراب يتحادثون الى ان قال لمثل هذا فليعمل العاملون اتبعه بقوله اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم ليصير ذلك زاجرا لهم عن الكفر المؤدي الى العذاب الاليم والمعنى انعيم الجنة خير نزلا ام شجرة الزقوم خير نزلا
ومن المعلوم انه لا نسبة لاحدهما الى الاخر في الخيرية الا انه جاء بهذا الكلام اما على سبيل التهكم والاستهزاء بهم لاجل
ان المؤمنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم كان ذلك خيرا في معتقدهم وان الكفار لما اختاروا ما ادى الى شجرة
الزقوم كان الواجب ان يكون ذلك خيرا في معتقدهم فنسبت الخيرية الى ما اختاروه وما يؤدي اليه بحسب اعتقادهم
فسئلوا عن الافضل منهما وان لم يكن في احدهما فضل في نفس الامر توبيخا للكافرين على سوء اختيارهم واختلفوا
في ان شجرة الزقوم هل هي من شجرة الدنيا التي تعرفها العرب ام لا على قولين احدهما انها شجرة معروفة من اشجار
الدنيا ومن قال بهذا اختلفوا فيها فقال بعضهم انها شجرة مرة يكون بتهامة من اخبث الشجر وقيل انها شجرة مسمومة يخرج
لها لبن متى مس شيئا منه جسم تورم فانه سميت باسم هذه الشجرة الشجرة التي وصفها الله تعالى بقوله انها شجرة تخرج في
اصل الجحيم والقول الثاني انها لا تعرفها العرب في اشجار الدنيا فلما نزلت هذه الاية قال كفار قريش ما نعرف هذه الشجرة
فقدم عليهم رجل من افريقية فسألوه عنها فقال هو عندنا الزبد والتمر قال الكلبي لما نزلت هذه الاية قال ابن الزبعرى
اكثر الله في بيوتكم الزقوم فان اهل اليمن يسمون التمر والزبد بالزقوم فقال ابو جهل لخازنته زقمينا فاتت بزبد وتمر وقال

قوله وفي ذكره دلالة الخ وجه الدلالة ذكر لفظ النزل الذي [illegible] طعام [illegible] مقابلهم [illegible] احد المتقابلين [illegible] الى الاخر تمت

وقال تزقموا فان هذا هو الذي يتوعدكم به محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ردا لقولهم
انه تمر وزبد **قوله** بمنزلة ما يقام اي يرفع ويهيأ **قوله** دفرة اي منتنة كريهة الرائحة **قوله** محنة وعذابا لهم في
الاخرة فان الفتنة في اللغة الاحراق قال تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون ويعذبون **قوله** او ابتلاء في الدنيا
حيث افتتنوا وضلوا عن الحق بسببه فان الفاتن قد يطلق على المضل عن الحق فان الكفار لما سمعوا كون هذه الشجرة
في النار افتتنوا به في دينهم وتوسلوا به الى الطعن في القران والنبوة وتمادوا في الكفر فمعنى الاية حينئذ انا جعلنا ذكر
كون هذه الشجرة في النار ربما افتتن الكفار به في دينهم ولم يعلموا ان من قدر على خلق مخلوق يعيش في النار ولا
يتاذى بها فهو قادر على ان يخلق شجرة في النار ويحفظها فيها ويحتمل ان يكون الفتنة بمعنى الامتحان والاختبار
فان تكون الشجر المثمرة في النار لما كان معنى بعيدا عن العرف والعادة كان الاخبار به من طرق الامتحان لانه اذا
ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله سبحانه واذا ورد على سمع الكافر توسل به الى الطعن في القران والنبوة ثم انه تعالى
اومى بقوله انها شجرة تخرج في اصل الجحيم اي تنبت في قعرها كما قرئ انها شجرة نابتة في اصل الجحيم الى ما يدفع استبعادهم
ان يكون في النار شجرة والنار لا تحرقها وذلك ان الشيء انما يهلك بمصادفة ما يضاده من جهة العنصر والطبيعة ويتقوى
بما يوافقه فيهما وتلك الشجرة لما نبتت في ارض جهنم وكان اصل عنصرها النار لزم ان تنبت في النار ولا تحترق بالجملة
سائر الاشجار فانها لما نبتت فيها لم تبق حية كالسمك فانه لما تولد في الماء يبقى فيه ولم يخرج بخلاف ما لم يتولد في الماء
من الحيوانات فانه لا يبقى فيه بل يغرق **قوله** حملها اي ثمرها وما يطلع منها والطلع اسم موضوع لما يطلع من النخل وهو الكم
قبل ان ينشق سمي به لطلوعه منه كل سنة ثم استعير لحمل شجرة الزقوم تشبيها له بطلع النخل في الشكل او في مجرد الطلوع
من الشجر واطلاقا لاسم المشبه به على المشبه **قوله** وهو تشبيه بالمتخيل اذ ليس لذوات الشياطين والرؤوس
صورة محققة في الخارج بالنسبة الى الانسان لان الشياطين وان كانوا موجودين في الخارج الا انهم لا يرون
للانسان فكان تشبيه ثمرة شجرة الزقوم برؤوس الشياطين من قبيل التشبيه التخييلي وهو ما يكون المشبه به
فيه مما لا تحقق له في الخارج بل لا يكون له تحقق الا في الوهم واعمال القوة الواهمة فان الشيطان لكونه مكروها
مستقبحا في طباع الناس لاعتقادهم فيه انه شر محض لا يشوبه شيء من الخير صوروه المتصورون في اقبح
الصورة بطريق التخييل وهو اعمال القوة الواهمة كما اعتقدوا ضد ذلك في الملك وصوروه في احسن صورة
كما قالت نسوة يوسف عليه الصلوة والسلام في حقه ان هذا الا ملك كريم وكما قال امرؤ القيس ايقتلني والمشرفي
مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال ومن المعلوم انه ليس للغول ولا لانيابها صورة محققة في
الخارج بالنسبة الينا **قوله** ولعلها سميت بها الخ ولعل ذلك الصنف من الحيات سميت بالشياطين
لما لها من الاعراف وهي جمع عرف وهو ما على رقبة الفرس من الشعر فعلى هذا لا يكون التشبيه المذكور في الاية
من قبيل تشبيه المحسوس بالمتخيل لكون المشبه به مما له صورة محققة في الخارج **قوله** من غلبة الجوع فان
المضطر ربما يستريح من الضرر الذي فيه بما يقارب به الضرر فانهم اذا جوعهم الله تعالى الجوع الشديد يجوز

[illegible] منه

ان يتزعوا الى ازالته ذلك الجوع تناولوا تلك الشجرة مع نهاية خشونتها ونتنها ومرارة طعمها ويجوز ايضا ان يجبرهم
الزبانية على الاكل تكميلا لعذابهم **قوله** ان بعد ما شبعوا منها الخ اى يجوز ان يكون التراخي المدلول عليه بكلمة ثم
التراخي الزماني بان يتم عليهم بعد غلبة العطش عليهم واستسقائهم بما يدفع عطشهم زمانا طويلا زيادة في زمانهم
ثم يغاثون بما هو احر من الاول والرتبي من حيث ان كراهة شرابهم وبشاعته لما كانت اشد واقوى بالنسبة الى كراهة
طعامهم كان شرابهم ابعد من طعامهم من حيث الرتبة **قوله** لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يعني ان
الشوب بفتح الشين مصدر بمعنى الخلط والمزج فسمي به المفعول والمعنى شرابا مشوبا بشيء من ماء حميم وانما جعل الشوب
بمعنى المشوب فقدر له موصوفا يجري هو عليه فقال لشرابا مشوبا ثم بين ذلك الموصوف المقدر بقوله من غساق او صديد
فقوله تعالى من حميم بيان للمشوب به من حيث ان المص بينه بقوله من غساق او صديد والغساق الدم والقيح الاسود
الذي يسيل من اعضاء اهل النار والصديد ماء اصفر يسيل منها قال المص في تفسير سورة النبأ والغساق ما يغسق
اي يسيل من صديد اهل النار وقيل الزمهرير انتهى كلامه ولا يخفى ان حمل الغساق على الزمهرير لا يستقيم فتعين حمله على
الصديد الا ان عطف الصديد عليه بكلمة او يمنع حمله عليه ايضا الا ان يكون المراد بغساق ما صديد اهل النار الدم والقيح
فقط فيصح عطف الصديد عليه والحميم الماء الحار المتناهي في الحرارة واعلم انه تعالى اخبر في القران العظيم ان اهل النار
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا وقال في موضع آخر وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال في هذه
الاية ان لهم بعد ما شبعوا من شجرة الزقوم لشوبا من حميم اي لشرابا مشوبا من حميم على ان الشوب مصدر بمعنى
المشوب او يمزج بشرابهم الحميم في مقابلة مزج الزنجبيل والكافور بشراب اهل الجنة كما قال تعالى ويسقون
فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا وقال ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقال يسقون من
رحيق مختوم ختامه مسك وقيل الشوب اسم عام لكل ما خلط بغيره ويحتمل ان يكون مراد المص بقوله و
الاول مصدر سمي به هذا المعنى بل هو الاول فيكون قوله تعالى من حميم صفة لشوبا للتهويل والتفخيم فان الحميم
يشوي الوجوه ويقطع الامعاء **قوله** دركاتها او الى نفسها لما كان مدلول قوله تعالى ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
عند شرب الحميم لم يكونوا في الجحيم وهو خلاف الظاهر ذكر لتوجيه الآية ثلث احتمالات الاول ان المراد بالجحيم الدركات
والمنازل التي اختصت كل واحدة منها بواحد منهم وانهم عند شرب الحميم لم يكونوا في دركاتهم بل
يذهب بهم عن منازلهم ودركاتهم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يمتلؤا ويسقون بعد ذلك من
الحميم ثم يرجعون الى دركاتهم فهذا الاحتمال ان يكون شجرة الزقوم والحميم في الجحيم غاية ما في الباب ان يكونا
في منازلهم والثاني انهما خارجتان عن الجحيم بناء على انهما نزل يقدم اليهم قبل دخول الجحيم فيأكلون و
يشربون ثم يدخلونها ولما كان لفظ المرجع آبيا عن هذا الاحتمال فسر بالمصير والثالث انهما خارجتان عن
الجحيم وانهم يدخلون الجحيم اولا ويعذبون فيها ما شاء الله تعالى فاذا جاعوا يساقون منها الى الزقوم فاذا
غلبهم العطش يساقون الى الحميم ويسقون ماء حميما فقطع امعاءهم فيسألون ان يردوا الى الجحيم فهم ثم مرجعهم الى الجحيم كما

فهم كذلك يترددون في انواع العذاب نعوذ بالله برحمته التي وسعت كل شيء او تغليب الشيء تنكبه
وصرفه الى خلاف سمته فقراءة ثم ان منقلبهم تدل على ان حصولهم في الجحيم سابق على ان يسقون الحميم وعلى ان الجحيم
خارج عن الجحيم بخلاف قراءة ثم ان مرجعهم الى مصيرهم فانها لا تستدعي كون الحميم خارج الجحيم **قوله تعالى** ضالين
مفعول ثان لقوله الفوا بمعنى وجدوا والاهراع الاسراع فاذا بني للمفعول وقيل اهرع الرجل كان المعنى حمل على
الاسراع واستحث عليه والذين يقلدون انما يقلدون ثم يطوعهم وليس لهم من يزعجهم ان يقلعهم ويحثهم على
التقليد فحمله المص على الاستعارة التبعية بان شبه شدة اهتمامهم على اقتفاء آثار آبائهم بازعاج المحرك الخارجي
فاطلق اسم الازعاج والاهراع الذي هو مصدر من المبني للمفعول فاشتق منه يهرعون ولما كان بناء يهرعون للمفعول
بناء على تشبيههم بالمزعجين كان فيه اشعار بما ذكره **قوله** ولقد ضل قبلهم الاية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ببيان انه تعالى ارسل قبله رسلا الى الامم الماضية فانذروهم سوء عاقبة الكفر والضلال فكذبهم قومهم ولم ينتبهوا
بالانذار واصروا على الكفر والضلال فصبر الرسل على اذاهم واستمروا على دعوتهم الى الله تعالى فاقتد بهم وما عليك الا البلاغ
قوله الا الذين تنبهوا الخ اشارة الى ان المراد بالمنذرين كفار الامم الماضية وان الاستثناء منقطع والمعنى لكنهم
نجوا مما هلكوا به واشار ايضا الى انه اختار قراءة ابن كثير وابن عامر وابي عمرو وهي كسر اللام في المخلصين وقراءة
الباقين بفتح اللام وفسره بانهم الذين اخلصهم الله تعالى لدينه واصطفاهم لطاعته **قوله** والخطاب مع الرسول
والمقصود خطاب قومه لان هذا الكلام يراد به الزجر والتعنيف فلا يليق الا بهم الا انه اورد على صورة خطابه عليه
الصلوة والسلام من حيث انه من تمام تسليته صلى الله تعالى عليه وسلم **قوله** بعد اجمالها فان قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر
الاولين الى آخر الآية يدل اجمالا على انه تعالى ارسل الى الاولين رسلا انذروهم من العواقب فلم ينتبهوا بانذارهم فآل
امرهم الى شدة وفضاعة فالآن شرع في تفصيل ما اجمله اولا وفسر قوله نادينا بقوله دعانا بقرينة قوله
فلنعم المجيبون فالمعنى ولقد دعانا بان استنصرنا على قومه المعاندين والانتقام منهم حيث قال اني مغلوب فانتصر
وقال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا او ولقد دعانا بان ننجيه مع من نجا من العذاب المعد للكفار قومه
والفاء في قوله فلنعم المجيبون يدل على ان حصول الاجابة مرتب على ذلك النداء والدعاء والحكم المرتب على الوصف
المناسب يقتضي كونه علة فهذا يدل على ان النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة **قوله** فوالله اشارة الى ان
اللام الداخلة على نعم لام جواب قسم مقدر والى ان المخصوص بالمدح ايضا محذوف لدلالة نعم عليه **قوله**
اذ اهلكنا اعداءهم تعليل للحصر المستفاد من قوله تعالى هم الباقين فقد كان لنوح عليه الصلوة والسلام ثلثة اولاد
سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى وحام ابو السودان من
المشرق الى المغرب والسند والهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم ويافث ابو
الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك فلما استوت سفينة نوح عليه الصلوة والسلام على
الجودي وخرج هو من السفينة بمن معه مات جميع من كان معه من الرجال والنساء الا هؤلاء الاولاد ونساءهم

الاهراع الاسراع [illegible] يزعجون الى
وقوله تعالى [illegible]
كانه يحث بعضهم بعضا [illegible]
على الاسراع [illegible] يزعجون على الاسراع [illegible]
[illegible] منه

فتشنا سلوا ونوالدوا فالناس كلهم بعد طوفان نوح لم ينشاسلوا الامنهم قوله بهذا الكلام اشارة الى ان قوله سلام
على نوح جملة اسمية في محل النصب على انه مفعول تركنا ومحكية على ما صدر رشس الاخرين من الامم على اسلوب
قولك قرأت سورة انزلناها ولولا انها جيئت بها على الحكاية لكان القياس ان يقال سلاما لانه مفعول تركنا والمعنى
تركنا عليه في الاخرين من الامم بهذه المقالة وهي سلام على نوح يعني يسلمون عليه تسليما ويدعون له وان جعل مفعول
تركنا محذوفا ما يكون تقرير الكلام وتركنا عليه في الاخرين من الامم ثناء حسنا فحذف المفعول به ليعلم كل ما كان من قبيل
الذكر الجميل وبه تم الكلام ثم ابتداء جل ذكره فقال سلام على نوح في العالمين اي سلامة له من ان يذكر بسوء في الاخرين
قوله متعلق بالجار والمجرور يعني قوله في العالمين بدل من قوله في الاخرين ابدل منه لكونه اوفى بتادية المراد فان قوله
في العالمين ادل على الشمول والاستغراق من قوله في الاخرين فذكر بعده لئلا يخرج احد ممن يدخل في العالمين من
الملائكة والثقلين على كونه من اهل التسليم والدعاء لنوح عليه الصلوة والسلام وقول المص بهذا جواب عما يقال
اذا كان قوله سلام على نوح محكيا فالمعنى قوله في العالمين اهو من جملة الحكم ام متعلق بما قبله على ان يكون بدلا من قوله
في الاخرين ام هو منقطع عما قبله لا ان قوله ومعناه الدعاء اي بدل على انه من جملة الحكم وانه من تتمة كلام المسلمين
يدعون لنوح بان تثبت له هذه التحية في العالمين فالكلام لا يخلو عن اضطراب الا ان يقال كونه من تتمة كلام الاخرين
لا ينافي كون قوله في العالمين متعلقا بقوله في الاخرين بناء على ان يكون وجه تعلقه به ان يكون من تتمة كلامهم لا كونه بدلا
قوله من الكربة بيان لما والمراد بها نجيته واهله من الكرب العظيم وجعل الدنيا مملوءة من ذريته ونبقية ذكره الجميل في السنة
العالمين على هذه التكرمة بكونه من اوساط الاحسان ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا مؤمنا اظهارا لجلالة محل الايمان
ورفعة قدره واصالة امره قوله او غالبا اي او لا يبعد اتفاق شرعهما في غالب الفروع والاكثر ها حكم الكل فصح ان يقال
ممن شايع نوحا وتابعه في اصول الشريعة وفروعها بناء على ان الاكثر له حكم الكل ويؤيد هذا المعنى قول ابن عباس رض من اهل
دينه وعلى سنته وشيعة الرجل اتباعه وانصاره وشاعه شيعا اي تبعه فيكون متأخرا عن الرجل كما هو حكم التابع
بالنسبة الى المتبوع وقد يطلق لفظ الشيعة على المتقدم كقوله وما لي الا آل احمد شيعة فانه جعل آل احمد وهم متقدمون
عليه وهو تابع لهم شيعة قوله اذ جارته متعلق بما في الشيعة من معنى المتابعة فيكون اذ ظرفا له والمعنى وان ممن شايعه
نوحا لابرهيم حين جاء ربه بقلب سليم ويرد عليه ان كونه معمولا لما في الشيعة من معنى المتابعة يستلزم الفصل بين العامل ومعموله
باجنبي وهو لابرهيم فانه اجنبي من شيعته ومن اذ وايضا لام الابتداء يمنع ان يعمل ما قبلها فيما بعدها واللام في لابرهيم لام
الابتداء دخلت على اسم ان للفصل بينه وبينها بظرف هو خبر ان قوله خالص لله اشارة الى ان المراد من العلايق ما يعم كل
وجه من وجوه التعلق بغير الله وان سليم بمعنى السالم والخالص وعلى قوله ومخلص يكون بمعنى المفعول اي بقلب اخلصه الله تعالى
من الشرك والشك او من التعلق بغيره تعالى قوله ومعنى المجيء به ربه يعني ان الباء في قوله بقلب سليم للتعدية ومعنى المجيء به موضعا
كذا عبارة عن نقله من مكانه الى ذلك الموضع والقلب ليس مما ينتقل من مكان الى آخر فما معنى المجيء به ربه اجاب عنه بان
معناه انه اخلص لله قلبه فكأنه الحق حضرة الله تعالى بذلك القلب وحاصله انه شبه اخلاص ابرهيم عليه الصلوة والسلام
قلبه

وهو في المعنى تفسير لمفعول تركنا وهو هذا الكلام اي تركنا عليه ثناء وهو سلام من الله تعالى على نوح في الاخرين

وهو اشارة الى جواب سؤال مقدر وهو انه اذا كان معنى قوله وتركنا عليه في الاخرين تركنا عليه في الاخرين من الامم ان يسلموا عليه تسليما ويدعو له فما معنى قوله في العالمين والجواب ان قوله في العالمين محصول الجواب ان في قوله في العالمين ادل على الشمول والاستغراق من قوله في الاخرين اه

وقال الاصوليون معناه انه عاش ومات على طهارة القلب من الشك معصية اه

واما اذا كان اذ جارته معمولا لاذكر المقدر كما هو المشهور فلا يرد عليه ما ذكر لكونه معمولا لمقدر

قلبه لله تعالى بالمجيء به متحفا اياه فاستعير له ذلك ثم اشتق من المجيء بالمعنى المذكور لفظ جاء ربه بقلب فصار استعارة تبعية
قال شرف الدين الطيبي ناقلا عن المطلع معنى المجيء به ربه انه اخلص لله قلبه وعرف ذلك منه كما يعرف الغائب عن احواله
بمجيئه وحضوره فضرب المجيء مثلا لذلك انتهى كلامه يعني انه شبه اخلاص ابرهيم عليه الصلوة والسلام قلبه لربه ومعرفة الله تعالى
ذلك الاخلاص منه موجودا بالمجيء بالغائب بحضرة احد فعرفه واحواله فاستعير هذا التركيب للمشبه على سبيل الاستعارة
التمثيلية قوله تعالى ماذا تعبدون استفهام توبيخ وتقبيح لطريقة شركهم وقوله آلهة مفعول به لقوله تريدون قدم عليه
للعناية فانهم يعبدون الذي شانه اهتم وهم بيانه اعنى ودون ظرف لتريدون وافكا يجوز ان يكون مفعولا له اي تريدونهم
للافك فقدم على المفعول به لان الاهتم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم والافك اسوء الكذب يقال كانه
اذا استقبله بوجهه ويجوز ان يكون افكا مفعولا به والهة بدلا منه للايضاح والتبيين ولما ورد ان يقال الافك معنى
والالهة ذوات واعيان فكيف يفسر اسم المعنى باسم العين وبيدل منه اجاب عنه بوجهين الاول انه جعل الالهة افكا
في انفسها للمبالغة في افك من يتخذها الهة والثاني ان المراد بالالهة عبادتها وهي اسم معنى كالمبدل منه قوله وحالا عطف
على قوله مفعولا له يعني يجوز ان يكون افكا حالا من فاعل تريدون اي اتريدون الهة من دون الله آفكين او من مفعوله
وهو الهة اي اتريدون آلهة مأفوكا فيها قوله بكون ربا للعالمين تعليل لكونه حقيقا بالعبادة واشارة الى ان
اقامة رب العالمين مقام من هو الحقيق بالعبادة من قبيل اقامة العلة مقام المعلول فان كونه تعالى ربا للعالمين
علة تقتضي كونه حقيقا بالعبادة فاقيمت العلة مقام المعلول وقوله حتى تركتم عبادته متعلق بقوله فما ظنكم بمن هو
حقيق بالعبادة وما مبتدأ وظنكم خبره والاستفهام في قوله فما ظنكم عن المظنون الذي يصدهم عن عبادة الله و
الاستفهام للانكار والمعنى اي شيء ظنكم في حقه حتى تركتم عبادته واخترتم عبادة غيره او اي شيء توهمتم في حقه انظنون
به انه يجوز جعل هذه الجمادات مشاركة له في العبودية وانه من جنس هذه الاصنام حتى جعلتموها مساوية له في العبودية
او امنتم من عذابه قوله والمعنى انكار ما يوجب ظنا يصد او يجوز او يقتضي فالمعنى على الاول انه في حد نفسه
موصوف بكونه رب العالمين وحقيق بعبادة المكلفين فما الذي افادكم ظنا بان فيه وصفا يقتضي الاعراض عن
عبادته والاقبال الى عبادة الاصنام فمعنى الاستفهام تجهيلهم بما فيه تعالى من صفات العظمة والكبرياء وكذا على
الثالث وتقريره انه تعالى في حد نفسه موصوف بكونه رب العالمين مالكا لامورهم متصرفا فيهم بالقهر والقدرة التامة فما
الذي افادكم ظنا باتصافه بوصف يقتضي الامن من عقابه وقد عصيتموه وعبدتم غيره والمعنى على الثاني ما ظنكم برب
العالمين اي شيء هو في ذاته وما الذي افادكم ظنا بان حقيقته المخصوصة ماهي حتى جوزتم كون الاصنام ندا له
فان ند الشيء ما يشاركه في حقيقته الخاصة وتجويز اشراك الغير به يتوقف على معرفة حقيقته المخصوصة ماهي
فمعنى الاستفهام على هذا تجهيلهم في حقه تعالى باعتبار حقيقته الخاصة وعلى كل واحد من التقادير الثلثة يحصل
الالزام وينقطع الكلام ويظهر ان الاشراك افك وباطل وهو قوله فهو كالحجة على ما قبله قوله فرأى مواقعها و
اتصالاتها لما لم يكن النظر في ذوات النجوم وانفسها مما يستدل به على شيء من الاحكام حمل قوله تعالى فنظر نظرة

فان ان كنت لا تحكموا كيف كان حذو نعلا الا لمحذوف حجاج في نفسها الى الرسل انهم ان بينه وبين النعم النعم شوق عظم لكونه حقيقا بالعبادة والتعليل فلذلك عظم ان ربه هذا النعت لا زمه وهو للعالمين وان رب العالمين اربد به الا ان قوله رب العالمين مجاز ام كناية كونه حقيقا بالعبادة مجاز اه
منه

في النجوم من قبيل الاكتفاء بذكر السبب عن المسبب فان النظر الى ذوات النجوم وسيلة يتوسل به الى رؤية احوالها من مواقعها واتصالاتها
وهي مما يستدل بها اراهم انه استدل بامارة نجومية على انه سقيم غدا فقال اني سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون لانه
كان اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى اي السراية فقال ذلك ليتفرقوا قوله ولانه منه اي من النظر في علم النجوم
او كتابها وهو جواب عما يقال من ان النظر في علم النجوم وكتابها غير جائز فكيف اقدم ابرهيم عليه الصلوة والسلام عليه وتقرير
الجواب انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم وكتابها حرام مطلقا فان من اعتقد ان الله تعالى خص كل واحد من هذه الكواكب بطبع
وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل ولئن سلمنا ان النظر في علم النجوم لاجل الا
الاستدلال به على شيء من الحوادث حرام لكن لا نسلم انه عليه الصلوة والسلام نظر فيه لذلك لجواز ان ينظر فيه لاجل ان يوهمهم
ان النجوم تدل على انه سقيم غدا في مخرجهم ان خرج معهم الى موضع عيدهم ليحترزوا عن خروجه معهم مخافة العدوى وليحتال
بذلك للتخلي عنهم فانه عليه الصلوة والسلام لما كلمهم في الاصنام ونهاهم عن عبادتها فلم يقبلوا منه اراد ان يريهم
ما في الاصنام من انها لا تضر ولا تنفع ولا تقدر ان تدفع عن انفسها من ارادها بسوء فكيف تنفع غيرها وتدفع السوء
عنه فعزم على ان يكسرها واضاح في ذلك الى ان يخلو بيت الاصنام فراقب الفرصة وانتظر عيدا لهم يخرجون فيه الى
الصحراء جملة فدعوه الى ان يخرج معهم يوم عيدهم فاحتال بما ذكر للتخلي عنهم قوله على انه شارف للسقم متعلق بقوله
استدل او اشارة الى جواب ما يقال من انه عليه الصلوة والسلام لم يكن سقيما فكيف اخبرهم بخلاف حاله كاذبا وتقرير
الجواب ان تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه حاله ليس بكذب لانه واقع في القران والحديث قال الله تعالى انك ميت وانهم
ميتون اي ستموت وستموتون وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه اي من قتل من سيقتل فتقول لمن رايته
يتجهز للسفر انك مسافر واجاب عنه ثانيا بان المراد انه سقيم بسبب انزعاج اخرجه التغير واطلاع الكثير على الكفر والشرك
وثالثا بان المراد من السقم خروج المزاج عن الاعتدال النوعي وقل من يخلو عنه فان الانسان لا يخلو في اكثر الاوقات
عن عارض يخرج به عن حد الاعتدال وذلك العارض هو السقم ورابعا بان السقم ما يؤدي الى الموت ولا فرق في هذا
المعنى بين السلامة والطاعون مثلا وكل من يحمل الطاعون فهو سقيم بالاتفاق ومن هو بصدد الموت ويحمله في
عنقه كيف لا يكون سقيما روي انه مات رجل فجاءة فقيل سبحان الله مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت
في عنقه ثم انه عليه الصلوة والسلام لما قال اني سقيم تولوا عنه مدبرين وروغة الثعلب ذهابه في خفية وحيلة يقال
راغ الى كذا اي مال اليه سرا عبر عن ذهابه الى الاصنام بالروغ من حيث انه توسل اليه بان اوهمهم سقمه واعتذر به
في التخلي عنهم روي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما دخل بيت الاصنام راى ان القوم وضعوا بين ايديها
طعامهم الذي اصلحوه للعيد وقالوا اذا رجعنا وجدنا طعامنا قد بركت الاصنام فيه فاكلناه مباركا نافعا فلما
نظر اليها واى ما بين ايديها من الطعام قال الا تاكلون فلما لم تجبه الاصنام قال ما لكم لا تنطقون على وجه الاستهزاء بها واشار
الى انحطاط حالها عن حال عبدتها وهو وان كان خطابا للجماد لكنه صح من النبي لانه تعبير عما في ضميره من الاستدلال على
بطلان ما يتوهم فيها قوله والتعدية بعلى للاستعلاء فان الروغان والميل لما كان لاجل الضرب الذي يحيي ويستولي عليهم
من

[illegible] (marginal notes)

من جهته وقهرهم كان الروغان على جهة الاستعلاء الحقيقي فلذلك عدي بعلى قوله وان الميل لمكروه اي لان الفاعل شر يعود الذي
مال اليه كريه حقير فكان الفاعل مستعليا عليه استعلاء مجازيا واتى بضمير العقلاء في قوله عليهم جريا على ظن عبدتها انها كالعقلاء و
ان كان اليمين بمعنى احد اليدين يكون المعنى ضربا ملابسا باليمين وان كان بمعنى الحلف كانت الباء للسببية قوله بعدما رجعوا
فراوا اصنامهم مكسرة اي دفع لما يتوهم من ان هذه الآية مناقضة لما في سورة الانبياء من قولهم من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم فان ما في تلك السورة سؤال عن الكاسر وذكر يقتضي انهم لم يعرفوا
الكاسر من اول الامر فسألوا عنه حتى قيل لهم سمعنا فتى يذكرهم فلعله هو الكاسر والذي في هذه السورة يدل على انهم شاهدوا
ابرهيم عليه الصلوة والسلام يكسرهم لما ابصروه يكسرها اقبلوا اليه مسرعين ليكفوه ويوقعوا به ولا شك بين ان شاهدوا
كسره اياها وبين ان استدلوا بقرينة على انه هو الكاسر تناقض وتقرير الدفع منع ان ما في هذه السورة يدل على علمهم من اول الامر
ان الكاسر هو ابرهيم لجواز انه عليه الصلوة والسلام كسرها وذهب ولم يشعر بذلك احد وانهم انما اقبلوا اليه يزفون بعدما رجعوا
عن عيدهم فراوا اصنامهم مكسرة وسألوا عن الكاسر واستدلوا على انه الكاسر بما سمع منه ذمه اياهم ويؤيد هذا الاحتمال
ما شرحه الله تعالى في سورة الانبياء قوله يزفون حال من فاعل اقبلوا واليه يجوز ان يتعلق بما قبله وبما بعده وقراءة من عدا
حمزة من السبعة بفتح الياء وكسر الزاي وتشديد الفاء على بناء الفاعل من الثلاثي واصل الزفيف للنعام وهو اشد
عدوها يقال زف الظليم والبعير يزف بكسر العين زفيفا اي عدا واسرع في المشي مع تقارب الخطو وزف القوم في مشيهم
اي اسرعوا والظليم الذكر من النعام وقرا حمزة يزفون بضم الياء وكسر الزاي على بناء الفاعل من ازف ازفافا وهو الظاهر
من تقرير بعض المفسرين وصرح المص بان قراءته بضم الياء وفتح الزاي على بناء المفعول وعلى قراءة بنائه للفاعل يحتمل
ان يكون همزة ازف للصيرورة بمعنى صاروا ذا زفيف وان يكون للتعدية من ازفه غيره اي حمله على الزفيف قال الامام
ناقلا عن الزجاج ان قول حمزة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف ثم نقل عن الاصمعي انه قال يقال ازففت الابل اذا
حملها على ان تزف قال وهو سرعة الخطو ومقاربة المشي فالمفعول محذوف على قراءته كانهم حملوا دوابهم على الاسراع
والمشي انتهى كلامه وهذا صريح في ان قراءة حمزة على بناء الفاعل وقرئ يزفون على وزن يرمون من زفاه اذا
حداه اي ساقه وحمله على الاسراع في المشي فان الحداء والحد وسوق الابل وحملها على الاسراع بالنغمات فلما اقبلوا
اليه مسرعين ادركوه واخذوه وعاتبوه على كسر الاصنام وقالوا له نحن نعبدها وانت تكسرها فقال لهم على طريق
التوبيخ اتعبدون ما تنحتون مع ان الحجر والخشب قبل النحت والاصلاح لا يصلح لان يكون معبودا البتة فكيف يصير معبودا
بان يلحق به نحتكم وتصويركم اياها على الشكل المخصوص وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون جملة حالية والمعنى اتعبدون
الاصنام على حالة تنافي عبادتكم اياها وهي ان الله تعالى خالقكم وخالقهم جميعا والمخلوق كيف يترك عبادة خالقه
ويعبد مخلوقا آخر مثله مع ان العابد منهما هو الذي عمل صورة المعبود وشكله ولولا العابد لما قدر المعبود على ان
يصور نفسه ويشكلها وبه احتج ابرهيم عليه الصلوة والسلام على المشركين في بطلان عبادة الاصنام ثم ان
المص ذكر ان كلمة ما في قوله تعالى وما تعملون اما موصولة حذف عائدها اي والذي تعملونه واما مصدرية والمعنى

[illegible] (marginal note)

وعملكم ثم ان المصدر اما مجاز مستعمل في غير ما وضع له بان كان بمعنى معمولكم ليطابق قوله ما تنحتون فان كلمة ما فيه موصولة والمعنى اتعبدون الذي تنحتونه اي منحوتكم واما حقيقة بمعنى الحدث وبه يحصل الاحتجاج على بطلان عبادة الاصنام ايضا بناء على ان كون الفعل مخلوقا لله تعالى يستلزم كون المفعول المتوقف على ذلك الفعل مخلوقا له تعالى فثبت ان المنحوت المتوقف على النحت مخلوق له تعالى وان من عبد المنحوت عبد مخلوقا مثله فصح الجمع بين ان يجعل المصدر بمعنى الحدث وبين ان يكون الكلام احتجاجا على بطلان منحوتهم **قوله** وشكلها وان كان بفعلهم اشارة الى جعل الشيء الواحد مخلوقا لله تعالى ومعمولا لهم فانه بحسب جوهره مخلوق لله تعالى وبحسب شكله معمول لهم ولا يلزم من القول بان شكلها بفعلهم استقلال قدرتهم فيه حتى لا يكون مخلوقا لله تعالى بل اراد به ان يكون لقدرتهم مدخل فيه حيث كسبوه بمباشرة اسبابه لا بمعنى استقلال قدرتهم فيه حتى لا يكون مخلوقا لله تعالى فان جواهر الاشياء وما حدث فيها بكسب العبد كلها مخلوقة لله تعالى ومقصود المصنف ان ما يضاف الى العبد فهو في الحقيقة مضاف اليه تعالى وانث ضمير جوهرها وشكلها مع رجوعه الى ما في قوله وما تعملونه نظرا الى ان المراد به الاصنام **قوله** وبهذا المعنى وهو ان يكون قوله وما تعملون بمعنى وعملكم بمعنى الحدث بان يكون ما مصدرية ويكون المصدر على اصل معناه كانت الآية دليلا على خلق الاعمال واما اذا كان على احد المعنيين الاولين فلا دلالة لها عليه لان كون ذوات معمولنا مخلوق الله تعالى لا ينافي كون ما اضيف الينا مخلوقا لنا كما ذهب اليه المعتزلة ثم ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام لما اورد حجة قوية على انهم مبطلون في امرهم ولم يقدروا على دفع حجته بطريق البرهان عدلوا الى طريقة السفهاء الجبارين من الايذاء والاهلاك عنادا للحق بعد وضوحه لئلا يظهر للعامة عجزهم ومغلوبيتهم فقالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم وهو النار العظيمة الشديدة التاجج والالتهاب والاجيج تلهب النار يقال اجت النار توجج اجيجا واججتها فتاججت اي تلهبت روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال بنوا حائطا من حجر طوله في السماء ثلثون ذراعا وعرضها عشرون ذراعا وملؤه بالحطب واشعلوه نارا وطرحوه فيها **قوله تعالى** واردوا به كيدا اي قصدوا ان يكيدوا به ويحتالوا الاهلاكه كما كاد هو اصنامهم بكسره اياهم وجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم فجعلناهم الاسفلين لان ابرهيم علاهم بالحجة والنجاة حين سلمه الله تعالى ورد كيدهم عنه فلم يلبثوا الا يسيرا حتى اهلكهم الله تعالى روي انهم لما ارادوا القاء ابرهيم عليه الصلوة والسلام في النار جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت المرأة العجوز تحمل على ظهرها الحطب وتقول اذهب به الى هذا الذي يذكر آلهتنا فلما ذهبوا به ليطرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما فلم ابرهيم منها فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان النار لم تحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله تعالى عنقا من نار فاحرقه فلما انجاه الله تعالى من النار قال اني ذاهب الى ربي سيهدين اي مهاجر من بلد قومي ومولدي الى حيث اتمكن فيه من عبادة ربي وهذه الآية اصل في الهجرة من ديار الكفر الى ارض يتمكن فيه من اقامة شعائر الدين والطاعة واول من فعل ذلك ابرهيم عليه الصلوة والسلام هاجر مع لوط عليه الصلوة والسلام وسارة الى الارض المقدسة وهي ارض الشام حين خلصه الله تعالى من النار ثم قيل قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا لهم وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه ترغيبا **قوله** الى حيث امرني ربي او حيث اتجرد فيه لعبادته لما كان

الذهاب الى ذات الرب مستحيلا لاستحالة كونه تعالى في جهة كان الذهاب اليه تعالى مجازا عن الذهاب الى موضع رضاه ثم ان مقصده يحتمل ان يكون موضعا بعينه امر الله تعالى بالمهاجرة اليه وان يكون موضعا بعينه بل يقصد موضعا يتجرد فيه لعبادة ربه اي موضع كان ويؤيد الاول ان ابن عباس رضي قال في تفسير قوله اني ذاهب الى ربي مهاجر ديار الكفر ذاهب الى حيث امرني ربي من ارض الشام وقوله الى ما فيه صلاح ديني مبني على انه لم يقصد موضعا بعينه فقوله سيهدين معناه سيختار لي موضعا يكون فيه صلاح ديني ويبلغني اليه وقوله الى مقصدي مبني على انه قصد المهاجرة الى موضع بعينه فقوله سيهدين معناه انه تعالى سيرشدني الى مقصدي الذي امرني ربي بالمهاجرة اليه وهو الشام فهو نشر على غير ترتيب اللف **قوله** وانما بت القول جواب عما يقال ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام في هذه الآية بت بانه تعالى سيهديه فان سين الاستقبال تدل على الجزم بوقوع الفعل لما ذكر في المفصل من ان سيفعل جواب لن يفعل وان موسى عليه الصلوة والسلام لم يجزم به بل قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فما الفرق بينهما وتقرير الجواب انه عليه الصلوة والسلام بت بحصول الهداية ولم يذكر ما يدل على الطمع والرجاء اما لانه تعالى وعده الارشاد في امورة فاجرى كلامه على سنن موعوده واما للنمط توكله اولانه عليه الصلوة والسلام بنى الامر على ما عوده الله تعالى من ارشاده واصلاح امره فكان واثقا بحصول الهداية بناء على عادته تعالى في حقه قال تعالى ان ابرهيم لما قدم الارض المقدسة سال ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين اي ولدا صالحا من الصالحين والدليل على ان مسئوله الولد ان اغلب ما يستعمل فيه لفظ الهبة في القرآن هو الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولما كانت البعضية بمعنى نكر الاسم صح ان يقصد بها التعظيم والتحقير ولد كامل الشان فيه **قوله** ويكون حليما عطف على قوله يبلغ اوان الحلم والحليم من لا يعجل في الامور ويتحمل المشاق يريد ان الوعد المدلول عليه بقوله فبشرناه بغلام حليم يتضمن امورا ثلثة وهي ان الموهوب ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما **قوله** وقيل ما نعت الله تعالى نبيا بالحلم غير ابرهيم وابنه قال تعالى في حق ابرهيم ان ابرهيم لاواه حليم وقال في حق ابنه بغلام حليم **قوله** ربي فلما وجد اشارة الى ان في الآية اختصارا والمعنى فبشرناه بما ساله من الولد الصالح فرزقناه فلما وجد وبلغ ان يسعى معه في اعماله ومصالحه فالسعي مفعول بلغ وهو المشي السريع دون العدو ويستعمل للجد في الامور وهو المراد ههنا اي بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله واختلف في سنه يومئذ فقيل كان ابن ثلث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين **قوله** لانه لا يجوز ان يتعلق بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا يجوز ايضا ان يتعلق ببلغ لاقتضائه انه بلغا معا حد السعي وهو باطل اذ لا شك ان بلوغ ابرهيم ذلك الحد متقدم على بلوغ ولده ذلك الحد ووجه اقتضائه ذلك ان كلمة مع للمصاحبة فوجب ان يكون مدخولها مقارنا للفاعل بحامله الحال قيام مضمون العامل بفاعله ففي قوله تعالى ودخل معه السجن فتيان يجب ان يكون دخولهما السجن مقارنا لدخول يوسف اياه لا يقال قول بلقيس اسلمت مع سليمان على ما ذكرتم يقتضي ان يكون اسلامهما معا وليس كذلك لانا نقول اقتضاؤه لذلك انما يكون ان لو كان قولها مع سليمان ظرفا لاسلمت وذلك ليس بلازم لجواز ان يكون الظرف حالا من فاعل اسلمت متعلقا بمحذوف والمعنى اسلمت لله كائنة مع سليمان او نقول

لا يبعد ذلك فلعله عليه الصلوة والسلام وافقها ولقنها قوله وتخصيصه او وتخصيص الاب بكون اسعى الولد معه دال
ان المقصود بيان قوة الساعي وبلوغه حد السعي ويكفي في بيان هذا المقصود ان يقال فلما بلغ السعي او حد السعي
من غير ان يقيد السعي بكونه مع ابيه واجاب عنه او لا بمنع كون الاطلاق كافيا في بيان المقصود لان غير الاب قد يعنف
الولد بتكليفه ما يشق عليه فبلوغه السعي مع غير الاب لا يدل على قوته وبلوغه حد السعي بخلاف الاب فانه لوفور شفقته
وعطفه على ولده لا يستعبه فيما يشق عليه فبلوغ الولد السعي مع ابيه يدل على قوته وبلوغه حد السعي قوله
يحتمل انه راى ذلك وانه راى ما هو تعبيره فلذلك اختلف المفسرون ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام راى في المنام انه
يذبح ولده اي يباشر ذبحه او راى في المنام ما يوجب ان يذبح ابنه في اليقظة فان اهل السنة قالوا لم يقع نفس
الذبح بل الذي رآه هو الامر بالذبح قبل ان يقع الذبح غايته انه نسخ التكليف قبل الفعل وايد المص هذا الاحتمال
بقوله وقيل انه راى ليلة التروية وهي الليلة الثامنة من ذي الحجة ومن قال ان المرئي في المنام ليس الا انه ذبح و
لده قال ان رؤيا الانبياء عليهم الصلوة والسلام من باب الوحي فانهم يأتيهم الوحي من الله تعالى ايقاظا ورقودا
لانهم لا تنام قلوبهم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا و
قال ابن عباس رض رؤيا الانبياء وحي واستدل عليه بهذه الاية ويمكن ان يستدل عليه بدليل عقلي وهو ان احدا من
الانبياء اذا راى في منامه انه يعالج ذبح ولده ومعلوم عنده ان الانبياء لطهارة نفوسهم وقوة اتصالهم بعالم الملكوت لا يجد
الشيطان سبيلا الى ان يلقي اليهم الخيالات الباطلة فيكون ما راوه في منامهم ويتمثل في نفوسهم مرآتهم حقا واقعا
قبل ذلك او سيقع بعده وذبح ابرهيم ولده لم يقع قبل فعلم انه سيقع بعد ومن المعلوم ان مثله لا يقدم على مثله الا بامر الهي
فلذلك حكم الولد بان الذبح مامور فقال يا ابت افعل ما تؤمر به فعلى الاحتمال الاول يكون المعنى اني ارى في المنام ما يوجب
اني اذبحك وعلى الثاني يكون المعنى اني ارى اني اعالج ذبحك فلذلك قيل راى في النوم معالجة ولم ير اهراق الدم ففعل في اليقظ
ما راى لذلك قوله رؤيا يستعمل بهمز اللام ومعتل اللام يقال رؤا في الامر تروئة وروية في الامر اذا نظرت
فيه وتفكرت ولم جوابه قوله والاظهر ان المخاطب بقوله يا بني واذبحك اختلف الصحابة والتابعون في الولد المامور
بذبحه اسمعيل واسحق فمنهم من قال انه اسحق وكانت هذه القصة بالشام روي عن سعيد بن جبير رض قال
اري ابرهيم ذبح اسحق في المنام فسار به مسيرة شهر غداة واحدة اتى به المنحر بمنى فلما امره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه
وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الارض والجبال وقال اخرون انه اسمعيل وكانت القصة بمكة
وكلا الفريقين يروي ما قاله عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وروي عن الامام ابي منصور انه قال لا حاجة بنا الى معرفة
ذلك الولد بعينه ولو كان بنا حاجة اليه لبين الله عز وجل ذكره واحتج المص على انه اسمعيل بخمسة اوجه الاول
انه فهم من اسلوب الاية ان الذبيح هو الذي وهب له اثر الهجرة وقد ثبت عند اهل التواريخ ان ذلك هو اسمعيل
وقد ذكر في السفر الاول من التورية ان ابرهيم كان ابن ست وثمانين سنة اذ ولدت له هاجر اسمعيل وكان ابن
مائة سنة اذ ولدت له سارة اسحق وقد اتى عليها تسعون سنة وكان اسمعيل ح ابن اربع عشر سنة والثاني

والثاني انه تعالى لما حكى عن خليله انه استوهب منه ولدا صالحا حيث قال رب هب لي من الصالحين وعقبه بقوله فبشرناه بغلام
حليم وذكر بعده قصة الرؤيا واتم القصة بقوله سلام على ابرهيم الى اخر الاية كما اتم بمثله سائر القصص المذكورة في هذه السورة الكريمة
ابتدأ بحديث اسحق وبشارته وما يتعلق به بان عطف قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين الاية على قوله فبشرناه بغلام
حليم ولا يخفى ان هذا الاسلوب يدل على ان الذبيح هو المبشر به اولا وهو اسمعيل والثالث قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن
الذبيحين ولا يخفى انه عليه الصلوة والسلام ابن اسمعيل لا ابن اسحق وروي ان عبد المطلب لما اخذ في حفر زمزم وكانت
قد اندفنت جعلت قريش تزاريه فقال اللهم ان سقيت الحجيج منها ذبحت بعض ولدي فلما سهل الله تعالى حفر زمزم وسقى
الحاج منها اقترع بين اولاده فخرجت القرعة على عبد الله فقيل هو الذبيح فقالت اخواله بنو مخزوم فد ابنك اي اعط فداءه
وانقذه عن الذبح فجاء بعشر من الابل فاقترع بينها وبين ابنه فخرجت القرعة على ابنه فزاد عشرا فاقترع بينهما فخرجت
كذلك على ابنه فلم يزل يزيد عشرا وتخرج القرعة على ابنه الى ان بلغها المائة فخرجت على الابل فنحرها بمكة في رؤس الجبال وروي
انها خرجت القرعة على مائة من الابل قال عبد المطلب لا والله لا اذبح الابل حتى اقترع بينها وبينه مرات ففعل فخرجت القرعة في كل
مرة على الابل فنحرها ثم تركها لا يصد عنها انسان ولا سبع ولا طير وروي انه لما باشر حفر زمزم وليس له يومئذ ولد سوى الحارث
نازعته قريش فنذر ان ولد له عشرة نفر ثم بلغوا ان يمنعوه ويدفعوا عنه اذى من يتعرض له بالسوء لينحرن احدهم لله تعالى
عند الكعبة فلما تموا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره فاطاعوه فاقترع بين اولاده الى اخر القصة والرابع
ان الذبح والفداء كان بمكة ولم يرو ان اسحق قدم مكة في صغره وهما يدلان على ان الذبيح كان بمكة وان الذبيح هو اسمعيل لان قرني
الكبش كانا منوطين بالكعبة في ايدي بني اسمعيل الى ان احترق البيت واحترق القرنان في ايام ابن الزبير والحجاج عن ابن
عباس رض قال والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش اي يبس
رواه محي السنة والخامس انه تعالى قال في سورة هود فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما بشره باسحق بشره
بولادة يعقوب منه نافلة فالامر بذبح اسحق قبل ظهور يعقوب منه خلف لما وعد له من النافلة وكون الامر بالذبح بعد ولادة
يعقوب منه ينافي قوله فلما بلغ معه السعي الاية فانه يدل على ان الامر بالذبح وقع حين كان مراهقا قوله وما روي انه شاذ
اي دليل من قال ان الذبيح هو اسحق والي جوابه قوله كتب الي يوسف مثل ذلك اي كتب اليه من يعقوب اسرائيل الله ابن
اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله ولانه تعالى قال فبشرناه باسحق نبيا فكيف يأمره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا قوله
وانما شاوره فيه فان قوله لابنه فانظر ماذا ترى معناه اني امرت بذبحك فرأيك وما الذي يخطر ببالك من الموافقة والمخالفة
فهو مشاورة معه والمقصود من المشاورة ان يعمل المستشير برأي المشير فيما اختاره له وذلك انما يتصور اذا لم يتعين عنده
احد الطرفين واما اذا تعين كما في هذه الحادثة فلا فائدة في هذه المشاورة لكون امضاء الذبح متعينا عنده حتما من
الله تعالى عليه فبين المص الفائدة في المشاورة بانه انما شاوره ليعلم ما عنده فان علم منه الجزع وعدم الصبر على الذبح ينصحه
ويحمله على الصبر والثبات وان علم منه التسليم والرضى لامر الله يأمن من ذلك ويباشر لامتثال امر الله فيه آمنا من مخالفته و
لان هذه الطريقة اقرب في تهوين البلاء بالنسبة الى اخذه على غفلة قائلا اني اذبحك لان الله تعالى امرني بذلك فلذلك قدم اعلام

ما امره الله تعالى به في حقه ثم امره بان يراجع نفسه ورأيه ليتفكر ويوطن نفسه على قبول حكم الله تعالى فيها قرأ الجمهور
ماذا ترى بفتحتين على انه مضارع رايت الذي من الرأي الذي يخطر بالبال لا من رؤية العين لانه لم يامره ان يبصر شيئا
وانما امره ان يدبر في امر عرضه عليه وهو الذبح ويقول فيه برأيه ولا من رؤية القلب المتعدية الى مفعولين لانه لم يكلفه
ان يقطع فيما عرضه عليه انه على صفة كذا وانما سأله عما يدبره قلبه ورأيه اي شيء اهو هل هو الامضاء او التوقف وقرأ
الاخوان ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء فيكون من الرأي المذكور ايضا الا انه نقل بالهمزة الى باب الافعال فتعدى الى
مفعولين حذف في الآية ثانيهما من ارينه الشيء اي فانظر ماذا تريك من الامضاء والتوقف على ان ماذا اسمان ركبا
فجعلا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل بترى وقرئ ماذا ترى ايضا على بناء المفعول اي ماذا تريك نفسك من الرأي
قوله ما تؤمر به فحذفا اي فحذف الجار والمجرور دفعة فصار ما تؤمر او حذف الجار اولا واوصل الفعل كما في قوله امرتك
الخير فافعل ما امرت به فصار ما تؤمره ثم حذف العائد الى الموصول فصار ما تؤمر هذا على تقدير ان يكون ما موصولة
ويجوز ان تكون مصدرية فلا حذف اذا والتقدير افعل امرك على ان الامر بمعنى المأمور به والكاف عبارة عن المأمور
فاضيف المصدر الى المفعول وسمي المأمور به امرا **قوله** ولعله فهم من كلامه جواب عما يقال من اين علم اسمعيل عليه الصلوة
والسلام ان الذبح مأمور به حتى قال افعل ما تؤمر به من ذبحي وتقرير الجواب انه فهم من قوله رايت في المنام اني اذبحك
اني رايت فيه ما يكون تعبيره ذبحك حيث امرت بذلك في منامي وانه علم ذلك بالاستدلال العقلي فوجه علمه بكون الذبح
مأمورا به انه علم ان الانبياء لطهارة نفوسهم وقوة اتصالها بعالم الملكوت لا يجد الشيطان سبيلا الى ان يلقي اليهم
الخيالات الباطلة فيكون ما راوه في نومهم ويتمثل في نفوسهم مرآتهم صحيحا واقعا قبل ذلك او سيقع بعده والذبح لم يقع
قبل فعلم انه سيقع وانه لا يقدم عليه الا بامر الله تعالى فلذلك حكم بان الذبح مأمور به فقال افعل ما تؤمر به **قوله**
ولعل الامر به في المنام جواب عما يقال لم كان الامر به واقعا في المنام وغالب حال الانبياء ان يوحى اليهم في اليقظة
قوله وانما ذكر بلفظ المضارع حيث قال اني ارى لتكرر الرؤيا وذلك يقتضي التعبير بلفظ المضارع لانه يفيد الاستمرار التجددي
كما ذكر في قوله تعالى يستهزئ بهم **قوله** استسلما لامر الله وسلمه فان الاسلام والتسليم والاستسلام لامر الله كلها بمعنى واحد
وهو الخضوع والانقياد له وكل واحد من هذه الابنية الثلاثة منقول من قولك سلم هذا الغلام اذا خلص له وسلم من ان
ينازع فيه ومن انقاد لامر الله تعالى فقد جعل نفسه خالصا سالما من ان ينازع فيها فظهر بهذا التقرير ان ما وجد
في بعض النسخ وهو او سلما الذبح نفسه وابرهيم ابنه بعطف سلما على استسلما بكلمة او لا وجه له والصواب عطفه
عليه بالواو **قوله** وقيل كبه على وجهه ضعفه لان الجبين غير الوجه وغير الجبهة ايضا وللوجه جبينان والجبهة بينهما
وقوله وتله للجبين معناه صرعه على شقه فوقع احد جبينيه على الارض قال المفسرون لما اضجعه للذبح
نودي من الجبل يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا فان قيل لم قال قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح فقيل
جعله مصدقا لانه قد اتى بالممكن والمطلوب استسلامهما لامر الله تعالى وقد فعلا وقيل كان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقة
الدم وقد فعل في اليقظة ما رآه في النوم ولذلك قيل له قد صدقت الرؤيا وقال المحققون كان السبب في تكليفه بالذبح اظهار

اظهار كمال طاعة ابرهيم لتكاليف الله سبحانه بهذا التكليف الشاق وظهر منه كمال الطاعة وكذا من ولده الكريم لا جرم قال
الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقد احتجوا بهذه الآية على انه تعالى يأمر بما لا يريد وقوعه لانه تعالى لو اراد وقوعه لوقع الذبح لا محالة روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال لما اضجع ابرهيم ابنه عليهما الصلوة والسلام على جبينه على الارض قال له الابن يا ابت اشدد
رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي فينقص اجري وتراه امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع
امرارها على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد فاذا اتيت امي فاقرأ عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي
على امي فافعل فانه عسى ان يكون اسلى لها عني فقال له ابرهيم عليهما الصلوة والسلام نعم العون انت يا بني على طاعة امر الله
ففعل ابرهيم ما امره به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن يبكي ايضا ثم وضع السكين على حلقه فلم تعمل
فشحذها مرتين او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا يقطع شيئا فقال الابن عند ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبهتي فانك اذا نظرت
في وجهي رحمتني ادركتك رقة تحول بينك وبين امضاء امر الله تعالى وانا لا انظر الى الشفرة فاجزع ففعل ذلك ابرهيم ثم
وضع السكين على قفاه فانقلبت السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا وروي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام
لما اري ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا الامر الشاق آل ابرهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان
رجلا واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين ذهب ابرهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبا من هذا الشعب قال لا
والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو ارحم به واشد حبا له مني قال انه يزعم ان الله تعالى امره بذلك فقالت فان كان
ربه امره بذلك فقد احسن في ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال
يا غلام هل تدري اين يذهب بك ابوك قال يحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال والله لا يريد الا ان يذبحك قال ولم قال
زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره به ربه فسمعا وطاعة فلما امتنع منه الغلام اقبل على ابرهيم فقال اين
تريد ايها الشيخ قال اريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في منامك فامرك بذبح ابنك هذا
فعرفه ابرهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابرهيم
واهله شيئا مما اراده وقد امتنعوا منه بعون الله عز وجل وقال ابن عباس رضي الله عنه لما امر ابرهيم بذبح ولده عرض
له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع
حصيات ثم عرض له عند الجمرة الاخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابرهيم لامر الله تعالى وعن الحسن
قد روي على ابسط عليه شبروانه هرب من ابرهيم عند الجمرات فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في
الرمي وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد
فبقي سنة **قوله** واحتج به على جواز النسخ قبل وقوعه قال المصنف في المنهاج يجوز نسخ الوجوب قبل العمل خلافا للمعتزلة
لنا ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام امر بذبح ولده بدليل قوله افعل ما تؤمر ثم نسخ بالذبح قبل العمل به فان
قيل لا نم انه نسخ قبل العمل بناء على انه عليه الصلوة والسلام قطع حلقه لكنه كلما كان يقطع يلتحم موضع
القطع ويتصل باذن الله فلذلك لم يحصل الموت قلنا لو كان كذلك لما احتيج الى الفداء لان الاحتياج اليه

اي اري والظاهر ان يقول اني رايت لانه اخبار بعد الرؤية صح

ولفظ الذبيح بدل من الف سلما لانه تثنية ... على انه فاعل له لان الفعل اذا اسند الى الفاعل ... الظاهر لا يثنى ولا يجمع نحو جاء الزيدان ... الزيدون صح

كتبه على وجهه صرعه فاكب هو على وجهه وهذا من النوادر ... كبه الله على وجهه والسلمين ... مصلحه

... بالنظر الى الظاهر ... بالنظر الى التحقيق ... ماهو المفعول في صحيح التراديد

قال التمكن من الفعل ليس بشرط ... فان الامر يكون حكما ... والقلب ... جزء من الفعل ... يصلح مقصودا بالابتلاء ... على حسن المامور به على حقيقته

انما يكون لترك المأمور به والاحتياج ثابت لقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فعلم انه لم يمتثل وانتسخ الوجوب قبل العمل
وقال الامام الرازي اختلف انه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامتثال ام لا فقال اكثر اصحابنا انه يجوز وقالت المعتزلة
وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية انه لا يجوز فعلى القول الاول انه تعالى امره بالذبح ثم انه نسخ هذا التكليف قبل حضور
وقته وعلى القول الثاني انه تعالى ما امره بالذبح وانما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع ووضع السكين على الحلق
والعزم الصحيح على الذبح ويدل عليه انه قال لابرهيم قد صدقت الرؤيا مع انه لم يأت بنفس الذبح وانما اتى بمقدماته
ولنا قوله تعالى ان هذا لهو البلاء المبين فانه عليه الصلوة والسلام لو لم يكن مأمورا بنفس الذبح بل بمقدماته لما
كان ما ذكر من امرهما بلاء مبينا لان مقدمات الذبح ليس ببلاء مبين فتعين انه مأمور بنفس الذبح ويدل عليه
ايضا قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فان الاحتياج الى الفداء يدل على انه لم يأت بالمأمور به مع انه قد اتى بمقدمات
الذبح وادخلها في الوجود فلو كان مأمورا بمقدمات الذبح وقد اتى بها على وجه الكمال لما احتاج الى الفداء فعلم منه
انه مأمور بنفس الذبح ثم انه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل التمكن من العمل به **قوله** ما يذبح بدله يعني ان الذبح بالكسر اسم لما يذبح
كالطحن فانه بالكسر اسم للدقيق المطحون وبالفتح مصدر وكذا الذبح **قوله** ويتم به الفعل المأمور به وهو فري الاوداج
وانهار الدم وهو جواب عما يقال كيف احتيج الى الفداء وقد اتم الله تعالى عزمه على الذبح واتيان مقدماته تمام
حقيقة الذبح حيث قال قد صدقت الرؤيا فانه يدل على سقوط التكليف بحقيقة الذبح بفعل ما في حكمه وهو بذل الوسع في
تحقيقه فلا احتياج بعده الى الفداء الذي هو التخليص من الذبح ببذل وتقرير الجواب ان اللازم من قيام فعل ما في حكم ذبح الولد
مقام ذبحه هو سقوط ذبح ذلك الولد ولا يلزم من سقوط ذبحه الذبح بالكلية فاذا لم يسقط اصل الذبح فلا بد له من محل
يتعلق به ويتم به اصل الفعل المأمور به فلما لم يتعلق بالولد ينبغي ان يتعلق ببدله ويتم به الفعل والتعظيم في اللغة يكون بمعنى
الكبير وبمعنى الشريف المتقبل ايضا **قوله** قيل كان كبشا من الجنة عن ابن عباس رض انه هو الكبش الذي تقرب به هابيل فتقبل منه
وكان يرعى في الجنة حتى فدى الله تعالى به اسمعيل وعنه ايضا انه كبش ارسله الله تعالى من الجنة كان قد رعى في الجنة اربعين خريفا
وقال الحسن ما فدى اسمعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير فقام عند ابرهيم فاخذه وذبحه فداء عن ابنه وخلى
ابنه يا بني اليوم وهبت لي وهذا قول علي رض **قوله** والفادي على الحقيقة ابرهيم والله تعالى هو المعتد به لانه الآمر بالذبح
والمسبح لان يذبح له الغلام فلا يكون فاديا لان الفادي هو من يعطي صاحب الحق بدل حقه شيئا ويخلص في ذلك الحق
منه وصاحب حق الذبح هنا هو الله تعالى وقد انقذ ابرهيم منه بالفداء وهو انقذ ابنه قبل الفداء منه بدل حقه
فكيف قال تعالى وفديناه يقال فداه اذا اعطى المستحق بدل حقه شيئا وخلص به الحق عن الاستحقاق وقد يقال للفادي
مفتدي اذا تعلق الاستحقاق بنفسه كالمختلعة والمص اجاب عنه بوجهين الاول حمل الكلام على المجاز في المفرد بان يكون
فديناه بمعنى اعطيناه ذبحا وامرنا بجعله فداء للابنه والثاني حمله على المجاز في الاسناد بان يكون الاسناد في قوله فديناه
من قبيل اسناد الفعل الى السبب الآمر به والى السبب الذي هو المكن من الفداء فهبته فقوله على التجوز في الفداء او
الاسناد لف ونشر مرتب **قوله** واستدل به الحنفية روي عن ابن عباس رض انه قال دلت الآية على ان من نذر بنحر ابنه
او ذبحه

قوله وجواب محذوف وقيل جوابه قوله وتله للجبين والواو زائدة وقيل
هو قوله وناديناه والواو زائدة وجعلوا ان
كقوله فلما ذهبوا به واجمعوا ان
يجعلوه في غيابة الجب واوحينا
اليه اه

او ذبحه ان يفديه بكبش كما فدى به ابرهيم ابنه وعنه رواية اخرى انه ينحر مائة من الابل كما فدى بها عبد المطلب
ابنه وروي ايضا انه يكفر به كفارة يمين وقال مسروق لا شيء عليه وقال الشافعي يستغفر الله تعالى منها وقال ابو
حنيفة رح هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شيء استدلالا بهذه الآية **قوله** وليس
فيه ما يدل عليه اشارة الى ما اورد صاحب التقريب على هذا الاستدلال بقوله فيه نظر اذ ليس في الآية ذكر النذر
والالزوم الذبح بل ان الله تعالى تفضل عليه بالفداء وايضا هو شرع من قبلنا انتهى كلامه واجاب عنه الشارح
رح اليمني بانه قد روي ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن لله ذبيح وهذا النذر بذبحه ولهذا لما
بلغ الغلام معه السعي قيل له اوف بنذرك فقال لولده اني ارى في المنام اني اذبحك على معنى اني اري فيه ما تعبر وذلك
واما لزوم الذبح فلانه لو لم يلزم لم يحتج الى الفداء وشرع من قبلنا اذا لم ينسخ فنحن متعبدون به على حسب الخلاف
انتهى جوابه ولنا ايضا منع قوله وليس فيه ما يدل عليه بناء على ما تقرر من ان ايجاب العبد معتبر بايجاب الله تعالى وقد دلت
الآية على ان ما اوجبه الله تعالى من ذبح الولد فداؤه بذبح الشاة فينبغي ان يؤدي به ايجاب العبد ايضا فان من نذر
بتصدق ما له يجب عليه ان يتصدق ما عنده من مال الزكوة صرفا للمال الذي اوجب عليه تصرفه الى ما اوجب الله تعالى
فيه الزكوة **قوله** لعله طرح عنه انما جواب عما يقال لم قيل ههنا كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها من القصص انا كذلك **قوله**
وبهذا الاعتبار وقعا حالين اي وباعتبار كون كل واحد من النبوة والصلاح مقتضيا مقدرا وقعا حالين من غير
احتياج الى تقدير وجود المبشر به وهو اسحق والمقصود الرد على صاحب الكشاف حيث اوجب في كونه نبيا حالا
مقدرة من اسحق تقدير المضاف العامل في الحال على ان يكون المعنى وبشرناه بوجود اسحق نبيا اي بان يوجد مقدرة
نبوته وبنى كلامه على ان الحال سواء كانت محققة او مقدرة صفة قائمة بذي الحال عند تعلق العامل به وذلك يقتضي
وجود ذي الحال عند تعلق العامل به مقارنا لاتصافه بمضمون الحال لان اتصاف شيء بشيء متفرع على وجود الموصوف
فلذلك وجب تقدير المضاف في كون قوله تعالى نبيا ومن الصالحين حالين من اسحق فقال المص لا حاجة الى ذلك اذ التقدير
مقتضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا التقدير كاف في كونهما حالين مقدرتين لان تقدير النبوة والصلاح
صفة قائمة باسحق حال تعلق البشارة به فانه كما انه مبشر به مقدر النبوة والصلاح ايضا غاية ما في الباب ان يكون لفظ
مقدر اسم مفعول من التقدير لا يكون تقدير النبوة من قبل اسحق بل يكون من فعل من بشر به وكون اسحق معدوما
وقت البشارة انما ينافي كونه مقدرا للنبوة والصلاح عند تعلق البشارة به بكسر الدال مقدرا ولا ينافي كونه مقدر النبوة
وقت البشارة به ومثل هذه الاحوال والصفات لا يستدعي وجود ذوي الحال والموصوفات في الاعيان والذي
يستدعي وجود الموصوف في الاعيان هو الصفة الحقيقية كالسواد والبياض بخلاف ما هو من قبيل الامور النسبية
ولوازم الماهية والمعقولات الثابتة والمقام لا يتضح تمام الايضاح الا بتوضيح كلام صاحب الكشاف وهو انه جعل هذه
الآية نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين في ان الحال في كل واحد منهما حال مقدرة اذ لا يمكن كونها حالا محققة لان الحال المحققة
يجب ان تكون صفة ثابتة لذي الحال حقيقة وقت تعلق العامل به والخلود ليس بثابت للداخلين وقت دخولهم وكذا

النبوة ليست ثابتة للمبشر به وقت البشارة لكن تقدير خلودهم في انفسهم يجوز ان يكون صفة ثابتة لهم وقت الدخول
فصح ان يكون حالا مقدرة منهم وكذا كون المبشر به مقدر النبوة صفة ثابتة له وقت البشارة فجاز كونها حالا مقدرة
ايضا ثم انه اعترض على نفسه ببيان الفرق بين الآيتين فان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود غير موجود
معها فاذا قيل مقدرين الخلود استقام الكلام ولا كذلك ههنا اذ المبشر به معدوم وقت وجود البشارة وعدمه
يستلزم عدم النبوة والصلاح ايضا لان عدم الموصوف يستلزم عدم الصفة وايضا اذا وجد المبشر به لا توجد النبوة
الا بعد زمان مديد فكيف يجعل النبوة حالا مقدرة والحال صفة الفاعل او المفعول عند صدور الفعل منه او تعلقه به
وليست النبوة كذلك اذ لا وجود لها وقت البشارة حقيقة وهو ظاهر ولا تقديرا لان التقدير لا يتصور في المعدوم
بخلاف الخلود فانه لم يكن صفة لهم عند الدخول فتقديره صفة لهم ذا المعنى مقدرين الخلود فافترقا فرقا بينا لان
الحالية لا سبيل في احدهما ثم اجاب بان التسطير في الحالية مبني على تقدير المضاف وجعله عاملا في الحال فتقدير الاية
وبشرناه بوجود اسحق نبيا ان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال هو الوجود المقدر لا فعل البشارة
ولا خفاء في صحة اتصاف المبشر به وقت تعلق الوجود به بكونه مقدر النبوة فصح كون نبيا حالا مقدرة بناء على
تقدير المضاف وصار نظير فادخلوها خالدين ورد عليه المص بقوله وبهذا الاعتبار وقعا حالين الخ **قوله**
ومع ذلك اي ومع ارتكاب تقدير المضاف على الوجه المذكور لا تصير هذه الاية نظير فادخلوها خالدين فيه بحث
لان مراد صاحب الكشاف بقوله وبذلك تصير هذه الاية نظير فادخلوها خالدين انها نظيرة في ان الحال في كل واحد
منهما حال مقدرة غاية ما في الباب المقدر في هذه الاية اسم مفعول من التقدير وفي ذلك اسم فاعل منه والحال
المقدرة لا تجب ان يكون التقدير فيه من قبل ذي الحال البتة بل الامر موكول ومنوط على ما يقتضيه المعنى والمقام
قوله ومن فسر الذبيح باسحق جواب عما يقال وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها على من يقول ان الذبيح هو اسمعيل
ظاهر وهو كونها معطوفة على قوله وفديناه بذبح عظيم والمعنى انا ابتلينا ابرهيم بذبح ولده فلما اسلما
وتله للجبين وفاديناه بكذا كان ما كان من الكرامات وما يوجب المسرات وفديناه بذبح عظيم وبشرناه
بولد نبي صالح بعد هذه القصة جزاء لطاعته واستسلامه لامر الله فما وجه ارتباطها بما قبلها على قول من يقول
ان الذبيح هو اسحق وتقرير الجواب ان المقصود من قوله وبشرناه باسحق على هذا القول البشارة بنبوة
الذبيح بعد ما استسلما جزاء لهما بمقابلة احسانهما وانقيادهما لامر الله تعالى وكانت البشارة الاولى بمجرد
وجود المولود المبارك والمعنى وبشرناه بنبوة اسحق بعد ما امرنا بذبحه واخرت البشارة بنبوته عن الاولى
اذ لا يجوز ان يبشره الله تعالى بولادته ونبوته معا ثم يامر بذبحه لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه بانه سيكون
نبيا لانه مع هذا العلم لا يحمل الامر بالذبح على حقيقته **قوله** وفي ذكر الصلاح جواب عما يقال ما فائدة ذكر الصلاح
بعد ذكر النبوة مع ان ذكرها يغني عن ذكر الصلاح لانها تستلزم الصلاح البتة واجاب عنه بان الفائدة في
ذكر الصلاح بعد ذكر النبوة تعظيم شان الصلاح حيث لم يكتف في مقام المدح بما يدل عليه التزاما بل مدحه و

اثنى

واثنى به صريحا **قوله** بالفعل على الاطلاق متعلق بالتكميل اي وتكميل الامة بحملهم على الاعمال اياهم بالصلاح الذي
هو غاية النبوة فكان ذكر كونه من الصالحين بعد ذكر نبوته ايماء بانه الغاية للنبوة وفي بعض النسخ والفعل على الا
طلاق بالواو بدل الباء فيكون معطوفا على قوله الغاية اي وفي ذكر الصلاح بعد النبوة ايماء بان المراد بالصلاح
الصلاح على الاطلاق سواء كان صلاح نفسه او صلاح قومه المرتب على صلاح نفسه فقط **قوله تعالى** وباركنا
عليه اي ابرهيم في اولاده بتكثير ذريته وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل قيل اخرج الله تعالى
من صلبه الف نبي اولهم يعقوب واخرهم عيسى عليهم الصلوة والسلام **قوله** وغيرهم مجرور بالعطف على بني
اسرائيل فان ايوب وشعيب ليسا من انبياء بني اسرائيل والتشديد في قراءة بركنا للتكثير والمبالغة **قوله**
وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال فان كثرة فضائل الاب لا تستلزم فضيلة الابن لئلا يتوهم
بهذه الشبهة سبب المفاخرة اليهود بكونهم اولاد الانبياء **قوله** البليغ في بيانه فان التورية كتاب مشتمل على جميع
العلوم التي يحتاج اليها في مصالح الدين والدنيا قال تعالى انا انزلنا التورية فيها هدى ونور جعل استبان مبالغة
بان بمعنى ظهر ووضح وجعل الكتاب بالغا في بيانه من حيث انه لكماله في بيان الاحكام وتمييز الحلال عن الحرام
كانه يطلب من نفسه ان يبينها ويحمل نفسه على ذلك **قوله** بعث بعده فان اكثر المفسرين متفقون على ان الياس
نبي من انبياء بني اسرائيل بعث بعد موسى عليهما الصلوة والسلام فهو الياس بن ياسين من ولد هرون
اخي موسى وروي عن ابن مسعود رض انه قال الياس هو ادريس وفي مصحفه وان ادريس لمن المرسلين و
قراءة العامة الياس بهمزة مكسورة همزة قطع وقرأ ابن ذكوان بوصلها جعل اللام للتعريف كما في اليسع والقو
قطع الهمزة ويدل عليه قوله تعالى سلام على الياسين فان احدا منهم لم يقرأ الا بقطع الهمزة في المشهورة ووجه
القراء تبين انه اسم اعجمي تلاعبت به العرب فقطعت همزته تارة ووصلتها اخرى ومن يحتمل ان يكون قراءة الوصل
مبنية على ان يكون اسمها ياسين ثم ادخلت الالف واللام عليه للتعريف كما دخلت على يسع وفي مصحف ابي
ادراسين كابرهيم وقرئ ادريسين ادرسين على انها لغات في ادريس وفي مصحف ابي وقراءته وايليس
بهمزة مكسورة ثم ياء ساكنة بنقطتين من تحت ثم لام مكسورة ثم ياء منقوطة بنقطتين من تحت ساكنة ثم
سين مهملة مفتوحة روي عن محمد بن اسحق انه قال كان القيم بامر بني اسرائيل بعد يوشع بن نون كالب بن يوفنا
ثم حزقيل ثم لما قبض الله تعالى حزقيل النبي عظمت الاحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان وكان
الانبياء من بني اسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التورية وبنو اسرائيل كانوا متفرقين بارض
الشام وكان سبط منهم دخلوا بعلبك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم الياس فلما اشركوا وتركوا العمل
بالتورية بعث الله الياس اليهم نبيا وتبعه اليسع وآمن به وكان لهم صنم يعبدونه يقال له بعل وكان من ذهب
وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فجعل الياس يدعوهم الى الله وهم لا يسمعون منه شيئا ولا
يظهر منهم الا المخالفة وعصيانه حتى آل الامر الى ان هم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر خرج

فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان الشيطان يدخل جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس كشاف

من بينهم ولحق بشواهق الجبال وارتقى الى اصعب جبل واشمخه فدخل مغارة فيه فقال انه بقي فيه سبع سنين شريدا
خائفا ياوي الى الشعب والكهوف ياكل من نبات الارض ثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله تعالى
ستره فلما طال عصيانهم وطغيانهم دعا الله تعالى ان يريحه منهم فقيل له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا فما جاءك من
شيء فاركبه فلا تهبه فخرج الياس في ذلك اليوم ومعه اليسع فوصل الموضع الذي امر فاقبل فرس من نار وقيل
فرس لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فركب عليه فانطلق به الفرس الى جانب السماء فناداه اليسع يا الياس
ما تامرني فقذف الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل فكان ذلك اخر العهد
به وقطع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا
ارضيا سماويا وسلط الله تعالى على قومه عدوا لهم حيث لا يشعرون فاهلكهم ونبا الله عليهم اليسع وبعثه
رسولا الى بني اسرائيل فاوحى اليه وايده وآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه الى ان فارقهم وروي ان الياس والخضر
عليهما الصلوة والسلام يصومان شهر رمضان كل عام ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وقيل ان الياس هو موكل بالفيافي
والخضر موكل بالبحار وذكر انهما يقولان عند افتراقهما من الموسم ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله
توكلنا على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وروي عن انس رضي الله عنه انه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة
عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من الامة المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت قال فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض الرأس واللحية عليه ثياب بيض
طوله اكثر من ثلثمائة ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقراه مني السلام وقل هذا اخوك
الياس يريد لقاءك فجئت الى النبي فاخبرته فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله
عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما شيء من السماء يشبه السفرة فدعواني فاكلت معهما فاذا فيها كماة
ورمان وكرفس فلما اكلت قمت وتنحيت وجاءت سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي به فقلت
للنبي عليه الصلوة والسلام بابي انت وامي هذا الطعام الذي اكلنا من السماء نزل عليه قال عليه الصلوة والسلام سألته عنه
فقال ياتيني جبرئيل في كل اربعين يوما اكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم **قوله** اذ قال ظرف لمحذوف اي مرسل من المرسلين
حين قال لقومه الا تتقون وهو استفهام بمعنى الامر ثم ذكر ما هو السبب لذلك الامر وهو عبادتهم للبعل **قوله** احسن الخالقين
اي المقدرين فان الخلق حقيقة في الاختراع والانشاء والابداع ويستعمل ايضا بمعنى التقدير وهو المراد به ههنا لان
بمعنى الاختراع لا يتصور من غير الله تعالى حتى يكون هو احسنهم **قوله** بالنصب على البدل اي بنصب الالفاظ الثلثة على انها
ابدال من احسن او على المدح وقراها الباقون بالرفع على انها خبر مبتدا مضمر اي هو الله او على ان الجلالة مبتدا و
بعده خبره وروي عن حمزة انه كان اذا وصل نصب واذا وقف رفع وهو حسن جدا اذ فيه جمع بين الروايتين
قوله وانما اطلقه اي لم يقيد قوله لمحضرون ببيان ما يحضرون فيه اما اكتفاء بدلالة القرينة عليه وهي التكذيب او لا
ن اطلاقه يقيده له عرفا **قوله** مستثنى من الواو يعني انه مستثنى متصل من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على ان في قومه
من

من لم يكذبه فلذلك استثنوا ولا يجوز ان يكون مستثنى من ضمير لمحضرون استثناء متصلا لان ضمير يحضرون عبارة
عن المكذبين فاستثناء المخلصين من ذلك الضمير يستلزم ان يكون المخلصون داخلين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا
لكونهم عباد الله المخلصين وفساده بين ويبعد جعله مستثنى منقطعا على معنى لكن عباد الله المخلصين ناجون
غير محضرين لان جعله منقطعا مع صحة الاتصال من غير تكلف لا وجه له **قوله** كسينا وسينين بمعنى الاخر زيد في احدهما
الياء والنون فكذا الياس والياسين وقيل الياسين جمع الياس جمع السلامة اطلق لفظ الجمع على نفس الياس ومتبعيه
يقال المهلبون للمهلب واتباعه ورد عليه بان العلم متى جمع جمع السلامة او ثني لزمته الالف واللام لانه اذا ثني
تزول علميته فيقال الزيدان والزيدون والزينبات وقيل الياسين جمع الياسي للمنسوب الى الياس اصله الياسيين
حذفت ياء النسبة كما حذفت في الاعجمين ومن قرأ آل ياسين باضافة آل بمعنى اهل الى ياسين فلعله اراد بآل ياسين نفس
الياس وبقوله ياسين ابا الياس على ما مر من ان الياس ابن ياسين ويحتمل ان يكون المراد بآل ياسين نفس الياس
بان يكون له اسمان كاسماعيل واسماعين وميكائيل وميكائين **قوله** وقيل محمد او القران عطف على قوله ابا الياس
اي قيل المراد بياسين في قوله آل ياسين سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم على قول من قال ياسين اصله انيسين
تصغير انسان اقتصر على نصفه الاخر فكان المعنى بآل محمد واتباعه وقيل ياسين اسم من اسماء القران فالمعنى سلام
على آل محمد او سلام على اهل القران ومن آمن به وعمل بما فيه او على كتب الله كائنا ما كان والكل لا يناسب ان كل
واحد مما ذكره القائل لا يناسب لنظم سائر القصص لانه تعالى ختم قصة كل واحد من الانبياء المذكورين في هذه
السورة بقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على هذا النبي المذكور قصته فالمناسب لهذا النظم والاسلوب ان
يراد بآل ياسين نفس الياس او هو واتباعه وحمله على النبي الاخر او القران او سائر كتب الله تعالى غير مناسب للاسلوب
السابق ولما بعده من الآية فقوله اذ الظاهر تعليل للبعد وعدم المناسبة **قوله** اذ نجيناه ظرف لمرسلين او
اذكر **قوله** داخلين في الصباح اشارة الى ان مصبحين حال من فاعل تمرون وانه من اصبح التامة وقوله
وبالليل عطف على الحال قبلها اي ملتبسين بالليل والمراد من عطفه عليه اما تخصيص مرور اهل مكة على سدوم
بوقتي الصباح والمساء الذي وخلاف الصباح لا الليل كله وتعميمه للاوقات كلها من الليل والنهار واشار اليه
بقوله ونهارا وليلا **قوله** ولعلها وقعت الخ اشارة الى وجه تخصيص مرورهم على سدوم بوقتي الصباح
والمساء ويحتمل ان يكون وجه التخصيص ان من يسافر في تلك الديار يكون غالب مشيه في طرفي النهار فيكون
مروره على ما يمر عليه في احد الوقتين **قوله** وقرئ بكسر النون اي نون يونس والعامة على ضمها قبل انما صار
قصة يونس آخر القصص لانه لما لم يصبر على اذى قومه وابق الى الفلك وقع في تلك الشدائد فصار هذا سببا للصبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم على اذى قومه **قوله** واصله الهرب من السيد يعني ان الاباق حقيقة في هرب المملوك من
سيده واطلق على هرب يونس من قومه على طريق الاستعارة بناء على تشبيه هربه منهم بغير اذن ربه بالهرب
من ربه من حيث كون هربه منه بغير اذنه ويحتمل ان يكون مجازا مرسلا من قبيل اطلاق المقيد على المطلق

جعله وسوق قلبك يلبس اي حذف ياء النسبة فليلبس في كلام العرب يلبس اي يوقع لفظ لمن سمعه في اللبس فاذا سمع وكذا الاعجمي لا يعرف انه جمع العجمة او العجمي اذا سمع لفظ الاشعرين والياسين تردد في انهما جمعا الاشعر والياس او جمعا الاشعري والياسي نحو

قوله اذ ابق اي ظرف للمرسلين اي انه من المرسلين حتى في هذه الحالة

كاطلاق لفظ المرسل على انق الانسان قال المفسرون بعث الله تعالى يونس عليه الصلوة والسلام الى اهل نينوى
من ارض الموصل فدعاهم الى الله عز وجل فكذبوه واصروا على كفرهم فلما طال ذلك عليه خرج من بين اظهرهم و
وعدهم حلول العذاب بعد ثلثة ايام ثم ان قومه لما اتاهم امارات العذاب اخلصوا الله تعالى بالدعاء والتضرع بان خرجوا
بين كل الدنه وولدها ثم خرجوا الى الصحراء متضرعين ومستغفرين فصرف الله تعالى عنهم العذاب وقبل توبتهم ويونس
كان ينتظر هلاكهم وبينما هو كذلك اذ رأى بعض من مر عليه من قومه فسأله عن حالهم فقال بخير وعافية فلما تأخر
عنهم العذاب استثقل ان يرجع اليهم مخافة ان ينسب الى الكذب ويعير به وخرج من ديارهم المنتور عليهم
فقصد البحر وركب السفينة مغاضبا لقومه اي مستنكفا خجلا منهم ولم ينتظر الوحي فسمي ذلك اباقا مجازا وكان
ذلك منه زلة ولذلك قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت ويونس بن متى هو
ذو النون ابن العجوز التي نزل عليها الياس في اثناء سبع سنين التي تحصن فيها في شواهق الجبال هربا من اهل
بعلبك وملكهم واستخفى عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس تخدمه بنفسها وتواسيه
ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ثم ان الياس سئم ضيق البيوت ولحق بالجبال ومات ابن المرأة يونس فخرجت في اثر
الياس تطوف وراءه في الجبال حتى وجدته فسألته ان يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء الياس الى الصبي بعد اربعة عشر
يوما من موته فتوضأ وصلى ودعا الله تعالى فاحيى الله تعالى يونس بن متى بدعوة الياس عليهما الصلوة والسلام **قوله**
فقارع اهله فكان من المساهمة القاء السهام على وجه القرعة روي ان يونس لما دخل السفينة احتبست عن الجري
ووقفت فقال الملاحون هنا عبد ابق عن سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها عبد آبق لا تجري وقال الامام
فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل في السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فقال التجار قد جربنا
مثل هذا فاذا رأيناه نقترع فمن خرج سهمه نرميه في البحر لان غرق الواحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس
عليه الصلوة والسلام فقال الملاحون نحن اولى بالمعصية من نبي الله تعالى ثم عادوا الثانية والثالثة فخرج سهم
سهم يونس في كل ذلك فقال يا هؤلاء انا والله العاصي فتلفف في كسائه ثم قام على رأس السفينة فرمى بنفسه في البحر
فابتلعته السمكة فاوحى الله الى السمكة لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء فلا تكسرن منه عظما ولا تقطعن منه وصلا
فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادى في الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين **قوله** داخل في الملامة على ان تكون همزة الالام كهمزة اصبح وامسى ومعنى دخوله
في الملامة كونه يلام سواء استحق اللوم او لا **قوله** او آت بما يلام عليه فيكون المليم بمعنى من يستحق اللوم سواء لام
او لا فيقال رب لائم مليم اي يستحق اللوم بغيره وهو احق منه باللوم الجوهري يقال الام الرجل اذا اتى بما يلام عليه ومنه
لام فلان غير مليم وعلى التقديرين لا تكون همزة الالام للتعدية اذا كان المعنى مليم نفسه **قوله** وقرئ بالفتح اي وقرئ
مليم بفتح الميم على انه اسم مفعول من لام يلوم على الشذوذ والقياس ملوم مثل مصون ومقول لانه من ذوات الواو
لكن من قرأه بالياء اخذه من اليم على كذا بنيا للمفعول ومثله في ذلك شيب الشيء فهو مشيب ودعي فهو مدعي والقياس
مشوب

لعله اخذ الكثرة من لفظ كان ومن لفظ المسبحين حيث لم يقل ولولا انه سبح
[illegible]

مشوب ومدعو لانهما من يشوب ويدعو **قوله** وهو مليم حال من مفعول التقمه **قوله** مدة عمره اي في بطن الحوت يعني
ان قوله تعالى من المسبحين يحتمل ان يفسر بما حكى الله تعالى منه في آية اخرى انه كان يقول في تلك الظلمات لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين ويحتمل ان يكون المراد منه لولا انه كان قبل ان التقمه الحوت من المسبحين للبث في بطنه الا انه
كان في اكثر الاوقات مواظبا على ذكر الله تعالى وطاعته فاخرجه الله تعالى من تلك الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة
الليل وقد روي ان ذلك الحوت ابتلعه حوت آخر اكبر منه فلذلك قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة
روى ابو هريرة رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا
ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة فقال عز وجل ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر
قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فامر الحوت فقذفه
بالساحل في ارض نصيبين والعراء من التعري سمي الفضاء الخالي عن البناء والاشجار المظلة للتعرية عما يستر
اهله **قوله** بان حملنا الحوت على لفظه يعني على الاسناد المجازي في قوله تعالى نبذناه الى ساحل الموصل من قبيل اسناد الفعل الى
السبب الحامل على الفعل **قوله تعالى** سقيم مما ناله اي عليل البدن من اجل ما ناله في بطن الحوت قد بلي لحمه ونتف
شعره حتى صار كالفرخ ليس بشعر وريش ورق عظمه وضعف بحيث لا يطيق حر الشمس وهبوب الرياح **قوله**
وانبتنا عليه شجرة من يقطين بعد قوله فنبذناه بالعراء يدل دلالة ظاهرة على ان الحوت لما نبذه بالعراء فالله
تعالى انبت عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة ولما كان اليقطين مشتقا من قطن بالمكان اذا اقام به كان
الينبوع من نبع كان موضوعا للمفهوم الكلي يتناول للقرع ونحوه مما كان ورقه كله منبسطا على وجه الارض فسمى
يقطينا لذلك كالبطيخ والقثاء والحنظل وكان اطلاقه على القرع من قبيل استعمال العام في بعض جزئياته
ولعل اطلاق اسم الشجر عليه مع ان الشجر في كلامهم اسم لكل نبات يقوم على ساقه ولا ينبسط على وجه الارض مبني
على انه تعالى انبت عليه القرع على ساق معجزة له او على انه تعالى انبت عليه شجرة صارت عريشا لما انبت تحتها من القرع
بحيث استولى القرع على جميع اغصانها حتى صارت كانها شجرة من يقطين وروي انه تعالى قيض له اروية وهي
الانثى من الوعل تروح عليه بكرة وعشيا فيشرب من لبنها حتى اشتد لحمه ونبت شعره وعادت قوته فنام
نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فاصابته الشمس فحزن لذلك حزنا شديدا فجعل يبكي فبعث الله تعالى
اليه جبرئيل عليهما الصلوة والسلام وقال قل له اتحزن على شجرة لم تخلقها انت ولم تنبتها ولم تربها وانا الذي
خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استأصلهم في ساعة واحدة وقد تابوا وتبت
عليهم فاين رحمتي يا يونس وانا ارحم الراحمين **قوله** والمراد به ما سبق من ارساله وهو ارساله
اليهم قبل ان خرج من بينهم والتقمه الحوت وهذه الارسال هو المدلول عليه بقوله تعالى وان يونس لمن
المرسلين اذ ابق اي هو من المرسلين حين وقت هربه من قومه واذ ظرف للمرسلين فقوله تعالى وارسلناه
الى مائة الف وان ذكر بعد الالتقام الا ان المراد ما وقع قبله والواو لا تفيد الترتيب بل هي للجمع المطلق

قوله [illegible] ... عن ابن عباس رض ... من العابدين ... في بطن الحوت ... عملا صالحا
[illegible]

ويحتمل ان يكون المراد الارسال الواقع بين التقامه الحوت ونبذه اياه بالعراء كما روي عن ابن عباس رض
انه قال كانت رسالة يونس بعد نبذه الحوت وعلى هذا التقدير يجوز انه تعالى ارسله الى قومه اخرين سوى
القوم الاول وان يكون ارسله الى الاولين ثانيا بشريعة فامنوا بها او ارسله اليهم بان قال له عد اليهم وكن
بينهم وسددهم فعاد اليهم فجددوا الايمان بحضره وقد امنوا به بعد ما خرج من بينهم قوله فصدقوه او
فجددوا الايمان به الاول على ان يكون المراد بقوله وارسلناه ارسالة اولا الى القوم الاول فان قوله فامنوا
معناه ح انهم صدقوه واستغفروا وتابوا الى الله سبحانه بعد مفارقته اياهم وقوله فمتعناهم معناه
فعفونا عنهم العذاب وابقيناهم الى اجلهم المسمى او ارساله الى قوم اخرين والثاني على ان يكون المراد به
ارسالا الى الاولين ثانيا فان معنى قوله فامنوا ح انهم جددوا الايمان به بحضره وقد امنوا به حين ما عاينوا
امارات نزول العذاب بهم وروي انه لما نبتت شجرة اليقطين وخرج يونس من ذلك العراء فاذا هو بغلام
يرعى الغنم فقال له من انت قال من قوم يونس قال اذا جئت اليهم فاقرأ عليهم السلام مني فاخبرهم انك قد
لقيت يونس قال له الغلام ان تكن يونس فقد تعلم ان من كذب ولم تكن له بينة قتل فمن يشهد لي قال له يونس
تشهد لك هذه الشجرة وهذه البقعة فقال الغلام ليونس مرهما بذلك فقال لهما اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له
قالتا نعم فرجع الغلام الى قومه فاتى الملك فقال اني لقيت يونس يقرأ عليكم السلام فامر الملك ان يقتل فقال ان لي
بينة فارسل معه من ينظر فانتهوا الى الشجرة والبقعة فقال لهما الغلام انشدكما الله عز وجل هل اشهدكما
يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين فاتوا الملك فحدثوه بما راوا فتناول الملك يد الغلام فاجلسه في منزله
فقال له انت احق بهذا المكان مني فاقام بهم الغلام اربعين سنة فهذه الرواية تدل على ان يونس ارسل
اليهم قبل ان التقمه الحوت قوله او يزيدون في مرأى الناظر جواب عما يقال كلمة او للشك وهو على الله تعالى محال فما
وقوعها في كلام الله تعالى وتقرير الجواب ان الشك بالنسبة الى المخاطبين والغرض وصفهم بالكثرة والمعنى ان الناظر اذا نظر
اليهم لا يظن انهم دون مائة الف وكن يظن انهم مائة الف او اكثر من ذلك هو الجواب عن كل ما يشبه هذا كقوله تعالى
عذرا او نذرا ولعله يتذكر او يخشى ولعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا وغير ذلك قوله فاستفتهم الثاني معطوف
على مثله في اول السورة وهو قوله تعالى فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا قيل عليه انهم عدوا فصل المعطوف
على المعطوف عليه بجملة واحدة نحو كل طعاما واضرب زيدا وخبزا من اقبح التراكيب فكيف يصح فصله عنه بجمل كثيرة وقصص
متباينة واجيب بان الفصل وان كثر مغتفر في عطف الجملة اذا كانت الفواصل ملائمة بالمعطوف عليه موصولا بعضها
ببعض ومادة المثال المذكور من قبيل عطف المفرد حيث عطف فيه خبزا على طعاما والمص اشار الى هذا الجواب
بقوله وسياق الكلام في تقريره جار لما يلايمه من القصص موصولا بعضها ببعض فانه يدل على ان كثرة الفصل
بين المعطوف والمعطوف عليه لا يمنع العطف اذا كانت الفواصل متلائمة ومناسبة للمعطوف عليه وما نحن
فيه من هذا القبيل يعرف ذلك بالتأمل فان قلت عطف استفتهم الثاني على الاول يقتضي ان يكون النظائر تباعا على

وعن ابن عباس رض قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف ونجا سبط ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيا النبي ان ائت حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا امينا فانى القي في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فجاء شعيا الى حزقيا الملك واخبره بذلك فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس انه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجي وهل سماني باسمي قال لا ولكنه امرت ان ابعث قويا امينا وانت كذلك فابى يونس ان يخرج وقال ان في بني اسرائيل انبياء اقوياء غيري فالحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي والملك ولقومه فاتى بحر الروم فركبها منه نسخة اخرى

على الاول المرتب على بيان كمال كبريائه من كونه رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق وكونه حافظا
لعالم السموات من الشياطين المردة كيلا يستمعون الى الملأ الاعلى فما وجهه في الجواب ان ما ذكر مما يدل على كمال قدرته
وعلو شانه وكبريائه لما استلزم بطلان انكارهم البعث والاستغناء عن وجه البعث انكارهم استلزم ايضا بطلان ما زعموا
من انه تعالى اتخذ الاناث اولادا وانه خلق الملائكة اناثا فانه روي ان قريشا وطوائف اخر من العرب وجهينة و
بني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله مع انهم يستنكفون عن البنت قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم والذي يستنكف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق مع ان اثبات الولد
له تعالى يقتضي اثبات الجسمية له تعالى من اجل ان الولادة تختص بالاجسام القابلة للكون والفساد وحكمهم بان الملائكة
اناث باطل ايضا لان طريق العلم اما الحواس السليمة واما الخبر الصادق واما النظر الصحيح والكل مفقود قوله ولذلك
ارد لكون من زعم انه تعالى اتخذ اولادا اناثا زادوا على الشرك ضلالات اخر كرر الله تعالى انكار ذلك وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا
للرحمن ولدا قوله والانكار ههنا مقصور على الوجهين الاخيرين من وجوه ضلالاتهم وهما تفضيل انفسهم
عليه تعالى واستهانتهم بالملائكة لاختصاص هذه الطائفة بهما فان من قال ان المسيح ابن الله وعزير ابن الله
طائفة مغايرة لمن قال الملائكة بنات الله قوله لاختصاص هذه الطائفة اي لتفردها بهما تعليل لقوله مقصور
وقوله حيث جعل المعادل بيان لكون الانكار مقصورا عليهما جعل كلمة ام في قوله تعالى ام خلقنا الملائكة متصلة
معادلة للهمزة التي قبلها بحيث كانت معها بمعنى اي التي لطلب التعيين كان المستفهم يدعي ثبوت احد الامرين
عنده على سبيل الغرض ويطلب منهم تعيينه قائلا ان هذين الامرين تدعون احدهما ان تثبت لرب العالمين
ما تستنكفون منه ولكم ما تشتهون وثانيهما ان تكون الملائكة اناثا وانكم حضرتم خلقنا اياهم فشاهدتم انا
خلقناهم اناثا فاذا لم يمكنهم تعيين واحد منهما حصل تبكيتهم وظهر بطلان قولهم قوله ليمكن معرفته
بالعقل الصرف فان ثبوت لوازم الماهية لها لما لم يكن مشروطا بخصوصية احد الوجودين بل كانت ثابتة
لها حال وجودها في العقل ايضا امكن معرفة ثبوتها لها بالعقل الصرف والانوثة من اللوازم الخارجية فلا
يمكن معرفة ثبوتها للمفروض لها الا بالمشاهدة قوله يشهدون من البت بمعنى القطع ولما كان طريق العلم منحصرا في
الحس السليم والخبر الصادق ونظر العقل بين انتفاء الاول بقوله وهم شاهدون وبين انتفاء الثاني
بقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله والمعنى ان من اخبر بهذا الحكم كذاب افاك لم يدل على صدقه دليل
من كونه متواترا وخبر نبي مصدق بالمعجزات وبين انتفاء نظر العقل بقوله ام لكم سلطان مبين الحجة والحجة
ثم بين انتفاء السمعي المتوقف على نظر العقل بقوله فاتوا بكتابكم قوله لعدم ما يقتضيه تعليل لكون قولهم ولدا
الله افكا اي كلاما مافوكا مصروفا عن الطريق الى الباطل والافك اسوء الكذب قرأ عامة القراء ولد الله على انه ولد الله
فعل ماض مسند الى الجلالة اي انه بالله وقرئ ولد الله باضافة الولد الى الجلالة على انه خبر مبتدا محذوف حذف

اي لعدم شيء في ذات الله تعالى من صفات الاجسام يقتضي الولادة او الولد صح

للعلم به اي يقولون الملائكة ولد الله حذف المبتدأ وابقي خبره وجاز وقوع الولد خبرا عن الجمع لان الولد فعل
بمعنى مفعول كالقبض فلذلك يقع خبرا عن المفرد والمثنى والمجموع المذكر والمؤنث تقول هذه ولدي وهم ولدي
قوله استفهام انكار فان جمهور القراء فتحوا همزة اصطفى على انها همزة استفهام دخلت على الف الافتعال ومعنى
الاستفهام الانكار والاستبعاد اي تقولون انه اختار البنات على البنين مع نقصانهن رضا بالاخس الادنى وقرئ
بكسر الهمزة على حكاية قول الكفرة وقال الفراء اراد الاستفهام بحذف اداته قوله ما لكم كيف تحكمون جملتان استفهاميتان
ليس لاحديهما تعلق بالاخرى من حيث الاعراب استفهم اولا عما استقر لهم وثبت استفهام انكار ثم استفهم
استفهام تعجب من حكمهم بهذا الحكم الفاسد وهو ان يكون احسن الجنسين لانفسهم واخسهما لربهم واعلم
انه تعالى بعد ما شرح اقاصيص الانبياء عليهم الصلوة والسلام عاد الى شرح مذاهب المشركين وبيان قبحها و
سماجة اقوالهم الباطلة انهم اثبتوا الاولاد لله تعالى ثم زعموا انها من جنس الاناث لا من جنس الذكور فقال فاستفتهم
الربك البنات ولهم البنون ام شاهد واختلقنا اباهم حتى حكموا بانهم اناث الى ان قال وجعلوا بينه وبين الجنة
نسبا اي جعلوا بما قالوا نسبة بين الله وبين الجنة اي الملائكة فانهم لما زعموا ان الملائكة بنات الله فقد جعلوا
بينهما نسبا اي نسبة وجنسية جامعة له وللملائكة عبر عن الملائكة بلفظ الجنة لاجتنانهم عن اعين الناس
وما له الاجتنان عن الاعين جنس يندرج تحته الملائكة والجن المعروف ذكر الله الملائكة بهذا الاسم في هذا
الموضع اشارة الى ان من صفته الاجتنان وهو من صفات الاجرام لا يصلح ان يناسب من لا يجوز عليه ذلك
قوله وضعا منهم اي حطا لمنزلتهم عن ان يبلغوا مرتبة ان يكون بينهم وبينه تعالى مناسبة وجنسية جامعة
يقال وضع منه فلان اذا حط من درجته قوله وقيل ان الله صاهر الجن اي تزوج منهم عطف على قوله يعني الملائكة
يعني وقيل المراد من الجنة الطائفة المعروفة بالجن والمراد من النسب نسبة المصاهرة روي عن مجاهد انه
قال قالت كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم ابو بكر الصديق رضه فمن امهاتهم قالوا سروات الجن اي سادا
تهم فان السري السيد وجمعه سراة وان قل ان يجمع فعيل على فعلة وجمع سراة سروات وقال سيبويه السراة
اسم مفرد موضوع للجمع كنفر ورهط وقوم وليس بجمع مكسر واستضعف المص هذا القول لان المصاهرة
لا تسمى نسبا قوله وقيل قالوا الله والشيطان اخوان عطف على القول الاول ايضا يعني ان بعض الزنادقة قالوا ان الله
وابليس اخوان فالله تعالى هو الاخ الكريم الخير وابليس هو الاخ اللئيم الشرير وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان
واهرمن فالمراد بالجنة الشياطين وبالنسب نسب الاخوة كما ان المراد بالجنة على القول الثاني الجن المتعارف
وبالنسب نسبة المصاهرة ففي تفسير الجنة ثلثة اقاويل فقوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون معناه
على القول الاول ولقد علمت الملائكة انهم اي الكفرة القائلين بهذا القول لمحضرون النار يعذبون بها بسبب
تلك المقالة الباطلة والمقصود من ايراد هذه الجملة الحالية المبالغة في تكذيب المشركين القائلين بان
الملائكة بنات الله بعد ما كذبهم بقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث سماهم جنة وضعا من قدرهم
وبقوله

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم
ابليس ولهذا افترق بعضهم قوله تعالى الا
ابليس كان من الجن اي من الملائكة وكذلك
قال بان الملائكة بنات الله اراد بهم الجنة واخرج
الكفر منهم وقيل هم خزان الجنة فقال هذا
الامام على تفسير الجن بالملائكة فيبطل هذا
القول بعده مشكل لانه تعالى عطف عليه قوله
الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله
وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا و
العطف يقتضي كون المعطوف مغايرا
للمعطوف عليه فوجب ان تكون المراد
بالجنة غير ما تقدم منه

وبقوله الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون ووجه المبالغة ان المشركين بعدما رفعوا قدر الملائكة
بان جعلوا بينه تعالى وبين الجنة نسبا اذا علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون بما يقولون
لا يبقى في العالم من يصدقهم قوله او الانس والجن ان فسرت الجنة بغير الملائكة يعني ان فسرت الجنة بالجن المتعارف
كما في قول من قال بالمصاهرة او بالشياطين الغاوين يجوز ان يكون ضمير انهم لمحضرون راجعا الى الانس المعهودين
وهم الكفرة الذين جعلوا بينه تعالى وبين الجن نسب المصاهرة او نسب الاخوة والمعنى والحال ان الجن باحد
المعنيين عالمون بان الانس الذين جعلوهم اصهارا له تعالى او اخوانا كاذبون معذبون في النار بما قالوا اما علم
الشياطين بذلك فلانهم جازمون بالوحدانية وحقية البعث والجزاء واما علم الجن المتعارف به فلان المراد بهم من
آمن منهم فانه عالمون باثابة المطيع وعقاب العاصي ويجوز ان يرجع الى الجن باحد المعنيين اي والحال ان الجن و
الشياطين عالمون بان انفسهم يحضرون النار ويعذبون فيها فلو كانوا اصهارا له تعالى او اخوانا لما عذبهم الله تعالى
ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوه فقال سبحان الله عما يصفون قوله استثناء من المحضرون ذكر في استثناء قوله الا عباد
الله المخلصين وجهين الاول ان يكون المستثنى منه فاعل المحضرون والثاني ان يكون فاعل يصفون وعلى التقديرين
يكون الاستثناء منقطعا لان المخلصين غير داخلين في المحضرين ولا في الذين يصفون الله تعالى بالولد والنسب
والمعنى على الاول انهم لمحضرون لكن عباد الله المخلصين ناجون فعلى هذا تكون جملة التسبيح معترضة بين المستثنى و
المستثنى منه وعلى الثاني سبحان الله عما يصفون لكن عباد الله يصفونه بما يليق به وعلى تقدير ان يكون
المستثنى منه فاعل المحضرون يحتمل ان يكون الاستثناء متصلا بناء على ان يفسر ضمير انهم بمطلق الانس المتناول
للمشرك والموحد اشار اليه المص بقوله او الانس قوله عود الى خطابهم ذكر الله تعالى كفار قريش بلفظ الغيبة
حيث قال فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون الى ان قال كيف تحكمون والتفت فيه عن طريق الغيبة الى خطابهم
ثم انتقل منه الى طريق الغيبة حيث قال وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ثم عاد الى خطابهم مرة ثانية فقال فانكم
وما تعبدون ووجه ارتباط هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما
ينبه به على ان هؤلاء الكفار لا يقدرون على اضلال احد الا اذا كان قد سبق حكمه تعالى في حقه بالعذاب والوقوع
في النار والواو في قوله تعالى وما تعبدون عاطفة وما موصولة منصوبة المحل عطفا على اسم ان وما في قوله تعالى ما انتم
عليه نافية وانتم اسمها وبفاتنين خبرها وعليه متعلق بفاتنين والضمير فيه لله ومفعول فاتنين محذوف والمعنى
ما انتم بفاتنين احدا اي بمضلين احدا حملة على معصية الله ومن في قوله الا من هو موصولة او موصوفة ومحلها
النصب بفاتنين وهو مبتدأ وصال خبره والجملة صلة من او صفة له ويجوز ان يتصل بما في موضع رفع على انها خبر
ان والمعنى فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم جميعا بفاتنين احدا على الله الا اصحاب النار الذين سبق في علمه تعالى انهم
داخلوها وقوله بمفسدين الناس اشارة الى ان الفاتن بمعنى المضل والمفسد وان مفعوله محذوف اي ما
انتم ايها العابدون بسبب اغوائكم بمضلين احدا حملة على المعصية والاجتراء على الله تعالى بحمله فتنة وعصيانه

قوله تعالى سبحان الله عما يصفون حكاية تنزيه
الملائكة اياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم
في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع
من ان يصفوه تعالى بذلك على ابلغ وجه
انهم اخرجوهم في زمرة المخلصين كانه قيل
على انه استثناء منقطع من واو يصفون
ولقد علمت الملائكة ان المشركين لمعذبون
لقولهم ذلك قائلين سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد
الله الذين من جملتهم برآء من ذلك الوصف
وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين
عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم
والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء
بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة
عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان
بتبريهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل
كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب
لهم ولمعبوديهم تغليبا وعلى متعلق بفاتنين
يقال فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها
عليه والمعنى فانكم ومعبوديكم ايها المشركون
لستم بفاتنين عليه تعالى بافساد عباده و
اضلالهم ابو
فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا والاتجوز
ان يكون متصلا لان المعنى

من قولك فتن فلان على فلان امرأته اذا افسدها عليه وحملها على عصيان زوجها قوله ويجوز ان يكون وما تعبدون
سادا مسد الخبر معطوف على معنى ما سبق فان ما ذكره في تفسير الاية يدل على ان الواو في قوله وما تعبدون للعطف وان
خبران جملة ما انتم عليه بفاتنين وعطف عليه احتمال ان يكون الواو فيه بمعنى مع كما في قولهم كل رجل وضيعته و
يكون قوله وما تعبدون سادا مسد خبران لان معناه فانكم مع ما تعبدون انكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها فيكون قوله فانكم وما تعبدون كلاما تاما ويكون قوله ما انتم عليه بفاتنين كلاما مستانفا ويكون ضمير عليه
لما تعبدون وعلى متعلقه بفاتنين لتضمنه معنى البعث والحمل والمعنى ما انتم بفاتنين او حاملين احدا على عبادة
ما تعبدونه على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال الجحيم مثلكم يقال فتنت الرجل بالشيء او على الشيء كما يقال اضله
بالشيء او على الشيء وتعديته الجحيم بعلى باعتبار التضمن والاصل ان يعدى بالباء قوله وقرئ صال بالضم يعني ان
الجمهور على كسر لام صال واصله صالي على وزن فاعل من صلي فلان النار يصلى صليا اي احترق فاعل كغاض
فلما اضيف الى الجحيم سقط التنوين وافرد حملا على من كما افرد لفظ هو لذلك وقرئ صال الجحيم بضم اللام وذكر المص لهذه
القراءة ثلثة اوجه الاول ان يكون جمع صال اصله صالون بحذف نونه للاضافة وواوه لالتقاء الساكنين وحذف
في الخط ايضا اتباعا اللفظ مع لفظ الا فقط وافرد لفظ هو حملا على لفظ من وجمع صالوا حملا على معناها فان من
مفرد اللفظ مجموع المعنى وقد جاء الحمل على لفظ من ومعناه في اية واحدة في مواضع من التنزيل منها قوله تعالى بلى من
اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومنها قوله ومنهم من يستمع اليك
ثم قال وجعلنا على قلوبهم والوجه الثاني ان اصله صايل كما مر ثم قدم لام الكلمة الى موضع عينها فصار صالي ثم خفف
بحذف لام الكلمة بعد قلب المكان فبقيت اللام مضمومة وتجرى وجوه الاعراب على اللام في الاحوال الثلث فيقال هذا
صال ورايت صالا ومررت بصال قوله على القلب كشاك في شائك يريد ان صال نظير شاك في مجرد اعتبار قلب المكان فيهما
لا في بناء الكلمة ايضا فان صال من المعتل اللام كما ذكر وشاك من الاجوف اصله شايك فقلب فيه قلب مكان فصار
شاكي فاعل كغاض قال الجوهري في باب شوك الشوكة شدة الباس والحد في السلاح وقد شاك الرجل يشاك شوكا
ظهرت شوكته وحدته فهو شايك السلاح وشاكي السلاح ايضا مقلوب منه وقال في باب شكا رجل شاكي السلاح
اذا كان ذا شوكة وحد في سلاحه قال الاخفش هو مقلوب من شايك انتهى كلامه وقال الطيبي فكانه لا اتفاق
على كون شاك مقلوبا منه والوجه الثالث ان اصله صالي وهو مفرد كما في الوجه الثاني الا انه حذف لامه استثقالا له
لحرف العلة في اخر الكلمة حذفا منسيا واجرى الاعراب على عين الكلمة وهذا اسهل من الحذف بعد القلب
فانهم يتناسون اللام المحذوفة ويجرون الاعراب على الكلمة كثيرا وبعضد هذا الوجه قراءة من قرأ وله الجوار برفع
الراء وجنى الجنتين دان برفع النون واورد بان هذا لا يكون المحذوف كالمنسي فان بانه مصدر باء اصلها بائة
كعافية مصدر بمعناها فلما حذف الياء حذفا منسيا فتحت اللام فقيل بالة واحتج اهل السنة بقوله تعالى فانكم وما
تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم على انه لا تاثير لايحاء الشيطان ووسوسته وانما المؤثر هو

١٦٤

هو قضاء الله تعالى وتقديره فان قوله فانكم وما تعبدون من دون الله ما انتم عليه بفاتنين صريح في انه لا تأثير لقولهم ولا
لاحوال معبوديهم في وقوع الفتنة وقوله الا من هو صال الجحيم معناه الا من كان كذلك في حكم الله تعالى وتقديره وذلك
تصريح بان المقتضي لوقوع هذه الحوادث حكم الله تعالى فلذلك قيل ان اهل التفسير مجمعون فيما علمت على ان المعنى ما انتم
بمضلين احدا الا من قدر الله عز وجل وكتب عليه انه يضل ويصلى الجحيم وان الشياطين لا يصلون الى اضلال احد الا
من كتب الله عليه انه لا يهتدي ولو علم الله تعالى انه يهتدي لحال بينه وبينهم قال لبيد بن ربيعة في بيت العدر فاحسن
• ان تقوى ربنا خير نفل • وباذن الله ريثي وعجل • احمد الله فلا ند له • بيديه الخير ما شاء فعل • من هداه سبل الخير اهتدى
• ناعم البال ومن شاء اضل • ولا يلزم منه ان لا يكون الضالون والمضلون ملومين بما كسبوا لان المعنى لا تقدرون
على اضلال احد الا اضلال من علم الله منه اختيار الكفر والاصرار عليه فقدر عليه الكفر والاصرار عليه ودخول النار فظهر
ان علم الله تعالى وتقديره وقضاءه فعلا من افعال المكلفين لا ينافي اختيار العبد وكسبه قوله حكاية اعتراف
الملائكة يعني انه من قول الملائكة انزل الله تعالى على سبيل حكاية عنهم كانه قيل ويقول الملائكة الذين جعلتموهم بنات
الله وعبدتموه بناء على ما زعمتم من ان بينهم وبينه تعالى مناسبة وجنسية جامعة ما منا الا له مقام معلوم اي لكل واحد
منا رتبة لا يتجاوزها ودرجة لا يتعدى عنها سواء كانت تلك المراتب والدرجات متعلقة بباب طاعة الله تعالى ومنازل
خدمته في العبودية او بباب معرفة الله تعالى وتنزيهه لا يليق به او متعلقة بالتصرف في اجسام هذا العالم والاشياء
الى ما امر في تدبيره والملائكة انما يقولون هذا القول ويصفون انفسهم بكمال الطاعة والمبالغة في العبودية تنبيها
على فساد قول من يقول انهم اولاد الله لان مبالغتهم في اظهار العبودية يدل على اعترافهم بالعبودية واشار بقوله
والمعنى وما منا احد الا ان قوله الا له مقام صفة حذف موصوفها واكتفى عنه بذكر صفته كما في قوله • انا ابن جلا وطلاع
الثنايا • اي انا ابن رجل وضح امره او جلا الامور وكشفها تمامه • متى اضع العمامة تعرفوني • اي متى اضع العمامة على راسي
فانني من ابطال العمامة والموصوف المقدر في الاية مبتدا والا له مقام صفته وما منا المتقدم خبره اي احد استثني عنه
من له مقام معلوم ليس منا هذا هو المفهوم من الكشاف قيل عليه ليس هذا من حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه بل الظاهر ان المحذوف مبتدا والا له مقام معلوم خبره لانه محط الفائدة ولانه لم ينعقد كلام من قوله وما منا
احد فيكون ما صفة للمبتدا المحذوف والتقدير ما احد منا الا له مقام وحذف المبتدا مع من جيد فصيح ولا يجوز
كون الا له مقام في موضع الصفة لانهم قد نصوا على ان الا لا يكون صفة اذا حذف موصوفها وانها بذلك فارقت
غيرا اذا كانت صفة لتمكن غير في الوصف وعدم تمكن الا فيه وعند الكوفيين هو من قبيل حذف الموصول وابقاء
الصلة فالتقدير وما منا الا من له مقام معلوم قوله المنزهون الله قدر مفعول المسبحون لان مسوق الكلام للانكار
على من يجعل بينهم وبينه تعالى نسبا وذلك يقتضي ان يكون مفعول المسبحون مرادا ركيف يصح ذلك الجعل وما نحن الا
عبيد اذلاء بين يديه ننزهه عما لا يليق به ولم يقدر مفعول الصافون اذ لا دخل لاعتبار تعلقه بمفعوله
في الانكار المذكور بل يتم ذلك بان يقال نحن اذلاء بين يديه لكل منا مقام معلوم في اداء الطاعة ومنازل الخدمة

والدليل على حذف الموصوف فتح التنوين من الابنة وانتشار ان ابن مضاف الى الابن الى جلا الا انه نسبة بالعلم بحيث فيضاف اليه واذا جعلناه صفة فلا بد ان يكون فعلا والا بضافة الى الفعل الاسم الزمان والمكان وليس الابن واحدا منهما فثبت ان المضاف اليه محذوف وهو الموصوف فاذا قلت فاعل عليه دخول التنوين على جلا على مذهب عيسى بن عمر ان الفعل اذا سمي به كان كذلك على صيغة الفعل والعلمية ... اخر فيمنع من الصرف وانه ... مثل الخليل وسيبويه والجمهور قلت واذا كذب مذهب ... بدليل ما نقله الثقات من صرف كعسب ويحكى الاخر فعل يقال كعسب الرجل اذا مشى باسراع مع تقارب الخطو ولا تنوين في جلا في البيت فيحمل على انه فعل ماض وقع صفة لموصوف محذوف طيبي

ومفعول الصافون والمسبحون يجوز ان يكون مرادا اي الصافون اقدامنا او اجنحتنا والمسبحون الله تعالى وان لا يكون مرادا ويكون المعنى نحن الفاعلون لهذين الفعلين سيد احمد

كحصول الجمع ... الحواشي

نصطف فيه على حسب ما امرنا به قوله وملئ ان واللام الخ جواب عما يقال ان تركيبه لا يدل على كون الاصطفاف والتسبيح
منحصرا بالملائكة لا يوجدان في غيرهم فما وجه الاستدلال وقد اكد هذا الاختصاص بان واللام مع ان البشر ايضا يصطفون
ويسبحون وتقرير الجواب نعم ان التركيب يفيد الاختصاص والتاكيد الا انه ليس المقصود حصر اصل الحقيقة فيهم بل
المقصود حصر الكمال فان طاعات الملائكة ومعارفهم لكونها دائمة على كر الدهور والاعصار لا يتطرق عليهم الفتور والتوانى
باختلاف الليل والنهار فلا يشوب معارفهم شيء من الشبه والاوهام كانت الطاعات البشرية ومعارفهم بالنسبة الى طاعات
الملائكة ومعارفهم كالمعدوم قيل ان المؤمنين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه الآية وليس يصلي احد من
اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن
في المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف تصف الملائكة عند ربها قال يتمون
الصفوف ويتراصون في الصف قوله ويحتمل ان يكون هذا معطوفا من حيث المعنى على قوله الا عباد الله المخلصين
استثناء من المحضرون فانه يفهم منه ان الاستثناء من كلام الله تعالى لان جملة المستثنى منه وهي قوله ولقد علمت الجنة انهم
لمحضرون من كلام الله تعالى بلا شبهة فيكون ما بينهما من الاعتراض ايضا من كلامه تعالى وكذا قوله فانكم وما تعبدون
الخ فيكون ابتداء حكاية كلام الملائكة من قوله وما منا الا له مقام معلوم فذكر ههنا انه يحتمل ان يكون ابتداء حكاية
كلام الملائكة من قوله سبحان الله عما يصفون حتى يتصل حكاية كلامهم بذكرهم في قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
كانه قيل ولقد علمت الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم في ادعاء ان يكون بينهم وبين رب العزة
مناسبة وقالوا سبحان الله تنزيها له عن ذلك واستثنوا عباد الله المخلصين من فاعل يصفون استثناء منقطعا
تنزيها للمخلصين عن توصيفه تعالى بما لا يليق به ثم خاطبوا المشركين بانكم وما تعبدون قرناء ما انتم بفاتنين به الا
من سبق في علمه تعالى انه من اهل النار ثم اعترفوا بالعبودية والمبالغة في اداء حقها وبتفاوت مراتبهم في باب الطاعة
والمعرفة والقربة والمشاهدة ومواضع عباداتهم في السماء وبتفاوت ما ينتهون اليه من امر الله تعالى في تدبير العالم بحيث
لا يتخطى احد منهم عما عين له من وظايف العبودية للتنبيه على ان من هذا شانه كيف يكون له نسب لرب العزة بل
يتعين كونه عبدا مامورا مسخرا لحكم الله تعالى قوله وقيل هو من كلام النبي والمؤمنين عطف على قوله حكاية اعتراف الملائكة
فيكون مرتبطا بقوله تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسالهم على وجه الانكار
والتقريع عن وجه قسمتهم ثم امره بان يثني على المؤمنين ويصفهم بالاعمال الصالحة من اداء الصلوة باجتماعهم وتسبيح الله تعالى
وتنزيهه عما اضاف اليه الكفرة مما لا يجوز في حقه ويبين ان كل واحد منهم له مقام معلوم في الجنة او بين يدي الله تعالى في
النعمة على حسب عمله الصالح توبيخا للكفرة بان لا منزلة لهم عند ربهم لخلوهم عن طاعته وتوغلهم في الجهالة بشانه و
ما يليق به قوله تعالى وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر والاولى وان الشان والامر
كان كفار مكة ليقولون كذا وكذا واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وفي الاتيان بان المخففة واللام اشارة الى انهم
كانوا يقولون ما قالوه مؤكدين جازمين فيه فكم بين اول امرهم واخره ثم هددهم بقوله فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وتكذيبهم
ثم

من ذكر ان العاقبة للانبياء عليهم الصلوة والسلام بالنصر والغلبة وان كذبهم قومهم فقال سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين ثم فسر الكلمة بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فيجوز ان يكون هاتان الجملتان مستأ
نفتان لا محل لهما من الاعراب وان يكونا خبر مبتدا محذوف او في محل النصب باضمار اعني اي هي انهم المنصورون
او اعني بالكلمة هذا الكلام الذي هو في حكم الكلمة المفردة من حيث ان كلماته انتظمت لمعنى واحد كانتظام
حروف الكلمة المفردة كما يقال للقصيدة الكاملة كلمة فلان كذلك واحد من كلماته لما اجتمعت وتضامت
فصارت كانها شيء واحد قوله وهو باعتبار الغالب جواب عما يقال ما وجه الحكم المؤكد الدال على انحصار
النصرة في الرسل والغلبة في جند الله وقد غلبوا في بعض الاوقات وتقرير الجواب ان الحصر باعتبار الغالب
لان الغالب في حروب الرسل والمؤمنين ان يكون الظفر والنصرة لهم وما وقع في بعض الحروب من الانهزام على سبيل
الابتلاء الذي تقتضيه الحكمة فهو قليل نادر والحكم للغالب وباعتبار الفتح والظفر هو المقتضي بالذات فان الجهاد
انما شرع لاظهار الدين وقهر اعدائه وما وقع في بعض الاحيان من الانهزام انما كان لعارض كمخالفة الحاكم امر و
طمع الدنيا والعجب والغرور ونحو ذلك والحكم للمقتضي بالعرض في جنب المقتضي بالذات والمقصود اصالة ويمكن ان
يقال انهم هم المنصورون في الدنيا على اعدائهم بكونهم مؤيدين بالمعجزات الظاهرة والحجج القاطعة الدالة على صدقهم
وحقيقة امرهم وانهم هم الغالبون عليهم في الدنيا كما انهم غالبون عليهم في العقبى بالسعادات الابدية و
لا ينافيه كون الاستيلاء والغلبة الظاهرة للكفار على ندرة لحكمة اقتضت ذلك كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
قال ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الاخرة وعن الحسن ما غلب نبي في حرب ولا قتل فيها قوله والمراد بالامر جواب عما
يقال الامر بابصارهم على الحالة التي تنالهم من الاسر والقتل في الدنيا والعذاب في الاخرة يقتضي وجود تلك الحالة
وقت الامر بالابصار والحالة التي تنالهم ليست موجودة وقت الامر بالابصار بل هي منتظرة فما وجه الامر
به على تلك الحالة وتقرير الجواب انها وان لم تكن موجودة وقت الامر لكنها نزلت منزلة الموجود الحاضر قدامه لكونها
كائنة في المستقبل لا محالة من حيث انه تعالى وعد بكونها فصارت بذلك كانها قد تحققت وصارت مما يبصر ويشاهد
او لان كل آت قريب حتى صارت لغاية قربه كانه تحقق وصار محسوسا مشاهدا فصح الامر بابصاره عليه الصلوة
والسلام اياهم على تلك الحالة قوله وسوف للوعيد لا للتبعيد كما تقول اصبر سوف ترى حالك تريد به التخويف والوعيد
لا التسويف والتبعيد اذ قلته وانت بصدد الايذاء والعقاب فان قلت كونها للوعيد لا ينافي كونها للتبعيد مع
صحة معنى التبعيد ههنا ايضا فان ما قضي له عليه الصلوة والسلام من التابيد والنصرة وثواب الاخرة جاز
استبعاده فما معنى قوله لا للتبعيد قلت لما حمل السين على معنى الوعيد بشهادة المقام تعين ان لا تكون للتبعيد
لانها لو كانت للتبعيد لما فهم معنى الوعيد لانا لا نقول بعموم المشترك او لان تبعيد الشيء المحذر عنه كالمنافي للارادة
التخويف به قوله شبهه بجيش يعني ان قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم استعارة تمثيلية شبه حال العذاب النازل
بهم بعد ما انذروه فلم يلتفتوا الى كلام المنذر ولم يشتغلوا اعمالهم فيه بالتوبة والاستغفار بحال جيش انذر بعض

لان الانهزام ليس من قبيل القضاء
الصبر عليه من قبيل القضاء المعلق
بالابتلاء بهم كمخالفة امر الولاة الخ
منه رحمه الله

الناصحين بهجوم القوم فلم يلتفتوا الى انذاره حتى اناخ الجيش بفنائهم بغتة فاغارهم وقطع دابرهم فان ذلك التعبير
حقيقة في هذه الهيئة المشبهة بها فاطلق على الهيئة الاولى مجازا على طريق التمثيل والساحة الفناء الخالي عن الابنية
وفناء الدار ما امتد من جوانبها معدا لمصالحها ونقل عن الفراء ان قولك نزل بساحتهم ونزل بهم سواء فان
العرب تكتفي بذكر الساحة عن ذكر القوم وتقول نزل بك العذاب وبساحتك فيكون التجوز في لفظ الساحة
والتعبير به عن نفس القوم وما ذكره المصنف من جعل الهيئة التركيبية استعارة تمثيلية ابلغ في افادة التهويل واحسن
موقعا في النفوس قوله وقيل الرسول عطف على العذاب والمعنى فاذا نزل الرسول عليه الصلوة والسلام بفنائهم
يوم فتح مكة ويؤيد هذا القول ما روي عن انس رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج الى خيبر اتاها
ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح قال فلما اصبح خرجت اليهود بمساحيها ومكاتلها فلما راوه قالوا محمد
والخميس اي الجيش فقال عليه الصلوة والسلام الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
قوله فبئس صباح المنذرين صباحهم يعني ان ساء فعل الذم بمعنى بئس فلا بد له من فاعل معرف باللام او مضافا
الى المعرف به او مضمر مفسر بنكرة منصوبة او بلفظ ما نحو فنعما هي ولا بد بعد ذلك من المخصوص والمخصوص بالذم
محذوف هنا وهو صباحهم وصباح المنذرين هو الفاعل واللام فيه للجنس لا للعهد ليحصل بذكر المخصوص
بعده التفسير بعد الابهام ولو حملت على العهد لما حصل ذلك فان افعال المدح والذم موضوعة للمدح العام والذم
ان لمدح المخصوص وذمه بجميع محاسن جنس الفاعل وقبائحه وذلك انما يكون الفاعل معرفا بلام الجنس او
مضافا الى المعرف بها نحو نعم صاحب الكرم زيد قوله مستعار من صباح الجيش المبيت اسم فاعل من بيت العدو اذا اوقع
بهم ليلا يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا كما يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا فالجيش المبيت هم الذين ساروا نحو
عدوهم ليلا فوصلوا ديارهم ونزلوا بهم وقت الصباح فاوقعوا بهم من النهب والغارة ما شاؤوا فالصباح
في الاصل صباح الجيش استعير في الآية لوقت نزول العذاب اي وقت كان اذا لم يتعين ان يكون وقت نزول [illegible]
بهم وقت الصباح الا ان عادة المغاوير لما جرت على ان يغيروا صباحا خص وقت الصباح بالذكر وجعل
مستعارا للوقت نزول العذاب مطلقا ولما تضمن قوله مستعار من صباح الجيش المبيت ان يكون الصباح
زمان غارتهم في الاعم الاغلب ايده وقرره بانهم سموا الغارة صباحا وان وقعت وقتا آخر تسمية للحال
باسم محله وزمانه واشار به الى احتمال ان يكون الصباح مجازا مرسلا بذكر اغلب اوقات الغارة وارادة ما وقع
فيه قوله تاكيد الى تاكيد يعني انه كرر قوله وتول عنهم حتى حين على انه تاكيد منضم الى تاكيد فانه قد ذكر اولا تاكيدا
للوعد المذكور بقوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فان معناه اترك مقابلة الكفار ثقة بما وعدناه من
اظهار الاسلام على ساير الاديان وغلبة المسلمين فهو تاكيد للوعد السابق وذكره ثانيا تاكيدا الى تاكيد ويحتمل ان
يكون المعنى كل واحد مما ذكر ثانيا من قوله وتول عنهم حتى حين وقوله وابصر فسوف يبصرون تاكيدا لما ذكر اولا انضم احدهما
الى الآخر قوله واطلاق بعد تقييد يعني ان قوله اولا وابصرهم قيد بالمفعول فيكون قوله فسوف يبصرون مقيدا ايضا
وان لم

الخميس هو الجيش الكثير وانما سمي بذلك لان له خمسة اركان قلب وجناحان ومقدمة و ساقة منه

وان لم يذكر المفعول لدلالة المقام وفي هذه الآية اطلق كل واحد من الفعلين عن التقييد بالمفعول للتعميم قوله
عما قال المشركون فيه صريحا والتزاما كقولهم ان له تعالى شريكا تستحق العبادة وان له ولدا واناثا وانه تعالى من قبيل الاجسام
القابلة للكون والفساد وان انفسهم يتفضلون عليه تعالى عما يقولون علوا كبيرا وانه تعالى له مناسبة ومجانسة
مع الملائكة ونحو ذلك من الجهالات فنزه الله تعالى نفسه عن جميع ما زعم المبطلون في حقه قوله للاختصاص ادخل
الباء على المقصور عليه وفي بعض النسخ للاختصاص بها فيكون داخلة على المقصور كما في قولك نخصك بالعبادة والاضافة
من حيث هي لا تفيد اختصاص المضاف اليه بالمضاف بل الامر بالعكس فاختصاص العزة به تعالى انما يستفاد
من كون المضاف لفظ الرب فانه بمعنى المالك فمعنى رب العزة انه تعالى صاحبها ومالكها فيفهم من اضافته اليها
اختصاصها به تعالى فانه لا يقال فلان مالك العزة الا اذا كانت العزة مختصة به قوله اذ لا عزة الا لله او لمن اعزه
الله يعني انه يجوز ان يراد باختصاص العزة به تعالى المفهوم من قوله رب العزة اختصاص العزة الذاتية الازلية اذ
لا شك في اختصاصها به تعالى ويجوز ان يراد به اختصاص العزة المخلوقة الكائنة بين خلقه فان العزة الحادثة
وان كانت صفة قائمة بغيره تعالى الا انها مملوكة له تعالى مختصة به يعطيها حيث يشاء كما قال تعز من تشاء قوله
وقد ادرج فيه اي في قوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد
اما اندراج صفاته السلبية فيه فظاهر لان قوله سبحان ربك تنزيه له تعالى عن جميع ما لا يليق بالربوبية والالوهية
واما اندراج صفاته الثبوتية فيه فلان العزة هي الغلبة والقوة وهي لا تكون الا بالقدرة الكاملة كما ان الربوبية لا تكون الا
بكمال الحكمة والرحمة المستلزمة للعلم والحيوة والمشية وغير ذلك مما يتوقف عليه كونه تعالى رب العالمين وكونه مشعرا
بالتوحيد من حيث انه تعالى لما نزه نفسه عما يصفه به المشركون ومن جملة ما يصفونه به ان له شريكا فقد نزه نفسه عن
الشريك فهو مشعر بالتوحيد لا محالة ثم ان المرسلين لما كانوا واسطة بين الله تعالى وبين عباده في افاضة ما يتوقف عليه
سعادتهم في الدارين اثنى الله تعالى على علو شانهم بقوله وسلام على المرسلين ثم اثنى على نفسه بانه المستحق بالحمد لا يستحق
الحمد غيره من حيث كونه موليا للنعم كلها التي اجلها ارسال الرسل المفضلين بما افاض عليهم من المعارف والفضائل
النفسانية وتوفيق اتباعهم لاهتدائهم بهداهم والتمسك بشرايعهم المستتبع لما يترتب عليه من حسن العاقبة قوله
ولذلك اخره لكون النعم المحمود عليها تتناول نعمة الارسال وما افاض على المرسلين والنعمة المتعلقة باتباعهم بسبب
اتباعهم للرسل اخر الحمد عن التسليم ولولا هذا الاعتبار لوجب ان يقدم الثناء على الله على ثناء المرسلين عن انس رض قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما انا رسول من المرسلين تم ما يتعلق بسورة والصا
فات والحمد لله رب العالمين فالان اوان الشروع بما يتعلق بسورة ص وهي مكية في قول الجميع سورة ص مكية
بسم الله الرحمن الرحيم ص الجمهور على اسكان الدال لان هذه الحروف التي في اوايل السور في الاصل اسماء
لمسمياتها موضوعة للتهجي مسمياتها انما [illegible] باسمائها وحق الاسماء العارية عن العوامل ان تذكر موقوفة الاواخر
ولذلك اجيز فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز في الكلمة التي يوقف عليها وروعي هذا الاصل في هذه الحروف سواء قصد بها

تعداد المسميات او ركب بعضها مع بعض وجعل المركب اسما للسورة او القران او سمي بواحد منها من غير تركيب كص
دن وف لكونها عن اسماء حروف التهجي فتوصل بها معاملة الاصل المنقول عنه وقرئ بكسر الدال من غير تنوين وفيها
وجهان الاول انه كسر لالتقاء الساكنين على لغة من جنح في الهرب عن اجتماعهما واختير الكسر لانه الاصل في تحريك
الساكن والثاني انه امر من المصاداة بمعنى المعارضة والمعادلة والمعنى عارض القران بعملك فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه وقرئ بفتح الدال ايضا من غير تنوين وذكر فيه ثلثة اوجه الاول البناء على الفتح كاين وكيف اهرباً من
اجتماع الساكنين واختيار الفتحة لخفتها والثاني ان يكون معربا منصوبا بفعل القسم بعد حذف حرف القسم نسبا
نسبا كما في قوله واختار موسى قومه اي من قومه بحذف الجار وجعل كالمنسي واوصل الفعل الى المجرور فنصبه فكذا
ههنا اذ الاصل اقسم بصاد فحذف الجار واضمر القسم ونصب صاد كما في قولك الله لافعلن بالنصب وامتنع صرف صاد
للعلمية والتانيث لانها علم للسورة والثالث ان يكون معربا مجرورا باضمار حرف القسم كما تقول الله لافعلن بالجر
وفتح في موضع الجر لمنع الصرف والفرق بين الحذف والاضمار ان في الحذف لا يبقى اثر المحذوف في المعمول بل يكون
المحذوف متروكا اصلا فيتعدى الفعل بنفسه الى المعمول كما في قوله واختار موسى قومه بخلاف الاضمار فان المضمر وان كان
متروكا لفظا فانه باق من حيث الاثر كما في الله لافعلن بالجر ففي مثالنا على تقدير الحذف والايصال يكون صاد منصوبا
بالقسم نفسه وعلى تقدير الاضمار العامل حرف الجر المقدر وعمل القسم في الجار والمجرور جميعا او في المجرور وحده ولكن بواسطة
الجار المقدر ويجوز ان يكون انتصاب صاد على انه مفعول به لفعل مقدر على تاويل اقرأ او اتل صاد وان يكون فعلا ماضيا
من صاده يصيده وبصاده صيدا على معنى صاد محمد قلوب المؤمنين وقرئ ايضا بالجر والتنوين باضمار حرف القسم
كقولهم الله لافعلن الا انه صرف ونون لكونه اسما للكتاب او التنزيل وليس فيه سوى العلمية ويجوز صرفه على تقدير
كونه اسما للسورة ايضا مع تحقق العلمية والتانيث ح لان التانيث المعنوي انما يجب تاثيره اذا لم يكن الاسم
ثلاثيا ساكن الاوسط كهند وصاد ثلاثي ساكن الاوسط وقرئ صاد بالضم من غير تنوين على انه اسم للسورة و
انه خبر مبتدا محذوف اي هذه صاد وامتنع صرفه للعلمية والتانيث وحاصل كلام المص في صاد انه اما اسم او فعل
امر من المصاداة وعلى تقدير كونه اسما لا يخلو اما ان يكون اسما للحرف او للسورة او يكون اسما من اسماء الله تعالى
وفي تيسير الامام النسفي قال ابن عباس رض هو قسم باسم من اسماء الله تعالى وعلى تقدير كونه اسما للحرف لا يخلو اما ان
يكون ذكره للتحدي وتقدمه دلائل الاعجاز بمنزلة قرع العصا للايقاظ والتنبيه كانه قيل تنبهوا ان ما يتلى عليكم
كلام رب العالمين فاسمعوا واطيعوا احكامه فان كنتم في ريب منه فاتوا بسورة من مثله فانه كلام مؤلف من جنس
ما تؤلفون منه كلامكم او يكون ذكره لان يرمز به الى كلام هو جزء منه مثل صدق محمد كقوله قلت لها قفي فقالت
قاف اي وقفت او يكون مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد وعلى تقدير كونه اسما للسورة وكانت تسميتها
به للتنبيه على اعجازها من حيث كونها مركبة من جنس ما يركبون منه كلامهم ومع ذلك عجزوا عن معارضتها و
اتيان مثلها لا يخلو اما ان يكون ذكره لانشاء القسم بمسماه او للاخبار بان هذه صاد على انه خبر مبتدا محذوف

والمعنى هذه هي السورة التي اعجزت العرب بكمال بلاغتها وفصاحتها عن معارضتها والواو في قوله تعالى والقران للقسم
على جميع هذه التقادير الا اذا جعل صاد مقسما به على ان يكون اسم السورة او اسما من اسماء الله تعالى او مفتاح اسمه
الصمد او صادق الوعد فان الواو ح يكون للعطف لا للقسم لانهم استكرهوا توارد القسمين على مقسم عليه واحد
قبل مضي جواب القسم الاول قوله او للسورة عطف على قوله للحرف قوله او لفظ الامر منصوب عطف على قوله اسما
قوله والعطف معطوف على قوله للقسم وجواب القسم محذوف دل عليه ما في ص من الدلالة على التحدي كانه قيل
اقسم بصاد انه لمعجز قوله او الامر بالمعادلة مجرور بالعطف على لفظ التحدي اي او دل عليه ما في ص من الدلالة على الامر
بالمعادلة فانه قد مر ان الواو للقسم على تقدير ان يجعل ص بكسر الدال لفظ الامر اي او لا بان يعارض القران بعمله و
ينقاد لجميع احكامه ثم اقسم بالقران ذي الذكر على ان القران لواجب العمل به فهذا الجواب يدل عليه ما في ص من الامر
بالمعادلة والمعارضة فقوله انه لمعجز او لواجب العمل به لف ونشر مرتب الاول متفرع على كون دليل الجواب التحدي و
الثاني متفرع على ان يكون الدليل الامر بالمعادلة وقوله او ان محمدا الصادق معطوف على قوله او لواجب العمل به فينبغي
ان يكون مدلولا عليه بما في ص من الدلالة على الامر بالمعادلة كانه قيل عارض القران بعملك اقسم بالقران على ان محمدا
الصادق فيما قال من ان القران كلام الله الموحى الي فيجب الانقياد لجميع تكاليفه قوله او قوله بل الذين كفروا عطف على
ما في ص يعني ان الجواب المحذوف هو قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه حذف لدلالة الاضراب المذكور بعده عليه
لان موضعه لنفي حكم سبق جمعه ونوهما واثبات ما ينافيه فينبغي ان يقدر قبله ما ينافيه كون الكفرة في تكبر عن قبول
الحق وانه عليه الصلوة والسلام ليس فيه ما يوجب الكفر به بل هو نبي صادق فيما ادعاه وانما كفر به من كفر لتكبره عن
قبول الحق وشقاقه اي خلافه وعداوته له عليه الصلوة والسلام قوله وعلى الاولين اي على ان يكون دليل الجواب
ما في ص من الدلالة على التحدي او من الدلالة على الامر بالمعادلة يكون الاضراب ايضا من الجواب المقدر لكن من حيث
اشعار ذلك الجواب بمعنى قوله ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه قوله او الشرف والشهرة قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقال ولقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم ويقال فلان مذكور في الناس اي مشهور قوله لدلالة على شدتها اي
على كونها في غاية القوة والعظم وكم في قوله تعالى كم اهلكنا في محل النصب على انه مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز ومن قبلهم
لابتداء الغاية والمعنى كم اهلكنا من قرن اي من امة من الامم الخالية فنادوا اي استغاثوا عند نزول العذاب و
حلول النقمة وقيل نادوا بالايمان والتوبة عند معاينة العذاب طلبا للخلاص فلم ينفعهم ذلك لكونه حالة الباس
وقوله ولات حين مناص جملة حالية من فاعل نادوا اي استغاثوا والحال انه لا مهرب ولا منجا وقراءة العامة
لات بفتح التاء وحين بالنصب على انه خبر لا المشبهة بليس واسمها محذوف اي ليس الحين حين مناص وقرار
ولما دخلت تاء التانيث على لا المشبهة بليس تغير بذلك حكمها حتى لم تدخل الا على الاحيان ولم يظهر الا احد منصوبيها اما
الاسم واما الخبر على حسب اختلاف القرائتين في حين بالرفع والنصب وامتنع ظهورهما جميعا فمن نصب جعل
تقديره ولات الحين حين مناص ومن رفع قال تقديره ولات حين مناص حاصلا لهم وهذا مذهب الخليل

وسيبويه وعند الاخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الاحيان وحين مناص منصوب
بها كانك ولات حين مناص حاصل لهم وعنده انها نافية للفعل المقدر بعدها وليست نافية للجنس وحين مناص منصوب
بذلك الفعل المقدر اي ولا ارى حين مناص لهم قوله وقرئ بالرفع على انه اسم لا بمعنى ليس وخبره محذوف او على
انه مبتدأ او خبره محذوف فقوله محذوف الخبر صفة لكل واحد من الاسم والمبتدأ ووجه من جعلها مشبهة بليس
ان تاء التانيث دخلت عليها وهي من خواص الفعل ولا ليست بفعل فوجب ان تكون مشبهة بالفعل ليصح
دخول تاء التانيث عليها ولا التي لنفي الجنس مشبهة بان طرف وهي ان فلذلك تعمل عملها فلا وجه لدخول التاء عليه
ووجه من جعلها نافية للجنس انها كثيرة الاستعمال ولا التي بمعنى ليس قليلة الاستعمال فالمناسب لفصاحة القرآن
ان يحمل ما فيه على الشايع الكثير لا على النادر القليل قوله وبالكسر اي وقرئ بكسر حين مناص كما كسر اوان في
قوله • طلبوا صلحنا ولات اوان • فاجبنا ان لات حين مناص • اي طلبوا الصلح منا والحال ان الاوان
ليس اوان صلح فاجبناهم ان ليس الحين حين ابقاء ومساهلة وضع البقاء موضع الابقاء كما وضع العطاء
موضع الاعطاء وذكر في توجيه القراءة بكسر حين وجهين الاول كونه مجرورا بلات فانه قد ذهب الفراء الى
ان لات يجر بها كما ان لولا تجر الضمائر ذكر في شرح الرضي في بحث لعل ان لولا الداخلة على الضمير المجرور حرف
جر لا متعلق لها عند سيبويه فلم لا يجوز ان تكون لات حين مناص ولات اوان من هذا القبيل وتمام البيت •
فاوحت بكفيها من الهودج • لولاك هذا العام لم احجج • والثاني يتوقف بيانه على بيان وجه الكسر في اوان
في البيت المذكور وبيان وجه الكسر فيه يتوقف على بيان كسر اذ في قوله • جا لك ايها القلب القريح • ستلقى من
تحبّ وتستريح • نهيتك عن طلابك ام عمرو • لعافية وانت اذ صحيح • اي الزم تحملك وحياءك وفارك
لاتجزع جزعا قبيحا فاني قد نهيتك عن مطالبتك اياها وذكرت لك سبب نهي عنها وهو سوء عاقبة الهوى
والتعشق وانت اذ ذاك اي زمان النهي صحيح القلب فلم تقبل نصحي ولم تنتبه بنهي فلا حيلة لك بعده سوى الصبر الجميل
ووجه كسر اذ فيه ان اصله اذ ذاك فحذف ذاك ووضع التنوين موضعه فالتقى ساكنان الذال والتنوين
فحرك الذال بالكسر لانه الاصل في تحريك الساكن فصار اذ ووجه كسر اوان ان اصله اوان صلح فحذف منه المضاف
اليه ووضع التنوين موضعه ثم كسرت النون المفتوحة وان لم يجتمع ساكنان تشبيها لاوان باذ لانه زمان
قطع عنه المضاف اليه ونون عوضا عنه كما في اذ فصار ولات اوان بالكسر والتنوين اذا تقرر هذا فنقول
ان حين وان لم يكن مقطوعا عن الاضافة منونا عوضا عنها حتى يشبه باذ في ذلك فيكسر حملا عليها الا انه لما كان
مضافا الى مناص المقطوع عن الاضافة المنون عوضا عنها صار كانه هو المقطوع عن الاضافة المنون
لتنزل المضاف والمضاف اليه منزلة شيء واحد بسبب الاضافة فلما كان الحين ظرفا منزلا منزلة المقطوع
عن الاضافة المنون عوضا عنها ناسب في ذلك لقوله لات اوان فكسر حملا عليه وهذا هو المراد بقول
المص ثم حمل عليه مناص اي حمل على حين في لات حين مناص حيث جعل مكسورا مثله وليس كلامه محمولا على

على ظاهره لانه قصد بيان وجه القراءة بكسر حين ولا كلام في كسر مناص ولو قال ثم حمل عليه الحين تنزيلا له منزلة
ما اضيف هو اليه وهو مناص لكان اظهر واسلم من المسامحة ولعل وجه ارتكابها تاييد تنزل المضاف والمضاف
اليه منزلة شيء واحد حتى صح بذلك ان يعبر بكل واحد منهما عن الآخر قوله ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن لا شك
ان الحين ليس بمضاف الى غير المتمكن حقيقة لانه مضاف الى مناص وهو اسم متمكن اي معرب فان معنى كون الاسم
فاكرات ره الرضي منه
متمكنا كونه معربا وان المضاف الى غير المتمكن هو المناص نظرا الى ان اصله حين مناصهم باضافة المناص
الى الضمير الذي هو غير متمكن وجعل اضافة المناص الى الضمير بمنزلة اضافة الحين اليه تنزيلا للمضاف والمضاف
اليه منزلة شيء واحد لما بينهما من الاتحاد بسبب الاضافة ولما بين وجه كسر حين على وجه ظهر انها ليست
بسبب اقتضاء العامل اياها بل كانت كسرة بنائية تعرض لوجه بنائه بقوله ثم بني الحين الخ فان قيل
لما جعل حين بمنزلة المقطوع عن الاضافة كفى ذلك سببا لبنائه كما ذكر في بناء قبل وبعد فاي حاجة الى
اعتبار كونه مضافا الى غير متمكن في وجه بنائه قلنا انما يكفي في بناء الاسم كونه مقطوعا عن الاضافة حقيقة
مثل قبل وبعد واما كونه بمنزلة المقطوع عنها بناء على اتحاده بما هو مقطوع عنها بوجه ما فلا يكفي ذلك
في سبب بنائه وان كفى في مناسبته باوان فلذلك احتيج في بنائه الى اعتبار اضافته الى غير المتمكن اي الى
غير المعرب وما قيل من ان الاضافة الى المضمر لا توجب البناء كما في غلامكم وغلامه يمكن دفعه بان يقال
سلمنا انها لا توجب البناء الا انه لا يلزم منه ان لا يكون مجوزا له فان مناسبة المبني تجوز البناء لكن يرد
عليه ما قيل من ان مناص اذا لم يبن مع كونه مقطوعا عن الاضافة وكون ما اضيف هو اليه غير متمكن واجتماع
الامرين فيه فلان لا يبنى الحين مع بعده عن غير المتمكن وعدم كونه مقطوعا عن الاضافة حقيقة اولى قوله
ولات بالكسر يعني ان جمهور القراء قرؤا بفتح تاء التانيث من لات حال الوصل وقرئ بكسرها ايضا كجير واما
حال الوقف فمنهم من يقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة ومنهم من يقف كما يقف على الفعل الذي يتصل
به تاء التانيث نحو علمت قوله ولا يرد عليه اشارة الى ما ذكره صاحب الكشاف من ان اتصال التاء بحين في مصحف
عثمان رضي لا يدل على زيادتها على حين لانه كم وقعت في الامام اشياء خارجة عن قياس الخط فلعل هذا
وان تشك في هذا الوجه وجواز ان يكون ما زيد على الكلمة ان الكلمة موصولة في الخط بما بعدها من الكلمة كم عهد في الامام منه
من جملتها اجاب عنه المص بانه امام المصاحف فالاصل اعتبار خطه والمتابعة به الا فيما قام الدليل على
مخالفته لقياس الخط مثل ان يوصل فيه الحرف ويدل الدليل على قطعه ويقطع ويدل الدليل على وصله فاذا
ثبت هنا ان التاء كتبت موصولة بحين يحكم بكونها مزيدة عليه اذ لا دليل يدل على خلافه لجواز ان يكون الحين
والتحين لغتين بمعنى ويدل عليه قوله • والعاطفون تحين لا من عاطف • اي حين لا من عاطف
قوله والمناص المنجا اي النجاة والغوث عن الخصم على انه مفعل من ناصه ينوصه اذا فاته اريد به المصدر ويقال
ناص ينوص اي هرب ويقال ايضا ناص اي تاخر ومنه ناص عن قرنه اي تاخر عنه جبنا والذي يفهم من تفسير
المص ان قوله سك فنادوا لا يعتبر تعلقه بالمفعول بمعنى انهم فعلوا النداء على طريق الاستغاثة او التوبة لطلب

النجاة والخلاص من العذاب والمعنى ان ليس الحين حين النجاة وقال الكلبي كانوا اذا قاتلوا فاضطروا نادى بعضهم
لبعض مناص اي عليكم بالفرار فلما اتاهم العذاب قالوا مناص فقال الله ولات حين مناص قال القشيري
فعلى هذا يكون التقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة ما بعده عليه وقيل فيكون قد حذف المفعول وهو بعضا وما
ينادوا به وهو مناص اي فنادوا بعضهم بهذا اللفظ قوله انه تعالى لما حكى عن الكفار ركونهم في عزة وشقاق اردفه
بشرح كلماتهم الفاسدة فقال وعجبوا ان جاءهم اي لان جاءهم او من ان جاءهم من انفسهم وقالوا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم ساوى لنا في الخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة فكيف يعقل
ان يختص من بيننا بهذا المنصب العالي فنسبوه الى السحر والكذب ثم تعجبوا من دعوته الى التوحيد بقولهم اجعل الالهة
الها واحدا فان الاستفهام فيه بمعنى التعجب ولهذا قالوا ان هذا لشيء عجاب والعجاب بمعنى العجيب وهو الامر الذي
يتعجب منه كالعجيب الا ان العجيب ابلغ منه والعجاب بالتشديد ابلغ من العجاب بالتخفيف كما يقال كرام وكرام كل ثان
ابلغ مما قبله قوله آلهة مفعول ثان لجعل لانه بمعنى صير اي اصير هم الها واحدا في قوله وزعمه لا في فعله لان جعل الامور
المتعددة شيئا واحدا بحسب الفعل محال اذ لا يقدر احد ان يجعل الجماعة انسانا واحدا مثلا قوله يسألونك السواء
اي العدل والتسوية يريد انك تسفه احلام قومك وتسب آلهتهم وتعيب دينهم وذلك خروج عن سنن العدل في
المعاملة معهم بل العدل ان لا تتعرض وان لا يتعرضوا لدينك قوله فلا تمل كل الميل عليهم اي لا تظلمهم بقتال ما عليه
اذ ظلمه قوله معطي اصله معطون اياي حذفت نون الاعراب باضافة اسم الفاعل الى ضمير المتكلم ثم قلبت
الواو ياء وادغمت وكسرت الطاء لاجل الياء قوله ويدين لكم اي يطيعكم من الدين بمعنى الطاعة ودان له اي اطاعه
قوله قالوا نعم وعشرا وعد منهم باعطائك الكلمة بشرط ان يتركهم ويدينون ولا يلزمهم العدول عن الشرك
والاذعان بالتوحيد فلما عين رسول الله صلى الله عليه وسلم مراده بالكلمة لزمهم الوفاء بما وعدوه وهو ان يقولوا
لا اله الا الله انا عطي عليه الصلوة والسلام اباهم ما سألوا من الفراغ عن دعوتهم الى التوحيد فكانه عليه الصلوة
والسلام قال لابد ان تسكنوا عن التوحيد والطاعة فهل انتم تسكتونه ان اعطيتكم ما سألتم قوله وانطلق
اشراف قريش يعني ان الملأ الاشراف لا مطلق الجماعة ويقال لهم ملأ لانهم اذا حضروا المجالس املأت العيون
من وجاهتهم والقلوب من مهابتهم قيل كانت الاشراف الذين حضروا مجلس ابي طالب خمسة وعشرون رجلا
من صناديد قريش اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قوله بعد ما بكتهم اي اسكتهم فان التبكيت اسكات الخصم
بالفصاحة والزام الحجة قوله قائلين اي بعضهم لبعض امشوا بيان لحاصل المعنى اورده ليتفرع عليه كون
ان مفسرة فان المفسرة لا تفسر الا مفعولا مقدرا للفظ دال على معنى القول وذلك اللفظ ههنا هو قوله وانطلق
الملأ فان الانطلاق عن مجلس التقاول يشعر بالقول فقوله قائلين بعضهم تصريح بما اشعر به انطلق وبيان
لحاصل المعنى لا تقدير للقول ليكون ان امشوا تفسير المفعوله على خلاف المختار فان المختار انه لا يجوز ان يفسر به
مفعول صريح القول ظاهرا كان او مقدرا عن الزمخشري انه قال واما فعل القول فيحكى بعد الكلام من غير ان

ان يتوسط بينهما حرف التفسير فلا يقال قلت له ان قم وذلك لان التفسير يقتضي سبق المبهم ليوضحه المفسر ويبين ان المراد
به ما هو ولا ابهام في مقول القول مبهما ثم تفسير بنفس المقول بل يعد طالبه فعل القول او الابتهال قلت له قم مثلا
وقد جوز بعضهم ذلك مستدلا بقوله ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله بتفسير المانع قوله ما امرتني به
وهو مفعول ظاهر بصريح القول واجيب بجواز كونه تفسير الضمير في به وهو مفعول ظاهر لامرتني الذي فيه معنى القول
ولا استدلال بالمحتمل وتمسك المجوز لتفسير بمفعول صريح القول ايضا بقوله وانطلق الملأ منهم ان امشوا فعال
التقدير قائلا بعضهم لبعض ان امشوا واجيب بان صريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول في عدم الظهور
او بان انطلق متضمن لمعنى القول لان المنطلقين عن مجلس يتذاكرون ما جرى فيه ويتكلمون به وحاصل الجواب
الثاني منع كونه تفسير الصريح القول المقدر ببيان انه تفسير لمفعول انطلق باعتبار تضمنه معنى القول ويرد عليه
ان تضمن انطلق معنى التقاول بما جرى في ذلك المجلس لا مدخل به في كون ان هذه مفسرة لمفعول انطلق
وانما يكون ذلك ان لو كان مدلول ان مما جرى بينهم في المجلس وليس كذلك وسكت المص عن تعلق قول
المنطلقين بما جرى في المجلس لئلا يرد عليه ما ذكر ولانه لا مدخل له فيما هو الغرض اصلا ولا هو لازم للانطلاق
عن مجلس التقاول قطعا وانما اللازم بحسب العادة المألوفة ان ينطلقوا مشاورين غير ساكتين فلذلك كان
ذلك مشعرا بالقول ومؤديا معناه مثل الامر في قولك اعزيك ان قم فقوله قائلين بعضهم لبعض تصريح بما اشعر به انطلق
وبيان لحاصل المعنى لا تقدير للقول ليكون امشوا تفسير المفعوله على خلاف المختار قوله وقيل المراد بالانطلاق عطف
على قوله لان الانطلاق فيكون وجها ثانيا لكون ان مفسرة للمفعول المقدر للفظ دال على معنى القول حاصل الوجه
الاول ان انطلاق الملأ معناه ذهابهم عن مجلس التقاول الا انه لما كانت عادة الذاهبين عنه ان ينطلقوا مشاورين
ولين غير ساكتين كان الانطلاق مشعرا بالقول فكانت كلمة ان مفسرة لمفعوله وحاصل الوجه الثاني ان الانطلاق
ليس بمعنى الذهاب عن مجلس التقاول بل هو بمعنى الاندفاع في الحديث والخوض فيه وهم حاضرون في ذلك
المجلس كما يقال انطلق لسانه اذا شرع في الكلام فجيء بان المفسرة تفسير القول المدلول عليه بالانطلاق بمعنى
الاندفاع في المقال والمعنى فقالوا امشوا اي اكثروا واجتمعوا على امركم الجوهري مشت المرأة تمشي مشاء بالمد اذا
كثر ولدها ومشت الشاء اذا كثر نسلها والماشية ايضا كثيرة الاولاد فقولهم امشوا ادعاء لهم بالكثرة
والازدياد والمراد بالاجتماع والاتفاق قوله وقرئ بغير ان وانطلق الملأ منهم امشوا على اضمار القول
اي قائلين امشوا فالخلاف ما اذا قرئ ان امشوا فانه لا يقدر القول في بل يشعر به انطلق كما مر وعن ابن مسعود
رضي يمشون ان اصبروا اي يقولون بان اصبروا قوله ان هذا الامر اي ازدياد اصحاب محمد عليه الصلوة والسلام وكلام
عمر رضي وامثاله وظهور دينه لشيء من نوائب الزمان اراده الله بنا فلا دافع له او يراد يجب ان يملك علينا فلا حيلة
لنا في دفعه الا الصبر على عبادة آلهتنا قوله في الملة التي ادركنا عليها اباءنا وهي ملة قريش ودينهم الذي هم عليه
فانها متأخرة عما تقدم عليها من الاديان والملل ويحتمل ان يراد بها ملة عيسى عليه الصلوة والسلام التي هي آخر الملل الكتابية

اكنفان بضم الكاف وتشديد النون وبعد الهاء جيم كانهن اربا سمعنا
واتما لم يجعله على الحال في الوصفين الاولين لانهم زعموا ان الشبه والعلة تشعر بانه لابد لهم لاء جميع وملة الملة جيد وجعله على الحال ليشعر الاستعمار الزعمو اباله الحنا نا سمعنا وصا الاشعار الثاني توحيد الحنا سمعنا في الملة الاخرة بعنون به توحيد الله تعالى ان الاول في الاولين نا في التبوتة بعنون الملة الاخرة على الحال في الثاني في السماع حمله على الحال والحيثية معا سمعنا فيها في ذلك نفي السماع والحيثية على الحال يحتمل نفي السماع فقط دون الحيثية ويحتمل نفي السماع الثالث نفي السماع والمراد في الوجه الثالث نفي السماع فقط محتملا للحيثية

وعلى التقديرين يكون في الملة ظرفا لغوا لسمعنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف على انه حال من الاسم الاشارة والملة الاخرة بمعنى الملة المترقبة اي ما سمعنا ان يتحدد مثل هذا ايعنون به توحيد الله تعالى كائنا في الملة المترقبة لما حكى الله تعالى عن المشركين قولهم هذا ساحر كذاب ذكر جملة ما عولوا عليه في اثبات كونه عليه الصلوة و السلام كذابا وهي ثلثة امور الاول ما يتعلق بالالهيات وهو قولهم اجعل الالهة الها واحدا الاية والثاني ما يتعلق بالنبوات وهو قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وهو استفهام انكار والذكر هنا القران انكروا اختصاصه بالوحي من بينهم مع مساواته لسائر افراد البشر في الذات والصفات والخلقة الظاهرة والاخلاق الباطنة فكيف يعقل اختصاصه بهذه الدرجة العالية والمنزلة الشريفة ويحتمل ان يريدوا بالذكر الشرف ويكون انزال الشرف عليه هو النبوة والرسالة وتقرير هذه الشبهة الفاسدة انهم قالوا النبوة اشرف المناصب فوجب ان لا تحصل الا لاشرف افراد الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم ليس اشرف الناس فوجب ان لا تحصل له النبوة والمقدمتان الاوليان صادقتان ولكن الثالثة كاذبة وسبب غلطهم في هذه المقدمة انهم ظنوا ان الشرف لا يكون الا بكثرة الاموال والاعوان وذلك باطل فان مراتب السعادة اعلاها الفضائل النفسانية واوسطها البدنية وادناها الخارجية كالنسب والمال والجاه وهم عكسوا القضية فظنوا ان اشرف الفضائل هي الخارجية فلما وجدوا المال والجاه عند غيره اكثر ظنوا ان غيره اشرف منه فلهذا انعقد هذا القياس الفاسد في افكارهم قوله وامثال ذلك القول الذي عولوا عليه في تكذيبه عليه الصلوة والسلام دليل على ان مبدا تكذيبهم لم يكن الا الحسد وذلك لان هذا القول صريح في ان الذي شق عليهم هو اختصاصه عليه الصلوة والسلام بشرف النبوة من بينهم وحرمانهم عنه والحطام ما يكسر من اليبس شبه الحظوظ العاجلة بالحطام في كونها معدة للزوال والفناء قوله في شك من القران او الوحي اي من القران المتلو او من اختصاصه بان اوحي اليه حكى الله تعالى عنهم اولا انهم يقولون على سبيل البت والقطع انه عليه الصلوة والسلام ساحر كذاب ثم حكى عنهم انهم يقولون على سبيل البت ايضا ان هذا الا اختلاق على معنى ان ما يدعيه من انه تعالى بعثه رسولا الى كافة الناس واوحى اليه ما كلفهم به في باب الاعتقاد والعمل افتعال وكذب ثم قال بل هم في شك من ذكري ترقيا في ذمهم فان الجهل الصرف اقرب الى الخلاص من مخالفة الحق عنادا وحسدا وسموا شاكين تشبيها لهم بالشاكين وتسمية القران ذكرا كثير في القران والكلام الحقي ذكر بمعنى انه مذكور بحقيته وان جعل الذكر مصدرا يكون الوحي الواقع في تفسيره بمعنى انه تكلمه بكلام حقيقة والظاهر ان مراد المص بهذا الاخير بيان ان الله تعالى انهم شاكون مترددون في حقية القران وفي انه تعالى ارسله واوحى اليه بناء على انهم حين نظروا الى نظم القران واعجازه والى سائر المعجزات الباهرة قالوا بحقيقتهما وحين نظروا الى لزوم كونهم تابعين بعد ما صاروا رؤساء متبوعين وعسر عليهم ترك العادات المالوفة ومخالفة الاباء الماضية قالوا ببطلانهما لكن لا على طريق الجزم به بل يظهرون صورة البت والقطع ببطلان امرهما على سبيل العناد والاستكبار عن الحق والتوغل في الحسد لا انهم

لا انهم يعتقدون بطلانهما لقوله تعالى بل هم في شك من ذكري فقوله تعالى حكاية عنهم ءانزل عليه الذكر من تتمة قولهم ان هذا الا اختلاق على انه تقرير وبيان له وقوله تعالى بل هم في شك اضراب عما حكى عنهم من التكذيب والانكار الحق على سبيل الجزم كانه قيل ليسوا بجازمين فيه بل هم في شك ثم اضرب عن كونهم على الشك بالانتقال عنه والاخذ فيما هو اهم وهو بيان انهم لا يستمرون عليه وانما يشكون الى ان يمسهم العذاب فقال بل لما يذوقوا عذاب فكانه قيل اعرض عن كلامهم وشكهم وانظر الى انه لا يدوم شكهم بل يزول ذلك اذا ذاقوا عذابي فان قول المص فاذا ذاقوه زال شكهم يدل على ان قوله بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن قوله بل هم في شك من ذكري قوله بل اعندهم خزائن رحمة اشارة الى ان ام منقطعة بمعنى بل وهمزة الاستفهام للانكار ومعنى بل فيه للاضراب عن ذمهم ببيان انهم شاكون مترددون بين الامرين وبيان انهم لا يستمرون على الشك الا الى ان يمسهم العذاب ومعنى الاستفهام فيه للانكار على قولهم ءانزل عليه الذكر من بيننا وعلى حسدهم على اختصاصه عليه الصلوة والسلام بمنصب النبوة والرسالة واشير باضافة خزائن الرحمة الى الرب العزيز الوهاب الى اختصاص ملك الخزائن به تعالى وانه هو المتصرف فيها ووصفه بالعزة وهي الغلبة والقهر الى بطلان زعمهم انهم احقاء بالنبوة منه صلى الله عليه وسلم لشرفهم وجاههم والمعنى انه القاهر الغالب على امره المستقل في تدبير امور خلقه يتصرف في خزائن رحمته كيف يشاء ليس لاحد ان يمنعه عن ذلك يهب لمن يشاء ما يشاء ومعنى المبالغة في صيغة الوهاب الاشارة الى خطر الموهبة وعظم قدرها وهي النبوة وفي جعلها رحمة موهوبة دلالة على انها ليست بمكتسبة بل هي موهوبة ربانية يختص بها من يشاء من عباده قوله ثم رشح ذلك اي رقى ما افاده قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك بان اضرب عن انكار ان يكون خزائن رحمته تعالى عندهم يملكونها ويتصرفون فيها حسبما يشاؤن الى انكار ان يكون لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائنه تعالى كانهم لا يملكون جزءا يسيرا من جملة خزائنه تعالى كيف يملك جميع خزائنه والمعارج جمع معراج وهو الة العروج واسبابها قوله وهو غاية التهكم بهم اي مضمون هذه الشرطية وعدهم في زمرة من يمكن لهم الارتقاء في الاسباب التي توصلهم الى السماء تهكم بهم فانهم لما ابرزوا انفسهم في صورة من له ملك السموات والارض وتعرضوا بما يتعلق به من تدبير امر الطلايع وقسمة الرحمة بينهم واشعروا بذلك ان عندهم من الحكمة ما يميزون به بين من هو حقيق باعطاء النبوة وبين من لا يليق به قيل لهم على طريق التهكم البليغ ان كان لهم ملك عالم الاجسام فليرتقوا في اسباب الارتقاء الى العرش وعن مجاهد وقتادة انه تعالى اراد بالاسباب ابواب السماء وطرقها من سماء الى سماء بناء على ان كل ما يوصلك الى شيء من باب او طريق فهو سببه وهذا امر توبيخ وتعجيز قوله وقيل المراد بالاسباب السموات استدل حكماء الاسلام بهذه الاية على ان الاجرام الفلكية وما اودع الله تعالى فيها من القوى والخواص اسباب لحوادث العالم السفلي لانه تعالى سمى الفلكيات اسبابا وذلك يدل على ما ذكرنا قوله اي هم جند ما اشارة الى ان جند خبر مبتدا محذوف وما مزيدة ومن الاحزاب صفته ومهزوم خبر ثان للمبتدا المقدر او صفة لجند وهنالك ظرف مهزوم

او صفة اخرى لجند وهو اشارة الى الموضع الذي تفاولوا وتخاوروا فيه بالكلمات السابقة وهو مكة
ان سيهزمون بمكة وهو اخبار بالغيب وقيل هنالك اشارة الى يوم بدر ومصارعهم فيه وقيل يوم الخندق
وقيل يوم فتح مكة اخبر الله تعالى نبيه وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين وهم من جملة الكفار المتحزبين على الرسل
فجاء هنا وبما بعد ذلك قوله وقيل للتعظيم لان ما المزيدة تستعمل تارة للتحقير كما في قولك مثلا ما وتارة للتعظيم كما
في قوله وحديث ما على قصره اي حديث عظيم على قصره ثم ان معنى التعظيم لما لم يكن مناسبا للمقام وبحصول الكلام
حمله على التهكم والتهكم ثم قال وهو لا يلايم ما بعده اي جعلها مزيدة للتعظيم على سبيل التهكم لا يلايم قوله مهزوم من
الاحزاب وانما الملايم له جعلها للتقليل قوله من الاحزاب بيان لقوله حيث وضعوا فيه انفسهم والانتداب
الوجه والمطاوعة يقال ندبه لامر فانتدب له اي دعاه له فاجاب فان هواهم الزايغ وحسدهم البالغ
مساخرة عما تقدم عليها من الاديان والملل ويحتمل ان يراد بها ملة عيسى عليه الصلوة والسلام التي هي اخر
ملل اهل الكتاب وعلى التقديرين يكون في الملة ظرفا لغوا لسمعنا ويجوز ان يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف
على انه حال من اسم الاشارة والملة الاخرة المترقبة اي ما سمعنا ان يجيء هذا في مثل ما يقولون به من توحيد الله تعالى كائنا
في الملة المترقبة لما حكى الله تعالى عن المشركين قولهم هذا ساحر كذاب ذكر جملة ما عولوا عليه في اثبات كونه
عليه الصلوة والسلام كاذبا وهي ثلثة امور الاول ما يتعلق بالالهيات وهو قولهم اجعل الالهة الها واحدا الآية
والثاني ما يتعلق بالنبوات وهو قولهم انزل عليه الذكر من بيننا وهو استفهام انكار والذكر ههنا القرآن انكروا
دعاهم لان يقولوا انزل عليه الذكر من بيننا فانتدبوا له ووضعوا انفسهم في مرتبة ان يقولوا ذلك العظيم فانه
لاستلزامه الاعتراض على مالك الملك والملكوت قول عظيم لا ينبغي لاحد ان يجترئ عليه ويضع نفسه في تلك المرتبة فمعنى
الآية على تقدير ان يكون هنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم هؤلاء الحمقى الذين وضعوا انفسهم فيما
هم ليسوا من اهله تراهم عن قريب مهزومين مكسورين لمن ابى لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور
الربانية او حلا تكترث بما يقولون ان لا تبال بترهات اقوالهم ثم انه تعالى لما وعد مشركي مكة بانهم جند ما من
الكفار المتحزبين على الرسل ذكر المتحزبين على الرسل المتقدمين على التفصيل ثم قال ان كل الا كذب الرسل فحق
عقاب تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل مشركوا قومك يا محمد جند قليل من جملة المتحزبين على الانبياء
وقد اهلكنا من تحزب قبلهم وهم اقوياء متكثرون عددا وعدة بالنسبة الى قومك فثق باحاطة علمنا بجميع
احوالهم وكمال قدرتنا على الانتقام منهم قوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •
يقال غني بالمكان اي اقام وغني اي عاش وقيل البيت • ماذا اؤمل بعد آل محرق • تركوا منازلهم وآل ايادِ • جرت
الرياح على مقر ديارهم • فكأنهم كانوا على ميعاد • قيل ان الشاعر اراد بالمحرق في هذا البيت امرء القيس فانه
يدعى محرقا ويلقب به ايضا عمرو بن هند لانه حرق مائة من بني تميم تسعة وتسعين من بني دارم وواحد
من البراجم ومحرق ايضا لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة سمي بذلك لانه اول من حرق العرب في

ديارهم فهم يدعون آل محرق يقال احرقه بالنار وحرقه بشدد للكثرة قوله وآل اياد اي آل عسكر عظيم له ميمنة
وميسرة يقال الميمنة العسكر وميسرته اياد والاياد ايضا التراب الذي يجعل حول الحوض والخباء يتقوى به او يمنع
به ماء المطر قوله مأخوذ من ثبات البيت المطنب يريد ان اصل ذو الاوتاد ان يستعمل في ثبات الخيمة باستناد الخباء
على اوتاد مركوزة في الارض فان اطنابها اذا اشتدت عليها كانت ثابتة فلا تقلعها الريح على الارض ولا تؤثر فيها
ثم استعير لثبات العز والملك اي فرعون الذي ثبت ملكه واستحكم بالاوتاد شبه ملك فرعون بالبيت المطنب استعارة
بالكناية واثبت له لوازم المشبه به وهي الاوتاد تخييلا وهذا التوجيه ظاهر في قوله في ظل ملك ثابت الاوتاد وانما
يظهر في الآية ان لو كان نظمها وفرعون صاحب ذي الاوتاد وان اريد بالاوتاد جموعه يكون الاوتاد استعارة
تصريحية قوله يضب اربع سواري جمع سارية وهي الاسطوانة فيكون الاوتاد حقيقة لا استعارة والظاهر ان عادوما
بعده معطوف على قوله قوم نوح وقوله اولئك الاحزاب جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والمعنى ان هؤلاء الذين
ذكرناهم من الامم هم الذين تحزبوا على انبيائهم فاهلكناهم وقومك ايضا من جنس هؤلاء في تحزبهم عليك واللام
في الاحزاب للعهد والمعهود هو الاحزاب المذكورون في قوله من الاحزاب يعني ان قوم نوح وعاد الى اخر المذكورين
هم الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم اي داخلا في جنسهم ومعدودا في عدادهم فذلك الجنس المقصود
بقوله اولئك الاحزاب بيان ما اجمل في قوله من الاحزاب حيث فصل طوايف وحكم عليهم بالتكذيب ثم بين ان
هؤلاء الطوايف هم الذين اجملهم بقوله من الاحزاب ووجه كون التكذيب المسند اليهم مبهما انه لم يصرح اولا انهم
كذبوا الرسل او غيرهم ولم يبين ايضا ان كل حزب كذب الرسل كلهم او بعضهم وهو الذي ارسل اليهم فقوله ان كل
الا كذب الرسل ازال ذلك الابهام وبين ان كل واحد منهم كذب جميع الرسل او كذب كل واحد منهم الرسول المبعوث
اليه الاول على ان يكون تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم من حيث ان الجميع في حكم الرسول الواحد نظرا الى
اتحاد المرسل والمرسل به والثاني على ان يكون قوله ان كل الا كذب الرسل من قبيل مقابلة الجمع بالجمع لتدل على
انقسام الاحاد الى الاحاد كما في قولك ركب القوم دوابهم وعلى التقديرين حصل البيان لما اسند اليهم على الابهام
وهذا البيان مشتمل على التاكيد من وجوه الاول مجرد تكرير الاخبار بتكذيبهم والثاني انه ذكر تكذيبهم اولا على
الابهام ثم اوضحه بايراد الجملة الاستثنائية والثالث انه نوع اسناد التكذيب اليهم اولا بالجملة الخبرية و
ثانيا بالجملة الاستثنائية والرابع انه تعالى اثبت لهم التكذيب في الجملة الاستثنائية على وجه التاكيد والتخصيص
فانها تدل على ان كل واحد منهم ليس له صفة غير كونه مكذبا للرسل وهو اثبات التكذيب لكل واحد منهم بطريق
قصره على صفة التكذيب واكد من مجرد اثبات التكذيب له المقصود من تاكيد اسناد التكذيب اليهم
بهذا الوجه التسجيل على استحقاقهم العذاب قوله وما ينتظر قومك يعني ان ينظر بمعنى ينتظر كما في قوله تعالى انظرونا
نقتبس من نوركم وان هؤلاء اشارة الى كفار مكة او الى كل الاحزاب المذكورين ولما ورد ان يقال كيف يشار
باولئك الى كل الاحزاب والاصل في اسم الاشارة ان يشار به الى المشاهد المحسوس اجاب عنه بقوله فانهم

رسول الفتح ... بمعنى اسطوانة ... جارية [illegible]

[illegible]

كالحضور لا كالحاضرين على انه جمع حاضر كقعود وقاعد وتقريره انه قد يشار به الى غير المحسوس لتنزيله منزلة المحسوس تشبيها له بالمحسوس كتنزيل سبق ذكره منزلة حضوره قال الفرزدق في هجو جرير • اولئك اباى فجئني بمثلهم • اذا جمعتنا يا جرير المجامع • نزل اباءه الماضين منزلة الحضور ثم اشار اليهم كما يشار الى المشاهد المحسوس واهل مكة والاحزاب المتقدمون ليسوا منتظرين لان تاتيهم الصيحة الاولى بعينها الا انهم جعلوا منتظرين لها تنبيها على قربها منهم فان الرجل انما ينتظر الشيء او يمد طرفه اليه يترقب في كل آن حضوره اذا كان ذلك الشيء في غاية القرب منه واشير بجعل الاحزاب منتظرين لها الى ان ما اصابهم في الدنيا من عذاب الاستئصال كانه ليس شيئا يعتد به في باب العقوبة بل العقوبة التي يستحقونها انما تنالهم حال النفخة الاولى وبعدها **قوله** ما لها من فواق يجوز ان يكون لها رافعا لفواق من فواق بالفاعلية لاعتماده على النفي وان يكون جملة من المبتدأ والخبر وعلى التقديرين فالجملة المنفية في محل النصب صفة لصيحة ومن مزيدة والمعنى ما ينتظر هؤلاء الا صيحة واحدة صفتها انه اذا جاءت لا تتوقف ولا تتأخر مقدار فواق وهو زمان ما بين الحلبتين فان الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب فما بين الحلبتين من الزمان يسمى فواقا فان فسر الفواق في الآية بهذا المعنى احتيج الى تقدير المضاف الذي هو صفة لموصوف مقدر والتقدير ما لها من توقف مقدار فواق ففي الكلام حذف الموصوف مع صفته وعن ابن عباس رضي الله عنه انه فسر قوله تعالى ما لها من فواق بقوله ما لها من رجوع ورد من افاق المريض اذا رجع الى الصحة كما ان الجواب من الاجابة فلا يحتاج الى الحذف والتقدير فيكون ما لها من فواق صفة مؤكدة لوحدة الصيحة والمعنى انها صيحة واحدة فحسب لا تثنى ولا ترد بان يتخلل بينهما انقطاع وسكون ويقال الكل من بقي على حالة واحدة انه لا يفيق منها ولا يستفيق واذا رجع الى الحالة الاولى يقال افاق واستفاق فالفواق على هذا التفسير بمعنى المصدر وعلى الاول اسم لزمان معين **قوله** فان فيه يرجع اللبن الى الضرع يعني ان الفواق بالمعنى الاول فيه معنى الرجوع ايضا فان ما بين الحلبتين من الزمان هو الزمان الذي يرجع فيه اللبن الى الضرع فالفواق بهذا المعنى مأخوذ من الفواق بمعنى المصدر وهو الرجوع **قوله** وهما لغتان بمعنى قال الواحدي الفواق والفواق اسمان من الافاقة معناه الرجوع والسكون كافاقة المريض الا ان الفواق بالفتح يجوز ان يقام مقام المصدر والفواق بالضم اسم لذلك الزمان الذي يعود فيه اللبن الى الضرع **قوله** قسطنا من العذاب فان القطة في اللغة النصيب من القط وهو القطع والنصيب لما قطعة من الشيء او سميت كتب الجوائز قططا لانهم كانوا يكتبون الانصباء من العطايا في الصحايف قال ابن عباس رضي الله عنه قطنا من العذاب كما قال اخبارا عنهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال قتادة يقولون ذلك استهزاء وتكذيبا وقال سعيد بن جبير وغيره لما ذكر لهم ما في الجنة قالوا عجل لنا نصيبا منها في الدنيا وقال مقاتل والكلبي لما نزل قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالت كفار قريش زعمت محمد انا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا قطنا قبل يوم الحساب تكذيبا له واعلم ان القوم تعجبوا من ثلثة اولها امر النبوة وثبوتها ذكره تعالى بقوله وعجبوا

١٧٢

ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب وبقولهم انزل عليه الذكر من بيننا وثانيها يتعلق بالالهيات وهو قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وثالثها يتعلق بالمعاد والحشر وهو قوله تعالى ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقالوا ذلك استهزاء وكان معظم انكارهم متعلقا بالقول بالمعاد حتى كانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد نبوته عليه الصلوة والسلام فكان يتأذى منهم اشد التأذي فامره الله تعالى بالصبر على سفاهتهم فقال اصبر على ما يقولون **قوله** واذكر لهم على ان قوله تعالى واذكر من الذكر باللسان وقوله او تذكر على انه من التذكر العقلي الجوهري يقال ذكرت الشيء بعد النسيان وذكرت بلساني ولما كان عطف قوله تعالى واذكر عبدنا داود على قوله واصبر على ما يقولون يقتضي ان يكون لاحدهما تعلق بالاخر ومناسبة بين المعطوف وجه المناسبة والتعلق بينهما بوجهين الاول انه تعالى امره عليه الصلوة والسلام اولا بالصبر على سفاهتهم ثم قال له لا تكتف بذلك بل عظهم وذكر لهم قصة داود عليه الصلوة والسلام وعظهم بذلك ان معصية الله تعالى في اعينهم ليعلموا ان داود مع كونه عظيم القدر عند الله تعالى لما صدرت عنه المعصية لم يزل باكيا نادما مستغفرا الى ان فارق الدنيا فلعلهم يؤمنون لان كفرهم اعظم من ذنب داود لا محالة والثاني ما ذكره المصنف بقوله او تذكر قصته وصن نفسك **قوله** اي بصيرة روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال انما كان ذنب داود ان سال اوريا ان ينزل عن امرأته ويتزوجها ففعل وكان ذلك مباحا عندهم وربما كان الانصار يفعلون ذلك في زمان اوريا فخطبها فخطب داود على خطبته ولما قتل اوريا لم يجزن عليه وعن علي رضي الله عنه قال من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهي حد الفرية على الانبياء عليهم الصلوة والسلام **قوله** دخلت الملائكة بالتمثيل والتعريض حيث تحاكموا اليه في واقعة تشبه واقعته مع اوريا ليحكم بقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فتقوم عليه الحجة والالزام بحكمه ذلك فان التحاكم اليه على الوجه المذكور تعريض له **قوله** يقال آيد وهو صفة مشبهة من آد الرجل يئيد ايدا اي اشتد وقوي وذو الايد وذو الآد وذو الاياد بمعنى ايد **قوله** دليل على ان المراد به القوة في الدين اي في امر الدين وما يتعلق بالعبادة لا قوة البدن لان كونه رجاعا الى مرضاة الله تعالى لا يستلزم كونه قوي البدن **قوله** قد مر تفسيره قال في سورة الانبياء في قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير اي يقدسن الله تعالى اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير كان قائلا قال كيف سخرهن فقال يسبحن ومع متعلقة بسخرنا او يسبحن اي سخرنا الجبال كائنة مع داود او يسبحن مع داود اذا سبح اي كلما سبح داود سبح معه الجبال والطير وقال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا وهي تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان داود اذا فتر يسمعه الله تعالى تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه وذكر في كيفية تسبيح الجبال وجوه الاول ان الله تعالى يخلق في جسم الجبل حيوة وعقلا وقدرة ونطقا فيسبح الله تعالى كما يسبح الاحياء العقلاء والثاني قال القفال ان داود عليه الصلوة والسلام اوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن وما يصغي اليه الطير حسنه فيكون دوي الجبال وتسبيح الطير معه واصغاؤها اليه تسبيحها

فان قلت كما ان القوة مطلقا يحتاج في تقييده وتخصيصه الى دليل كذلك كون الاواب فانه بمعنى الرجاع مطلقا فلا بد في تخصيصه وحمله على معنى الرجاع الى مرضاة الله تعالى من دليل مخصص قلت نعم ان مفهوم الاواب مطلق ايضا لكن اذا اسند الى الانبياء او الى اوليائه يفهم منه بحسب العرف الرجوع الى طاعة الله تعالى ومرضاته لا يتبادر الذهن الا الى هذا المعنى منه

وروي ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه مثل صوت داود حتى انه كان اذا قرأ الزبور دنت منه الوحوش حتى توخذ
باعناقها وهي مصغية الى صوته والثالث ان يسبحن بمعنى يسبحن من السباحة وهي السير والتقلب شبه لكثرته على
ما روي ان الله تعالى سخر الجبال حتى انها كانت تسير معه حيث سار داود وقيل لما سارت الجبال معه بتسبيح الله تعالى اياها
وكان ذلك سببا حاملا لمن رآها كذلك على التسبيح فيجيا اسند التسبيح اليها مجازا قوله يسبحن حال وضع موضع مسبحات
فان قوله تعالى انا سخرنا الجبال اخبار عما مضى فيكون قوله تعالى يسبحن حالا من الجبال يقتضي ان يقع تسبيحها واقعا فيما مضى
لوقوع عاملها فيه فالظاهر ان يقال مسبحات لكن عدل عنه الى يسبحن على حكاية الحال في نظر السامع فيشاهد حدوث
التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء ويتعجب من القدرة الربانية وروى طاوس ان ابن عباس رضي قال لاصحابه هل
تجدون صلوة الضحى في القران قالوا لا فتلا قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق كانت صلوة يصليها داود عليه الصلوة
والسلام وروي عن ابن عباس رضي انه قال كنت امر بهذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي حتى حدثتني
ام هانئ بنت ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ
هذه صلوة الاشراق وروي انه عليه الصلوة والسلام دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات ثم قال يا ام هانئ
هذه صلوة الاشراق وهذه الرواية اصح وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله
تعالى له قصرا من ذهب في الجنة رواه الترمذي من حديث انس بن مالك وقال حديث غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى منكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة
وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ من ذلك ركعتان واصل السلامى بضم السين عظام الاصابع
والاكف والارجل ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال خلق كل
احد من بني آدم على ستين وثلثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا
عن طريق الناس وامر بمعروف ونهى عن منكر عدد تلك الستين وثلثمائة سلامى فانه يمشي يومئذ وقد زحزح
نفسه عن النار ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى اي يكفي من هذه الصدقات عن الاعضاء ركعتان
وذلك لان الصلوة عمل بجميع الاعضاء التي في البدن فاذا صلى المرء فقد ادى ما عليه من شكر اعضائه وعن ابي
هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد
البحر وهذا كله يدل على ان اقل الضحى ركعتان واكثره ثنتا عشرة ركعة والله تعالى اعلم قال القاضي ابو بكر بن
العربي ومن الناس من بادر بها قبل الاشراق وذلك يكون في الضحى او بعده بقليل وهو الوقت المتوسط بين
طلوع الشمس وزوالها استعجالا لاجل شغله فانه مسيء في ذلك لانه يصليها في الوقت المنهي عنه ويأتي بعمل هو
عليه لا له فان صلوة الضحى نافلة مستحبة وهي في الغداة بازاء صلوة العصر في العشي لا ينبغي ان تصلى حتى تبيض
الشمس طالعة ويرتفع كدرها وتشرق بنورها كما لا يصلى العصر اذا اصفرت وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلوة الاوابين حين ترمض الفصال من الضحى والمعنى ان صلوة الضحى يصلى

يصلي اذا وجد الفصيل حر الشمس من الرمضاء اي من الارض التي اشتد حرها من شدة وقع الشمس عليها فان
الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره يقال رمض يومنا بالكسر يرمض رمضا اي اشتد حره وارض رمضة الحجارة
وفرق بين شروق الشمس واشراقها بانه يقال شرقت شروقا اذا طلعت واشرقت اشراقا اذا اضاءت
وتناهى ضوؤها وزال كدرها بالكلية قوله والطير محشورة الجمهور على نصبهما على ان الطير معطوف على الجبال
ومحشورة على يسبحن اي وسخرنا له الطير مجموعة اليه من كل ناحية تسبح الله تعالى معه ولم يراع المطابقة بين الحالين
ولم يقل والطير يحشرن بلفظ الفعل ليطابق قوله يسبحن لان الاصل في الموضعين ان يؤتى على لفظ اسم الفاعل
ليطابق قوله سخرنا الا انه عدل في التسبيح الى لفظ المضارع للدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء
كما ذكر آنفا وهذه الدلالة غير مقصودة في الحشر فجيء على لفظ اسم الفاعل وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن
لدل على ان الحشر يوجد من حاشرها شيئا فشيئا والحاشر هو الله تعالى ولا نكتة في اعتبار التدرج في حشره الله تعالى
بل الحشر جملة واحدة ادل على القدرة عن ابن عباس رضي قال كان عليه الصلوة والسلام اذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت اليه الطيور فسبحت معه فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة برفعهما على انها جملة مستقلة
من المبتدأ والخبر قوله لاجل تسبيحه اشارة الى ان ضمير له راجع الى داود وبحذف المضاف والى ان هذه الجملة الاسمية
كما تدل على موافقتهما لداود في التسبيح تدل ايضا على دوام موافقتهما له وثباتهما عليه لان اوابا صيغة
المبالغة وهي انما تكون بالدوام والثبات على التسبيح بخلاف قوله يسبحن معه فانه انما يدل على مجرد الموافقة و
المعية ثم ذكر انه يجوز ان يكون ضمير له راجعا الى الله تعالى والاواب صيغة المبالغة فمعناه كثير الاوب والرجوع والمراد
كثير الرجوع الى التسبيح بشهادة المقام وجعل الرجاع الى التسبيح كناية عن المرجع للتسبيح المكرر له المواظب عليه
حيث قال مرجع لاجل الله التسبيح لان كثرة الرجوع الى التسبيح لازم لمن هو مرجع للتسبيح مكثر له لان المرجع
للشيء رجاع اليه يفعله مرة بعد اخرى قوله وكثرة الجنود روي عن ابن عباس رضي قال كان يحرسه كل ليلة
ستة وثلثون الف رجل وقيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف رجل مستلئم يحرسونه والمراد بالمحراب الغرفة و
المستلئم لابس اللامة وهي الدرع فمن كان كذلك لا جرم يكون اشد ملوك الارض سلطانا قوله قيل ان رجلا ادعى
على اخر بقرة فقال داود للمدعى عليه ما تقول فجحد فقال للمدعي الك بينة فقال لا فقال لهما داود قوما حتى انظر في امركما
فاوحى الله تعالى الى داود في منامه ان يقتل المدعى عليه فقال هذه رؤيا ولست اعجل حتى اتثبت فاوحى اليه
ثانية فلم يفعل فاوحى الله اليه الثالثة ان يقتله او تاتيه العقوبة فارسل داود اليه فقال ان الله تعالى اوحى الي
ان اقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال لا تعجل
حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته غيلة فلذلك اخذت فامر به
داود عليه الصلوة والسلام فقتل فاشتدت هيبة داود عند ذلك في قلوب بني اسرائيل واشتد به ملكه
فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه هكذا في اكثر كتب التفسير وروى المص ان المدعى عليه اقر بامر بين فقتل الى المدعي

وبهذا المعنى انما يحصل الاسم لا بمجرد التسخير على ما قال صاحب الكشاف [illegible]

غيلة واخذ النبوة الجوهرة النفيسة ان يجدع صاحبه فيذهب به الى موضع فاذا صار اليه قتله **قوله** الحكمة
النبوة كذا فسرها ابن عباس رض وهي في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية و
اكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر الطاقة البشرية **قوله** وفصل الخصام على ان يكون الفصل
بمعنى القطع ويكون عبارة عن تخاطب الخصمين وتخاصمهما ومن المعلوم ان قطع الخصام متفرع على تمييز
ما هو الحق منهما عن المبطل والحق عن الباطل **قوله** والكلام الملخص على ان يكون الفصل بمعنى المفصول كالضرب
الامير لمضروبه فمعنى فصل الخطاب على هذا الخطاب المفصول اي الكلام المتبين الذي لا التباس فيه وضد الكلام
الملتبس الذي لا يتبين به المراد **قوله** يراعى فيه بدل او عطف بيان لقوله بينة المخاطب ويجوز ان يكون فصل
بمعنى فاصل كما يقال رجل عدل وزور وصوم بمعنى عادل وزائر وصائم فقوله فصل الخطاب بمعنى الخطاب
الفاصل بين الحق والباطل ويؤيد هذا الاحتمال قوله وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة
له فان المتكلم اذا اراد ان يتكلم في الامر الذي له شان يفتتح الكلام بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض
المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد قال بعض المفسرين ان داود عليه الصلوة والسلام اول
من قال في كلامه اما بعد ان صح هذا القول لم يكن ذلك منه بالعربية على هذا النظم وانما كان بلسانه والله اعلم وقال علي
بن ابي طالب رض فصل الخطاب ان يطلب البينة من المدعي وتكليف اليمين على من انكر قالوا ان داود عليه
الصلوة والسلام كان يقضي لوحي الله تعالى ثم ان الله تعالى ارخى سلسلة من السماء وامره بان يقضي بها بين الناس
فمن كان على الحق يأخذ السلسلة ومن كان ظالما لا يقدر على اخذ السلسلة واتفق ان رجلا غصب من رجل
آخر لؤلؤا فجعل اللؤلؤ في جوف عصاه ثم خاصمه المدعي الى داود عليه الصلوة والسلام فقال ان هذا قد اخذ مني
لؤلؤا واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه خذ مني العصا فاخذ عصاه وقال اني قد
دفعت اللؤلؤ واني صادق في مقالتي فجاء واخذ السلسلة فتحير داود في ذلك فرفعت السلسلة وامر عليه
الصلوة والسلام ان يقضي بالبينات والايمان فذلك قوله تعالى وآتيناه الحكمة يعني الفهم والعلم وقيل النبوة وفصل
الخطاب يعني القضاء بالبينات والايمان على المدعى عليهم وهو قول قتادة والحسن كذا في تفسير الامام ابي الليث
قوله فصل لا نزر ولا هذر اي وسط لا قليل ولا كثير فقوله لا نزر ولا هذر صفتان كاشفتان للفصل ويجوز
ان يكونا صفتين مستقلتين بان يكون الفصل بمعنى الفاصل والمعنى فصل بين الحق والباطل ومع هذا
لا نزر ولا هذر يقال هذر في منطقه يهذر ويهذر هذرا والاسم الهذر بالتحريك وهو الهذيان والرجل هذر
بالكسر وهذرة على مثال همزة وهذار ومهذار اي كثير الكلام والنزر القليل التافه وقد نزر الشيء بالضم
ينزر نزارة **قوله** استفهام معناه التعجب فان القصة الغير المعلومة للمخاطب اذا استفهم عنه المخاطب يكون
المقصود من الاستفهام عنها التنبيه على جلالتها وكونها قصة عجيبة من شانها الاصغاء اليها والاعتبار
بها ووجه التنبيه على ذلك ان المقصود من مثل هذا الاستفهام حمل المخاطب على الاقرار بانه لم يسمعها واقراره

واقراره بذلك يتضمن الاقرار بانه محتاج الى سماعها والاطلاع عليها فان المرء مترقب لما انبئه مشتوق الى نبئه
فيؤ الاستفهام عنها تشويق الى استماعها لكونها من الانباء العجيبة التي حقها ان تشيع ولا تخفى على احد **قوله**
والخصم في الاصل مصدر جواب عما يقال المراد بالخصم هنا الجماعة بدليل قوله تعالى اذ تسوروا واذ دخلوا عليه
وقوله ففزع منهم فكيف اطلاق لفظ الخصم على الجمع فاجاب بانه مصدر خصمه يخصمه خصما ثم صار فيه ضيفا و
(ما لفظه ان يقال لبناء الخصماء)
المصدر يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى حديث ضيف ابرهيم المكرمين قيل كانت الجماعة
جبرئيل وميكائيل ومن معهما على صورة المدعي والمدعى عليه والشهود والمزكين **قوله** تفعل من السور كتسنم
يقال تسنمت وتذربت اذا علوت السنام والذروة فكذا تسور معناه صعد السور وعلاه وحائط المدينة و
(والسور)
ويطلق على كل حائط مرتفع ولما كان المراد به هنا حائط محرابه عبر بتسور المحراب ليعلم ان الخصوم اتوه من
سور محرابه والمراد من المحراب البيت الذي كان داود عليه السلام يدخل فيه ويشتغل بعبادة ربه فيكان
ذلك البيت غرفة وسمي ذلك البيت محرابا لاشتماله على المحراب على طريق تسمية الشيء باشرف اجزائه وكان داود
عليه الصلوة والسلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما لخواص امور نفسه و
يوما للوعظ فلما تزوج عليه الصلوة والسلام امرأة اوريا ودخل بها بعث الله تعالى جبرئيل وميكائيل ومن معهما
على صورة الانسان لينبهاه على زلته فطلبا ان يدخلا عليه من باب الغرفة فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب
فنزلوا عليه من فوق وهو متجرد للعبادة **قوله** اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا الظاهر ان تحاكم الخصم الى الحاكم
واحتكامهم اليه لا يكون وقت التسور بل بعده الا ان يراد بوقت التسور زمان ممتد يسع فيه جميع الاعراض
المطلوبة منه **قوله** او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود اي على ان يكون التسور هو وقت النبأ المخبر
عنه لا النبأ بمعنى الخبر المتعلق به للعلم بان الوقت الواقع في عهد داود عليه الصلوة والسلام المخبر عنها الواقع
في عهد داود فانها واقعة في وقت التسور فيجوز ان يتعلق اذ تسوروا بمعنى القصة المخبر عنها لوقوعها في وقت
التسور بخلاف النبأ بمعنى الخبر المتعلق بتلك القصة فانه غير واقع في وقت التسور فلا يجوز الظرف بالنبأ بمعنى
الخبر ان يتعلق روي ذلك عن بعض المعربين منهم ابو البقاء ومكي فانهم جعلوا اذ معمولا للنبأ اذا لم يرد به القصة
والمعنى هل اتاك الخبر الواقع في وقت تسورهم المحراب ورده صاحب الكشاف بان النبأ بمعنى المصدر الواقع في
ذلك الوقت وان جاز ان يعمل في قوله اذ تسوروا الا ان ذلك النبأ لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الانتقال
فرع التحجر بالذات وما وقع فيه عرض لا يتحجر بالذات واجاب عنه المص بان عدم صحة اتيان نفس ذلك النبأ لا يستلزم
عدم كون النبأ عاملا في اذ لجواز ان يعمل فيه ويقدر مضاف يصح اتيانه اي هل اتاك قصة نبأ الخصم وهو تحاكمهم الواقع
في ذلك العهد والآتي هو قصة ذلك النبأ ويحتمل ان يكون العامل هو النبأ بمعنى القصة نفسها كما ذكر الشريف المحقق
في حواشي المطول ناقلا عن بعض الادباء ان نحو القصة والنبأ والحديث والخبر يجوز اعمالها في الظرف خاصة و
ان لم يرد بها معنى مصدري كقوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب وهل اتاك حديث ضيف ابرهيم

فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف
يستقيم ذلك قلت معنى خصمان فريقان والدليل
عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض
ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم
فان قلت فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل
على اثنين قلت هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا
على بعض فان قلت فقد جاء في الرواية انه
بعث اليه ملكان قلت معناه ان التحاكم كان
بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما الحروف
فان قلت فاذا كان التحاكم بين اثنين والخصم
كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ الخصم
وخصمان قلت لما كان صحب كل واحد من
المتحاكمين في صورة الخصم صحت التسمية به
كشاف

فان قلت بم انتصب اذ قلت لا يخلو اما ان ينتصب باتاك
او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ انتصابه باتاك
لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ... [illegible]
الا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع
في عهد داود وعدم لا يصح اتيانه رسول الله ... [illegible]
اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي
ان ينتصب بمحذوف تقديره وهل اتاك نبأ تحاكم
الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه من معنى
الفعل
كشاف

المكرمين اذ دخلوا عليه والسر في جواز الاعمال تضمن معانيها الحصول والكون انتهى قوله او ظرف لتسوروا
فيه ان الدخول لم يكن وقت التسور الا ان يجعل وقت التسور على الزمان الممتد قوله لكن فوجان متخاصمان اشار قوله
ان خصمان خبر مبتدا محذوف وان خصمان صفة لمحذوف مثنى من حيث اللفظ ومجموع من حيث المعنى ليحصل
الانطباق بين صيغة التثنية في قوله خصمان وبين ما مر من ان المراد بالخصم الجماعة اطلق عليها لفظ
الخصم لكونه مصدرا في الاصل فلذلك جمع الضمير الراجع اليه في قوله اذ تسوروا واذ دخلوا وحاصل الانطباق انه
اطلق لفظ الخصم على جمع الجماعة ثم جعلهم خصمين على تاويل الفريقين والجماعتين قوله على تسمية مصاحب
الخصم خصما جواب عما يقال كيف جعل الجماعة باسرهم خصما مع ان التخاصم والتحاكم حقيقة انما كان بين اثنين
منهم ويدل عليه قوله ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة الآية قوله على الفرض وقصد التعريض جواب عما يقال
كيف قالا بغى بعضنا على بعض وهما ملكان على ما هو المشهور والملائكة لا يقع منهم البغي على احد فكيف
على بعضهم فهذا الكلام منهما كذب والملائكة معصومون من الكذب واجاب بانه انما يلزم الكذب ان لو اراد
الاخبار بصدور البغي عنهما حقيقة وليس كذلك بل المقصود فرض المسئلة وتصويرها في انفسهم كانهم في صورة
بني آدم تحاكموا الى داود بان مثلوا قصته او ريا مع داود بقصة رجل له نعجة وللآخر تسع وتسعون نعجة فاراد
صاحبه ان يتم نعاجه مائة بضم نعجة اخيه الى نعاجه ليجيب صاحب النعجة الواحدة بان يقول له والله لقد ظلمك صاحبك
فيما فعل وارتكب فعلا قبيحا وطمعا شنيعا حتى ينبه الملائكة اياه على زلته بان يقولوا له فقد اعترفت بجوابك
هذا بانك قد ظلمت اوريا في ارادة تزوج امرأته الواحدة على نسائك التسع والتسعين وقرأ الجمهور
لا تشطط بضم التاء وكسر الطاء الاولى وفك الادغام وهو احد الجائزين كقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
من اشطط في القضية اشطاطا اذا جار فيها وبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء الاولى
من شطت الدار تشط وتشط شطا وشطوطا اي بعدت وقرئ ولا تشطط على بناء التفعيل للتكثير
وقرئ ولا تشاطط على بناء المفاعلة وكلها من الشطط وهو مجاوزة الحد والمقصود من الامر والنهي استعطاف
فلما قال الآخر ذلك قال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي اي على ديني وطريقتي وقوله اخي يجوز ان يكون بدلا
من هذا وان يكون خبر ان ما بعده وان يكون خبرا ان ويكون ما بعده استينافا قوله وقد يكنى بها عن المرأة اي يعبر بها
عنها على سبيل الاستعارة ثم اشار الى وجه ايثار طريقة الاستعارة على التصريح باسم المرأة بقوله والكناية
والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ في التوبيخ وذلك لان مقصود الملكين بما فعلا ليس حقيقة التحاكم و
التخاصم بل المراد ابرازهما في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعة داود مع اوريا وهي
انه عليه الصلوة والسلام ود ان تكون امرأة اوريا له على وجه المباح المشروع مع ان عنده امثال
تلك المرأة وان يعرضا تلك الواقعة اليه ليحكم بحكم يلزم منه اعترافه بكونه مثل من حكم عليه في ترك الاولى و
ينبه لزلته فيشتغل بالتوبة والاستغفار فلما كان مقصود الملكين التعريض بحاله عنه كان المناسب ان يكني
عن

يعني ان المقصود ... انه لو فرض انه لو بغى بعض على بعض بالطريق المذكور كيف كان حكمه [illegible] على سبيل الفرض منه

عن المرأة لا ان يصرح بها لان الكناية عنها داخلة في التعريض والتورية من التصريح ثم الوجه في اختيار طريق التعريض
ان التعريض ابلغ في التوبيخ الذي هو المقصود من حيث انه اذا انتبه على جنايته بالتامل والمقايسة لما افتضح فيه
كان ذلك اوقع في نفسه واجلب لحيائه وحيائه مع ما فيه من حسن مراعاة الادب قوله اجعلني اكفلها اي اعولها
وانفق عليها والمعنى طلقها لا تزوجها او اعطنيها واجعلها كفلي اي نصيبي قوله وغلبني في مخاطبته اياي فيكون
الخطاب مصدر خاطب بالكلام اي غلبني في المخاطبة بان اتى بما لا اقدر على رده من الجدال او على ان يكون
مصدر خاطب المبني للمغالبة في الخطبة بان تصدر للخطبة من كل واحد منهما على قصد ان يغلب صاحبه ويغتنم
بالخطوبة دونه قوله على تخفيف غريب حيث حذف احد الزائين من عزني تخفيفا كما ظلت ومست في ظللت
ومسست كراهة التضعيف الا ان تخفيف عزني لم يشتهر مثل تخفيفهما قوله ولعله قال ذلك بعد اعترافه جواب
عما يقال كيف قال داود لقد ظلمك اخوك بسؤال نعجتك قبل ان يسمع كلام صاحبه والحال ان المسارعة الى تصديق
احد الخصمين قبل سماع كلام الآخر لا وجه له وتقرير الجواب انه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يذكر في
القرآن لكونه معلوما وروي انه اعترف به وقال انا اريد ان آخذها منه واكمل نعاجي مائة فقال داود عليه الصلوة
والسلام ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا واشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود انت الذي فعلت
هذا ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان الامر كما قلت وقال الامام ابو منصور
فتشهد الشهود بذلك فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك مضمومة الى نعاجه قوله اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف
قونس الفرس اي اضربن فحذف النون الخفيفة فبقيت الباء مفتوحة قوله طارقها بدل من الهموم بدل البعض
وقونس عظم ناتئ بين اذني الفرس وهو موضع ناصيته اي ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها
كما تضرب بالسيف قونس فرس العدو عند اقبالها واللام في ليبغي على ان تكون النون الخفيفة محذوفة مقدرة
لام جواب قسم محذوف وعلى الاول لام تاكيد قوله ما هم قليل يعني ان هم مبتدا وقليل خبره قدم عليه للاهتمام
به وما مزيدة للابهام وفيه تعجب من قلة الموصوفين بالايمان واصلاح العمل قوله وظن داود وقالوا
معناه وعلم داود وايقن انا ابتليناه بالذنب قيل حمل الظن ههنا على العلم لان داود عليه الصلوة والسلام
لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وقيل صعدا الى
السماء وهو ينظر ويقولان قضى الرجل على نفسه فاغتنم لذلك قوله الشركاء الذين خلطوا اموالهم مبني على ان
داود حمل النعجة على حقيقتها ولم يجعلها مستعارة للمرأة لان خلط الاموال والشركة فيها لا تتاتى في النساء
الخلائط فعلى هذا يكون قول احد الخصمين عزني في الخطاب معناه غلبني في مخاطبة الحجاج والجدال بان
اورد علي بحجاج لم اقدر ان ارد عليه ما اورده به وان فسر الخطاب بالمغالبة في الخطبة كما اشار اليه
بقوله او في مغالبته اياي في الخطبة يكون النعجة مستعارة للمرأة ويكون قوله عليه الصلوة والسلام وان
كثيرا من الخلطاء مبنيا على انه عليه الصلوة والسلام شبه حالهم بحال الخلطاء من حيث اطلاع بعضهم على ما

في يد الاخر ثم قال كل ما يملك احد الخلطا ان الاصحاب من الاشيا المرغوب فيها يطلع عليه صاحبه فيرغب فيه فيبغي ذلك
الى المخاصمة ويبغي بعضهم على بعض وقال اكثر الاصحاب هكذا **قوله** واقصى ما في هذه القصة الخ قال الامام للناس
في هذه القصة ثلثة اقوال احدها ان هذه القصة دلت على صدور الكبيرة عنه وثانيها انها دلت على الصغيرة وثالثها
انها لا تدل على كبيرة ولا على صغيرة اما القول الاول فهو انه قيل ان داود احب امرأة اوريا فاحتال في قتل زوجها بان
ارسله الى غزوات حتى استشهد ثم تزوجها ثم ارسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعته
مع اوريا وعرضا تلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنبا ثم تنبه لذلك فاشتغل بالتوبة وابطل
الامام هذا القول بوجوه منها ان الله تعالى وصفه قبل شرح هذه القصة وبعدها باوصاف تنافي كونه عليه الصلوة
متصفا بهذا الفعل المنكر وبعد ما ابطله بالدلائل القاطعة قال ان قال قائل ان كثيرا من اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا
هذه القصة فكيف الحال فيها واجاب عنها بوجوه منها ان المفسرين كلهم لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون والمحققون
يردونه ويحكمون عليه بالكذب واذا تعارضت اقوال المفسرين والمحدثين تساقطت وبقي الرجوع فيه الى الدلائل
التي ذكرناها والقول الثاني وهو الذي يدل على صدور الصغيرة عنه فيه روايات الاولى ان هذه المرأة خطبها
اوريا فاجابوه بالقبول ثم خطبها داود فاثره اهلها فكان ذنبه ان خطب اخيه المؤمن مع كثرة نسائه والثانية قالوا
انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها ثم اتفق ان قتل زوجها في جهاد اعداء الله تعالى وكان بعث الجيش للجهاد فرضا عليه
وكان زوجها من جملة من تعين للجهاد فبعثه معهم لاسقاط الواجب عن ذمته من غير ان يتوهم منه قصد قتله
وهلاكه وكان وقع بصره عليها من غير قصد ليس بذنب وكذا ميل القلب اليها عقيب النظر لان الاحتراز عنه غير مقدور
للبشر الا انه لما بلغ خبر قتل زوجها الى داود لم يجزع عليه كما جزع على ساير من قتل من جنده ثم تزوج امرأته فعاتبه
الله تعالى على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله تعالى والثالثة انه كان اهل زمان داود عليه
الصلوة والسلام يسال بعضهم بعضا ان يطلق زوجته حتى يتزوجها وكان ذلك عادة معهودة فيهم فاتفق ان عين
داود وقعت على تلك المرأة فاحبها فسأله النزول فاستحيى ان يرده ففعل وهي ام سليمان فعوتب به لما ان ذلك
لا يليق به فان حسنات الابرار سيئات المقربين فعلى كل واحدة من هذه الروايات الثلث لم يلزم في حق داود الا
الافضل والاولى والقول الثالث وهو حمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه ايجاب كبيرة ولا صغيرة لداود بل
يوجب الحاق مدح عظيم به وهو انه روي ان جماعة من الاعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود وكان له يوم يخلو
فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده
اقواما يمنعونه عنهم فخافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس في لفظ
القران ما يمكن ان يحتج به في الحاق الذنب بداود الا الفاظ اربعة احدها قوله وظن داود انما فتناه و
ثانيها قوله فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب ورابعها فغفرنا له ذلك ثم قال وهذه الالفاظ لا يدل شيء منها على
ما ذكروه من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق وعلم داود عليه الصلوة والسلام
منهم

منهم ذلك دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم ثم دعاه علو شانه في الفضل والكرم الى ان يميل الى الصفح والتجاوز
عنهم طلبا لمرضاة الله تعالى فهي المراد بالفتنة المذكورة بقوله انما فتناه لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه
استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم والثاني انه
وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم يتعين منهم ان قصدهم ذلك
بئس ما ظننت في حقهم بهذا الظن الرديء فنزل منزلة الابتلاء والامتحان فاستغفر ربه واناب فغفر له ذلك والثالث
دخولهم عليه كان فتنة لداود حيث دخلوا عليه ليقتلوه الا انه عليه الصلوة والسلام استغفر لمن عزم على قتله ورجع
الى الله تعالى في طلب المغفرة لذلك العازم فقوله تعالى فغفرنا له ذلك معناه ح فغفرنا ذلك الذنب عنه لاجل حرمة داود
وقدره عندنا ولم نرد شفاعته وذكر غير ذلك من الاحتمالات ثم قال فاذا حملت الاية على احد هذه المحامل لم يلزم
اسناد شيء من الذنوب الى داود وحملها عليها اولى مع انه تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود فان قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اظهروا السفاهة حيث قالوا انه ساحر كذاب في واختلاق
واستهزاءه حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال تعالى في اول الاية اصبر على ما يقولون وتحمل
منهم ما كان من وجوه سفاهتهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون ولا تظهر الغضب وعطف عليه قوله واذكر عبدنا
داود فهذا الذكر انما يحسن اذا كان داود عليه الصلوة والسلام قد صبر على اذاهم وتحمل سفاهتهم وحلم ولم يظهر
الطيش والغضب وهذا المعنى انما يحصل اذا حملنا الاية على ما ذكرناه بخلاف ما اذا حملت على ما ذكروه فان
الكلام ح يصير متناقضا **قوله** استخلفناك على الملك فيها او جعلناك خليفة ان اهل تصرف نافذ الحكم في اهل الارض
ونوضح خلافة الارض اليك على ان يكون لفظ الخليفة عبارة عن الملك النافذ الحكم وهذا المعنى يقال للرجل انه
خليفة تعالى في ارضه بمعنى انه استخلف من قبله بحيث جعله ملكا للناس وليس المعنى انه يخلف الله تعالى في امر التصرف
لان الخلافة عن الغير انما تكون اذا كان الغير ممن يتصور فيه الغيبة فان خليفة الرجل من يخلفه بعد غيبته
والحاصل ان الخلافة المجعولة لداود ان كان المراد بها كونه خليفة ممن قبله من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى
وتبليغ احكامه الى الناس فالامر ظاهر لانه كان يخلف من تقدمه فيما هم عليه وان كان المراد بها كونه خليفة الله تعالى
يكون المعنى كونه مالكا للتصرف بتمليك الله تعالى ذلك اياه كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها وقوله
تعالى يا داود دعا على اضمار القول والتقدير له وقلنا له يا داود انا جعلناك خليفة وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة
كما هي قبلها لم تتغير **قوله** فيضلك منصوب على جواب النهي و فاعل يضلك ضمير الهوى او ضمير المصدر المفهوم من لا تتبع اي
فيضلك الهوى او اتباعه عن سبيل الله الذي امرك بسلوكه وهو اتباع الحق في امورك او اتباع الدلائل التي نصبها
على الحق **قوله** بسبب نسيانهم يعني ان ما مصدرية وان الباء جارة متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به قوله
لهم فيصير نسيانهم يوم الحساب بضلالهم عن سبيل الله التي هي دلائله المنصوبة على الحق لكونه نسيانه مسببا
للضلال المذكور كانه قيل ان من ضل عن سبيله استقر له عذاب شديد بسبب ضلاله المسبب عن نسيانه

بعم الحساب فان المسند اليه اذا كان اسما موصولا صلته فعل يكون اتصاف المسند اليه بمضمون تلك الصلة
سببا لاتصافه بالمحكوم به سببا بالنسيان كان ذلك لكون النسيان سببا للسبب في ذلك الاتصاف فكان الظاهر ان
يقال مع هوان النسيان سبب ضلالهم الا انه قال هو نفس ضلالهم للمبالغة في سببية النسيان لذلك الضلال
بحيث صار كانه نفس الضلال ثم كون نسيان اليوم نفس الضلال عن السبيل بان تذكر اليوم يقتضي سلوك السبيل و
اتباع الدليل المستلزم لملازمة الحق وهي لغة الهوى **قوله** خلقا باطلا على ان قوله باطلا صلة صفة مصدر محذوف
وعلى قوله او ذو باطل يكون في موضع الحال من فاعل خلقنا والباطل ما لا يبتني على حكمة بالغة وغرض صحيح و
يحتمل ان يكون حالا من مفعول خلقنا اي ما خلقنا ذلك عاريا عن الحكمة وعلى قوله او للباطل يكون باطلا في موضع المفعول
له بوضع الصفة موضع المصدر اي ما خلقنا ذلك عبثا ولعبا وانما خلقناه للحق المبين وهو العمل بمقتضى الدليل
من التوحيد والتدرع بالشرع فخلاصة المعنى ما خلقنا المكلفين وما ينوط به انتظام احوالهم للاهمال فلا آمرهم
ولا انهيهم بل خلقتهم لامتحنهم واكلفهم ثم امتيز بين من اطاع منهم وعصى بان اثيب المحسن واعاقب المسيء و
المجازاة على حسب اعمالهم لا تتحقق في هذه الحيوة العاجلة ودار الدنيا لانها دار تكليف وعناء وما فيها من اللذة
مشوبة بانواع من المحنة والبلاء والسعيد فيها من خالف الهوى وصرف جميع اوقاته في طلب مرضاة المولى فثبت
ان صفاء هذه الحيوة مشوبة بانواع الكدر وان هذه الدار لا تصلح ان تكون دار جزاء بل هي دار تكليف وابتلاء فلا بد
من دار اخرى يكون دار جزاء ويكون منافعها منفعة صافية عن الكدر ويكون مضارها مضرة محضة عارية عن جميع وجوه
الخير والاستراحة فالمقصود من الاية الاستدلال على انه لا بد من يوم البعث والحساب وان السعادة منوطة
بتذكره وجعله نصب العين والتاهب له بملازمة الطاعات والاعمال الصالحة وان الشقي من نسيه وترك
العمل بما يسعده فيه وانما قال كون باطلا مفعولا له مبني على اعتبار كونه موضوعا موضع المصدر لما تقرر في النحو
ان شرط حذف اللام من المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل فلا بد ان يكون مصدرا او مأولا فلذلك
جعل الباطل بمعنى العبث واللعب وجعله موضوعا موضعه **قوله** مثل هنيئا في كون الصفة موضوعة موضع
المصدر فان هنيئا صفة لمصدر محذوف اي اكلوه اكلا هنيئا حذف المصدر ووضع هنيئا موضعه **قوله** بسبب
هذا الظن يعني ان قوله فويل جواب شرط محذوف حكم اولا بان خلق جميع ما خلقه الله تعالى من الكائنات خلقا
باطلا لا حكمة فيه مظنون كفار مكة ثم قال فاذا كان مظنونهم هذا فويل اي فشدة عذاب حاصل لهم بسبب
ظنهم انه لا حكمة لله تعالى في خلق هذه المخلوقات **قوله** ام منقطعة متضمنة معنى بل وهمزة الانكار استدل اولا على
انه لا بد من قيام الساعة وتحقق يوم البعث والجزاء والحساب بقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
باطلا ثم اضرب عن هذا الدليل واقام دليلا آخر عليه فقال ام نجعل الذين امنوا الاية اي لا نجعل من امن واطاع
كمن كفر وعصى ولا من اتقى وتجنب عن كل ما يؤثم كمن اجرم واجترح السيئات **قوله** ليدل على نفي انه تعالى خلقها
عبثا متعلق بقوله لانكار التسوية فان التسوية بين الفريقين لما كانت من لوازم خلقها باطلا وتعلق الانكار
بهذا

بهذا اللازم كان انكاره ونفيه دليلا على انكار اللزوم ونفيه جعل اولا عطف الفريقين الاولين من قبيل
عطف الذوات وثانيا من قبيل عطف الصفات **قوله** والغالب فيها عكس ما يقتضيه الحكمة فيه فان الحكمة تقتضي
ان يكون الفضل والفوز للمؤمن المتقي والويل والخيبة للمفسد الفاجر والغالب في الدنيا ان يكون امر التفاضل
على عكس هذا بان يكون المؤمن في الضيق والعناء والكافر في الوسعة والرخاء **قوله تعالى** كتاب خبر مبتدأ
محذوف اي هذا الكتاب وانزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ محذوف او خبر ثان ولا يجوز ان يكون صفة
ثانية على الاصح لانه لا يجوز عند الجمهور ان يتقدم النعت الغير الصريح على الصريح ومن تردد في ذلك استدل بهذه الاية
والاستدلال بالمحتمل وقوله ليدبروا متعلق بانزلناه واصله ليتدبروا فادغمت التاء في الدال وقرئ على
الاصل ليتدبروا وبتاء الخطاب وتخفيف الدال اصلها لتتدبروا بتائين فحذفت احديهما قال الحسن تدبر اياته
اتباعه يقال دبره اي تبعه والدابر التابع وعليه قراءة والليل اذا دبر اي تبع النهار قبله فيكون التدبر بمعنى الاتباع
على ما يدبر ظاهر النظم اي يتبعه من التأويلات الصحيحة فالتدبر كالتعقل والتحتم في كونها للاخذ في اصل الفعل
لنفسه وفي الاية دلالة على وجوب معرفة القرآن باحكامه ومواعظه **قوله** وليتذكروا اعلم ان يكون التذكر
بمعنى استحضار ما ذهل عنه مع بقاء ارتسامه في المدرك لكن انقطع التفاته اليه لا الى حد النسيان حتى يحتاج
في تحصيله الى تجشم كسب جديد وتحصيل استعداد آخر بترتيب المقدمات المناسبة له والاحكام الاجتهادية
وان كانت مستنبطة من النص بتعدية حكمه الى غير المنصوص فيه لكنها كالمركوز في عقول اهل الاستنباط من حيث
تمكنهم من معرفتها بما عندهم من النصوص الواردة فيما يشاركه موضع الاجتهاد في العلة فاستنباطها مما
تلك النصوص يشبه استحضار المذهول عنه فاحتمل لذلك ان يراد بالتذكر الاستنباط المذكور مجازا
قوله اذ ما بعده تعليل للمدح لا تعيين المخصوص بالمدح انه سليمان مع ان بعض المفسرين قال انه داود و
النقدير نعم العبد داود دينا على انه قد تقدم وصفه بهذا المعنى حيث قال داود ذا الايد انه اواب استدل المص
على ما اختاره بان ما بعد هذا المدح تعليل له وهو من حال سليمان كانه قيل انما استحق المدح لانه اواب اذ عرض
عليه اي على سليمان فان ضمير عليه لسليمان عند الجمهور فيكون الممدوح هو سليمان لا غير **قوله** مرجع له للتسبيح يريد ان
اواب يجوز ان يكون كناية عن انه مكثر للتسبيح لان من كان مكثر الشيء يلزمه ان يكون رجاعا اليه فكنى بذكر انه رجاع له
التسبيح عن ملزومه **قوله** ظرف لاواب او لنعم الاول يستلزم تقييد وصفه بكونه اوابا بوقت العرض والثاني
يستلزم تقييد مدحه بذلك الوقت وكل واحد منهما لا يلائم مقام المدح والاسلم ان يجعل ظرفا لاذكر مقدرا **قوله** بعد الظهر
وقيل ابتداء العشي من العصر الى آخر النهار والعشي ظرف متعلق بعرض وفي الصحاح الصافن من الخيل القائم
على ثلث قوائم وقد اقام الرابعة على طرف الحافر ومنه قول الشاعر • الف الصفون فما يزال كانه • مما يقوم على
الثلث كسيرا • يريد ان هذا الفرس الف القيام على ثلث قوائم وسنبك الرابعة وكسيرا منصوب بما يزال وقيل حال
من الضمير في قوله مما يقوم كانه من جنس ما يقوم على ثلث قوائم في حال كونه كسير القائمة الاخرى وقيل الصافن هو الذي

يحج بيديه ويبتويها من الصفن وهو الجمع بين الشيئين ضما احدهما الى الآخر ومنه قوله عليه الصلوة والسلام من سره
ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار اى واقفين صافين اقدامهم قوله جمع جواد او جود ويقال جاد
الفرس يجود جودة فهو جواد اى يجود بالعدو ويسرع فى الجرى ويقال فرس جواد اى كثير الجرى تشبيها له بالمطر الجود وقيل
الجواد هو الذى يجود بالركض اى العدو ويجمع على جياد كخوص وحياض وسوط وسياط والصفون صفة لازمة
له وعن ابن عباس رضى الجياد الخيل السوابق وصفها بالصفون والجودة ليصفها بوصفين محمودين واقفة و
جارية يعنى انها اذا وقفت كانت صافنات واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها قوله فاستعرضها اى طلب عرضها
عليه يوما بعد ما صلى الصلوة الاولى وجلس على كرسيه فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر وقيل عن
ورد من الذكر كان له بالعشى وتهيبه قومه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها متقربا الى الله تعالى خبر امتنانه وقيل لما عقرها
ابدله الله تعالى خيرا منها وهو الريح تجرى بامره قوله لانه بمعنى آثرت وهو يتعدى بعلى فيقال آثرت هذا على ذاك فينبغى ان يعدى
احببت ايضا بعلى فيقال احببت هذا اى آثرته على ذاك واستحب ايضا يستعمل بمعنى آثر قال تعالى فاستحبوا العمى على الهدى
فالاصل على هذا ان يقال انى احببت حب الخير على ذكر ربى الا انه ضمن احببت معنى انبت فعدى تعديته كانه قيل
انبت حب الخير عن ذكر ربى اى جعلته نائبا عنه وقيل فى وجه تعديته بعن انه بمعنى تقاعدت من قولهم احب البعير
اذا سقط وبرك من الاعياء قال الشاعر تبا لمن بالهون قد اتبا مثل بعير السوء اذا احبا اى لزم المكان ولم يبرح
عنه بالضرب ونحوه وقوله تبا من التباب وهو الهلاك والتب اى اقام ولزم وحب الخير على هذا مفعول له والمعنى قعدت
عن ذكر ربى من اجل حب الخير قوله اى غربت الشمس يعنى ان ضمير توارت للشمس وان لم يسبق لها ذكر صريحا الا
انها فى حكم المذكور لذكر العشى قبلها ولا شىء ابتوارى فى غيرها وقيل الضمير للصافنات وتواريها بالحجاب استتارها
بظلمة الليل او بدخولها فى اصطبلاتها وغيرها فيها وحتى غاية لقوله احببت قوله شبه غروبها يعنى ان التوارى لكونه
من الافعال التى حقها ان تسند الى الفاعل المختار والشمس ليست من ذوات الاختيار لا يمكن ان يحمل التوارى
الذى اسند اليها على معناه الاصلى فلا بد ان يجعل توارت من قبيل الاستعارة التبعية بان يشبه الغروب
بالتوارى ويذكر التوارى ويراد الغروب ويشتق من التوارى بهذا المعنى لفظ توارت فيكون استعارة تبعية
والفاء فى قوله فطفق مسحا فصيحة والتقدير فردوها فطفق وهو من افعال المقاربة الدالة على شروع
فاعلها فى مضمون الخبر ومسحا منصوب بفعل مقدر هو خبر طفق اى اخذ يمسح مسحا لان خبر هذه الافعال يكون
فعلا مضارعا فى الاغلب والباء فى قوله بالسوق مزيدة كما فى قوله تعالى فامسحوا برؤوسكم فان مسحت رأسه
وبرأسه بمعنى واحد والسوق جمع ساق مثل اسد جمع اسد فالمعنى فاخذ يمسح السيف سوقها واعناقها
اى يقطعها كما يقال مسح السيف علاوته والعلاوة رأس الانسان ما دام فى عنقه يقال ضرب علاوته اى قطع
رأسه اصله سوق على وزن فعل بواو ساكنة قبلها ضمة ابدلت الواو همزة مع انها ليست بمضمومة تنزيلا لضمة
السين قبلها منزلة ضمها كما ابدلت الواو همزة فى موسى لذلك قوله وعن ابن كثير بالسؤق على همزة الواو لضمة
على وزن فعل

صفونا بالنون الحديث من رواية ابى
داود عن ابى مجلز قال خرج معاوية على ابن
عامر وعلى ابن الزبير فقام ابن عامر وجلس
ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فانى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوأ
مقعده من النار وعند الترمذى قال خرج معاوية
فقام عبد الله ابن الزبير وابن صفوان حين
راياه فقال اجلسا فانى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من سره ان يتمثل له الرجال
قياما فليتبوأ مقعده من النار طيبي

وبما يدل على التناسب اذ الحجاب جدار دون ...
بسبب تغيب الشمس عنا ...

قال صاحب التيسير فى تفسير سورة النمل قرأ قنبل
ساقيها وفى ص بالسؤق وفى الفتح على سؤقه
بالهمزة فى الثلثة والباقون بغير همزة ...
وقنبل والزبير يرويان عن ابن كثير ...
نقالون والزبير والشذ الباقون من الشيوخ
شنقدون على القراءة بغير همزة على تقدير صاحب
التيسير

لضمة ما قبلها كمؤسى وعن ابى عمرو بالسؤوق على وزن فعول جعلت الواو المضمومة من سووق كما فى اجوه وادؤر
اصلها وجوه وادور قوله الضمير المنصوب فى ردوها للصافنات لما فاتته صلوة العصر لاشتغاله بالنظر الى تلك
الخيل استردها وعقر سوقها واعناقها تقربا الى الله تعالى وبقى منها مائة فالخيل التى فى ايدى الناس اليوم من نسل
تلك المائة وقيل ردوها خطاب للملائكة والضمير المنصوب للشمس اى قال للملائكة ردوا الشمس لاصلى العصر قالوا
فردت الشمس فطفق هو واصحابه يمسحون سوقهم واعناقهم بالماء وضوءا للصلوة واستبعد الامام هذا
القول من وجوه الاول ان الصافنات مذكورة صريحا بخلاف الشمس وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى
غير المذكور والثانى انه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتته صلوة العصر كان ذلك ذنبا عظيما يستوجب
التضرع والبكاء والمبالغة فى اظهار التوبة لا ان يقول على سبيل التعظيم ردوا الشمس على مع ان الملائكة لا يقد
رون على رد الشمس ولا يقدر على ردها الا رب العالمين فكان الظاهر ان يقول على سبيل التضرع يا رب ردها على
وايضا لو رجعت الشمس بعد الغروب لشاهده اهل الدنيا كلهم ولنقل ذلك الينا على سبيل الشهرة والشيوع
وحيث لم ينقل كذلك علمنا فساده واستبعد القول الاول ايضا بوجوه منها انه لو كان مسح السوق والاعناق
عبارة عن قطعها لكان معنى قوله تعالى فامسحوا برؤوسكم اقطعوها وهذا لا يقوله عاقل ومنها ان القائلين بهذا القول
جمعوا على سليمان عليه الصلوة والسلام انواعا من القبائح كترك الصلوة واستيلاء حب الدنيا عليه مع ان
حبها رأس كل خطيئة ومنها ان الامر لو كان كذلك لوجب عليه ان يستغفر ويتوب وحكى الله تعالى عنه ذكر وحكم
بل حكى عنه انه اتبع هذه المعاصى بعقر الخيل من سوقها واعناقها مع ان ذبح الحيوان منهى عنه الا لماكلة ثم قال ان
هذه القصص انما ذكر الله تعالى عقيب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب والكفار لما بلغوا فى السفاهة
الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم اصبر يا محمد على سفاهتهم واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة
سليمان فكان التقدير انه تعالى قال يا محمد عليه الصلوة والسلام يا محمد اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا سليمان وهذا
الكلام انما يليق بهذا المقام اذا قلنا ان سليمان عليه الصلوة والسلام اتى فى هذه القصة بالاعمال الفاضلة
والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى واعرض عن الشهوات واللذات الفانية فلو كان المقصود من
قصة سليمان فى هذا الموضع بيان انه اقدم على المعاصى والافعال القبيحة لم يكن لذكرها فى هذا الموضع وجه ثم قال
والصواب ان يقال ان رباط الخيل كان مندوبا اليه فى دينهم كما هو مندوب اليه فى شرعنا ثم ان سليمان احتاج
الى الغزو فجلس على كرسيه وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر انى لا احبها لاجل حظ النفس وانما احبها
لامر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربى ثم انه عليه الصلوة والسلام امر باجرائها وتسييرها
حتى توارت بالحجاب غابت عن بصره ثم انه عليه الصلوة والسلام امر الرائضين بان يردوها فردوا تلك الخيل
اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض تشريفا وابانة لعزتها لكونها من اعظم الاعوان فى
قهر الاعداء واعلاء الدين ثم قال لفظ الآية لا يدل على شىء مما ذكره القوم مع ان الدلائل الكثيرة قامت على

عصمة الانبياء عليهم الصلوة والسلام ولم يدل على صحة هذه الحكايات دليل قاطع ورواية احاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان وليس فيه نسبة شيء من تلك المنكرات الى سليمان فهو احق بالقبول والله اعلم بالصواب **قوله** انه قال لاطوفن سبعين امرأة في الكشاف والمعالم الليلة فلما جامعهن ولم يخرج له منهن الا مولود جاءت به القابلة فالقته على كرسيه فلذلك قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا **قوله** فاجتمعت الشياطين على قتله وذلك انهم كانوا يقدرون في انفسهم انهم يتخلصون مما هم فيه من تسخير سليمان اياهم على التكاليف الشاقة والاعمال المستمرة الدائمة بموته فلما ولد له ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك عما نحن فيه من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم سليمان بذلك فامر السحاب حتى حملته الريح وغذاه ورباه في جو ما من مضرة الشياطين فابتلاه الله تعالى لاجل خوفه هذا او عدم توكله في امر ابنه على ربه العزيز بموت ابنه حيث مات في السحاب والقي ميتا على كرسيه فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه وعلى القول بان فتنته وعتابه لترك الاستثناء فالجسد الملقى على كرسيه هو شق غلام اي نصفه فانه لما ولد جيء به وهو على كرسيه موضع على كرسيه **قوله** مع ولائدها جمع وليدة وهي الامة ويطلق على الصبية **قوله** وخرج الى فلاة وهي المفازة فامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره ومن غفلته عن حال اهله فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم رجع الى داره وكانت له ام ولد اي **قوله** يتكفف اي يستكف ويطلب الكفاف وهو القوت من الرزق ثم عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى سمكتيه بارغفة وشوى الاخرى فاكلها فمكث بذلك اربعين صباحا عدة ما كان عبد الوثن في داره فلما مضى اربعين صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر وكان صاحب البحر وقذف الخاتم في البحر وقيل لما وصل الى البحر وقع الخاتم منه في البحر فابتلعته سمكة واخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشي اعطاه سمكتين فاعطى السمكة التي اخذت الخاتم فبقر سليمان بطنها ليشوي بها فوجد الخاتم في بطنها فتختم به اي **قوله** لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك حيث تمثل بصورة سليمان ولم يكن هو فكان جسدا محضا وصورة بلا معنى **قوله** لاتخاذ التماثيل كان جائزا في الاديان الى قوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل **قوله** ليكون معجزة في مناسبة لحاله جواب عما يقال كيف يصح له ان يسأل ملكا لا ينبغي لاحد ولا يكون لغيره وهو يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة والمنافسة فيها وهي الرغبة يقال نافسوا فيه اي رغبوا وتقرير الجواب انه عليه الصلوة والسلام اراد ان يطلب من ربه معجزة فطلب معجزة مناسبة لحاله وهو ان يكون ملكه ملكا خارجا عن حد ملك الملوك خارقا للعادة بالغا حد الاعجاز ليكون دليلا على نبوته فان المبعوث اليهم ولن يكون معجزة الا بان يكون خارقا للعادات فذلك معنى سؤاله ملكا بهذه الصفة وليس فيه ما يشبه الحسد والحرص على الاستقلال بالنعمة وانما طلبه ليكون معجزة له مناسبة لحاله فاجاب الله تعالى دعاءه

دعاءه بان سخر له ما لم يسخره لاحد من الملوك الرياح والشياطين والطير وسخر له من الملوك ما لم يتيسر لغيره مثل ذلك فانه روي انه ورث ملك ابيه داود في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث قليلا حتى هلك ثم سار الى مرو ثم الى بلاد الترك وجاز بلاد الصين ثم رجع الى بلاد الفرس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام وامر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وتفقد الطير وكان من حديثه مع صاحبة صنعاء ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وافرنجة ونواحيها والله اعلم بحقيقة الحال **قوله** او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني ويقوم غيري فيه مقامي لانه يوهب غيره بمثله **قوله** او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته اي ليس المقصود من قوله لا ينبغي لاحد من بعدي استقلاله بحيث لا يعطي احد مثله ليكون منافسة في الملك وحرصا عليه بل المقصود منه وصف الملك بكونه عظيما وكنى بذكر لازمه ولا شيء في ان تعلو همة العبد ويستوهب من مولاه نعما جليلة والطافا عظيمة وانما المحذور في ان يتمنى زوالها عن غيره وقيل انما قال ذلك لان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها اشق من الاحتراز عنها حال القدرة فكانه قال يا الهي اعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها ولا اكون مشغول القلب بها مع القدرة عليها ليكون ثوابي في ذلك اكمل واجزل ولذلك كان ياكل خبز الشعير وينسج ورق النخل ويأكل من كد يمينه ويجلس مع المساكين ويقول مسكين جالس مسكينا **قوله** تجري بامره في موضع الحال من الريح اي جارية بامره رخاء ايضا حال اما من الريح او من المنوي في تجري اي لينة الهبوب او طيبة له لا يمتنع عليه والزعزعة تحريك الشيء زعزعه فتزعزع اي حركه فتحرك ولا تنافي بين كونها لينة الهبوب وبين قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة تجري بامره لان المراد والله تعالى اعلم ان تلك الرياح كانت في قوة الرياح العاصفة الا انها لما جرت بامره كانت لينة طيبة وقوله حيث اصاب ظرف لتجري او لسخرنا واصاب بمعنى اراد في لغة حمير وقيل في لغة هجر يقال اصاب الصواب باراده **قوله** عطف على كل فيكون داخلا في حكم البدلية والمعنى وسخرنا له شياطين اخرين لا يبنون ولا يغوصون ومقرنين صفة لاخرين وهو اسم مفعول من باب التفعيل منقول من قرنت الشيء بالشيء اي وصلته به وشدد عينه للمبالغة والكثرة روي ان سليمان امر الجان فبنوا له اصطخر وكان فيها قرار مملكة الترك وبنوا له ايضا بيت المقدس وابنية رصفة بدمشق وباليمن مثل صنعاء وغيرها ومن الشياطين من يستخرج له من البحار الجواهر واللآلي والحلي الثمينة قال مقاتل كان سليمان عليه الصلوة والسلام اول من استخرج اللؤلؤ من البحر فمن امتنع منهم من العمل بالبناء والغوص وغير ذلك قيده بالغل وهو ما يجمع ايديهم الى اعناقهم يدفع به عن الخلق **قوله** ولعل اجسامهم شفافة صلبة جواب عما يقال هذه الايات دلت على ان الشياطين لها قوة عظيمة قدروا بها على بناء تلك الابنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار واستخراج جواهرها وانه يمكن تقييدهم بالاغلال والاصفاد وفيه اشكال وهو ان هذه الشياطين اما ان تكون اجسادهم كثيفة او لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراهم من كان صحيح الحاسة اذ لو جاز ان لا نراهم مع كثافة اجسادهم لجاز ان تكون بحضرتنا جبال عالية واصوات هائلة لا نراها ولا نسمعها وذلك سفسطة وان

كان اجسادهم لطيفة فمثل هذا يمتنع ان تكون موصوفا بقوة شديدة تقدر بها على ما لا يقدر عليه البشر لان الجسم اللطيف يكون ضعيف القوام يتفرق اجزاؤه بادنى الموانعة فلا يطيق تحمل الاشياء الثقيلة ومزاولة الاعمال الشاقة وايضا لا يمكن تقييده بالاصفاد والاغلال فاجاب عنه اولا باختيار ان اجسادهم لطيفة بشفافة وان اللطافة لا تنافى الصلابة بمعنى الامتناع عن التفرق فلكونها لطيفة لا ترى ولكونها صلبة يمكن ان يقيدها وتحملها الاشياء الثقيلة ومزاولتها الاعمال الشاقة وثانيا باختيار اجسامهم لطيفة وان اللطافة تنافى الصلابة بناء على ان الصلابة من لوازم الكثافة والا انا لا نسلم ان اللطيف الذى لا صلابة له يمتنع ان يحمل الاشياء الثقيلة ويقدر على الاعمال الشاقة الا يرى ان الرياح العاصفة تفعل افعالا عجيبة لا يقدر عليها جماعة من الناس وقولكم مثله لا يمكن تقييده بالاصفاد والاغلال صحيح مسلم فنقول ليس الكلام محمولا على معناه الحقيقى لانهم لما كانوا مسخرين متذللين لطاعته بتسخير الله تعالى اياهم له كان قادرا على كفهم عن الاضرار بالخلق فشبه كفه اياهم عن ذلك بالاقران فى الاصفاد فاطلق على الكف المذكور لفظة التقرين استعارة اصلية ثم اشتق من التقرين بهذا المعنى المجازى لفظ مقرنين فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين عن الشرور ومقرنين صفة لآخرين **قوله** وسمى به العطاء لمانع قول على رم من برك فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك اى من احسن اليك فقد قيدك شبه الاحسان بالصفد وهو القيد تشبيها له بالقيد فى كونه وسيلة الى ربط من احسن اليه الا انهم فرقوا بين فعلى الصفد بمعنى القيد وبمعنى العطاء فجعلوا فعل الاول ثلاثيا وفعل الثانى رباعيا فقالوا اصفده اذا قيده واصفده اذا اعطاه على عكس وعد واوعد فان الثلاثى فيه للخير والمنفعة والرباعى فيه للشر والمضرة **قوله** وفى ذلك نكتة اى فى كون اصفده بمعنى اعطاه نكتة وهى ان الهمزة فيه للسلب والمعنى ازلت ما به من قيد الاحتياج بان اعطيته ما تندفع به حاجته بخلاف اوعده فانه لغة اصلية موضوعة للتهديد **قوله تعالى** هذا عطاؤنا محكى بالقول المقدر اى وقلنا له هذا الذى اعطيناك اجابة لدعائك عطاؤنا وقوله فامنن من قولك من عليه منا اى انعم والمعنى فاعط منه ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه **قوله** والمعنى اى معنى قوله بغير حساب سواء جعل متعلقا بقوله عطاؤنا او جعل حالا منه انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره لان المعنى على الاول اعطيناك بغير حساب بحيث يعسر على الحساب ضبطه لكثرته وعلى الثانى هذا عطاؤنا حال كونه كثيرا خارجا عن العد والحساب وعلى التقديرين يكون المعنى ما ذكره وان كان حالا من المنون فى قوله امنن او امسك يكون المعنى غير محاسب انت على منته وامساكه لا حرج عليك فيما اعطيت وفيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا كان عليه تبعة الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة **قوله** وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والظرف يكون بغير حساب حالا من المستكن فى الامر اى خل من شئت منهم وامسك من شئت فى وثاقك غير محاسب انت على شيء منهما لا حرج عليك فيما اطلقت وفيما امسكت منهم فى وثاقك **قوله** بدل من عبدنا ولا يجوز ان يكون اذ معمولا لاذكر لان الذكر المامور به لا يتصور ان يكون فى ذلك الوقت وقوله انى مسنى الضر بفتح المتكلم حكى به على حكاية كلام ايوب ان نادى ربه ودعا وتضرع بان قال انى مسنى

انى مسنى الضر والاصل نادى بانى ثم حذفت الباء لان حذفها من ان وان شايع كثير فان قراءة العامة بفتح همزة انى وقرئ بكسرها على اضمار القول او على اجراء النداء مجرى القول **قوله تعالى** واذكر عبدنا ايوب عطف على قوله واصبر على ما يقولون واعلم ان داود وسليمان كانا ممن افاض الله تعالى عليه اصناف الآلاء والنعم وايوب كان ممن خصه الله بانواع البلاء والمراد من جميع هذه القصص الاعتبار كانه تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا اكثر نعمة ومالا وجاها من داود وسليمان وما كان اكثر بلاء ومحنة من ايوب ثم انه عليه الصلوة والسلام لما صبر حكم ربه بشفاه الله تعالى وازال عنه ما به من ضر ووهب له اهله ومثلهم معهم رحمة منه وتذكيرا للعقلاء ليصبروا كما صبر فيوجروا كما اجر فكانه تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم فتأمل فى احوال هؤلاء لتعرف ان احوال الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره **قوله** والاسناد الى الشيطان جواب عما يقال الشيطان لا قدرة له البتة على ايقاع الناس فى الامراض والاسقام لانه لو قدر على ذلك لسعى فى قتل الانبياء والاولياء والعلماء الصالحين وقد حكى الله تعالى عنه انه قال ما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فانه صريح فى انه لا يقدر ان يضر احدا الا بطريق القاء الوساوس والخواطر الفاسدة اليه فاجاب عنه اولا بان الذى اصابه لم يصبه الا من الله تعالى الا انه اسند الى الشيطان اسنادا مجازيا لكونه سببا فيما مسه الله تعالى به فان الشيطان وسوس الى ايوب عليه الصلوة والسلام وطاوعه هو فيما وسوس اليه فابتلاه الله تعالى بذلك وذكر فيما فعل بوسوسته ثلثة اوجه الاول انه اعجب بكثرة ماله والثانى انه استغاثه مظلوم على من ظلمه فلم يغثه والثالث انه داهن ملكا كافرا بسبب ان ماشيته كانت فى ناحية ذلك الكافر ثم ذكر وجها ثانيا فى كون الشيطان سببا فيما مسه الله تعالى به تعالى او لسؤاله فانه معطوف على قوله لما فعل بوسوسته اى ويحتمل ان يكون وجه اسناده الى الشيطان انه تعالى مسه بذلك لسؤال الشيطان منه تعالى ان يمسه الله بذلك امتحانا لصبره روى ان ايوب عليه الصلوة والسلام كان له اموال كثيرة من صنوف مختلفة ومع ذلك كان مواظبا على طاعة الله تعالى محسنا للفقراء واليتامى وارباب الحاجات وكان متصلبا فى طاعة ربه لا يقبل شيئا من وساوس الشيطان فحسده ابليس لذلك وقال انه يذهب بالدنيا والآخرة فقال الهى عبدك ايوب قد انعمت عليه بجميع انواع النعم واصنافها فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لتحول عما هو من شكرك وعبادتك فقال تعالى انى اعلم منه انه يعبدنى ويشكرنى وان لم يكن له سعة فى الدنيا فقال ابليس يا رب سلطنى على جميع ما انعمت عليه فسلطه على كل شيء له الا على قلبه ولسانه وزوجته فكلما سعى ابليس فى هلاك صنف من اولاده ومواشيه وعقاره وعروضه وخدمه واهلكه الله تعالى بسؤال ابليس ذلك واخبره ابليس بهلاك ذلك كان يجيبه ايوب بقوله الحمد لله الذى اعطانيها واخذها عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله تعالى ليس لى ان افرح حين اعارنى وان اغتم واحزن واجزع حين انتزع منى عارية الله تعالى اولى بى وبجميع ما اعطانى فله الحمد حين اعطانى وحين انتزع منى والقصة مفصلة فى التفاسير فقوله امتحانا لصبره علة لكونه مسه تعالى بذلك بناء على سؤال ابليس اياه فالاسناد الى الشيطان على الوجه الاول يكون اعترافا بالذنب وعلى الوجه الثانى يكون

مراعاة للادب اذ لا ذنب منه عليه الصلوة والسلام على تقدير ان يعذبه الله تعالى امتحانا لصبره فالمراد بالنصب والعذاب
على الوجهين ما ابتلاه الله تعالى به من هلاك اولاده وامواله والآلام المتعلقة بجسده فانه روي ان ابليس نفخ في جسده
نفخة اشتعل جسده بحرارة فحك بدنه باصابعه واظفاره حتى دميت ثم بالفخار حتى تساقط لحمه فمكث في ذلك البلاء
سنين حتى صار بحيث استقذره اهل بلده فخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه احد غير زوجته وكانت تسأل الناس
من صدقاتهم وتأتيه بطعامه ويحمد الله تعالى معها اذا احمد وايوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله تعالى فصرخ ابليس صرخة جمع
بها جنوده من اقطار الارضين فقال لهم اعياني هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا الا احتجت جعلت قرحة ملقاة في
كناسة تختلف في بدنه الديدان فلم يزدد الا صبرا ورضا فاعينوني عليه فانه ابطل جميع ما اهلكت به من مضى من
الهالكين فقالوا له نشير عليك من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فعليك بامرأة
ايوب فقال اصبتم فانطلق حتى اتى امرأته وهي تطلب صدقة الناس فتمثل لها في صورة رجل فقال اين بعلك يا امة الله
فقالت هو ذاك الذي يحك قروحه وتتردد الدواب في بدنه فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها فذكرها
ما كانت فيه من النعيم والاموال والاولاد وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا
قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح هذه ايوب لي ويبرأ مما هو فيه فجاءت
تصرخ يا ايوب متى يعذبك ربك اين المال واين الجمال واين الاولاد والاصدقاء فقد دلني معالج على ان تذبح هذه له
فتستريح فقال ايوب انه عدو الله ابليس اتاك ونفخ فيك لئن شفاني الله تعالى لاجلدنك مائة جلدة امرتني ان اذبح لغير الله تعالى
حرام علي ان اذوق شيئا مما تأتيني به من الطعام والشراب بعد ما عرضت علي فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر
ايوب ليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا فدعا ربه فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض
برجلك فركض برجله فالركض هو الدفع القوي بالرجل ومنه ركض الفرس فظاهر اللفظ يدل على انه حين ركض
الارض نبعت له عين واحدة من الماء فاغتسل منه وشرب فذهب بهما ما به من الداء من ظاهره وباطنه
وقال المفسرون نبعت له عينان فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت له
عين حارة اغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه شيء من الداء الا سقط وعاد اليه شبابه وجماله احسن ما
كان ثم ضرب برجله اليسرى فنبعت عين اخرى باردة فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج فقام
صحيحا وكسي حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان من اهل ومال وولد الا وقد رد عليه مضاعفا فخرج حتى
جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت ان كان طردني هو فالى من اكله ادعه يموت جوعا فلارجعن اليه فرجعت
فلم تجده ورأت شابا صاحب حلة يقعد في مكان مشرف فهابت ان تسأله عنه فدعاها ايوب فقال ما تريدين يا
امة الله فبكت وقالت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا في الكناسة لا ادري اضاع ام ما حاله ثم جعلت تنظر اليه
وتتهيبه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا فقال اني انا ايوب الذي امرتني ان اذبح لابليس
فاني اطعت الله تعالى وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد علي ما ترين واختلف في انه كم بقي ايوب في البلاء
فقال

اختلفوا في سبب بليته واختيار المحن ما
ذكره من انه ... وقيل
ان الشيطان قال لهم ان الذي اصابكم من البلاء ان الله تعالى سلطني على
مصيبتكم الاشياء
اموالكم واولادكم وعلى جسد زوجك
فتعلمت منكم ما ترون من البلايا فان اردت
ان ارد عليكم جميع اموالكم واولادكم
سائر ما زال عنكم من الاسباب والنعم
فاسجدي لي فقالت امهلني حتى اتفكر فذكرت
ذلك لايوب فحلف وقال لها ان
زوجك ان استغاث خلصته من
هذا البلاء وقيل قال لها ان ذبحت
لي عناقا او ان شرب الخمر فذكرت
المرأة ذلك لزوجها فحلف لذلك وقيل انه
امرأته كانت تخدم الناس لتحصيل
القوت وفي يوم من الايام لم تقدر على
القوت فباعت احدى ذوائبها برغيف
ثم باعت الاخرى في يوم آخر فلم يبق
لها ذؤابة وكان ايوب عليه السلام اذا اراد
ان يتحرك في مضجعه تعلق بذوائبها فلما
لم يجد الذوائب وقع في قلبه خاطر رديء
فحلف لذلك ولم يلتفت المصنف الى شيء منها
الا انه نقل بعد انه صح ان اهل النبوة وقيل
كانت بريئة عن الجناية وحسنة الخدمة
لزوجها حلل الله تعالى يمينه باهون شيء
عليها وعليه لحسن نيته فيما حلف
سعدي [illegible]

فقال ابن عباس رضي الله عنهما بقي سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بن منبه اصاب البلاء
ايوب سبع سنين كما ترك يوسف في السجن سبع سنين وقيل عشر سنين وقيل عشر سنين وقيل ثمان عشرة
سنة وروي هذا مرفوعا وهو انه عليه الصلوة والسلام قال ان البلاء الذي اصابه كان به ثمان عشرة سنة قوله
او لانه وسوس الى اتباعه فرفضوه واخرجوه يعني ان ما فعل به اتباعه من رفضهم اياه واخراجهم عن ديارهم
اسند الى الشيطان لكونه سببا حاملا للاتباع على ما فعلوه بوسوسته اليهم فالمراد من الذي مسه من النصب
والعذاب هو ما فعل به اتباعه لا ما ابتلاه الله تعالى به من هلاك اولاده وامواله والاوجاع التي اصابته في جسده قوله
او لان المراد من النصب الخ فلا يكون الاسناد الى الشيطان مجازا قرأ الجمهور بنصب بضم النون وسكون الصاد
وهو الشر والبلاء وقيل النصب ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه في سائر ماله من النعم وفيه بعد وقرئ نصب
بفتح النون وسكون الصاد على انه مصدر نصب لفلان نصبا اذا عاداه وقرئ بفتحتين وهو لغة في نصب بالضم
والسكون نحو رشد ورشد وحزن وحزن وعدم وعدم وقيل الذي بالضم والسكون جمع نصب بفتحتين نحو اسد
واسد ووثن ووثن وقرئ نصب بضمتين وهو تثقيل نصب بضمة وسكون وفيه بعد لان مقتضى اللغة ان يخفف
فعل بضمتين كعنق لا ان يثقل فعل كقفل بضمة وسكون قوله حكاية لما اجيب به ان قلنا له اركض حين انقضاء
مدة بليته ودعائه ربه بقوله رب اني مسني الشيطان قوله بان جمعناهم عليه قيل كان لايوب سبع بنات وثلاثة بنين
في المكتب عند معلم يعلمهم التوراة ثم انهم تفرقوا عنه وغابوا زمان ابتلائه وقيل اخذ ابليس سارية منزلهم فهدمها
فانهدم السقف ووقع عليهم فماتوا جميعا فالمراد بهبة اهله اياه على الاول جمعهم عليه بعد تفرقهم عنه وعلى الثاني
احياؤهم بعد موتهم وقيل لما شفاه الله تعالى اوحى اليه اني ان ابعث اهلك وارد هم عليك باعيانهم فقال لا يا رب دعهم
في الجنة فعلى هذا يكون المعنى انه اجر اهله في الآخرة واعطاه مثلهم في الدنيا بان عمره وولد له اولاد مثلهم وقيل
معناه وهبناه اجر اهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا قوله وهي رخصة باقية في الحدود روي عن الشافعي رحمه الله انه قال
اذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربة ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الاية
ولا يحنث وقال ابن المنذر اذا حلف الرجل ليضربن عبده مائة فضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وابي ثور
واصحاب الرأي بشرط ان تمس القضبان كلها جلد المضروب اما اطرافها قائمة واما اعراضها مبسوطة مع وجود
صورة الضرب وقيل هذا الحكم خاص بايوب تحلة ليمينه وتخفيفا عنها شكرا لما احسنت في خدمة زوجها وليس
رخصة في حق جميع الناس لان اسم الضرب لا يطلق الا على ما يؤلم ويوجع والحنث الاثم ويطلق على فعل ما حلف
على تركه او ترك ما حلف على فعله من حيث ان كل واحد منهما سبب له قوله ولا يخل به شكواه الى الله تعالى جواب
عما يقال كيف وجده صابرا وقد شكى اليه حيث قال رب اني مسني الضر ومسني الشيطان بنصب وتقرير الجواب ان الشيطان
عدو والشكاية من العدو الى الحبيب معناها الاستعاذة منه والالتجاء والتحصن بكنف الحبيب وطلب حمايته وذكر
لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء مع ان الآلام حين كانت على جسده لم يذكر شيئا من الشكوى فلما طالت

عطف على لان الله تعالى فوجه ذكر
العطف باو ان الاسناد المجازي
والمسند حقيقة وبها بالعكس
فان المجاز بها في كلمة مسني نصب
دون اسناده الى الشيطان لان
معناه على هذا الوجه اصابني
الشيطان وعذبني

مدة الآلام اخذ الشيطان يوسوس اليه بالقنوط من رحمة الله والحمل على الجزع والشكاية من فوات الحالة
الاولى وكذا شرع في ان يوسوس الى امرأته والى سائر الناس انه لو كان نبيا لكان له عنده جاه ومنزلة
ولا يبتليه بمثل هذه البلية مدة مديدة حتى روي انه ارتد بعض من آمن به منهم فلما خاف ان تؤثر فتنته
الشيطان في القلب في الدين تضرع الى ربه في دفع شره وذلك لا ينافي الصبر لانه لا يجوز الصبر على ما يفسد القلب
والدين بل سبيله الاستغفار واصلاح الحال بأي طريق امكن وانما الصبر على ما يخالف النفس والهوى ويصلح القلب
والدين فلذلك مدحه الله تعالى حيث لم يشغله البلاء عن المبلي كما مدح سليمان انه لم يشغله العطاء عن المعطي
قوله على ان ابرهيم وحده يعني من قرأ عبدنا جعل ابرهيم وحده عطف بيان له ثم عطف اسحق ويعقوب على
عبدنا ومن قرأ عبادنا جعل مجموع قوله ابرهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا استدل بهذه الآية
من قال ان الذبيح هو اسحق لا اسمعيل وهو الصحيح عند البعض ووجه الاستدلال ان المقصود من ايراد
هذه القصص الاعتبار كانه تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا احد اكثر نعمة ومالا وجاها
من داود وسليمان عليهما الصلوة والسلام ومع ذلك قد دفعنا بهما والتجأ الى التضرع والاستغفار وما كان
فيها احد اكثر بلاء ومحنة من ايوب فظهر كان من الفائزين في الدنيا والآخرة فتأمل في احوال هؤلاء لتعرف ان احوال
الدنيا لا تنتظم لاحد وان العاقل لا بد له من الصبر على المكاره ثم قال واذكر ايضا صبر ابرهيم حين القي في النار وصبر
اسحق حين عرض على الذبح وصبر يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره قوله اولي القوة على ان الايدي جمع
يد وهو في الاصل اسم للجارحة الا انه قد يعبر به عن القوة لكونها سبب التقوي على اكثر الاعمال وبها يحصل البطش
والقهر فالايدي جمع اليد بمعنى القوة والقدرة وهو قول الاكثرين قالوا اعطوا قوة في العبادة وبصرا في معرفة الله تعالى
وامور دينه وقد يعبر به عن الاعمال لانها انما تزاول باليد والابصار جمع بصر وحمل على بصر القلب ويسمى البصيرة وهي
القوة التي يتمكن بها الانسان على ادراك المعقولات بما يتعلق بالدين مستفاد من خصوصية الموصوف بقوله
اولي الايدي والابصار قال ابن عباس رضي اولي القوة في طاعة الله تعالى والابصار في المعرفة بالله تعالى كان
اولي البصائر في الدين وقال قتادة ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين قرأ الجمهور اولي الايدي
باثبات الياء في الايدي وقرئ اولي الايد بحذف الياء اكتفاء بالكسرة على انه جمع يد او على انه اسم مفرد بمعنى القوة
الجوهري آد الرجل يئيد ايدا اي اشتد وقوي والايد والآد القوة قوله بخصلة خالصة اي صافية لا يشوبها غيرها و
ذكرى مصدر بمعنى التذكر اضيف الى مفعوله وهو خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة خالصة اي اخلصناهم لنا بسبب خصلة
خالصة هي تذكرهم الدار الآخرة دائما واستغراقهم في ذكرها واشتغالهم بذكرها عن ذكر الدنيا قوله فان خلوصهم
في الطاعة بسببها جواب عما يقال كيف يكونون خالصين لله تعالى وهم مستغرقون في الطاعة وفيما هو سبب لها و
هو تذكر الآخرة وتقرير الجواب ان استغراقهم في الطاعة وفيما يحملهم عليها انما هو لاستغراقهم في الشوق الى لقاء الله تعالى
على وجه يرضى عنهم ويرضون عنه وما لم يكن ذلك لان في الآخرة استغرقوا في تذكرها والاشتغال بما يؤدي الى لقائه
على

على الوجه المذكور وهو خلوصهم في الطاعة قوله واضاف نافع وهشام بخالصة الى ذكرى على طريق اضافة العام
الى الخاص ليوضح الخاص ما هو المراد بالعام ويزيل ابهامه كخاتم فضة فان الخصلة الخالصة قد تكون ذكرى وغير
ذكرى فبينت بالاضافة او على طريق اضافة المصدر الى فاعله على ان تكون خالصة مصدرا بمعنى الخلوص كالعافية
اي بان خلصت لهم ذكرى الدار ولا يشوبه بذكرها ذكر غيرها وعندنا في قوله تعالى وانهم عندنا ظرف لمحذوف دل عليه
قوله لمن المصطفين اي وانهم لمصطفون عندنا ولا يجوز ان يكون معمولا لقوله لمن المصطفين لان الالف
واللام فيه بمعنى الذي وما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول والاخيار يجوز ان يكون جمع خير الذي هو اسم تفضيل
كخير واشرار وان يكون جمع خير بالتشديد وخير الذي هو مخفف منه كالميت قوله واللام فيه الخ جواب عما يقال
قد ذكرت ان اليسع اسم علم لنبي من الانبياء والعلم لا يدخله التعريف فكيف دخلت على اليسع وتقرير الجواب
ان يسع واليسع كانا علمين ثم طرأ عليهما الاشتراك فنكرا بسببه فعرفا باللام العهدية على ارادة اليسع الفلاني او الليسع الفلاني
فان العلم قد ينكر فاما ان يستعمل بعده منكرا كقولك رب زيد لقيته وقولك لكل فرعون موسى لان لفظ رب وكل
من خواص النكرات او يعرف باللام وذلك بان يؤول بواحد من الجماعة المسماة به كقوله رأيت الوليد بن اليزيد
مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله او بالاضافة نحو علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بابيض ماضي
الشفرتين يمان وفيما نحن فيه ايضا كان يسع او ليسع من الاعلام المشتركة فيعرف باللام على ارادة اليسع
الفلاني او الليسع الفلاني قوله واختلف في نبوته ولقبه اي وفي سبب لقبه بذي الكفل قوله شرف لهم
اي هذا الذي ذكر من مناقبهم شرف لهم يذكرون به في الدنيا بين اهلها واسم الذكر يطلق على ما يذكر به المرء من المفاخر
والمكارم لكونه سبب الذكر وان اريد به القرآن كما في قوله انا نحن نزلنا الذكر يكون التنوين فيه للنوعية فان القرآن
الكريم يندرج في جملته انواع منها ما يبين مناقب الانبياء واحوالهم ومنها ما يبين الاحكام من الحلال والحرام وغير
ذلك ولما ذكر الله تعالى نوعا من انواعه وهو الذي بين فيه احوال الانبياء قال هذا نوع من القرآن ثم شرع في نوع
آخر من انواعه وهو الذي يذكر فيه احوال المتقين عما يؤتيهم وما اعد لهم في الآخرة قوله وهو من الاعلام الغالبة
اختلف في جنات عدن فقال قوم هي معرفة بشهادة قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده حيث وصف
باسم الموصول فدل على انه معرفة وقال آخرون هي نكرة اذ ليس عدن بعلم بل هو كقولك جنات اقامة والعدن في اللغة
الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به والمص رد عليهم بان ما ذكرتم حاله في اصل الوضع ثم صار علما بالغلبة قوله
وانتصب عنها مفتحة ظاهر العبارة يشعر بان مفتحة حال من نفس جنات عدن وذا لا يجوز لان جنات عدن تابع
لاسم ان ومعمول لها تبعا فيلزم ان تكون الحال ايضا معمولا لها وان لا تعمل في الحال بل هي حال من الضمير المستتر في قوله
للمتقين وذلك الضمير لما كان راجعا الى الجنات وعبارته عنها تسامح فقال وانتصب عنها اي عن الضمير الراجع اليها المنوي
في للمتقين والمعنى ان جنات عدن استقرت للمتقين حال كونها مفتحة لهم الابواب والابواب فاعل مفتحة والالف
واللام فيه بدل من الضمير العائد الى ذي الحال اي ابوابها وهو قول الكوفيين وانكر البصريون ذلك بناء على ان الحرف لا يكون

وجنات عدن سواء كانت معرفة او نكرة
يجوز كونه بدلا من حسن مآب لان المعرفة تبدل
من النكرة وبالعكس اما كونه عطف بيان لحسن
مآب على تقدير كونه معرفة فلا يجوزه غير البعض
وجوزه الزمخشري والمص فان الزمخشري
صرح في مواضع بجواز عطف البيان وان
خالف متبوعه تعريفا وتنكيرا منها قوله تعالى فيه
آيات بينات مقام ابرهيم
سلمه

عوضا من الاسم ولا يقوم مقامه وقالوا ان في مفتحة ضمير الجنات ولذا انث والابواب بدل من ذلك الضمير بدل البعض
من الكل لان الابواب بعض الجنات وهي مشتملة عليها وقيل الابواب فاعل مفتحة والعائد محذوف اي مفتحة لهم الابواب
منها كما حذف منه في قولهم السمن منوان بدرهم ورد عليه بان الفرق بينه وبين ما نحن فيه لان خبر المبتدا قد
يحذف باسره ويجوز حذف بعضه ايضا بخلاف الصفة فانها لا تحذف اعتمادا على القرينة من حيث انها فضلة
يتم الكلام بدونها فاذا لم يصرح بها لا تطلب بالقرينة فيفوت الغرض المقصود منها قوله وقرئتا مرفوعتين على
ان جنات عدن مبتدا ومفتحة خبره او على انهما خبران لمحذوف اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم ابوابها قوله
حالان متعاقبان يعني ان كل واحد منهما حال من الضمير المجرور في لهم والعامل مفتحة ويجوز ان لا يكون قوله يدعون حالا
ثانية منه بل يكون حالا من ضمير متكئين على التداخل قوله والاظهر الخ لان الحال ح يكون محققة لا مقدرة لان
هيئة ثابتة لهم حال دعائهم والتقدير يدعون في الجنات حال كونهم متكئين فيها بفاكهة كثيرة الالوان وشراب
كذلك كثيرة الالوان حذف صفة شراب للدلالة عليها قوله لدات لهم اي هن في سن ازواجهن والاتراب لهم
مساوية لهم في السن فان لدة الرجل تربه والهاء عوض من الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة وقيل ليس
المعنى انهن لدات لازواجهن بل المعنى ان بعضهن لدات البعض الآخر ولعل المص اختار هذا الاحتمال بناء على
ان رغبة الرجل فيمن هي دونه في السن اتم فلا يكون كونهن لدات لازواجهن صفة مدح في حقهن قوله لاجله
فان قرئ توعدون بتاء الخطاب يكون المعنى قل للمتقين هذا الذي تقدم ذكره ما يدخر لكم لاجل يوم الحساب فان
ما فيه من المحاسبة انما هو لاجل ان يجازي كل احد بما قدم من العمل ووجه القراءة بياء الغيبة تقدم ذكر المتقين
ووصف الله تعالى احوال اهل الجنة في هذه الآية فبدأ بذكر مساكنهم فاشار الى انها بساتين وانها دائمة موضع
موضع اقامة وان الملائكة يفتحون لهم ابواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها و
قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وبين بقوله متكئين انهم لا يتقيدون فيها بشغل ينافي
الحضور والراحة ثم بين سعة عيشهم فيها بكثرة المأكولات والمشروبات حيث قال يدعون في تلك البساتين
بالوان الفاكهة وانواع الشراب ولما بين حال مسكنهم وماكلهم ومشربهم ذكر امر المنكوح وبين انهن لا
ينظرن الى غير ازواجهن وانهن على سن واحد ثلث وثلثين سنة وقال مجاهد اتراب اي متواخيات لا يتبا
غضن ولا يتغايرن وقيل السبب في اعتبار هذه الصفة فيهن انهن لما تشابهن في الصفة والسن
والجبلة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم الغيرة بينهن ثم صرح ان ما رزقوه في الجنة ليس
له فناء وقال ابن عباس رض ليس لشيء في الجنة نفاد ما اكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما اكل من حبوبها
عاد مكانه حبا ثم ذكر مآل الكافرين فقال وان للطاغين الذين طغوا على الله تعالى وكذبوا رسله قوله اعرابه
ما سبق فقوله لشر مآب اسم ان وجهنم عطف بيان له او بدل منه ويصلونها حال من المنوي في للطاغين والعامل
ما في للطاغين من معنى الاستقرار وليس حالا من جهنم لاستلزامه ان يكون العامل فيها ان وهي لا تعمل في الا

قوله بالياء ليوافق ما قبله من ذكر
المتقين ووجه الخطاب الالتفات اليهم [?]
قال عليهم او تكون التقدير قل للمتقين هذا
ما توعدون للاجل يوم الحساب فان الحساب
ليس الا لان تجزى كل نفس بما عملت فيكون اليوم
لاشتماله على الجزاء علة الوصول [?] وقيل
الى الجزاء الذي هو الموعود فلذلك علله بقوله
ليوم الحساب ومعنى جعل اللام فيه بمعنى في
فقد تنفى لان الوعد في الدنيا لا في ذلك
اليوم منه

في الاحوال كما مر بعينه قوله المهد والمفترش مستعار شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد والذي يفرشه النائم
ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة والتهكمية وقرينة الاستعارة امتناع حمله على الحقيقة
اذ لا مهاد في جهنم ولا استراحة للجوهري المهد مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا اي بسطته قوله
اي ليذوقوا هذا يعني ان هذا منصوب بعامل مضمر يفسره فليذوقوه ونظيره الزمخشري بقوله تعالى واياي فارهبون في الانتصاب
بمقدر على الاشتغال ثم ابتدا فقال حميم اي هو حميم ثم ذكران هذا يجوز ان يكون في موضع الرفع على انه خبر مبتدا محذوف فقال
العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدا فقال هو حميم او على انه مبتدا خبره حميم وغساق عطف على الخبر وقوله فليذوقوه
معترضة بين المبتدا والخبر كما تقول زيد فاعرفه رجل صالح فقوله وقرا حمزة والكسائي وحفص غساق بتشديد
السين على انه صفة على صيغة المبالغة كالجبار والعلام وخففه الباقون على انه اسم لا صفة كالعذاب والعقاب
قوله ازواج خبر لآخر على لفظ الجمع كما قراه ابو عمرو ويعقوب ولا يحسن ان يكون ازواج خبرا عن آخر على قراءة
الجمهور بالتوحيد لان الجمع لا يكون خبرا عن الواحد فان يكن واخر مبتدا اي ومذوقات اخر ومن شكله صفة لاخر
وحسن الابتداء بالنكرة لما وصفت وتوحيد الضمير في قوله من شكله مع ان المذكور قبله عذاب جهنم وحميم وغساق
باعتبار ما ذكر اي واخر من شكل ما ذكرنا ويجوز ان يعود الى الحميم والغساق ويجوز ان يكون الخبر محذوفا اي ولهم
اخر ومن شكله وازواج صفتان لاخر ومن قرا وآخر بالتوحيد رفعه بالابتداء ايضا وجعل قوله ازواج مبتداء
ثانيا ومن شكله خبر الازواج وجعل الجملة خبر المبتدا الاول ويجوز ان يكون آخر معطوفا على حميم ومن شكله نعتا
له وازواج مرتفعا بقوله من شكله فاعلا له لاعتماده على الموصوف ويحتمل ان يكون واخر مبتدا ومن شكله
ازواج نعتا له ويكون ازواج فاعلا للجار والمجرور وعلى هذا الضمير من شكله راجع الى المبتدا والخبر محذوف
والتقدير ولهم مذوق او عذاب آخر استقر من شكله ازواج اي اصناف والوان من العذاب قوله حكاية ما يقال
للرؤساء اي يقوله الخزنة لهم والمعنى انظروا الى افواج اضللتموهم في الدنيا اقتحموا معكم النار ولم يبات لكم
نصرتهم والفوج الجماعة من الناس الا انه لما كان مفردا للفظ قيل مقتحم ولو نظر الى جانب المعنى لقيل مقتحمون والتقحم
الشدة والاقتحام ملابستها والدخول فيها والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم النار كما كانوا اقتحموا معهم
الضلالة ومفعول مقتحم في الآية محذوف اي مقتحم النار قوله او صفة لفوج او حال منه وعلى التقديرين يكون
من كلام الخزنة لا من كلام الرؤساء ولما ورد عليه ان لا مرحبا دعاء والدعاء طلب والطلب لا يكون صفة ولا
حالا اشار الى جوابه بان ذلك على اضمار القول ومرحبا مصدر بمعنى الرحب وهو السعة وانتصابه على انه مفعول
به لفعل مقدر اي لا يصادفون رحبا ولا يأتونه او على المصدر اي لا رحبهم منزلهم رحبا بل ضاق عليهم ضيقا
يقول الرجل لمن يدعوه مرحبا اي اتيت رحبا من البلاد واتيت منزلا واسعا وخيرا كثيرا فيقصد به اكرام
الداخل واظهار المسرة بدخوله ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم ثم ان الرؤساء
بعد ما دعوا على الاتباع عللوا استحقاقهم للدعاء عليهم بقولهم انهم صالوا النار وهو كناية عن فساد

وعند الاخفش يجوز زيادة الفاء في خبر
المبتدا اذا تضمن معنى الشرط ام لا نحو
زيد فوجد واستشهد وقائلة خولان فانكح فتاتهم
واكرومة الحيين خلو كما هيا فيجوز في الآية
عنده ان يكون هذا مبتدا وفليذوقوه خبره
وسيبويه يأول نحو هذا البيت المذكور بنحو
هذه خولان فانكح فيجعل خولان جملة ثم [?]
عليه قوله فانكح وكذلك في الآية ان جعل هذا
مبتدا وفليذوقوه خبره يكون دخول الفاء
لتأويل الجملة باعتبار التنبيه الذي يشار بهذا
فكانه قال انتبه او اشير الى الذي هو عدو [?]
من قبيل وعرفوه [?] معرفته فليذوقوه
منه

اي وعذاب اخر كائن من ضرب هذا العذاب
وشكله وهو الحميم والغساق اجناس مع الزمهرير
والتعسيع [?] والضريع والزقوم منه

فان قلت فالذي جعل قوله لا مرحبا بهم من
كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم
والمخاطبون اتباع رؤسائهم ثم يبكون ابدا
بكون هذا جوابا لها قلت كانه قيل هذا الذي
دعا به علينا الخزنة انتم يا رؤساء واحق
به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن
فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين
قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه وقيل
للمزينين ما اخزى الله هؤلاء وما اسوء
فعلهم فقال المزين لهم بالمزينين بل انتم
اولى بالخزي منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك
كشاف

اعمالهم واستحقاقهم دخول النار لذلك **قوله** بل انتم احق بما قلتم على تقدير ان يكون لا مرحبا بهم من كلام الرؤساء
وقوله او قيل لنا على تقدير ان يكون ذلك من تمام كلام الخزنة صفة لفوج او حالا منه فانه لما دعا الخزنة عليهم بذلك
بهتوا او تحيروا فخاطبوا رؤساءهم تشفيا منهم قائلين هذا الذي دعا به الخزنة علينا انتم يا الرؤساء احق به منا
لاغوائكم ايانا مع ضلالكم في انفسكم **قوله** باغوائنا واغرائنا على ما قدمه من العقائد الزائغة الخ بيان لوجه تقديمهم
العذاب لهم وتقريره ان المراد من تقديم العذاب ما هو سببه المؤدي اليه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فان
سبب عذاب الاتباع هو تلك العقائد والاعمال والرؤساء لم يقدموها بل الذين قدموها هم الاتباع باختيارهم اياها
واتصافهم بها والذي قدمه الرؤساء لهم ما يحملهم عليها من الاغواء والاغراء عليها وهذا القدر من السببية كاف
في اسناد تقديم العذاب او الصلي الى الرؤساء فههنا مجازان احدهما في المفعول والثاني في الاسناد **قوله** فيجري
ضعفين اي مثلين فان ضعف الشيء مثله وضعفيه مثلان ومن يجوز ان يكون شرطية وفزده جوابها وان يكون
استفهامية وقدم خبرها ان يخص قدم لنا هذا ثم استانف دعاء بقولهم فزده وان يكون موصولة بمعنى الذي
مرفوعة المحل على الابتداء والخبر فزده والفاء زائدة لتضمن الابتداء معنى الشرط او منصوبة المحل على الاشتغال و
ضعفا صفة لعذابا بمعنى مضاعفا وفي النار يجوز ان يكون ظرفا لزده او نعتا لعذابا وحالا منه لتخصصه او حالا
من مفعول زده فان قيل كل مقدار يعرض من العذاب ان كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفا وان كان زائدا عليه
كان ظلما فكيف يجوز سؤاله من الله تعالى يوم القيامة اجيب بان السؤال من التضعيف ما يكون بقدر الاستحقاق بان يكون
احد الضعفين بمقابلة الضلال والاخر بمقابلة الاضلال قال عليه الصلوة والسلام من سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وتم ههنا حكاية مقالة رؤساء الطاغين مع اتباعهم ومن ههنا شرع في حكاية
مقالتهم في حق فقراء المؤمنين كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان رضي الله تعالى عنهم اجمعين فقال وقالوا
ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار سموهم اشرارا اما بمعنى الارذال والسفلة كما يقال هذا من شر المتاع
او لانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم اشرارا والمص اختار الوجه الاول حيث قال يسترذلونهم ويسخرون
منهم وما استفهامية مبتدا ولنا خبره ولا نرى حال من المنوية في لنا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي من الاشرار اتخذنا
هم بوصل الالف واذا ابتدؤا اتخذناهم كسروها والباقون بقطعها في الحالين فعلى قراءة الوصل يكون الجملة
في محل النصب على انها صفة ثانية لرجالا كما ان قوله كنا نعدهم من الاشرار صفة اولى له كانه قيل لا نرى رجالا معدودين
من الاشرار مسخورا بهم وعلى القراءة بقطع الهمزة تحذف همزة الوصل للاستغناء عنها بهمزة الاستفهام ومعنى
الاستفهام الانكار والتوبيخ والتانيب وهو التعنيف واللوم كانهم اقبلوا على انفسهم منكرين ومعنفين عليها فيما
صدر عنها من الاستسخار بالمؤمنين **قوله** وقد سبق مثله في اخر سورة المؤمنين سخريا بضم السين وكسرها
مصدر سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين المكسورة من الهزؤ والمضمومة من السخرة بمعنى
الانقياد والتسخير والمعنى كنا نسخر منهم او نستذلهم ونقهرهم قبل القراءة بوصل الهمزة اولا لانهم علموا انهم اتخذوهم
سخريا

سخريا بقوله تعالى فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فلا يستقيم الاستفهام واجاب عنه الفراء بان قال هذا من
الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ومثل هذا الاستفهام جائز عن الشيء المعلوم والباشار المص بقوله على انه
انكار على انفسهم وتانيب لهم **قوله** وام معادلة لما لنا يعني ان كلمة ام يحتمل ان يكون متصلة وان يكون منقطعة
وعلى تقدير كونها متصلة يحتمل ان يكون معادلة لقوله ما لنا لا نرى على ان يكون المراد به نفي رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا
اليسوا فيها ام هم فيها لكن زاغت عنهم ابصارنا فان ام المتصلة لا بد ان تقع بعد اداة الاستفهام ويكون معها بمعنى
اي ولما كان عدم رؤية الطاغين اياهم لازما لغيبتهم كنوا به عنها فقالوا تعجبا وتحسرا ما لنا لا نراهم ما العجب امرنا
حيث لم يكونوا معنا في النار ثم انكروا على انفسهم في الاستسخار منهم وهم من اهل الجنة والكرامة فقالوا اتخذنا
هم سخريا ثم عادوا الى الاستفهام عن انهم في النار لكن خفي عليهم مكانهم ومالت عنهم ابصارهم لكونهم في ناحية اخرى
من النار فقالوا ام زاغت عنهم الابصار فام على هذا متصلة بقولهم ما لنا وان لم يكن للاستفهام فان لفظ الاستفهام
كاف في معادل ام المتصلة الا ترى الى ان همزة التسوية جعلت معادلة في قوله تعالى سواء استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
هذا ان قرئ اتخذناهم على لفظ الاستفهام واما ان قرئ بلفظ الاخبار فالامر ظاهر لان اتخذناهم ح يكون صفة
لرجالا او يكون المعنى ما العجب امرنا حيث لم نر الرجال المعدودين من الاشرار المسخور بهم معنا في النار ام هم معنا
وزاغت عنهم ابصارنا ويحتمل ان يكون معادلة لقوله اتخذناهم على القراءة بلفظ الاستفهام فان قوله اولا اتخذناهم
عطف على قوله ما لنا لا نرى فح يكون المعنى انهم تعجبوا وتحسروا اولا بقولهم ما لنا لا نرى رجالا على غيبتهم عنهم لكونهم
من اهل الجنة ثم انكروا على انفسهم كل واحد من الامرين الاستسخار منهم وتحقيرهم فان عدم الالتفات الى الشيء
من لوازم تحقيره ويكنى به عنه **قوله** او منقطعة عطف على قوله معادلة فيكون ام بمعنى بل والهمزة التي للانكار وام
منقطعة يصح ان تقع بعد الخبر والاستفهام فان قرئ اتخذناهم على الخبر يكون المعنى انهم بعد ما اخبروا عن انفسهم
بما صنعوا بفقراء الصحابة من الاستهزاء والسخرية على سبيل الندم والتحسر اضربوا عن ذلك الاخبار بالاخذ في الانكار
اشارة الى ان ليس الموضع موضع الاخبار بما صنعوا بهم بل هو موضع الانكار على ما حملهم على ذلك الصنع السوء
من زيغ ابصارهم عنهم وكلال افهامهم عن معرفة قدرهم وعلو شانهم وكونهم على الحق المبين وان قرئ على الاستفهام
فالمعنى انهم انكروا على انفسهم اولا ما صنعوا بهم ثم اضربوا عنه وانكروا على انفسهم ما هو السبب بالانكار عليه لكونه حاملا
لهم على ذلك الصنع اي لنترك الانكار على ما فعلنا من الاستسخار بهم ازاغت ابصارنا عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئا و
كلت افهامنا حيث خفي علينا حقيقة حالهم وما نظرنا منهم الا ظواهرهم من رثاثة الهيئة ان دنائتها وانا سلمي الله تعالى
تلك الكلمات تخاصما لان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول الاتباع لهم بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة **قوله** وهو بدل
من حق يعني ان الجمهور قرؤا برفع تخاصم مضافا الى اهل النار على انه بدل من قوله لحق او خبر ثان او خبر مبتدا محذوف
اي هو تخاصم وقرئ بنصب تخاصم على انه بدل من ذلك ثم انه تعالى لما شرح ثواب المتقين وعقاب الطاغين عاد
الى تقرير امر التوحيد والنبوة والبعث المذكورين اول السورة فقال قل انما انا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار

فكونه واحدا تصريح بانه لا شريك له في الوهيته ولا كثرة له في ذاته وقوله القهار مشعر بالترهيب والتخويف واتبع ذكر ما
يدل على الرجاء والترغيب فقال رب السموات والارض فان كونه ربا يشعر بالتربية والاحسان والجود والكرم وكونه
غفارا يشعر بان العبد لو اقدم على المعاصي والذنوب فانه تعالى يغفر ذلك برحمته ومن المعلوم ان من يرجو ثوابه و
يخشى عقابه يجب ان يخص بالعبادة **قوله** بهذه الاوصاف اي الاوصاف الجارية على اسم الله تعالى فان اجراء الواحد
عليه يقرر وحدانيته واجراء القهار العزيز عليه وعيد للمشركين واجراء الغفار عليه وعد للموحدين وثني ما يشعر
بالوعيد وهو وصف القهار والعزيز وقدم وصف القهار على وصف الغفار لان الموعود به هو الانذار وذلك يستدعي
تكريره وتقديمه على ما يشعر بالوعيد **قوله** لان المدعو به هو الانذار علة لتقديم ما يشعر بالوعيد يعني انما قدمه لان
السبب الحامل على نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول يا محمد هو انذارهم **قوله** وصل ما بعده عطف على قوله ان ما
انبأتكم به فيكون هو ضميرا مبهما يفسره ما بعده كضمير الشان **قوله** اما على التوحيد فلانه من توصيفه بقوله القهار فان
كونه تعالى قهارا يدل على كونه واحدا منزها عن الشريك في النظر لانه لو كان له شريك لوجب ان يكون ذلك الشريك
قادرا على ما يشاء ضرورة ان العاجز لا يصلح للالهية ولو كان شريكه قادرا على الاطلاق لما كان هو قادرا قاهرا
لانه يتعذر ان يريد هو شيئا ويريد شريكه ضد ذلك الشيء اذ لم يكن حصول احد المرادين اولى من الاخر وذلك يقتضي
اندفاع كل واحد منهما بالآخر وح لا يكون قادرا قهارا بل يكون عاجزا ضعيفا فلا يصلح الها فكونه قهارا يدل على كونه
واحدا ويدل عليه ايضا قوله رب السموات والارض اذ لو كان هناك رب آخر لفسدتا **قوله** فان اخباره عليه الصلوة
والسلام عن تقاول الملائكة اشارة الى ان المراد باختصام الملأ الاعلى الملائكة وآدم وابليس ما جرى بينهم
من التقاول في شان آدم عليه الصلوة والسلام حين قال تعالى للملائكة على لسان ملك اني جاعل في الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها الخ سمي ما جرى هناك من السؤال والجواب مخاصمة ومناظرة مجازا تشبيها له بها و
قيل المراد اختصامهم واغتباطهم لبني آدم وما فيه من الفضائل وتعالى لهم بان اختصاصهم بمزيد الكرامة
والشرف لان سبب هو حسبهم البعض الآخر بذلك للكفارات والدرجات كما ورد في حديث الاختصام
انه عليه الصلوة والسلام قال رأيت ربي في احسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الاعلى
يا محمد قلت في الكفارات قال وما هن قلت المشي على الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات خلف الصلوات
واسباغ الوضوء اماكنه في السبرات وفي بعض الروايات في المكاره والسبرة الغداة الباردة قال من
يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وقال ثم ما قلت اطعام الطعام وبذل
الكلام والصلوة في الليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين قال سل قلت اللهم صح
وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون واسألك حبك وحب من فتوفني ظ صح
يحبك وحب عمل يقربني الى حبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموهن فو الذي نفسي بيده انهن لحق انها حق فادرسوها ثم تعلموها وقال الترمذي هذا حديث
وفيه روايات اخر حاصل جميعها ما كتب ويجوز انه تعالى ذكر لنبيه عليه الصلوة والسلام اجمالا اختصام الملا

قوله تعالى هو نبأ عظيم اي جليل القدر صفة نبأ او انتم عنه معرضون ايضا صفة بعد صفة

قلت لا ادري قال فوضع يده فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد قلت لبيك رب قال فيم يختصم الملأ الاعلى نسخه

هذا حديث حسن صحيح وسألت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث صحيح فرحي السنة ... صاحب المطلع ايضا

الملائكة في القرآن ثم بينه ثانيا مفصلا في منامه **قوله** واذ متعلق بعلم اي ظرف له ولم يتعرض الزمخشري
لهذا الوجه ولعل وجهه انه لم يجد فائدة في نفي علمه عليه الصلوة والسلام بهم وقت الاختصام واختاره المص اولا
وقدمه على الوجه المبني على الحذف بناء على ان نفي علمه بهم وقت الاختصام على وجه الاستغراق يقتضي نفي علمه
بهم بوجه ما واذا لم يعلمهم بشيء من اوصافهم واحوالهم وجب ان لا يعلمهم باختصامهم ثم اذا علم اختصامهم
واخبر عنه من غير سماع ومطالعة كتاب ثبت انه نبي اوحي اليه **قوله** الا انما قراءة الجمهور انما بفتح الهمزة وجعلها
المص اولا على اسقاط الخافض فيكون في محل النصب بايصال الفعل اليه ان يسقط وهو غير منوي وفي محل الجر
ان اسقط وهو منوي ثم ذكر وجها اخر وهو ان تكون مع ما في حيزها في محل الرفع لقيامها مقام الفاعل اي ما يوحى
الي الا الانذار او الا كوني نذيرا مبينا **قوله** على الحكاية فيكون القائم مقام الفاعل هو الجملة المحكية بالقول
المقدر كانه قيل ما يوحى الي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر لان مآل جميع ما اوحي
اليه عليه الصلوة والسلام هو الانذار **قوله** فان القصة بيان لكونه بدل اشتمال من قوله اذ يختصمون بناء على
ان القصة التي دخلت اذ عليها مشتملة على مضمون اختصام الملأ الاعلى وسموا بالملأ الاعلى لانهم كانوا في السماء
وقت التقاول قال الامام احسن ما قيل في طريق اختصام الملأ الاعلى انه تعالى لما قال اني جاعل في الارض خليفة
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى
انهم قالوا اي فائدة في خلق البشر مع انهم يشتغلون بقضاء الشهوة وهو المراد من قوله من يفسد فيها وبا
قضاء الغضب وهو المراد من قوله ويسفك الدماء فقال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون وتقرير هذا الجواب والله اعلم ان
يقال ان المخلوقات بحسب القسمة العقلية على اربعة اقسام احدها الذين حصل لهم العقل والحكمة ولم يحصل
لهم النفس والشهوة وهم الملائكة وثانيها الذين حصل لهم النفس والشهوة ولم يحصل لهم العلم والحكمة و
هي البهائم وثالثها الاشياء الخالية عن القسمين وهي الجمادات والقسم الرابع هو الذي حصل فيه الامران وهو
الانسان والمقصود من خلق الانسان ليس هو التجبر والتقليد والتكبر واتباع الشهوة والغضب فان كل ذلك
من صفات البهائم والسباع بل المقصود من تخليقه ظهور العلم والحكمة والطاعة فقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
معناه ان هذا النوع من المخلوق وان حصلت فيه الشهوة الداعية الى الفساد والغضب الحامل على سفك
الدماء لكن حصل فيه العقل الذي يدعوه الى المعرفة والمحبة والطاعة والخدمة واذا ثبت انه تعالى انما اجاب
الملائكة بهذا الجواب وجب على الانسان ان يسعى في تحصيل هذه الصفات وان يجتهد في اكتسابها وان يحترز
عن طريقة التجبر والتقليد والتكبر والاحتراز عن المعصية فمن وقف على كيفية هذه الواقعة فوجب على الجد
والاجتهاد في اكتساب المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة والاحتراز عن اضدادها فلهذا السبب
ذكر الله تعالى هذا الكلام في هذا المقام فان المقصود من ذكر هذه القصة في هذا المقام المنع من الحسد والكبر
وذلك ان ابليس انما وقع فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكفار انما نازعوا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم

ان شارحه ايمان محل انما انا نذير النصب على نزع الخافض والتقدير بانما يوحى الي الا بانما انا نذير اي للانذار فحذف الجار وهو مجرور او هو مراد فالنصب بايصال الفعل اليه او هو مراد فيكون في موضع الجر كما هو المشهور في مثله والقائم مقام الفاعل على هذا الى وان كان في محل الرفع على انه القائم مقام الفاعل يكون المعنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ ولا افرط في ذلك فان مآل جميع ما اوحي اليه عليه الصلوه والسلام هو الانذار منه

بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها زاجرا لهم عن هاتين الخصلتين المذمومتين
والمراد بالبشر ههنا آدم عليه الصلوة والسلام وان قيل كيف يجوز ان يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان المخاصمة مع الله تعالى كفر اجيب بانه لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب
وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة تجوز اطلاق اسم المشبه به على المشبه فحسن اطلاق لفظ
المخاصمة على المقاولة الواقعة هناك ولما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الرمز
امره ان يقول ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين يعني انا ما عرفت هذه المخاصمة الا بالوحي الى هنا كلام الامام
والمص لما جعل قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الاية بدل اشتمال من قوله اذ يختصمون تنبه له وورد عليه ان الاختصام
المذكور سابقا مسند الى الملأ الاعلى واقع فيما بينهم وما وقع في جملة البدل هو التقاول الواقع بين الله وبينهم
لانه تعالى هو الذي قال لهم وقال القطبي يجعل هذه الجملة بدلا من قوله اذ يختصمون مبنيا له دفعه بثلثة اوجه
الاول ان المعتبر في بدل الاشتمال ان يكون بين البدل والمبدل منه ملابسة بغير الكلية والجزئية سواء
اشتمل الاول على الثاني او بالعكس وههنا قد اشتمل البدل على المبدل منه ضرورة ان التقاول الواقع بينه
تعالى وبين الملائكة وابليس يشتمل على تقاول الملائكة وابليس غاية ما في الباب ان اشتماله على تقاول
الملائكة وابليس وقع على سبيل الاختصار اكتفاء بما في البقرة واقتصارا على ما هو المقصود والوجه
الثاني ما ذكره بقوله ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك بان اوحى الله تعالى الى ملك
من الملائكة ان يقول لسائر الملائكة انه تعالى جاعل في الارض خليفة وهو الذي قال لهم اسجدوا لآدم
وقال لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقال لآدم انبئهم باسمائهم فيكون اسناد هذه الاقاويل
اليه تعالى مجازا لكونه سببا امر له والوجه الثالث ان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة على سبيل
التغليب قوله عدلت خلقته اي هيأته الهيئة التي لا يبقى بعدها الا نفخ الروح فيه والفاء في قوله فقعوا له
ساجدين تدل على انه لما تم نفخ الروح في الجسد امر الله تعالى الملائكة بان يقعوا له ساجدين بسجدة التحية
والاكرام فان قيل امر من وقع يقع فكذا قول المص فخر والكسرة الها على لفظ الامر قوله وصار من الكافرين
رد لما يقال المعتبر في الايمان هو ايمان الموافاة فمن ختم على الكفر فهو كافر في جميع الازمنة الماضية وان
كان صائم النهار وصائم الليل فيها وكذا من ختم على الايمان والطاعة فهو مؤمن في جميع عمره فالمص
قد كان يصار اشارة الى انه كفره انما كان وقت ابائه واستكباره من الازمنة الماضية لا في جميع الازمنة
الماضية فان كان ليس بموضوع لاستمرار خبره كلمة في جميع الازمنة الماضية بل موضوع للدلالة على مجرد ثبوت
خبره كلمة في الزمان الماضي مطلقا فيصح ارادة انه كفر وقت ابائه واستكباره منه كما صح ارادة جميع الازمنة
الماضية وذلك اذا حمل على وجود كفره في علم الله تعالى قوله خلقته بنفسي يعني ان قوله خلقت بيدي استعارة لتفرده
بخلقه وايجاده تشبيها لتفرده بالايجاد باختصاص ما عمله الانسان بيديه كما مر في سورة يس في قوله مما

عملت ايدينا ولكن في افادته هذا المعنى توحيد لفظ اليد بتين وجه تثنيته قوله واختلاف الفعلين موذن بالعطف
على مزيد القدرة كانه اشارة الى قوله عليه الصلوة والسلام خمرت طينة آدم اربعين صباحا قوله وترتيب الانكار
عليه اي على كون المسجود له مخلوقا له تعالى من غير توسيط اما للاشعار بان ذلك الوصف داع الى التعظيم مع وجود الداعي
اليه قبيح فيكون التوبيخ على تركه اتم او للاشعار بان كونه مخلوقا له تعالى هو الذي تشبث به اللعين في ترك تعظيمه
وقال كيف يستحق المخلوق لان يسجد ويعظم من دون الخالق وضم اليه ان آدم مع كونه مخلوقا فهو مخلوق من
طين وان نفسه مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فابى ان يسجد لمخلوق مع فضله عليه فذكر الله تعالى
ما هو الصارف عنه بزعم اللعين وانكر على تركه السجود لما خلقته بنفسه للاشعار بان ما زعمه صارفا لا يصلح
ان يكون صارفا عنه اذ للسيد ان يجعل بعض عبيده خادما لبعض ولو كان للخادم مزيد اختصاص بالسيد
فان شرف الخادم لا عبرة به مع وجود ما يدعوه الى خدمة المفضول وهو امر السيد اياه بالخدمة للمفضول
فان امر السيد واجب الاتباع سواء امر الفاضل بخدمة المفضول او بالعكس قوله وقيل استكبرت الآن
فالمعنى على الاول الاستكبار تركك السجود ام لعلوك وعلى الثاني الاستكبار تركك الحادث تركت السجود ام لاستكبارك
القديم المستمر ولم يرض به لان جواب ابليس لا يطابقه فانه اجاب بانه انما ترك السجود لكونه خيرا منه وعاليا
بالنسبة اليه وبين ذلك بان اصله من النار واصل آدم من الطين والنار اشرف من الطين لان الاجرام
الفلكية اشرف من الاجرام العنصرية والنار اقرب العناصر من الفلك والارض ابعدها عنه وايضا النار لطيفة
نورانية والارض كثيفة ظلمانية واللطافة والنورانية خير من الكثافة والظلمانية قوله وقرئ استكبرت
بحذف حرف الاستفهام لان ام تدل عليه او هو بمعنى الاخبار فعلى هذا يكون ام منقطعة لعدم شرط كونها
متصلة وقراءة العامة بهمزة الاستفهام فيكون ام متصلة لوجود شرطها قوله او من الصورة الملكية فكان
يفتخر بها فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا قوله مطرود الرجم الرمي
بالحجارة كني به عن الطرد لان الغالب ان من طرد فقد رمي بالحجارة قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين
فان قيل كيف قال الى يوم الدين وهي لا تنقطع عنه بمجيء يوم الجزاء لقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان
لعنة الله على الظالمين وهو منخرط في سلكهم قلنا معناه ان عقوبته في الدنيا اللعنة فاذا كان يوم القيمة
اقترن بها ما ينسي اللعنة عنده فكانها انقطعت وهي متوفرة ونحوه ما روته عائشة رض عن النبي صلى الله
عليه وسلم اذا حاضت المرأة حرم الجحران فان معناه انقطع انفراد حرمة الدبر اذا حاضت قوله الى يوم الوقت المعلوم
وهو الوقت الذي تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم
عند الله تعالى معين لا يتقدم ولا يتأخر اراد الملعون ان لا يموت فلم يجب الى ذلك واخر الى يوم الوقت المعلوم
وهو يوم يموت الخلق فيه قوله ان قال الله فالحق والحق اقول يعني ان عامة القراء قرأهما منصوبين وان
الاول منصوب بفعل مضمر والثاني منصوب باقول المذكور قوله ان عليك الله ان تتابعا تامة توضع كريا وزيد

طابعا فان اسم الله تعالى مقسم به حذف منه حرف القسم واوصل الفعل اليه كان شخصا اخذ قهرا لان يبايع والبا
فقيل له اقسم بالله ان الواجب عليك ان تبايع فلانا اخذت كرها لا اجزت ذلك ثم بعد المبايعة ترد طوعا فوله
توخذ بدلا من تبايع بدل الفعل من الفعل كما يبدل الاسم من الاسم قوله وما بينهما اعتراض اي بين المقسم
والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق لان تقديم المفعول يفيد الحصر قوله لاملان جهنم منك اي من جنسك و
هم الشياطين وممن تبعك منهم اي من ذرية آدم على ان كلمة من في منهم بيان من تبعك واجمعين يجوز ان يكون
تاكيد الكاف في منك وما عطف عليه وهو من تبعك اي لاملان جهنم منك يا ابليس وممن تبعك من بني آدم لا
اترك احدا من التابعين والمتبوعين وان يكون تاكيد الضمير منهم اي لاملان جهنم منك وممن تبعك من جميع
الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود ما لا يجوز منهم وهو الاغواء والاتباع قوله وقرئا
مرفوعين اما رفع الاول فلما ذكر من كونه مبتدا حذف خبره اي فالحق قسمي لاملان او خبر مبتدا محذوف فان
فانا الحق واما رفع الثاني فبالابتداء وخبره الجملة بعده والعائد محذوف كما في قول ابي النجم * قد اصبحت ام الخيار
تدعي * علي ذنبا كله لم اصنع * فان الرواية برفع كله فلا بد من العائد وقرئا مجرورين ايضا اما جر الاول فعلى
انه مقسم به اضمر حرف قسمه فهو مجرور به كما في قولك الله لافعلن واما جر الثاني فعلى حكاية اللفظ المتقدم
مقيدا بالنظر به اولا قوله وهو تابع فيه اذا شارك الاول اي الوجه المذكور وهو الاعراب على حكاية اللفظ المتقدم
جائز في الثاني اذا شارك الاول في صورة الاعراب بان كانا منصوبين او مرفوعين او مجرورين ولا يختص
بالاخيرين لان المنصوب والمرفوع ايضا مقسم بهما كالمجرور غير انه لا بد في المرفوع من تقدير الخبر فحكايتهما تفيد
ما يفيد حكاية المجرور وهذا الوجه في المرفوع والمنصوب فيه دقة ليست فيهما على تقدير عدم الحكاية اذ لا
يتبادر اليه كل احد وفيه ايضا حسن حيث يقبله الطبع ولا ينبو عنه المقام قوله ورفع الاول على الابتداء اي
فالحق قسمي او على الخبر اي انا الحق وجره على اضمار حرف القسم بنصب الثاني على انه مفعول قدم على
عامله وهو المراد بالتخريج المذكور ليت شعري ان القراءة برفع الاول ونصب الثاني هي قراءة عاصم وحمزة
وقد ذكرت قبل فلم عيدت هنا قوله فانتحل النبوة اي ادعيها لنفسي كاذبا فيقال انتحل شعر فلان اذا ادعاه
لنفسه قوله على ما عرفتم من حالي اشارة الى ان قوله وما انا من المتكلفين انما هو للتنبيه على ما عرفوا من حاله
لا الاخبار والا لكان الدعوى بلا بينة والله اعلم تم ما يتعلق بسورة ص بحمد الله تعالى وحده والصلوة و
السلام على من لا نبي بعده وهذا اوان الشروع بما يتعلق بسورة الزمر وهي مكية غير ثلث آيات وهي من
قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الى تمامها بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى تنزيل
الكتاب خبر محذوف اي هذا تنزيل الكتاب ومن الله صلة التنزيل كقولك هذا نزل من عند الله او خبر بعد خبر فيتعلق
بمحذوف كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون حالا من التنزيل والعامل فيها معنى الاشارة
قوله او التنزيل اي يجوز ان يكون من الله حالا من التنزيل والعامل فيها ما في هذا من معنى الفعل وهذا التنصيص على

على ان معاني الافعال تعمل سواء كان ما هي فيه محذوفا او مذكورا او فعل لا فعل اذا كان ما هي فيه محذوفا كما لا تعمل
في المتقدم لضعفها وان يكون حالا من الكتاب والعامل فيها التنزيل كانه قيل نزل الكتاب كائنا من الله وجاز مجيء
الحال من المضاف اليه لكونه مفعولا للمضاف فان المضاف مصدر مضاف الى مفعوله ويجوز ان يكون تنزيل مبتدا
خبره من الله كقولك شفاء المريض من الله قوله والظاهر ان الكتاب على الاول اي على ان يكون تنزيل الكتاب خبر
مبتدا محذوف يراد به هذه السورة لان الكتاب والقران وان كانا اسمين يصح اطلاقهما على جميع ما بين دفتي المصاحف
وعلى جميع السور الا ان كون تنزيل الكتاب خبر لهذا المقدر قرينة تخصيص الكتاب بالسورة لان الاصل ان يكون الاشارة
بهذا الى القريب الحاضر فالمعنى هذا التنزيل تنزيل السورة من الله او كائن من الله واراد بالوجه الثاني ان يكون
تنزيل الكتاب مبتدا والظرف بعده خبره فالظاهر في انه يبقى الكتاب على اطلاقه لعدم المخصص والمعنى تنزيل
القران كائن من الله تعالى لا من غيره ولفظ تنزيل يشعر بانه تعالى انزله منجما على سبيل التدريج ولفظ الانزال يشعر بانه
تعالى انزل دفعة واحدة وطريق الجمع ان يقال انا حكمنا حكما كليا بان نوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم
اوصلنا اليك منجما على حسب المصالح قوله ملتبسا بالحق على ان يكون بالحق حالا من المفعول متعلقا بمحذوف
بمعنى ملتبسا بالحق مشتملا عليه لما يتبين انه منزل من عند الله يتبين انه انما نزل ملابسا بالحق ويجوز ان يكون
حالا من فاعل انزلنا اي انزلناه ملتبسين بالحق والصدق والصواب والمعنى كل ما فيه من اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد وانواع التكاليف حق يجب ان يتدين به قوله او بسبب اثبات الحق على ان يكون حرف الجر
متعلقا بالانزال فيكون بيانا لما دل عليه الحكيم اجمالا ولما تبين ان هذا الكتاب منزل من الله العزيز الحكيم حال كونه ملتبسا
بالحق وكان خلاصته ما ذكر فيه ان يخص العبادة لله تعالى حال كون العابد مخلصا له الدين وهو الطاعة من
الشرك والريا فان الاخلاص ان يقصد العبد بعمله ونيته رضا الله تعالى حيث لا يشوبه شيء من غرض الدنيا
فرع عليه قوله فاعبد الله على ما قبله بالفاء فقوله مخلصا حال من فاعل اعبد والدين منصوب باسم الفاعل و
قوله فاعبد جواب شرط محذوف كقولك احسن اليك فلان فاشكره كانه قيل اذا تقرر هذا فاعمل بمقتضى كتابك
وان قرئ الدين مرفوعا تم الكلام على قوله مخلصا ويكون قوله الدين جملة اسمية قدم فيها الخبر ولما كان تقديم
الخبر مفيدا التاكيد الاختصاص المستفاد من اللام ورد ان يقال ما الفائدة في ان يكون قوله الا لله الدين الخالص تكريرا له
في الفائدة فيه اجاب عنه بانه تاكيد آخر لذلك الاختصاص مع التصدير بحرف التنبيه الدال على ظهور الامر لكثرة حججه قوله
والاطلاع على الاسرار والضمائر فيطلع على ستر من اخلص له الطاعة ومن فعلها رياء وسمعة فلا يقبل الا ما
خلص له منها فيضيع غيره قوله يحتمل المتخذين بمعنى ان قوله والذين اتخذوا يحتمل ان يكون عبارة عن المتخذين
بكسر الخاء فيكون ضمير اتخذوا راجعا الى الذين وهم المشركون فقوله والذين مبتدا وقوله ما نعبدهم الى قوله زلفى
مقول قول مضمر وقرأ ابن مسعود رض قالوا ما نعبدهم باظهار القول وذلك المضمر مع ما في حيزه في محل الرفع على انه
خبر المبتدا والتقدير والذين اتخذوا من دون الله اولياء قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تقربا ويشفعوا لنا

عند الله لانهم يقولون الاوثان تماثيل الكواكب او تماثيل الملائكة او تماثيل من مضى من الصالحين فيعبدونها
رجاء ان تشفع لهم عند الله ويجوز ان يكون الخبر على هذا التقدير قوله ان الله يحكم بينهم فيكون ذلك القول المضمر مع معموله
في موضع النصب على انه حال من فاعل اتخذوا والمعنى والذين اتخذوا قائلين كذا او كذا ان الله يحكم بينهم ويجوز
ان يكون القول المضمر بدلا من الصلة وهي اتخذوا والتقدير والذين قالوا ما نعبدهم والخبر ايضا ان الله يحكم
ويحتمل ان يكون الذين عبارة عن المتخذين بفتح الخاء وهم المعبودون فح لا يكون ضمير اتخذوا راجعا الى الموصول
بل يكون راجعا الى المشركين وان لم يجر لهم ذكر ولكنهم فهموا من ذكر الاتخاذ اذ يكفي في الاضمار ذكر ما يدل على
ما يرجع اليه الضمير واولياء مفعول ثان لاتخذوا ومفعوله الاول محذوف وهو الضمير العائد الى الموصول والتقدير
والذين اتخذهم المشركون من دون الله اولياء ان الله يحكم فان قوله ان الله يحكم بينهم يتعين للخبرية على هذا
التقدير اذ لا يصح ان يقال والذين اتخذهم المشركون اولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا لان هذا الكلام انما
يصح ممن يعبد غير الله والمتخذون بفتح الخاء ليسوا كذلك والزلفى اسم بمعنى القربة والمنزلة وانتصابه لاقامته
مقام المصدر المؤكد لعامله لاتحادهما في المعنى اي الا ليقربونا الى الله زلفى او ليقربونا الى الله تقريبا وجوز ابو البقاء
ان يكون حالا مؤكدة بمعنى مزلفين اي مقربين قوله والضمير للضمير الجمع في بينهم وهم يختلفون اما الكفرة ومقابليهم
وقد تقدم ذكر الكفرة صريحا على تقدير ان يكون الذين اتخذوا عبارة عن المتخذين او عن المتخذين لان ضمير اتخذوا ح
راجع الى المشركين ولا شك ان ذكر المشركين وذمهم بشركهم يدل على ذكر مقابليهم ومدحهم بالتوحيد والايمان
قوله لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فان قلت لم من كاذب كفار فقد وفقه الله تعالى للايمان فما
وجه هذا النفي اشار الامام النسفي الى الجواب عنه بقوله ان الله تعالى لا يخلق صفة الاهتداء فيه ما دام مصرا على ذكر
وقيل معنى الآية انه تعالى لا يوفق للاهتداء من هو في علمه تعالى انه يختار الكفر بان زعم ان الله تعالى ولدا او انهم بنات
الله تعالى وان للاصنام شافعة ويكذب بان يقول ذلك فالمراد بالكذب في قوله تعالى من هو كاذب وصفهم الاصنام
بانها آلهة تستحق العبادة وانها تشفع لهم وتقربهم اليه تعالى وقولهم للملائكة بنات الله بالتربية تعقيبه بما يبطله
ويحتمل ان يكون المراد بالكفار كفران النعمة لان العبادة نهاية التعظيم فلا يستحق لها الا من يصدر عنه غاية
الانعام وهو الله تعالى والاوثان لا مدخل لها في شيء من الانعام فعبادتها غاية الكفران لنعمة المنعم الحق قوله
اذ لا موجود سواه تعليل لقوله لاصطفى مما يخلق باعتبار تضمنه ما هو جواب لو حقيقة فان تقدير الكلام لو ثبت
القول بانه تعالى اراد اتخاذ الولد لامتنع حمله على حقيقته وظاهره ولا يكون معناه الا انه اراد اصطفاء بعض
خلقه وتقريبه اليه بخصوصه كما يختص الرجل بولده ويقربه اليه وذلك لان حقيقة اتخاذ الولد ممتنع في حقه تعالى
لاستلزامه تركب ذاته من الماهية الكلية والتعيين المنضم اليها ضرورة ان الولد والوالد متفقان
بالحقيقة ومتمايزان بالهوية والتعيين فيكون كل واحد منهما ماهية نوعية وتعين ينضم اليها وارادته تعالى
لا يجوز ان تتعلق بالممتنع فلم يبق للقول بانه تعالى اراد اتخاذ الولد معنى سوى ما ذكر فظهر بهذا ان قوله تعالى

والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بانه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث جعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم ان الذين يعبدون موحدون وهم مشركون بعبادتهم وهم يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين كشاف

ومن التبيين ان اتخاذ الولد منوط بالمجانسة وان المخلوق لا يجانس خالقه بين المتخذ والمتخذ حتى يمكن اتخاذه ولدا فاذا فرضنا اتخاذ ولد لم يمكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي تقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة فرض معتبرا بالاستلزام فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه اشعارا ان لو اراد الله ان يتخذ ولدا الفعل ليس هو من اتخاذ الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء بعد وقوعه اشعارا ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا علاقة انه متحقق عنده بشرط تحقق الارادة بل على انه بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه ابو

تعالى لاصطفى مما يخلق ما يشاء في قوة ان يقال انه تعالى اذا اراد اتخاذ الولد لما كان المراد باتخاذه الا اصطفاء
بعض خلقه لنفسه وبين المصنف وجه الملازمة بقوله اذ لا موجود سواه الخ فانه اذا ثبت ان ما سواه تعالى مخلوق
له ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق حتى يكون ولدا له لتنافيهما في الحقيقة النوعية وتميز احدهما عن الآخر بالهوية
والتعيين فتكون الآية مسوقة لبيان استحالة ان يتخذ الله تعالى ولدا كما ان قول من قال ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب مسوق لبيان انه لا عيب فيهم البتة بناء على ان فلول سيوفهم من كثرة المقارعة
وليس بعيب وكذا اصطفاء بعض خلقه على غيره ليس اتخاذ الولد فيستحيل منه تعالى ان يتخذ ولدا قوله ثم قرر
ذلك اي حقق ما سبق له الآية من استحالة ان يتخذ ولدا حقيقة ببيان انه واحد في ذاته فيمتنع ان يشارك
غيره في تمام الماهية وانه قهار غالب على كل شيء فلا يحتاج الى الولد ثم استدل على انه تعالى واحد لا يشارك
وقهار لا يغالب بقوله خلق السموات الآية فان خلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر و
تسخير النيرين وجريهما لاجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام يدل على ان
كل واحد من متعلقات هذه الافعال مغلوب مقهور فلا بد من قاهر يكون كل واحد منها تحت تدبيره وقهره وانه
واحد لا شريك له والظاهر ان قوله يكور الليل على النهار كلام مستانف لا تعلق له بما قبله وقيل انه حال من فاعل خلق
وهو ضعيف لان خلق ما ذكر ليس في حال التكوير بل التكوير انما هو بعد تعلق خلق السموات والارض الا ان يقال هي
حال مقدرة وهو خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة وفسر التكوير بالاغشاء وهو ان يجيء باحد الشيئين مكان
الآخر يقال غشيه غشيانا اي جاءه واغشاه اياه غيره اي جاء به اياه وفي الصحاح تكوير الليل على النهار تغشيته
اياه ويقال زيادته في هذا من ذاك واصل التكوير اللف واللي والتعصيب يقال كار العمامة على رأسه يكورها كورا
اذا لبسها عليه وكل دور كور ومعنى تكوير كل واحد من الملوين على الآخر جعل كل واحد منهما خلفه بان يذهب هذا
ويغشى مكانه ذلك كما قال تعالى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا واذ غشي كل واحد منهما
مكان الآخر فكانما لف عليه والبس كما يلف اللباس على اللابس فيعبر به التغشية بالتكوير واللباس
في الاحاطة فعبر به عنها استعارة اصلية ثم اشتق من التكوير بمعنى التغشية لفظ يكور فكان استعارة تبعية
قوله او يغيبه به عطف على قوله كانه يلف عليه واشارة الى وجه ثان لتشبيه الاغشاء بالتكوير فان اغشاء
كل واحد منهما الآخر كما يشبه لف اللباس باللابس في اشتمال احدهما على الآخر وتغطيته به يشبه ايضا
تغييبه اياه فان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه اغشاؤه الآخر بالتكوير واللباس في تغييبه
اياه كان كل واحد منهما شيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الابصار ثم ذكر وجها ثالثا لتشبيه الاغشاء
بالتكوير فان اغشاء كل واحد منهما الآخر ومجيء احدهما في اثر الآخر لما كان على سبيل التتابع والتعاقب
شبه بتتابع اكوار العمامة بعضها عقيب بعض في التتابع قوله او يجعله كار الحلبة كرورا متتابعا هو
كالوجه الاول في انه اعتبر التشبيه في الفعل حيث شبه التغشية اي تغشية كل واحد منهما الآخر على سبيل

التتابع والتعاقب بتكوير العمامة ولف بعض اكوارها اثر بعض متتابعة على نسق واحد الا انه جعل جري
الشئ التابع قوله منتهى دوره فان كل واحد منهما يسير الى ان يبلغ اقصى منازله ثم يرجع ويسير الى ان يبلغ
ادنى منازله والشمس تتم دورها في اخر السنة والقمر في اخر كل شهر ويحتمل ان يكون المراد بالاجل المسمى يوم
القيمة فانهما لا يزالان يجريان الى هذا اليوم فاذا كان يوم القيمة ذهبا لانه ح تنفطر السماء وتنتثر الكواكب
قوله اسند الى اخره اشارة الى ان ما سبق من الدلائل الدالة على قهاريته ووحدانيته دلائل ملكية متعلقة
بالفلكيات بما يتصل به ثم ذكر الدلائل السفلية فبدا بذكر الانسان لما ذكره من قوله لانه اقرب واكثر دلالة و
اعجب والقصير تصغير قصرا وهي الضلع الاسفل التي هي اقصر الضلوع قوله وثم للعطف على محذوف اي جواب
عما يقال عطف قوله تعالى ثم جعل منها زوجها على قوله خلقكم من نفس واحدة على طريق عطف الجملة على الجملة يدل
على ان خلق حوى من ضلع آدم عليه الصلوة والسلام متراخ عن تشعب الخلق الفائت للحصر من آدم والظاهر
انه ليس كذلك واجاب عنه بثلثة اوجه وكلمة ثم على الوجهين الاولين على اصلها من كون المعطوف بها متراخيا
على المعطوف عليه متراخيا عنه زمانا ومعنى الآية وتقديرها على الوجه الاول خلقكم من نفس واحدة خلقها
ثم جعل منها زوجها وعلى الثاني خلقكم من نفس وحدت اي انفردت ثم شفعها بان خلق منها زوجها وعلى الثالث
يكون ثم للتراخي الرتبي لان كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه حجة دالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته
والجملة الثانية وان كان مضمونها متقدما على مضمون الاولى زمانا الا انه متاخر عنه رتبة من حيث ان مضمون
الثانية ادل على كمال القدرة وادخل في كونها آية دالة على التفرد في الالوهية واجلب لتعجب السامع بالنسبة
الى مضمون الاولى وذلك لان تشعب الخلايق من نفس واحدة بطريق التناكح والتوالد عادة مستمرة بخلاف
خلق حوى من ضلع آدم فانه خارج للعادة اذ لم يخلق انثى غير حوى من قصيرى رجل قوله وقيل اخرج في
عطف الجملة الثانية على الاولى بكلمة ثم الدالة على التراخي الزماني انه تعالى اخرجنا من ظهر ادم كالذر ثم خلق
حوى بعد ذلك بزمان فاذا جعل قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة بمعنى اخرجكم من ظهر ادم على هيئة الذر جاز
ان يكون خلق حوى من ضلع آدم متراخيا بحسب الزمان عن مضمون الجملة الاولى فيكون ثم للتراخي الزماني
ولم يرض به المص لانه خلاف الظ قوله وقضى او قسم لكم لما لم يكن الازواج الثمانية وهي الذكر والانثى من
الاجناس الاربعة التي هي الابل والبقر والضان والمعز نازلة من السماء جعل الانزال بمعنى قضى وقدر او قسم
اطلق الانزال على قضائه تعالى وقسمته من حيث ان كل واحد من قضائه وقسمته مكتوب في اللوح المحفوظ
وكل ما كتب فيه لابد ان يظهر اثره بين اهل الدنيا وينزل اليهم ولما كان الانزال من توابع القضاء والقسمة
المثبتين في اللوح جاز ان يطلق انزل ويراد قضى او قسم على طريق اطلاق اسم المتعلق وارادة
المتعلق وهو معنى قوله فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول اي يتعلق النزول بها قوله او احدث لكم باسباب
نازلة يعني ان المنزل حقيقة هو ما يعيش الانعام بسببه وجعل نفس الانعام منزلة بناء على ان انزال اسباب

قوله او على معنى واحدة فيكون … كمال العطف … انتهى

قوله الانزال بما يصح تعلقه بها ويوجد القضاء والقسمة وبين وجه العلاقة بين الانزال والقضاء بينهما بكون الانزال من توابعهما ولوازمهما فيكون ذكر الانزال وارادة القضاء ذكر اللازم وارادة الملزوم فيكون مجازا … منه

اسباب معاشها بمنزلة انزالها نفسها قوله بيان لكيفية خلق ما ذكر اشارة الى ان قوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم
جملة استئنافية لبيان ذلك وخطاب الاناسي والانعام بضمير العقلاء مبني على تغليب العقلاء على غيرهم وقوله خلقا
مصدر لقوله يخلقكم وقوله من بعد خلق صفة للمصدر لتقييد النوعية فان خلق الحيوان السوي مسبوق بنوع
اخر من الخلق وقوله في ظلمات متعلق بخلق المجرور ولا يجوز تعلقه بخلق المنصوب لانه مصدر مؤكد فلا يعمل
ولا يجوز ايضا تعلقه بالفعل قبله لانه قد تعلق به حرف مثله ولا يتعلق حرفان متحدان لفظا ومعنى بعامل واحد الا
بالبدلية او العطف وكلاهما منتفيان هنا الا ان يجعل لفظا بدلا من قوله في بطون امهاتكم بدل اشتمال لان البطون
مشتملة عليها فيكون بدلا باعادة الجار ح يجوز تعلق الجارين بيخلقكم ولا يضر الفصل بين البدل والمبدل منه
بالمصدر لانه من تتمة العامل وليس باجنبي عنه قوله والصلب فيه ان خلق الحيوان السوي ليس في الصلب
قوله لانها صارت بحذف الالف موصولة بمتحرك فان هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها تتبع حركتها فان كانت الهاء مضمومة
توصل بالواو وان كانت مكسورة تلحقها الياء كقوله وبه ويرضه يتقيه بصورة ويتقه برماه تقديرا
لان اصله يرضاه فمن قرأه باشباع ضمة الهاء اعتبر مشابهته نحو ضربه في كون ما قبل الهاء متحركا فالحق به الواو
ومن حرك الهاء ولم يلحق الواو نظر الى ان اصله يرضاه والالف المحذوفة للجزم ليست بلازمة الحذف فكانت
كالباقية ومع بقاء الالف لا يجوز اشباع الضمة والحاق الواو فكذا اذا كانت في حكم الباقية لما بين الله تعالى انه
غني عن ايمانكم بناء على انه ما امركم بالايمان لاحتياجه اليه بل انما امركم به لتنالوا به سعادة الابد وتنجوا من شقاوة
الابد فلا يعود ضرر كفركم اليه تعالى قال لا تزر وازرة وزر اخرى اي ولا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم
في القيمة الجزاء ربكم فينبئكم باعمالكم ويجازيكم عليها ثم شرع في تقريع الكفار وبيان ان طريقتهم متناقضة
لانهم اذا مسهم الضر طلبوا كشفه من الله تعالى لعلمهم الضروري بان الاصنام لا تضر ولا تنفع واذا زال ذلك الضر عنهم
رجعوا الى عبادة الاوثان لمنازعة اوهامهم الباطلة وخيالاتهم الفاسدة مقتضى عقولهم الذي لا التجاء اليه تعالى
في جميع الاحوال فهم مذبذبون لا يثبتون على شيء والضر اسم شامل يتناول جميع المكاره سواء كان في جسمه
او ماله او اهله واولاده فلا وجه لتقييده ببعض المكاره قوله منيبا اليه اي راجعا اليه وحده في ازالة ذلك
الضر لا يخطر بباله الانابة الى ما اتخذه اولياء من دون الله قوله من الخول بالتحريك وهو التعهد والتحفظ يقال
فلان خائل مال اي حافظه حسن القيام عليه فمعنى خوله نعمة اعطاه اياها وتعهده بها الا انه انما يقال اذا اعطاه
اياه ابتداء من غير مقتض لا يستعمل في الجزاء بل في ابتداء العطية وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا اي يتعهدنا ويراعينا ويطلب اوقات نشاطنا ولا يكثر علينا خوفا
ويجوز ان يكون خوله بمعنى جعله يخول من قولهم خال يخول اذا اختال وافتخر لان الغني مختال ومنه قول العرب
ان الغني طويل الذيل مياس اي متبختر من ماس يميس اذا تبختر ومنه يجوز ان يتعلق بمحذوف على انه صفة لنعمة
قوله نسي الضر الذي اه اشارة ان ما موصولة بمعنى الذي مرادا بها الضر وان مفعول يدعو محذوف وان قوله

اليه على حذف المضاف قوله او ربه الذي على ان تكون ما موصولة بمعنى الذي ايضا مرادا بها ربه الذي كان يتضرع
اليه فكان الظاهر في ان يقال ما كان يدعوه الا انه ضمن يدعو معنى يتضرع ويبتهل فلذلك عدي بالى وكلمة ما يجوز
اطلاقها على اولى العلم كما اشار اليه المص بقوله وما مثله الذي في قوله اي وكلمة ما على الوجه الثاني يماثلها ما الذي
في قوله وما خلق الذكر والانثى وفي قوله ولا انتم عابدون ما اعبد وقوله فانكحوا ما طاب لكم فان كلمة ما في الجميع
بمعنى من حيث اطلقت على اولى العلم وكلمة ما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى في موضع الجر بالعطف على المجرور
بحرف القسم كقوله والنهار اذا تجلى وهي موصولة بمعنى من اي وخالق الذكر والانثى وهو الله عز وجل والمراد من
نسيانه ترك دعائه كانه لم يدعه قط ولو اراد النسيان الحقيقي لما ذمه عليه قوله والضلال والاضلال لما كانا نتيجة
جعل الخ جواب عما يقال كيف علل جعله الاوثان انداد الله تعالى بضلاله نفسه وباضلال غيره مع ان العلة
الغائية يجب ان تكون مما يقصد من الفعل ويدعو الفاعل اليه وشيء من الضلال والاضلال ليس كذلك و
تقرير الجواب ان عاقبة الفعل شبهت بالعلة الغائية للفعل في ترتبها عليه فاستعمل فيها لام العلة بطريق الاستعارة
التبعية كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهذا الكافر تمتع بكفرك
قليلا اي تمتعا قليلا او زمانا قليلا لا يصح كونه امر ايجاب او ندب او تخيير وهو ظاهر فلا محمل له سوى التهديد في المبالغة
في خذلانه وتخليته وشانه والمبالغة في الخذلان اشد من ان يبعث على عكس ما امر به من الايمان والطاعة قوله
وفيه اشعار بان الكفر نوع تشهي فانه لما عبر عن الاشتغال بالكفر بالتمتع وهو الانتفاع بما تشتهيه النفس اشعر
ذلك بكون الكفر مما فيه نوع تشهي لابتنائه على الاستمرار على المالوفات وموافقة الاسلاف من الاباء والامهات
قوله واقناط عطف على اشعار وهو مستعار من قوله قليلا لانه لما قلل زمان تمتعه بكفره علم ان المراد بذلك
الزمان مدة بقائه في الدنيا والحكم عليه بانه في دار الابد من اصحاب النار مبالغة في اقناطه من التمتع لانه كيف
يتصور التمتع والتلذذ ممن يعذب ابدا في النار ثم انه تعالى لما شرح صفات المشركين وتمسكهم بغير الله تعالى
حال الاختبار اردفه بشرح احوال المخلصين فقال امن هو قانت الاية اصله ام من فادغمت فسر
القنوت بالقيام بما يجب عليه من وظائف العبادات والاتيان بها مطلقا اي سواء كان ذلك حال الانتصاب
على الاقدام اولا لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل قنوت في القران فهو طاعة الله عز وجل وام متصلة
داخلة على من الموصولة وقوله هو قانت صلة من والموصول مع صلته في محل الرفع على الابتداء وخبره محذوف
كما حذف معادل ام المتصلة والتقدير أالكافر الذي جعل لله اندادا وقيل له تمتع بكفرك قليلا خير ام المؤمن
القائم بوظائف العبادات خير ايهما خير وان كانت ام منقطعة متضمنة معنى بل والهمزة تكون بل للاضراب
عن الكلام السابق وهو قوله واذا مس الانسان ضر الى اخر الآية كانه قيل دع ذلك الذم وقل لهم امن هو
قانت كضده او كالانسان المذكور المقول له تمتع بكفرك وان قرئ بتخفيف الميم تكون همزة الاستفهام
داخلة على من بمعنى الذي ويكون خبره محذوفا تقديره امن هو قانت كمن جعل لله اندادا وامن هو قانت
كثيره

كثيره والاستفهام فيه للانكار وانا الليل منصوب على الظرفية اي قانت ساعات الليل وفيه دليل على ان قيام
الليل افضل من قيام النهار وقرئ ساجد وقائم بالرفع فيهما على ان ساجد خبر ثان لهو في قوله هو قانت وقائم
عطف عليه والواو المتخللة بينهما مع عدم تخللها بين الخبر الاول والثاني لافادة الجمع بينهما اذ ليس المقصود
مجرد اتيان كل واحد منهما بل اتيانه مقارنا للاخر مجامعا معه لان افراد احدهما عن الاخر لا يعتبر في الشرع
بخلاف افراد القنوت بمعنى الطاعة فانه معتبر وان لم يتحقق في ضمن الصلوة وقوله تعالى يحذر الاخرة يجوز ان يكون
حالا من ضمير قانت او من ضمير ساجدا وقائما وان يكون مستانفا جوابا للسؤال مقدر كانه قيل ما شانه
يقنت اناء الليل ويتعب نفسه فقيل يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه والمعنى ليس من يفعل ما ذكر كمن لا يفعله
ويعيد ما نفى الاستواء بين من يعمل ومن لا يعمل نفى الاستواء بين من يعلم ومن لا يعلم على وجه ابلغ في افادة
النفي المذكور حيث ذكر الفريقان المتقابلان صريحا في النفي الثاني ونفي الاستواء بينهما بطريق الاستفهام الا
نكاري بخلاف الاية الاولى فانه لم يذكر فيها مقابل الفريق الثاني ولم تصرح بنفي المماثلة والمساواة بينهما بل
اكتفى بشهادة محور الكلام ودلالة المقام على ان المراد ذلك والفائدة في اختيار هذا الطريق الايماء الى مزيد
فضل العلم ثم قال انما يتذكر اولوا الالباب يعني ان هذا التفاوت الحاصل بين العلماء والجهال انما يعرفه اولوا الالباب
قيل لبعض العلماء انكم تقولون العلم افضل من المال ونحن نرى العلماء عند ابواب الملوك ولا نرى الملوك عند
ابواب العلماء فاجاب العالم بان هذا ايضا يدل على فضيلة العلم لان العلماء لما علموا ما في المال من المنفعة طلبوه
والجهال من الملوك لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلهذا لم يطلبوا ولم يراجعوا مواضع تحصيله ثم انه تعالى لما نفى
المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يخاطب المؤمنين ويعلمهم ما
يؤديهم الى السعادة الابدية وهو الاتقاء والتجنب عن المخالفة بملازمة الطاعة فيما امر ونهى ثم بين
لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد فقال قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة فقوله
حسنة مبتدأ والجملة الظرفية قبلها خبره وصح الابتداء بالنكرة لتقدم الحكم ولان التنكير في حسنة للتعظيم اي حسنة
عظيمة لا يصل العقل الى كنه كمالها والمراد بالاحسان احسان العمل بالايمان والطاعة وحذف مفعول احسنوا
للتعميم فان الحسنة المذكورة منوطة باحسان جميع الاعمال من العقائد والافعال والاقوال والنيات والتروك
وقوله في هذه الدنيا متعلق بقوله للذين احسنوا وقيل انه متعلق بقوله حسنة فينبغي ان يفسر الحسنة حينئذ بالثلثة
المذكورة في قوله عليه الصلوة والسلام ثلثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية وان يكون قوله في هذه الدنيا
بيانا لمكان قوله حسنة فكانه قيل الحسنة في اي دار هي فاجيب بانها في الدنيا فهي جملة مستانفة لا محل لها
من الاعراب ولا يجوز كونه صفة لحسنة لان الصفة لا تتقدم على الموصوف ولم يرض المص بهذا القول لان
الدنيا ليست بدار جزاء ولان قوله للذين احسنوا حسنة يفيد الحصر فلو حملت الحسنة على حسنة الدنيا
لكان المعنى ان حسنة هذه الدنيا لا تحصل الا للذين احسنوا وهو باطل واما لو حملناها على حسنة الاخرة

فقد صح الحصر واتضح المعنى فتبصر ان تحملها عليها اولى فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان في وطنه فليهاجر الى
اشارة الى ان الواو في قوله وارض الله واسعة استينافية جيء به قطعا لعذر من فرط في الاحسان متعللا بتسلط
الاعداء على الديار والاوطان كانه قيل اتقوا ربكم لان للمتقين اجرا عظيما وليس لتارك التقوى عذر البتة
الا غاية امره ان يتعلل في تركه بتعسره عليه في وطنه وهو لا يصلح عذرا لانه قد ابتلي به الانبياء والصالحون فهاجروا
من اوطانهم ونظيره قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا
فيها عن ابن عباس رضي الله عنه قال يعني ارتحلوا من مكة والاية حث لهم على الهجرة الى حيث يأمنون فيه من تعرض
الاعداء وقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب استيناف فانه لما حث على المهاجرة من الاوطان والعشائر
والصبر على احتمال البلايا رغبة في التوفر على التقوى توجه ان يقال كيف نتحمل هذه المشاق ومالنا ان صبرنا على
ذلك فاجيب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال مقاتل اجرهم الجنة وارزاقهم فيها بغير حساب
قوله تعالى اجرهم مفعول ثان ليوفى وبغير حساب في موضع النصب على انه حال من الاجر اي كائنا بغير نهاية لان
كل شيء دخل تحت الحساب فهو متناه فما لا نهاية له كان خارجا عن الحساب قوله متوحدا له يعني ان اخلاص
الدين والطاعة له تعالى كناية عن توحيده فان اخلاص الدين له من لوازم وحدانيته وتفرده بالالوهية لما
نبه الله تعالى على مزيد فضل العلم امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يبين لامته امور التي تتعلق بها سعادة الدارين فقال
اولا قل يا عباد الذين امنوا اتقوا الخ وقال ثانيا قل اني امرت واللام في قوله وامرت لان اكون للتعليل والتقدير
وامرت ما امرت به لاجل ان اكون متقدمهم في الدنيا والاخرة وقوله في الدنيا والاخرة مستفاد من اطلاق قوله
اول المسلمين قوله لان قصب السبق اي احرازه والظفر به يعني بذلك وجه كون تقدمه عليه الصلوة والسلام
على المسلمين علة غائية لكونه مامورا بالاخلاص في العبادة فان احراز قصب السبق في امر الدين اذا كان
منوطا بالاخلاص لا بالاكثار كان امره عليه الصلوة والسلام بذلك لاجل ان يكون مقدمهم في الدارين والمعنى ان
السابقين في مضمار الدين انما نالوا قصب السبق ولم يستحقوا اجلديته الا على حسب السبق في الاخلاص
امرت به لان افوز بفضيلة التقدم الرتبي عليهم في الدارين ذكر الجوهري من جملة تفاسير القصب انه كل ما اتخذ
من فضة وغيرها وانه انابيب من جوهر وفي الحديث بشر خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة من قصب قوله اولان
اكون اول من اسلم وجهه لله عطف على قوله لاجل ان اكون فسره اولا بان قال وامرت بذلك اي باخلاص
الدين لاجل ان اكون متقدم من دخل في الاسلام بحسب الرتبة والفضيلة في الدارين بسبب كون اخلاصي
اتم من اخلاصهم وفسره ثانيا بان قال امرت به لان اكون اول من اخلص وجهه لله بحسب الزمان ويتقدم الى من
امرته باخلاص الدين فان من امر غيره بما لم يفعله لا يؤثر وعظه ولا يقبله وفي اكثر النسخ او لانه اول من اسلم
وجهه الخ فيكون معطوفا على قوله لان قصب السبق الخ ويكون وجها ثانيا لكون تقدمه عليه الصلوة والسلام
علة غائية لكونه مامورا بالاخلاص فيكون الوجه الاول مبنيا على ان يكون المراد بقوله تعالى لان اكون اول المسلمين
الاو

الاولية بحسب الرتبة والشرف والوجه الثاني على ان يراد به الاولية بحسب الزمان فالمص بين وجه التعليل
على الاحتمال الاول بان السبق والتقدم في امر الدين بحسب السبق في الاخلاص وعلى الاحتمال الثاني بقوله او
لانه من اسلم وجهه لله فيكون معنى الاية امرت بان اسلم واخلص وجهي لله لان اكون اول المسلمين اي اول من
اخلص واسلم وجهه لله بحسب الزمان ليصح ان آمر غيري بذلك ولا ادخل في عداد من قيل فيهم اتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم قوله والعطف لمغايرة الثاني الاول جواب عما يقال لما جعلت اللام في قوله لان
اكون للعلة كان مفعول امرت الثانية محذوفا وهو ما كان مفعولا لامرت الاولى وكان التقدير وامرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين كي اشار اليه بقوله وامرت بذلك فلزم ان يكون المعطوف عين المعطوف عليه ولا يصح عطف الشيء
على نفسه واجاب عنه بوجهين الاول انا سلمنا ان مفعول امرت الثانية مقدر هو مفعول الاولى لكن لا نسلم
انه يستلزم اتحاد المعطوف والمعطوف عليه فان المعنى الواحد اذا كرر بان اطلق اولا وقيد ثانيا بما يرتبط
به بوجه من الوجوه لا يكونان متحدين وما نحن فيه من هذا القبيل اذ التقدير امرت باخلاص الدين وامرت بذلك
لان اكون من السابقين والحكمة في تكرار الامر بذلك مطلقا ومقيدا ما ذكره المص من اشعاره ان الاخلاص كما
يستحق ان يؤمر به لذاته يستحق ان يؤمر به لاجل ما يلزمه من السبقة في الدين والوجه الثاني لا نم ان مفعول
امرت الثانية محذوف بل هو ان مع الفعل المذكور بعدها واللام زائدة فالثانية تغاير الاولى من حيث ان
الاولى امر باخلاص العبادة والثانية امر بالتقدم فيه بالبدء بنفسه في الدعاء الى الاخلاص قبل ان يدعو غيره اليه قوله لعظم ما فيه اي في ذلك اليوم من الامور وهو تعليل لتوصيف اليوم بالعظم قوله امر بالا
خبار عن اخلاصه جواب عما يقال ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفي قوله
قل الله اعبد مخلصا له ديني قوله خائفا خبر ثان لكان في قوله عن كونه مأمورا وكون المامور به اخبارا عن
اخلاصه مبني على ان التقديم المفعول في قوله الله اعبد ليفيد الاختصاص قوله وان يكون مخلصا عطف
على اخلاصه اي بالاخبار عن اخلاصه وعن كونه مخلصا له دينه الاول مستفاد من تقديم المفعول والثاني
من تقييد العبادة بقوله مخلصا له ديني فالمامور به بهذه الاية شيئان الاول الاخبار عن تخصيصه العبادة
لله تعالى بان لا يعبد احدا سواه والثاني الاخبار عن كون تلك العبادة خالصا من السمعة والرياء وقوله
وان يكون مخلصا له دينه لم يوجد في بعض النسخ ولا وجه له قوله قطعا لاطماعهم مفعول له لقوله امر بالا
خبار وطمعهم ما روي ان كفار قريش قالوا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الا تنظر الى ملة ابيك عبد الله
وملة جدك عبد المطلب وسادة قومك كانوا يعبدون الاصنام فنزل قوله تعالى قل اني امرت الخ قوله ولذلك
اي ولكون هذه الاية امرا بالاخبار عن تخصيصه العبادة لله تعالى وتخليصها عن الشرك رتب عليه ما بعده
بزيادة من دونه في آخره فانه لولا ان التقديم يفيد الاختصاص لما كان قوله الله اعبد بمعنى اعبد الله لكان
المقابل له اعبد واما شئتم ما غير ان يزيد في آخره قوله من دونه وقيل ان كفار قريش لما ايسوا من ان

برجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دينهم قالوا احرت ان خالفت دين ابائك فنزل قوله تعالى قل

ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم اي هم الذين خسروا ويحتمل ان يكون الذين خسروا صفة

للخاسرين ويكون الخبر لهم من فوقهم ظلل او محذوفا دل عليه قوله هو الخسران المبين **قوله** لانهم جمعوا

وجوه الخسران بيان لوجه القصر والتخصيص المستفاد من قوله تعالى قل ان الخاسرين الذين خسروا

انفسهم واهليهم فانه من قبيل قولك المنطلق زيد في افادة القصر ولما كان الخاسرون ليسوا بمخصرين

فيما ذكر حمله على حصر الكمال كما في نحو هو الرجل اي هو الكامل في الرجولية الجامع لما في الرجال من مرضيات الخصال

فان من ضل بنفسه واضل اهاليه من الازواج والاقارب والخدم وسائر الاصحاب والعشائر وصرفهم عن طريق الجنة

التي هي الجامعة لجميع السعادات الابدية وادخلهم النار التي لا يعقل ما فيها من وجوه الخسران والشقا فانه لا خسران

اعظم من خسرانه واهليه هذا على تقدير ان يكون المراد باهليهم اهليهم الذين كانوا لهم في الدنيا وقد اضلوهم فيها

وقيل اصحاب النار خسروا اهليهم حيث لا يكون لهم اهل في النار وقد كان لهم اهل في الدنيا بستانسون بهم لان اهليهم

الذين في الدنيا ان كانوا كفارا وكانوا معهم في النار كان ذلك زيادة وحشة وحسرة لهم لا سبب انس وراحة

وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا صاروا من كونهم اهلا لهم ابدا وقال ابن عباس رض خسروا اهليهم لان

الله تعالى جعل لكل انسان منزلا في الجنة واهلا من الحور والغلمان فمن عمل بطاعته تعالى كان ذلك المنزل والاهل له

ومن عمل بمعصيته دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعته تعالى فقد خسروا اهليهم الذين كانوا

يكونون لهم لو امنوا **قوله** مبالغة في خسرانهم الوجه في افادة الاستيناف المبالغة لان الاستيناف انما يكون في

مقام الاهتمام بالحكم المبين والاعتناء بشانه ولا يعتنى بالشيء الا اذا كان بالغا باقصى مراتبه وكذا تصدير الحكم

بحرف التنبيه يدل على تفخيم شانه كانه قيل بلغ خسرانهم في الفظاعة الى حيث لا تصل العقول اليه فنبهوا له وتوسيط

ضمير الفصل وتعريف الخبر بعيد الحصر كانه قيل كل خسران في مقابلته كلا خسران **قوله** اطباق من النار اي قطع عظيمة

منها جمع طبق يقال طبق من الشيء اي معظم منه نحو مضى طبق من الليل وطبق من النهار اي معظم منه ونحو اتانا طبق

من الناس اي جماعة عظيمة ويطلق ايضا على ما يستر الشيء ويغطيه ولما ورد ان يقال الظلة ما علا الانسان

فكيف سمى ما تحتهم من قطع النار ظلة اشار الى جوابه بقوله هي ظلل للاخرين اي انها ظلل بالنسبة الى من تحتهم

وهم المنافقون لقوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وتلك القطع فرش بالنسبة الى المشركين

لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش والمعنى ان النار تحيط بهم من جميع الجوانب **قوله** ذلك العذاب

هو الذي يخوفهم به فسر الاية بما يفيد الحصر لانه لولا القصر لم يكن لها بعد قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم

ظلل فائدة وقوله ذلك العذاب يصح ان يذكر باسم الاشارة مع ان المذكور قبله الظلل فان قلت ما وجه الحصر مع

انه تعالى خوف ايضا بعذاب الزمهرير قلت المراد به المبالغة وحصر الكمال **قوله** كالرحموت فانه مبالغة المصدر بمعنى

الرحمة الواسعة والملكوت الملك الواسع فالطاغوت ايضا بمعنى الطغيان المتجاوز ثم وصف به الذات المو

١٩٢

الموصوفة به للمبالغة في اتصافها بالطغيان بحيث صارت كانها عين الطغيان كما يقال رجل عدل

لذلك واختص لفظ الطاغوت بالشيطان وصار بغلبة علما له لا يطلق على غيره حقيقة كما لا يطلق

النجم المعرف باللام على غير الثريا اطلاقا حقيقيا وذلك لكمال الشيطان في الطغيان وتميزه به عن جميع

ما عداه وقد يطلق على غيره مثل كعب بن الاشرف وامثاله تشبيها له بالشيطان في كونه رأسا للضلال **قوله**

فعلوت منه اي من الطغيان يريد ان وزنه في الاصل ذلك لان اصله طغيوت ولام الكلمة هي الياء لانها من الطغيان

ثم قدمت الياء على الغين وقلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار وزنه فلعوت بتقديم اللام على العين **قوله**

ولذلك اي ولكون بناء الطاغوت للمبالغة في المصدر وكون اطلاقها على الاعيان والذوات للمبالغة في اتصا

فها بالطغيان اختص بالشيطان فان قيل ما عبد احد الشيطان وانما عبدوا الصنم فالجواب ان الداعي الى عبادة

الصنم بمنزلة عبادته **قوله** واقبلوا اليه بشر اشرهم اي بكليتهم وفي الصحاح الشراشر الاثقال الواحدة شرشرة

يقال القى عليه شراشره اي نفسه حرصا ومحبة وهذا المعنى مستفاد من عدم ذكر صلة قوله وانابوا الى الله حيث

لم تقل وانابوا اليه بقلوبهم او بالسنتهم ونحو ذلك **قوله** وضع فيه الظاهر يعني ان المراد بقوله عباد عباده

الذين اجتنبوا الطاغوت وانابوا لا غيرهم لان قوله فبشر عباد مرتب على قوله والذين اجتنبوا وانابوا

لهم البشرى على معنى اذا كان لهم البشرى فبشرهم وحمل العباد على غير ما ذكر سابقا يستلزم تفكيك النظم و

النكتة في وضع الظاهر موضع المضمر بعد الاحتراز عن تفكيك النظم الدلالة على انهم كما يستحقون البشارة

لاجتنابهم وانابتهم يستحقونها ايضا لكونهم يستمعون القول فيتبعون احسنه اي لكونهم نقادا يميزون بين الحق

والباطل بناء على ان التعليق الحكم بالوصف يشعر علية للحكم المذكور فلو قيل فبشرهم لتفهم ان استحقاقهم

للبشارة انما هو لاجل اجتنابهم وانابتهم فلما وضع الظاهر موضع الضمير فهم ان ذلك لا يستحقونها الا لاجل مجموع

ما لهم من الاوصاف الثلث والمص لم يجعل الاستماع فاتباع الاحسن مبتداء وعلة لاستحقاقهم البشارة

بل جعله مبدأ اجتنابهم حيث قال للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانابتهم او على انهم نقاد في الدين يميزون

بين الحق والباطل وفيه اشارة الى ان القول المعرف بلام العموم يتناول كل قول اي قول الله تعالى وقول رسوله صلى

الله عليه وسلم وقول من سلف من المؤمنين والكفار فيتبعون احسنه اي احسنه عاقبة وما يدلوا لا

ما يكون مؤداه طاعة الله تعالى واتباع الحق والاعراض عن الباطل ويؤثرون من بين الاقوال ما

يكون مدلوله افضل فافضل وقيل المعنى يستمعون القران وغير القران فيتبعون الاحسن وهو القران

قوله وفي ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها لان حصولها في القلب امر حادث

لا محالة فلا بد له من فاعل وقابل اشار الى الفاعل بقوله اولئك الذين هداهم الله والى القابل بقوله واولئك

هم اولوا الالباب فان الانسان ما لم يكن سليم العقل كامل الفهم امتنع حصول المعارف الحقيقية في قلبه

بل يغلب عليه تقليد عادات اهل زمانه واتباع ما يدعوه اليه وهمه وهواه وان اظهر المدلول عليه

ولا انسب فيه ما ذكرت ان مستحق ان يسوده
رأسا وعليه نقدر ان يسبب الطاغوت في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الغضب
ما ذكرت للجمهور ان هو الصحابي حين
كان شيطان وما ذكرت والشيطان وكعب
ان الطاغوت الكاهن لان ذلك نسب بطريق
رأس في الضلال
الحقيقة
سلمه

بقوله بهم اولو الالباب حصر الكمال لان العقول المغلوبة وجودها كعدمها قوله ءانت مالك امرهم بهمزة الاستفهام
لما اقتضت صدر الكلام والفاء العاطفة اقتضت سبق المعطوف عليه فكان ينبغي ان لا يصح اتصال
احديهما بالاخرى لاستلزامه اجتماع المتنافيين الا انهما اتصلا في الاية بناء على ان اداة الاستفهام داخلة
على الجملة المحذوفة التي عطفت عليها الجملة الشرطية فلا محذور في اجتماعهما صورة فمن شرطية مرفوعة المحل
على الابتداء وقوله افانت تنقذ اي تخلص جزاء الشرط مرفوع المحل على انه خبر المبتدا والفاء الثانية فاء الجزاء
والفاء الاولى للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب في افانت والهمزة الاولى لانكار مضمون الجملة
المحذوفة التي عطفت عليها والهمزة الثانية هي الاولى كررت لتاكيد معنى الانكار والاستبعاد وامتنع جعلها
على الانكار الابتدائي لحصوله بالهمزة الاولى والهمزة الداخلة على الجملة الشرطية لانكار مضمونها قد تدخل
على الشرط وقد تدخل على الجزاء تقول امن يهينك فانت تكرمه ومن يهينك افانت تكرمه فصح ان تكون الهمزة
الداخلة على الجزاء مؤكدة لما افادته الهمزة الاولى فعلى هذا تكون من في النار من اقامة الظاهر موضع الضمير كانه
قيل افانت تنقذه ونهذا الوضع طريق آخر لتاكيد الانكار لان الضمير انما يحضر الذات التي استحقت العذاب وهو
في الدنيا ولا شك ان انقاذ من في النار ابعد من هدايته من استحق العذاب في الدنيا وهو معنى قوله ووضع من في
النار موضع الضمير لذلك اي لتاكيد الانكار والاستبعاد وعطف عليه قوله وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب
كالواقع فيه لامتناع الخلف يعني ان قوله من في النار عبارة عمن حقت عليه كلمة العذاب لانه قائم مقام ضمير
ومن حكم عليه بالعذاب لا يوصف به المرء وهو واقع فيه وانما يوصف به اذا لم يقع فيه بعد ولما وضع من في
النار موضع ضمير من حكم عليه بالعذاب علم منه ان المحكوم عليه بالعذاب منزل منزلة الواقع فيه لامتناع الخلف
في حكم الله تعالى فعبر عنه بمن في النار لذلك فنزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائهم الى الايمان منزلة
انقاذهم ثم ان اصل الكلام افانت تهدي من هو منغمس في الضلال فوضع النار موضع الضلال وضعا للمسبب
موضع السبب لقوة امره ثم عقب المجاز بما يناسبه من قوله تنقذ بدل تهدي كما تعقب الاستعارة بالترشيح لكون
الانقاذ انسب بمن هو في النار من الهداية فيل المراد بكلمة العذاب قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك
وقيل هي قوله هؤلاء للنار ولا ابالي وقوله افانت تنقذ من في النار معناه انت لا تقدر عليه بل الله تعالى
هو الذي يقدر عليه لا غير لما تقرر من ان تقديم الفاعل المعنوي على الفعل وايلاءه بهمزة الانكار يدل على ان
الكلام في الفاعل لا في الفعل اي لست انت الفاعل لهذا الفعل بل فاعله هو الله تعالى وحده وقوله تعالى افمن
حق عليه كلمة العذاب على هذا التوجيه جملة واحدة كرر فيها اداة الاستفهام داخلة على جزاء الشرط وعلى
قوله ويجوز ان يكون اي يكون جملتين الاولى شرطية محذوفة الجزاء والثانية خبرية وتقدير الآية
ءانت مالك امرهم فمن حق عليه كلمة العذاب فانت تهديه افانت تخلصه من استحقاق العذاب ثم
استانف كلاما آخر للدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب وهو في الدنيا كالواقع فيه للاشعار بالجزاء

بالجزاء المحذوف فقال افانت تنقذ من في النار فانه يدل على جزاء الجملة الاولى وبفسره فعلى هذا الفاءان
كلاهما للعطف الاولى للعطف على المحذوف والثانية للعطف على الجملة الاولى والهمزة الثانية كالاولى
في كونها للانكار ابتداء لا للتاكيد الانكار المستفاد من الاولى ثم انه تعالى لما شرح خسران الكفار وبين ان
لهم من فوقهم ظلل من النار ذكر احوال اضدادهم وهم الذين اجتنبوا عبادة الطاغوت واقبلوا الى الله
بشرا شرهم ووعدهم باشياء احدها قوله تعالى لهم البشرى وثانيها قوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف
من فوقها غرف اي لهم في الجنة منازل رفيعة وفوقها منازل ارفع منها وهذا كالمقابل لما ذكره في شرح خسران
الكفار بقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل والعلالي جمع علية وهي الغرفة وهي فعيلة و
بضم العين وتشديد اللام مع تشديد الياء الجمع
اصلها علبوة ابدلت الواو ياء وادغمت وقيل هي علية بالكسر على وزن فعلية قوله بنيت بناء المنازل
لم تكون معاعفا كذا قال الجوهري
على الارض اشارة الى فائدة توصيف العلالي بكونها مبنية مع العلم بانها لا تكون الا كذلك وتوضيح ما ذكره من
الفائدة ان قوله مبنية ذكر تمهيد القوله تجري من تحتها الانهار فالعلالي اذا بنيت بناء المنازل على الارض
بان كان لها صحن بنيت هي عليه كالمنازل السفلى بنا في معه جري الانهار من تحت العلالي كما تجري من تحت
الغرف السفلى من غير تفاوت بينهما قوله لان قوله لهم غرف في معنى الوعد تعليل لقوله مصدر مؤكد والتقدير
قوله وعد الله مصدر مؤكد لمضمون جملة لا تحتمل غيره مثل اعترافا في قولك له علي الف درهم اعترافا ومثله
سمي تاكيد النفسه مع انه تاكيد لمضمون الجملة المتقدمة الا انها لما لم يكن لها محتمل غير المصدر جعلت كانها
نفس المصدر فسمي تاكيد النفسه وعلل ذلك بانه وقع مضمون قوله لهم غرف مبنية ومثله يجب حذف عامله
المفعول المطلق لكون الجملة الاسمية المتقدمة بمنزلة النائب عن عامله والتقدير وعدهم الله تلك الغرف
وعدا ثم حذف الفعل مع فاعله ثم اضيف المصدر الى فاعله ثم انه تعالى لما شرح ما اعده لكل واحد من فريقي
الكفار والمؤمنين بما يليق به من الثواب والعقاب وتضمن ذلك كونه تعالى صانعا قادرا بالغ الحكمة عظيم
القدرة نبه على ما يدل على كمال حكمته وقدرته فقال الم تر ان الله انزل من السماء اي من السحاب ماء وقال
الامام انه تعالى لما وصف الاخرة بصفات توجب الرغبة العظيمة فيها ووصف الدنيا بصفة توجب اشتداد
النفرة عنها فان من شاهد اختلاف احوال النبات تنبه ان احوال الحيوان والانسان كذلك وانه وان طال
عمره فلا بد من الانتهاء الى ان يصير مصفر اللون متحطم الاعضاء والاجزاء ثم يكون عاقبته الموت فتعظم رغبته
عن الدنيا ولذاتها فما ذكره من حال النبات مثل ضربه الله تعالى للدنيا وسرعة زوالها والينابيع جمع ينبوع
وهو اما الموضع الذي يجري فيه الماء من خلال الارض بمنزلة العروق المنبطة في اطراد ونفس الماء
الجاري والينبوع يفعول من نبع الماء اذا خرج وسال ومضارعه ينبع بالحركات الثلث في عين الفعل
وكلها لغات فان كان الينبوع بمعنى المنبع كان نصب ينابيع على المصدر اي سلكه سلوكا في ينابيع وادخله
ادخالا فيها على ان يكون ينابيع ظرفا للمصدر المحذوف فلما اقيم مقام المصدر جعل انتصابها على

قال السمرقندي
يعني نصبها على
المصدر على التقدير
الاول والظاهر على الثاني
وفيه نظر لانه لا يخلو
من خطاء وذلك
انما يكون حالا عن
الضمير المنصوب في فسلكه وهو مفرد
مذكر والحال جمع مؤنث وكذلك اولها
بالتابعات ولم يقع مثله في استعمالات
البلغاء وغيرهم وكذلك تاويلها بالجميع
بالمصدر فالصواب ان نصبها على
الظرف اي في ينابيع او على انها صفة
لمصدر محذوف وضعت موضعه تقديره
سلوكا في ينابيع
مرتاح

المصدر وان كانت بمعنى النابع كان انتصابها على الحال اي نابعات **قوله** لانه اذا تم جفافه حان
ان يثور اي ينفصل ويرتفع يعني ان العرب تقول هاج النبت اذا تم جفافه ويبسه مع ان الهيجان
والثوران هو الارتفاع والذهاب عن الموضع بناء على ان النبات اذا تم جفافه يصير بمنزلة الرماد والتراب
لان العرب بما الى الشيء ايسمى باسم ذلك الشيء كما يسمى العصير خمرا او فتات الشيء وما تكسر منه من قولهم
فت الشيء اي كسره والتفتيت التكسير ثم انه تعالى لما بالغ في وجوب الاجتناب عن عبادة غير الله تعالى وو
جوب الانابة اليه قلبا وقالبا ووعدلهم البشارة بالمثوبة الحسنى ثم عاتب رسوله صلى الله عليه وسلم
على شدة حرصه على هداية اهل الضلال افمن حق عليه كلمة العذاب الاية ثم بين خساسة الدنيا وسرعة
زوالها بان مثل حالها بحال النبات بين بعد ذلك ان الانتفاع بهذه البيانات لا يحصل الا اذا شرح الله
الصدر ونور القلب فقال افمن شرح الله صدره للاسلام اي افمن فسح ووسع قلبه لقبول الايمان
فهو على نور اي بصيرة ويقين من ربه روي انه قيل له صلى الله عليه وسلم ما هذا الشرح فقال نور يقذفه الله سبحانه
في القلب فينفسح القلب وينشرح فقيل وما علامته ذلك الخ والكلام في افمن شرح الله كالكلام في افمن
حق وتقدير الاية اليس بهذه الخصائل الحميدة منوطة بتوفيق الله تعالى ولطفه وعنايته فمن شرح الله
صدره للاسلام كمن اقسى قلبه وطبع عليه فلم يهتد وانى اولي الالباب والعقول السليمة كفرهم فمن
شرح الله صدره الخ وحذف خبر من لدلالة قوله فويل للقاسية قلوبهم عليه والقساوة غلظة القلب
وصلابته بحيث يصير كالشيء المصمت الذي لا يتخلله ولا ينفذ فيه شيء يقال حجر قاس اي صلب مصمت **قوله**
عبر به عمن خلق نفسه شديدة الاستعداد يعني ان شرح الصدر عبارة عن تهيئة النفس الناطقة
وتقويتها استعدادها لقبول الاسلام على طريق ذكر المحل وارادة الحال فان الصدر محل القلب الذي هو
المنبع للروح الحيواني الذي تتعلق به النفس اولا للطافته فذكر الصدر واريد النفس بهذه العلاقة
ولما كان التعلق بين بينا قال للروح المتعلق بالنفس بدل ان يقال للروح المتعلق للنفس **قوله**
وهو ابلغ اي في الدلالة على تأبيهم عن قبول الحق وبيان الابلغية موقوف على معرفة الفرق بين
التعدية القسوة بكلمتي من وعن فانها اذا عديت بمن كانت من سببية كما في قولك طعمه من الجوع
اي من اجله وبسببه قال تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا واذا عديت بعن كانت عن للمجاوزة على اصله
بناء على تضمين القساوة معنى الاباء كانه قيل للقاسية قلوبهم آبية عن الله تعالى بسبب فاما كما
اذا قلت اطعمه عن الجوع يكون المعنى اشبعه مبعدا اياه عن الجوع فمعنى من ذكر الله انه ذكر الله
احدث في قلوبهم القساوة واذا قلت عن ذكر الله لم يكن معناه ذلك بل يكون المعنى ان قلوبهم اشتدت
وابت عن قبول ذكر الله بسبب ما اذا تقرر هذا الفرق ظهر ابلغية التعبير الاول بالنسبة الى الثاني لان
القاسي عن الشيء من اجل نفسه اشد تأبيا من قبوله من القاسي عنه لسبب اخر فان قيل ذكر

لذكرى اي لتذكيرا عظيما لاولي الالباب
لاصحاب العقول الخالصة من شوائب
الخلل وتنبيها على حقيقة الحال يتذكرون
بذلك ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي
والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام
كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون
بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال
الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض
قادر على اجراء الانهار من تحت الارض
هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها
على انه لا بد من صانع حكيم وانه كائن
عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال
فبمعزل من تفسير الاية الكريمة وانما
يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الاثار الجليلة
والاعمال الجليلة من غير اسنادها
الى مؤثر ما وحيث ذكرت مستندة
الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلقا
التذكر والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون
اثاره حسبما بين لا وجوده تعالى
انتهى

اي من ذكر الله ابلغ من عن ذكر الله فانك
اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ان
القسوة لاجل الذكر وبسببه واذا قلت
قسا قلبه عن ذكر الله فالمعنى غلظ قلبه عن
قبول ذكر الله وبعد عنه
محمد

ذكر الله تعالى سبب حصول النور والحضور وزيادة الاطمينان قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب فكيف
جعل في هذه الاية سببا لحصول القسوة في القلب فالجواب اذا كانت النفس خبيثة الجوهر مجبولة على
الطبيعة البهيمية بعيدة من الفضائل الروحانية فان سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة فان
الفاعل الواحد يختلف افعاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس فانه يسود وجه القصار ويبيض ثوبه
وحرارة الشمس تلين الشمع وتعقد الملح وقد يذكر كلام واحد في مجلس واحد فيستطيبه شخص ويستكرهه
اخر وما ذلك الا بحسب اختلاف جواهر النفوس فلا يبعد ان يكون ذكر الله تعالى موجب النور والاطمينان
في النفوس الطاهرة الروحانية وموجب القسوة والبعد عن الحق في النفوس الخبيثة الشيطانية **قوله**
تأكيد للاسناد لما في تكرر اسناد التنزيل اليه تعالى ربه بتأكيد الاسناد وتقوية الحكم وقد تقرر به ان تقديم
المسند اليه على الخبر الفعلي في نحو انا سعيت في حاجتك قد يفيد تخصيص الخبر الفعلي به رد لمن زعم انفراد
غير المسند اليه بذلك الخبر او زعم مشاركة الغير به في الخبر الفعلي واذا كان تنزيل القران مختصا به تعالى كان
المنزل مفخم الشان رفيع القدر لا محالة وكان احسن من سائر الاحاديث لكونه كلام اللطيف الخبير
العليم الحكيم **قوله** ويتشابه تشابه ابعاضه لما فسر قوله احسن الحديث بالقران العظيم وهو كتاب
واحد من جملة الكتب المنزلة والشيء الواحد لا يوصف بالتشابه فلذلك جعل تشابهه عبارة عن تشابه
اجزائه وابعاضه فان بعضه يشبه البعض في صحة معانيه في الانباء عن الحق والصدق وما فيه منافع
المكلفين وفي تناسب الفاظه وتوافقها في الفصاحة والبلاغة وتجاذب نظمها ومعانيها في التبكيت
والاعجاز ولما اطلق التشابه ولم يقيده ببيان ما فيه التشابه لم يعين المصنف ما فيه التشابه بل حمله على
ما يصلح ان يراد به في هذا المقام جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر قال في سورة الحجر المثاني من التثنية
والثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالاعجاز والبلاغة
ومثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى فقوله ههنا جمع مثنى بضم الميم وفتح
الثاء وتشديد النون على انه اسم مفعول من تثنية تثنيه اي جعلته اثنين الا ان المراد ههنا
مطلق التكرير والاعادة كما يجيء صيغة التثنية بمعنى التكرير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين بمعنى كرة
بعد كرة نحو لبيك وسعديك وحنانيك بمعنى اقامة بعد اقامة ومساعدة بعد مساعدة ورحمة بعد
رحمة فان القران العظيم يثنى ويكرر في التلاوة فلا يمل كما جاء ولا يخلق على كثرة الترداد وايضا
يكرر ما فيه من القصص والانباء والاحكام والاوامر والنواهي والوعد والوعيد للتقرير والتأكيد
فان النفوس لكونها مجبولة على الميل الى عالم الشهادة واقتضاء الحظوظ العاجلة معرضة عن
استماع كلام الحكمة وحفظه وتدبر محواه والعمل بمقتضاه ما لم يكرر عليها مرة بعد اخرى وقوله او مثنى
بضم الميم وسكون الثاء وفتح النون على انه من الثناء اي مثني عليه بالبلاغة والاعجاز او بكسر النون

اي مثنى على الله بما هو اهله وقوله كتابا الظاهر انه بدل من احسن الحديث ويجوز ان يكون حالا
منه وقوله متشابها صفة لكتابا وقوله مثاني بفتح الياء صفة ثانية واليه اشار المص بقوله وصف
به كتابا وهو جواب لما يقال الكتاب واحد فكيف وصف به الجمع والتفاصيل جمع تفصيل وهو جعل
الشيء فصلا فصلا وتمييز بعضها من بعض جعلوا ابعاض الكتاب واقسامه تفاصيل لكون
كل واحد منها فصلا متميزا عن غيره **قوله** او جعل تمييزا عطف على قوله وصف به كتابا اي
ويجوز ان يكون انتصاب مثاني على انه تمييز من متشابها اي متشابها من جهة مثانيه لا على
انه صفة حتى يرد اشكال توصيف الواحد بالجمع **قوله** وتركيبه من حروف القشع يعني ان بين
اقشعر والقشع اشتقاقا كبيرا لان في اقشعر معنى القشع مع زيادة فهما مشتركان في اصل
المعنى وفي الحروف الاصلية ولا يخالف ذلك اختصاص احدهما بحرف زائد ليدل على معنى زائد
والقماط حبل يشد به قوائم الشاة عند الذبح وكذلك ما يشد به الصبي في المهد يقال قمطت
الشاة والصبي بالقماط اقمط قمطا ويقال اقمطر الامر اي اشتد واستغلق والاطلاق اي
اطلاق ذكر الله وعدم التعرض لصفة من صفاته التي يذكر بها للاشعار بان مبنى امره تعالى
على الرأفة والرحمة فاذا ذكرت لا يخطر بالبال من صفاته الا كونه رؤفا رحيما فتلين جلودهم
بذكره تعالى كما تقشعر بذكر وعيده **قوله** وذكر القلوب اي جواب عما ذكره الزمخشري بقوله فان
قلت لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا ومحصول جوابه منع انفراد الجلود
عن القلوب اولا بناء على ان الجلود لما ذكرت مقرونة بالخشية اولا كانها ذكرت مقرونة
بالقلوب لكون الخشية من عوارض القلوب فكانه قال وذكر القلوب هنا لكونها مذكورة اولا
بذكر ما هو من عوارضها ثم انه تعالى لما ذكر كون من شرح صدره للاسلام فاهتدى كمن طبع قلبه
وافى ببيان التفاوت حالهما في الدنيا ذكر كون من يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن منه
بيانا للتفاوت حالهما في العقبى فقال افمن يتقي بوجهه الآية فكانه قيل ايستوي من هداه الله
ومن يضلله فمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو في رحمة الله وجنته **قوله** درقة هي الترس
الذي يعمل من الجلد فان الاصل في التستر ووقاية النفس من المخاوف هو الترس فمن لم يجده
يستتر ويتقي بيده يتقي بها وجهه لكون الوجه اعز الاعضاء عليه من حيث انه محل الصباحة
والحسن ومجمع الحواس الشريفة حتى كان الانسان عبارة عنه ومن يلقى في النار مغلولة
يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره ووقاية له والحاصل
ان من كان قادرا على الاتقاء اذا جعل كل ما سوى الوجه وقاية للوجه ثم قيل لمن وقع في
النار انه يتقي بوجهه عنها لا وقاية له سوى وجهه يكون ذلك كناية عن انه لا قدرة له على

الاتقاء البتة ولا وقاية له اصلا ونظيره قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب اي لا عيب فيهم الا هذا وهو ليس بعيب فهو كناية عن انه لا عيب فيهم بوجه من
الوجوه فكذا ههنا فان الاتقاء من النار بالوجه كيف يكون اتقاء منها وهو غاية الملابسة بها شبه
وجهه بالترس ودل عليه بجعله آلة الاتقاء فهو من قبيل الاستعارة بالكناية والتخييلية والواو
في قوله تعالى وقيل للظالمين للحال عن فاعل يتقي اي افمن يتقي بوجهه وقد قال لهم الخزنة ذوقوا عقوبة
كسبكم ويجوز ان يكون للعطف فيكون المعطوف من تمام صلته من اي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب
وقيل له ذق جزاء كسبك كمن ليس بهذه الصفة وجمع الضمائر في اخر الاية لان كلمة من تصلح للجمع
ثم انه تعالى لما بين كيفية عذاب القاسية قلوبهم في الاخرة بين كيفية وقوعهم في عذاب الدنيا فقال
كذب الذين من قبلهم اي من قبل كفار قومك انبياء الله تعالى فجاءهم العذاب بسبب تكذيبهم فهو
تهديد لكفار مكة وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لما لقي من كفار مكة **قوله** لو كانوا من اهل العلم اي نزل
الى ان يعلم منزلة اللازم حيث لم يقصد تعلقه بشيء اشارة الى ان جواب لو محذوف لما بين الله تعالى
بهذه الايات فوائد عظيمة ومواعظ بليغة بين ان هذه البيانات بلغت حد الكمال والتمام فقال و
لقد ضربنا للناس الآية **قوله** والاعتماد فيها على الصفة يعني ان قوله تعالى قرآنا حال موطئة وعربيا
صفتها وذلك لان الحال ما يبين هيئة الفاعل او المفعول به ثم ان المشهور ان تكون مبينة لها بالذات
وقد يكون مبينة لها بالغير وهي الحال الموطئة فانها لا تبين الهيئة لذاتها بل بما يتبعها من الصفة فالحال
الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة وذكر الموصوف موطئة لما هو الحال حقيقة
كقولك جاءني زيد رجلا صالحا ويجوز ان يكون قرآنا منصوبا على المدح اي منصوبا بتقدير اعني **قوله**
لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه النفي المستغرق مستفاد من كون عوج نكرة في سياق النفي فان غير فيه
معنى النفي فلذلك كان غير ذي عوج ابلغ من مستقيما اذ ليس فيه ما يدل على انه مستقيم من جميع الوجوه
قوله واختص بالمعاني يعني ان العوج بكسر العين لا يوصف به الاعيان بل هو مختص بالمعاني كما ان العوج بفتح
العين مختص بالاعيان يقال في دينه عوج وفي العصا عوج والمقصود ههنا وصف القرآن بصحة
معانيه واستقامتها وعدم التناقض والاختلاف فيها بوجه ما لا استقامة الفاظه فقد علمت بقوله
قرآنا عربيا في عربيته وبيانه لما قصد به من المعنى **قوله** وقيل بالشك عطف على قوله بوجه ما اي
وقيل المراد بالعوج الشك واللبس اي غير ذي شك ولبس استشهد عليه بقول الشاعر في حق القرآن
وقد اتاك يقين غير ذي عوج • من الاله وقول غير مكذوب • وجه الاستشهاد ان الشاعر وصف القرآن
باليقين وقابل اليقين بقوله غير ذي عوج ومقابل اليقين هو الشك واللبس فعلم ان العوج مطلق
على الشك ولم يرض المص بهذا القول بانه تخصيص للعوج ببعض مدلوله فان عوج اليقين هو الشك

لامحالة وكون العوج المذكور في البيت بمعنى الشك انما يدل على ان الشك من جملة مدلوله ولا يدل على ان
ليس له مدلول غيره وقد شاع عند اهل اللغة ان العوج بالكسر بمعنى الاختلال المختص بالمعاني مطلقا فقول القائل
تخصيص له ببعض مدلوله من غير دليل قوله عند اخر مرتبة على الاولى بين اولا ان الحكمة في ضرب هذه
الامثال اتعاظهم بسبب ان يعلموا ما وعد الله للمتقين وما وعد للعاصين وبين ثانيا ان ذلك ليتقوا الله
في ان يوقع بهم ما اوعدهم به من العذاب وقدم العلة الاولى لان التذكر متقدم على الاتقاء والاحتراز ثم
انه تعالى لما شرح وعيد الكفار نبه على ما يدل على فساد مذهبهم وقبح طريقتهم فقال ضرب الله مثلا الاية قوله
مثلا مفعول ضرب بمعنى بين ورجلا بدل من مثلا وفي الكلام حذف مضاف تقديره مثلا مثل رجل قوله شركاء
مرفوع على الابتداء بالنكرة لتخصصها بالظرف المتقدم وفيه خبره ومتشاكسون صفة لشركاء والذي ضربت
عليه هو المفهوم من كلام الزمخشري والمص وهو وان كان صحيحا الا ان ما اخترته اقرب الى الفهم والله
اعلم والجملة الاسمية منصوبة المحل على انها صفة لرجل ويجوز ان تكون فيه جملة ظرفية في محل النصب صفة
لرجل وشركاء فاعل للظرف ومتشاكسون صفة لشركاء والتشاكس التخالف والتنازع واصله سوء
الخلق وعسره وهو سبب التخالف والتشاجر يقال شكس شكاسة فهو شكس من باب علم اذا كان
صعب الخلق ضيق البال وهذا مثل للمشرك الذي يعبد آلهة شتى والموحد الذي يعبد الله وحده فالذي
عبد الاصنام مثله كمثل عبد له شركاء وملاك بينهم اختلاف كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه
للاستعمال في مهن شديدة صعبة واذا عنت له حاجة تدافعوه واحاله كل واحد منهم الى غيره فهو
متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى ايهم يعتمد في حاجته والذي وحد الله تعالى وعبده كعبد
خلص لواحد فاعتنى بخدمته واعتمد عليه في حاجته فاي هذين العبدين احسن حالا او اقدع بالا
قوله على ما يقتضيه مذهبه وهو اثبات الهة شتى والتزام عبوديته لها فانه يقتضي ان يدعي كل
واحد من معبوديه عبوديته ذلك المشرك قوله يعبد متعلق بقوله مثل المشرك وكذا قوله في نحره
وقوله والموحد منصوب بالعطف على المشرك وهذا المثال في غاية الحسن في الدلالة على تقبيح الشرك
وتحسين التوحيد فان قيل لا حسن فيه لعدم انطباقه على حال عبدة الاصنام لانها جمادات
لا يتصور منها المنازعة والتشاكس قلنا تشبيه شيء باخر لا يستدعي ان يكون وجه الشبه حالة
موجودة في كل واحد من المشبه والمشبه به تحقيقا بل يكفي وجوده في احد الطرفين او في كليهما على
سبيل التخييل والتأويل كما في قوله • وكان النجوم بين دجاه • سنن لاح بينهن ابتداع • وجه الشبه
في هذا التشبيه هو الهيئة الحاصلة من حصول اشياء مشرقة في جوانب شيء مظلم فهذه الهيئة غير
حاصلة في المشبه به وهو السنن بين الابتداع الا على طريق التخييل فان السنن والبدع ليس
من قبيل الاجسام حتى توصف بالاشراق والاظلام حقيقة وكذا وجه التمثيل بين المشرك وبين العبد

بين العبد الذي له شركاء متشاكسون وهو كون امر المحتاج المشترك موكولا الى عناية الشركاء المتشاكسين
وكونه متحيرا في امره بناء على انه كلما ارضى احدهم غضب الباقون واذا احتاج في مهم اليهم فكل واحد منهم
يرده الى الاخر فانه لا يوجد في المشبه الذي هو المشرك الا على وجه التخييل كما اشار اليه المص بقوله
مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه فان تشاكس الشركاء وحيرة المشرك بسببه لا يوجد فيه تحقيقا
بل تخييلا بناء على ان مقتضى مذهب المشرك ذلك قوله وقرأ نافع يعني انه قرأ ابن كثير وابو عمرو
ورجلا سالما بالالف وكسر اللام على انه اسم فاعل من سلم له كذا فهو سالم اي خلص له كذا فهو خالص
وقرأ الباقون سلما بفتح السين واللام بغير الف وقرئ ايضا سلما بكسر السين وسكون اللام وبفتح
السين وسكون اللام ايضا وهذه الثلثة مصادر سلم له وصف بها للمبالغة او على حذف المضاف
اي ورجلا ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة وقرئ ايضا ورجل سالم برفعهما على ان رجل
سالم مبتدا حذف خبره اي وهناك رجل سالم لرجل قوله وتخصيص الرجل اي تخصيص كل واحد من المالك
والمملوك بكونه رجلا حيث لم يقل ضرب الله مثلا صبيا او امرأة او ما يعمهما مثل ان يقول مثلا شخصا او
مملوكا سالما بمثله لان الرجل المملوك افطن لما يلحق به من تشاكس المماليك من المرأة والصبي
وكذا الرجل المالك افطن لما يعود اليه من تفرد المملوك له واختصاصه بخدمته وكونه مشتركا بين
شركاء يستخدمه كل واحد منهم والمرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك قوله ونصبه على التمييز اي
على التمييز المنقول من الفاعلية اذ الاصل هل يستوي مثلهما اي هل يستوي صفة العبد الذي فيه شركاء
متشاكسون وصفة العبد الخالص لواحد فان لفظ المثل قد يستعار للصفة والحال العجيبة تشبيها
لها بالمثل السائر في الغرابة قوله ولذلك اي ولكونه تمييزا عن النسبة في يستويان لم يطابق التمييز
لما انتصب عنه وهو ضمير يستويان الراجع الى الرجلين المعنويين حيث افرد التمييز مع كون ما
انتصب عنه مثنى فانه قد تقرر في النحو ان التمييز ان كان اسما يصح جعله لما انتصب عنه بان يكون
نفس ما انتصب عنه كما في قولك طاب زيد ابا او يكون صفة لنفس ما انتصب عنه كابوة في
قولك طاب زيد ابوة وعلما يطابق فيهما ما قصد الا ان يكون جنسا كالابوة والعلم فان الجنس
من حيث انه جنس يتناول القليل والكثير لا يطابق ما قصد وما نحن فيه من هذا القبيل فان الحال
والصفة جنس فلذلك لم يطابق لما قصد والتمييز الذي يكون جنسا انما يطابق ما قصد اذا قصد به
الانواع نحو طاب زيد علومه او علوما فيثنى ويجمع على حسب ما قصد من الانواع مع كونه جنسا
قوله على ان الضمير للمثلين يعني ان الظاهر ان يرجع ضمير يستويان الى رجل ورجل لكن يجوز ان يرجع
الى المثلين المذكورين تقديرا لان تقدير رجلا في الموضعين مثل رجلين فكان المثلان مذكورين تقديرا
كانه قيل هل يستوي المثلان مثلين فورد عليه انه يقال لا وجه لتمييز المثلين بالمثلين اذ الشيء لا يميز نفسه

فان المعنى الحاصل من التمييز قد فهم من المميز الذي هو الضمير فالمصنف اشار الى جوابه بقوله في الوصفية الى المحدد
في تمييز المثلين بالمثلين لان المراد بالمثلين الاولين مثلا الرجلين المنعوتين وبالاخرين حسان
مبهمان غير ملحوظين بخصوصية ما والمعنى هل يستوي المثلان المذكوران صفتين اي من حيث انهما صفتين
وهذا كما تقول كفى بزيد وعمرو رجلين اي من حيث انهما رجلان اذا احتجت الى رجلين وقسمت
الناس رجلين رجلين قوله كل الحمد لله اشارة الى ان اللام سواء للاستغراق او للجنس يفيد
اختصاص كل فرد من افراد الحمد به تعالى اما على تقدير كونه للاستغراق فظاهر واما على تقدير كونه
للجنس فلانه لو ثبت شيء من افراد الحمد لغيره تعالى لثبت الجنس له في ضمن ذلك الفرد فلا يكون الجنس مختصا
به تعالى ثم لما بين الله خسران المشركين وسوء عاقبتهم وبين قبح مذهبهم بضرب المثل وبين انه لا اله
الا هو بين انه مولى النعم كلها فقال الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فيهم ضرب الامثال ولا يتفكرون فيها"
قيل ان كفار قريش قالوا نتربص بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ريب المنون يعنون ننتظر به حتى يموت فنزل
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون والميت صفة فينبغي ان لا يطلق على الموصوف الا اذا كان الموصوف
متصفا بماخذ الاشتقاق بالفعل الا انه اطلق على الحي تنزيلا له منزلة الميت لكون الموت محقق الوقوع
والحاصل ان الصفة المشبهة يجب ان تكون بمعنى الماضي ولا يجوز حملها على الاستقبال بخلاف اسم الفاعل فانه
صفة حادثة يمكن حمله على الاستقبال فيقال زيد مائت غدا اي سيموت الا انه اطلق الميت على الحي لا لكونه
للاستقبال بل لتنزيل الشيء المحقق الوقوع منزلة الواقع قوله وقيل المراد به الاختصام العام لا الاختصام
الواقع بينه عليه الصلوة والسلام وبين المشركين المتعلق بالدين فالضمير في قوله وانهم ميتون على
الوجه الاول للمشركين الذين لم يقبلوا منه عليه الصلوة والسلام هذه البينات الواضحة الدالة
على الوحدانية ولم يلتفتوا اليها فالله سبحانه اخبر رسوله صلى الله عليه وسلم بانكم ستموتون ثم تحشرون يوم القيمة
فتخاصمهم بان تقول لهم بذلت ما في وسعي من التبليغ والارشاد وما ازددتم به الا اباء عن الحق
واستكبارا وحسدا وانهم يعتذرون اليك بالاباطيل التي لا طائل تحتها والاعتذار عن كفرهم و
لجاجهم لما كان توجيها له ودفعا لحجته عليه الصلوة والسلام كان في صورة الاختصام فلذلك جعل
الاختصام بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم حيث قيل تختصمون عند ربكم فيحكم بينكم بالحق ويميز المحق
من المبطل فيجازي كل واحد بما هو حقه فعلى هذا يكون التخاصم في الدين لا في المعاملات والتبعات وعلى
الثاني يكون الضمير لعامة الناس لا للمشركين خاصة ويكون المراد بالتخاصم التخاصم في طلب المظلوم
الانتقام من الظالم باعتداء بعضهم على بعض في الحقوق روي انه صلى الله عليه وسلم قال اول ما
الخصومة بين الناس يوم القيمة حتى تختصم الروح والجسد فيقول الجسد انما كنت بمنزلة جذع
ملقاة لا استطيع شيئا ويقول الروح انما كنت ريحا لا استطيع ان اعمل شيئا فضرب لهما مثلا الاعمى والمقعد

قوله الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستواء
بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على
ان ما لهم من النعمة بتوفيق الله وانها
نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا
على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى
بضرب المثل انهم المثل الاعلى والكافرين
مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه
عز وجل مستوجب حمده وعبادته اظهار
وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب عن
والانتقال منه الى بيان ان اكثر
الناس وهم المشركون لا يعلمون
ذلك مع كمال ظهوره فيبقون
في ورطة الشرك والضلال الخ

والمقعد حمل الاعمى المقعد فالمقعد يدل ببصره ويحمله الاعمى برجليه ثم انه تعالى لما ذكر الاختصام الواقع بينه عليه
الصلوة والسلام وبين المشركين فيما يتعلق بالدين بين ان لا اظلم اعظم من الكفر والتكذيب بايات
الله وانبيائه والافتراء عليه تعالى باتخاذ الصاحبة والولد والشريك فقال ومن اظلم ممن كذب على الله و
كذب بالصدق بالتوحيد والقران اذ جاءه اي من غير ريب وروية ثم اردفه بالوعيد فقال اليس في جهنم"
مثوى للكافرين قوله واللام يحتمل العهد فيكون قوله للكافرين من وضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على كفر
من افترى على الله وكذب بالصدق قوله وهو ضعيف اي الاستدلال بهذه الاية على كفر المبتدعة ضعيف لان
المبتدع وان كان كافرا في نفس الامر بناء على ان كل من كذب على الله وكذب بالصدق فهو كافر سواء
كان تكذيبه مفاجئا لمجيء الرسول به او كان بعده ببرهان مديد ووجه ضعفه ان الاية انما تدل على كفر
من كذب وكذب من غير توقف وتكذيب المبتدعة ليس كذلك فالاستدلال بها على كفرهم ضعيف قوله
تعالى والذي جاء بالصدق للجنس الخ اشارة الى وجه الاخبار عن الذي وهو مفرد لفظا بقوله اولئك
هم المتقون يعني ان التعريف بالموصول كالتعريف باللام في انه يجوز ان يكون للاستغراق فيكون جمعا بحسب
المعنى فان حقيقته من اتصف بمضمون جاء بالصدق وصدق به باعتبار تحققه في ضمن جميع افراده
وهو في معنى الجمع فيصح الاخبار عنه باولئك فالذي جاء بالصدق هم الانبياء والذي صدق به هم الاتباع
وهم جماعة فلذلك قيل اولئك هم المتقون وقيل الذي جاء بالصدق المراد به واحد بعينه وهو رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولما كان ذا اصحاب واتباع كان ذكره وحده في قوة ذكرهم معه فاعتبر ذلك فجمع خبره
فقيل اولئك هم المتقون كما قيل ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون واذا جاز ذلك في العلم ففيما نحن
فيه اجوز وقيل الذي جاء بالصدق هو محمد سيد المرسلين صلوات الله وسلامه وعليهم اجمعين جاء
بالقران والذي صدق به ابو بكر الصديق رضي والمؤمنون بعده ولما كان المصدق غير الجائي على هذا القول
احتيج الى تقدير موصول اخر وحذف الموصول مع بقاء صلته لا يجوز عند البصريين ويجوز عند الكوفيين
حذف غير الالف واللام كقوله بشس الليالي سهرت من طرب فيها قوله او صار صادقا
بسببه اي ظهر صدقه بسبب نزوله عليه لان القران معجزته عليه الصلوة والسلام والمعجزة تصديق
من الله للانبياء عليهم الصلوة والسلام وهو تعالى لا يصدق الا الصادق فصار ذلك سببا لظهور صدقه
عليه الصلوة والسلام قوله اي في الجنة متعلق بالاستقرار الذي تعلق به قوله لهم فقوله تعالى عند ربهم اي في حكمه
وقضائه كما تقول الامر كذا عند ابي حنيفة رح كما قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون قوله
ليكفر الله يجوز ان يكون صلة للمحسنين كانه قيل احسنوا ليكفر الله اي لاجل ان يمحو عنهم بحسناتهم اسوء
الذي عملوا يعني الكفر بالايمان والكبائر بالطاعة ويجوز ان يتعلق بمحذوف مدلول عليه بما قبله اي
اعطاهم ما يشاؤن من فضله ورحمته ليكفر قوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم يدل على حصول الثواب

اي يعلم بتفسير لكان الجائي به
بالصدق والمصدق به
واحدا كما روي

على اكمل الوجوه وقوله تعالى ليكفر الله عنهم يدل على سقوط العقاب عنهم على اكمل الوجوه قوله خص الاسوء
جواب عما يقال من انه يفهم من نظم الاية ان تكون اعمال المحسنين مشتملة على السيء والاسوء والحسن
والاحسن ويكون المكفر هو الاسوء لا السيء والمجزى به هو الاحسن لا الحسن وتقرير جوابه يستدعي
تمهيد مقدمة وهي ان افعل التفضيل اذا اضيف فله معنيان احدهما ان يقصد به الزيادة على ما اضيف
اليه اي زيادة الموصوف على من سواه من جملة ما اضيف اليه في اصل المبدء الذي هو قدر مشترك بين
المفضل والمفضل عليه وثانيهما ان يقصد تفضيله على كل ما سواه مطلقا لا على المضاف اليه وحده
ولا تكون اضافته لقصد تفضيله على المضاف اليه فقط بل لمجرد التخصيص والتوضيح كقولك نبينا
عليه الصلوة والسلام افضل قريش اي افضل الناس مطلقا من بين قريش اذا تقرر هذا فقوله خص
الاسوء للمبالغة مبني على ان يحمل الاضافة في قوله اسوء الذي عملوا على المعنى الاول وقوله او للاشعار الخ
مبني على ان يحمل على المعنى الثاني والاسوء المضاف بهذا المعنى لا يستدعي ان يكون لهم عمل اخر يشاركه
في كونه سوء ويكون هو ازيد منه حتى يرد ان يقال يلزم ان يكفر الاسوء دون السيء ابلغ انهم //
لاستعظامهم الذنوب يعدون ما صدر عنهم من الصغائر بالغا اقصى المراتب في كونه ذنبا و
معصية من بين اعمالهم كانه قيل ليكفر الله عنهم اسوء الذنوب من بين اعمالهم واجاب عنه ثالثا
بان اسوء يجوز ان يجرد عنه معنى التفضيل ويكون بمعنى السيء كما جرد عن اعدل ذلك وكان بمعنى العادل
لان المقصود ان بني مروان كلهم جائرون وانهما عادلان من بينهم لا ان فيهم من يعدل وهما اعدل
لاهم قيل الناقص هو محمد الخليفة سمي به لانه نقص اعطية القوم حين استخلف والاشج هو عمر بن
عبد العزيز وكان في رأسه شجة اذ نفحه فرس لمروان جده اي رماه وضربه برجله والاسوء يحتمل ان
افعال كفر وافتراء قوله فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها يعني ان ما في ما ذكره في وجه تخصيص
الاسوء بالذكر لما لم يصلح وجها لتخصيص الاحسن جعل معنى الاية يعطيهم بمقابلة محاسن اعمالهم وبسببها ثوابا
مثل ثواب احسن اعمالهم بان يعد محاسن اعمالهم باحسنها لفرط اخلاصهم فيها فتكون اضافة الاحسن //
للزيادة المطلقة عبر الله عن اعمالهم الحسنة بالاحسن بالمعنى المذكور لانها عند الله كذلك لحسن اخلاصهم
فيها فلا يرد ما يقال مقتضى الآية ان يكون المجزى به الاحسن دون الحسن قوله مبالغة في الاثبات
علة لقوله انكار للنفي فان نفي النفي اثبات كانه قيل الله كاف البتة قوله والعبد رسول الله صلى الله
عليه وسلم بناء على ان النظم ان قوله تعالى ويخوفونك حال من العبد اذ المعنى اليس كافيك حال تخويفهم اياك
بكذا كانه قيل انه كافيه في كل حال حتى في هذه الحال فانه قد جرت العادة على ان المبطلين يخوفون
المحقين بالتخويفات الباطلة فحسم الله مادة الشبهة بقوله اليس الله بكاف عبده قوله ويحتمل الجنس
فيكون قوله ويخوفونك كلاما مستأنفا او يكون قوله اليس الله بكاف عبده متصلا بما قبله من شرح احوا

احوال المتقين وتخييل افساد العقل والعضو والسادن الخادم القيم على الخزانة ثم انه تعالى لما بين
وعيد المشركين ووعد الموحدين عاد الى اقامة الدليل على تزييف طريقة عبدة الاوثان فقال قل أفرأيتم
اي اتعبدون غير الله فاخبروني فان ارأيتم يستعمل بمعنى اخبروني مجازا بناء على ان مشاهدة الاشياء ورؤيتها
لما كانت طريقا الى العلم بها وصحة الاخبار عنها جعل الرؤية مجازا عن الاخبار لجامع السببية بطريق
اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وجعل الاستفهام بمعنى الرؤية مجازا عن طلب الاخبار لجامع السببية
الطلب وقوله ارأيتم يتعدى الى اثنين اولهما ما تدعون وثانيهما الجملة الاستفهامية والعائد الى
المفعول منها قوله هن انث العائد بخبر ما تدعون من دونه لانهم كانوا يسمونها باسماء الاناث
كاللات والمناة والعزى وكانوا يقولون في الملائكة ايضا هن بنات الله امر الله بان يحتج عليهم
بان يحملهم اولا على ان يقروا بان خالق العالم هو الله وان النفع والضر كله بيده ثم يقول لهم //
اخبروني ان الهتكم ان ارادني الله بضر من مرض او فقر او شدة هل يقدرون على كشفه وان ارادني
بان يصيبني بخير وصحة وعافية هل يقدرون ان يمسكوها عني ومعلوم انهن لا يقدرون على شيء من ذلك
فكيف اخاف منهن ولما كان هذا الاحتجاج مفحما لهم راغما لانفهم امره عليه الصلوة والسلام
بان يقول لهم حسبي الله قال مقاتل لما نزلت هذه الاية سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فسكتوا فنزل قوله قل حسبي الله اي ثقتي بالله لانه الكافي في اصابة الخير ودفع الضر فرض المسألة في
نفسه دون المشركين حيث قال ان ارادني ولم يقل ان ارادكم لان المقصود تبكيت المشركين
في تخويفهم اياه عليه الصلوة والسلام بقولهم لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون
وهذا المقصود يقتضي وضع المسألة في نفسه قوله استعير للحال يعني ان المكان والمكانة بمعنى واحد
الا ان لفظ مكانة اطلق ههنا على الحال التي كانت المشركون عليها من عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وارادة انواع المكر والكيد به تشبيها للحال التي كانوا عليها بالمكان الذي كانوا فيه وقوله
اعملوا على مكانتكم امر تهديد اي اعملوا واجتهدوا على حسب حالكم التي انتم عليها من بغض الحق و
اهله فاني عامل في اعلاء الحق واظهار الدين على حسب حالي وتأييدي من عند ربي قوله للمبالغة
في الوعيد يعني حذف صلة قوله اني عامل للتعميم وليذهب ذهن السامع كل مذهب فيما يغيظهم
ويفرح شماتهم ويبطل كيدهم وللاشعار بان حاله لا تقف على حد فانه لو ذكر على مكانتي لربما توهم
ان له حالة واحدة يستقر هو عليها فلما لم يذكر ذلك علم ان حاله لا تقف على حد يتمكن الواصف من وصفه
بل له الانتقال على التدريج ساعة فساعة الى ان ينتهي الى اقصى غايات الكمال قوله ولذلك الخ وكذلك قوله
على مكانتي مرادا حذف لما ذكره رتب قوله فسوف تعلمون الخ على قوله اني عامل على وجه التهديد و
الايعاد بكونه منصورا عليهم في الدارين فلو لم يكن الكلام السابق مشعرا بما يستلزم كونه له عليه

فان قلت لم قيل كاشفات وممسكات
على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك
بالذين من دونه قلت انهن اناث وهن اللات والعزى ومناة قال
تعالى افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى الكم الذكر وله الانثى ليضعفها
ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما
طالبهم من كشف الضر وامساك
الرحمة لان الانوثة من باب اللين
والرخاوة كما ان الذكورة من باب
الشدة والصلابة كانه قال الاناث
اللاتي هن اللات والعزى ومناة
اضعف مما تدعون لهن واعجز
وفيه تهكم ايضا كشاف
وما فيه من الايذان بالخاص
الله
النصحة

الصلوة والسلام منصورا عليهم في الدارين لما صح تقريبه عليه ثم انه تعالى لما بالغ في ارشاد رسوله صلى الله
عليه وسلم الى طريق دعوة المشركين الى التوحيد والطاعة وبين فساد مذهبهم تارة بالدلائل والبينات
وتارة بضرب الامثال وتارة بذكر الوعيد وكلما زاد الله بيانا وارشادا زاد المشركون طغيانا وضلالا
وكان ذلك يعظم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد التأسف والتلهف على اصرارهم على الضلال
المؤدي الى العذاب المؤبد كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين انزل الله قوله انا انزلنا عليك
الكتاب للناس بالحق الاية تسلية له عليه الصلوة والسلام كانه قيل انك لست مأمورا بان تحملهم
على الايمان على سبيل القسر والتهر بل القبول وعدم القبول مفوض اليهم فمن اهتدى به فنفعه يعود اليه
ومن ضل فضرر ضلاله لا يعود الا اليه **قوله** ملتبسا به اشارة الى ان قوله بالحق متعلق بمحذوف على انه
حال من مفعول انزلنا ويجوز ان يكون حالا من فاعله بمعنى ملتبسين به وان يكون الباء سببية متعلقة
بانزلناه اي انزلناه بسبب بيان ما فيه من الحق الذي يحتاج اليه الناس ثم انه تعالى لما قال عائدة
كل واحد من الاهتداء والضلال ليست الا لصاحبه بين ان الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله
فقال الله يتوفى الانفس حين موتها الاية وجعل الهداية مثلا للحيوة واليقظة وجعل الضلال مثلا
للموت والنوم فكما ان كل واحد من الحيوة واليقظة ومن الموت والنوم لا يحصل الا بتخليق الله وايجاده
كذلك الهداية والضلال لا يحصلان الا من الله فهذا وجه انتظام الاية بما قبلها وقيل وجه الانتظام
انه تعالى ذكر حجة اخرى في اثبات انه الاله العالم ليدل على انه بالعبادة احق من هذه الاصنام وقوله
تعالى يتوفى الانفس ايضا اي يقبضها ويستوفيها بان لا وفاه حقه ووفاه اي اعطاه وافيا واستوفى حقه
وتوفاه بمعنى واحد ايضا اي قبضه من غير نقصان فقوله تعالى والتي لم تمت في محل النصب عطفا على
الانفس والتقدير ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها فحذف الناصب والموصوف لدلالة ما تقدم
عليهما وقوله في منامها متعلق بهذا الفعل المقدر اي يتوفاها في وقت منامها مثل اتيتك خفوق النجم اي
في وقت خفوقها فالنفس المائتة والنائمة تشتركان في ان كل واحدة منهما مقبوضة لله تعالى بمعنى انه تعالى
يقطع تعلقها عن الابدان وتصرفها فيها وتفترقان من حيث ان النفس النائمة يرسلها ويردها الى
البدن عند اليقظة ويبتقي بهذه اطالة الى اجل مسمى هو وقت الموت ويمسك النفس المائتة ولا يردها
الى يوم البعث قال الامام لا بد في هذا المقام من مزيد البيان فنقول النفس الانسانية عبارة عن جوهر
مشرق روحاني اذا تعلق بالبدن حصل ضوؤه في جميع البدن وهو الحيوة فنقول انه في وقت الموت
ينقطع تعلقه عن ظاهر هذا البدن وعن باطنه حيث لا يتصرف في ظاهر البدن بالاحساس والتمييز
ولا في باطنه بالتنفس والحيوة وذلك هو الموت واما في وقت النوم فانه ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن فقط
فيتعطل حواسه الظاهرة باسرها لا عن باطنه لان النائم حي يتنفس كما في حال يقظته فالموت والنوم جنس

جنس واحد بهذا الاعتبار لكن الموت انقطاع تام كامل والنوم انقطاع ناقص **قوله** وما روي مبتداء
وقريب مما ذكرنا خبره وقوله فالنفس مبتداء وقوله التي بها العقل والتمييز خبره وكذا قوله والروح مبتداء و
التي بها النفس خبره وهو رضي الله عنه اثبت في ابن آدم شيئان وسمى احدهما نفسا والآخر روحا وجعل
نسبة الروح الى النفس كنسبة الشعاع الى الشمس في كونه متعلقا باثر الاهاقان الروح الذي هو مبداء
التنفس والحيوة بمنزلة الشعاع للنفس الذي هو مبداء التعقل والتمييز فالله يقبض النفس عند النوم
ولا يقبض الروح وعلى ما ذكره المص ليس في بني آدم الا شيء واحد هو الجوهر المشرق النوراني يكون
لابن آدم بحسب ثلث احوال حال يقظة وحال منام وحال موت فانه باعتبار تعلقه بظاهر الانسان
وباطنه تعلقا كاملا تثبت له حالة اليقظة وباعتبار انقطاع تعلقه عن ظاهر الانسان فقط تثبت له
حالة النوم وباعتبار انقطاع تعلقه عن الظاهر والباطن تثبت له حالة الموت ووجه كون ما روي
قريبا مما ذكره المص ان النفس والروح وان كانا امرين متغايرين بالذات على ما روي الا ان المقبوض
عند الموت ما يكون متعلقا بباطن الانسان ومبداء للتنفس والحيوة والامر كذلك على ما ذكره المص
وكذا المقبوض عند الموت هو ما يكون بظاهر الانسان ومبداء للتعقل والتمييز كما هو كذلك على ما ذكره
المص وقرأ حمزة والكسائي قضي بضم القاف وكسر الضاد ورفع الموت لقيام مقام الفاعل والوجه
قراءة العامة لذكر الفاعل باسمه الصريح في اول الاية وهو الله **قوله** بل اتخذ قريش اتخذ بهمزة واحدة
مفتوحة هي همزة الاستفهام وحذفت همزة افتعل للوصل يعني ان ام في قوله تعالى ام اتخذوا منقطعة بمعنى
بل وبهمزة الاستفهام الانكاري اي دع طمع ان يتفكروا فيها فيستدلوا على كمال قدرته وحكمته فينقادوا لامره
وحكمه وانظر الى فرط جهلهم حيث اتخذوا من لا يملك شيئا شفعاء لهم عند الله وان كان قوله تعالى الله
يتوفى الانفس حين موتها الاية للاستدلال على ان الواجب على العاقل ان يعبد الها موصوفا بهذه
القدرة وبهذه الحكمة وان لا يعبد الاوثان التي هي جمادات لا شعور لها فضلا عن القدرة والحكمة يكون
ايضا قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعاء الاية بما قبله بل يكون جوابا عما اورده الكفار على الدليل
السابق بقولهم نحن لا نعبد الاصنام لاعتقاد انها آلهة تضر وتنفع وانما نعبدها لاجل انها تماثيل اشخاص
كانوا عند الله تعالى من المقربين فنحن نعبدها لاجل ان يصير اولئك الاكابر شفعاء لنا عند الله فاجاب تعالى
بان قال ام اتخذوا من دون الله شفعاء وتقرير الجواب ان هؤلاء الكفار اما ان يطمعوا تلك الشفاعة
من هذه الاصنام او من الاشخاص التي الاصنام تماثيل لها والاول باطل بالبداهة اذ لا يتصور صدور
الشفاعة من الجماد الذي لا يملك شيئا ولا يعقل والثاني ايضا باطل لان يوم القيمة يوم لا يملك فيه احد
شيئا من الاشياء فلا يقدر احد على الشفاعة الا باذن الله فيكون الشفيع في الحقيقة هو الله الذي يأذن
في تلك الشفاعة فكان الاشتغال بعبادته اولى من الاشتغال بعبادة غيره وهذا هو المراد من قوله تعالى

فظهر ان انها دار الحكيم وتبين
تعلق النفس بالبدن على ثلثة اوجه
احدها انه ان تعلق ضوء الروح
على جميع اجزاء البدن ظاهره وباطنه و
ذلك هو اليقظة وثانيها حيث ينقطع الضوء
عن الظاهر والباطن وهو الموت و
ثالثها حيث ينقطع عن الظاهر دون
الباطن وهو النوم فثبت ان الموت والنوم
يشتركان في كون كل واحد منهما توفي
النفس ثم تمتاز احدهما بخواص معينة
ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره
الا عن القادر العليم الحكيم ان في ذلك
لايات لقوم يتفكرون ططبى

قل لله الشفاعة جميعا قوله ايشفعون ولو كانوا يعني مدخول الهمزة محذوف وهو يشفعون وان
قوله ولو كانوا حال مما عليه ايشفعون حال تقدير عدم ملكهم وعدم عقلهم قوله ثم قرر ذلك ای قرر
قوله لله الشفاعة جميعا ببيان اختصاص الملك له في اليوم وفي يوم القيمة لان الشفاعة من الملك والملك
له فكيف يشفع احدا ويشفع لاحد بغير اذن من له الملك ثم انه تعالى ذكر نوعا اخر من اعمالهم القبيحة وهو انك
اذا ذكرت الله وحده بان تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له ظهرت اثار النفرة في وجوههم وقلوبهم
واذا ذكرت الاصنام والاوثان ظهرت اثار الفرح والبشارة في قلوبهم ووجوههم وذلك يدل على كمال
جهالتهم وحماقتهم لان ذكر الله وتوحيد رأسه كل خير ومفتاح سعادة وذكر الاصنام التي هي اجماد
الطبيعة رأس الجهالات والحماقات فنفرتهم عن ذكر الله وحده واستبشارهم بذكر هذه الاصنام
من اقوى الدلائل على الجهل الغليظ والحمق الشديد قوله ولقد بالغ في الامرين وهما الاشمئزاز الذي هو
غاية النفرة والاستبشار الذي هو غاية الفرح والسرور وقوله حتى بلغ الغاية فيهما بيان لوجه المبالغة
فيهما فان كل واحد منهما غاية في بابه فانه اذا امتلأ القلب سرورا انبسط الروح الحيواني الى ظاهر البدن
فيتهلل بسببه بشرة وجهه واذا استولى غمه ينقبض الروح الى داخل القلب فيظهر في اديم الوجه
اثر الغبرة والظلمة الارضية قوله والعامل في اذا المفاجاة جملة اسمية ان العامل في اذا الاولى هو
فعل المفاجاة العامل في اذا الثانية وهو فاجأوا الكن قوله اذا ذكر ظرف لذلك الفعل وقوله اذا هم يستبشرون
مفعول به وليسا ظرفين له لان العامل الواحد لا يعمل في ظرفين من جنس واحد من غير ان تكون الثاني
بدلا من الاول ولان فعل المفاجاة لابد له من مفعول به لانه متعد جعل الزمخشري تقدير الكلام في وقت
ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار وفسر اذا المفاجاة بالوقت وقد قالوا انه للمكان ولعل
الداعي اليه رعاية المناسبة بين اذا الاولى والثانية فان قلت ما ذكره يؤدي الى ان يكون للزمان زمان
قلت انما يلزم ذلك ان لو لم يكن الوقت الثاني هو الوقت الاول يعني انهم يجعلون وقت الذكر وقت الا
ستبشار من غير تلبث واما العامل في اذا التي في قوله واذا ذكر الله قوله اشمأزت ثم انه تعالى لما حكى هذا الامر
العجيب الذي يشهد فطرة العقل بفساده امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول اللهم فاطر السموات
والارض ربا خالق السموات والارض ويا عالم السر والعلانية انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون اي قد علمت حالي وحال قومي هولاء واني قد ابلغتهم واجتهدت في النصح لهم واوضحت لهم
دلائلك فاعرضوا واشمأزوا فاحكم بيني وبينهم فانك تحكم بين جميع عبادك فيما يختلفون فيه مما ادعاهم
روي عن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال اني لاعرف اية ما قرأها احد قط فسأل الله شيئا الا اعطاه اياه و
هو قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون ثم انه تعالى لما حكى عنهم هذه الجهالات وامر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يدعو الله باسمائه الحسنى
و

قل ولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة
لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه
اي حال اتخذوهم شفعاء ولو كانوا لا
يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا
عن ان يملكوا الشفاعة عند الله اوعن
الانكار الوقوع وتنبيه على ان المراد
بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ
الشفعاء وذلك اظهر انتهى فالمقدر
في غيرها قدر اولا وعلى ان تقدير كان
الواو للعطف على شرطية قد حذفت
لدلالة المذكورة عليها اي ايشفعون
لو كانوا يملكون شيئا ولو كانوا لا يملكون
الخ وجواب لو محذوف لدلالة
المذكور عليه وقدم تحقيقه مرارا
انتهى

وصفاته العليا ويسأله ان يحكم بينه وبينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولو في وعيدهم اشياء اولها
ان هولاء الكفار لو ملكوا كل ما في الارض من الاموال وملكوا مثله معه فجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم
من ذلك العقاب الشديد لم يقبل ذلك منهم وهو قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا اي كفروا فوضعوا العبادة
في غير موضعها وظلموا انفسهم بذلك وثانيها قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهرت لهم انواع
من العقاب لم يكن في حسابهم ما عاينوها وبداتها كما قال عليه الصلوة والسلام في صفة الثواب في الجنة
فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكذا الحال في جانب العذاب والعياذ
بالله تعالى وثالثها قوله تعالى وبدا لهم سيئات ما كسبوا وكلمة ما فيه يجوز ان تكون موصولة اي سيئات اعمالهم
التي اكتسبوها وان تكون مصدرية اي سيئات كسبهم ثم قال وحاق بهم اي احاط ونزل بهم من كل الجوانب
ما كانوا به يستهزؤن قدر الجزاء كما قدر في قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اي جزاء ما كنزتم لان ما
كانوا يستهزؤن به في الدنيا من انبياء الله تعالى واياته لا معنى لاحاطته بهم في العقبى الا بذلك التقدير
ثم انه تعالى حكى عنهم طريقة اخرى من طرائقهم الفاسدة وهي انهم عند الوقوع في الضر من الفقر و
المرض يفزعون الى الله تعالى ويريدون ان رفع ذلك لا لامنه لا يكون ثم انه تعالى اذا خوله اي اعطاه نعمة تفضلا تقول
انما اوتيته على علم قوله اخبار عن الجنس حمل الانسان على الجنس واستدل عليه بقوله ولكن اكثرهم لا
يعلمون لانه لو حمل على المعهود وهو الذين تشمئز قلوبهم عن ذكر الله ويستبشرون بذكر غيره لما كان لتخصيص
اكثرهم بانهم لا يعلمون وجه لان كلهم كذلك وهذا الحمل لا ينافي دخول هولاء المشمئزين المستبشرين
دخولا اوليا في هذا الحكم وهو تخصيصه تعالى بالدعاء اذا مسهم ضر وشدة فلذلك عطف هذه
الجملة على قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت الخ بالفاء السببية المؤذنة بانهم يجعلون الاشمئزاز
قلوبهم عن ذكر الله سببا للالتجاء اليه تعالى عند الشدائد انكارا عليهم في هذا الالتجاء وتعجبا من حالهم لان
السبب الصالح للالتجاء اليه عند الشدائد صدق الانقياد والانابة اليه وقت الرخاء لا النفور عنه والاشمئزاز
بذكره وهم يقيمون النفور والاشمئزاز المذكورين مقام الانقياد التام والانابة الدائمة فيلتجؤن اليه تعالى
عند الشدائد وما هذا الا تعكيس في التسبب لان الظاهر من عطف هذه على قوله واذا ذكر الله وحده
بالفاء ان يحمل الانسان على المعهود وان يكون المشمئز عن ذكر الله ملحوظا قصدا لا في ضمن الجنس حتى يكون
العطف المذكور ينبئ لحالهم وبيانا لمناقضتهم وتعكيسهم في التسبب حيث جعلوا ما هو سبب للاعراض عنه
سببا للالتجاء اليه قوله وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم اي للانكار مناقضتهم انفسهم حيث
تشمئز قلوبهم عن ذكر الله ويستبشر بذكر غيره ثم يرجعون اليه في الشدائد دون الهتهم وما هو الا
مناقضة صريحة وتعكيس في التسبب يعني ان من حق الجملة المعترضة ان تؤكد كل واحدة من الجملتين
اللتين وقعت هي معترضة بينهما والامر هنا كذلك لان الجملة المتقدمة وهي قوله تعالى واذا ذكر الله وحده الخ

فان قلت من اين وجب وقعت
سببية والاشمئزاز عن ذكر الله
ليس بمقتضى للالتجاء اليه
بل هو مقتض لصده وبعده عنه
قلت في هذا التسبيب لطف
وبيانه انك تقول زيد مؤمن
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه
فهذا تسبيب ظاهر لا لبس
فيه ثم تقول زيد كافر بالله
فاذا مسه ضر التجأ اليه
فتجيء بالفاء مجيئك بها ثمه
كان الكافر حين التجأ الى
الله التجاء المؤمن اليه مقيم
كفره مقام الايمان ومجريه
مجراه في جعله سببا في
الالتجاء فانت تحكي ما عكس
فيه الكافر الا ترى انك
تقصد بهذا الكلام الانكار
والتعجب من فعله كشاف

معناه انكار اشمئزازهم واستبشارهم وكذا الجملة المتأخرة وهي قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر الخ انكار
لالتجائه اليه تعالى بعد الاشمئزاز عن ذكره والاستبشار بذكر غيره ووقع معترضة بينهما وهو دعاؤه عليه الصلوة
والسلام ربه تعالى بامر منه بذلك تاكيد للانكار الواقع بين طرفيه كانه قيل يارب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين
يجترؤون عليك مثل هذه الجراءة الا انت قوله فان التخويل يختص به اي بالاعطاء تفضلا ولا يستعمل
في الاعطاء بطريق المجازاة والمكافاة بل في ابتداء العطية قوله على علم مني بوجوه كسبه على ان قوله تعالى
على علم حال من الضمير المرفوع في اوتيته وان فسر ذلك بقوله على علم مني باني ساعطاه يحتمل ان يكون
حالا من الضمير المرفوع والمنصوب في اوتيته لتصريح في ساعطاه وان فسر بقوله على علم من الله
بي وباستحقاقي يتعين كونه حالا من الضمير المرفوع قوله والهاء لما يعني ان كلمة ما في انما يحتمل ان
يكون كافة وان يكون موصولة فالضمير المنصوب في اوتيته على الاول يرجع الى النعمة من حيث انه اريد
بها شيء من النعمة او من حيث ان المراد بها الانعام وعلى الثاني يرجع الى ما اي ان الذي اوتيته على علم
مني او من الله تعالى بي وباستحقاقي اياه فان قلت كيف يحتمل كونها موصولة وحق الموصول ان يكون
موصولة في الخط عن ان اجيب بان الخطين لا يجري القياس فيهما خط المصحف وخط العروض وانث
ضمير النعمة في قوله تعالى بل هي فتنة اعتبارا بلفظ النعمة قوله وهو تكملة له كانه قيل ما خولناك اياها لما
تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان لك ليظهر للناس انك تشكر تلك النعمة ام تكفر قوله وكلمة ما في قوله تعالى
ما اغنى عنهم يجوز ان يكون نافية او استفهامية اي ما نفع واي شيء نفع ما كسبوه من المال عند حلول
العذاب المدلول عليه بقوله فاصابهم سيئات ما كسبوا وهو معطوف على قوله قد قالها الذين من قبلهم
قوله او جزاء اعمالهم على ان يراد بالسيئات العقوبات التي هي جزاء ما كسبوه من المعاصي وكلمة ما
على الوجهين موصولة ولما ورد ان يقال عقوبة المعاصي عدل تقتضيه الحكمة فكيف يصح ان يسمى سيئة اجاب
عنه بانه تعالى سماه على طريق المجاز المرسل تسمية للشيء باسم متعلقه فان الجزاء الذي اصابهم انما
اصابهم في مقابلة اعمالهم السيئة ونكتة المجاز الرمز الى ان جميع اعمالهم كذلك ووجه الرمز ان
قوله ما كسبوا يعم جميع اعمالهم فاذا عبر عن اجزية ما كسبوا بالسيئات كان ذلك رمزا اليه بملاحظة
اضافتها الى جميع ما كسبوا فقوله رمزا علة لتسميته سيئة بناء على الوجه المذكور ثم انه تعالى لما بين
ان اولئك المتقدمين اصابهم سيئات ما كسبوا من العقائد الباطلة والاقوال والافعال الفاسدة
اوعد كفار مكة ومن كان بمثل حالهم فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا
وما هم بمعجزين اي بفائتين عن عذاب الله في الدنيا والاخرة ثم رد عليهم زعمهم فيما اوتوا من
المال وسعة الحال بقوله اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي ويضيق على من
يشاء لا يتعلق البسط بحسن حيلته في كسبه ولا التضييق ببلادته فيه ويدل على ذلك انا نرى الناس
مختلفين

مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من سبب وذلك السبب ليس هو عقل الرجل وجهله
لانا نرى العاقل القادر في اشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في غاية السعة وليس ذلك لاجل الطبائع
والانجم والافلاك لان في الساعة التي ولد فيها ذلك الملك الكريم والسلطان القاهر قد ولد فيها
ايضا عالم من الناس وعالم من الحيوانات غير الانسان وعالم من النبات فلما شاهدنا حدوث
هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان
الفاعل لذلك هو الله تعالى فصح بهذا البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر قال الشاعر فلا السعد يقضي به المشتري ۞ ولا النحس يقضي علينا زحل ۞ ولكنه حكم رب
السماء ۞ وقاضي القضاة تعالى وجل ۞ ثم انه تعالى لما اطنب في تفصيل الوعيد اردفه بشرح كمال رحمته
وفضله واحسانه في حق العبيد فقال قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية قوله افرطوا في
الجناية عليها يريد انه ضمن الاسراف معنى الجناية فعدي بعلى لذلك قوله لا تيأسوا من مغفرته اولا و
تفضله ثانيا الظاهر ان قوله اولا وثانيا اشارة الى ترتبهما في الوجود وان التفضل لا يكون الا بعد
المغفرة ويحتمل ان يكون اشارة الى ترتبهما في كونهما مدلولي الآية بناء على انها اذا دلت على النهي عن
اليأس عن تفضله فدلالتها على النهي عن اليأس عن مغفرته اولى لان المذنب ما لم يغفر له لا يتفضل
بالدرجات قوله اضافة العباد تخصصه بالمؤمنين يعني ان قوله تعالى الذين اسرفوا على انفسهم ليس
بعام في حق جميع المشركين وان دخلوا دخولا اوليا فيمن افرط في الجناية على انفسهم بالافراط في
المعاصي بناء على ان لفظ العباد اذا ذكر مضافا اليه تعالى يراد به المؤمنون في عرف القرآن وان كان عرف اهل
اللغة لا يقتضي اختصاصه بهم لان الخلائق باسرها عباده المملوكون وفي قبضة قدرته مسخرون فلا
يرد ان يقال نهي العباد عن القنوط من رحمة الله بمنزلة امرهم بان يطمعوا ويرجوا رحمته تعالى والكريم
اذا امر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم بالمغفرة والتفضل في حق عامة المكلفين من المؤمنين والمشركين
ويعارضه نصوص كثيرة فما وجه التوفيق واذا اختص العباد بالمؤمنين بشهادة الاضافة يكون معنى الاية
اطماع المؤمنين بانه تعالى يغفر جميع ذنوبهم من الصغائر والكبائر فان من قال لا اله الا الله محمد رسول الله
يخرج من النار قطعا اما قبل الدخول في نار جهنم واما بعد الدخول فيها كما قال المص يغفرها عفوا
ولو بعد بعد اي يسترها جميعا بان يمحوها من عين الدار ان هدمها واعلم ان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى
يغفر جميع ذنوب المؤمنين ويعفو عنها قطعا وان هذا العفو والغفران يقع على وجهين تارة مع
ابتدائه وتارة بعد ادخاله في النار مدة ثم يخرجه عن النار ويعفو عنه فان قيل اذا كان جميع الذنوب مغفورة
بعفو الله تعالى ومغفرته فما الحاجة الى التوبة فان التوبة يراد بها اسقاط العقاب فاذا اسقط العقاب
بعفو الله تعالى فلا حاجة الى التوبة مع انها واجبة على العاصي عندنا وان لم تكن شرطا في العفو والغفران

اجيب بان فائدتها اسقاط العذاب عمن يكون مغفرته مسبوقة بالعذاب وان كان يحتمل ان يغفر ابتداء من
غير توبة وسبق تعذيب بحكم مشيته والمعتزلة لما شرطوا التوبة في عفو الله تعالى وغفرانه وقالوا ان مشيته
الله تعالى تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيدوا قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا بالتوبة وحملوا هذا
المطلق على ما قيد في مواضع اخر دفعا للتناقض لا ان قولهم بالتقييد في غير هذا الموضع محل نظر اذ لم
يصرح في شيء من المواضع بان المغفرة متوقفة على التوبة وغاية ما ذكر انه تعالى ذكر المغفرة بعد التوبة
وهو لا يستلزم عدم حصول المغفرة بدونها كما لا يستلزمه ذكر الانابة والاخلاص بعد ذكر المغفرة في هذه
الآية والمصنف رد على الزمخشري في تقييده المغفرة بالتوبة بان التقييد خلاف الظاهر فلا يصار اليه بلا
ضرورة ثم استدل على ان غفران ما عدا الشرك من الذنوب مطلق غير مشروط بالتوبة بوجوه الاول
قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ووجه الاستدلال به ان الشرك
الغير المغفور هو الذي لم يتب عنه ضرورة ان المشرك اذا تاب عن شركه واسلم يغفر له شركه فيكون المراد
بما دون الشرك المغفور لمن يشاء ما لم يكن مسبوقا بالتوبة والا لم يتطابق النفي والاثبات والثاني
التعليل المستفاد من قوله تعالى انه هو الغفور الرحيم فانه لاشتماله على صيغتي المبالغة وهما صيغتا فعول
وفعيل يدل على ان صفتي الغفران والرحمة مطلقتان غير مقيدتين بالتوبة لان كونهما في غاية الكمال
انما يكون اذا كانا غير مشروطين وكذا ما فيه من الدلالة على الحصر يدل ايضا على ان غفرانه ورحمته
تعالى في غاية الكمال فكانه قيل لا غفور ولا رحيم الا هو وذلك يفيد الكمال في وصفه تعالى بالغفران والرحمة
ومن وجوه كمالهما كونهما غير مشروطين بالتوبة والثالث انه تعالى لم يكتف بتوصيف ذاته بالمغفرة البالغة
التي هي في قوة الوعد بها بل اردفه بتوصيفها بالرحمة البالغة والوعد بها فان قوله الرحيم يفيد فائدة
زائدة على ما يستفاد من قوله هو الغفور فان قوله هو الغفور اشارة الى محو ما يوجب العقاب وقوله
الرحيم اشارة الى التفضل بالثواب ومن هذا شانه لا يليق به ان يكون مغفرته مشروطة بالتوبة
والرابع تقديم ما يستدعي عموم المغفرة وهو ان يعبر عن المذنبين بلفظ العباد المشعر
بالحاجة والذلة والمسكنة وان يضاف اللفظ المذكور الى نفسه ببيان الاضافة ولا شك
ان اللائق بالكريم الرحيم افاضة الخير والرحمة على المسكين المحتاج من غير تقييد واشتراط شيء
وان شرف الاضافة اليه يدل على الامن من عذابه مطلقا تاب او لم يتب والخامس ان تخصيص
ضرر اسرافهم بهم وارجاعه اليهم توصيف لهم بجهل وخامة عاقبة الاسراف وهو ايضا يشعر بكونه
مغفرته لهم غير مشروطة بشيء والسادس انه تعالى اطلق النهي عن القنوط عن الرحمة وهو في
قوة الامر برجاء الرحمة مطلقا والكريم اذا امر برجاء الرحمة مطلقا فهو امر برجاء المغفرة
مطلقا بالطريق الاولى والسابع ان اطلاق الرحمة وعدم تقييدها بنوع منها اطماع لها بجميع
وجوهها

وجوهها فتقييد المغفرة بالتوبة ينافي اطلاق الرحمة والثامن ان التعليل النهي عن القنوط من الرحمة
بقوله ان الله يغفر الذنوب يدل على اطلاق المغفرة اذ لا وجه لتعليله بالمغفرة المقيدة والتاسع انه تعالى
قال اولا يا عبادي فكان الظاهر ان يقول بعده لا تقنطوا من رحمتي الا انه تعالى قال لا تقنطوا من رحمة الله
بوضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بان رحمته وانعامه غير مشروط بشيء فضلا عن مغفرته والعاشر
التاكيد بالجمع فانه تعالى لو قال انه يغفر الذنوب من غير تاكيده بقوله جميعا لحصل اصل المعنى لكنه اردفه
بقوله جميعا ليدل على كمال مغفرته ومن جملة وجوه كمالها كونها غير مشروطة بالتوبة قوله عليه الصلوة والسلام
ما احب ان يكون لي الدنيا وما فيها بها اي بهذه الآية والباء في قوله بها للمقابلة والمعنى ما احب ان املك الدنيا
وما فيها بدل هذه الآية وذلك لانه تعالى وعد فيها المسرفين من عباده ان يغفر لهم ذنوبهم جميعا ونهاهم عن ان
يقنطوا من رحمة الله الواسعة وهي ارجى آية في حق عصاة المؤمنين فقال رجل على سبيل الاستبعاد ومن
اشرك اي ذنوب من اشرك على انه معطوف على قوله الذنوب جميعا اي ويغفر ذنوب من اشرك ايضا فلعل
الصحابي نظر الى عموم قوله تعالى يا عبادي لمن آمن واشرك ايضا وسكوته عليه الصلوة والسلام يحتمل
ان يكون للتأني او لانتظار الوحي او للاجتهاد على راي من يجوزه له عليه الصلوة والسلام روي في سبب
نزول هذه الآية وجوه قيل انها نزلت في اهل مكة فانهم قالوا يزعم محمد ان من قتل النفس وعبد الاوثان لا
يغفر له وقد عبدنا وقتلنا فكيف نسلم ولعلهم قالوا ذلك حين سمعوا قوله تعالى في اخر سورة الفرقان
وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى ان قال والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد
فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فنزلت جوابا لهم اي قل لهؤلاء المشركين عني يا عبادي ان ما
خلقنا انا مالكهم اصرفهم في حكمي كيف اشاء وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة رض عم النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم يوم احد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان وحشيا كتب الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من مكة اني
اريد ان اسلم ولكني يمنعني آية انزلت عليك من القرآن وهو قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا
يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما واني قد فعلت هذه الاشياء الثلثة
فهل لي توبة فنزلت هذه الآية الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات و
كان الله غفورا رحيما فكتب بذلك وارسله الى وحشي ان في الآية شرطا وهو العمل الصالح وانا لا ادري
ان اقدر عليه ام لا فنزل قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكتب
بذلك الى وحشي فكتب وحشي اليه ان في هذه الآية شرطا ايضا وهو قوله تعالى لمن يشاء ولا ادري اشاء
ان يغفر لي ام لا فنزل قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فكتب الى وحشي فلم يجد
فيه الشرط فقدم الى المدينة فاسلم فقال المسلمون هذا له خاصة ام للمسلمين عامة قال عليه الصلوة

رواه الامام احمد بن حنبل عن ثوبان رضي الله عنه

السلام بل للمسلمين عامة وقيل نزلت في ناس اصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الاسلام
اشفقوا ان لا يقبل الله تعالى توبتهم وقيل نزلت في عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من
المسلمين اسلموا ثم فتنوا او عذبوا فافتتنوا او ارتدوا وكفروا او قيل فتنوا او امروا بالتكاليف
الشرعية من القتال وغيره فلم يصبروا عليها فارتدوا والعياذ بالله تعالى قال الامام العبرة لعموم
اللفظ لخصوص السبب فنزول هذه الآيات في هذه الوقائع لا يمنع من عمومها **قوله** وما روي مبتداء
وما بعده عطف عليه وقوله لا ينفي عمومها خبر المبتداء وهو جواب عن سؤال مقدر وهو ان ما
ذكره من الادلة على ان المغفرة ليست مقيدة بالتوبة معارض بهذه الروايات فانها تدل على ان
هذه الآية نازلة في حق المشركين او المرتدين او المسرفين مطلقا من المشركين وعصاة المؤمنين
ومن المعلوم انه تعالى لا يغفر الشرك والارتداد الا بشرط التوبة فتكون المغفرة المذكورة في الآية مقيدة
بالتوبة كما ذهب اليه المعتزلة وتقرير الجواب ان نزولها في حق المشركين والمرتدين لا يستلزم كون
المغفرة مشروطة بالتوبة بل الآية باقية على عمومها وتقييدها بالتوبة في حق الكفرة مستفاد من الدليل
المنفصل نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فان مثل هذا النص يدل على ان الشرك
مشروط بالتوبة والانتهاء عنه وتخصيص الشرك من بين الذنوب بان مغفرته متوقفة على التوبة لا
ينافي بقاء الآية على عمومها في حق مغفرة باقي الذنوب قال صاحب الكشاف وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة
ودعاهم بذكرها الى التوبة لئلا يطمع طامع في حصول المغفرة بدون التوبة وللدلالة على انها شرط فيها
لازم لا تحصل بدونها فاجاب المص عنه بقوله وكذا قوله وانيبوا الى ربكم الآية فانه ايضا لا ينافي عموم الآية في
عموم الذنوب المذكورة فيها للمذنوب عنها فان الانابة انما ذكرت ههنا للحث عليها لكونها واجبة على العاصي
فان الآية السابقة انما تدل على انه تعالى يصح منه ان يغفر الذنوب جميعا عفوا ان من غير توبة وسبق تعذيب
ولا تدل على حصول المغفرة قطعا لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب حتى يقال اذا حصلت مغفرة الذنوب
جميعا بطريق العفو والتفضل فاي حاجة الى التوبة والحث عليها وايضا فما وجه الوعيد بالعذاب مع كون
جميع الذنوب مغفورا ابتداء في حق كل احد ومعنى الآية ارجعوا الى ربكم من الشرك والذنوب واسلموا له اي
اخلصوا له التوحيد والعمل من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه وهو استيناف
غير معطوف على المنصوب قبله فلذلك رفع فينبغي الوقف على ما قبله **قوله** القران جواب عما يقال الظاهر
ان المراد بما انزل الى هذه الامة هو القرآن والقرآن كله احسن فما معنى الامر باتباع احسنه وتقرير
الجواب ان المراد بقوله ما انزل اليكم جنس ما انزل الى بني ادم على ان الخطاب لبني ادم والمعنى اتبعوا احسن
وحي او كتاب انزل اليكم وهو القرآن كله والمراد بما انزل في الاوجه الباقية القرآن والمراد باحسنه ما في
ضمنه من الامور المامور بها فانها احسن من المنهي عنها لا محالة او من العزائم فانها احسن من الرخص او من

فكنا نقول لا يقبل الله تعالى لهم صرفا ولا عدلا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا وهاجروا كشاف

الراغب التوب ترك الذنب على اجمل الوجوه وهو ابلغ وجوه الاعتذار ... [illegible]

الراغب النوب رجوع الشيء مرة بعد اخرى يقال ناب نوبا ونوبة وسمي النحل نوبا لرجوعها الى محلها والانابة نائبة اي حادثة من شانها ان تنوب دائما والانابة الى الله تعالى الرجوع اليه بالتوبة واخلاص العمل قال الله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له وفلان ينتاب فلانا اي يقصده مرة بعد اخرى صح

او من الناسخ فانه احسن من المنسوخ لان النسخ عبارة عن انتهاء حكم المنسوخ واثبات حكم اخر
مكانه فلما كان الناسخ هو المعمول عليه من حيث حكمه كان احسن في حقنا مع احتمال ان يكون المراد با
حسن القران ما هو اظهر تادية الى النجاة والسلامة لكونه اشمل واكثر فائدة **قوله** لان القائل بعض
الانفس وهي الكفرة كانه اراد ان التنكير فيها للنوعية وعبر عن النوع بالبعض فان النفس الكافرة
نوع من جنس النفوس قال الاعشى يشاكيا عن قومه حين قعدوا عن نصره ٭ دعا قومه حولي فجاؤا
لنصره ٭ وناديت قوما بالمسناة غيبا ٭ ورب بقيع لو هتفت بجوه ٭ اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا
٭ يريد افواجا من الكرام ينصرونه مغضبين اي محمولين على غضب اي غضب والمسناة العرم والبقيع
موضع فيه عروق الشجر من ضروب شتى ومنه بقيع الغرقد وهو مقبرة بالمدينة والغرقد ضرب من
كانه لما قعد قومه عن نصرته قال ذلك ومعنى قوله بالمسناة غيبا امواتا مقبورين تشبيها بالاموات
المقبورة في غيبتهم وعجزهم وشبه القبر بالمسناة لانه اذا قبر الميت صارت الاحجار المركومة مسناة
فوق الميت واراد بالبقيع المقبرة تشبيها لها ببقيع الغرقد وتنكير كريم فيه للتكثير يريد اتاني افواج
من الكرام ينصرونني لانه في صدد مدح نفسه وبيان ان الكرام من الرجال لا يخذلونه وحمل التنكير
على الافراد يخل بالمقصود وقرأ العامة يا حسرتا بالالف مبدلة من ياء الاضافة فان الاصل يا حسرتي
والعرب تبدل ياء الضمير الفا في الاستغاثة فتقول يا ويلتا ويا ندامتا وهو بالالحاق الالف مع الفتح
بالنسبة الى الياء والكسرة وقرئ يا حسرتي على الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين الاصل والعوض وما
في قوله على ما فرطت مصدرية اي على تفريطي والجنب في الجانب بمعنى يقال انا في جنب فلان وجانبه وناحيته
ثم يقال فرطت في جنبه وفي جانبه يريدون في حقه والواسع الجنب ومنه قيل منة بكسر العين فيهما اي
احتمله فهو واسع وحسرة تانيث حسران مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى وقطع اصله **قوله**
وهو كناية اي اثبات التقصير في جنب الله وناحيته كناية عن اثباته لذاته لان اثبات الامر في مكان الرجل
يستلزم اثبات ذلك الامر فيه كما في قول زياد الاعجم في مدح عبد الله بن الحشرج حيث جمع السماحة
والمروءة والندى في قبة تنبيها بذلك على ان محلها ذو قبة واراد بجعل محلها ذا قبة اختصاصها او
صاف المذكورة بابن الحشرج ثم لما اراد ان غرضه لا يتم بجعل محلها ذا قبة لوجود ذوي القباب في الدنيا
جعل القبة مضروبة على ابن الحشرج فتم غرضه بذلك لان كون تلك الاوصاف في قبة مضروبة على
الممدوح من لوازم كونها فيه فكنى الشاعر بكونها في تلك القبة عن كونها فيه ولا فرق بين ذكر نحو المكان
والجانب والجنب وتركه في تادية اصل المعنى الا انه اذا ذكر يكون كناية فيكون الكلام ابلغ فاذا قيل فرطت
في جنب الله تعالى كانه قيل في الله وفي ذاته فلا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر اي
فرطت في حقه وهو طاعته فيما امر به ونهى عنه **قوله** وقيل في ذاته على ان يجعل جنب الله كناية عن ذات

فقد ركما نبه ان تقول يعني ان تقول في محل النصب على انه مفعول له بفعل مقدر دل عليه انيبوا واتبعوا اي امرناكم بالانابة والاتباع باحسن ما انزل اليكم كراهة ان تقول نفس وهذا التقدير اوفق لنظم الكلام مما قدره صاحب الكواشي حيث اندركم كراهة ان تقول انتهى محمد

روي ان كان في بني اسرائيل عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه وكان له مال فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل الله تعالى خبره في القران كشاف

الله ايضا لا تقدير في حق ذات الله بل بتقدير في ذات طاعة الله والفرق بين الوجهين ان المضاف مقدر
قبل الجنب الذي كني به عن الذات في الوجه الاول وبعده في الوجه الثاني **قوله** وصل في قربه ان الجنب القرب
يقال فلان يعيش في جنب فلان اي في قربه وجواره والمعنى على هذا فرطت في طلب قرب الله وجواره **قوله**
باهل اي باهل الله يعني اهل دينه وطاعته قال قتادة لم يكفه ان يضيع طاعة الله تعالى ويفرط فيها حتى سخر
من اهلها وكلمة ان في قوله وان كنت هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية و
اسمها ضمير الشان المضمر والجملة في محل النصب على انها حال من فاعل فرطت كانه قال فرطت في حال كوني
ساخرا من الساخرين لم يقنع بتفريطه في طاعة الله تعالى وسخريته اهل الطاعة حتى عد في زمرتهم واشتهر
بذلك واعلم انه تعالى لما خوفهم بالعذاب بقوله من قبل ان ياتيكم العذاب بين انهم عند نزول العذاب عليهم
ماذا يقولون فحكم عليهم بثلثة انواع من الكلام فالاول قوله ان تقول نفس يا حسرتا والثاني ان تقول
لو ان الله هداني لكنت من المتقين والثالث قوله او تقول حين ترى العذاب الاية تحسروا اولا على
التفريط في طاعة الله تعالى وثانيا تعللوا بفقد الهداية وثالثا تمنوا الرجعة الى الدنيا ليكونوا من
المحسنين اعتقادا وعملا وكلمة او فيما بين هذه الاقوال لمنع الخلو لا لمنع الجمع اذ يجوز ان يجمع هذه
المقالات ويتقولوا بها جميعا فاجاب الله تعالى عن كلامهم بان قال بلى قد هديت الى الدين الحق بالوحي
وانزال القرآن وان تعللك بفقد الهداية باطل واعذارك زائلة بما جاءتك من الايات القرآنية الا
انك كذبت بها قائلا انها ليست من عند الله تعالى وتكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين باختيار
الكفر على الايمان والضلال على الهدى بعد وضوح البيان ولما كانت كلمة بلى مختصة بايجاب النفي
ولا تقع جوابا بالغير المنفي وليس في واحدة من تلك المقالات لفظ النفي حتى يحسن ان يجاب عنه ببلى جعلها
جوابا عن مقالتهم الوسطى وهي قولهم لو ان الله هداني واحتاج الى اعتبار ما فيه من معنى النفي لان
معناه انه تعالى ما هداني لان لفظة لو اذا دخلت على المثبت تفيد معنى النفي فورد عليه ان بلى لما كان جوابا عن
المقالة الوسطى كان ينبغي ان يقترن بها فلم فصلت عنها فاجاب عنه بان اقتران الجواب بتلك المقالة
يفرق القرائن بان تتخلل كلام الغير بين مقالاتهم وتاخير تلك المقالة عن المقالة الثالثة لان يقترن
جعلها بها يخل بالنظم المطابق للوجود فتعين ان تذكر تلك المقالات على وفق ترتيبها في الوجود ثم يجاب
من بينها عما يستدعي ان يجاب عنها **قوله** وهو لا يمنع تاثير قدرة الله تعالى في فعل العبد جواب عن استدلال
المعتزلة بهذه الايات على ان العبد مستقل بفعله لا تاثير لقدرة الله تعالى فيه من حيث انه تعالى رد قولهم
بانه تعالى ما هدانا الى الحق بقوله بلى قد هديتكم وبينت لكم آياتي لكنكم كذبتم بها واخترتم ما يرديكم ما يسعدكم
فانما جاء التقصير من قبلكم وهذا يدل على ان قدرة الله تعالى لا تاثير لها في شقاوتهم والا لكان لهم ان يقولوا
نعم جاءتنا الايات لكنك خلقت فينا التكذيب بها فصرفتنا عن التصديق بها وايضا انه تعالى وصفهم على

وفي النسخ التي نظرت اليها وجد تحت [illegible] والظاهر انه سهو من الناسخين يدل عليه ما ذكر بعد هذا من قوله لانه يتحد بالتفريط الخ لمحمد

اي يوجب الفصل بين ان تقول الاول والثاني

على وجه الذم والتوبيخ بتكذيب الايات والاستكبار عن الايمان بها والاهتداء بهداها والكفر و
الاسراف فلو لم يكن لهم استقلال في هذه الافعال لما صح هذا الذم ولا شك ان استدلالهم هذا باطل
لان غاية ما في الباب انه تعالى رد ما تضمنته مقالتهم الوسطى ببيان انه هداهم لكنهم استحبوا العمى على
الهدى وذمهم باسناد تلك الافعال اليهم وذلك لا يستدعي استقلال قدرتهم فيها بل يكفي في ذلك ان يكون
لقدرتهم مدخل فيها **قوله** وتذكير الخطاب اي في قوله فقد جاءتك اياتي فكذبت واستكبرت وكنت
بفتح التاء في الجميع مع ان الظاهر كسر التاء على خطاب النفس الا انها فتحت نظرا الى جانب المعنى لان النفس
عبارة عن الكافر **قوله** والجملة حال من الموصول على طريقة كلمته فوه الى في بناء على ان الروية بصرية وان
كانت من رؤية القلب تكون الجملة الاسمية في محل النصب على انها مفعول ثان وقرئ وجوههم مسودة
بنصبهما على ان وجوههم بدل بعض من كل ومسودة اما حال او مفعول ثان **قوله** بفلاحهم وهو الظفر
بالبغية اي بغية كانت والنجاة من جهنم من جملتها فسر المفازة التي هي اسم بمعنى الفوز اولا بمعناها
الحقيقي وهو الفلاح والظفر بالخير على اتم الوجوه والمعنى وينجي الله المتقين مما نال المتكبرون من سواد الوجه
والثواء في الجحيم بسبب ظفرهم بمراداتهم الخير وفسرها ثانيا بالنجاة وبين وجهه بان النجاة من العذاب
اهم اقسام الفوز والظفر بالخير واكمل افراده فصح صرف مطلق الفوز اليها وارادتها منه وح
يحتاج الى تقدير المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم ونجاتهم وهو الاعمال الصالحة لان نفس النجاة
ليست سببا لتنجيتهم بل سببها هو الاعمال الصالحة او الى ان يجعل المفازة التي اريد بها النجاة مجازا مرسلا
عن العمل الصالح على طريق اطلاق المسبب وارادة السبب لان العمل سببها وفسرها ثالثا بالسعادة
ورابعا بالعمل الصالح وبين وجههما باطلاق الفوز عليهما من قبيل اطلاق اسم المسبب على السبب
اذ كل واحد منهما سبب للفوز والفلاح اي ينجيهم في حال انهم لا يمسهم السوء بمفازتهم اي بسعادتهم
او بصلاح اعمالهم على ان الباء صلة لا يمسهم وانه حال من الذين اتقوا وان كانت استينافا لبيان
المفازة لا يكون له محل من الاعراب فكانه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء ثم انه تعالى لما اطال الكلام
في شرح الوعد والوعيد عاد الى دلائل الالهية والتوحيد فقال الله خالق كل شيء جعل كل شيء مسا
ولا للخير والشر والكفر والايمان ردا على المعتزلة المنكرين لكونه تعالى خالقا للشر ولافعال العباد **قوله**
لا يملك امرها الحصر المذكور مستفاد من تقديم الظرف فانه يفيد تاكيد الاختصاص المستفاد من اللام
وهو معنى قوله وفيها مزيد دلالة على الاختصاص جعل ملك مقاليد السموات والارض كناية عن كونه
مالكا لها قادرا على جميع التدابير المتعلقة بها بناء على ان ملك مفاتيح الشيء لازم لملك نفس ذلك الشيء والتصرف
فيه فاثبت الله لذاته المتعالي اللازم للدلالة على ثبوت الملزوم له وفيه اشكال بناء على ما ذكر في الفرق
بين المجاز والكناية من ان المجاز لاشتماله على القرينة الصارفة عن ارادة الموضوع له لا يجوز فيه ارادة

الموضوع له بخلاف الكناية فان المقصود فيما هو المعنى الكنائي وهو الملزوم مع جواز ارادة الموضوع له
وهو اللازم وفيما نحن فيه لا يصح ارادة حقيقة المفاتيح اذ ليس ثمة مفاتيح ولا اغلاق الا ان يجعل
اثبات المقاليد للسموات والارض استعارة تخييلية منبهة على تشبيههما باشياء ذوات ابواب وان
ابوابها مغلقة باغلاق ذوات مفاتيح ثم يجعل ما يدل على اختصاص تلك المفاتيح به تعالى وهو قوله تعالى له
مقاليدهما كناية عن كونه تعالى مالكهما والمتصرف فيهما بالحفظ وانواع التدابير **قوله** كمذاكير فانه
جمع ذكر على الشذوذ كما ان المحاسن جمع الحسن على خلاف القياس قال الامام النسفي الاقليد اصله
بالفارسية كليد فعربته العرب وتكلمت به فصار عربيا كما اذا طرء الاستعمال على المهمل يخرج من كونه
مهملا ويصير مستعملا **قوله** متصل بقوله وينجي يعني انه معطوف عليه عطف احد المتقابلين على الاخر اي ينجي الله
المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون فان مفردات احدى الجملتين مقابلة لمفردات الاخرى
من حيث المعنى وهاتان الجملتان لما سيقتا لبيان انه تعالى يجازي كل واحد من اهل التقوى والكفر على حسب
افعالهم اعترض بينهما ما يؤكد هذا المعنى لانه تعالى اذا كان خالق كل شيء وكانت الاشياء كلها موكولة
اليه وكان مالكا لخزائن السموات والارض لزم كونه تعالى مطلعا على افعال المكلفين مجازيا عليها
قال الامام الغزالي في المقصد الاقصى المهيمن معناه في حق الله تعالى انه القائم على خلقه باعمالهم وارزا
قهم وآجالهم وانما قيامه عليها باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه
والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء الى كمال القدرة والحفظ الى الفعل فالجامع بين هذه المعاني اسم
المهيمن **قوله** وتغيير النظم جواب عما يقال من ان قوله تعالى وينجي الذين اتقوا جملة فعلية وقوله والذين
كفروا بايات الله جملة اسمية ولا يحسن عطف الاسمية على الفعلية وتقرير الجواب ان مقتضى الظاهر ان يقال
ويهلك الكافرين الا انه غير النظم الى ما وقع في التنزيل لنكتتين الاولى الاشعار بان ما اصاب المتقين
من الجنة فمن الله تعالى بفضله ورحمته وما اصاب الذين كفروا فمن انفسهم حيث خسروا حظها بسوء
اختيارهم وحاصل النكتة الثانية انه تعالى لغاية كرمه صرح بوعد المتقين اضافه الى نفسه ولم يصرح بوعيد
الكافرين فضلا عن ان يضيفه الى نفسه **قوله** او بما يليه عطف على قوله بقوله وينجي اي او هو متصل بقوله
الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض اي بكمال قدرته وعلمه وحكمته هكذا
ومن كفر بذلك وجحد ان الامر كذلك اولئك الخاسرون ثم ذكر ان المراد بايات الله دلائل قدرته ان
كان قوله مقاليد السموات كناية عن قدرته وان فسر المقاليد بما روي عنه عليه الصلوة والسلام يكون
المراد بايات الله كلمات توحيده وتمجيده **قوله** اي افغير الله اعبد يعني ان قوله افغير منصوب باعبد ولما
ورد ان يقال كيف يجوز ذلك والظاهر ان اعبد مفعول لتأمروني فانه يقتضي مفعولين اولهما ياء المتكلم
وثانيهما اعبد الا ان مفعول الامر لما وجب ان يكون مفردا لفظا او تقديرا وههنا وقع جملة وجب
ان

ان يقدر ان المصدرية ليكون الجملة في تأويل المفرد فيكون تقدير الكلام تأمروني ان اعبد فيكون اعبد
صلة ان المصدرية فان جعل غير الله منصوبا باعبد لزم منه ان يتقدم معمول الصلة على الموصول وذا لا يجوز اشار
الى دفعه بقوله وتأمروني اعتراض اي بين المفعول وفعله والمعنى افغير الله اعبده بامركم ووجه الدفع ان اعبد
اذا لم يكن مفعول تأمروني لم يحتج الى تقدير ان المصدرية حتى يلزم تقدم معمول الصلة على الموصول **قوله** استلم
امر الحاضر من قولهم استلم الحجر اذا لمسه اما بالقبلة او باليدين بتقبيله بنفسه او بالاشارة اليه باليد وتقبيلها
كما يفعل بالحجر الاسود **قوله** لفرط غباوتهم متعلق بقوله قالوا استلم فان امرهم اياه عليه الصلوة والسلام
بذلك بعد ما تبين انه تعالى خالق الاشياء كلها وان التصرف فيها جميعا موكول وان مقاليدها جميعا بيده غاية الجهل
والغباوة **قوله** ويجوز ان ينتصب غير الخ لما كان انتصاب غير الله باعبد مستلزما بحسب الظاهر تقديم ما في حيز
الصلة على الموصول دفعه اولا بجعل قوله تأمروني اعتراضا بين المفعول وفعله لئلا يقدر ان ودفعه ههنا
بانه ليس منصوبا باعبد المذكور بل بما دل عليه مجموع قوله تأمروني اعبد فانه في معنى اتعبدونني وتقولون
لي اعبد غير الله لان الامر نوع من القول والتعبيد ولا محذور في كونه غير منصوب باعبد بهذا لكونه مفعولا للقول
المدلول عليه بالجملتين المذكورتين لان القول لا يستدعي ان يكون ما يستدعيه الامر فانه قد تقرر ان مفعول القول
يكون جملة محكية فلا يحتاج الى ان بخلاف مفعول الامر فانه لابد ان يكون مفردا فان اتفق كونه جملة يحتاج
الى ان لفظا او تقديرا ليكون الجملة في تأويل المفرد **قوله** على ان اصله اي اصل الكلام على تقدير ان لا يكون
تأمروني اعتراضا ويكون غير منصوبا بمضمون الجملة **قوله** وقرأ ابن عامر تأمرونني بفك الادغام
وسكون الياء وقرأ نافع تأمروني بحذف نون الوقاية وفتح الياء وقرأ الجمهور بادغام نون الرفع في نون
الوقاية وفتح الياء ابن كثير مع الادغام **قوله** كلام على سبيل الفرض لما كان الاصل في تعليق الحكم بكلمة ان
ان يكون المعلق عليه محتمل الوقوع ومساوي الطرفين والله تعالى اعلم بان الرسل عليهم الصلوة والسلام
لا يشركون ولا تحبط اعمالهم البتة فلم يظهر وجه تعليق حبط اعمالهم على اشراكهم وتأكيده بالقسم مع انه
غير محتمل الوقوع اجاب عنه بانه تعليق على سبيل فرض عده محتمل الوقوع وبيان حكمه ثم بين ان المراد من
فرضه امور ثلثة تهييج الرسل وتقويته عزيمتهم على الثبات على التوحيد واقناط الكفرة من الاثابة على اعمالهم
والاشعار على حكم الامة فان الرسل مع كرامتهم عند الله اذا احبط عملهم وخسروا بالاشراك فالامة اولى بذلك **قوله**
وافراد الخطاب جواب عما يقال كيف قال لئن اشركت على التوحيد مع ان موحى اليهم جماعة **قوله** والاحباط جواب
عما يقال احباط عمل المرتد ليس بمطلق بل هو مقيد بشرط موته على الكفر عند الشافعية لقوله تعالى ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم فلم لم يعتبر هذا الشرط في هذه الاية وكذا الخسران في الا
خرة لا يكون بمجرد الشرك بل يكون بالموت عليه وعند الحنفية يحصل الاحباط بمجرد الشرك واجاب عنه
بوجهين الاول ان اطلاق كل واحد من الاحباط وخسران الاخرة يحتمل ان يكون من خصايص الرسل

من جنب ان منزلتهم عند الله تعالى لما كانت اعلى واعز من منازل الامة فلو فرض ان واحدا منهم لو ارتد والعياذ
بالله ليهلكنه الله تعالى بلا مهلة لشدة غضبه على ردته فيحبط عمله ويخسر في الاخرة البتة فلا حاجة في حقهم
الى تقييد الاحباط وخسران الاخرة بالموت على الردة لازما لارتدادهم المفروض والتنبه ان هذا المطلق
محمول على المقيد في اية اخرى والمعنى ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ان مت على الشرك قوله وعطف
الخسران عليه كعطف قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله والمعنى ولتكونن من الخاسرين
بسبب حبوط العمل قوله ما قدروا عظمته في انفسهم اشارة الى ان قدر المخفف في الاية بمعنى قدر المشدد
وزاده بيانا بقوله وقرئ بالتشديد من غير ان يتعرض لاختلاف المعنى بالتشديد وفي الصحاح قدرت
الشيء اقدره واقدره قدرا من التقدير ومعنى التقدير لما كان راجعا الى المعرفة والعلم وان كنه
ذاته لا يقدره ولا يعلمه واحد فكيف ينكر على الكفار بانهم ما عرفوه حق معرفته فلذلك قدر المضاف فقال
ما قدروا عظمته في انفسهم حق عظمته قوله على طريقة التمثيل والتخييل يعني انه من قبيل الاستعارة
التمثيلية وهي ان تشبه صورة منتزعة من متعدد باخرى مثلها فتذكر الالفاظ الدالة على الصورة الثانية
ويراد بها الصورة الاولى فيكون مجموع تلك الالفاظ استعارة تمثيلية ولا يكون في شيء من مفرداتها
ذلك المجموع تصرف بحسب هذه الاستعارة بل يكون هي باقية على حالها من حقيقة او مجاز فلا يراد بقوله
والارض جميعا قبضته اثبات القبض له لا بحقيقته ولا بمجازه ولا بقوله والسموات مطويات بيمينه
اثبات الطي واليمين له تعالى لا بحقيقتهما ولا بمجازيهما بل الاعتبار انما هو لمجموع الكلام وان المقصود
منه التنبيه على عظمته تعالى والدلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه كالشيء المقبوض بيمين احد فان
التصرف فيه يسير له كما ان المقصود من قولهم شابت لمة الليل الدلالة على استنارته وذهاب ظلمته بذلك الطريق
من غير تعرض لاثبات اللمة له لا حقيقة ولا مجازا واللمة بكسر اللام الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن والقبضة
بالفتحة المرة من القبض وبالضم المقدار المقبوض بالكف اي هي اسم له وقد يطلق القبضة بالفتح على ذلك
المقدار اما على طريق تسمية الشيء بالمصدر للمبالغة او على تقدير ذو مثل رجل عدل قوله تعالى والارض
جميعا قبضته جملة اسمية في موضع الحال من مفعول قدروا اي ما عظموه حق تعظيمه والحال انه مو
صوف بهذه القدرة القاهرة وقرئ قبضته بالنصب اي في قبضته وهو ضعيف لان هذا الظرف محدود
فلا بد في تعلق الفعل به من كلمة في على راي البصريين واما الكوفيون فانهم يجوزون نصب المحدود ايضا
فيقولون زيد دارك بالنصب اي في دارك ومثله عند البصريين يحتاج الى اعتذار فلذلك اعتذر
المصنف عنه فقال تشبيها للموقت بالمبهم قوله تعالى والسموات مطويات برفع الاسمين جملة اسمية معطوفة
على ما قبلها وقوله بيمينه متعلق بمطويات وخبر ثان او حال من الضمير في مطويات قوله عما اشركهم
على ان تكون ما في قوله عما يشركون مصدرية وقوله او ما يضاف اليه من الشركاء على انها موصولة اي

قوله وتعبيره اشارة الى موجب الاختصاص من
انا امره بان يتكبر يتضمن ان عليه نعمة من
الله وذلك يوجب اختصاصه بالعبادة
تمت

والغرض من هذا الكلام
اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه
جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة
ولا باليمين الى جهة حقيقة او
جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى ان
حبرا من اليهود جاء وفي بعض النسخ
الشيخ جبرئيل وانه غلط والصحيح
حبر جاء الى رسول الله فقال يا
ابا القاسم ان الله تعالى يمسك السموات
يوم القيمة على اصبع والارضين على
اصبع والجبال على اصبع والشجر على
اصبع والثرى على اصبع وسائر
الخلق على اصبع ثم يهزهن
انا الملك فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ
تصديقا له وما قدروا الله حق
قدره وانما ضحك افصح العرب
وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما فهمه علماء
البيان من غير تصور امساك ولا
اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن
فهمه وقع اول شيء وعلى اخره على
الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة
على القدرة الباهرة وان الافعال
العظام التي تتحير فيها الاذهان
ولا يكتنهها الاوهام هينة عليه
هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف
الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة
على التخيل ولا ترى بابا في علم البيان
ادق ولا الطف من هذا الباب ولا
انفع ولا اعون على تعاطي
تاويل المشتبهات من كلام الله تعالى

اي عن الذي يشركونهم به ثم انه تعالى لما قرر كمال عظمته بما سبق ذكره اردفه بذكر طريق اخر يدل ايضا
على كمال عظمته وذلك شرح مقدمات يوم القيمة لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم فقال ونفخ في الصور
الاية قوله خروا امواتا او مغشيا عليهم اشارة الى ان الصعقة يحتمل ان يراد بها الموت وان يراد بها الفزع
الشديد من شدة الصوت فانهم اختلفوا في الصعقة فقيل انها غير الموت لقوله تعالى في موسى عليه الصلوة والسلام
وخر موسى صعقا ولم يمت بل خر مغشيا عليه وعلى هذا القول فالمراد من نفخ الصعقة ومن نفخ الفزع
واحد وهو المذكور في سورة النمل بقوله تعالى ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء
الله فنفخ الصور على هذا القول لا يكون الا مرتين نفخ الصعقة الذي هو بعينه نفخ الفزع ونفخ البعث وقيل الصعقة
عبارة عن الموت وقد دل القران على تحقق نفخ اخر يؤدي الى الفزع والخوف الشديد وعلى هذا القول
فالنفخ يحصل ثلث مرات اولها نفخة الفزع وهي المذكورة في سورة النمل والثانية نفخ الصعق والثالثة
نفخ القيام وهما مذكورتان في هذه السورة ويؤيده ما روي عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انه سئل عن
الصور فقال هو القرن وان عظم دارته ما بين السماء والارض فينفخ فيه نفخة فيفزع الخلق ثم ينفخ فيه
نفخة اخرى فيموت اهل السموات والارض فاذا كانت وقت النفخة الثالثة جمعت الارواح كلها في الصور
ثم ينفخ الاخرى فتخرج الارواح كلها منها كالنحل والزنابير وياتي كل الى جسده رواه الامام ابو الليث قال
ابن عباس رضه عند نفخة الصعق يموت من في السموات ومن في الارض الا جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك
الموت ثم يميت الله ميكائيل واسرافيل ويبقى جبرئيل وملك الموت ثم يميت جبرئيل ثم يميت ملك الموت وروى ابو
هريرة رضه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هم الشهداء متقلدون باسيافهم حول العرش وقال جابر رضه
هو موسى عليه الصلوة والسلام لانه صعق مرة ولا يصعق ثانيا وقيل هم الحور العين وسكان العرش
والكرسي وقال قتادة رحه الله اعلم بهم وليس في القران ولا في الاخبار ما يدل على انه من هم قوله
واخرى يحتمل الرفع والنصب على اقامة المصدر مقام الفاعل دون اقامة الظرف والنصب على عكس
ما قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى في سورة الحاقة فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة اسند الفعل الى
المصدر وحسن تذكيره للفصل وقرأ ابو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور
وهو في الصور فاعراب قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى كاعراب هذه الاية بعينها في جواز الوجهين فلذلك قال
المصنف واخرى يحتمل الرفع والنصب بناء على ان موصوفها المحذوف يحتملهما لما تقرر في النحو انه اذا
وجد المفعول به فالظرف والمصدر متساويان في القيام مقام الفاعل واما اذا وجد فهو متعين له قوله
ثم نفخ فيه اخرى يدل على ان هذه النفخة متاخرة عن النفخة الاولى لان لفظة ثم للتراخي وعن ابي هريرة
رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا اربعون يوما قال ابيت قالوا
اربعين شهرا قال ابيت قالوا اربعين سنة قال ابيت قوله او متوقفون اي يحتمل ان يراد بالقيام البعث

من القبور وان يراد التوقف في المكان لاستيلاء الحيرة والدهشة عليهم فقرا العامة فاذا هم قيام برفع
قيام على انه الخبر وقرئ بنصبه على انه حال من ضمير ينظرون وينظرون هو الخبر ومعنى النظر في المشهور
تقليب البصر لطلب الابصار وقوله او ينتظرون عطف على قوله يقلبون فيكون النظر بمعنى الانتظار
كما في قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا ما ذكر الله تعالى يوم القيمة ذكر من احوال ذلك اليوم
اشياء اولها قوله واشرقت الارض اي اضاءت وتنورت عرصة القيمة وارض الموقف بنور ربها اي
بعدل ربها وقضائه بالحق بين عباده استعير النور للعدل تشبيها له بالنور في ان كل واحد منهما
سبب لتزيين البقاع وظهور الاشياء كما شبه ضد العدل وهو الظلم بالظلمة تشبيها بليغا في قوله عليه الصلوة
والسلام الظلم ظلمات يوم القيمة واضافة النور بهذا المعنى اليه تعالى لا يحتاج الى تاويل لانه صفة قائمة
بذاته تعالى كعلمه وقدرته قوله ولذلك اي ولكون المراد بنور الرب عدله القائم به اضاف اسم الرب الى الارض
فان اضافته اليها تؤذن بانه تعالى مالكها ومدبرها وانه الذي يزينها من غير توسط شيء من خلقه بان ينشر فيها
عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها فلما قيل ان رب الارض نور ارضه بنوره كان المناسب
ان يراد بالنور الذي نور الارض ويزينها الصفة القائمة به تعالى وهي عدله الذي لا شيء اليق بها منه ولا اعم لها
غيره وتفسيره بالنور المخلوق له لا يناسب تلك الاضافة وقيل المراد بالنور المضاف اليه تعالى نور يخلقه
في القيامة ويلبسه وجه ارض الموقف فتشرق به الارض من غير شمس ولا قمر فالنور بهذا المعنى وان لم يكن
صفة قائمة به تعالى الا انه صح اضافته اليه تعالى لان الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة ولما كان ذلك النور من خلقه تعالى
شرفه باضافته بنفسه كبيت الله وناقته والمص ايد هذا القول بقوله ولذلك اضافه الى نفسه فان اضافته اليه
تؤذن باختصاصه به بان لا يكون بتوسط نيرين مثل الشمس والقمر قوله الحساب والجزاء يعني ان وضع الكتاب
عبارة عن الشروع في الحساب والجزاء لا وضعه من لوازم الشروع فيهما فافراد الكتاب ح على مقتضى الظاهر
وان اريد به صحايف الاعمال يكون المعنى ووضعت الكتب في ايدي الناس في ايمانهم وشمائلهم ليقرؤها ويكون
افراد الكتاب لكون اسم الجنس مغنيا عن صيغة الجمع ولما بين الله تعالى انه يحضر في محفل القيمة جميع ما يترتب
عليه فصل الخصومات بين بعده انه يوصل الى كل احد حقه وعبر عن هذا المعنى باربع عبارات اولها قوله
تعالى وقضي بينهم بالحق وثانيها قوله وهم لا يظلمون وثالثها قوله ووفيت كل نفس ما عملت ورابعها قوله وهو
اعلم بما يفعلون فانه ان لم يكن عالما بكيفيات احوالهم فلعله لا يقضي بالحق لاجل عدم العلم والمقصود المبا
لغة في تقرير ان كل مكلف يصل الى حقه ثم انه تعالى لما شرح احوال اهل القيمة على سبيل الاجمال وقال ووفيت
كل نفس ما عملت بين بعده كيفية احوال اهل العقاب ثم بين كيفية احوال اهل الثواب وختم به السورة فقال
وسيق الذين كفروا والسوق الحث على السير والاسراع بالسائر نحو المقصود وذلك يكون بالعنف
والدفع لقوله تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا زمرا اي افواجا متفرقين بعضها
على

على التالية من الزمر وهو الصوت وقيل من الزمر بمعنى القلة ومنه شاة زمرة اي قليلة ورجل زمر اي قليل المروة
قوله تعالى فتحت ابوابها جواب اذا وهذا يدل على ان ابواب جهنم تكون مغلقة قبل ذلك انما تفتح عند وصول
الكفار اليها بخلاف ابواب الجنة فانها مفتحة قبل مجيء اهلها اكراما لهم واستقبالا لخدمهم وتهيئة اسباب
اكرامهم لئلا ينتظروا ويشهد له قوله تعالى في آية اخرى جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو في
قصة اهل الجنة ولم يؤت بها في قصة اهل النار كانه قيل اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها بالواو الحالية قوله
وحتى هي التي تحكى بعدها الجملة يعني ان حتى في الموضعين حرف ابتداء وما بعدها كلام مستانف لا يتعلق بما قبلها
من حيث الاعراب وقد استوفى بعدها فيهما جملة شرطية هي قوله تعالى اذا جاؤها الا انه حذف جواب اذا
الثانية للدلالة على ان ثواب اهل الجنة لا يحيط به الوصف وحق ذلك الجزاء المقدر ان يقدر بعد خالدين لانه
موضعه بعد تمام الشرط بمتعلقاته وما عطف عليه اي حتى اذا كانت هذه الاشياء كان ما كان من وجوه الكرامة
وتمام النعمة قوله وقيل هذا اشارة الى جواب ما يقال حاصله ان الظاهر ان المراد باليوم في قوله وينذرونكم
لقاء يومكم هذا يوم القيمة ولا اختصاص ليوم القيمة بهم فلم اضيف اليهم وتقريره ان المراد باليوم وقت
الشدة ولا خفاء في اختصاص ذلك الوقت بهم واستعمال اليوم في وقت الشدة شائع كثير قوله وفيه
دليل الى انه لا تكليف ولا وجوب بمجرد العقل وتقبيحه عند الاشاعرة وهو يدل عليه ان الملائكة بينوا انهم ما بقي
لهم عذر ولا علة بعد مجيء الرسل وتبليغ الكتب ولو لم يكن ذلك شرطا في استحقاق العذاب لما بقي
لهذا الكلام فائدة قوله ابهم القائل لتهديد ما يقال لهم فان ابهامه يدل على ان الاهتمام والعناية متعلقة
ببيان ما يقال لهم لان المبهم في مقام التهديد واظهار الوعيد انما هو بيان ما يقال لهم لا بيان ان قائله من
هو قوله واللام فيه للجنس لان مثوى المتكبرين فاعل بئس وقد تقرر ان فاعل باب نعم وبئس اما معرف
بلام الجنس او مضاف الى المعرف بلام الجنس والاية من قبيل الثاني والظاهر ان هذه الاية تشعر بان علة
ثوائهم واقامتهم في النار هو تكبرهم عن الحق من حيث ان بناء الحكم على المشتق يفيد علية الماخذ وقد سبق
ان علته ما قالوه من ان كلمة العذاب حقت على الكافرين وبينهما تناف اجاب عنه بان تعليله بالتكبر
ونحوه من القبائح تعليل له بعلته القريبة وتعليله بانه تعالى حكم عليهم بالشقاوة تعليل له بالعلة البعيدة
لان الحكم المذكورة علة لتلك العلل القريبة باسرها كما يدل عليه الحديث قوله اسراعا بهم الى دار
الكرامة اشارة الى جواب ما يقال ان السوق لكونه منبئا عن العنف والهوان معقول في حق من يذهب
به الى موضع العذاب واما اهل الجنة فانهم اذا امروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فاي حاجة لهم
الى السوق وتقريره ان العنف والهوان خارج عن حقيقة السوق لان السوق عبارة عن الحث على
السير والاسراع بالسائر نحو المقصود وهو قد يكون خيرا له بايصاله سريعا الى موضع الراحة وقد يكون شرا
بايصاله الى ضد ذلك فكل واحد من العنف والهوان ومن ضدهما انما يستفاد من السوق بمعونة المقام و

قال الراغب ان جهنم لما
كانت اشد الحبس وكانت
الناس اذا اشتدوا امورها ان
لا تفتحوا ابوابها الا لداخل وخارج
ولما كانت جهنم اهلها اسراء
اهلها عقابا اخلف عنها ما تشوهيد
من احوال السجون واما الجنة فلان
من فيها يبشرون للقاء اهلها
ومن رسم المنازل اذا بشر من فيها
متوانيان اربابها ان يفتح ابوا
بها استبشارا بهم وتطلعا اليهم
ويكون ذلك قبل مجيئهم فاختير
ذكر على ما جرت به العادة فيكون
حذف الجزاء وادخال الواو
على المعطوف عليه لذلك فاعرفه
طيبي

وقرائن الحال وقيل المراد بسوق الكافرين سوق انفسهم وبسوق المتقين سوق مراكبهم والاول اليق
والثاني تبجيل الكرامة لقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ولعل
المص انما لم يرض به لان الذين اتقوا ذكر في مقابلة الذين كفروا فيكون المراد بهم الذين اتقوا الشرك
وامنوا بايات الله لا الذين اتقوا الشرك والمعاصي جميعا لاستلزامه ان لا يذكر المؤمنون الذين خلطوا
صالح اعمالهم بسيئها في مقام تفصيل توفية اجور اعمال كل نفس صالحها وسيئها فانه تعالى بين اجمالا ان كل نفس
من نفوس المكلفين توفى اجزية اعماله ثم شرع في تفصيل تلك التوفية بقوله وسيق الذين كفروا الى قوله
نعم اجر العاملين والقول بان المراد ما سوق المتقين سوق مراكبهم اذ لا يذهب الا راكبين مبني على ان
يفسر الذين اتقوا بالمتقين عن المعاصي مطلقا لانهم الذين لا يذهب بهم الا راكبين لما روي عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلثة اصناف صنفا مشاة وصنفا
ركبانا وصنفا على وجوههم الحديث فمثل الصنف المشاة الذين خلطوا صالح اعمالهم بسيئها ويكونون
مترددين بين الخوف والرجا يرجون رحمة الله لايمانهم ويخافون عذابه بسوء اعمالهم فلعلهم اصحاب اليمين
والصنف الركبان هم الذين امنوا وعملوا الصالحات واجتنبوا عن السيئات يسرعون الى ما اعد لهم في
الجنات اسراع الركبان ولعلهم السابقون في قوله تعالى والسابقون السابقون اولئك المقربون قال الامام
رح يجمع الخلائق في عرصات القيمة ويوقفون خمسين موقفا في كل موقف الف سنة قال الله تعالى في يوم كان
مقداره الف سنة فاصبر صبرا جميلا وقيل اربعين سنة يقفون على قبورهم حيارى سكارى كما قال
ينظرون امر الله عز وجل كما قال تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وقال فاذا هم قيام ينظرون ثم بعد اربعين
سنة يؤمرون بالمحاسبة فيحضرون الى موقف الحساب ويعرضون على ربهم ويسألون عن افعالهم
واقوالهم قليلا كان او كثيرا فالله عز وجل يقضي بينهم بالحق وينتصف المظلوم من الظالم وتظهر الفضائح
والقبائح كما قال تعالى يوم تبلى السرائر والناس متفاوتون في ذلك الى من مناقشة في الحساب والى من
مسامح والى من يدخل الجنة بغير حساب والى من يدخل النار بغير حساب فينادي المنادي اليوم تجزى
كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب انتهى كلامه قوله والفاء للدلالة على ان طيبهم سبب
لدخولهم وخلودهم حيث رتبت الامر بدخولها خالدين على طيبهم بالفاء السببية واستدلت المعتزلة بهذه
الاية على ان احدا من المكلفين لا يدخل الجنة اذا كان طيبا طاهرا عن كل المعاصي بالعصمة الالهية
وبالتوبة النصوح والا فهو من اهل النار والمص اشار الى الجواب عنه بقوله وهو لا يمنع دخول العصاة
بعفوه لانه يطهره يعني ان كون الطيب سببا لدخول الجنة لا يستلزم ان يكون طريق الطيب التوبة فقط
بل يجوز ان يكون طريقه العفو او الشفاعة قوله يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة
تشبيها

تشبيها له بالارض الحقيقية التي هي ارض الدنيا في كونه موضع الاستقرار لا على الحقيقة لان الجنة في السماء لا في الا
رض فارض الجنة بمعنى منازل اهلها من اجزاء السماء وقوله الذي استقروا فيها اشارة الى ان تعريف الارض للعهد
الخارجي والمعهود ما هو مقر كل واحد من اهلها وليس المراد جميع ارض الجنة لان كل واحد من اهلها يقول بهذا القول
وليس له جميع ارض الجنة بل له من ارضها ما هو مقره ومثواه وقولهم واورثنا الارض بمعنى ملكنا اياها بان
وفقنا للاتيان باعمال اورثنا الجنة من قولهم اورث العمل الفلاني لفلان امر كذا تشبيها لحصوله له بعد
ذهاب العمل بالوراثة وللعمل بالمورث ولتخليص العمل اياه بالايراث واشتق منه اورثنا واسند الايراث اليه تعالى
لانه هو الموفق لاتيانه او بمعنى مكننا من التصرف فيها كما نشاء من غير منازع كما يتصرف الوارث فيما يرثه كذا ذكر
فشبه التمكين المذكور بالايراث فالارض استعارة تصريحية لمستقرهم واورثنا استعارة تبعية لملكناها
او مكناها وقوله تعالى نتبوأ في موضع الحال من مفعول اورثنا وحيث ظرفه كما اشار اليه المص بقوله في اي مقام اراده
من جنة الواسعة واشار باضافة جنة وتوصيفها بالسعة الى ان اهل الجنة لا يتبوأ احدهم مكان غيره لسعة
مكانه بحيث لا يحتاج معها الى مكان غيره وان كان ظاهر قوله حيث نشاء يوهم ذلك هذا ان حمل حيث
على المقام الحسي الجسماني الذي يصح تمانع اهله فيه وتدافع بعضهم بعضا وان حمل على المقامات المعنوية و
الجنات الروحانية لمن تبوأ في واحد منها صح ان يتبوأ فيه غيره ايضا لان حصول مقام معنوي لاحد لا يمنع
حصوله لآخر قوله محدقين اي محيطين من حففت بالشيء اذا احطت به ولهذا قيل لا يقال للواحد
حافين لان الاحاطة بالشيء لا يتحقق من واحد وانتصاب حافين على الحال لان الرؤية بصرية ومن مزيدة
عند الاخفش وقيل لابتداء الغاية على معنى ان ابتداء حفوفهم من حول العرش الى حيث ما شاء الله
ويسبحون في موضع الحال من الملائكة او من المنوي في حافين على التداخل وكذا بحمد ربهم في موضع الحال
اي مسبحين الله تعالى حامدين له اي ترى الملائكة يوم القيمة عند فصل القضا يحمدون على هذه الاحوال قيل
لما ذكر الله صفة ثواب البشر ذكر عقيبه ثواب الملائكة فكما ان دار ثواب المتقين الجنة فكذا دار ثواب
الملائكة جوانب العرش فقال حافين من حول العرش واليه اشار المص بقوله وفيه اشعار بان منتهى
درجات العليين الخ قوله والقائلون هم المؤمنون لا جميع من قضي بينهم من المكلفين لان الكفار لا يقولون
في الاخرة الا ما يجدون بمقابلته قوله وطي ذكرهم اي ذكر القائلين حيث بني الفعل للمفعول اورد كلمة
او على ان قوله تعالى وترى حافين من حول العرش يحتمل ان يكون شرح احوال الملائكة في الثواب وبيان
دار ثوابهم جوانب العرش واطرافه بعد شرح ثواب البشر وبيان ان دار ثوابهم هي الجنة فيكون
قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم مشعرا بان ثوابهم عين ذلك التحميد والتسبيح وان اعظم درجات الثواب استغراق
عقول العباد في درجات التنزيه ومنازل التقديس ويكون قوله وقضي بينهم بالحق [illegible] وقضي بين الملائكة
بالحق للدلالة على انهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة في باب المعرفة والطاعة وان لكل واحد منهم

تبصرة ما روينا عن الامام
احمد بن حنبل والترمذي عن
ابن عمر رض ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه
ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة
الف سنة واكرمهم على الله تعالى
من ينظر الى وجهه غدوة وعشية
ثم قرأ رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة حلبي

لابتعدى ولا يتجاوز عما حدله من المراتب ثم انهم لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين على فضائه
بينا بالحق وههنا نكتة وهي ان الملائكة لما خاطبوا المتقين بقولهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
قال المتقون عند ذلك الحمد لله الذي صدقنا وعده الذي وعده بقوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
بخلاف الملائكة فانهم لما قضي بينهم بالحق قالوا الحمد لله رب العالمين لم يحمدوا الله تعالى لاجل ذلك القضاء بل حمدوه
لكونه ربا للعالمين وهو يشعر بكونهم ارفع طبقة في باب المعرفة فان من حمد المنعم لاجل انعامه الواصل
اليه فهو في الحقيقة ما حمد المنعم وانما حمد الانعام واما من حمده لصفات كماله وعلو شانه وكبريائه فانه
اكثر استغراقا في باب المعرفة ويحتمل ان يكون قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش من تتمة شرح
ثواب المتقين وتقريره انه تعالى قال ان المتقين لما قالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من
الجنة حيث نشاء فقد ظهر منهم انهم في الجنة مشتغلون بحمد الله تعالى وبذكره بالحمد والثناء فبين الله تعالى
انه كما ان حرفة المتقين في الجنة الاشتغال بهذا التحميد فكذلك حرفة الملائكة الحافين حول العرش
الاشتغال بالتسبيح والتحميد ثم قال وقضي بينهم بالحق اي بين البشر ثم ما يتعلق بسورة الزمر والحمد لله
وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وهذا اوان الشروع في ايراد ما يتعلق بسورة المؤمن

سورة المؤمن مكية   بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الحواميم كلها مكية وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد ان يرتع
في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلوة الليل وعن ابن مسعود رضي ان الحواميم ديباج القرآن قوله
امال ابن عامر اي برواية ابن ذكوان عنه وابو بكر عن عاصم فانهم امالوا حاء من حم في السور السبع امالة محضة
واما نافع برواية ورش وابو عمرو بين الفتح والكسر اي لا يفتحها فتحا خالصا وقراءة الباقون بالفتح
الخالص والعامة على سكون الميم كسائر الحروف المقطعة فان حقها ان يوقف على كل واحدة منها ولذلك جوز
فيها الجمع بين الساكنين كما اجيز في الكلم التي يوقف عليها وقرئ برفع الميم ايضا على ان حم خبر مبتدأ محذوف
او مبتدأ خبره ما بعده وبفتح الميم ايضا وتلك الفتحة يحتمل ان يكون حركة بناء حرف الاسم بها هربا عن التقاء
الساكنين واختيرت الفتحة لخفتها كما في ابن وكيف وان يكون حركة اعراب بان ينصب الاسم بفعل مقدر اي
اقرأ حم ولم ينون لمنع صرفه للعلمية والتانيث على ان الكلمة اسم للسورة او للعلمية وشبه العجمة اذ ليس
في الاوزان العربية وزن فاعيل بخلاف الاعجمية نحو قابيل وهابيل وتم الوقف على حم ان رفعتها على انها
خبر مبتدأ محذوف او نصبتها بفعل مضمر ولا يجوز الوقف عليها ان رفعتها على انها مبتدأ خبره تنزيل او
جعلتها قسما تقديره بحم تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره فيكون تنزيل مبتدأ والظرف بعده خبره قال
الامام الاقرب ههنا ان يقال حم اسم لهذه السورة مرفوع المحل على الابتداء وقوله تنزيل الكتاب من الله
خبره والتقدير ان هذه السورة المسماة بحم تنزيل الكتاب والتنزيل مصدر لكن المراد منه المنزل قوله
لعل

ورفع تنزيل الكتاب يحتمل اوجها
ان يكون مبتدأ خبره الظرف بعده
وان يكون خبر مبتدأ محذوف
اي هذا تنزيل الكتاب والظرف
صلته او خبر بعد خبر او حال من
التنزيل والعامل فيها معنى الاشارة
وان يكون خبر حم على ان يكون حم
اسما للسورة او القرآن فيكون
تنزيل بمعنى منزل وكذا يكون تنزيل
بمعنى المفعول اذا كان خبر محذوف
واما اذا كان مبتدأ ومن الله
خبره فالمصدر معناه
منه

لعل تخصيص الوصفين الخ يعني انه تعالى بعد ما بين ان حم تنزيل الكتاب وان منزله هو الذات المستجمع لجميع
صفات الكمال على الاجمال وصف نفسه في مقام تحقيق امر التنزيل بكونه عليما لا يخفى عليه شيء المستلزم لكونه بالغ
الحكمة وبكونه عزيزا غالبا لا يغلب اصلا المستلزم لكونه كامل القدرة وكون المنزل كامل القدرة يحقق كون المنزل
منه معجزا لا يمكن معارضته وكونه بالغ الحكمة يحقق كون التنزيل متضمنا للحكم والمصالح بحيث لا ياتيه الباطل من بين
يديه ومن خلفه ولولا كونه عزيزا عليما لما كان المنزل منه معجزا متضمنا للحكم فذكر هذين الوصفين في هذا المقام
يحمل السامع على التشمير عن ساق الجد عند الاستماع ويزجره عن التهاون والتوانى فيه قوله الدال على القدرة
والحكمة صفة لقوله ما في القرآن وخلاصة التعليل ان تخصيص الوصفين لاجل ما في القرآن اي التنبيه عليه وتحقيقه
فان كون المنزل كامل القدرة بالغ الحكمة يحقق ذلك ويؤيده لا محالة الا ان النظر على هذا ان يقال فانهما يدلان عليه
ويحققانه وجعله دليلا عليهما من قبيل الاستدلال بالمعلول على العلة كما في البرهان الاني وهو ما يجعل فيه
المعلول حدا اوسط مثل ان يقال هذه الخشبة محترقة وكل ما هي محترقة فقد مستها النار فهذه الخشبة
مستها النار وجعل الصفات الباقية لتحقيق ما في القرآن من الترغيب الى التوبة والترهيب عن الاصرار على
المعصية والحث على ما هو المقصود من القرآن وهو الاعراض عما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشره
قوله والاضافة حقيقية دفع لما يرد على قوله صفات اخر للفظ الجلالة وهو ان الموصوف معرفة وما ذكر
بعده سوى قوله العزيز العليم من الطول نكرات من حيث ان الاضافة فيه لفظية لكون المضاف صفة مضافة
الى معمولها من حيث ان غافر وقابل اسما فاعل اضيفا الى مفعولهما وشديد صفة مشبهة اضيفت الى
فاعلها وقد تقرر ان ما اضيف اضافة لفظية لا يتعرف بالاضافة بل يبقى نكرة على حاله فلا يوصف بها المعرفة
وتقرير الدفع ان اسمي الفاعل في الاية ليسا مضافين الى معمولهما بناء على ان اسم الفاعل لكونه بمعنى الحدوث
انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال وليس معنى غافر الذنب وقابل التوب انه تعالى يغفر الذنب ويقبل
التوب الآن او غدا لان صفاته تعالى منزهة عن التجدد والتقييد بزمان دون زمان بل المراد ثبوتهما ودوامهما
له تعالى ولما فقد شرط عمل اسم الفاعل لم يكن مضافا الى معموله فكانت اضافته معنوية مفيدة للتعريف فصح
وقوعه صفة للمعرفة وقد نقل عن سيبويه انه قد نص على ان كل ما كانت اضافته غير معنوية جاز ان تجعل محضة
اي معنوية الا الصفة المشبهة استثناء الصفة المشبهة لانها ليست بمعنى الحدوث فلا يشترط في عملها
الزمان المخصوص فيكون عاملة البتة ويكون اضافتها لفظية دائما فلا تتعرف بالاضافة فوجب ان يحمل التعريف
في قول المص والاضافة حقيقية على العهد الخارجي والمعهود لفظي الفاعل والقافر لما تبين من ان اضافة
لفظ شديد لفظية البتة فلذلك احتاج المص في تصحيح وقوعه صفة للمعرفة الى وجه آخر فقال واريد بشديد
العقاب الخ عطفا على قوله والاضافة حقيقية فان جعل شديد العقاب في تاويل شديد عقابه او يكون اسم
الفاعل الذي اريد به الدوام والثبوت تكون الاضافة فيه معنوية لانه لا يعمل ح فلا يكون مضافا الى معموله

وصف الله تعالى ذاته في مقام تحقيق
امر التنزيل بانه منه تعالى وليس
من تعليم البشر بالعزيز العليم اشعارا
بان مناط تنزيله كونه عزيزا كامل
القدرة وعليما بالغ الحكمة ولولم
يكن كذلك لما صح منه تنزيله
معجزا متضمنا للحكم والمصالح
منه

يعني اتقان العلم المستلزم
للاصابة في القول والعمل والحكم
الحق هو الله تعالى لانه احاط كل
شيء علما ازليا وابديا بحيث
لا يتصور زواله مطابقا للمعلوم
مطابقة لا يتطرق اليها خفاء
وشبهة ولا شك ان مثل هذا
العلم يستلزم الاصابة في
القول والعمل منه

واما شديد العقاب فاورد فيه اشكال
لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك
عن هذا التقدير وقد جعله الزجاج
بدلا وفي كونه بدلا وحده بين
الصفات نبو ظاهر والوجه ان
يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف
هذه النكرة الواحدة فقد آذنت
بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال
ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها
على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها
من بحر الرجز فان وقع فيها جزء
واحد على متفاعلن كانت من
الكامل الخ كشاف

والوجه الثاني ان وقوع قوله شديد العقاب صفة للمعرفة ان اصل الكلام وتقديره الشديد عقابه معرفا بلام
التعريف الا انه حذف منه حرف التعريف ليشاكل ما قبله وما بعده لقطع الامن من التباس الموصوف
به وجهالته فانهم كثيرا ما يغيرون في كلامهم عن مانونه للازدواج ومنه قوله عليه الصلوة والسلام ارجعن
مأزورات غير ماجورات والاصل وازرات من الوزر فاخرج على لفظ المفعول قصدا لمزورات فقلبت
الواو الفا فصار مأزورات ليزاوج ماجورات وقراءة بعضهم الحمد لله بضم الدال واللام تارة وبكسرهما
اخرى وقولهم ما يعرف سحادليه من عنادليه والاصل سحادله وهو الذكر والعنادل الانثيان فثني
الوتر ليزاوج الشفع قوله او ابدال عطف على قوله صفات اخر اي ويحتمل ان يكون الكل ابدالا بناء على ان
شديد العقاب وان كان بمعنى الدوام والاستمرار لما كانت اضافته لفظية لم يصلح لان يكون صفة للمعرفة
فتعين كونه بدلا منه فجعل ما عداه ايضا ابدالا لتوافق النظم فان جعله وحده بدلا من بين الصفات
مشوش للنظم مع ان توسط البدل بين الصفات وان جاز في النحو الا ان علماء المعاني يستقبحونه لان الصفات
تدل على ان المقصود هو الموصوف دونها والبدل يدل على انه المقصود دون متبوعه وبينهما تناف قوله
وتوسيط الواو الخ جواب عما يقال ما الحكمة في ان هذه الصفات كلها سردت من غير عاطف الا قابل التوب
فانه انفرد بتوسيط الواو بينه وبين ما قبله وذكر له ثلث فوائد الاولى انه لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول
التوبة اي لافادة اجتماعهما في موصوف واحد بالنسبة الى طائفة واحدة وهي طائفة المذنبين التائبين
كانه قيل الجامع بين محو الذنوب وقبول التوبة في حق المذنبين التائبين بان يمحو ذنوبهم بتوبتهم وبان يجعل
تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها فقبول التوبة كناية عن انه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من
الطاعات والا لما قبلها لانه تعالى لا يقبل الا ما يكون طاعة وليس المراد افادة مجرد اجتماع الوصفين في موصوف
واحد لان اجراء الصفات المتعاقبة بدون العاطف يفيد اجتماعها فيه فلما كان الاجتماع في الموصوف
مستفادا بدون ذكر العاطف وجب ان يكون ذكره لافادة معنى زائد صونا للكلام البليغ عن الالغاء
فالمراد اجتماعهما فيه بالنسبة الى متعلق واحد والفائدة الثانية لتوسيط العاطف انه لافادة تغاير
الوصفين فانه لو لم يذكر العاطف لربما يتوهم اتحادهما وان ذكر ثانيهما انما هو لمجرد الايضاح
والتفسير ولما ذكر العاطف اضمحل هذا الاحتمال ضرورة استحالة عطف الشيء على نفسه والفائدة
الثالثة انه لافادة تغاير موقع الفعلين اي متعلقيهما بان يكون الغفران بالنسبة الى من لم يتب من
اصحاب الكبائر والقبول بالنسبة الى التائبين عنها وذلك لان الغفر في اللغة الباس الشيء وستره
بما يصونه عن الدنس والغفران والمغفرة من الله تعالى ان يصون العبد من ان يمسه العذاب
والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال لا بالمقال وحده فانه فعل الكذابين ولما كان الغفران عبارة
عن الستر وان معنى الستر انما يعقل بالنسبة الى الشيء الموجود الباقي فينبغي ان يكون قوله تعالى غافر الذنب
انه

لعله اشارة الى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات منه

منها بدون الاخر ... وصف لهما ... بذلك الواحد ... لا ينفك ... ان ... وقبول التوب ... يعني ان غفران الذنب ... فقد يجتمعان ... وقبول التوب تلازم لا يجتمعان ... كل واحد منهما بدون الآخر ... في حق اهل الكبيرة

انه يغفر الكبائر وان لم يتب عنها صاحبها فان المراد بالذنب الكبيرة لان الصغيرة لا تبقى بل تحبط بسبب كثرة
ثواب فاعلها فلما لم تبق لم يكن وجه لتعلق الغفران والستر بها فان اهل السنة ذهبوا الى انه تعالى قد يعفو
عن الكبائر بدون التوبة ويدل عليه هذه الآية لانه قوله تعالى غافر الذنب مذكور في مقام المدح العظيم فينبغي ان
يحمل على ما يفيد اعظم انواع المدح وهو كونه غافر الكبائر قبل التوبة والمعتزلة قالوا معناه انه تعالى غافر الذنب
اذا استحق العبد غفرانه اما بالتوبة او بالطاعة التي هي اعظم منه فان فاعل المعصية لا يخلو اما ان يكون قد
اتى قبل تلك المعصية بطاعة كان ثوابها اعظم من عقاب تلك المعصية او لم يكن اتى بها فان كان الاول كانت
هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها وان كان الثاني كانت المعصية كبيرة فلا يزول عقابها قوله الطول
التفضل بترك العقاب المستحق والطول التفضل مطلقا باي شيء كان الا انه حمله على التفضل بترك العقاب
الذي له ان يفعله عدلا بقرينة ذكره بعد ان وصف نفسه بكونه شديد العقاب فانه لما ذكر كونه ذا الطول بعد ان
وصف نفسه بذلك ولم يبين طوله بماذا كان ذلك قرينة على ان المراد انه ذو الطول في الامر الذي سبق ذكره وهو
فعل العقاب الذي استحق به المذنب فالآية تدل على انه تعالى قد يترك العقاب الذي يحسن منه تعالى عدلا وعلى
جواز العفو عن اصحاب الكبائر قوله وفي توحيد صفة العذاب وهي قوله شديد العقاب فانه ذكر قبله
اثنين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب وهما كونه غافر الذنب وقابل التوب وذكر بعده ما يدل على
اتصافه بالرحمة العظيمة وهي قوله ذي الطول مكان قوله شديد العقاب صفة واحدة مغمورة بصفات
الرحمة فدل ذلك على ان جانب الرحمة والكرم ارجح واوسع وان شانه محض الرحمة والعقاب انما كان بالعرض
قوله فيجب الاقبال الكلي على عبادته اشارة الى فائدة توصيف نفسه بالوحدانية فانه تعالى انما وصف نفسه بانه
اله موصوف بالصفات المذكورة ترغيبا في عبادته وترهيبا عن مخالفته وعصيانه وهذا المقصود
انما يتم بكونه واحدا منزها عما يشاركه ويساويه في تلك الصفات لانه لو حصل معه اله آخر يشاركه ويساويه
فيها لما كانت الحاجة الى الاقرار بعبوديته شديدة قوله فيجازي المطيع والعاصي يعني انه تعالى وصف نفسه
بقوله اليه المصير تقوية للترغيب والترهيب المذكورين لانه لو ثبت كونه الها واحدا موصوفا بالصفات
المذكورة من غير ان يكون بعد هذه النشاة حشر ونشر وحساب وجزاء لما قويت الرغبة في الاقرار
بعبوديته والرهبة عن سخطه وعقابه ثم انه تعالى لما قرر ان القرآن كتاب انزل ليهتدي به في امر الدين ذكر
بعده احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال ما يجادل في آيات الله الآية دفع لما انه بالتكذيب والانكار مثل ان
يقول مرة انه سحر ومرة انه شعر وانه اساطير الاولين ودحض الحجة بطلانها قوله بالطعن وادحاض
الحق اشارة الى دفع ما يقال كيف خص المجادلة بالذين كفروا مع ان المؤمنين يجادلون فيها ايضا وتقرير
الدفع ان الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل والاول حرفة الانبياء عليهم الصلوة
والسلام قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وقال حكاية عن الكفار انهم قالوا لنوح عليه الصلوة والسلام

يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا والمراد بالجدال المذكور في هذه الآية هو الجدال في تقرير الباطل وادحاض الحق
غاية الامر انه اطلق ههنا اعتمادا على تقييده في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق والمطلق يحمل على
المقيد عند اتحاد الحادثة قوله بالتشكيك اي بتشكيك جدالا الدال على التنويع والتمييز بين جدال وجدال
قوله مع انه ارمع ان الجدال لحل عقده ليس جدالا فيه بل هو جدال عنه فان الجدال في الشيء انما يكون اذا كان
ذلك الشيء منكرا عند المجادل او منكرا ايريد المجادل بالجدال فيه رده وابطاله ولا شك ان من يجادل لحل
عقده وقطع مطاعن اهل الزيغ عنه ليس مقصوده الا تقرير الحق وتحقيقه لا ادحاضه وتزييفه فهو
لا يجادل فيه وانما يجادل عنه فان الجدال عن الشيء ايستدعي كون ذلك الشيء مقررا محققا عند المجادل وكون
مقصوده من الجدال تقريره وتحقيقه للخصم ودفع الشبه والمطاعن فلا حاجة الى تقييد الجدال المذكور
في هذه الآية بقوله بالباطل وادحاض الحق قوله ولا يغررك جواب شرط محذوف والتقدير اذا تقرر عندك
بشهادة ربك ان المجادلين في ايات الله كفار وقد تحقق عندك ان الكفار اشقى الناس وان ما هم فيه من
النعيم متاع قليل وظل زائل ثم ان مرجعهم الى الجحيم فلا ينبغي ان تغتر بانا امهلتهم وتركتهم سالمين في
ابدانهم واموالهم يتقلبون في البلاد اي يتصرفون فيها للتجارات المربحة فاني وان امهلتهم فاني
ساخذهم وانتقم منهم كما فعلت باشكالهم في الامم الماضية ثم كشف عن هذا المعنى بقوله كذبت قبلهم
قوم نوح والاحزاب من بعدهم قراءة الجمهور فلا يغررك بالادغام وهي لغة الحجاز وقرئ فلا
يغرك بالادغام وفتح الراء وهي لغة تميم قوله وناصبوهم اي عادوهم وحاربوهم قوله
ليتمكنوا يعني ان الاخذ بمعنى الحبس والاسر الذي تمكن به من اصابة المأخوذ بما اراده من التعذيب
والاهلاك وقال ابن عباس رض ليأخذوه اي ليقتلوه ويهلكوه بطريق التعبير عن المسبب
بلفظ السبب لان القتل مسبب عن الاخذ والمص رجح الحقيقة على المجاز حيث
امكن الحمل عليها وحمله على المعنى المجازي في قوله فاخذتهم لتعذر الحمل على الحقيقة والمعنى انهم قصدوا
اخذه فجعلت جزاءهم على عزيمة اخذه ان اخذتهم هذا معنى قوله جزاء لهمتهم والظاهر من نظم الآية
ان قوله تعالى فاخذتهم متفرع على جميع ما نسب الى كفار الامم السالفة من التكذيب والهم بالاخذ
والجدال بالباطل الا ان المص جعله مسببا عن قوله وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه لمزيد
المناسبة بين الاخذين ثم انه تعالى بعد ما ذكر ما فعله بالمكذبين من الامم السالفة قال وكذلك
حقت اي ومثل الذي حق على اولئك المكذبين من العقاب حقت كلمته ايضا على هؤلاء الذين
كفروا من قومك فهم على شرف نزول العقاب بهم ومحل الكاف في قوله تعالى وكذلك النصب على انه صفة
مصدر محذوف اي حقت كلمة ربك الموجبة للعذاب على كفار قومك وهي وعيده بقوله لاملأن جهنم
او حكمه الازلي بالشقاء والعذاب المخلد حقا اي وجوبا وثبوتا مثل ذلك اي مثل ثبوتها على الكفار المتقدمة
وحمل

ويحتمل ان يكون الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك ثم استانف الاخبار بانه حقت
كلمة الله تعالى عليهم بالعذاب قوله على ارادة اللفظ والمعنى لف ونشر مرتب فان قوله تعالى انهم اصحاب النار في
محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك بدل الكل من الكل نظرا الى لفظ كلمة ربك واتحاد مدلول البدل صدقا وبدل
الاشتمال نظرا الى ان معناه وعيده اياهم بقوله لاملأن جهنم او حكمه الازلي بشقائهم وقيل انه في محل النصب
بناء على ان اصله لانهم من اصحاب فحذفت لام التعليل واوصل الفعل اليه بحيث لم يكن مرادا فكان في محل النصب
او مرادا فكان في محل الجر والمص لما علل وجوب كلمة العذاب عليهم بالكفر حيث قال لكفرهم لم يحتج الى تعليله بقوله
انهم اصحاب النار بحذف لام التعليل بل جعله بدلا ثم انه تعالى لما شنع على المجادلين في ايات الله بالكفر وبوجوب كلمة العذاب
عليهم لكفرهم بين فضيلة من صدع بها بان اشرف طبقات المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله
شفعاؤهم عند الله تعالى ويطلبون منه تعالى في حقهم اشياء كثيرة ذكرها بقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآية
قوله تعالى الذين يحملون مبتدأ ويسبحون خبره ومن حوله في محل الرفع بالعطف على قوله الذين يحملون اخبر عنهم
الفريقين بانهم يسبحون ويفعلون كذا وكذا قيل حملة العرش اربعة من الملائكة احدهم على الصورة الملكية والثاني
على صورة ثور والثالث على صورة نسر والرابع على صورة اسد واذا كان يوم القيمة يكون حملته ثمانية
يدل عليه قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فقوله تعالى الذين يحملون العرش يحتمل ان يكون المراد بهم
الذين يحملونه الآن وهم الاربعة وان يكون المراد الذين يحملونه يوم القيمة وهم الثمانية ولا شك ان حملة العرش
اشراف الملائكة واكابرهم ويدل عليه ما روي انه تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة
العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وايضا لما كان حملهم اياه وحفيفهم حوله مجازا عن حفظهم وتدبيرهم له وجب
ان يكونوا افضل الملائكة وذلك لان نسبة الارواح الى الارواح كنسبة الاجسام الى الاجسام ولما كان العرش
اشرف الموجودات الجسمانية كانت الارواح المتعلقة بتدبير العرش يجب ان يكون افضل الارواح المدبرة للاجساد
روي ان حملة العرش ملائكة ارجلهم في الارض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة وكل اهل السماء اشد خوفا من اهل السماء التي دونها وروي عنه
عليه الصلوة والسلام انه قال لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة
يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع
سموات اي خرج والمروق الخروج وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه الوضع وهو طائر
صغير مثل العصفور وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير
المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين
ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير
ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم من احد الا وهو يسبح بما لا يسبح

ويكون التشبيه واقعا بين حالتي
الامم المكذبة اي بعضهم ومن هؤلاء
الحاضرين من الكفار في شمول الوصف
الجامع انهم اصحاب النار ويجوز
ان يكون المعنى كما وجب اهلاكهم
الامم المكذبة في الدنيا بالعذاب
المستأصل كذلك وجب اهلاكهم
بعذاب النار في الآخرة على ان
تشبيه حالهم في الآخرة بحالهم
في الدنيا والجامع وجوب العذاب
عليهم فيهما فيكون قوله على الذين
كفروا من وضع الظاهر موضع
الضمير منه

هو قوله في معنى قوله سعدا وجعله قطعه
كمن لا يخفى والاولى انه يقال في
الايمان به سواء فيكون هذا رد
على المجسمة لانه لو كان تعالى حاصلا
مستقرا على العرش كما قاله
المجسمة لكان حملة العرش مشاهدين له فما وصفوا بالايمان
في معرض المدح لانه انما يوصف
الشخص مدحا بالايمان اذا كان
لان الاقرار بوجود شيء حاضر
ظاهر لا يوجب المدح فلو قال
المص يدل معرفته ايمانه
لكان حسنا كما روي عن

وجه ... روي ... كل وجه ... وجه
له اربعة اوجه ووجه يسأل الله
كوجه الآدمي ووجه يسأل ... ووجه يسأل
الرزق ووجه يسأل كوجه الاسد
زرق الطير ووجه يسأل كوجه النسر
ووجه يسأل الرزق السباع ووجه
كوجه الثور وهو يطلب الرزق
الانعام وعلى وجهه قطاطفه
منذ عبد قوم موسى عليه الصلوة
والسلام العجل فلم ينظروا الى
العرش حياء مما يعبد بصورته
كذا في معالم التنزيل

حال انه من قبيل لا اريتك
ههنا منه

به الاخر قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم والتسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما
لا ينبغي والتحميد اعتراف بانه هو المنعم على الاطلاق فالتسبيح عبارة عن نعوت الجلال التي هي تنزيه ذاته تعالى عما
يوجب حاجة ونقصانا والتحميد عبارة عن صفات الاكرام وهي الصفات الثبوتية التي بها يستحق الحمد فقوله تعالى
يسبحون بحمد ربهم قريب من قوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام **قوله** لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح
فان الحمد هو الثناء بصفات اكرامه وهي صفاته الثبوتية وانهم في غالب الاحوال مصفونه تعالى بتلك الصفات و
يحمدونه وانما يذكرونه بنعوت جلاله التي هي تنزيه ذاته عما لا يليق به اذا احتاجوا الى الرد على من يصفه بما
يؤدي الى ما لا يليق به او ظهر لهم ما يدل على كمال عظمته **قوله** اخبر عنهم بالايمان الخ جواب عما يقال اي
ما الفائدة في قوله ويؤمنون به مع انه لا يخفى على احد ايمانهم بالله لا سيما بعد الاخبار عنهم بانهم يسبحون
بحمد ربهم فان الاشتغال بالتسبيح والتحميد لا يمكن الا بعد الايمان بالله وتقرير الجواب ان الكلام الخبري لا
يجب ان يكون لافادة نفس الحكم او لازمه البتة بل يذكر لاغراض اخر والغرض ههنا اظهار شرف الا
يمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء عليهم عليهم الصلوة والسلام بالايمان والصلاح في مواضع
من القران مع ان ايمانهم وصلاحهم لا يخفى على احد قال تعالى بعد ذكر كل نبي انه من عبادنا المؤمنين وانه لمن
الصالحين اظهارا لشرفهما ووجه الاظهار ان تخصيصه من بين صفاتهم الجميلة في مقام المدح دليل
واضح على شرفه وفضله بالنسبة الى سائر اوصافهم مع ان جميع شريفة لما قبل انا اوصاف الجملة
الاشراف اشراف الاوصاف واذا دل تخصيصه بالذكر في مقام المدح على شرفه دل توصيف اهله به
على تعظيمهم وقد تقرر ان سوق الاية لتعظيم اهله من حيث ان اشرف طبقات المخلوقات بالغون في
محبتهم ونصرتهم والدعاء لهم بالمغفرة والخلاص من عذاب الجحيم والحكمة الاخرى في الاخبار عنهم
بالايمان الاشعار بان حملة العرش والحافين حوله انما يعرفون ربهم بالنظر والاستدلال لا بطريق المعاينة
والمشاهدة كما زعمه المجسمة القائلون بانه تعالى متمكن على العرش فانه تعالى لما اخبر عنهم على سبيل المدح والثناء بانهم
يؤمنون بوجوده تعالى بجنانهم وقلوبهم فهم منه ان ايمانهم به انما هو عن برهان لا عن مشاهدة وعيان وانهم
محجوبون عن ادراكه بابصارهم ولو كان الامر كما زعمه المجسمة لكان حملة العرش والحافون به يشاهدونه
ويعاينونه فلا يصح ان يقال انهم يؤمنون به بالجنان بل لا يجوز ان يوصفوا الا بالمشاهدة والعيان ولو حمل
ايمانهم على التصديق المتفرع على المشاهدة لما كان ايمانهم بوجوده تعالى موجبا للمدح والثناء لان الاقرار
بوجود شيء حاضر مشاهد لا يوجب المدح والثناء الا ترى ان الاقرار بوجود الشمس كونها مضيئة لا يوجب
المدح والثناء فلما ذكر الله تعالى ايمانهم بالله تعالى على سبيل المدح والثناء والتعظيم علم انهم امنوا به عن برهان لا بانهم
نهم شاهدوه حاضرا جالسا هناك كذا نقله الامام عن صاحب الكشاف ثم قال رحمه الله صاحب الكشاف فلو
لم يحصل في كتابه الا هذه النكتة لكفاه فخرا وشرفا وقال بعد ذلك فقد ثبت ان كمال السعادة مربوط بامرين التعظيم
لامر الله

لامر الله والشفقة على خلق الله ويجب ان يكون الاول مقدما على الثاني فقوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به مشعرا
بالتعظيم لامر الله تعالى وقوله ويستغفرون للذين امنوا مشعر بالشفقة على خلق الله تعالى واحتج كثير من العلماء بهذه
الاية على ان الملك افضل من البشر لانها دلت على ان الملائكة لما فرغوا من ذكر الله تعالى بالثناء والتقديس اشتغلوا
بالاستغفار للمؤمنين من غير ان يقدموا الاستغفار لانفسهم وهذا يدل على انهم مستغنون عن الاستغفار لا
نفسهم اذ لو كانوا محتاجين اليه لاستغفروا لانفسهم اولا ألا ترى انه صلى الله تعالى عليه وسلم ابدا بنفسك وقوله تعالى
لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولما لم يذكر الله تعالى استغفارهم لانفسهم
علمنا انهم لم يكونوا محتاجين الى الاستغفار لانفسهم مع ان خواص البشر فضلا عن عوامهم محتاجون اليه
كما قال تعالى فاستغفر لذنبك فظهر ان الملك افضل من البشر والله تعالى اعلم والمختار عندنا ان الخواص من بني ادم
وهم المرسلون افضل من جملة الملائكة وعوام بني ادم من الاتقياء افضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة
افضل من عوام بني ادم ثم ان الاية دلت على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين من المؤمنين لان قوله و
يستغفرون للذين امنوا يدل على انهم يستغفرون لكل اهل الايمان وقد ثبت ان صاحب الكبيرة مؤمن فوجب
دخوله تحت شفاعة الملائكة واستغفارهم الذي هو طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا في اسقاط
العقاب من المؤمن المذنب وقولهم فاغفر للذين تابوا معناه والله اعلم تابوا عن الكفر واتبعوا سبيل الا
يمان **قوله** وفيه تنبيه فانه تعالى لما ذكر ايمانهم ذكر انهم يستغفرون لمن كان مثل حالهم فنبه به على
الاشتراك في الايمان ادعى شيء الى النصيحة والمحاض الشفقة وان كان الاشتراك المذكور بين سما
وي وارضي **قوله** وهو بيان ليستغفرون او حال يعني ان قوله تعالى ربنا وسعت كل شيء مقول قول
مضمر اي يقولون ربنا وهذا المضمر اما في محل الرفع على انه عطف بيان لقوله يستغفرون او في محل النصب
على انه حال من فاعل يستغفرون اي يستغفرون قائلين **قوله** اي وسعت رحمتك وعلمك يعني ان قوله
رحمة وعلما تمييز منقول من الفاعلية لما ذكره من الاغراق كان ذاته تعالى رحمة وعلم يسعان كل شيء
بيان الاغراق النازع في القوس اذا استوفى مدها وعموم الرحمة وان كان يستفاد من جعلها فاعلا ان عموما
على تقدير جعلها تمييزا للفاعل يكون ابلغ لان نسبة ذاته تعالى الى الاشياء كلها اظهر من نسبة رحمته الى
فلما اسندت الوسعة الى ذاته تعالى وجعلت الرحمة تمييزا لها كان ذلك ابلغ في الدلالة على عمومها **قوله**
وتقديم الرحمة مع ان وسعة علمه اظهر وانم بالنسبة الى وسعة رحمته فكان الظاهر ان يقدم ما كانت
وسعته اتم واظهر فان كل موجود غير الله تعالى وان نال من رحمته نصيبا مطيعا كان او عاصيا الا ان
بعض الموجودات تتعلق به نعمته من وجه اخر بخلاف العلم فانه لا يعزب عن علمه شيء ما **قوله** للذين
علمت منهم التوبة جواب عما يقال ان قوله تعالى فاغفر للذين تابوا رتب بالفاء السببية على وسعة رحمته وعلمه
كل شيء فوجب ان تكون المغفرات مسببا عن كل واحد من الرحمة والعلم وكونه مسببا عن الرحمة ظاهر فارجه

كونه مسببا عن العلم وتقرير الجواب ان الملائكة لما علموا انه تعالى لا يغفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك
وانما يغفر من تاب عن الشرك واتبع سبيل التوحيد والايمان كان معنى كلامهم ربنا اغفر لمن علمت منهم
شرط الغفران وهو التوبة عن الشرك والتحلي بالايمان والطاعة فظهر بهذا ان ما بعد الفا مسبب عن كل واحد
من الرحمة والعلم **قوله** وهو تصريح بعد اشعار جواب عما يقال لا معنى للغفران الا اسقاط العذاب فعلى هذا
لا فرق بين قوله فاغفر لهم وبين قولهم وقهم عذاب الجحيم وتقديره ان الاول رمز واشارة الى اسقاط العذاب
والثاني تصريح له تاكيدا ومبالغة ثم انهم لما طلبوا من الله تعالى ازالة العذاب عنهم اردفوه بطلب ايصال الثواب
اليهم فقالوا ربنا وادخلهم جنات عدن وقد وعد الله تعالى بان يدخل اهل لا اله الا الله محمد رسول الله جنات
عدن اما ابتداء او بعد ان يدخلهم النار ويعذبهم فيها بقدر عصيانهم وايضا انه تعالى وعده بقوله والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم **قوله** ومن صلح في محل النصب اما بالعطف على الضمير في
وادخلهم كانه قيل وادخل من صلح لدخولها بسبب توبته واتباع سبيل الاسلام او بالعطف على الضمير في وعدتهم
كانه قيل ووعدت من صلح من ابائهم والجمهور على فتح لام صلح يقال صلح فهو صالح وقرئ بضمها يقال فهو صليح لا يقال
فسد فهو فاسد وفسد فهو فسيد **قوله** العقوبات وهي اجزية الاعمال السيئة وتسميتها سيئة اما لانها تسوؤهم
واما لان السيئة اسم للملزوم وهو الاعمال السيئة فاطلق على اللازم وهو جزاؤها **قوله** او جزاء السيئات على
ان السيئات بمعنى الاعمال السيئة وبتقدير المضاف **قوله** وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح جواب عما يقال
معنى قوله تعالى وقهم السيئات على كل واحد من التفسيرين وقهم عن ان يصيبهم اجزية اعمالهم السيئة ولا فرق بين
هذا المعنى ومعنى قوله وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار بلا فائدة واجاب عنه بوجهين الاول ان قولهم وقهم عذاب الجحيم
دعاء بحفظهم عن عذاب الجحيم بخصوصه وقولهم وقهم السيئات دعاء بحفظهم عن جميع العقوبات من عذاب الجحيم وعذاب
القبر ومواقف القيمة والسؤال والحساب والصراط ونحوها فهو تعميم بعد التخصيص حتى يكون الدعا اجمع والكلام اتم الثاني
ان قوله وقهم عذاب الجحيم دعاء للاصول وهم الذين تابوا عن الشرك واتبعوا سبيل الاسلام وقوله وقهم السيئات
دعاء للاتباع وهم الاباء والازواج والذريات **قوله** او المعاصي عطف على قوله العقوبات فيكون المعنى قهم اثار
السيئات فالملائكة طلبوا من الله تعالى اولا ان يقيهم عذاب الجحيم ثم طلبوا ان يتفضل عليهم بالمثوبات فقالوا
وادخلهم جنات عدن ثم طلبوا ان يصونهم في الدنيا عن الاعمال الفاسدة والعقايد الباطلة ثم
عللوا طلب هذه الصيانة بان الصيانة عنها في الدنيا سبب للرحمة في الاخرة بالوقاية عن عذاب الجحيم
والفوز بجنات النعيم فقالوا ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فجعلوا وقاية السيئات شرطا للفوز
بالرحمة التي هي نعمة غير منقطعة بازاء الاعمال المنقطعة وملك عظيم بمقابلة الاعمال الحقيرة وقدم ههنا ما
يدل على فضل الايمان وتعظيم اهله ولما كان المقصود من ذكره تقريع المجادلين في ايات الله وتوبيخهم بين رذالة
الكفر وخذلان اهله عاد الى شرح احوالهم وبين انهم في القيمة يعترفون بذنوبهم واستحقاقهم العذاب ويسألون

لكن لا ابناء على الوعد العام للكل كما ابناء على الوعد وجه بل بناء على
قيل اذ لا يبقى 2 للعطف معنى الحقنا بهم
الوعد الخاص بهم لقوله تعالى الحقنا بهم
ذريتهم بان يكونوا اعلى درجة منا
ذريتهم قال سعيد بن جبير رضه يدخل
المؤمن الجنة فيقول اين ابي اين
والدي ابني زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
مثل عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم
فيقال ادخلوهم الجنة وسوّغ
الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعي
حصول الموعود بلا توسط شفاعة
واستغفار وعليه مبنى قول من قال
فائدة الاستغفار زيادة الكرامة
والثواب والاول هو الاولى لان
الدعاء بالادخال فيه صريح وفي
الثاني ضمني الخ

ويسألون الرجوع الى الدنيا ليتلافوا ما فرط منهم ولات حين مناص فقال ان الذين كفروا ينادون ان
ينادوهم خزنة جهنم حين راوا اعمالهم قد احصاها كتابهم ودخلوا النار جزاء لها ومقتوا انفسهم اشد المقت
قائلين لمقت الله وهو جواب قسم محذوف كانه قيل والله لمقت الله والمقت اشد البغض وهو مستحيل في حقه
تعالى فالمراد منه ابلغ الانكار والزجر **قوله** لمقت الله اياكم يعني ان المقت مصدر اضيف الى فاعله وحذف
مفعوله لدلالة مفعول المقت الثاني عليه **قوله** اذ تدعون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول اي مقتكم الله
اذ تدعون الاية احتاج الى تقدير العامل لانه اذا لم يقدر فلا يخلو من ان يكون الظرف معمولا لقوله لمقت الله او معمول
قوله من مقتكم او معمول قوله تدعون لا سبيل الى الاول لانه يستلزم الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي وهو الخبر
فان قوله لمقت الله مبتداء والمصدر مضاف الى فاعله واكبر خبره ومن مقتكم متعلق باكبر والمصدر الثاني
مضاف الى فاعله ايضا وانفسكم مفعوله والمصدر اذا اخبر عنه لم يجز ان يتعلق به شيء يكون في صلته لان
الاخبار عنه يؤذن بتمامه وما يتعلق به يؤذن بعدم تمامه بدونه ولا الى الثاني لاختلاف الزمانين لانهم
انما مقتوا انفسهم في النار لا حين دعوا الى الايمان ولا الى الثالث لان المضاف اليه لا يعمل في المضاف ولما بطل
الاقسام باسرها تعين ان يكون معمولا لمحذوف وقول صاحب الكشاف انه منصوب بالمقت الاول لعله اراد به
دال على ناصبه عبر عن المدلول بلفظ الدال او بنى كلامه على ان الظرف يتسع فيه ما لا يتسع في غيره كما نقل عن ابن
الحاجب انه قال في الامالي اذا انتصب اذ تدعون بالمقت الاول كان المعنى لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان
فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم في الاخرة وليس فيه سوى الفصل بين المصدر ومعموله بالاجنبي وهو اكبر الذي هو
الخبر وهو جائز لان الظروف متسع فيها **قوله** الا ان باول بنحو في الصيف ضيعت اللبن استثناء من قوله ولا
الى الثاني اي يجوز ان يكون اذ ظرفا للمقت الثاني بناء على ان مقتهم انفسهم وان كان في الاخرة لا حين ما دعوا الى
الايمان فكفروا الا ان سبب ذلك المقت لما كان حاصلا حين ما دعوا صار المقت كانه واقع حين الدعوة كما
في المثل المذكور فانه يضرب لمن حرم عن مراده الآن لسبب صدر عنه فيما مضى فتحصل الحرمان كانه واقع فيما مضى
روي ان امرأة كانت تحت رجل موسر فكرهت صحبته لكبر سنه فطلقها فتزوجها شاب فقير فدعتها الضرورة
الى بعثها الشاب الى زوجها الاول لطلب المعروف والاحسان فقال في الصيف ضيعت اللبن فيضرب لكل من شابه
حاله حال تلك المرأة بكسر تاء الوحدة المخاطبة سواء كان المضروب له مذكرا او مؤنثا واحدا او جمعا لان الامثال
لا تغير والا يخرج المثل عن كونه من باب الاستعارة التمثيلية **قوله** او تعليل للحكم عطف على قوله ظرف لفعل و
الحاصل ان مقتهم انفسهم ان فسر بانهم اذا شاهدوا القيمة والجنة والنار مقتوا انفسهم على اصرارهم على التكذيب
بهذه الاشياء في الدنيا يكون زمان احد المقتين مغايرا لزمان الاخر ويكون الكلام محمولا على التقديم والتاخير كانه قيل
والله لمقت الله اياكم في الدنيا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وان فسر مقتكم انفسهم بمقت بعضهم بعضا على معنى ان الاتباع
يشتد مقتهم للرؤساء الذين دعوهم الى الكفر في الدنيا والرؤساء ايضا يشتد مقتهم للاتباع فعبر عن مقت

وهو الاباء عن الايمان
والاصرار على الكفر

بعضهم بعضا بان يمقت انفسهم كما في قوله تعالى اقتلوا انفسكم والمراد قتل بعضهم بعضا فيكون زمان المقتين
واحدا وهو وقت ان يعاينوا العذاب يوم القيمة ويكون اذ تدعون تعليلا لكون مقت الله اياهم اكبر ويكون
المعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم بعضا لاتباعكم هوى انفسكم وايثاركم الباطل على الحق من حيث انكم
كنتم تدعون الى ما فيه السعادة الابدية فتأبونه ثم انه تعالى بين ان الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب ربنا امتنا اثنتين
واحييتنا اثنتين اي اماتتين واحيائين اثنتين على ان اثنتين صفة مصدر محذوف قال ابن عباس رض
وقتادة والضحاك كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم
يوم البعث والنشور فهما موتتان وحياتان وهو كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فسروا الاماتة بجعلهم امواتا ابتداء وتصييرهم امواتا بازالة الحيوة عنهم وتبعهم الزمخشري
والمص في ذلك التفسير ولما ورد على هذا التفسير انه كيف يصح والحال ان الاماتة انما تتعلق بالحي بازالة الحيوة عنه
لان تعلقها بما لا يكون مسبوقا بالحيوة تحصيل الحاصل والتنظير بقوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم غير مقبول اذ ليس
فيه تعالى اماتهم بل المذكور فيه كونهم امواتا والموت لكونه عبارة عدم الحيوة لا يستدعي سبق الحيوة وانما يستدعيه
ان لو كان عبارة عن زوال الحيوة وليس كذلك فظهر الفرق ولم يبق للتنظير وجه اجاب عنه المص بقوله فان الاماتة
جعل الشيء عادم الحيوة ابتداء او تصييره وتقريره انا لا نم ان الاماتة معناها ازالة الحيوة بل هذه تستعمل بمعنيين
احدهما ايجاد الشيء ابتداء عديم الحيوة وثانيهما تصييره ميتا بعد ان كان حيا كالتصغير والتكبير فانهما قد يكونان
بمعنى ايجاد الشيء صغيرا او كبيرا كما في قول من قال سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وقد يكونان بمعنى تصييره
صغيرا بعد كبره وكبيرا بعد صغره فصح التفسير المذكور وان سلمنا ان الاماتة تصيير الشيء ميتا بازالة الحيوة
عنه وانها لا يصح اطلاقها حقيقة على ايجاد الشيء ميتا ابتداء لكن لا نم انه لا يصح تفسيرها بالمعنى المجازي المتناول
لكل واحد من المعنيين فان لفظ الاماتة ح يكون حقيقة في تصيير الحي ميتا ومجازا في الايجاد ميتا ابتداء تشبيها
لاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين للشيء بدل الاخر بنقله من احد الوصفين الى الاخر حقيقة فصح ان يستعمل
لفظ الاماتة لاختيار انشاء الشيء ابتداء مع كون انشائه حيا مقدورا للفاعل لكونه بمنزلة تصييره ميتا بعد
كونه حيا وان يفسر الاماتة بالمعنى المتناول لكل واحد من المعنيين على طريق عموم المجاز فقوله احد مقبوليه
معناه احد مقبولي مصنوعه فان البعوضة والفيل مثلا يقبل كل واحد من وصفي الصغر والكبر بدل الاخر
فاختيار الفاعل احد الوصفين المقبولين لمصنوعه يشبه تصييره موصوفا به وصرفه عن الاخر كذا
اختياره ايجاده ميتا بدل ايجاده حيا بمنزلة تصيير الحي ميتا قوله او المقصود اعترافهم بعد المعاينة
بما غفلوا عنه تعليل لعدم ادخال القائل الاحياء في الاولى في الاحيائين وادخال الاماتة في القبر في الا
ماتتين يعني ان مقصود الكفار من قولهم ربنا امتنا اثنتين الخ اعترافهم بما كانوا ينكرونه في الدنيا وهو
حيوة القبر والاماتة الواقعة في القبر وحيوة البعث لا الحيوة الاولى اذ لا انكار لاحد فيها كانهم اجابوا
من

او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد فان او لفعلين يدل عليهما المذكوران [illegible] الاماتة والاحياء والحيوة [illegible] اثنتين واحييتنا [illegible] حيائين اثنتين

بل هو عبارة عما يعني عام يتناول كل واحد من المعنيين منه

اي الوصفين المتساويين بالنسبة الى قدرته منه

فان قلت [illegible] صح [illegible] اماتة [illegible] صغر جسم البعوض [illegible] وهو لكم للكفار [illegible] اسلفوها وليس [illegible] ولا [illegible] على تلك الصفات [illegible] الصغر والكبر جانب [illegible] المصنوع الواحد من غير ترجيح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجانبين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن الجانب الاخر فجعل صرفه عنه [illegible]

من ناداهم بقوله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم ان الانبياء عليهم الصلوة والسلام دعونا الى الايمان بالله
واليوم الآخر وكنا نعتقد كما يعتقد الدهرية ان لا حيوة بعد الممات فلم نلتفت الى دعوتهم وصممنا على ما كنا عليه
من الكفر والاعتقاد الباطل ثم بعد ذلك قد شاهدنا ما انكرناه واستبعدناه حين ما قاسينا شدائد الموتتين و
الحيوتين فاعترفنا بانا خاطئون في انكار ذلك فوجب ان يفسر الاماتتان بما كانت عقيب حيوة الدنيا
وما كانت عقيب حيوة القبر للسؤال فانهم بعد ما سئلوا في القبر يموتون ثانيا الى ان ينفخ للبعث وان يفسر
الاحياءتان بما كانت في القبر وبما كانت يوم البعث لا الاحياءة الاولى لان الاعتراف بما لم يكن بعد انكارها وعلى
هذا يكون معنى الاماتة ظاهرا غير محتاج الى التاويل قوله ولذلك اي ولكون المقصود من اخبارهم بمشاهدة
الاماتتين والاحياءتين الاعتراف بما غفلوا عنه بسبب معاينة جعلوا مشاهدتهما سببا للاعتراف به
فقالوا فاعترفنا بذنوبنا بالفاء الدالة على سببية ما قبلها للاعتراف المذكور قوله نوع خروج من النار
يعني ان تنكير خروج للنوعية وكذا تنكير قوله من سبيل كانه قيل فهل الى خروج سريع او بطيء شيء من السبيل
او اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل الى ذلك وهذا الكلام من غلب عليه القنوط بذكره تعللا اي
اكتفاء وقناعة بذكر الخروج عن الخروج حقيقة يقال عللته بالشيء اي الهاه به كما يعلل الصبي بشيء ايلهيه عن
لبن امه ولو كان مرادهم الاستفهام عن تاتي الخروج لكان الجواب لا او نعم ولم يجابوا بذلك بل ببيان سبب
خلودهم في النار وقنوطهم عن الخروج منها وهو اصرارهم في دار العمل على اقبح المعاصي فلذلك جوزوا في
دار الجزاء باهول العذاب وهو الخلود في النار والقنوط من الاخلاص عنها قوله تعالى ذلكم مبتداء وبانه خبره
والضمير في بانه ضمير الشان والامر اي ذلك الخلود والعذاب بسبب كفركم بوحدانية الله تعالى وايمانكم اي
تصديقكم بالاشراك به وقوله تعالى وحده مصدر في موضع الحال من الجلالة وجاز كونه معرفة لفظا لكونه في قوة
النكرة كانه قيل متحدا او منفردا فان شرط الحال ان يكون نكرة لعدم الحاجة الى تعريفها ثم انه تعالى لما بين للكافرين
القانطين من الخروج من النار ان ما هم عليه من الخلود والعذاب السرمد بسبب اعراضهم عن التوحيد
وتصديقهم بالاشراك به بين ان الاشراك من اعظم الذنوب لكونه معاندة للبرهان الساطع ومبنيا على
محض التقليد واتباع الهوى فقال هو الذي يريكم اياته رعاية لمصالح اديانكم وينزل لكم من السماء رزقا رعاية
لمصالح ابدانكم فان الايات بالنسبة الى حيوة الاديان بمنزلة الارزاق بالنسبة الى حيوة الابدان ولما تفرد
سبحانه وتعالى في حصولهما العادة فقد اسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة من غير ان يشاركه في ذلك احد مما اتخذه
المشركون شركاء فبان ان من اشرك به شيئا من ذلك فقد ضل ضلالا مبينا واستحق عذابا مهينا ثم بين ان
دلائل الوحدانية وكمال القدرة والعلم لغاية ظهورها كالامر المركوز في العقول الا ان عدم اهتدائهم بها
الى الحق انما هو لعدم اقبالهم عليها وتفكرهم فيها وما يتذكر الا من ينيب اليها ويعرض عن التقليد والانهماك
في اتباع الهوى طالبا للرشاد وطامعا للفوز يوم التناد ولما قرر هذا المعنى التفت الى المنيبين وامرهم بالاعراض

اي وضع موضع ايمانكم اشعارا بان وضعه موضع [illegible] او هو اسلوب المشاكلة فيحمل على الكناية منه

عن غير الله والاقبال اليه بالكلية فقال فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك والالتفات الى غيره قوله
خبران آخران اي عن قوله هو الذي يريكم اياته والصمدية السيادة والصمد السيد لانه يصمد اليه في الحوائج اي
يقصد من صمد يصمد صمدا اي قصده من حيث المعقول والمحسوس متعلق بقوله صمديته وقوله الدال صفة لعلو
صمديته وقوله فان من ارتفعت بيان لوجه دلالته على التفرد في الالوهية واعلم ان الرفيع يحتمل ان يكون بمعنى
المرتفع ويكون الدرجات عبارة عن صفات الجلال والاكرام ويحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع ويكون الدرجات
عبارة عن درجات الانبياء والاولياء في الجنة او عن مراتب المخلوقات في العلوم والاخلاق الفاضلة ونحو ذلك
والمص اشار بقوله فان من ارتفعت درجات كماله الخ الى ان رفيع بمعنى مرتفع وان المراد بالدرجات صفات
كماله وجلاله التي هي من قبيل المعقولات فقوله تعالى رفيع الدرجات يدل على علو صمديته من حيث المعقول والعرش
من جنس الجسمانيات المحسوسة فكان قوله ذو العرش اي خالقه ومالكه ومدبره دالا على علو صمديته من حيث
المحسوس فان من كان محل تصرفه وتدبيره اعظم كانت صمديته ونفاذ قدرته اتم واقوى وان كان المراد
بالدرجات مراتب المخلوقات يكون الرفيع بمعنى الرافع فانه تعالى يرفع درجات الانبياء والاولياء في الجنة ويرفع
درجات الخلق في العلوم والاخلاق الفاضلة والارزاق والآجال وجعل لكل واحد من الملائكة درجة معينة
كما قال وما منا الا له مقام معلوم وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة كما قال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وعين لكل نوع من الاجسام درجة فجعل بعضها ارضية سفلية كدرة وبعضها فلكية
علوية مشرقة وبعضها من جواهر العرش والكرسي وان كانت الدرجات عبارة عن مصاعد الملائكة الى
ان تبلغ العرش يحتمل ان يكون الرفيع بمعنى الرافع وبمعنى المرتفع وكذا ان كانت عبارة عن السموات كما قال
سعيد بن جبير هي سماء فوق سماء والعرش فوقهن قوله تعالى يلقي الروح والصحيح ان المراد به الوحي
سمي روحا تشبيها له بالروح من حيث ان الروح سبب لحيوة الاجسام والوحي سبب لحيوة القلوب
فان حيوة القلوب والارواح انما هي بالمعارف الالهية الحاصلة بالوحي فلما كان الوحي سببا للحيوة صار
بمنزلة الروح فسمي روحا لذلك واعلم ان ما سوى الله تعالى اما جسماني واما روحاني فبين الله تعالى بهذه
الآية ان كلا القسمين مسخرة تحت تسخيره تعالى اما الجسماني فاعظمه العرش فقوله تعالى ذو العرش يدل على
استيلائه على كلية عالم الاجسام وقوله يلقي الروح الخ يدل على ان الروحانيات ايضا كالجسمانيات
مسخرات لامره والباء في قوله باظهار آثار رحمته الامر اي الملائكة مسخرات لامره باظهار الوحي وتبليغه
الى الانبياء استعير الروح للوحي لانه يحيى به القلب بخروجه من الجهل والحيرة الى المعرفة والطمانينة ثم
بين الوحي بالامر بمعنى طلب الخير والبحث عليه وهو ان يتحلى المكلف بما امر به الشارع وندب اليه ويتخلى
عما نهاه عنه وكرهه وفسر الامر به لتناول الامر والنهي بالمعنى المشهور وليعلم ان ليس المراد به الامر
بمعنى الشان لعدم ملايمته بهذا المقام فقوله لانه آمر بالخير اي لان الوحي يبعث على ما هو الخير للمكلف فيما ياتيه
ويذره

رفيع الدرجات نحو بديع السموات على
انه صفة مشبهة اضيف الى فاعلها بعد النقل
الى فعل بالضم كما هو المشهور وتفسيره
بالرافع لكون من اضافة اسم الفاعل
الى المفعول بعيد في الاستعمال اي رفيع
درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم
الى العرش ذو العرش اي مالكه

فانه تعالى ارفع الموجودات في جميع صفات
الكمال والجلال اما في اصل الوجود
فانه واجب الوجود لذاته وما سواه
ممكن محتاج اليه فيه واما في دوام
الوجود فلانه الازلي الابدي السرمدي
واما في العلم فلانه هو العالم بجميع
الذوات والصفات والكليات
والجزئيات وكذا الحال في القدرة
والوحدانية ونحوها منه

ويذره قوله او مبتدأ وخبره عطف على قوله امر فيكون وجوها ثلثا تكون من امره سببا للروح بمعنى الوحي اي
لانه مبدأ الامر بالخبر الاول على ان يفسر الوحي بالكلام الذي يلقيه الى غيره خفية والثاني على ان يفسر بالارسال
وفي الصحاح الوحي الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما القيته الى غيرك يقال وحيت اليه الكلام
واوحيت وهو ان تكلمه بكلام تخفيه والوحي بمعنى الكلام الخفي الذي القاه الله تعالى الى الانبياء بواسطة الملك سمي روحا
لكونه سببا لحيوة القلوب وكذا الوحي بمعنى رسالة الملك روح باعتبار وامر باعتبار آخر وهو كونه مبدأ الامر الملكي
المبلغ له هذا على ان يكون قوله والامر هو الملك المبلغ على لفظ اسم الفاعل ويحتمل ان يكون قوله او مبتدؤه عطفا
على قوله الوحي اي يجوز ان يراد بالروح مبدأ الوحي وهو الملك الذي يلقنه ويكون من امره ايضا سببا للروح
بمعنى مبدأ الوحي سمي الملك المبلغ امرا لكمال امتثاله لاوامر الله تعالى لا يسبقونه بالقول ولا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يؤمرون او لكونه واسطة بينه تعالى وبين انبيائه في تبليغ ما امره الله به اليهم واستعير له الروح لكونه
مبدأ للوحي الذي به حيوة القلوب ومشبها بالروح الذي به حيوة الابدان فقوله تعالى يلقي الروح معناه على هذا
ينزل الملك المبلغ للوحي الذي هو امره على ما يختاره للنبوة ويكون قول المص والامر هو الملك المبلغ على لفظ المصدر
قوله والمستكن فيه لله او لمن او للروح واسناد الانذار الى من يشاء حقيقي كما في نبت البقلة المدينة واسناده
الى الله تعالى مجازي كما في بنى الامير المدينة وكذا اسناده الى الروح قوله واللام مبتدأ ويؤيد الثاني خبره اي اللام
يؤيد كون المستكن راجعا الى من يشاء كما يؤيد ذلك قرب المرجع اليه والوجه في تاييد اللام ذلك ان المستكن فيه
لو كان راجعا الى الجلالة لكان المفعول له فعلا لفاعل الفعل المعلل وهو الالقاء الروح فينبغي ان يقال انذارا بدون اللام
والذي يؤيد الثاني بخصوصه هو مجموع اللام وقرب المرجع اليه فان مجرد اللام انما يؤيد عدم كونه راجعا الى الجلالة
ولا يؤيد رجوعه الى من بخصوصه لجواز رجوعه الى الروح ايضا وهذه اللام متعلقة بقوله يلقي وانتصاب اليوم
التلاق على انه مفعول به للانذار وليس ظرفا له لان الانذار لا يكون فيه وانما يكون به قوله تعالى يوم هم بارزون
يجوز ان يكون بدلا من قوله يوم التلاق بدل الكل من الكل فيكون مفعولا به من حيث المعنى وان يكون ظرفا للتلاق
لان التلاق يقع في يوم بروزهم وان يكون ظرفا لقوله لا يخفى اي لا يخفى على الله منهم شيء في يوم بروزهم وهذا على
قول من يجوز ان يعمل ما بعد لا فيما قبلها وقوله لا يخفى يجوز ان يكون جملة مستانفة وان يكون حالا من ضمير بارزون
وان يكون خبرا ثانيا قوله او العمال والعامل والعالة العمالة بتخفيف الميم رزق العامل واجر عمله اي لينذر
بيوم يلقى فيه كل عامل اجر عمله قوله لا يسترهم شيء اي من جبل او كمة او بناء لان الارض فيه بارزة قاع صفصف
وليس عليهم ثوب يسترهم بل هم عراة مكشوفوا الرؤس والارجل كما جاء في الحديث يحشر الناس عراة حفاة غرلا
والغرل جمع اغرل هو الاقلف الذي لم يختتن قوله او ظاهرة نفوسهم اي منكشفة اسرارهم غير محجوبة بغواشي
الابدان على زعم من لا يقول بالمعاد الجسماني وقيل المراد ببروزهم قال تعالى يوم تبلى السرائر اي تنكشف الاسرار
والابلاء والابتلاء في الاصل الاختبار الذي يكون للكشف ما طلع على غايته وقيل بروزهم عبارة عن بروز اعمالهم

قوله وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا من انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لا يراهم الله تعالى ويخفى عليه
اعمالهم وهو جواب عما يقال قوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم فكانه قيل يوم هم بارزون
بحيث لا يخفى على الله منهم شيء وهو تعالى لا يخفى عليه منهم شيء في جميع الايام فما معنى تقييده بذلك اليوم وحاصل
الجواب ان المقيد بذلك اليوم ليس عدم خفاء شيء منهم عليه تعالى بل المقيد به هو انهم لا يتوهمون خفاء شيء منهم فانهم كانوا
يتوهمون في الدنيا انهم اذا استتروا بالحيطان والحجب لا يراهم الله سبحانه ويخفى عليه اعمالهم فاخبر انهم
صائرون في ذلك اليوم الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه كما قال تعالى ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون قوله حكاية لما يسال عنه يعني انه مقول قول مضمر اي يقال لهم في ذلك اليوم لمن الملك اليوم اما بلسان
المقال او بلسان ظاهر الحال ويدل على الاول ما روي انه اذا حضر الاولون والاخرون يوم التلاق ينادي مناد
لمن الملك اليوم فيقول جميع من حضر في محل القيمة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه
تلذذا بهذا الكلام حيث نالوا به ما نالوا من المنزلة الرفيعة في الدنيا اعتقدوا به ولولا والكفار يقولونه
صغارا وندامة على تفويتهم هذا الذكر الجميل في الدنيا وقيل السائل والمجيب هو الله سبحانه وحده وذلك بعد
فناء الخلق ولا يقدر ان الملك لله تعالى وحده في ذلك اليوم ذكر نتائج كون الملك والامر له في ذلك اليوم لا يشاركه
احد فيهما فقال اليوم تجزى كل نفس وهو داخل في حكم القول المضمر قوله فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا عن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال اذا اخذ في حساب الخلق لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها قوله اي القيمة ذكر
لتانيث لفظ الازفة وجهين الاول تانيث مسماه وهو القيمة والثاني كونه صفة لموصوف مؤنث وهو الخطة
وهي الخطب العظيم والامر الصعب والازفة فاعلة من ازف الامر اذا قرب وهو من باب علم ويوم منصوب على
انه مفعول به لانذرهم لانه المنذر به والمقصود التنبيه على ان يوم القيمة قريب كقوله اقتربت الساعة
وقيل لها ازفة لكونها قريبة وان استبعد الناس مداها وكل ما هو كائن فهو قريب وقيل المراد بيوم الازفة مشارفتهم
دخول النار فان عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها من شدة الخوف وقيل يوم الازفة حضور الاجل
لانه تعالى وصف يوم القيمة بانه يوم التلاق ويوم هم بارزون ثم قال بعده وانذرهم يوم الازفة فوجب ان يكون
هذا اليوم غير ذلك اليوم ويوم الاجل من جملة الشدائد والامور الصعاب فان المرء الكافر عند معاينة ملائكة
العذاب يعظم خوفه بحيث يرتقي قلبه حنجرته من شدة الخوف فلا هو يخرج حتى يموت المرء فيستريح ولا يرجع
الى موضعه حتى يتنفس ويتروح بل يبقى معترضا كالشجى مما شدة الخوف ويبقى كاظما ساكتا عن ذكر ما في قلبه
من شدة الخوف والغم ولا يكون له حميم ولا شفيع يدفع عنه ما به من انواع الخوف والقلق قوله تعالى كاظمين
على الغم اي ساكتين حال امتلائهم غما وكربا وغيظا يقال كظم الغيظ اذا امسك على ما في نفسه من الغم والغيظ
بالصبر وعدم اظهار الاثر من قولهم كظم القربة اذا ملاها ماء وشدها والمعنى انهم لا يمكنهم ان ينطقوا
وان يشرحوا ما عندهم من الحزن والخوف من شدة الكربة وغلبة الغم عليهم والمقصود من الاية

من الفيلولة وهي الندم في النطبة ... فيحاسب الخلق كلهم في وقت واحد كشاف

من الاية تقرير امرين احدهما الخوف الشديد وهو المراد من قوله اذ القلوب لدى الحناجر والثاني العجز عن الكلام
وهو المراد من قوله كاظمين فان الملهوف اذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون واذا
لم يقدر عظم قلقه واشتد حاله قوله لانه على الاضافة اي لان المعنى على الاضافة اي اذ قلوبهم لدى حناجرهم بناء
على ان التعريف اللامي بدل من التعريف بالاضافة ولما كان قوله اذ القلوب في معنى اذ قلوبهم باضافة القلوب الى
اصحابها جاز انتصاب الحال عن الاصحاب المجرور بالاضافة لان العامل المعنوي يجوز ان يعمل في الحال فيجوز ان يعمل
فيها الاضافة كانه قيل اضيف اليهم القلوب حال كونهم كاظمين قوله او منها اي او حال من نفس القلوب على
معنى حال كون القلوب كاظمة على كرب وغم مع بلوغها الحناجر او هو حال من الضمير المستكن في قوله لدى الحناجر
فان القلوب مبتدا ولدى الحناجر خبره وفيه ضمير مستكن انتقل اليه من متعلقه وكاظمين حال منه
ولما ورد على الوجهين الاخيرين ان يقال كيف يجوز ان يكون كاظمين حالا من القلوب او ضميرها مع انه قد جمع
جمع السلامة وهو مختص بمن يعقل اشار المص الى جوابه بقوله وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء
يعني انه لما اسند الى القلوب ما هو من افعال العقلاء وهو الكظم جمعت جمع العقلاء كما في قوله تعالى عن يوسف عليه
الصلوة والسلام اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قوله على انه حال مقدرة
لانهم غير كاظمين حقيقة وقت الانذار قوله ولا شفيع مشفع معنى انه تعالى نفى المطاع مجاز بمعنى يجاب ويقبل شفاعته
لان حمله على اصل معناه يستلزم خلو الكلام عن الفائدة لان انتفاء شفيع يطيعه الله تعالى حقيقة معلوم بالضرورة
من حيث ان المطيع حقيقة يكون اسفل حالا من المطاع وليس في الوجود من هو اعلى حالا من الله تعالى حتى يكون
مطاعا له تعالى فوجب حمل الاطاعة على الاجابة كما في قوله رب من انضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع اي
لم يجب قوله والضمائر اي التي في قوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء وانذرهم اذ قلوبهم لدى حناجرهم
والظاهر ان هذه الضمائر للكفار الذين يجادلون في ايات الله ويناد ون يوم القيمة بان يقال لهم لمقت الله
اكبر من مقتكم انفسكم فيكون قوله تعالى ما للظالمين موضوعا موضع ضمير الكفار المعهودين فمعنى الاية الحكم عليهم بانه
ليس لهم حميم ولا شفيع مشفع وقد اتفق اهل الملة على انه لا شفاعة في حق الكفار فلا دلالة في الاية على نفي الشفاعة
عن عصاة المسلمين كما قال به المعتزلة بناء على ان لفظ الظالمين صيغة جمع دخل عليها حرف التعريف فيفيد
العموم غاية في الباب ان هذه الاية وردت لذم الكفار الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقول المص
وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم اي على اختصاص انتفاء كل واحد من حميم والشفيع
المشفع بهم اشارة الى جواب ذلك تقريره ان الاصل في حرف التعريف ان ينصرف الى المعهود السابق فاذا دخل حرف
التعريف على صيغة الجمع وكان هناك معهود سابق انصرف اليه وقد حصل في هذه الاية معهود سابق وهم الكفار
المجادلون في ايات الله فوجب ان ينصرف الحكم بانتفاء الحميم والشفيع اليهم لا الى عامة الظلمة لانهم قوله
النظرة الخائنة اشارة الى ان خائنة اسم فاعل وانها صفة لمحذوف وهو النظرة واسناد الخيانة الى النظر مجاز

بان تكون الفائدة في ذكر الصفة ونفي التعرض حاصل بذكر الشفيع ... تحت في التعرض واما نفي ... الصفة لانه ... الصفة لان صفته لا انتفائه على انتفاء الصفة فكذلك ازالة لتوهم بدون موصوف فكذلك اذا ... وجود الموصوف ببيانه انك اذا عرضت على القعود وعن القعود فقلت ما لي فرس اركبه وما معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفع ولا شفيع فكان ذكر التشفع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وصفا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه كشاف

وكيف ... خائنة وجهين الاول انه اسم فاعل صفة لمحذوف هو النظرة و اسنادها الخيانة اليها والثاني مصدر بمعنى الخيانة كالعافية والكاذبة وكتابه

لان الخائن هو الناظر فان الشارع حيث لم يبنه عما نهى عنه بان نظر نظرة حرمها عليه والتقدير يعلم النظر
الخائنة للاعين حذف الموصوف ثم حذف اللام من الخائنة واضيفت الى الاعين اضافة اضافة معنوية بمعنى اللام
قوله او خيانة الاعين اشارة الى جواز كون الخائنة مصدرا بمعنى الخيانة كالعافية والكاذبة وقوله تعالى
يعلم خائنة الاعين اما مرفوع المحل على انه خبر آخر لهو في قوله هو الذي يريكم مثل هو له يلقي الروح قد علل لينذر
لينذر يوم التلاق ثم ذكر استطرادا احوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع جعد بهذا الخبر بالتعليل والاستطراد
المذكورين عن اخواته اعني قوله رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح وهذا الوجه هو الذي اختاره المص
ويحتمل ان لا يكون له محل من الاعراب بناء على انه في قوة التعليل للامر بالانذار فانه تعالى لما امر بانذارهم يوم الآ
زفة وما يعرض لهم فيه من شدة الغم والكرب وان الظالم لا يجد فيه من يحميه وينفع له ذكر انه تعالى مطلع على جميع
ما يصدر من الخلايق سرا وجهرا وبين انه عالم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات والارض والحاكم اذا بلغ
في العلم الى هذا الحد وجب ان يكون خوف المجرم منه اشد واقوى واعلم ان افعال العباد على قسمين افعال
الجوارح وافعال القلوب وافعال الجوارح اخفاها خائنة الاعين فاذا كانت مع كونها في غاية الخفاء معلومة
لله تعالى فعلمه تعالى بسائر افعال الجوارح يكون اولى واظهر ثم بين بقوله تعالى وما تخفي الصدور ان افعال القلو
ايضا معلومة لله تعالى فدلت الاية على كونه تعالى عالما بجميع افعالهم ثم انه تعالى لما بين احاطة علمه بذلك بين انه لا يحكم
الا بما يستحقه المكلف وبليق به تشديد التخويف المكلف **قوله** وقضائه بالحق فان من يسمع ما يقولون ويبصر
ما يفعلون اذا قضى بالحق ويستفاد منه الوعيد ايضا ثم انه تعالى لما بالغ في تخويف الكفار باحوال الاخرة اردفه
بتخويفهم باحوال الدنيا فقال اولم يسيروا في الارض الاية والمعنى ان العاقل من اعتبر بحال غيره فان الذين
مضوا من الكفار كانوا اشد قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار واقوى اثارا في الارض من الحصون
والقصور والعساكر فلما كذبوا رسلهم اهلكهم الله تعالى عاجلا وان هؤلاء الحاضرين شاهدوا اثار
هلاكهم فبان وجه امنوا ان يصيبهم مثل ما اصاب السابقين **قوله** تعالى فينظروا الجوز ان يكون مجزوما
بالعطف على يسيروا وان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام **قوله** وانما جيء بالفصل يعني ان هم ضمير
فصل قد توسط بين اسم كان وهو معرفة وخبره الذي هو اشد منهم وهو نكرة وحق الفصل ان يقع
بين معرفتين كما في قوله تعالى اولئك هم المفلحون واولئك هم الخاسرون وجوابه ظاهر وهو ان افعل من
لما شابه المعرفة في امتناع دخول الالف واللام عليه حيث لا يقال الاشد منهم كان في حكم المعرفة **قوله**
وهو المعنى واكثر اثارا او قيل ان قوله اثارا ليس بداخل في حيز اشد منهم بان يكون معطوفا على قوة بل
هو منصوب بعامل مقدر معطوف على اشد كما في قوله يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا فان رمحا
منصوب بمقدر اي وحاملا رمحا لان تقلد الشيء تعليقه عليه وجعله بمنزلة القلادة في العنق بقال قلدت
المرأة فتقلدت هي وهو لا يصح بهذا في الرمح فلذلك احتيج الى تقدير ناصب ومثله علفتها تبنا وماء باردا
حتى

قوله قرأ نافع وهشام تدعوا بالخطاب والباقون بالغيبة اخبار عن المشركين والاصنام الذين يعبدونهم بذكر اسم او يعبدهم الكفار من دون الله منه

حتى شتت همالة عيناها اي حتى مضت السنة عليها وعيناها تفيضان وسقيتها ماء باردا لان الماء ليس مما
يعلف ولم يرض المص بهذا القول لعدم الحاجة الى التقدير لصحة المعنى بدونه فانهم كما انهم اشد منهم قوة اشد
منهم اثارا ايضا ويدل عليه قوله وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين فان حمل ما ذكر في مثل قوله علفتها تبنا وماء باردا
ومتقلدا سيفا ورمحا يستلزم حذف المعطوف مع بقاء حرف العطف وانه ممتنع اجيب بانا لا نم امتناعه مطلقا
وانما الممتنع ان يحذف المعطوف مع جميع متعلقاته واما اذا بقي شيء من معمولات المحذوف فلا نم امتناعه كما في قوله
تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان اي والفوا الايمان وقول الشاعر وزججن الحواجب والعيون اي وكحلن العيون
كذا في شرح البخاري للكرماني **قوله** لا يؤبه بعقاب دون عقابه اي لا يبالى ولا يلتفت لعقاب قد يغفل عنه
معاينة عقابه نعوذ بالله من ذلك الجوهري ما ابهت الامر آبه آبها وهو الامر تنساه ثم تتنبه له ثم انه تعالى لما سلى
رسوله صلى الله عليه وسلم بذكر الكفار الذين كذبوا الانبياء قبله وبيان عاقبة امرهم سلاه ايضا بذكر قصة موسى
عليه الصلوة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى الاية **قوله** والعطف لتغاير الوصفين يعني انه اما من قبيل عطف
الصفة على الصفة مع اتحاد الذات او من قبيل عطف الخاص على العام تفخيما لشانه قوله تعالى الى فرعون وهامان و
قارون خص هؤلاء الثلثة بالذكر مع انه عليه الصلوة والسلام مرسل الى القوم كلهم لان هؤلاء الثلثة كانوا مدبري
امورهم فكان خطابهم ودعوتهم بمنزلة خطاب القوم كلهم فان فرعون ملكهم وهامان وزيره وقارون بمنزلة الملك
من حيث كثرة امواله وكنوزه **قوله** اي اعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم اولا فانه لما جاء اوان ولادة موسى
اخبر المنجمون فرعون بانه قد جاء ولادة مولود يظهر عليك في زوال ملكك على يده فامر بقتل ابناء بني اسرائيل و
ابقاء بناتهم احياء احبنا لا في دفع ما انذر به الكهنة ففعلوا ذلك زمانا طويلا ثم امسك فرعون عن قتل الولدان
مخافة ان يفنى بنو اسرائيل ويقع الاعمال الشاقة كلها على القبط فلما بعث موسى عليه الصلوة والسلام اليهود
عاد الى الايمان والتوحيد واظهر المعجزات الباهرة فعند هذا امر بقتل ابناء الذين امنوا معه لئلا ينشئوا على دين
موسى فيتقوون بهم وضمير الجمع في قوله قالوا اقتلوا لفرعون ومن في رايه من قومه **قوله** كانوا يكفونه يعني ان فرعون
انما قال بهذا الكلام من اجل انه كان في خواص قومه من يمنعه من قتل موسى بناء على اعتقاد انه ساحر ضعيف لا يمكنه
ان يغلب سحرتك فان قتلته ادخلت الشبهة على الناس فقالوا انه كان محقا صادقا في دعواه وانهم عجزوا عن
جوابه فقتلوه ويحتمل ان يكون سبب منعهم اياه انهم اعتقدوا بقلوبهم كون موسى عليه الصلوة والسلام صادقا
في دعواه لما عاينوا من معجزاته الباهرة فمنعوه من ذلك خوفا من ان يعاجلهم الله تعالى بالهلاك ويحتمل ان احدا
لم يمنع فرعون من قتل موسى وانه كان يجب ان يقتله الا انه كان خائفا من انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة
تمنعه عن قتله فيفتضح الا انه لوقاحته وخبثه قال ذروني اقتل موسى وغرضه منه اخفاء خوفه واراءة قومه
انه لا يخاف شيئا يجب بحمالته **قوله** وتعليله بذلك اي جعل فرعون منع قومه اياه علة لعدم قتل موسى دليل
على تيقنه بحقية امر موسى وانه يخاف ان قتله عاجله الله تعالى بالعقوبة او انه لو حاول قتله لظهرت معجزات قاهرة

ربكم يكفونه عن قتله خبر اخذ اعلم وهم انهم يكفونه عن قتله والله لا يكفه لبس الا انه في نفسه من الشنيع والخوف منه

تمنعه من قتله فيفتضح عند الناس ويؤيد ذلك تجلده بقوله وليدع ربه فان مثله انما يصدر من الخائف المرائي
فلما سمع موسى كلامه لم يأت في دفع شره الا الاستعاذ بالله واعتمد على فضله ورحمته فلا جرم صانه الله من
عن كل بلية واوصله الى كل امنية وقيض له انسانا اجنبيا حتى ذب عنه باحسن الوجوه وبالغ في تسكين
تلك الفتنة فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وهذا استفهام على سبيل الانكار **قوله** لما في تظاهر الارواح
من استجلاب الاجابة وهو سبب الاصلي في كون اجتماع الناس لاداء الصلوة الخمس والاعياد والاستسقاء
ونحوها سنة **قوله** ولم يسم فرعون يعني انه عليه الصلوة والسلام استعاذ من كل متكبر اي متعظم عن الايمان
ولم يذكر فرعون بخصوص اسمه لثلث فوائد الاولى تعميم الاستعاذة والثانية رعاية حق تربيته كما كانت
مما فرعون له في صغره فلذلك لم يصرح بكونه عدوا استعاذ من شره والثالثة الدلالة على العلة التي
حملت موسى على هذه الاستعاذة وهي ان يجتمع في الانسان كونه متكبرا اي قاسي القلب وكونه منكر البعث
والجزاء فان مجرد التكبر وغلظة القلب وان كان يحمل الانسان على ايذاء الناس الا انه اذا اقر بالبعث
والحساب يمتنع منه خوفا من جزاء ظلمه بخلاف ما اذا لم يؤمن بالبعث والقيمة فانه يشتد توغله في الظلم
والايذاء لاقتضاء طبيعته اياه وارتفاع ما يمنعه عنه وهو الاقرار بالبعث فكل من اجتمع فيه التكبر والانكار
بالبعث كان اظلم واطغى فبالاستعاذة من شره احق واحرى **قوله** قرئ عت بالادغام اي بادغام
الذال في التاء بجعلهما تاء كما في اذكر **قوله** من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه في
سورة القصص وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني
لك من الناصحين فعلى هذا يكون قوله من آل فرعون صفة ثانية لرجل متعلقة بمحذوف اي كائن من آل فرعون
وقيل كان اسرائيليا فعلى هذا يكون من آل فرعون متعلقا بيكتم والتقدير وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل
فرعون قال وهب انه كان خازن فرعون وكانت امرأته ماشطة بنات فرعون اظهرت الايمان فقتلها
فرعون وذبح اولادها قبل قتلها على وجهها فتكلمت اولادهم يا امه ابشري بجنة ربك واصبري انك
على الحق واعلمي ان عذاب ربك اشد من عذاب فرعون ثم اظهرت آسية ايمانها فقتلها بعد قتل الماشطة و
اظهر زوج الماشطة خازن فرعون ايمانه وجادل فرعون وقومه بعد كتمانه ايمانه مدة وقتله فرعون
مع السحرة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون ثلثة حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل
فرعون الذي قال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله والثالث ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهو افضلهم
روي ان المشركين لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطواف فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا انت الذي
تنهانا عما كان يعبد اباؤنا فقال انا ذاك فقام ابو بكر رض والتزم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافع صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى ار
سلوه **قوله** او وقت ان يقول فان ان يقول وان لم يكن مصدرا صريحا الا انه في تأويل المصدر فجاز
ان

عن الامام احمد بن حنبل عن عروة
ابن الزبير قلت لعبد الله بن عمرو رض اخبرني
وعن البخاري رح سالت عمرو رض
باشد ما صنع المشركون برسول الله
صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة
اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا
شديدا فجاء ابو بكر رض فاخذ بمنكبه
ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه و
سلم ثم قال اتقتلون رجلا ان يقول
ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم طيبي

وعن جعفر الصادق رض ان مؤمن
آل فرعون قال ذلك سرا وابو بكر رض
قاله جهارا كس ف

ان يقام مقام الوقت كما في قولك آتيك خفوق النجم وصياح الديك اي وقت خفوقه وصياحه فيجعل اقامة
المصدر مقام الوقت لا يجوز الا في المصدر الصريح ولا يصح فيما هو في تأويل المصدر فلا يقال آتيك ان يصيح
الديك بمعنى وقت ان يصيح وقد نص عليه النحاة **قوله** وحده استفاد الحصر من تعريف طرفي الجملة كما
في قولك زيد الكريم وصديقي زيد اي لا غيره **قوله** من المعجزات والاستدلالات يعني ان البينات بمعنى الدلائل الواضحات
يتناول المعجزات الدالة على صدقه في دعوى الرسالة وما اقامه من البراهين الدالة على الوحدانية كقوله
ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين الى آخر الآيات
قوله احتجاجا عليهم واستدراجا لهم فان مجيء البينات من قبل ربهم تقوية لشأنها واحتجاج عليهم
بوجوب اتباعها واذعان حكمها واستدراج لهم الى الاعتراف بموسى وحقية امره فانهم اذا سمعوا انه جاء
بالبينات من ربهم دعاهم ذلك الى التأمل في امره بخلاف ما لو قيل من ربه **قوله** ثم اخذهم بالاحتجاج يعني انه
احتج اولا على ان اقدامهم على قتله منكر بالبرهان العقلي الذي يفيد القطع بكونه منكرا ثم احتج عليهم بما يفيد
الظن به لابتنائه على الاحتياط **قوله** لا يتخطاه وبال كذبه الحصر مستفاد من تقديم الخبر على المبتداء **قوله**
فيحتاج منصوب بان المقدرة بعد الفاء الواقعة في جواب النفي واشار به الى جواب ما يقال لا نم انه على تقدير كونه
كاذبا في دعوى حقية ما اظهره من الدين يقتصر ضرر كذبه عليه ولا يتخطاه الى غيره اذ قد يغتر به جماعة
فيقعون في المذهب الباطل والاعتقاد الزائغ ثم اغترارهم ذلك قد يؤدي الى ان يقع بينهم وبين **قوله**
من يخالفهم فيه من المخاصمات والمحاربات ما يختل به نظام العالم ولما تعدى ضرر كذبه الى غيره كيف صح ان
يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وتقرير الجواب انه على تقدير كونه كاذبا لا يقدر على ان يحمل الناس على قبول
ما اظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله وقدرتكم على ان تمنعوه مما اظهره ومعالنته وما دعا
الناس اليه فصح ان يقال وان يك كاذبا فعليه كذبه **قوله** فلا اقل من ان يصيبكم بعضه اشارة الى جواب
ما يقال الظاهر ان يقال وان يك صادقا يصبكم كل الذي يعدكم لان من يصيب بعض ما يعده دون البعض
هم الكهان والمنجمون واما الرسول الصادق الذي لا يتكلم الا بالوحي فانه يجب ان يكون صادقا في كل ما
يقوله فما وجه ذكر البعض في هذا المقام وتقرير الجواب ان مدار هذا الاحتجاج على المبالغة في التحذير
عن قتله بان يقال احتمال اصابة بعض ما يعده المتفرع على احتمال صدقه كاف في التجنب عن قتله فالتجنب
عنه مع احتمال اصابة جميع ما يعده اولى ويحتمل هذا الاسلوب ايضا ان فيه اظهار الانصاف وترك اللجاج
والتعصب وذلك انه لما فرضه صادقا في جميع ما اخبره وجب ان يتفرع عليه اصابة جميع ما وعده به
ولم يفعل ذلك بل قال يصبكم بعض الذي يعدكم فنقص بعد ما يكون على تقدير ليريهم انه ليس بكلام من اعطى
الكلام حقه تاما وافيا فضلا عن ان يتكلم جزافا ومبالغة وتعصبا ومن انصف في مقاله يسمع الخصم
كلامه ولا يرده عليه فلذلك كان كلامه بليغا مقبولا عند البلغاء وتقرير الجواب الثاني ان المراد ببعض

الموعد وهو عذاب الدنيا فانه عليه الصلوة والسلام كان يتوعدهم بعذاب الدنيا وبعذاب الاخرة فاذا اصابهم
في الدنيا عذاب الدنيا فقد اصابهم بعض ما وعدهم به وخصوا عذاب الدنيا مع ان صدقه عليه الصلوة والسلام يستلزم
ان يصيبهم جميع ما وعدهم به من عذاب الدارين لكون عذاب الدنيا اظهر احتمالا عندهم وكافيا في تحذيرهم عن قتله
واجيب ايضا بان المراد كل الذي يعدكم فان البعض قد يراد به الكل في قول لبيد • تراك امكنة اذا لم ارضها • او يرتبط
بعض النفوس حمامها • وقوله تراك خبر مبتدأ محذوف اي انا تراك وقوله او يرتبط بمعنى الى ان اي الى ان يرتبط الحمام ببعض النفوس
اي كلها فكانه قال الى يوم القيمة لان ارتباط الموت بكل النفوس انما يكون فيه فعلى هذا التوجيه ينبغي ان يكون يرتبط
منصوبا الا انه اسكن الطاء للضرورة والمص رد هذا الجواب بعد تسليمه وكون البعض في بيت لبيد بمعنى الكل
فقال لانه اراد بالبعض نفسه ومعنى كلام لبيد انا على هذه الصفة حتى اموت وليس مراده حتى يموت جميع الناس
لانه يكون يوم القيمة ومن المعلوم انه يبقى الى ذلك اليوم قوله احتجاج ثان احتج به الرجل المؤمن على انه لا يجوز
قتل موسى وايذاؤه ويمكن تقريره على وجهين الاول ان الاقدام على قتله مبني على زعم انه مسرف في ارتكاب
الذنب وفي الكذب ولا وجه لهذا الزعم لانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى اقامة البينات واظهار المعجزات
وقد هداه اليها فهو رجل واجب التعظيم والاكرام دون التكذيب والايلام والثاني ان هذا الاحتجاج مبني
على تسليم كلام الخصم وارخاء العنان كانه قال سلمنا انه مسرف كذاب الا انا لا نم انه يجب عليكم تعرضه بالقتل
والايذاء لانه تعالى لا يؤيد امر مثله بل يخذله ويهلكه عن قريب فلا وجه للالتفات اليه والاشتغال بشانه و
عرض به لفرعون بانه مسرف في عزمه على قتل موسى كذاب في ادعاء الربوبية والله لا يهدي من هذا شانه
بل يفضحه ويهدم امره ثم ان مؤمن آل فرعون لما استدل على انه لا يجوز قتل موسى خوف فرعون وقومه من ذلك
العذاب الذي توعدهم به في قوله يصبكم بعض الذي يعدكم فقال يا قوم لكم الملك اليوم الآية قوله وساهمهم اي
صاحب سهمهم ونصيب معهم قوله تعالى ظاهرين حال من الضمير في لكم والعامل فيها وفي قوله اليوم ما تعلق به
لكم ولما قال المؤمن ما قاله في الذب عنه عليه الصلوة والسلام قال فرعون ما اريكم الا ما ارى وهو يجوز ان يكون
من الرأي وان يكون من الرؤية بمعنى العلم يقال رأى فيه رأيا بمعنى اعتقد فيه اعتقادا او رآه بمعنى ابصره
ورآه بمعنى علمه والمعنى على الاول ما اشير اليكم برأي سوى ما ذكرته من انه يجب قتله حسما لمادة الفتنة
لما نقل رأى من الرأي الى باب افعل عدي الى الضمير المنصوب ثم استثنى استثناء مفرغا فقيل الا ما ارى وعلى
الثاني ما اعلمكم الا ما علمت فيتعدى الى مفعولين ثانيهما الا ما ارى وقوله قلبي ولساني متواطئان عليه بيان
الحاصل المعنى على الاحتمالين وقد كذب في الاخبار عن مواطأة قلبه للسانه فان قلبه مملو بالخوف الشديد
من جهة موسى عليه الصلوة والسلام ولكنه كان يتجلد عند قومه قوله لا من ارشد يعني ان صيغة فعال قد يبنى
من افعل كدراك فهو دراك واجبر فهو جبار واقصر فهو قصار واسأر فهو سأر ولم يجعل فراه رشاد
بتشديد الشين من ارشد الرباعي لان بناءه منه نادر غير منقاس بل مقصور على السماع قوله او النسبة

او يرتبط كذا روي ايضا منكانا او يرتبط والمشهور الاول

اي شاركهم ... انه معاهم في فرعتهم فيما ينصح لهم ... الاقداع ونصيب من السلام [illegible]

عطف

مطلب

عطف على قوله للمبالغة ورشد بفتح الشين وكسرها لغتان بمعنى فان كان الرشاد بالتشديد صيغة مبالغة
من الثلاثي يكون معناه كثير الرشد وان كان صيغة مبالغة من الرباعي كان معناه كثير الارشاد وان كانت
للنسبة الى الرشد كان المعنى الاصيل ذا الرشاد كالعاج عظم الفيل والواحدة عاجة والعواج صاحب
او بايعه والبت الطيلسان من خز او صوف والبتات من يعملها او يبيعه والبت ايضا يطلق على كساء
من صوف كما في قوله من كان ذا بت فهذا بتي • مقيظ مصيف مشتي • اخذته من نعجات ست • سود نعاج
كنعاج دشت • اي يكفيني لقيظي وصيفي وشتائي والقيظ حرارة الصيف قوله تعالى وقال الذي آمن صرح
فاعل قال ولم يعطفه على ما قبله من اقواله لتخلل الاخبار عن قول اللعين بينهما فذكر فاعله صريحا لازالة
للشبهة وهذا هو الجواب عن قوله فيما بعده بايات وقال الذي آمن يا قوم اتبعون لانه تقدمه قول فرعون
في قوله قال فرعون يا هامان الآية ولما اصر فرعون على ان الرأي الصائب ليس الا قتله واخلاء العالم عن فتنته
قال المؤمن يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب واعلم انه تعالى حكى عن ذلك
المؤمن انه كان يكتم ايمانه ومن يكتم ايمانه كيف يمكنه ان يذكر هذه الكلمات مع فرعون ولهذا الاشكال ذكر ههنا قولان
الاول ان فرعون لما قال ذروني اقتل موسى لم يصرح ذلك المؤمن انه على دين موسى بل اوهم انه على دين فرعون
الا انه زعم ان المصلحة تقتضي ابقاء موسى لانه لم يصدر عنه الا الدعوة الى الله والاتيان بالمعجزات القاهرة وهذا
لا يوجب قتله بل الاقدام على قتله يوجب الوقوع في السنة الناس بالكلمات القبيحة فالاولى تاخير قتله ومنعه
من اظهار دينه لانه ان كان كاذبا فيقتصر وبال كذبه عليه بهذا الطريق وان كان صادقا ينتفع بهذا الطريق من
بعض الوجوه ثم اكد ذلك بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يعني انه ان كان صادقا فيما يدعيه من اثبات
الاله القادر الحكيم فهو لا يهدي المسرف الكذاب فاوهم بقوله ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يريد به موسى
وانما كان يقصد به فرعون لانه هو المسرف الكذاب والقول الثاني ان مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه فيما
مضى فلما قال فرعون ذروني اقتل موسى ازال الكتمان واظهر انه على دين موسى وجادله بالتي هي احسن وقال
يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه الخ قوله مثل ايام الامم الماضية اشارة الى ان ظاهر المقام يقتضي ان يقال
مثل ايام الاحزاب لان الاحزاب باسرهم ليس لهم يوم واحد بل لكل حزب يوم على حدة اي وقعة هائلة وعذاب
شديد يقال ايام العرب للوقائع العظيمة والاهوال الشديدة على طريق ذكر المحل وارادة الحال الا ان جمع
الاحزاب وتفسيره بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود اغنى عن جمع الاحزاب وتفسيره بالطوائف
المختلفة المتباينة الازمان والاماكن رفع الالتباس وبين ان المراد به الايام كما ان اضافة البطن
الى الجمع في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا اغنت عن جمع البطن للعلم بان الجمع العظيم لا يأكلون في بطن
واحد فاستغنى بدلالة الاضافة على المراد عن ان يقال في بعض بطونكم قوله مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا
اي دائما يقال دأب في العمل اي دام عليه وكان ذلك عادة له والدأب العادة والشان احتاج الى تقدير

ان فعل ... او عطف ... بيان وعلى التقدير ... عن الكشف والتفسير [illegible]

المضاف بعد المثل الثاني لانه تفسير للمثل الاول بان يكون بدلا منه او عطف بيان له وقد اضيف المثل الاول
الى اليوم الذي عبر به عن عقوبة تكذيب الاحزاب انبيائهم فلا بد ان يكون المثل الثاني ايضا مضافا نحو ما اضيف
اليه الاول حتى يكون عبارة عن الاول موضحا له **قوله** فلا يعاقبهم بغير ذنب ان المؤمن اتم كلامه بقوله
وما الله يريد ظلما للعباد للدلالة على انه تعالى انما اهلك الاحزاب المتقدمين لذنب استحقوا به الهلاك وهو
تحزبهم على انبيائهم وكل من كذب نبيه وتعرض له بالسوء يخاف عليه مثل ما اصاب هؤلاء لان تخليه الظالم
من غير انتقام ظلم بالمظلوم والله تعالى منزه عن ارادة الظلم فضلا عن نفس الظلم والمعنى ما يريد الله ان
يظلم عباده فيعذبهم بغير ذنب وهذه الآية في عذاب الدنيا لان عقوبة تكذيب الاحزاب قد عجلت في الدنيا
ثم قال ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد والتناد مصدر تنادى القوم اي نادى بعضهم بعضا اصله تنادي
بضم الدال ثم كسرها لاجل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل كقوله يوم التلاق اصله يوم التلاقي سمي يوم
القيمة بيوم التناد لان الناس يناديه فيه بعضهم بعضا للاستغاثة كقولهم فهل لهم من شفعاء فيشفعوا
لنا او يتصايحون بنحو قولهم يا ويلنا من بعثنا يا ويلنا ما لهذا الكتاب او ينادي اصحاب الجنة اصحاب النار
ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ينادي اصحاب النار من عذاب النار حقا قالوا
نعم وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله وقرئ يوم التناد بتشديد الدال
على انه مصدر تناد من ند البعير اذا هرب ونفر ويدل على صحة هذه القراءة قوله تعالى بعد ذلك يوم تولون مدبرين
وقول الضحاك انهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة فيه
صفوفا فيرجعون الى مكانهم فذلك قوله تعالى والملك على ارجائها وانتصاب يوم التناد اما على انه ظرف خاف
كانه خاف عليهم في ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب ان اصروا على التكذيب والايذاء واما على انه مفعول به
على ان يكون تقدير الكلام اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
واعرب باعرابه وقوله تعالى يوم تولون يجوز ان يكون بدلا من يوم التناد وان يكون منصوبا بتقدير اعني ولا
يجوز ان يكون عطف بيان لانه نكرة وما قبله معرفة **قوله** ثم ان المؤمن اكد التهديد فقال ما لكم من الله
من عاصم ثم نبه على قوة ضلالهم وشدة حيرتهم فقال ومن يضلل الله فما له من هاد ثم ان ذلك المؤمن
وبخ قوم فرعون بان الكفر والشك في البينات القاطعة عادة قديمة فيكم حيث كذبتم يوسف بن يعقوب عليهما
الصلوة والسلام في دعوى الرسالة وقد جاءكم من قبل موسى بالبينات اي بالمعجزات التي من جملتها تعبير الرؤيا
بالدلائل الدالة على الوحدانية التي منها قوله يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار وهذا على
ان يكون فرعون يوسف هو فرعون موسى عاش فرعون يوسف الى زمن موسى عليهما الصلوة والسلام
وملوك مصر تسمى فراعنة كما تسمى ملوك الروم قياصرة وملوك العجم اكاسرة والمعنى على ان ملك مصر في
زمن يوسف هو من كان ملكه في زمن موسى عمّر الى زمان موسى والمشهور ان اهل عصر موسى وفرعون لم يدركوا
يوسف

فيه انه يجوز ان يعفو عن الظالم من غير انتقام عليه ما يعذب الظالم
ان السنة الا انه يراد بالظلم
الكفر كما زروي

فيما بينهم يوم بعضهم بعضا اذ سمعوا منادينا اقبلوا الى الحساب

اعني قتادة
الحسن ابا ان ازرعي مجاهد
مخرجا فيه عن نوفل
ما ابن عن النار عن ابن عمر حسين
كشاف

يوسف بن يعقوب فينبغي ان يكون مقصود مؤمن آل فرعون توبيخ اهل عصره بحال ابائهم الاقدمين **قوله** او سبطه
عطف على قوله يوسف بن يعقوب والسبط والد الولد وروي ان يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب ارسل اليهم
واقام فيهم عشرين سنة نبيا **قوله** حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته من بعده تكذيب رسالة من
كان وقد شكوا في رسالته وكفروا بها وانما ماله تكذيب الرسالة من بعده مضموما الى تكذيب رسالته و
جعلوا قولهم هذا اساسا لهم في تكذيب الانبياء الذين يأتون بعد ذلك ولم يقولوا ذلك جزما بان لا يبعث
بعده رسول ويحتمل ان يقولوا جزما بذلك مع الشك في رسالة يوسف ان لن يبعث الله من بعده من يدعي الرسالة
لانه اذا لم يتحقق رسالته مع كثرة بيناته لا يتحقق من يدعيها بعده لانه لا يأتي احد بمثل ما اتى به يوسف من الخوارق
قوله وقرئ الن يبعث بادخال همزة التقرير على قولهم لن يبعث على ان يحمل كل واحد منهم صاحبه
ان يقر بالجزم بان لا يبعث بعده رسول **قوله** مثل ذلك الاضلال اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انه
صفة مصدر محذوف لقوله يضل اي يضل الله كل مسرف شاك في الدين بعد وضوح الحجج والبراهين اضلالا
مثل اضلال الله اياكم حين لم تؤمنوا برسالة يوسف وقد جاءكم بالبينات **قوله** لانه بمعنى الجمع يعني ان الموصول
الاول وان كان مفرد اللفظ الا انه مجموع المعنى فيصح ان يبدل منه اللفظ الموضوع للجمع بدل الكل من الكل
ابدل منه تفسيرا وبيانا لوجه كونهم مسرفين شاكين اذ لا شك ان الجدال بغير حجة اما بناء على التقليد المجرد او
بناء على ان الشبهات الحسبية اسراف باطل وشك في موضعه **قوله** وافراده للفظ جواب عما يقال على تقدير
ان يكون كبر مسندا الى ضمير من ينبغي ان يقال كبروا لما مر انه بمعنى الجمع كانه قيل يضل الله المسرفين المرتابين
وتقرير الجواب ان من مفرد اللفظ مجموع المعنى فابدل الذين يجادلون منه نظرا الى جانب المعنى وافرد الضمير
العائد اليه في كبر نظرا الى جانب اللفظ فقيل عليه انه اعتبار اللفظ بعد اعتبار جانب المعنى واهل العربية يجتنبون
عنه واجيب بان هذا شيء نقله ابن الحاجب ولم يساعده غيره فهو غير مسلم ولو سلمناه فلا نم ان اعتبار اللفظ
هنا متأخر عن اعتبار المعنى بل الامر بالعكس فانه روعي فيه اللفظ من اولا حيث قيل من هو مسرف ثم معناه
ثانيا حيث ابدل منه الذين يجادلون الاية ثم عاد الامر الى رعاية جانب اللفظ ايضا حيث افرد الضمير الراجع
اليه وليس هذا من قبيل ما يجتنب منه اهل العربية **قوله** على حذف مضاف ليعود ضمير كبر اليه ولو لم يعتبر
الحذف لكان ضمير كبر مع افراده راجعا الى الذين وهو غير صحيح لعدم المطابقة بينهما وللقائل ان يقول لا نم
انه لا بد من ارتكاب حذف المضاف في هذا الوجه لجواز ان يرجع ضمير كبر الى الجدال المدلول عليه بقوله
يجادلون كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى ويكون التقدير كبر جدالهم مقتا اي كبر مقت جدالهم على ان
مقتا تمييز منقول من الفاعلية **قوله** او بغير سلطان عطف على كبر في قوله وخبره كبر فالتقدير الذين
يجادلون في ايات الله كائنون او مستقرون في غير سلطان اتاهم كبر مقت مثل ذلك الجدال على ان يكون
كذلك فاعل كبر ويكون قوله يطبع الله استئنافا جوابا لمن قال ما حصل لهم حتى ارتكبوا مثل هذا الجدال القبيح

قوله بدل من الموصول الاول
المقصود منها ابدال المنسوبية
بالاجابة بقوله في ذلك الشك
والاسراف لهم

وعلى تقدير ان يكون قوله الذين يجادلون
الخ بدلا من الموصول الاول وهو ما لا يعلم
صفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف
مرتاب او المسرفين المرتابين يكون قوله
بغير سلطان متعلقا بيجادلون اي بغير
حجة صالحة للتمسك بها في الجملة وقوله
كذلك صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك
الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب
متكبر جبار اي يطبع الله طبعا مثل
ذلك الطبع الفظيع على كل قلب متكبر
جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من
الاسراف والارتياب والمجادلة
بالباطل

ناجب يطبع الله على قلوبهم موضع قوله على كل قلب متكبر جبار موضع على قلوبهم تسجيلا عليهم بالتكبر والتجبر
واشعارا بعلة الطبع المذكور قوله على وصفه بالتكبر والتجبر مع انهما من صفات صاحب القلب في القلب
آلة له فيهما الا انه شاع اسناد الوصف القائم بالانسان الى مبدئه وآلته رأت عيني وسمعت اذني واسناد
التكبر والتجبر الى القلب من هذا القبيل ويجوز ان يجعل الكلام على حذف المضاف ويقال ان تقديره على كل ذي
قلب متكبر ليطابق هذه القراءة قراءة عبد الله بن مسعود رض فانه قرأ على قلب كل متكبر جبار فالموصوف
بالتكبر والتجبر على قراءته هو صاحب القلب بلا خفاء واذا قدر المضاف في القراءة بالتنوين يكون المو
صوف بهما ايضا هو صاحب القلب فتتوافق القراءتان كما توافقهما القراءة بالاضافة فان المعنى على الا
ضافة على كل قلب شخص متكبر جبار بخلاف ما اذا لم يقدر المضاف في القراءة بالتنوين فانه يصير الموصوف بهما
في هو القلب لا صاحبه الذي هو الموصوف بهما في قراءة ابن مسعود رض قوله من صرح الشيء فانه
بالتشديد كما يستعمل متعديا بمعنى اظهر يستعمل ايضا لازما بمعنى ظهر وفي الصحاح الصرح القصر وكل بناء
عال وفي المجمل الصرح بيت واحد يبنى منفردا ضخما طويلا في السماء وقيل الصرح البناء الظاهر الذي
لا يخفى على الناظر وان بعد قوله بيان لها يحتمل ان يكون المراد ان قوله اسباب السموات بدل او عطف بيان
لقوله الاسباب ويحتمل ان يكون انه منصوب باضمار اعني والاول اولى لان الاصل عدم الاضمار قوله وفي
ابهامها ثم ايضاحها يعني انه لو قال من اول الامر لعلي ابلغ اسباب السموات لتم المقصود الا انه ذكر الاسباب
اولا على الابهام ثم اوضح بقوله اسباب السموات لفائدتين الاولى تفخيم شان الاسباب التي امل بلوغها
فان ايضاح الشيء بعد ابهامه انما يكون للاعتناء بشانه والتنبيه على جلالة قدره والثانية تشويق
السامع الى معرفتها فان النفس تتوق الى ما لم تنلها فذكر الاسباب ليشتوق نفس هامان الى معرفة المراد منها
ثم اوضح ليكون ايرادها على نفس متشوقة وتشوقت الى معرفتها ليحصل المقصود من ايرادها وكل ما يو
صلك الى الشيء فهو سببه واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها قوله ولعله اراد ان يبني له رصدا
الخ يعني ان الظاهر ان فرعون لم يقصد ان يبني هامان بناء رفيعا يصعد منه الى السماء لان فرعون ليس من المجانين
الذين لا يعلمون امتناع ذلك بداهة والا لما صح من الله تعالى ان يرسل اليه رسولا ويكلفه بالايمان به والامتثال
لامره وان يحكي عنه شدة شكيمته وغلوه في الاسراف وانما قلنا ان امتناع ذلك معلوم بالبداهة لان كل احد يعلم
بالبداهة ان ليس في وسع البشر ان يبني ما هو ارفع من ارفع الجبال وان من نظر الى السماء من اسفل ما هو ارفع
الجبال ثم نظر اليها من اعلى ذلك الجبل لا يجد تفاوتا في نسبة السماء اليه بان يكون في احد الحالين اقرب اليه
منها في الحالة الاخرى ومع هذا العلم كيف يقصد العاقل ان يبني بناء يصعد منه الى السماء وفرعون من العقلاء
فلا وجه ان يسند اليه مثل هذا القصد وان ذهب بعض اهل التفسير الى انه قصد ذلك وذكر حكاية طويلة في كيفية
بناء ذلك الصرح ولما كان قول هذا البعض بعيدا كل البعد ذكر المصنف في وجه امره لهامان ببناء الصرح وجهين
او

اولهما انه اراد بالصرح الرصد في موضع عال وبالاسباب الكواكب التي سماوية هي يتوصل بها الى الاطلاع على
الحوادث الارضية وباطلاعه الى اله موسى ان يطلع الى انه هل ارسل موسى عليه الصلوة والسلام ام لا وثانيهما
ان فرعون كان من الدهرية وهم طائفة من الاقدمين جحدوا الصانع المدبر العالم القادر وزعموا ان العالم
لم يزل موجودا كذلك من غير ان يستند الى صانع خارج عن المجموع من حيث هو مجموع ولم يزل الحيوان مثلا
من النطفة والنطفة من الحيوان لا الى نهاية وهؤلاء هم الزنادقة وفرعون كان منهم وغرضه من هذا الكلام
ايراد شبهة في نفي الصانع الذي هو اله العالم وتقريرها انا لا نرى شيئا نحكم عليه بانه اله العالم فكيف نحكم بوجود
ما لم نره اما انا لا نراه فلانه لو كان موجودا لكان في السماء وما في السماء لا يراه اهل الارض الا بصعود الى
السماء ولا سبيل لنا الى صعود السماء فلا سبيل لنا الى رؤية الاله الذي يثبته موسى والحكم بوجوده الا بتقليد
رجل لا نعلم انه صادق ام كاذب ثم ان فرعون اراد المبالغة في بيان انه لا يمكن الصعود الى السماء فامر هامان بان
يبني له صرحا يصعد منه الى السماء ليعترف بعجزه عنه مع انه اقدر اهل الارض فيتحقق امتناع الصعود الى السماء
ويظهر به امتناع الوصول الى معرفة اله العالم بطريق الرؤية والاحساس وهذه الشبهة فاسدة لان طرق
العلم ثلثة الحس السليم والخبر الصادق ونظر العقل ولا يلزم من امتناع كون الحس طريقا الى معرفة الله تعالى
امتناع معرفته مطلقا وقد بين موسى عليه الصلوة لفرعون ان الطريق الى معرفته تعالى انما هو النظر والا
ستدلال بالآثار كما قال ربكم ورب آبائكم الاولين وقال رب المشرق والمغرب الا ان فرعون بسبب خبثه و
مكره تغافل عنه والقى الى الجهال انه لما كان لا طريق الى الاحساس بهذا الاله وجب نفيه وتكذيب من يدعي
انه رسول من قبله قوله ومثل ذلك التزيين اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف
اي زين له وصد تزيينا وصدا مثل ذلك التزيين والصد والمعتزلة لما ابوا من اسناد التزيين والصد اليه تعالى
قالوا المزين والصاد هو الشيطان ونحن نقول ان كان المزين لفرعون هو الشيطان فالمزين للشيطان
ان كان شيطانا آخر لا الى نهاية لزم التسلسل في الشياطين او الدور وهو باطل ولما بطل ذلك وجب انتهاء الا
سباب والمسببات الى واجب الوجود وان الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وان اسناده الى الشيطان في نحو قوله تعالى و
زين لهم الشيطان اعمالهم باعتبار ان له مدخلا فيه بوسوسته قوله ويدل على المراد انه قرئ وزين بفتح الزاي
لانه جرى ذكر الله تعالى وموسى وقرأ وصد على بناء الفاعل اسنده الى ضمير فرعون وحذف مفعوله اي وصد قومه عن
الهدى والرشاد ضد الغواية وكلاهما من صفات ما يسلك السبيل والاضافة في سبيل الرشاد من قبيل اضافة
السبب الى المسبب اي سبيلا يرشد سالكه ويامن الغواية قوله تمتع يسير يعني ان المتاع اسم بمعنى المتعة وهي
التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة لان وقوعه خبرا عن الحيوة الدنيا يمنع منه وان التنكير فيه للتقليل وفي الصحاح
المتاع السلعة والمتاع ايضا المتعة وما تمتعت به ولما كانت هذه الحيوة ولذائذها سريعة الزوال وكانت
الآخرة دار القرار ظهر ان العاقل ينبغي له ان يسعى فيما يسعده في دار الابد ويقنع في الدنيا بما يبلغه الى سعادة

الاخرة لان الدائم خير من المنقضي قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت
الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والاخرة ذهب باق ولما بين ان سبيل الرشاد هو التجافي عن
دار الفناء والغرور والانابة الى دار الابد والخلود بين كيف تحصل المجازاة في الاخرة وان ان جانب من جانبي
الرحمة والعذاب اوسع واغلب من الجانب الاخر فقال من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها والمراد بالمثل ما يقابلها في
الاستحقاق قال الامام فان قيل كيف يصح هذا الكلام مع ان كفر ساعة يوجب عقاب الابد قلنا ان الكافر يعتقد
في كفره انه طاعة وايمان فلهذا السبب يكون الكافر على عزم ان يبقى على ذلك الاعتقاد ابدا فلا جرم كان عقابه مؤبدا
بخلاف الفاسق فانه يعتقد في حق فسقه انه جناية ومعصية فيكون على عزم ان لا يبقى مصرا عليه فلا جرم كان
عقابه منقطعا وما يقوله المعتزلة من ان عقابه مؤبد فهو باطل لان مدة تلك المعصية منقطعة والعزم على ان لا
يأتي بها ايضا ليس دائما بل هو منقطع ايضا فمقابلته بعذاب دائم يكون على خلاف قوله تعالى ومن عمل سيئة فلا يجزى
الا مثلها قوله وفيه دليل على ان الجناية اي سواء كانت من افعال النفوس او الاعضاء او الاموال تغرم بمثلها لانه تعالى
بين ان جزاء السيئة سيئة مماثلة لها فدلت الآية على وجوب رعاية المماثلة بينهما وان الزائد على المثل غير مشروع
قوله ولعل تقسيم العمال بقوله من ذكر او انثى وقوله تعالى اولئك مبتداء والجملة الفعلية بعدها خبره وتعريف المسند
اليه بالاشارة للتنبيه على ان المشار اليه جدير بالحكم المذكور بعد اسم الاشارة لاجل الاوصاف المذكورة بعد
المشار اليه كما في قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم فان المشار اليه وهم المتقون قد عقب باوصاف هي الايمان بالغيب
واقام الصلوة والانفاق مما رزقهم الله ثم جيء باولئك على هدى للتنبيه على ان كونهم على الهدى عاجلا وفوزهم
بالفلاح آجلا من اجل اتصافهم بالاوصاف المذكورة فكذا الحال ههنا فانه عرف المسند اليه بايراد اسم الاشارة
للتنبيه على ان فوزهم بدخول الجنة وكونهم مرزوقين فيها بغير حساب من اجل اكتسابهم عملا صالحا حال
اتصافهم بالايمان ووجه دلالة هذا الاسلوب على تغليب جانب الرحمة ان الجزاء المذكور قد علق على
ان يعمل العامل صالحا واحدا من الصالحات بشرط الايمان فان صالحا في قوله من عمل صالحا نكرة في سياق
الاثبات فلا يعم فيجري مجرى ان يقال من ذكر كلمة او خطى خطوة فله كذا فانه يدخل فيه كل من اتى بتلك الكلمة او
بتلك الخطوة مرة واحدة فكذا ههنا وجب ان يقال كل من عمل صالحا واحدا من الصالحات فانه يدخل الجنة
ويرزق فيها بغير حساب وان زنى وان سرق ومن قال ان صاحب الكبيرة اذا لم يتب عنها يبقى خالدا في
النار ابدا فقد خالف هذا النص الصريح ولا خفاء في دلالة هذه الاية على ان جانب الرحمة والفضل راجح
على جانب القهر والعقاب حيث دلت على ان الصالح الواحد يؤدي الى النعيم الدائم وما اكتسبه صاحبه من السيئات
وان كثرت معفو اما ابتداء او بعد ما عوقب بمثلها قوله وان ثوابه اي ثواب العمل اعلى من اجل الايمان لان
ما ذكر من الثواب العالي لما جعل مشروطا بالايمان دل ذلك على ان علو ذلك الثواب من اجل الايمان قوله عن
سنة الغفلة اي عن غفلة كالسنة وهي بكسر السين فتور يتقدم النوم فالاضافة فيه من قبيل اضافة

المشبه به الى المشبه كلجين الماء قوله ومبالغة في ايجابهم على ما يبلون به نصحه فان تكرير ندائهم باضافتهم
الى نفسه يدل على انه ناصح لهم مخلص في حقهم وان له مزيد شفقة واهتمام برشدهم فيكون مقابلة نصحه لهم بالاساءة
والايذاء في غاية القباحة فيكون المقصود من هذا النداء مع ما ذكر بعده من المنادى له توبيخ قومه باسائتهم
اليه في مقابلة نصحه لهم فان قوله ما لي جملة اسمية والاستفهام فيه للتوبيخ وادعوكم في موضع الحال من المنوي
في الخبر وتدعونني عطف عليه ويحتمل ان يكون الجملة المعطوفة مع ما عطفت هي عليه كلاما مستأنفا لبيان
الحال المستفهم عنه كانه قيل كيف حالي معكم وهي اني ادعوكم الى النجاة من النار بالايمان والتوحيد وتدعونني
الى النار بالاشراك قوله وعطفه على النداء الثاني جملة اسمية اي عطف قوله ويا قوم ما لي ادعوكم
على قوله يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع عطف عليه لاشتراكهما في ان كل واحد منهما بيان وتفسير
لما اجمل في قوله اهدكم سبيل الرشاد فان الذي آمن نادى قومه اولا وامرهم بان يتبعوه فيما هو عليه وو
عدلهم في مقابلة اتباعهم اياه بان يهديهم سبيل الرشاد وذلك السبيل مجمل محتاج الى البيان والتفسير
ثم ناداهم ثانيا وادخل هذا النداء على ما هو بيان لما اجمله اولا فان قوله انما هذه الحيوة الدنيا متاع وان الا
خرة هي دار القرار ذم للدنيا بسرعة زوالها وتعظيم للاخرة بانها دار تستقر وتبقى ولا يطرأ عليها
الفناء وان اهلها يتردون فيها من غير امد وانقضاء والمقصود منه ان يتبين ان سبيل الرشاد ان لا ينهمك
المرء في حظوظها ولذائذها لعدم استقرارها وبقائها وان يسعى ويجتهد فيما يسعده في دار الابد والبقاء
قوله ولذلك اي ولكون الكلام الذي دخل عليه النداء الثاني بيانا لما قبله لم يعطف النداء الثاني على
النداء الاول لان النداء حكمه حكم ما دخل عليه من الكلام فاذا دخل عليه كلام لو انفرد عن النداء لم يدخله
العاطف لا يدخل العاطف على النداء ايضا واذا دخل على ما يجوز دخول العاطف عليه يجوز دخول العاطف
على نفس النداء ايضا وقد دخل النداء الثاني في الآية على ما هو بيان للمجمل وتفصيل له فلم يجز عطفه عليه
لان البيان لا يعطف على المبين لكونه بمنزلة عطف الشيء على نفسه لكمال الاتصال بينهما فكذا لم يجز عطف
النداء الداخل على البيان على ما دخل على المبين قوله فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه علة لقوله
وعطفه على الثاني كانه قيل انما قلنا ان النداء الثالث معطوف على النداء الثاني لانه يشاركه الثاني في كونه
تفسيرا لما اجمل في الاول تصريحا وتعريضا فان النداء الاول تصريح بان السبيل الذي يدعوهم اليه سبيل
الرشاد وتعريض بان سبيل قومه سبيل الغواية والضلال وكل واحد من السبيلين مجمل فقوله بعد النداء
الثالث ادعوكم الى النجاة تفسير وبيان للسبيل المصرح به بان مآله النجاة من النار وقوله وتدعونني
الى النار بيان للسبيل المعرض له بان مآله النار ولما شاركه النداء الثالث للثاني في ان كل واحد منهما
تفسير لما اجمل في الاول عطف الثالث على الثاني قوله او على الاول عطف على الثاني في قوله وعطفه
على النداء الثاني اي يجوز ان يكون الثالث معطوفا على الاول لكون مدخوله مناسبا لمدخول الاول

قوله وعطفه على النداء الثاني بيد
بيانه وجه عطف الثالث بالواو
على النداء الثاني وترك عطف النداء
الثاني على النداء الاول فلتخصيص ان ما دخل
عليه حرف النداء الثاني بيان لما دخل عليه
حرف النداء الاول فلذا لم يكرر العطف
لكمال الاتصال بينهما ولما كان ما دخله
عليه النداء الثالث مشاركا لما دخل
عليه النداء الثاني لكونه بيانا وتفسيرا
لما دخل عليه النداء الاول عطف
الثالث على الثاني بالواو تشريكا له
معه في ذلك
محمد

بحيث لا يكون تغير اليه فان قوله مالي ادعوكم الى النجاة ليس من جنس قوله اهدكم سبيل الرشاد من حيث ان مدخول
النداء الاول يدل على الملاطفة وابحاض النصح والشفقة ومدخول الثالث يدل على المغلظة والمخالفة بينه وبينهم
وانه محق وانهم مبطلون والوعيد بان مصيرهم الى النار قوله بدل او بيان يعني ان قوله تدعونني لاكفر بدل
من قوله تدعونني الى النار وفيه تعليل المضمون متبوعه لان الكفر علة لدخول النار قوله والدعاء كالهداية جواب
عما يقال ما بال فعل الدعاء حتى عدي اولا بالى وثانيا باللام واجاب عنه بان تعديته بكل واحدة منهما لغة شائعة
يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق وهداه له قوله والمراد نفي المعلوم وهو ربوبيته ما
يدعونه شريكا له تعالى كانه قيل واشرك به ما ليس شريكا له في الربوبية فهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه على
سبيل الكناية فان عدم العلم بربوبية الشريك من لوازم عدم كونه شريكا في الواقع وانما حمله على الكناية لان
عدم العلم بالشيء لا يكون سببا لانكار القوم في دعوتهم اياه الى الاشراك به تعالى فقوله تدعونني جملة فعلية لتدل
على ان دعوتهم باطلة لا ثبوت لها وانه بقوله وانا ادعوكم جملة اسمية لتدل على ثبوت دعوته وثبوتها قوله اي حقا
عدم دعوة الهتكم الى عبادتها الخ يعني ان مؤمن آل فرعون بعدما رد عليهم ما دعوه اليه من الكفر والاشراك
بقوله لا استدل على بطلان ربوبية الاصنام ويمكن تقريره بثلثة اوجه الاول ان تنكير دعوة في سياق النفي
يدل على ان الاصنام لا تدعو الخلق الى عبادة انفسها اصلا ومن حق المعبود بالحق ان يدعو الناس الى عبادته
بارسال الرسل وانزال الكتب وهذا الشان منتف عن الاصنام بالكلية لانها في الدنيا جمادات لا تستطيع شيئا
من دعاء غيرها وفي الآخرة اذا انشاها الله تعالى حيوانا ناطقا تبرأ من عبدتها والثاني ان الاصنام كيف
تكون اربابا وليس لاجلها دعوة مستجابة من قبل عبدتها فان العبدة وان كانوا يدعونها الالهة لكنها لا تجيب
داعيها حتى تثبت لاجلها دعوة مستجابة فلما لم تثبت لاجلها دعوة مستجابة قيل ليس لاجلهم دعوة
لان الداعي اذا دعا ولم يستجب له فكانه لم يدع فقوله ليس له دعوة بتنكير دعوة في سياق النفي
الدال على الاستغراق مبني على جعل الدعوة الغير المستجابة كلا دعوة وعلى تسمية المسبب وهو
الاستجابة باسم السبب الذي هو الدعاء حيث ذكر الدعوة واريد الاستجابة مجازا مرسلا لعلاقة
السببية والثالث كالثاني بحسب المعنى الا انه قدر المضاف في قوله ليس له دعوة اي ليس له استجابة
دعوة اصلا قوله وقيل جرم بمعنى كسب اي حصل لا رد لما دعوه اليه من الكفر والاشراك وقوله جرم
فعل بمعنى كسب وفاعله المستكن فيه راجع الى الدعاء الذي دل عليه تدعونني لاكفر بالله واشرك به
وان ان مع ما في حيزها مفعول جرم بمعنى كسب ومعنى كون دعائهم اياه الى الاشراك وعبادة الاصنام
كاسبا بطلان دعوة المدعو اليه كونه سببا لظهور بطلانها من حيث كونه داعيا الى النظر والاستدلال
على بطلان تلك الدعوة والعبادة كانه قيل انكم تزعمون ان دعاءكم الى الاشراك يبعثني على الاقبال
عليه وانه سبب للاعراض عنه وظهور بطلانه قوله وقيل فعل عطف على قوله على قوله جرم
فعل

فعل بمعنى حق فعلى هذا يكون جرم اسم لا مبنيا على الفتح لا فعلا ماضيا كما هو كذلك على الوجهين الاولين
قوله ويؤيده اي يؤيد كون جرم بالفتحات اسم لا قولهم لا جرم انه يفعل كذا بضم الجيم وسكون الراء
وجه التأييد ان جرم فيه اسم لا بلا شبهة وان فُعلا وفَعلا اخوان يجيئان بمعنى واحد كالرُشد
والرَشد والعدم وانهما لغتان بمعنى واحد كما ان معنى لا بد انك تفعل كذا لا بعد لك من فعله تكفر لكن معنى
لا جرم ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة لا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة ولا ينقطع
ذلك فينقلب حقا قوله لما بلغ مؤمن آل فرعون في باب النصيحة الى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال
فستذكرون ما اقول لكم عند معاينة العذاب حين لا ينفعكم الذكر وهو كلام مجمل في باب التخويف بعد تفصيل
وجوهه ولما خوفهم بقوله فستذكرون ما اقول لكم توعدوه وخوفوه بالقتل فعول في دفع مكرهم وكيدهم
على الله تعالى حيث قال وافوض امري الى الله كما رجع موسى اليه تعالى حين خوفه فرعون بالقتل فقال
اني عذت بربي وربكم من كل متكبر قال مقاتل لما قال المؤمن هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل
فطلبوه فلم يقدروا عليه فذلك قوله تعالى فوقيه الله سيئات ما مكروا وقال الضحاك ارادوا قتله
ففر الى الجبل فصعده فكان من يأتيه من جنود فرعون اكلته السباع او يرجع عنه فيقتله فرعون
وقيل انهم قتلوه مع السحرة فعلى هذا يكون ضمير فوقيه راجعا الى موسى قوله الغرق او القتل او
النار الاول على ان يكون المراد بآل فرعون نفس فرعون وقومه والثاني على ان يكون المراد به طلبة
المؤمن والثالث على ان يكون قوله النار خبر محذوف وهو ضمير سوء العذاب او بدلا منه فان كان
المراد بسوء العذاب الغرق او القتل يكون الاستيناف لبيان حالهم بعدما حاق بهم سوء العذاب
من الغرق او القتل وان كان المراد به النار يكون الاستيناف لبيان كيفية تعذيبهم المدلول عليه بقوله
وحاق بآل فرعون سوء العذاب وان كان قوله النار خبر مبتدأ محذوف يكون جملة هو النار ايضا استينافا
لبيان المراد بسوء العذاب ويكون قوله يعرضون استينافا آخر لبيان كيفية تعذيبهم بها قوله مثل
يصلون اي يدخلون من قولك صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وقوله يعرضون لكونه بمعنى يحرقون
يفسر هذا المضمر بمعنى انه يدل على اضماره فان احراقهم بالنار انما يكون بعد ادخالهم فيها كانه قيل يصلون
يعرضون عليها واستدل بهذه الآية على ثبوت عذاب القبر اذ ليس المراد بها انهم يعرضون عليها يوم
القيمة لقوله تعالى بعده يوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب ولا انهم يعرضون عليها في الدنيا
لان العرض المذكور فيها ما كان حاصلا في الدنيا فثبت ان هذا العرض انما حصل بعد الموت وقبل يوم
القيمة فدلت الآية على ثبوت عذاب القبر في حق آل فرعون واذا ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم اذ لا
قائل بالفصل وهذا العرض لارواحهم كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال ان ارواح آل فرعون في اجواف
طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين فيقال يا آل فرعون هذه داركم وهذا يؤذن بان العرض

ليس بمعنى التعذيب والاحراق بل بمعنى الاظهار والابراز وان الكلام على القلب كما في قولهم عرضت الناقة
على الحوض فان اصله عرضت الحوض على الناقة بسوقها اليه وابرادها اليه فكذا هنا اصل الكلام النار تعرض
تعرض عليهم اي على ارواحهم بان يساق الطير التي ارواحهم في اجوافها الى النار وعن مقاتل وقتادة و
السدي والكلبي رح تعرض روح كل كافر على النار غدوا وعشيا ما دامت الدنيا وعن نافع عن ابن
عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي
ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه
يوم القيمة رواه الشيخان في صحيحيهما قوله وذكر الوقتين يحتمل التخصيص لجواز ان يكتفي في القبر بتعذيبهم
بهذا النوع من العذاب في هذين الوقتين وفيما بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان ينفس عنهم او يعذبون بنوع
آخر من العذاب ويحتمل ان يكون ذكر الوقتين كناية عن الدوام كما في قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
فان قيل الغدو والعشي انما يحصلان في الدنيا واما في القبر فلا وجود لهما فكيف يمكن حمل الآية على عذاب
القبر اجيب بانه لم لا يجوز ان يقال عند حصول هذين الوقتين لاهل الدنيا تعرض عليهم النار في القبر قوله
فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا اشارة الى ان قوله تعالى ويوم تقوم معمول لفعل مضمر حكي به الجملة الامرية
التي هي قوله ادخلوا بهمزة وصل على انه امر من دخل يدخل وآل فرعون منادى بحذف حرف النداء فيه و
اشد العذاب مفعول به وقرئ بقطع الهمزة على انه امر للملائكة من ادخل يدخل وآل فرعون مفعوله الاول و
اشد العذاب ثاني مفعوليه قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد به الوان العذاب الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا
قوله ويحتمل عطفه على غدوا فلا يكون معمولا لاذكر بل يكون ظرفا لقوله يعرضون اي يعرضون على النار
في هذه الاوقات كلها وعلى تقدير كونه معمولا لاذكر يكون وجه اتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما ختم قصة
الفرعون عند قوله ويوم القيمة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب واخر الكلام في تلك القصة الى شرح
احوال النار ذكر الله تعالى عقيبها قصة المناظرات التي تجري بين الرؤساء والاتباع من اهل النار فقال
واذكر اذ يتحاجون الآية اي يتخاصمون ثم شرح خصومتهم وفصلها بقوله فيقول الضعفاء للرؤساء
هل تقدرون على ان تدفعوا عنا نصيبا من العذاب يقصدون بذلك توبيخ الرؤساء وايلام قلوبهم و المبالغة
في اظهار تحسرهم لانهم يعلمون ان الرؤساء لا يقدرون على تخفيف شيء من العذاب قوله او ذوي تبع
على ان يكون قوله تبعا مصدرا بمعنى الاتباع يقال تبع القوم تبعا اذا مشى خلفهم واخبار الضعفاء عن
انفسهم بانهم كانوا اتباعا للرؤساء مبني على اضمار المضاف او على انه من قبيل التوصيف بالمصدر
للمبالغة كما يقال رجل عدل بمعنى ذو عدل او عادل قوله ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون فان اغنى
قد يتعدى بنفسه فيقال اغناه الله وقد يتعدى بكلمة عن فيقال ما يغني عنك اي ما يجزئ عنك وما ينفعك
واذا عدي بعن لا يتعدى الى مفعول آخر بنفسه وقد عدي هاهنا الى لفظ نصيبا فذكر لانتصابه ثلثة او
جه

اوجه الاول انه مفعول لفعل مقدر دل عليه مغنون تقديره هل انتم دافعون عنا نصيبا والثاني ان يضمن مغنون
معنى دافعين حاملين والثالث ان ينتصب على المصدر كما انتصب شيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولا
دهم من الله شيئا فان شيئا فيه في موضع اغناء فلذلك نصيبا قوله ان النار يتعلق به وكل في قول الرؤساء انا كل
فيها مرفوع على الابتداء في قراءة العامة وفيها خبره والجملة خبر ان وكل وان كان لفظه نكرة الا انه جاز
الابتداء به لكونه معرفة من حيث المعنى لان التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اي كلنا فيها والمص اشار اليه بقوله
نحن وانتم وهذا كقوله تعالى في آل عمران قل ان الامر كله لله وقراءة ابي عمرو قوله فانه لا يعمل في الحال المتقدمة
يعني ان المستكن في الظرف معمول له فيكون قوله كلا حالا من المستكن فيه يستلزم ان يكون معمولا له ايضا لكان ان
ذا الحال معمول للظرف وان جاز ان يعمل في الظرف المتقدم في نحو قولهم كل يوم لك ثوب فان كل يوم معمول لقولهم
لك الا انه لا يجوز ان يعمل في الحال المتقدمة فان الظرف عامل معنوي والمعنى يعمل في الظرف المتقدم ولا يعمل في الحال
المتقدمة فلا يجوز ان يقال قائما في الدار زيد ويجوز ان يقال كل يوم لك ثوب قيل عليه قد اجاز الاخفش ان يعمل الظرف
في الحال المتقدمة اذا توسطت الحال نحو زيد قائما في الدار وزيد قائما عندك والآية من هذا القبيل لان كلا فيها
قد وقع بين المسند والمسند اليه الا ان يقال مراد المص بقوله ولا يجوز جعله حالا انه لا يجوز عند الجمهور ولما
اجاب الرؤساء اباهم بانا لو قدرنا على الاغناء لاغنينا انفسنا وبانه تعالى قد حكم بين العباد بما يستحقه كل احد
فلا معقب لحكمه اعرض الضعفاء عن المتبوعين والتجأوا الى خزنة جهنم وهم القوام بتعذيب اهلها طمعا في
التخفيف عنهم بدعائهم لهم قوله اوليا ان محلهم فيها اي محل الخزنة في النار على ان لا يكون النار وجهنم اسمين
لشيء واحد بل يكون جهنم اسما لموضع في النار هو اشد المواضع قعرا وبعدا فيها من قولهم بئر جهنام اي بعيدة
القعر يعاقب فيها اعظم اقسام الكفار عقوبة وخزنة ذلك يكون اعظم خزنة النار قدرا ودرجة عند الله تعالى
فلما عرفت الكفار ان الامر كذلك استغاثوا بهم من بين خزنة النار قوله اذ يحتمل ان يكون جهنم الخ من تتمة
قوله اوليا ان محلهم فيها جوابا لما يقال ان النار وجهنم اسمين لشيء واحد قوله قدر يوم اشارة الى
ان قوله يوما ظرف لقوله يخفف ومفعوله محذوف ومن العذاب بيان لذلك المحذوف اي يخفف عنا شيئا من
العذاب في مقدار يوم واحد من ايام الدنيا ثم اشار الى جواز ان يكون يوما مفعول يخفف بتقدير المضاف اي يخفف
عنا عذاب يوم لان نفس اليوم لا يخفف وانما يخفف ما فيه ومن العذاب بيان لذلك المقدار الذي سالوا ان يخفف
ذلك عنهم فاجابهم الخزنة موبخين اياهم على تركهم اجابة دعوة الرسل في الدنيا بقولهم اولم تك تاتيكم رسلكم
بالبينات اي كيف تدعون ربنا بما ذكرتم وقد تركتم اجابة دعوة الرسل بتصديقهم والايمان بهم بل كفرتم بهم
وكذبتم بالآيات قوله اذ لم يؤذن لنا في الدعاء لامثالكم اي لا تشفع الا بشرطين احدهما ان يكون المشفوع
له مؤمنا والثاني حصول الاذن في الشفاعة ولم يوجد شيء من هذين الشرطين وليس قولهم فادعوا
الرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة ثم صرحوا بانه لا اثر لدعائهم فقالوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال

او يكون مغنون يحتمل ان
مؤولا بكونه صفة عائد الى نصيبا ويكون
يكون ضميرا يكون بناء على انه اذا
من جملة خبر او المغنون بتضمين
كان مفعولا للمقدر
معنى فعل اخر مثل الدفع او المنع يكون
نصيبا حالا لذلك العامل حال

او يكون تبعيضية وان تكون معه
الظاهر ان من تبعيضية انهم سالوا ان يخفف
للابهام والمعنى
عنهم بعض العذاب في يوم ما لا في يوم
معين منه

اي عن الوصول الى اوج اجابة الله تعالى اياه وهذا على ان يكون قوله وما دعاء الكافرين اضافة المصدر الى
فاعله بمعنى وما دعاء الكافرين لانفسهم ويجوز ان يكون من اضافة المصدر مفعوله على معنى وما دعاء غير
هم لهم بتخفيف العذاب عنهم ثم انه تعالى لما بين ان الكفار لا ينصرون في الاخرة البتة ذكر ان النصرة في الدنيا والا
خرة لمن تكون فقال انا لننصر رسلنا والذين امنوا اي هم وصرفوهم عن تقدم وعد بان يتولى نصرة اهل الحق
من الرسول واتباعهم في الدنيا والاخرة ونصرتهم في الدنيا تكون من وجوه منها ان ينصرهم بالحجة والبرهان
فان اهل الزيغ حجتهم داحضة بخلاف حجة المحقين فانه يمتنع ان يتطرق اليها الخلل والفتور ابد الاباد وقد سمى
الله تعالى هذه النصرة سلطانا في غير موضع وهي اقوى من سلطنة الدنيا لانها تبطل وقد تتبدل بالفقر
بخلاف سلطنة الحجة ومنها ان ينصرهم بان يجعل الظفر والقهر والغلبة في المحاربة لهم على اعدائهم فانه
لم يروا كون الرسول مغلوبا في المحاربة وان اتفق ان يقع البعض من المحقين في نوع من انواع المكاره
من قبل اعدائهم كما وقع ليحيى وزكريا وبعض آخر من الانبياء عليهم الصلوة والسلام فانه تعالى قد انتقم
لهم من اعدائهم في الدنيا ولو بعد حين الا ترى ان يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون الفا على يد بخت نصر اهم
ومنها انهم منصورون بالمدح والتعظيم ايضا فان اعداءهم وان غلبوا عليهم في بعض الاحيان الا انهم لا
يقدرون على اسقاط مدحهم عن السنة الناس واسقاط تعظيمهم ومحبتهم عن قلوبهم فهم منصورون في الدنيا
باحد هذه الوجوه لا محالة وانهم منصورون في الاخرة ايضا باعلاء درجاتهم في مراتب الثواب وتعذيب
اعدائهم في دركات العقاب أنث قوله ويوم يقوم الاشهاد على قوله في الاخرة للايذان بان السلطان
العظيم اذا خص بعض اوليائه بالاكرام والتشريف بمحضر الاشهاد والجمع العظيم يكون ذلك الذ وابهج
بالنسبة الى اكرامه في الخلوة والمراد بالاشهاد كل من يشهد باعمال العباد يوم القيمة من الملائكة والانبياء
والمؤمنين اما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون بما شاهدوا واما الانبياء فانهم يحضرون يوم القيمة
ليشهدوا على الامم بالتصديق والتكذيب قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا واما المؤمنون فانهم يشهدون على الناس ايضا يوم القيمة قال تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ثم انه تعالى بين ان اكرام الاولياء
وتشريفهم يكون في يوم يحصل لاعدائهم فيه امور ثلثة الاول انه لا ينفعهم شيء من المعاذير البتة والثاني
ان لهم اللعنة وهذا يفيد انحصار اللعنة فيهم وهي الاهانة والاذلال والثالث اختصاصهم بسوء
الدار والمقصود من بيان ان كرامة الاولياء في زمان اهانة الاعداء تعظيم ثواب الاولياء لان الاشياء
تعرف باضدادها قوله وعدم نفع المعذرة اي جواب عما قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم يدل
على انهم يذكرون الاعذار الا انها لا تنفعهم فما وجه الجمع بين هذا وبين قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
وتقرير الجواب ان قوله تعالى لا ينفع الظالمين معذرتهم لا يدل الا على انه ليس عندهم عذر مقبول
نافع

نافع وصدق هذا لا يستلزم انهم يذكرون الاعذار ولكنها لا تنفعهم بل يصدق بان لا يعتذروا اصلا فان من
لم يعتذر يصدق ان يقال انه لم يعتذر بما ينفعه فلا منافاة بينهما ان كان سلب النفع لانتفاء اصل المعذرة
واما ان كان سلب النفع عنها مبنيا على انهم يذكرون الاعذار ولكنها لا تنفعهم لبطلانها فيحتاج في دفع
التناقض الى اعتبار تعدد الاوقات فان يوم القيمة يوم طويل فجاز ان يعتذروا في وقت بما لا ينفعهم
لبطلانه وان لا يعتذروا في اخر بان يمنعوا من الكلام وقال لهم اخسئوا ولا تكلمون ثم انه تعالى لما بين
انه ينصر الانبياء ومن آمن بهم في الدنيا والاخرة ذكر نوعا من انواع تلك النصرة في الدنيا فقال ولقد
اتينا موسى الهدى قوله وتركنا عليهم بعده اشارة الى ان قوله اورثنا مستعار لتركنا عليهم بعده
لتعذر حمله على اصل معناه لان الايراث الحقيقي انما يتعلق بالمال والنكتة في اختيار طريق التجوز الاشعار
بان ميراث الانبياء ليس الا العلم والكتاب الهادي في باب الدين قوله من ذلك اشارة الى الهدى خص
الكتاب بكونه متروكا لهم بعده لان سائر ما اهتدى به في امر الدين قد ارتفع بموته عليه الصلوة والسلام
قوله هداية وتذكرة يعني ان هدى وذكرى يجوز ان يكونا مفعولا لهما وان يكونا مصدرين بمعنى اسم الفاعل
اقيما موقع الحال وانتصبا على الحالية والفرق بين الهدى والذكرى ان الهدى ما يكون دليلا على شيء آخر
وليس من شرطه ان يذكر شيئا اخر كان معلوما ثم صار منسيا واما الذكرى فهو الذي يكون كذلك وكتب
الانبياء مشتملة على هذين القسمين فان بعضها دلائل في انفسها وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الالهية
المتقدمة قوله واستشهد بحال موسى اشارة الى ان قوله تعالى فاصبر مرتب على قوله انا لننصر رسلنا
وان قوله ولقد اتينا موسى الهدى كالجملة المعترضة اوردت بينهما للبيان والتاكيد لنصرة الرسل
كانه قيل اذا سمعت ما وعدت به من نصرة الرسل وما فعلناه بموسى من ايتائه اسباب الهدى والنصرة
على فرعون وقومه وابقاء اثاره في بني اسرائيل بعده فاعلم بان الله تعالى ناصرك كما نصرهم واصبر
على اذى المشركين فان العاقبة لك قوله وتدارك فرطاتك فيه ان المصدر في قوله تعالى واستغفر لذنبك
مضاف الى المفعول اي لذنب امتك في حقك والظاهر انه تعالى يقول له ما اراد ان يقول وان لم يجز لنا ان نضيف
اليه عليه الصلوة والسلام ذنبا وقيل هذا تعبد من الله تعالى لرسوله ليزيده به درجة وليصير ذلك سنة من بعده
قوله ودم على التسبيح والتحميد لربك اشارة الى ان المقصود من ذكر العشي والابكار الدلالة على المدا
ومة عليهما في جميع الاوقات بناء على ان الابكار عبارة عن اول النهار الى نصفه والعشي عبارة عن
نصف النهار الى اول النهار من اليوم الثاني فيدخل فيهما كل الاوقات وقيل المراد بهما طرفا النهار كما قال تعالى
اقم الصلوة طرفي النهار وكثيرا ما يذكر طرفا الشيء ويراد كله قوله بل هو المسيح بن داود يعنون به الدجال
فان اليهود قالوا في صدد انكارهم لنبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انه يخرج صاحبنا الدجال ويبلغ
سلطانه البر والبحر وهو آية من ايات الله تعالى فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان

اللام فيه للاستغراق فلذلك
تشتمل جميع ما انزله الله تعالى من باب
الدين من المعجزات والصحف
والشرائع منه

بجلوا اشتمالهم فالاية وان نزلت فيهم او في مشركي مكة الا ان العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب
فلذلك قال المص الذين يجادلون عام في كل مجادل مبطل سواء كان من اليهود او من مشركي مكة او
غيرهما فهو تعالى لما ابتدا بالرد على الذين يجادلون في ايات الله واتصل الكلام بعضه ببعض على الترتيب
المتقدم الى هنا نبه الله تعالى على الداعية التي دعتهم الى تلك المجادلة فقال ان الذين يجادلون الاية اي ما
يحملهم على هذه المجادلة الباطلة الا الكبر الذي في صدورهم لعلمهم في قلوبهم عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع
القلب لمكنه به عنه وفسر الكبر اولا بالتكبر عن الحق والتعظم عن تعلمه والتفكر فيه وفسره ثانيا بارادة
التقدم والرياسة على النبي والمؤمنين وان لا يكون احد فوقهم فلذلك عادوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم و
دفعوا اياته خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت يده وامره ونهيه لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة وفسره
ثالثا بارادة ان تكون لهم النبوة دونه حسدا وبغيا يدل عليه قوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم
الله من فضله وقوله لو كان خيرا ما سبقونا اليه واعتبرت الارادة في هذين الوجهين لان نفس الرياسة
والنبوة ليستا في قلوبهم قوله ببالغي دفع الايات على ان يكون ضمير بالغيه راجعا الى الكبر بمعنى التكبر والتعظم
من الانقياد للحق بتقدير المضاف اي ما هم ببالغي مقتضى كبرهم وهو دفع الايات فانه انتشر انوارها في
الافاق واعلى قدرك وانفذ امرك ونهيك بين العباد قوله او المراد مبني على ان يكون الكبر بمعنى
ارادة الرياسة او ارادة الاختصاص بالنبوة فيكون لكل واحد منهما مراد قوله فالتجئ اليه اي في السلامة
من كيد من يحسدك ويتكبر عن متابعتك قوله وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد لانه
وذلك في كونه معظم ما يجب الاعتقاد به فان اول ما يجب على المكلف بعد الاعتقاد بوحدانية الله تعالى و
بالرسالة ان يعتقد بحقيقة البعث والجزاء فان الاعتقاد بها هو الذي يحمل المكلف على رعاية احكام
الشرع وان المجادلة فيها اصل المجادلة في كل شيء ومدارها فان من اعترف بالبعث والحساب تبرك
المجادلة في ايات الله تعالى رأسا ويجتهد في رعاية جميع ما جاء الشارع من الاحكام فعلى هذا الكون قوله
اشكل اسم تفضيل من الشكل بمعنى المثل ويكون الباء في قوله بامر التوحيد صلة اشكل ولم توجد كلمة الباء في
اكثر النسخ فيبقى امر التوحيد منصوبا بنزع الخافض في الصحاح الشكل بالفتح المثل والجمع اشكال يقال
هذا اشكل بكذا اي اشبه به ومقصود المص الاشارة الى وجه اتصال قوله تعالى لخلق السموات والارض الاية
بقوله ان الذين يجادلون في ايات الله الاية فان امر البعث كان مما يجادلون فيه وينكرونه بل هو اعظم مجادلتهم
في كل ما يجادلون فيه واشبه بامر التوحيد من بين جميع ما يجادلون فيه فلا جرم احتج الله تعالى على
حقيته بانكم تعترفون بان خالق السموات والارض هو الله تعالى وبانها خلق عظيم لا يقدر قدره وان خلق
الانسان بالقياس اليه شيء قليل مهين لا سيما خلقه على وجه الاعادة فمن قدر على خلقها مع عظمها كيف
يعجز عن خلق ما هو احقر منه واهون وهذا الاحتجاج ابلغ من الاستشهاد بخلق مثله لان الاستدلال
با

بالشيء على غيره على ثلثة اوجه الاول ان يقال من قدر على الاضعف وجب ان يقدر على الاقوى وهذا
فاسد والثاني ان يقال من قدر على شيء وجب ان يقدر على مثله وهو استدلال صحيح لما تقرر من ان حكم
الشيء حكم مثله والثالث ان يقال من قدر على الاعظم الاقوى وجب ان يقدر على الارذل الاضعف بالاو
لوية وهذا الاستدلال في غاية الصحة والقوة ولا يرتاب فيه عاقل البتة قوله الغافل والمستبصر يعني ان
المراد بالاعمى من عمي قلبه عن رؤية الايات والاستدلال بها وبالبصير من ابصرها واستدل بها وهو احتجاج
آخر على حقية البعث والجزاء واشار اليه المص بقوله فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت قوله
وزيادة لا في المسيء اراد بزيادتها مجرد ذكرها لا ذكرها خاليا عن المعنى سيشهد عليه قوله لان المقصود
الى اعلم ان الاخفش ذهب الى ان كلمة لا الواقعة بين فاعل فعل الاستواء زائدة اينما وقعت واستدل
عليه بان الاستواء مثبتا كان او منفيا لا يكون الا بين اثنين او اكثر ومن ثمه لزم العطف على فاعله او
اسناده الى الضمير المثنى او الجمع ولا يصح اسناده الى كل واحد من المتقابلين بانفراده لاتنحال فيه
وحده فلو قيل لا يستوي زيد ولا عمرو وجب ان تجعل لا زائدة وذهب الجمهور الى انها ليست بزائدة
بل تؤتى بها لتفيد نفي مساواة كل واحد من المتقابلين للآخر فيما يخصه من المعاني والاوصاف فالمعنى
في الاية نفي مساواة المحسن للمسيء فيما يستحقه من الحقارة والهوان ونفي مساواة المسيء للمحسن
فيما له من الفضل والكرامة كانه قيل وما يستوي المؤمن الذي عمل صالحا والمسيء ولا المسيء والمؤمن
قوله والعاطف الثاني وهو ما في قوله والذين فانه ثان بالنسبة الى ما في قوله والبصير يعني ان البصير
عطف على الاعمى عطف فرد على فرد وفي نفي استوائهما اولا ثم عطف مجموع الموصول وما عطف عليه
فرد على فرد على مجموع الاعمى والبصير عطف شفع على شفع فافاد انهما لا يستويان ايضا لان المجموع الاول
بحسب الوصف وان اتحد بحسب الذات فان مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المحسن والمسيء الا انهما
متغايران بحسب الوصف فان الطائفتين اللتين نفيت المساواة بينهما عبر عنهما اولا بالاعمى و
البصير وثانيا بالمؤمن العابد والمسيء ولا تغاير بينهما الا بحسب الوصف بناء على ان المقصود
بالوصفين الاولين مغاير لما قصد بالوصفين الاخرين قوله او الدلالة بالصراحة والتمثيل هذا على
ان يكون المقصود بما ذكر من الوصفين اولا عين ما ذكر منهما ثانيا بان يكون الاعمى مثلا للمسيء والبصير
مثلا للمؤمن العابد فح لا يكون بين الشفعين فرق الا ان يدل احدهما على الوصف المقصود صريحا والآخر
تمثيلا فان الشفع الثاني في وان اتحد بالشفع الاول بحسب الذات وجنس ما قصد بهما من الوصفين الا
ان احدهما دل على الوصف المقصود صريحا والآخر تمثيلا قوله تذكرا ما قليلا تتذكرون يعني ان قليلا صفة
لمصدر محذوف لتتذكرون وما لتاكيد معنى القلة والمعنى انهم وان كانوا يعلمون ان التبصر خير من الغفلة
ولا يستويان وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد الا انهم يتذكرونه تذكرا قليلا والمراد لا يتذكرونه

قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما في البعث منها الحكمة
او لانه لا بد من جزاء المحسن والمسيء او
لانهم ذكرهم الا يحكي الا عنه ملا

اصلا فانه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه مثل ان يقال فلان قليل الحياء اي لا حياء له قوله والضمير اخير
يتذكرون ان قرئ بياء الغيبة فللناس المدلول عليه بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون فان اكثرهم يتذكرون
البعث والحساب فلا يتذكرون عدم استواء المحسن والمسيء او للناس المدلول عليهم بقوله ان الذين يجادلون في
ايات الله ووجه القراءة بتاء الخطاب اما تغليب المخاطبين فيكون التوبيخ اشمل حيث يتناول غير الذين اخبر
عنهم ان الذين يجادلون واما الالتفات الى المذكورين بعد الاخبار عنهم واما كونه مقولا لقول مضمر اي قل
لهم قليلا ما تتذكرون قيل التغليب وان كان اعم واشمل لكنه غير مناسب للمقام بخلاف الالتفات فانه
اتم فائدة وانسب للمقام لان العدول من الغيبة الى الخطاب في مقام التوبيخ يدل على العنف الشديد والا
نكار البليغ قوله لوضوح الدلالة على جوازها علة لانتفاء الريب في مجيئها فان ما قام الدليل الواضح على
امكانه وجواز وقوعه اذا اخبر الرسل المصدقين بالمعجزات على الاخبار بوقوعه يكون وقوعه مقطوعا
به بلا ريب ومن جملة دلائل جوازها ما ذكر انفا بقوله لخلق السموات والارض وما ذكر بعد من قوله وما يستوي
الاعمى والبصير يدل على ان الحكمة تقتضي وقوعها فهو بعد لما استدل على جواز وقوعها بين اقتضاء الحكمة بوقوعها
وذكر بعدها انها آتية لا محالة ثم امرنا بعبادته ووعدنا الاثابة في مقابلتها فقال ادعوني استجب لكم فانه لما
كانت الحكمة في وقوعها مجازاة كل واحد من المحسن والمسيء عمله امرنا باحسان العمل ليحسن جزاؤنا وبين
ان جزاء المستكبرين عن عبادته اسوأ الجزاء واختلف الناس في المراد بقوله ادعوني فقيل انه امر بالسؤال
والتضرع فيكون الاستجابة ايضا محمولة على ظاهرها وقيل انه امر بالعبادة واستدل عليه بقوله تعالى بعده
ان الذين يستكبرون عن عبادتي فانه لولا ان المراد بالدعاء مطلق العبادة لكان المناسب ان يقال
بعده ان الذين يستكبرون عن دعائي ومسئلتي ولما اردفه بقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي
علم ان المراد بالدعاء العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء عبر عن الاثابة بالاستجابة رعاية للتشاكل و
يدل على صحة هذا التفسير ما روي عن النعمان بن بشير رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه ان الدعاء
هو العبادة ثم قرأ هذه الاية ومن حمل كل واحد من الدعاء والاستجابة على ظاهره ورد عليه ان يقال
كيف تحمله عليه وقد قال بعده ان الذين يستكبرون عن عبادتي وكان الظاهر ح ان يقال ان الذين يستكبرون
عن دعائي فاشار المص الى جوابه بقوله وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته
اي منزلة الاستكبار الصارف عن العبادة ومتحدا به ادعاء للمبالغة في استلزام كل واحد منهما الآخر
فان من استكبر عن مسئلة الاحسان من الكريم المنان يستكبر عن عبادته وطاعته ايضا ومن
استكبر عن طاعته يستكبر عن مسئلة فضله واحسانه فصح بذلك تنزيل كل واحد منهما منزلة الاخر وايراده
بدله واجاب عنه ثانيا بجواز ان يكون المراد بالعبادة في قوله يستكبرون عن عبادتي هو الدعاء ويعبر
عن الدعاء بالعبادة ليعلم ان الدعاء باب من ابوابها كما ورد في الحديث ان الدعاء مخ العبادة فان الدعاء

هو

هو الخضوع للبارئ مع اظهار الافتقار والاستكانة وهو المقصود من العبادة والعمدة فيها وعن ابن
عباس رض قال افضل العبادة الدعاء لما حث الله تعالى عباده على عبادته ذكر دلائل دالة على وجوده
وكمال قدرته ووفور رحمته وبالغ حكمته ليكون ذلك ادعى لهم الى عبادته ودلائل وجوده تعالى وقدرته اما
فلكية او عنصرية فبدأ بايراد الدلائل الفلكية فقال الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه الاية وهي كالتعليل
للامر بالدعاء كانه قيل اني انعمت عليكم بهذه النعم الجليلة قبل ان تسألوها ومن هذا شانه كيف لا يستحق
العبادة وكيف لا يستجيب دعاء عبده فيما سأله قوله ليؤدي الى ضعف المحركات وهدوء الحواس لف ونشر
فان الليل لكونه باردا رطبا تضعف فيه القوى المحركة ولكونه مظلما يؤدي الى سكون الحواس فيستريح النفس
والقوى والحواس بعلة اشتغالها واعمالها قوله يبصر فيه او به تصريح بان النهار ظرف الابصار او سببه وليس
فاعلا له ليظهر ان اسناد الابصار اليه مجاز مبني على الملابسة من جهة الظرفية او السببية والوجه في دلالة هذا
الاسناد المجازي على المبالغة في اتصاف الفاعل الحقيقي للابصار به انه لو قيل وجعل لكم النهار لتبصروا فيه
او به لم يفهم الا كون النهار ظرفا للابصار او سببا له وجعل نفس النهار مبصرا فهم ان النهار لكمال سببيته
للابصار لكثرة اثار القوة الباصرة فيه جعل كانه هو المبصر فان فعل الفاعل الحقيقي اذا اسند الى وقته مثلا ان
يقال صام نهاره او نهاره صائم يفهم انه لكثرة صومه في النهار وقوة ملازمته للصوم فيه صح ان يوصف نهاره
بكونه صائما وكذا الابصار قوله ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال جواب عما يقال حق المقابلة يقتضي
ان يقال والنهار لتبصروا على وفق قوله لتسكنوا ولم يقل هكذا بل قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وتقرير
الجواب انه عدل عن مقتضى الظاهر للدلالة على المبالغة المفهومة من الاسناد المجازي قوله لا يوازيه
فضل يعني ان تنكير الفضل للتعظيم ولو قيل لمفضل لدل تنكيره على تعظيم ذات المفضل ولا يعلم صريحا ان
عظمته من حيث عظم افضاله او لعظم غيره قوله لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم اي رفعة شأنها و
علو قدرها في الصحاح الوقع بالتسكين المكان المرتفع علل ترك الشكر بامرين احدهما الجهل بالمنعم فان
اعتقد ان هذه النعم ليست من الله تعالى كيف يشكر كالدهرية مثلا فانهم يزعمون ان الافلاك واجبة الوجود
لذواتها وواجبة الدوران المستدعي لاختلاف اوضاعها واوضاع ما فيها من الكواكب وان النعم الحاصلة
في العالم السفلي مستندة اليها ومع هذا الاعتقاد كيف يشكرون المنعم الحقيقي وثانيهما ان يعتقد الرجل ان
كل العالم من الله تعالى حاصل بتخليقه وتكوينه الا انه لاستغراقه في نعم الله تعالى وورودها عليه في كل لحظة
وآن وعدم ذوقه الم فقدانها قد نسي قدرها ويغفل عن كونها نعمة جليلة فيترك شكرها لذلك ثم اذا ابتلي
بفقدان شيء منها يعرف قدرها مثل ان يتفق لبعض الناس والعياذ بالله تعالى ان يحبسه بعض الظلمة
في بئر عميق مظلم مدة مديدة فانه ح يعرف قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء قوله وتكرير الناس
لتخصيص الكفران بهم يعني ان المقام مقام الاضمار لتقدم ذكر الناس الا انه وضع الظاهر موضع الضمير ليعلم

الهدء والمصدر هدوءا يهدأ اذا سكن منه

يحكى عن بعض الملوك انه كان يعذب بعض خدمه بان يامر خواصه بمنعه عن النوم وعن الاستناد الى الجدار منه

اختصاص كفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه فان وضع المظهر المعرف
باللام موضع المضمر يفيد اختصاص الحكم به لانه من باب الله يستهزئ بهم والله يبسط الرزق لمن يشاء فان
مثل هذا الاسلوب لو لم يحمل على الاختصاص لكان تخصيص الاسم الظاهر بالذكر وتعريفه باللام في مقام
الاضمار خاليا عن الفائدة ولا يجوز اخلاء كلام البليغ عنها قوله اخبار مترادفة يعني ان اسم الاشارة
مبتدأ وما بعده من الالفاظ الاربعة اخبار له اشار الى المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه
فيها احد غيره واخبر عنه انه الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانه لا ثاني له
وكل واحد من هذه الاوصاف مخصص سابقه ومقرره والوقوع على كل شيء لازم لئلا يلتبس ما بعده بصفة
الشيء ولما قرر ما يدل على وجود الاله الموصوف بالصفات المذكورة قال فانى تؤفكون اي فبعد هذا
البيان الواضح كيف صح لكم ان تصرفوا عن توحيده وعبادته الى عبادة غيره ثم بين ان هذه الضلالة
ليست مختصة بهم بل هي ثابتة في كل من يجحد بايات الله تعالى ولم يتأملها ولم يستدل بها على ما هو الحق في باب
الاعتقاد والعمل وتقاعد عن طلب الحق وخوف العاقبة فانهم جميعا افكوا عن الحق وصرفوا عن التحلي به
مجازاة لجحودهم بالايات وتكذيبهم اياها وتركهم الاستدلال بها وفسر قوله تعالى يؤفك الذين بقوله افك عن
الحق اشارة الى ان لفظ المضارع في الاية الكريمة بمعنى الماضي عدل اليه لحكاية الحال الماضية واستحضارها
اي انهم جميعا افكوا افكا مثل افك قومك ثم زاد في البيان وتقرير دلائل وحدته فقال الله الذي جعل لكم الارض
قرارا اي ذات قرار تستقرون فيها والقرار في المكان الاستقرار فيه يقال قررت بالمكان بكسر العين
اقر قرارا قال ابن عباس رض قرارا منزلا في حال الحيوة وبعد الممات وقيل سكن الارض وجعلها مستقرة
ليمكن التصرف عليها والسماء بناء اي قبة مبنية مرفوعة فوقكم لمصالحكم وهو الحكم لان السماء في نظر العين
كقبة مضروبة على فضاء الارض والدلائل المذكورة الى هنا من دلائل الافاق وهي كل ما هو غير الانسان
من كل هذا العالم ثم ذكر من دلائل الانفس قوله وصوركم فاحسن صوركم استدل اولا بحدوث صورة الا
الانسان وثانيا بحسن صورته وثالثا بانه رزقه من الطيبات فالمذكور هنا خمس دلائل اثنان منها من دلائل
الافاق وثلثة من دلائل الانفس قوله والتخطيطات اراد بها ما بين كل عضوين من الخطوط وهي الارض
التي لم تمطر بين ارضين ممطورتين والبركة النماء والزيادة وتبارك الله اي بارك مثل قاتل وتقاتل
الا ان قاتل يتعدى وتفاعل لا يتعدى كذا في الصحاح قال الامام وتفسير تبارك اما الدوام والثبات
واما كثرة الخيرات وقال النسفي اي جل الله ودامت بركاته وتتابعت خيراته ويستعمل تبارك في موضع
تعالى لما اخبر الله تعالى بان الذي فعل بكم كل ذلك الله ربكم فرع عليه قوله فتبارك الله رب العالمين اي تعالى و
وتعظم عن ان يكون له شريك في العبادة اذ لا شريك له في شيء من تلك النعم قوله المنفرد بالحيوة الذاتية
اي لا حي كذلك الا هو والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة الاسمية مثل صديقي زيد وفسر الدعاء بالعبادة
بقرينة

بقرينة قوله مخلصين له الدين لان الدين هو الطاعة قوله قائلين له يعني ان قوله الحمد لله رب العالمين مقول
قول مقدر في موضع الحال من فاعل فادعوه مكونه داخلا في حيز الامر فيدل له ويؤيد هذا التفسير ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنه انه قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله تعالى فادعوه مخلصين
له الدين الحمد لله رب العالمين قوله فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها جواب عما يقال لما كان عليه الصلوة
والسلام منهيا عن عبادة غير الله ابدا بالدلائل العقلية القائمة قبل مجيء البينات وهي الدلائل المتقدمة الدالة
على ان اله العالم من ثبت له صفات العظمة والجلال ومن دبر في ملكه بما ذكر من الافعال فما وجه قوله نهيت
ان اعبد غيره تعالى لما جاءني البينات وتقرير الجواب ان بداهة العقل وان كانت شاهدة على ان عبادة الممكن
العاجز في حد ذاته عن ان ينفع او يضر احدا بوجه من وجوه النفع والضر قبيحة منكرة الا ان الادلة السمعية
لما جاءت مقوية لادلة العقل صح توقيت النهي عنها بوقت مجيء الادلة السمعية بمعنى اني نهيت نهيا مؤكدا
عن عبادة غيره تعالى وقت مجيئها بان ادلة الشرع منبهة على الادلة العقلية من حيث كونها متضمنة
لادلة العقل كقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكانه قيل نهيت ان اعبد ما تعبدونه
وقت مجيء البينات المتناولة لادلة العقل والسمع جميعا وكونه منهيا عنها قبل ورود الشرع بمجرد
ادلة العقل لا ينافي توقيت النهي بمجيء الادلة المتناصرة المتعاضدة فان مجيئها اقوى وابلغ في ابطال طريق
اهل الشرك وهذا السوال والجواب لا يتاتى على مذهب اهل السنة اذ لا نهي ولا وجوب عندهم الا بعد
ورود الشرع الا ان المص اجاب عنه بطريق التسليم ثم انه لما بين انه نهي عن عبادة غير الله بين انه امر
بعبادة الله تعالى فقال وامرت ان اسلم لرب العالمين اي ان انقاد واخلص له ديني الاول على ان يكون قوله
اسلم من قولهم اسلم امره الى الله تعالى اي سلم وذلك انما يكون بالرضاء والانقياد لحكمه والثاني على ان يكون من قولهم
اسلمت له الشيء اذا جعلته سالما خالصا له وعلى التقديرين يكون مفعول اسلم محذوفا قال اي ان اسلم امري
له او ان اسلم واخلص توحيدي وطاعتي له ثم انه تعالى لما استدل على ثبوت الاله القادر العليم باربع من دلائل
الافاق وهي الليل والنهار والارض والسماء وبثلث من دلائل الانفس وهي تحصيل التصوير وحسن الصورة و
رزق الطيبات ذكر من دلائل الانفس كيفية تكون البدن من ابتداء كونه نطفة وجنينا الى اخر الشيخوخة
والموت فقال هو الذي خلقكم من تراب الاية قيل المخلوق من التراب هو آدم عليه الصلوة والسلام وحكم
بكون المخاطبين من اولاده مخلوقين من التراب ايضا لكونهم مخلوقين منه بواسطة خلق ابيهم منه وقيل لا حاجة
في صحة الحكم بكون كل فرد من افراد الانسان متكونا من التراب الى ذلك بناء على ان كل انسان مخلوق من المني و
المني مخلوق من الدم والدم انما يتكون من الاغذية والاغذية اما حيوانية او نباتية والاغذية الحيوانية لا بد ان
تنتهي الى النباتية والا لزم ان تتسلسل الحيوانات الى غير النهاية والنبات انما يتولد من الماء والتراب فثبت
بذلك ان كل انسان متكون من التراب الذي يصير نباتا ثم نطفة ثم علقة الى آخر الاطوار التي ينفصل الولد بعدها

من بطن امه الا انه تعالى ترك ذكر تلك الاطوار هنا لاجل انه تعالى ذكرها في سائر
الايات واعلم انه تعالى رتب عمر الانسان على ثلث مراتب اولها مرتبة الطفولية وثانيها مرتبة بلوغ الاشد وثالثها
مرتبة الشيخوخة وهذا الترتيب مطابق لمقتضى العقل وذلك لان الانسان في اول عمره يكون في التزايد والنماء
الى ان يبلغ الى حد يقف عنده عن التزايد وذلك السن يسمى سن الطفولية والمرتبة الثانية ان يبلغ الى حد
الكمال والوقوف عن النماء من غير ان يحصل فيه نوع من انواع الضعف والانحطاط وهذه المرتبة هي التي عبر
عنها بقوله ثم لتبلغوا اشدكم والمرتبة الثالثة ان يتراجع ويظهر فيه اثر من اثار الضعف والانحطاط وعبر عن
هذه المرتبة بقوله ثم لتكونوا شيوخا والمعنى ان اخرجكم اطفالا لتبقوا ويربيكم لتبلغوا اشدكم ثم يبقيكم ويربيكم
لتكونوا شيوخا او لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا ولما استدل بهذه التغيرات على وجود الاله القادر قال
بعده هو الذي يحيي ويميت اي كما ان ذلك التغيرات يدل على وجوده فكذلك الانتقال من الحيوة الى الموت وبالعكس
يدل عليه ايضا قوله فاذا اراده اي اراد تكوينه يعني ان القضاء بمعنى التقدير عبر به عن لازمه الذي هو ارادة
تكوينه كانه قيل اذا قدر شيئا واراد كونه تكونه سريعا من غير توقف على العدد والمواد قوله نتيجة ما سبق من
افعاله المذكورة بقوله هو الذي جعل لكم الليل الى هنا فكانه قيل فمن هذه افعاله علم انه لا يعجز على شيء ولا
يتوقف وجود اثاره الا على تعلق ارادته بوجودها لكمال قدرته ونفاذ مشيته وان قوله فلا يحتاج في
تكوينه الى عدة وتجشم كلفة الى ان المراد بتكوينه الاشياء بكلمة كن سرعة تكوينه اياها من غير ان يحتاج
فيه الى مدة ومادة واستعمال آلة فعينه قال الفاضل التفتازاني في التلويح ذهب اكثر المفسرين الى ان
هذا الكلام مجاز عن سرعة الايجاد وسهولته على الله تعالى وكمال قدرته على المقدورات تمثيلا للغائب
ان تاثير قدرته تعالى في المراد بان يؤمر المطاع للمطيع في حصول المامور به من غير امتناع وتوقف
ولا افتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة وليس هنا قول ولا كلام وانما وجود الاشياء بالخلق والتكوين مقرونا
بالعلم والقدرة والارادة ثم قال وذهب بعضهم الى انه حقيقة وانه تعالى قد اجرى سنته في تكوين الاشياء
على ان يكونها بهذه الكلمة وان لم يمتنع ان يكونها بدونها ومعنى قوله كن فيكون ان يقول له احدث فيحدث عقيب
هذا القول لكن المراد به الكلام الازلي القائم بذات الله تعالى لا الكلام اللفظي المركب من الحروف والاصوات
لانه حادث فيحتاج الى خطاب آخر فيتسلسل لانه يستحيل قيام الصوت والحرف بذاته تعالى ولما لم يتوقف
خطاب التكوين على الفهم واشتمل على اعظم الفوائد وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم بل خطاب التكليف
ايضا ازلي فلا بد ان يتعلق بالمعدوم على معنى ان الشخص الذي سيوجد مامور بذلك وبعضهم على ان
الخطاب الازلي لا يسمى خطابا حقيقة يحتاج الى المخاطب انتهى ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون في ايات الله
بالانكار والتكذيب ثم تعجب منهم بقوله انى يصرفون عن التصديق بها وهذا كما يقول الرجل لمن لا يسمع
نصحه الى اين يذهب بك تعجبا من غفلته قوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب يجوز ان يكون بدلا من الموصول
قوله

قال الزجاج في الم تر كلمة توقف بها المخاطب
على امر يعجب منه فاذا قيل الم تر الى فلان
ما فعل فكانه قيل انتبه لهذا الحال عما بلغت
ونعجب منه فانظر اليه وتعجب منه

وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق كما ان صيغة المضارع فيه للدلالة على تجدد
في الصلة الاولى للدلالة على تكررها
الحكاية

قبله او بيانا له او نعتا او خبر مبتدا محذوف او منصوبا على الذم وعلى هذه الاوجه يكون قوله فسوف يعلمون
جملة مستانفة مسوقة للتهديد ويجوز ان يكون مبتدا خبره قوله فسوف يعلمون والفاء فيه لتضمن المبتدأ معنى
الشرط قوله من ساير الكتب على ان يفسر الكتاب بالقران وما بعده على ان يفسر بجنس الكتب ففيه صنعة اللف
والنشر اذ المعنى على الاستقبال جواب عما يقال ان اذ للماضي فكيف يكون ظرفا ليعلمون وهو متوجه الى الا
ستقبال فما هو الا مثل قولك سوف اصوم امس وتقرير الجواب ان اذ هنا بمعنى اذا بشهادة عامله والامور المستقبلة
اذا كانت متيقنة الوقوع تنزل منزلة ما قد وجد وانقضى فيعبر عنها بلفظ الماضي للتنبيه على كونها محققة الوقوع
قوله وهو على الاول اي قوله يسحبون على تقدير ان يكون قوله الاغلال مبتدا والسلاسل معطوفا على الاغلال
ويكون قوله في اعناقهم خبرا عنهما يكون حالا من الضمير المجرور في اعناقهم على معنى ان الاغلال والسلاسل ايضا
كان الى اعناقهم حال كونهم مسحوبين اي مجرورين يجرهم خزنة جهنم في الحميم وهو الماء الذي تناهى حره والسحب
الجر بعنف ومنه السحاب لان الريح يجره ويقال سحب ذيله اي جره ومن قرأ والسلاسل منصوبا جعله
مفعولا لمقدم يسحبون المبني للفاعل وجعل تقدير الكلام اذ الاغلال في اعناقهم ويسحبون السلاسل ومن قرأ
مجرورا عطفه على الاغلال اعتبار المعنى الكلام فان المعنى اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل ويسحبون في هذه
القراءة على بناء المفعول قوله او اضمار الباء عطف على قوله حملا على المعنى فيكون جملة وبالسلاسل يسحبون
في موضع الجر عطفا على الجملة الاسمية التي اضيف اليها اذ قوله يسجرون من قبيل تغيير اللفظ بلازم معناه
فان يسجرون معناه يملأون نارا بان يكون اجوافهم مملوة بها فان من كان في النار وكانت هي محيطة بهم
وصارت اجوافهم مملوة بها لزمهم ان يحترقوا بها على ابلغ الوجوه وافظعها والعياذ بالله تعالى قوله والمراد ان
من قوله تعالى اذ الاغلال الى هنا بيان كيفية عقابهم حيث بين انه يكون في اعناقهم اغلال وسلاسل ثم
بين انهم يسحبون بتلك السلاسل في الحميم المسخن بنار جهنم ثم بين انهم يملأون بها كائنين فيها ثم يقال لهم
على سبيل التوبيخ والتقريع اين ما كنتم تشركون من دون الله رجاء شفاعتها ادعوهم ليغيثوكم ويشفعوا لكم وهو
نوع اخر من تعذيبهم قوله وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم جواب عما يقال كيف يقولون انهم ضلوا عنا وهم
مقرونون مع الهتهم كما يدل عليه قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قوله غابوا عنا اي
عن اعيننا وان كانوا امامنا اي عبر بها لكن في انفسهم على ان يكون قولهم ضلوا عنا من قول العرب
ضللت المسجد والدار اذا لم يعرف موضعها وكذلك كل شيء هايم اي يتحير لك لكنك لا تهتدي اليه وقوله
او ضاعوا عنا على ان يكون من ضل بمعنى ضاع وهلك تنزيلا لوجودهم منزلة الضائع والهالك لفقدهم
النفع الذي يتوقعونه منهم وان كانوا مع المشركين في جميع الاوقات قوله مثل هذا الضلال وهو ضلال الهتهم
عنهم بمعنى غيبة الالهة عن نظرهم او بمعنى ضياع الالهة عنهم بفقدان ما يتوقعه العبدة منهم وضلال
الكافرين الذي شبه بهذا الضلال اما ضلالهم في الدنيا عما ينفعهم في الاخرة من العقايد والاعمال وعدم

اهتدائهم اليه اصلا واما ضلالهم عن الهتهم بحيث لو طلبوا الالهة او طلبتهم الالهة لم يتصادفوا او لم يجد احد منهم الآخر وقوله تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون الخ يؤيد الاحتمال الاول فان الظاهر ان قوله ذلكم اشارة الى اضلال الله تعالى اياهم وان ما ذكر بعده بيان لسببه ولا يخفى ان كونه سببا لضلالهم في الدعاء عما ينفعهم في الاخرة اظهر من كونه سببا لضلالهم عن الهتهم فان فرحهم واختيالهم بالاباطيل التي كانوا يشتغلون بها في الدنيا يكون سببا لاضلال الله اياهم عما ينفعهم في الاخرة وعدم توفيقه اياهم لذلك ولا يظهر كونه سببا لاضلاله تعالى اياهم عن الهتهم وجعل ذلكم اشارة الى العذاب بقوله اذ الاغلال في اعناقهم لا يخلو عن بعد فيكون المعنى ذلكم العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون والباء في قوله تعالى بما كنتم للسببية وفي قوله بغير الحق صلة الفرح والمرح شدة الفرح والنشاط وقوله تفرحون وتمرحون من باب التجنيس المحرف وهو ان يقع الفرق بين اللفظين بحرف واحد قوله الابواب السبعة مأخوذ من قوله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم قوله وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ليناسب عجز الكلام صدره فانه مصدر بلفظ ادخلوا فالمناسب ان يقال في عجزه فبئس مدخل المتكبرين وتقرير جوابه ان فوات التناسب بينهما انما يكون ان لو لم يتقيد الدخول بالخلود لان الدخول غير الثواء الذي هو الاقامة ولا يستلزمه ايضا واما اذا قيد به فقد استلزمه بل اتحد معه بحسب المفهوم فحصل به التناسب بين العجز والصدر ثم انه تعالى لما فرغ من ذم المجادلين في ايات الله وبيان عقوبتهم في الاخرة فرع عليه قوله فاصبر اي فاصبر يا محمد على ايذائهم اياك بسبب المجادلات ثم قال ان وعد الله حق وعنى به ما وعد رسوله من نصرته ومن انزال العذاب على اعدائه قوله فلذلك اي فلكون ان الشرطية مؤكدة بما المزيدة لنا كيد معنى الشرط الحقت نون التاكيد فعل الشرط فان نون التاكيد انما تلحقه اذا اكدت كلمة ان بما والا تلحق اذا لم تؤكد بها فلا يقال ان تكرمني اكرمك بل يقال اما تكرمني فبل ما ذكر من تلازم نون التاكيد وما المزيدة انما هو مذهب المبرد والزجاج ونص سيبويه على التخيير قوله وهو جواب نتوفينك جواب عما يقال الظاهر ان قوله او نتوفينك معطوف على قوله نرينك فيكون في الكلام شرطان اشتركا في جزاء واحد وهو قوله تعالى فالينا يرجعون فيلزم ان يكون كل واحد من الشرطين المذكورين سببا للجزاء المذكور بعدهما وهو انتقامه تعالى منهم في الاخرة وكون الشرط الاول سببا غير معقول لان تعذيبهم في الدنيا بمرأى النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون سببا لانتقامه تعالى منهم في الاخرة وان جعل قوله تعالى فالينا يرجعون جوابا للشرط الثاني وحده بقي الشرط الاول بغير جزاء وتقرير جوابه ظاهر ثم قال ويجوز ان يكون جوابا لهما فيكون المقصود من الشرطية تقرير قوله ان وعد الله حق على ان يكون المراد بالوعد تعذيب المجادلين بعذاب الاخرة فقرره ببيان ان تعذيبهم في حياته عليه الصلوة والسلام لا يسقط عنهم عذاب الاخرة بل انهم يعذبون فيها البتة سواء عذبوا في حيوته عليه الصلوة والسلام او لم يعذبوا قوله اذ قيل تعليل لقوله تعالى ومنهم من لم نقصص عليك روي عن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كم عدد الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا

الر

الرسل من ذلك ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا فكان الذين يجادلون في ايات الله اقترحوا معجزات زائدة على ما اظهره الله تعالى على يده عليه الصلوة والسلام كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وغير ذلك مع كون ما اظهره من المعجزات كافية في الدلالة على صدقه سلاه تعالى بانزال قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك قوله تعالى منهم يجوز ان يكون صفة لرسلا فيكون من قصصنا فاعلا له لاعتماده على الموصوف ويجوز ان يكون خبرا مقدما ومن قصصنا مبتدأ مؤخرا والجملة اما صفة لرسلا وهو الظاهر او استئناف حكاية قال تعالى له عليه الصلوة والسلام انت من جملة الرسل المبعوثين الى الامة وليس فيهم احد اعطاه الله تعالى ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه فيها وكذبوه فصبروا وكان قومهم ابدا يقترحون عليهم اظهار المعجزات الزائدة على الحاجة عنادا وعبثا ولم يكن احد من اولئك الرسل اتى قومه بشيء من المعجزات من قبل نفسه وما استقل في اتيان شيء مما اقترحوه من المعجزات الزائدة على قدر الحاجة ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذا الحال في اقتراح قومك عليك وانما نأتيهم من الايات ما قدره وقسمه لك وليس اختيار شيء منها موكولا اليك ثم قال تعالى على سبيل التهديد والوعيد فاذا جاء امر الله قضي بالحق ثم انه تعالى لما اطنب في تقرير الوعيد عاد الى ذكر ما يدل على وجود الاله الحكيم الرحيم وتفصيل وجوه انعامه على عباده فقال الله الذي جعل لكم الانعام وهي الازواج الثمانية الابل والبقر والضأن والمعز فانها ثمانية باعتبار ذكورها واناثها وقال الزجاج الانعام الابل خاصة وفي الصحاح اكثر استعمال اسم النعم في الابل وهو في الاصل المال الراعية ومن فسر الانعام في الاية بالابل خاصة فسر قوله لتركبوا منها التركيب الكبار منها قوله فان من جنسها ما يؤكل الخ اشارة الى كلمة من في الموضعين للتبعيض وان المراد بالانعام الازواج الثمانية وكون الاولى للتبعيض ظاهر لان الانعام كلها ليست تركب ويحتمل ان تكون الثانية لابتداء الغاية قوله ولتبلغوا عطف على قوله لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا وقوله بالمسافرة عليها اشارة الى متعلق قوله عليها فيكون قوله تعالى وعليها وعلى الفلك تحملون ادخالا منه اخر في هذه المنن على سبيل الاستطراد وهي المنة بخلق سفائن البحر للمسافرة عليها في البحر قوله وانما قال وعلى الفلك جواب عما يقال الظاهر ان يقال في الفلك كما قال تعالى قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين لان الفلك وعاء وظرف لمحموله فلم قيل عليها بكلمة الاستعلاء فاجاب عنه بقوله للمزاوجة اي ليزاوج ويطابق قوله وعليها فان محمولات الانعام لما كانت مستعلية عليها كانت كلمة عليها فيها في موضعها ومحمولات الفلك وان لم تكن مستعلية عليها الا انه ذكرت كلمة الاستعلاء فيها ايضا للمشاكلة قوله وتغيير النظم في الاكل حيث جيء في الركوب بلام الغرض دون الاكل مع اشتراكهما في ان كل واحد منهما من الفوائد الحاصلة من الانعام والمصالح المترتبة على خلقها وتقرير جوابه ان الاكل وما حكمه من منافع الجلود والالبان والاصواف الغالب فيها قضاء حوائج الضرورة الطبيعية من دفع الم الجوع والعطش والحر والبرد بخلاف الركوب والمسافرة عليها للبلوغ حاجة مهمة كالانتقال من بلد الى بلد اخر لطلب علم او صلة رحم او تحصيل معاش ينتظم به امر دينه ونحو ذلك فان الغالب فيها قضاء حوائج العبادة ومراعاة امر الدين ومما

ان تؤكل فقط ولا تركب منه

وجه السؤال ان يقال الظاهر ان يذكر منافع المتعلقة بالانعام على وتيرة واحدة بان يذكر جميعها باللام بان يقال لتركبوا منها ولتبلغوا عليها حاجة ولتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع او بان يترك اللام في الجميع بان يقال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة فلم لم يفعل هكذا

منه

قوله مقدرين يعني لفظ مقدرين مفعول نقصه لان مقدرين يعطي الانتقال بالمقدار وهو يخالف مذهب العلماء وهو علم من الدين ضرورة في خلود الدارين ابدا

قوله مقدرين الخلود وهكذا في نسخ هذا الكتاب والحق في لفظ العبارة في الظاهر مقدار خلودكم فان مقدرين صفته على انه نفسه وانه مقدار الخلود فنص على الخلود والتقدير المبهم والمقدار فيلزم اسناد التقدير المبهم المعنى هو الله تعالى فيلزم التخلف في تصحيح

اتاه الانسان باقتضاء الضرورة الطبيعية لا يكون عبادة لان مبنى العبادة مخالفة هوى النفس
باختيار ما حسنه الشرع وندب اليه فلا يكون الاهتمام بالاكل وما في حكمه كالاهتمام بالركوب والمسافرة
عليهما من حيث ان الثاني من قبيل العبادات التي خلق الانسان لاجلها دون الاول فلا اشارة الى هذا الفرق
بينهما حتى يرد في الثاني بلام العلة دون الاول وقوله اذ يقصد به التعيش والتلذذ علة لابتناء الاكل على الضرورة
الطبيعية ورعاية مقتضى الشهوة وفي بعض النسخ وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والفرق بين ما
اختاره وما نقله مع اتفاقهما في ان الركوب والمسافرة عليها مبنيان غالبا على رعاية الامور الدينية والا
نتداب الى ما ندب اليه الشرع انه اختار ان الاكل وما في حكمه مما تقتضيه الطبيعة وتلجئ اليه الجبلة
الحيوانية والمقصود فيه اولا وبالذات انما هو رعاية مقتضى الطبيعة وان جاز ان يكون بعض ما وقع رعاية
لمقتضى الطبيعة وسيلة الى رعاية الحقوق الشرعية واقعا بطريق اتباع الشارع وامتثال امره فلما كان
الغالب في الاكل ونحوه رعاية مقتضى الطبيعة وفي الركوب والمسافرة رعاية الامر الديني فرق بينهما بان
جعل الثاني علة حاملة على خلق الانعام دون الاول وحصول ما نقله ان الاكل وما في حكمه من قبيل المباحات
التي لا يتعلق بها نفع اخروي بخلاف الركوب والمسافرة عليها فانهما غالبا يكونان لاغراض دينية ودنيو
ية مؤديان الى مثوبات اخروية فلذلك فرق بينهما بما ذكر ولعل وجه ضعفه ان وقوع الفعل باقتضاء الطبيعة اياه
اظهر في الدلالة على عدم كونه لغرض ديني من دلالة كونه من قبيل المباحات عليه فان كثيرا من المباحات يكون لغرض
ديني قوله او للفرق بين العين والمنفعة فان الركوب منفعة مستفادة من الانعام مع بقاء اعيانها بخلاف
الاكل فانه ليس من المنافع المتفرعة على بقاء اعيانها بل انما يكون باهلاك اعيانها ولا يخفى ان لام الغرض انسب
بالمنافع المتفرعة على العين مع بقائه بحاله بالنسبة الى الانتفاع بالعين باهلاكه فانه بمنزلة ان يقال
خلقت فلانا لاهلاكه وقد تسامح في جعل الاكل من قبيل الاعيان والظاهر ان يقال للفرق بين ما يكون من
منافع العين وبين ما يكون اهلاكا له وانتفاعا باهلاكه ثم انه تعالى لما ذكر هذه الدلائل المتكثرة قال بعده و
يريكم اياته فاي ايات الله تنكرون يعني ان كل واحدة من هذه الايات التي عددناها ظاهرة باهرة لا وجه
لانكار شيء منها قوله وهو ناصب اي يعني ان قوله تعالى تنكرون غير مشتغل عن العمل في اي بان قدر عاملا في
ضميره بل هو عامل فيه الا انه وجب تقديمه على ناصبه لاقتضائه صدر الكلام ولو قدر كونه مشتغلا عنه بضميره
لكان الاولى رفعه فان قولك ايهم ضربته مثل قولك زيد ضربته في ان المختار رفع الاسم فيهما لان النصب
يحتاج الى حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه انما يكون بعامل معنوي لا يظهر قط حتى
يقال حذف واضمر قوله والتفرقة بالتاء في اي جواب عما يقال الظاهر ان يقال فاية ايات الله بتاء التانيث
لكون اي عبارة عن المؤنث لاضافته اليه فلم عدل عن مقتضى الظاهر وتوضيح الجواب ان الفرق بين
المؤنث والمذكر بالتاء وعدمه قياس شائع في الانواع الاربعة من الصفات وهي اسم الفاعل واسم

واسم المفعول والصفة المشبهة والاسم المنسوب بياء النسبة كضاربة ومضروبة وحسنة وبصرية بخلاف
افعل التفضيل وافعل الصفة واما الاسماء الجامدة فالفرق بالتاء فيها قليل غريب كانسانة وحمارة واي من
قبيل الاسماء الجامدة فالاصل فيه عدم الفرق لذلك مع ان الفرق فيه اغرب من الفرق في سائر الاسماء
الجامدة لانه موضوع لابهام موضوعه ولا يقصد فيه التمييز اصلا فيكون التفرقة فيه بعيدا كل البعد وان جاء
الفرق على قلة كقوله بأي كتاب ام باية سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب • والظاهر انه اراد باية في قوله و
التفرقة بالتاء في اي اغرب ما وقع في غير النداء فان اللغة الفصيحة الشايعة ان يؤنث اي الواقعة في نداء
المؤنث كما في قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ولا يسمع ان يقال يا ايها المرأة واعلم انه لما كان معظم المقصود
في هذه السورة الكريمة ذم المجادلين وبيان فساد طريقهم وما ذكر في اثنائها من دلائل الوحدانية وكمال القدرة
والحكمة والرحمة انما ذكر تقريعا لهم بسبب اعراضهم عن تامل تلك الدلائل والاهتداء بها الى الحق ختم السورة
الكريمة ببيان ان هؤلاء الذين يجادلون في ايات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم انما كان السبب
الكلي في عدولهم عن الحق وانهماكهم في الضلال هو طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه ومن المعلوم
ان من ترك الانقياد للحق طلبا لهذه الاشياء الفانية والحظوظ العاجلة فقد باع السعادة الابدية بلذة
يسيرة فانية فبئس الصفقة فاذ هذه الطريقة واحتج عليه بقوله افلم يسيروا في الارض الاية يعني انهم
لو ساروا في اطراف الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين ليس الا الهلاك والبوار مع ان الها
لكين المتقدمين كانوا اكثر عددا وعددا واعلا وجاها من هؤلاء المتاخرين فلما لم تنفعهم تلك المكنة
العظيمة الا الخيبة والخسار فكيف حال هؤلاء الفقراء المساكين قوله والمصانع وهي الحصون والمصنعة
بفتح النون وضمها ايضا شيء كالحوض يجمع فيه ماء المطر قوله الاولى نافية بمعنى لم يغن عنهم او استفهامية منصوبة
باغنى اي اي شيء اغنى عنهم وفاعل اغنى هو ما الثانية سواء كانت موصولة محذوفة العائد او مصدرية
اي الذي كسبوه او كسبهم قوله وسماها علما مع ان الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه ان يسمى جهلا بناء
على زعمهم فانهم يزعمون ان عندهم علما ينتفعون به وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علم الانبياء وما اظهروه
من البينات قوله او علم الطبائع عطف على قوله عقائدهم الزائغة والمراد بعلم الطبائع علم الفلاسفة
فان الحكماء كانوا يصغرون علوم الانبياء ويكتفون بما يكتسبونه بنظر العقل ويقولون نحن قوم مهتدون فلا حاجة
بنا الى من يهدينا قوله او علم الانبياء فيكون ضمير فرحوا للكفار كما في الوجهين الاولين الا ان ضمير
عندهم يكون للرسل والمعنى فرح الكفار فرح ضحك واستهزاء بما عند الرسل من العلم حيث لم يقبلوه ولم يمتثلوا
احكام الوحي ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون اي نزل بالكافرين جزاء استهزائهم وقيل كلا
المرادين بالعلم علم الانبياء فالمراد بالفرح ايضا فرحهم والمعنى ان الرسل لما راوا جهل الكفار واعراضهم عن الحق و
علموا سوء عاقبتهم وما يلحق بهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما اوتوا من علم الوحي وشكروا الله تعالى

عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم قوله لامتناع قبوله فان الايمان انما ينفع اذا وقع مع القدرة
على خلافه حتى يكون المرء مختارا له على الكفر والتكذيب ووقت رؤية البأس وهو شدة العذاب يكون المرء
ملجأ الى الايمان ولا يكون مبنيا على مجرد تصديق الشارع في اخباره بنزول البأس على من اصر على الكفر
ومن عاين نزول ملائكة العذاب لا يكون ايمانه كذلك فلا يقبل قوله ولذلك اي ولامتناع قبوله لم يقل
فلم ينفعهم ايمانهم بل قال يك ينفعهم ايمانهم فانه ابلغ في نفي النفع من لم ينفع ايمانهم لانه بمعنى فلم يصح ولم يستقم
ان ينفعهم ايمانهم كما في قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد فان اداة النفي اذا دخلت على الكون المتضمن لمعنى
الفعل المنفي كانه توجه الى الفعل المنفي مرتين فكانه قيل هذا الفعل من الشؤون التي عدمها راجح على وجودها
البتة وانها من قبيل المحالات وارتفاع قوله ايمانهم يجوز ان يكون على انه اسم كان ويكون ينفعهم خبره مقدما عليه
وان يكون على انه فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشان المستتر فيه قوله والفاء الاولى يعني ان في الاية اربع فا
ءات مترادفات الاولى في قوله فما اغنى عنهم والثانية في فلما جاءتهم رسلهم والثالثة والرابعة في
قوله فلما راوه وفي قوله فلم يك ينفعهم فالفاء الاولى نتيجة فاء النتيجة فان قوله تعالى كانوا اكثر منهم الى جملة
مستأنفة لبيان احوال من قبلهم واخرها لتبيين سوء عاقبتهم وان ما جمعوه وكسبوه لم ينفعهم في العاقبة
فقوله فما اغنى عنهم نتيجة قوله كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا اي فما احدث ذلك لهم من النفع الا خلاف
نفعه ووقعوا في عكس ما توقعوا من جمع الجنود والاموال وبناء شداد القصور والحصون والفاء الثانية
فاء التفسير فان قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بمنزلة التفسير لنفي الغناء المدلول عليه بقوله فما
اغنى عنهم ونظير الاية قولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء فلم يواس اليتامى والا
رامل والفاء الثالثة وهي التي في قوله فلما راوا عاطفة له على مضمون قوله فلما جاءتهم رسلهم فرحوا
بما عندهم مفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها فانه في قوة ان يقال فلما جاءتهم كفروا فان رؤية البأس مسببة
عن مجيء الرسل وكفرهم بما جاءوا به ومعطوفة عليه وكذا الفاء فلم يك ينفعهم ايمانهم فانها عاطفة له على
قوله لما راوا بأسنا قالوا آمنا ومفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها فان كون الايمان وقت رؤية البأس
سببا لعدم نفعه لصاحبه قوله اي سن الله ذلك اي سن الله عدم قبول ايمان من امن وقت رؤية البأس
ومعاينته وهو سنة مطردة له تعالى في الامم كلها ويجوز ان يكون انتصاب سنة على التحذير اي احذروا سنة
الله المطردة في المكذبين السابقين قوله اسم مكان يعني ان هنالك في الاصل اسم موضوع للاشارة الى المكان
ولما اشير به في الاية الى مدلول قوله لما راوا بأسنا وهو الزمان تعين انه اشير به الى الزمان تشبيها له بالمكان
في كونه ظرفا للفعل كالمكان وكذلك هو لحسر هنالك المبطلون فانه لما ذكر بعد قوله فاذا جاء امر الله قضي بالحق
تعين كونه مستعارا للزمان لان اذا للزمان فان قيل لم خص خسران الكافرين بوقت معاينة البأس وهم
لم يزالوا في خسران قلنا نعم الا انه قبل معاينة العذاب كانوا متمكنين من الايمان النافع فاذا عاينوا العذاب
استنف

استنف حسابهم ولم يرج فلاحهم نعوذ بالله من الخذلان وزوال الايمان وشر الشيطان آمين يا مجيب السائلين
تمت السورة والحمد لله رب العالمين

سورة حم السجدة وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم
ان جعلت حم اسما للسورة كانت في محل الرفع على الابتداء وخبره تنزيل اي منزل وان جعلت مسرودة على
نمط تعديد الحروف لتنبيه المخاطب وايقاظه لا يكون لها محل من الاعراب ويكون تنزيل خبر مبتدا محذوف
اي هذا تنزيل وكتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اي هذا كتاب قوله لكونها مقررة
ببيان الكتاب يعلل لافتتاحها بحم وجه التعليل ان معنى حم كما قيل قضي ما هو كائن لانه معا حم الامر بضم الحاء وتشديد
الميم اي قضي وقدر ومنه قال الشاعر • وليس لامر حمه الله دافع • وقال الاخر • الا ليتني حمت لنفسي منيتي • ولما
كانت هذه السورة مصدرة بذكر الكتاب الذي قدر فيه الاحكام وبين ناسب ان يفتتح بحم رعاية لبراعة
الاستهلال وموافقة تشاكلها في النظم والمعنى تعليل لتسميتها فان هذه السور السبع لما كانت متشاركة في الاشتمال
على ذكر الكتاب والافتتاح بحم والرد على المجادلين في ايات الله والحث على الايمان بها والعمل بمقتضاها
ناسب تسميتها باسم واحد قوله للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنياوية فان كان واحد من
الرحمن الرحيم لكونه صيغة مبالغة اطلقت على الله تعالى ينبئ عن رحمة هي ابعد من مقدورات العباد فكونه
تعالى رحمانا رحيما صفتان دالتان على كمال الرحمة فاضافة تنزيل الكتاب الى من اتصف بهما يدل على
ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى منوطة به المصالح كلها دينية كانت او دنياوية لان الفعل المقرون بالصفة
لا بد وان يكون مناسبا لتلك الصفة والامر في نفسه كذلك لان اهل هذا العالم كالمرضى والرضع والقرآن مشتمل
على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى كل ما يحتاج اليه الاصحاء من الاغذية فكان اعظم النعم من الله تعالى على
اهل هذا العالم انزال القرآن عليهم قوله ميزت باعتبار اللفظ والمعنى انما تميز بعض الآيات عن بعضها
بحسب اللفظ فظاهر واما تميزها بحسب المعنى فلاختلاف معاني الآيات القرآنية من حيث ان بعضها
متعلقة باحوال ذات الله تعالى وصفات تقديسه وتنزيهه وبيان كمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته وبعضها
متعلقة بعجائب احوال خلقه من السموات والارض وتعاقب الليل والنهار ونحوها وبعضها في المواعظ والنصائح
وبعضها في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبياء واحوال الماضين وبالجملة فمن نظر
علم انه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل القرآن قوله وقرئ فصلت اي بفتح الفاء
وتخفيف الصاد بمعنى فرقت اياته بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض اي انفصل باختلاف معانيها من
قولهم فصل فلان من البلد فصولا اي خرج وانفصل قوله او الحال من فصلت اي مما اسند اليه فصلت وهو
اياته وهو اما حال بنفسه عربيا صفة او هو حال موطئة والحال في الحقيقة عربيا وهو حال مؤكدة غير
منتقلة اعلم احوال اربعة موطئة ومقدرة ومؤكدة ومنتقلة لان الحال اما يبين هيئة الفاعل او المفعول
تاما ان يكون مبينة للهيئة بالذات او بالغير فان كانت مبينة للهيئة بالغير فهي الحال الموطئة لانها لا تبين

او تشبيها لتمحيص فعله منه
اي صفة اي صفة وتشبيه تشبيه
منه

معطوف على الاولين اي قوله
او خبر على ان يكون تنزيل خبر
حم او خبر محذوف منه

الريشة بذاتها بل بما يتبعها من الصفة فان الحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة
كقرانا في قوله تعالى انا انزلناه قرانا عربيا وان كانت مبينة بالذات فاما ان تكون مبينة للهيئة الثابتة
في الحال او الاستقبال فان كانت مبينة لما في الاستقبال فهي الحال المقدرة وان كانت مبينة لما في الحال
فاما ان تكون لازمة لذي الحال او مفارقة والاولى حال مؤكدة والثانية حال منتقلة قوله يعلمون اي
او لاهل العلم الاول على ان يعتبر تعلق يعلمون بالمفعول والثاني على ان ينزل منزلة اللازم قوله وهو صفة
اخرى لقرانا فيكون متعلقا بمحذوف اي قرانا عربيا كائنا لهم وهو اولى من جعله متعلقا بقوله تنزيل او فصلت
لان قوله عربيا صفة قرانا وكذا بشيرا ونذيرا فلو لم يكن هو ايضا صفة له بل كان متعلقا بتنزيل او بفصلت
لزم ان يفرق به بين الصفات واعلم انه تعالى حكم على هذه السورة باشياء اولها كونها تنزيلا والمراد به المنزل
والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولهم هذا الدرهم ضرب السلطان اي مضروبه ومعنى كونها منزلا
انه تعالى كتبها في اللوح المحفوظ وامر جبريل ان يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤديها
اليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبريل عليه السلام سمي بذلك تنزيلا وثانيها كون ذلك التنزيل من
الرحمن الرحيم وذلك يدل على ان ذلك التنزيل نعمة عظيمة من الله تعالى لان ما نشأ من هاتين الصفتين لا يكون الا
كذلك وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمي كتابا لانه جمع فيه علوم الاولين والاخرين
ورابعها فصلت اياته وقد ذكرنا انه كذلك وخامسها كونه قرانا عربيا كائنا للعالمين بلغة العرب وبشيرا
للمطيعين بالثواب ونذيرا للعاصين بالعقاب قوله جمع كنان وهو الغطاء وفي الكلام حذف تقديره قلوبنا
في اكنة ممتنعة من فهم ما تدعونا اليه فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وحذف متعلق حرف الجر ايضا
قوله ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدا منهم ومنه اشارة الى فائدة زيادة كلمة من في قوله ومن بيننا — قوله ومن للدلالة الخ اي كلمة من في قوله تعالى مما تدعونا اليه وفي قوله من بيننا لابتداء الغاية ملكه
انه لو قيل بيننا وبينك حجاب لا يستفيد حصول الحجاب المانع عن التواصل في المسافة المتوسطة بينه وبينهم
ومحصول كلامه ان فائدة كلمة من الدلالة على قوة الحجاب في كونه مانعا عن التواصل وذلك لان البين بمعنى المسافة
المتوسطة بين المتكلم والمخاطب واضافتها الى المتكلم يدل على ارادة الطرف الذي يلي المتكلم من تلك المسافة وكذا
اضافتها الى المخاطب يدل على ان المراد طرفه الذي يليه فلو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى مجرد حصول الحجاب
في المسافة المتوسطة بينهم وبينه بخلاف ما لو قيل من بيننا فانه يفهم منه ان مبتدا الحجاب طرفها الذي يلي المتكلم
واذا عطف عليه بان قيل وبينك فهم ان ذلك الحجاب ايضا مبتدا من الطرف الذي يلي المخاطب واذا كان حجاب
واحد مبتداه من كل واحد من ذينك الطرفين ومعلوم انه لا بد له من منتهى وانه هو الطرف الاخر منها فبالضرورة
يكون ذلك الحجاب مستوعبا لجميع ما بينهما من المسافة بحيث لا يبقى جزء منها فارغا عن هذا الحجاب ففائدة من
الدلالة على قوة الحجاب وكماله في المانعية عن التواصل وهذه تمثيلات لقولهم قلوبنا في اكنة الى قولهم حجاب
وانث ضمير القول لتانيث الخبر او لكون كل واحد من الاقوال الثلثة عبارة عن جملة شبهوا قلوبهم بالشيء

بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له بحيث لا يصيبه شيء من خارج من حيث نبوها وتباعدها عن
ادراك الحق واعتقاده وشبهوا اسماعهم باذان بها صمم من حيث انها تمج الحق ولا يميل الى استماعه
وشبهوا حال انفسهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحال شيئين بينهما حجاب عظيم وحاجز منيع يمنع
من ان يوصل احدهما الاخر ويوافقه وتعظيم الحجاب مستفاد من تنكيره ولقد بالغوا في وصف انفسهم بنهاية
الاعراض عما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم اليه حيث اثبتوا بينهم وبينه ثلثة انواع من الحجاب احدها
الحجاب الخارجي المانع من الرؤية والابصار ثم حجاب الصمم ثم اكنة القلوب والقلب محل المعرفة والسمع والبصر
اقوى ما يستعان به في تحصيل المعارف وهذه الثلثة اذا كانت محجوبة كان ذلك اقوى ما يكون من الحجاب نعوذ بالله
من ذلك فلذلك اقتصر على ذكر هذه الاعضاء الثلثة ثم انهم لما وصفوا انفسهم بنهاية الاعراض عما يدعوهم اليه
وفرعوا عليه قولهم فاعمل اننا عاملون قوله لست ملكا الخ بيان لوجه كون قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم الاية
جوابا عن قولهم قلوبنا في اكنة الاية وتقريره ان حاصل ما ذكروه في الاعراض عن قبول ما دعاهم الرسول
اليه يرجع الى امرين احدهما كون ما دعاهم اليه مما ينبو عنه العقول والاسماع بناء على ان عقولهم السخيفة
تستبعد امر التوحيد وحشر من في القبور وسائر ما يكون يوم القيمة وثانيهما كون بشريته عليه الصلوة والسلام
حجابا مانعا منهم عن تصديقه في دعوى الرسالة بناء على ان البشرية في زعمهم منافية للرسالة وانما هي مما
يناسب الملائكة وهو المراد من قولهم ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل في ابطال امرنا اننا عاملون في ابطال امرك
فان عندنا ما ينافي رسالتك وهو ان البشر لا يكون رسولا وانت بشر مثلنا فكيف تدعي الرسالة وليس عندك
ما تدفع به هذا الدليل فالله تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم عما ذكروه من الامرين اما عن الثاني
فبان يقول ما جعلتموه منافيا للرسالة وهو البشرية هو المصحح للرسالة لان ارسال الملك او الجني لا يوافق
الحكمة من حيث ان البشر لا يمكنه ان يتلقى منهما ما يلقيانه اليهم كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
واما عن الاول فبان يقول انما ادعوكم اليه من التوحيد والاستقامة في العمل ليس مما ينبو عنه العقول و
الاسماع بل مما تقتضيه دلائل العقل وشواهد النقل قوله متوجهين اليه لما عدى فعل الاستقامة في الاية
بكلمة الى وهو لا يتعدى بها بل باللام ذكر لذلك وجهين الاول انه من باب التضمين والثاني ان الاستقامة بمعنى
الاستواء وهو يتعدى بالى قوله وذلك اي الاستخفاف بالله وعدم الشفقة على خلقه من اعظم الرذائل لان
انواع السعادة باسرها منوطة بامرين تعظيم امر الله تعالى والشفقة على خلقه فيكون الانصراف عنهما
بالاشراك به وترك الانفاق في وجوه الخير من اعظم الرذائل قوله وفيه دليل اي في تهديد المشرك على
شركه وعدم ايتائه الزكوة دليل على ان المشرك حال شركه مخاطب بالفروع لما استحق بعدم ايتائها الوعيد المذ
كور واذا كان مخاطبا بايتاء الزكوة يكون مخاطبا بسائر فروع الاسلام اذ لا قائل بالفصل قوله وقيل
ما يفعلون مما يزكي انفسهم والمعنى على هذا فاستقيموا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة له وتوبوا اليه مما سبق

فان قلت لم خص من بين اوصافهم منع الزكوة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله تعالى ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الردة بعد رسول الله ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت لهم الحروب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالاخرة كشاف

قوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة عن ابن عباس رضي الله عنه لا يؤتون الزكوة الخ وتعلق بقوله انه قيل لا يؤتون زكاة الانفس والمعنى لا اله الا الله فانها زكاة الانفس من الشرك بالتوحيد لا يطهرون انفسهم من الشرك وهو ماخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم انتهى

لكم من الشرك وسوء العمل وويل لكم ان لم تفعلوا ذلك كله فوضع موضع المشركين الموصوفون بانهم لا يفعلون
ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة للاشعار بان الاستقامة اليه في الافعال والتبري من سوء العقايد
والاعمال هو المزكية للنفس **قوله** حال شعوره وجه الاشعار ان الحال وصف لذي الحال واثبات الحكم للموصوف
مشعر بعلية الوصف ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار اردفه بوعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الاية **قوله**
لا يمن به عليهم فيتكدر بالمنة فان المنة تهدم الصنيعة يقال من عليه منا اي امتن عليه ومن بهذا المعنى
لازم لا يجي منه اسم المفعول الا ان يعدى بحرف الجر فلا بد ان يكون الممنون بمعنى الممنون عليهم على طريق
الحذف والايصال وجميع ما يعطيه الله تعالى عباده في الاخرة تفضل منه تعالى وكرم وليس شيء منها بواجب
عليه تعالى عند اهل السنة وما كان بطريق التفضل وان صح الامتنان عليه لكنه تعالى لا يمن به عليهم فضلا منه
وكرما **قوله** او لا يقطع اي لا يقطع اجرهم وثوابهم في الاخرة بل هو دايم ابدي **قوله** وقيل نزلت في المرضى
فالمعنى على هذا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات في زمان اقتدارهم عليها لهم اجر غير مقطوع اذا عجزوا
عنها بالمرض او الهرم او نحوهما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى اطلقه
او اكفته الي وصل غير مقطوع بعد موتهم ايضا استدلالا بدلالة هذا الحديث **قوله** كاصح ما كانوا يعملون
على حذف المضاف اي كتب لهم الاجر كاجر اصح ما كانوا يعملونه من الاعمال حال قدرتهم عليها ثم انه تعالى
لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول للمشركين انما انا بشر مثلكم الاية امره ثانيا بان ينكر عليهم امرين
اولهما كفرهم بالله تعالى بالحادهم في ذاته وصفاته كالتجسيم واتخاذ الصاحبة والولد والقول بانه تعالى
لا يقدر على نشر الموتى وانه لا يبعث البشر رسولا وثانيهما اثبات الشركاء والانداد له تعالى فقال عز
من قائل قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا والاستفهام فيه للانكار ويجب
ان يكون الكفر المذكور ولا مغايرا لاثبات الانداد له تعالى ضرورة انه عطف احدهما على الاخر ووجب التغاير
قوله في مقدار يومين اي لا في نفس يومين لان اليوم لكونه عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها لا يمكن حصوله
قبل حدوث السموات والشمس والقمر فظاهر هذه الاية يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وما فيها
من الشمس والقمر وساير الكواكب فكيف يتحقق اليوم حال خلق الارض وعلى تقدير ان يتقدم خلق السموات وما فيها
على خلق الارض لا يمكن ان يحصل اليوم ايضا قبل ان يخلق الارض لان طلوع الشمس وغروبها انما هما بالنسبة
الى الافق ولا افق قبل ان يتحقق الارض فظهر انه لا يتحقق اليوم قبل خلق الارض سواء تأخر خلقها على خلق
السماء او تقدم عليه فلما لم يتحقق اليوم حين خلق الارض وجب ان يجعل قوله تعالى في يومين على مقدار يومين
او ان يجعل اليومان مجازا مرسلا عن الدفعتين على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم **قوله** ولعل المراد
من الارض ما في جهة السفل من البسائط العنصرية التي هي الارض والماء والهواء والنار فسر الارض بالمعنى

بالمعنى المجازي المتناول لحقيقة الارض وساير البسايط العنصرية واختار ان يكون المراد بخلق الارض
بهذا المعنى في يومين خلقها نوبتين على معنى انه تعالى خلق لها في النوبة الاولى اصلا مشتركا هو الهيولى الاولى
التي هي جمعه واحدة مشتركة بين جميع العناصر وخلق لها في النوبة الثانية صورا جسمية ونوعية بها صارت
انواعا متمايزة على طبقات مختلفة والذي بعثه على تفسير الارض بالمعنى العام المتناول لجميع البسايط العنصرية
انه تعالى ذكر في مقام تعداد اثار قدرته الكاملة وتفصيلها انه خلق الارض في يومين وانه جعلها مشتملة على
ثلثة انواع من الصنع العجيب الاول انه خلق فيها جبالا شامخات ثابتات فوقها لاستقرار الارض والثاني بارك
فيها اي زاد في خيرها بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار وصنوف النبات وانواع الحيوانات
وجميع ما يحتاج اليه من الخيرات والثالث انه قدر فيها اقوات اهلها بما يحدث في كل ناحية من نواحيها ثم
ذكر استواءه الى خلق السموات من غير ان يتعرض لخلق ما عدا الارض من العنصريات مع ان ما عداها ايضا من
جملة اثار قدرته الباهرة والمقام مقام تفصيلها فناسب لذلك ان يفسر الارض بمعنى يعم الجميع غاية ما
الباب ان يجعل الضمير في قوله وجعل فيها رواسي من فوقها للارض الحقيقي على الاستخدام **قوله** ثم خلق لها صورا
يدل على انفكاك الصورة على الهيولى وهو خلاف ما ثبت بالدليل اللهم الا ان يحمل التراخي المدلول عليه
بكلمة ثم على التراخي في الرتبة ثم ان قبول الشيء المستدل به على ثبوت امر يجب ان يكون مسلما عند الخصم حتى
يصح الاستدلال به وكونه تعالى خالقا للارض في يومين لا يمكن اثباته بالعقل المحض وانما يثبت بالسمع ووحي
الانبياء ومن انكر الوحي والنبوة كيف يسلم هذه المقدمة وكيف يمكن الاستدلال بها على فساد مذهبه اجيب
بان الكفار يسلمون كون السموات والارض حادثتين مخلوقتين له تعالى فيمكن ان يقال لهم كيف يعقل
التسوية بين الاله القادر على خلق هذه الاجرام العظام وبين الاصنام الموصوفة بالعجز التام وبهذا
ان يقال مح لا يبقى لكونه تعالى خالقا للارض في يومين نفع في الاستدلال واجيب عنه بانا لا نسلم ذلك بل له نفع
فيه بناء على ان ذلك مذكور في التورية ومشهور عند اهل الكتاب وان كفار مكة يعتقدون في حق اهل
الكتاب انهم اصحاب العلوم والظاهر انهم قد سمعوا هذه المقدمة منهم وسلموها واعتقدوا بحقيتها
فبهذا الاعتبار كان لخلقه تعالى اياها في يومين نفع في الاستدلال **قوله** استيناف غير معطوف على خلق
لما كان ظاهر النظم يوهم كونه معطوفا على خلق وكونه داخلا في جملة الصلة بين فساد ذلك وهو وقوع
الفصل بين اجزاء الصلة بالاجنبي وهو قوله تعالى وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ومنهم من قال انه
معطوف على مقدر اي خلقها وجعل فيها رواسي احترازا عن لزوم هذا الفساد **قوله** مرتفعة عليها يعني
ان قوله من فوقها في محل النصب على انه صفة رواسي **قوله** ليظهر الخ بيان لفائدة قوله من فوقها يعني ان الجبال
التي اثبتت فوق الارض لمنعها عن الميلان ولو كانت تحتها كاساطين الغرق او مركوزة فيها كالمسامير
لمنعها منه لكن الحكمة الالهية اقتضت كونها مرتفعة عليها لما ذكر من الوجهين الاول ان يظهر للناظر ما

فيها من وجوه الاستدلال ومن جملة الوجوه ان الانسان اذا راى بعينه كون الجبال الثقال مثبتة فوق الارض
الثقيل علم ان كل واحدة من تلك الاثقال التي بعضها فوق بعض مفتقر الى ممسك وحافظ وما ذلك الحافظ
الممسك الا الله تعالى والثاني كون منافعها ظاهرة للطالب والظاهر ان قوله معرضة بسكون العين وكسر الراء
بمعنى ظاهرة من قولك عرضت الشيء فاعرض بمعنى اظهرته فظهر ومن النوادر ان يكون الثلاثي متعديا ثم اذا نقل
الى باب الافعال يصير لازما نحو كببته فاكب **قوله** اقوات اهلها او اقواتا تنشأ منها يعني ان المراد باقوات
الارض ارزاق سكانها واضافتها الى الارض اما على حذف المضاف واما لكونها محلا لحدوثها فان الاضافة
يكفي فيها ادنى الملابسة فان الشيء يضاف الى فاعله والى محله والى من ينتفع به وغير ذلك والمعنى على الاول
انه تعالى قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وقدر في كل قطر قوتا
لاهل ذلك القطر وعلى الثاني انه تعالى خص بحكمته كل نوع من انواع الاقوات بقطر من اقطارها وجعل ذلك
سببا لتعيش اهل البلدان بمراجعة بعضهم الى بعض للتجارة واكتساب الاموال ويؤيد هذا المعنى قراءة
من قرأ وقسم فيها اقواتها **قوله** في تتمة اربعة ايام اي فيما تم به اليومان اربعة ايام فالمراد بالتتمة اليومان
اللذان تم بهما اليومان السابقان اربعة كانه قيل كان نصب الرواسي وتقدير الاقوات وتكثير الخيرات
في يومين آخرين بعد خلق الارض في يومين واشار بتقدير المضاف الى دفع ما يتوهم من المنافاة بين
هذه الآية وبين ما تكرر في القرآن من ان خلق السموات والارض كان ستة ايام وذلك لانه نص في هذه الآية
على انه خلق الارض في يومين ثم ذكر انه جعل فيها رواسي واكثر خيرها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام
ثم صرح بانه قضاهن سبع سموات في يومين فيكون مجموع ايام خلق العالم ثمانية ايام والمذكور في الآيات
الاخر انها ستة ايام وبينهما منافاة ظاهرة ولما قدر المضاف اندفعت المنافاة ويمكن دفع المنافاة
بوجه آخر وهو ان الآيات الدالة على ان ايام خلق السموات والارض ستة لم يذكر فيها تقدير الاقوات فجاز ان يصرف
اليومان من الثمانية اليه ويبقى الستة لما سواه والله تعالى اعلم **قوله** والى الكوفة في خمسة عشر يوما اي
في خمسة ايام بها تمت العشرة الاولى خمسة عشر يوما **قوله** ولعله قال ذلك جوابا عما يقال لو كان المعنى
كما ذكرت لكان الظاهر ان يقال خلق الارض في يومين وجعل فيها ثلثة انواع من الصنع العجيب في يومين
آخرين لكونه ابين للمراد وابعد عن الشبهة وايهام خلاف المراد وتقدير الجواب ظاهر لمن تأمل فيه
والفذلكة من قول الحاسب فذلك يكون كذا وكذا كالبسملة والحوقلة الماخوذ من بسم الله ولا حول ولا
قوة الا بالله يقال بسمل المتعجب اي قال سبحان الله فذلك الحاسب اذا كتب تفاصيل الاعداد ثم جمع تلك
التفاصيل وكتب في آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فان قيل كيف يكون قوله في اربعة ايام تصريحا
بالفذلكة مع ان الفذلكة تقتضي ان يتقدم ذكر العددين او اكثر على وجه التفصيل وفي هذا الموضع لم يذكر
العددان بل انما ذكر مدة خلق الارض فقط قلنا لا نسلم انه يجب فيها تقدم ذكرهما صريحا بل يكفي فيها تقدم

من الرواسي
(؟) وبارزة فيها حملوا انه في الرواسي ومعادن
بالمياه والنهار والاشجار ومعادن
الذهب والفضة ونحوها مما يكون نباتها
في الجبال ومما انه في الارض منها من الا
ومما يخرج منها من الاشجار ونحوها
عذبة والمعادن وغيرها منه

الاحد
ومن خلق الارض في يومين
ويوم الاثنين وما فيها في يومين
الثلثا ويوم الاربعاء

٢٤٥

تقدم العلم بهما باي وجه كان والامر فيما نحن فيه كذلك لانه لما ذكر ان الارض خلقت في يومين وكذا
السموات السبع علم ان ما في الارض من الرواسي وسائر الخيرات خلق في يومين آخرين بشهادة ما تكرر
في القرآن من ان خلق السموات والارض كان في ستة ايام وبهذا الوجه كان قوله في اربعة ايام تصريحا
بالفذلكة لمدة خلق الارض وما فيها ويجوز ان يكون المراد بقوله والتصريح بما هو شبيه بالفذلكة حقيقة
لانه غير مسبوق بذكر العددين ولانه فسر قوله في اربعة ايام بقوله في تتمة اربعة ايام اي في اليومين اللذين
تم بهما اليومان السابقان اربعة وهذا ليس بفذلكة بل هو بيان ابتدائي لمدة خلق ما في الارض وما عليها
قوله اي استوت سواء على ان سواء اسم بمعنى استواء منصوب على انه مفعول مطلق لفعل مقدر والجملة صفة
ايام اي في اربعة ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ومن قرأ سواء بالجر جعله صفة ايام فهي دليل
على ان الجملة في قراءة النصب صفة له ايضا ومحل انتصابه على انه حال من احد ضميري الارض اي مستوية و
الاول اولى لان المقام يقتضي توصيف الايام بانها مستوية لا تزيد ولا تنقص لا وصف الارض بذلك **قوله**
هذا الحصر اي حصر مدة خلق ما ذكر من الارض وما فيها وما عليها في اربعة ايام مستوية كائن لمن يسأل
عنها ويقول في كم خلقت الارض وما فيها ويكون السؤال سؤال استعلام لا سؤال استعطاء ويكون قوله
للسائلين خبر مبتدأ محذوف وصرح بالفذلكة بقوله كل ذلك خلق في اربعة ايام سواء استئنافا بان قال هذا
الحصر والبيان لمن يسأل عن مدة خلق ذلك وان كان للسائلين متعلقا بقوله قدر فيها اقواتها يكون السؤال
سؤال الاستعطاء وطلب الخير فان اهل الارض كلهم طالبون للقوت محتاجون اليه **قوله** من قولهم استوى
الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والاستواء بهذا المعنى هو ضد الاعوجاج ونحو استقام اليه
ولما كان الاستواء الى الشيء بهذا المعنى محالا على الله تعالى لاستلزامه الانتقال من مكان الى مكان قال صاحب
الكشاف ثم دعاه داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك فجعل
الاستواء الى خلق السماء مجازا عن ملزومه الذي هو استدعاء الحكمة خلقها من غير ان يعارضها صارف
يصرفه عنه **قوله** والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين اي بحسب الرتبة على طريق الترقي من الادنى
الى الاعلى لان الكلام مع المعاندين المتمردين والمعنى ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وفعل
كذا وكذا واعظم من ذلك انه استدعى الحكمة ان يخلق السماء وهي شيء حقير ظلماني كالدخان فقال
لها وللارض ائتيا الخ ومقصود المصنف من هذا القول دفع ما يتوهم من المنافاة بين قوله ثم استوى الى
السماء وخلقها وبين قوله أانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها
والارض بعد ذلك دحاها فان الاول يشعر بان السماء خلقت بعد خلق الارض وبه قال ابن عباس رض و
الثاني يدل على ان خلق الارض كان بعد خلق السماء وبه قال قتادة والسدي وهما متنافيان وجوابه
المشهور بين المفسرين ان يقال انه تعالى خلق الارض اولا ثم خلق بعدها السماء كما هو المفهوم من هذه

الاية ثم بعد خلق السماء دحى الارض وبسطها وبهذا الطريق بقول الناقض والمص اشار الى رد
هذا الجواب بقوله ودحوها مقدم على خلق الجبال من فوقها وتقريره ان دحو الارض كيف يكون متاخرا
عن خلق السماء والحال ان خلق السماء على ما يشعر به قوله ثم استوى الى السماء متاخر عن ارساء الجبال
على الارض وتكثير خيرها وتقدير اقواتها ولا يخفى ان هذه الاحوال لما يمكن تحققها الا بعد ان صارت الارض
مدحوة منبسطة اما ارساء الجبال عليها فظاهر واما تكثير خيرها فلانه منوط بخلق الاشجار والنبات
والحيوان فيها وذلك لا يمكن الا بعد صيرورتها منبسطة وكذا تقدير الاقوات فيها فانه متفرع على تمييز
اقطارها واطرافها واذا كان خلق السماء متاخرا عن هذه الاحوال المتاخرة عن الدحو استحال ان
يكون الدحو متاخرا عن خلق السماء ضرورة كون الدحو متقدما على الاحوال المذكورة المتقدمة على خلق
السماء كما يقتضيه قوله تعالى ثم استوى الى السماء فلما لم يجز كون الدحو متاخرا عن خلق السماء لم يصلح الجواب
المذكور جوابا وبقي التناقض بحاله فلذلك اعرض المص عنه واجاب عن سوال التناقض بوجه آخر وهو
ان يجعل قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها باقيا على ظاهره ويجعل كلمة ثم في هذه الاية للدلالة على تفاوت
ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان حتى يلزم التناقض قوله امر ظلماني اشارة الى قوله وهي دخان على
سبيل التشبيه البليغ والمعنى انه قصد وتوجه نحو السماء وهي امر ظلماني بذاته والحال انها امر مظلم عديم النور شبيه
الدخان في بادي النظر وحمله على التشبيه لتعذر ان يكون المراد حقيقة الدخان وهو ما ارتفع من لهب النار
قوله ولعله اراد به مادتها ولعله اراد بتلك المادة البخار المتصاعد من الماء الذي انقلب من اول ما خلق الله تعالى
على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال اول ما خلق الله تعالى جوهرة طولها وعرضها مسيرة الف سنة في مسيرة
عشرة الاف سنة فنظر اليها بالهيبة فذابت واضطربت من ذلك النظر ثم ثار منها دخان فارتفع واجتمع
منه زبد فقام فوق الماء اما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق تعالى فيه اليبوسة واحدث منه الارض واما الدخان
فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات سمى الله تعالى ذلك البخار المتصاعد سماء والحال انه لم يكتس صورة السماء حال
الاستواء اليه حيث قال ثم استوى الى السماء وهي دخان على طريق تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ثم تبين انه
جعل ذلك البخار المظلم سبع سموات حيث قال فقضيهن سبع سموات هذا على ان يكون المراد بالامر الظلماني المادة التي
صورت بصورة السماء ثم ذكر انه يحتمل ان يكون المراد بذلك الامر الظلماني الاجزاء التي تتجزى فانها في ابتداء
خلقها كانت اشياء مظلمة عديمة النور ثم اذا ركبت وجعلت سموات وكواكب وشمسا وقمرا احدثت فيها صفة
الضوء كانت متفرقة منتثرة ولما كانت اول حدوثها مظلمة صح تسميتها بالدخان تشبيها لها به من حيث انها اجزاء
متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان فانه ليس له صورة تحفظ تركيبه قوله ما خلقت فيكما دفع لما يتوهم
من ان قوله تعالى للارض والسماء ائتيا يستلزم ارادة ايجاد الموجود بالنسبة الى الارض لان الفاء في قوله فقال
لها وللارض للعطف مدخولها على قوله استوى وقد تقرر ان الاستواء الى السماء عبارة عن ملزومه وهو اقتضاء الحكمة
خلقها

خلقها من غير ان يعارضها ما يصرفه عن خلقه اياها فكان امرهما بالاتيان عقيب الاخبار باستدعاء
الحكمة لخلق السماء بمعنى ارادة وجودهما وارادة وجود الارض بعد الاستواء الى السماء المتاخر عن خلق الا
رض في يومين ارادة لايجاد الموجود والمص دفع لزومه بوجوه محصول الوجه الاول ان قوله تعالى فقال معطوف
على مقدر والتقدير ثم استوى الى السماء ثم دعاه الحكمة الى خلقها فخلقها فقال لها وللارض بعد خلق ذاتهما ائتيا
على ان يكون مفعول ائتيا محذوفا والمعنى ابرزا ما اودع فيكما من الاوصاف كتاثير العلويات في السفليات وتأثير
الاخر بعض الاوصاف وتبدل اوضاع الاولى وكيفيات الثانية وما يتفرع عليها من الكائنات المتنوعة ومحصول
الوجه الثاني ان المراد بخلقهما تقديرهما والحكم بوجودهما في اوقات معينة وبالامر ايجادهما طبق ما قدرهما
ولا يلزم ايجاد الموجود بناء على ان الخلق السابق بمعنى التقدير فقوله تعالى خلق الارض في يومين معناه انه قضى
بحدوثه في يومين وقضاء الله بانه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فجاز ان يقضي الله تعالى
بحدوث الارض في يومين ثم يقول للسماء وللارض ائتيا في الوجود والحدوث من غير ان يلزم منه ايجاد الموجود
ولما ورد ان يقال لما كان قوله تعالى خلق الارض في يومين بمعنى انه قضى وقدر وجودها في يومين وكان قوله ثم
استوى الى السماء الى خلقها بمعنى دعى داعي الحكمة الى تقدير السماء بعد تقدير الارض كان كل واحد من الاشياء صفة
ازلية لا يترتب بعضها على بعض فلا وجه لكلمة ثم في قوله ثم استوى الى السماء اجاب عنه بوجهين الاول انها لترتيب
رتبة التقدير لا الترتيب زمانهما والثاني انها لترتيب الاخبار على الاخبار ومحصول الوجه الثالث ظاهر
وقد عرفت ما فيه من ان دحوها متقدم على خلق الرواسي من فوقها المتقدم على خلق السماء فكيف يتصور خلقها
مع الدحو وفيه ايضا انه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز الا ان يقال الاتيان المسند الى ضمير الارض غير المسند
الى ضمير السماء فلا جمع بينهما في لفظ واحد حكما ومحصول الوجه الرابع ان المراد بخلقهما ايجادهما وباتيانهما
موافقة كل واحدة منهما صاحبتها في كونه سببا مؤديا الى حدوث ما اريد تولده منهما قوله من المواتاة يعني
ان وزن آتيا وآتينا بالمد فيهما فاعلا وفاعلنا مثل قاتلا وقاتلنا وساعدا وساعدنا وانهما ليسا
من الايتاء بمعنى الاعطاء وعلى ان يكون وزنهما افعلا وافعلنا مثل اكرما واكرمنا وانما جعله من المواتاة
لا من الايتاء بمعنى الاعطاء لان الاول متعد الى مفعول واحد والثاني الى مفعولين وحذف المفعول الواحد
اسهل من حذف المفعولين قوله لا اثبات الطوع والكره لهما لانهما من اوصاف العقلاء ذوي الارادة
والاختيار والسماء والارض من قبيل الجمادات العديمة الارادة والاختيار فلذلك لم يكن المراد اثبات
حقيقة الطوع والكره لهما بل المراد اظهار لزوم تاثير قدرته فيهما واستحالة امتناعهما عن التاثير
منهما كما يقول الجبار لمن هو تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه طوعا او كرها يريد به ذلك
الاظهار والاستحالة وان كان ذلك الشخص مما يصح اتصافه بحقيقة الطوع والكره الا ان مراد الجبار ليس
اثباتهما وانما مراده اظهار كمال قدرته قوله طوعا او كرها مصدران في موضع الحال اي طائعتين او مكرهتين

قوله اي متضادين بالذات اي لا بالارادة والاختيار قوله والاظهر جواب جما بما لكن خوطب
الجمادات بقوله ائتيا وكيف اجبن بقولهن اتينا مع انهن ليس اهلا للخطاب والجواب وتقرير جوابه انه
من قبيل الاستعارة التمثيلية من غير ان يتحقق ثمة خطاب ولا جواب شبه تاثير قدرته فيهما وتاثرهما
عنها بالذات اي بالمشية والاختيار بامر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المامور المطيع فيمتثل امره ولا يرد قوله
بل يتلقاه بالقبول والامتثال فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحال المشبه بها قوله وما قيل انه
تعالى خاطبهما الخ اي قيل لا يبعد ان يخاطب الله تعالى ايا بهما ويامرهما بالاتيان وان يجيباه ويمتثلا امره بان يخلق
الله تعالى فيهما حيوة وعقلا ثم يوجه الامر والتكليف اليهما ويدل عليه قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات
والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها فانه يدل على كونها عاقلة عارفة بالله تعالى وبتوجه تكليفه
اليها وبعقوبته من قصر في رعاية مقتضى التكليف وذلك كما انطق الله تعالى الجبال مع داود عليه الصلوة
والسلام وانطق الايدي والارجل بالشهادة بما فعل اصحابها قال المص وهذا القول انما يتصور ان لو كان
المراد بالامر باتيانهما الامر بابرازهما اودع فيهما من الاوصاف والاوضاع والكيفيات او الامر بان
تاتي كل واحدة منهما صاحبتها اتيانا يقتضيه الحكمة من كون الارض قرارا للسماء سقفا للارض ليتحقق
التاثير والتاثر المؤديين الى انتظام احوال اهل الارض واما ان اريد باتيانهما الاتيان الى الوجود والحدوث
وهو الوجه الثاني او اريد باتيان الارض كونها مدحوة قرارا ومهادا لاهلها وباتيان السماء حدوثها على وفق
التقدير الازلي وهو الوجه الثالث فلا يصح ذلك القول لان كون الشيء صالحا للخطاب قادرا على الجواب متفرع
على وجوده والوجود حاصل على الوجهين المتطرفين لا المتوسطين فان السماء والارض حال توجه الامر
بالاتيان الى الوجود اليهما اولى السماء وحدها كانتا معدومتين او كانت احديهما معدومة اذ لو كانتا
موجودتين للمجاز ان توجه اليهما الامر بالاتيان الى الوجود لانه تحصيل الحاصل وايجاد الموجود وان كانتا معدومتين
او احديهما لم يكونا عاقلتين فاهمتين للخطاب قادرتين على الجواب فلا يتصور ان يقال لا يبعد في ان
يخلق الله تعالى فيهما حيوة وعقلا ويخاطبهما ويجيبا خطابه فان قلت الوجود حاصل في الارض على الوجه
الثالث وان لم يحصل في السماء قلت لا يجوز خطاب اثنين وجوابهما بمجرد صلاحية احديهما فقط له قوله
وانما قال طائعين جواب لما يقال السماء والارض اسمان مفردان من قبيل المؤنثات السماعية ومدلول
كل واحد منهما متعدد سموات وارضون فكان ينبغي ان يقال طائعتين حملا على اللفظ او طائعات حملا على
المعنى فلم قيل طائعين على لفظ جمع الذكور العقلاء وتقرير الجواب انهما لما وصفتا باوصاف العقلاء
من كونهما مخاطبات ومجيبات وطائعات ومطيعات عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما
كقوله تعالى اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين قوله خلقا ابداعيا اي على طريق
الاختراع لا على غير مثال لعل قيد الابداع مستفاد من كون اتمامهن والفراغ منهن حال كونهن
سبع

سبع سموات متفرع على الاستواء الى السماء حال كونها دخانا اي شيئا حقيرا مظلما كالدخان فكون
خلقها ابداعيا من غير ان يكون على مثال او مستفاد من قوله تعالى نحو اضيع اخر بديع السموات واما قيد الا
تمام فانه مستفاد من قوله فقضيهن اي اتمهن وفرغ من خلقهن فان قضاء الشيء اتمامه اما قولا
كما في قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه واما فعلا كما في هذه الاية والاتمام فعلا انما يكون بان لا يكون
في المفعول خلل ونقصان وهو معنى الاتقان قوله وضمير قضيهن للسماء على المعنى فان السموات
كان مفرد اللفظ الا انه في معنى الجمع لتعدد مدلوله ويحتمل ان لا يرجع الى السماء لا من حيث اللفظ
ولا من حيث المعنى بل يكون ضميرا مبهما يفسره سبع سموات كضمير ربه رجلا وورد في الاخبار انه تعالى خلق
الارض في يوم الاحد والاثنين وخلق ما سائر ما في الارض في يوم الثلثا والاربعاء وخلق السموات وما فيهن في
يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة
والظاهر انه ينبغي ان يكون المراد به انه تعالى خلق العالم كله في مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر لكان
مبتدا تلك المدة اول يوم الاحد وآخرها اخر يوم الجمعة قوله شانها وما يتاتى منها من الحركات المختلفة
والاوضاع المتجددة وكونها مزينة بالثوابت والسيارات الى غير ذلك من الشؤون والاحوال فسر الامر
بالشان فيكون واحد الامور فان الامر الذي هو مصدر فوكل امرته بكذا امرا يجمع على اوامر ومعنى ايحاء الامر
بهذا المعنى في كل سماء حمل كل واحدة منها على ما يتاتى منه من الشؤون والامور بحيث تاتي السماء به اختيارا عند
من يقول بان الافلاك لها نفوس تؤثر في اجرامها بارادته واختياره او طبعا عند من لم يقل بذلك والايحاء في
الاصل الالقاء استعمل هنا في اظهار ما اراده في كل سماء وقيل اوحى الى اهلها باوامره على ان الامر مصدر امره
بكذا والآمر هو الله تعالى والمامور اهل كل سماء الا انه اضيف الامر الى نفس السماء للملابسة فانه تعالى على اهل
كل سماء تكليف خاص فمن الملائكة من يبقى في القيام من اول خلق العالم الى قيام القيمة ومنهم ركوع لا ينتصبون
ومنهم سجود لا يرفعون رؤسهم ولما كان ذلك الامر مختصا باهل ذلك السماء كان مختصا بتلك السماء ايضا
بواسطة اهلها فصحت اضافته اليها قوله فان الكواكب كلها يعني ان المراد بالمصابيح جميع الكواكب التي
خلقها الله تعالى في السموات من الثوابت والسيارات وليس كلها في السماء الدنيا وهي التي تدنو وتقرب من اهل
الارض فان كل واحد من السيارات السبع مختص بسماء من السموات والثوابت مركوزة في الفلك الثامن الا ان
كونها مركوزة فيما فوق السماء لا ينافي كونها زينة لها لانه اي جميع الكواكب كالسرج الموقودة فيها قوله
من المسترقة وهي الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراقة السمع فيرمون بشهاب صادرة من نار
الكواكب منفصلة عنها ولا يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك على حالها وما ذلك الا كقبس يؤخذ
من النار والنار باقية بحالها لا ينقص منها شيء والشهاب شعلة نار ساقطة والشهب جمعه قوله وقيل
مفعول له لم يرض به لاحتياجه الى اعتبار الفعل المعلل وتغير اسلوب النظم الى ما لا حاجة اليه ويمكن جعله

قال السدي ولله في كل سماء بيت يحج اليه ويطوف اليه الملائكة وكل واحد منها مقابل للكعبة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة

مفعولا له بتجريده جعله معطوفا على آخر مثله ويكون التقدير وزينا السماء الدنيا بمصابيح تشريفا لها وحفظا
وهو ليس ببعيد من تقدير العامل ثم انه تعالى لما امره عليه الصلوة والسلام بان يجيب المشركين بقوله انما بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد ثم يحتج عليهم بقوله ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وحاصله
ان الاله الموصوف بهذه القدرة القاهرة كيف يجوز ان يكفر به ويجعل له اندادا فان اعرضوا عن قبول
هذه الحجة القاهرة واصروا على الجهل والتقليد فقل لهم لم يبق في حقكم علاج الا انزال العذاب الذي نزل على من
قبلكم من المعاندين والانذار التخويف والصاعقة قطعة نار تنزل من السماء فتحرق ما اصابته استعيرت
ههنا للعذاب الشديد تشبيها له بها في الشدة والهول قوله وهي المرة من الصعق والصعق بسكون العين
مصدر من المتعدي ومعناه الاهلاك وبفتح العين مصدر من اللازم بمعنى الهلاك يقال صعقته الصاعقة
صعقا بفتح العين في الماضي وسكونها في المصدر اي اهلكته الصاعقة فصعق صعقا بكسر العين في الماضي
وفتحها في المصدر اي هلك ومات قوله حال من صاعقة عاد اي من الصاعقة الثانية اي مثل صاعقتهم
كائنة وقت مجيء الرسل اليهم فكذبوهم فالمراد كون متعلق الظرف حالا منها لان الصاعقة قطعة نار تنزل
من السماء فتحرق فهي جثة فالزمان كما لا يكون صفة للجثة لا يكون حالا منها ايضا ولا يجوز جعله صفة لصاعقة
الاولى ولا ظرفا لانذرتكم لفساد المعنى لان انذاره عليه الصلوة والسلام قومه المعرضين ليس في وقت مجيء
الرسل الامم المكذبة ولا بصاعقة كائنة في ذلك الوقت قوله من جميع جوانبهم ليس المراد الجهات الحسية و
الاماكن الحقيقية المحيطة بهم بل ما يشبه بها من جهات الارشاد وطرق النصيحة فتارة جاؤا من جانب
الانذار والتخويف واخرى من جانب التشويق والترغيب فيما اعد لاهل الايمان والطاعة ومرة من جانب
البينات الدالة على حقية ما دعوهم اليه من التوحيد والاذعان لجميع ما شرع لهم من وجوه الطاعة
ونحو ذلك واعمل كل رسول في حق قومه كل حيلة حرصا على ايمانهم قوله او من قبلهم ومن بعدهم على ان يكون
ما بين ايديهم حالا من الرسل اي كائنين قبلهم وبعدهم او صفة لهم اي الرسل الكائنون من قبلهم ولما ورد
ان يقال الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بانهم جاؤهم وكيف يخاطبهم عاد وثمود بقولهم انا بما
ارسلتم به كافرون اشار الى جوابه اذ بلغهم خبر المتقدمين الخ قوله بان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا او اي لا تعبدوا اي يحتمل
ان كلمة ان في قوله ان لا تعبدوا مصدرية وان تكون مفسرة لما جاءت الرسل به لان قوله جاءتهم يتضمن معنى
القول قوله على زعمكم يعني ان قولهم ارسلتم به ليس اقرارا منهم بكون اولئك الانبياء رسلا وانما ذكروه حكاية
لكلام الرسل او على سبيل الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ثم انه تعالى لما بين كفر قوم
عاد وثمود على الاجمال اخذ في تفصيل حال كل واحدة من هاتين الطائفتين فقال فاما عاد فاستكبروا الاية
كان هود عليه الصلوة والسلام يهددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه عنا بفضل قوتنا فرد الله تعالى
عليهم بقوله اولم يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة فان قولهم من اشد منا قوة استفهام اريد به النفي لغرضي

روي ان ابا جهل قال في ملاء
من قريش قد التبس علينا امر محمد
فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة
والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال
عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر
والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما
يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير
ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير
ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا
فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء
فكنت رئيسا وان تك بك الباءة زوجناك
عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش
شئت وان كان بك المال جمعنا لك
ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم
ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن
الرحيم الى قوله صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود فامسك عتبة على فيه
وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج
الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا
ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا
اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك
عنا الا انك قد صبات فغضب و
اقسم لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله
لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو
بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ
صاعقة عاد وثمود امسكت بفيه
وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم
ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت
ان ينزل بكم العذاب كشاف

ولما كان هذا
الوجه غير ظاهر المعنى
محتاجا الى البيان اذ الرسل
الماضون قبلهم والرسل الذين
يجيئون بعدهم غير حاضرين في زمانهم
فكيف يقال فيهم انهم جاءتهم وكيف
يخاطبون بقولهم انا بما ارسلتم به كافرون
بين هذا الوجه بمعنى تنزيل مجيء خبر من
قبلهم ومن بعدهم من الرسل منزلة
مجيء اشخاصهم فكانهم جميعا حا
ضرون في زمانهم يدعونهم الى الايمان
وهم يخاطبون جميعهم بقولهم انا
بما ارسلتم به كافرون فقولهم بهذا خطاب
منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء عليهم الصلوة
والسلام الذين دعوهم الى الايمان بهم على سبيل التغليب
منه رحمه

اعتبروا بقدرته كائنة باقدار الله تعالى اياهم على بعض الاشياء ولو شاء لسلبهم ذلك وجحدوا قدرة من هو
قادر على كل شيء بقدرة ذاتية غير مستفادة من غيره فاستحقوا ان يرد عليهم بان يقال من هو اشد قوة
جحود وانكار لما تعلمونه فان قوله تعالى اولم يعلموا تقرير لعلمهم بذلك ثم ان المص فسر القوة في قوله تعالى ان الله
الذي خلقهم هو اشد منهم قوة بالقدرة لان صيغة التفضيل تقتضي اشتراك المفضل عليه في الوصف الذي
هو مبدأ الاشتقاق افعل ولا اشتراك بينه تعالى وبين الانسان في القوة التي هي عبارة عن شدة البنية
وصلابتها المضادة للضعف فانه تعالى منزه عن القوة بهذا المعنى وانه لا يوصف بالقوة الا على معنى القدرة
فوجب ان يراد بقوة الانسان القدرة مجازا لكونها مسببة من القوة بمعنى صلابة البنية فتكون القوة
في كل واحد من جانبي المفضل والمفضل عليه بمعنى واحد فيصح تفضيل احدهما على الاخر في القوة بالمعنى
المجازي قوله يعرفون انها حق وينكرونها يريد ان الجحود هو الانكار مع العلم قوله وهو عطف على فاستكبروا
ونظم الكلام هكذا واما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وكانوا باياتنا يجحدون والمعنى انهم جمعوا بين
الاستكبار وطلب العلو في الارض وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الاحسان الى الخلق وبين الجحود
بالايات وهو كفر وترك التعظيم للخالق فيكون قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم
هو اشد منهم قوة اعتراضا وقع بين المعطوف والمعطوف عليه لبيان السبب الداعي الى الاستكبار والرد
عليهم فيما زعموه فلما جمعوا بين الوصفين اللذين هما اصل جميع الصفات الذميمة لا جرم سلط الله عليهم
العذاب فقال فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في الصحاح الصر بالكسر برد يضرب النبات والحرث والصرصر
تكرير لبناء الصر ويقال ايضا صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت فيكون الصرصر تكرير صر قوله
وقرأ الحجازيان ابن كثير ونافع والبصريان ابو عمرو ويعقوب بسكون الحاء في نحسات على انه صفة
مشبهة من نحس على وزن علم اصله نحسات بكسر الحاء فاسكنت للتخفيف او على كل واحد من نحس ونحس
بكسر الحاء وسكونها لغة اصلية في صفة فعل الا ان اهل التصرف لم يذكروا في الصفة من باب فعل بكسر العين
الا اوزانا محصورة ليس منها افعل بالسكون فذكروا افرح فهو فرح وحور فهو احور وشبع فهو شبعان
وسلم فهو سالم وبلي فهو بال او على انه مصدر وصف به كرجل عدل وفيه ضعف لان الاصل الفصيح في المصدر
الذي وصف به ان لا يجمع وقد جمع ههنا ويمكن ان يعتذر عنه بانه جمع نحسات لاختلاف انواعه في الاصل
وقرأ الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء على انه صفة مشبهة من نحس كفرح فهو فرح واشر فهو اشر والمعنى
في ايام مشومات لان النحس يقابل السعد ونحوستها ان الله تعالى ادام تلك الريح فيها على وتيرة واحدة لا تفتر
واهلك القوم بها لا كما يزعم المنجمون من ان بعض الايام قد يكون في ذاته نحسا وبعضها سعدا استدلالا
بهذه الاية لان اجزاء الزمان متساوية في حد انفسها ولا تمايز بينها الا بحسب تمايز ما يقع فيها من
الطاعات والمعاصي والاستدلال بالمحتمل قوله على قصد وصفه به اي وصف العذاب بالخزي وكون اضافته

العذاب اليه من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كما تقول فعل السوء بالاضافة وتريد الفعل السيء اعلى الوصفية
فاصل الكلام عذاب خزي على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة كما في رجل عدل كانه قيل عذاب خزي اي عذاب
ذليل مهان وخزي صفة مشبهة اصله خزي فاعل كقاض ثم اضيف العذاب الى ما قصد توصيفه به فقيل عذاب الخزي
كما قيل رجل صدق للدلالة على اختصاصه بتلك الصفة واستدل على ان اضافة العذاب الى الخزي بمعنى قصد
وصفه بالخزي بقوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى اي اذل وازيد خزيا فانه لولا ان المقصود توصيف العذاب
بالخزي لما صح ان يجعل عذاب الاخرة مقابلا لعذاب الدنيا بكون الاول اشد خزيا بالنسبة الى الثاني ولما
ذكر الله تعالى قصة عاد اتبعه بقصة ثمود فقال واما ثمود الجمهور على رفع ثمود غير منون لمنع صرفه للعلمية
والتانيث فانه اسم قبيلة ومن نونه وصرفه جعله اسم رجل الجد الاعلى للقبيلة ورفعه على الابتداء و
الجملة بعده الخبر لان اما لا يليها الا المبتداء فلا يجوز الاشتغال فيما بعدها الا نادرا قال ابن الحاجب يختار
رفع ما اضمر عامله بالابتداء اذا وقع بعد اما مع غير الطلب ولو كانت مع الطلب يختار النصب
لئلا يقع الطلب خبرا واذا قدرت الفعل الناصب فقدره بعد الاسم المنصوب هكذا واما ثمود فهدينا
فهديناهم قالوا لان اما لا يليها الافعال قوله عدلناهم على الحق اشارة الى ان الهداية عبارة عن الدلالة
على ما يوصل الى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء او لا وليست عبارة عن الدلالة المفيدة بكونها موصلة
الى البغية وفسرها الزمخشري في سورة البقرة بالدلالة الموصلة الى البغية واستدل عليه بوجوه ولما
ورد عليه ان يقال لو كانت الهداية عبارة عن الدلالة المفيدة بكونها موصلة الى البغية لامتنع حصولها
بدون الاهتداء مع انه تعالى اثبت الهداية بدون الاهتداء حيث قال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على
الهدى اي فاختاروا الدخول في الضلالة على الدخول في الرشد اجاب عنه بان الهداية فيه مستعار للدلالة
المجردة تشبيها لها بالدلالة الموصلة من حيث انها مكنتهم من الاهتداء بحيث لم يبق لهم بعدها عذر و
لا علة فصارت بذلك كانها دلالة موصلة فسميت هداية لذلك واستدل المعتزلة بهذه الاية على ان الكفر
والايمان يحصلان من العبد وذلك لانها تدل على انه تعالى نصب الدلائل وازاح العلل والاعذار الا ان
الايمان يحصل من العبد لان قوله واما ثمود فهديناهم يدل على انه تعالى قد نصب لهم الدلائل وقوله فاستحبوا
العمى على الهدى يدل على انهم من عند انفسهم اتوا بذلك العمى وهذا الاستدلال باطل لانه يستلزم ان يترك
كثير من دلائل العقل والنقل منها قوله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله ولا بعد في ان يسند
الفعل القبيح الى العبد لكونه سببا من اختيار السيء واكتسابه القبيح والتحقيق ان معنى استحباب
العمى اختياره حبا والمحبة ليست باختيارية اتفاقا والاختيار والايثار اختيارية والمؤثر مجموع الا
مرين احدهما من الله تعالى والاخر من العبد فظهر ان في لفظ الاستحباب ما يشعر بان قدرة الله تعالى هي المؤثرة
وان لقدرة العبد مدخلا ما وان الايمان ونحوه مقدور بين القادرين فتامل فيه فانه دقيق عجيب قوله

قوله واضافتها الى العذاب اي اضافة الصاعقة الى العذاب الموصوف بالمصدر للمبالغة في كونه مهينا يدل
على شدة وقوع الصاعقة وقوتها فان اضافتها اليه من اضافة النوع الى الجنس تفيد ان من والمعنى فاخذتهم
من جنس العذاب المهين الذي بلغ في افادة الهوان للمعذب الى حيث صار كانه عين الهوان عما كان
شديد الوقع كانه صاعقة مهلكة والهون مصدر بمعنى الهوان والذلة وصف به العذاب للمبالغة اي عذاب
مهين كانه عين الهوان فالمبالغة استفيدت من ثلثة اوجه الاول من استعارة لفظ الصاعقة للعذاب
والثاني من اضافة الصاعقة الى العذاب والثالث من توصيف العذاب بالهون ثم انه تعالى لما بين كيفية
عقوبتهم في الدنيا اردفه ببيان كيفية عقوبتهم في الاخرة ليحصل منه تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال
ويوم يحشر اعداء الله الى النار ويوم منصوب بمحذوف دل عليه ما بعده من قوله فهم يوزعون فتقديره
يساق الناس يوم يحشر وقال ابو البقاء تقديره يمنعون يوم يحشر وقيل انه منصوب باذكر مقدرا اي اذكر
يوم يحشر جميع الكفرة من الاولين والاخرين فهم يوزعون اي يحبس سوابقهم حتى تلحق بهم اواخرهم
وهو عبارة عن كثرتهم قراء الجمهور بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على بناء ما لم يسم فاعله ورفع
اعداء لقيامه مقام الفاعل وحتى غاية ليحشر واذا منصوب بشهد ومعنى التاكيد في كلمة ما ان وقت حضور
هم النار لا محالة هو وقت الشهادة عليهم ومثله قوله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به اي لا بد لوقت وقوع
العذاب من ان يكون وقت ايمانهم روي انه عليه الصلوة والسلام ضحك يوما حتى بدت نواجذه ثم قال
الا تسالوني مم ضحكت قالوا مم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيمة قال يقول
يا رب اليس قد وعدتني ان لا تظلمني قال فان لك ذلك قال فاني لا اقبل علي شاهدا الا من نفسي قال او
ليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيقول اي رب اجرتني من الظلم فلن اجيز على اليوم
شاهدا الا من نفسي قال فيختم على فيه وتتكلم الاركان بما كان يعمل قال عليه الصلوة والسلام فيقول لهن
بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل قوله تعالى شهد عليهم اي اذا نهم وافرد لكونه مصدرا في الاصل قوله
ولعل المراد به نفس التعجب اي من غير ان يتحقق منهم سؤال وخطاب للاعضاء وهذا على ان يكون كيفية
شهادة الاعضاء ان يظهر عليها احوال تدل على صدور تلك الاعمال منهم فيكون الجواب بقالوا انطقنا الله
ايضا بلسان الحال قوله اي ما نطقنا باختيارنا اي حتى نستحق توبيخكم بهذا على ان يكون لم شهدتم
سؤال توبيخ وقوله وليس نطقنا بعجب على ان يكون سؤال تعجب قوله تمام كلام الجلود فيكون معطوفا
على قوله انطق كل شيء اي انطقنا الله الذي هذا كله شانه فمن قدر عليها قدر على انطاقنا لا محالة و
ان تم كلام الجلود عند قوله انطق كل شيء كان قوله وهو خلقكم ابتداء كلام من الله تعالى لبيان ان من قدر على
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم علقة ثم من مضغة وصيركم حيوانا ناطقا اول مرة اي في الدنيا ثم على بعثكم
وارجاعكم الى موقف حسابه وجزائه كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء فسل كيفية نطقها و

شيء كذا في المجلود وبالملامسة للحرام وما اشبه ذلك مما يفضي اليها من المحرمات
كشاف

فكان هذه الاعضاء تقول في ذلك الحين اقامة للحجة البالغة ايها الكوان والحاضرون من الانس والملائكة والجن اعلموا ان صاحبي كان يعمل في كذا وكذا مع الاصرار فاستحق بذلك النار وغضب الجبار ثم تقذف به
بغاكي

شهادتها عليهم ان يخلق الله تعالى فيها الحيوة والفهم والقدرة على النطق فتشهد كما يشهد الرجل بما
يعرفه وهذا القول لا يتاتى على مذهب المعتزلة لان البنية شرط عندهم لحصول الحيوة والعقل واللسان
مع كونه لسانا يمتنع ان يكون محلا للعلم والعقل فان قلنا غير الله تعالى تلك البنية والصورة خرج عن كونه
لسانا وجلدا وظاهر القران يدل على اضافة تلك الشهادة الى السمع والبصر والجلود وان قلنا انه تعالى
ما غير بنية هذه الاعضاء يمتنع كونها فاعلة ناطقة فاهمة وانما يتاتى على مذهب اصحابنا لان البنية
ليست بشرط للحيوة ولا للعلم ولا للقدرة عندنا فهو تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل
جزء من اجزاء هذه الاعضاء وقيل في كيفية نطقها وشهادتها ان يظهر فيها احوال تدل على صدور تلك الاعمال
من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى شهادات كما يقال تشهد العالم بتغيرات احواله على حدوثه قوله ان تشهد
في موضع النصب باسقاط الخافض اي من ان تشهد او الجر على ارادته لان استتر لا يتعدى بنفسه وقيل في موضع
الجر على تقدير المضاف اي مخافة ان تشهد اي كنتم تكتفون عند ارتكاب الفواحش بالتستر والاختفاء
من الناس ولم تعلموا انه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة من خفيات الامور وجلياتها حتى تخافوا من ان
يفضحكم بان ينطق اعضاءكم ويشهدها عليكم ولكن ظننتم انه تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون اي لا يعلم ما
فعلتموه خفية تستترا بالحيطان والحجب وظلمة الليل فلذلك اجترأتم على ارتكاب الفواحش خفية وما
علمتم انه تعالى مطلع عليها ومفضحكم بها بان ينطق جوارحكم ويشهدها عليكم فان طائفة من الكفار
بلغ جهلهم الى ان ظنوا انه تعالى يعلم بعض الامور ويخفى عليه بعضها عن ابن عباس رض انه قال ان الكفار كانوا
يقولون ان الله تعالى لا يعلم ما في انفسنا ولكنه يعلم ما نظهره وعن ابن مسعود رض قال كنت مستترا
باستار الكعبة فدخل ثلثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم
فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان
كان يسمع ان جهرنا يسمع اذا اخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم
تستترون الاية قيل الثقفي عبد ياليل والقرشيان ختناه ربيعة وصفوان بن امية قوله
اذ صار ما منحوا فان القوة العاقلة نعمة انعم الله تعالى بها عباده ليتوسلوا بها الى تحصيل العقائد الحقة
التي هي سبب سعادة الدارين ومن توسل بها الى شقاء الدارين فقد خسر خسرانا مبينا وهذه الاية نص
صريح في ان من ظن انه تعالى يخرج عن علمه شيء من المعلومات فانه من الهالكين الخاسرين وانه ظنه
ذلك يرديه ثم قال فان يصبروا اي ان امسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه انتظارا للفرج زاعمين
ان الصبر مفتاح الفرج لم يجدوا ذلك ويكون النار مثوى لهم اي مقاما لهم من الثوى وهو الاقامة و
ذكر في مقابلة صبرهم استعتابهم فقال وان يستعتبوا بفتح الياء الغيبة وكسر التاء الثانية على بناء الفاعل
اي وان اظهروا الجزع واستغاثوا في ازالة ما هم فيه من العذاب لم يعتبوا اي لم يجابوا الى ذلك فكان جزعهم
و

فان قلت كيف يشهد عليهم اعضاؤهم
وكيف ينطق قلت الله عز وجل ينطقها
كما انطق الشجرة بان يخلق فيها كلاما
وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل
هي كناية عن الفروج كشاف

وقوله على اخفت يا انطاهر
انه على صيغة المجهول وبها قائم مقام
فاعله والمعلوم جائز ايضا وبما تكمل
حاشية

وصبرهم سواء في ان شيئا منهما لا يؤدي الى الخلاص يقال عتب عليه اي وجد عليه وغضب واعتبني فلان
اي عاد لي مسرتي راجعا عن الاساءة والاستعتاب طلب العتبى وهي اسم من الاعتاب بمعنى ازالة
العتب كالعطاء والاستعطاء فهو تعالى عاتب مغضب على المسيء بتعذيبه والمسيء مستعتب يطلب منه تعالى
ان يعتبه اي يزيل عنه ما هو فيه من العقوبة والعذاب الا انه لا يكون معتبا وقرئ وان يستعتبوا على بناء
المفعول فما هم من المعتبين على بناء اسم الفاعل من اعتب بمعنى ارضى وازال عتبه اي ان استعتب احدهم منهم
بان يطلب منهم ان يعتب ربه ويزيل عتب ربه عليه لم يقدروا عليه لانهم فارقوا دار التكليف والطاعة
واتوا دار الجزاء فانى يقدرون على اعتاب ربهم ثم انه تعالى لما ذكر الوعيد الشديد في الدنيا والاخرة على كفر
اولئك الكفار اردفه بذكر السبب الذي لاجله وقعوا في ذلك الكفر فقال وقيضنا لهم قرناء اي جعلنا
القرناء وقدرناها قيضا لهم اي بمنزلة القيض الذي يستولي على اللب كما يستولي القيض على البيض وقيض
البيضة قشرها فانهم لما صمموا على الكفر لم يبق لهم من الاصدقاء الا الشياطين وهذا معنى قول الجوهري قيض
الله فلانا لفلان اي جاءه واتاحه له اي قدره له والاخدان جمع خدن وهو الصديق وقيل قيضنا ليس
من القيض بمعنى القشر بل هو من القيض بمعنى البدل والعوض كما يقال هذان ثوبان قيضان اذا كان كل
واحد منهما مكافيا للاخر في القيمة بحيث يصح ان يباع احدهما بالاخر معاوضة اي مبادلة وهي بيع السلعة
وسمي بها لكونه معاوضة احد المتاعين بالاخر ولما كان عقد المقايضة مبنيا على مناسبة احد البدلين
للاخر كان معنى الاية جعلنا وقدرنا قرناء السوء لهم قيضا اي مناسبا لهم بحيث يليق ان يتخذوهم اخدانا
واصدقاء يقبلون ما دعوهم اليه ولم يرض بهذا الاضمار لما فيه من التكلف وقد دلت الاية على ان كفر
الكافر بارادة الله تعالى ومشيته وان لم يرض لانه حكم بانه قيض لهم قرناء فزينوا لهم الباطل وهذا يدل على
انه تعالى اراد منهم الكفر لانه تعالى لما قيض لهم اولئك القرناء بارادته وهو يعلم انهم يزينون لهم الباطل ويحملونهم
على الكفر لزم ان يريد منهم ذلك التزيين وما يترتب عليه لان من فعل بارادته وعلم ان ذلك الفعل يفضي لا
محالة الى اثر فذلك الفاعل لابد ان يكون مريدا لذلك الاثر قوله ما بين ايديهم من امور الدنيا جعل امر
الدنيا بين ايديهم لكونها حاضرة لهم كما يقال قدمت المائدة بين ايديهم والاخرة لما كانت تاتيهم بعد
هذا جعلت خلفهم كما لمن يجيء بعد الشخص انه خلفه وقيل ما بين ايديهم الاخرة لانها قدامهم وهم متوجهون
اليها وما خلفهم الدنيا لانهم تركوها خلفهم قوله تعالى في امم في محل النصب على انه حال من الضمير المجرور في عليهم
اي حق عليهم القول حال كونهم في جملة امم من المتقدمين وشبه كلمة في الواقعة في الاية بما في قوله في اخرين
قد افكوا اي فانت في جملة اخرين او في عدادهم في كونك مافوكا من احسن الصنيعة ولست باوحدي في
ذلك واعلم انه تعالى لما وصف كتابه العزيز في اول السورة باوصاف جليلة ثم اخبر ان اكثرهم اعرضوا عن
تدبره وقبوله بين طريق اعراضهم بقوله وقالوا قلوبنا في اكنة الى قوله فاعمل اننا عاملون وامر رسوله

صلى الله عليه وسلم بان يجيبهم فاجاب بوجوه من الاجوبة واتصل الكلام بعضه ببعض الى هذا الموضع ثم انه تعالى
حكى عنهم طريقا آخر لاعراضهم عن القران فقال وقال الذين كفروا الاية **قوله** بالخرافات وهي الهذيانات
والاحاديث التي لا اصل لها من خرافة اسم رجل من بني عذرة استهوته الجن وكان يحدث بما راى فكذبوه و
قالوا لكل ما يكذبونه من الاحاديث ولكل ما يستملح ويتعجب منه حديث خرافة وكان بعضهم يوصي بعضا
اذا رايتم محمدا صلى الله عليه وسلم يقرا القران لا تصغوا الى قراءته والغوا فيه اي ايتوا فيه باللغو وهو ما ليس
له معنى مفيد يختلط عليه ما يقرا فلا يتمكن من قراءته ولا يتمكن اصحابه ايضا من سماعه قال مقاتل اي ارفعوا
اصواتكم بالاشعار والكلام في وجهه حتى تلبسوا عليه ولما ذكر الله تعالى ذلك عنهم هددهم بالعذاب الشديد
فقال فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا وهذا تهديد شديد لان لفظ الذوق انما يذكر في القدر القليل
الذي يؤتى به لاجل التجربة فاذا كان ذلك المذوق وهو قدر قليل عذابا شديدا فكيف يكون حال الكثير منه
قوله والمراد بهم هؤلاء القائلون يعني ان التعريف في قوله الذين كفروا للعهد الخارجي والمعهود هم الذين
يقولون لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه ويجوز ان يكون للاستغراق فيدخل فيهم القائلون دخولا اوليا
قوله سيئات اعمالهم يعني ان الاسوأ لم يقصد به الزيادة على ما اضيف اليه ليفيد انه تعالى يجزيهم جزاء اسوأ
ما عملوا لا جزاء سيئة مع ان الظاهر انه تعالى يجزيهم جزاء سيئات اعمالهم وجزاء اسوئها بل قصد به الزيادة
المطلقة واضافته الى ما عملوا للبيان انه بعض منه لا للتفضيل عليه كما يقال الاشج اعدل بني مروان ولا يقصد
ان بني مروان اهل العدل وان الاشج اعدلهم بل قصد به الزيادة المطلقة واضيف اليهم لبيان انه
بعض منهم فان قيل الموصوف بافعل على تقدير ان يحمل على الزيادة المطلقة يجب ان يكون بالغا غاية الكمال
في الوصف الذي هو مبداء الاشتقاق افعل فيثبت الشبهة وهي ان يجزون جزاء ما هو في غاية القباحة
من الاعمال مع انهم يجزون جزاء ما لم يبلغ الى تلك الغاية قلنا كل معصية من حيث كونه مخالفة للملك المتعالي
في غاية القباحة واشار المص بقوله سيئات اعمالهم حيث جعل الاعمال السيئة مطلقا اسوأ **قوله**
اشارة الى الاسوء كون قوله جزاء اعداء الله تعالى خبرا عن الاسوء بناء في تفسير قوله اسوأ الذي عملوا بقوله
سيئات اعمالهم فانه يفهم منه ان يكون تقدير الكلام ولنجزينهم بمقابلة اسوء ما عملوا فيكون الاسوء من
قبيل الاعمال فكيف يخبر عنه بالجزاء فينبغي ان يحمل الاية على تقدير المضاف اي ولنجزينهم جزاء اسواء ما عملوا
فكذا قول المص سيئات اعمالهم اي جزاء سيئات اعمالهم **قوله** فانها دار اقامتهم يعني ان كلمة في ليست للظرفية
بل هي للتجريد والمعنى ان النار نفسها دارهم وهم خالدون كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
يعني انه عليه الصلوة والسلام اسوة لكم والامام الرازي جعل كلمة في للظرفية حيث قال لهم في جملة النار
دار معينة وهي دار العذاب المخلد لهم والمص اقتفى اثر الزمخشري في جعله كلمة في للتجريد وهو ان
ينتزع من امر ذي صفة امر آخر مماثل للاول في الاتصاف بتلك الصفة لقصد المبالغة في كمال تلك الصفة في

مطلب كون الزيادة المطلقة
غاية ما في الباب ان لا يكون كل ما اضيف اليه مساويه في الزيادة
قد ينتزع من امر ذي صفة امر آخر ... عشرون ... الخ

في الامر الاول حتى كانه بلغ في اتصافه بتلك الصفة الى حيث يصح ان ينتزع منه امر آخر موصوف بتلك الصفة
كالنار مثلا فانها لما بلغت في كونها دار الخلد بالنسبة اليهم مرتبة عالية صح منها ان ينتزع منه اخرى مثلها في تلك
الصفة **قوله** على ان المقصود هو الصفة اي المبالغة فيها **قوله** ينكرون الحق اي ينكرون ما يعرفون
انه حق فانهم يعلمون باعجاز القران انه كلام الله تعالى لا ريب فيه وانما يجحدونه حسدا فلذلك كان بعضهم
يوصي الى بعض ان لا يسمع الى قراته عليه الصلوة والسلام وان يلغو فيه خوفا من انه لو سمعه الناس
لآمنوا به ثم جوز ان يكون الجحود مجازا عن اللغو على طريق ذكر السبب وارادة المسبب وقوله جزاء
مصدر موكد لفعله الذي دل عليه قوله لهم فيها اي يجزون جزاء ويجوز ان يكون مفعولا له اي لهم ذلك الجزاء وان يكون
منصوبا بالمصدر الذي قبله وهو جزاء اعداء الله والمصدر ينصب بمثله كما في قوله فان جهنم جزاؤكم جزاء
ثم انه تعالى لما بين ان الذي حملهم على الكفر الموجب للعذاب الشديد هو مجالسة قرناء السوء بين ان الكفار عند
الوقوع في العذاب الشديد يقولون ربنا ارنا الذين اضلانا **قوله** فانهما سنا الكفر سنة ابليس و
القتل بغير الحق سنة قابيل حيث قتل اخاه هابيل ثم انه تعالى لما ذكر قرناء الكفار وسوء عاقبتهم ذكر ان قرناء
المؤمنين واولياءهم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الملائكة **قوله** من حيث انه مبدأ الاستقامة فان
الاقرار بان من هو رب العالمين ربه ومالكه ومدبر اموره يستوجب الاستقامة والثبات على مقتضى
اقراره بان يستمر على شكره وثنائه باللسان وصرف جوارحه وجنانه الى العمل والاعتقاد على وفق اقراره
حتى يسلم لسانه وجوارحه وقلبه عن الاعوجاج بان يخالف بعضها بعضا فنسبة الاستقامة الى الاقرار
نسبة المنتهى الى المبداء **قوله** فيما يعن لهم اي يعرض ويعترض لهم من الاهوال سواء كانت في القبر او
عند البعث او عند الموت قوله تعالى الا تخافوا ما تقدمون عليه الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق
مما وقع من المكروه من فوات نافع او حصول ضار والمعنى لا تخافوا اما انتم قادمون عليه من امر الاخرة
فلن تروا مكروها ولا تحزنوا على ما خلفتموه من اهل وولد فانه تعالى يخلفكم عليهم بخير ويعطيكم في الجنة اكثر
من ذلك واحسن ويجمع بينكم وبين اهاليكم واولادكم المسلمين في الجنة **قوله** وان مصدرية مقدرة بالباء
ولا نافية لا ناهية لان ما فيه معنى الطلب لا يصح ان يكون صلة لان المصدرية على المشهور والفعل بعدها منصوب
بان الا ان صاحب الكشاف والمص يجوزان ذلك والتقدير تتنزل عليهم الملائكة ملتبسين بان تخافوا اي بهذا
القول وهو انه تعالى كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه ابدا **قوله** او مخففة من الثقيلة اي تتنزلون
بانه لا تخافوا اي ان ضمير الشان ولا ناهية اي ينزلون ملتبسين بهذه البشارة لا تخافوا من هول الموت و
لا من هول القبر وافزاع يوم القيمة والباء مقدرة ايضا اي ملتبسين بهذه البشارة عن ثابت قال
بلغنا انه اذا انشقت الارض يوم القيمة نظر المؤمن الى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له لا تخف
اليوم ولا تحزن وابشر بالجنة التي كنت توعد وانك سترى اليوم امورا لم تر مثلها فلا يهولنك فانما يراد به

الاسود ا

بشارة
بهذا الخبر الاول فكان
كان ذكره
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ... استقاموا ... فعلا كما استقاموا قولا وعن عمر ... ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا ... قال حملتم الامر على اشده قالوا ... تقول فيها لم يرجعوا الى عبادة الاوثان
... بحلمه وفضله ... انه ... من الملائكة ... واذا سمع ... بحالة ... لعدم علمه انه منهم
من اهل السعادة ولا يقطع بذلك ... يعلم ان من ختم بالايمان ... بهذا الخبر بشارة ... سعادة وان عاقبته محمودة ... لان المؤمنين قد سمع ... من الملائكة اخبار الابشارة ... سمعه المؤمنين من الملائكة ... بل يقال له اخبار فحسب ... ثم انما يحصل له ... ثم اخبر ... اذا اخبر الرجل ... بمثله فانه ... اخبار الاول ... بشرط ان يكون اخبار عن حصول المنفعة ... بعد الاخبار عن حصول البعث فانه قبل البشارة
الموت وفي القبر ... البشرى تكون في ثلثة مواطن عند ... قال وكيع ... الموت ... وقال قتادة ... اذا قاموا من قبورهم و ... قال ابن عباس ... عمله وبشر ... بالجنة ... فيقول لا ... للمؤمن ... ينزل من السماء ... الكتبة ... لا تنصرف ... اغفر لكم ... فان الاستقامة
وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني

غيره كما قيل قوله وهو اعم من الاول لان كل مطلوب لا يلزم ان يكون بحيث تنزع اليه الشهوة الطبيعية لجواز
كونه من الفضائل الروحانية والكمالات النفسانية قوله حال مما تدعون اي من الموصول او ضمير المحذوف
اي ما تدعونه والمراد بالنزل الرزق المعد للنازل وهو الضيف كانه قيل ولكم فيها الذي تدعونه حال كونه
كالنزل للضيف واصل كرامتهم فيهما ما لا يخطر ببالهم فضلا عن ان يشتهونه او يتمنونه والعامل فيه لكم اي
ثبت لكم ذلك المدعى حال كونه نزلا وقوله من غفور رحيم متعلق بمحذوف صفة لنزلا واعلم انه تعالى ذكر اولا
وعيد من اعرض عن القران وتدبر معناه وذكر بعده فضيلة من اقر بالعبودية واستقام قلبا وقالبا بقي
ان هذه المرتبة استكمال ذات النفس وجوهرها وان من اشتغل بتكميل الناقصين بعد تكميل جوهر نفسه فانه
اعلى شانا واحسن حالا بالنسبة الى من اكتفى بتكميل نفسه واعرض عن الالتفات الى حال غيره فقال ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وهذا صريح في ان الدعوة الى الله تعالى احسن من كل ما سواه وكل من دعا الى الله
بطريق من الطرق فهو داخل في هذه الاية وللدعوة الى الله تعالى مراتب الاولى دعوة الانبياء عليهم الصلوة
والسلام فانهم يدعون اليه تعالى بالمعجزات وبالحجج والبراهين وبالسيف والمرتبة الثانية دعوة العلماء فانهم
يدعون الى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط والعلماء ثلثة اقسام عالم بالله غير عالم بامر الله وعالم بامر الله
غير عالم بالله وعالم بالله وبامر الله اما الاول فهو عبد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا
في مشاهدة نور الجلال وصفات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا قدر ما لا بد منه والثاني هو الذي يكون
عالما بامر الله وغير عالم بالله وهم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الاحكام ولا يعرفون اسرار
جلال الله تعالى وجماله واما العالم بالله وباحكامه فهم الجامعون للفضائل القسمين الاولين وهم تارة مع الله
تعالى بالحب والارادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجعوا الى الخلق صاروا معهم كواحد منهم
كانهم لا يعرفون الله تعالى واذا خلوا بربهم صاروا مشتغلين بذكره كانهم لا يعرفون الخلق وهذا سبيل المرسلين
والصديقين والمرتبة الثالثة الدعوة بالسيف وهي للملوك فانهم يجاهدون الكفار حتى يدخلوا في دين الله تعالى
وطاعته والمرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلوة فهم ايضا دعاة الى الله تعالى وطاعته وهي اضعف مراتب
الدعوة الى الله تعالى فلما كان كل واحدة من هذه المراتب داخلا في الدعوة الى الله تعالى ظهر انه لا وجه لتخصيصها
ببعض تلك المراتب وقيل نزلت الاية في حقه عليه الصلوة والسلام فيكون قوله تعالى ومن احسن قولا تعجيبا من
المشركين الذين تواصوا باللغو في قراءته عليه الصلوة والسلام مع انه لا قول احسن من قوله ولا قائل احسن
قولا منه وهو يدعو الى الله تعالى ولا تهمة فيه وانه يعمل بما يقول ويظهر دين الاسلام الذي هو دين ابيكم ابرهيم
عليه الصلوة والسلام قوله حال تفاخرا به اي ليس الغرض من قوله تعالى وقال انني من المسلمين مجرد ان يتكلم
بهذا الكلام بل المقصود التوصيف بانه يتكلم به ابتهاجا بما انعم الله تعالى عليه من نعمة الاسلام او ان يتكلم به اتخاذا
للاسلام دينا ومذهبا فاحسن الاقوال قول من جمع بين خصال ثلث اولها الدعوة الى الله تعالى وثانيها العمل

العمل الصالح وثالثها التدين بدين الاسلام والافتخار به ثم انه تعالى لما عد سيئات المشركين وبين سوء عاقبتها
شرع في حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاستمرار على دعوتهم الى الله تعالى وطاعته فقال ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة والمراد بالحسنة ما هو عليه من دعوتهم الى الدين الحق والصبر على جهالاتهم وترك الانتقام منهم والالتفات
الى سفاهتهم وبالسيئة ما اظهروه من المخالفة والعناد بمثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر وقولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه فكانه تعالى قال يا محمد فعلك حسنة وفعلهم سيئة ولا تستوي الحسنة
والسيئة في الجزاء وحسن العاقبة فانك اذا اتيت بهذه الحسنة استوجبت التعظيم في الدنيا والثواب
في الاخرة وهم بالضد من ذلك فلا ينبغي ان يكون اقدامهم على تلك السيئة مانعا من ذلك الاشتغال بهذه الحسنة
ثم قال ادفع بالتي هي احسن قوله وانما اخرجه مخرج الاستيناف جواب عما يقال الظاهر ان يقال فادفع بالفاء
الدالة على السببية لان نفي الاستواء بينهما سبب للدفع بالاحسن وتقرير الجواب ان صورة الاستيناف ابلغ
في الحث على دفع السيئة بالحسنة والحمل عليه لان اخراج الكلام على صورة الاستيناف انما يكون في مقام
الاهتمام بالحكم قوله من فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم كلمة اذا فيه للمفاجاة والموصول مبتدأ
نهاية صلته قوله عداوة وفي الخبر وجهان احدهما اذا المذكورة المكانية وقوله كانه ولي في موضع النصب على الحال
من الموصول كانه قيل فبالحضرة من يعاديك مشبها الولي والعاملة منوطة بالحال والثاني كانه مع ما اتصل
به هو الخبر واذا ظرف بمعنى التشبيه والظروف تعمل فيها رائحة الفعل تقدمت على العامل او تاخرت قوله
واما ينزغنك ان فيه شرطية وما مزيدة لتاكيد معنى الشرطية والاستلزام فلذلك لحقت نون التاكيد
بفعل الشرط فانها لا تلحق الشرط ما لم يؤكد بما كما مر وفي الصحاح نزغ الشيطان بينهم اي افسد ونزغه
بكلمة اي طعن فيه مثل نخسه بعود او باصبع والمعنى ان الشيطان ان وسوس اليك بان القى الى خاطرك
ان لا تقبل هذه الوصية وهي ان تدفع السيئة بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره وكلمة من في قوله تعالى من
الشيطان ابتدائية اي نزغ صادر من جهته وان كان قوله نزغ بمعنى نازغ وهو الشيطان تكون كلمة من تجريدية
على ان يجرد من الشيطان شيطان آخر ويسمى نازغا قال الشيخ العربي في فتوحاته المكية روي ان اعرابيا من
فصحاء العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمع انه عليه الصلوة والسلام اوتي جوامع الكلم وانه انزل عليه
كتاب معجز عجزت فصحاء العرب عن معارضته فقال له يا رسول الله هل فيما انزل عليك ربك مثل ما قلته فقال عليه
الصلوة والسلام وما قلت فقال الاعرابي قلت • وحي ذوي الاضغان تسبي عقولهم • تحيتك القربى فقد ترقع النغل
• وان جهروا بالقول فاعف تكرما • وان ستروا عنك الملامة لم تبل • وان الذي يؤذيك منه استماعه • وان الذي
قد قيل خلفك لم يقل • فقرأ عليه الصلوة والسلام ولا تستوي الحسنة ولا السيئة الاية فقال الاعرابي هذا والله السحر
الحلال والله تحيرت ولا كان في علمي انه يزاد او يؤتى باحسن قلت اشهد انك رسول الله والله ما خرج هذا الا
من ذي آل انتهى كلامه والآل بالكسر هو الله عز وجل اي والله ما يكون هذا الكلام الا من هو رسول الله جاء به من

عند ربك لانه خارج عن وسع البشر امران تجزى من بينك وبينه عداوة وحقد تحية لتجنبك اقرباءك او بعامل نعل الادبم
بالكبرات فرد والعامة فنقول نعل غلبه على ارضه فقوله تعالى الا ذو حظ عظيم من الخيرات من الفضائل النفسانية
والقوة الروحانية فان الاشتغال بالانتقام لا يكون الا لضعف النفس وتاثرها من الواردات الخارجية فان النفس
اذا كانت قوية الجوهر لم تتاثر من الواردات الخارجية واذا لم تتاثر منها لم يصعب عليها تحملها ولم تشتغل بالانتقام
فثبت ان هذه السيرة لا يلقاها الا ذو حظ عظيم من قوة النفس وصفاء جوهرها ويحتمل ان يكون المعنى ولا يلقاها
الا ذو حظ عظيم من ثواب الاخرة فعلى هذا الوجه يكون قوله وما يلقاها الا الذين صبروا امدحا لهم بفعل الصبر
وقوله وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وعدا باعظم الحظ من الثواب ثم انه تعالى لما بين في الاية المتقدمة ان احسن الاعمال
والاقوال هو الدعوة الى الله تعالى ومن المعلوم ان العمدة الكبرى في طرق الدعوة اليه تعالى هي تقرير الدلائل واقامة
الحجج والبراهين الدالة على وجود الاله الموصوف بالقدرة الذاتية والقدرة القاهرة والحكمة البالغة شرع في تقرير تلك
الدلائل فقال ومن اياته الليل والنهار الاية فان تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرع عليه منافع الخلق و
مصالحهم وتبدل الشمس والقمر لما يراد منهما من اظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه
وحكمته قوله والمقصود تعليق الفعل بهما اي بالشمس والقمر والجملة حالية لتقرير جهة الاشكال فان مقتضى
الظاهر ان يقال لله الذي خلقهما تنصيصا على الامر بتخصيص السجود الذي هو نهاية التعظيم بمن يستحقه وهو رب
العالمين على وجه يتضمن تعليل النهي عن سجود الشمس والقمر الا انه تعالى جمع الشمس والقمر مع الليل والنهار على
خلاف الظاهر اشعارا بانهما مع كونهما عبدين مامورين مخلوقين من عداد ما لا يعقل ولا يختار في حالهما
ابعد عن كونهما مسجودين فقال خلقهن فان قيل ما عدا الشمس من هذه الاربع ذكور وكان المناسب تغليب
الذكور على المؤنث الواحدة فلم غلب الانثى الواحدة على الذكور قلنا تلك الاربع المتعاطفة جماعة ما لا يعقل
فلا يجوز ان يرجع اليها ضمير جماعة الذكور وانما يرجع اليها اما ضمير الانثى او ضمير الاناث نحو الاقلام بريتها او
بريتهن واختير الثاني في الاية وما قيل من انه قيل خلقهن بضمير الاناث دون ضمير الانثى لان الافصح في جمع القلة
ان تعامل معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان تعامل معاملة الانثى فان الافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع
كسرتها والمرجع اليه في الاية جمع قلة فلذلك رجع اليه ضمير الاناث مما لا وجه له لان المرجع اليه في الاية ليس لفظا
واحدا موضوعا لما دون العشرة حتى يكون جمع قلة قوله فان السجود اخص العبادة به تعالى لان العبادة
عبارة عن التذلل لله تعالى وتعظيم جنابه والسجود نهاية التعظيم فيكون اخص به تعالى بالنسبة الى سائر وجوه
العبادة وتقديم المفعول في قوله تعالى اياه تعبدون للحصر والتخصيص فمن خص العبادة به تعالى يستلزم ان يخص
اخص العبادة به بالطريق الاولى فقوله فان السجود اخص العبادة علة للجواب المحذوف بقوله ان كنتم اياه
تعبدون وتقدير الكلام ان كنتم اياه تعبدون لا تسجدوا لغيره فلما كان ناس يسجدون للشمس والقمر كالصابئين
في عبادتهم الكواكب ويزعمون انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله تعالى فنهوا عن هذه الواسطة وامروا
ان

ان لا يسجدوا الا لله تعالى الذي خلق هذه الاشياء فان قيل اذا كان لا بد في السجود لله من قبلة معينة فلو جعلنا
الشمس قبلة عند السجود كان ذلك اولى فلنا الشمس جوهر مشرق عظيم الرفعة لها منافع عظيمة في صلاح
احوال الخلق فلو اذن الشرع في جعلها قبلة في الصلوة بان يتوجه اليها ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض
الاوهام ان ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله فللاحتراز عن هذا الوهم نهى الشارع الحكيم من جعل الشمس
قبلة للسجود بخلاف الاحجار المعينة فانه ليس في جعلها قبلة ما يوهم الالهية فكان المقصود من اتخاذ القبلة
حاصلا بالتوجه اليها مع زوال المحذور المذكور فكان جعلها قبلة اولى قال السدي لما نزلت هذه الاية قال
المشركون لا نسجد الا للات والعزى فنزل قوله تعالى فان استكبروا فان قيل ان الذين يسجدون لغير الله يقولون
نحن اقل واذل من ان يحصل لنا اهلية لعبادة الله تعالى بالذات فلا نعبد الا من يشفع لنا عنده ويقربنا
اليه واذا كان قولهم هكذا فما الوجه في جعلهم مستكبرين عن السجود لله تعالى اجيب بانه ليس المراد بالاستكبار عن
السجود لله تعالى بل المراد الاستكبار عن قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في نهيه عن السجود لغير الله تعالى والمعنى
واستكبروا عن امتثال امرك وابوا الا اتخاذ الواسطة فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله تعالى فان الملائكة
المقربين عند الله تعالى ينزهونه عن الانداد دائما فهم يسبحون له ويسجدون له ويسبحون فيه وقيل يصلون
وفيها السجود وغيره وجزاء قوله فان استكبروا محذوف وهو ما اشرنا اليه بقولنا فذلك لا يقلل عدد المخلصين
حذف لدلالة قوله فالذين عند ربك يسبحون له عليه فانه علة للجزاء المحذوف اقيم مقامه واشار الزمخشري
الى الجواب المحذوف بقوله فدعهم وشانهم ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الاربعة الفلكية اتبعها بذكر الدلائل الارضية
فقال ومن اياته انك ترى الارض خاشعة شبه يبس الارض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاشعا ذليلا
عاريا بالاثواب لدناءة هيئة فاطلق اسم الخشوع عليه ثم اشتق منه خاشعة فهي استعارة تبعية بمعنى يابسة
جدبة كما شبه انتقالها من الجدوبة الى الخصب وحبوتها بانواع النبات من كل زوج بهيج وازديادها
بتزين الشخص بالثياب الفاخرة الملونة بالوان عجيبة واهتزازه وهو الحركة بالنشاط والارتياح فخرا وكبرا
فاستعير الاهتزاز والتزين بانواع الذي لا احصاء لها وحبوتها بانواع النبات فهي ايضا استعارة تبعية ويمكن
ان تجعله من قبيل الاستعارة المكنية والتخييلية يقال ربا الشيء يربو ربوا اي زاد ورب الفرس اذا انتفخ من
عدو او فزع وهو المراد ههنا لان المصل نفخه بقوله وانتفخت وقوله تزخرفت اي تزينت تفسير لقوله
اهتزت ثم انه تعالى لما بين ان الدعوة الى دين الله تعالى اعظم المناصب واشرف المراتب ثم بين ان الدعوة
اليه انما تحصل بذكر دلائل وجوده واتصافه بصفات العظمة وذكر منها دلائل وايات كثيرة عاد الى تهديد من
ينازع في تلك الايات ويجادل بالقاء الشبهات فيها فقال الذين يلحدون في اياتنا والالحاد في الاصل مطلق الميل
والانحراف ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق الى الباطل اي الذين يحرفون في تاويل ايات القران عن طريقها
الصحيح والاستقامة يجازيهم على انحرافهم ثم نبه على انهم يلقون في النار وان اضدادهم ياتون يوم القيمة امنين

قوله بدل من ان الذين يلحدون في آياتنا لان الحادهم فيها كفر بالقران فلهذا اكتفى بجواب الاول عن الثاني والذي
يحكم به على البدل هو المحكوم به على المبدل منه فيلزم ان يكون الخبر لا يخفون علينا قوله واولئك ينادون معطوف
على قوله بمحذوف استبعد هذا الاحتمال من وجهين الاول كثرة الفواصل بينهما والثاني تقدم من يصح الاشارة
اليه بقوله اولئك وهو قوله والذين لا يؤمنون وحق اسم الاشارة ان يشار به الى اقرب مذكور قوله والذكر
القران فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات ولما بالغ في تهديد الذين يلحدون في آيات القران اتبعه ببيان
تعظيم القران فقال وانه لكتاب عزيز والعزيز ان كان من العز الذي هو خلاف الذل يفسر بانه كثير النفع عديم
النظير وان كان من عز يعزه عزا بمعنى غلبه يفسر بانه منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه فان القران وان كان
لا يخلو عن طعن باطل من الطاعنين وتاويل فاسد من المبطلين الا انه تعالى تولى بحفظه وقدر له في كل عصر
منعة يحرسونه بابطال شبه اهل الزيغ والهوى ورد تاويلاتهم الفاسدة فهو غالب بحفظ الله تعالى اياه
وكثير منعة على كل من يتعرض له بالسوء قوله لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات بان يذكر اظهر الجهات
واكثرها في الاعتبار وهو جهتا الخلف والقدام ويراد الجهات باسرها فيكون قوله لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه استعارة تمثيلية شبه الكتاب في عدم تطرق الباطل اليه بوجه من الوجوه بمن هو محمي بحماية
غالب قاهر يمنع جاره من ان يتعرض به العدو من جهة من جهاته ثم اخرج مخرج الاستعارة بان عبر
عن المشبه بما يعبر به عن المشبه به فقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقوله لا يأتيه الباطل صفة
ثانية لكتاب وقوله تنزيل من حكيم حميد تعليل لاتصاف الكتاب بالوصفين المذكورين فان كونه منزلا من حكيم
يوجب كونه عزيزا كثير النفع عديم النظير وكونه منيعا غالبا لا يتأتى ابطاله وكونه من حميد يستلزم كونه حقا
لا يتطرق اليه الباطل قوله او بما فيه عطف على قوله من جهة من الجهات اي لا يأتيه الباطل بما فيه من الاخبار
الماضية والآتية على ان الاخبار بمعنى الامور المخبر بها ثم انه تعالى لما بين شرف آياته وعلو درجة كتابه رجع الى امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يصبر على اذى قومه وان لا يضيق قلبه باعراضهم عن تدبر كتاب الله تعالى فقال
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل قوله وهو على الثاني لا على الاول اذ لا يتصور ان تكون هذه الجملة من مقول الكفرة
ذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا ان الكفار كانوا يقولون لتعنتهم هلا نزل
القران بلغة العجم فاجيبوا بان الامر لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت ولم يرض الامام
بقولهم وقال انه لا يخلو عن الطعن في القران لانه يقتضي تجويز ورود آيات لا تعلق للبعض منها بالبعض
فلا يكون كتابا منتظما فضلا عن كونه معجزا ثم قال الحق عندي ان هذه السورة من اولها الى آخرها كلام
واحد بعضه متعلق ببعض وهذا الكلام متعلق بما حكى تعالى عنهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر وجواب له ايضا والتقدير انا لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم ان يقولوا كيف ارسلت
الكلام العجمي الى القوم العرب ويصح لهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة من هذا الكلام وفي آذاننا وقر منه لانا لا نفهمه
ولا

فان قلت اما طعن فيه الطاعنون وتاول
المبطلون قلت بلى ولكن الله قد تقدم
في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض
قوما عارضوهم بابطال تاويلهم فلم
يخلو طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول
مبطل الا مضمحلا ونحوه قوله تعالى
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
كشاف

ولا نحيط بمعناه اما اذا انزل هذا الكتاب بلغة العرب وانتم من اهل هذه اللغة فكيف يمكنكم ادعاء ان
قلوبكم في اكنة منه وفي آذانكم وقر منه فظهر اذا جعلنا هذا الكلام جوابا عن ذلك الكلام بقيت السورة
من اولها الى آخرها على احسن وجوه الانتظام واما على الوجه الذي يذكره الناس فيختل امر الانتظام
فهو عجيب جدا قوله انكار مقرر للتخصيص فان معنى التحضيض في قوله لولا فصلت الانكار والتوبيخ على ترك
التفصيل والتبيين لان حرف التحضيض اذا دخلت على الماضي كان معناه التوبيخ واللوم على ترك الفعل
كما انها اذا دخلت على المضارع يكون للتحضيض على الفعل والطلب له فهي في المضارع بمعنى الامر وفي الماضي للانكار
فيكون انكارهم بقولهم أقرآن اعجمي ورسول عربي او مرسل اليه عربي مقررا للانكار المستفاد من حرف التحضيض
الاعجم يقال لمن لا يفصح ولا يفهم كلامه سواء كان من العرب او من العجم ويقال للكلام ايضا والاعجمي مثله الا انه
يقال للنفس من لا يفصح وللكلام ايضا وزيادة ياء النسبة فيه للتاكيد والمبالغة كما يقال في احمر ودوار
ودوار احمري ودواري ودوي كانه ينسب الذات الى الصفة للمبالغة في اتصافه به وليس النسب فيه حقيقيا
بخلاف عجمي فان الياء فيه للنسب حقيقة يقال رجل عجمي اذا كان من الاعاجم منسوبا الى امة العجم فصيحا كان
او غير فصيح فان قلت قد ظهر من كلامك ان الاعجمي كما يقال للذات من لا يفصح مراده لعجمة في لسانه وان كان
من العرب يقال ايضا للكلام الملتبس الذي لا يوضح المعنى المقصود وشيء منهما غير مقصود ههنا بل المراد
بالاعجمي ههنا هو الكلام المنتظم على لغة العجم كما يدل عليه قوله انه جواب لقولهم هلا انزل القران بلغة العجم
قلت نعم الا ان مقصود المص بيان المعنى الحقيقي للفظ اعجمي وهو لا ينافي اطلاقه على الكلام المؤلف على لغة العجم
بطريق الاستعارة تشبيها له بكلام لا يفصح من حيث انه لا يفهم معناه بالنسبة الى العرب قوله وقرئ اعجمي
بفتح العين بعد همزة الاستفهام اي اكلام منسوب الى العجم ورسول عربي او ومرسل اليه عربي وقرئ اعجمي
ايضا بسكون العين بدون همزة الاستفهام فيكون اخبارا بان القران اعجمي والرسول او الامة المرسل اليهم
عربي قوله على الاخبار اي لا على الاستفهام والانشاء والمعنى ولو جعلنا المنزل اعجميا لقالوا طاعنين فيه
ومنكرين لكونه اعجميا لولا فصلت آياته ولقالوا مستانفين لبيان عدم كون آياته مفصلة ومبينة
اعجمي وعربي اي المنزل اعجمي والمنزل عليه عربي على ان كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والجملة مستانفة
لبيان ما ذكر قوله وعلى هذا اي على قراءة اعجمي بغير همزة الاستفهام يجوز ان يكون قوله اعجمي وعربي لبيان طريق
التفصيل عليه بان يكون التفصيل بمعنى التفريق والتمييز لا بمعنى التبيين ويكون المعنى ولو جعلنا المنزل
كله اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته بان جعل بعضها كذا وبعضها كذا وانما قال وعلى هذا لانه ان قرئ اعجمي
بهمزتين لا يجوز ان يراد هذا المعنى لان الهمزة تدل على انكار التفصيل بمعنى التفريق وهو ينافي التحضيض
عليه وانما قال يجوز لاحتمال ان يكون المعنى ما ذكرناه اولا قوله والمقصود ان المقصود من قوله ولو جعلناه
قرانا اعجميا ابطال ما اقترحوه بقولهم هلا انزل القران بلغة العجم ببيان ان ذلك يستلزم وصف المنزل

والمنزل عليه واما الدلالة على ما ذكر والتعنت طلب زلة المخاطب ثم انه تعالى ايس ببطلان ما افترحوه
او انهم لا ينفكون عن التعنت في الايات كيف جاءت وصف القران بانه في نفسه لوضوح ابانته وسطوع براهينه
هاد الى الحق ومزيل للريب والشك وشفاء من داء الجهل والكفر والارتياب ومن ارتاب فيه ولم يؤمن به فانما يأتي
انما نشاء من توغله في اتباع الشهوات وقعاعده عن تنقد ما ينجيه ويسعده عما يرديه ويشقيه فقوله للذين
امنوا معناه لمن يؤل امره الى الايمان لصفاء جوهر نفسه عن الكدورات النفسانية والاخلاق الردية
قوله مبتداء وخبره في اذانهم على تقدير هو في اذانهم وقد احتاج الى تقدير ضمير مرفوع على الابتداء فيكون وقر
خبره وفي اذانهم بيان لمحل الوقر والمبتداء الثاني مع خبره خبر الاول لانه لو جعل والذين لا يؤمنون مبتداء
وفي اذانهم خبره ووقر فاعل الظرف او جعل في اذانهم خبرا مقدما ووقر مبتداء مؤخرا والجملة خبر الاول
لورد ان تعالى ما وجه اتصال هذه الجملة بما قبلها مع ان ما قبلها قد اخبر فيه عن الكتاب بانه هدى وشفاء وفي هذه
الجملة اخبر عمن لم يؤمن بانه في اذنه وقر فكانتا جملتين متباينتين في الغرض والاسلوب فلا وجه لعطف
احديهما على الاخرى فلما قدر المبتداء الثاني اتصلت الثانية بالاولى من حيث يحقق الجامع بينهما باعتبار
المبتداء اليهما لما اخبر عن الكتاب بانه هدى لاولئك اخبر عنه بانه وقر في اذان هؤلاء وعمى عليهم
فجعل نفس القران وقرا كما جعل نفسه هدى ثم ذكر وجها ثانيا لاتصال الجملة الثانية بالاولى وهو ان لا يكون
قوله والذين لا يؤمنون مبتداء بل يكون في محل الجر بالعطف على قوله للذين امنوا ويكون قوله وقر معطوفا على
هدى على طريق العطف على معمولي عاملين مختلفين والمجرور مقدم على ما جوزه الاخفش واختاره المحققون
من المتاخرين الوقر بفتح القاف الثقل في الاذن وسكونها مصدر تعالى وقرت اذنه بالكسر توقر وقرا اي صمت
وقياس مصدره التحريك الا انه جاء بالتسكين ووقر الله اذنه يقرها وقرا يقال اللهم قر اذنه وقرت
اذنه على ما لم يسم فاعله فهو موقور والمعنى ان الذكر ذو وقر لا يصل الى اسماعهم صمت اذانهم عنه قراءة
الجمهور وهو عليهم عمى بفتح الميم المنونة اي ذو عمى على معنى عميت قلوبهم عنه وهو مصدر عمي يعمى بكسر
العين في الماضي وفتحها في المضارع كصدي يصدى صدى وقرئ عم بكسر الميم المنونة وهو صفة مشبهة
وقرئ عمي بلفظ الماضي المسند الى ضمير القران وقوله في اذانهم وكذا عليهم متعلق بمحذوف على انه حال
من المصدر المذكور بعدهما لانه صفة له في الاصل فلما قدم عليه وقع حالا منه وليس متعلقا بالظاهر
بعده لانه مصدر فلا يتقدم معموله عليه قوله اي هم يعني ان قوله تعالى اولئك لكونه اشارة الى ما عبر عنه بطريق
الجمع في اذانهم وعليهم ظاهر وضع موضع المضمر قوله تمثيل يعني ان قوله اولئك ينادون من مكان بعيد استعارة
تمثيلية شبه حالهم في عدم قبولهم مواعظ القران ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد فكما انه لا يفهم
لا يقبل قول المنادي فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم الى الرشد والصلاح لاستيلاء الضلالة
عليهم قوله كما اختلف في القران اشارة الى وجه تعلقه بما قبله فانه تعالى لما بالغ في وصف الكفرة بالعناد

قوله بعيد فمن سمع به من مسافة بعيدة
كان منا دعي من مكان بعيد لم يسمع و
ان سمع لم يفهم فكذا حال هؤلاء فانهم
لاستيلاء الضلالة وفرط الشقاوة والصمم
عن الحق والعمى عن الايات عليهم
لا يسمعون ولا يفهمون دعوة من
دعاهم الى الرشد والفلاح وقال
ابن عباس رض يريد انهم مثل البهائم
التي لا تفهم الا دعاء ونداء اي مثل
داعي الذين كفروا الاية

والتكذيب بنحو قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه سلاه عليه الصلوة والسلام بان قال له لست متفردا فيما بين الا
نبياء بالتاذي من قومه فانا قد اتينا موسى الكتاب فقبله بعض قومه ورده آخرون فكذلك اتيناك هذا الكتاب فقبله
اصحابك ورده آخرون وقالوا قلوبنا في اكنة ونحو ذلك قوله وهي العدة بالقيمة ومجازاة الخلق فيها وعدها بنحو
قوله بل الساعة موعدهم وايضا قد سبق منه تعالى تقدير الاجل لتعذيب الكفار ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى اي لولا ان
قول ربك سبق في تاخير العذاب عنهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة لقضى بين المصدق والمكذب وفرغ من عذاب
المبطلين وعجل اهلاكهم لاستحقاقهم بذلك الحكمة اقتضت امهالهم ثم قال لا تستوحش من سوء مقالتهم في
حقك وفي حق ما جئت به فانهم ان امنوا فنفع ايمانهم يعود اليهم وان كفروا فضرر كفرهم يعود عليهم فانه
تعالى يجازي كل احد بما يليق به من الجزاء يوم القيمة ولما كان مظنة ان يقال ومتى يكون ذلك اليوم اجاب
عنه بقوله اليه يرد علم الساعة قوله اذ لا يعلمها الا هو تعليل للحصر المستفاد تقديم اليه على متعلقه فانه
يدل على انه لا يعلم وقت الساعة بعينه الا الله وكذا العلم بحدوث الحوادث المستقبلة في اوقاتها المعينة
ليس الا عند الله تعالى وذكر من امثلة هذا الباب مثالين احدهما قوله وما يخرج من ثمرة من اكمامها والثاني
قوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه والمعنى الى الله يضاف علم وقت وقوع القيمة اي اذا سئلت
عنه فرد العلم اليه بقولك الله اعلم به كما يرد علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنتاج وغيرهما ومن
قرأ من ثمرات بلفظ الجمع قدر من اكمامهن ومن اكمامها وذكر النحاة ان الافصح في جمع القلة ان يعامل
معاملة الاناث وفي جمع الكثرة ان يعامل معاملة الانثى فالافصح ان يقال الاجذاع كسرتهن والجذوع كسرتها
والثمرات جمع قلة فالافصح ان يقال من اكمامهن والاظهر ان كلمة ما في قوله وما تخرج نافية كالتي بعدها
ويحتمل ان تكون موصولة مجرورة المحل عطفا على الساعة اي عنده علم الساعة وعلم التي تخرج ومن ثمرة
بيان ما ويجوز ان يكون حالا ومن الثانية لابتداء الغاية وما الثانية نافية ليس الا لانه عطف عليها
ولا تضع ثم نقض النفي بالا ولو كانت بمعنى الذي معطوفة على الساعة لم يجز ذلك قوله الا مقرونا بعلمه
يعني انه مستثنى مفرغ من اعم الاحوال ولم يذكر متعلق العلم للتعميم فان ذهن السامع يذهب كل مذهب
مما ذكر من الحمل والانوثة وحسنه وقبحه وان انه تلقيه عند تمام الايام او قبله وان الثمرة هل تبلغ او
ان النضج او تفسد قبله ونحو ذلك روي ان منصور الدوانقي اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه خيالا
اخرج يده من البحر واشار بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوه بخمس سنين وبخمسة اشهر
وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رحمه الله تاويلها ان مفاتيح الغيب خمس ولا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته
لا سبيل لك اليه اخذه من قوله عليه الصلوة والسلام مفاتيح الغيب خمس وتلا قوله تعالى ان الله عنده علم
الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض
تموت ثم انه تعالى لما ذكر القيمة اردفه بذكر شيء من احوال يوم القيمة واوعد به القائلين بالشركاء والانداد

ولولا الكلمة سبقت من ربك
في حقهم ان تكذيب المكذبين هو حين العدة
بتاخير عذابهم وفصلت ما بينهم
وبين المؤمنين من الخصومات الى
يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة
موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم
الى اجل مسمى لقضي بينهم باستئصال
المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة
وانهم اي كفار قومك لفي شك منه
مريب اي من القران وجعل الضمير
الاول لليهود والثاني للتورية
محالا وجه له
انتهى

فقال ربوم يناديهم وهو ظرف لقوله قالوا او لآذناك الاعلام في قولهم آذناك مجاز عن القول اي قلنا
لك لان حقيقة الاعلام لا يتصور ههنا لان اهل القيمة يعلمون ان الله تعالى انه يعلم الاشياء
كلها بحيث لا يعزب عن علمه شيء مما يسرون وما يعلنون ولفظ الماضي في قولهم آذناك مبني على انهم قالوا
ذلك قبل ان يناديهم الله تعالى قائلا لهم اين شركائي فان الظاهر انهم يتبرؤن عن الشركاء وعن الشهادة
لهم بالشرك حين عاينوا حقيقة الحال ويقولون له تعالى تبرأنا اليك ويجوز ان يخاطبهم الله تعالى بعد
ذلك على سبيل التوبيخ ويقول لهم اين الذين كنتم تشركون في وتقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وما
نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ويجيبوه تعالى بقولهم آذناك من قبل هذا الخطاب فقوله فيكون السؤال اعني
للتوبيخ تفريع على انهم تبرؤا عن الشركاء قبل هذا الخطاب والنداء اذ لا وجه لان يقال لمن تبرأ عن شركاء
اين شركائي سوى التوبيخ قوله او وحد شاهد بهم على ان يكون الشهيد من الشهود لا من الشهادة كما
في الاول قوله على هذا يكون قوله وضل عنهم جملة حالية بتقدير قد من فاعل قالوا ويكون الضلال بمعنى الغيبة التي
هي اصل معناه فانه يجوز ان لا يبصروا آلهتهم في ساعة التوبيخ وان كان قوله تعالى آذناك ما منا من شهيد من
كلام الشركاء على ما قيل يكون الشهيد من الشهادة لا من الشهود لانه لما كانت الشركاء هم المجيبين عن السؤال
المتعلق بالعبدة لم يكن قولهم ما منا من يشاهد العبدة المشركين معنى وح يكون ضلال الشركاء عن العبدة
بمعنى عدم نفعهم للعبدة بالشفاعة لهم لانهم اذا لم ينفعوهم فكانهم غابوا عنهم لا بمعنى حقيقة الغيبة لانهم
هم المجيبون لما سئل به العبدة قوله والظن معلق عنه بحرف النفي فان افعال القلوب تعلق بحرف الاستفهام
نحو علمت ازيد قائم او بالاسم المتضمن معنى الاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى وعلمت اين جلست
ومتى تخرج وبلام الابتداء نحو علمت لزيد عندك وبحرف النفي نحو علمت ما زيد قائما وان زيد قائم وذلك لانها
تقتضي ان تقع في صدر الجمل وضعا فابقيت الجمل التي دخلت هي عليها على الصورة الجملة رعاية لاصل هذه
الحروف وان كانت في تقدير المفرد من حيث المعنى فان التعليق ابطال العمل لفظا لا معنى فالجملة مع
التعليق في تاويل المصدر مفعولا به للفعل المعلق كما كان كذلك قبل التعليق فالجملة المعلق عنها في محل النصب
به وجوز بعضهم الوقوف على ظنوا على حذف المفعول ليس على معنى وضل عنهم ما كانوا يعبدون وظنوا بهم التهمة
ثم استانف فقال ما لهم من محيص وهو المصدر والظن معلق عنه رد لقول هذا البعض ثم انه تعالى لما بين
ان هؤلاء الكفار بعد ان كانوا في الدنيا مصرين على اثبات الشركاء لله تعالى يتبرؤن عنهم في الآخرة
ذكر ان الانسان في جميع الاوقات متغير الاحوال لا يثبت على منهج واحد فان احس خيرا وفقه ذبل وهان
فقال لا يسأم الانسان من دعاء الخير اي من دعائه الخير فحذف الفاعل واضيف الى المفعول والمعنى
ان الانسان في حال اقبال الخير اليه لا ينتهي الى درجة الا ويطلب الزيادة عليها ولا يمل من طلبها ابدا
وفي حال الادبار والحرمان يصير آيسا قانطا من رحمة الله تعالى وفضله ويظن ان ذلك الضر يدوم

واليأس من صفة القلب منه

عليه قوله من جهة البنية فان بناء فعول للمبالغة قوله ومن جهة التكرير فان قوله قنوط تكرير لقوله
يؤس من جهة المعنى وان كان مغايرا له من جهة اللفظ وفي القنوط معنى ليس في اليؤس لان القنوط ان يظهر
على المرء اثر اليأس فيتضاءل وينكسر ثم انه تعالى بين ان الذين آيسا قانطا لو عاودته النعمة والدولة يأتي
بثلثة انواع من القول الفاسد الموجب للكفر الاول قوله هذا لي والفرق بين ما ذكره من الوجهين ان
اللام في الاول للتعليل وفي الثاني للاختصاص ومعنى الدوام مستفاد من لام الاختصاص لان ما يختص
بالواجد الظاهر انه لا يزول عنه وذلك المسكين ان كان عاريا من الفضائل واعمال البر فكلامه ظاهر الفساد
وان كان موصوفا بشيء من الفضائل والصفات الحميدة فهي انما حصلت بفضل الله تعالى وتوفيقه فكيف
يستحق ذلك على الله تعالى بما انعم وتفضل عليه ببعض وجوه الفضل والاحسان فضلا آخر زائدا عليه
فثبت بهذا فساد قوله هذا لي بمعنى انه حصل باستحقاقي اياه وكذا ان اراد به اني مالكه وهو مختص بي لا يزول
عني لانه اشتغال بالنعمة عن المنعم وذهول عن ان مقاليد السموات والارض بيد الله وانه اذا فتح على
عبده بابا من ابواب فضله ليبلوه ايشكر ام يكفر فهو يقدر على ان يسده ويسلبه عنه والثاني من قوله الفا
سد قوله وما اظن الساعة قائمة فانه اذا عرض عليه البعث والجزاء وقيل له كل امرئ يجزى في الآخرة
بما اكتسبه في الدنيا فمن اطاع الله فله الجزاء الحسنى ومن عصاه فله نار تلظى تحمله لجاجه الى انكار الساعة و
يقول ما اظن انا نقوم والثالث قوله لست على يقين من قيام الساعة ولو فرض انا نقوم وانا ارد الى
ربي فانه يعطيني الحالة الحسنى كما اعطاني في الدنيا لان سبب الاعطاء متحقق فيها ايضا وهو استحقاقي اياها
واقتضاء ذاتي المجازاة بها فرد الله تعالى عليه قوله ان لي عنده للحسنى بان قال فلننبئن الذين كفروا اي
لنعرفنهم على مساوي اعمالهم ثم انه تعالى لما حكى اقوال من انعم عليه من بعد ضراء مسته حكى احواله ايضا فقال
واذا انعمنا على الانسان اعرض عن المنعم والاعتراف بفضله واحسانه والاشتغال بشكر نعمائه اي
الاشتغال بنفس النعمة والبطر بها ونأى بمعنى بعد والباء في بجانبه للتعدية ونأى الجانب عن الشكر يستلزم
الانحراف عنه فلذلك فسره به ثم جوز ان يكون الجانب عبارة عن النفس ويكون المعنى تباعد عن الشكر
بذاته وكليته لا بجانبه فقط فانهم قد يحتشمون عن التصريح باسم الشيء ويعبرون عن ذاته بالمجلس
والمكان والجانب ونحو ذلك اشعارا بالتعظيم فيقولون حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز
يريدون نفسه وذاته قوله اخبروني فيه تجوزان الاول انه اطلق الرؤية واريد به الاخبار لان الرؤية
سبب للاخبار والثاني انه جعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب انه تعالى لما بالغ في وعيد المشركين وبين
انهم يرجعون عن القول بالشركاء والشهادة بكون ما عبدوه في الدنيا انهم شركاء الله ذكر بعده كلاما آخر
يوجب عليهم ان لا يبالغوا في الاعراض عن القرآن وقبول ما فيه من امر التوحيد والنبوة والحشر والجزاء
فقال قل أرأيتم الآية قوله شر حالا لهم فان من كفر بما نزل من عند الله بان قال هو اساطير الاولين كذا

وكانه لم يطلع او ساقط

واللام في قوله ولئن اذقناه لام الموطئة وتسمى في اصطلاح النحاة عبارة عن لام دخلت على حرف الشرط بعد تمام القسم ظاهرا او مضمرا ومعنى كونها موطئة للقسم كونها مقوية له بتقريره لحكمه بان يحمل ما بعدها من الكلام جوابا للقسم فيكون جواب الشرط مضمرا مدلولا عليه بجواب القسم فقوله تعالى ليقولن هذا لي جواب القسم واللام فيه لام جواب القسم. منه

قوله فيؤس جواب الشرط وهو قوله ان مسه الشر والمبتدأ مضمر بعد الفاء اي فهو يؤس منه

وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك كشاف

وكذا فقد كان مشاقا لله ومعاديا له بما لغاية خلافا بعيدا عن الوفاق ومعاداة بعيدة على المولاة
ولاشك ان من كان كذا فهو في غاية الضلال ولما كان محصول الاية انكم لما سمعتم هذا القران اعرضتم عنه
حتى قلتم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن المعلوم بالضرورة ان العلم بكون القران مما
يجب ان يعرض عنه ويتبرا ليس مما يحصل بالبديهة وكذا العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة ليس
كذلك فمن اعرض عنه وانكر ما فيه مما يتعلق بالاعتقاد والعمل بلا مراجعة الى النظر والاستدلال كان
يائسا ان يكون منكرا لما هو الحق الواجب الاتباع ومستوجبا للعقاب الشديد فالاصرار على تكذيبه
والاعراض عنه بلا مراجعة الى النظر والاستدلال بعيد كل البعد لا يجترئ عليه عاقل وعد لهم انه يريهم
ايات اخر بعد الذي اراهم ان لم يتعظوا بهذه الاية الكريمة والافاق جمع افق وهو الناحية من النواحي
الارض وكذا افاق السماء نواحيها واطرافها فلو لم يكن القران والرسول الذي انزل اليه وحيا لما وقعت
الحوادث الاتية حسب ما اخبر عنها وهي الغيب ولما طابق ما فيه من الاخبار المتعلقة بالنوازل الماضية
لما هو المضبوط المقرر عند اصحاب التواريخ والحال ان المخبر امي لم يكتب ولم يقرا ولم يخالط اصحاب
التواريخ ولما نصر حملة القران ومن امن به بهذه النصرة الخارقة للعادة فان مغازي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومغازي خلفائه وناصري دينه في كل زمان خارج للعادة وخارج عن المعتاد فلو لم
يكن امر الدين حقا لما كان لهم ذلك الثبات والاستقرار فان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم
تضمحل **قوله** والباء مزيدة للتاكيد اي مزيدة في فاعل كفى فان قوله بربك في محل الرفع على انه فاعل كفى و
المفعول محذوف والتقدير اولم يكفك ربك انه على كل شيء شهيد واصل المعنى سنريهم هذه الايات اظهارا
للحق وكفى بها دليلا على ذلك ووضع المظهر وهو قوله ربك وانه على كل شيء شهيد موضع ضمير الايات في قولنا
وكفى بها دليلا للاشعار بالعلية لان هذه الايات انما صلحت للدلالة على حقية ما هو الحق لكون منشئها هو
على كل شيء حاضر مطلع لا يغيب عنه شيء اما قال الزجاج ومعنى الكفاية هيهنا ان الله تعالى بين لهم ما فيه
كفاية في الدلالة على حقية القران او دين الاسلام او صدق نبوة محمد عليه الصلوة والسلام ثم انه تعالى
ختم السورة بقوله الا انهم في مرية اي في شك عظيم وشبهة شديدة من البعث والقيمة والا كلمة التنبيه
بمعنى اعلم والمراد باحاطته تعالى بكل شيء احاطته اياها علما فيعلم بواطن الكفار وظواهرهم ويجازي كل
واحد منهم على حسب فعله وعمله

سورة الشورى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ولذلك فصل بينهما اجاب عما يقال انهم اجمعوا على انه لا يفصل بين كهيعص وعلى ان يفصل هيهنا
بين حم وبين عسق فما السبب فيه وعما يقال انهما عدتا ايتين واخواتها مثل كهيعص والمص والمر
عدت اية واحدة فما السبب فيه ايضا بجواب واحد وهو قوله لعله اسمان للسورة قال الامام واعلم
ان الكلام في امثال هذه المواضع يضيق وفتح باب المجازفات مما لا سبيل اليه فالاولى ان يفوض علمه
الى

هو له او بمعنى بدل الان في الجانب الاشارة
الى ما قال عطاء وابن زيد في الافاق
يعني اقطار السموات والارض من الشمس
والقمر والنجوم ايات الليل والنهار
والاضواء والظلال والانوار
والحيوان والنبات والاشجار والانهار
وفي انفسهم من لطيف الصنعة
وبديع الحكمة في كيفية تكون الاجنة
في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات الغريبة
فان قيل هذا ضعيف لان قوله تعالى
سنريهم اياتنا يقتضي انه تعالى ما
اطلعهم على تلك الايات الى الان
وسيطلعهم عليها بعد ذلك والايات
الموجودة في الاعلى والاسفل قد
اطلعهم عليها قبل ذلك فيتعذر حمل هذا
اللفظ على هذا المعنى فالجواب
ان القوم وان كانوا قد راوا هذه
الاشياء الا ان العجائب التي اودعها
الله تعالى فيها لا نهاية لها فهو تعالى يطلعهم
على تلك العجائب زمانا فزمانا فان
كل احد راى بنية الانسان وشاهد
الا ان العجائب التي ابدعها الله تعالى
في تركيب هذا البدن كثيرة واكثر
الناس لا يعرفونها والذي وقف
على شيء منها كلما ازداد وقوفا
على تلك العجائب ازداد يقينا و
تعظيما وكذلك التركيبات الفلكية
ايضا صح

لعله اسمان للسورة فيكون
حم مبتداء وعسق خبره او الحكس
من الفصل لم فقطع حم عن عسق ولم يقطع
كهيعص فقال لانها سور اوائلها حم
فجرت مجرى نظائرها وقيل لان اهل
التاويل لم يختلفوا في كهيعص واختلفوا
في حم فاخرجها بعضهم من حيز
الحروف وجعلها فعلا وقيل معناه حم
اي قضي ما هو كائن منه

الى الله تعالى **قوله** وان كان اسماء واحدا فالفصل ليطابق سائر الحواميم السبع فانها جميعا سور اولها
حم واسم هذه السورة وان كان حاسيا فكان القياس ان يكتب حروفها موصولة الا انه فصل حم
عن سائر حروف الاسم لما ذكر من المطابقة **قوله** اي مثل ما في هذه السورة من المعاني وهي الدعوة الى
التوحيد والنبوة والمعاد وتقبيح احوال الدنيا والترغيب في امور الاخرة يريد ان الكاف اسم بمعنى المثل
منصوب المحل على انه مفعول به ليوحي المبني للفاعل وذا اشارة الى شيء مبهم وهو حم عسق والمراد بايحاء
مثل هذه السورة ايحاء مثل ما فيها من المعاني لان مماثلة الموحى لهذه السورة بمماثلة معانيه لمعاني هذه
السورة وقوله او ايحاء مثل ايحائها على ان الكاف صفة مصدر محذوف فلا بد من تقدير مصدر اخر مضاف
الى اسم الاشارة اي ايحاء كايحاء ذلك اذ لا معنى لتشبيه الايحاء بنفس السورة والمقصود من تشبيه الايحاء
بالايحاء تشبيه الموحى بالموحى فيتحد الوجهان من حيث المعنى **قوله** وانما ذكر بلفظ المضارع مع ان مقتضى
المقام ان يذكر بلفظ الماضي ضرورة ان الوحي الى الذين من قبله امر قد مضى **قوله** ويوحي مسندا الى ضمير الله
ولا يجوز اسناده الى ضمير كذلك الذي هو صفة مصدر محذوف لان الموحى هو المتلو لا الايحاء ولا ما يماثله
بخلاف ما اذا كان كذلك مبتداء فان يوحي حينئذ يكون مسندا الى ضميره ويكون المعنى مثل ما تضمنه هذا المتلو
يوحي اليك في غيره والى غيرك من الرسل اي يكرر هذه المعاني في القران وفي جميع الكتب السماوية لما فيه
من ارشاد بليغ للاولين والاخرين ولطف عظيم لجميع المكلفين **قوله** والله مرتفع بما دل عليه يوحي جواب عما يقال
ان يوحي المبني للمفعول لما كان مسندا الى ضمير المبتداء او الى الجار والمجرور فما وجه ارتفاع لفظ الجلالة اجاب
عنه بانه فاعل فعل مضمر دل عليه يوحي كانه قيل من يوحي فقيل الله اي يوحيه الله كما في قوله ليبك يزيد
ضارع لخصومة ومختبط مما تطيح الطوائح كان قائلا قال من يبكيه فقيل المحتاج الى الحكم والى نائله
والاختباط الاتيان لطلب المعروف والطوائح الدواهي **قوله** مقررتان لعلو شان الموحى به ذكره
لان توصيف الموحي بكونه عزيزا يدل على كمال قدرته وتوصيفه بكونه حكيما يدل على كمال علمه ومن المعلوم ان الاثر
المسند الى من اتصف بكمال القدرة والعلم يكون في اقصى المراتب من علو الشان ورفعة القدر **قوله**
او بالابتداء عطف على قوله بما دل عليه يوحي فان الوحي في قراءة نوحي بالنون لما اسند الى فاعله وهو
ضمير المتكلم لم يتجه السؤال عن تعيين الفاعل بان يقال من يوحي حتى يكون قوله الله فاعل فعل مضمر
او خبر مبتداء محذوف فتعين ان يكون رفعه على انه مبتداء وما بعده خبره **قوله** وعلى الوجه الاخر
اي على ان يكون لفظ الجلالة مبتداء وقوله له ما في السموات خبره يكون قوله له ما في السموات استئنافا **قوله**
من عظمة الله وقيل من دعاء الولد له تعالى يحتمل ان يكون المقصود منه بيان بلوغ هيبته وجلالته الى حيث
تكاد السموات يتفطرن لتقرير عزته وحكمته فانه تعالى لما بين ان الموحي لهذا الكتاب هو الله العزيز الحكيم
بين وصف جلاله وكبريائه بهذه الاية ويحتمل ان يكون المقصود منه تصوير قباحة طريقة المشركين وبدل

اي يحاره او يحيه ايك
اي ايحاء مثل ايحائها او جز
الراجعة الى انه بالبعث بيانه
واصب يا عدا به

هو ذلك على الاول اشارة الى ما قبلها
وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى
البعد للدلالة على علو رتبة المشار اليه
وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه
السورة من المعاني اوحي الله تعالى في سائر
السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم
الخ

او خبر مبتدا محذوف كانه قيل
من الموحي فقيل الله اي الموحي هو
الله منه

علمه قوله بعد هذه الاية والذين اتخذوا من دونه اولياء كما قال في سورة مريم تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قوله وهذا اسطاوع فطر بمعنى شق يقال فطرته فانفطر
اي شققته فانشق وبناء تفعل منه للتكثير يقال فطرته فتفطر اي شققته شقوقا كثيرة فتشقق وفطر يستعمل
بمعنى خلق ايضا والسبعة مع يعقوب اتفقوا على القراءة بياء الغيبة الا ان ابا عمرو وابا بكر ويعقوب
قرؤوا من باب الانفعال والباقون من باب التفعل وروي يونس عن ابي عمرو تتفطرن بتائين مع النون وهو شاذ
مخالف للقياس والاستعمال لان العرب لا تجمع بين علامتي التانيث فلا يقال النساء تقمن بل يقال تقمن و
الوالدات يرضعن ولا يقال ترضعن والشاذ على وجوه شاذ عن القياس مع موافقة الاستعمال وشاذ عن
الاستعمال مع موافقة القياس وشاذ عنهما جميعا وهذا من قبيل الثالث وذكر في توجيهه ان التاء لتاكيد
التانيث كما انها لتاكيد الخطاب في قوله انتك قوله وتخصيصها على الاول اي وتخصيص جهة الفوق
ثانية على ان يقرأ تتفطر السموات يتشققن من عظمة الله وخشية منه واجلالا له كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ويدل عليه ان الاوصاف السابقة كلها مسوقة لبيان
عظمة الله تعالى وعلو شانه فالمناسب ان يجعل سبب تشققهن عظمة الله تعالى ولما كان ما في جهة الفوق
ثانية من نحو العرش والكرسي وصفوف الملائكة المسبحين والمقدسين حول العرش ادل الايات على
العظمة والجلال كان المناسب ان يكون تفطر السموات ابتداء من تلك الجهة بان ينفطر اولا اعلى السموات ثم وثم
الى ان ينتهي الى اسفلها بان لا تبقى سماء الا سقطت على الاخرى وان قرئ تتفطرن يتشققن من دعاء
الولد له كان الظاهر ان يبتدئ انفطارهن من جهتهن التحتانية لانها الجهة التي منها جاءت كلمة
الكفر لان المتكلم بها سكان الارض وهي تحت السماء ومع ذلك جعل مبدأ انفطارهن جهة فوقهن للدلالة
على ان تلك الكلمة الشنعاء اذا اثرت في جلال جهتها فما ظنك فيما كان في جهتها اولى قوله وعمل الضمير للارض
ولعل من قال به يجعل كلمة من زائدة في الاثبات ويدل عليه قول صاحب التيسير وقيل معناه تكاد السموات
يتشققن فوق الارضين ثم قال وقيل يتفطرن للسقوط على الكفار كما قال تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض
او نسقط عليهم كسفا من السماء قوله فان المراد بها الجنس فيكون في معنى الجمع فيصح ارجاع ضمير الجمع اليها
قوله بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم جواب لما يقال من ان من في الارض يعم الكفار فكيف يستغفر لهم الملائكة
وقد ثبت انهم يلعنون الكفار كما قال تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ولا وجه لكونهم
لاعنين لهم ومستغفرين والجواب انه لا منافاة بين لعنتهم على شركهم وبين استغفارهم بمعنى السعي فيما
يستدعي مغفرتهم وهو الايمان والتبري من الكفر فان استغفارهم في حق الكفار بطلب الايمان لهم
وفي حق المؤمنين بالتجاوز عن سيئاتهم فيكون استغفارهم في حق عامة من في الارض محمولا على عموم المجاز
فانه من قال اللهم اهد الكفار وزين قلوبهم بنور الايمان وازل عنها ظلمة الكفر والفسوق والعصيان ولا تطالب

لسبب

لسبب المغفرة الا انه يصح ان يطلق عليه الاستغفار مجازا قوله وذلك الاستغفار بمعنى السعي المذكور لما
ذكر الله تعالى ان الملائكة يستغفرون لمن في الارض اشار الى انه يجيب دعاءهم بفعل المغفرة التي طلبوها
منه وبضم اليها الرحمة والى ان المغفرة والرحمة مطلقا انما هما لله تعالى لا غير فقال الا ان الله هو الغفور الرحيم
قوله والاية على الاول اشارة الى وجه ارتباط قوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم بقوله تكاد السموات
يتفطرن على كل واحد من تفسيريه فان قرئ يتشققن من عظمة الله تعالى يكون هذه الاية زيادة
تقرير لعظمته فان مخلوقات الله تعالى نوعان عالم الجسمانيات واعظمها السموات وعالم الروحانيات واعظمها
الملائكة فهو تعالى بين اولا كمال عظمته باستيلاء هيبته على الجسمانيات فقال تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
ثم انتقل الى ذكر الروحانيات فقال والملائكة يسبحون بحمد ربهم ثم ان الجواهر الروحانية لها تعلقان
تعلق بعالم الكبرياء والجلال بالاستفاضة والقبول وتعلق بعالم الاجسام بالافاضة والتاثير فقوله تعالى
يسبحون بحمد ربهم اشارة الى الوجه الذي لهم الى عالم الاجسام والتسبيح لكونه عبارة عن تنزيه الله تعالى عما
لا ينبغي مقدم على التحميد الذي هو عبارة عن وصفه تعالى بكونه مولي النعم كلها ومعطي الخيرات باسرها فان كونه تعالى
منزها في ذاته عما لا ينبغي مقدم بالرتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات فلذلك قال يسبحون بحمد ربهم
واما ان قرئ يتشققن من فظاعة قول المشركين من نسبة الولد اليه تعالى فوجه ارتباط هذه الاية
بما قبله ما ذكره وعلى الثاني دلالة الى قوله الاشارة الى مصدر يوحي فالكاف حينئذ في محل النصب على
انها صفة مصدر محذوف لاوحينا ويكون قرآنا مفعول اوحينا اي اوحينا اليك قرآنا عربيا ايحاء مماثلا
لذلك الايحاء اي ايحاء بينا مفهما بلا لبس ولا سترة على ان الكاف في كذلك نحو المثل في قولك مثلك لا يبخل قوله
او الى معنى الاية المتقدمة وهي قوله والذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل
اي اوحيناه اليك حال كونه قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك لما كان عليه الصلاة والسلام حريصا على ايمان المشركين
متحزنا على اصرارهم على الشرك والضلال اكد الله تعالى ذلك بقوله الله حفيظ عليهم وما انت عليهم بوكيل
والمعنى ان امثال هؤلاء المصرين ليس في وسعك وقدرتك ان تهديهم والله وحده هو القادر على ذلك والذي
عليك هو الانذار فقط ثم قال واوحينا اليك مثل هذه الاية وما تضمنته من الانكار على حرصك الشديد على
ايمانهم وتكرر عليك في القرآن هذا النوع من الانكار حال كون ما يدل عليه قرآنا عربيا لا يخفى عليك معناه لكونه
بلسانك وانت تنزل منزلة الكلام المبهم الملتبس حيث لا تترك الحرص البتة قوله اهل ام القرى فقدر
المضاف لان نفس مكة لا يصح انذارها والعرب تسمي اصل كل شيء امه وسميت مكة اصل القرى تشريفا
لها واجلالا لاشتمالها على البيت المعظم ومقام ابراهيم ولما روي من ان الارض دحيت من تحتها ويتبين من
حولها بقوله من العرب ويجوز ان يتبين باهل الارض كلها وتبينه بالعرب لا ينافي عموم رسالته عليه الصلاة
والسلام لان تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي عموم الحكم لما عداه قوله وحذف ثاني مفعولي الاول والثاني تنذر

هذا وجه خص بالمؤمنين اشارة
الى جواب آخر تقديره ان من في الارض الا
وان كان عاما تناول للمؤمنين والكافر
ان المراد به الخاص بقرينة ما حكي عنهم
في سورة المؤمن ويستغفرون للذين
آمنوا واجيب ايضا بانه يجوز ان يكون
المراد بالاستغفار طلب الحلم منهم
وان لا يعاجلهم بالانتقام كما في
قوله تعالى ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا ولئن زالتا انه
ان امسكهما من احد من بعده
كان حليما غفورا منه

ام العذر بعذاب لهم على تقدير اصرارهم على الكفر حذف الثاني للتهويل والتقدير الثاني تنذر ام القرى ومن
حولها بيوم الجمع الذي حذف اول مفعوليه لابهام التعميم قوله اعتراض لا محل له على قول من يجوز الاعتراض
في اخر الكلام والمشهور انه لا يقع الا بين متلازمين كالمبتدا والخبر والمعطوف والمعطوف عليه قوله
والتقدير منهم فريق على ان فريق مبتدا حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لامرين تقدم خبرها وهو
الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله في الجنة قوله والضمير اي الضمير المجرور في منهم لما دل عليه يوم الجمع
فان المعنى يوم جمع الخلائق في موقف الحساب قوله بمعنى متفرقين المتفرق جواب عما يقال كيف يكون حالا
من المجموعين والجماعة الواحدة لا يجوز ان يكونوا مجتمعين متفرقين في حالة واحدة واجاب عنه بوجهين
الاول ان المراد بالجمع اجتماعهم في ذلك اليوم وبتفرقهم تفرقهم في الدارين والاجتماع في الزمان لا ينافي
الافتراق في المكان ثم انه تعالى لما بين ان اهل الجمع فريقان بين ان ذلك بمشيئة الله تعالى فمن علم منهم اختيار
الهدى يهديه فيدخله بذلك في جنته ورحمته ومن علم منهم اختيار الضلال يضله ويجعله بذلك من اهل
السعير قوله ولعل تغيير المقابلة فان مقتضى الظاهر ان يقال ويدخل من يشاء في سخطه ونقمته وعدل
عنه الى ما هو ابلغ في الوعيد فانه يدل على ان الذين ظلموا انفسهم ليس لهم احد يتولى امورهم فيغيثهم ولا
من ينصرهم فيدفع العذاب عنهم فهم معذبون ابدا لظلمهم انفسهم ولا شك انه ابلغ في الوعيد من ان
يقال ويدخل من يشاء في سخطه قوله بل اتخذوا اشارة الى ان ام منقطعة فيجوز ان يقدر ببل التي للانتقال
وبهمزة الانكار وبالهمزة وحدها وببل وحدها والمص قدرها ببل وحدها اضرابا عن توصيفهم بانهم ظلموا
انفسهم الى توصيفهم بانهم اتخذوا من دون الله اولياء على طريق التخصيص بعد التعميم للاشعار بان
هذا الخاص مع كونه من افراد ذلك العام بلغ في كونه ظلما الى حد خرج بذلك عن كونه معدودا في عدا
ده وقدر ام بهذه بمعنى همزة الانكار والتوبيخ وصفهم الله تعالى اولا بانهم اتخذوا من دونه اولياء ثم
قال له عليه الصلوة والسلام لست عليهم بوكيل وان هدايتهم ليست اليك ولو شاء الله لجعله
ثم اخبر عنهم بما وصفهم به اولا انكارا عليهم ووجه اتصال هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما هدد المشركين
بقوله الله حفيظ عليهم وبقوله والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير ثم حكم بانه هو الولي بالحق اردفه
بما يدل على انه ولي المؤمنين بالنصر والاثابة ومذل اعداء الدين بالتعذيب والعقاب فقال وما اختلفتم
فيه من شيء الخ انه حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين فكانه عليه الصلوة والسلام
قال للمؤمنين بهذا الكلام مخاطبا لهم فحكى الله تعالى ذلك في القران المجيد ويدل على ذلك قوله تعالى بعده ذلكم
الله ربي عليه توكلت واليه انيب اي ذلك الحاكم بيني وبينكم هو ربي عليه توكلت قوله بالنصرة تميز بنصرة
المؤمن المحق عن الكافر المبطل فان المؤمن اذا خالف الكافر في شيء من الاحكام وتمسك فيه باصل
من اصول الشرع وهي اربعة الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس وقد تايد بنصر الله تعالى ونصر

كما يجتمع الناس يوم
الجمعة متفرقين في
مسجد من كناس

فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء في رحمته
من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته وعذابه
من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان
من يشاء الله يدخله فيه ولا ريب في ان نعمته
مشيئة تعالى لكل من الادخالين في اتباعه
لا تستعمل في كل منهما الغفر تغيير الاسلوب للعذاب
ومن ضرورة اختلاف الرحمة والنقمة قطعا
اختلاف حال الداخلين فيهما
فلم يشا جعل الكل امة واحدة
بل جعلهم فريقين وانما قيل
والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير
لا نصير للايذان بان الادخال في العذاب بسوء
من جهة الداخلين بموجب سوء
اختيارهم لا من جهته تعالى كما في
الادخال في الرحمة لا لما قيل من
المبالغة في الوعيد الخ

ونصر كتابه فان الاصول الثلثة الاخيرة مستندة الى الاصل الاول الذي هو الكتاب غاية ما في الباب انه
لا يجوز الاجتهاد والقياس بحضرة الرسول عليه الصلوة والسلام هذا ما فهمته من كلام المص قوله
او بالاثابة اي يميز المحق من المبطل يوم الفصل والجزاء بان يجازي كل واحد من المختلفين على حسب ما
استحقه فيثيب المحق ويعاقب المبطل قوله ذلكم مبتدا والله خبره وربي نعت لله وعليه توكلت واليه
انيب خبر بعد خبر وقدم الظرف فيها ليفيد الاختصاص قوله وقرئ بالجر اي بجر فاطر على انه بدل من
الهاء في عليه او اليه او على انه نعت للجلالة في قوله فحكمه الى الله فيكون ما بينهما اعتراضا قوله يكثركم ضمير
الجمع فيه للمخاطبين والانعام وفيه تغليبان تغليب العقلاء على غير العقلاء فان كم ضمير العقلاء وتغليب
المخاطب على الغائب فان مقتضى الظاهر ان يقال يذرؤكم واياهن او يذرؤكم واياها بضمير المخاطبين
العقلاء قوله فانه كالمنبع للبث جواب عما يقال لم يظهر لهذا التقدير الا لبث والتكثير بل يتسبب له فلم
قيل يذرؤكم في هذا التدبير ولم يقل بهذا التدبير قوله ليس كمثله شيء المشهور عند القوم ان الكاف
زائدة في خبر ليس وشيء اسمها والتقدير ليس شيء مثله قال ابو البقاء ولو لم تكن زائدة لفسد المعنى اذ
يصير المعنى على تقدير عدم زيادتها ليس مثل مثله شيء وهو فاسد لان نفي المثل عن مثله يستلزم ان يكون له مثل لا مثل
لذلك المثل وهو محال تعالى الله عن ذلك وايضا فيه تناقض لانه ان كان له مثل كان لمثله مثل وهو نفسه ذاته وقيل ان
كلمة مثل هي الزائدة كزيادتها في قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا وتقديره ليس كهو شيء وهذا القول
ليس بجيد لان زيادة الاسماء ليست بمعهودة وايضا زيادة المثل يستلزم ان يكون التقدير ليس كهو شيء ودخول
الكاف على الضمائر لا يجوز الا في الشعر لم يرض المص والزمخشري بهذين القولين بناء على ان القول بزيادة ما له
فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد وجعلا المثل كناية عن الذات كما في قول العرب مثلك يجود ومثلك لا
يبخل وقول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فان البلغاء يعنون بمثل الشيء او صفاته ونفوه عنه
ويريدون اثبات ذلك الوصف لنفس ذلك الشيء او نفيه عنه على ابلغ وجه واكده لانه بمنزلة اثبات الشيء او نفيه
بالدليل كدعوى الشيء بالبينة لان مثل الشيء انقص حالا منه كما هو القاعدة في باب التشبيه فالمشبه مع كونه
انقص حالا من المشبه به اذا اتصف بصفة كمال او تباعد عن صفة نقصان فكون المشبه به متصفا بالاولى
ومتباعدا عن الاخرى يكون اولى ومثله يسمى اثبات الشيء او نفيه بالطريق البرهاني وهذا الطريق لا يتوقف على ان
يتحقق لذلك الشيء مثل في الخارج حتى يقال نفي مثل مثله يستلزم اثبات المثل له وهو محال بل يكفي فيه ان يقدر له مثل ثم
يحكم عليه بانه متخل عن كذا ليفيد ان المتمثل به اولى بذلك ولو توقف ذلك على ثبوت المثل والنظير له في الخارج لكان
قول القبعثرى مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب اشبه بالذم منه بالمدح قوله في سقيا عبد المطلب
السقيا اسم بمعنى الاستسقاء روي ان عبد المطلب صعد ابا قبيس مع رجال من بطون العرب ومعهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام يافع اي مرتفع يقدر على العدو واسرع المشي خرجوا مستسقين لانقطاع

المطر عنهم مدة طويلة لذة الرجل بنيه والاباء عوض من العار والزاهية من اوله لانه من الولادة والمراد
بالطيب الطاهر لذاته رسول الله عليه الصلوة والسلام نسبة الطهارة الى لذاته كناية عن طيب نفسه وطهارته
قوله وهل مثله صفة بناء على ان المثل بمعنى المثل الصفة كما في قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله مثل الجنة فيكون
المعنى ليس مثل صفته شيء من الصفات التي لغيره فانه تعالى وان وصف بكثير مما يوصف به البشر فليست تلك
الصفات الثابتة له تعالى كالتي تثبت لغيره تعالى وعلى القولين يكون قوله ليس كمثله شيء كلاما مستانفا على سبيل
التعليل لما قبله قوله خزائنها اشارة الى ان ملك المفاتيح كناية عن ملك الخزائن لما عظم الله تعالى وحيه الى
محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم شرع في تفصيل ما تضمنه
هذه السورة من المعاني فقال شرع لكم من الدين الآية اي بين واوضح لكم يا اصحاب محمد من الدين ما وصى
به نوحا وهو اول انبياء الشريعة ومعنى شرع بين المسلك وفتح الطريق الى مرضاته والدين هو
الطاعة والانقياد واقامة الدين الدوام عليه باحياء شروطه وحدوده وخص هؤلاء الانبياء
الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة قوله وهو الاصل
المشترك فيما بينهم يعني المراد بالدين الذي وصى به هؤلاء الانبياء اصول الدين وهي مما تطابقت الا
نبياء على صحته ولم يختلف باختلاف الشرائع كالايمان بالله وحده لا شريك له وبملائكته وكتبه و
رسله واليوم قوله او الرفع على الاستئناف فيكون ان مصدرية ويكون الفعل معها في تأويل المصدر
كانه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين والاجتماع عليها وترك التفرق فيها فان الا
الامر اذا انتظم على هذا الوجه زال الفساد وظهر العدل وتباعد الناس عن التظالم فيتفرغون
بعمارة دنياهم ويتوصلون بها الى اقامة دينهم وينالون المنزلة الرفيعة عند ربهم قوله يجتلب
اليه اشارة الى ان يجتبي مأخوذ من الجباية وهي جلب الخراج من الاجتباء بمعنى الاصطفاء لانه لا يتعدى
بالى بخلاف الجباية فان فيها معنى الضم فلذلك يعدى بالى فيقال يجتبي اليه اي يوفقه له ويقربه اليه رحمة
واكراما لما بين الله تعالى انه امر كل الانبياء والامم بالاخذ بالدين المتفق عليه كان مظنة ان يقال فلما
ذا نجدهم متفرقين فاجاب بقوله وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم يعني انهم ما تفرقوا الا من
بعد ما امرناهم بالاجتماع على اقامة الدين المتفق عليه وعلموا بذلك ان التفرق ضلالة ولكنهم فعلوا
ذلك لاجل البغي الحاصل بينهم والحسد والعداوة المستقرة بينهم المانعة من الاتفاق فلذلك ذهبت
كل طائفة الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه ويحتمل ان يكون البغي مصدر بغاه بمعنى طلبه
ويكون المعنى تفرقوا طلبا للدنيا والرياسة ثم انه تعالى اخبر انهم استحقوا العذاب بسبب تفرقهم الا انه
تعالى اخر عنهم ذلك العذاب لان لكل عذاب عنده اجلا مسمى اي وقتا معلوما والمصنف فسر المتفرقين
في اصول بالامم السابقة على عهد الرسول عليه وسلم وفسر الذين اورثوا الكتاب من بعدهم باهل

ذكر ابن الجوزي في كتاب الوفا في حديث
رقيقة بنت ابي صيفي انها قالت تتابعت على قريش سنون اقحلت الضرع
رقيقة كلاما طويلا مختصره ان رقيقة
بن صيفي بن هاشم كانت لدة عبد المطلب
رأت في المنام وكان العام عام القحط
قد تتابعت على الناس سنون اذ انه اخبر
البها من هاتف ان يرتقي الناس الى
جبل ابي قبيس للاستسقاء فقصت رؤياها
فاستوو ابذروة الجبل فقام عبد المطلب
ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم و
هو غلام قد ايفع فقال اللهم ساد الخلة
كاشف الكربة هذه عبادك واماؤك
وفيهم الطيب الطاهر لذاته بشكو
سنيهم اذهبت الخف والظلف اللهم
فامطر علينا مغدقا فما زالوا حتى
تفجرت السماء بمائها والقصد من طريق
الكناية الى طيبه وطهارته لا الى طيب
لذاته وطهارته محمد

باهل الكتاب الذين كانوا في عهده عليه الصلوة والسلام فانهم ورثوا الكتاب من اسلافهم بعد انقراضهم ثم نقل
قول من فسر المتفرقين باهل الكتاب الذين تفرق كل فريق عن صاحبه بالانتساب الى كتاب غير كتاب
الاخر واتفقوا على التدين باصول الدين سواء كانوا في عصره عليه الصلوة والسلام او قبله فيكون المراد
بالذين اورثوا الكتاب من بعدهم مشركوا العرب لانهم اعطوا القرآن من بعد ان اعطي اليهود والنصارى
كتابهم وضعف قول هذا القائل لان المراد بالتفرق في هذا المقام التفرق في اصول الدين لا التفرق بانتساب
كل فريق الى كتاب غير كتاب الاخر فقوله من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال ناظر الى ما اختاره
من ان المراد بالتفرق اختلاف الامم السالفة في الاصل المشترك بين ارباب الشرائع وقوله او العلم
بمبعثه عليه الصلوة والسلام ناظر الى ما نقله من ان المراد بالتفرق تفرق كل فريق من اهل الكتاب
بالانتساب الى كتابه فعلى هذا يكون ضمير تفرقوا لاهل الكتابين ويكون المراد بالذين اورثوا الكتاب من
بعدهم المشركين وبالكتاب القرآن وقوله لا يعلمونه كما هو ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين الاسلاف
وبالذين اورثوا المعاصرين وقوله او القرآن ناظر الى ان يكون المراد بالمتفرقين مطلق اهل الكتاب
وبالذين اورثوا المشركين قوله فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الاول على ان يكون الاشارة
الى مصدر تفرقوا والثاني على ان يكون الاشارة الى الكتاب الذي اريد به القرآن والثالث على ان
يكون اشارة الى المشروع المبين الذي هو الامر باقامة الدين والنهي عن التفرق قوله وعلى هذا اي
على ان يكون الاشارة الى الكتاب او الى ما جاء من العلم يجوز ان يكون اللام في موضع الى حتى يكون صلة
ادع مذكورة صريحا وبعيد معنى التعليل ايضا قال الفراء والزجاج في تفسيره فالى ذلك الدين الذي
وصى به الانبياء فادع الناس قوله تعالى وامرت لاعدل بينكم يجوز ان يكون التقدير وامرت بذلك
لاعدل بين شريفكم ووضيعكم في تبليغ الشرائع وفي الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الي وعلى تقديره و
امرت ان اعدل على ان يكون اللام زائدة بدل ان المصدرية كما في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم اي التسوية
بين شريفكم ووضيعكم فلا احابي احدا ولا اخص البعض بامر او نهي قوله بمعنى لا احتجاج الحجة في الاصل
البرهان والدليل ثم يقال لا حجة بيننا وبينكم اي لا ايراد حجة بيننا ويراد به لا خصومة بيننا بناء على ان
ايراد الحجة من الجانبين لازم للخصومة فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم قوله وليس في الآية الى رد
الخ قيل من انها نزلت قبل القتال حين كونه عليه الصلوة والسلام مامورا بالدعوة فقط ثم نسخت
باية القتال وما فعل بهم من القتل وتخريب البلاد وقطع النخيل والاجلاء انما وقع بعد نزول آية القتال
ووجه الرد ان هذه الآية انما تدل على المتاركة القولية لحصول الاستغناء عن المحاجة القولية معهم
لانهم قد عرفوا صدقه عليه الصلوة والسلام بما قام من الحجج المتعاضدة وانما تركوا تصديقه والا
يمان به عنادا وبعد ما ظهر الحق وصار والمحجوجين به كيف يحتاج الى المحاجة القولية فلا ينبغي بعد ذلك

الى السبق او الاسلام قوله تعالى والذين يحاجون مبتدا وحجتهم مبتدا ثان وداحضة خبر الثاني والجملة
خبر الاول والمعنى ان الذين يخاصمون في دين الله تعالى بنبيه قبل وهم يهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم
فنحن خير منكم فهذه خصومتهم في دين الله تعالى من بعد ما استجاب له الناس واسلموا ودخلوا فيه قال الامام في
بيان مخاصمة اليهود في دينه تعالى انهم قالوا الستم تقولون ان الدين المتفق عليه يجب اخذه بخلاف الذي
اختلف فيه ونبوة موسى عليه الصلوة والسلام وحقيته كتابه معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ليست متفقا عليها فوجب ان تكون الاخذ باليهودية اولى واوجب فهذه حجتهم وحكم الله تعالى بانها داحضة
اي باطلة وذلك لان اليهود قد اجمعوا على انه انما وجب الايمان بموسى عليه الصلوة والسلام لاجل ان
صدقه الله تعالى بان اظهر المعجزات على يده وكل من صدقه الله تعالى في دعوى الرسالة بهذا الطريق فهو صادق
في دعوى الرسالة فيجب الايمان به فاحتجاجهم بهذا يستلزم بطلان حجتهم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ادعى الرسالة
وصدقه الله تعالى في دعواه بان خلق الله تعالى على يده معجزات بينة باهرة واليهود شاهدوا تلك المعجزات
فان كان ظهور المعجزات دليلا على صدق مدعي النبوة يجب الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان لم يكن
دليلا عليه في حق محمد صلى الله عليه وسلم كيف يكون دليلا في حق موسى عليه الصلوة والسلام فجعله دليلا في حق
احدهما دون الاخر تحكم محض وعناد صرف لما عظم الله تعالى ما تضمنته هذه السورة الكريمة من المعاني
بان بين انه كررو حيه اليه في القران المجيد والى من قبله من الانبيا بان اسند وحيه الى الله العزيز الحكيم
ثم انكر رسوله على شدة حرصه على ايمان المشركين وعدم اقتصاره على تبليغ رسالته اليهم وانذارهم
بيوم الجمع وما فيه من تعذيب المسيء على وجه يتضمن تهديدهم بان الله حفيظ عليهم وانه ما لهم من
ولي ولا نصير ثم بين استحقاقهم للتهديد المذكور بانهم خالفوا الدين المتفق بين ارباب الشرائع و
هو الايمان بجميع ما يجب الايمان به وطاعة الله تعالى فيما امر به ونهى عنه وعدم الافتراق فيه شرع
الآن في بيان انه انما شرع ذلك الدين المتفق عليه بانزال الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والبينات
فقال الله تعالى الذي انزل الكتاب قوله والشرع لفظ الميزان حقيقة في آلة الوزن ويستعار للشرع
تشبيها له بالميزان الحقيقي من حيث انه يوزن به الحقوق الواجبة الاداء سواء كانت من حقوق الله
تعالى او من حقوق العباد ويطلق على العدل والتسوية تسمية للشيء باسم آلته فان الميزان آلة العدل فسمي
باسمه والشرع بمنزله بانزال مبلغه وكذا العدل فانه ينزل بانزال الامر به في الكتب الالهية المنزل
بانزال مبلغها قوله والة الوزن اي ويجوز ان يكون المراد بالميزان معناه الاصلي وانزاله على حقيقته
كما ذكر الزمخشري في سورة الحديد من انه روي ان جبرئيل عليه الصلوة والسلام نزل بالميزان فدفعه
الى نوح عليه الصلوة والسلام وقال له مر قومك يزنوا به وقيل نزل آدم عليه الصلوة والسلام بجميع الآلات
الصنائع واما مجاز عن انزال الامر باستعماله في الايفاء والاستيفاء قوله فاتبع الكتاب اشارة الى

اي وجه ارتباط قوله وما يدريك الخ لانزال الكتاب والميزان بان معنى يريد يعني ان قوله تعالى وما يدريك الآية
كناية عن الترغيب في اتباعهما واقامة حدودهما قبل مفاجأة اليوم الذي يوزن فيه الاعمال ويوفى لمن
اوفى ويطفف لمن طفف قوله وجعل تذكير القريب عطف على قوله قريب اتيانها يعني ان قريب فعيل بمعنى
الفاعل ولا يستوي فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه فكان الظاهر ان يقال قريبة لكونه مسندا الى ضمير الساعة
الا انه ذكر لكونه صفة جارية على غير من هي له والتقدير قريب اتيانها وقريب منه قول الزمخشري او لعل
مجيء الساعة قريب بتقدير المضاف ورد عن سيبويه انه قال انما لم يقل قريبة لان المراد ذات قرب بمعنى انه
على معنى النسب لا على معنى الحدوث في احد الازمنة فان الصفات انما يفرق بين مذكرها ومؤنثها بالتاء
اذا قصد بها الحدوث لانها حينئذ يشبه الفعل الذي مبناه على الحدوث فكما ان الفعل تلحقه التاء اذا اسند
الى المؤنث فكذا الصفات التي كانت كالفعل في معنى الحدوث فانها تلحقها التاء ايضا فتقول حاضت هند
فهي حائضة فطلقت فهي طالقة واما اذا قصد بها الاطلاق فلا تكون ح بمعنى الفعل بل بمعنى النسب وان كانت
على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر اي لبني وتمري فلما لم يكن في معنى الفعل لم
يلحقها التانيث لعدم مشابهتها له معنى وان شابهته لفظا قوله او لان الساعة بمعنى البعث تسمية للحال باسم
ما حل فيه قوله استهزاء فانه عليه الصلوة والسلام لما هددهم بيوم القيمة قالوا استهزاء متى تقوم الساعة و
ليتها قامت حتى يظهر لنا ان الحق ما هو الذي نحن عليه ام ما تدعونا اليه فانهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها فهم يطلبون
وقوعها استبعادا لقيامها بخلاف الذين امنوا فانهم مشفقون منها لعلمهم بانهم يحاسبون ويجزون بما عملوا في الدنيا
مع اعتنائها اي مع اعتنائهم بها واهتمامهم لها اي يجمعون بين الخوف منها والاهتمام بشانها لتوقعهم ما فيها من
الثواب قوله من المرية فقوله يمارون معناه في الاصل يداخلهم المرية والشك فيؤدي ذلك الى المجادلة فقوله
في تفسيره يجادلون تفسير له بمؤداه ولازمه وان كان من المري وهو التعرض لضرع الناقة لاستخراج ما فيه
من اللبن يكون تفسيره بيجادلون حملا له على الاستعارة التبعية بان تشبه المجادلة بمماراة الحالب الضرع لاستخراج
ما فيه من اللبن من حيث ان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة قوله اشبه الغائبات
الى المحسوسات فان البعث مع كونه امرا ممكنا في نفسه غير مستبعد من قدرة الله تعالى قامت على وقوعه دلائل قطعية
فبلغ بكثرة شواهده مبلغ المحسوسات فان الكتاب المعجز نطق بالاخبار عن وقوعه والعقول السليمة شاهدة
على انه لا بد من دار جزاء لئلا يكون تكليف الحكم عبثا قوله بصنوف من البر لا تبلغها الافهام كثرة البر
مستفاد من تنكير لطيف ومن صيغة فعيل لانها للمبالغة وكونها بحيث لا تبلغها الافهام مستفاد من بيان دقته
فان اللطف ايصال النفع فيه دقة وعظم قدره ولا تبلغ قوة المتفكر الى ادراك لطفه في ترزيق عباده من
بني آدم وغيرهم وان بذل جهده حيث جعله منوطا بترتيب العالم العلوي والسفلي وما فيهما من الصنائع
العجيبة والتدبيرات الغريبة بحيث يعجز عقل البشر عن معرفة ادنى شيء منها فضلا عن استقصائها

وكذلك بمعنى طالق وحائض بمعنى ذات طلاق وحيض كانه قيل طلاقية وحيضية
منه

وكونها بحيث لا تبلغها الافهام من بيان دقته لان اللطف ايصال النفع فيه دقة وعظم قدره من لطفه في ترزيق نوع الانسان انه جعل رزقهم من الطيبات ولم يدفعه اليهم بمرة واحدة
منه

قوله اي برزقه كما يشاء لما ورد ان يقال ان اضافة العباد وهو جمع الى ضمير اسم الله تعالى من طرق الاستغراق
فيفيد انه تعالى لطيف بجميع عباده فالمناسب له ان يقال بعده برزقهم جميعا برا او فاجرا ولا يهلك الفاجر جوعا "
لمعاصيه فما وجه تخصيص ترزيقه بمن يشاء اشار الى جوابه بان المخصوص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه
وذلك لا ينافي عموم بره لجميع عباده فانه تعالى بربهم جميعا لا بمعنى ان جميع انواع البر واصنافه يصل الى كل
واحد فانه مخالف الحكمة بل يصل بره اليهم على سبيل التوزيع بان يخص احد بنعمة وآخر باخرى فيحوج بذلك
كل واحد منهم الى الآخر فيما عنده من النعمة فينتظم به احوالهم ويتم اسباب معاشهم وصلاح دنياهم و
عمارتها فيؤدي ذلك الى فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة ثم انه تعالى لما بين كونه لطيفا بعباده كثير الاحسان
اشار الى ان الانسان ما دام في دار الكسب والاختيار لا بد له من السعي في طلب الخيرات وفي الاحتراز عن
القبايح والسيئات فان لطفه تعالى واحسانه وان لم يكن مقدرا بقدر سعي عبده وعمله الا ان عادته تعالى قد
جرت على ان جعله منوطا بسعي العبد وكسبه فقال من كان يريد حرث الآخرة الآية والحرث في الاصل هو الزرع
الحاصل بالقاء البذر في الارض استعير للثواب الحاصل بمقابلة العمل قوله ولذلك اي ولكون ثواب الآخرة
حاصلا بعمل الدنيا قوله شيئا منها اي شيئا كائنا منها على ان منها متعلقا بمحذوف فهو صفة للمفعول الثاني المحذوف
بقوله نؤته قال الامام فان قيل ظاهر اللفظ يدل على ان من صلى لاجل طلب الثواب او لاجل دفع العقاب فانه "
تصح صلوته واجمعوا على انها لا تصح والجواب انه تعالى قال من كان يريد حرث الآخرة والحرث لا يتأتى الا بالقاء
البذر الصحيح في الارض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس الا عبودية الله تعالى قوله اذ الاعمال "
بالنيات وانه عمل الدنياه لا الآخرة على ذلك العمل شيئا قال تعالى في طلب ثواب الآخرة انه نزد له في حرثه ولم يذكر
انه يعطيه الدنيا ام لا بل بقي الكلام ساكتا عنه نفيا واثباتا مع ان الزرع المقوم له يصل اليه لا محالة فلا
ستها انه بذلك والاشعار بانه في جنب ثواب الآخرة كانه ليس بشيء وصرح في حق طالب حظ الدنيا بانه لا
يعطيه شيئا من نصيب الآخرة تنصيصا على الفرق بين من اراد الآخرة وبين من اراد الدنيا حيث
صرح بان طالب الآخرة يزداد في مطلوبه وان طالب الدنيا يعطى بعض مطلوبه من الدنيا وليس له من "
ثواب الآخرة نصيب البتة وبين ان طالب الآخرة يكون حاله ابدا في الترقي والتزايد وان طالب
الدنيا لا ينال مراده من الدنيا ويكون محروما عن ثواب الآخرة بالكلية قوله بل الهم شركاء يريد ان ام
هذه منقطعة فيها معنى بل والهمزة وبل للاضراب عما سبق وهو بيان انه تعالى شرع لهم من الدين ما
وصى به الانبياء المتقدمين وان الذين يحاجون في دين الله حجتهم داحضة عند ربهم اضرب عن هذا
البيان واستفهم استفهام تقرير وتقريع بان قال الهم شركاء اي نظراء يشاركونهم في الكفر والعصيان
ويعاونونهم عليه بالتزيين والاغراء وهم شياطين الانس والجن وسمى ما زين لهم شركاؤهم
من الطريق الباطل دينا للمشاكلة او التهكم قوله وقيل شركاؤهم اوثانهم ومن ثم ينبغي ان تكون الهمزة للا

للانكار فان الجماد الذي لا يعقل شيئا كيف يصح ان يشرع لهم دينا والحال انه تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين
الباطل فمن اين يدينون به من عند انفسهم بغير حجة تكون عذرا لهم في التدين به واسناد الشرع الى الاو
ثان مع كونها بمعزل عن الفاعلية اسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى السبب او من قبيل اسناده
الى ما هو على صورة الفاعل الحقيقي في زعمهم فانهم يزعمون ان الاصنام صور الملائكة او المسيح او العزير
او غيرهم من العباد الصالحين فانهم يزعمون ان هؤلاء العباد سنوا لهم ما هم عليه من الدين الباطل
ودعوهم اليه وفي بعض النسخ صور من شبه لهم من التشبيه فالمعنى شبه لهم ان عبادتهم تنفعهم وتنجيهم
قوله ان القضاء السابق سمى القضاء كلمة الفصل لان الفصل قد يطلق على قطع الحكم كما قال تعالى وهو خير
الفاصلين ويطلق على القول الحق ايضا كما في قوله تعالى وانه لقول فصل ولا شك ان القضاء السابق كلام
نفسي قائم به تعالى وحكم قاطع لا تبديل له ولا رجوع عنه وان العدة المذكورة وعد صدق وقول حق "
فلذلك اطلق عليها كلمة الفصل بمعنى تمييز الفرق ويكون المعنى ولولا القضاء او العدة بالفصل
اي الفرق بين مكذبي هذه الامة ومكذبي الامم السابقة لانبيائهم لقضي بين هؤلاء وبين المؤمنين "
بمعاجلة عذابهم ولاهلكوا اي اهلك اولئك قوله والمشركين وشركائهم على ان يكون المراد بالشركاء
شياطينهم والاول على ان يكون المراد بالشركاء الاوثان قوله وتقدير عذاب الظالمين في الآخرة اح
الى تقدير المضاف لان كلمة لو لا تستدعي تحقق مدخولها حال التكلم بها والذي يتحقق حال التكلم هو تقدير
تعذيب الظالمين لا نفس عذابهم وقرا الجمهور وان الظالمين بكسر ان على الاستيناف ولما كان العذاب
الاليم غالبا في الآخرة بين حال الفريقين فيها على طريق الاستيناف فبدا باحوال الكفرة فقال ترى
الظالمين اي ترى الكافرين يوم القيمة خائفين من جزاء كسبهم في الدنيا او من جزاء ما كسبوا في
الدنيا وهو الشرك والتكذيب وذلك الجزاء واقع البتة خافوا او لم يخافوا فلذلك اوثر لفظ واقع على
يقع مع ان المعنى على الاستقبال لان الخوف انما يكون من المتوقع لا الكائن ثم ذكر احوال المؤمنين وثوا
بهم فقال والذين امنوا الآية قوله في اطيب بقاعها وذلك مستفاد من اضافة الروضة الى الجنة
في مقام الامتنان فان الاضافة تنبئ عن امتياز المضاف عن المضاف اليه وكون الامتياز يكون باطيب
بقاعها مستفاد من كون المقام الامتنان قوله اي ما يشتهونه ثابت لهم عند ربهم يعني ان قوله عند ربهم
ظرف للاستقرار العامل في لهم فيدل على ان الاشياء حاضرة ومهيأة عنده تعالى وليس ظرفا لقوله يشاؤن
لانه على الاول يكون قوله ما يشاؤن باقيا على عمومه ويكون المعنى جميع ما يشتهونه حاصل لهم منه
تعالى خاصة بخلاف الثاني فانه يدل على ان ما يشاؤن عنده حاصل لهم منه او ممن غيره ولا يدل على "
حصول جميع مطالبهم ثم قال ذلك هو الفضل الكبير وهذا تصريح بان الجزاء المرتب على العمل الصالح انما
حصل بطريق الفضل لا بطريق الاستحقاق قوله ذلك الثواب الذي اشارة الى ان ذلك مبتدا والذي خبره

فما تنكر الا قرانا اسباب ... التهمة لفضلاء التهمة سلمه

فالمناسب على هذا ... ان يكون الهمزة للانكار سلمه

على حذف الموصوف وذكر الموصوف اما الثواب الذي اخبر الله تعالى بانه اعده لعباده المؤمنين او التبشير المدلول
عليه بقوله الذي يبشر الله عباده فالاشارة على الاول الى ما ذكر سابقا من الكرامة المعدة لهم وحذفت الباء
التي هي صلة يبشر كما في قولك امرتك الخير ثم حذف الضمير الراجع الى الموصول كما في قوله تعالى اهذا الذي بعث
الله رسولا فانهم لا يجوزون حذف الجار والمجرور دفعة واحدة وانما يحذفونها على التدريج الا نادرا كما
في قولهم السمن منوان بدرهم وعلى الثاني يكون الاشارة الى مدلول قوله الذي يبشر الله عباده كما في قولك
هذا اخوك اي الى المذكور سابقا اذ لم يتقدم في هذه السورة لفظ البشرى ولا ما يدل عليه والعائد الى
الموصول محذوف ايضا لكن لا بتقدير الجار لان العائد في حكم المفعول المطلق فيتعدى الفعل اليه بنفسه
قوله وقرأ ابن كثير الى اخر المص قراءة نافع وعاصم وابن عامر يبشر الله بضم الياء وفتح الباء و
كسر الشين مشددة وهو منقول من بشره بفتح العين في الماضي وضمها في الغابر والتشديد فيه للتكثير لا
للتعدية لان الثلاثي متعد بنفسه وقراءة الاربعة الباقية يبشر الله بفتح الباء وضم الشين المخففة ولا
فرق بين القرائتين من حيث المعنى الا بان احديهما فيها معنى التكثير لا في الاخرى وعلى قراءة يبشر
من باب الافعال يكون منقولا من بشر بكسر الشين فانه لازم يتعدى بنقله الى باب الافعال يقال بشرت كذا اي
استبشرت به بخلاف بشرت بالفتح فانه متعد **قوله** على ما تعاطاه اي خوض فيه وباشره وفي الصحاح يقال
فلان يتعاطى كذا اي يخوض فيه **قوله** نفعا منكم اشارة الى وجه جواز كون الاستثناء متصلا كما اشار اليه المص
بقوله وقيل الاستثناء منقطع فان ودهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا ودهم اهل قرابته اعتدادا
بفضلهم ورعاية لحقهم داخل في جنس النفع الواصل منهم اليه عليه الصلوة والسلام غاية ما في الباب ان
يكون اطلاق الاجر على مطلق النفع مجازا بان يكون الاجر عبارة عن العوض المالي الواجب في مقابلة
العمل **قوله** ان تودوني لقرابتي اي يجوز ان يكون المراد بالمودة مودة الرسول عليه الصلوة والسلام وبالقربى
القرابة بمعنى الرحم ويكون كلمة في في قوله في القربى بمعنى اللام متعلقة بالمودة فيكون المعنى ان تودوني لاجل
قرابتي منكم كما يقال الحب في الله اي في حقه ومن اجله ويجوز ايضا ان يراد بالمودة مودة اهل قرابته
ويكون القربى مصدرا كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة التي يراد بها الاقارب فلا يكون قوله في القربى ظرفا
لغوا متعلقا بالمودة بل يكون ظرفا مستقرا متعلقا بمحذوف منصوب على انه حال من المودة اي الا المودة ثابتة
في القربى متمكنة فيها فيكون كلمة في على بابها جعلوا امكانا للمودة ومقرا لها كقولك في ال فلان مودة وهذا
النظم ابلغ من ان يقال الا المودة للقربى او الا المودة للقربى فان قيل يصح ان يكون الاستثناء متصلا و
الحال انه يفيد كونه عليه الصلوة والسلام طالبا للاجر على تبليغ الوحي وانه لا يجوز لوجوه اولها انه تعالى
حكى عن اكثر الانبياء تصريحهم بنفي طلب الاجر فقال في قصة نوح عليه الصلوة والسلام وما اسألكم عليه
من اجر وكذا في قصة هود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلوة والسلام ورسولنا صلى الله عليه وسلم افضل

بمعنى انكم قومي واحق من اجابني واطاعني فاذ قد ابيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي كشاف

افضل الانبياء وسيد المرسلين فكيف يليق بشانه ان يطلب الاجر على تبليغ الوحي والرسالة وثانيها
انه عليه الصلوة والسلام صرح بنفي طلب الاجر فقال قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين وقال
قل ما سألتكم من اجر فهو لكم وثالثها ان التبليغ كان واجبا عليه لقوله تعالى بلغ ما انزل اليك من ربك وطلب
الاجر على طلب الواجب لا يليق باقل الناس قدرا فضلا عن سيد الكائنات ورابعها ان متاع الدنيا
اقل الاشياء واحقرها بالنسبة الى الوحي الالهي وعلم النبوة فكيف يحسن في العقل ان يطلب اخس الاشياء
بمقابلة اشرف الاشياء وخامسها ان طلب الاجر يوهم التهمة وذلك ينافي القطع بصحة النبوة فثبت
بهذه الوجوه انه لا يجوز منه عليه الصلوة والسلام ان يطلب الاجر على التبليغ البتة فكيف يصح ان يصدر
منه ما يجري مجرى طلب الاجر وهو المودة في القربى اجيب عنه بانه من قبيل قول من قال ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب لان حاصله انا لا اطلب منكم الا هذا وهذا في الحقيقة
ليس باجر لان الاجر ما يجب بمقابلة العمل ومودة اقربائه عليه الصلوة والسلام واجبة قريش و
ان فرض انه عليه الصلوة والسلام لم يبعث اليهم نبيا ولم يبلغ اليهم وحي الله تعالى لان اقرباءه عليه الصلوة
والسلام ذوو قرابتهم فكانت صلتهم والامتناع عن ايذائهم واجبة عليهم بحكم المروة الجبلية
فمودتهم في القربى لا تكون اجر التبليغ لوجوبها عليهم مع قطع النظر عن التبليغ فلا يكون عليه الصلوة
والسلام بطلبها طالبا للاجر على التبليغ الا انه عليه الصلوة والسلام سماها اجرا واستثناها منه تشبيها لها به
وهذا القدر كاف في صحة الاتصال ولان حصول المودة بين المسلمين امر واجب قال تعالى والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وقال عليه الصلوة والسلام المؤمنون كالبنيان يشد بعضه بعضا و
الايات والاخبار في هذا الباب كثيرة واذا كان حصول المودة بين جمهور المسلمين واجبا فحصولها
في حق اشراف المسلمين واكابرهم اولى فكانه قال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن
المعلوم ان المودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة فرجع حاصل الكلام الى انه لا يسأل اجرا البتة **قوله**
روي انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك الذين الذين وجبت علينا مودتهم يؤيد ان ليس المعنى
الا ان تودوني لقرابتي بل المعنى الا ان تودوا قرابتي وان قرابته عليه الصلوة والسلام هؤلاء الاربع و
قيل هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس وقيل هم كل من حرمت عليهم الصدقة وهم بنو هاشم
وبنو المطلب وفي الحديث حرمت الجنة على من ظلمني في اهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى
احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه غدا اذا لقيني يوم القيمة ومن ظن ان هذه الاية
نسخت بقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم فقد غلط لانه لا يصح ان ينسخ مودة النبي عليه الصلوة والسلام
وكف الاذى عنه ولا مودة آله واقاربه ولا التقرب الى الله تعالى بطاعته لان كل واحد منها من فرايض الدين
واصوله فلا يتصور نسخه **قوله** وقيل نزلت عطف على معنى قوله ومن يكتسب طاعة سيما حب آل عليه

[illegible]

الصلوة والسلام فانه يدل على ان قوله ومن يقترف عام في كل من يكتسب حسنة ابي بكر كان او غيره و
على ان قوله حسنة عام في كل طاعة سواء كانت مودة في آل رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيرها كانه قيل
كل واحد من قوله ومن يقترف ومن قوله حسنة عام وقيل كل واحد منهما خاص والعامة على حسنا
بالتنوين وهو مصدر على فُعل وشكرا وانتصابه على انه مفعول به وقرئ حسنى بالالف اي بالف التانيث
بلا تنوين وهو ايضا مصدر على وزن فعلى كالبشرى والرجعى وهو مفعول به ايضا ويحتمل ان يكون صفة
كفضلى فيكون وصفا للمحذوف اي خصلة حسنى لما حث على الحسنة المخصوصة وهي ان يودوه عليه الصلوة
والسلام لقرابته منهم او يودوا اقرباءه اي اقرباءه ذكر ان كل من يقترف حسنة واحدة اي حسنة كانت
تضاعف له عشر امثالها غدا **قوله** بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة يعني ان الشكر من الله تعالى
يراد به هذا المعنى مجازا لان معناه الحقيقي وهو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما لا يتصور منه تعالى لامتناع
ان ينعم عليه احد حتى يقابله بالشكر شبهت اثابة اهل الطاعة وتفضله عليه بالزيادة بالشكر الحقيقي
من حيث ان كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير واكرامه لاجله **قوله** بل ايقولون اشارة الى
ان ام منقطعة متضمنة معنى بل الاضرابية وهمزة التوبيخ والكلام المضرب عنه هو الاضراب الاول وهو
قوله ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وبيانه انه تعالى لما امر رسوله عليه الصلوة والسلام
بان يتلو عليهم قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية وساق الكلام الى ان انتهى الى الاضراب الاول
فاضرب عن الامر بالتلاوة الى السؤال على سبيل التقرير والتهكم انهم يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من
الجن والانس واجرى عنان الكلام حتى بلغ الى مقام الاضراب الثاني فوبخهم على امر آخر اعظم من الاول
وهو نسبة الافتراء الى اكرم خلق الله فقال ام يقولون اي يتفوهون بهذه العظيمة وهي ان محمدا عليه
الصلوة والسلام شرع من تلقاء نفسه هذا الذي دعاكم اليه وسماه دينا وذكر انه تعالى وصى به الانبياء
السابقة وامرهم ان يتمسكوا به وان يأمروا اممهم بالتدين به وهذا معنى قوله افترى على الله كذبا والمعنى
ايقولون انه عليه الصلوة والسلام كاذب في دعوى انه تعالى ارسله نبيا وفي دعوى ان القرآن كلام الله تعالى او
حي اليه بواسطة الملك وانه مفتر عليه تعالى في ذلك لانه تعالى لم يجعله نبيا ولم يوح اليه شيئا وانه انما يدعي ذلك
من تلقاء نفسه وقيل ام هذه متصلة معادلة للهمزة الاستفهام المحذوفة والتقدير ايصدقونك فيما تبلغه
اليهم ام يقولون افترى على الله كذبا ولم يوح اليه شيء وعلى تقدير كونها منقطعة يكون هذا الاضراب
معطوفا على الاضراب الاول وادخل في افادة الانكار والتوبيخ منه لان اتباعهم شرع الشياطين وان كان
ضلالا وشرا عظيما الا انه ليس كجعل دعواه النبوة ودعواه ان القرآن كلام الله المنزل عليه الموحى اليه اد
عاء لهما من تلقاء نفسه افتراء عليه تعالى في نسبة بعثته اليه وانزاله عليه لان دلائل صدقه عليه الصلوة و
السلام في دعوى كل واحد منهما بلغت في الكثرة والقوة الى حيث سقط معها احتمال كونه عليه الصلوة
و

والسلام كاذبا مفتريا كانه قيل ايجدون من انفسهم ان ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله وهو اعظم
الفرى وافحشها **قوله** استبعاد للافتراء عن مثله لما كان ظاهر النظم يدل على ان المقصود من هذا الكلام
تجويز نسبة الختم اليه عليه الصلوة والسلام ولا وجه له بين ان المقصود منه المبالغة في استبعاد الافتراء
عن مثله كانه قيل من كان مثلك في كونه اعرف خلق الله تعالى به واخشاهم منه والزمهم عنده منزلة بحيث
يكون آدم عليه الصلوة والسلام ومن دونه تحت لوائه كيف يصح ان يفتري عليه فان الافتراء عليه تعالى
لا يصدر الا ممن كان مختوما على قلبه جاهلا بربه ابعد خلق الله منه واما صدوره ممن هو مثلك فبعيد كل
البعد وانما ينبئهم ذلك منه ان لو كان ممن ختم الله تعالى قلبه فكان بحيث لا يميز بين الحق والباطل ومن البين
انك لست كذلك ممن ان يتصور منك ان تفتري عليه تعالى وعن قتادة يختم الله على قلبك اي ينسيك القرآن
ويقطع عنك الوحي يعني لو كذب على الله تعالى وافترى لانساه القرآن ولقطع عنه الوحي ولما عمل خبر ان
ختم قلبه فعلى هذا يكون الكلام استدلالا على عدم كونه مفتريا بانتفاء لازمه كما انه على الاول استبعاد لكمال
الافتراء عنه **قوله** استيناف يعني تم الكلام بذكر قوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله ويمح الله الباطل
ليس مجزوما بالعطف على جزاء الشرط لانه تعالى يمحو الباطل مطلقا لا معلقا بالشرط ولانه لو كان مجزوما لما عطف
عليه ما بعده مرفوعا وهو قوله ويحق الحق وسقط لام الفعل منه لفظا لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطا
ايضا حملا للخط على اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية استبعد الله تعالى صدور
الافتراء على الله تعالى عن مثله عليه الصلوة والسلام ثم اقام الدليل على انه ليس بمفتر وتقرير الدليل ان من
عادته تعالى ان يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه فلو كان عليه الصلوة والسلام مبطلا كذابا لما ايده
بالقوة والنصر بل يفضحه ويكشف عن باطله ولما لم يكن الامر كذلك علمنا انه ليس من الكاذبين المفترين
على الله تعالى ثم انه تعالى لما انكر على المشركين ووبخهم على اتباعهم ما شرع لهم شياطينهم ونسبتهم اياه عليه
الصلوة والسلام الى اصل الافتراء ثم الى الافتراء على الله تعالى الذي هو اعظم الفرى وافحشها نبههم الى التوبة
ووعدهم انه يقبلها من كل مسيء وان عظمت اساءته فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده واقل ما لا بد منه
للتائب الندم على الماضي والترك في الحال والعزم على ان لا يعود اليه في المستقبل **قوله** لتضمنه معنى الاخذ
والابانة من قبيل اللف والنشر المرتب فلتضمنه معنى الاخذ يعدى اليه بمن فيقال قبلته منه اي اخذته منه
وجعلته مبدأ قبولي ولتضمنه معنى الابانة والتغريب يعدى بعن فيقال قبلته عنه اي عزلته عنه وابنته عنه
قوله تعالى ويعفو عن السيئات ليس معناه يعفو عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنب الكبائر
كما ذكره الزمخشري بناء على مذهبه وذلك لان عفو ما تيب عنه هو عين قبول التوبة والتجاوز عما تيب عنه
فيتحد المعطوف والمعطوف عليه مع ان العطف يقتضي التغاير بل المعنى ان الله تعالى من شانه ان يقبل التوبة
عن عباده اذا تابوا وان يعفو سيئاتهم صغيرها وكبيرها التي هي غير الشرك لمن يشاء بمحض رحمته وامتنانه

شافع وان لم يتوبوا وهو مذهب اهل السنة وقالوا ايضا لا يجب عليه تعالى شيء من قبول التوبة وغيرها و
احتجوا عليه بهذه الآية وقالوا انه تعالى تمدح بقبول التوبة ولو كان قبولها واجبا عليه لما حصل التمدح العظيم
به وقالت المعتزلة يجب ذلك عليه تعالى عقلا قوله وقرأ الكوفيون غير ابي بكر اي قرأ حمزة والكسائي
وحفص عن عاصم يفعلون بالياء من تحت نظرا الى قوله عن عباده وقوله بعده ويزيدهم من فضله والباقون
قرؤن بتاء الخطاب التفاتا على الناس عامة او خطابا للمشركين قوله أن يستجيب الله لهم او يستجيبون لله تعالى
اي يجوز ان يكون قوله الذين آمنوا في محل النصب على انه مفعول به واصل الاستجابة ان يعدى الى الداعي باللام
كما في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم اي اجيبوا الله ولرسوله فان استجاب واجاب
بمعنى ومنه قوله وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب الا انه حذفت اللام للعلم
بها كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم وفاعل يستجيب مضمر فيه يعود على الله ثم الاجابة يجوز ان يكون
على اصل معناها فيكون التقدير ويجيب الله تعالى دعاء المؤمنين اذا دعوه ويزيدهم على ما سألوا منه تفضلا
ذكر ما يحذف الدعاء المضاف للعلم به ويجوز ان يكون عن الاثابة على الطاعة فان الطاعة لما شابهت الدعاء في
ما يترتب عليها من الثواب كانت الاثابة عليها بمنزلة اجابة الدعاء فعبر عن الاثابة بالاجابة على سبيل
الاستعارة كما يعبر بالدعاء عن الطاعة قال عطاء عن ابن عباس رضي يستجيبهم اي يثيبهم على طاعتهم و
يزيدهم من فضله سوى ثواب اعمالهم تفضلا عليهم ويجوز ايضا ان يكون الذين آمنوا في محل الرفع على
انه فاعل يستجيب ويكون المفعول محذوفا اي يستجيبون لله بالطاعة اذا دعاهم اليها على ان استجاب
بمعنى اطاع واجاب ويؤيد كون الموصول فاعل يستجيب ما روي انه قيل لابراهيم بن ادهم رح ما بالنا ندعو
فلا نجاب فقال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا
فاشار بقراءة قوله والله يدعو الى دار السلام الى انه تعالى دعاهم وبقراءة قوله ويستجيب الذين آمنوا
الى انه لم يجب الى دعائه الا البعض قوله على ما سألوا على ان تكون الاستجابة فعل الله تعالى ويكون المعنى ويجيب
الله دعاء المؤمنين اذا دعوه بان تكون الاجابة على اصل معناها قوله او استحقوا على ان يكون الفعل
لله تعالى ويكون بمعنى الاثابة وقوله او استوجبوا اي استحقوا به على ان يكون الفعل لهم ويكون بمعنى الاطاعة
قوله لتكبروا فان البغي قد يكون بمعنى التكبر فيكون المعنى لفعلوا ما يتبع الكبر من العلو في الارض والفساد
والوجه في كون البسط مستلزما له ان الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة عاد الى مقتضى
خلقته الاصلية وهو التكبر واذا وقع في شدة وبلية انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقد يكون بمعنى
الظلم اي لظلم بعضهم بعضا ولعتوا طغيانا وبطرا قال تعالى ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فلذلك
قيل الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام اخوف ما اخاف على امتي
زهرة الدنيا وكثرتها ووجه تعلق الآية بما قبلها انه تعالى لما قال في الآية الاولى انه يجيب دعاء المؤمنين او يثيبهم

فانه تعالى لو سوى في الرزق بين الكل لامتنع كل احد عن ان يخدم غيره وذلك يؤدي الى خراب العالم وتعطل المصالح منه

على

على طاعتهم ويزيدهم على الثواب الذي استحقوه بها اذا انهم يستجيبون لربهم بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم
هو تعالى على ما استحقوه بالاستجابة تفضلا ذكر ما يرد عليه ان يقال مقتضى الآية على جميع التقادير ان يكون
المؤمن في سعة ورفاهية اما بان يجيب الله تعالى دعاءه او بان يزيده على ما يستحقه من الكرامة والحال ان المؤمن
كثيرا ما يبتلى بالشدة وانواع البلية والفقر الى ان يموت ولا يظهر فيه اثر الاجابة والزيادة فكيف الجمع بين
هذه الحالة وبين قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا فاجاب الله تعالى عنه بان شأنه تعالى ذكره الا ان اثر الاستجابة
لا يجب ان يظهر في الدنيا فانه تعالى يدبر امر الانسان في الدنيا على ما يقتضيه الحكمة فيفقر ويغني ويقبض ويبسط
ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم جميعا لهلكوا قوله وهذا على الغالب جواب عما يقال من ان البغي قد يكون
مع الفقر فلم شرط البسط فيه فانه كم من مقبوض عنه يبغي وكم من مبسوط عليه بضده وتقرير الجواب نعم ان
ذلك قد يكون الا ان الغالب ان يكون البسط مؤديا الى البغي والقبض مؤديا الى الانكسار والتواضع فلذلك
جعل البغي مشروطا بالبسط قوله فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى انس بن مالك رضي عن النبي صلى الله
عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل في حديث طويل انه قال يقول الله عز وجل ما ترددت في شيء انا فاعله
ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين
لمن يسألني الباب من العبادة فاكفه عنه لئلا يدخله العجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا
يصلح ايمانه الا الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الفقر
ولو اغنيته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو اسقمته لافسده ذلك
وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو صححته لافسده ذلك اني ادبر امر عبادي بعلمي بما في
قلوبهم اني عليم خبير قوله اذا اخصبوا اي اذا اصابهم الخصب والرخاء وهو ضد اجدبوا اي اذا اصابهم
الجدب والقحط وصاروا اليه قوله انتجعوا اي طلبوا وقصدوا من النجعة بالضم وهو طلب الكلأ في موضعه
وتقول منه انتجعت فلانا اتيته تطلب معروفه قال شاعرهم وقد جعل الوسمي ينبت بيننا وبين بني
رومان نبعا وشوحطا النبع والشوحط شجران تتخذ منهما القوس والنشاب والوسمي مطر الربيع الاول
سمي به لانه يسم الارض اي يؤثر فيها بسمة النبات نسبة الى الوسم والمراد به ما يترتب عليه من الغنى و
الخصب يعني انهم لما امطروا واخصبوا اعدوا المراكب وطلبوا القسي والاوتار والسهام وحاربوهم فجعله
كان المطر والخصب انبت آلة الحرب وهي القسي والسهام ورومان بضم الراء اسم رجل ثم انه تعالى لما بين
انه لا يعطيهم ما زاد على ما يقتضيه الحكمة لاجل علمه بان اعطاء ذلك يضرهم في دينهم بين انهم اذا احتاجوا
الى الرزق فانه يرزقهم ولا يميتهم جوعا فقال وهو الذي ينزل الغيث خص اسم الغيث بالذكر دون المطر
لاختصاص الغيث بما ينزل رحمة ونفعا فانه اسم للمطر الذي يغيث الناس من الجدب قوله ولذلك اي
ولكون اسم الغيث منبئا لمعنى الاغاثة عن الجدب خص بالمطر النافع دون الضار او الاعم منهما ولما

كان حصول النعمة بعد اشتداد البلية اقصى مراتب الاغاثة وجالبا لكمال الفرح والمسرة اردفه بقوله
من بعد ما قنطوا المزيد الامتنان واسند عاء الذكر قوله تع وينشر رحمته في كل شيء اشارة الى ان ضمير رحمته
لله وان قوله تع وينشر رحمته بعد قوله هو الذي ينزل الغيث مع ان الغيث رحمة بالغة تعميم بعد التخصيص او
من باب عطف العام على الخاص كانه قيل ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر سائر انواع الرحمة ويجوز ان يكون
ضمير رحمته للغيث ويكون المعنى وينشر بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب ولما كان المقصود
هذه الآية بيان ما يدل على تفرده بالالوهية اورد آية اخرى تدل عليه فقال ومن اياته خلق السموات الآية
قوله من حي اشارة الى جواب ما يقال من ان المبثوث في السموات هو الملائكة فكيف يجوز اطلاق الدابة عليهم
مع انه اسم لما يدب على الارض اي يمشي عليها وهم طيارون في السماء لا مشاؤن على الارض اجاب عنه اولا
بان الدابة مجاز عن الحي على طريق اطلاق اسم المسبب فان الحيوة سبب للدبيب فاطلق عليها اسم
الدبيب وعلى الحي الدابة ولا شك ان الملائكة احياء وثانيا بان المراد بالدابة معناه اللغوي وهو ما يدب
على الارض والدابة بهذا المعنى وان كانت مبثوثة في الارض فقط الا انها جعلت مبثوثة فيهما بناء على ان ما
يكون في احد الشيئين يصدق عليه انه فيهما في الجملة ومنه قوله تع يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما
يخرج من الملح لا من العذب وقد يسند الفعل الصادر من واحد من الجماعة اليهم جميعا لوقوعه فيما بينهم
فيقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله واحد منهم ولما بين انه خلقها متفرقة بين ان خلقها كذلك لا لعجز
ولكن لمصلحة وهو قادر على جمعهم ايضا في وقت يشاء يعني الجمع للحشر والحساب فقال وهو على جمعهم اذا
يشاء قدير قوله وهو مبتداء وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير واذا يشاء ظرف لجمعهم لا لقوله قدير لان اذا ظرف
لما يستقبل وقدرته تع ازلية وغير متعلقة بالمشية قوله واذا كلمة تدخل الماضي لما كان اذا للقطع والماضي هو
الذي يدل على القطع كان دخوله على الماضي اصلا وعلى المضارع ملحقا به ولما كان الجمع المذكور في قوله وهو على
جمعهم اذا يشاء قدير جمعا للحساب والجزاء بين الله تع انه يطهر عبده المؤمن من جناياته بانواع من
المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة فقال وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم من المعاصي فان ما اصاب
المذنبين من اهل الايمان من المكاره كالالام والاسقام والقحط والغرق والصواعق ونحوها عقوبات على الذنوب
السالفة ويعفو الله تع عن كثير من ذنوبهم فلا يعاقب بها بحكم هذه الاية الكريمة عن الحسن انه قال لما نزلت
هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج
عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وعن علي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير آية في كتاب الله تع
وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ثم قال يا علي ما من خدش عود ولا عثرة قدم و
لا نكبة حجر الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر وما عاقب الله عبده في الدنيا بذنب فالله ارحم من ان يثني
عليه عقوبته في الاخرة وما عفا الله تع من عبده في الدنيا من ذنب فالله اكرم من ان يعود فيما قد عفا

عفا عنه رواه الواحدي في الوسيط وقال اذا كان كذلك فهذه ارجى آية في كتاب الله تع لان الله عز وجل جعل
ذنوب المذنبين صنفين صنف كفره عنه بالمصائب وصنف عفا عنه في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوه
وهذه سنة الله تع في ذنوب المؤمنين واما الكافر فلا يعاجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيمة والاية
مخصوصة بالمذنبين من اهل الايمان واما الانبياء والصبيان والمجانين فما اصابهم من الم ونكبة فليثابوا
به في الاخرة ولحكمة لا يعلمها الا الله مع ان قوله تع ما اصابكم وايديكم خطاب مع من يفهم ويعقل فلا يدخل
فيه الاطفال والمجانين والبهائم ومنهم من انكر كون المكاره المذكورة اجزية للذنوب السالفة استدلالا
بان الدنيا دار تكليف والجزاء انما يحصل يوم القيمة لقوله تع اليوم تجزى كل نفس بما كسبت ولقوله مالك
يوم الدين اي يوم الجزاء واجمعوا على ان المراد منه يوم القيمة وحملوا قوله تع فبما كسبت ايديكم على ان الاصح
عند اتيانكم بذلك المكتسب انزال هذه المصائب عليكم وهو بعيد قوله ولم يذكرها اي ولم يذكر الفاء بل
قرأ بما كسبت بغيرها والظاهر على هذه القراءة ان تكون ما موصولة بمعنى الذي وبما كسبت خبرها والموصول
التي صلتها فعل اذا تضمنت معنى الشرط الا ان ذلك يجوز دخول الفاء في خبرها ولا توجبه وقيل انها شرطية
حذفت الفاء من جوابها كما في قوله تع وان اطعتموهم انكم لمشركون وقول من قال من يفعل الحسنات الله يشكرها
فان الجواب اذا كان جملة اسمية يجب دخول الفاء ولا يجوز حذفها عند جمهور النحاة وانما يجوز حذفها عند
الاخفش وبعض البغداديين ثم انه تع ذكر اية اخرى تدل على وجود الاله القادر الحكيم وهي ان هذه السفن
العظيمة التي في عظمها وثقلها كالجبال تجري على وجه البحر عند هبوب الرياح على اسرع الوجوه وعند سكون
الرياح تقف ومن المعلوم ان محرك الرياح ومسكنها هو الله سبحانه اذ لا يقدر على تحريكها ولا على تسكينها احد
من البشر فيكون جري السفن ووقوفها من الآيات الدالة على وجود الاله القادر ووقوفها على وجه الماء مع غاية
ثقلها آية اخرى وفي تسخير السفن على الوجه المذكور حكمة بالغة ومنة عظيمة له تع علينا فانه تع خص كل
جانب من جوانب الارض بنوع اخرى من الامتعة فاذا نقل متاع هذا الجانب بالسفن الى الجانب الاخر
وبالعكس حصلت المنافع العظيمة للتجار فلهذه الاسباب ذكر الله تع حال السفن الجارية فقرأ نافع
وابو عمرو الجواري بالياء حال الوصل دون الوقف وقرأ ابن كثير بالياء حال الوصل والوقف والباقون
بحذف الياء في الوصل والوقف فاثبات الياء على الاصل وحذفها للتخفيف والجواري جمع جارية وهي السائرة
في البحر والمراد بها السفن فحذف الموصوف لعدم الالتباس فان قوله في البحر قرينة معينة للمراد فلا يرد
ان تعال الصفة متى لم يكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا يقال مررت بماش لان المشي من
الصفات العامة والجري ليس من الصفات الخاصة بالسفن فلم حذف موصوفها ويجوز ان يقال الجواري
وان كان في الاصل من الصفات المشتقة كما ذكر الا انه صار بمنزلة الاسماء الجامدة لكونه اسما للسفن
بالغلبة قال تع انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية يعني السفينة فلا حاجة الى تقدير الموصوف والاعتذار لحذفه

وبان مصائب الدنيا تشترك فيها المجرم والمعصوم كالانبياء والمجانين والاطفال والحيوانات فيمتنع ان تكون عقوبة على الذنوب بل هي من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبياء والاولياء منه

وقوله فی البحر متعلق بالجوار اذا لم ينزل منزلة الجامد بان يكون جمع جارية ويكون حذف الموصوف اعتمادا
على القرينة المعينة للمراد وان تنزل منزلة الجوامد بان تكون الجارية اسما للسفينة بالغلبة يكون فی
حالا منه او صفة له ای كائنة فی البحر او الكائنة فيه وكذا قوله كالاعلام واتفقوا على ان المراد بالاعلام
الجبال واستشهدوا على اطلاق العلم على الجبل بقول الخنساء فی مرثية اخيها صخر • وان صخرا لتأتم الهداة
به • كانه علم فی راسه نار • وروی ان النبی صلی الله عليه وسلم استنشد قصيدتها هذه فلما وصل الراوی الی هذا البيت
قال قاتلها الله ما رضيت بتشبيهه بالجبل حتی جعلت على راسه نارا **قوله** فيظللن رواكد اشار الی ان
يظللن ليس بمعنى امسين بل كدن ويثبتن بالنهار دون الليل وهو اصل معناه يقال ظللت اعمل كذا بالكسر
ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل ولا وجه لتقييد ركودهن بوقت الظلول وهو النهار فالمناسب ان
يكون يظللن رواكد بمعنى يصرن ثوابت بعد ما كانت جواری برياح طيبة وقوله فيبقين ثوابت بيان لحاصل
المعنى قوله ان فی ذلك ای فی اجراء السفن بارسال الرياح الملايمة مع القدرة على اسكان الريح المستلزم
لكونها ثوابت على ظهر البحر لايات لما فيها من وجوه الدلالة **قوله** لكل من وكل همته ای اسعلها واستعان بها على
الصبر ای على حبس النفس على النظر فی ايات الله والاعتبار بها والتفكر فی الآية الداعية الی الشكر عليها اشار به الی ان
مجموع قوله صبار شكور عبارة عمن بالغ فی حبس نفسه على النظر فی ايات الله المؤدی الی التيقن بوجود الاله القادر
الحكيم وعلى التفكر فی الآية المؤدی الی اداء شكرها بحسب الطاقة فالشكر نتيجة الصبر على النظر والتفكر المذكورين
قوله او لكل مؤمن كامل فی رعاية حقوق الايمان وثمراتها بان يكون آتيا بجميع ما كلف به من الاعمال والتروك
فيكون مجموع قوله صبار شكور كناية واحدة عن المؤمن الموصوف لان مرجع جميع ما فيه من الاوصاف والا
حوال الی الصبر على مرارة الطاعة ومرارة كف نفسه عن المحرمات اللذيذة للنفس الامارة والی الشكر على
ما اعطاه الله تعالى من النعم فان المؤمن لا يخلو عن السراء والضراء فان كان فی السراء شكر وان كان فی الضراء
صبر ولا ينفعلهما فی تنبك الخاتين الا من آمن بالله واليوم الآخر وهذا كما يكنی بمجموع الطويل العريض العميق عن
الجسم فمجموعه مستور الغاية عن بعض الاطفار عن الانسان **قوله** او يهلكهن او يهلك اصحابهن باغراق
السفن بالريح العاصفة ای الشديدة يقال عصفت الريح اذا اشتدت والايباق الاهلاك فقوله او
يوبقهن معطوف على المجزوم قبله وهو يسكن والمعنى ان يشأ يبقهن ثوابت على ظهر البحر باسكان الريح
او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة فاقتصر على المقصود ولم يتعرض لسببه اعتمادا على دلالة
المقام عليه بل عطف المقصود الثانی على سبب المقصود الاول واشار اليه بقوله واصله او يرسلها فيو
بقهن بعطفه على جواب الشرط مع ما عطف عليه فان يسكن جواب الشرط وقوله فيظللن عطف عليه
ومسبب مقصود منه وحذف من المقصود السبب واقتصر على المقصود للاختصار وعدم الالتباس
كما اقتصر على المقصود فی قوله ويعف عن كثير فان الانجاء الكثير بطريق العفو ايضا مسبب من ارسال

ارسال الريح عاصفة وقوله ويعف مجزوم معطوف على قوله يوبقهن فكما ان الايباق مسبب من الارسال
فكذا الانجاء والعفو **قوله** عطف على علة مقدرة قراء من عدا نافع وابن عامر من السبعة ويعلم بالنصب
وذكر المص لهذه القراءة وجهين الاول انه عطف على علة مقدرة للايباق المرتب على شبه ارسال
الريح عاصفة كانه قيل وان يشأ يرسلها عاصفة فيوبقهن بما كسبوا لينتقم منهم وليعلم الذين يجادلون
رسول الله صلی الله عليه وسلم واتباعه ويكذبونهم ان لا محيص لهم من عقاب الله اذا عاقبهم فانهم اذا
علموا ان السفن اذا ركدت على متن البحر باسكان الريح او غرقت فی البحر بارسالها عاصفة ان لا محيص
لهم من هذه الورطة غير الله تعالى يعلمون لا محالة ان لا مخلص لهم من عقابه اذا عاقبهم والعطف على
العلة المقدرة كثير فی القرآن منه قوله تعالى فی سورة مريم ولنجعله آية للناس تقديره لنبين له قدرتنا
ولنجعله آية وقوله تعالى فی الجاثية خلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت ای ليدل بها
على قدرته ولتجزى كل نفس الا ان ذلك فی هاتين الآيتين مع وجود حرف التعليل ولم يوجد فيما نحن فيه و
الثانی انه معطوف على جزاء الشرط الا انه نصب باضمار ان كما تقول ما تصنع اصنع واكرمك بالنصب وان
شئت قلت واكرمك بالرفع على تقدير وانا اكرمك واذا انتصب يكون النصب باضمار ان ويكون فی محل
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او على انه مبتدأ حذف خبره ای وشأنی اكرمك ای وعلی اكرامك
ضمنا مثل معنى الرفع فی القطع والاستئناف مع زيادة مبالغة فی المعنى والكوفيون يسمون هذه الواو
واو الصرف لكونها صارفة للمعطوف عن اعراب ما قبله والمعطوف على المجزوم اذا صرف عنه نصب
قوله نصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة جواب عما يقال المضارع انما ينتصب بعد الواو والفاء
بان مضمرة اذا وقع بعد الاشياء الستة التی هی الامر والنهی والنفی والاستفهام والتمنی والعرض ويعلم
لم يقع بعد شیء منها فكيف جاز ان ينتصب بان مضمرة وتقرير الجواب انه انتصب المضارع الواقع بعد الجزاء
بان مضمرة كما ينتصب الواقع بعد الاشياء الستة تشبيها للجزاء بالاشياء الستة من حيث ان مضمون كل واحد
منها ليس محقق الوجود اما مضمون تلك الاشياء فظاهر واما مضمون الجزاء فلكونه مشروطا بوجود
الشرط ووجود الشرط مفروض مقدر فلم يكن شیء منهما موجود الحقيقة فلما شابه الجزاء بتلك الاشياء
صار الواقع بعد الجزاء كالواقع بعدها فانتصب بان المضمرة وانتصب المضارع بعد الفاء فی قول الشاعر
سانزل منزلی بنی تميم والحق بالحجاز فاستريحا وان لم يقع بعد الاشياء الستة ولا بعد الجزاء فيبنی تو
جيهه انه لما كان مستقبلا ضارع النفی وحمله الرضی على ضرورة الشعر **قوله** بالرفع على الاستئناف ثم الآ
ن اما جملة فعلية على ان يكون الموصول مع صلته فی محل الرفع على انه فاعل يعلم واما جملة اسمية على ان
يكون فی محل النصب على انه مفعول يعلم وفاعله مستتر فيه راجع الی المبتدأ المقدر قبله ای وهو يعلم الذين
الخ وعلى تقديرين يكون هذه الجملة معطوفة على جملة قوله ومن آياته الجوار ومن اياته الدالة على كمال

ای من الضمير المنون فی قوله ومن ... الراجع الی الجوار لانه ... تقدم رتبة منه

[illegible] مقدر ... [illegible] ... ينتقم منهم ... [illegible]

ويكون ذلك سببا لاعترافهم بان الاله القادر النافع ... الله عز وجل منه

[illegible]

القدرة السفن الجارية في البحر ثم ذكر وجه الدلالة وانما مسخرة تحت امره الذي تتضمن تارة نفع من فيها و
تارة بالعكس ثم قال ويعلم الذين يجادلون ولا يعترفون بايات الله الباهرة ما لهم من محيص وهذه
الجملة المنفية في محل النصب لسد ها مسد مفعولي العلم علق عنها الفعل بحرف النفي **قوله** وقرئ بالجزم
فيكسر الميم لالتقاء الساكنين والماورد ان يقال لو جزم يعلم بالعطف على يعف للزم ان يكون العلم من
نتيجة اعصاف الريح كالعفو والايباق وكونه من نتيجته غير ظاهر فما وجه الجزم اشار الى دفعه بقوله فيكون
المعنى او يجمع الخ يعني ان قوله ويعلم الذين يجادلون في اياتنا ما لهم من محيص يحذر لهم وبهذا الاعتبار
يصح جعله من نتايج اعصافها والمعنى ان يشا يعصف الريح يجمع بين امور ثلثة هلاك قوم ونجاة قوم
وتحذير اخرين فههنا فرق ثلث فرقة هالكة وفرقة ناجية وفرقة محذرون غير الاولين ثم انه لما
لما ذكر دلائل الوحدانية وكمال القدرة اردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شانها لان المانع من قبول
الدليل هو الرغبة في الدنيا فقال عز من قائل فما اوتيتم من شيء الاية ونزول لها في حق ابي بكر الصديق
رض لا ينافي اتصالها بما قبلها بهذا الوجه **قوله** فجاءت الفاء في جوابها اي في خبرها سمي الخبر جوابا نظرا
الى تضمن المبتدا معنى الشرط وقيل ما الاولى شرطية وهي في محل النصب على انه مفعول ثان لاوتيتم
بمعنى اعطيتم والاول هو ضمير المخاطبين قام مقام الفاعل وقدم المفعول الثاني لان له صدر الكلام وقوله
من شيء بيان لما الشرطية لما فيها من الابهام وقوله فمتاع جواب الشرط فلذلك دخلت الفاء عليه ومتاع خبر مبتدأ
محذوف اي فهو متاع وما الثانية موصولة مبتداء وخبر خبرها وقوله للذين متعلق بابقى نبه على خساسة مطالب
الدنيا وانقراضها بتسميتها متاع الحيوة الدنيا ثم وصف ثواب الاخرة بانه خير وابقى ثم بين ان هذه
الخيرية بالنسبة الى من كان موصوفا بصفات وجمع بينها وبين الايمان والتوكل على الرب تعالى لا على عمل
نفسه والاجتناب عن كبائر الاثم والفواحش ومغفرة الجاني بنداء الانتقام منه والاجابة للرب تعالى
اي اجابة الى دعاهم اليه من توحيده وطاعته **قوله** والذين يجتنبون في موضع الجر عطفا على قوله للذين
امنوا وكذا قوله والذين استجابوا لربهم بطريق عطف الصفة على الصفة لان الذات واحدة او في موضع
النصب بتقدير اعني او الرفع بتقدير هم الاول يسمى نصبا على المدح والثاني رفعا على المدح **قول**
وبناء يغفرون الخ يعني انهم مبتداء ويغفرون خبره والجملة الاسمية عطف على الفعلية قبلها وهي قوله يجتنبون
والتقدير والذين يجتنبون وهم يغفرون قدم المسند اليه في الجملة الثانية للدلالة على انهم الاخصاء المتميزون
بالعفو عمن اغضبهم واذا هم لا يذهب الغضب عقولهم كما يذهب عقول الناس والاخصاء جمع الخصيص
بمعنى المختص مثل قريب واقرباء يقال اختص كذا اذا انفرد به وتميز والاضافة في قوله كبائر الاثم بمعنى من
اي الكبائر من جنس الاثم فقيل كبير الاثم هو الشرك وقال الامام هو عندي ضعيف لان شرط الايمان قد
ذكره وهو يغني عن ذكر الاجتناب عن الشرك فالظاهر ان يقال كبائر الاثم يعم كل كبيرة والفواحش جمع

جمع فاحشة وهي القبيحة وقيل هي المفرطة في القبح ثم قيل هما وصفان لعظائم الذنوب والعطف لتغاير الو
صفين والموصوف واحد كانه قيل يجتنبون المعاصي وهي عظيمة عند الله في الوزر وقبيحة عند العقل والشرع
قوله وقال السدي المراد بالفواحش ههنا الزنا وقال مقاتل هي ما يوجب الحد في الدنيا والعذاب في الاخرة
نزلت في الانصار لعله اشارة الى جواب ما يقال الاستجابة للرب تعالى ليس فلذلك فهم من قوله تعالى للذين امنوا
وما ذكر بعده الى ههنا فما الفرق بينه وبين ما قبله حتى يعطف احدهما على الاخر وتقرير الجواب انه من قبيل
عطف الخاص على العام بان يكون ما سبق عليه عبارة عن المؤمنين الذين يجمعون الصفات المذكورة ثم
يعطف عليه الانصار الذين استجابوا اليهم كمال الاجابة والانقياد للاشارة الى انهم لكمال استجابتهم لربهم
كانهم ليسوا من عداد المؤمنين الموصوفين فيكون التعريف في المعطوف للعهد الخارجي قال الامام فان
قالوا اليس انه لما جعل الايمان شرطا فيه فقد دخل في الايمان اجابة الله تعالى قلنا الاقرب عندي ان تحمل
الاجابة على تمام الانقياد والرضا بقضاء الله تعالى من صميم القلب وان لا يكون في قلبه منازعة بوجه
من الوجوه ولا يبقى منه معنى محصل ولذلك لم يلتفت اليه المص ومن امهات الفضائل اقام الصلوة اي اتمام
الصلوات الخمس برعاية جميع اركانها وشرائطها وسننها وآدابها **قوله** ذو شورى يعني ان شورى مصدر
بمعنى التشاور كالفتيا بمعنى الافتاء والمعنى ان التشاور كان حالهم المستمرة ويدل عليه عطف الاسمية على
الفعلية حيث قيل واقاموا الصلوة وامرهم شورى وبولغ فيه بجعل امرهم نفس الشورى مدحهم بذلك
تنبيها على انه خصلة ممدوحة عن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا الارشد امرهم **قوله** على ما جعله لهم اي ليس
المراد من الانتصار الانتقام ممن بغى عليهم وظلمهم مطلقا اي باي وجه كان بل المراد منه الانتقام على الوجه
الذي عينه الله تعالى لهم وهو رعاية المماثلة وعدم التجاوز عما حد لهم عن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا
يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق والمقصود من هذه الاية وصفهم بالشجاعة لان البغي الذي
هو الظلم والتعدي انما يصيبهم من اهل الشوكة والغلبة واذا انتقموا منهم على الحد المشروع كراهة التذلل
ورد عا للجاني عن الجرأة على الضعفاء فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم في دينهم ولهذا قالوا العفو مندوب
اليه ثم قد ينعكس الامر في بعض الاحوال فيصير ترك العفو مندوبا اليه بان احتيج الى كف زيادة البغي وقطع
مادة الاذى يدل عليه ما روي ان زينب اسمعت عائشة رض بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عليه الصلوة والسلام ينهاها فلا تنتهي فقال عليه الصلوة والسلام لعائشة رض دونك فانتصري والاسماع
السب **قوله** وهو لا يخالف وصفهم بالغفران جواب عما يقال انه تعالى جعل العفو عن الجاني وغفرانه صفة
مدح حيث جعله سببا لاستحقاق الثواب الباقي وهو يدل على ضده وهو الانتصار من الباغي صفة نقصان وقد
جعله في هذه الاية صفة مدح ايضا فكيف يكون كل واحد من المتقابلين صفة مدح وتقرير الجواب ان الغفران
عبارة عن التجاوز عن ذنب الذليل العاجز والانتصار من الباغي هو الانتقام من الظالم الغالب

فمن امهات الفضائل الايمان الذي هو ام العبادات والصلوة التي هي ام الطاعات البدنية والزكوة التي هي ام العبادات المالية جالك

روي ان زينب رض اقبلت على عائشة رض تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم فقال لعائشة سبيها انتهى

فلا فعل بينهما حتى يلزم منه كون احدهما صفة مدح كون مدح الاخر صفة نقصان والحاصل ان العفو على قسمين
احدهما العفو الذي يكون سببا لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنايته والثاني ما يكون سببا لمزيد جراءة
الجاني وازدياد سفاهته فآيات العفو محمولة على القسم الاول وهذه الآية محمولة على القسم الثاني فلا مخالفة
قوله ثم وصفهم بالانتصار ايا اورد عقيب وصفهم بالانتصار والشجاعة وجزاء سيئة سيئة مثلها لاجل المنع
عن التعدي والبيان لحد الانتصار قوله وسمي الثانية سيئة جواب عما يقال جزاء السيئة مشروع ماذون
فيه وكل مشروع حسن فكيف سمي سيئة ثم انه تعالى بين ان العفو اولى فقال فمن عفا واصلح فاجره على الله
وفي الحديث اذا كان يوم القيمة ينادي مناد من كان له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم
على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله تعالى ثم قال في معالم التحريض
على العفو انه لا يحب الظالمين فدل ذلك على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز الحد والاعتداء لانه يكون
في حال الغضب فربما يكون المجاوز من الظالمين وهو لا يشعر به وقال بعض المراد بالظالمين البادؤن
بالظلم واللام في قوله تعالى ولمن انتصر لام الابتداء دخلت على المبتداء ومن يجوز ان يكون شرطية وهو الظاهر
والفاء في اولئك فاء جواب الشرط وان يكون موصولة ودخلت الفاء في خبرها لتضمنها معنى الشرط وقوله
تعالى بعد ظلمه من اضافة المصدر الى مفعوله كقوله تعالى بسؤال نعجتك ومن دعاء الخير اي من بعد ظلم الظالم اياه
فاولئك المنتصرون ما عليهم لاحد من سبيل بلوم او عقوبة لانهم فعلوا ما ابيح من الانتصار قوله او يطلبون
ما لا يستحقونه تفسيران لقوله يظلمون الناس اعم من الاول يتناول الاضرار ابتداء والمجازاة على سبيل
الاعتداء ولو كان تفسير القوله ويبغون في الارض بغير الحق لكان المناسب ان يؤخر عنه وان يقال
ويطلبون بالواو دون او الا ان تفسير الفاء الثاني بعين الاحتمال الثاني حيث قال يظلمون الناس
ابتداء او اعتداء في الانتصار ويبغون في الارض بغير الحق ما لا يستحقونه ويتكبرون فيها ويعلون تجبرا
قوله اي ان ذلك منه اللام في قوله ولمن صبر موطئة للقسم ومن شرطية وقوله ان ذلك لمن عزم الامور جواب
للقسم المقدر ساد مسد جواب الشرط او لام الابتداء ومن موصولة مبتداء وصبر صلته وغفر وان مع اسمه
وخبره خبر المبتداء وعلى التقدير ين العايد الى من محذوف لدلالة فحوى الكلام عليه اي ان ذلك منه لمن
عزم الامور كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم والمعنى ان الصبر على الظلم والاذى و
التجاوز عمن ظلمه لمن معزومات الامور التي ندب الله اليها فينبغي ان يوجبه العاقل على نفسه ويعزم عليه ولا
يترخص في تركه او من عزايم الله تعالى التي لم تنسخ ولا تنسخ ابدا قوله يقولون هل الى مرد من سبيل في موضع
الحال من الظالمين لان الرؤية بصرية وكذا قوله يعرضون وخاشعين وينظرون حال ايضا والطرف
مصدر في الاصل ولهذا لم يجمع قوله مما يلحقهم من الذل اشارة الى ان قوله من الذل متعلق بخاشعين
ومن للتعليل اي من اجل الذل والمقصور من حيث قيد لتفصيل ذكر الله تعالى حالهم عند عرضهم على النار
فقال

واحتجوا بهذه الآية على ان سراية القود مهدرة لانه فعل ماذون فيه مطلقا فيدخل تحت هذه الآية
اصح

قوله ويبغون في الارض معناه يتكبرون فيها ويعلون بمقتضى الكبر وهو الفساد في الارض والنار ره

فقال يعرفت على كذا اذا ... فعله بالجهد والاهتمام ...

فقال خاشعين اي خاضعين حقيرين بسبب ما يلحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر الى النار
خوفا منها وذلة في انفسهم كما ينظر من قدم ليقتل الى السيف فانه لا يقدر ان ينظر اليه بملء عينه ثم انه
تعالى لما وصف حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال وقال الذين امنوا ان الخاسرين الآية قوله قال
يجوز ان يكون ماضيا على حقيقته ويكون يوم القيمة ظرفا للخسر او ان يكون بمعنى يقول فيكون يوم القيمة
ظرفا له اي الخسران في الحقيقة لهؤلاء الذين خسروا منافع انفسهم واهليهم واهلكوها واهاليهم باغوائهم
وتعريضهم للعذاب المخلد وحرموا الحور المعدة لهم في الجنة لو امنوا بتركهم الايمان ثم انه تعالى لما انتهى في
ذكر الوعد والوعيد ذكر بعدما هو المقصود ومن ذكرهما فقال استجيبوا لربكم اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى
الله عليه وسلم ثم قال فان اعرضوا عن استجابته ولم يقبلوا هذا الامر فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم
وذلك تسلية من الله تعالى لرسوله ثم بين السبب في اصرارهم على الكفر فقال وانا اذا اذقنا الانسان اي
الجنس بدليل على ارادة الجنس قوله وان تصبهم فانه لو لم يرد به الجنس لما رجع اليه ضمير الجمع والمعنى ان قلبهم مملوء بحب
الدنيا يفرحون باقبالها ويغتمون بزوالها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فلا يستجيبون
من دعا الى سعادة الاخرة لذلك اعلم ان نعم الدنيا وان كانت عظيمة الا انها بالنسبة الى سعادة الاخرة
كالقطرة بالنسبة الى البحر فلذلك سمى الانعام بها اذاقة بين تعالى ان الانسان اذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا
فرح به وعظم غروره ووقع في العجب والكبر ويظن انه فاز بكل المنى ووصل الى اقصى السعادات وذلك لجهله
بحال الدنيا وبحال الاخرة ثم بين انهم اذا اصابتهم سيئة اي حالة تسوءهم كالمرض والفقر والقحط ونحوها فانهم
يظهرون الكفران لما تقدم من نعم الله عليهم ينسون ويجحدون باول شدة جميع ما سلف من النعم فقوله
فان الانسان من وقوع الظاهر موقع المضمر اي فانه كفور وذلك للتسجيل على ان شان هذا الجنس كفران النعم
ولهذا التسجيل ايضا اقام عليه الجزاء مقامه فقال فان الانسان كفور بدل ان يقال فانه يذكر البلاء
وينسى النعم ويجحدها ويترك شكرها ثم انه تعالى لما بين شان الانسان وانه في حالة الانعام عليه وايصاله
شيء مما يسره مشتغل بالنعمة عن المنعم ان اعطي اغتر وازداد حرصا ورغبة وان منع ازداد حزنا
على فقده وكفرا بين ان ملك السموات والارض لله تعالى وحده فله التصرف فيها يبتلي تارة بالنعمة وتارة
بالبلية فلا ينبغي لمن انعم عليه ان لا يغتر بالنعمة بل يزداد بها شكر المنعم ويشتغل بطاعته ولمن ابتلي
ببلية ان يعتقد انها انما اصابته من شوم نفسه ويشتغل بالتوبة والاستغفار ويلتجئ الى عفو الله
ورحمته قوله ولان مساق الآية للدلالة على ان الواقع ما يتعلق به مشية الله تعالى وذلك لانه تعالى بين
سبب اعراضهم عن الاجابة لربهم بان حالهم الركون الى الدنيا والفرح باقبالها والتحزن بزوالها
والغفلة عن المنعم بافضاله عن الاجنها دفع طلب مرضاته والاجابة الى ما دعا اليه من توحيده وطاعته
فانكر منهم هذه الحال لكونها مؤدية الى الاعراض المذكور ثم اكد هذا الانكار بان ملك السموات والارض له ومقاليد

قوله تعالى وما كان لهم من اولياء الآية يحتمل ان يكون هذه الجملة معطوفة على جملة ان الظالمين الى قوله تعالى عذاب مقيم فيكون مشابها على هذا وعلى هذا وان يكون جملة حالية بواو الابتداء وان يكون جملة حالية على معنى وحالهم هذه حاك

قوله ومن صلة لمرد فيه اشارة الى ان من الله حال او صفة لمرد اي كائنا صادرا من الله فقوله صلة اي متعلقة به والا فالعبارة الظاهر لا يرده احد من الله تعالى ويمكن ان لا يقدر شيء لكن الظاهر التقدير حاك

التصرف فيهما بيده يعطي ويمنع لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ليس لهم من الامر شيء وانما الامر يجري
بمشيئته فحسب يخلق ما يشاء وان كان مخالفا لما يشتهونه فكيف يركنون الى مملوكه ويعرضون عن استجابة دعائه
فظهر بهذا التقرير ان سوق الاية للدلالة على ان الكائنات مرتبطة بمشيئة الله تعالى وحده لا مدخل لمشيئة
العبد فيها فناسب ذلك ان يقدم في تفصيل قوله يخلق ما يشاء ذكر ما لا يتعلق به مشيئة العباد وهي الاناث
فانه لو بشر احدهم بان زوجتك ولدت انثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به
ويتردد في انه يمسكه على هون ام يدسه في التراب قوله او لان الكلام في البلاء لانه قدم بيان حال الانسان
اذا اذاقه الله تعالى الرحمة ثم شرع في بيان حاله اذا اصابته سيئة وبلاء فقال وان تصبهم سيئة وقوله لله ملك
السموات والارض الخ تذييل له فناسب ان يقدم في التفصيل ذكر ما هو من جنس البلاء بزعم العرب روي ان
واحدا من بشر بمولودة فقيل نعمت المولودة هي فقال والله ما هي بنعم المولودة نصرها بكاء وبرها سرقة
قوله او للمحافظة على الفواصل فانه لما قدم الاناث كانت فاصلة الاية الذكور على وفق قوله نكير وكفور وقدير
ولهذه المحافظة ايضا عرف الذكور مع تنكير قوله اناثا قوله او لجبر التاخير عطف على قوله ولذلك يعني ان الوجه المذ
كور ههنا لما اقتضت تقديم الاناث ولزم منه تاخير الذكور مع ان حقهم التقديم لشرفهم وكونهم اولى بالوجود جبر ما لزم
من نقص حقهم بالتعريف فان التعريف تنويه للاسم وتشهير ورفع لقدره بناء على ان التعريف يكون للعهد فكانه
تعالى يهب لمن يشاء الفرسان الاعلام الذين يذكرون في المجالس والمحافل بالمفاخر والمعالي ولا يغيبون عن الاذ
هان والخواطر ولا يخفى ان مثل هذا التنويه يقام التنويه الحاصل بتقديمهم على الاناث قوله لانه قسيم المشترك
بين القسمين فان القسم الثالث المدلول عليه بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا هو من وهب له الصنفان جميعا
فهو قسيم لمن وهب له صنف واحد فقط ذكرا او انثى الذي هو المشترك بين من وهب له انثى فقط وبين من
وهب له ذكر فقط كما ان من جعل عقيما قسيم للمشترك بين الاقسام المتقدمة وهو من وهب له اما صنف
واحد منهما او الصنفان جميعا والعقيم بمفهومه يفصح بكونه قسيما للمشترك بين الثلثة فلم يحتج لذلك الى
تغيير العاطف ليدل عليه بخلاف القسم الثالث وهو الذي زوج له الصنفان فانه غير مفصح بكونه قسيما للمشترك
بين القسمين الاولين فاحتيج الى تغيير العاطف ليدل على ذلك روي عن ابن عباس رض انه قال قوله تعالى
يهب لمن يشاء اناثا المراد به لوط وشعيب عليهما الصلوة والسلام لم يكن لهما الا البنات وقوله يهب
لمن يشاء الذكور المراد به ابراهيم عليه الصلوة والسلام لم يكن له الا الذكور وقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا
المراد به محمد صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلثة على الصحيح القاسم وعبد الله وابرهيم رض ومن البنات
اربعة زينب ورقية وام كلثوم وفاطمة رض وقوله ويجعل من يشاء عقيما المراد به يحيى وعيسى عليهما
الصلوة والسلام وقال اكثر المفسرين هذا على وجه التمثيل وانما الحكم عام في كل الناس لان المقصود بيان
نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف يشاء فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما بين علمه وقدرته وحكمته اتبعه

اتبعه ببيان انه كيف يخص انبياءه بوحيه وكلامه فقال وما كان لبشر ان يكلمه الله كلمة ان مع ما عملت فيه
في موضع الرفع على انه اسم كان ولبشر خبره قوله كلاما خفيا اشارة الى ان قوله الا وحيا منصوب على انه
مفعول مطلق بناء على كونه موضوعا موضع كلاما لان الوحي بمعنى الكلام الخفي المدرك بسرعة حتى ان
الكلام كما ان الكلام من وراء حجاب وارسال الرسول ضربان اخران منه فان الكلام على لسان الرسول
بمنزلة الكلام بغير واسطة فيقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيله او رسوله فصح وضع كل واحد منها
موضع المصدر كما تقول اتيت الكلمة الا جهرا او الا خفية لانهما ضربان من الكلام وفسر الوحي بالكلام الخفي المدرك
بسرعة وقيد الكلام بكونه خفيا لبيان ان كلامه تعالى القائم بذاته ليس من قبيل الاصوات وبكونه مدركا بسرعة
لبيان انه ليس في ذاته مركبا من الحروف المقطعة المتوقفة على التموجات المتعاقبة قوله لانه تمثيل
تعليل لكونه مدركا بسرعة يعني ان كلامه تعالى يدرك بسرعة لكونه عبارة عن تمثل المعنى وارتسامه في علم المكلم تمثلا
دفعيا لبيان في ذاته مركبا مما ذكر كتمثل المعاني بصور خيالية مشتملة على اجزاء كثيرة لها غير تقدم وتاخر
بينها فاذا لم يكن الكلام الجناني كالحسي فالعقلي والمعنوي اولى والمقصود من الحصر المذكور بقوله الا وحيا الى
الاخر الاية نفي التكلم بوجه يقتضي الحدوث كالكلام الحسي المعهود لنا قوله وهو يعم المشافهة به اي بتكليم الله
البشر بهذا الكلام الخفي يجوز ان يكون بان يشاهده البشر ويواجهه كما روي انه عليه الصلوة والسلام
حين عرج به الى السماء ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى انه عليه الصلوة
والسلام شاهد ربه وسمع كلامه مشافهة روي عن ابن عباس رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في
قصة الاسراء فارقني جبرئيل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد
ادن ادن وفي حديث انس رض نحو منه قال ومن سمع صريف القلم كيف يستحيل في حقه او يبعد سماع الكلام
قوله وما وعد به عطف على قوله ما روي وقوله والمهتوف به عطف على قوله المشافهة به اي تكليم الله تعالى وحيا
يعم الكلام المهتوف به ايضا بان يكلمهم الله تعالى ويسمعون منه من غير ان يشاهدون ذاته كما يسمع من الهاتف
والهتف الصوت والهاتف من يسمع صوته ولا يرى شخصه والتكلم بهذا الطريق هو الذي سماه الله تعالى
تكليما من وراء حجاب والمراد به احتجاب السامع من الرؤية لا احتجابه تعالى من ان يرى لان الاستتار بالحجاب
من خواص الاجسام وهو تعالى منزه عن ان يحيط به حجاب عن خلقه فالتكليم وحيا وان كان متناولا لكل
واحد من قسمي التكليم من غير واسطة وهما التكليم مشافهة والتكليم من وراء حجاب الا ان عطف قوله او من
وراء حجاب عليه يخصه بالاول فقوله تعالى الا وحيا يحمل على التكليم بطريق المشافهة واعلم ان الاشاعرة قالوا
ان كلام الله صفة قديمة تدل عليها هذه الالفاظ والعبارات ليس من جنس الحروف والاصوات وقالوا
يصح ان يسمع ذلك الكلام المنزه عن الحروف والصوت وقالوا كما لا يبعد ان يرى ذات الله تعالى مع انه
ليس بجسم ولا في حيز لا يبعد ايضا ان يسمع كلامه تعالى مع انه لا يكون حرفا ولا صوتا وزعم ابو منصور الماتريدي

> روي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى عليه الصلوة والسلام ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله تعالى فنزلت
> كشاف

> ولما عطف قوله او من وراء حجاب على قوله الا وحيا بكلمة او المفيدة لكون المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب ان يكون التكليم وحيا مختصا بالتكلم بطريق المشافهة لا ما يعم الذي كان من وراء حجاب والا لم يصح العطف وجه ويرد عليه ان تفسير الوحي بما يعم المشافهة والمسموع من وراء حجاب يرده ان الله تعالى جعل الثاني قسيما للوحي فكيف يصح جعله قسما منه
> اخي چلبي

> مولده من حديث الرؤية وهو قوله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر الى جمال ربهم

السمع قدر ان تلك الصفة يمتنع كونها مسموعة وانما المسموع حروف واصوات يخلقها الله تعالى في بعض الاجرام
وهذا القول قريب من قول المعتزلة ومن سوى الاشاعرة اتفقوا على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة
والاصوات المؤلفة ثم هم فريقين الفريق الاول الحنابلة الذين قالوا بقدم هذه الحروف ولا يقول به عاقل
والفريق الثاني اطبقوا على انها حادثة ثم اختلفوا في انها هل هي قائمة بذات الله او يخلقها الله تعالى في بعض
الاجرام فالاول قول الكرامية والثاني قول المعتزلة فكلام الله تعالى عندهم صوت يخلقه في شيء وانه تعالى
متكلم بكلام قائم بغيره وقولهم هذا قول يخالف للعرف واللغة فان الفعل انما يسند الى القائل لا الى الفاعل
وصيغة اسم الفاعل انما تطلق على من قام به الفعل لا على من اوجده فلا يقال لخالق السواد اسود ولخالق
الضلال ضال فوجب ان يكون المتكلم من يقوم به الكلام لا من يخلقه **قوله** فالاية دليل على جواز الرؤية
لا على امتناعها رد على المعتزلة القائلين بان هذه الاية تدل على انه تعالى لا يرى وذلك لانه تعالى حصر اقسام
تكليمه للبشر في هذه الثلثة التي هي التكليم على طريق الوحي وقالوا الوحي هو الالهام الذي هو القذف في
القلب او المنام فالاول كما اوحى الله الى ام موسى والثاني كما اوحى الله الى ابرهيم في ذبح ولده والتكليم
من وراء الحجاب وهو ان يسمع كلامه الذي يخلقه في شيء من غير ان يبصر السامع من يكلمه كما كلم موسى والتكليم
بان يرسل رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى ولو صحت رؤية الله تعالى لصح من
الله تعالى ان يتكلم مع العبد حال ما يراه العبد فح يكون ذلك قسما رابعا زائدا على هذه الاقسام والله تعالى
نفى القسم الرابع بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله تعالى الا على احد هذه الاوجه الثلثة فالفاء في قول المص
فالاية دليل فاء جواب شرط محذوف اي اذا حمل الوحي على الكلام المشافه به تكون الاية دليلا على جواز
الرؤية لا على امتناعها وانما تدل على امتناعها اذا فسر الوحي بما فسروا به وهو الالهام حال اليقظة والرؤية
حال المنام **قوله** وفسر المراد به اي بقوله الا وحيا **قوله** او الوحي المنزل به عطف على قوله الالهام **قوله**
فيكون المعنى تفريع على القول الثاني اي اذا كان قوله الا وحيا بمعنى الا ان يكلمه وحيا الى الرسل بواسطة الملا
ئكة وقوله او من وراء حجاب بمعنى او يكلمه بغير واسطة ملك كما كلم موسى فيكون قوله او يرسل رسولا بمعنى
او يرسل نبيا كما كلم امم الانبياء على السنة انبيائهم الا ان تبليغ الرسول امته لا يسمى ايحاء في العرف
فتفسير قوله تعالى فيوحي باذنه ما يشاء بان يقال فيبلغ اليه وحيه كما امره لا يخلو عن بعد وو وحيا
عطف عليه منتصب بالمصدر لان شرط المفعول المطلق ان يوافق عامله من حيث المعنى لا بحسب
اللفظ والاشتقاق ووحيا يوافق عامله في المعنى لان الوحي بمعنى الكلام الخفي من ضروب مطلق التكلم
وقوله او وراء حجاب في تقدير او كلاما كائنا من وراء حجاب فهو ايضا من ضروب مطلق الكلام وتقدير
قوله او يرسل او ارسالا لكونه منصوبا بان المضمرة والارسال نوع من الكلام **قوله** ويجوز ان يكون وحيا
ويرسل مصدرين واقعين موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا وكما يصح ان يقع المصدر الصريح موقع الحال
نحو

نحو اتيته ركضا ومشيا اي راكضا وماشيا فكذا يصح ان يقع موقعه ما كان في تاويل المصدر وكذا الجار و
المجرور قد يقع موقع الحال كقوله تعالى وعلى جنوبهم بعد قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي والذين يذكرونه قائمين وقاعدين وكائنين على جنوبهم فمعنى الاية على تقدير كل واحد من الثلثة
في موضع الحال وما صح ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا رسولا قيل عليه المصدر
الصريح انما يقع موقع الحال اذا كان نوعا للفعل لا مطلقا فيقال اتيته ركضا ولا يقال اتيته بكاء اي باكيا ولو
سلم ان المصدر الصريح مطلقا يقع موقع الحال فلا نسلم ان ان مع الفعل تقع موقعه فلا يقال جاء في زيد ان
يمشي بمعنى ماشيا وانما صح جاء في زيد مشيا نص عليه سيبويه ثم انه تعالى لما بين اقسام تكلمه مع انبيائه
وبين انه تعالى تكلمهم تارة بواسطة وتارة بغير وسط اما عيانا ومشافهة واما من وراء حجاب قال و
كذلك اوحينا اليك اي ومثل ذلك الايحاء والتكلم على الطرق الثلثة اوحينا اليك روحا تحيى به القلوب
الميتة من عالم امرنا المنزه عن الزمان والمكان على ان تكون الاشارة الى التكلم المدلول عليه بقوله ان
تكلمه الله ويجوز ان يرجع الاشارة الى قوله او يرسل رسولا اي ومثل هذا النوع من التكلم وهو التكلم
بارسال الرسول كلمناك وهو قوله اوحينا اليك روحا من امرنا ومحل الكاف النصب على انه صفة مصدر
محذوف اي وحيا مثل ذلك الوحي **قوله** تعالى ما كنت تدري في موضع الحال من الكاف في اليك وكلمة ما فيه
نافية وفي قوله ما الكتاب استفهامية وهي جملة استفهامية ومحلها النصب لسدها مسد مفعولي الدراية
وهي معلقة عنها بحرف الاستفهام وقد اتفق المسلمون على ان الانبياء معصومون عن الكبائر وعن الصغائر
الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلا عن الكفر الا انه تعالى نفى عنه عليه الصلوة والسلام
دراية الايمان والعلم به قبل ان اوحى اليه ونفي العلم يكنى به عن نفي المعلوم في مثل هذا المقام فالمفهوم
من الاية ان لا يكون عليه الصلوة والسلام قبل الوحي مؤمنا بالله وبوحدانيته الا انه لا يلزم من نفي
الايمان عنه بقوله ولا الايمان ان يكون كافرا بل اللازم هو عدم الاعتقاد وذلك لان المراد بعدم الدراية
الجهل البسيط وهو كون النفس سازجة عن الاعتقاد الباطل ولهذا كانت الاية دليلا على انه لم
يكن متعبدا قبل النبوة بشرع لان التعبد به فرع الايمان وقيل المراد بالايمان هو الايمان بما لا
طريق اليه الا السمع ويجوز ان يراد كمال الايمان والتوحيد الذي هو عليه وقيل المراد بالايمان شرائع
الايمان ومعالمه كالصوم والصلوة ونحوها ومن لم يتبين له شرائع الايمان كيف يتعبد بها ولم الايمان
يطلق على الشرائع ايضا قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني الصلوة واجمع اهل الكلام على ان الرسل
قبل الوحي كانوا مؤمنين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين ابرهيم عليه الصلوة والسلام
عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي عليه الصلوة والسلام هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قط قال لا و
ما زلت اعرف ان الذي هم عليه كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان ولذلك انزل في القران

ما كنت تدري ما الكتاب قبل الوحي ولا الايمان اي الايمان اي انه شيء لو لم يعلم تفاصيل الكتاب بتفاصيل ما في ... اليها العقل لا الايمان الامور التي لا يهتدى والنظر فان درايته بما يستقل به العقل لا ريب فيه قطعا عليه الصلوة والسلام له ... الخ

قوله وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع اي قيل ان المراد بنفي الا يمان الذي كني عنه بنفي دراية الايمان هو نفي الايمان بما لا يعلم قبل الوحي كالايمان بالقدر وبرسالة نفسه مثلا فانه لا يعلم انه تعالى ينزل عليه الكتاب فكيف يؤمن به من غير ان يعلم بانزاله عليه فالمعنى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب وكذا الايمان بالشرائع التي لا يعلم تفاصيلها الا بالسمع والا يمان هو التصديق بجميع ما كلف الله تعالى به وهو عليه الصلوة والسلام ما كان عالما بجميع تكاليف الله تعالى حتى يؤمن به وعدم ايمانه بما لا يعلم قبل السمع لا ينافي كونه مؤمنا موحدا يعبد ربه على دين ابرهيم عليه الصلوة والسلام

اخر سعي

ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قال ابن قتيبة لم تزل العرب على بقايا من دين اسمعيل عليه الصلوة
والسلام من ذلك الحج والختان وايقاع الطلاق والغسل من الجنابة وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والمصاهرة
وكان عليه الصلوة والسلام على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرايعهم وفي الحديث انه عليه
الصلوة والسلام كان يوحد الله ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة ابرهيم قوله
نهدي به من نشاء ان نعطي به صفة الاهتداء ويجوز ان يكون مستانفا وان يكون مفعولا مكررا
للتحول ان يكون صفة لنورا او توصيفه تعالى بالذي له ملك السموات والارض للتنبيه على ان الذي يجوز
عبادته هو الذي يملك السموات والارض يعني الله تعالى اولا ان ما اوحى اليه او الكتاب او الايمان يهدي ثم قال
له عليه الصلوة والسلام وانك تهدي الى صراط مستقيم ثم بين ان ذلك الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما
في السموات وما في الارض ثم قال الا الى الله تصير الامور وعد للمطيعين ووعيد للمجرمين سورة

الزخرف مكية بسم الله الرحمن الرحيم قوله اقسم بالقران فهو الكتاب المبين بالقران لا
بجنس المنزلة وجعل الواو فيه واو القسم لكون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد ويكون القسم
المذكور من بدايع الاقسام وان جعلت حم مقسما به كانت واو والكتاب المبين عاطفة اي بحم والكتاب
المبين وان جعلت حم في محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي هذه حم او في محل النصب على انه فعل
محذوف اي اقرا حم كانت الواو للقسم وقوله انا جعلناه قرانا جواب القسم ولا يخفى ان القران لكونه
شيئا عظيم القدر يصح جعله مقسما به ليتقوى المدعى ويتاكد والمدعى ههنا هو انه الذي جعل القران
عربيا ولا نزاع لاحد في كونه عربيا حتى يحتاج في دفعه والرد على من انكره الى تاكيد الحكم بالقسم والجملة
الاسمية وان يكون المقسم عليه حقيقة ما يستفاد من اسناد جعله قرانا عربيا الى ذاته العظيم ان في كلامه
تنبيه ان القران المبين الذي ابان طريق الهدى من طرق الضلالة وابان ما يحتاج اليه الامة من الشريعة
والدلائل الواضحة انه ليس بسحر وكلام مفترى على الله واساطير بل هو الذي نوليناه بانزاله على لغة العرب
مشتملا على كمال الفصاحة والبلاغة فرجع خلاصة الكلام الى اثبات عظمته بعظمته فلذلك كان من الايمان
البديعة الدالة على شرف القران وعزته بابلغ وجه وادقه لدلالته على انه ليس عنده شيء اعظم قدرا و
ارفع منزلة منه حتى يقسم به كما انه لا اهم عنده مما ابان وصفه حتى يقسم عليه فقصد الاهتمام في اثباته
وتحقيقه فاقسم عليه وجعله مقسما للتنبيه على انه لا شيء اعلى منه فيقسم به فان الشاعر اذا اراد المبالغة
في اثبات شرف ثغر المحبوبة اقسم عليه بان جعله مقسما به للاشعار بانه ليس شيء اعز منه يصلح لان يجعل
مقسما به سواه فقال • وثناياك انها اغريض • ولآل توم وبرق وميض • واقاح منور في بطاح • هزه
في الصباح روض اريض • والاغريض الطلع ويقال هو كل ابيض طري ويقال هو البرد والتوم جمع تومة
وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة وقيل هي اللؤلؤ ويقال ومض البرق يمض ومضا ووميضا اذا لمع لمعانا

عن المهلب رضي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان غزوتم
الليلة ... ذكره السيد جمال الدين ان
يبيتكم العدو ... ان قصدكم
بالقتل ليلا واختلطتم بهم فليكن
شعاركم ... لا ينصرون
الشعار ... علامة ...
... الخبر قوله حم بالفتح والامالة
لا ينصرون بصيغة المجهول وهو
دعاء او اخبار قال القاضي اي علامة
... الذي تعرفون بها اصحابكم هذا الكلام
والشعار في الاصل العلامة التي ...
... لا ينصرون
... حم ... لا ينصرون
... قال ابن مسعود رضي اذا
وقعت في ال حم وقعت في روضات
... صلى الله عليه وسلم على ان ذكرها
لعظم شانها وشرف منزلتها عند الله
... على اسنتنا النصر
عليهم والخذلان على عدوهم ...
... وقال لا ينصرون
جوابا لسائل ... ماذا يكون اذا
قلت هذه الكلمة فقال لا ينصرون وقيل
حم من اسماء الله تعالى وان المعنى اللهم لا ينصرون
وفيه نظر لان حم ليس في اسماء الله ولان
جميع اسمائه مفصحة عن ثناء وتمجيد وحم ...
الاسم حرفين من الحروف ... قلت
الظاهر ان مراد القائل انه من اسماء الله
بمعنى انه ... على اسماء سبحانه
كالمجيد والحي والملك والمقتدر ...
... منه ... من اسماء الله
فاذا ذكر ذلك الحرف فكانما ذكر ذلك الاسم
... قال ابن عباس
رضي ... اسم الله الاعظم وقال عطاء الخراساني
في الحاء افتتاح اسمائه حليم حميد حكيم ...
اسمائه ... انتهى ملخصا

لمعانا خفيفا ولم يعترض في نواحي الغيم والاقاح جمع اقحوان وهو البابونج الذي حواليه ورق ابيض و
وسطه اصفر والبطاح جمع ابطح على غير القياس وهو المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى وقال منور
بالافراد في وصف اقاح على تاويله الجنس شبه صفو اسنانها بصفو اوراق الاقاح وروض جمع روضة من
البقل والعشب واريض فعيل من اروضت الارض بضم الراء اذا زكت وتبين في قوله من حيث انه معجز مبين
خبر بعد خبر لان وقوله او تبين للعرب لكونه بلغتهم واساليب كلامهم عطف على مبين للاشارة الى ان المبين
كما انه يجوز ان يكون من ابان بمعنى اظهر يجوز ان يكون من ابان بمعنى ظهر وقوله يدل على انه لما جعله كذلك
كذلك خبر للمبتداء وهو قوله والقران فقصد بايراد هذه الجملة الاسمية بيان كون الاقسام بالكتاب المبين
استشهادا بما فيه على المقسم عليه قوله لكي تفهموا معانيه لما كان حقيقة الترجي والتوقع ممتنعة
في حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الامور جعل المص كلمة لعل مستعارة بمعنى لام كي وهي السببية
الحاملة والحكمة الباعثة شبهت الحكمة الداعية الى الفعل بترجيه من حيث كون كل واحد منهما مؤديا الى
وجود الفعل في الجملة وجعله الزمخشري مستعارا بمعنى الارادة بمعنى ارادة ان تعقلوا وتفهموا اذ لو كان
اعجميا لما فهموه بان شبهت الارادة بالترجي من حيث ان كل واحد منهما متعلق بامر مطلوب فاطلق
ما يدل على الترجي واريد معنى الارادة ويجوز ان يكون لعل مجازا مرسلا في معنى الارادة على طريق ذكر
الملزوم وارادة اللازم لان التوقع ملزوم للارادة قوله عطف على انا فيكون القسم السابق واردا
عليهما جميعا واهل مكة لما كذبوا القران وجعلوه كلاما مفترى حاصلا بتعليم البشر اقسم الله عز
وجل على انه الذي جعله قرانا عربيا ارادة ان يفهموا معناه وعلى ان القران لعلي رفيع الشان في
المحل المنعوت بام الكتاب وانه لعلي حكم مثبت في ام الكتاب وخبر ان قوله لعلي وفي ام الكتاب متعلق
بالخبر وجاز ان يعمل ما بعد اللام فيما قبلها لان اصلها ان يكون في الابتداء وانما اخرت لاجل ان والمعنى و
ان القران لعلي في هذا المحل المكرم وكذا قوله لدينا متعلق بالخبر ايضا ويجوز ان يكون بدلا من ام الكتاب
ويجوز ان يكونا حالين مما بعدهما لانهما كانا وصفين له في الاصل فلما قدما عليه انتصبا حالين فيتعلقان
بمحذوف ولا يجوز ان يكون شيء منهما خبرا لان الخبر يجب ان يكون هو علي لاجل اللام ولانها اذا لم تدخل
على اسم ان او على ما تعلق بخبر ان وجب ان تكون داخلة على الخبر ولا يجوز ان يكون الخبر غير ما اختص به اللام
قوله مجاز من قولهم ضرب الغرايب يعني انه استعارة تبعية شبه ابعاد الذكر وحبسه عنهم مع اقتضاء
الحكمة انزاله عليهم بذود الابل وابعادها عن الحوض فاستعمل لفظ المشبه به وهو الضرب بمعنى الذود في
المشبه وهو اهمال الذكر وعدم انزاله ثم اشتق منه نضرب ويحتمل ان يراد انه من قبيل الاستعارة
التمثيلية وهو ما وجهه منتزع من متعدد بان شبه حال الذكر في تنحيته مع تحقق دواعي انزاله والزام الحجة
به عليهم بحال النوق الغريبة التي تذاد وتدفع عن الحوض بسبب ابل صاحب الحوض فان الابل اذا وردت

الجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها وداخلة
في حكمها فهي الاقسام بالقران على علو قدره
عنده ... بديعة وابداء بانه من علو
ان ... في بابه الى الاستشهاد
عليه بالاقسام ... كانه كاف فيه
على ذلك من حيث الاقسام ... انه لا يحيط بالبال
من حيث اعجازه ورشد ...
عند ذكره شيء ... بالاقسام به و
اما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي ...
عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض
... وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين
علو شان القران العظيم وحقق ان انزاله
على ... ليعقلوه ... ويعملوا بموجبه
عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل
افنضرب عنكم الذكر الى اخره

فان ان ولام الابتداء لما اشتركا في كونهما
لتاكيد ... كرهوا اجتماعهما فاخروا
اللام ... وان كونها عاملة وحق العاملة
ان يتقدم على معموله بخلاف اللام فان اللام
اخرت لفظا لذلك فهي متقدمة معنى على جميع
اجزاء الكلام فلذلك لم يمتنع ... من ذلك ...

الماء فقد خلت بيرها نافة غريبة تطرد وتذاد حتى تخرج من بيرها والقونس منبت شعر الناصية ووصل العظم الذي
بين اذني الفرس واصل اضرب اضربن مؤكدا بالنون الخفيفة فحذفت النون وابقيت الفتحة قبلها لتدل
عليها والطارق ما يطرق بالليل فيكون طارقا بدل البعض من الهموم والصفح الاعراض يقال صفحت عن فلان
اصفح صفحا اذا اعرضت عنه او عن ذنبه والصفح ايضا الناحية والجانب يقال نظر اليه بصفح وجهه اي بعرض وجهه
وناحيته والمص جعل الصفح بمعنى الاعراض وذكر لانتصابه ثلثة اوجه الاول انه مفعول مطلق من غير لفظ
عامله لكونه موافقا له من حيث المعنى فان رفع الذكر عنهم والاشاح عن انزال القران المشتمل على الاوامر
والنواهي والمواعظ والنصائح مع كونه متوجها اليهم لاقتضاء الحكمة انزاله عليهم في معنى الاعراض عنهم
فكانه قيل افنعرض عنكم صفحا اي اعراضا ان نهملكم وننزلكم سدى خلا امركم ولا نهيكم عن قتادة قال
والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى كرره عليهم ودعاهم
اليه عشرين سنة او ما شاء الله والثاني كونه مفعولا له على معنى افنعتزل عنكم انزال القران والزام الحجة
به اعراضا عنكم والثالث كونه حالا من الفاعل بمعنى صافحين ومعرضين ثم نقل قول من قال انه بمعنى
الجانب والناحية وحكم بان انتصابه ح يكون على الظرفية لا غير لانه ح لا يكون مصدرا ولا علة لابعاد
الذكر ولا هيئة للفاعل او المفعول به فتعين ان يكون ظرفا لنضرب اي انبعد عنكم الذكر كما تقول ضعه جانبا
وامش جانبا اي في جانب ثم ايد كون صفحا بالفتح بمعنى الجانب بقراءة من قرا بضم الصاد فان المشهور
ان صفحا بالضم بمعنى الجانب لا غير فينبغي ان يكون صفحا بالفتح ايضا بمعنى الجانب لتتناسب القراءتان قوله
ويحتمل اذا قرئ بالضم كما يحتمل ان يكون ظرفا بمعنى الجانب كما ان المفتوح لغة فيه يحتمل ايضا ان يكون
تخفيف صفح بضمتين في جمع صفوح كرسل في جمع رسول وصفوح مبالغة صافح بمعنى كثير الصفح والعفو عن
الجانبين فيكون حالا من فاعل نضرب اي صافحين معرضين قوله وهو في الحقيقة علة مقتضية لنزاء
الاعراض جملة حالية مقررة لوجه انكار الاعراض عنهم بناء على اسرافهم في الجهل والعصيان والكفر
والطغيان والمعنى ان ذلك الاسراف كيف يكون سببا للاعراض المذكور وهو في الحقيقة سبب لنزاء
الاعراض قوله على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم جواب عما يقال من انه
كيف صح استعمال ان الشرطية في مقطوع الوقوع فانهم كانوا مسرفين على القطع بحيث لا يشك فيه عاقل
وحق كلمة ان ان تدخل فيما هو مشكوك الوقوع وتقرير الجواب انها قد تستعمل في مقام القطع للقصد الى
تجهيل المخاطب وما نحن فيه من هذا القبيل فانه استعمل فيه كلمة ان توبيخا لهم بالجهل بانهم مسرفون
في الضلالة والطغيان مع وضوح كونهم كذلك بالبراهين القاطعة فان استعمالها في هذا المقام يخيل
اليهم ان الاصرار على ما هم عليه فعل من له شك في كونه اسرافا في الضلالة ونظيره قول الاجير ان كنت
عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك قوله وما قبلها دليل الجزاء بناء على ما ذهب اليه البصريون
من

اي انترككم سدى بسبب اسرافكم في الجهالة
والاعراض عن الحق فنترك عليكم انزال
القران والتذكير بالوعد والوعيد صفحا
اي اعراضا عن تنبيهكم وارشادكم
صح

من ان جزاء الشرط لا يتقدم عليه ويقولون في مثله انه حذف الجزاء اعتمادا على دلالة ما قبل اداة الشرط
عليه ثم انه تعالى لما وصفهم بالاسراف في الطغيان والتكذيب سلى رسوله عليه الصلوة والسلام فقال وكم ارسلنا
من نبي الاية وكم خبرية في موضع النصب على انه مفعول مقدم لارسلنا ومن نبي تمييز وفي الاولين متعلق
بارسلنا او بمحذوف مجرور على انه صفة لنبي والمعنى ان عادة الامم مع الانبياء الذين يدعونهم الى الدين
الحق هو التكذيب والاستهزاء فلا ينبغي ان تتاذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لان المصيبة
اذا عمت خفت ثم قال اتماما للتسلية ووعدا له ووعيدا للقوم فاهلكنا اشد منهم بطشا اي فاهلكنا الا
ولين الذين هم اشد واقوى من قومك في البطش وهو شدة الاخذ قوله تعالى اشد ظاهر وضع موضع ضمير الاولين
للتنصيص على شدتهم وقوتهم والمعنى ان اولئك المتقدمين الذين ارسل الله تعالى اليهم الرسل فاستهزؤا بهم
سلهم كانوا اشد بطشا من قريش واكثر عددا وجلدا ومع ذلك اهلكناهم فليحذر قومك الذين سلكوا
مسلكهم في الكفر والتكذيب ان ينزل بهم مثل ما جرى على الاولين وبطشا تمييز لاشد وقيل حال من فاعل
اهلكنا اي اهلكناهم باطشين او ذوي بطش قوله اي من القوم المسرفين وهم قريش يعني ان ضمير
منهم راجع الى قومه الذين خوطبوا بقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين ولا يرجع الى الاو
لين لان المعنى لا يساعد ذلك الا انه عبر عنهم ههنا بضمير الغائبين بناء على انه تعالى بعد ما خاطبهم بذلك
اعرض عنهم والتفت اليه عليه الصلوة والسلام بسبب عن استهزائهم به فصاروا غائبين في موضع
هذا الخطاب فلهذا عبر عنهم بضمير الغائبين ثم انه تعالى وبخ مشركي قريش وجهلهم بانهم مع اعترافهم
بقدرته تعالى وعلمه وعزته بقولهم خلقهن العزيز العليم يصرون على الشرك والتكذيب ويجعلون له من
عباده جزءا فقال ولئن سألتهم الاية قوله لعله لازم مقولهم جواب عما يقال من ان قوله تعالى خلقهن
العزيز العليم الى اخر ما ذكر من الاوصاف ان كان من قول اهل مكة كان الظاهر ان يقال الذي جعل لنا الارض
مهدا وجعل لنا فيها سبلا وجعل لنا من الفلك والانعام ما نركبه ولا يظهر وجه قوله فانشرنا به بلدة
ميتا كذلك تخرجون لانهم لا يقرون بشيء ولا يقولون ايضا بالبعث حتى يقيسوه باحياء البلدة الميتة
وان كان من قول الله تعالى مع ان اهل مكة هم المسئولون لزم ان يكون المجيب غير المسئول عما وجه اجاب
عنه اولا باختيار انه من قول الله تعالى الا انه لما كان لازم مقولهم الذي هو قولهم خلقهن الله او تفصيلا
لما اجملوه بذلك المقول نزل منزلة مقولهم فان لفظة الله اسم علم للمعبود بالحق المستجمع لجميع صفات
الجلال والجمال فيكون متضمنا لهذه الاوصاف ومستلزما لها فكانهم ذكروا عند ذكرهم هذا الاسم الشريف
هذه الاوصاف كلها فصح بذلك جعلها مقولا لهم وظهر ايضا وجه قوله وجعل لكم بدل لنا ووجه قوله فا
نشرنا بلدة ميتا لانه كلام الله تعالى حقيقة فكانه قيل ليس خلقها الى الذي هذه اوصافه وعدل
حكاية عين مقولهم الى اقامة لازمه مقامه او الى اقامة المفصل مقام المجمل اهانة للحجة عليهم حيث اعترفوا

والتقدير ان كنتم قوما مسرفين فلا
نضرب عنكم الذكر بل نعظكم
ونذكركم وغاية اسرافكم
منه محمد

فما ارسلنا فيهم الا ارسال يعتدى
بها وقد فوقكم كذلك
فيما ارسلنا في
ارسلنا كثيرا منه والعقبة جعلت
قرية ولكن الالية والعقبة
موضعا للارسال كعقد الاولية
ارسلنا فيها مصعبا ذا الخاتم ثابت
فقيها بذات الامام من تغير ما ذكر

بما يستلزم تفرده بالالوهية ثم عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم وغباوتهم
واجاب ثانيا بان مقولهم وجوابهم تم عند العليم وما بعده ابتداء كلام من الله تعالى بذكر مصنوعاته التي
لا يشاركه في شيء منها احد غيره لما وصف الكفار خالقهن بالعزيز العليم وصف الله تعالى بتلك الاوصاف
ايضا على انها من تتمة كلامهم وان لم ينطقوا بها ولم ينظروا الى كونها لازم مقولهم ولا تفصيلا لاجمال جوابهم
للدلالة على ان الذي وصفوه بكمال العزة والعلم والقدرة هو الموصوف بان اسبغ عليهم هذه النعم الجليلة
والآلاء العظيمة فكيف يكفرون بها بعبادة غيره ونظيره في كلام الناس ان يقول الرجل هذا المسجد بناه فلان
العالم فيقول السامع لكلامه الزاهد الكريم فكان ذلك السامع يقول انا اعرفه بصفات حميدة فوق ما تعرفه
وازيد في صفته فيكون النعتان جميعا من رجلين في حق رجل واحد **قوله** زال عنها النماء يعني ان البلدة
الميتة من قبيل التشبيه البليغ شبهت البلدة التي زال عنها النماء بالجسد الذي زالت الحيوة عنه **قوله**
مثل ذلك الانشار تنشرون من قبوركم يعني ان الكاف في محل النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تنشرون
انشارا مثل انشار البلد الميت من حيث ان كل واحد منهما احياء بعد الاماتة والمقصود ان انشار البلد
الميت كما دل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقا فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيمة **قوله** ما تركبونه
على تغليب المتعدي بنفسه الخ يعني ان ركب بالنسبة الى الفلك يتعدى بكلمة في كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك وبالنسبة
الى غيره يتعدى بنفسه كقوله تعالى لتركبوها فغلب ههنا المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة في فقيل تقدير
قوله ما تركبونه والمراد تغليب احد اعتباري الفعل على الآخر لا تغليب احد الفعلين على الآخر لان الفعل
المتعدي الى الفلك هو المتعدي الى الانعام الا ان تعديته الى احدهما يحتاج الى آلة التعدية وتعديته الى الآخر
لا يحتاج اليها وذلك لا يوجب التعدد في نفس الفعل حتى يقال غلب احد الفعلين على الآخر **قوله** ولذلك ارجع
الضمير على احد التغليبين الاخيرين عدي فعل الاستواء بكلمة على الى ظهور ما تركبونه مع ان الاستواء
المتعلق بالفلك لا يتعلق بظهره ولا يعدى اليه الفعل بعلى بل بفي لكونه حاويا للمستوي وظرفا له **قوله**
وجمعه للمعنى جواب عما يرد على قوله ظهوره ما تركبون وهو انه لما اضيف الظهر الى ضمير ما تركبون افرد نظرا الى
اعتبار اللفظ مادام لم يعطف ظهوره فلم جمع لفظ الظهر مع افراد ما اضيف هو اليه فاجاب عنه بانه جمع
اعتبار المعنى ما اضيف اليه فان ما تركبونه متناول لجنسي الفلك والانعام المشتملين على افراد وصنائف
كثيرة **قوله** معترفين بها حامدين عليها اي ليس المراد من ذكر النعمة بالقلب مجرد تصورها واخطارها
بالبال بل المراد به ذكرها من حيث كونها نعمة حاصلة بتدبير القادر العليم الحكيم مستدعية لطاعته
والاشتغال بشكر نعمه فان من تفكر في ان ما يركبه الانسان من الفلك والانعام اكثر قوة واكبر جثة من
راكبه ومع ذلك فقد كان مسخر الراكبه يتمكن من تصريفه الى اي جانب شاء وتفكر ايضا في خلق البحر والريح
وفي كونهما مسخرين للانسان مع ما فيهما من المهابة والاهوال استغرق في معرفة عظمة الله تعالى وكبريائه و

وكمال قدرته فيحمله ذلك الاستغراق على ان يتعجب ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين
ضبطه وتسخيره كيف شاء يقال اقرن له اي اطاقه وقوي عليه واقرنت لفلان اي صرت قرنا له اي معادلا او كفوا
له في الشجاعة غير مغلوب له وقرن مقرنين بالتشديد والمقرن الذي يجعل مقرنا للشيء اي مطيقا له يقال
قرنته فاقرن وقوله والمعنى واحد المراد به وحده معنى اي اخذ ولا ينافيه كون احد البنائين للتعدية والآخر
للمطاوعة **قوله** واتصاله بذلك اي اتصال قوله وانا الى ربنا لمنقلبون بما قبله من وجهين الاول ان ينبه ان
الركوب للاشتغال وان يتذكر به النعمة العظمى ولا يدع بلسانه وقلبه لئلا يكون مستعد اللقاء الله تعالى غير
غافل عنه والثاني ان الركوب مخطر اي موقع في خطر الهلاك وسبب من اسباب التلف اما ركوب السفينة
فظاهر واما ركوب الدابة فلانها لا تخلو من العثار والنفار والنجم في المضايق والمهالك بسبب من
الاسباب فركوبها تعريض للنفس على الهلاك فيجب على الراكب ان يتذكر امر الموت عند الركوب و
يعلم انه هالك لا محالة وان هلاكه انما هو انقلاب الى الله تعالى والى مقام حسابه فيستعد للقائه باصلاح
احواله **قوله** اي وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف اي الاعتراف بانه خالق الممكنات باسرها وبانه
ذو العزة البالغة والعلم المحيط اي بلفظة قد للاشارة الى انه حال من فاعل قوله ليقولن وتبين به وجه
اتصاله بقوله ولئن سألتهم **قوله** ولعله سماه جزءا في التعبير عن الولد بالجزء الدال على استحالته
على الواحد الحق كما سمي الولد بضعا لكونه بضعة من والده قال عليه الصلوة والسلام فاطمة رضي
بضعة مني والبضعة بفتح الباء قطعة من اللحم فان الوالد ينفصل منه جزء من اجزائه ثم ينشأ في ذلك
الجزء ويتولد منه شخص اخر مماثل للوالد فولد الرجل جزء منه فاثبات الولد له تعالى يستلزم التركيب لان
كل ماله جزء فهو مركب ممكن والامكان ينافي الوجوب الذاتي والتركيب ينافي الوحدة الذاتية فكون التعبير
بالجزء عن الولد مشعرا باستحالة اثبات الولد لمن هو متصف بالوحدة الذاتية ومنزه عن الامكان والا
حتياج الى الغير والجعل ههنا بمعنى الحكم بالشيء والاعتقاد به كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا اي حكموا به ووصفوهم بالانوثة ويحتمل ان يكون الجعل هنا بمعنى التصيير القولي **قوله** وقرئ جزءا
بضمتين وهي قراءة عاصم في رواية ابي بكر في كل القرآن والباقون باسكان الزاي وبالهمزة في كل القرآن وهما
لغتان واما حمزة ما ذا وقف قال جزا بفتح الزاي بلا همزة ثم انه تعالى اضرب عن الاخبار بانهم جعلوا له
ولدا واخذ فيما هو اهم وهو الانكار عليهم والتعجب من شانهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له ولدا حتى جعلوا
ذلك شر الولدين وهو الاناث فانهن ابغض الاولاد عندهم ولو كان الامر كما زعموا وهو ان يتخذ لنفسه
البنات واصفى عباده بالبنين للزم ان يكون حال العبد اكمل وافضل من حال المولى الخالق لكل شيء وذلك
مما يستحيله بديهة العقل يقال اصفيت فلانا بكذا اذا اثرته به بحيث حصل له ذلك على سبيل الصفاء من غير ان
يكون له فيه مشارك **قوله** وقوله تعالى واذا بشر احدهم جملة وقعت موقع الحال **قوله** صار وجهه في الظلول [illegible]

قوله سبحانه الذي الآية من حيث
انه ذكر النعمة والاعتراف بها يوجب
موجب للشكر وتعليل الشيء بما يوجب
الشكر في قوة تعليله بالشكر والظاهر
ان يقال ثم تحمدوا واعلى نعمة ربكم اذا
استويتم عليه الا انه عدل عنه الى
تذكر والاشعار بان النعمة فيما به الشكر
انما هو فعل الجنان ولذا في قوله تعالى وما
كنا له مقرنين متعلق بمقدر قدم
عليه للفواصل. منه

والجعل بمعنى الحكم بالشيء والاعتقاد
به كما تقول جعلت زيدا افضل الناس
اي حكمت به ووصفته بذلك منه

[illegible]

وصفاكم
بالبنين ما عطف
على اتخذ واخل به حكم الانكار
والتعجب او حال من فاعله باضمار
قد او بدونه على الخلاف المشهور وفي الالتفات
الى خطابهم تأكيد الالزام وتشديد للتوبيخ
اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين و
اختار لكم افضلهما على معنى هب انكم
اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد
اليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه
اما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء
حتى اجترأتم بالعظيمة الخارقة للعقول
من ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير
الصنفين واعلاهما وترك له شرهما
وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين
لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة
والفخامة الخ

لكونها او فق بالمقام واكثر الافعال الناقصة يستعمل بمعنى الصيرورة ولا يبعد كل البعد ان يكون على اصل معناه
وهو ثبوت خبره لاسمه بالنهار دون الليل بمعنى بقي في كل يوم متغير اللون ظاهرا عليه اثر الحزن والكآبة **قوله**
وفي ذكر اي في قوله وجعلوا له من عباده جزءا الى اشادة دلالات وذلك لانه تعالى اخبر عنهم بانهم اثبتوا الولد
للواحد الحقيقي الواجب لذاته مع ان التركيب والامكان ينافيان الوحدة والوجوب وافحش من ذلك
ما زعموه من انه تعالى اتخذ احسن الجزئين لنفسه وآثر عباده باشرفهما وبين دناءة ما نسبوه اليه تعالى
بقوله اذا بشر احدهم الآية وما بلغ في الدناءة الى هذا الحد كيف يجترئ العاقل على اثباته له تعالى **قوله** وتنويع
البنين لما مر في الذكور يعني ان سوق الكلام لما اقتضى تقديم البنات مع تاخيرهن عن البنين وجودا وشرفا ولزم
من ذلك تاخير البنين تجبر ذكر بتعريفهم تشريفا لهم وتعظيما كما نكرت البنات تحقيرا لهن واهانة وانما قلنا ان
الكلام اقتضى تقديم البنات لان الكلام انما سيق لتوبيخهم والانكار على انهم اثبتوا له تعالى احسن الاولاد ولا نسلم
اشرفها فكان ذكر البنات هو الذي سيق له الكلام اصالة وذكر البنين وقع استطرادا لمزيد الانكار والتهم
ثم انه تعالى زاد في توبيخهم فقال او من ينشؤ وفي المص اوجعلوا له او واتخذ من يتربى في الزينة اشارة
الى ان من الموصولة في محل النصب على انه مفعول به لفعل مقدر معطوف على قوله وجعلوا او على قوله ام اتخذ
مما يخلق وان الواو عاطفة لذلك الفعل المقدر وان الف الاستفهام مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه
لمزيد الانكار المستفاد من محور الكلام على الاول ومن الهمزة التي تضمنتها ام المنقطعة على الثاني ولا يخفى
ان ذم الاناث بان يقال في حقهن اوجعلوا للرحمن من الولد من بهذه الصفة المذمومة صفته وان دل
على ان التحلي والنشأة في الزينة وسعة العيش وان كان مباحا للنساء الا انه من المعايب ودلائل
النقصان لان المتزين بالحلي لولا انتقاصه في ذاته لما احتاج الى تزيين نفسه بالحلية فاقدام الرجل
عليه يكون القاء لنفسه في الذل وذلك حرام لقوله عليه الصلوة والسلام ليس للمؤمن ان يذل نفسه وانما زينة
الرجل الصبر على طاعة الله تعالى والتزين بزينة التقوى كما قال عمر رض اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا
واياكم وزي الاعاجم يقال للغليظ من اللباس خشن ومن الطعام خشب اي اختاروا من اللباس و
الطعام ما هو الغليظ لا ما هو الرقيق والناعم يقال تمعدد فلان اذا تشبه بعيش معد بن عدنان ابي العرب
وكانوا اهل غلظة في امر المعاش فقوله وتمعددوا اي كونوا مثلهم ودعوا التنعم وفي الحديث عليكم بالبسة
المعدية ثم بين نقصان حالها بطريق آخر فقال وهو في الخصام غير مبين وهذه الجملة حال من فاعل ينشؤ
قوله واضافة غير اليه لا يمنعه جواب عما يقال كيف يعمل مبين فيما قبل المضاف وقد ثبت في النحو عدم جوازه
وتقرير الجواب انما ذكر في النحو انما هو اذا لم يكن المضاف كلمة غير فان ما بعد غير يجوز ان يعمل فيما قبله بناء على
ان غير فيها معنى النفي كانه قيل لا يبين في الخصام فكما جاز ان يعمل ما بعد كلمة لا فيما قبلها جاز ان يعمل ما
بعد غير فيما قبله ايضا ومنه مسئلة الكتاب من جواز انا زيدا غير ضارب فزيدا منصوب بضارب كما ذكر في قوله
غير

وفيه جعل النشأة في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك وياْنف منه ويعيش كما قال عمر رض اخشوشنوا الحديث

غير المغضوب عليهم **قوله** وقراء حمزة والكسائي وحفص ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين
وقراءة باقي السبعة بفتح الياء واسكان النون وتخفيف الشين وقرئ ينشأ بضم الياء وسكون النون و
فتح الشين من انشأ وينشا على وزن يفاعل مبنيا للمفعول والتفعيل والمفاعلة والافعال قد تكون بمعنى واحد
نحو غلاه الله وغالاه فغلى كما يقال اعلاه الله فعلى ويظهر من نقل هذه القراآت ان مختاره قراءة العامة يقال
نشأ في بني فلان نشأ اذا شب فيهم ونشأ وانتشأ بمعنى كذا في الصحاح **قوله** كفر اخر اي غير كفرهم
بالوصفين الاولين وهما اثبات الولد لرب العالمين ثم نسبة اخس صنفي الولد اليه مع ايثارهم على انفسهم
باشرفهما حيث قالوا الملائكة بنات الله ومن قراء عند الرحمن بكسر العين والنون الساكنة وفتح الدال
جعله ظرفا ولما استحال العندية على القرب المكاني وجب جعلها استعارة لاختصاصهم بمزيد كرامة الله تعالى
وتشريفه اياهم تشبيها لحالهم في الاختصاص بمزيد الشرف والمكان بحال من يكون عند الملك وفنائه بحيث
لا يحجبه عنه حاجب ولا بواب فاستعمل في المشبه ما كان حقه ان يستعمل في المشبه به وعباد الرحمن وانثا
بضمتين وهو جمع اناث مثل كتاب وكتب وحمار وحمر **قوله** وقراء نافع اشهدوا بادخال همزة الانكار و
التوبيخ على اشهدوا افعلا رباعيا مبنيا للمفعول فسهل الهمزة الثانية بجعلها بين الهمزة والواو ولم يدخل
بينهما الف الفصل اكتفاء بتسهيل الثانية وادخلها تارة كراهة لاجتماعهما فقال آاشهدوا فقوله و
آاشهدوا عطف على قوله اشهدوا والباقون ادخلوا همزة الانكار على شهدوا ثلاثيا والفعل على
التقديرين من الشهود بمعنى الحضور لا من الشهادة وقراء العامة ستكتب بالتاء من فوق مبنيا للمفعول
شهادتهم بالرفع لقيامه مقام الفاعل وقرئ سيكتب بالياء من تحت مبنيا للمفعول وبرفع شهادتهم
وقرئ ايضا سنكتب بنون العظمة شهادتهم بالنصب مفعولا به **قوله** فاسندوا ابتغى مشية عدم العبادة على
امتناع النهي عنها او على حسنها توضيح المقام يتوقف على تفصيل مذهب اهل السنة واهل الاعتزال في مسئلة
ان الكائنات باسرها هل بارادة الله تعالى ومشيته وانه لا يجري في ملكه الا ما يشاء او بعض منها بارادة الله تعالى
ومشيته والبعض الآخر بكراهته وسخطه وذهب اهل السنة الى ان الكائنات كلها من الطاعة والمعصية و
الكفر والايمان بارادته تعالى ومشيته وان ما كان طاعة من افعال العباد فهو بمشيته تعالى وارادته وقضائه
وقدره ورضائه ومحبته وامره وما كان معصية منها فهو بمشيته وارادته وقضائه وقدره وليس بامره
ولا برضائه ومحبته وقالت المعتزلة المعاصي ليست بارادة الله ومشيته بل بكراهته واستدلوا عليه
بهذه الاية وبقوله تعالى في سورة الانعام سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا الى قوله قل هل عندكم
من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون وتقريره ان لو معناه الامتناع للامتناع
وان عبادة الملائكة كفر فالله تعالى حكى عنهم عين ما ذهب اليه اهل السنة وهو قولهم لو شاء الله منا عدم
الكفر اي ترك عبادة غيره لتركنا فما دام الكلام انا ما تركنا عبادة غيره وكنا كافرين لانه تعالى لم يشأ منا ترك

وقيلنا ان الله تعالى لو شاء من الكافر الايمان والكافر اي من تشاء الكفر لكانت مشية الكافر انفذ من مشية الله تعالى وهو ارادة العجز تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فالكفار والعصاة يامرون بالطاعة والايمان وينهون عن الكفر والعصيان وليس ايمان الكافر والطاعة العاصي مراد الله
(اي لا نشتغل بالرد عليهم لا نشتغل ايجب)

عبادتهم بل شائنا الكفر وعبادة غيره فلذلك فعلنا ذلك ثم انه تعالى ابطل منهم هذا القول بقوله ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يخرصون فثبت بهذه الآية بطلان القول الكفر بمشيئة الله تعالى وهو قول اهل السنة
والمص اجاب عن هذا الاستدلال بانه انما يتم ان لو كان توجه ما توجه اليهم من الذم والتجهيل المستفاد من
قوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون بمجرد قولهم ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر ولا نم ذلك بل انما
توجه اليهم الذم والتجهيل لاجل انهم قالوا لما اراد الكفر من الكافر فوجب ان يقبح منه امر الكافر بالايمان
فانه كيف يصح الامر بالشيء او ارادة خلافه وكان خلاصة كلام المشركين لو شاء الله تعالى منا عدم الكفر لما
و انما كفرنا بسبب مشيئة الله تعالى كفرنا ومن المعلوم ان من شاء الكفر لا ينهى عنه فلا يكون الكفر منهيا عنه
اذ من المعلوم ان من اراد الكفر يكون الكفر حسنا عنده فكيف تزعمون قبحه وتعيرونا بسببه فلهاذا وجهنا
الذم والطعن الى هذا المقام سقط استدلال المعتزلة بهذه الآية واعلم ان ارادة الله تعالى ومشيئته موافقة
لعلمه وتابعة له لا لامره فكلما علم الله في الازل انه يوجد فقد اراد وجوده طاعة كان او معصية
وما علم انه لا يوجد فقد اراد ان لا يوجد ولما علم من ابي جهل الكفر لا الايمان اراد منه الكفر وكذا اراد من
سائر العصاة والكفرة عصيانهم وكفرهم على حسب ما علم منهم في الازل وقالت المعتزلة ارادته تعالى مطابقة
لامره فكل ما امر الله تعالى به فقد اراده وكل ما نهى عنه فقد كرهه فقولهم لو شاء الله ما اشركنا معناه
لو شاء الله تعالى عدم اشراكنا لما اشركنا ولما اشركنا علمنا ان المشيئة قد تعلقت باشراكنا لا بعدم اشراكنا
ومقصودهم من هذا الكلام الاستدلال بانتفاء مشيئته تعالى عدم الاشراك على امتناع النهي عنه فان من
لا يريد عدم الاشراك فقد اراد نفس الاشراك ومن اراد الاشراك كيف ينهى عنه او الاستدلال بثبوت
مشيئة الاشراك على حسنه بناء على ما اعتقده من ان كل مراد مامور به فيكون حسنا فذمهم الله تعالى و
جهلهم في قولهم لما اراد الله الكفر والاشراك من الكافر كان حسنا وامتنع النهي عنه وامره بالتوحيد
والايمان بناء على ان المشيئة لا تجب ان تطابق الامر بل يجوز ان تتعلق بالمامور به والمنهي عنه والحسن
وغيره لان شان المشيئة ليس الا ترجيح بعض المقدورات على بعض بالوقوع **قوله** ويجوز ان تكون
الاشارة الى اصل الدعوى وهو قولهم الملائكة اناث وانهم بنات الله تعالى فانه اصل بالنسبة الى ما زعموه
من ان عبادة الملائكة حسن مامور به ويمتنع النهي عنه وهذا القول من المص جواب ثان عن استدلال
المعتزلة بهذه الآية على ان الكفر والمعاصي ليست بارادة الله تعالى ومشيئته كما سبق تقريره وقد اوضحنا
ما اجاب عنه اولا بما لا مزيد عليه وتقرير هذا الجواب ان ما ذكرتم من الاستدلال انما يتم ان لو كان قوله تعالى ما لهم
بذلك من علم ان هم الا يخرصون مرتبطا بقول المشركين لو شاء الرحمن ما عبدناهم وابطالا لقولهم الكفر
بمشيئة الله تعالى وليس كذلك بل هو متعلق باصل دعواهم وهو قول الزجاج ورده الزمخشري بانه تمحل مبطل وتحريف
لكتاب الله وذلك لانه تعالى حكى عن القوم قولين باطلين وبين وجه بطلانه فحكى قولهم الاول بقوله وجعلوا له من عباده
جزءا

قوله اهل الاعتزال بحث

يعني ان قولهم الكفر بمشيئة
الله تعالى مقدمة دليلهم وليست
مناط الذم بل مناط ما قصدوه بها
وهو ان ما لا يكون عدمه مرادا لا
يكون منهيا عنه فلا يكون عبادة
غيره تعالى منهيا عنه وان ما يكون نفسه
مرادا فهو مامور به فيكون العبادة
المذكورة مامورا بها منه

قوله تعالى ما لهم بذلك من علم اي بما يقولون من ان الملائكة اناث وانه تعالى اتخذ الملائكة بنات
فالمعنى ليس لهم علم بانهم بنات له تعالى لان الكفرة لا يعلمون الغيب
بمقتضى العقل لا طريق لهم الى الاخبار من
الملك بهذه او من طريق النقل حتى يقولوا ان
الكتاب وهو ... صادق ... بهذه الايات فثبت
عنهم جميع ذلك ... منه

ومن لطائف المص انه لم يفسر
قوله تعالى ان هم الا يخرصون بيكذبون
مع ان الخرص في اللغة الكذب على
ما قال في قوله تعالى قتل الخراصون الذين
اي الكذابون من اصحاب القول
المختلف لان قولهم لو شاء الرحمن
ما عبدناهم كلام صادق في
نفسه على مذهب اهل السنة
لكنهم لم يقولوا لحجة صدق ابل
احتالوا به لدفع التوبيخ عليهم ولم
ينفعهم حاكم

جزءا وابطله بقوله ام اتخذ مما يخلق بنات الآية وعطف قوله وجعلوا الملائكة اناثا وابطله بقوله اشهدوا خلقهم
الآية ثم حكى عنهم قولا ثالثا اشنع من الاولين وهو عبادتهم الملائكة الذين جعلوهم بنات الله متمسكين فيها بانه
تعالى اراد منهم ذلك وشاء ثم حكى ببطلانها بقوله ما لهم بذلك من علم وصرف هذا الابطال عما يليه الى كلام
متقدم عليه تمحل بعيد وتحريف غير سديد والمص اشار الى دفع ما ذكره الزمخشري في رد قول الزجاج ووجه
كلامه بان جعل قول المشركين اتخذ الله ولدا وان الملائكة بناته اصل الدعوى الصادرة منهم وجعل
ما بعده من الايات مسوقة للانكار عليهم والاشارة الى وجوه فساد ما ادعوه وجعل قولهم لو شاء الرحمن
ما عبدناهم جوابا منهم لما تضمنت الايات السابقة من معنى الانكار والاحتجاج عليهم في دعواهم الباطلة
وهذا الجواب وان كان لا مطابق مضمون تلك الايات ولا يدفعها الا انهم تشبثوا به لانقطاع حجتهم بحيث لم يبق
لهم متشبث غير ذلك ولهذا جعله المص شبهة مزيفة ولما لم يكن قولهم لو شاء الله كفرا مستقلا منفصلا عن
اصل الدعوى لم يكن ارجاع قوله تعالى ما لهم بذلك من علم الى ما تقدم عليه تمحلا وتحريفا **قوله** قوله ثم اضرب عنه
اي عن نفي ان يكون لهم تمسك عقلي ثم اضرب عن نفي ان يكون لهم تمسك في ادعوه لا من جهة العقل ولا من
جهة النقل الى بيان ان ليس لهم حامل يحملهم على ذلك الادعاء الا التقليد المحض فقال بل قالوا وجدنا اباءنا على
امة اي على سنة وطريقة قال صاحب الكشاف وقرئ امة بكسر الهمزة كلتاهما من الام بمعنى القصد فالامة
الطريقة التي تؤم اي تقصد كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد ثم
بين ان تمسك الجهال بالتقليد امر مستمر من قديم الزمان فقال وكذلك ما ارسلنا من قبلك الآية اي كما قالوا
ذلك بالتقليد تمسك مترفو الامم السالفة ايضا بالتقليد اترفته النعمة اي اطغته والمراد بالمترفين الا
غنياء والرؤساء الذين اترفتهم النعمة واتباع الشهوات على الجد في تحصيل سعادة الآخرة وظهر بهذا ان حب
الدنيا وايثار لذاتها راس كل خطيئة **قوله** وهو حكاية امر ماض اوحي الى النذير يعني ان المامور بقوله
قل يجوز ان يكون النذير فيكون قل امرا ماضيا متعلقا بالنذر السالفة حكاه الله تعالى في القرآن على تقدير
فقلنا له قل كذا وكذا ويجوز ان يكون امرا حاليا متعلقا برسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول قراءة من
قرأ قال بدل قل اي قال النذير المرسل لمترفي قومه ويؤيده ايضا ما قالوا في جوابه انا بما ارسلتم به بلفظ الجمع
ولو كان الخطاب بقل لرسول الله عليه الصلوة والسلام لكان الظاهر ان يجيبوه بان قالوا انا بما ارسلت به فلما
بلغ المخاطب بقل ما امر به الى قومه حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا انا لا ننفك عن دين اباءنا وان جئتنا بما هو
اهدى فانا بما ارسلتم به كافرون وان كان هو اهدى مما كنا عليه فعند هذا انقطع طريق النصح والارشاد
ولم يبق الا الانتقام منهم فلهذا قال تعالى فانتقمنا الآية **قوله** وقرئ بريء وبراء وهما صفتان بمعنى واحد
مثل طويل وطوال اللذين هو بالغ في الطول وقراءة العامة بفتح الباء والف وهمزة بعد الراء وهو مصدر نعت
به للمبالغة او بتقدير ذو البراء **قوله** استثناء منقطع لان الفاطر تعالى غير داخل في قوله ما تعبدون لانهم

كانوا لا يعبدون الا الاصنام **قوله** او صفة اي ويجوز ان يكون الا صفة بمعنى غير كما في قوله تعالى لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا الا ان كلمة ما ح يكون نكرة موصوفة لا موصولة ولا مصدرية لان الا بمعنى غير لا يوصف
بها الا النكرة قال ابن الحاجب وغير صفة حملت على الا في الاستثناء كما حملت الا عليها في الصفة اذا كانت
تابعة لجمع منكور غير محصور لتعذر الاستثناء والفطر الخلق ابتداء من غير مثال من قولهم فطرت البئر اذا
انشأت حفرها من غير اصل سابق **قوله** سيثبتني على الهداية جواب عما يقال كيف قال سيهدين بسين
التسويف مع ان الانبياء مهديون لا محالة روي ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام قال ذلك لابيه وقومه
حين خرج من السرب وهو ابن سبع عشر سنة وراى اباه وقومه يعبدون الاصنام **قوله**
كلمة التوحيد وهي ما تكلم به من قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فان البراءة من كل معبود سوى
الله تعالى توحيد للمعبود بالحق بمنزلة ان يقال لا اله الا الذي فطرني يعني تعالى ان ابرهيم عليه الصلوة والسلام
جعل هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه اي في ذريته بان وصى بها بنيه ليدعوا الموحد منهم المشرك نسلا
بعد نسل الى التوحيد والملة الحنيفية ويرجع من اشرك منهم عن شركه بدعاء الموحد الى التوحيد
فكلمة لعل بمعنى لام كي ثم انه تعالى لما بين براءة ابرهيم عن التقليد وتمسكه بالدليل وانه دعا اباه وقومه الى التوحيد
ووصاهم بالملازمة على هذه الطريقة اضرب عن هذه القصة الى ذكر ما انعم به على اهل مكة وهم من عقبه
عليه الصلوة والسلام فقال بل متعت هؤلاء واباءهم وقرئ بل متعنا بفتح بل متعتهم بانفسهم واموالهم
وساير انواع النعم ولم اعاجلهم بعقوبة كفرهم حتى جاءهم الحق اي القرءان ورسول مبين اي الظاهر الرسالة
على ان يكون مبين من ابان بمعنى بان وظهر او مبين على ان يكون من ابان بمعنى اظهر وكان من حق هذا
الانعام ان يطيعوا الرسول ويجيبوه فلم يجيبوه وعصوا وهو قوله فلما جاءهم الحق يعني القرءان قالوا
هذا سحر الاية وقالوا احتقارا للرسول عليه الصلوة والسلام لولا انزل هذا القرءان على رجل من القريتين
كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اي من احدهما والقريتان مكة والطائف الوليد بن المغيرة من
مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف **قوله** اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية على ان الكون
المنوي في جعلها ضمير ذاته تعالى ويكون كلمة بل للاضراب عن الحكم بانه تعالى جعل تلك الكلمة باقية في عقبه كما حكم بذلك
اعترض على ذاته بطريق التجريد على منوال قول امرء القيس تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد فقال
بل متعت هؤلاء واباءهم بطول العمر وسعة الرزق وشغلهم ذلك عن استماع قول الناصح واراد بذلك
الاعتراض المبالغة في تعييرهم من حيث ان التمتع بزيادة النعم ينبغي ان يجعل سببا للشكر والتوحيد لا للشرك
واتخاذ الانداد ونظير هذا الاسلوب ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول انت
السبب في ذلك باحسانك اليه وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله ثم انهم لما احتقروه عليه الصلوة
والسلام ولم يعدوه لائقا بالمنصب النبوة بناء على قولهم منصب الرسالة منصب عظيم فلا يليق الا رجل عظيم وان

وان العظمة والشرف انما يكون بكثرة المال والجاه وهو عليه الصلوة والسلام ليس كذلك ابطل الله تعالى شبهتهم
هذه بان نزلهم منزلة من يدعي اختصاص قسمة رحمة الله تعالى به فانكر عليهم ذلك فقال اهم يقسمون رحمة ربك انكر
كونهم هم المتولين لقسمة النبوة حال عجزهم عن تدبير معيشتهم في الحيوة الدنيا والخويصة تصغير خاصة صغرها
اشارة الى حقارة تلك المعيشة وهي ما يعيشون به من منافع الدنيا واسبابها وهو يعم الحلال والحرام وجعل
المعيشة بهذا المعنى حاصلا لهم بقسمة الله تعالى اياها بينهم يقتضي ان يكون الحرام رزقا كالحلال كما ذهب اليه
اهل السنة وانه تعالى كما قسم الحرام ايضا لان منهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام وقد قال تعالى نحن
قسمنا ما يعيشون به وهو يقتضي ذلك وعند المعتزلة الحرام ليس برزق لان الرزق عندهم عبارة عن
الملك والحرام لا يكون ملكا فلا يكون رزقا وقالوا انه لا يكون ملكا لان الملك ما يكون للشخص فيه يد محقة يرفع بها
اليد المبطلة لغيره عينا كان او منفعة واليد انما تثبت باسباب شرعية عينها الله تعالى لثبوت الملك والا
ختصاص للمالك وهي غير متحققة في الحرام فلا يكون ملكا وما لا يكون ملكا لا يكون رزقا وفيه ان الرزق
لو وجب ان يكون ملكا لوجب ان لا يكون البهائم مرزوقة اذ لا يتصور لها الملك وقد قال تعالى وما من دابة الا على
الله رزقها **قوله** واوقعنا بينهم التفاوت في الرزق وغيره كالقوة والضعف والجهل والغنى والفقر لانا لو
سوينا بينهم في هذه الاحوال كلها لم يخدم احد احدا ولم يصر احد منهم مسخرا لغيره فيفسد به نظام الدنيا وخرب العالم
فاوقع الله تعالى بينهم التفاوت ليسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فينتفع الاغنياء بعمل الفقراء والفقراء
بنعمة الاغنياء وينتظم امر كل صنف منهم باخر **قوله** لحقارة الدنيا علة لقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن واشارة
الى ان الاية استيناف لبيان كون رحمته تعالى خيرا مما يجمعون قال الزجاج لما اعلم الله تعالى ان الاخرة احظ
من الدنيا بقوله ورحمة ربك خير مما يجمعون ذكر حقارة الدنيا وما فيها من المنافع الجسمانية بهذه الاية
قوله تعالى ومعارج عطف على سقفا والتقدير ومعارج من فضة لان الظاهر ان المعطوف يشارك المعطوف
عليه في قيوده وحذف لدلالة الاول عليه وكذا الكلام في الابواب والسرر وقوله عليها يتكئون عليها يظهرون
صفتان لما قبلهما يقال ظهر عليه اذا علاه قال فما اسطاعوا ان يظهروه اي يعلوه والمعرج آلة الصعود وهي
المرقاة والسلم **قوله** لبيوتهم بدل من لمن فيكون كل واحد من اللامين للاختصاص **قوله** او علة اي ويجوز
ان يكون اللام الثانية للعلة كما في قوله وهبت له ثوبا لقميصه اي لاجل ان يخيط قميصا قرأ ابن كثير وابو عمرو
سقفا بفتح السين وسكون القاف بالافراد على ارادة الجنس الذي هو في معنى الجمع او الاكتفاء بالواحد عن
الجمع لدلالة البيوت عليه فان قوله لبيوتهم يدل على ان لكل بيت سقفا على حدة والباقون من السبعة سقفا
بضمتين على الجمع كرهن في جمع رهن وقرئ سقفا بضمة وسكون على انه تخفيف سقف وقرئ سقوفا مثل
فلس وفلوس وسقفا بفتحتين وهو لغة في سقف بالفتح والسكون **قوله** وزينة او ذهبا يعني ان الزخرف
يجوز ان يكون بمعنى الزينة كما في قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فيكون معطوفا على قوله سقفا

والمعنى لجعلنا لهم اى لبيوتهم كذا وكذا وزينة عظيمة فى كل باب يزينون بها بيوتهم من الاوانى والفرش و
غيرها ويجوز ان تكون بمعنى الذهب فتكون معطوفا على محل من فضة والمعنى لجعلنا لبيوتهم سقفا من فضة وذهب
فنصب عطفا على محل من فضة ويجوز ان تكون منصوبا بجعل اى وجعلنا لهم اى ذهبا كثيرا او زينة عظيمة فى كل
باب وفى الصحاح الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه ومزور والمزخرف المزين ومعنى الآية لولا كراهة
لفعلنا بالكفار ما ذكرنا ولكنه تعالى لم يفعل ذلك لعلمه بان الغالب على الخلق حب العاجلة فان قيل حين ملئوا
سع على الكافر للفتنة التى ذكرها هلا وسع على المسلمين ليجتمع الناس على الاسلام اجيب بان التوسعة عليهم
مفسدة ايضا من حيث انه تؤدى الى ان يكون الدخول فى الاسلام لاجل توسعة الدنيا وذلك من دين المنافقين
فكانت الحكمة فيما دبره الله تعالى ثم انه تعالى اخبر ان جميع ما ذكر انما يتمتع به فى الدنيا ثم يزول عن قريب
فقال وان كل لما متاع الحيوة الدنيا اى وان الامر وان كل ذلك لمتاع الحيوة الدنيا على ان اللام فى لما
هى الفارقة بين ان المخففة من الثقيلة وبين النافية وما موصولة مؤكدة **قوله** وقرئ به اى وقرئ بالا
مكان لما على ان ان نافية وان كل ذلك الا متاع وقيل ايضا وما كل ذلك الا متاع **قوله** وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الآخرة
جميع ما ذكر من زينة الدنيا مما يتمتع به الانسان مدة قليلة ثم يزول ويذهب ثم حكم بان الجنة ونعيم الآخرة
للمتقين من الكفر والمعاصى لا للمشركين الذين الهاهم الاهتمام فى شهوات الدنيا عن السعى فيما يؤدى
الى سعادة الآخرة فنبه به ان عز الدنيا باطل زائل وان العظيم هو العظيم فى الآخرة لانه قد ضاع عنهم ما افنوا فيه
اعمارهم وقد حرموا عن سعادة الآخرة ايضا كلان المتقين وفيه استشعار بما لاجله لم يجعل ذلك الذى حكم
عليه بانه متاع الحيوة الدنيا للمؤمنين **قوله** وهو ان الذى لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين الآية اى ما ذكر من الدنيا
تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الآخرة مخل به ان حالهم فى الآخرة لما فيه اى فيما ذكر من الآفات والمصائب اشار بهذا
الكلام الى الجواب بحال من انه تعالى قد بين ان الدنيا وما فيها من انواع الزينة والشهوات لحقارتها عند الله تعالى لم يعطها
الا بالكفار كما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء ولولا
كراهة ان يجتمع الناس على الكفر اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لوسعنا على الكفار رجاء لا يكون اوسع منه لحقارة
حطام الدنيا عندنا فورد ان يقال اذا كان توسيع حطام الدنيا على الكفار سببا لاجتماع الناس على الكفر كان
توسيعه على المؤمن ايضا سببا لاجتماعهم على الايمان فلم لم يفعل ذلك فنزل قوله تعالى وان كل ذلك الآية للاشارة
الى الجواب كانه قيل كما لم يوسع على الكفار كراهة الفتنة كذلك لم يوسع على المؤمنين لان متاع الدنيا لقلته لا
يصلح ان يكون مقصودا لذاته مع انه مخل ومفوت لثواب الآخرة لما فيه من الآفات ومن جملتها انه لو وسع
عليهم لاحتجوا وآثروا الاخلال بالا لاجلها لا لله تعالى وطلبا لرضاه وابتغاء لما نصب من الادلة القطعية
ولا زادوا واحرصا وانهماكا فى الشهوات ولا ادى ذلك الى ان يقيض الله تعالى له شيطانا ويتبع الباطل
ويترك الحق فلذلك لم يفعل ذلك مجازاة له على ما اثر الباطل على الحق **قوله** يتعامى ويعرض عنه على قراءة يعشو بفتح الشين
وهى

وهى قراءة العامة من عشا يعشو بمعنى تعاشى اى نظر نظر العشى ولا آفة فى بصره واما ان كان فى بصره آفة مخلة
للرؤية يقال عشى يعشى كعمى يعمى وزنا ومعنى كما يقال عرج بالكسر اى صار اعرج اذا اصابته آفة فى رجله مخلة بالمشى
سويا وعرج بالفتح لمن مشى مشية العرجان وليست به آفة فتنتصب اعمى القراءة بفتح الشين ومن يعم عن
ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى ومعناها الصم ومن يتعام عن ذكره اى يعرض عنه الحق وهو يتعامى
اى يتجاهل ويتغافل كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم قال الشاعر متى تأته تعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد اى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصره من عظم الوقود واتساع الضوء
قوله وقرئ يعشو باثبات الواو على ان من موصولة عارية عن معنى الشرط ويتبنى على هذه القراءة نقيض
مرفوعا ولم تنقل هذه القراءة فدل ذلك على ان عدم سقوط الواو ليس مبنيا على كون من موصولة بل هى
شرطية كما فى القراءة الاخرى الا انه اجرى الفعل الناقص مجرى الصحيح فى ان يكون جزمه بحذف الحركة وقد حكى عن
الاخفش انه قال هى لغة بعض العرب **قوله** وجمع الضميرين وهما ضمير الشيطان هو المنصوب فى قوله
وانهم والمرفوع فى قوله ليصدونهم وضمير العاشى هو المنصوب فى قوله ليصدونهم والمعنى وان الشياطين
ليصدون العاشين عن السبيل اعتبر معنى من بعد اعتبار لفظه فى قوله ومن يعش ونقيض له شيطانا
وضمير يحسبون للعاشين اى ويحسب العاشون انهم مهتدون روى عن ابى بكر رضى الله عنه انه قال قال عليه
الصلوة والسلام عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب و
اهلكونى بالاستغفار فلما رأيت ذلك اهلكتهم بالاهواء وهم يحسبون انهم مهتدون وقطع المص بان
ضمير يقوله انهم مهتدون للشيطان والمعنى وهؤلاء الكفار العاشون يحسبون ان الشياطين مهتدون
فقوله الضماير الثلثة مبتداء وقوله الاول مبتدأ ثان وله خبر الثانى وضمير له راجع الى من والجملة خبر المبتدأ الاول
والتقدير منها له والباقيان منها للشيطان **قوله** اى ما انتم عليه من التمنى يعنى ان فاعل ينفعكم مضمر فيه راجع الى التمنى
المدلول عليه بقوله يا ليت بينى وبينك فقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل لعدم النفع بتقدير حرف التعليل
وقوله مشتركون بمعنى تستحقون الاشتراك فيه ليصح معنى التعليل اشار اليه المص بقوله لان حقكم ان تشتركوا
قوله بدل من اليوم متفرع على كون قوله تعالى اذ ظلمتم اذ صح وتبين انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا والا لما جاز كونه
بدلا منه لان المراد من اليوم يوم القيمة ووقت ظلمهم انفسهم هو وقت كونهم فى الدنيا فلبس احدهما عين
الآخر ولا بعضه ولا اشتمال بينهما وبدل الغلط لا يقع فى القرآن فلما كان تقدير الكلام لن ينفعكم وقت تبين ظلمكم
بحيث لم يبق لكم ولا لاحد غيركم شبهة فى انكم كنتم ظالمين صح كون الظرف الثانى بدلا من الاول لاتحادهما بالذات
وبقى هنا اشكال آخر وهو ان اليوم ظرف حالى واذ ظرف ماض فلا يتحدان ذاتا الا ان يقال جردت كلمة اذ هنا لمطلق
الزمان وايضا اليوم ظرف حالى وينفعكم للاستقبال لاقترانه بلن التى لنفى المستقبل فكيف يعمل الحدث المستقبل الذى
لم يقع بعد فى ظرف حاضر الا ان جردت كلمة لن هنا لمجرد النفى **قوله** ويجوز ان يسند الفعل اليه اى ويجوز ان تكون

[illegible]

فوقت تبين ظلمهم ومحنته انما هو فى يوم القيمة وان كان صدور الظلم منهم فى الدنيا فان اعتبر وقت التبين جزءا من يوم القيمة يكون
بدل البعض من الكل وان اعتبر عينه بناء على ان يوم القيمة كله زمان التبين يكون بدل الكل قال ابو البقاء اما اذ فمشكلة لانها ظرف زمان
ماض ولن ينفعكم واليوم المذكور ليس بماض قال ابن جنى فى مسألة راجعت ابا على فيها مرارا فآخر ما حصل منه ان الدنيا والآخرة
متصلتان وهما سواء فى حكم الله تعالى وعلمه فتكون اذ بدلا من اليوم حتى كانها مستقبلة او كان اليوم ماض وقال غيره الكلام محمول على المعنى
والمعنى ان ثبوت ظلمهم عندكم يكون يوم القيمة فكانه قال ولن ينفعكم اليوم اذ صح ظلمكم فهو بدل ايضا وهذا هو الذى عناه الناصح بقوله
اذ صح ظلمكم واذ بدل منه وهذا يرجع الى التأويل المذكور فى اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة وقال ابو البقاء وقال آخرون التقدير بعد اذ
ظلمتم فحذف المضاف للعلم به وقيل اذ بمعنى ان اى لان ظلمتم
ابن محمد

وقيل من يعرض عن ذكر الله
فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه نقيض
له شيطانا اى نخضه اليه ونسلطه عليه
فهو له قرين لا يفارقه يزين له العمى
ويخيل اليه انه المهتدى ملله

روى ان الكافر اذا بعث يوم
القيمة من قبره اخذ بيده شيطان
ولا يفارقه حتى يصيرهما الله تعالى
الى النار فذلك حيث قال يا ليت
بينى وبينك بعد المشرقين
ملله

قوله تعالى انكم في العذاب مشتركون في محل الرفع على انه فاعل لن ينفعكم كونكم مشتركين في العذاب كما يقتضيه قوله
البليغة اذا عمت خفت والاعيا جمع عيي بالكسر وهو الحمل الثقيل قوله وهو يفوت الاول اي تقدير ان يكون
فاعل لن ينفعكم ضمير التمني ويكون قوله انكم مشتركون تعليلا كما هو كذلك على قراءة انكم بالكسر لان ان يقتضي صدر الكلام
فيمتنع ان يكون مع ما في حيزه فاعلا لما قبله ثم انه تعالى ذكر انه لا تنفع الدعوة والوعظ لمن سبقت له الشقاوة
من الله تعالى فقال افانت تسمع الصم الاية الا ان قول المص انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم يفهم
منه انه تعالى نزله عليه الصلوة والسلام منزلة من يقول انا اسمع الصم واهدي العمي مريدا به تخصيص القدرة
عليها به عليه الصلوة والسلام بناء على ان تقديم المسند اليه في مثل انا سعيت في حاجتك للقصر والتخصيص
ردا على من زعم انفراد غيره بالخبر او مشاركة الغير له فيه على انه قصر قلب او قصر افراد ثم انه تعالى عجب
من تخصيصه القدرة على ذلك به وانكر عليه بقوله افانت تسمع الصم الاية وهذا المعنى غير ملايم بالمقام وسوق الاية
بل الظاهر انه تعالى نزله منزلة من يدعي انه قادر على ذلك لاصراره على دعائهم مع تمرنهم على الكفر قائلا انا اسمع
واهدي على قصد تقوي الحكم لا على قصد التخصيص فعجب تعالى من ادعاء ذلك وانكر عليه فالوجه على هذا ان يقول
من ان يكون قادرا عليه من غير توسيط ضمير الفصل وتعريف الخبر في قوله من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم
لان ما اختاره من التعبير يفيد كون المخاطب ممن يدعي اختصاص الخبرية قوله وفيه اشعار بان الموجب
لذلك اي وفي عطف قوله ومن كان في ضلال مبين على العمي اشعار بان الموجب للصم والعمي المدلول عليهما
بلفظي الصم والعمي فانه تعالى لما وصفهم في الاية المتقدمة بالعشى واصله النظر ببصر ضعيف وصفهم في هذه الاية
بالصمم والعمى وما احسن هذا الترتيب فان الانسان في اشتغاله بطلب الدنيا وميله الى الحظوظ
الجسمانية كمن بعينه رمد ضعيف ثم انه كلما ازداد اشتغاله بها واشتد اعراضه عن الفضائل الروحانية
ازداد رمده فينتقل الى ان يصير اعشى ومن كونه اعشى الى كونه اعمى فالقوم بالقوا بسبب تصميمهم على الكفر
وثباتهم على الغي والنفرة عن قبول الحق الى حيث كانوا اذا تلي عليهم القران كانوا كالصم واذا ظهر المعجزات
عليهم كانوا كالعمي فلذلك شبهوا بالصم والعمي واشير الى ان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى ثم انه تعالى سلى
رسوله عليه الصلوة والسلام وطيب قلبه فقال فاما نذهبن بك قوله بمنزلة لام القسم في استجلاب النون
فقد اشتهر بين النحاة ان نون التاكيد لا تدخل الا على مستقبل فيه معنى الطلب كالامر والنهي والاستفهام و
التمني والعرض واما المستقبل الذي هو خبر محض فلا تدخل عليه نون التاكيد الا بعد ان تدخل على اول الفعل
ما يدل على التاكيد كلام القسم نحو والله لاقومن وما المزيدة على حرف الشرط لتاكيد معنى الشرطية والتعليق
نحو فاما نذهبن بك فيكون ما دخل على اوله توطئة وابتدا لما دخل اخره وهو نون التاكيد وهو معنى كونهما مستجلبين لها و
مقتضيين اياها ثم انه تعالى لما بين انه لا ينفع اجتهاده في دعوة قومه الصم العمي وانهم لا يرجعون عما هم عليه
من الضلال المبين وانهم قد استحقوا العذاب الاليم بين ان احد الامرين متعين اما ان انصر له عليهم في

تعليل انكم في العذاب مشتركون لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا يعني لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم في تحمل اعبائها و تقسمهم لعنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل يعني ان يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كثيرا و قولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار ونظائرها لتتشفوا بذلك الخ

في الدنيا واشفى به صدور المؤمنين او انتقم منهم في الاخرة اشد الانتقام ثم قال اذا علمت هذا فاعرض عنهم
واشتغل بما يهمك وهو التمسك بالقران الكريم لانك على صراط مستقيم ولما بين ان التمسك به صراط مستقيم موصل
الى منافع الدين بين ايضا تاثيره في منافع الدنيا فقال وانه لذكر لك ولقومك اي وان القران لشرف لك ولقومك
من قريش حيث يقال ان هذا الكتاب العظيم انزله الله تعالى على رجل منهم وقال مجاهد القوم هم العرب فالقران
لهم شرف حيث انزله الله تعالى بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون قريش وبنو هاشم
وبنو عبد المطلب اكثر حظا قوله واسال امهم لما كان سوال من مضى قبله عليه الصلوة والسلام من الانبيا ممتنعا
احتيج الى تقدير المضاف وقيل لا حاجة الى تقدير المضاف بناء على ما روي عن ابن عباس رض قال انه عليه الصلوة
والسلام لما اسري به المسجد الاقصى جمع له ادم وجميع المرسلين من ولده فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد تقدم
فصل بهم فصلى بهم فلما فرغ رسول الله من الصلوة قال له جبريل يا محمد واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية فقال عليه الصلوة والسلام لا اسال لاني لست شاكا فيه وعن عائشة رض قالت لما نزلت هذه الاية
قال عليه الصلوة والسلام ما انا بالذي اشك وما انا بالذي اسأل وانما لم يسال مع كونه مامورا بالسوال لانه عليه
الصلوة والسلام علم ان الامر ليس لايجاب السوال عليه بدلالة ان السوال يكون لدفع الالتباس ولم يكن عليه
الصلوة والسلام شك في ذلك فعلم بذلك ان المراد التقرير لمشركي قريش ونحوهم انه لم يات رسول ولا كتاب
بعبادة غير الله تعالى قوله فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب عليه لقوله فيكذب ويعادي له فان التوحيد لما
كان امرا متفقا عليه بين كل الانبياء والرسل وجب ان لا يكذب ولا يعادى لاجله فان امر التوحيد هو
معظم ما جعلوه سببا لبغضه عليه الصلوة والسلام ومخالفته قوله يريد باقتصاصها ليس المقصود
من ذكر هذه القصة بيان نفسها بل المقصود تسليته عليه الصلوة والسلام بان فرعون مع بلوغه في عز
الدنيا الى غاية الكمال لما صار مقهورا باعدائه يكون الامر في حق اعدائك هكذا ومناقضة معتقدهم القائلة
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم فانهم ارادوا بها القدح في نبوته عليه الصلوة والسلام فبين
الله تعالى بايراد هذه القصة ان موسى عليه الصلوة والسلام بعدما اورد هذه المعجزات الباهرة التي لا
شك في صحتها عامل اورد فرعون عليه ما قاله كفار قريش في حقه عليه الصلوة والسلام في انه رجل عديم
المال والجاه فكيف يكون رسولا من عند الملك العظيم الشان فقال اني عظيم القدر كثير المال والجاه الا ترون
انه حصل لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي واما موسى فانه فقير مهين وليس له بيان ولسان فكيف يكون رسولا
من عند الله الملك العظيم الكبير فثبت ان الشبهة التي ذكرها كفار مكة وهي قولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم قد اوردها بعينها فرعون على موسى ثم ان تلك الشبهة لم تقدح في نبوة موسى عليه الصلوة
والسلام حيث بلغ رسالة ربه فلم يقبلوا فانتقم الله منهم فاغرقهم اجمعين فلو كان في هذه الشبهة ما يدل
على قدح امر النبوة لنفعت فرعون في زعمه واذ لم تنفع له ثبت بطلانها فهذا وجه كون ذكر قصة موسى و

دفوعون مناقضة وابطالا للشبهة كفار قريش قوله فاجاؤا وقت ضحكهم منها لما ورد ان يقال ان كلمة لما لابد لها من عامل فيها اجوابها وقد اجيب عنها في الآية الكريمة باذا المفاجأة وهى لا يعمل وكذا ما بعدها لا يعمل فيما قبلها فما العامل في لما اشار الى جوابه بتقدير فعل المفاجأة وجعله عاملا يعمل النصب في محل اذا على انه مفعول به وفي محل لما على انه ظرف هذا حاصل ما ذكره الزمخشري سوالا وجوابا الا ان جعل اذا الفجائية منصوبة المحل

مطلب اذا الفجائية

بالفعل المقدر غير منقول عن النحويين فان المنقول عنهم في اذا الفجائية ثلثة مذاهب وهى اما انها حرف فلا يحتاج الى عامل او ظرف مكان او ظرف زمان وعلى التقديرين لا يكون معمولا للفعل المفاجاة مقدرا لانه ان ذكر بعدها الكلام الواقع بعدها خبر كانت منصوبة على الظرف والعامل فيها ذلك الخبر نحو خرجت فاذا زيد قائم تقديره خرجت ففي المكان الذي خرجت فيه زيد قائم او ففي الوقت الذي خرجت فيه زيد قائم وان لم يذكر بعد الاسم خبر او ذكر اسم منصوب على الحال فان كان الاسم جثة وقلنا انها ظرف مكان كان الامر واضحا نحو خرجت فاذا الاسد اي فبالحضرة الاسد اذ لا خفاء في صحة كون ظرف المكان خبرا عن الجثة وكذا قولك خرجت فاذا الاسد صائلا وان قلنا انها ظرف زمان كان الكلام على حذف مضاف لئلا يخبر بالزمان عن الجثة نحو خرجت فاذا الاسد اي ففي الزمان حضور الاسد وان كان الاسم حدثا جاز ان يكون اذا ظرف زمان وظرف مكان ولا حاجة الى تقدير مضاف نحو خرجت فاذا القتال اشتد فقدرت فبالحضرة القتال او ففي الزمان القتال لصحة كون كل واحد من ظرفي المكان والزمان خبرا عن الحدث قوله اذاهم منها يضحكون قيل انه عليه الصلوة والسلام لما القى عصاه فصارت ثعبانا ثم اخذها فصارت عصى كما كانت ضحكوا ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا واستهزؤا من غير ان يتأملوا قوله الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز اشارة الى دفع ما يقال من ان كون كل واحدة من تلك الايات اكبر من اختها يستلزم ان يكون كل واحدة منها فاضلة على اختها ومفضولة عنها في حالة واحدة وهو تناقض باطل وتقرير الجواب انه ليس المراد ظاهر ما يفهم من الكلام بل المراد المبالغة في كون كل واحدة منها بالغة الى اقصى درجات الاعجاز بحيث اذا ظهرت آية واحدة منها اي آية كانت يحسب الناظر انها اكبر من كل آية تقاس هى اليها والمراد به وصف الكل بالكبر لان كل واحدة منها اذا كانت بحيث يقول الناظر في حقها انها اكبر من اختها مطلقا اي من كل ما يقاس هى اليه من الايات اي آية كانت لا جرم يكون الكل متماثلة في هذا المعنى فقوله الا هى اكبر من اختها اي في زعم الناظر ورأيه قوله او الا وهى مختصة الخ عطف على قوله وهى بالغة وجواب ثان عن سوال التناقض وتقريره انه انما يلزم التناقض ان لو كان المعنى كل واحدة منها اكبر من البواقي مطلقا اي من جميع الوجوه وليس كذلك بل المعنى ان كل واحدة منها اكبر من البواقي باعتبار الجهة التي تميزت هى عن البواقي بتلك الجهة قوله كالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس بعد العصى واليد البيضاء فانهم عذبوا بهذه الايات فكانت عذابا لهم وايات عظاما لموسى عليه الصلوة والسلام عذبهم الله تعالى بها لعلهم يرجعون عما كانوا عليه من الشرك او يتوبون قوله على وجه يرجى رجوعهم يعني ان كلمة لعل استعارة

استعارة تمثيلية شبه الله تعالى معاملته معهم بمعاملة من يرجو ويتوقع رجوعهم وجعلها الزمخشري استعارة لمعنى الارادة وفرع عليه كلاما مبنيا على مذهبه قوله نادوه بذلك في تلك الحال ان في حال تضرعهم لموسى بقولهم ادع لنا اي لاجلنا ربك مع ان مقام التعظيم ينافي النداء بالساحر فان السحر مباين للمعجزة فلا يكون دليلا على النبوة بل منافيا لها ويحتمل ان يكون النداء به بمعنى يا ايها العالم الحاذق بناء على ان يكون السحر عندهم فضيلة عظيمة يعظمونه بذلك النداء قوله بعهده عندك ذكر في الاية اربعة اوجه وكلمة ما في الثلثة الاول منها مصدرية وفي الرابع موصولة وفسر العهد اولا بالنبوة فانها تسمى بعهد الله تعالى وثانيا بوعد الله تعالى اياه عليه الصلوة والسلام باستجابة دعائه وثالثا بوعده لك اياه عليه الصلوة والسلام بكشف العذاب عمن اهتدى وتاب ورابعا بالتوصية من قولهم عهد اليه بكذا اي وصاه به واخذ عهده فيه على ان يفعل والباء في جميع الوجوه للسببية اي ادع الله تعالى لنا بسبب عهده الذي عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او بالذي عهد اليك ووصاك به من الايمان والطاعة اللتين انت بهما وفاء للعهد والاظهر انها في الوجه الاول والرابع للقسم اي ادع الله لنا بحق ما عندك من النبوة او بحق الايمان والطاعة اللتين عندك وفي الوجه الثاني والثالث للسببية قوله فوفيت به لعله ماخوذ من قوله عندك اذ لا سبك فان اصل العهد بمعنى التوصية ان يتعدى بالى الا انها اورد بدلها لفظ عندك اشعارا بان تلك التوصية مرعية محفوظة عنده لا مضيعة ملغاة قوله بشرط ان تدعو لنا كانه جواب عما يقال كيف قالوا انا لمهتدون مع ان تسميتهم اياه بالساحر تكذيب له بمنزلة ان يقال علمنا بالسحر لا بالمعجزة فلست نبيا وتقرير الجواب ظاهر قوله فاجاؤا نكث عهدهم الظاهر على قياس ما ذكره في قوله تعالى اذا هم منها يضحكون ان يقال فاجاؤا وقت نكث العهد على ان يكون الفعل المقدر عاملا في لما ينصبه على الظرفية وفي اذا ينصبه على انه مفعول به الا انه اكتفى بذكر ما يدل على خلاصة المعنى قوله انهار النيل اي الانهار التي فصلوها من النيل وطولون اسم رجل وتنيس بفتح التاء وتشديد النون وحاصل كلامه انه احتج بكثرة امواله وقوة جاهه على فضيلة نفسه وعدم استحقاق موسى عليه الصلوة والسلام للرياسة قوله تحت قصري الخ لما لم يمكن ان يكون النهر بنفسه تحت الشخص احتيج الى تقدير شيء يكون النهر تحته و يكون تحت الشخص ايضا بواسطة كون ذلك الشيء تحت الشخص كالقصر او معنى كالامر ويقال لما يبين يدي الشخص انه تحت الشخص لكونه في مكان اسفل من مكان الشخص والرتة بضم الراء وتشديد التاء العقدة الحاصلة في اللسان بحيث تمنع سلامة التكلم والجريان فيه فان قيل اليس ان موسى عليه الصلوة والسلام سأل الله تعالى ان يزيل الرتة عن لسانه بقوله احلل عقدة من لساني يفقهوا قولي فاعطاه الله تعالى ذلك حيث قال قد اوتيت سؤلك يا موسى فكيف عابه فرعون بتلك الرتة قلنا لم تزل الرتة فكان عليه الصلوة والسلام في غاية طلاقة اللسان وكمال البيان حال مخاطبته مع فرعون وملائه وانما عابه فرعون بما كان عرفه به في الابتداء فان موسى مكث عند فرعون زمانا طويلا وكان عليه الصلوة والسلام في لسانه حبسة فوصفه فرعون بما عهده

علیه تمویها علی الضعفة بما کانوا علموا منه قبل ذلک قوله وام اما منقطعة فتقدر ببل والهمزة حمل قومه اولا علی
ان یقروا بسعة ملکه وکثرة اسباب عزه وشوکته ثم اضرب عنه وحملهم علی الاقرار بکونه خیرا من موسی
بناء علی ما قدم من ذکر اسباب فضله وزعم انه علیه الصلوة والسلام ضعیف حقیر ومنصب النبوة ینبغی الحذو
والاخس لا یکون مخدوما للاشرف فکیف یصلح لان یکون رسولا مع عدم استحقاقه فی نفسه للریاسة لحقارته و
قیل انها متصلة حذف معادلها واقیم ما هو المسبب عنه مقامه والاصل افلا تبصرون ام تبصرون وضع ام انا خیر
منه موضع ام تبصرون لکون علمهم بانه خیر منه مسببا عن الابصار قوله مقالید الملک ای مبادیه واسبابه
المتقدمة علیه بحیث یکون بمنزلة المفاتیح له فان عادة القوم فی اذا جعلوا واحدا منهم رئیسا لهم سوروه
بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب فاحتج فرعون علی عدم رسالته بانعدام هذا الامر فی حقه
قراءة العامة فلولا التی علی بناء المفعول وقرئ فی الشواذ التی علی بناء الفاعل ای الله ملک فیکون اسورة منصوبا
علی المفعولیة وقرأ حفص اسورة علی انه جمع سوار کاحمرة فی جمع حمار وهو جمع قلة والباقون اساورة
علی انه جمع اسوار کاعاصیر جمع اعصار واصل اساورة اساویر بالیاء فعوض هاء التانیث منها بعد حذفها کما
فی بطارقة وزنادقة اصلها بطاریق وزنادیق جمع بطریق وزندیق وقیل بل هی جمع اسورة فهی جمع الجمع لا
جمع اسوار وقرئ ایضا اساویر بالیاء واساور بدون الیاء والتاء قوله مقترنین ای یقترنون به
منضمین الیه یعینونه علی امر النبوة او یشهدون له بصدقه قوله او متتابعین علی ان المراد اقتران بعضهم
بعضا لا اقترانهم بموسی وهو کنایة عن کثرتهم واجتماعهم لانه ام فی الاعتضاد من التفرق ومحصول کلامه
انه علیه الصلوة والسلام لو کان رسولا اصطفاه علی عباده لطوقه وسوره بطوق وسوار من ذهب وشیعه
بمن عنده من الملائکة کما هو عادة السلاطین اذا جعلوا واحدا من خواصهم رئیسا للقوم ولیس عند موسی شیء
من ذلک فکیف یکون نبیا قوله فطلب منهم الخفة یعنی ان سین استخف اما للطلب او للوجدان ای وجدهم
جهالا عدیم العقل یغترون بالتلبیسات الباطلة حیث اغتروا بقول الیس لی ملک مصر الخ قوله قدوة لمن بعد
هم السلف سواء کان مصدرا بمعنی المضی والتقدم من قولک سلف یسلف سلفا مثل طلب یطلب طلبا ووصف به
الاعیان للمبالغة او جمع سالف کحرس وحارس لا یتعدی باللام وقد عدی بها فی الایة علی طریق التاویل
فلذلک فسر بالقدوة بمجاز الان المتقدمین یلزمهم ان یکونوا قدوة لمن بعدهم غالبا ذکر القراءة سلفا بضمتین
ثلثة اوجه الاول ان یکون جمع سلیف بمعنی الفریق المتقدم کرغیف ورغف وکثیب وکثب والثانی ان یکون جمع
سالف بمعنی المتقدم کصابر وصبر والثالث ان یکون جمع سلف بفتحتین کخشب وخشب قوله وقرئ سلفا
بضم السین وفتح اللام وذکر لها وجهین الاول ان یکون اصله سلفا بضمتین ابدلت ضمة اللام فتحة کراهة
اجتماع الضمتین والثانی ان یکون جمع سلفة کغرفة وغرف والسلفة الفرقة السالفة فمعنی قوله تعالی
فجعلناهم سلفا جعلناهم ثلثة سلفت ای جماعة مضت فان الثلة بالضم هی الجماعة من الناس قوله

قوله وعظة لهم لیتعظوا به یجترؤا علی اتیان مثل افعالهم من الاصرار علی مخالفة الرسول واتباع الهوی فعلی
هذا یکون المثل بمعنی الشبه والعبرة التی هی مثال یعتبر به ویستدل بتشابه الفعلین علی تشابه الجزائین وهو معنی
کونهم عظة لمن بعدهم فانهم یشبهون حالهم بحال قوم فرعون اذا اقاموا علی العصیان فیخافون ان یعا
قبوا بمثل عقابهم قوله او قصة عجیبة علی ان یکون لفظ المثل مستعارا لها من معناه العرفی وهو القول السائر
الممثل مضربه بمورده والمثل لما کان مصدرا فی الاصل جاز اطلاقه علی الواحد والجماعة والمذکر والمؤنث قوله
ای ضربه ابن الزبعری وجعله شبها للاصنام من حیث ان النصاری جعلوه الها وعبدوه من دون الله وانت
تزعم ان آلهتنا لیست خیرا من عیسی علیه الصلوة والسلام فاذا کان هو من حصب جهنم کان امر آلهتنا اهون
قال اکثر المفسرین لما قرأ النبی صلی الله علیه وسلم علی قریش قوله تعالی انکم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
امتعضوا وغضبوا من ذلک امتعاضا شدیدا فقال عبد الله بن الزبعری یا محمد خاصة لنا ولآلهتنا ام لجمیع
الامم فقال علیه الصلوة والسلام هو لکم ولآلهتکم ولجمیع الامم فقال خصمتک ورب الکعبة الست تزعم ان عیسی
بن مریم نبی وتثنی علیه خیرا وعلی امه وقد علمت ان النصاری یعبدونهما وعزیر یعبد والملائکة یعبدون فان
کان هؤلاء فی النار فقد رضینا ان نکون نحن وآلهتنا معهم فلما ضربه ابن الزبعری مثلا وجادل رسول الله
بعبادة النصاری ایاه فرح المشرکون من هذا المثل وضحکوا وسکت رسول الله صلی الله علیه وسلم توقرا عن مجازاة
السفهاء فانزل الله تعالی جوابا لهم ان الذین سبقت لهم منا الحسنی اولئک عنها مبعدون ونزلت هذه الآیة
فالمثل علی هذا التفسیر بمعناه اللغوی وقال شرف الدین الطیبی المثل علی قول ابن الزبعری قوله فلو کان
هؤلاء یعنی المسیح وعزیر والملائکة فی النار فقد رضینا ان نکون نحن وآلهتنا معهم وانما سمی مثلا لما فیه من الغرابة
من بعض الوجوه ولذلک فرح به المشرکون وضحکوا وسکت النبی علیه الصلوة والسلام انتهی کلامه جعل
المثل مستعارا للامر الغریب والقول العجیب الوارد فی حق عیسی تشبیها له بالقول السائر فی الغرابة وجعل
ضربه عبارة عن التکلم به فی حقه قوله او غیره عطف علی ابن الزبعری ای او ضربه غیر ابن الزبعری و
اراد به بنی ملیح وهم الذین قالوا الملائکة بنات الله وعبدوهم ثم حکی ما قالوه فقال بان قال ای غیر ابن الزبعری
فانهم قالوا ان النصاری ضربوا المسیح مثلا للملائکة وعبدوه وزعموا انه ابن الله والملائکة اولی بذلک
علی قوله واسال فی محل النصب علی انه حال من فاعل قال ای غیر ابن الزبعری ذلک معترضا به علی
قوله تعالی واسال من ارسلنا من قبلک من رسلنا فلما سمع المشرکون ما قاله بنو ملیح ورأوا انه علیه الصلوة
والسلام سکت ولم یجب توقرا عن مجازاة السفهاء فرحوا وظنوا انه علیه الصلوة والسلام صار ملزوما
به قوله والملائکة اولی بذلک بان یعبدوا وینسبوا الیه تعالی بالجزئیة فکما ان النصاری یعبدون المسیح و
الیهود یعبدون عزیرا فکذا بنو ملیح یعبدون الملائکة ویجعلونهم بنات الله تعالی اولی بذلک من المسیح وعزیر
معترضا علی قوله تعالی واسال من ارسلنا من قبلک من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة یعبدون بان قال

هذا تفسیر من اراد المصنف علی ان یکون قوله علی قوله واسال الخ یدرون الواو
علی ما علیه بعض النسخ وفی بعض النسخ
النسخ وعلی قوله بالواو وتوجیهه لا
یخلو عن تکلف
منه

لكن يصح انكار وقوع عبادة الله تع في ملة من ملل الرسل المتقدمين مع ان بعض اهل الكتاب وهم النصارى
يعبدون عيسى عليه الصلوة والسلام ويقولون انه ابن الله ونحن افضل منهم قولا وفعلا لانهم عبدوا البشر
وجعلوه ابن الله تع ونحن نعبد الملائكة المقربين الروحانيين ونقول انهم بنات الله تع على ان يكون ضا
رب المثل من المشركين الذين يعبدون الملائكة وهم بنو مليح جعلوا المسيح مثلا وشبها للملائكة في كونه معبودا من
دون الرحمن ويحتمل ان يكون المثل مستعارا من المثل السائر لغرابتهم العجيب في حق عيسى ويكون صدودهم و
ضجيجهم سرورا منهم بوجود من يوافقهم في عبادة غير الله تع **قوله** اي ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد عيسى المسيح
معطوف على قوله النصارى يعني ان بعض المفسرين ذكروا في تاويل الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حكى ان
النصارى عبدوا المسيح وجعلوه آلها لانفسهم قال كفار مكة ان محمدا يريد ان نجعله لنا الها كما جعل النصارى
المسيح الها لانفسهم ثم عند هذا قالوا آلهتنا خير ام هو وذكروا ذلك لاجل انهم قالوا ان محمدا يدعونا
الى عبادة نفسه وآباؤنا زعموا انه يجب عبادة هذه الاصنام واذا كان لا بد من احد هذين الامرين
فعبادة هذه الاصنام اولى لان اباءنا واسلافنا كانوا منطابقين عليه واما محمد فانه متهم في امرنا
بعبادة نفسه فكان الاشتغال بعبادة الاصنام اولى وقيل لما نزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قالوا ما يريد محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان يعبد مع
كونه بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر جعلوا عيسى شبها لمحمد عليهما الصلوة والسلام في كونه
بشرا يتوهم كونه مستحقا للعبادة وعلى هذا معنى يصدون يضجون بفتح الياء ويضجرون والضمير في ام
هو لمحمد عليه الصلوة والسلام يقال اضج القوم اضجاجا اذا جلبوا وصاحوا واذا جزعوا من شيء وغلبوا
قيل ضجوا يضجون ضجيجا كذا في الصحاح فعلى هذا قوله يضجون فرحا ينبغي ان يكون بضم الباء من باب الا
فعال فلما رأى المشركون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت ولم يجب ابن الزبعرى يصدوا ورفعوا
اصواتهم فرحا وظنا انه عليه الصلوة والسلام صار ملزما بجداله على ما جرت العادة به من ان احد الخصمين
اذا انقطعت حجته وصار مغلوبا اظهر الخصم الآخر الفرح والضجيج **قوله** وقيل هما لغتان في الصحاح
صد يصد ويصد صديدا اي ضج وصاح **قوله** اي الهتنا خير عندك لما اختلفوا في ابن مريم من ضرب
مثلا فقيل انه جعل مثلا للاصنام وقيل للملائكة وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذكر لقوله تع الهتنا خير
ام هو وجوها ثلثة مرتبة على ترتيب اللف وجعل ضمير ام هو على الوجهين الاولين لعيسى وفي الوجه
الاخير لمحمد عليهما الصلوة والسلام وازنوا بينه عليه الصلوة والسلام وبين آلهتهم استهزاء لا تميزا
للحق من الباطل **قوله** ما ضربوا المثل الا لاجل الجدل والغلبة في القول يعني ان انتصاب جدلا على انه
مفعول له للضرب وقيل هو مصدر في موضع الحال اي الا مجادلين مخاصمين بالباطل لا مميزين بين
الحق والباطل وكونه لاجل الجدل اما على الوجه الاول فلانهم قد علموا ان المراد بقوله تع وما تعبدون
هو

هو الاصنام بشهادة المقام لانهم لا يعبدون الاصنام وكذا قوله عليه الصلوة والسلام هو لكم ولآلهتكم
ولجميع الامم اذ المراد بجميع الامم الامم الذين عباد الاصنام الا ان ابن الزبعرى لخبثه وخداعه لما رأى
كلام الله تع وكلام رسوله يتناول العقلاء وغيرهم بحسب الظاهر مع علمه بان المراد منه الاصنام
انتهز الفرصة وجادل بالباطل فصرف معناه الى الشمول والتناول لكل معبود سوى الله تع وتوقح
في ذلك فتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اجاب عنه ربه بقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على
ان الاية خاصة في الاصنام وعبادهم على ان ظاهر قوله تع ما تعبدون لغير العقلاء لقرينة تخصيص
حال المخاطبين وشهادة المقام واما على الثاني فلان المشركين يعلمون ان عبادة النصارى المسيح
لم يكن بحكم الله تع وانما تمسكوا في كونها بحكم الله تع بكونهم اهل الكتاب ولا يلزم ان يكون جميع ما يفعله اهل
الكتاب موافقا للكتاب فان النصارى انما عبدوه زاعمين ان الولد لا بد له من اب ولما لم يكن له اب من
البشر علمنا انه ابن الله وانه يستحق لان يعبد ومن المعلوم ان التولد من غير اب من البشر لا يقتضي
كون الولد ابن الله تع كآدم وحواء واما على الثالث فظاهر لان شيئا من افعال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واقواله لا يوهم كونه داعيا الى عبادة نفسه فكيف يقولون ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح
قوله وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة سواء وردت على قوله تع وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم بان المسيح قد عبد مع انه ليس من اهل النار او على قوله تع واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون او اوردت بان يقال انه عليه الصلوة والسلام يريد ان نعبده
كما عبد المسيح فان معنى قوله تع ان هو الا عبد كسائر العبيد فلا يستحق ان يعبد من انا اصطفيناه وانعمنا
عليه بالنبوة وبعثناه يدعو الناس الى توحيد الله تع وطاعته فكيف يصح له ان يدعو الناس الى عبادة
نفسه وان يكون من اهل النار من عبده فانما يعبد من سول له عبادته ولا يعبده حتى يقال انه قد
عبد فينتقض الاثبات وان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح ومن جملة ما انعمنا عليه انا جعلناه مثلا
اي عبرة عجيبة واية بديعة كالمثل السائر لبني اسرائيل يعرفون به قدرة الله تع على ما يريد حيث
خلقناه من غير اب وبين ثم مثل لهم بشيء هو شابه من عجائب صنع الله تع فلا ينكرونه ثم خاطب كفار
مكة فقال ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة اي ولو نشاء لولدنا منكم يا رجال مكة ملائكة كما ولدنا عيسى من غير اب
او لو نشاء اهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الارض يكونون خلفاء منكم كما يخلفكم اولادكم فان كلمة
من قد تكون للبدل تقول اخذت هذا من ثوبك اي بدلا منه فقوله تع ولو نشاء مرتبط بقوله ولو جعلناه
مثلا او امرا عجيبا اي ولو نشاء لجعلنا منكم عبرة اعجب من خلق عيسى من غير اب دلالة على قدرتنا على عجائب
الامور وتخصيص الملائكة بالتصرف العجيب للاشعار بالرد على من يزعم ان لهم استحقاق الالوهية والعبادة
وانهم بنات الله عز وجل ووجه الاشعار انهم على تقدير ان يخلقوا بالتولد لا يتولدون الا من الاجسام لانهم

حتى انهما يدخل في قوله انكم وما تعبدون من دون الله
صح

اجسام والجسم لا يتولد الا من الجسم فما يكون جسما متولدا من جسم كيف يستحق الالوهية والانتساب الى
الله تعالى **قوله** لان حدوثه او نزوله الى اشارة الى ان المعنى وان حدوثه ونزوله سبب للعلم بدنو الساعة بتقدير
المضاف في الموضعين ان كان المقدر او لا الحدوث او النزول فانهما سببان للعلم بدنو الساعة لا انفسهما وان كان
المقدر او لا الاحياء لا يحتاج الى تقدير المضاف الآخر لان احياء الموتى لا يدل على دنو الساعة بل يدل على نفسها
قراء العامة لعلم بكسر العين وسكون اللام سمى المضاف المقدر علما للمبالغة لكونه سببا للعلم بها او بدنوها
الثنية الطريق في الجبل **قوله** ثم يقتل الخنازير الظاهر انه كناية عن منع الانتفاع بجميع ما هو محرم في شرع
بعثنا واجراء جميع احكام هذه الشريعة في جميع الايام بقتل من خالفها **قوله** الا من آمن به اي بمحمد عليه الصلوة
والسلام قال صلى الله عليه وسلم ليوشكن به ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام **قوله** واتبعوا هداي وشرعي احتيج الى تقدير ما يضاف الى ياء
المتكلم على ان يكون قوله واتبعون قول الله تعالى لان اتباع ذات الله تعالى مما لا يتصور بخلاف ما اذا كان قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يؤمر بان يقول اي قل فاتبعون فلا يحتاج الى تقدير شيء قبل المنصوب بقوله
اتبعون اي وهذا هو المعنى سواء كان القائل هو الله تعالى او رسوله وان جعل ضميره انه للقران يجوز ان يكون هذا اشارة
اليه ايضا **قوله** ولابين اللام فيه متعلق بمحذوف اي وجئتكم بها لابين لكم يعني اولا ما جاءهم به ثم بين ما
لاجله جاءهم ولما ورد ان يقال هلا بين كل الذي يختلفون اشار الى جوابه بقوله وهو ما يكون من امر الدين
قوله الفرق المتحزبة يقال حزب قومه فتحزبوا اي جعلهم احزابا اي فرقا وطوائف فكانوا كذلك كالنصارى فانهم
اختلفوا في امر عيسى عليه الصلوة والسلام وصاروا بعده طوائف ثلثا منهم النسطورية وهم قالوا المسيح ابن
الله ومنهم اليعقوبية وهم قالوا ان الله هو المسيح ومنهم الملكانية وهم قالوا ان الله ثالث ثلثة المسيح وامه
والله فعلى هذا ضمير من بينهم للنصارى فقط من جملة بني اسرائيل لان كل حزب من هذه الفرق الثلث انما هو
من جملة النصارى واما ان اريد بالاحزاب اليهود والنصارى بناء على انهما تحزبا في امره فقالت اليهود
زنت امه فهو ولد الزنا وقالت النصارى انه ابن الله فضمير من بينهم في جميع بني اسرائيل فانه عليه الصلوة و
السلام بعث اليهم بالنبوة فخاطبهم جميعا بقوله قد جئتكم بالحكمة فمنهم من صدقه ومنهم من كذب واصر على اليهودية
قائلا بتأبيد دين موسى عليه الصلوة والسلام والى الاشارة بقوله من بين قومه المبعوث هو اليهم وقيل من
زائدة والمعنى فاختلف الاحزاب بينهم على ان بينهم ضمير ح للاحزاب **قوله** تعالى من عذاب يوم اليم اي اليم عذابه كقوله
في يوم عاصف اي عاصف ريحه فقوله تعالى فلما جاء عيسى بالبينات الى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم كالتفصيل
لقوله ان هو الا عبد انعمنا عليه لما ضربوا ابن مريم مثلا لمن عبد من دون الله رد الله تعالى عليهم في اتخاذهم
اياه معبودا بانه عبد لا معبود وغاية الامر انا انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا يشبهون به ما يرون من
الامر العجيب ولا يستبعدونه من قدرة الله تعالى ثم بين معالمته حين ما جاء قومه بالبينات وهي قوله قد جئتكم
با

الحديث من رواية البخاري ومسلم و
الترمذي وابي داود وابن ماجه عن
ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما
عدلا فليكسرن الصليب وليقتلن
الخنزير وليضعن الجزية وليتركن
القلاص فلا يسعى عليها وليذهبن الشحناء
والتباغض والتحاسد وليدعون الى
المال فلا يقبله احد وفي رواية وانه
نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه
رجل مربوع الى الحمرة والبياض ينزل
بين ممصرتين كان راسه يقطر وان
لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الاسلام
ويهلك المسيح الدجال وفي رواية
اخرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم
منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي
ذئب تدري ما امكم منكم قال تخبرني
قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل
وسنة نبيكم قوله الممصرتان اي حلتان
ممصرتان من مصر والمغرة الطين
الاحمر الشاب والمصرة من الثياب
التي فيها صفرة خفية من طيبي

قوله تعالى فاختلف الاحزاب
اي اختلف بعد ما جاءهم عيسى
بالبينات قائلا اني قد جئتكم
لكم ما تختلفون فيه من امر ادينه
فاتقوا الله ولا تخالفوني في توحيد المعبود
فيما ابلغه عنه وهو امر ان تحصيل
والتعبد بشرايعه منه

بالحكمة ولابين لكم ما تختلفون فيه من امر دينكم فاتقوا الله ولا تخالفوا دينه واطيعون فيما ابلغه عنه
وهو امر الى عبادة التوحيد والتعبد بالشرايع فمن كان حاله ومقاله هكذا كيف يتوهم فيه ما يقوله النصارى في
حقه من كونه مستحقا لان يعبد من دون الله مع ان جل همته الدعوة الى عبادة الله تعالى وتوحيده الا انا لما
جعلناه مثلا بان خلقناه من غير اب اخطأوا في امره فصاروا فرقا ثلثا فقالوا فيه ما قالوا تعالى عما يقولون الباطل
وهو بري عنه **قوله** الضمير لقريش فانه تعالى لما حكى عنهم ان منهم من ضرب ابن مريم مثلا ومنهم من فرح
به ووقع في الصديد ورفع الاصوات شرع في وعيدهم بانهم استحقوا بذلك عذابا شديدا وانه لا يمنعهم من
ذلك العذاب الا عدم قيام الساعة التي يحاسب فيها الخلائق ويجازى كل امرئ بما كسب وانها
تاتيهم لا محالة فكانهم ينتظرونها **قوله** غافلون عنها اشارة الى جواب ما يقال ما فائدة قوله وهم لا يشعرون
بعد قوله بغتة مع انه يؤدي مؤداه ويغني عنه وتقرير الجواب ان مجيء الشيء بغتة اي فجاءة يكون على
وجهين الاول ان يجيء مع شعور القوم بمجيئه والاستعداد له والتفحص عن تشير ابدائه الا انهم لا يعرفون
خصوص الوقت الذي يجيء فيه فهو في اي وقت اتى يأتي بغتة والثاني ان يجيء والقوم غافلون عن اصل
وقوعه مشتغلون بافعال ما ينكر وقوعه رأسا غير متهيئين له بوجه ما والمراد باتيان الساعة بغتة ههنا
اتيانها حال غفلة القوم عنها وعدم استعدادهم لوقوعها فوجب تقييد اتيانها بغتة بمضمون الجملة الحالية
احترازا عن اتيانها بغتة على الوجه الآخر **قوله** يتعادون يومئذ اشارة الى ان يومئذ معمول لقوله عدو
وتنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه اي يوم اذ تاتيهم الساعة لما ذكر الله تعالى مجيء الساعة بغتة ذكر عقيبه
بعض ما يتعلق باحوال القيمة فقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا الموحدين يكون الخلة الواقعة
بينهم على الايمان والتقوى فان خلتهم لا تنقلب عداوة لانهم يشاهدون ثواب ما تعاونوا عليه من
الطاعات فتزداد المحبة كل واحد منهم لصاحبه فضلا عن ان تنقلب عداوة بخلاف العصاة **قوله**
حكاية لما ينادى به المتقون يعني ان لفظ العباد وان كان يطلق لكل من هو مملوك مخلوق لله تعالى الا ان
المراد به المتقون خاصة بقرينة ذكره عقيب الاية السالفة مع ان عادة القران العظيم جارية على
تخصيص لفظ العبارة بالمؤمنين المتقين وفي الاية تشريف عظيم لهم من وجوه الاول انه سبحانه خاطبهم
بنفسه من غير واسطة والثاني انه تعالى وصفهم بعبوديته والتذلل لوجهه الكريم والانقطاع
عما سواه وهو تشريف عظيم يدل عليه قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده اضافه عليه الصلوة والسلام
الى نفسه بالعبودية له في حكاية تشريفه اياه ليلة المعراج والثالث انه تعالى نفى عنهم جنس الخوف والحزن
حين يفزع الخلائق روي ان الناس حين يبعثون يفزع كل واحد منهم فينادي مناد يا عبادي لا خوف
عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم رافعين رؤوسهم منتظرين روحا وكرامة من ربهم الكريم
فيتبعها قوله الذين آمنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم فييأس الناس

قوله تعالى وكانوا مسلمين حال من فاعل
آمنوا اي آمنوا مخلصين وقد ونبه الذين آمنوا
حال كونهم مخلصين الا ان هذه العبارة
آكد من ان يقال مخلصين لان كان يدل
على استمرار خبرها في جميع الازمنة
الماضية كما في قوله تعالى وكان الله سميعا
بصيرا فقوله تعالى وكانوا مسلمين يدل
على ان الاخلاص في الايمان عادتهم
المستمرة بخلاف مخلصين ورد عليه
ابن الحاجب بان الاستمرار فيه مستفاد
من القرينة وهي في المثال المذكور وجوب
كون الله تعالى سميعا بصيرا الا من لفظ كان
لشيوع استعماله فيما لا استمرار له بل الاصل
فيه ان يكون لثبوت خبره في زمان
الذي يدل عليه صيغة الفعل الناقص اما
ماضيا او حالا او استقبالا لان كان للماضي
ويكون للحال او الاستقبال
منه

قوله الصحاف جمع صحفة كجفنة وجفان قال الجوهري الصحفة القصعة وقال الكسائي اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المئكلة تشبع الرجلين والثلثة ثم الصحيفة الكتاب
والجمع صحف وصحائف منه

منها غير المسلمين فيقال لهم ادخلوا الجنة انتم اكد المرفوع المنفصل في قوله ادخلوا ليصح عطف اسم
الصريح عليه وهو قوله وازواجكم وتحبرون في موضع النصب على الحالية اي تسرون يقال حبره يحبره بالضم
حبرا وحبرة اذا سره سرورا تهلل له وجهه فيظهر فيه اثره والحبار الاثر وقد احبره اي ترك به اثرا
قوله او تزينون من قولك حبرته حبرا اذا حسنته وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه فيقال فلان
حسن الحبر والسبر وحسن الحبر والسبر بالكسر والفتح اذا كان جميلا حسن الهيئات وقال الزجاج تحبرون
اي تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل اي في الوصف بالجميل ولما ذكر الجنة وانها موضع
الحبور ذكر ما فيها من النعم فذكر اولا المطاعم بقوله يطاف عليهم بصحاف من ذهب فيها الاطعمة ثم ذكر
المشارب بقوله واكواب من ذهب لان الظاهر ان يتقيد المعطوف بقيد المعطوف عليه فيها الاشربة ثم ادمج
لما فصل ما في الجنة بعض التفصيل ذكر ما يعمها كلها فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم ذكر تمام النعمة
فقال وانتم فيها خالدون حذف العائد الى الموصول في قوله ما تشتهي الانفس اي ما تشتهيه الانفس ومعناه ما
ما تطلبه القلوب من شهواتها وتلذ الاعين اي تستلذه بنظرها وهذا حصر لانواع النعم لانها اما مشتهاة
في القلوب واما مستلذة في العيون قوله وتلك مبتدأ وقوله الجنة خبره والتي اورثتموها صفة الجنة او الجنة
صفة لتلك والتي اورثتموها خبر المبتدأ او التي اورثتموها صفة بعد صفة وبما كنتم تعملون الخبر والباء متعلقة
بمحذوف اي مستحقة به وفي الوجه الاول يتعلق باورثتموها وهو قول المص وعليه اي وعلى هذا الوجه يتعلق
الباء بمحذوف قوله لانه يخلف عليه العامل اي لان الثواب ان العامل يخلف العمل بعد ذهابه ويستولي على ما يترتب
الى ذلك العمل من الجزاء كما يخلف الوارث المورث ويستولي على ما ينسب اليه من امواله واملاكه بعد موته فكان
العمل كالمورث والعامل كالوارث وجزاء العمل كالميراث فلما شبه الجزاء بالميراث استعير له اسم الميراث ثم
اشتق منه اورثتموها استعارة تبعية قوله ولعل تفصيل النعم بالمطاعم الخ يعني انه تعالى بعث رسوله صلى الله عليه
وسلم الى العرب او لانه الى العالمين تاليا والعرب كانوا في ضيق شديد بسبب المأكول والمشروب والفاكهة
فلهذا السبب كرر ذكر النعم بها تكميلا لرغباتهم في الجنة وما يؤدي اليها من الاعمال الصالحة وتقوية لدواعيهم
عليهم قوله بعضها تأكلون يعني ان كلمة من في قوله منها تأكلون للتبعيض حيث دل على كثرة ثمار الجنة وبقاء
اغصانها في شجرها بعد اخذها فان اشجار الجنة مزينة بالثمار ابدا لا ترى شجرة عارية من ثمرها كما في الدنيا
فان اي ثمرة من ثمار الجنة تؤخذ ينبت مكانها مثلها واكثر ثم انه تعالى لما ذكر وعده في حق المتقين اردفه
بذكر وعيد المجرمين فقال ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون واحتجت المعتزلة بهذه الاية على القطع
بخلود الفساق في النار فقالوا لفظ المجرم يتناول الكافر والفاسق فوجب ان يكون كل واحد من الفريقين
مخلدا في عذاب جهنم لقوله لا يفتر عنهم وقوله وهم فيه مبلسون وخالدون والمص اشار الى الجواب عنه بان حمل
المجرمين على الكاملين في الاجرام وعلله بانه تعالى جعل المجرمين قسيم المؤمنين بالايات حال كونهم مخلصين

فكل

قوله بعد تخصيص ما يعد من الزوائد في النعم والتلذذ فان الاشارة الى المطعومات والمشروبات على اهل الجنة اشارة الى تنعمهم بهما وكون ظرفيهما صحافا من ذهب واكواب من ذهب مما يعد من الزوائد في التنعم ولما خصصهما بالذكر وبين ان الجنة مشتملة على النعم والتلذذ بهما عمم فقال وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين يقال لذذت الشيء بالكسر لذاذا ولذاذة اي وجدته لذيذا والمعنى ما من شيء يشتهيه نفس ويستلذه اعين الا وهو في الجنة وقد عبر الله تعالى بهذين اللفظين عن جميع اهل الجنة وحصر فيهما لانها ما من نعمة الا وهي مشتهاة في القلوب او مستلذة في العيون وما يستلذه سائر المشاعر الاعين وكذا ما يشتهيه القلوب والنفس داخل فيما يشتهيه النفس والنفوس لان مدرك اللذة هو النفس والمشاعر آلة لادراكها الا ان العين خصت بالذكر مع ان الشاعر قد لطيف انها اعلى حسا لنعم الجنة بانها مما يتوافقان عندهم في القلوب والاعين وهو الغاية قوله قال صاحب التيسير ... بطاف عليهم بصحاف من ذهب دل على الاطعمة وقوله واكواب على الاشربة وقوله وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين على ان في الجنة وراء هذا اصناف النعم ... لا يبعد ان يحمل قوله وفيها ما تشتهي على المنكح والملبس وما يتصل بهما مما جميع المشتهيات النفسانية فتبقى جميع النظر الى وجه الكريم ... الكلب وهي النظر الى وجه الله تعالى ويوافق هذا التاويل كلام جعفر الصادق ... تشتهيه الانفس وعلى ما تلذ الاعين لان جميع ما في الجنة من النعم والشهوات في جنب ما تلذ الاعين كالاصبع تغمس في البحر لان شهوات الجنة حقوق بالنهاية لانها مخلوقة ولا تلذ الاعين في الدار الباقية الا بالنظر الى الباقي عز وجل ولا حد لذلك ... منه

فكل من آمن بالاخلاص يدخل تحت قوله يا عبادي لا خوف عليكم اليوم والفاسق من اهل الصلوة قد آمن
بالله وآياته واسلم اي اخلص في ايمانه فوجب ان يدخل تحت ذلك الوعد وان يخرج من هذا الوعيد وهو يستلزم ان
يكون المراد بالمجرمين الكفار وان يكون الوعيد المذكور مختصا بهم ويدل عليه ايضا انه تعالى حكى عنهم ما يختص
بالكفار من الخلود في النار وعدم تخفيف العذاب والابلاس فيه وهو اليأس من النجاة الآن حمل ما يختص
بالكفار على هذه المذكورات في مقام الاحتجاج على المعتزلة مصادرة على المطلوب فالحق ان يحمل ما يختص
بالكفار على الكراهة وهو الكراهة للحق وقد حكاها الله تعالى عنهم بعد هذه الاية بقوله لقد جئناكم بالحق ولكن اكثر
كم للحق كارهون والكراهة للحق مختص بالكفار لان المراد بالحق الاسلام واما الرسول واما القرآن والمسلم
لا يكره شيئا من ذلك فثبت ان ما قبل الاية وما بعدها يدلان على ان المراد بالمجرمين الكفار قوله آيسون من
رحمة الله قال الجوهري ابلس من رحمة الله اي يئس ومنه سمي ابليس وكان اسمه عزازيل والابلاس ايضا
الانكسار والحزن يقال ابلس فلان اذا سكت غما فالمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من الفرج قوله
وهم فصل عند البصريين وفائدته ان يفرق بين الخبر والصفة فانك اذا قلت زيد القائم ربما يتوهم السامع
كون القائم صفة لزيد فينتظر الخبر فلما جيء بصيغة المرفوع المنفصل بين المبتدأ والخبر تعين كون ما
بعدها خبرا لا صفة لان الضمير لا يوصف ولا يوصف به والكوفيون يسمونها عمادا لكونها حافظة لما بعدها من ان
يسقط عن الخبرية كعماد البيت فانه يحفظ سقف البيت عن السقوط مكسورا او مضموما وجه الكسر جعل المحذوف
لاجل الترخيم في حكم الثابت كما ذهب اليه الاكثرون ومن جعل الباقي بعد الترخيم اسما برأسه يقول يا مال بضم
اللام لكونه منادى مفردا معرفة قوله والمعنى سل ربنا يعني ان طلب القضاء وان كان متوجها اليه تعالى ظاهرا
الا ان المطلوب من حيث المعنى ان يسأل مالك خازن النار ربه تعالى ان يميتهم فيستريحوا مما فيه من العذاب والا
لكان نداء مالك ضايعا خاليا عن الفائدة روي انه يلقى على اهل النار الجوع بحيث يعدل ما هم فيه من العذاب
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك ليقض علينا ربك قيل يسكت عنهم مالك ولا يجيبهم اربعين سنة
وقيل ما يجيبهم مائة سنة وقيل الف سنة ثم يجيبهم ويقول انكم ماكثون مقيمون في العذاب خالدون
فيه عبر عن الخلود بالمكث استهزاء وتحقيرا لهم لان المكث يشعر بالانقطاع ويحتمل ان يكون المجيب هو الله تعالى
لما قال وهو من تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله يعني ان قوله لقد جئناكم بالحق كلام الله بدليل قراءة من قرأ
لقد جئتكم بالحق فان كان ما قبله مقولا له تعالى يكون هو من تتمة الجواب من حيث انه كالعلة للجواب بقوله ماكثون
وان كان ما قبله مقول مالك يكون هو جوابا منه تعالى بعد تمام جواب مالك قوله ولكن اكثركم اي كلكم لان الكفرة
كلهم كارهون اما طبعا واما تقليدا قوله وهو لا ينافي ابلاسهم جواب عما يقال قد وصفهم الله تعالى آنفا بالابلاس
واليأس من النجاة فكيف يطمعون ويناديون مالكا بذلك وتقرير الجواب ان النداء المذكور انما ينافي وصفهم
بالابلاس ان لو كان لطلب الاماتة على وجه الترجي وليس كذلك بل هو على وجه التمني وقيل لا يبعد ان يحمل انهم لشدة

ماهم فيه من العذاب لنواخفيه ان لاخلاص لهم من ذلك العقاب فطلبوه على سبيل الطمع والرجاء ثم انه تعالى لما
ذكر كيفية عذابهم في الآخرة ذكر بعده كيفية مكرهم وفساد باطنهم في الدنيا فقال ام ابرموا امرا فانا مبرمون
ام فيه منقطعة اضرب عن ذكر كيفية عذابهم في الآخرة الى ذكر حالهم في الدنيا والابرام احكام الامر واتقانه
اي بل احكموا امرا في تكذيب الحق ورده او في المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل نزلت في تدبير كفار مكة
في المكر به عليه الصلوة والسلام في دار الندوة كما قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية قوله والعدول
عن الخطاب يعني انه تعالى خاطب كفار قريش حال نسبة كراهة الحق اليهم واخبر عنهم بطريق الغيبة حال نسبة
ابرام المكر اليهم للاشعار بان الثاني اقبح من الاول لان الالتفات الى الغيبة في مقام المخاطبة يكون للتخفي للمخاطب
واسقاطه عن صلاحية المخاطبة معه فلما اوثر بهذه الطريقة في نسبة الابرام اليهم اشعر ذلك بكونه اسوء من
كراهتهم قوله او ام احكم المشركون عطف على قوله ام ابرموا في تكذيب الحق فاعل ابرموا على الاول الكفار
الذين عبر عنهم بقوله تعالى ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون على مكثهم وخلودهم في النار او لاكراهتهم
للحق ثم اضرب عنه الى الاخبار بانهم لم يقتصروا على كراهة الحق بل ابرموا في تكذيبه ورده كانه قيل بل ابرم
هولاء الذين هم للحق كارهون امرا يقدرون به انهم يكيدون الحق ويبطلونه بانجدال فانا مبرمون امرا
في ابطال كيدهم باظهار الحق واثابة من اتبعه وتعذيب من خالفه قوله تناجيهم اي التكلم فيما بينهم على وجه
المسارة وترك المجاهرة والسر ما حدث به نفسه ولم يتكلم به غيره لا اسرا ولا جهرا او تكلم غيره في
مكان خال ثم انه تعالى اوجب النفي المذكور فقال بلى اي بلى نسمعها ونطلع عليها ومع ذلك الحفظة ملازمون
يكتبون ذلك لما قال بعض المشركين الملائكة بنات الله نزل قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول
العابدين اي منكم لانه لا يكون اول العابدين مطلقا تبكيتا لهم حيث ادعى الملازمة بين كينونة الولد
له تعالى وكونه عليه الصلوة والسلام اول العابدين له اي ان كان ذلك وصح وثبت ببرهان صحيح فانا اول من
يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه ومن المعلوم
ان اللازم منتف فانه عليه الصلوة والسلام اشد نفرة من ان يعظم احدا على زعم انه ولد الله تعالى فيستدل
بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم قوله فان النبي عليه الصلوة والسلام يكون اعلم بالله الى اثباته وتعليل
للملازمة المذكورة قوله ولا يلزم من ذلك اي مما تعليق كونه عليه الصلوة والسلام اول العابدين لذلك
الولد بكينونة الولد بكلمة ان التي حقها ان تستعمل في تعليق المحتمل بالمحتمل كون كل واحد من كينونة الولد و
عبادته عليه الصلوة والسلام له من الامور الممكنة المحتملة الوقوع لان صدق الشرطية لا يستلزم صدق
المقدم ولا كونه من الامور المحتملة اذ المحال قد يستلزم محالا آخر كما في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله
لفسدتا وكذا كينونة الولد له تعالى مستحيل في نفسه مع انه يستلزم ان يكون عليه الصلوة والسلام اول من
يعبده من قريش لفرض وقوعها وحكم كونها مستلزما لمحال آخر تبكيتا لمن زعم وقوعها وادعى حاله قوله
بل

بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه فان الشرطية المذكورة تدل على نفي كل واحد من كينونة الولد له تعالى ومن عبا
دته عليه الصلوة والسلام لذلك الولد اما دلالتها على نفي الولد فمن حيث انها لما دلت على ان كينونة الولد
له تعالى مستلزمة لعبادته له ومن المعلوم ان هذا اللازم منتف فعلم من انتفائه انتفاء الملزوم وهو كينونة
الولد له تعالى فثبت به ان الشرطية قد دلت على نفي الولد بواسطة ان يضم اليها استثناء نقيض التالي
فان استثناءه ينتج نقيض المقدم واما دلالتها على نفي عبادته لذلك الولد المفروض كينونته فمن حيث
ان تلك العبادة قد علقت بالمحال وجعلت مسببة عنه ومن المعلوم ان الموقوف على المحال محال قوله والدلالة
معطوف على قوله العبادة نفيهما اي بل المراد نفيهما والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد بل مبني على
النظر والاستدلال حيث استدل على نفيه بانه لو كان له ولد لكان هو عليه الصلوة والسلام اولى الناس
بتعظيمه والاعتراف به بناء على استحالة ان يكون الاعرف بالله تعالى وبما يجب عليه وما لا يصح والاولى بتعظيم
ما يوجب تعظيمه تاركا له بشدة النفرة عنه قوله وقيل ان ضل ليس المعنى ان كان للرحمن ولد وثبت ذلك
ببرهان قاطع وحجة واضحة فانا اول من يعظمه تعظيما لله تعالى بل المعنى ان زعمتم ان له تعالى ولدا فانا اول من
كذبكم وخالفكم في زعمكم الباطل ووحد الله تعالى وخصص العبادة به تعالى او فانا اول من انف منه ومن
عبادته على ان يكون العابد من العبد بمعنى الغضب يقال عَبِدَ يَعْبَدُ عَبَدًا فهو عابد وعَبِدٌ اذا انف
وغضب فقولنا عبد يعبد كانف يانف وزنا ومعنى وفي الصحاح العبد بالتحريك الغضب والانف
يقال عبد اي انف قال ابو عمرو وقوله تعالى وانا اول العابدين من الانف والغضب والمعنى ان كان للرحمن
ولد كما تزعمون فانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا
اول من قال بذلك وعبد ووحد ولم يرض بالقولين لانه ليس لزعمهم ذلك مدخل في كونه عليه الصلوة
اول العابدين لله تعالى الموحدين له ولا في كونه عليه الصلوة والسلام اول الانفين منه فانهم سواء
اثبتوا الله ولدا او لم يثبتوه فهو عليه الصلوة والسلام عابد لله تعالى موحد له وآنف من اثبات الولد له
فلم يكن للتعليق وجه وفائدة وكذا الاوجه لكون ان نافية بمعنى ما كان لان الاخبار بقوله فانا اول
العابدين بالفاء السببية الواقعة بعد كلمة ان يستدعي ان يكون ما بعد الفاء مرتبا على ما قبلها بان يكونا
للشرط والجزاء فجعل ان في مثل هذا الموضع نافية خلاف الظاهر قوله وهو دلالة اي قوله تعالى فذرهم
يخوضوا دليل على ان قولهم الملائكة بنات الله وان لله ولدا على ما روي ان النضر بن عبد الدار
قال ان الملائكة بنات الله فنزلت جهل باطل وقوله تعالى ويلعبوا دليل على ان ذلك لغو اتباع الهوى
وقوله تعالى حتى يلاقوا الى دليل على انهم مطبوع على قلوبهم والمعنى قد ذكرت الحجة القاطعة على فساد ما
قالوا فلم يلتفتوا اليها لاجل استغراقهم في اتباع الهوى وحب الرياسة فاتركهم في ذلك الباطل واللعب
حتى يصلوا الى يوم الجزاء فانهم ان لم يهتدوا بدعوتك وتبليغك فقد حصل لك الزام الحجة وازالة المعذرة

والظرف متعلق بمعنى قوله وشانهم فلم يبق الا تخليتهم
فلا فائدة بعده في تكرير الدعوة والاستمرار عليها فلم يبق الا تخليتهم وشانهم قوله والظرف متعلق بمعنى
ان في السماء متعلق بقوله اله لانه فعال بمعنى مفعول من قولهم اله بفتح اللام الاهة اي عبد عبادة وفعال
بمعنى مفعول كثير نحو كتاب وامام وقولنا الله اصله الاه فلما دخلت عليه الالف واللام حذفت الهمزة
تخفيفا لكثرة دورانه في الكلام فمن قرا وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله جعل الظرف متعلقا
بقوله الله لان اصله الاه والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب على المعبود بالحق فهو في الاصل بمعنى المعبود
وباعتبار الغلبة متضمن معناه وعلى التقديرين يصلح عاملا في الظرف قوله والراجح مبتدا محذوف
لما اورد ان يقال صلة الذي لا بد ان تكون جملة وليس في الاية سوى قوله في السماء اله فان جعلت قوله في السماء
متعلقا باله ولم تقدر شيا لم تنعقد جملة وان جعلت اله مبتدا وفي السماء خبره تنعقد الجملة لكنها تكون
حالية عن العائد ويكون مثل قولك هو الذي في الدار زيد فاوجب تصحيح الكلام اجاب عنه بان تقدير الكلام
وهو الذي في السماء هو اله حذف المبتدا لدلالة المعنى عليه وذلك المحذوف هو العائد الى الموصول وحذف
العائد لطول الصلة بمعمول الخبر فان في السماء متعلق باله وزاد الكلام طولا وان المعطوف داخل في حيز
الصلة قوله ولا يجوز جعله اي لا يجوز جعل الظرف الذي حكم عليه بانه متعلق بالخبر خبر القوله اله لان الجملة
ح تبقى بلا عائد لكن لو جعل الظرف المذكور صلة للموصول وجعل الاله خبر مبتدا محذوف لجاز لان الظرف
لاشتماله على العائد يصلح صلة وح يكون جملة هو اله لبيان ان كونه فيهما انما هو بالالوهية والربوبية لا
الاستقرار قوله وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وذلك لان الموصول مع صلته المحذوف وقع خبر القوله
وهو ومثل هذا التركيب يفيد الحصر لما تقرر من ان الخبر المعرف تعريف الجنس قد يفيد قصر الجنس على المبتدا
تحقيقا نحو زيد الامير اذا لم يكن في البلد امير سواه او مبالغة لكمال ذلك الجنس في المبتدا نحو عمرو الشجاع
اي الكامل في الشجاعة كانه لا اعتداد بشجاعة غيره لقصورها عن رتبة الكمال قوله كالدليل عليه لان قوله
وهو الحكيم العليم لما دل على اختصاص الحكمة والعلم به تعالى كما ذكرنا دل على اختصاص الالوهية به تعالى ايضا لان
اختصاص لوازم الالوهية به يستلزم اختصاص نفس الالوهية به فثبت به بطلان قول من قال الملائكة الهة
تكون في السماء بناته والمسيح الكائن في الارض ابنه قوله وقرا نافع وابن عامر الى اخره قراءة ابن كثير و
حمزة والكسائي فانهم قرؤا يرجعون بالياء من تحت ليوافق ما قبله فانه عبر عنهم بلفظ الغيبة من قوله
ام ابرموا امرا الى هنا والباقون بالتاء من فوق وهو في كليهما على بناء المفعول وقرئ بتاء الخطاب على بناء
الفاعل ايضا وتبارك يحتمل ان يكون مشتقا من البرك بمعنى الثبات والبقاء او من البركة بمعنى كثرة الخير
مثل كونه خالقا للسموات والارض وما بينهما فان من اختص به ملك السموات والارض وما بينهما يكون
واجب الوجود لذاته ثابتا باقيا ازلا وابدا ويكون كثير الخير ايضا وعلى التقديرين يكون منزها عن ان
يتخذ ولدا لان الولد لا بد ان يكون من جنس الوالد ولا شيء في الموجودات من هذا شانه الا الله الواحد القهار
ثم

ثم انه تعالى لما اطنب في نفي الولد عنه تعالى ردفه بذكر انه لا شفاعة لمعبوديهم عند الله فقال ولا يملك الذين
يدعون من دونه الشفاعة ثم استثنى منهم عيسى وعزيرا والملائكة فقال الا من شهد بالحق فانهم عبدوا
من دون الله ولهم عند الله شفاعة ومنزلة ومعنى قوله شهد بالحق اي بانه لا اله الا الله وحده وهم يعلمون
بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم وفيه دليل على انه لا يتحقق ايمان وشهادة حتى يكون ذلك عن علم بالقلب
لانه تعالى شرط مع الشهادة العلم وقيل معنى الاية لا يملك الشفعاء ان يشفعوا الا لمن شهد بالحق وهو المؤمن
المخلص بحذف اللام او وصل الفعل اولا شفاعة من شهد بالحق بحذف المضاف قوله وجره قراءة
حمزة وعاصم بكسر اللام والباقون بفتحها وذكر المص لنصبه ثلثة اوجه الاول العطف على سرهم اي يحسبون
انا لا نسمع سرهم ونجويهم وقول محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا عنهم والثاني العطف على محل الساعة فانها
مفعول المصدر اضيف اليه كانه قيل انه يعلم الساعة ويعلم قيله كذا والثالث كونه مفعولا مطلقا لفعله
المضمر اي وقال قيله ويشكي شكواه الى ربه والقيل والقال والقول بمعنى واحد ثم قبل الفعل المضمر معطوف على
مثلنا المضمر قبل قوله ولئن سالتهم اي قلنا له عليه الصلوة والسلام ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
فانى يؤفكون وقال قولا ايسا عن ايمانهم وهو قوله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فعلى هذا يكون تقدير
قوله فاصفح عنهم فقلنا له اصفح عنهم اي لما كان ايسا عن ايمانهم امرناه بالمتاركة والاعراض الكلي قوله
بتقدير مضاف اي وعنده علم الساعة وعلم قيله ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعتبر اعرا
قوله وقيل هو قسم منصوب بحذف حرف القسم وايصال الفعل اليه محذوفا كما في قولك الله لافعلن او مجرور
باضماره كما في قولك الله لافعلن كانه قيل واقسم قيله وبقيله والواو فيه لعطف الجملة القسمية على الجملة
الشرطية وهي قوله لئن سالتهم من خلقهم ليقولن او مرفوع على انه من قبيل قولهم لعمرك لافعلن فان
تقديره لعمرك قسمي لافعلن وكذا تقدير الاية وقيله يا رب قسمي واقسام الله تعالى بقيله رفع منه تعالى وتعظيم
لدعائه والتجائه وجواب القسم على الاوجه الثلثة قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ويجوز ان يكون الجواب محذوفا
مثل لينصرن او لافعلن بهم ما اريد قوله تسلم منكم ومتاركة يريد انه عليه الصلوة والسلام لم يؤمر بان
يحييهم ويسلم عليهم بل انما امر بالمتاركة اي اذا ابيتم القبول فامري التسلم منكم والمتاركة قوله على انه من
المامور بقوله اي على ان قوله فسوف يعلمون صادر من الذي امر بان يقول سلام تم هنا ما يتعلق بسورة الزخرف
والحمد لله وحده والصلوة والسلام على من لا نبي بعده وعلى اله والصحابة اجمعين م سورة الدخان مكية
بسم الله الرحمن الرحيم قوله القران لم يفسر الكتاب المبين بجنس الكتب السماوية ولا باللوح المحفوظ
لان ضمير انزلناه يرجع الى الكتاب وهذا الحكم مختص بالقران من بين الكتب فيكون الكلام من قبيل وثناياك
انها اغريض في كونه من بدايع الاقسام من حيث كون المقسم به والمقسم عليه من واد واحد وذلك لان المقصود
من المقسم عليه وهو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة تعظيم القران بانه كثير البركة حتى جعل الليلة التي اقترن بها

مباركة بنزولها فيها فلما اكده بجعل القران مقسما به فقد اثبت عظمته بعظمته فكانا مساوا واحد قوله
ان كان حم مقسما بها فيكون حم مجرور المحل باضمار حرف القسم ولا يجوز ان يكون منصوب المحل بحذف الجار وايصال
الفعل اليه لانهم قالوا في الفرق بين حذف الجار قوله واضماره ان المضمر لا يكون مذكورا لفظا ولكن يكون
اثره باقيا في الكلام والمحذوف هو المتروك اصلا لا بقاء له لا بحسب لفظه ولا بحسب اثره وهنا اثر الجار قائم
في حم بشهادة جر المعطوف عليه وهو الكتاب قوله والا فللقسم اي وان لم يكن حم مقسما بها سواء
جعلت تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوع المحل على انها خبر مبتدا محذوف او نحو ذلك يكون واو
والكتاب للقسم وصف الكتاب بالمبين لكونه مشتملا على بيان ما بالناس حاجة اليه في دينهم ودنياهم و
هو من قبيل اسناد الحكم الى سببه لان المبين في الحقيقة هو الله تعالى قوله في ليلة القدر او البراءة وهي
ليلة النصف من شعبان سميت ليلة البراءة والصك لان الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين البراءة
في هذه الليلة كما ان من يجبي الخراج اذا استوفى الخراج من اهله يكتب لهم البراءة وذهب الاكثرون
الى ان ليلة القدر يكون في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتاره لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر
وقوله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القران فعلم منهما ان ليلة القدر من ليالي شهر رمضان وروى
ابو سعيد الخدري رضي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اي ليلة هي فقال التمسوها في العشر الاواخر
من رمضان واطلبوها في كل وتر واكثرهم على انها السابعة والعشرين منها واختلف المفسرين في هذه
المباركة فقال الاكثرون انها ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة اخرون انها ليلة البراءة واحتج الاولون
بوجوه الاول انه تعالى قال انا انزلناه في ليلة القدر وقال ههنا انا انزلناه في ليلة مباركة فلو لم يكن المراد
بالليلتين واحدا لزم التناقض والثاني انه تعالى قال شهر رمضان الذي انزل فيه القران فوجب ان
يكون الليلة المباركة من ليالي رمضان لا من ليالي شعبان والثالث وصف انه تعالى وصف الليلة
المباركة بقوله فيها يفرق كل امر حكيم وقال في حق ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن
ربهم من كل امر اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله تعالى لتلك السنة الى قابل من عمل ورزق وحيوة
وموت وقيل لكل امر من الخير والبركة كقوله تعالى يحفظونه من امر الله اي بامره وقال ههنا رحمة من
ربك وقال في تلك الاية سلام هي واذا تقاربت الاوصاف وجب القول بان احدى الليلتين هي الاخرى
والرابع ان الطبري ذكر في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابرهيم في اول ليلة من رمضان و
التورية لست ليال منه والزبور لثنتي عشرة ليلة مضت منه والانجيل لثماني عشرة ليلة مضت
منه والقران لاربع وعشرين مضت منه اي من رمضان وهي ليلة القدر فثبت به ان الليلة
المباركة هي ليلة القدر واحتج الاخرون على انها ليلة النصف من شعبان بان لها اربعة اسماء منها
الليلة المباركة وبما روي من انها مخصصة بخمس خصال منها ما قال تعالى فيها يفرق كل امر حكيم فظاهر بهذين

بهذين الوجهين ان المراد بالليلة المباركة هي ليلة النصف من شعبان والقول الاول اشهر قوله في
ابتدى فيها انزاله جواب عما يقال ما معنى انزال القران في هذه الليلة مع انه تعالى انزله في جميع الشهور و
لياليها وايامها روي ان عطية الحروري سأل ابن عباس رضي عن قوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقوله
انا انزلناه في ليلة مباركة كيف يصح ذلك مع انه تعالى انزل القران في جميع الشهور فقال ابن عباس رضي
يا ابن الاسود لو هلكت انا ووقع هذا في نفسك لم تجد جوابه لهلكت نزل القران جملة من اللوح المحفوظ
الى البيت المعمور في السماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك في انواع الوقائع حالا فحالا قال قتادة وابن زيد انزل
الله تعالى القران في ليلة القدر من ام الكتاب الى السماء الدنيا ثم نزل به جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم نجوما في عشرين سنة او في ثلث وعشرين سنة قوله وبركتها لذلك اي لا لذاتها لان اجزاء الزمان
متشابهة بحسب ذواتها فان الزمان عبارة عن مدة ممتدة مقدرة بحركات الافلاك والكواكب وانه
في ذاته امر واحد متشابه الاجزاء فلا يكون بعض اجزائه افضل من البعض الاخر لذاته والا لزم ترجيح احد
طرفي الممكن على الاخر لا لمرجح وانه محال فوجب ان يكون امتياز الليلة المباركة عن سائر اجزاء الزمان بمزيد
القدر والشرف بسبب انه حصل فيه امر شريف له قدر عظيم بارادة الفاعل المختار فانه لا يبعد من الفاعل
المختار ان يخصص وقتا معينا بامر شريف ويميزه بذلك عن سائر الاوقات التي قبله وبعده ومن المعلوم
ان امر الدين اعز واشرف من امر الدنيا وان اعظم الاشياء قدرا من بين امور الدين هو القران لانه
ثبت به نبوة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل فلما خص الله تعالى الليلة تلك
بانزاله فيها كانت لذلك كثيرة الخير والبركة ولو لم يكن فيها الا انزال القران الذي فيه خير الدين و
الدنيا لكفى ذلك بركة وشرفا وقدرا عظيما من وجوه اخر كنزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة و
قسم النعمة والارزاق وفصل الاقضية روي ان الملائكة تنزل الى الدنيا ليلة القدر ومعهم جبرئيل بالرحمة
من اللطيف والسلام على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله تعالى وروي عنه عليه الصلوة والسلام
~~على اوليائه فيسلمون على كل عبد قائم او قاعد~~ من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
والعمل فيها بطاعة الله تعالى افضل من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة القدر اي من العمل في ثلث وثمانين
سنة واربعة اشهر وليلة القدر سميت بذلك لكونها ليلة تقدير الاعمال والارزاق والآجال
ومعنى تقديرها اظهار مقاديرها واثباتها في النسخ ودفعها الى جبرئيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل
سميت بذلك لكونها ليلة العظمة وهي ليلة جليلة القدر عظيمة الامر فهي خير من الف شهر قال ابن عباس
رضي تقضى الاقضية كلها ليلة النصف من شعبان وتسلم الى اربابها من الملائكة ليلة السابع والعشرين
من شهر رمضان وقيل يبدأ في ليلة البراءة باستنساخ الامور من اللوح المحفوظ وكتب الكتب بارزاق
العباد واجالهم وجميع الامور المحكمة الواقعة من تلك الليلة الى مثلها من السنة القابلة ويقع الفراغ في ليلة

وكذا الكلام في انه عبارة عن انقضاء اجزاء الحمد والفلك وانجائه يمتنع كون اجزائه اشرف من البعض لذاته وانما ذلك بتخصيص الفاعل المختار اياه بذلك

وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته

القدر فتفرغ نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرئيل
ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قبل ليلة البراءة
مخصصة بخمس خصال الاولى تفريق كل امر حكيم والثانية فضيلة العبادة فيها وروى عنه عليه الصلوة والسلام
انه قال من صلى في هذه الليلة مائة ركعة ارسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلثون منهم يبشرونه بالجنة وثلثون
يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكائد الشيطان
والثالثة نزول الرحمة قال عليه الصلوة والسلام ان الله تعالى يرحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام
بني كلب والرابعة حصول المغفرة قال عليه الصلوة والسلام ان الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة
الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر على الزنا والخامسة انه تعالى اعطى
فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك انه عليه الصلوة والسلام سأل ليلة الثالث عشر من
شعبان في امته فاعطي الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فاعطي
الجميع الا من شرد على الله تعالى شراد البعير ومن عادة الله تعالى في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة كثيرة
ظاهرة قوله استيناف يبين به المقتضي للانزال الا ان قوله تعالى انا كنا منذرين يبين به مقتضى اصل الانزال
وقوله فيها يفرق كل امر حكيم يبين به ما يقتضي اختصاص ذلك الانزال بليلة مباركة فان جواب القسم وهو قوله
انا انزلناه في ليلة مباركة يتضمن معنيين الاول انزال القران والثاني وقوع ذلك الانزال في الليلة المباركة
فعلل الاول بقوله انا كنا منذرين اي نخوف الخلق بالعذاب ردعا عن الكفر والمعصية وشوقا الى الايمان والطاعة
وذلك يقتضي ارسال الرسل وانزال الكتب وعلل الثاني بقوله فيها يفرق كل امر حكيم اي محكم متقن لا يتبدل ولا
يتغير على ان الحكيم بمعنى المحكم كالبديع بمعنى المبدع او امر ذي حكمة وتلبس بها بان يكون وقوعه على مقتضى الحكمة فان
ما يثبت ويفصل في تلك الليلة من الامور كالآجال والارزاق وغيرهما كائن على وفق الحكمة البالغة ومقتضاها
ولما كان القران الكريم من اجل الامور الحكمية اختص انزاله بوقت فرق الامور الحكمية والحكيم حقيقة فاعل الامر
لا نفسه فجعل الامر حكيما من قبيل اسناد المجاز فصل ينسخ من اللوح المحفوظ في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة
من ارزاق العباد وآجالهم وجميع احوالهم من الخير والشر حتى حج الحاج فيكتب يحج فلان ويحج فلان وحتى ما
يكون في تلك السنة من الخصب والرخاء عن ابن عباس رض قال انك لتلقى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع
اسمه في الموتى وعنه عليه الصلوة والسلام انه قال تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح و
يولد له ولقد خرج اسمه في الموتى قوله وقرئ يفرق بالتشديد لكثرة المفرقات ويفرق على بناء الفاعل و
نفرق بنون العظمة ونصب كل امر في كل واحد من قرائه يفرق بالياء ونفرق بالنون والفاعل فيهما هو
الله تعالى قوله اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا اشارة الى ان قوله امرا منصوب على الاختصاص اي
على المدح بتقدير اعني وان قوله من عندنا متعلق بمحذوف هو صفة امرا اي اعني امرا حاصلا من عندنا كائنا

قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى في هذه الليلة الخ ما ورد فيما يعتمد عليه من هذا المعنى في الاصول سوى ما رواه ابن ماجه عن علي رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى السماء الدنيا فيقول الا من مستغفر فاغفر له الا من مسترزق فارزقه الا من مبتلى فاعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر طيبي

قوله ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين في مسند احمد بن حنبل عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطلع الله الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن وقاتل نفس طيبي

قوله ان الله تعالى يرحم امتي الحديث من رواية الترمذي وابن ماجه عن عائشة في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني كلب طيبي

الشحناء بالحاء الحقد المشاحن المبتدع التارك للجماعة وقال ابن عادي اهل الاسلام العداوة صح

كائنا من لدنا وصفه الامر زيادة في تفخيم الامر وتعظيمه فخمه اولا بان وصفه بقوله حكيم ثم زاد في تفخيمه بان نكره ونصبه
على الاختصاص ووصفه بقوله من عندنا واشار الى وجه زيادة الفخامة بقوله اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا
قوله لانه موصوف تعليل لجواز كونه حالا من امر وهو نكرة ولا ينتصب الحال عن النكرة المخصصة الا متقدمة عليها
وليس تعليلا لكونه حالا من ضمير حكيم لانه معرفة ويرد على جعله حالا من امر انه يستلزم مجيء الحال من المضاف اليه
في غير المواضع المذكورة قوله وان يكون المراد به مقابل النهي عطف على ما يفهم من الوجوه المتقدمة فانها مبنية على
كون الامر بمعنى الشان واحد الامور وذلك لانه لا اخفاء في ان الامر في قوله كل امر حكيم بمعنى الشان وان المعنى كل شان
ذي حكمة اي مفعول على ما يقتضيه الحكمة فيكون الامر في قوله امرا من عندنا بمعنى الشان ايضا ان نصب بتقدير اعني او على
ان يكون حالا من امر او ضميره لانه حينئذ يكون عبارة عن الامر الحكيم المذكور اولا فذكر احتمال ان يكون منصوبا بتقدير اعني
او بالحالية من امر او ضميره في قوة ذكر انه بمعنى الشان ايضا لان ذكر الملزوم في قوة ذكر اللازم فلذلك عطف عليه قوله
وان يكون المراد به مقابل النهي ثم بين ان انتصابه على تقدير ان يكون المراد به ما يقابل النهي اما على انه مفعول مطلق
ليفرق او لفعله المضمر او على انه حال من احد الضميرين وكونه مصدرا ليفرق اي مبني على ان المعنى فيها يفرق كل شان
حكيم فرقانا او يؤمر بكل ذلك امرا من عندنا وذلك لان معنى قوله فيها يفرق كل امر حكيم ان كل ذلك يوضع ويفصل
ويستنسخ من اللوح المحفوظ وهو بمعنى فيها يؤمر بكل شان ذي حكمة لانه تعالى اذا قضى بالشيء وقدره اي اظهر قدره
واثبته في نسخ الملائكة فقد اوجبه كما اذا امر به فيكون فرقانا وامرا بمعنى واحد فلذلك صح ان يوضع امرا موضع
فرقانا وان يوضع يفرق موضع يؤمر والمص اشار الى كونهما بمعنى واحد بقوله من حيث ان الفرق به اي من حيث
ان فرق الشان الحكيم من اللوح واثباته في نسخ الملائكة يكون بايجابه والامر به فيكونان بمعنى واحد وان كان
حالا من فاعل انزلناه او مفعوله يكون المعنى على الاول آمرين وعلى الثاني مأمورا او على التقديرين لا يكون من عندنا
صفة لامرا بل يكون متعلقا بيفرق او يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد لآمرين اي آمرين امرا كائنا من عندنا
قوله اي انا انزلنا القران لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب لما كان المبدل منه وهو قوله انا كنا منذرين
استينافا يقصد به تعليل الانزال كان المقصود بالبدل ايضا ذلك لم يتعرض للمبدل منه اشعارا بكونه في حكم
الساقط والمقصود هو البدل وزاد قوله بالكتب ليصح كونه تعليلا للانزال قوله لاجل الرحمة عليهم اشارة
الى ان انتصاب رحمة على انها مفعول له للارسال ولو جعل انتصابها على انه مفعول به لقوله مرسلين لكان
له وجه غايته ان يجعل الرسل انفسهم رحمة للمبالغة الا ان المص لم يلتفت اليه لان المبدل منه لما لم يعتبر
فيه تعلق الفعل بالمفعول به بل كان معناه انا كنا فاعلين الانذار كان المناسب ان لا يعتبر تعلق الفعل به في
البدل ايضا ويكون معناه انا كنا فاعلين الارسال ليتطابق البدل والمبدل منه في ان كل واحد منهما منزل
منزلة اللازم قوله او علة ليفرق او امرا عطف على قوله بدل اي ويحتمل ان يكون قوله انا كنا مرسلين استينافا
لبيان علة فرق كل شان حكيم من اللوح او لبيان علة الامر به فقوله او امرا معناه او للفعل الناصب لقوله

اي يفرق من جهتنا ومن لابتداء الغاية صح

والمعنى انزلنا الكتاب حال كونه مأمورا به جعل الكتاب مأمورا مبالغة لاشتماله عليه صح

معنى العادة مستفاد من كلمة كان لانه للاستمرار اي التجدد

امرا على المصدرية او الحالية والمعنى امرنا بكل شان حكيم امرا او انزلنا القران آمرين لان شاننا ار
سال الرحمة وعدم امساكها وكون شانه مع ذلك يصلح علة لفصل الامور المحكمة ولامره بالان كل واحد منهما من
باب الرحمة اما الاول فظاهر والثاني فلان المقصود الاصلي من تكليف العباد تعريضهم للمنافع والرحمة لهم"
قوله وهو وما بعده الى قوله ورب ابائكم الاولين تحقيق لربوبيته وانها لاتحق الا لمن هذه صفاته لان توسيط ضمير
الفصل مع تعريف الخبر من جملة طرق الحصر ففيه تعريض بان آلهتهم لاتسمع ولاتبصر وليس لهم مدخل في تربية شيء
من الكائنات العلوية والسفلية فمن انتفى عنه لوازم الربوبية بالكلية كيف يكون ربا قوله خبر آخر فان غير الكوفيين
قرؤا رب السموات بالرفع على انه خبر بعد خبر او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو رب السموات او على انه مبتدا وقوله
لا اله الا هو خبره قوله ان كنتم من اهل الايقان في العلوم اي يعني يجوز ان يكون قوله موقنين منزلا منزلة اللازم و
لا يعتبر تعلقه بمفعول الغير الصريح وان يكون بمعنى موقنين في اقراركم بان خالق هذه الاجرام هو الله تعالى بان
يعتبر تعلقه بمفعوله ولكن حذف ذلك المفعول لدلالة المقام عليه قوله علمتم ان الامر كما قلنا اشارة الى ان جواب الشرط
محذوف مدلول عليه بما ذكر قبل الشرط وليس الجواب نفس ما ذكر قبل الشرط على راي الكوفيين ولا مضمونه المقدر
بعده على راي البصريين لان كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما امر محقق على جميع التقادير وليس تحققه موقوفا
على بعض التقادير والاعتبارات حتى يصح تعليقه بكونهم موقنين فلما لم يجز ان يجعل كونه تعالى ربا لما ذكر في نفس الامر
معلقا وموقوفا على كونهم موقنين جعل المعلق على ذلك علمهم بما ذكر قبل الشرط اما العلم الواقع منهم قبل ذكر الشرط
او العلم المطلوب بذكر ما الان الايقان على الثاني يكون مجازا عن الارادة بطريق اطلاق اسم المسبب على السبب
اي ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا كونه رب السموات والارض وما بينهما او كونه واحدا لا شريك له على ان يكون الجواب
المحذوف ما دل عليه ما قبل الشرط او ما بعده من قوله لا اله الا هو قوله وقرئ بالجر يعني من قرأ رب السموات بالجر على انه
بدل من ربك وهم الكوفيون قرؤهما بالجر ايضا على انهما بدلان او عطفا بيان لرب السموات ومن رفعه رفعهما ايضا
على انهما بدلان او عطفا بيان او نعتان له او خبر بعد خبر لقوله انه او خبر مبتداء مضمر قوله رد لكونهم موقنين الا
انه انتقل فيه الى طريق الغيبة تحقيرا لهم واعراضا عنهم حين افرطوا في العناد ولم يقبلوا رسول من يقرون بانه
خالق السموات والارض وما بينهما ولا كتابه ووجه انتظام الايات من اول السورة الى ههنا انه تعالى عظم كتابه المبين
بان جعله مقسما به واكده بالاخبار بانه هو الذي تفرد بانزاله في ليلة شريفة كثيرة الخير والبركة وعلل تخصيص تلك
الليلة بالانزال بكونها مفرق الامور المحكمة الحاصلة من عنده تعالى وعلل نفس الانزال بان شانه وعادته انذار المعاندين
بالعذاب بان يرسل اليهم رسلا مؤيدين بالكتاب السماوية لاجل الرحمة عليهم واقتضاء الربوبية اياه ثم وصف ذاته
المكرم باوصاف جليلة تحقيقا لربوبيته وارشادا الى ان الربوبية لا تحق الا لمن هذه اوصافه وسلك في قوله ان كنتم
موقنين وقوله ربكم ورب ابائكم سبيل الخطاب الهابا لحميتهم وتوبيخا عليهم بان انزال هذا الكتاب وارسال هذا الرسول
انما هو من قبيل من تقرون به وتقولون انه خالق السموات والارض وما بينهما فما لكم لا تقبلونهما ولا تؤمنون بهما مع انكم
تد

تدعون انكم موقنون في هذا القول والاقرار ومن ايقن به يلزمه ان يستيقن بان ملكوت كل شيء بيده يرحم من اطاعه"
وينتقم ممن عصاه فما لكم لا تخافون عذابه لاصراركم على مخالفته وعصيانه ثم التفت من الخطاب الى الغيبة فقال بل
هم في شك يلعبون تحقيرا لشانهم وابعادا لهم عن موقف الخطاب لكون شانهم التزلزل والامتراء وكون افعالهم
الهزء واللعب لعدم التفاتهم الى البراهين القاطعة وعدم تمييزهم بين الحق والباطل والضار والنافع ولما بين
ان شانهم الحماقة والطغيان وعدم قبول الحق والانتفاع به التفت لحبيبه صلى الله عليه وسلم تسلية له وانقا
طاعن بيانهم وبيانا لكونهم من اهل العذاب والخذلان لا من اهل الرحمة والغفران فقال فارتقب يوم تاتي السما
بدخان مبين مقابل انزال الكتاب من السماء بانزال العذاب منها والمعنى انا انزلنا الكتاب رحمة لهم وحين"
اعرضوا عنه انتظر انزال العذاب عليهم على ان قوله تعالى يوم تاتي السماء مفعول به لقوله ارتقب بمعنى ارقبه
وارتقبه نحو نظرته وانتظرته اختلف اهل التفسير في هذا الدخان فذهب ابن مسعود رضي الله عنه الى ان المراد به ما
اصاب قريشا من القحط وشدة الجوع حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة وذلك انهم لما عاندوا
وابوا عن متابعة الحق وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر
واجعلها سنين كسني يوسف فاصابهم ذلك بسبب دعائه عليه الصلوة والسلام والمص اشار بهذا القول"
اشار الى ان اطلاق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع اما كناية حيث اطلق اللازم واريد الملزوم او
مجاز مرسل حيث اطلق المسبب واريد السبب فان شدة القحط والجوع مستلزمة وسبب لان يرى الهواء
مظلما كالدخان اما من ضعف البصر من شدة الجوع واما لتكدر الهواء بسبب غلبة اليبس على الارض
وكثرة ما تصاعد منها الى الهواء من الغبار المكدر واما لان العرب يجعلون الدخان والظلمة استعارة للشر
الغالب من حيث ان كل واحد منهما يمنع تمام الابصار والسماء لا تاتي بالقحط والمجاعة فاسناد اتيانهما اليها"
من قبيل اسناد الحكم الى سببه لانهما يحصلان بعدم امطار السماء قوله او يوم ظهور الدخان المعدود في اشراط
الساعة عطف على قوله يوم شدة ومجاعة فعلى هذا يكون الدخان مستعملا في معناه الحقيقي وهو دخان ياتي من
السماء قبل يوم القيمة فتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه وليس فيه يخرج منها الدخان قوله يخرج من فم
عدن ابين وفي الصحاح ابين اسم رجل ينسب اليه عدن فيقال عدن ابين ويقال فلان ابين من فلان
اي افصح منه قوله او يوم القيمة عطف على قوله يوم شدة ايضا اي ويحتمل ان يكون المراد بالدخان نفس يوم
القيمة كما يحتمل ان يراد به معناه الحقيقي واطلاق الدخان على يوم القيمة من قبيل اطلاق اللازم وارادة الملزوم
وهو يوم القيمة فانه لشدة اهواله يظلم العين بحيث لا يرى الانسان فيه اينما توجه الا والظلمة مستولية عليه كان
الفضاء مملوء دخانا وانكر ابن مسعود رضي الله عنه ان يكون المراد بالدخان الا ما اصاب اهل مكة من شدة الجوع واحتج
عليه بانه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فاذا حملناه على القحط الذي وقع بمكة"
استقام الكلام فانه روي ان الامر لما اشتد على اهل مكة مشى ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نفر

قوله اشدد وطأتك على مضر اي خذهم اخذا شديدا والوطأة في الاصل الدوس بالقدم فسمي به الغزو والقتل لان من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه واهانته

منى اصحابه وناشدوه الله والرحم وقالوا يا رسول الله استسق الله لنا فقد اصابنا شدة ووا عدوه ان دعا
لهم وكشف الله تعالى عنهم تلك البلية ان يؤمنوا به فلما ازالها الله تعالى عنهم استمروا على شركهم ولم يؤمنوا واما اذا حمل
على ظهور علامة من علامات القيمة او على ظهور نفس القيمة فلا يصح ذلك لان عند ظهور علامات القيمة او ظهور
نفسها لا يمكنهم ان يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ولا يصح ايضا ان يقال لهم انا كاشفوا العذاب قليلا انكم
عائدون لان اثره ينقطع التكليف فلا يصح الايمان بعده فلا يبقى وجه لانه يعدوا الايمان على تقدير الكشف ويمكن ان يجاب
عنه بان هذه العلامة لم لا يجوز ان تكون كسائر علامات القيمة في انه لا يوجب انقطاع التكليف فلا يصح الايمان بعد ظهورها
قوله مقدر بقول وقع حالا يعني ان قوله تعالى هذا عذاب اليم في محل النصب على انه مفعول قول مقدر اي يغشاهم قائلين
هذا عذاب اليم ربنا اكشف الآية فعند ذلك يقول الله عز وجل كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان
عند كشف العذاب وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله
عليه الصلوة والسلام من الآيات والبينات من الكتاب المعجز وغيره وهو قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم ثم تولوا عنه
قوله قال بعضهم يعلمه غلام الخ دفع لما يقال الجنة والتعلم من الغير متنافيان فكيف يجمعونهما فاجاب عنه بان
اسناد القولين اليهم ليس بطريق ان جميعهم اتفقوا على القولين بهما قوله ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط
الخ جواب عما احتج به ابن مسعود رض وتقريره ان مجرد ظهور ما هو من اشراط الساعة لا يوجب انقطاع التكليف
وعدم اعتبار الايمان بعد ظهوره ولا يجب ايضا لزومها وعدم انكشافها فلا يمتنع ان يغوث الكفار بالدعاء بان
يقولوا يا ربنا اغثنا مما نحن فيه من غشيان الدخان ايانا فيكشفه الله تعالى عنهم بعد الاربعين فريثما يكشفه
عنهم يرتدون قوله ومن فسره بالقيمة جواب عنه ايضا وتقريره ان نفس القيمة لا ينكشف بعد ظهورها
وان الايمان لا يعتبر بعد ظهورها واتيانها الا ان قولهم ربنا اكشف عنا العذاب ليس معناه كشف نفس القيمة و
ازالتها بل معناه تمني ان يردوا الى الدنيا فيؤمنوا كما حكى عن امثالهم انهم يقولون لو ان لنا كرة فنكون من
المؤمنين وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون مأول بالشرط والتقدير والمعنى ان رددناكم الينا
تعودون الى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب على اسلوب قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالكلام مبني على
الفرض والتقدير قوله فان ان تخرجه عنه اي تمنع قوله تمنعون عن ان تعمل فيما قبلها لاقتضائها صدر الكلام
قوله وقرئ نبطش بضم النون وكسر الطاء من ابطشه اذا حمله على البطش ومكنه منه والبطش الاخذ
بالشدة فقوله تعالى البطشة الكبرى على هذا يجوز ان ينتصب على انه مفعول اي يوم نجعلها باطشة بهم على الاسناد
المجازي نحو جد جده او على انه مفعول مطلق لنبطش على حذف الزوائد نحو انبتكم من الارض نباتا ومفعول
الابطاش محذوف للعلم به اي يوم نبطش الملائكة البطشة الكبرى ثم انه تعالى لما بين ان كفار مكة ليسوا موقنين
بل هم في شك يلعبون وامره عليه الصلوة والسلام بان يرتقب يوم تأتي السماء بشره ومجاعة بين ان كثيرا من
المتقدمين ايضا كانوا كذلك ومن جملتهم قوم فرعون وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي امتحناهم بالامر والنهي
بار

وذلك معنى قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون

فيحدث بهذه الحالة ثم ان الناس يخافون فيتضرعون فاذا زالت تلك الواقعة عادوا الى الكفر والنفاق واذا كان هذا محتملا استقام قوله انا كاشفوا العذاب مع التقدير بان الدخان من علامات القيمة اي هو من اشراط الساعة منه

ثم انه تعالى لما استبعد عنهم الذكر بمجرد كشف الدخان خاطبهم على طريق الالتفات فقال انا كاشفوا العذاب اي انكم لا تفون بعهدكم بل تنقضون عقب الكشف منه

بارسال موسى اليهم او اوقعناهم في الفتنة اي في الشدة والبلاء والمراد بالاختبار الكفر وارتكاب المعاصي فالفتنة
تكون بمعنى الاختبار وبمعنى الشدة والبلاء فان حملت في الآية على المعنى الاول يكون الاسناد في قوله فتنا حقيقة
عقلية لانه هو الذي اختبرهم بارسال موسى عليه الصلوة والسلام اليهم فاختاروا الكفر على الايمان وعلى الثاني
يكون مجازا عقليا من باب اسناد الفعل الى سببه لان المراد بالفتنة ح ارتكاب المعاصي فانه تعالى كان سببا لارتكا
بهم اياها بان امهلهم ووسع رزقهم قوله وقرئ بالتشديد فيكون صيغة التفعيل في فتنا اما للتاكيد والمبالغة في
الفتنة او التكثير لكثرة متعلقها فان لكل فرد من القوم نصيبا من الفتنة فيكون ما للقوم كثيرا قوله بان ادوهم
الى على ان تكون ان مصدرية ناصبة للمضارع وهي توصل بالامر نحو امرته ان قم اي بالقيام والمعنى جاءهم بان ادوا
الي ملتبسا بهذا القول وعباد الله مفعول به طلب منهم ان يؤدوا اليه بني اسرائيل بدليل قوله فارسل معي بني
اسرائيل ثم ذكر احتمال ان يكون عباد الله منادى ويكون المفعول محذوفا اي اعطوني الطاعة وقبول الدعوة يا عباد
الله على انه رسول ائتمنه الله تعالى على وحيه ورسالته وعطف عليه جواز ان تكون ان مخففة والمعنى وجاءهم بان الشان
والحديث ادوا الي عباد الله وحمل عليه وقوع الخبر في هذا الباب طلبا نادر وحمل الآية على النادر القليل بعيد
ثم جوز ان تكون هي المفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول لان الرسالة تتضمن القول قوله بسلطان مبين اي بحجة
والحجة يعترف بها وينقاد لها كل عاقل ففي ذكره في مقابلة العلاقات لا يخفى كما في ذكر الامين مع الاداء قيل انه
عليه الصلوة والسلام لما قال وان لا تعلوا على الله الآية توعدوه بالقتل فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون
اي من ان تقتلوني بالحجارة قال قتادة وكان ذلك عادتهم في القتل وعن ابن عباس رض قال ان تشتموني بالله
قوله وقرئ عت بادغام الذال في التاء قيل هي قراءة ابي عمرو وحمزة والكسائي قوله وان لم تؤمنوا لي اي
ان لم تصدقوني فيما بلغتكم عن الله تعالى في قوله لاجل ما آتيتكم به من السلطان المبين فاللام في قوله لي لام
الاجل قوله بعد ما كذبوه اشارة الى ان الفاء في قوله فدعا ربه للعطف على مقدر اي انهم كفروا ولم يؤمنوا فدعا
موسى ربه بان هؤلاء قوم مجرمون سماه دعاء مع انه ليس بدعاء صريح لانه دعاء عليهم على سبيل التعريض
كانه قيل انهم قوم تناهى امرهم في الكفر والعصيان وانت اعلم بهم فافعل بهم ما يستحقونه قراءة العامة ان
هؤلاء بفتح ان على اضمار حرف الجر قوله اي فقال اسر او قال ان كان الامر كذلك فاسر لما كان عطف قوله
فاسر على قوله فدعا ربه من قبيل عطف الانشاء على الاخبار بحسب الظاهر ذكر له وجهين الاول ان يضمر القول
بعد الفاء اي فقال الله تعالى اسر بعبادي ليلا انه يتبعكم فرعون وقومه وذلك سبب هلاكهم والثاني ان يكون فاسر
جواب شرط محذوف كانه قيل قال الله تعالى ان كان الامر على ما تقول فاسر وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها
على ان سرى به واسرى لغتان بمعنى اي سار به ليلا قوله مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا يعني ان الرهو
مصدر اما من قولك رها بين رجليه يرهو رهوا اي فتح او من قولك رهى البحر اي سكن ويقال افعل ذلك رهوا
اي راهيا ساكنا فقولك البحر رهوا من قبيل رجل عدل اي راهي ساكن او وصف البحر بالمصدر للمبالغة او بتقدير

هل ايضا اذ خففت الثقيلة يجب ان يعوض منها باحد الحروف الاربعة حرف النفي وقد وسوف والسين فلا يجوز ان تكون ان في الآية مخففة لعدم حرف التعويض واجيب بان حرف التعويض انما يجب لئلا يلتبس بان المصدرية ولا يلتبس ها هنا في الآية لان ان المصدرية لا توصل بالطلب على الاصح وان جوزه سيبويه وابو علي وان في الآية داخلة على الطلب فلا يلتبس بالمصدرية فاستغنى لذلك عن حرف التعويض منه

وفي الصحاح السارية السحابة التي تأتي ليلا وسريت سرى وسرى واسريت بمعنى اذا سرت ليلا وبالالف لغة اهل الحجاز وجاء القرآن بهما جميعا وانما قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وان كان السرى لا يكون الا بالليل للتاكيد كقولهم سرت امس نهارا والبارحة ليلا

ذو رهو والفجوة الفرجة المتسعة بين الشيئين اي اتركه على حاله منفتحا منفرجا ايبس لكل فرقين منفلقين منه
طريق متسع يابس وكان موسى عليه الصلوة والسلام قد امر ان يضرب البحر بعصاه حتى ينفلق طرقا وقام كل
فرق في الهواء كالطود العظيم فلما عبر هو وبنو اسرائيل سالما خاف ان يدخله القبط مع فرعون ويعبروه
كما عبر هو واصحابه فاراد ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه اولا فانفلق فامر ان يتركه على حاله وهيئته
من انتصاب الماء في الهواء وكون الطريق يبسا ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه جميعا اطبقه الله تعالى عليهم فغرقهم
اجمعين قراءة العامة انهم جند مغرقون بكسر همزة ان على الاستيناف اخبر الله تعالى موسى انه يغرقهم ليطمئن
قلبه في ترك البحر على حاله **قوله** كم تركوا يعني ان كم خبرية للتكثير منصوبة المحل بتركوا وفي الآية اختصار والمعنى
ففعل موسى ما امر به من ترك البحر رهوا فدخله فرعون وقومه فانطبق البحر عليهم فاغرقوا جميعا فحين ذلك
تركوا بساتين كثيرة وكذا وكذا والنعمة بكسر النون ما انعم به عليك وبفتحها التنعم ونضارة العيش **قوله**
مثل ذلك الاخراج اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انها صفة مصدر محذوف منصوب بفعله المحذوف المدلول
عليه بقوله انكم متبعون وقوله كم تركوا وقوله اورثناها لان كل واحد من الاتباع والترك والايراث انما يحصل
بعد الاخراج فعلى هذا يكون قوله تعالى واورثناها معطوفا على تلك الجملة الناصبة للكاف وعلى قوله او الامر كذلك يكون
مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف ويكون قوله واورثناها معطوفا على تركوا والمراد بايراثها نقلها اليهم نقل
الميراث الى الوارث لان بني اسرائيل ليسوا ورثة للقبط حيث لم يكونوا منهم في شيء من قرابة ولا ولاء ولا دولة وانما نقلها
اليهم ليكون اشد عليهم واغيظ لهم فوق خروجها من ايديهم **قوله** وقيل غيرهم اي قيل المراد بالقوم الآخرين
غير بني اسرائيل لانهم لم يعودوا الى مصر **قوله** مجاز عن عدم الاكتراث وهو المبالاة والاعتناء بشان الهالك
يعني ان البكاء المدلول عليه بقوله بكت مجاز مرسل عن الاكتراث بهلاك الهالك بطريق ذكر المسبب وارادة //
السبب فان الاكتراث المذكور سبب مؤد الى البكاء عليه عادة وحمله على المجاز لان مجرد عدم البكاء مع
قطع النظر عن كونه متفرعا على عدم الاكتراث لا يدل على خساسة الهالك والآية مسوقة للدلالة عليها فان
المراد بها التهكم بهم والدلالة على ان حالهم منافية لما عندهم من التعظم على الناس والافتخار بما لديهم
من اسباب العز والشرف ولا بد مع حمل نفي البكاء على عدم الاكتراث من جعل الآية استعارة بالكناية بان
شبهت السماء والارض بمن يصح منه الاكتراث وجعلت نسبة الاكتراث اليهما استعارة تخييلية دالة
على التشبيه المذكور لكونه من توابع المشبه به ولولا هذا لما صح نسبة الاكتراث اليهما وكانت العرب اذا مات
فيهم من له خطر وقدر عظيم يقولون بكت له الارض والسماء يعنون به ان المصيبة بموته عمت الخلق فبكى
له الكل حتى الارض والسماء فاذا قالوا ما بكت عليه الارض والسماء يعنون به ما ظهر بعده اي ما يظهر بعد موته
في الاقدار والشرف على انه كان بحيث لا يعتني لوجوده ولا يكترث بهلاكه والتحقيق ان عدم بكاء السماء والا
رض عليهم كناية عن انهم لم يكونوا يعملون على الارض عملا صالحا ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي الارض بانقطاعه
وانهم

وانهم لا يصعد الى السماء منهم عمل صالح ينقطع ذلك بهلاكهم فتبكي السماء بانقطاعه قال مجاهد ما مات مؤمن الا
بكت عليه السماء والارض اربعين صباحا ذكر الله تعالى حالهم مخالفا لحال من يعظم فقده من المؤمنين **قوله**
وما كانوا ممهلين الى وقت آخر اذا جاء وقت هلاكهم ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجلوا اهلاكهم في الدنيا ثم انه تعالى
لما بين كيفية هلاك فرعون وقومه بين كيفية احسانه الى موسى فقال ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب
المهين وهو قتل الابناء واستخدام النساء والرجال في الاعمال الشاقة **قوله** بدل من العذاب اما على حذف
المضاف اي من عذاب فرعون واما على المبالغة بجعل فرعون نفس العذاب **قوله** متكبرا اي لتكبر ما كان عليه من
الشيطنة كأنه قيل هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته ثم بين حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين
قوله لكثرة الانبياء فيهم علة لكونهم مختارين على جميع طوائف الناس فان بني اسرائيل مختارون بهذا الوجه
على من عداهم من اقوام كل عصر لفقد هذا المعنى فيهم **قوله** او عالمي زمانهم فانه تعالى اختارهم على اهل ذلك الزمان بان
وفقهم للايمان بالنبي المبعوث في ذلك الزمان والاهتداء بهداه وانجاهم مما هم عليه من العذاب المهين باهلاك
اعدائهم بالاغراق **قوله** نعمة جلية او اختبار ظاهر البلاء حقيقة في الاختبار وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة
ايضا مجازا من حيث ان كل واحد منهما يكون سببا وطريقا للاختبار ويعامل الله تعالى باصابة كل واحد منهما
للمكلف معاملة من يختبر ليعلم المطيع الشاكر من خلافه علم تحقق وعيان والبلاء في الآية يحتمل ان يكون بمعنى
النعمة لان الآيات التي آتاها الله تعالى بني اسرائيل كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى نعم جلية اي
ظاهر كونها نعمة ولم ينفرد بها موسى بل لكل واحد من بني اسرائيل حظ منها وان يكون بمعنى الاختبار لانه تعالى كان
يختبر باعطائها اياهم وينظر كيف يعملون فان قيل اذا كان المراد بالآيات فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن و
السلوى ونحوها ولا شك انها في انفسها نعم جلية فما معنى قوله تعالى ما فيه بلاء مبين اي نعمة جلية قلت لعل الكلام
من قبيل قوله لكم فيها دار الخلد من حيث ان كلمة في للتجريد **قوله** لان الكلام فيهم فانه تعالى لما حكى عن مشركي قريش
انهم تولوا واعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنوا فيه حيث قال وانى لهم الذكرى وقد جاءهم
رسول امين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون وهددهم بقوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون وضرب
لهم مثلا قوم فرعون ومجيء رسول كريم اليهم وقصدهم اياه وتدمير الله تعالى اياهم وقطع دابرهم اعتبارا و
اتعاظا ذكر من قبائحهم ما هو اعظم من الاول وهو تكذيب الله تعالى بان يقولوا لا بعث ولا حساب ولا جزاء
فظهر بهذا ان الكلام فيهم وان قصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة
وللانذار عن مثل ما حل بهم **قوله** ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى جواب عما يقال القوم ينكرون الحيوة
الثانية اي البعث بعد الموت وليس النزاع الا فيه فكان من حقهم ان يقولوا ان هي الا حياتنا الاولى وما نحن
بمنشرين اي بمبعوثين بعد الموت يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم وقولهم ان هي الا موتتنا الاولى يدل على
ان يكون النزاع في الموتة بان يكون المسلمون يثبتون موتة ثانية وهم ينفونها بحصر الموتة في الاولى وليس الامر كذلك

روى الترمذي عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه وذلك قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قطبي

هو رد وقرئ من فرعون بفتح من ورفع فرعون على الابتداء والخبر وهو استفهام تحقير وانكار والمعنى هل تعرفون من هو في عتوه وشيطنته

وتقرير الجواب انما ذكر انما يلزم ان لو كان المعنى ما الموتة الا الموتة الاولى وليس كذلك بل المعنى ما العاقبة الا الموتة
الاولى يقصدون به انكار البعث بعد الموت كما قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وذلك انهم لما
اخبروا بان عاقبة حيوتكم هذه ونهايتها امران الموت ثم البعث انكروا ذلك بحصر نهاية الامر في الموتة الاولى
للحيوة الدنيا وتوصيف الموتة بالاولى لا يستدعي ان يثبت الخصم موتة ثانية فيقصدوا بذلك انكارها لان كون الشيء
اول لا يستلزم وجود ما كان اخرا بالنسبة اليه كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وكما قال اول عبد املكه فهو
حر فملك عبدا عتق سواء ملك بعده عبدا اخر ام لا قوله وهل لما قيل لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة وذلك
قوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو جواب بوجه آخر اختاره صاحب الكشاف محصوله انهم لما
اخبروا بالموتة التي تعقبها حيوة انكروا ذلك بان حصروا الموتة التي من شانها ان تكون في الموتة الاولى وهي ما كانت
على الحيوة الدنيا التي تزيل تلك الحيوة كما في الوجه الاول وليس مقصودهم من هذا الحصر انكار طريان الموت على الحيوة
الدنيا وان خيل ذلك من حصر الموتة في التي تعقبها الحيوة الدنياوية بل المقصود انكار ان تكون ذلك الموت تعقبه حيوة
ثانية فالحصر بهذا المعنى هو الذي يستفاد من ان يقال ما هي الا حيوتنا الاولى وما نحن بمنشرين عبر لما كان المتبادر
من لفظ الموتة ما يزيل الحيوة وكان اطلاقه على ما كان قبل الحيوة الدنيا بعيدا وكان انكار البعث بهذه العبارة بعيدا
ايضا لم يلتفت المص اليه قوله خطاب لمن وعدهم بالنشور يعني ان الكفار الذين انكروا البعث والنشور قالوا لمن
وعدهم بذلك ان كان ذلك ممكنا معقولا فعجلوا لنا احياء من مات من ابائنا لنستدل به على صدقكم في الوعد
بالنشور ولما حكى الله تعالى عنهم ذلك خوفهم بمثل عذاب الامم الخالية فقال اهم خير ام قوم تبع والذين من
قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وهذا استفهام انكر به كون كفار قريش خيرا منهم فان قيل ما معنى قوله تعالى
اهم خير ام قوم تبع مع انه لا خير في كل واحد من الفريقين اما في كفار مكة فظاهر واما في قوم تبع فلانه تعالى
ذمهم بقوله انهم كانوا مجرمين اشار المص الى جوابه بقوله اهم خير في القوة والمنعة اي ليس المراد الخيرية
في الدين بل المراد الخيرية في القوة والعدة كما في قوله اكفاركم خير من اولئكم اي ليس كفار قريش باقوى مما
قوم تبع ومن تقدم عليهم وقد اهلكناهم بجرمهم فكيف لا يخافون ان يصيبهم مثل ما اصاب هؤلاء قوله
تبع الحميري حمير قبيلة من اليمن سميت باسم ابيهم وهو حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنهم
كانت الملوك في الدهر الاول قيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لان اهل الدنيا كانوا يتبعونه فان تبعا
في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الاسلام فالتبع على هذا بمعنى المتبوع وقيل سموا تبعا لانهم يتبعون اباءهم
ويقتفون بهم في سيرتهم فالتبع بمعنى التابع والقيل ملك من ملوك حمير دون الملك الاعظم المسمى
بالتبع واصله قيل بالتشديد فخفف كميت في ميت كانه الذي له القول والامر والنهي قوله وحير الحيرة اي
بنى الحيرة وهي مدينة بقرب الكوفة كقولهم مدن المدائن اي بناها قال قتادة ذكر لنا ان تبعا كان رجلا
مسلما من حمير سار بالجنود وحير الحيرة ثم اتى سمرقند فبناها وكان تبعا قبل عهد النبي صلى الله عليه وسلم
باربعين

قد طلبوا منه عليه الصلوة والسلام ان يدعو الله حتى ينشر قصي بن كلاب ليشاوروه في صحة نبوته وفي صحة البعث منه

باربعين عاما وكنيته ابو كرب واسمه اسعد وهو اول من كسى البيت سبعة اثواب وكان يعبد الاوثان ثم اسلم
حبرين عالمين وانه اتى البيت الحرام فطاف به ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر بها للناس
ويطعم اهلها ويسقيهم العسل واري في المنام ان يكسو البيت فكساه نوعا من الثياب ثم اري ان يكسوه احسن
فكساه المعافري ثم اري ان يكسوه احسن فكساه الملاء والوصائل فهو اول من كسى البيت واوصى به قوله
بمآل قوم تبع والذين من قبلهم اشارة الى ان قوله والذين من قبلهم في محل الرفع بالعطف على قوم تبع كانه قيل اهم خير
ام هؤلاء ثم بين مآلهما بقوله اهلكناهم تهديدا لكفار قريش قوله او حال من الضمير المستكن في الصلة وهي قوله
من قبلهم فعلى هذا الوجه ايضا يكون الموصول معطوفا على قوم تبع ثم اشار الى جواز ان يكون قوله والذين مرفوع
المحل على الابتداء وان يكون اهلكناهم خبره ثم ذكر سبب هلاكهم فقال انهم كانوا قوما مجرمين اي فمن اين يؤمن
هؤلاء من باسنا وهم يسيرون بسيرتهم قوله وما بين الجنسين يعني ان من قرأ وما بينهما اول السموات
والارض بالجنسين ومن قرأ بينهن نظرا الى كون المرجع اليه جمعا قوله وهو دليل على صحة الحشر اي على ثبوت
فانه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق لهوا وعبثا لانه تعالى خلق نوع الانسان وخلق ما ينتظم به امر
معاشهم من السقف المرفوع والمهاد المفروش وما فيهما وما بينهما من عجائب المصنوعات وبدائع الاحوال والمسببات
ثم كلفهم بالايمان والطاعة على الوجه المشروح بلسان نبيه الامين وكتابه المبين ما تقتضي ذلك ان يتميز المطيع
عن العاصي بان يكون المطيع متعلق فضله واحسانه والعاصي متعلق عدله وعقابه وذلك لا يكون في الدنيا لقصر
زمانها وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بانواع الافات والمحن فلا بد من البعث والنشأة الاخرى ليجزى
كل نفس بما كسبت في دار التكليف فظهر بهذا وجه اتصال الاية بما قبلها وهو انه تعالى لما حكى مقال منكري البعث والجزاء
وهددهم ببيان مآل المجرمين الذين مضوا قبلهم ذكر الدليل القاطع الدال على صحة البعث والجزاء فقال وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين قوله الا بسبب الحق يعني ان قوله بالحق مستثنى مفرغ متعلق
بالخلق اي ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان والطاعة او البعث والجزاء
ويجوز ان يكون في موضع الحال من الفاعل اي ما خلقناهما في حال من الاحوال الا في حال كوننا محقين عاملين
بالحق ملتبسين به ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على انه لا بد من البعث والجزاء ذكر عقيبه حال يوم البعث فقال ان
يوم الفصل ميقاتهم اجمعين اي وقت موعدهم على ان الميقات اسم للوقت المضروب للفعل والموعد مصدر بمعنى
الموعود اي انه وقت لما وعدوا به من الاجتماع في المحشر للحساب والجزاء سمي يوم البعث بيوم الفصل لانه تعالى
يفصل فيه بين المحق والمبطل وبين اهل الجنة والنار وقيل لانه تعالى يفصل فيه بين المؤمن وبين ما يكرهه و
يفصل بين الكافر وبين ما يؤثره ويريده ويوم الفصل منصوب على انه اسم ان وميقاتهم خبرها واجمعين تاكيد
للضمير المجرور في ميقاتهم واجاز الكسائي والفراء نصب ميقاتهم على انه اسم ان ويوم الفصل ظرف واقع في موضع
خبر ان اي ان ميقاتهم واقع في يوم الفصل قوله او صفة لميقاتهم فيكون مرفوع المحل او منصوبه على القراءتين

وقد يطلق الميقات على الموضع المضروب للفعل كمواقيت الاحرام منه

فان المصدر واسمي الزمان والمكان من المثال يكون على مفعِل بكسر العين منه

في موصوفه لكونه مبنيا على الفتح **قوله** او ظرف اي ويجوز ان يكون يوم لا يغني منصوبا على انه ظرف لفعل يدل عليه الفصل اي
يفصل بينهم يوم لا يغني ولا يجوز ان يكون منصوبا بنفس الفصل لانه مصدر فلا يجوز ان يفصل بينه وبين معموله باجنبي
وهو قوله ميقاتهم اجمعين فانه وقع فاصلا بينهما فسر يوم الفصل بقوله يوم لا يغني اي لا ينفع ولا يغني وتنكير مولى
في الموضعين للابهام والتعميم فان المولى يطلق على القريب والمعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار والصديق
والصهر وكل من ولي امر واحد فهو وليه ومولاه فواحد من هؤلاء اي واحد كان لا يغني عن مولاه اي مولى كان شيئا
من الاغناء اي اغناء قليلا على ان يكون انتصابه شيئا على انه مفعول مطلق ليغني وان تنكيره للتقليل او للتعميم واذا لم
ينفع بعض الموالي بعضا ولم يدفع عنه شيئا من العذاب بشفاعته له كان عدم حصوله ممن سواهم اولى **قوله**
الضمير للمولى يعني ضمير الجمع يرجع الى ما هو مفرد اللفظ لكونه في معنى الجمع لانه عام لكونه نكرة واقعة في سياق النفي
ولعل تخصيص المولى الاول بارجاع الضمير اليه من حيث ان الكلام في يكون محمولا على الافادة وان جعل الضمير للمولى
الثاني يكون محمولا على الاعادة والتأسيس اولى من التأكيد وذلك انه تعالى حكم اولا ان احدا من الموالي لا ينفع مولاه
اي مولى كان ولا ينصره بان يشفع له في حقه فان النصرة في العشيرة لا تكون الا بالشفاعة اما في دفع العذاب او تحصيل
البغية ورفع المنزلة فان جعل الضمير للمولى الثاني يكون الجملة الثانية تاكيدا للاولى وان جعل للاولى يكون
المعنى كما ان الموالي لا يملكون ان يشفعوا لمواليهم لا ينصرونهم ايضا اي لا يملكون ان يغني عنهم غيرهم ويشفع لهم
وهذا معنى جديد غير الاول والتأسيس اولى من التأكيد **قوله** ومحله الرفع اي على انه بدل من واو لا ينصرون
اي لا ينصر الا من رحم الله فيتفضل الله بالعفو عنه وقبول شفاعة الشافعين في حقه بعد ان يأذن لهم فيها ويجوز ان
يكون منصوب المحل على انه مستثنى متصل من واو ينصرون لما اشتهر من انه يجوز فيما بعد الا النصب على الاستثناء والمختار
البدل اذا كان في كلام غير موجب بشرط ان يكون المستثنى منه مذكورا والاية من هذا القبيل وقيل انه بدل من
مولى الاول او مستثنى منه متصل اي لا يغني مولى الا المؤمنون او الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في الشفاعة //
فيشفعون في حق بعض المؤمنين والاول ارجح لانه اقرب لفظا ومعنى واعلم انه تعالى لما اقام الدليل على حقية البعث
والقيمة ثم اردفه بوصف ذلك اليوم ذكر عقيبه وعيد الكفار فقال ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ثم ذكر وعد الا
برار بقوله ان المتقين في مقام امين والزقوم في لغة العرب اسم شجرة صغيرة الورق ذفرة مرة تكون
بتهامة سميت به الشجرة التي وصفها الله تعالى بانها شجرة تنبت في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها وثمرها
نزل اهل النار **قوله** والمراد به اي بالاثيم الكافر لا مطلق ذي الاثم كافرا كان او فاسقا لان الاصل في اللفظ
الذي دخل عليه حرف التعريف ان ينصرف الى المذكور سابقا وهاهنا هو الكفار فينصرف اليه فان المفسرين قالوا
المراد بقوله لا يغني مولى عن مولى الكفار وبقوله الا من رحم الله المؤمنون لان بعضهم يشفع لبعض وكذا يبين الله
بعد هذه الاية انه تعالى يقال للزبانية في حقهم خذوه فاعتلوه الى قوله ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا
تؤمنون به ولا يشك فيه الا الكافر ومراد المص من تخصيص الاثيم بالكافر والاستدلال عليه ان يجيب عما تمسك

عن تمسك المعتزلة بهذه الاية على وعيد الفساق بناء على ان الاثيم من صدر منه الاثم فيكون الوعيد المذكور هنا متناولا
للفساق وقيل نزلت الاية في ابي جهل وقيل في الوليد بن المغيرة ويؤيد الاول ما روي ان ابا جهل كان يقول انا اعز
اهل هذا الوادي واكرمه فيقال له في الاخرة ذق انك انت العزيز الكريم اي المتعزز المتكرم كما قلت ذلك في الدنيا
قوله وهو ما يمهل في النار من المهلة اي يوضع في النار ويترك فيها بالامهال والتؤدة حتى يذوب ويصير مائعا
عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ان المهل ما يذاب بالنار كالفضة والذهب والحديد والرصاص ونحوها وسمي
بالمهل لانه يمهل في النار حتى يذوب وقيل المهل دردي الزيت وقيل هو عكر القطران والكاف في قوله تعالى كالمهل في محل
الرفع على انه خبر ان بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف اي هو كالمهل وكذلك قوله تعالى تغلي في البطون في قراءة من
قرأ بالتاء الفوقانية فان الجمهور قرؤه بها فح يكون ضمير تغلي للشجرة ويكون الجملة خبرا آخر او خبر مبتدأ محذوف
اي هي تغلي والمص جعل ضميره للطعام او للزقوم على قراءته بالياء من تحت بناء على ان الاظهر ان الجملة حال من احدهما
فان كانت حالا من الطعام يكون العامل معنى النسبة والاضافة كما في قولك زيد اخوك شجاعا كانه قيل اشبه
البر غالبا الا ان الظاهر ان المراد يكون الجملة حالا من الزقوم كونها حالا من الضمير المستتر في قوله كالمهل فان
ما فيه من الضمير وان كان راجعا الى شجرة الزقوم الا ان المراد منها نفس الزقوم لان اضافتها اليه للبيان غاية
ما في الباب ان يكون المراد بالزقوم وهو الشجرة ثمرة فيكون العامل في الحال معنى التشبيه المستفاد من الكاف ولم
يرض بكون الجملة حالا من نفس المهل حتى يكون ضمير يغلي راجعا اليه بناء على ان الغليان في البطن انما هو فعل
الطعام قائم بنفس المطعوم لا بما يشبه به المطعوم وهو المهل فانه لا يوصف بانه يغلي في البطون فكان
اسناد يغلي الى ضمير المهل بعيدا عن الظاهر **قوله** غليا كغلي اشارة الى ان الكاف في محل النصب على انها صفة مصدر
محذوف ليغلي **قوله** على ارادة القول يعني ان قوله خذوه الى آخر الاية في محل النصب على انه مفعول قول مضمر
اي يقال للزبانية خذوه اي الاثيم فاعتلوه اي فقودوه وجروه بغلظة وقهر يقال عتله اي ساقه بجفاء وغلظة
والعتل الغليظ الجافي وفعله من باب نصر وضرب يقال اخذ فلان بزمام الناقة فعتلها اذا قبض على اصل الزمام
عند الرأس وقادها قودا عنيفا **قوله** كان اصله يصب من فوق رؤوسهم الحميم الظاهر ان يقال كان اصله ثم صبوا
فوق رؤوسهم الحميم الا انه اختار ذلك النظم كونه عين نظم القرآن في آية اخرى هذا وراو يقال ما وجه جعل العذاب
مصبوبا وهو لا يصب لكونه من قبيل المعاني والصب مما يتعلق بالاجسام المائعة اشار الى جوابه بان اصل المعنى
الامر بصب نفس الحميم وهو الماء الذي كان في غاية الحرارة لان الزبانية امروا بصب عذاب هو الحميم للمبالغة
في كون الحميم سبب العذاب حيث جعل نفس العذاب مع انه سببه **قوله** في موضع اقامة فسره به بناء على انه اختار
قراءة نافع وابن عامر فانهما قرءا مقام بضم الميم وهو موضع الاقامة والباقون بفتحها والمقام بالفتح في الاصل
موضع القيام خاصة ثم استعمل في مطلق الموضع والمكان حتى قيل لموضع القعود والاضطجاع مقام وان لم
يقم فيه اصلا فهو من الخاص الذي استعمل في معنى العموم قال اهل السنة كل من اتقى الكفر صدق عليه انه متق //

لعله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله تعالى فكانت وردة كالدهان فالاول دل على ان السماء تجب كالمهل منه

لان جعله جزء آخر محوج الى تأويل الشجر بالزقوم وكذا جعله خبر مبتدأ محذوف منه

يعني ان صب العذاب كناية عن ... والعذاب ليس من المايعات كيف نسب الصب ... بالمايع ثم خيل له ما هو لازم المايع وهو الصب للتخييل ... النصب ... بالاخبار ... منه

فيدخل الفاسق في هذا الوعد وقال المص المتقي في عرف الشرع من يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلث مراتب الاولى
التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك والثالثة ان
يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره قوله يأمن صاحبه يعني ان الامين من قولك امن الرجل
امانة فهو امين وضده الخائن ووصف المقام به مجاز لانه من صفة صاحبه في الحقيقة ووصف به المحل على طريق
عيشة راضية بمعنى ذات رضا يرضى عنها صاحبها قوله للدلالة على نزاهته اي تباعده عن وجوه السوء لكونه
في غاية البهجة والزينة فان الجنات والعيون من اقوى اسباب نزهة الخاطر وانفرادها عن الغم كما قيل ثلثة يذهبن
عن القلب الحزن الماء والخضرة والوجه الحسن والبراقة التلألؤ واللمعان قوله الامر كذلك يعني ان الكاف
اما في محل الرفع على انها خبر مبتداء محذوف او في محل النصب على انها مفعول ثان لفعل الاثبات المدلول عليه بقوله
ان المتقين في مقام امين وقوله وزوجناهم معطوف على ذلك الفعل المحذوف اي مثل ذلك آتيناهم وزوجنا
هم وعلى الاول يكون معطوفا على يلبسون وعدل الى لفظ الماضي لكون التزويج في حكم الواقع وللدلالة على كونه
نعمة جليلة وفضلا عظيما قوله قرناهم بهن يعني ان تزويجهم بهن ليس معناه انشاء عقد التزويج بمعنى
العقد لا يتعدى بالباء فلا يقال زوجته بامراة وتزوجت بها بل يقال زوجته امراة وتزوجتها وفي التنزيل
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ولو لم يكن المراد عقد التزويج لقيل زوجناكها بمعنى كنت فردا فجعلناك
شفعا بها قال ابو عبيدة معنى وزوجناهم بحور جعلناهم ازواجا بهن كما يزوج النعل بالنعل اي يجعل كل
واحد منهما شفعا بالآخر قوله والحوراء اشارة الى ان الحور جمع الحوراء كما ان العين جمع العيناء اصله
العين بضم العين كحمر في جمع حمراء ثم كسرت العين لاجل الياء كما في بيض واصل الحور البياض يقال
احور الشيء بمعنى ابيض وتحوير الشيء تبييضه وقيل لاصحاب عيسى عليه الصلوة والسلام الحواريون لانهم
كانوا قصارين وقال مجاهد سميت نساء الجنة حورا لانه يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لو
نهن ثم اختلفوا في هؤلاء الحور العين فقال الحسن انهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقا آخر وقال
ابو هريرة رضي انهن لسن من نساء الدنيا قوله يطلبون اشارة الى ان يدعون من صفة المتقين وان
وزنه يفتعلون من قولهم دعا بكذا اذا استحضر فيعلم منه ان الوقف على عين لازم لانه لو وصل يدعون بقوله
عين لتوهم ان الدعاء فعل الحور العين وان وزنه يفعلن فان صيغتي جماعة المذكر والاناث تستويان
في باب الناقص فيقال الرجال يدعون والنساء يدعون والتقدير مختلف قوله ولا يتخصص شيء منها بزمان
ولا مكان مستفاد من الاطلاق فقوله بكل فاكهة قوله يدعون يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون حالا من
مفعول زوجناهم ومفعول يدعون محذوف اي يدعون الخدم ويستحضرونهم بكل ما يقصد تناوله تفكها اي
لمجرد التلذذ والتنعم فان نعيم الجنة لا يقصد به الا ذلك قوله امنين يجوز ان يكون حالا ثانية وان يكون حالا
من فاعل يدعون فيكون حالا متداخلة قوله آمنين من الضرر كالتخمة واخراج المزاج عن الاعتدال و

يعني ذو الامن يامن صاحبه فيه من الخوف والحزن وجميع الآفات والمكاره

والشادية الى الاسقام والاوجاع قوله والاستثناء منقطع لان الموتة الاولى ليست مما يذاق في الجنة و
المعنى لا يذوقون الموت في الجنة ابدا لكن الموتة الاولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة وحمل الاستثناء على الا
تصال لما كان بعيدا بحسب الظاهر لان الموتة الاولى ليست من جنس ما يذاق في الجنة ذكر له ثلثة اوجه الاول ان
يكون ضمير فيها للدار الآخرة المدلول عليها بذكر ما يكون فيها من فصل الحق عن المبطل بالجزاء والموت مما يذاق
في الآخرة لكونه اول احوالها والثاني ان يكون الضمير للجنة والموتة الاولى كانها واقعة فيها من حيث ان اهل
السعادة يشاهدونها عند الموت ويرون منازلهم فيها فكانوا اذا ماتوا في الدنيا فكانهم ماتوا في الجنة لكو
نهم مشارفين دخولها فصح بذلك ان يستثنى الموتة الاولى من موتهم في الجنة والثالث ان الاستثناء للمبالغة
في نفي الموت عن اهل الجنة بتعليقه بالمحال وهو ان تكون الموتة الاولى مما يمكن ذوقها في المستقبل كانه قيل
لا يذوقون فيها الموت على جميع التقادير الا على تقدير ان يستقيم ذوق الموتة الاولى في المستقبل فانه يجوز
ان يذوقوا في الجنة ومن المعلوم بالبداهة ان ذوقها في المستقبل محال فيكون ذوق الموت فيها محالا لكونه مو
قوفا على المحال ومثله سمى نفي الشيء بدليله ونظيره قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب يعني ان كان فلول السيف من قراع الكتائب عيبا فهذا عيبهم لكنه ليس بعيب فثبت انتفاء العيب
عنهم لكون ثبوته لهم موقوفا على المحال قوله وقرئ ووقيهم بالتشديد على المبالغة اي لا لاجل التعدية لان
المخفف ايضا متعد الى اثنين واحتج اهل السنة بقوله فضلا من ربك على ان كل ما وصل اليه العبد من الخلاص
عن النار والفوز بالجنة ونعيمها فانما يحصل بفضل الله تعالى ورحمته وانه لا يجب عليه شيء من ذلك كما زعمت المعتزلة
قوله وهو فذلكة للسورة الفذلكة في الحساب اجماله بعد التفصيل بان يذكر تفاصيل الحساب اولا ثم يجمل
تلك التفاصيل ويكتب في آخر الحساب فذلك يكون كذا وكذا مبلغا فقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك من هذا القبيل
لانه تعالى بعد ما اقسم بالكتاب المبين على انه انزله في ليلة مباركة بين ما يقتضي انزاله بان شانه ارسال الرسل
مؤيدا بالكتب السماوية رحمة لعباده ببيان ما يسعدهم عما يشقيهم ثم فصل ذلك وشرحه الى آخر السورة
ثم اجمل ذلك بما معناه ذكر بالكتاب المبين فوعدك فانا سهلنا عليك تلاوته وتبليغه اليهم من لا يبلغك ذو
لغتهم وخيل معناه سهلناه على لسانك فتقرؤه به من غير كتابة ولا نظر في مكتوب استدل بعض المعتزلة بقوله
تعالى لعلهم يتذكرون على انه تعالى اراد من الكل الايمان ولم يرد من احد الكفر واجيب بان الضمير في لعلهم راجع
الى اقوام مخصوصين وهم المؤمنون في علم الله تعالى وهذا على تقدير ان يكون الترجي مجازا عن الارادة ويجوز ان
يكون على اصل معناه ويكون من قبل من شاهد نزوله سهلا فصيح اللفظ واضح المعنى قوله ولما لم يتذكروا
فارتقب اشارة الى ان الفاء فيه فاء جواب لشرط محذوف اي ومن لم يتذكر به فارتقب فيهم ومفعول الارتقاب
محذوف في الموضعين اي فانتظر ما وعدناك من النصر والظفر والعلو في الدنيا والآخرة انهم منتظرون ما
اوعدناهم به من العذاب في الدنيا والآخرة اي صائرون الى ذلك وان لم يعتقدوه فينتظروه او فانهم منتظرون

بانتهاء الاول وتعذيب الثاني تمت

ذكر محيي السنة من ان السعداء حين يموتون ينظرون بلطف الله الى اسباب الجنة فيلتقون الروح والريحان ويبصرون منازلهم في الجنة

الهي تمت

ما يحل بكم من دوائر الدهر كما قالوا خبرا عنهم نتربص به ريب المنون ولن يصدر ذلك ثم هنا ما يتعلق
بسورة الدخان بفضل الله ورحمته وهذا اوان الشروع **بسورة الجاثية وهي مكية**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** ان جعلت حم مبتدأ على انه اسم للسورة احتجت الى اضمار مثل تنزيل
حم لئلا يلزم الاخبار عن المنزل بالتنزيل والتقدير تنزيل حم تنزيل الكتاب من الله قال صاحب الكشف
فيه اقامة الظاهر مقام المضمر ايذانا بانه الكتاب الكامل ان اريد بالكتاب السورة وفيه تفخيم لشيخ قوله
تنزيل حم تنزيل من الله ولهذا لم يراع في حم السجدة هذه النكتة عقيب قوله كتاب فصلت ليفيد هذه
الفائدة مع التفنن في العبارة وان اريد به الكتاب كله يكون الكلام من باب التشبيه البليغ على معنى ان تنزيل
هذه السورة كتنزيل الكتاب كله في ان الفائدة المترتبة على انزاله من التحدي به وكونه هدى للناس وشفاء
لما في الصدور رعيت فيه على انه الاهم وحمله الطيبي ايضا على التشبيه حيث قال يعني تنزيل هذه السورة كتنزيل سائر
القرآن يحكون في قوله من الله العزيز الحكيم دلالة على وجه التشبيه فكونه من الله عز وجل دل على انه حق وصدق
وصواب وكونه من العزيز دل على انه معجز يغلب ولا يغلب وكونه من الحكيم دل على انه مشتمل على الحكم البالغة ودل
على انه محكم في نفسه لا ينسخ ولا ينسخ انتهى **قوله** وقيل حم مقسم به فيكون في محل النصب بحذف الجار وايصال الفعل
اليه والمعنى اقسم بحم الذي هو تنزيل الكتاب انه تعالى ان في السموات الاية وهو يحتمل ان يكون على ظاهره ان لا
يقدر مضاف فيكون المعنى ان في انفس السموات والارض لآيات لما فيها من احوال دالة على وجود صانع قادر حكيم مثل
مقادير ها وكيفياتها وحركاتها وكون الارض مهادا والسماء سقفا محفوظا ويحتمل ان يكون في الكلام مضاف
مقدر ويكون المعنى انه في خلق السموات ويدل على هذا المحذوف قوله فيما بعد وفي خلقكم فانه لو لم يكن الاول
مبنيا على حذف المضاف لكان الظاهر ان يقال وفيكم بدل وفي خلقكم فان في خلق هذه المخلوقات على هذا
النظام العجيب لآيات باهرة على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته **قوله** ولا يحسن عطف ما يعني ان كلمة ما في قوله
وما يبث موصولة في موضع الجر عطفا على المضاف في قوله وفي خلقكم لا على المضاف اليه لانه ضمير متصل مجرور ولا
يعطف عليه الا باعادة الجار سواء كان مجرورا بحرف الجر او بالاضافة فيقال مررت به وبزيد وهذا غلامه
وغلام زيد ويقبح ان يقال مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد لانه يشبه العطف على بعض الكلمة لان الضمير
المتصل لشدة اتصاله بعامله صار كالشيء الواحد ثم ان قباحة العطف عليه لا تزول بتأكيده بالمنفصل مثل ان
يقال مررت بك انت وزيد الا عند الجرمي فانه يقول ان اكد جاز والا فلا **قوله** باحد الاحتمالين المذكورين
في قوله ان في السموات وهما كون الكلام على ظاهره او على حذف المضاف وكذا الكلمة ما المعطوفة على المضاف يحتمل
ان يكون عطفها عليه على حذف المضاف في المعطوف ويكون المعنى وفي خلق ما يبث آيات وهو الاظهر بحسب المعنى
لتلاؤم المعطوف والمعطوف عليه ويحتمل ان يكون على ظاهره على معنى وفي نفس ما يبث كما في قوله ان في السموات
والارض لآيات ولما كان كون انفس ما يبث آيات لا يخلو عن خفاء بخلاف كون خلقه آية بين وجه الاول
بقوله

قوله ان جعلت حم مبتدأ على انه اسم للسورة يجوز ان يكون حم خبر مبتدأ محذوف اي هذه حم وتنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبره كما اذا جعلتها تعديدا للحروف منه

ان جعل حم اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل سردا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الخ وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على حاله اي تنزيل حم تنزيل الكتاب ففي عراته عن افادة فائدة يعتد بها تحكم على تحكم اكد

قلت يجوز على هذا ان يكون قوله وفي خلقكم الى آخر الآيتين من عطف الخاص على العام لان المذكور بعض ما في السموات والارض منه

بقوله فان بثه اي يعني ان انفس ما يبثه آيات لما فيه من وجوه الدلالة على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته من
بثه وتنوعه الى **قوله** محمول يعني ان من رفع آيات محمول على انه معطوف على محل ان واسمها واعلم انه لا اختلاف في كسر
تاء آيات في قوله لآيات للمؤمنين لانها اسم ان وانما الخلاف فيما ذكر بعد في الموضعين وهو آيات لقوم يوقنون وآيات
لقوم يعقلون فان جمهور القراء غير حمزة والكسائي قرؤا برفع تاء آيات في الموضعين وهما قرءا بكسر التاء فيهما
وبتوحيد لفظ الرياح ومبني قراءة الرفع كونه معطوفا على محل ان واسمها فان محلها الرفع على الابتداء او على الفاعلية
على اعمال الظرف على رأي الاخفش ووجه قراءة الكسر ظاهر وهو العطف على لفظ اسم ان في قوله ان في السموات
والارض لآيات للمؤمنين فانه لا اختلاف في كسر التاء فيه على انها اسم ان كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات كما
تقول ان في الدار زيدا وفي السوق عمرا **قوله** بسرايتها تشبيه الرطوبة الارضية بالروح الحيواني في كونها مبدأ التوليد
والتنمية والتشبيه في الانتقال الروح وموت الجسد **قوله** ويلزمها العطف على عاملين اي يلزم كل واحد
من القراءتين عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين فان لفظ آيات على قراءة الرفع معطوف على محل ان واسمها
وهو معمول الابتداء ولفظ اختلاف الليل معطوف على السموات وهو معمول كلمة في فقد عطف معمولان على معمولي عاملين
مختلفين على قراءة الرفع واما على قراءة نصب آيات فان لفظ آيات يكون معطوفا على اسم ان الذي هو معمول ان ولفظ
اختلاف يكون معطوفا على السموات الذي هو معمول كلمة في وعلى التقديرين فقد عطف بحرف واحد وهو الواو معمولا وهما
اختلاف وآيات على معمولين قبلهما وهما خلق وآيات وكل واحد منهما معمول العامل يخالف العامل الآخر فقوله في والابتداء
او ان معا احد العاملين في والآخر الابتداء ان رفع آيات بالعطف على محل ان واسمها وأما ان نصب فالعامل
الآخر ان ومثل هذا العطف لا يجوز مطلقا عند سيبويه وجمهور البصريين لان العاطف ينوب مناب العامل وهو
عامل ضعيف لا يقوى ان ينوب مناب عاملين مختلفين ولو ناب مناب رافع وناصب لكان رافعا وناصبا في حالة واحدة
وهو لا يجوز ومنهم من يجوزه مطلقا ومنهم من يفصل ويقول ان كان احد العاملين جارا وكان الجار مقدما نحو
في الدار زيد والحجرة عمرو جاز والا فلا وهذا العطف غير متحقق في قوله لآيات لقوم يوقنون سواء قرئ مرفوعا
او منصوبا لتكرر كلمة في في قوله وفي خلقكم فلم يكن العاطف نائبا عنهما وانما يتحقق في قوله آيات لقوم يعقلون على
كل واحدة من قراءتي الرفع والنصب كما ذكر **قوله** الا ان يضمر في اشارة الى توجيه اعراب الاية على رأي من لا يجوز
العطف المذكور وهو ان يضمر العامل في احد المعطوفين حتى لا يلزم نيابة العاطف مناب عاملين الا ان
اضمار حرف الجر وابقاء عمله نادر ضعيف جدا الا ترى انه لا يجوز ان يقال مررت زيد بجر واجيب عنه بانه لما
تقدم ذكر حرف الجر لفظا قويت الدلالة عليه فصار كانه ملفوظ بخلاف المثال المذكور ونظير اضمار العامل في
المعطوف فيما قاله قول الشاعر اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا قدره سيبويه وكل نار واضمر كل
مع نار المجرور لتقدم ذكره لئلا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين فان نار المجرور معطوف على امرئ
المجرور بكل ونار المنصوب معطوفا على امرأ المنصوب بتحسبين **قوله** واختلاف الليل والنهار اي وفي اختلافهما

وفي مثل هذا البيت مذهب صاحب المغني والصدر ان التقدير لا ينبغي العطف على معمولي عاملين
قدر منهما اكثر ما قدره سيبويه منه

على المقادير المعينة التي لا تتفاوت في كل سنة صيفا وشتاء وربيعا وخريفا بان يزداد طول النهار على
طول الليل تارة وتارة بالعكس وما يزداد في النهار الصيفي يتناقص مثله في الليل الشتوي او بتبدل النهار
بالليل او بالعكس او باختلاف مطالع الشمس في ايام السنة ولا خفاء في دلالته على وجود الفاعل المختار وعلمه
وقدرته وحكمته وكذا في دلالة ارسال الرياح المختلفة الشرقية والغربية والجنوبية والشمالية والعاصفة
والحارة والباردة ونحوها وانشاء تلك الرياح المختلفة السحاب وانزال المطر منه الى الارض الميتة واحيائها بتولد
النبات وتشعبه شعوبا مختلفة الانواع وهي ساق الشجرة واغصانها واوراقها وثمارها المختلفة الانواع و
الاصناف والهيئات والالوان والطعوم والروائح وما ذلك الا تدبير العليم الحكيم جل شانه وعز سلطانه قوله
ولعل اختلاف الفواصل الثلث وهي قوله للمؤمنين ولقوم يوقنون ولقوم يعقلون واعلم ان العلم المستفاد
من النظر في الايات والدلائل على ثلث مراتب بعضها اقوى واكمل من بعض فاول المراتب مرتبة الايمان و
التصديق ثم مرتبة الايقان لان التصديق قد لا يكون ثابتا بل يزول بالتشكيك بخلاف اليقين ثم مرتبة استحكام
العلم وقوة اليقين فان مرتبة اليقين متفاوتة بالكمال والنقصان بحسب كثرة الدلائل وامعان النظر فيها
فان النظر الصائب كلما تكرر وتجدد استحكم العلم وقوي اليقين وعبر عن هذه المرتبة بقوله تعالى لقوم يعقلون
لان العقل المطلق ينصرف الى الكامل الذي تم استعداده للاستفاضة من المبدأ العالي الفياض ثم ان
الايات والدلائل المذكورة في هذه الاية الكريمة مختلفة في الدقة والظهور اظهرها السموات والارض فالنظر
الصحيح فيها يفيد العلم بانها مصنوعة لا بد لها من صانع قادر على ما يشاء فيؤدي الى الايمان بالله تعالى والاقرار
بوحدانيته وادق منها خلق الانسان وانتقاله من حال الى حال ومن هيئة الى هيئة وخلق ما على الارض من
صنوف الحيوانات والدواب من حيث ان التفكر فيها وفي احوالها يستلزم ملاحظة السموات والارض لكونهما
من اسباب تلك الحيوانات وانتظام احوالها ولما كانت هذه الآية ادق بالنسبة الى الاولى كان التفكر فيها مؤديا الى
مرتبة اليقين وادق منها هذه الآية الثالثة سائر الحوادث المتجددة في كل وقت واوان من نزول المطر واحياء
الارض بعد موتها وغير ذلك من حيث ان استقصاء النظر في احوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات
والارض لكونهما من اسباب تكون هذه الحوادث ومحالها وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الارض من
حيث ان تجدد هذه الحوادث انما هو لانتظام احوالها وتحقيق اسباب معاشها ولما كانت هذه الآية
الثالثة ادق بالنسبة الى الاوليين وكانت متجددة حينا فحينا بحيث يبعث على النظر والاعتبار كلما تجدد
كان النظر فيها مؤديا الى استحكام العلم وقوة اليقين فلذلك جعل قوله للمؤمنين فاصلة للاية الاولى وقوله لقوم يوقنون فاصلة للثانية وقوله لقوم صح
يعقلون للثالثة وظهر بهذا التقرير ان المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين من يؤول حالهم الى هذه الاوصاف
ونظيرها قوله تعالى هدى للمتقين فان الكتاب هدى للناس كلهم الا ان الانتفاع والاهتداء به لما كان مخصوصا بالمتقين
اي الصائرين الى التقوى جعل هدى للمتقين فكذا الامر ههنا فان الصائرين الى الايمان نظروا في السموات
و

والارض فامنوا والصائرين الى الايقان نظروا الى انفسهم والى الدواب المبثوثة في الارض فايقنوا و
الناظرون في اختلاف الحوادث المتجددة استحكم يقينهم بسببه ثم انه تعالى اشار الى هذه الايات وحكم عليها بانها
دلائل حال كونها متلوة على رسوله صلى الله عليه وسلم اسند التلاوة الى نفسه لكونه سببا حاملا لجبريل على تلاوته
وقوله بالحق حال من الفاعل اي ملتبسين بالحق او من المفعول اي ملتبسة به ويجوز ان يكون للسببية فيتعلق
بنفس نتلوها اي نتلوها بسبب الحق واظهاره بين الخلق والفاء في قوله تعالى فباي حديث جزائية اي ان لم يؤمنوا
بهذه الايات المتلوة بالحق فباي حديث بعدها يؤمنون والمقصود الدلالة على انه لا بيان ازيد من هذه الايات
ولا آية ادل من هذه الايات ولما لم يمكن حمل قوله تعالى فباي حديث بعد الله على ظاهره من حيث ان ما اضيف اليه
بعد يجب ان يكون من جنس ما قبله في مثل هذا التركيب وهو قوله تعالى ليس من جنس الحديث ذكر له وجهين الاول انه
من باب اعجبني زيد وكرمه فان المراد اعجبني كرم زيد الا انه قدم ذكر زيد للدلالة على تعظيم كرمه حيث جعل ذكر
نفسه وسيلة الى ذكر كرمه فكذا في الاية قدم اسمه تعالى لتعظيم ذكر اياته والاشعار بان التجاوز عنها تجاوز عنه تعالى
والوجه الثاني ان يحمل الكلام على حذف المضاف ويجعل تقدم ذكره قرينة له والتقدير فباي حديث بعد حديث
الله تعالى اي بعد كتابه وقرانه وقد سماه حديثا في قوله الله نزل احسن الحديث فح يكون المراد بالايات الدلائل
المتلوة ويكون عطفه على حديث الله تعالى من قبيل عطف الخاص على العام لان اياته المتلوة هي حديث الله تعالى
المقيد بكونه دلائل وحدانيته وكمال قدرته وعلمه وحكمته ويحتمل ان يكون المراد بها القران كما ان المراد بحديث
الله ذلك ويكون عطفه عليه لتغاير الوصفين ومن قرأ يؤمنون بياء الغيبة اعتبر موافقة قوله لقوم يوقنون
ولقوم يعقلون ومن قرأ بتاء الخطاب جعل تقدير الكلام قل لهم فباي حديث تؤمنون قوله تعالى فباي متعلق بيؤ
منون قدم عليه لان له صدر الكلام وقوله تتلى عليه في موضع الحال من ايات الله تعالى اي متلوة ومستكبرا حال من
حال من المنوي في يصر وكان لم يسمعها حال بعد حال على قول من يجوز انتصاب حالين من ذي حال واحد او ان
يصر على الكفر بايات الله متعظما متشبها بغير السامع او حال من المنوي في مستكبرا او كان مخففة من الثقيلة
واسمها مضمر وهو ضمير الشان والحديث اي كانه لم يسمعها قوله يرى غمرات الموت ثم يزورها اوله ولا يكتفي
اللقاء الا ابن حرة اشار بكلمة ثم الى ان زيارة غمرات الموت بعد رؤيته اياها مستبعدة مستنكرة عقلا وعادة
وهو مع ذلك يزورها بعد ما استيقنها بالغ في مدحه بالشجاعة بانه يقدم على غمرات الموت وشدائده بعد رؤيتها
واللقاء الشدة وغمرات الموت شدائد الحرب ثم انه تعالى لما بين شناعة من لم يؤمن بايات الله تعالى بقوله فباي
حديث بعدها يؤمنون اذا لم يؤمنوا بها مع ظهور كونها من اياته اتبعه بوعيد عظيم لهم فقال ويل لكل افاك اي
كذاب قوله والبشارة على الاصل او التهكم فان البشارة قد يطلق على الخبر النافع المغير للفرح والسرور
وقد تذكر
مطلقا اي سواء قرنت بما يوجب المسرة او بما يوجب الحزن والمساءة وقد يطلق بالشر والخبر المولم اذا
قرنت به كما في هذه الآية قال الجوهري البشارة المطلقة لا تكون الا بالخير وانما تكون بالشر اذا كانت مقيدة به

معنى ثم الاستبعاد ان يأتي فعل المقدم عليها
بعد ما رآها وعاينها شيء استبعد في العادات
والطباع وكذلك آيات الله الواضحة ان
طفق بالمعاني تليت عليه وسمعها كان مستبعدا
في العقل اصراره على الضلالة عندها و
استكباره عن الايمان بها كش

على الاضبارة

كقوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى الاول يكون البشارة المذكورة في هذه الاية محمولة على التهكم وعلى الثاني يكون على
اصل معناه وهو الاخبار بالشر حيث ذكرت مقارنة له ثم انه تعالى وصف الاثيم المذكور اولا بانه يصر على الانكار
والاستكبار عن الايمان بالايات معجبا بما عنده قيل نزلت الاية في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث
الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القران وسبب نزولها وان كان خاصا الا انها عامة في كل من كان موصوفا
بالصفة المذكورة ثم وصفه ثانيا بانه ينتقل من مقام الاصرار والاستكبار الى مقام الاستهزاء فقال واذا علم من اياتنا
شيئا اتخذها هزوا قوله لذكر الحروف لعله انه من اياتنا قوله وفائدته اي فائدة العدول عن الظاهر ان يقال اتخذه
هزوا ان اتخذ ذلك الشيء هزوا الا انه تعالى قال اتخذها اي اتخذ اياتنا للاشعار بانه لا يقتصر على الاستهزاء بذلك الشيء
الواحد الذي بلغه بل يخوض في الاستهزاء بجميع الايات التي انزلها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون
ضمير اتخذها للشيء وتانيثه لكون الشيء بمعنى الاية قوله من ورائهم قال صاحب الكشاف الوراء اسم للجهة التي
يواريها الشخص اي يسترها من خلف كانت او قدام وجعل الوراء في الاية بمعنى القدام لان شخص الكافر جهنم اذا
نظر اليها من خلفه لانه متوجه اليها فيكون حائلا بينها وبين الناظر اليه والمص جوز كونه بمعنى الخلف ايضا
لكون جهنم خلفهم بمعنى انها بعد موته ولما ذكر ان جهنم مصيرهم يعذبون فيها عذابا مهينا بين ان ما ملكوه في الدنيا لا
ينفعهم ولا يدفع عنهم شيئا من عذابها فقال ولا يغني عنهم الاية ثم انه تعالى لما وبخهم على كفرهم بالقران وذكر انواع
ضلالهم في صفته وتهديدهم عليها بوجوه متعددة جعله كالجبل المشار اليه بالحس وذكر خبره تنكير تعظيم وتهويل
فقال هذا هدى اي كامل في الهداية وليس بمظنة التكذيب والاستهزاء والذين كفروا به وكذبوه لهم عذاب عظيم
العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم اياه قوله والرجز اشد العذاب لقوله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا وقوله لئن
كشفت عنا الرجز وقرئ اليم بالجر والرفع والمعنى على الجر لهم عذاب من عذاب اليم واذا كان عذابهم من عذاب
اليم كان عذابهم اليما والمعنى على الرفع لهم عذاب اليم ويكون ذلك العذاب من الرجز اي من جنس الرجز وهو الرجس
الذي هو النجاسة قال تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه فيكون كلمة من للتبيين ان العذاب ثم انه تعالى لما هدد
الذين كفروا بايات الله واوعدهم بالعذاب الاليم اردفه بذكر احسانه الذي يختص به ولا يقدر عليه احد غيره
فقال الله الذي سخر لكم البحر لتتمكنوا من الانتفاع بالمنافع المتعلقة به ولكي تشكروا من انعم عليكم بهذه النعمة
العظيمة فلم تضيعون حق شكره وتقابلون ما وجب عليكم من الشكر والطاعة بالاصرار على الكفر والاستكبار
عن الايمان والطاعة وتكذبون باياته من هذا شانه ومعنى تسخير ما في السموات والارض لنا خلقه بحيث نتمكن
من الانتفاع به وان لم نتمكن من التصرف في اعيان بعض منه قوله جميعا حال من قوله ما في الارض في
السموات والارض او تاكيد له وقراءة العامة منه على لفظ الجار والمجرور وهو اما حال من مفعول سخر او خبر
لمحذوف اي هي جميعا منه ويجوز ان يكون قوله وسخر لكم تاكيدا لفظيا لقوله سخر لكم البحر ويكون قوله ما في السموات
وما في الارض جميعا مبتدا ومنه خبره وان يكون قوله وسخر لكم ما في السموات معطوفا على الجملة الاولى فيكون قوله
وما

وما في الارض جميعا مبتدا ومنه خبره قوله وقرئ منة بكسر الميم وتشديد النون ونصب التاء على المفعول له او
على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف او لقوله سخر لكونه بمعناه وفي الصحاح من عليه منا اي انعم عليه ومن عليه
منة اي امتن عليه امتنانا وقرئ ايضا منه بفتح الميم ورفع النون وضم هاء الضمير على ان المن مصدر مضاف
الى الضمير وذكر لارتفاعه وجهين الاول انه فاعل سخر على الاسناد المجازي اي سخر جميع ذلك منه عليكم كقولك
احياني اقبالكم علي وسرني امر حسن رايكم فيه والثاني انه خبر مبتدا محذوف اي تسخير ذلك منه عليكم
ثم انه تعالى لما بين دلائل التوحيد والعلم الكامل والقدرة البالغة اردفه بتعليم الاخلاق والافعال الحميدة
فقال قل للذين امنوا الاية حث المؤمنين على ترك المنازعة مع الكفار والتجاوز عما يصدر عنهم من
الكلمات المؤذية والافعال الموحشة قوله تعالى يغفروا الجزم على انه جواب الامر والمفعول محذوف لدلالة الجواب
عليه ونظيره قوله تعالى في سورة ابراهيم قل لعبادي الذين امنوا يقيموا الصلوة قوله والاية نزلت في عمر بن الخطاب
رض الا انه اختلف في سبب نزولها فيه فقال انهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال له المريسيع فارسل
عبد الله بن ابي غلامه ليستقي الماء فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك
احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي عليه الصلوة والسلام وقرب ابي بكر رض فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هؤلاء
الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ عمر رض قوله فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزل الله تعالى هذه الاية و
روي ان فنحاص اليهودي قال لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب
محمد فسمع ذلك عمر رض فاشتمل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبه حتى رده وقال
مقاتل ان رجلا من بني غفار شتم عمر رض بمكة فهم ان يبطش به فامر الله تعالى بالعفو والتجاوز وانزل
هذه الاية وقال القرطبي والسدي انها نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل مكة كانوا
في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
هذه الاية ثم نسختها اية القتال قال الامام اكثر المفسرين يقولون انه منسوخ وانما قالوا ذلك لانه يدخل
تحت الغفران ان لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما امر الله تعالى بهذه المقاتلة كان ذلك نسخا ثم قال والاقرب ان
يقال انه محمول على ترك المنازعة في المحقرات وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية والافعال الموحشة
والمص اختار ما ذهب اليه الامام حيث لم يرض بقول من قال انها منسوخة باية القتال اذ لا منافاة بين الامر
بالقتال مع الكفار الذين استكبروا عن الايمان وقبول الجزية وبين الامر بالاعراض عنهم وترك المنازعة
معهم في محقرات الامور قوله علة للامر بالمغفرة كانه قيل انما امروا بان يغفروا ليوفيهم الله تعالى جزاء
مغفرتهم يوم القيمة قوله ويكون التنكير للتحقير على ترتيب اللف فان اريد بالقوم المؤمنون المذكورون
بقوله قل للذين امنوا كان الظاهر ان يقال ليجزيهم او ليجزي القوم معرفا بعد تعريف العهد الا انه نكر تعظيما
لشانهم كانه قيل ليجزي قوما واي قوم قوما من شانهم الصفح عن السيئات والتجاوز عن الاذيات

قوله بانا جعلنا الشمس الطلح فانه لو جعله
خشن السطح بان كان سطح البحر ذا ارتفاع
وانخفاض لما تيسر جري الفلك وكذا لو جعله
بحيث لا يطفو عليه الاخشاب ونحوها
بل تسفلت وغرقت فيه لما تيسر جري
الفلك عليه ايضا ولو جعله صلبا مصمتا
يمنع الغوص فيه لما امكن تحصيل المنافع
المترتبة على الغوص فيه

وتجرع المكاره والصبر عليها واريد به الكفار المذكورون بقوله للذين لا يرجون ايام الله يكون وجه التنكير
تحقيرهم وان اريد به كلا الفريقين يكون التنكير للشيوع والابهام وكذا قوله الكسب للمغفرة او الاثابة
او ما يعمها فانه ايضا من قبيل اللف والنشر المرتب قوله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بنون العظمة
كانه قيل قل لهم اغفروا واصفحوا اعمض اذالهم ولا تكافئوهم انتم حتى نغفر او نكون نحن الذي نجازيهم ونكافيهم
وباقي السبعة قرأوا ليجزي بياء مبنيا للفاعل اي ليجزي الله وقرئ ليجزى قوم بالياء التحتانية مبنيا للمفعول
وبرفع القوم لقيامه مقام الفاعل وليجزى قوما على بناء المفعول ونصب قوما على معنى ليجزى الخير والشر قوما
باسناد الفعل الى ضمير المفعول الثاني فان المفعول الثاني للافعال التي تتعدى الى اثنين يجوز اقامته مقام الفاعل
تقول اعطي درهم زيدا وجزى يتعدى الى اثنين تقول جزيت فلانا الخير فاذا بنيته للمفعول اقمت ايهما
شئت مقام الفاعل واضمر ههنا الخير او الشر لدلالة قوله بما كانوا يكسبون عليه قوله او الجزاء اعني ما يجزى
به اي ويجوز ان يضمر الجزاء بمعنى ما يجزى به فان الجزاء قد يستعمل بمعنى ما يجزى به كما في قوله تعالى جزاؤهم عند
ربهم جنات لا الجزاء الذي هو مصدر جزيته بما صنع لانهم قالوا اقامة المصدر مقام الفاعل ضعيف
مطلقا لاستلزامه وجود المفعول به فانه اذا وجد المفعول به تعين لان يقوم مقام الفاعل وعلى تقدير اقامة
المصدر مقامه بشرط ان لا يكون لمجرد التاكيد فلا يقال ضرب ضرب لعدم الفائدة فيه فان الشيء انما يقام
مقام الفاعل اذا كان في اسناد الفعل اليه فائدة جديدة على ما افاده الفعل والمصدر المؤكد لا يفيد فائدة
زائدة على ما افاده الفعل فلا يقال ضرب ضرب وانما يقال ضرب ضربة او ضرب ضرب شديد والضرب الفلاني ونحو
ذلك واما اذا كان الجزاء الذي اسند اليه قوله ليجزى بمعنى ما يجزى به يكون مفعولا ثانيا لا مصدرا وقوله ليجزي الخير
او الشر او الجزاء من قبيل اللف والنشر المرتب ايضا فان اضمار الجزاء بمعنى ما يجزى به مبني على ان يراد بالقوم
العام المتناول للمؤمنين والكافرين لكن تنكيره للشيوع والابهام ويراد بالكسب ما يعم المغفرة والاساءة
ثم انه تعالى لما ذكر اجمالا ان المرء يجزى بكسبه بين ان من كسب صالحا كالعفو عن المسيء فانه يثاب وانه هو المنتفع
بكسبه ومن كسب الاساءة يعاقب ويتضرر بكسبه وانه تعالى انما امر بالصالح ونهى عن السيء رحمة للمكلفين لا
لنفع يعود اليه تعالى ثم لما بين ان نفع العمل الصالح للعامل وان مضرة العمل السيء عليه بين ان ذلك النفع والضر
انما يكون بالمراجعة الى مقام العرض والحساب ثم بين ان طريقة قومه عليه الصلوة والسلام كطريقة من تقدم
من الامم فانه تعالى انعم بني اسرائيل نعما كثيرة من نعم الدين والدنيا ومع ذلك لم يشكروا تلك النعم بل اختلفوا في امر
الدين بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال على سبيل البغي والحسد حيث طلب كل فريق ان يكون هو الرئيس المتبوع
حسدا وابتغاء للمهور فصاروا الى التعادي والتحارب وقتل الانبياء ومن حق العلم بحقيقة الحال ان يكون سببا
للاتفاق على الحق وارتفاع الخلاف وكان علمهم ههنا سببا لحصول الاختلاف فكذا كفار قومه عليه الصلوة والسلام
جاءتهم ادلة واضحة دالة على حقية دينه عليه الصلوة والسلام ثم اصروا على الكفر واستكبروا عن الايمان والطاعة
عدا

ويمنع اضماره لدلالة السياق عليه كما اضمرت الشمس في قوله تعالى حتى توارت بالحجاب لان قوله اذ عرض عليه بالعشي يدل على توارى الشمس
صح

وقيل القائم مقامه هو الجار والمجرور وهو قوله بما كانوا يكسبون وفيه حجة للاخفش والكوفيين فانهم يجوزون اقامة غير المفعول به مقامه مع وجوده
صح

عداوة وحسدا قوله حيث آتيناهم ما لم نؤت غيرهم اشارة الى انه لا حاجة الى تخصيص العالمين بعالمي زمانهم
بناء على ان الظاهر ان المراد تفضيلهم بما يختص بهم من الفضائل من كثرة الانبياء منهم فان عدد الانبياء فيما
بين يوسف وعيسى عليهما الصلوة والسلام لا يعلمهم الا الله وهذه الفضيلة مختصة ببني اسرائيل غير موجودة في غيرهم
فهم مفضلون من هذا الوجه على سائر الامم ومما يختص بهم فلق البحر واغراق عدوهم فيه باسرهم وانزال المن و
السلوى وانفجار اثنتي عشرة عينا من حجر صغير الى منازل الاسباط الاثني عشر في مدة احتباسهم في التيه ونحو ذلك
وليس المراد تفضيلهم على العالمين بحسب الدين والثواب قال الامام محيي السنة في تفسير العالمين اي عالمي زمانهم
قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على الله ولا احب اليه منهم الى ههنا كلامه قوله انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا تعليل للنهي عن اتباع اهوائهم اي انك ان اتبعت اهوائهم وملت الى اديانهم الباطلة صرت
مستحقا للعذاب بسببهم وهم لا يقدرون على دفع شيء مما اراد الله بك من العذاب ان اتبعت اهوائهم ثم بين انك
ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا ولا ولي لهم ينفعهم في الاخرة بايصال الثواب اليهم وازالة العقاب عنهم
وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها فتكون من تتمة العلة للنهي المذكور لان بيان ان ولي الظالم من هو ظالم مثله بيان
ان مثلك لا يوالي ظالما فكيف يتبعه ولما بين ان المتقين عن الظلم لا يوالون ظالما بين ان وليهم هو الله وحده
وانهم لا يفعلون شيئا مما يذرونه الا ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لمرضاته قوله بينات تبصرهم اي دلائل
تعرفهم وفي الصحاح البصيرة الحجة والتبصر التعريف والايضاح جمع خبر هذا باعتبار ما فيه ثم انه تعالى لما رغب
في اتباع الشريعة ونهى عن اتباع آراء الجهال ذكر ان القرآن او اتباع الشريعة مع ما فيهما من البيانات الشا
فية والدلائل الواضحة بمنزلة البصائر في القلوب يتوسل بكل واحد منهما الى تحصيل العرفان واليقين ثم انه تعالى لما
بين الفرق بين الظالمين وبين المتقين وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا حظ من ولاية الله تعالى
بخلاف المتقين فانه تعالى وليهم وناصرهم بين الفرق بينهما من وجه آخر فقال ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وكلمة ام فيه منقطعة مقدرة ببل والهمزة اضرب عن بيان الفرق بينهما على
الوجه المذكور الى بيان الفرق بينهما بوجه آخر ويحتمل ان تكون مقدرة ببل وحده او بالهمزة وحدها قوله تعالى
ان نجعلهم ساد مسد مفعولي حسب لان باب حسبت اذا وقع بعده ان المشددة او المخففة او الناصبة يكتفى بها
مع ما عملت فيه سادة مسد المفعولين وههنا قد وقع بعد فعل الحسبان الناصبة فهي سادة مسد المفعولين
ونجعلهم من الجعل بمعنى التصيير فيتعدى الى المفعولين اولهما الضمير وثانيهما الكاف في كالذين وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص سواء بالنصب والباقون بالرفع وعلى قراءة الرفع يكون محياهم مبتدأ ومماتهم عطفا عليه وسواء
خبر المبتدأ والجملة في موضع النصب على انها بدل من المفعول الثاني للجعل وهو الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا
نحو حسبت زيدا ابوه منطلق فلو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا فكذا يجوز جعل الجملة بدلا من
المفعول الثاني قوله لان المماثلة فيه اي في استواء المحيا والممات علة لكون الجملة بدلا من الكاف اذ المعنى انكار حسبان

ان يستوي المسيئون والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء وامواتا اما افتراقها احياء فلان
هؤلاء عاشوا على القيام بالطاعة واولئك على ركوب المعاصي واما افتراقها امواتا فان هؤلاء ماتوا على البشرى بالرحمة
والرضوان وهؤلاء على اليأس من رحمة الله والمصير الى الهوان ويجوز ان يكون المعنى انكار ان يستووا في الممات كما
استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات فان المحسنين تتوفيهم
الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وان وجوههم يوم القيمة مسفرة ضاحكة
مستبشرة ولهم من الكرامات ما لا يعلمها الا الله تعالى بخلاف المسيئين فانهم وان كانوا مكرمين في حيوتهم كالمؤمنين
بل قد يكون حالهم في الدنيا ارجح من حال المؤمنين الا ان مماتهم ليس كحيوتهم فانهم مخذولون مهانون حال الموت
وبعده فممات المسيئين لا يوافق حيوتهم كما توافقت حيوة المحسنين ومماتهم في البهجة والكرامة وهذا اعني
كون جملة سواء محياهم بدلا من الكاف انما هو على تقدير ان يكون ضمير محياهم ومماتهم للمجترحين واما على تقدير
كونه للمحسنين فلا يجوز ذلك لان المجعول مثلاهم المجترحون واستواء الحالين وصف المشبه به فلا وجه للبدلية
وذكر لانتصاب سواء ثلثة اوجه الاول ان يكون سواء بدلا من الكاف بمعنى مستويا ويكون محياهم في محل الرفع
على انه فاعل سواء بمعنى مستويا والثاني ان يكون حالا من الضمير المرفوع المستكن في الذين امنوا اي حسبوا ان
نجعلهم مثلهم في حال استواء محياهم ومماتهم وليس من الحكمة ان يستوي محيا المجترحين ومماتهم كالمؤمنين
بل يقتضي ان يكون احدهما مرحوما في الحالين ويكون الآخر مرحوما حيوته ليتمكن من القيام على مقتضى التكليف
ولا يكون مرحوما موته بمقتضى البدل والثالث ان يكون سواء هو المفعول الثاني للجعل ويكون كالذين حالا من
ضمير نجعلهم اي انجعلهم حال كونهم مثلهم سواء وليس يتقوى من حيث المعنى والقراءة بنصب سواء على كل واحد
من هذه الاوجه الثلثة تؤيد ان يكون المعنى على قراءة الرفع انكار ان يكون حيوتهم ومماتهم سيان في البهجة و
الكرامة كما هو للمؤمنين فان المعنى على كل واحد من تلك الاوجه الثلثة انكار ان يكون حيوة المجترحين كمماتهم
لا انكار ان يكون المعنى كذلك على قراءة الرفع قوله وان كان للثاني اي وان كان ضمير محياهم للموصول الثاني
وهو الذين امنوا جاز ان يكون قوله سواء حالا وان يكون استينافا على سبيل التعليل للانكار اي لم يكن
الفريقان على السواء لان المؤمنين سواء محياهم ومماتهم من حيث انهم على الطاعة حيوة وعلى البشرى
والرضوان مماتا بخلاف المجترحين قوله وان كان لهما اي ان كان الضمير للموصولين جميعا جاز ان يكون سواء
بدلا من الكاف لان المماثلة تكون باستواء الحالين او حالا من الموصولين جميعا اي من مفعول الثاني وضمير الاول
او استينافا مقررا للتساوي حال المؤمنين بالنسبة اليهم وحال الكافرين بالنسبة اليهم فيكون تعليلا
للانكار بحسب المعنى دالا على عدم المماثلة لا في الدنيا ولا في الآخرة لان هؤلاء متساو المحيا والممات في الرحمة
وهؤلاء متساو المحيا والممات في النقمة فان كل واحد من المحق والمسيء يموت على حسب ما عاش عليه فالاول عاش
على الهدى ومات عليه والثاني عاش على الضلال ومات عليه فاني يكون احدهما كالآخر والى اصل انه تعالى لما ذكر

ونقل عن ابي البقاء ان سواء مفعول ثان للحسبان وهو غير صحيح لما تقرر ان ان الناصبة سادة مسد مفعولي حسب فكيف يكون سواء مفعولا ثانيا له
صح

انكر حسبان ان يستوي المسيء والمحسن كان مظنة ان يقال فاذا كيف الحال فاجيب بان المؤمن يعيش حميدا ويموت
سعيدا يعيش في طاعة الرحمن ثم المرجع الى الرضوان والكافر يعيش في طاعة الشيطان ثم المآب الى عذاب النيران
فانى يتساويان ومن قرأ محياهم ومماتهم بالنصب جعلهما ظرفي زمان كمقدم الحاج وخفوق النجم بمعنى وقت
مقدم الحاج ووقت خفوق النجم والعامل اما الجعل واما سواء والتقدير ان نجعلهم في هذين الوقتين سواء او نجعلهم
مستوين في هذين الوقتين ثم انه تعالى صرح بانكار التسوية فقال ساء ما يحكمون وساء ههنا يجوز ان يكون للاخبار
عن قبح حكمهم فيكون ما مصدرية وما يحكمون في محل الرفع على انه فاعل ساء وان يكون لانشاء الذم بمعنى بئس فيكون ما نكرة
موصوفة بمعنى شيئا كما في قولك مررت بما معجب لك اي بشيء معجب لك ومحلها النصب على التمييز والمميز للمستتر في ساء
اي بئس الشيء شيئا حكموا به فذكر المخصوص بالذم محذوف وهو ذلك قوله كانه دليل على الحكم السابق وهو ان
الذين اجترحوا السيئات لا يساوون المحسنين بعد الممات وتقريره ان الحق هو الشيء الثابت الذي يقتضيه
الدليل ويثبت به كوجود الصانع الحكيم ووحدته ووجوب طاعته وشكر الاحسان وحرمة مخالفته و
عصيانه فالله تعالى لما خلق السموات والارض بسبب الحق ولاجل ظهوره ومن جملة الحق حكمته وعدله استدعى
ذلك الانتقام من الظالم لاجل المظلوم والتفاوت بين المسيء والمحسن وذلك يستدعي ان يحشر الخلائق ويحاسبوا
ويجزي كل نفس بما عملت من خير وشر فثبت به ان حسبان جعل المسيء كالمحسن والتسوية بينهما بعد الممات امر منكر غير
واقع قوله لانه في معنى العلة بناء على ان الباء للسببية اي بسبب الحق ولاجل ظهوره قوله وتسمية ذلك ظلما جواب
عما يقال ظاهر الاية يدل على ان بعض مقدوره تعالى كنقص الثواب وتضعيف العقاب لو وقع لكان ظلما مع انه لو
فعل الله تعالى ذلك لم يكن منه ظلما لقوله وما الله يريد ظلما للعالمين فضلا عن ان يفعله وتقرير الجواب ان قوله تعالى وهم
لا يظلمون معناه انه لا يتعلق بهم في الآخرة فعل لو فعله غيره تعالى لكان ظلما فان شيئا من الافعال لا يكون قبيحا و
ظلما من حيث وقوعه منه تعالى فان اهل الملة اتفقوا على انه تعالى لا يظلم الناس شيئا الا ان اهل السنة يقولون
ان شيئا من الافعال لا يكون ظلما بالنسبة اليه تعالى وانه لا يفعل بالناس فعلا لو فعله غيره لكان ظلما كما ان المراد
بالابتلاء والاختبار فعل ما لو فعله غيره لكان ابتلاء واختبارا ثم انه تعالى عاد الى شرح احوال الكفار وذكر
قبائحهم فقال افرأيت اي اخبرني وفيه تجوز ان اطلاق الرؤية وارادة الاخبار على طريق اطلاق اسم السبب
وارادة المسبب لان الرؤية سبب الاخبار وجعل الاستفهام بمعنى الامر بجامع الطلب قوله من اتخذ مفعول
اول المفعول ارأيت ومفعوله الثاني محذوف مقدر بعد قوله غشاوة وهو فمن يهديه وحذف لدلالة قوله فمن يهديه
عليه وانما قدر بعد غشاوة لئلا يتخلل بين الصلات المتعاطفة اي اخبرني يا محمد ان هؤلاء المشركين الذين اتخذوا
اهوائهم الهة يعبدونها ويطيعون امرها اي اطاعوا اهوائهم حتى صارت كانهم يعبدونها هل يتوقع منهم ان يهتدوا
ويتبعوا الهدى وقوله فمن يهديه استفهام بمعنى النفي وقوله على علم حال من الجلالة اي عالما بانه منكوس البنية
قد انقلب وجهه الى الجهة السفلية لا يرفع رأسه الى الفضائل الروحانية ولا يقبل هدى الله تعالى بل اخلد الى

الى الارض واتبع هواه قال الامام ونظيره في جانب التعظيم الله اعلم حيث يجعل رسالته وتحقيق الكلام
فيه ان جواهر الارواح البشرية مختلفة فمنها مشرقة نورانية علوية ومنها كدرة ظلمانية سفلية عظيمة
الميل الى الشهوات الجسمانية فهو تعالى يعلم كلا منهم بما يليق بجوهره وماهيته وهو المراد بقوله واضله الله
على علم في حق المردودين وبقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته في حق المقبولين **قوله** وقرأ حمزة والكسائي
غشوة بفتح الغين وسكون الشين وباقي السبعة غشاوة وقرئ بفتحها ايضا وهي لغة ربيعة وقرئ
بضمها ايضا وهي لغة عكلية وقرئ غشوة بكسر الغين كما قرئ بفتحها قوله تعالى افلا تذكرون اي تتذكرون
ايها الناس بعقولكم ثم انه تعالى لما بين ضلالة المشركين باختيارهم متابعة الهوى على متابعة الهدى ورئيس
رسوله عليه الصلوة والسلام عن ايمان من علم منهم انهم لا يؤمنون حكى عنهم شبهتهم في انكار القيمة وفي انكار
الاله القادر اما شبهتهم في انكار القيمة فهي قولهم بافواههم التي عبدوها واطاعوها ليس ما يقوله المؤمنون
من الاحياء بعد الموت حقا وما الحيوة الا حيوتنا الدنيا التي نحن عليها واما شبهتهم في انكار الاله الفاعل
المختار فهي قولهم وما يهلكنا الا الدهر يعنون طول العمر واختلاف الليل والنهار وكانوا ينكرون ملك الموت
ويضيفون كل حادثة الى الدهر فانهم ينسبون الموت والحيوة ونحوهما من الحوادث السفلية الى تاثيرات الطبائع
وحركات الافلاك ويقولون لا حاجة في الى اثبات امر خارج عن هذا النظام المشاهد هو فاعل مختار
يستند اليه الحوادث باسرها اما ابتداء او بواسطة وهذه الطائفة جمعوا بين انكار الاله وبين انكار
البعث والقيمة واهل الجاهلية كانوا اصنافا منهم من ينكر الصانع ويضيف الحوادث الى الدهر ومنهم من
يثبت الصانع وينكر البعث والثواب والعقاب ومنهم من يشك في البعث ولا ينكره على سبيل البت
والقطع **قوله** اي نكون امواتا ونحيى بعد ذلك جواب عما يقال الحيوة متقدمة على الموت عند من ينكر حيوة البعث
فالمناسب لهم ان يقولوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نحيى ونموت فما السبب في تقديم ذكر الموت على الحيوة ومحصول
الجوابين الاولين انا سلمنا ان الوصل ان يكون الترتيب في الذكر على وفق الترتيب في الوجود لكن لا نم انه
قد خولف هذا الاصل في هذه الاية لانه انما يلزم ذلك ان لو كان المراد بالموت ما يعقب الحيوة ويزيلها وليس
بلازم لجواز ان يكون المراد بالموت كونهم امواتا حال كونهم نطفا وما قبلها وبالحيوة الحالة الحاصلة بعد
ذلك في الدنيا او يكون المراد بالموت ما يزيل حيوتهم وبحيوتهم بقاءهم في الدنيا ببقاء اولادهم بعدهم حيوة
لهم مجازا ومبنى الجوابين الاخرين منع دلالة الكلام على ان الترتيب في الوجود على حسب الترتيب في الذكر
لان الواو للجمع المطلق ومع ذلك يحتمل ان يكون المراد بعض ما تعلق به الموت غير الذي تعلق به الحيوة بان يكون
المعنى يموت بعضنا ويحيى بعض آخر ويحتمل ان لا يكون كذلك بل يكون المعنى يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس
وراء ذلك حيوة وقال الامام انه تعالى قدم ذكر الحيوة فقال ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم قال بعد نموت ونحيى ان
تلك الحيوة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك في حق الذين ماتوا ومنها ما لم يطرأ عليها الموت بعد ذلك وهو في

في حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقرأ العامة بنصب حجتهم على تقديم خبر كان على اسمها وقرئ برفعها
على الاصل **قوله** وانما سماه حجة مجوزا على ان الحجة انما تطلق على الدليل القطعي وقولهم في معرض الاحتجاج
على انكار البعث ائتوا باباءنا ان كنتم صادقين ليس بحجة بل هي شبهة ضعيفة جدا لان عدم حصول
الشيء حالا لا يستلزم ان يكون ممتنع الحصول مطلقا فان الحوادث كلها كانت معدومة من الازل الى وقت
حدوثها وحصولها ولو كان عدم الحصول في وقت معين دليلا على امتناع الحصول مطلقا لكانت الحوادث
كلها ممتنعة الحصول مطلقا وهو باطل بالضرورة الا انه تعالى سماه حجة بناء على حسبانهم ومساقهم فانهم
يذكرون هذه الشبهة ويسوقونها في معرض الاحتجاج بها او سماها حجة لبيان انهم لا حجة لهم البتة لان
ما كانت حجته هذه الشبهة الضعيفة جدا لا يكون له حجة البتة فيكون الكلام على اسلوب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع فان من ابتداء بالضرب الوجيع في اول التلاقي لا يكون بينهم تحية البتة فقوله فانه لا يلزم من عدم
حصول الشيء حالا امتناعه مطلقا تعليل لكونه على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع لانه في قوة ان يقال سماه
حجة للدلالة على انه لا حجة لهم على امتناع البعث البتة **قوله** على ما دل عليه الحجج وهي التي استدل بها على و
جود الاله القادر العليم الحكيم من خلق السموات والارض وحدوث الحيوانات المبثوثة في الارض وحدوث
الحوادث المتجددة كانه جواب عما يقال قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يجمعكم كيف يكون جوابا لمن ينكر البعث ووجود
الاله القادر على كل شيء ويقول ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر فابطال كلامه بان
يقال الله يحييكم مصادرة واثبات للشيء بنفسه وتقرير الجواب انه انما يلزم المصادرة ان لو قيل في ابطال قول
من ينكر البعث ووجود الاله لا تنكروهما فان الله تعالى يجمعكم الى يوم القيمة وليس كذلك بل وجه كونه جوابا ان
معنى قوله قل الله يحييكم ثم يميتكم كيف تنكرون البعث ووجود الاله القادر وكونه قادرا على الابداء فقد ثبت
وجوده بحدوث الحوادث من السموات والارض والحيوان والانسان ومن قدر على الابداء قدر على الاعادة
ومن قدر على الاحياء الاموات يقدر على احياء ابائكم واتيانها فحجتكم داحضة وشبهتكم ضعيفة واهية **قوله**
تعميم للقدرة بعد تخصيصها فانه تعالى لما احتج بقدرته على الاحياء والاماتة على قدرته على الاعادة ثانيا وجمعهم
للمجازاة بين انه قادر على جميع الممكنات سواء كانت سماوية او ارضية واذا ثبت كونه قادرا على كل الممكنات
وقد ثبت ان حصول الحيوة في الذوات التي وجدت ابتداء ممكن اذ لو لم يكن ممكنا لما حصلت ابتداء فقد لزم
مما بين المتقدمين كونه تعالى قادرا على الاحياء في المرة الثانية ثم انه تعالى لما بين صحة القول بالحشر والنشر
بهذين الطريقين ذكر تفاصيل احوال القيمة فاولها قوله ويوم تقوم الساعة يخسر المبطلون اي يظهر خسران
اهل الباطل لانهم لم يكونوا في خسران قبله وانما خسروا يومئذ والخسران عبارة عن اضاعة رأس المال
من غير بدل يتوب منابه ومن المعلوم ان الحيوة والعقل والصحة كالرأس المال بالنسبة الى المكلف والتصرف
فيها لطلب السعادة الاخروية بمنزلة تصرف التاجر في ماله لطلب الربح ومن صرفها ايام حيوته في الكفر

كان ما يمتكالهم ... ما كان الا ان ... قالوا ائتوا باباءنا ... ما كان حجتهم الا ان ... ابطل الخ

والمعاصي ولم يكتسب بها ما يسعده في الاخرة ثم انتقل الى دار الاخرة فقد ظهر له هناك انه ضيع رأس ماله بغير
شيء حيث لم يجد في ذلك اليوم الا الخيبة والخذلان وعذاب النيران ويوم ظرف لقوله يخسر ويومئذ بدل منه و
تنوين يومئذ عوض عن المضاف اليه المقدر والتقدير ويوم تقوم الساعة يوم اذ تقوم الساعة يخسر المبطلون
والثانية من احوال القيمة ماذكره بقوله وترى كل امة جاثية ان الظاهر ان الرؤية بصرية فتكون جاثية
حالا من المفعول والجثو بالضم الشيء المجتمع واجتماع كل امة معناه عدم اختلاطهم بامة اخرى وقيل جاثية اي
جالسة على الركب كما يجلس الخصماء بين يدي الحاكم ومصدره الجثو وتجلس الامة على هذه الهيئة لكونها
خائفة فلا تطمئن في جلستها يوم الحساب يقال استوفز في قعدته اذا قعد قعودا منتصبا غير مطمئن هيبة واحتراما
والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه قال الشيخ عبد القاهر الجرجاني
في حق تلميذ له يحضر مجلسه للتعلم وقلبه متعلق بمصالحه • يجيء من فضلة وقت له • وليس له همة سوى التزوج
• ثم تراه جلسة مستوفز • قد شدت احماله بالنسوع • ماشئت من زهزهة والفتى • بمصقلاباذ لسقي الزروع
• والنسوع جمع نسعة وهي التي تنسج عريضا للتصدير وهو الحزام الذي في صدر البعير ويشد باقوى
الاحمال لئلا تضطرب والزهزهة التحسين معرب ما قولهم عند التحسين زه زه وما ابانية وما بيانية
وهو مفعول قول مقدر في موضع الحال من فاعل ترى جلسة مستوفز قائلا في حال تعليمي اياه زه زه وقلبه في مصقلا
باذ لسقي زرعه ومصقلاباذ محلة بجرجان قوله وقرأ يعقوب كل امة بالنصب على البدلية من كل امة الاولى
ابدال نكرة موصوفة من مثلها فان تدعى على هذه القراءة في موضع النصب على انه صفة لكل او حال منه او مفعول
ثان لترى على ان الرؤية قلبية فتكون جاثية ايضا كذلك والعامة على الرفع بالابتداء وتدعى خبرها قوله
اضاف صحايف اعمالهم الى نفسه مع انها اضيفت الى الامة فيما قبل حيث الى كتابها وحاصل الجواب انه لا منافاة
بين الاضافتين لانه كتابهم من حيث اشتماله على تفصيل اعمالهم وكتاب الله تعالى من حيث انه مكتوب بامره
قوله هذا ابتداء وكتابنا خبره اي يقال لهم هذا كتابنا وينطق اما خبر بعد خبر او هو الخبر وكتابنا بدل من
هذا او عطف بيان له ويجوز ان يكون ينطق حالا من كتابنا والعامل فيه ما في هذا من معنى الفعل قوله نستكتب
الملائكة اعمالكم اي نامرهم بكتبها واثباتها عليكم والنسخ في الاصل هو النقل من اصل ويستعمل في الكتبة ابتداء
وقيل نستنسخ هذا الكتاب من اللوح المحفوظ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال السنم فو ما عرنا هل يكون
النسخ الا من كتاب وفي الخبر ان الملائكة اذا كتبوا اعمال العباد وصعدوا بها الى السماء امروا ان يعرضوها
باللوح المحفوظ فيوجد كذلك فالمعنى على هذا ان الملائكة كانوا يكتبون عليكم بامرنا من كتاب عندنا كتب قبل خلقكم
وعملكم فلم يخف علينا شيء ثم انه تعالى لما بين من احوال القيمة ان كل امة تدعى الى كتابها وانهم يجزون بما ظهر
فيه من اعمالهم بين احوال كل واحد من المطيعين والعاصين فقال فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم
في رحمته واحتجت المعتزلة بهذه الاية على حرمان الفاسق من الجنة بناء على انه تعالى علق الدخول في رحمته بالعمل

على اثبات مجموع الايمان والعمل الصالح والمعلق على مجموع امرين يكون عدما عند عدم احدهما فعند عدم
الاعمال الصالحة وجب ان لا يحصل الفوز بالجنة والجواب ان تعليق الحكم على الوصف لا يدل على عدم الحكم
عند عدم الوصف قوله اي فيقال لهم الم يأتكم رسلي اشارة الى ان جواب اما محذوف وهو قوله فيقال هذا
القول وان المعطوف عليه بالفاء جملة مقدرة بين الهمزة والفاء وقوله اكتفاء واستغناء من قبيل اللف والنشر
المرتب قوله قوما عادتهم الاجرام من حيث انهم مع استكبارهم عن الايمان بالايات ما كانوا اعدوا لانفسهم
انفسهم بل كانوا افساقا في ذلك الدين ايضا وهذا المعنى مستفاد من لفظ كنتم وبه يحسن وصف الكافر بكونه مجرما
في معرض الطعن فيه والذم قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق الاية داخل في حكم الاستفهام المذكور عطفا
على استكبرتم اي اولم يكن الشان انه اذا قيل لكم ان وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق والساعة
لا ريب فيها قلتم قوله وقرأ حمزة بالنصب والباقون برفعها على انه مبتدأ والجملة • المنفية بعدها خبرها
او على انها معطوفة على محل اسم ان قبل دخول ان مرفوع بالابتداء او على محل ان واسمها معا على رأي من
يقول كلمة ان مع اسمها لها موضع وهو الرفع بالابتداء وما الاولى في قوله تعالى ما ندري ما الساعة نافية و
الثانية استفهامية في موضع الرفع على ان الساعة مبتدأ وهي خبره والجملة في موضع النصب بقوله ما ندري
قوله اصله نظن ظنا اي اشارة الى ان هذه الاية لا بد فيها من تاويل لان المصدر الذي يكون للتاكيد لا يجوز
ان يكون مستثنى مفرغا فلا يقال ما ضربت الا ضربا لعدم الفائدة فيه لكونه بمنزلة ان يقال ما ضربت الا ضربت
فانه قد تقرر في النحو انه يجوز تفريغ العامل لما بعد الا من جميع معمولاته مرفوعا كان او غير مرفوع الا المفعول
المطلق فانه لا يفرغ له عامله فلا يقال ما ظننت الا ظنا لانه لا فائدة فيه لكونه بمنزلة تكرير الفعل وهو لا يجوز
لاتحاد مورد النفي والاستثناء وهو الظن والحصر انما يتصور حيث تغاير موردا هما فالمص ذكر في تاويل
الاية وجهين تقرير الاول ان مورد النفي محذوف وهو كون المتكلم على فعل الافعال ومورد الاستثناء كونه
يظن ظنا كانه قيل ما نحن نفعل فعلا الا نظن ظنا فكلمة الا وان كانت متاخرة لفظا فهي متقدمة في
التقدير فدلول الحصر اثبات الظن لانفسهم وهو الاعتقاد الراجح ونفي ما عداه ومن جملة ما عداه اليقين
الذي هو الاعتقاد الجازم والمقصود نفي اليقين لكنه نفي ما عدا الظن مطلقا للمبالغة في نفي اليقين
ولذلك اكده بقوله وما نحن بمستيقنين وتقرير الوجه الثاني وهو ما ذكره بقوله او لنفي ظنهم فيما سوى
ذلك عطفا على قوله لاثبات الظن ونفي ما عداه ان متعلق الظن في الموضعين مقدر الا ان متعلق الاول
عام ومتعلق الثاني خاص كانه قيل ما نظن في شيء من المدركات الا ظنا في هذا المدرك خاصة
فاختلف مورد النفي والاستثناء باختلاف متعلق الظن في الموضعين وفيه مبالغة لا تخفى وقال
السكاكي التنكير في قوله الا ظنا للتحقير والمعنى لا نظن بالساعة شيئا من الظن الا ظنا ضعيفا لا اعتداد
به والمنفي جميع مراتب الظن والمثبت اضعف مراتبه فاختلف مورد النفي والاستثناء بهذا الوجه قوله

ولعل ذلك قول بعضهم جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وبين
قولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فان الاول يدل على انهم قاطعون بنفي البعث والثاني يدل
على انهم شاكون في امكانه ووقوعه وتقريره ان القوم لعلهم كانوا فرقتين في امر البعث والقيمة فرقة منهم
كانت جازمة بنفيهما وهم المذكورون في قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا وفرقة منهم كانت تشك وتتحير فيه
من حيث لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه الصلوة والسلام من دلائل صحته ووقوعه صاروا شاكين فيه وهم المذكو
رون في هذه الاية حكى الله تعالى اولا قول من يقطع بنفيه ثم اتبعه بحكاية قول الشاكين قوله على ما كانت عليه
حال من سيئات ما عملوا على ان المراد منها اعمالهم السيئة ومن ظهورها ظهورها من حيث انها سيئات وقبائح
بان تبدو لهم مصورة بصور هي عليها في نفس الامر وان كانت في الدنيا مصورة بصور مستحسنة مشتهاة تميل
اليها الطباع والنفوس قوله بان عرفوا قبحها متعلق بقوله وبدا لهم قوله او جزاؤها اي ويحتمل ان يراد بسيئات
اعمالهم جزاء الاعمال السيئة ويكون تسمية الجزاء سيئة من قبيل تسمية المسبب باسم سببه وان الجزاء
عدل فكيف يكون سيئة قوله نترككم في العذاب ترك المنسي اشارة الى انه من قبيل ذكر السبب وارادة المسبب
وان من نسي شيئا تركه ويحتمل ان يكون الكلام من قبيل الاستعارة التمثيلية قوله ذلكم اشارة الى الامور الثلثة
التي حكم الله تعالى عليهم من وجوه العذاب بقوله وقيل اليوم ننساكم وماويكم النار وما لكم من ناصرين كانه قيل
انما صرتم مستحقين لهذه الوجوه الثلثة من العذاب لانكم اتيتم بثلثة انواع من الافعال القبيحة الاصرار على
انكار الدين الحق والاستهزاء والسخرية به والانهماك في الاشتغال بلذائذ الدنيا اشار الى الاولين بقوله
اتخذتم ايات الله هزوا والى الثالث بقوله وغرتكم الحيوة الدنيا قوله اي يرضوه بان يرجعوا من معصية
ربهم الى طاعته بالتوبة عما سلف وباصلاح الحال فيما بقي لان ذلك اليوم لا يقبل فيه عذر ولا توبة والاستعتاب
طلب الاعتاب وهو الارضاء وازالة العتب قوله تعالى فلله الحمد الاية خبر في معنى الامر اي اذا ثبت وتبين
في هذه السورة الكريمة اي تنزيل الكتاب الكامل من الله العزيز الحكيم وثبت فيها ايضا ما يدل على وحدانيته
وكمال قدرته وعلمه وحكمته وثواب من اطاعه فيما امر به ونهى عنه وعقاب من خالفه وعصاه ثبت انه يجب
تحميده والثناء عليه وتكبيره وتعظيمه وطاعته في كل ما كلف به فاحمدوه وهو ربكم ورب كل شيء من السموات والارض
والعالمين جميعا فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل مربوب وكبروه فقد ظهرت اثار
كبريائه وعظمته في السموات والارض وحق مثله ان يكبر ويعظم فاصل الكلام فالله احمدوا فعدل الى
هذه الصيغة للدلالة على طلب دوام تخصيص الحمد به تعالى دائما لانه رب كل شيء فيجب على كل مربوب وكذا
قوله وله الكبرياء اصله والله كبروا فعدل اليه لما ذكرنا قراء العامة بجر لفظ رب في المواضع الثلثة تبعا للجلالة
بيانا او بدلا او نعتا للاشارة الى علة اختصاص الحمد به تعالى وقرئ برفع الثلثة على المدح باضمار هو
قوله وهو العزيز الحكيم يفيد الحصر يعني ان العزيز الذي لا يغلب والحكيم فيما قدر وقضى ليس الا هو فعليكم

بطا

بطاعته والحذر عن مخالفته والمواظبة على تخصيص التحميد والتكبير به تعالى شانه تم هنا ما يتعلق بسورة
الجاثية والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين وهذا اوان
الشروع في سورة الاحقاف وهي مكية مستعينا بالله عظيم الالاء والالطاف بسم الله الرحمن
الرحيم قوله الا خلقا ملتبسا بالحق يعني ان قوله بالحق متعلق بمحذوف هو صفة لمصدر محذوف اي خلقا
ملتبسا بالحكمة والصواب ويجوز ان يتعلق بخلقنا اي ما خلقنا هذه المذكورات الا بسبب اقامة الحق بين
الخلق قوله وبتقدير اجل مسمى قدر المضاف لان خلق ما ذكر ليس خلقا ملتبسا بالاجل المسمى بل بتقديره
فانه تعالى ما خلق هذا العالم ليبقى مخلدا سرمدا بل انما خلقه ليكون دار العمل ثم يفنيه وينشئ دار اخرى تكون
دار الجزاء فعلى هذا الاجل المسمى الوقت الذي عينه الله تعالى لافناء الدنيا وهي اخر مدة بقاء هذا العالم والاجل
في اللغة هو مدة الشيء والمراد به ههنا اما اخر مدة بقاء العالم ومنتهاها او اخر مدة بقاء كل احد وكلمة ما
في قوله تعالى عما انذروا يجوز ان تكون موصولة اي عن الذي انذروه من هول ذلك الوقت وان تكون مصدرية اي
عن انذارهم ذلك اليوم وعن متعلقة بالاعراض ثم انه تعالى لما ذكر ما يدل على وجود الاله العزيز الحكيم العدل
فرع عليه الرد على عبدة الاصنام فقال قل ارايتم ما تدعون من دون الله قوله اي اخبروا عن الهتكم بعد
تاملكم فيها اشارة الى ان النكتة في التعبير عن الاخبار الذي هو المسبب عن الرؤية هي الحث على النظر و
التامل ثم طلب الاخبار بعده قوله اروني بعد قوله ارايتم يحتمل ان يكون تاكيدا له لانهما بمعنى اخبروني و
على هذا يكون المفعول الثاني لارايتم قوله ماذا خلقوا ومفعوله الاول هو قوله ما تدعون ويحتمل ان لا يكون
مؤكدا له وعلى هذا يكون المسئلة من باب التنازع لان ارايتم يطلب ثانيا واروني كذلك وقوله ماذا خلقوا
هو المتنازع فيه واعمل فيه الثاني وحذف مفعول الاول وقوله من الارض بيان للابهام الذي في قوله ماذا خلقوا
وام في قوله تعالى ام لهم شرك منقطعة اضرب عن الاستفهام الاول الى الاستفهام عن ان لهم مشاركة مع الله تعالى في
ملك السموات وخلقها فان الشرك بمعنى المشاركة والمعنى ان العبادة عبارة عن الاتيان باكمل وجوه التعظيم فلا تليق
الا بمن صدر عنه اكمل وجوه الانعام وهو من تفرد بخلق الكائنات وتربيتها والتدبير فيها على اصلح الوجوه
ومن لا يقدر على خلق شيء من اجزاء هذا العالم كيف يجوز اشراكها بالله العزيز الحكيم فانه لا يجوز ان يشرك
به في العبادة الا من شاركه فيما يستحق به العبادة وهو خلق الكائنات وتدبير امرها قوله وتخصيص الشرك
بالسموات يعني ان الظاهر في الاحتجاج على المشركين ان يقال اخبروني ان الذين تعبدون من دون الله هل
يعقل ان يضاف اليهم خلق جزء من اجزاء هذا العالم بالاستقلال فان لم يصلح ذلك فهل يجوز ان يقال انهم اعانوا
خالق العالم في خلق جزء من اجزاء هذا العالم اي جزء كان من السموات والارض فان لم يصلح ذلك ايضا صح ان
الخالق الحقيقي لهذا العالم هو الله تعالى وانه هو المنعم لجميع اقسام النعم فيجب ان يخص العبادة به تعالى فكيف يصح ان
يشرك به غيره في استحقاق العبادة لكنه عدل عن ان يقال هكذا الى ما عليه نظم التنزيل لانه لو قيل ماذا خلقوا

من اجزاء هذا العالم بالاستقلال ام لهم شرك في خلق جزء من اجزائه لاحتمال ان يقول المشركون ما نعبده وان لم
يكن خالقا لشيء من اجزاء هذا العالم بالاستقلال الا ان له شركة ومدخلا في ايجاد الحوادث السفلية من
حيث انه تعالى جعله واسطة في ايجاد تلك الحوادث وجعلها منوطة بمباشرته فلا يتم الاحتجاج عليهم ح قوله تعالى
من قبل هذا صفة لكتابا اي بكتاب كائن من قبل هذا الكتاب اذ لا يمكنكم الاحتجاج بالقران لانه ناطق بالتوحيد
وبطلان عبادة غير الله تعالى يعني ان جميع الكتب المنزلة تشهد بمثل ما يشهد به القران من التوحيد ولا كتاب يشهد
بما انتم عليه من الشرك وتلخيص الاحتجاج عليهم اخبروني عن دليل عقلي او ائتوني بدليل نقلي اما كتاب منزل
او اثر وسنة من اثار الاولين واخبارهم والاثارة البقية من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم
اي على بقية بقيت عليها من شحمها الاول وهي مصدر على وزن فعالة كالغواية والضلالة ومن علم صفة لاثارة
اي بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الاولين قوله وقرئ اثارة بالكسر مثل اماتة في اذ فعال
من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا اي سطع واثارة غيره اثارة واطلاق لفظ الاثارة على المناظرة من قبيل
اطلاق اسم المسبب على السبب لان المناظرة سبب لاثارة المعاني اي ان لم تؤتوني بكتاب يشهد بصحة الشرك
فائتوني بمناظرة تثير المعاني لتشهد بصحة ما انتم عليه قوله واثرة هي بفتح الهمزة والثاء اسم من الاستئثار
يقال استأثر فلان بالشيء اي استبد به وتفرد لمعنى او اثرة من علم او ائتوني بشيء اوثرتم به وخصصتم
من علم لا احاطة به لغيركم والاثرة بفتح الهمزة وسكون الثاء بناء مرة من اثر الحديث وروايته كانه قيل او
ائتوني بخبر واحد ورواية شاذة رويت عمن اوحي اليهم من الانبياء المتقدمين فاني قد قنعت به في الاحتجاج
لكم بهذا القدر على قلته وعدم شهرته وشيوعه والاثرة بكسر الهمزة بمعنى الاثرة بفتحتين وبضم الهمزة اسم
للحديث المأثور اي المروي كالخطبة اسم لما يخطب به قوله انكار ان يكون احد اضل من المشركين وذلك
لان من في قوله تعالى ومن اضل استفهامية بمعنى النفي والانكار وهي في موضع الرفع بالابتداء واضل خبره ومن في قوله
من لا يستجيب له يجوز ان تكون موصولة وان تكون نكرة موصوفة وعلى التقديرين هي في موضع النصب على انها مفعول
يدعوا اي يدعو من اذا دعيت لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل الى يوم القيمة وانما جعل ذلك غاية مع ان عدم
استجابتهم امر مستمر في الدنيا والاخرة اشعارا بان معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة اشد وافظع مما
وقعت في الدنيا اذ تتجدد هناك العداوة والتبري ونحوه قوله تعالى وان عليك لعنتي الى يوم الدين فانه للاشعار
بانه اذا جاء ذلك اليوم لقيت ما تنسى معه اللعن قوله لانهم اما جمادات لا تسمع ابدا ان كان المراد بمن لا
يستجيب الاصنام قوله واما عباد مسخرون على تقدير ان يكون المراد به الملائكة او عيسى عليه الصلوة والسلام قوله
يضرونهم بكونهم سبب عذابهم وانهم اما حصب جهنم يعذبون بهم في العذاب واما منكرون بعبادتهم بقولون
لهم سبحانك انت ولينا من دونهم نبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون فلبسوا في الدارين من عبادتهم و
دعائهم الا على نكد ومضرة وكلمة من وهم وجمع العقلاء للتغليب ان كان المراد كل معبود سوى الله تعالى ولا

ولا سنا وما يسند الى العقلاء اليهم من الاستجابة والغفلة ان كان المراد الاوثان ويكون وصفها بترك
الاستجابة على طريق التهكم بها وبعبدتها قوله يكذبون بلسان الحال او المقال الاول على تقدير ان يكون المراد بمن
لا يستجيب الاصنام والثاني على تقدير ان يكون المراد به العباد المسخرون وقيل الاصنام ايضا تعادي عابديهم بلسان
المقال بناء على انه تعالى يحييها يوم القيمة فتتبرأ من عبادتهم قائلة نحن منبرئون منكم ابدا ما امرناكم بعبادتنا
ولا احببنا بل انما فعلتم ذلك اتباعا لهواكم ولمن سول لكم ذلك ما كنتم ايانا تعبدون وكذلك الجن والشياطين
اذا اجتمعوا في النار مع العابدين يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا قوله وقيل الضمير للعابدين عطفا
على المفهوم مما سبق وهو ان يكون ضمير كانوا للمعبودين ادر وقيل معنى الاية واذا حشر الناس وجمعوا يوم
القيمة كان من يعبد غير الله اعداء لمعبوديهم لما اصابهم من العقوبة بسبب عبادتهم اياه ولم يرض المص
بهذا القول اذ لا وجه له سواء اريد بمن لا يستجيب الاصنام او العباد المكرمون او ما يعم الجميع اذ لا وجه لان يعادي
العبدة الجمادات ولا للعباد المكرمين وان كان مراد القائل ان ضمير كانوا الاولى للمعبودين وضمير الثانية للعا
بدين كما هو المفهوم من تقرير المص كان وجه عدم رضائه به لزوم تفكيك الضمير ح قوله اضراب يعني ان كلمة ام
منقطعة بمعنى بل والهمزة ومعنى بل الاضراب عما ذكر سابقا ومعنى الهمزة الانكار والتعجب كانه قيل دع هذا واسمع قولهم
المناقض العجب وهو انهم تسميتهم اياه سحرا اعترفوا بانه كلام لا يقدر احد على مثله عادة ثم انهم وصفوه عليه
الصلوة والسلام بانه تقول من عند نفسه ثم قال انه كلام الله افتراء عليه ولو كان الامر كذلك لكانت قدرته عليه
دون امة العرب معجزة له لكونه خارقا للعادة فكان ذلك تصديقا له عليه الصلوة والسلام من الله تعالى فلا يكون مفتريا
لان الحكيم لا يصدق الكاذب ثم انه تعالى بين بطلان شبهتهم فقال قل ان افتريته الضمير فيه للحق وجواب الشرط محذوف
تقدير الكلام ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله تعالى بعقوبة الافتراء عليه حذف لدلالة قوله فلا تملكون لي من
الله شيئا ومعناه لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه فكيف افتري على الله من اجلكم وانتم لا تقدرون
على دفع عقابه عني قوله تندفعون فيه الاندفاع الخوض والشروع بالسرعة وكذا الافاضة يقال اندفع الفرس اي
اسرع في مشيه قوله بدعا منهم يعني ان البدع صفة بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف والبديع من كل شيء المبتدأ
الذي لا سابق له والمخترع لا على مثال سبق ويجيء بمعنى المبدع ايضا كما في قول الله تعالى بديع السموات والارض لما حكى
الله تعالى عنهم انهم طعنوا في الايات المتلوة عليهم وقالوا في شانه هذا سحر مبين وقالوا في شان تلاوة عليهم انه
اختلقها من عند نفسه ونسبها الى الله تعالى بانها كلامه افتراء عليه وانه كاذب في دعوى الرسالة وكانت لهم مقالات اخر
باطلة مثل قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقولهم
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانهم كانوا يقترحون عليه الايات العظيمة ويسألونه عما لم يوح به
اليه من الغيوب امره الله تعالى ان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل اي لست باول من ارسل الى البشر فانه تعالى
قد بعث قبلي كثيرا من الرسل وكان كل واحد منهم بشرا يأكل ويشرب ويمشي في الاسواق وانهم كانوا يدعون

فان قلت فما معنى اسناد الفعل اليهم
في قوله تعالى فلا تملكون لي من الله شيئا قلت
كانه نبها انا هم بالنصيحة لهم والشفقة
عليهم مما سوء العاقبة وارادة الخير
بهم فكانه قال لهم ان افتريته فانا اريد
بذلك النصح لكم وصدكم عن عبادة
الالهة الى عبادة الله تعالى فانتم
عني ايها المنصوحون ان اخذني الله تعالى
بعقوبة الافتراء عليه كـ ق

الى التوحيد وينهون عن الشرك وعبادة الاصنام وانهم لم يكونوا يأتون من الخوارق والمعجزات الا ما انا
هم الله تعالى من اياته ولا يخبرون بكل ما يسئلون عنه من المغيبات وانما يخبرون بما اوحى اليهم منه وانا واحد منهم
فكيف تنكرون منى ان ادعى الرسالة مع انى بشر متصف بلوازم البشرية وان ادعوكم الى التوحيد وانهاكم عن
الشرك وان اقدر على ما لم يقدروا عليه من الاتيان بالمقترحات كلها فان هذه الاشياء لا تقدح فى نبوتى كما لم تكن
قادحة فى نبوتهم **قوله** وقرئ بفتح الدال اما على انه صفة كالبدع بسكون الدال فان الصفة قد يجئ على وزن
فعل ككيم وزيم يقال دين قيم بمعنى قائم اى ثابت مقرر او مستقيم ولحم زيم روى الجوهرى عن الاصمعى انه قال اللحم
الزيم المتفرق ليس بمجتمع فى مكان واما على انه جمع بدعة مقدر بمضاف اى ذا بدع والبدعة الامر المخترع
الذى لم يكن موجودا قبل **قوله** وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدارين على التفصيل اختلف فى ان المراد بما نفى
عنه علمه مما يفعل به وبهم انه من احوال الدنيا او من احوال الاخرة والمصنف حمله على ما هو اعم من احوال الدنيا و
الاخرة لعموم اللفظ وعدم المخصص ولما ورد ان يقال كيف يصح منه عليه الصلوة والسلام ان يقول ما ادرى ما يفعل
بى ولا بكم فى الدارين ومع انه عليه الصلوة والسلام يعلم انه نبى معصوم عن الكباير والزلات المهلكة وانه قدوة
السعداء وارفعهم منزلة فى الدنيا والاخرة وان المؤمنين هم المنصورون وان جند الله هم الغالبون وان حزب
الله هم المفلحون وان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وان مصيرهم الى النعيم ومصير الكفار الى الجحيم اشار
الى جوابه بقوله على التفصيل يعنى ان المنفى هو دراية خصوصيات ما يفعل به وبهم فى الدارين على التفصيل وذكر
لا ينافى كونه عالما بما يفعل به وبهم فى الدارين على الاجمال **قوله** اذ لا علم لى بالغيب علة لعدم كونه دار
بالتفصيل ذلك فانه غيب لا يعلمه الا علام الغيوب وانما قال انه غيب لا دليل عليه اصلا وغير معلوم بداهة
والتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى جواب عما يقال من ان قوله بكم فى قوله ولا بكم معطوف على بى وهو فى حيز
الاثبات لان العامل فيه يفعل وهو مثبت فلم يكن ما عطف عليه من مواضع زيادة لا لامكان ان يقال ما
يفعل بى وبكم وتقرير الجواب ان قوله يفعل وان كان مثبتا فى نفسه الا ان النفى المذكور فى قوله ما ادرى مسلط
على ما فى قوله ما يفعل بى لانه مفعول الفعل المنفى فيكون مسلطا على ما فى حيز ما وهو الصلة فيكون يفعل منفيا بهذا
الاعتبار فصح زيادة لا على ما هو معطوف على معموله **قوله** وما اما موصولة يريد بها ما التى فى قوله ما يفعل بى لا ما
التى فى قوله ما ادرى نافية لا غير وما الثانية ان كانت موصولة يكون منصوبة بقوله ادرى اى لا اعرف
الذى يفعله الله بى وان كانت استفهامية تكون مرفوعة بالابتداء ويفعل بى خبره والجملة سادة مسد مفعولى
ادرى وقد علق عن العمل بالاستفهام والمعنى ما ادرى اى شئ يفعل بى وقراءة العامة يفعل على بناء المفعول
وقرئ بنا للفاعل ايضا وهو الله تعالى **قوله** او استعجال المسلمين مجرور معطوف على اقتراحهم روى انه
لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة رأى فى المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر
فاخبر به اصحابه فاستبشروا بذلك ورأوا ان ذلك فرج مما هم فيه من اذى المشركين ثم مكثوا برهة من الدهر
لا يرون

لا يرون اثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت متى نهاجر الى الارض التى رأيتها فى المنام فسكت
النبى عليه الصلوة والسلم فانزل الله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم وهو شئ
رأيته فى المنام وانا لا اتبع الا ما اوحاه الله تعالى الى ثم انه تعالى لما حكى عنهم انهم قالوا فى حق القران هذا سحر
مبين قال له عليه الصلوة والسلام قل ارأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وجواب الشرط محذوف تقديره ان
كان القران من عند الله تعالى وكفرتم به الستم ظالمين محذوف لدلالة قوله ان الله لا يهدى القوم الظالمين عليه
قوله وقد كفرتم به اشارة الى ان الواو فى قوله تعالى وكفرتم به حالية وقد معها مقدرة ثم جوز كونها عاطفة تعطف
قوله كفرتم على فعل الشرط قبله وكذا الواو فى قوله وشهد شاهد فانها ايضا عاطفة تعطف مدخولها بما عطف عليه او
قوله فآمن واستكبرتم ان تعطف جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن فاستكبرتم على جملة
قوله ان كان من عند الله وكفرتم به والمعنى قل اخبرونى ان اجتمع كون القران من عند الله تعالى مع كفركم به واجتمع
شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم
وكيفية شهادته على نزول مثله ان يقول ان مثله قد نزل على موسى عليه الصلوة والسلام فلا تنكروا انزوله على محمد
مثله فى كونه مصدقا بالمعجزات الباهرة فان التورية مثل القران من حيث الدلالة على اصول الشرع كالتوحيد
والبعث والحساب والثواب والعقاب ونحو ذلك وان اختلفا فى بعض الفروع والاحكام وقيل المثل فى قوله على
مثله صلة والمعنى وشهد شاهد عليه اى على انه من عند الله والفاء فى قوله فآمن للدلالة على ان ايمانه مسبب عن الشهادة
على نزول مثله فانه لما علم ان مثله قد انزل على نبى قبله وانه من جنس الوحى لا من كلام البشر وشهد عليه واعترف
به كان الايمان نتيجة ذلك فآمن عقيب تلك الشهادة بلا مهلة وجعل مجموع قوله وشهد شاهد الاية معطوفا على
مجموع قوله ان كان من عند الله وكفرتم به لانه لو جعل وشهد معطوفا على كفرتم لكان قوله واستكبرتم تكرار القوله
كفرتم من حيث المعنى خاليا عن الفائدة **قوله** دمثل موسى عليه الصلوة والسلام يعنى اختلف فى المراد بقوله و
شهد شاهد من بنى اسرائيل فذهب الاكثرون الى ان المراد بهذا الشاهد هو عبد الله بن سلام لما قدم المدينة **قوله**
استيناف مشعر بان كفرتم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم فانه تعالى لما وصفهم بالكفر بما هو من عند الله والاستكبار عن
الايمان به توجه ان يقال فكيف يكون عاقبة امرهم مع هذا الكفر والاستكبار فاجيب عن هذا القول المنوجه بان الله
لا يهديهم ما داموا على الوصف المذكور الذى هو ظلم لانفسهم فاشعر بنفى هدايته اياهم انهم ضالون ووضع الظالمين
موضع ضميرهم ان سبب ضلالهم هو ظلمهم لانفسهم بالكفر والاستكبار ثم انه تعالى حكى عنهم مقالة اخرى باطلة
فقال وقال الذين كفروا للذين امنوا بعد ما حكى عنهم قولهم للحق وفى شأنه لما جاءهم هذا سحر مبين وقولهم افتراه
ومقصودهم بهذه المقالة انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قيل نزلت حين قال كفار مكة ان عامة من يتبع محمدا
السقاط يعنون الفقراء والموالى مثل عمار وصهيب وابن مسعود وبلال رض ولو كان هذا الدين خيرا ما سبقنا
اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان

فان قلت اضرب عن نظم هذا الكلام لا اقف على معناه من جهة النظم تلك الواو الاولى عاطفة كفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم وكذلك الواو الاخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد واما الواو فى وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسأت واقبلت عليك واعرضت ثم تشفع فى انك اخذت ضيعتى فعطفتهما على مثلهما فالمعنى قل اخبرونى ان اجتمع كون القران من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بنى اسرائيل على نزول مثله فايمانه به مع استكباركم عنه عن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل الايمان فى قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى وانه من جنس الوحى وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك كشاف

قيل كيف ... فيه ... على انه ... منصب ...

قال ابن عباس رض ... وما ادرى ما يفعل ... الانبياء ... انه فى الدنيا فانه قد كان فى الانبياء من ... ولا بكم ... ومنهم من يخفى بالامر ... يسلم من المحو ... ومنهم من ... بانواع البلاء ... الوطن ومنهم من كان ... الامم منهم من يهلك بالخسف والمسخ ... هلاكه بالقذف وكذا بالمسخ والريح ... بالغرق وبغير ذلك فنفى عليه الصلوة والسلام ... عنه ما يفعل به من هذه الوجوه وعلم من ... الغالب المنصور ... ومنهم من امر ... يوجه اليه عاقبة امره وامرهم ... بالهجرة ووعده العصمة من الناس ... وامره بالجهاد واخبره انه يظهر دينه على الدين كله وسلطه على عدوه ... ويستأصلهم بسيفه ومنهم من حمل الاية على احوال الاخرة من الثواب والعقاب متمسكا بما روى عن ابن عباس رض انه قال لما نزلت الاية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيا لا يدرى ما يفعل به وبنا فانزل الله تعالى انا فتحنا لك ... ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبى الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات الى اخر الايات فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم فى الاخرة وهذا قول انس وقتادة والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا قبل ان يخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك ...

هذا خبرا ما سبقنا اليه دعاء اليهم فنزلت وقيل قاله اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام واصحابه فنزلت
وقيل كانت زنيرة امرأة ضعيفة البصر فلما اسلمت كانت الاشراف من مشركي قريش يستهزؤن بها ويقولون
والله لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله تعالى فيها وفي امثالها هذه الاية وقال لما قدم
عليه الصلوة والسلام المدينة اتاه عبد الله بن سلام ونظر الى وجهه المنير فعلم انه ليس بوجه كذب وتأمل
في سيرته وكلماته فتحقق عنده انه النبي المنتظر الذي بشرهم موسى ببعثته وشهد على مثل شهادة القران
حيث قال اشهد انك رسول الله لشهادة القران في نحو قوله محمد رسول الله فامن بالقران وبكونه وحيا الهيا
هذا على ان يكون نعني وشهد شاهد على مثله اي على مثل القران وشهادته وقيل معناه على مثل ما قلته من ان
القران من عند الله تعالى على ان يرجع ضمير مثله الى كون القران من عند الله المدلول عليه بقوله ان كان من عند
الله وانكر جماعة كون المراد بالشاهد المذكور في هذه الاية عبد الله بن سلام وقالوا ان آل حم نزلت بمكة
وانما اسلم عبد الله بن سلام بالمدينة بعد الهجرة فكيف يمكن حمل هذه الاية المكية على واقعة حدثت بعد الهجرة
الى المدينة واجيب بان السورة مكية الا هذه الاية فانها مدنية وكثيرا ما تنزل الاية فيأمر رسول الله عليه
الصلوة والسلام ان توضع في سورة كذا في موضع كذا فلا يكون نعني امره بذلك ومنها هذه الاية فانها نزلت
بالمدينة وان الله تعالى امر رسوله عليه الصلوة والسلام ان يضعها في هذه السورة المكية في هذا الموضع المعين
واجيب ايضا بان قوله وشهد شاهد عطف على الشرط المتقدم فيكون شرطين والمقدر بعدهما هو نحو قوله
الستم ظالمين جواب عن كل واحد منهما والشرط لا يجب حصوله عند المتكلم به فلا يكون شهادة عبد الله بن سلام
بالمدينة بعد الهجرة منافيا لكون الاية نازلة بمكة والتعليق بالشرط المترقب نهي وقوعه كما ذكر ووصف معجزة
ظاهرة لكونه اخبارا عن الغيب على ما هو عليه ثم ان من انكر كون المراد بالشاهد المذكور في الاية عبد الله بن
سلام قال المراد به موسى فانه عليه الصلوة والسلام يشهد على التورية وهي مثل القران من حيث اشتمالها على
الشهادة بحقية نبوة سيد المرسلين وساير ما هو من اصول الدين من التوحيد والترغيب في الطاعة و
الترهيب عن المخالفة والعصيان ونحو ذلك وقال الامام قيل ليس المراد من الشاهد شخصا معينا بل المراد منه
ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم موجود في التورية وان البشارة بمقدمه وبعثته حاصلة فيها فتقدير الكلام لو ان
رجلا منصفا عارفا بالتورية اقر بذلك واعترف به ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم كنتم ظالمين لانفسكم ضالين
عن الحق قوله لاجلهم اي لاجل ايمان الذين امنوا على ان اللام للعلة لا للتبليغ بان يكون المعنى وقال الذين
كفروا للذين امنوا على وجه الخطاب لهم كما تقول قال زيد لعمرو والا لكان الظاهر ان يقال ما سبقتمونا اليه
قوله ظرف لمحذوف لان اذ لازمة الاضافة وقد اضيف الى قوله لم يهتدوا فلا يعمل فيها لان المضاف اليه لا يعمل
في المضاف وايضا هي للمضي فلا يعمل فيها قوله فسيقولون لكونه للاستقبال والفعل الاستقبالي لا يعمل في الظرف
الذي للمضي فلا يقال ساكتب امس والفاء في قوله فسيقولون سببية تقتضي ان يذكر قبلها ما يكون سببا لقولهم هذا

وان اشهد منا بنى اسرائيل عبد الله بن سلام
لما قدم رسول الله المدينة نظر الى وجهه
فعلم انه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق
انه هو النبي المنتظر وقال له انى سائلك عن
ثلث لا يعلمهن الا نبى ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام يأكله اهل
الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه
فقال صلى الله عليه وسلم اما اول اشراط
الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى
المغرب واما اول طعام يأكله اهل الجنة
فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق
ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة
نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا
ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت
وان علموا باسلامي قبل ان تسألهم عني
بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اى رجل فيكم
عبد الله قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا
وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال
ارأيتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله
من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول
الله قالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه
قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر
قال سعد بن ابى وقاص رض ما سمعت
رسول الله يقول لاحد يمشي على الارض
انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام
وفيه نزل وشهد شاهد من بنى اسرائيل
كشاف

هذا افك قديم فلذلك قدر ما يكون عاملا في الظرف وسببا للقول المذكور والمعنى واذ لم يهتدوا بالقران
المبين والايات البينات ظهر عنادهم فسيقولون لذلك هذا افك قديم كما قالوا انه اساطير الاولين ومعنى
السببية فيه انه يتحقق منهم هذا القول والطعن حينا بعد حين مسببا عن العناد والاستكبار قوله وهو
خبر لقوله كتاب موسى يعني ان قوله كتاب موسى مبتدأ ومن قبله خبره قدم عليه وهذا الخبر المقدم ناصب لقوله
اماما على الحالية كقولك في الدار زيد قائما وقال الزجاج انتصب اماما بما دل عليه قوله ومن قبله كتاب موسى
لان معناه ونقدمه كتاب موسى اماما اي قدوة يؤتم به في دين الله تعالى وشرايعه كما يؤتم بالامام ورحمة لمن
آمن به وعمل بما فيه قال الامام ووجه تعلق هذا الكلام بما قبله ان القوم طعنوا في صحة القران وحقية الدين
بقولهم لو كان خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء الصعاليك فنزل هذا الكلام استشهادا بحقيته على حقيتهما فكانه
تعالى قال والذي يدل على صحة القران والدين انكم لا تنازعون في ان الله تعالى انزل التورية على موسى وجعله
اماما يقتدى به في امر الدين ثم ان التورية مشتملة على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فاذا سلمتم كون
التورية اماما يقتدى به فاقبلوا حكمها في حقية امر محمد وحقية كتابه ودينه قوله اولما بين يديه من الكتب
الالهية مطلقا اي القران مصدق الكتب التي قبله اي كتاب كان او في ان محمدا عليه الصلوة والسلام رسول من عند الله تعالى
استشهد على حقية كتاب موسى بكونه اماما يقتدى به في امر الدين ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه وعلى حقية القران
بكونه مصدقا مطابقا له ولجميع ما بين يديه من الكتب الالهية قوله او منه اي هو حال من كتاب لتخصصه
بالصفة فان الحال من النكرة الغير المخصصة يجب تقديمها عليها قوله وفايدتها اي فايدة الحال او فائدة الصفة
من حيث كون نسبتها الى فاعلها مقيدة بمضمون الحال الاشعار بكون حال القران مصدقا للتورية حالا كونه
لسانا عربيا يدل على كونه وحيا الهيا كان مجرد كونه مصدقا لا يدل على انه حق ضرورة ان ما يطابق
الحق حق واما وجه دلالة التقييد على انه وحي الهي فلان ما يطابق العبراني حال كونه لسانا عربيا لا يتصور
صدوره عمن لا يعرف اللغة العبرانية فتعين كونه وحيا الهيا وقوله عربيا صفة لقوله لسانا وهو المسوغ
لوقوع هذا الجامد حالا فان الحال لا بد ان يكون مبينة للهيئة اما بالذات او بالغير والاسم الجامد لا يبين الهيئة
بالذات فلا يصح ان يقع حالا الا بما يتبعها من الصفة فيكون حالا موطئة قوله اي مصدق ذا لسان عربي وهو
النبي صلى الله عليه وسلم قوله علة مصدق ومتعلق به فان المفعول له يكون منصوبا بتقدير اللام اذا اشترك مع
فعله في الفاعل بان يكونا فعلين لفاعل واحد ومقارنا له في الزمان فاذا فقد احد الشرطين او كلاهما يكون
مجرورا باللام ملفوظة فان قرئ لينذر بياء الغيبة وكان المنوي فيه ضمير الكتاب وكان الظاهر ان يقال انذارا
وتبشيرا بتقدير اللام فيهما لوجود شرطي النصب فيهما واما ان قرئ بتاء الخطاب او قرئ بياء الغيبة وكان
المنوي فيه ضمير الباري تعالى او ضمير الرسول عليه الصلوة والسلام فوجه اتيان اللام في ظاهر لاختلاف الفاعل فقوله
المصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول محل بحث وقوله وبشرى في موضع النصب عطفا على محل لينذر

[illegible]

لانه مفعول له وهو من المنصوبات اى للانذار والتبشير وقيل الاجود ان يكون قوله وبشرى مرفوع المحل على انه
خبر مبتدا محذوف تقديره وهو بشرى لان نصبه بالحمل على المحل انما يكون اذا كان الاصل في المفعول له مطلق النصب
وليس كذلك بل الاصل فيه الجر والنصب ناش عنه ومتفرع على الحذف والايصال ثم انه لما بين اختلاف احوال
الناس في قبول الدعوة الى الايمان وفي التمرد والاصرار على الشرك والطغيان حيث قال في اول السورة والذين
كفروا عما انذروا معرضون ثم ساق الكلام الى ان قال ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم
الاية اتبعه قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا الى اخر الايتين وبين بهما اختلاف احوال الناس في قبول
نصيحة الابوين ودعوتهما الى الايمان وعدم قبولها واذا كان حال الناس مع الوالدين كذلك لم يبعد ان يكون حالهم
مع النبي عليه الصلوة والسلام وقومه كذلك بقوله امرنا الانسان في حق والديه بالاحسان ثم بين السبب فقال
حملته امه كرها ووضعته كرها قرا غير الكوفيين من السبعة بضم الحاء وسكون السين وهو مفعول ثان لقوله
ووصينا على تضمين التوصية معنى الالزام عدى الى مفعوله الثاني بنفسه باعتبار التضمين كانه قيل الزمناه
حسنا اى امرا ذا حسن فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
ولك ان لا تعتبر التضمين وتجعل تقدير الكلام ووصيناه بامر ذي حسن على ان يكون بدلا من قوله بوالديه بدل الا
شتمال ثم حذف منه ما ذكر انفا وحذف الجار ايضا على طريق الحذف والايصال وعلى قراءة الكوفيين يكون
احسانا منصوبا بفعل مقدر اى ووصيناه بوالديه بان يحسن اليهما احسانا على ان يكون بدلا من قوله بوالديه
ثم حذف الفعل واقيم المصدر مقامه ويحتمل ان يكون مفعولا ثانيا لوصينا على تضمينه معنى الزمنا وان يكون
مفعولا له اى ووصيناه بهما احسانا منا اليهما **قوله** وقرى حسنا بفتح الحاء والسين على انه صفة
مصدر محذوف اى ايصاء حسنا وقيل هو مصدر ايضا كالحسن ونظيرهما البُخْل والبَخَل والشُّغُل والشَّغَل
قوله ذات كره او حملا ذا كره على الاول يكون كرها حالا من الفاعل وعلى الثاني يكون صفة لمصدر محذوف مؤكد
لفعله والكره والكره لغتان في معنى المشقة كالشرب والشرب والضعف والضعف وقيل المضموم اسم للشيء
المكروه قال تعالى كتب عليكم القتال وهو كره لكم والمفتوح مصدر كرهت الشيء اكرهه دلت الاية على ان حق الام
اعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا فذكرهما معا ثم خص الام بالذكر في مقام ذكر السبب الموصية
وذلك يدل على ان حقها اعظم وان حصول المشاق اليها بسبب الولد اكثر والاخبار في هذا الباب كثيرة **قوله**
ومدة حمله قدر المضاف ليصح الاخبار بقوله ثلثون شهرا ولو لم يقدر المضاف لقيل ثلثين بالنصب على انه ظرف
واقع موقع الخبر وهو خلاف الرواية وايضا دلالته على المعنى المراد لا تخلو عن خلل لان كون الحمل والفصال في
ثلثين شهرا ليس بصريح في ان مدتها تمام ثلثين شهرا والفصل والفصال كالعظم والعظام بناء ومعنى يقال
فطمت الرجل عن عادته اى قطعته عنها وفطمت الام ولدها اى قطعته عن اللبن ولم ترضعه وفصلت الرضيع
عن امه فصلا وفصالا اذا قطعته عنها وذكر المصنف ان الفصال قد يطلق على وقت الفطام ايضا فاريد كون

قوله وان يكون المراد منه في الاية نفس الفطام بفرادة وفصله فان الفصل لا يطلق الا على وقت الفطام
والمراد به الرضاع التام المنتهي به جواب عما يقال المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال وتقرير
الجواب انه لما كان المراد بيان مدة الرضاع التام المنتهي بالفصال عبر عن المراد به تعبيرا عن المراد باسم ما يجاوره
وينتهي هو اليه وهو الفصال فيكون الفصال مجازا مرسلا عن الرضاع التام والعلاقة كون احدهما غاية الاخر
ومنتهاه وليس المراد به حقيقة الفصال لان المراد بيان مدة الرضاع لا الفصال والنكتة في ارتكاب المجاز التنبيه
على ان المراد الرضاع التام المنتهي الى الفصال ووقته ولو قيل وحمله ورضاعه ثلثون شهرا لما كان في العبارة دليل
على كون المدة المذكورة منتهية الى الفصال ونظيره ان الشاعر عبر عن مدة العمر بالامد الذي هو غاية الزمان ونهايته
فقال • كل حي مستكمل مدة العمر • ومود اذا انتهى امده • اى هالك اذا انتهى مدة عمره فان الامد بمعنى الغاية ولا معنى
لان يقال هالك اذا انتهى غاية عمره فالمراد به مدة العمر عبر به عنها للدلالة على ان المراد المدة التامة المنتهية الى
الموت ومود اسم فاعل من اودى فلان اذا هلك **قوله** لانه اذا حط عنه للفصال حولان بقي انه علم من هذه الاية
ان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلثون شهرا وقد عين اربعة وعشرون شهرا للفصال بقوله تعالى والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا الحولين الكاملين وهي اربعة وعشرون شهرا من
ثلثين شهرا بقي اقل مدة الحمل ستة اشهر وعليه اجماع المسلمين واما اكثر مدة الحمل فليس في القران ما يدل
عليه قال ابو علي سينا بلغني وصح عندي ان امرأة وضعت بعد الرابع من سني الحمل ولدا قد نبت اسنانه وحكي عن
ارسطاطاليس انه قال ازمنة الولادة لحبل الحيوان مضبوطة سوى الانسان فربما وضعت الحبلى لسبعة اشهر
وربما وضعت في الشهر الثامن وقلما يعيش المولود في الثامن الا في بلاد معينة مثل مصر والغالب هو الولادة
بعد التاسع واكثر مدة الرضاع ثلثون شهرا عند ابي حنيفة رح خلافا لهما فانهما قالا اكثر مدة الرضاع سنتان
وقال زفر رح ثلث سنين واحتج ابو حنيفة رح بقوله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا ووجه الاحتجاج به انه تعالى
ذكر شيئين وضرب لهما مدة واحدة وذلك يقتضي ان يكون جميع المذكور مدة لكل واحد منهما كمن قال اجل الدين
الذي على فلان والدين الذي على فلان سنة يفهم منه ان اجل كل واحد من الدينين سنة الا انه قام الدليل على ان
مدة الحمل لا يكون اكثر من سنتين وهو قول عائشة رض لا يبقى الولد في بطن امه اكثر من سنتين ولو بقدر ظل
مغزل والظاهر انها قالته سماعا لان المقادير لا يهتدي اليه الرأي فبقي مدة الفصال على ظاهره ولهما قوله
تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة ولزفر ان الرضيع لا يمكن التحول
من الرضاع الى الطعام في ساعة واحدة فلا بد من الزيادة على الحولين والحول يصلح لان يكون زمانا للانتقال
من حال الى حال لاشتماله على الفصول الاربعة **قوله** ولعل تخصيص اقل مدة الحمل واكثر الرضاع الخ لما جعل الاية
دليلا على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر وان اكثر مدة الرضاع حولان بما ذكره من الوجه ورد ان يقال لم يتعرض
لبيان اكثر مدة الحمل واقل مدة الرضاع فاجاب عنه اولا بان ما تعرض له منضبط حيث لم ير ان تلد المرأة لاقل

يقول كل حي مستكمل مدة عمره وهالك اذا انتهى عمره كذا صح

قوله والدليل على كون مدة الرضاع ثلثين شهرا عند ابي حنيفة

من ستة اشهر وما جاءت به قبلها سقط وليس بولادة وكذا ما وقع بعد الحولين من الرضاع ليس برضاع لان
الرضاع ما يكون مبنيا على الضرورة ولا ضرورة بعد تمام الحولين وما وقع بعده تناول اجزاء الآدمي من غير
تناول سائر المحرمات فلا يكون رضاعا وما سكت عنه غير منضبط فان الانسان قد يلد لتسعة اشهر ولاقل
منها ولاكثر وكذا زمان استغناء الولد عن الرضاع غير منضبط وهو ظاهر وثانيا بان تخصيصهما بالبيان لتجلي
ارتباط حكم النسب والرضاع بهما فانه اذا ثبت ان الاشهر الستة اقل مدة الحمل ثبت نسب من ولد في هذه المدة
ويكون امه مصونة عن تهمة الزنا وارتكاب الفاحشة وكذا اذا ثبت ان اكثر مدة الرضاع سنتان علم ان
ما حصل بعد هذه المدة من الرضاع لا يترتب عليه احكام الرضاع من كون المرضعة اما للرضيع وكون زوجها
الذي لبنها منه ابا له فيحرم التناكح بينهم ففي تخصيصهما بالبيان فائدة عظيمة هي دفع المضار وانواع التهمة عن المرأة
فسبحان من له تحت كل كلمة من كتابه الكريم اسرار عجيبة ولطائف غريبة تعجز العقول عن الاحاطة قوله تعالى حتى
اذا بلغ اشده لا بد هنا من جملة محذوفة مدلول عليها بقوله وحمله وفصاله ثلثون شهرا اي فعاش بعد الفصال وامتد
حيوته لو بقوله ووصينا الانسان اي اخذ ما وصيناه به حتى اذا بلغ كمال قوته وعقله وقوله اشده واربعين سنة يتعلق
البلوغ اي بلغ وقت اشده وتمام اربعين بحذف المضاف واختلف المفسرون في تفسير الاشد روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه ثماني عشرة سنة وقال اكثر المفسرين انه ثلثة وثلثون سنة لان هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه
بدن الانسان قال الامام تحقيق الكلام في هذا المقام ان يقال مراتب سن الحيوان ثلث وذلك لان بدن الحيوان
لا يتكون الا برطوبة غريزية وحرارة غريزية ولا شك ان الرطوبة الغريزية غالبة زائدة على الحرارة
الغريزية في اول العمر وناقصة في آخر العمر والانتقال من الزيادة الى النقصان لا يعقل حصوله الا اذا حصل
الاستواء في وسط هاتين المرتبتين فثبت ان مدة العمر منقسمة الى ثلثة اقسام اولها ان تكون الرطوبة الغريزية
زائدة على الحرارة الغريزية وح تكون الاعضاء قابلة للتمدد في ذواتها وللزيادة بحسب الطول والعرض
والعمق وهذا هو سن النشو والنما والمرتبة الثانية وهي المرتبة المتوسطة ان تكون الرطوبة الغريزية
وافية بحفظ الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو الوقوف وهو سن الشباب والمرتبة الثالثة
وهي المرتبة الاخيرة ان تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان
على قسمين هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن الشيخوخة وساق الكلام
الى ان قال فبلوغ الانسان الى وقت الاشد عبارة عن الوصول الى آخر سن النشو والنما وان بلوغه الى اربعين
عبارة عن الوصول الى آخر مدة الشباب ومن ذلك الوقت تاخذ القوى الطبيعية والحيوانية في الانتقاص
والنفس من وقت الاربعين تاخذ في الاستكمال قوله فلم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة قال الامام هذا مشكل
بعيسى عليه الصلوة والسلام فانه تعالى جعله نبيا من اول الصبا الا انه يجب ان يقال الاغلب انه ما جاءه الوحي الا
بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق رسولنا عليه الصلوة والسلام قوله الهمني الجوهري استوزعت الله شكره
فاوزعني

فاوزعني اي استلهمته فالهمني الراغب اوزعني معناه الهمني وتحقيقه اولعني بذلك او اجعلني بحيث ازع نفسي
عن الكفران يقال وزعته عن كذا اي كففته عنه الجوهري وزعته ازعه وزعا كففته فاتزع اي كف واوزعته
بالشيء اغريته به فهو موزع به اي مغرى به واولعته بالشيء واولع به فهو مولع به بفتح اللام اي مغرى به قوله
وذلك يؤيد ما روي ذلك مفعول يؤيد واشارة الى ان المراد من النعمة نعمة الدين او ما يعمها والمعنى ان ما روي
يؤيد كون المراد من النعمة ذلك روي ان ابا بكر رض صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهو عليه
الصلوة والسلام كان ابن عشرين فهو اقل منه سنا بسنتين فلما بلغ عليه الصلوة والسلام اربعين سنة ونبئ
واوحي اليه آمن به ابو بكر ثم آمن به ابواه ابو قحافة عثمان بن عمرو وام الخير بنت صخر بن عمرو فدعا ربه
فقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت بها علي وعلى والدي بالهداية والايمان وان اعمل صالحا ترضاه قال
ابن عباس رض اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر رض فاعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله عز وجل منهم بلال
رض ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا ايضا بقوله واصلح لي في ذريتي فاجابه الله تعالى
فلم يكن له ولد الا امنوا اجمعين فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رض
واعلم ان هذا الداعي طلب من الله تعالى ثلثة اشياء احدها ان يوفقه الله تعالى للشكر على نعمه والثاني ان يوفقه
للاتيان بالطاعة المرضية عند الله تعالى والثالث ان يصلح له في ذريته ووجه الترتيب ان مراتب السعادة
ثلثة اكملها النفسانية واوسطها البدنية وادونها الخارجية والسعادة النفسانية هي اشتغال القلب بشكر
آلاء الله تعالى ونعمائه والسعادة البدنية هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة والسعادة الخارجية هي سعادة
الاهل والولد ولما كانت المراتب محصورة في هذه الثلثة لا جرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه قوله واجعل لي
الصلاح ساريا في ذريتي لما ورد ان يقال ان اصلح يتعدى بنفسه قال تعالى واصلحنا له زوجه فما معنى تعديته في الآية
بفي اشار الى جوابه بان مطلوبه ان يجعل الله تعالى ذريته محلا للصلاح بان يجعله ساريا وراسخا فيهم بحيث يتمكن فيهم
تمكن المظروف في الظرف وهذا المعنى يستدعي ان يعدى الفعل اليهم بكلمة في كما عدي بها يجرح في البيت المذكور
مع انه يتعدى بنفسه فيقال جرحه واول البيت قوله • وان تعتذر بالمحل من ذي ضروعها • الى الضيف يجرح في عراقيبها
نصلي • والعراقيب جمع العرقوب وهو العصب الغليظ في الساق المنتهي الى العقب وضمير تعتذر للناقة والمحل الجدب
وهو انقطاع المطر ويبس الارض من الكلاء وذي الضروع اللبن اي ان اعتذرت الى الضيف من قلة لبنها بسبب
القحط اعتذارها وذبحها واجعل نصلي بدلا عن اللبن ولم يقل يجرح عراقيبها لما ذكر اي يحدث الجرح فيها ويجعلها محالا له
بحيث يتمكن ويستقر فيها ثم ان الداعي استانف بقوله اني تبت اليك واني من المسلمين للدلالة على ان الدعاء لا
ينجع موقع القبول الا مع التوبة والا مع كون الداعي من المسلمين كانه قال انما اقدمت على هذا بعد ان تبت من الكفر
ومن كل قبيح وبعد ان دخلت في الاسلام والانقياد لامر الله تعالى وقضائه قوله فان المباح حسن الا ان القبيح فيه ولا
جواب لما يقال لم قال الله تعالى احسن ما عملوا مع انه يتقبل الاحسن وما دون ذلك وتقرير الجواب ان الحسن من الاعمال

هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب فالاحسن هو المندوب او الواجب فان معنى تقبل الله تعالى عمل العمل
العبد ايجاب الثواب له على عمله وانما يثاب على المندوب او الواجب على المباح فانه لا يتعلق به ثواب ولا عقاب فلا ذكر
بقاله لغو **قوله** وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما اي بفتح النون بنيا للفاعل ونصب احسن على انه مفعول به
وقرا الباقون بالياء المضمومة فيهما على بنائهما للمفعول ورفع احسن لقيامه مقام الفاعل والمعنى واحد لان الفعل
وان بني للمفعول فمعلوم انه الله تعالى **قوله** كائنين في عدادهم اشارة الى انه صفة للذين او على انه حال من ضمير عنهم **قوله**
مؤكد لنفسه فانه لما اكد مضمون جملة لا يحتمل الا من جملة المصادر غير الوعد صار تاكيدا لمعنى الوعد الذي تضمنته
الجملة المتقدمة فكان تاكيدا لنفسه كما في قولك له علي الف درهم اعترافا ثم انه تعالى لما وصف الولد البار بوالديه وصف
الولد العاق لوالديه فقال والذي قال لوالديه اف لكما قرا نافع وحفص اف بالتنوين وكسر الفاء وابن كثير
وابن عامر بفتح الفاء من غير تنوين والباقون بكسرها من غير تنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم انه
يتضجر واللام في قوله لكما للبيان اي هذا التافيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما كما في هيت لك وذهب اكثر
المفسرين الى ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان ابواه يدعوانه الى الاسلام والاقرار
بالبعث والحساب وهو يابى وقيل ليس المراد منه شخص معين بل المراد منه كل من دعاه ابواه الى الايمان فاباه
وانكره قال الزجاج ومن اقتفى اثره هذا القول هو الصحيح ثم قال والذي يبطل القول الاول قوله تعالى اولئك
الذين حق عليهم القول الاية فانه تعالى بين ان هؤلاء حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن رضي الله عنه مؤمن
من افاضل المسلمين لا ممن حقت عليهم كلمة العذاب والذين يقولون المراد باول الاية عبد الرحمن بن ابي
بكر رضي الله عنه قالوا المراد بقوله تعالى اولئك الذين حق عليهم القول هم القرون الذين خلوا من قبله من المشركين الذين
ماتوا قبله لا ما ذكره بقوله والذي قال لوالديه اف لكما ومن قال ليس المراد به عبد الرحمن بل كل ولد كان موصوفا بهذه الصفة فانه يقول هذا الوعيد يختص بذلك الولد الموصوف **قوله** يقولان الغياث بالله كما يقال
استغاث فلان اذا قال استغيث الله وفعل الاستغاثة يتعدى بنفسه تارة قال تعالى اذ تستغيثون ربكم وقال
فاستغاثه الذي وفي الصحاح استغاثني فلان فاغثته وتارة يتعدى بالباء فكان المصنف اشار الى ان الاصل
ان يتعدى بالباء وان المعنى يستغيثان بالله استعظاما لكفره وانكاره ويقولان الغياث بالله منك ومن سوء
حالك الا انه حذف الجار واوصل الفعل او ضمن الاستغاثة معنى السؤال فلا يحتاج الى تقدير الجار والواو
في قوله تعالى وهما واو الحال اي والذي قال لوالديه اف لكما وهما يسالان الله الغوث بالتوفيق بالايمان **قوله** ويلك منصوب
على انه مفعول مطلق لفعل محذوف ملاقٍ له من حيث المعنى دون الاشتقاق نحو ويحه وويسه وويبه وهي من المصادر
التي لم تستعمل افعالها اي اهلكك الله تعالى هلاكا اي اهلاكا فحذف الفعل واضيف المصدر الى المفعول وقيل انتصابه على انه
مفعول به لفعل مقدر اي الزمك الله ويلك وعلى التقديرين الجملة مقولة لقول مقدر منصوب على الحالية اي يستغيثان
الله تعالى قائلين ذلك وهو دعاء عليه بالثبور والمراد الحث على الايمان لا حقيقة الهلاك قال صاحب الكشف الويل

الويل في الاصل دعاء بالثبور اقيم مقام الحث على الفعل او تركه اشعارا بان ما هو مرتكب به حقيق بان يهلك مرتكبه
وان يطلب له الهلاك فاذا سمع المخاطب ذلك كان سماعه باعثا على ترك ما هو فيه والاخذ بما ينجيه وهو ههنا الا
يمان بالله تعالى وبالبعث قرا الجمهور ان وعد الله بالكسر على الاستيناف والتعليل وقرئ ان بالفتح على ان التقدير آمن
بان وعد الله بحذف الجار واوصل الفعل فيقول الولد لهما ما هذا الذي تقولانه من امر البعث وتدعواني الى الا
يمان الا اساطير الاولين **قوله** لانه يدل اي لان نزول الآية في حقه يدل على انه من اهل النار لذلك اي بسبب انصافه
بمضمون الصلة وهو تافيفه لوالديه وانكاره البعث وقوله انه اساطير الاولين وقوله لذلك مستفاد من تعقيب
المشار اليه بالاوصاف المذكورة من التافيف والتوبيخ فان الحكم على مثل هذا المشار اليه من قبيل تعليق الحكم على
الموصوف فيفهم منه علية الوصف لذلك الحكم كما ذكر في بحث تعريف المسند اليه بالاشارة **قوله** وقد جب عنه
حال من المنوي في قوله من اهلها اذ الجب القطع اي قد قطع عن كونه من اهل النار ان كان موصوفا بمضمون ما ذكر من
الصفات بسبب اسلامه **قوله** مراتب من جزاء ما عملوا الماورد على ظاهر الاية ان يقال كيف يجوز ان يقال في حق اهل
النار ان لهم درجات مع ان الدرجات انما تطلق على مراتب اهل الجنة واما مراتب اهل النار فانما يطلق عليها
الدركات اشار الى جوابه بان الامر كذلك في عرف الشرع الا ان المراد بالدرجات ههنا مطلق على طريق عموم
المجاز بقرينة قوله ولكل درجات مما عملوا فانه لما حكم على الدرجات بكونها ثابتة لكل واحد من الفريقين وجب
حملها على المراتب مطلقا او على انها اطلقت على اجزاء الخير والشر جميعا على جهة التغليب ثم اشار الى ان كلمة
ما في قوله ما عملوا موصولة بتقدير المضاف ومن بيانية او بمعنى الاجل **قوله** او الدرجات عطف على قوله مراتب
قوله تعالى وليوفيهم سواء قرئ بالياء من تحت او بالنون علة متعلقة بمحذوف اي وجعل ذلك ليوفيهم جزاء
اعمالهم بحذف المضاف او وجعلنا ذلك ليوفيهم ثم انه تعالى لما بين انه يوصل حقا كل احد اليه بين احوال اهل
العقاب اولا فقال ويوم يعرض الذين كفروا على النار ويوم منصوب بقول مقدر اي يقال لهم اذهبتم يوم
عرضهم والعرض يتعدى باللام وبعلى يقال عرضت له امر كذا وعرضت عليه الشيء اي اظهرته له وابرزته قال تعالى
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين قال الفراء ابرزناها حتى نظر اليها الكفار فالمعروض عليه اولى بان يكون
من اهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه فلا بد ان يحمل العرض على التعذيب مجازا بطريق التعبير عن
الشيء باسم ما يؤدي اليه كما يقال عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به او يجعل باقيا ويكون الكلام محمولا
على القلب والاصل ويوم يعرض النار على الذين كفروا اي تظهر وتبرز عليهم بحيث ينظرون اليها ظاهرة
مكشوفة ويحضرون عندها قبل ان يلقوا فيها فيقال لهم اذهبتم اي استوفيتم والنكتة في اعتبار القلب المبالغة
بادعاء كون النار ذات تميز وقهر وغلبة **قوله** غير ان ابن كثير يقرؤون بهمزة ممدودة لان الف الاستفهام
دخلت على همزة القطع فحقق همزة الاستفهام وجعل همزة القطع مسهلة بين الهمزة والالف ولم يدخل بينهما
الف الفصل كما هو مذهبه في نحو انذرتهم فتكون الهمزة المسهلة بمنزلة حرف المد للهمزة المحققة **قوله**

وعن عائشة رضي الله عنها انكار نزولها فيه
وحين كتب معاوية الى مروان بان يبايع
الناس ليزيد قال عبد الرحمن رضي الله عنه لقد
جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم
فقال مروان يا ايها الناس هو الذي قال
الله تعالى فيه والذي قال لوالديه اف لكما
فسمعت عائشة رضي
الله عنها فغضبت فقالت والله ما هو به ولو شئت
ان اسميه لسميته ولكن الله تعالى لعن
اباك وانت في صلبه فانت فضض
من لعنة الله كذا في ...

ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من
قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون
عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير
ابن عباس رضي الله عنهما يجاء بهم اليها فيكشف لهم
عنها اذهبتم طيباتكم اي ما كتب لكم حظ
من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم
وقد ذهبتم به واخذتموه فلم يبق لكم
بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر
رضي الله عنه لو شئت لدعوت بصلاء وصناب
وكراكر واسنمة ولكني رايت الله تعالى
نعى على قوم طيباتهم فقال اذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت
اطيبكم طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي
طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون
ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال
انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة
ويروح في اخرى ويغدى عليه بجفنة
ويراح عليه باخرى ويستر بيته
كما يستر الكعبة قالوا نحن يومئذ
خير قال بل انتم اليوم خير كشاف

وهما بقرآن بأان بهمزة ممدودة تسهيل الثانية كابن كثير هذا على رواية هشام عن ابن عامر وبقرآن بهمز
بين محققتين ايضا اي من غير تسهيل الثانية وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر دون الاستفهام الا انه من
حيث المعنى كالقراءة بهمزة الاستفهام فان معنى الاستفهام فيها التقرير والتوبيخ كما في قوله اكفرتم بعد ايمانكم فكذا
المعنى في القراءة على الخبر فان العرب توبخ بالخبر كما توبخ بالاستفهام قوله فما بقي لكم منها شيء استفاد معنى العموم
من اضافة الطيبات لان اضافة الجمع تفيد العموم قوله بسبب الاستكبار والفسوق اشارة الى ان الباء في قوله بما
كنتم في الموضعين سببية وما فيهما مصدرية وعذاب الهون معناه العذاب الذي فيه ذل وهوان علل الله تعالى
ذلك العذاب بامرين احدهما الاستكبار عن قبول الدين الحق والايمان بمحمد سيد المرسلين عليه وعليهم الصلوة والسلام
وهو ذنب القلب والثاني الفسق والمعصية بترك المامور به وفعل ما نهي عنه وهو ذنب الجوارح وقدم
الاول على الثاني لان ذنب القلب اعظم تاثيرا من ذنب الجوارح لما كان اصرار كفار مكة على الشرك لانهماكهم
في لذات الدنيا كما يدل عليه قوله تعالى في حقهم اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا قال تعالى له واذكر لقومك هذه القصة
اذكر اخا عاد اي هو
ليعتبروا ويتجافوا من مثل حالهم فان قوم عاد كانوا اكثر اموالا وقوة وجاها من قومك مع انه تعالى سلط عليهم
العذاب لكفرهم فليعتبروا بحالهم وليتركوا الاغترار بما عندهم من زخارف الدنيا وليقبلوا على طلب الدين
الحق فان الفائز من اتبع الحق لا من اتبع الهوى والشهوات قوله يعني هودا عليه الصلوة والسلام فانه
نسيب عاد وواحد منهم قوله بالشحر وهو اسم موضع من بلاد اليمن الجنوبية شحر عمان هو ساحل البحر
بين عمان وعدن قوله تعالى اذ انذر بدل من اخا عاد بدل اشتمال قوله من احقوقف الشيء اي ان بينهما
اشتقاقا ما لا ان الحقف مشتق من احقوقف لانه ليس الامر كذلك بل الامر بالعكس قوله الرسل على ان يكون
النذر جمع نذير بمعنى المنذر وقيل انه فعيل بمعنى الانذار قوله والجملة حال من فاعل انذر او مفعوله اي انذرهم
معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده فانه على تقدير ان يكون قوله وقد خلت حالا من فاعل انذاره قومه لابد من اعتبار
علم القوم بمضمون تلك الجملة ليكون اعتبار ذلك القيد مفيدا كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم اي
كيف تكفرون والحال انكم عالمون بهذه القصة فان قلت ما معنى انذرهم معلما اياهم بخلو النذر قبله وبعده
مع ان المنذرين سيبعثون بعد لا يصح ان يقال فيهم انهم خلوا ومضوا على زمانه قلت هو اما من باب علفتها تبنا و
ماء باردا بمعنى وسقيتها ماء باردا والتقدير هنا وقد خلت النذر من بين يديه ويأتي من خلفه واما من قبيل
تنزيل الآتي منزلة الماضي لكونه محقق الوقوع وهذا هو الملائم لفصاحة الكتاب المعجز وقوله تعالى بالاحقاف حال
من المفعول اي انذرهم وهم بهذا المكان قوله او اعتراض اي ويجوز ان تكون الجملة معترضة بين انذر وبين
ان لا تعبدوا اي انذرهم بان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان تكون كلمة ان مصدرية او مفسرة لان انذر
في معنى القول اي نهاهم عن الشرك وانذرهم عن مضرته وقد انذر من تقدمه من الرسل ومن يأتي بعده مثل
ذلك قوله لتصرفنا بان الافك بالفتح مصدر افكه يأفكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشيء قوله سحابا عرض في افق
من

وابن عامر قرأ ايضا بهمزتين لكن اختلف راوياه عنه فهشام سهل الثانية كابن كثير وخففها ايضا وادخل بينهما الفا في الوجهين فيكونه اطول مدا من ابن كثير في القراءة بتسهيل الثانية وابن ذكوان بالتحقيق على اصله لانه من اهل التحقيق فقط

قال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وقال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احياء من اليمن كانوا اهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال لها الشحر وقيل بتخم الرمل ويكون الى الرملة الشحر منه رحمه

وعمان بالضم والتخفيف بلد باليمن واما الذي بالشام فهو عمان بالفتح والتشديد منه

من السماء يعني ان العارض السحابة التي تعرض اي تبدو وتتربى في ناحية من السماء ثم تطبق السماء اي تغطيها و
يصب مطرها جميع الارض والضمير المنصوب في قوله فلما رأوه يرجع الى ما في قوله بما تعدنا اي فلما رأوا الموعود به
وعارضا حال او تمييز لان قوله رأوا من رؤية العين قوله والاضافة فيه لفظية لكونها من قبيل اضافة اسم
الفاعل الى مفعوله اي عارضا مستقبلا اوديتهم متوجها اليها وكذا اضافة ممطرنا فان اصله ممطر لنا اي يأتينا بالمطر
فلذلك لم تفد الاضافة فيهما تعريفا للمضاف وهما مضافان الى معرفتين فصح كونهما صفتين للنكرة فان مستقبل
صفة لقوله عارضا وممطرنا صفة لقوله عارض قوله اي قال هود بل هو احتاج الى اضمار القول لان الاضراب المذكور
لا يصح ان يكون مقولا لمن قال هذا عارض وهو ظاهر وتعيين كون القائل هودا عليه الصلوة والسلام مستفاد
من قراءة ابن مسعود رضي قال هود بل هو ولان الكلام فيما سيق انما وقع بينه عليه الصلوة والسلام وبينهم ولو
قدر قال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به لانفك النظم قوله هي ريح اي يعني ان قوله ريح يجوز ان يكون خبر مبتدأ
محذوف اي هي ريح وان يكون بدلا من ما في قوله بل هو ما استعجلتم به قوله وقرئ يدمر كل شيء بالياء التحتانية
المفتوحة وسكون الدال وضم الميم ورفع كل على انه فاعل يدمر من دمر الشيء يدمر دمارا اذا هلك وعلى هذه
القراءة يكون العائد الى الموصول محذوفا والتقدير يدمر كل شيء بها اي بهبوبها عاصفة ويجوز ان يكون العائد الضمير
المجرور في بها ويحتمل ان لا تكون الجملة صفة بل استئنافا وقوله كل شيء عبارة عن الكثرة لانه كم من شيء لم تدمره تلك
الريح وكون التدمير بامر رب الريح معناه ان الدمار ليس تقتضيه طبيعة الريح لذاتها وليس من باب
تاثيرات الكواكب والقرانات ايضا بل هو امر حادث ابتداء بقدرة الله تعالى لاجل تعذيبكم قوله اذ لا توجد نابضة
حركة علة لكون كل ممكن له فناء مقتضى بحال بنقض العدم اي تحرك قوله وفي ذكر الامر والرب واضافته
الى الريح فوائد فان الريح ليست من العقلاء المميزين حتى تكون مامورة بالتدمير من قبله تعالى وانه تعالى رب
كل شيء وليست ربوبيته بالنسبة الى الريح فقط حتى يضاف الرب اليها الا انه اضيف اليه الرب للدلالة على
عظم شانها بكونها منسوبة اليه تعالى ومظهرا من مظاهر قدرته على عظيم شانها خالقها وبكون مثل هذا الشيء العظيم
مملوكا له تعالى ومنقادا لتصرفه فان تصريفه تعالى اياها في جهات مختلفة على وجوه متباينة يدل على كمال قدرته
ونفاذ مشيئته واكد هذا المعنى بذكر الامر وجعلها مامورة من قبله عز وجل تشبيها لها بالعقلاء المميزين الذين لا يتو
قفون في امتثال امر الآمر المطاع من حيث كونها منقادة مطاوعة لارادة الله تعالى وتكوينه فيها ما يشاء روي
انه احتبس عنهم المطر اياما فبعثوا قوما الى الكعبة للاستسقاء فجاؤها فاستسقوا لقومهم واظهر الله تعالى لهم
ثلث قطع من السحاب على الوان مختلفة فقيل لهم اختاروا لقومكم واحدة من هذه القطع فاختاروا قطعة سوداء
منها وقالوا انها اكثر مطرا فساقها الله تعالى الى ديارهم فخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها
استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا فاجابهم هود عليه الصلوة والسلام بان قال بل هو ما استعجلتم به بقولكم فأتنا
بما تعدنا ان كنت من الصادقين ثم اول ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين

تنبيها على التعظيم لما ان اصحاب الرياح الآن المراد بالاسد واحد الاوراس يعتقدون استعارة مكنية شبه تحميدنا تشبيها ذكره تكون بها الله تعالى فيها ما ثبت ثابتا عن ممتنعة على الله تعالى بالعقلاء المميزين فلا يتوقفون لا لامتثال اوامره حلبي

السماء والارض فدخلوا ابيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم واما لت عليهم الرمال
فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم ورمتهم
في البحر ولم يبق الا هود ومن آمن به وكانوا قد اعتزلوا منهم ودخلوا في حظيرة وكانت التي تصيبهم ريحا طيبة
باردة وكون الريح في حقهم بهذا الوصف وفي حق الكفرة بما ذكر من الشدة كان معجزة له عليه الصلوة والسلام قوله
والتنفير ولقد مكناهم في الذي اوفي شيء اشارة الى ان ما يحتمل ان تكون موصولة وما بعدها صلتها وان تكون موصوفة
وما بعدها صفتها وذكر العلامة ان ثلثة اوجه الاول انها نافية بمعنى ما وعدل عنها الى ان كراهة اجتماع المثلين كما
ثبت لذلك الى ما بها في ربما اصله ما ما عند الخليل والثاني انها شرطية والجملة الشرطية صلة ما او صفتها وجواب
الشرط محذوف والثالث انها صلة كما في قوله • يرجي المرء ما ان لا يراه • ويعرض دون ادناه الخطوب • اي يؤمل
اي زائدة
ما لا يراه ولا يصل اليه والخطوب جمع خطب وهو الامر والشان العظيم اي يعرض الخطوب عند ادنى شيء مما يؤمله
فلا يمكنه الوصول الى ادنى شيء منه والمعنى ح ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وان احوالهم كانت كاحوالكم وتسم
باكثر منهم مكنة وقدرة فاذا قدرنا على اهلاكهم فنحن قادرون على اهلاككم ايضا وكونها نافية اصح والمعنى ح
مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة الازواج والاموال ثم انهم مع هذه القوة والسطة
ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم ثم انه تعالى ذكر من جملة ما انعم به عليهم ما يكون سبب نجاتهم من
عذابه ونيل رحمته واحسانه فانهم ان استعملوا اسماعهم في سماع الدلائل وابصارهم في ان ينظروا بها
في ملكوت السموات والارض ويشاهدوا عجائب مصنوعاته ويستدلون بافئدتهم على معرفة الله تعالى وكمال قدرته ودقائق
حكمته حيث هيأ لهم مما ينتظم به احوالهم ما يعجز عن احاطته افكار اولي الالباب فاذا لم يستعملوا هذه القوى فيما يسعدهم
بل صرفوها الى طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم ما اغني عنهم شيء منها من عذاب الله تعالى وما في قوله فما اغنى عنهم نافية
لا استفهامية لان قوله من شيء يأبى عن كونها استفهامية اذ يصير التقدير ح اي شيء اغنى عنهم من شيء قوله
صلة لما اغنى اي ظرف معمول له منصوب به اي ما اغنى عنهم وقت كونهم جاحدين وهذا ظرف يفيد فائدة التعليل
بان يقال لانهم كانوا يجحدون اذ لا فرق بين ان يقال ضربته لاساءته وضربته اذ اساء فان الضرب لما كان مترتبا
على ما اضيف اليه الظرف وهو الاساءة كان المضاف اليه بمنزلة العلة وكذلك حيث فانه ايضا ظرف جار مجرى التعليل
من حيث ان ما اضيف اليه حيث يترتب عليه الحكم ترتب المعلول على علته قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون من
العذاب فان قولهم فأتنا بما تعدنا من العذاب استهزاء به قوله كحجر ثمود الحجر منازل في ناحية الشام وقرى
قوم لوط في ارض سدوم بالشام وقرى قوم هود باليمن فانها جميعا اقرب من بلاد الحجاز والمراد باهلاك
القرى المهلكة باليمن والشام اهلاك اهلها ولذلك قال لعلهم يرجعون اي لكي يرجعون عن كفرهم فان قيل دل
ذلك على انه تعالى اراد رجوعهم ولم يرد اصرارهم وهو مذهب المعتزلة القائلين بجواز تخلف مراد الله عن ارادته
والجواب ان المعنى انه تعالى فعل ما لو فعله غيره لكان ذلك لاجل الارادة المذكورة كالاخبار والامتحان اذا استند
اليه

فمثل هو ما خذ من قول نا ملون ما
لا يدرك كونه ويقرب من معناه
قول الاخطل المرء قد يرجو الرجاء
مؤملا والموت دونه طي

فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة قولك
اكرمته لاكرامه لانك اذا اكرمته وقت
اكرامه فانما اكرمته فيه لوجود اكرامه
فيه وكذا الحال في حيث الخ

اليه تعالى والمقصود من الآية تبكيت مشركي مكة وابطال زعمهم ان الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى وانهم يتقربون
بها الى الله تعالى كانه قيل كيف تزعمون ذلك والاقدمون انا اهلكنا عبدة الاصنام الساكنين في حوالي بلاد الحجاز فهلا نصرهم
اصنامهم قطع المص بان المفعول الاول لقوله اتخذوا محذوف وهو العائد الى الموصول ثم ذكر ان مفعوله الثاني اما
قربانا واما آلهة ثم ذكر ان الثاني ان كان قربانا تكون آلهة اما بدلا من قربانا او عطف بيان له وان كان الثاني آلهة
يكون قربانا اما حالا من آلهة قدم عليها لكونه في الحال نكرة او مفعولا له على انه مصدر بمعنى التقرب كالكفران و
الشكران والغفران وهو في سائر الاحتمالات اسم بمعنى ما يتقرب به وقال صاحب الكشاف لا يصح ان يكون قربانا
مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى ولم يذكر وجه الفساد ولعل وجهه ان قوله من دون الله يأبى عن كون
قربانا مفعولا ثانيا وذلك لان المعنى يصير ح اتخذوهم ما يتقرب بهم متجاوزين عن الله تعالى والمفهوم منه انه تعالى ذمهم
بانهم لم يتخذوه تعالى ما يتقرب به بل عدلوا عنه واتخذوا الاصنام قربانا وهذا معنى فاسد لانه تعالى لا يتقرب به بل يتقرب
اليه وهذا الفساد لا يتجه على تقدير ان تكون آلهة مفعولا ثانيا وقربانا حالا ادخلت بين المفعولين لان معنى الذم ح
يكون متوجها الى ترك اتخاذ الله تعالى الا معبودا بالحق والعدول الى اتخاذ آلهة يتقربون بها ولم يلتفت المص
الى ما قاله لان معنى الذم على تقدير ان تكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه يكون متوجها الى عدولهم عن عبادة
الله تعالى الى عبادة الالهة لان قربانا لما كان مبدلا منه كان في حكم الساقط وكان المفعول الثاني بحسب المعنى الهة
وكان المعنى اتخذوهم الهة من دون الله والحال ان الاله هو الله وحده ولا فساد في هذا المعنى قوله غابوا عن نصرهم
اي ليس المراد غيبة الالهة باعيانها عنهم ولا ضياعها ولا هلاكها في انفسها فان الضلال قد يكون بمعنى الهلاك كما في
قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر اي في هلاك ويقال ضل الشيء يضل ضلالا اي ضاع وهلك وقد يكون بمعنى الغيبة
كما في قوله تعالى ائذا ضللنا في الارض فانه بمعنى خفينا وغبنا كما في قولهم ضل اللبن في الماء وليست الهة المشركين
غائبة عنهم بذواتها ولا ضالة هالكة في انفسها قوله ضلوا عنهم استعارة تبعية شبهت الالهة بالاشياء الغا
ئبة عنهم في وعدم نفعها بهم عند نزول العذاب وامتناع الاستمداد بها امتناع الاستمداد بمن ضل وغاب وهذا هو الذي
اراده المص بقوله غابوا عن نصرهم قوله صرفهم عن الحق وهو التوحيد والطاعة اختار قراءة من قرأ وذلك افكهم
بالفتحات الثلث على انه فعل ماض من افكه يافكه بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر افكا بفتح الهمزة وسكون
الفاء اي قلبه وصرفه عن الامر فيكون ما في قوله وما كانوا يفترون مصدرية في موضع الرفع بالعطف على المبتدأ او
هو ذلك وقيل على الضمير المرفوع في افكهم وحسن ذلك للفصل بينهما بالضمير المنصوب فقام ذلك مقام التاكيد ويكون
المعنى ح وذلك الاتخاذ الذي كان مؤداه امتناع ما اتخذوه قربانا عن نصرهم وامتناع ان يستمدوا به امتناع الا
ستمداد بالضال صرفهم عن التوحيد والطاعة وكونهم مفترين على الله تعالى باتخاذ الشركاء وقرأ الجمهور وذلك
افكهم بكسر الهمزة وسكون الفاء فيكون ذلك اشارة الى امتناع النصرة وضلالهم عنهم ويكون الافك مصدر
افك يافك بمعنى كذب يكذب ويقدر المضاف قبل الافك ويكون المعنى وذلك الذي اصابهم من امتناع النصرة وامتناع

الاستمداد بما اتخذوه سبب التقرب اليه عز اثر كفرهم الذي هو اشد قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وانهم
يستحقون العبادة لكونهم قربانا واثر كونهم مفترين على الله تعالى على ان يكون قوله وما كانوا يفترون معطوفا على
افكهم وقرئ افكهم بالفتحات الثلث وتشديد الفاء للمبالغة والتكثير اي صرفهم صرفا بليغا وقرئ ايضا افكهم
بالمد وكسر الفاء وضم الكاف على انه اسم فاعل من افكه اي صارفهم وقولهم الآفك اي الكاذب او ذو الافك ثم انه تعالى
بين ان الانس فريقان معرضون عما انذروا به وموحدون مستقيمون في الامور بين ان الجن ايضا فريقان
منهم من آمن ومنهم من كفر وان مؤمنهم يغفر لهم ويتخلص من عذاب اليم وان كافرهم معرض للعقاب العظيم
فقال واذ صرفنا اليك وهو منصوب باذكر كما في قوله واذكر اخا عاد فانه معطوف على قوله اخا عاد اي واذكر
اذ صرفنا اليك نفرا اي اقبلنا بهم نحوك ومن الجن صفة لنفر وكذا يستمعون ويجوز ان يكون يستمعون حالا
من نفر المخصصة بالصفة وروعي معنى النفر حيث اعيد اليه ضمير الجمع في يستمعون ولو روعي لفظه وقيل يستمع
لجاز قوله او الرسول على طريق الالتفات من الخطاب في قوله اليك الى الغيبة في حضوره قوله فلما قضي قراءة
قراءة العامة على بناء المفعول اي فرغ قراءة القراءة وهو يؤيد كون ها حضروه راجعا الى القرآن وقرئ على
بناء الفاعل اي فلما اتم الرسول قراءته وهي تؤيد عودها الى الرسول صلى الله عليه وسلم واختلفوا في عدد ذلك النفر
فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما اولئك الجن كانوا سبعة نفر من اهل نصيبين فجعلهم عليه الصلوة والسلام رسلا الى
قومهم فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه بالبطحاء
فقرأ عليهم القرآن فامرهم ونهاهم وفيه دليل على انه عليه الصلوة والسلام كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا
وعن مقاتل انه لم يبعث نبي قبله الى الجن والانس جميعا وعن زر بن حبيش انهم كانوا تسعة احدهم زوبعة
وهو رئيس من رؤساء الجن وعن قتادة انه قال ذكر لنا انهم صرفوا اليه من نينوى وقيل نصيبين اسم بلد
باليمن وقيل نصيبين ونينوى كانا من توابع ديار بكر وقيل الاول قريب من الشام والثاني قريب من الموصل
قوله روي انهم وافوا اي صادفوا ووجدوا اختلف في انه عليه الصلوة والسلام هل هو مأمور بانذار الجن والقراءة
عليهم فعله امتثالا لذلك الامر ام امروا عليه وهو يقرأ القرآن فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله تعالى
باستماعهم قراءته وذهب الى كل واحد من القولين جماعة قال المفسرون لما مات ابو طالب وايس رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اجابة اهل مكة اياه خرج الى الطائف وحده ودعاهم الى الاسلام والتمس منهم نصرتهم
اياه في الدعوة الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فلم يجيبوه في ذلك وقالوا انت اعلم باموالنا وما لنا
رغبة في القبول منك واغروا به سفهاء ثقيف فلما يئس من نصر ثقيف انصرف من الطائف راجعا الى مكة ووصل
الى وادي النخلة ويقال له بطن مكة وسمي بوادي النخلة لان فيها نخلة فقام عليه الصلوة والسلام في ذلك الوادي يصلي
العشاء الآخرة ويقرأ القرآن فيها وقيل قام فيه يصلي الفجر فمر به نفر من اشراف جن نصيبين فاستمعوا القراءة
وآمنوا واجابوا لما سمعوا فلما فرغ عليه الصلوة والسلام من صلوته وتولى قومهم منذرين وهو عليه الصلوة والسلام
ما

ما قرأ عليهم القرآن امتثالا لامر الله تعالى ولا رآهم وروي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا
موا بالشهب قالوا هذا الذي حدث في السماء انما حدث لامر ظهر في الارض فذهبوا يطلبون السبب حتى بلغوا
تهامة فمروا بوادي النخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي ويقرأ القرآن فاستمعوا
لقراءته وقيل بل امر الله تعالى رسوله ان ينذر الجن ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن فجمع عليه الصلوة
والسلام اصحابه لذلك فقال اني امرت ان اقرأ القرآن على الجن الليلة فمن يتبعني منكم قالها ثلثا فاطرقوا الا عبد
الله بن مسعود رضي قال لم يحضر معه عليه الصلوة والسلام ليلة الجن احد غيري وقمت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واخذت اداوة ولا احسبها الا ماء فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون رأيت اسودة مجتمعة
فخط لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قم ههنا حتى آتيك ومضى عليه الصلوة والسلام اليهم فرأيتهم يتثورون
اليه فسمر معهم ليلا طويلا حتى جاءني مع الفجر فقال لي هل معك من وضوء فقلت نعم ففتحت الاداوة فاذا هو نبيذ
فقال عليه الصلوة والسلام تمرة طيبة وماء طهور فتوضأ منها ثم قام يصلي وفي رواية المسلم ان ابن مسعود رضي
قال لم اكن ليلة الجن مع رسول الله عليه الصلوة والسلام ووددت لو كنت معه قوله قيل انما قالوا ذلك يعني قيل في جواب
ما يقال لم قالوا انزل من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى مع ان الظاهر ان يقولوا كذلك لان القرآن انزل من بعد
عيسى المبعوث بعد موسى عليهما الصلوة والسلام روي عن عطاء والحسن انه من قال ذلك كان دينهم اليهودية
فلذلك قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى لان في الجن طوائف مختلفة من اليهود والنصارى والمجوس
وعبدة الاصنام كما في الانس واطبق المحققون على ان الجن مكلفون وعن ابن عباس رضي ان الجن ما سمعت
امر عيسى عليه الصلوة والسلام فلذلك قالوا ذلك قوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي لكتب الانبياء وذلك ان
كتب الانبياء جميعا كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد والدعوة الى التصديق النبي عليه الصلوة والسلام وحقية
امر النبوة والمعاد وتهذيب الاخلاق فكذلك هذا الكتاب مشتمل على هذه المعاني قوله فان المظالم لا تغفر بالايمان
فان المسلم اذا كان ذنبا ثم اسلم لا يغفر عنه حقوق العباد باسلامه وكذا لا يغفر عن الحربي اذا كان الحق مالا
قوله واحتج ابو حنيفة رح يعني ان العلماء اختلفوا في ان مؤمني الجن هل يثابون بنعيم الجنة ام لا فقيل لا ثواب لهم
الا النجاة من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم واحتجوا بقوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وهو قول
ابي حنيفة رح قال لان العبد لا يستحق الثواب بعمله وانما ينال ذلك بمجرد الوعد الالهي تفضلا وكرما ولا وعد في
حق الجن الا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم فنقول بهذه المرتبة قطعا واما الاثابة بنعيم الجنة
فموقوف على قيام الدليل ولم يقم عليه دليل فان قيل كيف تحتج بقول الجن اجيب بانه تعالى اذا حكاه عن غير نكير فقد
علم رضاه به فكان دليلا من هذه الجهة ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى ههنا امر التوحيد والنبوة ذكر ههنا
ما يقرر امر المعاد فقال اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض الآية فان المقصود منها الاستدلال على كونه
قادرا على البعث بان خلق ما ذكر اعظم من اعادة الشخص حيا والقادر على الاكمل لا بد ان يكون قادرا على ما دونه

قوله ولم يتعب ولم يعجز يقال عيي بالامر يعني من باب علم يعلم اذا تحير فيه ولم يهتد لوجهه وعجز عنه وهو كقوله تعالى وما
مسنا من لغوب وهو التعب والاعياء تقول منه لغب يلغب لغوبا من باب دخل قوله اي قادر اشارة الى ان قوله بقادر
في موضع الرفع على انه خبر ان وانما بقدرة يقدر تمهيدا لما ذكر من وجه زيادة الباء فيه وزيدت الباء في
خبر ان مع انها لا تزاد في الكلام الخبري الا اذا كان مشتملا على النفي بليس او بما نحو ليس زيد براكب او ما زيد
براكب بناء على ان المقصود اثبات القدرة لا اثبات الرؤية وان الاستفهام الانكاري في اولم يروا متوجه الى
نفي القدرة لا الى نفي الرؤية وان المذكور في اول الاية مشتمل على ان وما في حيزها فكانه قيل اليس هو بقادر الا
ان ارادة النفي ادخلت على فعل الرؤية للدلالة على ان نفي القدرة مع كون ثبوتها ظاهرا ابتناء بعيد عجيب
فكانه مما قدرة من يهتدي اشانه على البعث بشيء محسوس فكيف لا يبصرونها ويتفوهون ولما كان الانكار والتعجب
المتعلق بنفي الرؤية ظاهرا متعلقا بنفي القدرة بحسب المعنى صح دخول الباء في خبر ان كما صح دخولها في خبر
ليس في قولنا اليس هو بقادر ويدل على ان المعنى ذلك انه بلى لايجاب النفي بمعنى انها تنقض النفي المتقدم سواء كان
ذلك النفي مجردا عن اداة الاستفهام نحو بلى في جواب من قال ما قام زيد اي بلى قد قام زيد او كان مقرونا بالاستفهام
فانها ايضا تنقض النفي المذكور بعد اداة الاستفهام كقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى اي بلى انت ربنا فلولا ان النفي
في قوله اولم يروا انه بقادر متعلقا بالقدرة بحسب المعنى لكان الواجب ان يقال بلى انهم يرون انه قادر بان يجعل
بلى لتقرير الرؤية لانها هي المنفي لفظا ومعنى ح فلما جعلت مقررة للقدرة حيث قيل بلى انه على كل شيء قدير علم ان النفي
متعلق بها من حيث المعنى قوله والمعنى ان قدرته واجبة يعني ان قوله تعالى ولم يعي بخلقهن اشارة الى ان قدرته تعالى
ذاتية لا تنقص ولا تنقطع بايجاد الاجرام العظام وغيرها وقرر ذلك ببلى وما بعدها على سبيل التعميم ليكون كا
لبرهان على ان المقصود الذي هو القدرة على البعث ثم انه تعالى لما اثبت قدرته على البعث ذكر بعض احوال الكفار
بعد البعث فقال ويوم يعرض الذين كفروا اي يقال لهم يوم يعرضون على النار اليس هذا بالحق والمقصود بهذا
الاستفهام التهكم والتوبيخ على ما كان منهم في الدنيا من الانكار لما وعده الله تعالى من البعث والجزاء والفاء في قوله فذوقوا
للسببية اي ان عرفتم انه الحق فذوقوا بسبب كفركم وتكذيبكم بوعد الله تعالى ووعيده في قولكم وما نحن بمعذبين
قوله ومعنى الامر جواب عما يقال من ان صيغة الامر تقتضي ان يكون المامور فاعلا للمامور به باختياره ولا اختيار
للكفار في ذوق العذاب اذ ليس لهم الا قبول اثر قدرة الله تعالى والمحلية له فما معنى صيغة الامر هاهنا فا
جاب عنه بان ذلك في امر التكليف والامر هاهنا ليس للتكليف بل هو للاهانة والتوبيخ والظاهر ان صيغة الامر
لا مدخل لها في التوبيخ بل هو مستفاد من قوله بما كنتم تكفرون الا ان الاهانة الواقعة بصيغة الامر لما كانت مسببة
كفرهم المستوجب للتوبيخ كان التوبيخ مستفادا من الامر ايضا لانه لما استفيد من الامر الاهانة المسببة
عما يوجب التوبيخ يستفاد منه التوبيخ ايضا والفاء في قوله تعالى فاصبر عاطفة لهذه الجملة على ما تقدم والسببية
فيها ظاهرة او هي فاء الجواب لشرط محذوف اي اذا سمعت وعلمت اني منتقم من الذين كفروا فاصبر على اذاهم
اياكم

اياكم قوله اولوا الثبات والجد والصبر على اذى معاندهم ومكذبيهم وهم الرسل كلهم على ما اختاره المصـ
حيث جعل من للتبيين ومثل اولوا العزم بعض الرسل وهم المامورون بالجهاد الصابرون على اذى اعداء الدين ومثل
الصابرون على البلاء مطلقا وهم نوح حيث صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح
ولده واسمعيل على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى
قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة
وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها قال تعالى في حق ادم ولم نجد له عزما وفي حق يونس ولا تكن كصاحب الحوت والصحيح
ان الرسل كلهم اولوا العزم ولم يبعث الله تعالى رسولا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل ولفظة من في قوله من
الرسل للتبيين لا للتبعيض فكانه قيل اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لصبرهم وثباتهم
وما قيل من ان جميع الرسل اولوا العزم الا يونس لعجلة كانت منه لقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت ولا ادم لقوله تعالى
لقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ليس بصحيح لان معنى قوله ولم نجد له عزما والله اعلم لم نجد له قصدا الى
الخلاف ويونس لم يكن خروجه لترك الصبر ولكن توقيا عن نزول العذاب قوله تعالى ولا تستعجل لهم فانه عليه الصلوة
ضجر من قومه بعض الضجر واحب ان ينزل الله العذاب على من ابى من قومه فامر بالصبر وترك استعجال نزول العذاب عليهم
ثم اخبر ان العذاب نازل بهم في وقته لا محالة وانه اذا نزل بهم صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه ساعة
من النهار لهول ما عاينوا ولان الشيء اذا مضى صار كانه لم يكن وان كان طويلا قوله اي كفاية في الموعظة او تبليغ
وفي الصحاح الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية فقوله تعالى بلاغ معناه هذا
بلغ قدر الكفاية في العظة فلن يهلك بعذاب الله بعد هذا البيان والبلاغ الا من فسق وخرج عن الاتعاظ بمواعظ
الله تعالى والاستفهام في قوله تعالى فهل يهلك للنفي قوله وهو مبتدا اي يؤيد كون قوله بلاغ من الابلاغ قراءة من قرأ بلغ
على الامر قوله وهل مبتدا خبره لهم الواقع بعد قوله ولا تستعجل اي لهم بلاغ اي وقت يبلغون اليه فحينئذ يتم الكلام عند
قوله فلا تستعجل ويوقف عليه ولم يرتض بهذا القول لان الفصل بين المبتدا والخبر بالجملة التشبيهية بعيد جدا
مع ان الظاهر ان يتعلق لهم بالاستعجال لا بالاستقرار المقدر قوله وقرئ بفتح اللام وكسرها قرأ الجمهور يهلك
على بناء المفعول وقراءته بفتح وكسر اللام على بناء الفاعل وجهها ظاهر لان هلك يهلك من باب ضرب يضرب
لغة شائعة وكونها من باب علم يعلم ليس بشائع هذا اخر ما يتعلق بسورة الاحقاف وهذا اوان الشروع فيما
يتعلق بسورة القتال وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم قوله امتنعوا
عن الدخول في الاسلام او منعوا الناس عنه يعني ان صد يجيء لازما ومتعديا وما في الاية يمكن حمله عليهما وفي
الصحاح صد عنه يصد صدودا اعرض وصده عن الامر صدا منعه وصرفه عنه فان حمل على المتعدي يكون
عطفه على قوله كفروا من قبيل عطف الخاص على العام للدلالة على ان منع الغير عن الدخول في الاسلام اشد
توغلا في الكفر والضلال بحيث يكون مظنة لان يتوهم انه امر مغاير للكفر لا يدل عليه قوله الذين كفروا اكما

فی قوله ملائكته وجبريل وان حمل على اللازم يكون عطفه عليه للبيان والتفسير لان الامتناع عن الدخول
فی الاسلام هو الكفر لا غير **قوله** كالمطعمين يوم بدر قيل هم ستة نفر من اغنياء قريش اطعم كل واحد منهم الجنود
الذين اجتمعوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا الى انقضاء حادثة بدر وهم عتبة وشيبة ابنا
ربيعة ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو جهل والحارث ابنا هشام وقال مقاتل كانوا اثني عشر هؤلاء الستة و
الباقون عامر بن نوفل وحكيم بن حزام وزمعة بن الاسود وابو سفيان بن حرب وصفوان بن امية والعباس
بن عبد المطلب اطعم كل واحد منهم الاحابيش يوما **قوله** اي ضايعة محيطة بالكفر يعني ان كان المراد باعمالهم
ما يعدونه مكارم ومحاسن يكون المراد باضلالها اما جعلها ضايعة بحيث لا يكون لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة
من الابل فانها لا رب لها يحفظها ويعتني بشانها ويدبر في امرها فكذا مكارم الكفار فان شيئا من ذلك لا يعتبر الا بالاسلام
واما جعلها مغلوبة مغمورة فيه اي غائبة في كفرهم وشركهم مضمحلة مستورة بظلمة الكفر ضلال الماء في اللبن واما
جعل اضلالها اغوائه لان كل ما لا يقصد به وجه الله تعالى لا يكون هدى وطاعة بل يكون ضلالا ومعصية **قوله**
او ابطل ما عملوه الخ عطف على قوله جعل الله مكارمهم ضالة اي ان كان المراد باعمالهم ما عملوه من الكيد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ومنع عباد الله تعالى عن الدخول في الاسلام فاضلالها جعلها بحيث لا يترتب عليها ما قصدوا منها وان
يبطل سعيهم فيها ويجعلهم خائبين محرومين عن مرادهم بتحقيق ما اراده من نصرة رسول الله عليه الصلاة والسلام
وان بالغوا في الكيد به واظهار دينه على سائر الاديان وان بالغوا في منع الناس عن الدخول فيه **قوله** يعم
المهاجرين والانصار يعني ان قوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عام في كل من آمن وعمل صالحا كما ان قوله والذين
كفروا وصدوا عام في كل من كفر وصد وان التعريف فيهما ليس للعهد والاشارة الى قوم مخصوصين وان ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان الذين كفروا وصدوا اهل مكة وان الذين امنوا وعملوا الصالحات الانصار
تخصيص من غير مخصص اذ لا يظهر وجه التخصيص فيه الا انه ان حمل التعريف في قوله الذين كفروا للعهد والاشارة
الى قوم مخصوصين ينبغي ان يجعل التعريف في قوله والذين امنوا كذلك وان جعل للجنس والعموم يكون التعريف
في الذين امنوا ايضا للعموم لوجوب مقابلة الخاص بالخاص والعام بالعام **قوله** تخصيص للمنزل يعني انه من
عطف الخاص على العام المقدر على ان قوله والذين امنوا معناه امنوا بجميع ما يجب الايمان به بناء على ان حذف
المفعول للتعميم مع الاختصار كما في قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام اي يدعو جميع عباده ولا شك ان الا
يمان بالقران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من جملة افراد ما يجب الايمان به فلا بد لتخصيصه بالذكر بعد
ذكر التعميم من نكتة وهي ما ذكره من التعظيم والاشعار بانه الاصل فيه **قوله** ولذلك اي ولكون تخصيصه بالذكر
لتعظيم شانه اكده بالجملة الاعتراضية الواقعة بين المبتدا والخبر الواردة على طريق الحصر مثل ذلك الكتاب
وحاتم الجواد فان امثال هذه التراكيب يفيد قصر الصفة على الموصوف كما لا فيه بحيث يكون ما عداه بالنسبة
اليه كانه ليس بمتصف بما اسند اليه من الصفة فمعنى الحصر في قوله وهو الحق ان القران هو البالغ في كونه حقا

فكانه هو الحق لا غير وما نظر اليه وان اشتمل على الامر الحق الجليلة والعقائد الحقة ليس حقا كما ان غير ذلك الكتاب غير حاتم ليس بجواد

حقا منزها عن ان يشوبه شيء من وجوه البطلان لكونه نظمه ومعناه بالغا الى اقصى مراتب الكمال **قوله** وقيل
حقيته لكونه ناسخا لا ينسخ معطوف على ما سبق من حيث المعنى فان قوله ولذلك اكده بهذا اعتراضا على طريقة
الحصر يشعر بان المراد بالحق ضد الباطل وان قوله وهو الحق من ربهم معناه انه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وان وجه الحصر كون المنزل عليه في اقصى مراتب الحقية ووجه كونه مشعرا بذلك ان كون الجملة
الاعتراضية موكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل عليه بالذكر انما يظهر اذا كان معنى الحقية عدم تطرق الفساد
اليه بوجه ما اذا كان معنى حقيته كونه ثابتا لا ينسخ لظهور كون الجملة الاعتراضية مؤكدة لما يستفاد مما قبلها من تعظيم
المنزل عليه لان النسخ عبارة عن بيان انتهاء الحكم لا انتهاء علته وكون الحكم منسوخا بهذا المعنى لا يوجب نقصانا
حتى يكون عدم تطرق النسخ اليه مفيد التعظيم ولما كان الكلام السابق مشعرا بان حقيته بان لا يتطرق اليه
الفساد بوجه ما عطف عليه قوله وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ ولم يرض به لان الجملة الاعتراضية لا يبقى
لها فائدة يعتد بها ح وبهذا التقدير على ان يكون عبارة للمص هكذا اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه
ناسخا لا ينسخ الا ان العبارة في اكثر النسخ هكذا اعتراضا على طريقة وحقيته بكونه ناسخا فيكون الكلام محل
بحث لان الجملة على تقدير ان يكون الحق بمعنى الثابت كيف يكون مؤكدة لما يستفاد من تخصيص المنزل بالذكر الا
ان يقال كونه ثابتا لا ينسخ كناية عن كونه حقا واجب الاتباع عاريا عن تطرق البطلان اليه بوجه ما فيظهر
وجه التاكيد الا انه يبقى ان يقال لا فائدة في قوله على طريقة بعد قوله اكده لان الظاهر ان ضمير طريقة للتاكيد المدلول
عليه بقوله اكده **قوله** وقرئ نزل الجمهور على بناء نزل للمفعول مشددا وقرئ نزل مشددا على بناء الفاعل
وهو الله عز وجل وما عدا قراءة الجمهور من الشواذ **قوله** سترها بالايمان على ان يكون بناء التفعيل للتكثير والمبالغة
يقال كفرت الشيء اكفره بالكسر كفرا اي سترته فهو من باب ضرب والذي هو ضد الايمان من باب نصر وانه يعدى
بالباء وهذا يدل على ان قوله تعالى اضل اعمالهم بمعنى جعلها مغلوبة مستورة في كفرهم وان المعنى ان اعمال الكفار
وان كانت من قبيل المكارم والحسنات يجعلها الله تعالى غائبة مستورة في غمرات كفرهم وتركهم اتباع الحق المنزل
من عند الله تعالى وان سيئات المؤمنين سترها الله تعالى بكتف ايمانهم واتباعهم الحق المنزل **قوله** وهذا تصريح بما
اشعر به ما قبلها فان كل واحد من حكم الاضلال والتكفير قد رتب على الموصول واشعر ذلك بعلية مضمون الصلة
له كما ان ترتب الحكم على الموصوف يشعر بعلية الصفة له ثم ذكر صريحا سبب كل واحد من الحكمين المذكورين بعد ما ذكر
على سبيل الابهام ومثل هذا يسميه علماء البيان بالتفسير لكونه موضحا للعلة التي ذكرت ايماء واشعارا **قوله** مثل ذلك
الضرب اشارة الى ان الكاف منصوب المحل على انها صفة مصدر محذوف وان الضرب بمعنى التبيين وان المثل في العرف العام
وان كان عبارة عن القول السائر المثبت مضربه بمورده وان ضربه استعماله فيما يشبه بمورده على سبيل الاستعارة
التمثيلية الا ان المراد بالمثل ههنا الحالة العجيبة تشبيها لها بالقول السائر في الغرابة المؤدية الى التعجب وان ضمير امثالهم
يحتمل ان يرجع الى الفريقين المؤمنين والكافرين فانه تعالى بين حال الكافر بان كفره بلغ في كونه شرا له الى ان صارت مكارمه

معمورة في كفره بحيث لم يبق شيء من منافعه وبين حال المؤمن بان ايمانه بلغ في كونه خيرا الى ان صارت سيئاته مكفرة
مستورة بكنف ايمانه بحيث لم يبق شيء من تبعاتها ومضارها ولم يكتف بذلك بل انضم اليه اصلاح باله بان بدل الله تعالى
سيئاتهم حسنات وهذه احوال عجيبة للفريقين بينها الله تعالى للناس ليعتبروا ويتعظوا بها ويحتمل ان يكون ضمير
امثالهم للناس فيكون المعنى يبين للناس احوال انفسهم ليعتبروا او يتداركوا ما بعد ما وقع منهم في الدنيا لصالح الاعمال
والاخلاق فالمشار اليه بقوله تعالى كذلك هو معنى ما ذكر من اول السورة الى قوله واصلح بالهم قوله او يضرب امثالهم
الى عطف على قوله يبين لهم احوال الفريقين او احوال الناس اي ويجوز ان لا يكون المراد بامثالهم احوالهم العجيبة
بل يراد به معناه اللغوي فان المثل في اللغة بمعنى الشبيه والامثال بمعنى الاشباه والاشكال ويراد بضرب امثالهم
واشباههم بيان ما شبه به انفسهم واعمالهم فانه تعالى شبه الكافر بمن يتبع الباطل على طريق التشبيه البليغ من
حيث كونه متوجها الى الباطل ساعيا فيه فكأنه يتبعه اذ ليس ثمة اتباع باطل حقيقة بل ليس هنا الا ارتكاب باطل
والاتيان به وكذا شبه المؤمن بمن يتبع الحق من حيث كونه متوجها اليه قاصدا اياه فصار كأنه يتبعه اي يتبع
الحق وان الكافر يتبع الباطل اي كأنه هو ولما كان المقصود من تشبيه نفسهما تشبيه عمل الكافر باتباع الباطل
وتشبيه عمل المؤمن باتباع الحق قال المص جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار اي شبيها شبه به العمل وكذا جعل
اتباع الحق مثلا اي شبيها شبه به حال المؤمن وعمله وقال والاضلال مثلا لخيبتهم اي وشبه خيبتهم وحرمانهم
عن ثواب مكارمهم باضلاله لهم اياها وكونها كالبعير الضال الذي لا يهتدي اليه صاحبها اذ ليس ثمة اضلال الثواب
حقيقة وانما المتحقق هو الحرمان عنه وقال وتكفير السيئات مثلا لفوزهم اي وشبه فوزهم بسعادة الاخرة بتكفير
السيئات اذ ليس ثمة الا فوز المؤمنين بفضل الله تعالى ورحمته وعبر عنه بتكفير السيئات واصلاح البال فظهر انه تعالى بين من اول
السورة الى قوله وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم ما شبه به اعمال الفريقين وعاقبة امرهما من خيبة احدهما
وفوز الاخرى ثم قال كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي مثل ما يشبه به اعمالهم وعواقبهم ثم انه تعالى لما بين ان
الذين كفروا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او منعوا الناس عنه ليس لهم من المكارم والاعمال الصالحة ما يعتد به
وان بينهم وبين الذين امنوا تباين الطرفين من حيث ان احد الفريقين يتبع الباطل ويكون حزب الشيطان والفريق
الاخر يتبع الحق ويكون جند الرحمن امر المؤمنين ان يقتلوهم لقطع العلقة بان يفصلوا الجماجم رؤسهم وسائر
اعضائهم عن ابدانهم فقال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب فالفاء في قوله فاذا لقيتم فاء الجواب لشرط
محذوف وفي قوله فضرب الرقاب فاء جواب اذا وقوله فضرب مصدر مؤكد لفعله المحذوف لدلالة المصدر عليه
وذلك الفعل المقدر هو العامل في اذا ومنع ابو البقاء ان يكون المصدر نفسه عاملا فيه فقال لانه مؤكد وهو احد القولين
في المصدر النائب عن الفعل فقال بعضهم ناصب المفعول به في نحو ضربا زيدا هو المصدر المؤكد وقال الاخرون
هو عامله قوله والتعبير به عن القتل اشارة الى ان ضرب الرقاب كناية عن القتل عبر به عنه لكونه من لوازم
القتل غالبا فان قتل الانسان غالبا يكون بضرب الرقبة قوله ينبغي ان يكون القتل بضرب الرقبة ان امكن فذلك
لان

فالظاهر ح ان يكون اللام في قوله للناس للعلة اي يبين احوال الفريقين لاجل الناس واعتبارهم واحتمل ان ضمير امثالهم للناس فالظاهر ان يكون اللام للتبليغ لا للعلة منه

لان قصد المؤمن في محاربة الكفار ليس دفعهم عن نفسه حتى يقتصر على قدر ما يدفعهم به عن نفسه فان من يضرب الصائل
لدفعه عن نفسه لا يضرب مقتله اولا بل يتدرج فيضرب اولا غير مقتله فاذا اندفع به فذاك والا يبتدي الى درجة
الاهلاك بل مقصوده رفع وجود الكافر من وجه الارض بالكلية وتطهير الارض منهم فانه تعالى جعل الارض للمسلمين
مسجدا وطهورا والمشركون نجس ويجب تطهير المسجد عن النجاسة وطرح من لا يعبد الله تعالى عن محل عبادته
فلذلك كان ينبغي لمن يحاربهم ان يتقصد مقتلهم اولا وهو الحلقوم والاوداج لكن لا يتهيأ ذلك حال الحرب الا نادرا
فيضرب رقابهم ان امكن لكون ضربها مستلزما لقطع الحلقوم والاوداج المستلزم للموت والا فيضرب اي عضو
امكن قوله حتى اذا اثخنتموهم غاية للامر بضرب الرقاب وايجابه لا لبيان غاية نفس القتل اذ لو كان لبيان غاية
القتل لما جاز القتل بعد الاثخان مع انه يجوز ان يسلموا او يرضوا باعطاء الجزية وفسر اثخانهم باثخان قتلهم و
تكثيره فيهم بحيث يعجز الباقين عن الاضرار بالمسلمين ويجوز ان يكون همزة الاثخان للازالة والسلب كما في قولك
اشكيته اي ازلت شكواه ويكون المعنى اذا ازلتم ثخن الاعداء وقوتهم بالقتل ومنه قولهم اثخن الصيد اذا ازال
قوته على التوحش بالجرح والاسر والايثاق وهو الشد لا يكون الا بعد اكثار القتل كما قال تعالى ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض قوله منا وفداء مصدران لفعل محذوف لا يجوز اظهاره لما تقرر في النحو من ان
المصدر متى سيق تفصيلا لاثر مضمون جملة متقدمة وعاقبتها وجب نصبه باضمار فعله والتقدير ما ذكره المص
والمراد بالمن ان يطلق الاسير الكافر مجانا ويترك من غير ان يؤخذ منه شيء والفداء ان يطلق بان
يؤخذ منه مال او اسير مسلم محبوس عندهم في مقابلته والاية محكمة عند الشافعي وجماعة رح لاطلاق النبي عليه
الصلوة والسلام ثمامة بعد عرض الاسلام عليه ثلثة ايام فلما اطلقه في اليوم الثالث ذهب واغتسل
ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ولفداء النبي عليه الصلوة والسلام رجلا من عقيل كان اسيرا عند ثقيف
برجلين كانا من ثقيف اسيرين عنده عليه الصلوة والسلام فان الشافعي رح يقول للامام ان يختار واحدا من اربعة
على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهي القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن وعند ابي حنيفة
واصحابه رح الامام مخير في الاسارى بين ان يقتلهم او يسترقهم او يتركهم اهل ذمة للمسلمين ولا يردهم الى
دار الحرب لا على وجه المن والاطلاق مجانا ولا على وجه الفداء وقالوا الاية منسوخة بقوله تعالى فاما تثقفنهم في الحرب
فشرد بهم من خلفهم وبقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فان هذه الايات نسخت المن والفداء بالمال
والفداء باسارى المسلمين عند ابي حنيفة رح خلافا لصاحبيه رح في الفصل الاخير قال لا يجوز شيء من ذلك
لئلا يعودوا ردءا لهم علينا ولئلا يكثر سوادهم قال مجاهد ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب
العنق وهذا في مشركي العرب خاصة لانهم لا يسترقون ولا تقبل منهم الجزية واما في غيرهم ان شاء جعلهم
الامام ذمة وان شاء استرقهم وان شاء قتلهم قوله الاتها واثقالها فان الاوزار جمع وزر وهو الحمل
والثقل فتناول الات الحرب كلها كما قال الاعشى ● واعددت للحرب اوزارها ● رماحا طوالا وخيلا ذكورا ●

قوله وهو حكاية للضرب والشد والمن والفداء يعني ان كلمة حتى غاية لما يتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء او المعنى على تعلقه بتدبير المتعلقين الذين حتى يجمع والشد ومجموع المن والفداء انهم لا يزالون على ذلك الى ان لا يكون للحرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه الصلوة والسلام وهذا عند الشافعي وعند ابي حنيفة رح اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويوسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا يبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا انه تاول المن والفداء بما رواه الطحاوي عن ابي حنيفة رح على ما ذكرنا وهو قوله فيما سبق ويجوز ان يراد بالمن ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية ويكونوا من اهل الذمة وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة رح والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين
ابن محمد

ومن فسر الاوزار بالآثام شبه الاثم بالحمل فسماه وزرا على طريق الاستعارة والوزر ربات حتى كان اثامهو
على المحارب لا على نفس الحرب فالمعنى حتى تضع اهل الحرب اوزارهم او حتى تضع الحرب اوزار اهلها على حذف
المضاف كما في واسأل القرية ومحصول المعنى افعلوا ما ذكر من الاحكام الى ان تنقضي الحرب ولا يحتاج الى قتال
مشرك بزوال شوكتهم بسبب اسلامهم او مسالمتهم فما دام في الدنيا مشرك يعادي الاسلام والمسلمين فالحرب
قائمة وصلاحية لا يبقى احد من المشركين ولا يبقى دين الا الاسلام وذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام كما
قال صلى الله عليه وسلم الجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى الى ان يقاتل آخر امتي الدجال وقال صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى
بن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الحرب اوزارها وبه يعلم حتى لا يبقى في الارض مشرك فعلى
هذا يجوز ان يكون المراد بالاوزار اوزار اهل الشرك من الكفر والمعاصي قوله اي الامر ذلك وهو وجوب ضرب
رقاب الذين كفروا على الوجه المذكور ليقطع دابر الكافرين ويكون الدين كله لله ثم انه تعالى بين ان قتالهم ليس
طريقا متعينا للانتقام منهم بل لو اراد الله تعالى لاهلكهم من غير سيف ودم مهراق ومن غير تجنيد الجنود والاتباع
فقال ولو يشاء الله لانتصر منهم بجند من جنوده غيركم او ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب
او غرق كما فعل بغيرهم من الامم ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض اي ليختبر المؤمنين بالكافرين وبالعكس
اي ليظهر منكم الطائع من العاصي فيجازي كل من نوع على حسب استحقاقه فان ظهور كل واحد من الاطاعة والعصيان
بحسب تعلق العلم الازلي بهما لا يكفي في استحقاق الثواب والعقاب فان مناطهما تحقق حقيقة الاطاعة والعصيان
بان يختار المكلف طاعة المولى على متابعة الهوى او يختار عكس ذلك لا العلم الازلي باستعداد العبد لهما وانهما
سيصدران منه وذلك التحقق انما يكون بان يكلف الله المؤمنين بجهاد اعداء الدين ليتحقق استعداد كل واحد من الفريقين
وهذا معنى ما في التيسير من قوله اي ليظهر منكم ما علم في الازل من الايتمار بالامر وتركه انتهى ولما كان كل واحد من
امتثال الامر ومخالفته وطاعة الآمر وعصيانه متوقفا على الامر والتكليف امر المكلف وزناه ليظهر ما في علمه
الازلي ويتحقق بعلمه بالوقوع ويستحق المكلف الاثابة او يعاقب بسبب اختياره طاعة مولاه على متابعة
هواه او بالعكس لما كان التكليف المؤدي الى ذلك التحقق والاختيار مشابها بالاختبار سمي اختبارا وبلوى واشتق
منه قوله ليبلو فهو استعارة تبعية ثم انه تعالى لما امر بالجهاد وبين وجه الحكمة فيه بين ثواب من امتثل به فقال والذين
قاتلوا الآية قراءة العامة قاتلوا وقرأ ابو عمرو ويعقوب وحفص قتلوا مبنيا للمفعول قوله فلن يضيعها تفسير
لقوله فلن يضل اعمالهم بضم الياء وكسر الضاد على بناء الفاعل وهي قراءة الجمهور وقرئ يضل على بناء
المفعول ورفع اعمالهم لقيامه مقام الفاعل وقرئ ايضا يضل بفتح الياء ورفع اعمالهم فاعلا له والفاء في قوله
فلن يضل جزائية لتضمن المبتدأ معنى الشرط وعن قتادة ان الآية نزلت يوم احد وقد فشت في المسلمين
الجراحات والقتل قوله وبينها لهم فان اهل الجنة اذا دخلوها يعرف كل احد منزله منها فكانوا اعرف بمنازلهم
من اهل الجمعة اذا انصرفوا منها الى منازلهم قال مقاتل الملك الذي وكل بحفظ عمله يمشي بين يديه فيعرفه ما اعطاه

الله تعالى من درجات الجنة قوله او طيبها لهم من قولهم طعام معرف اي طيب قوله او حددها لهم من قولهم عرف
الدار اذا حددها والعرف والارف جمع عرفة وارفة وهما الحد وقد حددها الله تعالى في قوله وجنة عرضها
السموات والارض ثم انه تعالى لما بين ما على القتال من الثواب والاجر وعدهم بالنصرة في الدنيا زيادة في الحث
على القتال الذي دل عليه فقال ان تنصروا الله اي تنصروا دين الله ورسوله بالغزو والجهاد لاعلاء كلمته
وقمع اعداء الدين ومن نصرة الدين ايضاح دلائله وازالة شبه القاصرين وشرح احكامه وفرائضه و
حلاله وحرامه ومن نصرة الله تعالى للعبد ارسال الرسل وانزال الكتب واظهار المعجزات والآيات وبيان ما يؤدي
الى جنة النعيم وعذاب الجحيم والامر بالجهاد الاصغر والاكبر والتوفيق للسعي فيهما طلبا لرضاه لا اتباعا لهواه ثم
زاد في تقوية قلوبهم فقال والذين كفروا فتعسا لهم فانه تعالى لما قال ويثبت اقدامكم جاز ان يتوهم ان الكفار
ايضا تثبت اقدامهم في قتال المؤمنين فيدوم القتال والحراب والطعان والضراب ففيه مشقة عظيمة فازال
هذا الوهم بان قال لكم الثبات والاقدام وعليهم العثار والانحطاط فان التعس في اللغة العثرة وهي الزلق
وزلة الرجل وهو دعاء بعدم النهوض عن عثرته فيكون نقيض لعا فانه دعاء بالانتعاش وهو الارتفاع
والنهوض عن العثرة قال الاعشى • بذات لوث عفرناة اذا عثرت • فالتعس اولى لها من ان يقال لعا • واللوث
بالفتح القوة وناقة عفرناة اي قوية والعفرناة الاسد سمي بذلك لشدته والالف والنون فيه للالحاق و
العفر الرجل الخبيث الداهي والمرأة عفرة والعفرية من كل شيء القوي المبالغ في قوته وفي الحديث ان الله
يبغض العفرية النفرية الذي لا يرزأ في اهل ولا مال وما قبل هذا البيت • كلفت مجهولها نفسي وشايعني •
همي عليها اذا ما آلها لمعا • الآل السراب والمعنى كلفت نفسي قطع المفازة المجهولة الاعلام اذا ما لمع سرابها
ويلمع ووافقني همي على قطعها ملتبسا بناقة ذات قوة غليظة لا تنصرف من شيء ولا يحدث العثور والانحطاط
ابعد شيء من شأنها حتى لو فرض عثارها كانت احق بان يدعى عليها بالتعس والهلاك من حيث ان عثارها مع كمال
قوتها وسلامة اعضائها بعيد كل البعد فتستحق لذلك لان يدعى عليها بان يقال تعسا وانما تستحق لان يدعى لها بان يقال
لعا اذا عثرت من ضعفها والتعس الهلاك واصله الكب والانحطاط والسقوط على الوجه بسبب العثرة يقال
للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا فانه يقال للعاثر لعا اذا ارادوا قيامه وانتعاشه ان نهوضه من
عثرته قوله والجملة خبر الذين يعني ان قوله والذين كفروا مبتدأ وخبره الجملة المقدرة المركبة من الفعل
الناصب لتعسا مع معموله اي فتعسوا تعسا ودخلت الفاء على الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط كما في قولك الذي
يأتيني فله درهم قوله او مفسرة لناصبه اي ويجوز ان تكون الجملة المقدرة مفسرة لناصب الذين بان يكون
قوله الذين كفروا منصوب المحل على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة التفسير فيكون منصوبا بفعل مضمر
يفسره فتعسا لهم ويكون ذلك المقدر معطوفا على قوله ويثبت اقدامكم اي يثبت الله اقدامكم ويتعس الذين
كفروا فتعسوا تعسا وقوله تعالى واضل عطف على ناصب الذين قوله لهم خبر مبتدأ محذوف اي الدعاء

بالنفس والاضلال لهم واللام فيه كما في هيت لك قوله وهو تخصيص ان ذكر الحكم بان ذكر النفي والاضلال
بسبب ردائهم للقران وكفرهم به تخصيص للسبب الذي اشير اليه بترتيب حكم النفي والاضلال على المو
صول فانه يشعر بعلية مضمون الصلة وهو الكفر مطلقا لذلك الحكم وقد مر ان مثل هذا الاسلوب يسميه علماء
البيان تغييرا قوله كرره فان اضلال اعمالهم التي عملوها وحبوطها خبرا واحباطها بمعنى واحد وكرره
لدفع وهم من يتوهم ان اضلالها مسبب عن الكفر بجميع ما يجب الايمان به ولا يتحقق بمجرد الكفر بالقران فلما
فرعه على الكفر به علم انه لا ينفك عن الكفر به سواء انضم اليه الكفر بسائر ما يجب الايمان به اولا ثم انه تعالى خوفهم
عاقبة كفرهم بانذارهم بالامم المكذبة قبلهم فقال افلم يسيروا الاية قوله استاصل عليهم ما اختص بهم وفي
الكشاف دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به من نفسه واولاده واموالة فرق بينهما وجعل الثاني
ابلغ ولعل تلك الابلغية مستفادة من حذف مفعول دمر فان حذفه قد يكون للتعميم ومن اتيان كلمة الاستعلاء فان
اتيانها يشعر بتضمين دمر معنى اطبق والاطبق الله عليهم الدمار والهلاك لا يتخلص مما يختص بهم شيء
قوله من وضع الظاهر موضع المضمر فان الظاهر ان يقال ولهم امثالها بارجاع الضمير الى فاعل افلم يسيروا
او الى الذين في قوله عاقبة الذين من قبلهم والمعنى على الاول ولمن كذبك وكذبوا امثال ما للمتقدمين
من العقوبة من حيث انه حقيق وبذلك اظهر ولا يصدقك اكثر بسبب تقدم الانبياء عليك واخبارهم
عنك وانذارهم عن مخالفتك وعلى الثاني دمر على هؤلاء المتقدمين في الدنيا ولهم في الاخرة امثال ما
اصابهم في الدنيا لكن وضع الظاهر موضع المضمر ليتجاوز ذمالهم على كفرهم واشعار العلة استحقاقهم
لامثالها قوله امثال تلك العاقبة يريد ان ضمير امثالها اما للعاقبة المذكورة في قوله عاقبة الذين او
لمصدر دمر وهو التدمير وتانيث ما يرجع اليه لتاويله بالعقوبة او الهلكة او للسنة المدلول عليها
علم من ان تدمير الله تعالى للكافرين سنة الماضية وعادة القديمة كما قال سنة الله التي قد خلت فان قيل
كيف يصح ان يكون المراد بالكافرين الكافرين بسيد المرسلين وان يكون المعنى ولهم امثال ما كان لمن
تقدمهم من العقوبة مع ان من تقدمهم قد اهلكوا بامور شديدة كالاغراق في البحر والطوفان والخسف و
المسخ والصيحة ولا كذلك من كفر بنبينا صلى الله عليه وسلم فالجواب انه يجوز ان يكون المعنى ان لهم في الاخرة امثال
عقوبة الاولين في الدنيا وان يكون المعنى ان لهم في الدنيا امثال ما اصاب الاولين في الدنيا بناء على انهم قتلوا
واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل والاسر بيد المثل آلم واشد من الهلاك بسبب
عام فكيف اذا كان بيد من دونه قوله ذلك اشارة الى تدمير المكذبين ونصرة المؤمنين عليهم ثم انه تعالى
لما قال الله ولي المؤمنين وناصرهم بين مآل الفريقين في الاخرة اشعارا بان تمام النصرة يكون فيها فقال
ان الله يدخل الذين امنوا الاية ثم انه تعالى سلى رسوله عليه الصلوة والسلام بقوله وكاين من قرية اي من اهل
قرية على حذف المضاف فيه وفي قوله من قريتك اي من اهل قريتك التي هي مكة فلما حذف المضاف واقيم المضاف اليه
معامه

فان قلت قوله تعالى [illegible] مولى [illegible] يناقض هذه الاية قلت لا تناقض بينهما لان [illegible] الناصر [illegible] كشاف

وكاين كلمة مركبة من الكاف واي [illegible] بمعنى كم الخبرية [illegible] الخ

معامه اجريها يتعلق بالمضاف على المضاف اليه ومما يدل على ان الكلام على حذف المضاف قوله اهلكناهم
حيث لم يقل اهلكناها كانه قيل كم من قوم هم اشد من قومك الذين اخرجوك من مكة اهلكناهم ولم يوجد لهم من ينصرهم
ويدفع العذاب عنهم فلذلك يفعل بقومك فاصبر كما صبر رسلهم قوله والاخراج باعتبار السبب يعني اسند
الاخراج الى اهل مكة مع انهم لم يخرجوه حقيقة بل كانوا اسباب الخروج حيث مكروا به في دار الندوة واتفقوا
على ان يفعلوا به احد الامور الثلثة وهي ان يثبتوه اي يحبسوه بجراحة لا يقدم معها او يقتلوه او يخرجوه فاضطر
عليه الصلوة والسلام الى ان يخرج منها فاسند الاخراج اليهم لكونهم سبب الخروج عليه الصلوة والسلام منها قوله
وهو كالحال المحكية يعني ان المراد نفي النصرة عنهم في الحالة الماضية بدليل قوله اهلكناهم فكان الظاهر ان
يقال ولم يكن لهم ناصر حين اهلكوا الا انه قيل فلا ناصر لهم وهو يدل على انتفاء النصرة الحالية بناء على
ان لا ينفي الحال على حكاية الحال الماضية كانه معا يحضر بالمخاطب ويصور له التعجب منه لغرابته قال ابن عباس
رضي لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله
واحب بلاد الله الي ولولا ان المشركين لم يخرجوني منك لما خرجت منك فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية
له عليه الصلوة والسلام ثم انه تعالى لما بين مآل الفريقين ومثواهما اشار الى علة استحقاق كل واحد منهما بما
يخصه من العاقبة فقال افمن كان على بينة من ربه الاية والفاء في افمن للعطف على مقدر اي ابعد ما ذكرنا من
تباين مثوى الفريقين فيعد هذا البيان من كان على بينة من ربه كمن اتبع هواه ومن موصولة في موضع الرفع
بالابتداء وقوله كمن زين خبره والاستفهام فيه بمعنى الانكار اي ليس احدهما كالاخر فالاية تقرير لتفاوت
عاقبة الفريقين في الاخرة بانكار التسوية بينهما قوله فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة اشارة الى ان
لفظ المثل مستعار من القول السائر للصفة العجيبة لاشتمال كل واحد منهما على الغرابة الموجبة للتعجب والى انه
مبتدا محذوف الخبر فالجملة على هذا التقدير لا تكون داخلة تحت حكم الجملة المصدرة بحرف الانكار بخلاف ما
اذا كان مثل الجنة مبتدا وقوله كمن هو خالد في النار خبره فان الجملة حينئذ تكون مندرجة تحت حكم الجملة السابقة
في كونها مصدرة بحرف الانكار معنى وكون مضمونها منكر المضمون ما قبلها وتقدير الكلام ما ذكره المص ولما
جعل الكلام الوارد على صورة الاثبات محمولا على النفي والانكار ذكر فائدة تعريته عن حرف الانكار بعد ذكر
تجوزه وهذا الاستفتاء يجري مثله سابقا فقال فيصور المكابرة من يسوي بين المتمسك الخ فانه تعالى ذكر اولا
تفاوت مآل عاقبة الفريقين في الاخرة ثم قرر ذلك التفاوت بانكار التسوية بينهما على وجه يتضمن
بيان علة انكاره وهي ان احد الفريقين اتبع البينة والبرهان فيما سلكه من الطريق والاخر اختار
سيئات الاعمال بمجرد اتباع الهوى والشهوة فكيف تتساوى عاقبتهما ثم اكد تقرير التفاوت المستفاد من
انكار التسوية بينهما بان صور مكابرة من يسوي التمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين
الجنة والنار كانه قيل من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع لهواه كمن يسوي بين الجنة التي فيها

٥ تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الكريم وسائر المعجزات [illegible] كمن زين له سوء عمله الخ

قوله استغنا [illegible] الاستغنا عنه [illegible] محذوف [illegible] التقدير الاخر [illegible]

انواع من الانهار الغريبة وبين النار التي يسقى اهلها الحميم المقطع للامعاء فقوله مثل الجنة كمثل جزاء من هو
خالد في النار من التسليم الذي تحته كل الانكار **قوله** وهو على الاول اي قوله كمن هو خالد في النار على تقدير ان يكون
مثل الجنة مبتدا اخر اي خبره يكون اما خبر مبتدا محذوف او يكون بدلا من قوله كمن زين في يكون ما بينهما اعتراضا
بين البدل والمبدل منه لبيان ما يمتاز به من كان على بينة في الاخرة وهو الجنة كانه قيل كيف يتساويان والتمسك
بالبينة يتميز عن التابع للهوى بكونه خالدا في الجنة التي صفتها بينة فيما قصصنا عليك **قوله** استئناف
لشرح المثل كان قائلا قال وما مثلها اي صفتها العجيبة فقيل فيها انهار اي صفتها فيها انهار الخ او حال من العائد المحذوف
وان قوله وعد المتقون صلة محذوفة العائد وايضا الموصول مع صلته صفة للجنة فلا بد من اشتمالها على ما يعود
الى الموصوف والتقدير مثل الجنة التي وعد المتقون دخولها حال كونها جنت استقرت فيها انهار من فيما يتلى عليكم
قوله او خبر لمثل على ان يكون تقدير الكلام ومعناه صفة الجنة التي وعد المتقون دخولها ان فيها انهار الخ فمثل
الجنة مبتدا وان فيها انهار خبره حذفت ان واقيمت الجملة وهي فيها انهار مقام الخبر وفيه انه لا بد من
عائد في الجملة الواقعة مقام الخبر الى المبتدا ولا ينفع كون ضمير فيها عائدا الى ما اضيف اليه المبتدا وقيل
مثل صلة والتقدير الجنة التي وعد المتقون فيها انهار فالجنة مبتدا وفيها انهار خبره وقد اشتملت الجملة
على العائد وقال الزمخشري فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى انك لو قلت التي فيها انهار بدل التي
وعد المتقون لكان كلاما صحيحا **قوله** على معنى الحدوث خبر ثان لقوله وآسن يعني ان آسن بالمد على وزن
فاعل في قراءة غير ابن كثير اسم فاعل بمعنى الحدوث من آسن الماء بالفتح يأسن ويأسن بالكسر والضم
اسونا وهما لغتان بمعنى ويقال ايضا اسن الماء بالكسر يأسن بالفتح اسنا اذا تغير طعمه وقرأ ابن كثير
اسن بالقصر كحذر على انه صفة مشبهة بمعنى الثبوت واللبن القارص ما يحذي اللسان قال الجوهري القرص
بالاصبعين وقد قرصه يقرصه بالضم قرصا وقرص البراغيث لسعها والحازر منه الحامض وفي المثل عدا
القارص فحزر اي جاوز الى ان حمض يعني تعاظم الامر واشتد والجمهور على جر لذة صفة لخمر وقرئ
بالنصب على المفعول له وبالرفع صفة لانهار ولم يجمع لكونها مصدرا او على زنة المصدر والغائلة الآفة
والشر يقال فلان قليل الغائلة اي الشر واضافتها الى الريح والسكر للبيان **قوله** تانيث لذ هو صفة بمعنى
لذيذ كطب وطيب يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى ويجوز ان يكون مصدرا بتقدير المضاف اي من خمر ذات لذة
او جعلت نفس اللذة للمبالغة كما في قولك رجل عدل والمعنى ما هي الا التلذذ الخالص ليس فيها شيء من آفات
خمور الدنيا وتبعاتها **قوله** وفي ذكرها في شرح مثل الجنة بقوله فيها انهار الخ تنبيه لما يقوم مقام الاشربة
في الجنة بما يستلذ منها في الدنيا من الماء واللبن والخمر والعسل واطلاق اسماء المشبه بها على المشبه على سبيل
الاستعارة الا ان اشربة الدنيا انما جعلت مشبها بها مع تجريدها عما ينقصها وينغصها اي يكدرها مثل كون الماء
آسنا واللبن متغير الطعم والخمر ذات غائلة وآفة والعسل غير مصفى ومع توصيفها بما يوجب غزارتها وكثرتها

و الاول

و الاول استفاد من تنكيرها والثاني من معنى الاستقرار المعلق في الظرف حملت الاية على التمثيل لبيان ما في الجنة من
النعيم ليس من قبيل ما في الدنيا لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس شيء مما في الجنة سوى الاسامي **قوله** صفة على
هذا القياس اي في البيان قوله تعالى من كل الثمرات صفة لمبتدا مقدر وخبره قوله لهم فيها متعلق بما تعلق به لهم اي صنف
كائن من كل الثمرات حاصل لهم فيها على القياس المذكور في الاشربة بان يمثل ما يقوم مقام الثمرات في الجنة بثمرات الدنيا
حال كونها مجردة عما ينقصها وينغصها وموصوفة بالغزارة والاثمار **قوله** اي لهم مغفرة عطف المغفرة من جملة الصفات
الكائنة في الجنة مع ان اهل الجنة لا يدخلها الا بعد المغفرة للايذان بان الجنة ليست بدار التكليف لا يحاسب اهلها بشيء
مما فعلوه يأكلون ويشربون ويتمتعون بجميع نعيمها ولذاتها من غير حساب ولا عقاب بخلاف نعيم الدنيا فان على
حلالها حسابا وعلى حرامها عذابا وفي تفسير الكواشي قوله ومغفرة من ربهم عطف على الاصناف المقدرة للايذان
بانه تعالى راض عنهم مع ما اعطاهم فان السيد قد يعطي مولاه مع سخطه عليه والماء الحميم هو الماء الشديد الحر تسعر
عليه النار منذ خلقت اذا ادني منهم شوى وجوههم ونزع جلود وجوههم ووقعت فروة رؤسهم واذا شربوا
قطع امعاءهم فخرجت من ادبارهم والامعاء جمع معى وهو مجرى الطعام والشراب في الجوف والمراد بها في الاية جميع
ما في البطن من الحوايا ثم انه تعالى لما ذكر احوال الكافرين في الاخرة بقوله كمن هو خالد في النار وسقوا ماء حميما ذكر
حال بعضهم في الدنيا وهم المنافقون فقال ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا الخ قال المفسرون كلمة حتى في قوله تعالى
حتى اذا خرجوا من عندك للعطف وقالوا العطف بحتى لا يجوز الا اذا كان المعطوف جزءا من المعطوف عليه اما اعلاه
او ادناه كقولك الرمي الناس حتى الملك وجاء الحاج حتى المشاة وبالجملة ينبغي ان يكون المعطوف بحتى متعلقا بالمعطوف
عليه اما بالجزئية والكلية او بالعموم والخصوص او نحوهما ولا يشترط ذلك في العطف بالواو فوجه التعلق ههنا
هو ان قوله حتى اذا خرجوا من عندك يفيد معنى زائدا في الاستماع لا يستفاد ذلك مما قبل حتى كانه يقول يستمعون كمال
الاستماع لانهم يستمعون واذا خرجوا يستعيدون من العلماء كما يفعله المجتهد في التعلم الطالب للتفهم فان قلت
فعلى هذا يكون الاستماع المذكور صفة مدح لهم وقد ذكر في معرض الذم قلنا وجه كونه صفة ذم انهم يفعلون ذلك
استهزاء كما يقول الزكي للبليد اعد كلامك حتى افهمه يري من نفسه انه مستمع اليه غاية الاستماع مع انه مستهزئ
غير مستفيد ولا مستعيد او انهم يفعلون ذلك استعلاما للعدم فهمهم حين استمعوه حيث لم يلتفتوا اليه اذ انهم
ولم يتفكروا فيه على اما ذا قال **قوله** ما الذي قال الساعة يوهم ان آنفا ظرف حالي كالآن وليس كذلك بل هو عبارة
عن اول وقت يقرب اليك كما اشار اليه بقوله انه مأخوذ من انف لهم انف الشيء لما تقدم منه فالمراد الساعة المتقدمة
القريبة من ساعة تكلمنا فكأنها نفس ساعة تكلمنا والاستئناف الابتداء وكذا الايتناف فان المستأنف من الشيء
الجزء المتقدم منه وقرئ انفا بالقصر وهو لغة بمعنى آنفا بالمد كحذر وحاذر واسن وآسن الا انه لم يستعمل منهما فعل
ثلاثي بل المستعمل ائتنف واستأنف **قوله** بين لهم ما يتقون من يوم القيمة واهوالها او اعانهم على تقويهم وهو العمل
بما امروا به او اعطاهم جزاءها اي ثواب تقويهم في الاخرة بتقدير المضاف ثم انه تعالى خوفهم بقرب الساعة فقال فهل ينظرون

الا ان عذ والفاء في قوله تعالى فقد جاء اشراطها للتعليل قرب الساعة وفي قوله فاعلم للسببية فانه تعالى لما ذكر حال المو
منين والكافرين قال اذا عرفت سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما انت عليه والامر اطاعة شرط بالتحريك والعلامة
العلامة قوله وفي اعادة الجار يعني ان الظاهر ان يقال واستغفر لذنبك وذنوب المؤمنين الا انه اعيد الجار وحذف المضاف
حيث قيل وللمؤمنين اما اعادة الجار فللاشعار بفرط احتياجهم الى الاستغفار فان اعادة لام الاختصاص مع عدم الاكتفاء
بدلالة القرينة عليها يدل على انه تعالى له مزيد عناية واهتمام في طلب المغفرة لذنوبهم وذلك يشعر بفرط احتياجهم الى
الاستغفار واما حذف المضاف وجعل انفس المؤمنين والمؤمنات مستغفرا لهم فللاشعار بكثرة ذنوبهم فكانهم
في انفسهم ذنوب من حيث تو غلهم في الذنوب كمية وكيفية وللاشعار بكون ذنوبهم جنسا آخر حيث لم يعبر عنها
بلفظ الذنب بل بلفظ المؤمنين قوله فان الذنب اي الذنب المعهود المذكور بقوله لذنبك وهو علة لكون ذنوبهم جنسا
آخر لما كان له عليه الصلوة والسلام ثلثة احوال حال مع الله تعالى وحال مع نفسه وحال مع امته امره الله تعالى في كل
حال بامر امره في حال كونه مع الله ان يوحده وفي حاله مع نفسه ان يستغفر لذنبه وان يطلب العصمة وفي حاله
مع المؤمنين ان يستغفر لهم وهو مزيد اكرام من الله تعالى لامته لانه الشفيع المشفع فيهم قوله فاتقوا الله واستغفروه
اشارة الى انه تعالى انما امره بقوله فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك ليستن به امته في المداومة على التوحيد
والطاعة والاستغفار لما سلف من التقصيرات والا ماحسن تذييل امره عليه الصلوة والسلام بما ذكر بقوله
والله يعلم متقلبكم ومثويكم بلفظ الجمع ثم انه تعالى لما بين اختلاف حال المنافق والكافر والمهتدي المؤمن
عند استماع الايات المتعلقة بالعلم والايمان كايات الوحدانية والبعث والحساب والثواب والعقاب بقوله
ومنهم من يستمع اليك الى قوله والذين اهتدوا زادهم هدى بين حالهم عند استماع الايات المتعلقة بالعمل
والطاعة فان المؤمن كان ينتظر ورودها ويتمنى نزولها حرصا على الجهاد والطاعة واذا تأخر عنه نزولها كان
يقول هلا امرت بشيء من العبادة حرصا لنزولها وخوفا من ان لا يؤهل لها بخلاف المنافق فانه لا يترقب
نزولها واذا نزلت شق عليه نزولها فظهر بذلك تباين حال الفريقين في العلم والعمل فان المنافق لا يتهيأ
للعلم ولا يريد العمل والمؤمن يجتهد في تحصيل المعرفة واليقين وفي الاستكمال بقوة النظرية والعملية فقال
يقول الذين امنوا لولا نزلت سورة الاية قوله تعالى محكمة اي مبينة المراد غير متشابهة لا تحتمل وجها غير وجوب
القتال قوله تعالى نظر المغشي عليه اي نظرا مثل نظر المغشي عليه وقوله من الموت يجوز ان يتعلق بالمغشي اي كالذي
يغشى عليه لاجل حضور اسباب الموت ومقدماته وان يكون متعلقا بمحذوف هو المفعول له اي خوفا من الموت قوله
فاولى لهم تفسير لقوله تعالى فاولى لهم يعني ان هذا معناه بحسب العرف والاستعمال وذكر في اشتقاقه احتمالين الاول
انه اسم على وزن افعل مشتقا من الولي بمعنى القرب لتفضيل القرب مطلقا سواء كان قرب المحبوب او المكروه
ثم غلب في تفضيل قرب المكروه والهلاك والدعاء به على اخر كانه قيل ليكن المكروه والهلاك اقرب اليهم من كل شيء
فاولى على هذا في محل النصب على انه صفة مصدر منصوب بفعله المقدر كانه قيل هلاكا اولى لهم اي اهلكهم الله هلاكا
اقرب

٢٠٨

اقرب اليهم من كل شيء او مرجع المعنى الدعاء عليهم بالويل والثبور فلذلك فسره بقوله فويل لهم بالجملة الاسمية الدالة
على الدوام والثبات لان معناه انشاء الدعاء بهلاكهم الكلي ومن هلك هلاكا دائما بهلاكه والاحتمال الثاني انه فعل ماض
ملحق بالرباعي على وزن فعلى نحو سلقى زيدت الياء في اخره للالحاق اصله آل بمعنى رجع الى امر اي امره كان ثم غلب
في الرجوع الى الهلاك فمعنى الدعاء عليهم بان يؤل امرهم الى الهلاك وفاعله مضمر فيه اي آل الهلاك اليهم اضمر
لدلالة السياق عليه واللام في لهم للبيان كهي في هيت لك بالجعل لمن تكون ذلك الدعاء وقال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه
اي نزل به ذلك فيكون فعلا ماضيا معناه بمعنى قرب اضمر فيه فاعله لدلالة السياق عليه كانه قيل فاولى هو لهم الهلاك
قال ثعلب ولم يقل احد في اولى احسن مما قاله الاصمعي قوله اي امرهم طاعة على ان يكون طاعة خبر مبتدا محذوف
وعلى الثاني يكون طاعة مبتدا وقول عطفا عليه وخبره محذوف وساغ الابتداء بالنكرة لكونها مخصصة
بالصفة معنى بدليل قوله وقول معروف فانه موصوف فدل على ان ما قبله ايضا موصوف كانه قيل طاعة حسنة
وقول معروف خير لهم هذا على تقدير ان يكون هذه الجملة من كلام من دعا عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه
امرهم ويحتمل ان يكون من كلام الجبناء الضعاف القلوب محكية منهم فانهم كانوا يقولون قبل ان يؤمروا بالقتال
بانزال السورة المحكمة طاعة وقول معروف اي امرنا طاعة او منا طاعة وقول حسن او ردها الله تعالى على
سبيل الحكاية عنهم توبيخا لهم على مناقضة فعلهم قولهم قوله اي جد بمعنى جد في الامر يجد بالكسر جدا
جدا اي اجتهد فامر القتال لا يجتهد بل يجتهد فيه المأمورون بالقتال اسند العزم والجد الى امر القتال للملابسة
قوله وعامل الظرف محذوف يعني ان جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر اي لزم فرضية القتال
واجتهد المؤمنون فيه كذبوا فيما وعدوا من الطاعة وتخلفوا عن القتال وهو مناسب لقراءة ابي فاذا تولوا
طاعة كانه تعالى يقول انهم كانوا يقولون في اول الامر سمعا وطاعة وعند آخر الامر خالفوا واخلفوا
وعدهم وقيل عامل الظرف وجوابه هو الجملة الشرطية التي بعده وهي قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم
كقولك اذا جاءني طعام فلو جئتني لاطعمتك قوله فهل عسيتم اشارة الى ان عسى لطمع حصول مضمون خبره
مطلقا سواء ترجى حصوله عن قريب او بعيد مدة مديدة كقولك عسى الله ان يدخلني الجنة وعسى النبي عليه
الصلوة والسلام ان يشفع لي فاذا قلت عسى زيد ان يخرج فهو بمعنى لعله يخرج ولا دنو في لعل اصلا فلا يكون
عسى من افعال المقاربة لانه لما كان للطمع كان خبره مطموع الحصول ومرجوه وما كان مطموع الحصول لا يكون
الطامع فيه على وثوق من حصوله فضلا عن ان يزعم دنو حصوله فلا يكون عسى لدنو حصول الخبر وهو
ظاهر في الطمع دون الخبر لعدم اعتبار معنى الدنو في مفهومه بحسب الوضع والا لكان نحو عسى الله ان يدخلني
الجنة مجازا قال سيبويه عسى طمع واشفاق فالطمع في المحبوب والاشفاق في المكروه نحو عسيت ان امرض ومعنى
الاشفاق الخوف قال الجوهري عسى من الله واجبة لاستحالة الطمع والاشفاق عليه تعالى اذ لا يكونان الا في
المجهول والله تعالى عالم بكل شيء فلا يتصور منه التوقع وقيل الكلام فيه كالكلام في لعل وفي قوله ليبلوكم فقيل

بمعناه يفعل بكم فعل المترجي والمبتلي والمتوقع وقيل كل من ينظر اليهم يتوقع منهم ذلك فيكون التوقع من
طرف العباد فعلى هذا معنى الاية انكم احقاء بان يقول لكم كل من يعرف مرض قلوبكم ورخاوة اعتقادكم بالله
ماذا ترون هل يتوقع منكم الا الفساد وقطع الارحام ان توليتم الحكم وامور الناس وصرتم حكاما فيما بينهم على
ان يكون التولي من الولاية قال الشريف الجرجاني عسى من الله تعالى واجبة في جميع القران الا في قوله عسى ربه ان
طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فان عسى فيه للتخويف لا للخوف والاشفاق كما ان كلمة او في كلامه تعالى للابهام
والتشكيك لا للشك وعسى ترفع الاسم وتنصب الخبر فقوله تعالى ان تفسدوا في موضع النصب على انه خبر عسيتم
والشرط اعتراض بين الاسم والخبر وعسى عسيا عسوا عست عستا عسين الى لغة اهل الحجاز واما
بنو تميم فيقولون عسى ان يفعل وعسى ان يفعلوا ولا يلحقون الضمائر بالفعل وعسيتم فيه التفات من الغيبة
في قوله الذين في قلوبهم مرض الى خطابهم بذلك ليكون ابلغ في التوبيخ ولما وبخهم بما وبخهم رجع الى الغيبة
في قوله اولئك الذين لعنهم الله ليكون كالتعريض الذي هو ابلغ من التصريح كانه قيل اولئك المفسدون في الارض
المقطعون للارحام هم الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم للارحام والفاء في قوله فهل عسيتم جزائية اي اذا
ثبت انكم كرهتم امر الجهاد لركونكم الى الحظوظ العاجلة فهل يتوقع منكم والاستفهام فيه للتقرير المؤكد للتوبيخ السابق
فانه تعالى وبخهم اولا باشتغالهم امر الجهاد وركونهم البطالة والحظوظ العاجلة ثم اتبع ذلك التوبيخ بان مقتضى
طباعكم الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا على ادنى شيء
كما هو عادة العرب زمن الجاهلية ووأد البنات وقوله ان توليتم يحتمل ان يكون من الولاية لامور الناس
وان يكون من التولي بمعنى الاعراض والمعنى على الاول هل يتوقع منكم اذا ملكتم امور الناس وكان الامر بيدكم
الا الفساد وقطع الارحام اي لا يكون منكم الا ذلك وعلى الثاني فهل يتوقع منكم ان اعرضتم عن الاسلام ورعاية
حكمه الذي هو القتال مع الكفرة زاعمين ان فيه الافساد وقطع الارحام بناء على ان الكفار اقاربكم ان تفسدوا
في الارض وتقطعوا ارحامكم اذ لكثرة ما تكونون على ادنى شيء والحال ان في الجهاد امتثال امر الله تعالى و
نصرة دينه وقهر اعدائه واعلاء كلمته قوله تناحرا علة لقوله وتقطعوا ارحامكم والتناحر على الولاية
التحارص فيها يقال تناحر القوم على الشيء اذا تشاحوا عليه حرصا وتناحروا في القتال قوله وعن يعقوب توليتم
بضم التاء والواو وكسر اللام مبنيا للمفعول من الولاية قراءة العامة وتقطعوا من قطع بالتشديد للتكثير
لكثرة الارحام وقرئ وتقطعوا من قطع الثلاثي وتقطعوا بفتح التاء والقاف والطاء المشددة اصلها
تتقطعوا بتاءين حذفت احديهما وانتصاب ارحامكم على هذه القراءة بنزع الخافض اي في ارحامكم
قوله وقيل ام منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية عطف على ما يفهم من قوله لا يصل اليها ذكر فانه يدل على
ان ام متصلة معادلة لهمزة افلا يتدبرون والمعنى افلا يتدبرون القران ام يتدبرونه ولكن لا تدخل
معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة والهمزة الداخلة على الفاء التعقيبية في قوله افلا يتدبرون القران للانكار

ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل كشاف

قوله وان توليتم اعتراض لان جملة شرطية جزاؤها محذوف والتقدير وتقطعوا ان توليتم تفسدوا في الارض عند القراءة تأكيد لافسادهم في الارض كارره

باشتغالهم عن امر الجهاد صح

للانكار ترك التدبر بعد قيام الموجب له وام منقطعة بمعنى بل والهمزة التقريرية للتسجيل عليهم بان قلوبهم
مقفلة لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر ابدا بعد ما سمعوا الايات المحكمات ورأوا المعجزات الباهرات
لا يتدبرون القران ثم اضرب عن كونهم التدبر الى ما يستحق معه ذكره هو امتناع وصول الذكر الى قلوبهم وتنكير القلوب
مع ان الظاهر تعريفها بالاضافة او باللام لان المراد بها قلوب هؤلاء المذكورين لوجهين الاول ان التنكير فيها للافراد
لان المراد بها بعض القلوب المخصص بما يتميز به عن سائر القلوب من الغفلة والقسوة والثاني ان تنكيرها للمبالغة
بلوغها في القسوة والانسداد الى حد لا يكتنه كنهها كانها ليست من جنس ما يتعارف من القلوب الانسانية
كانه قيل قلوب قاسية لا يقادر قدرها في القسوة والاقفال وفي الجهالة وفقد النظر والاعتبار فصارت بذلك كانها
مبهمة منكورة فلذلك نكرها فان القلب لما كان مخلوقا للمعرفة كان القلب العارف المتميز معروفا بانه قلب وما لم يكن
كذلك فانه لا يعرف قلبا معهودا بل يكون شيئا منكورا بمنزلة الحجر ونحوه فان قيل من لعنه الله وابعده عن الخيرات
كما واصمه واعمى بصره كيف يمكنه التدبر في القران حتى يصح الانكار عليه بترك التدبر فهل هو بمنزلة الانكار على الا
عمى بعدم ابصاره وعلى الاصم بعدم سماعه قلنا انه تعالى انما لعنه واصمه واعمى بصره بسبب اختياره طريق الردى
من اتباع الهوى وترك طريق الهدى وهو تدبر القران والانقياد بما فيه فانهم لو اختاروا طريق الهدى لفتح
الله تعالى اقفال قلوبهم وازال صمم اسماعهم وعمى ابصارهم ووفقهم للاهتداء بهداية القران ويؤيد ما قلنا
ما روي انه عليه الصلوة والسلام كان يقرئ شابا فقرا هذه الاية فقال الشاب عليها اقفالها حتى يفتحها
الله تعالى فقال النبي عليه الصلوة والسلام صدقت ثم انه تعالى لما شرح احوال الذين في قلوبهم مرض من كراهتهم
لهم امر الجهاد وعدم صدقهم فيما زعموا من الحرص على الجهاد وفيما اظهروه من الايمان وجعل حالهم هذه
مظنة لان يتوقع منهم كل من يعلم حالهم من ضعف الايمان والحرص على الدنيا الافساد في الارض وقطع الا
رحام على تقدير ان تولوا امور الناس واعرضوا عن الاسلام واحكامه حتى فيه من الجهاد ونحوه وابطل ما ذكر
جعلوه سببا لاعراضهم عن القتال وكونه افسادا في الارض وقطعا للارحام ثم حكم عليهم بانهم الذين
لعنهم الله تعالى ثم انه تعالى بين ان الذي حملهم على ما ذكر من الاحوال انما هو تسويل الشيطان فقال ان الذين ارتدوا
على ادبارهم الاية وعبر عنهم بما يعمهم وغيرهم من اهل الكتاب فانه قد تبين حقية الاسلام وحقية امره
عليه الصلوة والسلام من حيث انهم وجدوا نعته وصفته في كتابهم لبيان اتحاد الجميع في السبب وتقديم الشيطان
على الفعل للاختصاص اي ما ذلك الارتداد والكفر الا من الشيطان وتسويله قوله سهل لهم اقتراف الكبائر بان
حملهم على استحقارها وذكرهم سعة رحمة الله تعالى وعفوه وغفرانه من السول وهو استرخاء ما تحت السرة
من البطن يقال رجل اسول وامرأة سولاء وقوم سول فعلى هذا تسويل القبائح ابرازها وتزيينها وتسهيل ار
تكابها بدفع الحرج في ارتكابها قوله وقيل حملهم على الشهوات يعني قيل ان سول مشتق من السول بضم السين
اصله سؤل بالهمزة الساكنة بعد السين المضمومة قلبت همزته واوا والسول اسم بمعنى المسؤول والمتمنى قال

فراو تب سؤلكم بالمد سے بقال سأل سؤالا اذا تمنى فمعنى سول له امرا منّاه بهذا الامر واوقعه في تمنيه و
حمله على اشتهائه والشهوات جمع شهوة بمعنى الاشتهاء والتمني ورده صاحب الكشاف بان قال وقد اشتقه
من السول من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا اما جهله بالتصريف فلان قاعدة علم التصريف تقتضي
ان يقال ساك بتشديد الهمزة تسئيلا لا سول تسويلا لان السؤل بضم الهمزة مهموز ولا كذلك التسويل فانه
اجوف واما جهله بالاشتقاق فلان حقيقة الاشتقاق التقاء الصيغتين في معنى واحد وليس في سول معنى
السؤل وشرط الاشتقاق وجود معنى الماخذ في المشتق مع زيادة مفهوم الصيغة واجاب المص عنا كونه مخالفا
لقاعدة التصريف بان السول قد يستعمل بمعنى العين فيقال سال يسال مثل خاف يخاف وهما يتساولان ومثل يتقاولان
وقرئ سول لهم على لفظ الماضي المبني للمفعول على ان يكون المبتدا مضافا محذوفا وقراءة العامة واملى لهم
بفتح الهمزة واللام على بناء الفاعل وهو ضمير الشيطان مكون واملى عطفا على سول لا مستانفا والمعنى زين لهم
وسهل لهم ركوب المعاصي واملى لهم اي مدّ لهم في الآمال والاماني وغرتهم بان يقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا
بر ياستكم ثم في آخر العمر تؤمنون وقيل فاعل واملى هو الله عز وجل فيتم الكلام عند قوله سول لهم ثم يبتدئ واملى
لهم اي واملى الله لهم اي امهلهم واخر العذاب عنهم توسعة عليهم ليتمادوا في طغيانهم وقراءة ابو عمرو واملي بضم
الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على لفظ الماضي المبني للمفعول ولهم هو القائم مقام الفاعل والمعنى امهلوا
ومد في عمرهم والفاعل هو الله عز وجل وقرئ واملي بضم الهمزة وكسر اللام وسكون الياء على لفظ المضارع
المبني للفاعل المسند الى ضمير المتكلم وحده وهو الله عز وجل على معنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم وامهلهم ثم
انه تعالى بين ان الشيطان هو الذي سول للذين ارتدوا على ادبارهم ارتكاب الكبائر واملى لهم بين سبب ذلك
التسويل والاملاء فقال ذلك اي ذلك التسويل والاملاء بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله قيل القائلون هم
اليهود والكارهون هم المنافقون وقيل على العكس وقيل القائلون احد الفريقين والكارهون المشركون
فان كان المراد بالذين ارتدوا على ادبارهم اليهود فكون ارتدادهم كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته
وقد ابغضوا بحقيته امره قبل بعثته وان كان المراد بهم المنافقين فكون ارتدادهم رجوعهم عن طاعة الله
في الجهاد من بعد ما تبين لهم حقية الاسلام واحكامه وعلى التقديرين فالمراد بالذين كرهوا الفريق الآخر
او المشركون فان كان التقاول جاريا بين احد الفريقين والمشركين فهم لا يوافقون في التوحيد والاقرار
بالكتاب والنبي والحشر وما يتفرع عليه فان المشركين لا يقولون بشيء مما ذكر بخلاف كل واحد من الفريقين
فان عامة المنافقين من اليهود وهم اهل كتاب فكل واحد من الفريقين لا يوافق المشركين الا في بعض الامر
كالتكذيب برسول الله صلى الله عليه وسلم والتعاون على عداوته ومحاربته فان اليهود اتفقوا مع المشركين يوم
الاحزاب وان كان التقاول بين احد الفريقين والآخر بان يكون القائل المنافقين فبعض الامر ما يسرونه
الى اليهود مما يتعلق بعداوة الرسول وقول المنافقين لقريظة والنضير لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولئن

قوله ولا كذلك التسويل فانه اجوف اي
يرد عليه بهذا الوجه ان السول مهموز ولا كذلك
التسويل والانقلاب للهمزة في السول واوا
انما هو لضرورة سكونها وانضمام ما قبلها
طلبا للخفة وليس في سول بهذا الضرورة
حتى تنقلب همزته واوا فعلم انه ليس من
السول اذ لو كان منه لعادت الهمزة
عند زوال ضمة ما قبلها وقول القاضي و
يمكن رده جواب لهذا الايراد يعني
لا يشترط في قلب الهمزة واوا ان يكون
الهمزة ساكنة وما قبلها مضموما اذ قد
يقال يتساولان بالواو في موضع الهمزة مع
انه مهموز وليس فيه موجب القلب
ابن محمد

ولئن قوتلتم لننصرنكم والقعود عن الجهاد قالوا كل ذلك سرا فيما بينهم فاخبر الله تعالى به عنهم واعلم انه يعلم
ذلك وغيره من اسرارهم فقال والله يعلم اسرارهم وقبل الاظهار ان قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي ما في قلوبهم
من العلم بصدق محمد صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا المكابرين معاندين في انكار نبوته ويعرفونه كما يعرفون ابناءهم
قوله او في بعض ما تامرون به على ان يكون الامر واحد الاوامر وعلى الاول واحد الامور قوله فكيف يعملون و
يحتالون اشارة الى ان العامل الظرف محذوف والتقدير ما ذكره قوله يضربون حال من الفاعل ويجوز كونه
حالا من المفعول ايضا فانهم انما كرهوا القتال واطاعوا امرهم بترك القعود عنه خوفا من ان يضربوا جبهة
وجوههم ان ثبتوا ومن جهة ادبارهم ان فروا فقال تعالى ان كرهتم ما امرتم به من قتال الكفار خوفا من ان يضربوا
مقبل وجوهكم وادبارهم فكيف تحتالون في الخلاص عما تخافون منه اذا توفتكم الملائكة ضاربين وجوهكم و
ادباركم فان كل من يتوفى على معصية الله تعالى فملائكة العذاب لا يقبضون روحه الا بان يضربوا في وجهه ودبره
كما روي ذلك عن ابن عباس رضي قوله تصوير لتوفيهم يعني ان المقصود من تقييد توفيهم بقوله يضربون وجوههم
وادبارهم تصويره بالصورة التي كانوا يجتنبون عن القتال خوفا من تلك الصورة قوله ما يرضاه فسر الرضوان
بالمرضي لانهم لا يكرهون رضا الله تعالى بل يزعمون فيه ويزعمون ان ما هم عليه سبب رضوانه حتى ان المشرك
يطلب رضوانه لشركه ويقول ما اعبد الصنم الا ليقربني الى الله زلفى ويشفع لي واستعمال المصدر في معنى
المفعول شايع فلذلك فسر الرضوان بالمرضي قوله تعالى ام حسب الذين ام فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة
اضرب عن الحكم بانه يعلم اسرار الذين كفروا الى انكار حسبان المنافقين ان الشان انه تعالى لن يبرز الغش
الكامن في قلوبهم للمؤمنين وعداوتهم للنبي صلى الله عليه الصلوة والسلام وان في قوله تعالى ان لن يخرج الله
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المضمر وما بعدها خبرها قال الامام ويحتمل ان يقال كلمة ام هنا متصلة
والكلام السابق الذي يليه همزة الاستفهام ما يفهم من قوله والله يعلم اسرارهم فكانه تعالى قال احسب الذين كفروا
ان لن يعلم الله اسرارهم ام حسب المنافقون ان لن يظهرها والكل باطل لانه تعالى يعلمها ويظهرها ويؤيد ذلك ان المنقطعة
لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء بل جاء زيد ولا ام جاء عمرو قوله تعالى ولو نشاء لاريناكهم كانه جواب
عما يقال لقد فهم من قوله ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم ان الله يظهر ضمائرهم ويبرز
سرائرهم فلم لم يظهرها فاجاب عنه بانا اخرناه بمحض المشيئة لا لتخوف منهم كما لا يخفى اسرار الا كابر خوفا منهم
قوله تعالى فلعرفتهم عطف على جواب لو فاللام فيه وفيما قبله لام جواب لو وفي عطفه عليه زيادة فائدة لا تحصل بدونه
لان التعريف والاعلام لا يستلزم ان يترتب عليه العلم والمعرفة فانه يقال عرفته ولم يعرف وعلمته ولم يعلم فلما
عطف عليه قوله فلعرفتهم كان المعنى فلو نشاء لعرفناك تعريفا يترتب عليه معرفتك اياهم باعيانهم بعلاماتهم
التي نسمهم بها قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها قال انس رضي ما خفي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات

اي بعيد الى ان الضرب اي الضرب الشامل لافضاء الى انسان كنى عن
الاول والاخير من الله ما لم يجز الى كسر

يعني انهم انما كرهوا القتال وتركوه خوفا مما فيه
من القتل والطعن مع انه مفيد على التقديرين
ان غلبوا فالغنيمة وثواب الآخرة وان غلبوا
فالشهادة والحيوة الابدية مع كمال السعادة
فكيف يحتالون في الخلاص عما خافوا منه
اذا توفتهم الملائكة ضاربين وجوههم و
ادبارهم فان كل من يتوفى على معصية فملا
ئكة العذاب لا يقبضون روحه الا بان يضربوا
في وجهه ودبره كما روي ذلك عن ابن عباس
رضي وفيه لطيفة وهي انهم لضعف ايمانهم
كانوا لا يرجون ان تكون الغلبة لهم ان
ثبتوا وصبروا ولا فواتهم ونجاتهم ان فروا
مواوهربوا حتى تسلم وجوههم وادبارهم
على التقديرين بل يزعمون انهم ان ثبتوا
وصبروا يضرب خصمهم على وجوههم و
يطعنهم فيها وان فروا وانهزموا منهم لا
يفوتون بل يدركهم خصمهم من ورائهم
فيضربهم على قفائهم وادبارهم ويوم
الوفاة لا نصرة لهم ولا مفر فوجهه
ودبره مضروب مطعون فكيف
يحترز عن الاذى القليل المؤدي الى
النفع الكثير ويختار العذاب الكبير
المؤدي الى ما هو اكبر واهول
الحرمي

روينا في مسند احمد بن حنبل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان منكم منافقين فمن سميت فليقم ثم قال قم يا فلان قم يا فلان حتى سمى ستة وثلثين

وفيها نسخة من المنافقين بشكوهم الناس من المسلمين فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد
مكتوب هذا منافق واللام في قوله ولتعرفنهم لام جواب قسم محذوف كانه قال ولتعرفنهم والله الآن قبل تغير
سيماهم وصورهم في لحن القول اي اسلوبه في مخاطباتهم لكفانهم لا يقدرون على كتمان ما في انفسهم بل يخرج من كلامهم
على اسلوب يدل فحواه ومعناه على فساد باطنهم يقال لحنه هو عنى بالكسر يلحنه بالفتح لحنا اي فهمه فالمراد من القول
قولهم اي لتعرفنهم في لحن قولهم ومعناه حيث يقولون ما معناه النفاق كقولهم عند مجيء النصر انا كنا معكم
وقولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقولهم ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ونحو ذلك عن
ابن عباس رضي لحن القول هو قولهم قالوا ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون ما علينا ان عصينا من العقاب
قوله واما النية الصريحة تعريض من قولهم لحن اليه يلحن لحنا اي لواه ومال اليه والتعريض ان يضمن الكلام دلالة
على ما ليس مذكورا فيه كما تقول في محضر زيد ان البخل قبيح تريد به ان تصف زيدا بالبخل وتورية الخبر ستره و
اظهار غيره كقول ابي بكر رضي حين كان يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وساله شخص وقال من هذا يريده
عليه الصلوة والسلام فقال رضي رجل يهديني الطريق ثم كان عليه الصلوة والسلام لا يتكلم منافق عنده الا
عرفه بقوله واستدل بنحوي كلامه على فساد دخلته الا انه لا يظهر امره الى ان يأذن الله له في اظهار المنا
فقين ولو لم يتميز عنده المنافق عمن غيره لما صح ان يمنع من الصلوة على جنائزهم والقيام على قبورهم ثم انه
تعالى لما شرح احوال الكفرة والمنافقين خاطب المؤمنين بقوله والله يعلم اعمالكم وعدا لهم وبيانا لكون
حالهم على خلاف حال المنافقين فان المنافق له قول بلا عمل والمؤمن بعمل ولا يقول به وانما قوله ذكر الله تعالى
وما فيه صلاح نفسه وغيره ثم قال ولنبلونكم اي ولنعاملنكم معاملة المختبر حتى نعلم من اطاع امرنا بانه قد تحقق منهم
الاطاعة كما علمنا اياهم بانهم سيطيعون فان الثواب والعقاب انما يترتبان على العلم الذي يكون بعد وجود
الاطاعة والعصيان لا على العلم بانهما سيوجدان **قوله** ونبلو اخباركم معناه ونعلم اخباركم فان البلوى
وهو الاختبار سبب للعلم فاطلق اسم السبب واريد العلم المسبب عنه ولو بقي على ظاهره لكان المعنى و
لنبلونكم حتى نبلو اخباركم ولا وجه له بل المراد حتى نعلم الاخبار التي يخبر بها عنكم وعن اعمالكم اهي حسنة ام
قبيحة فان تجاهدوا او نصروا اخبر الناس عنكم باخبار حسنة وهي انكم مجاهدون صابرون مؤمنون مطيعون
والا فبخلافها فالاخبار جمع خبر وهو الكلام الذي يخبر به الناس عنهم وعن اعمالهم **قوله** فيظهر حسنها و
قبحها اي حسن الاعمال وقبحها يعني ان المقصود من علم الاخبار من حيث حسنها وقبحها ظهور حسن الاعمال
وقبحها فيستدل بظهور الاخبار على ظهور الاعمال واحوالها **قوله** او اخبارهم عن ايمانهم اي ويحتمل ان يكون
المراد باخبارهم اخبارهم عن انفسهم بانهم مؤمنون مطيعون وبالمؤمنين موالون وعن الكفار معرضون
لا الاخبار التي يخبر بها الناس عنهم وعن اعمالهم وقد كشف الله تعالى صدقهم فيما اخبروا به عن انفسهم بان
كلفهم بالتكاليف الشاقة **قوله** وقرا ابو بكر الافعال الثلثة وهي قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم ونبلو بالياء و
البا

والباقون بالنون **قوله** وحذف المضاف لتعظيمه عليه الصلوة والسلام بالدلالة على انه لعلو قدره ومنزلته عند الله
كانت المشاقة معه مشاقة مع الله تعالى لانه رسول وما عليه الا البلاغ فمشاقته في غاية الفظاعة الجوهري فظع
الامر بالضم فظاعة فهو فظيع اي شديد شنيع جاوز المقدار **قوله** ثواب حسنات اعمالهم بذلك اي بالكفر والصد ومشاقة
الرسول فان قيل قد تقدم في اول السورة ان الله تعالى احبط اعمالهم فكيف يحبطها في المستقبل فالجواب انه يحتمل ان
يكون معنى قوله في اول السورة اضل اعمالهم انه حكم ببطلان ثواب اعمالهم وقوله ههنا وسيحبط اعمالهم انه
سيظهر بطلان ثوابها في الاخرة ويحتمل ان يكون المراد بقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله في اول السورة
المشركون وليس لهم اعمال مشروعة يستحقون بها الثواب فقال تعالى في حق مكرماتهم انها ضايعة لبيان انه لا ينفع
مع الكفر عمل ويكون المراد بالذين كفروا ههنا اهل الكتاب مثل قريظة والنضير وكانت لهم اعمال شرعية قبل
بعثة الرسول فاحبطها الله تعالى بسبب تكذيبهم الرسول ولم ينفعهم ايمانهم بالتوحيد والرسول والحشر مع
كفرهم به عليه الصلوة والسلام وان كان المراد بها في هذه الاية المطعمين يوم بدر يكون المراد باعمالهم ههنا اي
مكايدهم التي نصبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وباحباطها عدم وصولهم بها الى مقاصدهم
واغراضهم وبما في اول السورة ما ظنوه حسنة وباحباطها عدم الاعتبار بها **قوله** وليس فيه دليل على
احباط الطاعات بالكباير اي على بطلانها بضياع ثوابها بسبب ارتكاب الكبائر وذلك لان عطف قوله ولا تبطلوا
اعمالكم على الاطاعتين وان كان من قبيل عطف المسبب على السبب كقولك اجلس واسترح وقم وامش
وفهم منه ان الاطاعة سبب لعدم احباط الاعمال وان المخالفة سبب لاحباطها الا انه ليس فيه دلالة
على ان المخالفة بارتكاب الكبائر مطلقا يحبطها وقد ثبت بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشاء ان ما دون الشرك لا يحبط العمل بل الامر فيه منوط بمشية الله تعالى فلا وجه للقطع
بان ارتكاب الكباير مطلقا يبطل العمل وانما نجزم باحباط ما ثبت كونه محبطا بالنصوص القاطعة والاثار
الصحيحة وهو الكفر والنفاق وقد ورد ان العجب ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وورد في الحديث القدسي
في حق السمعة والرياء انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن اشرك لي غيري في عمل عمله لي فتركته وشركه وثبت
به ان الاخلاص شرط لقبول العمل وما وقع منه رياء او سمعة فهو مردود على صاحبه وما لم يقبل ابتداء لا يكون
عملا فكيف يحبط وقد ورد في حق المن والاذى انهما يبطلان الصدقة فان صاحب المنة كانه يقول انما
فعلت هذا لاجلك وقصدت به اصلاح حالك ولولا ذلك لما فعلته وهذا مناف للاخلاص فلهذا لا يثاب على صدقته
ويقال له اطلب اجرك ممن فعلته لاجله ولا يقبل الله تعالى الا ما كان خالصا له وعن مقاتل انه قال ان اسد وخزيمة
اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا وقالوا اتيناك باولادنا وتركنا اموالنا وعشائرنا فان العرب لم يؤمنوا بك
الا من بعد ما قاتلوا ولم نقاتلك فلنا عليك منة فنزلت ولا تبطلوا اعمالكم بالمن وقالت المعتزلة الكبيرة
تحبط الحسنات ولو كانت مثل زبد البحر فلهذا فسر الزمخشري هذه الاية بقوله اي ولا تحبطوا الطاعات بالكباير

قوله وليس فيه دليل على ان المراد بالمبطل هو الكفر في النظم وتسلسل قوله ان الذين كفروا وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط اعمالهم الى قوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فانه يدل على ان المعنى لا تبطلوها بالمعاصي لعنتهما بشركها او بما يبطل به من الجهاد وما تكلموا في نسخة امرائهم وهو كفر محبط بالعمل وسبب الجبن و المخالفة وهو معصية غير مبطلة للعمل الا انه جعل مبطلا على سبيل التغليظ والتشديد على تارك الجهاد جبنا

حسن چلبي

بقوله تعالى في سورة البقرة لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى

والاشهر بقوله ان تحبط اعمالكم بعد قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول

ح

وذهب اهل السنة الى ان كل عمل صدر من اهله مستجمعا لجميع اركانه وشرايطه فارتكاب الكباير لا يحبطه و لا يزيل ثوابه ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ولا يبطل العمل بعد استكمال اركانه وشرايط صحته وقبوله اذ لا دليل عليه عقلا ولا نقلا وان اراد والاحباط الكبيرة الحسنة ان المؤمن يرى ثواب حسناته كما يرى عقاب سيأته الا انه قد تكثر السيئات على الحسنات عند الموازنة فلا يبقى من حسناته ما يعادل تلك السيئات ولا من ثواب حسناته ما يقابل عقاب السيئات فيجوز ان يقال ان سيأته احبطت ثواب حسناته بمعنى انه لم يبق من ثواب الحسنات ما يدفع عقوبة السيئات فنحن نقول بالاحباط بهذا المعنى وليس النزاع فيه وايضا الاحباط بهذا المعنى غير لازم عندنا ولازم عندهم بناء على قولهم انه يجب عليه عقاب العاصي وثواب المطيع ولا يجوز العفو والشفاعة **قوله** ويدل بمفهومه ان بما بعدهم من تقييد الحكم بنفي مغفرتهم بقوله وهم كفار على غفران من لم يمت على الكفر ثم انه تعالى لما امر المؤمنين بالقتال بقوله فضرب الرقاب وبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم ثم اكد وجوبه بقوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان معظم المقصود منه تاكيد الامر بالجهاد والتشديد على من تركه جبنا ومخافة بان تركه سبب لاحباط الاعمال فهذا يقتضي ان لا يتهاون المكلف في امر الجهاد بل يجتهد ويسعى فيه ما امكن ثم ان تحقق المقتضي لا يكفي في وجود المعلول بل ينبغي ان لا يتحقق هنا ما يمنع وجود المعلول فبين الله تعالى ان ليس هنا ما يمنع من القتال اصلا فان المانع اما دنيا وي او اخروي والكافر لا حرمة له في الدنيا ولا في الاخرة اما في الاخرة فلان الله تعالى لن يغفر له فيها واما في الدنيا فلانه لا نصرة له في الدنيا بل انتم الاعلون فيها فلذكره رتب عليه قوله فلا تهنوا على انه جواب شرط محذوف اي اذا علمتم وجوب الجهاد وتاكيد امره فلا تضعفوا ولا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبها بطلب المصالحة **قوله** ولا تدعوا اشارة الى ان قوله وتدعوا في نظم الاية مجزوم بالعطف على فعل النهي قبله والخور بفتحتين الضعف يقال خار الحر والرجل يخور خورا وخؤورة ضعف وانكسر ويجوز كونه منصوبا باضمار ان بعد الواو في جواب النهي كما في قوله لا تنه عن خلق وتاتي مثله واصل اعلون اعليون فاعل قال الكلبي اخر الامر لكم وان غلبوا في بعض الاوقات والله معكم بالعون والنصرة **قوله** شبه به تعطيل ثواب العمل بعني ان الوتر والترة في الاصل اهلاك ما تعلق بالرجل من اهله او ماله او حميمه او افراد الرجل عنه فشبه به تضييع عمله بابطال ثوابه ثم استعير لجانب المشبه اللفظ المستعمل في جانب المشبه به وهو الوتر والترة فاطلق الوتر واريد تضييع العمل ثم اشتق منه يتركم فكان استعارة تبعية والضمير المنصوب فيه واقع موقع الرجل في وترت الرجل ولا بد من تضمين معنى السلب في تضييع ليتعدى الى المفعول الثاني بنفسه اي لن يتركم سالبا ومضيعا اعمالكم قال عليه الصلوة والسلام من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما بان قتل اهله وذهب ماله ثم ان حب الدنيا والحرص على ما فيها من اللذائذ والشهوات لما كان سببا للجبن عن الغزو والتخلي عنه بين الله تعالى ان الدنيا وما فيها من الحظوظ العاجلة لا يصلح مانعا عن الاقدام الى الجهاد وما يؤدي الى ثواب الاخرة لكونها بمنزلة

كمن صلى صلوة جامعة لجميع اركانها وشرايطها ثم زنى فالزنا لا يبطل ثوابها
صح

قوله الاعلون اصله اعليون اسكنت الياء لكونها حرف علة تحركت ما قبلها والواو كانت ساكنة فالتقى الساكنان فاسقطت الياء فبقي اعلون
مرداكي

فانه يجوز نصب المضارع الواقع بعد الواو بشرطين ان يجمع مضمونا ما قبلها وما بعدها في زمان واحد وان يكون قبلها احد الاشياء الستة منها النهي
منه

كانه قيل لا تغتروا بالدنيا ولا يحملنكم حبها على ان تبخلوا بانفسكم واموالكم عن الجهاد في نصرة الدين لانها بمنزلة اللهو واللعب
منه

بمنزلة اللهو واللعب في سرعة زوالها وانه لا يترتب عليها بعد زوالها شيء من ثواب الاخرة التي فيها الحيوة الباقية بخلاف الايمان والاتقاء عن العصيان فانكم ان تؤمنوا وتتقوا يعطكم الله ثواب ايمانكم وتقواكم في الاخرة ثم بين انه لا يسالكم جميع اموالكم لابتغاء الاجر وانما يسألكم غيضا من فيض وهو ربع العشر في اموال التجارة ونصف العشر في نماء الارض وخراجها فطيبوا بها نفسا يقال اعاض الكرام اي قللوا وفاض اللئام اي كثروا وقولهم اعطاه غيضا من فيض اي قليلا من كثير **قوله** فيحفكم عطف على فعل الشرط وعلامة الجزم سقوط الياء وتبخلوا جواب الشرط ويخرج عطف عليه والاحفاء المبالغة في كل شيء والاستقصاء فيه يقال احفى في المسئلة اذا الح وبالغ فيها وكذا يقال للحفاء السائل اذا الح والفاء في قوله فيحفكم للاشارة الى ان الاحفاء يتبع السوال وان الانسان لكونه مجبولا على الشح لا يعطي بمجرد السوال وانما يعطي شيئا اذا انضم السوال بالاحفاء ووجه الاشارة ان العطف بالواو قد يكون لمتلابسين وبالفاء لا يكون الا للمتعاقبين او للشيئين المتلازمين يتعلق احدهما بالاخر والمص فسر الاحفاء بالجهد وهو المشقة لان طلب الكل مشقة عظيمة ويحمل بها الابطال يقال جهد دابته واجهدها اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها قال قتادة علم الله تعالى ان في مسئلة الاموال خروج الاضغان وعدم طيب النفس بها فلم يسألكموها الذكر ولو سألها والح عليكم في الطلب لبخلتم كيف وانتم تبخلون باليسير وكيف لا تبخلون بالكثير فيخرج اضغانكم بسببه **قوله** اي انتم يا مخاطبون هؤلاء اشارة الى ان انتم مبتدأ وها في اوله للتنبيه وهؤلاء خبره والمعنى انتم اولاء الموصوفون الذين وصفناكم وكررت ها في هؤلاء لتاكيد التنبيه ثم ابتدأ فقال تدعون كانهم قالوا ما وصفنا فقيل تدعون لتنفقوا في سبيل الله كانه قيل انتم الذين طلبت منكم اليسير فكان منكم من يبخل عليه فكيف لو طلب منكم الكل **قوله** او صلة عطف على قوله استيناف ولم يذكر مفعول قوله لتنفقوا ليعم ما ينفقه الغازي على نفسه ومركبه وما لا بد له منه في الغزاة وما ينفقه من وجب عليه الزكوة والعشر وصدقة الفطر ونحوها **قوله** ناس يبخلون اشارة الى ان من موصوفة بجملة كما في قوله الا عرب من انضجت غيظا صدره فان من فيه لا يجوز ان تكون موصولة والا لكانت معرفة ورب تختص بالنكرة فمن مبتدأ ويبخل صفته وقوله فمنكم خبره **قوله** وهو كالدليل على الاية المتقدمة يعني ان قوله تدعون لتنفقوا سواء جعل استينافا او صلة لهؤلاء كالدليل على انه تعالى لو احفاهم لبخلوا **قوله** لتضمنه معنى الامساك والتعدي والامساك يتعدى بعن والتعدي بعلى فلو عدي بعلى لكان المعنى فانما يبخل متعديا على نفسه فلما عدي بعن كان المعنى فانما يبخل ممسكا عن نفسه **قوله** فانه امساك عن مستحق عليه لكونه متضمنا لكلا المعنيين فكونه عليه لتضمنه معنى الامساك ظاهر وكونه عليه لتضمنه معنى التعدي مبني على ان الامساك عن المستحق تعد عليه والمنفق لا ينفق على غيره وانما ينفق على نفسه فمن بخل بالانفاق فانما يمسك عن نفسه ولا يتعدى بالامساك الا على نفسه كمن يبخل باجرة الطبيب وثمن الدواء وهو مريض فانه لا يمسك عن الطبيب وبايع الدواء وانما يمسك عن نفسه

ولا يعود ضرر امساككم الا عليه ثم حقق ذلك بقوله والله الغني عما عندكم من الاموال وانتم الفقراء الى ما عنده
من الفضل والرحمة فلا يدعوكم الى الانفاق في سبيله لاحتياجه الى ما عندكم من المال بل ليخلفوا ما عندكم وتنتفعوا
مرضاة ربكم وتستحقوا بذلك ما عنده من الثواب الجزيل قوله تعالى وان تتولوا معطوف على قوله وان تؤمنوا
وتتقوا والمعنى وان تعرضوا عن الايمان والانفاق عن العصيان قوله تعالى ثم لا يكونوا مجزوم معطوف على قوله
يستبدل ويجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع تقول ان تأتني آتك فأخبرك
بالجزم والرفع جميعا وقد ورد العطف بالوجهين في التنزيل بالجزم في هذه الاية وبالرفع في قوله تعالى وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فانه مرفوع لثبوت النون قوله والزهد في الايمان اي في عدم الرغبة فيه
فان الزهد خلاف الرغبة تقول زهد في الشيء وعن الشيء يزهد زهدا وزهادة اي رغب عنه ولا فرق بين
الصلتين في المعنى بخلاف رغب الجوهري رغبت في الشيء اذا اردته ورغبت عن الشيء اذا لم ترده وزهدت
فيه قوله سئل عليه السلام عن القوم الذين يستبدلهم الله تعالى مقام من تولى واعرض عن الايمان والتقوى ويكونون
افضل واطوع منهم فضرب عليه الصلوة والسلام يده على فخذ سلمان رض وقال هذا وقومه ثم قال والذي نفسي
بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وثم في قوله تعالى ثم لا يكونوا استبعاد لبعد من يستبدل
عنهم في الفضيلة هذا آخر ما يتعلق بسورة محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله وحده والصلوة والسلام على
من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه اجمعين

سورة الفتح مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الفتح
في اللغة فتح المغلق كفتح الباب والقفل والمتاع وكفتح المغلق من العلوم ويطلق في العرف على الظفر
بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب لانه مغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح و
قيل المراد به في الاية فتح مكة وقد فتحت مكة سنة ثمان من الهجرة ونزلت الاية سنة ست بين مكة
والمدينة بعد رجوعه من مكة عام الحديبية وقوله تعالى فتحنا عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي
لكون الفتح بمنزلة الكائن الموجود من حيث كونه محقق الوقوع والحديبية موضع قريب من مكة و
عام الحديبية هو العام الذي صد المشركون فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة وصالحوا على ان يأتي العام
القابل روي انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة سنة ست من الهجرة في ذي القعدة يريد العمرة ومعه
الف واربعمائة من المهاجرين والانصار وغيرهما من قبائل العرب رض وقيل الف وستمائة وساق سبعين
بدنة واحرم من ذي الحليفة ليعلم الناس انه ما خرج محاربا وانما خرج زائر البيت ومعظما له ولما نزل
وادي الحديبية والحديبية اسم بئر بذلك الوادي وسمي الوادي باسم تلك البئر بعث قريش الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسولا وامروه ان يقول له انا لا نرضى ان تدخل علينا مكة عامك هذا احترازا عن ان تقول العرب
انه دخلها عليكم عنوة فانا لا نرضى بهذا القول ابدا فارجع عنا عامك هذا فاذا كان العام القابل خرجنا
عنها فدخلتها باصحابك فتطوف لعمرتك معهم وتقومون فيها ثلثة ايام ثم ترجعون بعدها فلما انتهى الرسول
الى

وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل [illegible] الماء حتى [illegible] بعد كشاف

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح على ان تكون الحرب مو
ضوعة بين الناس عشر سنين وقيل سنتين يأمن فيهما الناس ويكف بعضهم عن بعض الى انقضاء
مدة الصلح فامر عليه الصلوة والسلام علي بن ابي طالب رض فكتب كتاب الصلح وكان سبب رضاهم
بالصلح انه عليه الصلوة والسلام لما نزل بالحديبية بعث عثمان رض الى قريش يستأذنهم في ان يدخل عليه
الصلوة والسلام مع اصحابه رض مكة معتمرين معظمين حرمات البيت غير محاربين فذهب عثمان
رض اليهم فاستأذنهم في ذلك فابوا ان يأذنوا له وقالوا له طف انت ان شئت فقال ما كنت لافعل حتى
يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبسوه عندهم ثلثة ايام ولم يأذنوا له ان يعود الى رسول الله عليه الصلوة و
السلام فبقي عندهم ثلثة ايام فبلغ رسول الله والمؤمنين ان عثمان رض قد قتل فقال عليه الصلوة والسلام
حين بلغه ذلك الخبر لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة وجلس تحت الشجرة فقال للصحابة
بايعوني على الموت فبايعوه عليه وقال جابر رض بايعنا على ان لا نفر ثم رجع عثمان رض فاخبرهم انهم ابوا
ذلك وبلغت قضية البيعة الى قريش فكبرت عليهم وخافوا ان يحاربوا معه فقالوا لسهيل بن عمرو اذهب
وارده عنا وصالحه فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم امر الناس ان يحلوا عن احرامهم بان ينحروا
بدنهم ويحلقوا رؤسهم ونحر هو ايضا البدن وحلق رأسه ثم انصرف متوجها الى المدينة حتى اذا كان بين
مكة والمدينة نزل انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله هو الذي انزل السكينة يعني السكون والطمأنينة في البيعة
في قلوب المؤمنين ليزدادوا وانصرفوا مع قصر نفهم الذي هم عليه دخلوا في العام القابل سنة سبعة و
قضوا عمرتهم ثم فتحت مكة سنة ثمان وحج ابا بكر رض سنة تسعة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر
فلما كان نزول هذه الاية قبل فتح مكة كانت عدة بالفتح قوله اوبما اتفق له عطف على قوله بفتح مكة وقوله او
اخبار عطف على قوله عدة وانما سماه فتحا مع انه ليس بفتح بالمعنى العرفي للفتح ولا بالمعنى اللغوي
اما الاول فلانه ليس بظفر على البلد واما الثاني فلانه ليس بظفر للمغلق كيف وقد احصروا ومنعوا من البيت
نحروا وحلقوا بالحديبية واي ظفر في ذلك والجواب ان الصلح مع المشركين فتح بالمعنى اللغوي لانه كان
مغلقا ومتعذرا وقت نزولهم بالحديبية الا انه لما آل الامر الى بيعة الرضوان وظهر عند المشركين اتفاق
كلمة المؤمنين وصدق عزيمتهم على الجهاد والقتال ضعفوا وخافوا حتى اضطروا الى الصلح وتخوفوا
غلبة المسلمين عليهم مع ان ذلك الصلح قد كان سببا لامور اخر كانت مغلقة قبل منها ان المشركين
اختلطوا بالمسلمين بسببه فسمعوا كلامهم وتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في مدة قليلة خلق كثير
كثر بهم سواد اهل الاسلام الى آخر ما ذكره المص عن البراء بن عازب رض انه قال تعدون انتم الفتح
فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية حيث ترتب عليه من ظهور
الاسلام وانتكاس احوال المشركين ما لا يمكن وصفه فصارت كانها مبدأ فتح الاسلام وقال جابر رض

وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن [illegible] وعن ابن عباس رض [illegible] رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح كشاف

ما كنا نفتح مكة الا يوم الحديبية وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا
بالمسلمين بعد الصلح فصار ذلك سببا للاسلام حتى كثر في زمان قليل قوله وفتح الروم عطف على صلح
الحديبية فان اهل الروم غلب على اهل فارس في تلك السنة وكان غلبتهم عليهم من دلائل النبوة حيث كان عليه
الصلوة والسلام وعد بوقوع تلك الغلبة في بضع سنين وهو ما بين الثلث الى التسع فكانت كما وعد فظهر
به صدقه عليه الصلوة والسلام فكانت بذلك فتحا له عليه الصلوة والسلام قوله علة للفتح من حيث انه
مسبب الخ يعني ان الغفران علة غائية للفتح متاخرا عنه في الوجود الخارجي وعلة حاملة عليه بحسب
الوجود الذهني كما في قولك بنيت السرير ليجلس عليه السلطان والعلة الغائية للحكم ينبغي ان تكون مسببة عنه
وغفران العبد لا يظهر كونه مسببا عن الفتح الصادر منه تعالى حاملا عليه فكيف تكون غائية له الا ان الفتح
لما كان مسببا عن الافعال الحسنة الصادرة من العبد كالجهاد والسعي في اعلاء الدين وتخليص الضعفة عن
ايدي الظلمة ونحوها وكانت تلك الافعال مسببة عن الغفران من حيث كونه سببا حاملا عليها صح ان يجعل المغفرة
علة للفتح بواسطة كونه علة لما هو علة للفتح وهي الافعال وقال المص في الغفران علة للفتح ردا على صاحب
الكشاف في قوله كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة لان العلة الغائية للحكم وان كان معلولا له متاخرا عنه في الوجود
الخارجي كما في قولك ضربته تاديبا فان التاديب وان كان علة للضرب متقدما عليه في الوجود الذهني الا انه في
له متاخر عنه بحسب الوجود الخارجي الا ان المقصود بيان كون المغفرة علة للفتح كما يقتضيه دخول لام العلة
عليها لا بيان كون الفتح علة لها فالمناسب للمقام انما هو عبارة المص وفي قوله تعالى انا فتحنا لك تعظيم لامر
الفتح من وجهين احدهما قوله انا والثاني قوله لك اي لاجلك لا من كل عندي ولا جرم ما ذكر من فتح مكة او صلح
الحديبية وفي اظهار فاعل قوله ليغفر لك وينصرك اشعار بان كل واحد من المغفرة والنصرة متفرع على الوهيته
وكونه معبودا بالحق لا يقدر عليه غيره قوله نصرا فيه عز ومنعة جواب عما يقال كيف اسند العزيز الى ضمير النصر
مع ان العزيز من له النصر دونه وتقرير الجواب الاول ان صيغة الفعيل هنا للنسبة فالعزيز بمعنى ذي العزة كما
ان راضية في قوله تعالى عيشة راضية بمعنى ذات رضى فالمعنى نصرا ذا عز ومنعة لا اذل معه اي لا يترتب عليه
الا عز المنصور وكونه ذات بمعونه عن ان يصيبه سوء ومكروه فاسناد العزيز بهذا المعنى الى ضمير النصر
حقيقة وتقرير الجواب الثاني ان العزيز هو المنصور وان ما يتعلق به من النصر هو سبب عزته فوصف النصر
بوصف متعلقه للمبالغة في عزة المنصور كما جوجده للمبالغة في جد الفاعل على الحقيقة ثم انه تعالى لما قال وينصرك الله
نصرا عزيزا بين وجهه فقال هو الذي انزل السكينة اي انه تعالى لا يتحقق النصر فانه تعالى قد ينصر رسله باهلاك اعدائهم
بسبب من الاسباب وقد ينصرهم بتقوية قلوبهم باسجارهم بان يرزقهم رسوخ الاعتقاد وازدياد اليقين فيثبتون
على الحق حين تضطرب ضعاف القلوب واليقين فالسكينة بمعنى السكون والثبات على الحق لا ان البرهة بمعنى
البرهان فالمعنى انزل السكون والطمانينة في قلوبهم بتقوية يقينهم ليزدادوا يقينا منضما الى اصل يقينهم او

كانه قيل انا خلقنا لك اسباب الفتح من
الجهاد والسعي في اعلاء الدين وتخليص
الضعفة عن ايدي الظلمة ليغفر لك الخ
والمص جعل المغفرة علة للفتح والفتح
معللا بها بناء على ان لام العلة دخلت
عليها وجعل المغفرة مفعولا له للفتح
والمفعول له قد يكون علة للفعل المعلل
متقدمة عليه بحسب الوجود الخارجي
كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا وقد
يكون علة متقدمة عليه بحسب الوجود
الذهني ومعلولا له متاخرا عنه في
الوجود الخارجي كما في قولك ضربته
تاديبا والآية من هذا القبيل فلهذا
قال صاحب الكشاف كيف جعل فتح مكة
علة للمغفرة

او بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم باظهارهم على عدوهم فيزدادوا ايقينا قوله علة
بما بعده لما دل عليه قوله ولله ذكر في متعلق اللام وجوها الاول ان تكون متعلقة بمحذوف دل عليه قوله
ولله جنود السموات والارض فانه يدل على انه تعالى جعل المؤمنين جندا منقادا وبين على نصرة دينه واعلاء
كلمته ليدخلهم الجنة ويعذب الكفار والثاني انها متعلقة بفتحنا فتقول او فتحنا عطف على قوله ما دل في قوله
بما دل عليه اي هو علة لقوله انا فتحنا لانه روي ان الصحابة رض قالوا له عليه الصلوة والسلام لما نزل قوله
تعالى ليغفر لك الله هنيئا لك يا رسول الله ان الله تعالى قد غفر لك فما لنا عند الله فنزل ليدخل المؤمنين الاية
فكانه تعالى قال انا فتحنا لك ليغفر لك وفتحنا للمؤمنين ليدخلهم قوله وانزال او هو علة بما بعده لقوله
انزل السكينة في قلوب المؤمنين معللا بقوله ليزدادوا الا انه لو كان متعلقا بنفس انزل من غير اعتبار تعليله
بقوله ليزدادوا فلا يخلو اما ان يكون كل واحد من ازدياد الايمان وادخال الجنة علة على حدة لانزال
السكينة او يكون علة انزالها هي ادخال الجنة ويكون قوله ليزدادوا توطئة لذكره من غير ان يقصد بذكره
التعليل بان يكون قوله ليدخل المؤمنين بدلا من قوله ليزدادوا بدل الاشتمال فان كان المناسب ان يقال ويدخل
عطفا على قوله ليزدادوا وان كان الثاني فهو عين ما ذكره بعد قوله وقيل بدل اشتمال فلا وجه لعطفه عليه
فتعين انما يكون متعلقا بقوله انزل بعد اعتبار تعليله بقوله ليزدادوا قوله اي ليزدادوا فيه ان قوله تعالى
ويعذب المنافقين عطف على قوله ليدخل فلو كان قوله ليدخل متعلقا بقوله ليزدادوا لكان علة ازدياد
المؤمنين ايمانا مجموع الادخال والتعذيب ولا دخل للازدياد في تعذيب المنافقين الا ان يقال اذا كان
ازدياد الايمان سببا لدخول صاحبه الجنة واستحقاقه الكرامة يكون ايضا سببا لان يعذب اعداؤه
لان اكرام عدو الرجل اهانة له فما يكون سببا لاكرام عدوه يكون سببا لتعذيبه نفسه قوله الا اذا
جعلته بدلا فان اعراب البدل ليس بعامل حتى ينوب العاطف عنه فيتمل للنيابة عنه فلا يجوز العطف
على البدل فيكون ما عطف عليه ظاهرا معطوفا على المبدل منه حقيقة قوله تعالى الظانين صفة لطائفتي
اهل النفاق واهل الشرك وظن السوء منصوب على المصدر والاضافة فيه ليست من قبيل اضافة
الموصوف الى الصفة فانها غير جائزة عند البصريين ولا عكسها لان الصفة والموصوف عبارتان عن
شيء واحد فاضافة احدهما الى الآخر اضافة الشيء الى نفسه فالاضافة فيه نحو صلوة الاولى ومسجد الجامع
كالاضافة في سيف شجاع من حيث ان المضاف اليه في الحقيقة هو موصوف هذا المجرور والتقدير سيف
رجل شجاع وصلوة الساعة الاولى ومسجد الوقت الجامع والمراد بالساعة الاولى اول تجدد تجدد
عقيب الزوال وبالوقت الجامع يوم الجمعة فان ذلك اليوم جامع للناس في مسجده للصلوة حذف المضاف
اليه في الجميع واقيمت صفته مقامه واضافة ظن السوء من هذا القبيل اذ التقدير كما ذكره المص ظن الامر
السوء والسوء بالفتح صفة مشبهة من ساء يسوء بضم العين فيهما سوء فهو سوء ويقابله من حيث

او لاجل جهادهم
وسعيهم في اظهار
دينه

المعنى قولك حسن يحسن حسنا فهو حسن وهو فعل لازم بمعنى قبح وصار فاسدا رديا بخلاف ساء يسوءه
سوءا ومساءة اذا احزنه نقبض صدره فانه متعد ووزنه في الماضي فعل بفتح العين ووزن ما كان لازما فعل
بضم العين وفعلا بانه فاعله على فعل كصعب صعوبة فهو صعب والسوء بضم السين مصدر لهذا اللازم والسوء
بالفتح لفظ مشترك بين اسم الفاعل من اللازم وبين مصدر المتعدي وقيل السوء بالفتح والضم لغتان
بمعنى كالكره والكره والضعف والضعف والدائرة في الاصل عبارة عن الخط المحيط بالمركز ثم استعملت
في الحادثة المحيطة لمن وقعت هي عليه الا ان اكثر استعمالها في المكروه كما ان اكثر استعمال الدولة في المحبوب
الذي يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك والاضافة في دائرة السوء من اضافة العام الى الخاص
للبيان كما في خاتم فضة والمعنى اكذب الله ظنهم وقلب ما يظنونه بالمؤمنين عليهم بحيث لا يتخطاهم ولم
يظفروا بالنصرة ابدا قيل الفائدة في اعادة قوله تعالى ولله جنود السموات والارض الاشارة الى ان لله
تعالى جنود الرحمة ينزلهم ليدخل بهم المؤمنين الجنة معظما مكرما وان له جنود العذاب يسلطهم على
الكفار يعذبهم بهم في جهنم ويدل على هذا الوجه انه تعالى ذكر جنود الرحمة قبل قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات وذكر جنود العذاب بعد قوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ويدل عليه ايضا انه تعالى قال عند ذكر الجنود
ثانيا وكان الله عزيزا حكيما وقال عند ذكرهم اولا وكان عليما حكيما فان عادته في كلامه المجيد ان يصف
نفسه بالعزة في مقام ذكر العذاب والانتقام كما قال تعالى اليس الله بعزيز ذي انتقام وقال فاخذناهم اخذ
عزيز مقتدر وقال العزيز الجبار ثم انه تعالى لما قال له عليه الصلوة والسلام انا فتحنا لك بطريق المنة والاخبار
امتنانا عليه بذلك بقي فائدة ارساله شاهدا ومبشرا ونذيرا فقال انا ارسلناك شاهدا على امتك
اي على تصديق من صدقك وتكذيب من كذبك اي مقبولا في حقهم عند الله تعالى سواء شهد لهم او عليهم كما يقبل قول
الشاهد العدل عند الحاكم والخطاب في قوله تعالى لتؤمنوا بالله للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة فيكون تعميما للخطاب
بعد تخصيص لان خطاب ارسلناك للنبي خاصة ومثله قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خصه عليه الصلوة
والسلام ثم عمم الخطاب على طريق تغليب المخاطب على الغائبين وهم المؤمنون فدلت الاية على انه عليه الصلوة و
السلام يجب عليه ان يؤمن برسالة نفسه كما ورد في الحديث انه عليه الصلوة والسلام قال اشهد اني عبد الله
ورسوله **قوله** على ان خطابه عليه الصلوة والسلام منزل منزلة خطابهم جواب عما يقال كيف يجوز تخصيص
الخطاب الثاني بالامة في مقام توجيه الخطاب الاول اليه عليه الصلوة والسلام بخصوصه فاجاب عنه بان خطاب رئيس القوم
بمنزلة خطاب من معه من اتباعه فجاز ان يخاطب الاتباع في مقام تخصيص الرئيس بالخطاب **قوله** وتعزروه بتقوية دينه
ورسوله تصريح بان الضمائر المذكورة في قوله تعالى وتعزروه وتوقروه وتسبحوه راجعة الى الله تعالى لان ضمير رسوله ليس
الا له تعالى وكذا ضمير تسبحوه لان التسبيح لا يكون الا له تعالى فلا وجه لان يجعل الضميران اللذان بينهما للنبي عليه الصلوة و
السلام وان جوزه بعض اهل التفسير وجعل الجوهري التعزير والتوقير بمعنى حيث قال التعظيم والتوقير والتعزير المعزون
التعزير او
حلوا

حلوا التعزير له تعالى على تعظيمه بنصرة دينه ورسوله وتقويتهما وحملوا توقيره على تعظيمه باعتقاد انه متصف
بجميع صفات الكمال منزه عن جميع وجوه النقصان **قوله** لتؤمنوا الى اخر الافعال الاربعة بالياء والتاء فبالغيبة
بنى على اسناد الافعال المذكورة الى ضمير المرسل اليهم المدلول عليه بلفظ ارسلناك وبالتاء الخطاب على خطاب الرسول
والامة وتغليب المخاطب على الغيب وقرا الجمهور وتعزروه بضم التاء وفتح العين وكسر الزاي مشددة وقرئ
تعزروه بضم التاء وسكون العين من اعزره بمعنى عزره وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي وكسرها مخففة
وتعززوه بزائين معجمتين من العزة ومعنى الكل واحد عن عبد الله عمرو بن العاص ان هذه الاية التي في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا اما قال في التورية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة
بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله فيفتح لها اعينا عميا
واذانا صما وقلوبا غلفا رواه البخاري في تفسير هذه السورة ثم انه تعالى لما بين انه مرسل ارسل لما ذكر من الحكم والمصالح
بين ان منزلته وقدره عند الله بحيث يكون من بايعه صورة فقد بايع الله تعالى حقيقة لان من بايعه عليه الصلوة
والسلام على ان لا يفر من موضع القتال الى ان يقتل او يفتح الله لهم وان كان يقصد بها رضى الرسول عليه الصلوة والسلام
ظاهرا لكن انما يقصد بها حقيقة رضى الرحمن وثوابه وجنته سميت المعاهدة المذكورة بالمبايعة التي هي مبادلة
المال بالمال تشبيها لها بالمبايعة في اشتمال كل واحد منهما على معنى المبادلة وذلك في المبايعة ظاهر وكذا في المعاهدة
المذكورة فانها ايضا مشتملة على المبادلة بين التزام الثبات على محاربة المشركين وبين ضمانه عليه الصلوة والسلام
بمرضاة الله تعالى عنهم واثابته بجنة النعيم وملك لا يبلى في مقابلة ذلك الثبات فاطلق اسم المبايعة على هذه
المعاهدة على سبيل الاستعارة ثم انه لما كان ثواب ثباتهم على الحرب انما يصل اليهم من قبله تعالى كان المقصود من المبايعة
معه عليه الصلوة والسلام المبايعة مع الله عز وجل وانه عليه الصلوة والسلام انما هو سفير ومعبر عنه تعالى
وبهذا الاعتبار صار من بايعه عليه الصلوة والسلام على ذلك بمنزلة من بايع الله تعالى فقيل انما يبايعون الله
كانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة وان كان العقد معه ولما جعلت المبايعة مع الرسول مبايعة مع الله تعالى
وشبه الله تعالى بالمبايع اثبت له تعالى ما هو من لوازم المبايع حقيقة وهو اليد على طريق الاستعارة التخييلية
فان المبايع لا بد له عند مباشرة العقد من الصفقة عادة فلما قيل ان تلك المبايعة انما هي مع الله تعالى اكد
هذا المعنى بان قيل يد الله فوق ايديهم كانه قيل لا تظنن ان الامر على خلاف ذلك فان يد رسول الله عليه الصلوة
والسلام التي فعلوا ايدي المبايعين هي يد الله تعالى فلما شبه الله تعالى بالمبايع اثبت له جارحة اليد على سبيل التخييل
والا فهو تعالى منزه عن الجوارح وصفات الاجسام **قوله** تعالى انما يبايعون الله خبر ان ويد الله مبتدأ وما
بعده خبره فالظاهر ان الجملة خبر ثان لان جيء به تاكيدا للاول ولم يتعرض المص لهذا الاحتمال بل جعلها
جملة حالية من ضمير الفاعل في يبايعون او مستأنفة لتصوير المبايعة مع الله تعالى فعلى هذا التقرير تكون

قوله او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل يعني لما روعي المشاكلة وبعد ما بين قوله ان الذين يبايعون الله بني عليها قوله قوله انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم على سبيل الاستعارة التخييلية تتميما لمعنى المشاكلة وهو كالترشيح للاستعارة اي اذا كان الله مبايعا ولا بد للمبايع من الصفقة باليد فخيل اليد للتخييل واشتهر التخييل المشاكلة ولا تخيل جنابه الاقدس عن الجارحة هذا هو المراد من قول صاحب المفتاح واما حسن الاستعارة التخييلية فبحسب حسن الاستعارة بالكناية متى كانت تابعة لها كما في قولك فلان بين انياب المنية ومخالبها ثم اذا انضم اليها المشاكلة كما في قوله عز اسمه يد الله فوق ايديهم كانت احسن واحسن
ابن محمد

فيهم غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون

البدن للموضعين بمعنى الجارحة اثبتت له تعالى على سبيل التخييل وقيل اليد في الموضعين بمعنى الاحسان والصنيعة
قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كقوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان وعن
ابن كيسان ان اليد في الموضعين بمعنى القوة والنصرة والمعنى قوة الله تعالى ونصرته فوق قوتهم كانه قيل ثق بنصرة
الله تعالى لك لا بنصرتهم ومبايعتهم على النصرة والثبات فانه يقال اليد لفلان اي القوة والنصرة وقيل هي فيهما
بمعنيين ففي حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا ياخذون بيد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله اي حفظه تلك المبايعة عن الانتقاض والبطلان فوق ايديهم كما ان
احد المتبايعين اذا مد يده الى الاخر لعقد البيع يتوسط بينهما ثالث فيضع يده على ايديهما ويحفظ ايديهما
الى ان يتم العقد ولا يترك واحدا منهما لان يقبض يده الى نفسه ويتفرقا عن صاحبه قبل انعقاد البيع فيكون
وضع الثالث يده على ايديهما سببا لحفظ البيعة فلذلك قال تعالى يد الله فوق ايديهم يحفظهم ويمنعهم عن
ترك البيعة كما يحفظ المتوسط ايدي المتبايعين **قوله** نقض العهد يقال نكث العهد والحبل فانتكث
اي نقضه فانتقض يقال اوفى بالعهد ووفى بالعهد اذا اتمه ويحتمل ان يراد بنكث العهد ما يتناول عدم
مباشرته ابتداء ونقضه بعد انعقاده لما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيعة الرضوان تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا
اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم **قوله** استنفرهم اي طلب منهم ان ينفروا او يخرجوا معه حين
اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب فتثاقل كثير من
الاعراب الكائنين حول المدينة وتخلفوا عنه وخافوا ان يكون قتال وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في
عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه يعنون باحد فتيقنوا انهم فظنوا انه عليه الصلوة والسلام يهلك ولا ينقلب
الى المدينة واعتلوا بالشغل باموالهم واهاليهم وانه ليس لهم من يقوم باشغالهم فاخبر الله تعالى نبيه عليه
الصلوة والسلام عنهم بما سيقولون اذا رجع الى المدينة وعاتبهم في التخلف وبانهم لا يكتفون بالاعتذار
بل يتضرعون ويقولون انا تخلفنا وان كان على العذر عند انفسنا الا انا نسالك ان تسال الله تعالى ان
يغفر لنا تخلفنا عنك اذ كنا حراصا على الخروج معك الا انه منعنا عنه مانع قوي ثم كذبهم في اعتذارهم
واخبر بنفاقهم فقال يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فان الشك والنفاق هو الذي خلفهم ليس لهم عذر
فيه شيء مما ذكر ولما كان حاصل اعتذارهم ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر بعود
سوء الحال من اختلال حال الاهل والاموال ويجلب لهم النفع وهو السلامة في انفسهم واموالهم قال تعالى قل
فمن يملك لكم من الله شيئا الاية يعني انكم ايها المساكين تحترزون عن الضرر وتتركون امر الله تعالى وامر
رسوله وتقعدون طلبا للسلامة فهل يمنعكم القعود والتخلف مما اراد الله بكم ان اراد بكم الضر وقرئ بضم
الضاد ايضا وهو تعريض بهم وقولهم شغلتنا صلاحية للاعتذار ثم انه تعالى اضرب عن تكذيبهم في اعتذارهم
الى

الى ابعادهم بانه يجازيهم بما عملوا من التخلف والاعتذار الباطل باظهار امر واخفاء غيره فقال بل كان الله
بما تعملون خبيرا ثم اضرب عن بيان بطلان اعتذارهم الى بيان ما حملهم على التخلف فقال بل ظننتم الاية
قوله الظن المذكور يعني التعريف في ظن السوء اما للعهد والمعهود ظنهم المتقدم وهو ظن ان لا ينقلبوا لكثرة
العدو وقلة انفسهم ويكون العطف لمجرد التسجيل عليه بالسوء والا فهو من عطف الشيء على نفسه او
للاستغراق فيكون المراد بالمعطوف سائر ظنونهم الزائغة لما تقرر من ان العام اذا عطف على الخاص يراد
به سائر افراده **قوله** بورا لكن اشارة الى ان البور جمع بائر من بار بمعنى هلك كالعوذ جمع عائذ وهي من الابل
او الخيل الحديثة النتاج ويحتمل ان يكون مصدرا فانه يقال بار بورا مثل هلك هلاكا بناء ومعنى ولذلك يوصف به
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **قوله** وضع الكافرين موضع الضمير جواب عما يقال من في قوله ومن لم يؤمن
سواء كانت شرطية او موصولة في محل الرفع على الابتداء والجملة المقدرة بان خبرها فاين العائد منها
الى المبتدا اجاب عنه بان الظاهر قائم مقام العائد على التقدير انا اعتدنا لهم ثم انه تعالى لما ذكر من الزجر
عظيم من المتابعين ومن له عذاب اليم في السعير من الظانين ذكر بعده ولله ملك السموات والارض الى اخر الاية للدلالة
على عظم الامرين جميعا لان من عظم ملكه يكون اجره وهبته في غاية العظمة وكذا عذابه في غاية الشدة **قوله تعالى**
يريدون ان يبدلوا كلام الله حال من المخلفون او استئناف لبيان مرادهم من قولهم ذرونا والمراد بكلام الله
وعده بان يكون غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة فقال عليه الصلوة والسلام لا يخرج الى خيبر الا اهل حديبية وجعل
ذلك عوضا لهم من غنائم اهل مكة اذا انصرفوا منها على صلح ولم يصيبوا منها شيئا وهذا القول هو المشهور عند المفسرين
والاظهر نظرا الى قوله تعالى كذلكم قال الله من قبل ان ما قبل تهيؤهم للخروج الى خيبر وقيل المراد بكلام الله تعالى قوله لن
تخرجوا معي ابدا بناء على ان القوم لما تخلفوا واطلع الله تعالى نبيه على باطنهم واظهر نفاقهم قال تعالى له عليه الصلوة
والسلام قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فالقوم ارادوا بقولهم ذرونا نتبعكم ان يبدلوا ذلك
الكلام بالخروج معهم ولم يرض المص بهذا القول بناء على ان الظاهر ان ذلك الكلام ورد في غزوة تبوك لا في
هذه الواقعة **قوله** واثبات الحسد عطف على قوله رد منهم والمعنى فسيقولون تكذيبا لكم فيما اخبرتموهم من انه تعالى
كذلك قال من قبل ما قال الله كذلك بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم والاضراب الثاني رد من الله تعالى لما زعموا
من ان النهي عن اتباعهم لاجل الحسد واثبات لجهلهم بشان النبي عليه الصلوة والسلام وما يصح ان يكون منه
وما لا يصح اثبت لهم فهما قليلا وهو فهمهم ظواهر من الحظوظ الدنيا **قوله** كرر ذكرهم فان المراد بالمخلفين هم الذين
تخلفوا عن الخروج الى خيبر في حيوة النبي عليه الصلوة والسلام فانه لما قال لهم لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا وهم
جمع كثير من قبائل شتى دعت الحاجة الى بيان قبول توبتهم فانهم لم يتفقوا على ذلك ولم يكونوا من الذين مردوا
على النفاق بل منهم من رجع عنه وحسن حاله فجعل الله تعالى لقبول توبتهم علامة وهو انهم يدعون بعده فانه
عليه الصلوة والسلام الى قوم اولي باس شديد اي اولي قوة في الحرب فمن اجاب منهم دعوة امام ذلك الزمان فانه

والمعنى تقرير ان الكل عنهم مع الرسول ... بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ... جارحة الله تعالى غير جارحة الرسول ... منه

... بنفسه بمعنى النفع منه
... ان اراد بكم نفعا ... منه

تقبل توبته ويبطل الاجر الحسن قلنا لانه تع بين انهم يدعون الى حرب اولى باس شديد فان اطاعوا اعطوا الاجر
الحسن وان ابوا الاستمرار حالهم على نفاق كما استمر حال ثعلبة عليه فانه قد امتنع من اداء الزكوة ثم اتى بها فلم يقبل منه
النبي عليه الصلوة والسلام واستمر على الحال ولم يقبل منه احد من الصحابة رض فلعله تع علم من ثعلبة ان حاله لا تتغير
فلم يبين لتوبته علامة وعلم من احوال الاعراب انها تتغير فبين لتغيرها علامة فقال ان اطعتم من دعاكم الى حرب
اولى الباس الشديد تثابوا او تؤجروا في الدنيا والاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الخروج الى الحديبية
يعذبكم عذابا اليما قوله تع او يسلمون الجمهور على رفعه باثبات النون عطفا على تقاتلونهم بيانا لوجوب احد الامرين
عليهم بحيث لا يكون لهما امر ثالث لان او لاحد الشيئين وبني على الحصر كما في قولك العدد زوج او فرد وقيل
انه مرفوع على الاستيناف تقديره او هم يسلمون وقرئ او يسلموا بالنصب باضمار ان بمعنى الا ان يسلموا او بمعنى
الى ان يسلموا فيكون ما بعد او في تاويل مصدر مجرور بالا التي بمعنى الى استغرق المصدر بقوله تع تقاتلونهم او يسلمون على
ان المراد بقوم اولى باس شديد المرتدون او المشركون مطلقا سواء كانوا من العرب او العجم بناء على ان من
عدا الطائفتين المذكورتين وهم اهل الكتاب والمجوس ليس الحكم فيهم ان يقاتلوا الى ان يسلموا بل تقبل منهم الجزية كما في
المرتدين ومشركي العرب والعجم فانه لا تقبل منهم الجزية بل يقاتلون الى ان يسلموا وهذا عند الشافعي رح وابي حنيفة رح
مشركوا العجم تقبل منهم الجزية كما تقبل من اهل الكتاب والمجوس والذين لا يقبل منهم الا الاسلام او السيف مشركوا
العرب والمرتدون فقط عنده قوله اذ لم تتفق هذه الدعوة اي دعوة المخلفين الى قتال اولى الباس لم تتفق
لغير ابي بكر رض فانه دعاهم الى قتال بني حنيفة وهم اهل يمامة ورئيسهم مسيلمة الكذاب ووجه دلالة الاية على
امامة ابي بكر رض انه اوجب على المخلفين طاعة من يدعوهم الى قتال اولى الباس واوعد على مخالفته حيث
قال الله تع فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ومن اوجب
الله تع طاعته يكون اماما حقا فيكون ابو بكر رض اماما حقا الا اذا ثبت ان المراد باولى الباس اهل حنين وهم
ثقيف وهوازن فلا دلالة للاية في على امامة ابي بكر رض لان الدعوة الى قتالهم كانت في حيوته عليه الصلوة و
السلام فيكون المخلفون ممنوعين من خيبر بعد عودتهم الى قتال اهل حنين وقيل فارس والروم فيكون الاية دليلا
على امامة عمر رض لانه هو الذي قاتلهم ودعا الناس الى قتالهم قوله فصل الوعد المدلول عليه بقوله يؤتكم الله
اجرا حسنا واجمل الوعيد المذكور سابقا ولاحقا قوله فتمنعه الاحابيش وهو جمع احبوش وهو افواج من
قبائل شتى تحبشوا اي تجمعوا يقال حبش قومه تحبيشا اذا جمعهم والحباشة بالضم الجماعة من الناس ليسوا
من قبيلة واحدة والتحبش التجمع والتجميع ويقال حبشت له حباشة اذا جمعت له شيئا قال سلمة ابن الاكوع اذ نحن
قائلون اي نائمون وقت الظهيرة من القيلولة نادى مناد يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة البيعة نزل
روح القدس فسرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه وكان عثمان رض يومئذ بمكة
فقال عليه الصلوة والسلام ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله وحاجة المؤمنين ثم وضع احدى يديه على الاخرى
وقال

تقديره ما ذكره الامام قال الداعي في قوله ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم او يسلمون لا يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم او الائمة الاربعة او من بعدهم لا يجوز الاول لقوله تعالى قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل الى قوله ستدعون الاية ولا علي رض لانه انما قاتل اهل الاسلام البغاة والخوارج وتلك المقاتلة لا يعدهم لقوله او يسلمون ولا من ملك بعدهم لانهم عندنا على الخطاء وعند الشيعة على الكفر ولما بطلت الاقسام تعين ان المراد بالداعي ابو بكر وعمر وعثمان رض الله تعالى عنهم اجمعين ثم انه تعالى اوجب طاعتهم واوعد على مخالفتهم بقوله فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ط

وقال هذه بيعة عثمان رض وروي عن جابر رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار
احد ممن بايع تحت الشجرة وقال الحسن بايعه من المؤمنين وهو جالس تحت الشجرة انتم اليوم خير اهل الارض
قوله تع فعلم ما في قلوبكم متعلق بان يكون علم الله تع بما في قلوبهم من الاخلاص واقعا عقيب رضاه عنهم مع
ان علمه تع كان واقعا موجودا اذ حصل قبل الرضا فقبلية ذاتية لانه تع علم به فرضي عنهم الا ان هذا انما يلزم
اذا كانت الفاء في قوله فعلم ما في قلوبكم لبيان وقوع العلم عقيب الرضا وليس كذلك بل هي لبيان وقوعه عقيب البيعة لتعلم
ان الرضا لم يكن بمجرد المبايعة فقط بل انما كان للمبايعة التي كان معها علم الله بصدقهم فيها والفاء في قوله فانزل
السكينة لبيان ان انزال السكينة كان عقيب رضاه عنهم فانه تع لما رضي عنهم وعرف مبايعتهم المقرونة بالاخلاص
صدرهم طمانينة النفس اما بان شجعهم على طاعة الرسول فيما دعاهم اليه من البيعة فبايعوه على ان يقاتلوا
الى الموت ولا يفروا واما بان خوف المشركين والجاهم الى الصلح الموجب لسكون النفس وحصول الامن قوله
يعني مغانم خيبر وكانت ذات عقار واموال اخذوها من اليهود مع فتح بلدتهم وكان الله عزيزا غالبا حكيما
في امره حكم لهم بالظفر والغنيمة ولاهل خيبر بالسبي والهزيمة ثم ذكر سائر المغانم التي ياخذونها فيما ياتي
من الزمان الى يوم القيمة فقال وعدكم الله مغانم كثيرة قوله ايدي اهل خيبر وحلفائهم قيل كان اهل خيبر سبعين الفا
وانه عليه الصلوة والسلام لما حاصر اهل خيبر هم حلفاؤهم من اسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين
وذراريهم بالمدينة فكف الله تع ايديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل جاء النصر لهم فقذف الله تع في
قلوبهم الرعب فنكصوا قوله او عنوانا لفتح مكة عطف على قوله امارة فقيل راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي فتاخر ذلك الى السنة الاتية فجعل فتح خيبر صورة امارة في منامه
من فتح مكة فيكون ضمير يكون راجعا الى قوله تع هذه اي الغنيمة قوله لتسلموا او لتاخذوها نشر على ترتيب
اللف اي فعجل لكم هذه الغنيمة لتاخذوها ولتكون اية او وكف ايديهم عنكم لتسلموا او تكون الكف اية قوله فجعل صح
او العلة المحذوف عطف على قوله او العطف على محذوف اي ويحتمل ان لا تكون الواو للعطف على العلة المحذوفة
قبلها بان تكون الواو ابتدائية وتكون اللام لتعليل ما حذف بعدها اي ولتكون اية فعل ذلك قوله
بتقدير قد احاط الله بها فان احاط قد اشتغل عن اخرى بتعديته بحرف الجر الى الضمير ولا ينصب لو سلط
عليه لكونه لازما ينصب بنفسه فيضمر ما يناسبه من حيث المعنى كما في نحو زيدا مررت به فان مررت وان
لم يصلح ناصبا للمفعول به الا انه يصلح مفسرا لما ينصبه فان تقديره جاوزت زيدا مررت به وكذا قوله قد
احاط الله بها يصلح مفسرا لما يناسبه من حيث المعنى مثل قضى فيجوز ان يكون تقدير الكلام وقضى اخرى قد
احاط الله بها لان الاحاطة مجاز عن الاستيلاء واستيلاء الله تع على الغنيمة قضاؤه بها ويحتمل ان يكون
واخرى في محل الرفع على الابتداء ولم تقدروا عليها صفته وهو المسوغ للابتداء بالنكرة وقد احاط الله بها
خبره وان يكون مجرورا برب المضمرة بعد الواو ولم تقدروا صفته المجرور رب وقد احاط جواب قوله

لما فيها من الجولة اي من تكرر الهزيمة والرجوع الى القتال يقال تجاولوا في الحرب اي جال بعضهم على بعض فكانت
بينهم مجاولات والجملة الحولة كناية عن كثرة العدو والاحتياج الى الجد الغوي في محاربتهم قوله وهي مغانم
هوازن فانهم لم يقدروا عليها الى عام الحديبية وانما قدروا عليها عقب فتح مكة في غزوة حنين قوله
سن الله عليه انبيائه سنة اشارة الى ان سنة الله مصدر موكد لفعله المحذوف قوله واستشهد به فان اباحنيفة
رح استشهد بقوله تعالى هو الذي كف ايديهم عنهم الى قوله من بعد ان اظفركم عليهم على ان مكة فتحت عنوة لا
صلحا ووجه الاستشهاد ان قوله تعالى من بعد ان اظفركم عليهم معناه من بعد ما سلطكم عليهم وحق لكم الظفر و
الغلبة عليهم وذلك انما يكون بان يفتح غلبة وقهرا وقال الشافعي رح انها فتحت صلحا لما روي ان ابا سفيان
طلب الامان لاهل مكة فعقد النبي عليه الصلوة والسلام لهم الامان واستثنى رجالا مخصوصين امر بقتلهم وايضا انه
عليه الصلوة والسلام لم يقتل ولم يسب ولا قسم عقارا ولا منقولا ولو فتحت عنوة لكان الامر بخلافه ومن
قال انها فتحت عنوة يقول انه عليه الصلوة والسلام دخلها مستعد القتال لو قوتل وبعث خالد بن الوليد وزبير
بن العوام رض وامرهما ان يدخلاها من طرفيها فدخل خالد اسفلها عنوة ودخل زبير رض اعلاها ولم يلق
في تلك الناحية قتال وحراب من جهة اهل مكة فامتنع زبير عن قتلهم لذلك لا لسبق عقد المصالحة قبل ذلك
ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب الذي دخل منه زبير رض وسبب امتناعه عليه الصلوة
والسلام عن قسمة عقار مكة انها خلقت حرة لا لاجل انها فتحت صلحا فلذا لا يجوز عند ابي حنيفة رح بيع
دور مكة قوله وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله فيه ان نزول السورة قبل فتح مكة لا يستلزم نزول
الاية قبله ولو سلم انه يستلزم ذلك فلم لا يجوز ان تكون من قبيل العدة باظهارهم عليها وكف ايدي كل واحد
من الفريقين عن الاخر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق وقوعه كما في قوله تعالى انا فتحنا لك وقيل في وجه ضعفه
ان الظفر هو الفتح مطلقا سواء كان عنوة او صلحا كما قال صاحب الكشاف في اول السورة ان الفتح
هو الظفر بالبلد سواء كان عنوة او صلحا فان قلت احتجاج ابي حنيفة رح ليس مبنيا على ورود لفظ
الظفر بل على تعديته بكلمة على الدالة على الاستعلاء والغلبة ولم يعبر الزمخشري عن فتح البلد صلحا
بالظفر عليه بل قال الظفر به اجيب عنه بانه يكفي في تحقق الاستعلاء من جهة المؤمنين انهم باشروا
عقد المصالحة بالطوع والاختيار بخلاف اهل مكة فانهم صالحوا عن اضطرار فتعديته الظفر بعلى ايضا
لا يدل على فتحها عنوة واستدل المص على ان الكف المذكور كان عام الحديبية لا عام الفتح بقوله تعالى هم
الذين كفروا الاية لان صدهم وصد الهدي معكوفا كان عام الحديبية وقوله تعالى وهو الذي كف ايديهم
عنهم اي بان حملهم على الفرار عنكم مع كثرة عددهم وكونهم في بلادهم بصدد الذب عن اهليهم واولاد
هم فالفرار منهم في غاية البعد كان نزال المسلمين اياهم بعد ما ظفروا عليهم بعيد وايديكم عنهم
بان حملكم على الرجوع عنهم وتركهم مع ان العادة المستمرة فيمن ظفر بعدوه ان لا يتركه بل يستاصله وقد

وقد اظفركم الله تعالى عليهم حيث هزمتم جيش الكفار وادخلتموهم بيوتهم كما روي ان اصحاب خالد بن الوليد
هزموا اصحاب عكرمة وهم خمسمائة نفر وادخلوهم حيطان مكة ثم رجعوا سالمين وعن ابن عباس رضي الله
تعالى اظهر المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت فلما كان الكف على الوجه المذكور في غاية البعد قال تعالى
هو الذي كف الخ على طريق الحصر استشهادا به على ما تقدم من قوله ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ووجه
الاستدلال ظاهر ثم انه تعالى اشار الى ان كف كل فريق عن صاحبه لم يقع من حيث انهم اصطلحوا وارتفع ما
بينهم من الاختلاف والعداوة بل الاختلاف باق لبقاء سببه وهو انهم كفروا بالله وصدوكم عن المسجد الحرام
ان تطوفوا به وصدوا الهدي معكوفا اي محبوسا عن ان يبلغ محله وهو الموضع الذي ينحر فيه وهو الحرم فهم مع
هذه الافعال القبيحة كانوا يستحقون ان يقاتلوا الا انه تعالى كف ايدي كل فريق عن صاحبه محافظة على ما في مكة
من المسلمين المستضعفين ليخرجوا منها او تدخلوها على وجه لا يكون فيه ايذاء من فيها من المؤمنين والمؤمنات
فقال هم الذين كفروا الاية والجمهور على نصب قوله تعالى والهدي عطفا على الضمير المنصوب في قوله وصدوكم ومعكوفا
حال من الهدي اي صدوكم عن المسجد الحرام ان تطوفوا به وصدوا الهدي محبوسا ممنوعا عن ان يبلغ محله فحذفت
كلمة عن واوصل الفعل او الصد الى البلوغ توسعا وذلك لجار المقدر يجوز ان يتعلق بصدوكم وان يتعلق
بمعكوفا ويحتمل ان يكون قوله ان يبلغ محله مفعولا له علة للصد اي صدوكم الهدي كراهة ان يبلغ محله وقرئ
بالجر عطفا على المسجد الحرام ولا بد من تقدير المضاف اي وعن نحر الهدي وبالرفع ايضا على انه مفعول ما لم يسم
فاعله لفعل مقدر اي صد الهدي وقرئ والهدي بكسر الدال وتشديد الياء والواحدة هدية مثل تمرة وتمر والهدي
والهدي ما يهدى الى الحرم من النعم ليذبح فيه يقال عكفه عن كذا اي حبسه عنه ومنه العاكف في المسجد لانه
حبس نفسه فيه ويستعمل لازما ومتعديا فيقال عكفه عكفا فعكف عكوفا قوله ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره
اشارة الى ان المحل اسم للمكان الذي ينحر فيه الهدي وانه من الحلول لا من الحل الذي هو ضد الحرمة ودم الا
حصار يختص بالحرم عندنا فلا يجوز ذبحه الا في الحرم وعند الشافعي رح لا يختص به فيجوز ان يذبح في الموضع الذي
احصر فيه لنا قوله تعالى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله بعد قوله فان احصرتم فما استيسر من الهدي والمراد
بالمحل الحرم بدليل قوله تعالى هديا بالغ الكعبة وقوله ثم محلها الى البيت العتيق والمراد به الحرم لان نفس البيت
اذ لا يراق فيه الدماء وللشافعي رح ان دم الاحصار انما شرع رخصة للتحلل عن الاحرام قبل وقته ودفعا
للحرج ثابت بالحرم يبعد بالتنصيص فيعود على موضعه بالنقض ولما ذكر المص انه عليه الصلوة والسلام نحر
بحيث احصر ونحن نقول ان بعض الحديبية حرم فانه روي ان مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهدي المحصر بالحج لا يذبح الا في الحرم عند الحنفية الا انه لا يتوقف بالزمان
بل يذبح في اي وقت شاء عند ابي حنيفة رح وقالا يتوقف بالزمان وهو ايام النحر كما يتوقف بالمكان واما
المحصر بالعمرة فلا يتوقف بزمان بالاجماع المضارب جمع مضرب بفتح الميم وكسر الراء وهي المواضع التي ضرب فيها

فانه روي ان عكرمة لما خرج الى
الحديبية قال عليه الصلوة والسلام
لخالد بن الوليد رض هذا ابن عمك
اتاك في خيل فقال خالد انا سيف
الله وسيف رسوله ارمني حيث
شئت فمن ذلك اليوم سمي سيف الله
فبعثه النبي عم والبا على جند فردهم
المسلمون بالحجارة حتى ادخلوهم
بيوت مكة منه

ووجه احتياجنا بقوله تعالى والهدي معكوفا
ان يبلغ محله انه تعالى بين استحقاقهم العقوبة
بثلثة اشياء كفرهم في انفسهم وصدهم المؤمنين
عن اتمام عمرتهم وصدهم بهديهم عن بلوغه
المحل فلو كان موضع الاحصار محلا للدم
لما صح ان يقال انهم صدوا الهدي عن البلوغ
الى محله فتعين به ان المحل هو الحرم
منه

حبائه قوله وطئنا وطأة على حنق وطأ المقيد نابت الهرم استشهد به على ان الوطأ عبارة عن الا
يقاع والابادة على طريق ذكر الملزوم وارادة اللازم لان الوطأ مستلزم للاهلاك يقال وطأت الشيء
برجلي وطأ ووطئ الرجل امرأته يطأ فيهما جميعا والحنق بالحاء المهملة الغيظ الشديد يقال حنق عليه
بالكسر اي اغتاظ فهو حنق واحنقه غيره فهو محنق والمقيد البعير المعقود الركبة والهرم بالزاء المعجمة
الساكنة ما انكسر من الضريع وبالراء المهملة ضرب من الحمض وهو ما ملح وامر من النبات كالرمث
والاثل والطرفاء والخلة من النبات ما كان حلوا تقول العرب الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها ويقال
لحمها وخص المقيد لان وطأته اثقل كما خص الحنق لان ابعاده ورحمه اقل والمعنى اثرت فينا تأثير الحنق
الغضبان كما يؤثر البعير المقيد اذا وطأ هذا النبت قوله كان اخر وقعة النبي بها فانه عليه الصلوة
والسلام لم يغز بعدها الا غزوة تبوك ولم يكن فيها قتال قوله وهو اي قوله ان تطؤهم بدل اشتمال
من رجال اي ولولا وطؤكم رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات غير معلومين لكم باعيانهم انهم مؤمنون فان
قوله لم تعلموهم في موضع الرفع على انه صفة لرجال ونساء وان كان قوله ان تطؤهم في موضع النصب على انه
بدل من الضمير المنصوب في لم تعلموهم بدل الاشتمال ايضا لكون المعنى لم تعلموا وطأهم ويشكل على هذا
ان يكون قوله بغير علم متعلقا بقوله ان تطؤهم حالا من الضمير المرفوع فيه لانه على تقدير ان يكون ان
تطؤهم بدلا من الضمير وان يكون بغير علم حالا من فاعل تطأوا يكون المعنى لم تعلموا ان تطؤهم غير عالمين
وهو يستلزم ان يعتبر نفي علمهم بهم مرتين لان عدم علمهم بوطئهم المؤمن قد استفيد من قوله لم تعلموا ان
تطؤهم فيكون قوله بغير علم تكرارا الا ان يقال معنى عدم علمهم بوطئهم اياهم غير عالمين بهم عدم علمهم
بكونهم معذورين في وطئهم اياهم بناء على كون ذلك الوطء في حال عدم علمهم بكونهم مؤمنين فالظاهر على
على هذا ان يجعل قوله بغير علم متعلقا بمحذوف على انه صفة لمعرة او يكون حالا من مفعول فتصيبكم وقوله
فتصيبكم معطوف على قوله ان تطؤهم قوله وجواب لولا محذوف وهو قوله لما كف ايديكم عنهم وفي هذا
الحذف دليل على شدة غضب الله تعالى على كفار مكة كانه قيل لولا حق المؤمنين موجود لفعل بهم ما لا يدخل
تحت الوصف والقياس بناء على ان الحذف للتعميم والمبالغة وخبر المبتدأ ايضا محذوف تقديره لولا
رجال ونساء من اهل الايمان موجودون او بالحضرة فان ما بعد لولا الابتدائية مبتدأ وخبر محذوف
فقولك لولا انك منطلق انطلقت تقديره لولا انطلاقك حاصل انطلقت قوله علة لما دل عليه كف الايدي
يعني ان اللام في قوله ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه سوق الآية وهو كف ايدي المؤمنين عن اهل مكة صونا
لمن بين اظهرهم من المؤمنين اي كان ذلك ليدخل الله في رحمته فيكون تعليلا للكف بعد اعتبار تعليله
بصون من بين اظهر اهل مكة من المؤمنين والاحتراز عن وطئهم بغير علم وليس علة لنفس الكف المذكور
لانه قد علل بوجود رجال ونساء من المؤمنين كانه قيل كف ايديكم عنهم لئلا تطؤا الرجال والنساء المؤمنين
المختلط

المختلطين بهم من غير شعور بما بهم فلا وجه لتعليله بشيء آخر قوله اي في توفيقه لزيادة الخير و
الطاعة على تقدير ان يكون المراد بقوله من يشاء المؤمنين بين اظهر الكفرة فانهم لما رأوا لطف الله تعالى بهم
حيث صانهم من وطء المسلمين اياهم مع انه تعالى اظفرهم على اهل مكة وصان لاجلهم من عداهم ممن استوجب
العذاب كان ذلك سببا لمزيد الشكر والخير والطاعة قوله او للاسلام هذا على تقدير ان يكون المراد
بمن يشاء المشركين الذين آمنوا بعد ذلك فان المناسب ح ان يفسر الادخال في الرحمة بالتوفيق للاسلام
فان المشركين لما شاهدوا قدر المؤمنين عند الله تعالى حيث كف ايدي المسلمين عنهم بعد ان غلبوا عليهم
مع استحقاقهم العذاب الشديد صونا لما بينهم من المؤمنين رغبوا في مثل هذا الدين والانخراط في زمرة المؤ
منين قوله لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض اشارة الى ان ضمير تزيلوا للفريقين من المؤمنين والكا
فرين وجاز ان يرجع الى المؤمنين فقط وان يرجع الى الكافرين فقط يقال زلت الشيء ازيله زيلا اي ميزته
وفرقته وزلته منه فلم يزل اي ميزته فلم يتميز وزيلته فتزيل اي فرقته فتفرق قوله مقدر باذكر
فيكون مفعولا به اي اذكر وقت جعلهم كقولك اذكر اذ قام زيد اي اذكر وقت قيامه فيكون اذ ظرفا للفعل
الذي اضيف هو اليه قوله او ظرف لعذبنا او صدوكم اي لعذبناهم حين جعلوا في قلوبهم الحمية او صدوكم
في ذلك الوقت وفي قلوبهم يجوز ان يتعلق بجعل على انه بمعنى ألقى فيتعدى الى واحد اي اذا ألقى الكافرون في قلو
بهم الحمية وان يتعلق بمحذوف على انه مفعول ثان قدم على الاول على ان جعل بمعنى صير اي صيروا الحمية حاصلة
في قلوبهم وحمية الجاهلية بدل من الحمية قبلها فانهم حين صدوا رسول الله واصحابه عن زيارة البيت
قالوا بناء على الحمية الناشئة عن الجهل والكفر بالله تعالى انهم قتلوا ابناءنا واخواننا ثم اتوا يريدون
ان يدخلوا علينا في منازلنا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلون
علينا فهذه هي حمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم ومن تلك الحمية انهم استنكفوا من اشتمال كتاب
الصلح على توصيفه تعالى باسم الرحمن وعلى توصيفه عليه الصلوة والسلام بوصف انه رسول الله فلما رأى المؤ
منون منهم هذه الحمية الباطلة هموا ان يأبوا الا ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وان يبطشوا بهم
فانزل السكينة فتحملوا اشتغاء عنهم ورضوا ان يكتب الكتاب على ما ارادوا فتم الصلح بذلك قال الزهري انما
ساعدهم النبي عليه الصلوة والسلام لانه لما خرج يريد مكة وبلغ الحديبية وقفت ناقته فزجرها الناس
فلم تنزجر وبركت فالحوا عليها فلم تقم فقال اصحابه خلأت القصواء فقال عليه الصلوة والسلام ما خلأت
القصواء وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم الى
خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى وفيه صلة الرحم الا اعطيتهم اياها فلذلك ساعدهم فيما قالوا وصالحهم
على ما يريدون قوله كلمة الشهادة وهي لا اله الا الله وهي كلمة التقوى اذ بها يتوقى من الشرك ومن النار فان
اصل التقوى الاتقاء عنهما وقد وصف الله تعالى هذه الامة بالمتقين في مواضع من القرآن العظيم باعتبار هذه الكلمة

وهو ان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم منه

ومن جملة ما اشترطوا عليه في الصلح ان لا يأتي احد منهم الى المسلمين ويرد المسلمون من جاءهم منهم منه

وبسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله من شعاير هذه الامة وخواصها اختارها لهم وصار المشركون
محرومين عنها حيث لم يرضوا ان يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم ولا بان يكتب فيه محمد رسول الله
فصارت هذه الكلمة مختصة بالمؤمنين فلذلك قال تعالى والزمهم كلمة التقوى وجعلها شعار المتقين وعن الحسن
كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد فان المؤمنين ثبتوا على مقتضى الصلح ووفوا بالعهد بخلاف المشركين حيث نقضوا
العهد وعادوا من حارب حليف المؤمنين والمعنى على هذا والزمهم كلمة اهل التقوى وهي العهد الواقع في ضمن
الصلح ومعنى الزامها اياهم تثبيتهم عليها وعلى الوفاء بها **قوله** والمعنى صدقه في رؤياه يعني ان صدق يتعدى
الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بحرف الجر يقال صدقك في كذا اي ما كذبك فيه وقد يحذف الجار ويوصل الفعل
كما في هذه الاية وفي قوله من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فانه عليه الصلوة والسلام لما رأى
في المنام وهو بالمدينة قبل ان يخرج الى الحديبية انه دخل هو واصحابه مكة آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين
ومن المعلوم انه ليس من تخييل الشيطان فتعين انه من وحي الرحمن اوحى اليه انك ستدخل مكة مع اصحابك
على الوصف المذكور الا انه تعالى اراه الدخول واقعا متحققا لكونه في حكم المتحقق ثم انهم لما انصرفوا ولم يدخلوا
مكة قال المنافقون والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فنزلت الاية ناطقة بانه تعالى لم يكذب
فيما اراه نبيه من دخول مكة على الوجه المذكور اذ ليس فيما اراه الدخول في عام ست وانما اراه مجرد صورة
الدخول وقد صلح على الدخول في عام سبع **قوله** ملتبسا بالحق على ان يكون بالحق متعلقا بمحذوف على انه حال
من الرؤيا اي ملتبسة بالحق **قوله** تعليما للعباد اشارة الى جواب ما يقال الظاهر ان قوله تعالى لتدخلن وعد
الهي بالدخول وقوله ان شاء تعليق للموعود بالمشية فما وجه هذا التعليق فان المخبر انما يعلق ما اخبر به
بالمشية اذا كان له تردد وشك في وقوعه والله تعالى منزه عن ذلك فما وجه تعليق موعوده بمشيته
اجاب عنه اولا بانه تعالى علق عدته بمشيته تعليما للعباد ذلك بقولوا في عدا تهم مثل ذلك لا لكونه شاكا في
وقوع الموعود وفيه ايضا تعريض بان دخولهم مبني على مشيته تعالى ذلك لا على جلادتهم وقوتهم وهذا معنى
ما قيل استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وثانيا بان الموعود دخولهم جميعا وعلقه بمشيته
اشعارا بان بعضهم لا يدخل وحكمه ان ليس للتشكيك بل للتشكيك وثالثا بمنع ان يكون التعليق من كلام الله
تعالى لجواز ان يكون من الملك الذي القى على النبي صلى الله عليه وسلم في المنام كلام الله تعالى وهو قوله لتدخلن
المسجد الحرام آمنين الآية فعلى هذا لا يكون لتدخلن استئنافا بل يكون تفسيرا للرؤيا فان ذكر الملك لما القى
عليه صلى الله عليه وسلم في رؤياه هذا الكلام الالهي ادخل فيه هذه الكلمة من تلقاء نفسه تبركا ثم انه تعالى لما
رضي به القاه كذلك على لسان جبرئيل فالتعليق المذكور حكاية ما هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام
ليس من قبله تعالى ورابعا بانه من كلام الرسول فانه عليه الصلوة والسلام لما قص رؤياه على اصحابه استانف
بان قال لتدخلنه ان شاء الله تعالى **قوله** حال من الواو اي من الواو المحذوفة من لتدخلن لاجتماع الساكنين

قوله اي

الراغب الصدق والكذب اصلهما
في القول ماضيا او مستقبلا وعدا كان او
غيره ولا يكونان بالقصد الاول الا في الخبر
القول ولا يكونان من القول الا في
ولذلك قال تعالى ومن اصدق من الله
قيلا وقال انه كان صادق الوعد وقد يكونان
بالعرض في غير الخبر كالاستفهام والامر
والدعاء نحو قولك ازيد في الدار فان في
ضمنه اخبارا لكونه جاهلا بحال زيد وقولك
لا يؤذيني متضمن بمعنى انه يؤذيك و
قولك واسني بمعنى انك محتاج الى
المواساة تمت

قوله اي محلقا بعضكم يعني ان الواو للجمع ليست لاجتماع الامرين في كل واحد بل لاجتماعهما في مجموع القوم
فان قيل محلقين حال من الداخلين والداخل لا يكون الا محرما والمحرم لا يكون محلقا ولا مقصرا لان كلا واحدا من الحلق
والتقصير يخرج به الانسان عن الاحرام ولا يقارن شيء منهما الاحرام فالجواب انه حال مقدرة فان قيل قوله
لا تخافون معناه غير خائفين وهذا المعنى قد حصل بقوله آمنين فما الفائدة في اعادته فالجواب ان فيه بيان كمال
الامن لان امنهم حال الدخول يحتمل ان يكون لاجل احرامهم او لاجل كونهم في الحرم فان اهل مكة كانوا يجتنبون عن
قتال المحرم ومن هو داخل الحرم وبعد الحلق او التقصير لا يبقى الانسان محرما فقوله لا تخافون بمنزلة ان يقال
يبقى امنكم بعد خروجكم عن الاحرام الا ان هذا الجواب مبني على ان يكون لا تخافون حالا من ضمير محلقين او مقصرين
على التداخل فالظاهر في الجواب ما اشار اليه المص بقوله حال مؤكدة او استيناف **قوله** تعالى فعلم ما لم تعلموا
من الحكمة في تاخير ذلك الموعود الى السنة القابلة وهي انكم لو لم نصالحهم على تاخير الدخول الى السنة
القابلة ودخلتم عليهم في هذه السنة عنوة بالمقاتلة والحراب لوطئتم المؤمنين والمؤمنات بغير علم و
لاصابتكم منهم معرة والفاء في قوله تعالى فعلم عاطفة للجملة التي بعدها على جملة لقد صدق الله رسوله دالة
على ان المذكور بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر من غير ان يكون مضمون ما بعدها واقعا عقيب مضمون
ما قبلها في الزمان كما في قوله تعالى ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وقوله واورثنا الارض
نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين فان ذكر ذم الشيء ومدحه انما يصح بعد جري ذكره فكذا
في هذه الاية فان التعرض لحكمة الشيء انما يصح بعد جري ذكره **قوله** ليستروح اليه اي ليسكن ويطمئن
الى ذلك الفتح قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود وهو دخول المسجد او فتح مكة فكلمة الى في قوله اليصلة
الاستروح وفي قوله الى ان يتيسر الموعود غاية له قال الجوهري استروح اليه اي استنام ثم قال في فصل
النيم استنام اليه اي سكن اليه واطمأن **قوله** ملتبسا به اي بسببه فالباء على الاول متعلق بمحذوف هو
حال من مفعول ارسل وعلى الثاني هي سببية متعلقة بارسل لا بالمحذوف **قوله** ومحمد خبر محذوف اي هو محمد
رسول الله والمبتداء المحذوف الرسول المذكور في قوله هو الذي ارسل رسوله فانه تعالى لما ذكر انه بجلاله
وعلو شانه اختص بارسال رسوله ملتبسا بالهدى ودين الحق لذلك الخطب الجليل والامر الخطير توجه ان
يقال من ذلك الرسول فاجاب عنه على طريق الاستيناف بقوله هو محمد رسول الله ثم ابتداء بقوله والذين معه
اشداء على الكفار تشريفا لهم وكرامة كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين **قوله** تعالى سيماهم مبتداء وفي
وجوههم خبره ويحتمل ان يكون المراد بالعلامة الثابتة في وجوههم ما يظهر عليها يوم القيمة من النور والبياض
كما قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وقال يوم تبيض وجوه فان من توجه نحو الحق الذي هو نور السموات
والارض لا جرم يقع عليه شيء من نوره كمن يحاذي الشمس يقع شعاعها على وجهه ويحتمل ان يكون المراد بها ما
يظهر عليها في الدنيا من اصفرار الوجه في النهار من طول السهر وما بقي على الجباه من تراب الارض لانهم كانوا

يسجدون على التراب لا على الاثواب وكهيئة الخشوع والتواضع اللازمة للصلاة فان من واظب على الصلوة
يبقى عليه اثرها بعد خروجه عنها او كاستنارة الوجوه بالنهار من طول ما صلوا بالليل كما روي من كثر صلاته بالليل
حسن وجهه بالنهار لا ترى ان من سهر بالليل وهو مشغول بالشراب واللعب لا يكون وجهه في النهار كوجه
من سهر وهو مشغول بالطاعة والاخلاص ولما كان السيما العلامة مطلقا وكان المراد بها ههنا العلامة
الخاصة المترتبة على كثرة السجود بينها بقوله من اثر السجود فهو صفة موضحة لا ويجوز ان يكون حالا من
المنوي في الخبر **قوله** اشارة الى الوصف المذكور وكونهم اشداء رحماء ركعا سجدا وكون سيماهم التي هي
اثر السجود ثابتة في وجوههم فقوله ذلك مبتدأ ومثلهم خبره وفي التورية حال من مثلهم والعامل فيها معنى
الاشارة اي ذلك الوصف مثلهم اي وصفهم العجيب الشان في الكتابين التورية والانجيل فانهم وصفوا بذلك
فيهما ثم ابتداء فقال كزرع اي هم كزرع ويحتمل تم الكلام عند قوله في التورية ثم ابتدئ بانه قيل ومثلهم
في الانجيل كزرع فهما مثلان اي وصفان عجيبان لهم ذكره المص بقوله او مبتدأ خبره كزرع فانه معطوف
على قوله عطف عليه فان جعل معطوفا على مثلهم الاول يكون مثلا واحدا في الكتابين ويكون قوله كزرع
مثلا مستانفا غير ما في الكتابين اي هم كزرع وان جعل ذلك اشارة الى الوصف المبهم لا الى الاوصاف
المذكورة فعلى يكون قوله كزرع تفسير الذلك المبهم لا تمثيلا مستانفا ومن كون ذلك للاشارة الى المبهم المفسر
قوله تع وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين **قوله تع** شطأه اي فراخه الفرخ في
الاصل ولد الطائر ويجمع في القلة على افرخ وافراخ وفي الكثرة على فراخ كرجال يقال افرخ الطائر
اذا صار ذا فرخ بان خرج فرخه من البيضة ويقال ايضا افرخ الامر اذا استبان بعد اشتباه و
يقال افرخ الزرع وفرخ اذا انشق وخرج منه فروعه بعد ما نبت اصله فان الزرع اول ما نبت
فهو نبت وما خرج بعده شطؤه فهو اول ما نبت بمنزلة الام وما تفرع وتشعب منه بمنزلة اولاده
وافراخه وعن الاخفش اخرج شطأه اي طرفه ولعله اخذه من شاطئ الوادي بمعنى شطه وجانبه
قوله وهو لغة فيه كالنهر والنهر والجمهور على سكون الطاء **قوله** وقرئ شطاه كعصاه نقلت حركة
الهمزة الى الطاء الساكنة قبلها ثم قلبت الفا على لغة من يقول المراة والكماة **قوله** من الموازرة فيكون وزن
آزر فاعل من الازر وهو القوة **قوله** او من الايزار اي ويحتمل ان يكون آزر على وزن افعل وهو الظاهر
لانه لم يسمع في مضارعه يوازر بل يوزر وفي الصحاح الازر القوة وقوله اشدد به ازري اي ظهري و
آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته انتهى والمنوي في آزر ضمير الزرع اي اعان الزرع الشطأ
وقواه بقرينة ان فاعل اخرج ضمير الزرع الا ان الامام النسفي جعل المنوي في آزر ضمير الشطأ حيث قال
فآزره اي فقوى الشطأ اصل الزرع بالتفافه عليه وتكاثفه وهو صريح في ان الضمير المرفوع للشطأ و
المنصوب للزرع وقيل آزره بمعنى ساواه فيكون الضمير المرفوع للشطأ والمنصوب للزرع اي ساوى الشطأ الزرع

> وضعه على قراءة النافع ذكره في شرح الالفية للعلامة

الزرع

الزرع الذي هو بمنزلة الام فصار الشطء مثل امه وعلى قامته **قوله** فصار من الدقة الى الغلظ يعني ان السين
في استغلظ للتحول كما في استحجر الطين والظاهر ان ضمير استغلظ للزرع اي غلظ ذلك الزرع فاستقام على
قصبه **قوله تع** يعجب الزراع يجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا اي معجبا اي استوى هذا الزرع على سوقه
حال كونه بحيث يعجب زراعه اي بشرهم بقوته وكثافته وطول قامته **قوله** وهو مثل ضربه الله تع لاصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال تع في حق الذين امنوا معه هم كزرع قيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني انهم في بدء الاسلام يكونون قليلا ثم يزدادون
ويكثرون وقيل الزرع محمد صلى الله عليه وسلم والشطء اصحابه والمؤمنون وفي الكشاف وعن عكرمة اخرج
شطأه بابي بكر فآزره بعمر رض فاستغلظ بعثمان رض فاستوى على سوقه بعلي رض وهذا مثل ضربه الله تع لبدء
امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم **قوله** يعجب الزراع علة لتشبيههم بالزرع الموصوف يعني
ان اللام في قوله تع ليغيظ متعلق بمحذوف دل عليه تشبيههم بالزرع الموصوف في نمائهم وتقوي بعضهم ببعض
اي جعلوا كالزرع في النماء والقوة ليغيظ بهم الكفار او هو علة لقوله تع وعد الله الذين امنوا ومتعلق
به اي وعدهم ذلك ليجعل الكفار مغتاظين بسببهم وكلمة من في منهم لتبيين الجنس كما في قوله تع فاجتنبوا
الرجس من الاوثان لا للتبعيض لان ضمير منهم للذين امنوا معه والذين امنوا وعملوا الصالحات ليس بعضا
منهم بل كلهم مؤمنون مطيعون فلا معنى للتبعيض هذا اخر ما يتعلق بسورة الفتح والحمد لله مولي النعم
كلها ومبلغ الامال لاهلها وهذا اوان الشروع في حل ما يتعلق **بسورة الحجرات مستعينا بالله**
قاضي الحاجات وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** او ترك عطف على قوله بحذف المفعول
يعني ان الجمهور قرؤوا لا تقدموا بضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال المكسورة وفيه وجهان احدهما انه
متعد وقصد تعلقه بمفعول ومع ذلك حذف للتعميم اي ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يمكن تقديمه من
قول او فعل مثلا اذا جرت مسئلة في مجلسه عليه الصلوة والسلام لا يسبقونه بالجواب واذا حضر الطعام لا
يبتدؤون بالاكل واذا ذهبوا معه عليه الصلوة والسلام الى موضع لا يمشون امامه الا لمصلحة دعت اليه
ونحو ذلك مما يمكن فيه التقديم وثانيهما انه وان كان متعديا في الاصل الا انه نزل ههنا منزلة اللازم ولم
يقصد تعلقه بمفعول بل ترك مفعوله راسا فقوله تع لا تقدموا بهذا المعنى لا يكون في معنى لا تتقدموا
بل هو نهي عن التقديم مع قطع النظر الى ان المقدم ما هو كما لا يكون يعطي في قولك فلان يعطي ويمنع بمعنى
المعطي بل هو بمعنى الاعطاء مع قطع النظر عن تعلقه بالمعطى اي يفعل فعل الاعطاء فكذا معنى الاية لا تفعلوا
فعل التقديم راسا اي بالكلية **قوله** ولا تتقدموا اي ويحتمل ان يكون التقديم لازما بمعنى التقدم فانه يقال قدم
بين يديه بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منهم ومنه وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين
نهي عن التقدم لان التقدم بين يدي المرء خروج عن صفة المتابعة واستقلال في الامر فيكون التقدم

> قوله يعجب اعجب الناس سيما اشارة
> الى ان الزرع عبارة عن النبي عم و
> جعله صاحب الكتب عبارة عن الانبياء
> حيث قال تتبع اعجاب النبي عم باصحابه
> وتوافقهم على الطاعة ونظرا بهم
> على نصرة الدين بحيث تتبع الانبياء
> منهم يوم القيمة لما يرون من
> فضلهم على كل الامم فالزراع عبارة
> للانبياء انتهى منه

> صح لا تقدموا بتقديم الاصاغر على الاكابر
> الا في تقدمة مواضع اذا اسروا السبلا
> ورأوا اخيلا او دخلوا سبلا مثله
> سائلا الرحمن

بين يدي الله ورسوله منافيا للايمان واشار المص الى هذا الاحتمال بقوله اولا تتقدموا وايده بقراءة
من قرأ لا تقدموا بالفتحات الثلث المتوالية وتشديد الدال اصله لا تتقدموا فحذف احدى التائين
كراهة اجتماع المثلين في اول الكلمة وقرئ لا تقدموا بفتح التاء والدال وسكون القاف من قدم من
سفره يقدم قدوما من باب علم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما **قوله**
مستعار مما بين الجهتين المسامتتين اي الكائنتين في سمت يدي الانسان يريد انه استعارة مترتبة
على المجاز المرسل ووجه المجاز فيه انه عبر عن الجهتين باليدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما
توسعا كما سمي الشيء باسم ما جاوره ودانا بذلك فان جهة اليمين واقعة على سمت اليد اليمنى وجهة
الشمال على سمت اليد اليسرى فالتعبير عنهما باليدين من قبيل تسمية الشيء باسم مدانيه ومجاوره فاذا كان
لفظ اليدين بمعنى الجهتين كان بين اليدين بمعنى بين الجهتين والجهة التي بينهما هي جهة الامام فعبر به عن جهة
امامه واذا قيل بين يدي الله امتنع ان يراد به الجهة والمكان فيكون استعارة تمثيلية شبه ما وقع
من بعض الصحابة من القطع في امر من امور الدين قبل ان يحكم به الله تعالى ورسوله بحال من يتقدم في المشي
في الطريق مثلا لوقاحته على من يجب ان يتأخر عنه ويقفوا اثره تعظيما له فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به
عن المشبه به والمقصود من الاستعارة تهجين الحالة المشبهة فان الحالة المشبهة بها لما كانت قبيحة
مستهجنة في العادة ومنافية لمقتضى التعظيم والمتابعة كان ما شبه بها مستهجنا ايضا وهذا التهجين
هو النكتة في الاستعارة المذكورة فمعنى الآية لا تقطعوا امرا الا بعد ان يحكما به ويأذنا فيه فتكونوا اما
عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين بالنبي المرسل عليه الصلوة والسلام قال مجاهد والحسن نزلت
الآية في النهي عن الذبح يوم الاضحى قبل الصلوة كانه قيل لا تذبحوا قبل ان يذبح النبي عليه الصلوة والسلام
وذلك ان ناسا ذبحوا قبل صلوة النبي عليه الصلوة والسلام فامرهم ان يعيدوا الذبح وهو مذهبنا الى ان تزول
الشمس وعند الشافعي رح يجوز اذا مضى من الوقت ما يسع الصلوة عن البراء رض قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر قال ان اول ما نبدأ به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد
اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان نصلي فانما هو لحم عجله لاهله ليس من النسك في شيء وعن عائشة رض
انها نزلت في النهي عن صوم يوم الشك اي لا تصوموا قبل ان يصوم نبيكم قال مسروق كنا عند عائشة
رض يوم الشك فاتي بلبن فناولتني فقلت اني صائم فقالت عائشة رض قد نهي عن هذا ونزلت
هذه الآية وقالت هذه في الصوم وغيره وقيل هي عامة في كل قول وفعل وهو الظاهر ارشد الله الامة
الى ان يتأدبوا باتباع الشارع في كل ما عن لهم من قول وفعل وايجاب وسلب ثم نهاهم وزجرهم عما ير
تكبه بعض القاصرين من رفع اصواتهم وندائهم اياه من وراء الحجرات وتركهم التصبر الى ان يخرج
اليهم لان من حصه الله تعالى بالمنزلة الرفيعة والكرامة العالية يجب ان يتهيب عنه ويخفض بين

اي تعلموا امر بهما
نهيهما مثله

ونظيره قوله تعالى في حق الملائكة لا
يسبقونه بالقول اصله لا يسبق قولهم
قوله فنسب السبق اليهم وجعل القول
محله تنبيها على استهجان السبق
المعرض به للقائلين على الله تعالى
ما لم يقله طيبي

بين يديه الصوت ولا يجترأ على منادته عند اختياره الاستراحة والدعة وابائه الى الخروج اليهم
استحياء **قوله** وذكر الله تعظيم له حيث جعل ذكر اسمه تعالى توطئة وتمهيدا لذكر اسمه عليه الصلوة والسلام
ليدل على قوة اختصاصه عليه الصلوة والسلام برب العزة وقرب منزلته عن حضرته تعالى فان ايقاع ذكره
تعالى موقع ذكره عليه الصلوة والسلام بطريق العطف عليه تفسيرا للمراد يدل عليها لا محالة كما يقال اعجبني زيد
وكرمه في موضع ان يقال اعجبني كرم زيد للدلالة على قوة اختصاص الكرم به ويؤيد هذا القول ان مساق
هذه الآية وما بعدها ارشاد الامة وتعليمهم ما يجب عليهم من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه
والتهيب منه والاحتراز عما ينافي ذلك كالقطع بالامر قبل ان يحكم به ورفع الصوت بحضرته وندائهم اياه من
وراء الحجرات ونحو ذلك وانه تعالى اكد النهي عن التقديم بقوله واتقوا الله فانه تصريح بان من قدم بين يدي
رسول الله يستحق عقابه تعالى فلولا قوة اختصاصه بحضرته تعالى لما كان الامر كذلك **قوله** ولا تبلغوا به الجهر
الدائر بينكم لما كان رفع الصوت والجهر بالقول مؤداهما واحدا توهم ان النهي الثاني كالتكرير للاول اشار الى
الفرق بينهما بان معنى النهي الاول انه عليه الصلوة والسلام اذا نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم فوق
الحد الذي يبلغ اليه صوته عليه الصلوة والسلام وان تغضوا من اصواتكم بحيث يكون صوته عليه الصلوة و
السلام عاليا على اصواتكم ومعنى الثاني انكم اذا كلمتموه وهو عليه الصلوة والسلام ساكت فلا تبلغوا بالجهر في
القول الجهر الدائر بينكم بل لينوا القول لينا يقارب الهمس الذي يضاد الجهر وهذا الفرق خلاصة ما في الكشاف
والمص فرق بينهما بان مدلول النهي الاول حرمة رفع الصوت فوق صوته عليه الصلوة والسلام ومدلول الثاني
حرمة ان يكون كلامه معه عليه الصلوة والسلام في صفة الجهر كالكلام الجاري بينهم ووجوب كون اصواتهم اخفض
من صوته عليه الصلوة والسلام بعد كونها ليست بارفع من صوته عليه والسلام وهذا المعنى لا يستفاد من النهي
الاول فلا تكرار والترجيب بالجيم المنقوطة التعظيم يقال رجبته بكسر الجيم اي هبته وعظمته فهو مرجوب اي
معظم ومنه سمي رجب لانهم كانوا يعظمونه في الجاهلية ولا يستحلون فيه القتال وانما قيل له رجب مضر لانهم
كانوا اشد تعظيما له **قوله** وتكرير النداء لاستدعاء مزيد الاستبصار فان النداء تنبيه للمنادى واستدعاء
منه ان يستبصر اي يتحول من الغفلة الى التبصر حتى يقبل على استماع الكلام وفيه فيكون تكريره استدعاء لمزيد
الاستبصار ومبالغة في التنبه والايقاظ واشعارا بان كل واحد من الكلامين مقصود على حدة يقتضي اقبال
المخاطب على استماعه فانه اذا كان مؤداهما واحدا كما في قولك يا زيد لا تنطق بالباطل ولا تتكلم الا بالحق لا
يحسن تخلل النداء بينهما كما يحسن عند اختلاف المطلوب منهما **قوله** فتكون علة للنهي اي على طريق
التنازع فان كل واحد من قوله لا ترفعوا ولا تجهروا يطلبه من حيث المعنى فيكون معمولا للثاني عند البصريين
وللاول عند الكوفيين كانه قيل انتهوا لما نهيتم لخشية حبوط اعمالكم وكراهته بحذف المضاف ولام التعليل **قوله**
على ان النهي عن الفعل المعلل باعتبار التأدية والفرق بين الوجهين ان المعلل هو النهي في الاول والفعل المنهي

في الثاني كانه قيل انتهوا عن الفعل الذي تفعلونه لاجل حبوط اعمالكم واللام فيه لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فانهم لم يقصدوا بما فعلوه من رفع الصوت و الجهر حبوط اعمالهم الا انه لما كانت بحيث قد تؤدي الى الكفر المحبط جعل كانه فعل لاجله فادخل عليه لام العلة تشبيها للمؤدي الى الفعل بالعلة الغائية **قوله** وكان جهوريا اي جهير الصوت يقال جهر بالقول اي رفع صوته وجهور مثله وهو رجل جهوري الصوت اي جهير الصوت قيل ان ثابت بن قيس مات بحرجت فيل استشهد يوم مسيلمة الكذاب وعليه درع فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهو في ناحية من العسكر وعنده فرس يستن في طوله وقد وضع على درعي برمة فأت خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وأت ابا بكر رضي خليفة رسول الله وقل له ان علي دينا حتى يقضي ديني وفلان من رقيقي حر فاخبر الرجل خالدا فوجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر رضي بتلك الرؤيا فاجاز ابو بكر رضي وصيته قال مالك بن انس رضي لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة وابن عباس رضي لما نزلت هذه الآية كان ابو بكر رضي لا يكلم رسول الله الا كاخي السرار وقال ابن الزبير رضي لما نزلت هذه الآية ما حدث عمر رضي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بعد نزول قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فسمع النبي كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم الآية **قوله** جربها للتقوى يشعر بان الامتحان ههنا مستعمل في اصل معناه وهو التجربة ومن المعلوم انه لا يجوز ارادة ذلك المعنى ههنا بل المراد بامتحان القلوب تقويتها للتقوى وتمرينها عليها وجعلها صفة راسخة بها بطريق اطلاق الملزوم وارادة اللازم فان امتحان الشيء للعمل يستلزم ان يتكرر صدور ذلك العمل منه مرة بعد اخرى وذلك يستلزم تمرنه اما اعتياده واستمراره عليه والمتمرن المتعود على الشيء يكون قويا فيه فالمجرب للتقوى يكون قويا فيها متعودا عليها فقوله تعالى امتحن الله قلوبهم للتقوى معناه قوى قلوبهم لها ومرنها عليها وفي الصحاح مرن الشيء يمرن مرونا اذا لان ومرن على الشيء يمرن مرونا ومرانة تعوده واستمر عليه ومرنت يده على العمل اذا صلبت والتمرين التليين الا ان المص فسره بقوله جربها للتقوى ولم يقل عودها فلوبهم التقوى وقواها لها ومرنها عليها للاشارة الى ان اللام في قوله للتقوى صلة قوله امتحن باعتبار اصل معناه لا لكون امتحن مستعملا في اصل معناه واشار اليه بعطف قوله ومرنها على قوله جربها للتقوى تفسير للمراد منه **قوله** او عرفها اي ويحتمل ان يكون مجازا عن المعرفة على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب لان الامتحان سبب للمعرفة فعلى هذا الاحتمال يكون اللام صلة لمحذوف هو حال من مفعول امتحن اي امتحنها وعرفها كائنة للتقوى كما في قوله انت لها احمد من بين البشر اي انت كائن لها **قوله** او ضرب الله تعالى قلوبهم بانواع المحن فيكون الامتحان على اصل معناه

وهو

فائدة في الغايع كاخي السرار اي كلاما مثل المسارة وشبهها لخفض صوته والكاف في محل النصب صفة مصدر محذوف والضمير في لا يكلمه والاستعمال صفة يرجع الى الكاف والسرار ... بقوله كاخي السرار ثم كلامه طيبي

ان يكون اللام للتعليل والمعنى ... الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى واثبات العلم بها كانها ... العلم ... الايام ... الله الذين آمنوا ... حال وليعلمهم على ... ومن عقبه ... لهم مغفرة الخ ط

في ... معنى ... امتحن الله ... وتشعه وبه فسر قوله ... تقويهم ... سعدي

وهو اختبار بالمحن والشدائد فيكون اللام حينئذ للتعليل والمعنى امتحنها بالشدائد لاجل التقوى اي لاجل ظهورها **قوله** او اخلصها للتقوى فيكون امتحن الله قلوبهم استعارة تمثيلية من امتحن الذهب بان شبه تصفية القلوب عما سوى التقوى وجعلها خالصة لها بامتحان الذهب الابريز وتخليصه عن الخبث باذابته بالنار فاطلق عليها اسم الامتحان **قوله** بجملة مؤلفة من معرفتين وهي قوله اولئك الذين فان اولئك مبتدأ و الموصول بصلته خبره ومثل هذا التركيب يفيد الحصر كما في زيد المنطلق ففيه تعريض بان حال الذين لم يغضوا اصواتهم على خلاف حال هؤلاء الغاضين وكون المبتدأ اسم اشارة يفيد ان المشار اليه جدير بما يرد بعده من الحكم لاجل اتصافه بما ذكر قبله من مضمون الصلة وهو التأدب في حضرة الرسالة بتخفيض الصوت وكون الصلة دالة على بلوغهم اقصى الكمالات لان المقام مقام المدح والتعظيم كانه قيل هم الذين شرفهم الله تعالى بامتحان القلوب وتمرينها على التقوى مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له حيث جعل ذلك سببا لاختصاص المشار اليهم بما بعده اولئك من كون التقوى صفة راسخة لقلوبهم او كون قلوبهم خالصة للتقوى طاهرة عما ينافيها من الرذائل **قوله** من خارجها خلفها او قدامها لان وراء الحجرة عبارة عن الجهة التي يوارى بها شخص الحجرة بجملتها من اي ناحية كانت من نواحيها ولابد ان يكون تلك الجهة خارج الحجرة لان ما في داخلها من الجهة لا يتوارى عمن فيها بجملة الحجرة **قوله** وفائدتها الدلالة على ان المنادي دا خل الحجرة وجه دلالة من الابتدائية على ذلك ان الوراء بالمعنى المذكور مكان مبهم نسبة لكل جزء من اجزاء المسافة التي كانت خارج الحجرة فاذا دخلت عليه من الابتدائية كانت تلك الجهة المبهمة على اجزائها مبدأ النداء والمبدأ لابد له من المنتهى ولابد ان يكون المنتهى غير المكان الذي ابتداء منه النداء وذلك لا يكون الا بان يكون المنتهى داخل الحجرة لان النداء لما ابتدأ من الجهة المسماة بالوراء وقد تقرر انها خارج الحجرة وانها مبهمة صح ان يكون كل جزء من اجزائها مبدأ النداء فلو فرض ان يكون المنادي خارج الحجرة لكانت تلك الجهة منتهى النداء ايضا وهو غير جائز لاستلزامه ان يكون الجهة الواحدة مبدأ ومنتهى ولو قيل ينادونك وراء الحجرات بدون كلمة من لما دل عليه اي على كون المنادي داخل الحجرات لانه انما استفيد من جعل خارج الحجرة مبتدأ النداء واذا خلي الكلام عن كلمة من لا يكون فيه دلالة على الابتداء والانتهاء فلا يفيد هو المقصود منه فان المقصود انكار انهم نادوه من الخارج وهو عليه الصلوة والسلام في الحجرة وانكار هذه الصورة بخصوصها موقوف على اشتمال الكلام على من الابتدائية **قوله** او بانهم تفرقوا الخ ويجوز ان يكون الواحد منهم تولى لندائه عليه الصلوة والسلام من وراء كل حجرة منها ورضي الباقون به فصار كانهم نادوا جميعا من ورائها وقرأ الجمهور الحجرات بضمتين وهي جمع حجرة بمعنى محجورة كقبضة بمعنى مقبوضة وهي الموضع الذي يحجره الانسان لنفسه ويمنع غيره من ان يشاركه فيه من الحجر وهو المنع والحظيرة قطعة محجورة من الارض تعمل للابل من شجر لتقيها الحر والبرد والريح **قوله** او لوث

بان شبه خلوص قلوبهم عن شوائب الكدورات اللازمة للنفس تبعة نزو ... المجاهدات الشهوانية بعد طول المجاهدات ... بخلوص الذهب الابريز الذي عرض على النار ونفي عنه الخبث ... محشي

و غرفة بمعنى مغروفة وهي النطفة و غرفة بالبدل من الاء ... المغرفة ... الماء ... بالضم ... والغرفة بالفتح ... لانك مالم تغرفه لا تسميه غرفة ... محشي

الفرق بين حتى والى

صبر بهم لما كانت كلمة لو حرف شرط وجب ان يليها الفعل ظاهرا او مقدرا فلذلك جعل قوله انهم صبروا في محل
الرفع على انه فاعل فعل مقدر واوله بالمفرد وجعل اسم كان ضميرا راجعا الى هذا المفرد وجعل دلالة كلمة
ان على الثبوت دليلا على تعيين ثبت لكونه مقدرا من بين الافعال ثم اشار الى الفرق بين ان يقال حتى تخرج اليهم
والى ان تخرج اليهم بان حتى انما تدل على ما هو غاية في نفس الامر مع قطع النظر عن الجعل والاعتبار بخلاف
الى فانها عامة في كل نهاية سواء كانت جعلية او في نفس الامر فالمغيا بحتى لا يجوز ان تكون له غاية اخرى غير مدخوله
لان ما هو غاية في نفس الامر لا يكون متعددا بخلاف المغيا بالى لجواز تعدد ما يبتني على الجعل **قوله** اذ روي انهم
وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر عن ابن عباس رض قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى حي بني
العنبر وامر عليهم عيينة بن حصين رض فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة و
قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت الظهيرة ووافوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم يبكون وكان لكل امراة
من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت وحجرة فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من
نومه فخرج عليه الصلوة والسلام اليهم فقالوا يا محمد فادنا عيالنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله يأ
مرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة
بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا احكم بينكم وعمي شاهد وهو اعور بن بشامة بن ضرار فرضوا
به فقال الاعور فانا ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال عليه الصلوة والسلام قد رضيت ففادى
نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات **قوله** مصدقا حال مقدرة
من الوليد اي بعثه اخذا للصدقة وهي الزكوة فان المصدق كما يطلق على من يصدقك في حديثك يطلق ايضا
على من ياخذ صدقات السوائم وفي الصحاح المصدق الذي يصدقك في حديثك والذي ياخذ صدقات النعم والمصدق
الذي يعطي الصدقة وقوله تعالى ان المصدقين والمصدقات اصله المتصدقين والمتصدقات فقلبت التاء
صادا وادغمت والاحنة الحقد والبغض الكامن **قوله** وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد رض اي بعثه اليهم بعد
رجوع الوليد بن عقبة عنهم في عسكر وقال له اخف عنهم قدومك اليهم بالعسكر وادخل عليهم ليلا متجسسا
هل ترى شعائر الاسلام وادابه فان رايت منهم ذلك فخذ منهم زكوة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم
ما يفعل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم وقت المغرب فسمع منهم اذان صلوة المغرب والعشاء ووجدهم متهجدين
باذلين وسعهم ومجهودهم في امتثال امر الله تعالى فاخذ منهم صدقاتهم وانصرف الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبره الخبر فنزلت **قوله** وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم في الفاسق والانباء كانه قيل ان جاءكم
فاسق اي فاسق كان بنبأ اي نبأ كان فتوقفوا فيه ولا تعتمدوا على قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس
الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع منه اخرج الكلام بلفظ الشرط المحتمل الوقوع لندرة مثله فيما بين

وقع في بعض النسخ حصن بكسر الحاء وسكون الصاد وهو تصحيف

قوله والاسفاف عطف على قوله حفظ الادب والاسفاف بالحاجة قضاؤها فانهم لو صبروا لخرج اليهم لاطلق جميع الاسارى بلا فداء منه

مجتهدين خ

بين اصحابه عليه الصلوة والسلام **قوله** وفي تعليق الامر بالتبين على فسق المخبر استدلال في خروج
بهذا التعليق على ان خبر الواحد العدل وشهادته مقبولة فانه تعالى لما علق الامر بالتوقف على كون المخبر فاسقا
علم انه لا توقف في خبر العدل لان خبر العدل لو لم يكن مقبولا لما بقي لترتيب الحكم على فسق المخبر فائدة وهذا من
باب التمسك بمفهوم المخالفة واستدل به ايضا على ان شهادة الفاسق لا تقبل بناء على انه تعالى اوجب التبين
والتوقف فيما اخبر به الى ان تتبين حقيقة الحال والحكم كذلك قبل اخباره فلم يفد اخباره شيئا ونحن نستدل
على قبول شهادته فانه تعالى امر بالتاني في قبول شهادته لا بردها وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو التاني والتثبت
الى ان تتبين الحال وترك التسارع **قوله** كراهة اصابتكم فانه مفعول له بتقدير المضاف عند البصريين
وتقديره عند الكوفيين لئلا تصيبوا **قوله** بجهالة حال من الضمير في ان تصيبوا **قوله** فتصبحوا عطف على قوله ان
تصيبوا ومعناه فتصيروا فان اصبح يستعمل على ثلثة اوجه احدها ان يعني دخول الانسان في الصباح والثاني
بمعنى كان الامر وقت الصباح كما يقال اصبح المريض اليوم خيرا مما كان يريد به كونه في وقت الصبح على حالة هي
خير مما كان قبل والثالث بمعنى صار تقول اصبح زيد غنيا اي صار غنيا من غير ارادة وقت دون وقت وهذا
المعنى هو المراد منه في هذه الاية وكذلك امسى واضحى وفي الاية دلالة على ان الجاهل لا بد وان يصير نادما على ما
فعله بعد زمان والندم هم دائم على ما وقع منكر مع تمني انه لم يقع وتركيب حروفه لا يعرى عن افادة معنى
الدوام يقال ادمن الامر اي ادامه ومدن بالمكان اي اقام به ومنه المدينة ولزومه قد يكون لقوته من
اول الامر وقد يكون لعدم غيبته موجبه وسببه عن الخاطر وقد يكون لكثرة تذكره ولغير ذلك من الا...
قوله من احد ضميري فيكم الاول مرفوع مستتر فيه انتقل اليه من عامله المحذوف لان التقدير كائن فيكم او مستقر
والثاني مجرور بارز وتقدير الكلام على ان يكون حالا من الضمير المرفوع انه عليه الصلوة والسلام كائن فيكم على حالة
يجب تغييرها وهي انكم تريدون منه ان يطيعكم ويتبع رايكم ويفعل ما تستصوبونه وتقديره على ان يكون حالا
من الضمير المجرور انه عليه الصلوة والسلام كائن فيكم وانتم على حالة يجب عليكم ان تغيروها وهي ما ذكر و
يجب تغيير تلك الحالة التي انتم عليها او هو عليه الصلوة والسلام عليها لانه لو فعل ما اردتم منه لعنتم اي لوقعتم
في شدة وهلاك او اثم **قوله** ولو جعلا استينافا لم يظهر للامر فائدة اي لو لم يعتبر تقييد قوله تعالى واعلموا ان
فيكم رسول الله بما بعده لم يكن لذكره معطوفا على قوله فتبينوا فائدة فان الجملة الشرطية التي عطف عليها قوله
واعلموا مسوقة للتقريع من تسارع الى قبول قول الوليد واشار اليه عليه الصلوة بان يوقع ببني المصطلق
فلا بد ان تكون الجملة التي عطفت عليها بحيث يكون لها مدخل في التقريع المذكور وذلك انما يكون بان يكون ما بعد
ها حالا من احد الضميرين فانه لو كان جملة مستانفة ولم يكن قيدا لما قبلها لم يكن فائدة اذ لا يكون له مدخل
في افادة التقريع وفيه بحث لانا لا نسلم انه على تقدير ان يكون قوله لو يطيعكم الخ كلاما مستانفا لا يكون للامر فائدة
لجواز ان يكون توبيخا لهم وتنزيلا لهم منزلة من لا يعلم انه عليه الصلوة والسلام بين اظهرهم او منزلة من لا يعلم

روي عن المصنف انه [illegible] تحقيق قوله وهي انه كلما تجدد الندم [illegible] يجب عليه [illegible] بكيفيه الندم مرة فقط [illegible] كلما تذكره اشارة الى انه يجب عليه ان يندم بان لفظ الندم ينبئ عن [illegible] فينبغي ان يكون ملازما للندم كلما تذكر طـ

انه رسول الله حيث قصد تعظيمه واراد ان يتبع رايه الصائب لا رايه الفاسد وطاعته عليه الصلوة
والسلام فيما استصوبه من تصديق الوليد والايقاع ببني المصطلق وكون قوله تعالى لو يطيعكم استينافا لبيان
فساد ما ارادوه من طاعته عليه الصلوة والسلام قوله استدراك ببيان عذرهم اي عذر من اعتمد على كلام الفا
سق واشار الى الايقاع ببني المصطلق وهذا على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الا[يمان]
هم المخاطبون بقوله لو يطيعكم ومعنى الاستدراك دفع توهم ان يكون الحامل على تصديقهم الوليد وعلى الاقدام
على الايقاع ببني المصطلق هو محبة الظلم والافساد في الارض بغير حق ببيان انه انما نشأ من محبة الايما[ن]
وكراهة الكفر قوله وبصفة من لم يفعل ذلك منهم عطف على عذرهم اي او هو استدراك ببيان صفته وهذا
على تقدير ان يكون المخاطبون بقوله لو يطيعكم من اعتمد على نبا الفاسق ومال الى العمل بمقتضاه ويكون المخا
طبون بقوله حبب اليكم الايمان الكاملون الذين لا يعتمدون على كل ما سمعوه من الاخبار سيق الكلام لنفي
مدحالهم في مقابلة من ذمهم باخطائهم بكل ما سمعوه فكما ان الاولين وبخوا بما فعلوه مدح المتبصرون
بما فعلوا ايضا وتحبيب الايمان فعل الله تعالى والشخص لا يحمد بما يفعله من فعل غيره فينبغي ان يراد به ما هو فعلهم
وهو ايثارهم الايمان والطاعة على الكفر والعصيان ليصلح باعثا لان يثنى عليهم بذلك كانه قيل ولكن حالكم
تخالف حالهم فلذلك وقيكم الله تعالى عن الوقوع في العنت وعلى التقديرين صح الاستدراك بلكن فان احدى
الجملتين اذا عطفت احديهما على الاخرى يجب ان يكون بينهما مغايرة بالنفي والاثبات وهي ههنا و
ان لم يتغايرا لفظا فقد تغايرتا معنى يقال بغض الرجل بضم الغين اي صار بغيضا وبغضه الله تعالى الى الناس
تبغيضا فابغضوه اي مقتوه فهو مبغض وبغيض فان قيل لم اختير لفظ المضارع على الماضي في قوله تعالى لو
كما ان لو للمستقبل
يطيعكم مع ان لو للماضي سواء دخلت على الماضي او المستقبل على انهما دخلت اجيب بانه لم يقل لو اطاعكم
للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله عليه الصلوة والسلام على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم
راي في امر كان معمولا عليه كما يقال فلان يقري الضيف ويحمي الحريم ويراد انه دربة له وهو مستمر عليه فكلمة
لو ههنا تفيد امتناع الاستمرار لان وقوعهم في الهلاك او الاثم انما يلزم من استمراره عليه الصلوة والسلام
على اطاعتهم فيما يعن لهم ويستصوبونه لان فيه انقلاب الرئيس مرؤوسا لاسيما اذا كان الرئيس في منصب
لا يليق به ان يقطع الامر ويحكم فيه الا اتباعا لما نزل عليه من الوحي النازل واستمراره على اتباع راي اهل الهوى
ايثار الطريق الضلال على طريق الهدى فلا جرم يكون مؤداه الهلاك واما طاعته اياهم في بعض ما يرونه
فقد رخص الله تعالى له ذلك بل امره استمالة لقلوبهم وتعليما لهم طريق الاجتهاد فلذلك قال وشاورهم في الامر وجعل
الممتنع طاعته لهم في الكثير لا في الكل قوله والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود وهو الانكار مع العلم واجل نعمه تعالى
ما يتوصل به الى الايمان والطاعة والثواب لدلائل الوحدانية والنبوة والعقل والتمييز والقوى والاعضاء
وسائر الاسباب المعينة للطاعة والكافر على الاطلاق من اهمل ما يتوصل به الى الايمان بالوحدانية والنبوة
و

والكافر بسائر النعم من ترك شكرها ولم يصرفها الى ما خلقت له والقصد العدل وهو ضد الجور واصل الجور ان
يظلم المرء نفسه بان يتعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فلذلك فسر الفسوق بالخروج
عن القصد اي عن ان يعدل نفسه والعصيان بمعنى الامتناع عن الانقياد شامل لجميع الذنوب والفسوق
مختص بالكبائر قوله لا الراشدين لانعدام شرط انتصاب المفعول له وهو ان يتحد الفاعل للعلة والمعلول
لان الرشد فعل القوم والفضل والانعام فعل الله تعالى ولما ورد ان يقال الراشدون كان صفة قائمة بالقوم
الا انه مسبب من فعله تعالى وهو التحبيب والتكريه فانه تعالى لو لم يحبب اليهم الايمان ويكره اليهم الكفر والعصيان
لما رشدوا فصار الرشد بهذا الاعتبار كانه فعل الله تعالى كالفضل والانعام فجاز كونه تعليلا للراشدون
لتحقق شرط انتصاب المفعول له منه اشار الى جوابه بقوله والرشد وان كان مسببا عن فعله تعالى الخ وتقريره
ان المراد بالفاعل من قام به الفعل واسند هو اليه لا من اوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل
والانعام قائمان به تعالى فلا اتحاد قوله او مصدر عطف على قوله تعليلا وشرط المفعول المطلق ان يتحد
مع ناصبه في المعنى والفضل يتحد من حيث المعنى مع التحبيب والتكريه والرشد فجاز كونه مفعولا مطلقا
لكل واحد منهما من حيث ان كل واحد منهما فضل وانعام قوله والجمع باعتبار المعنى جواب عما يقال الظاهر ان يقال
اقتتلتا على لفظ تثنية المؤنثة الغائبة لكون الفعل مسندا الى ضمير الطائفتين فلم قيل اقتتلوا على لفظ جمع
المذكر الغائب وتقرير الجواب ان كل طائفة جمع فيكون الطائفتان جماعتين الا انهما كونا في حال الاقتتال
في حكم جماعة واحدة لان نسبة التقاتل يجمعهما ويمنع امتياز كل واحد منهما عن الآخر فصار بمنزلة القوم
والناس فناسب بذلك ان يجمع الفعل المسند اليهما فلذلك قيل اقتتلوا وثني ضمير بينهما مع كونه عبارة عما
عبر عنهم بضمير اقتتلوا لان كل واحد من الطائفتين ينفرد عن الآخر حال الصلح ويظهر اثنينيتهما فلذلك
ثني ضميرهما عند تعلق الصلح بهما واتصال الآية بما قبلها انه تعالى لما حذر المؤمنين عن البناء على النبا الصادر
من الفاسق بين الحكم على تقدير ان يتفق ذلك ولزم منه اقتتال طائفتين من المؤمنين كانه قيل اذا وقع
بينكم تنازع بناء على قول الفاسق وادى ذلك الى التقاتل فعلى الامام ومن يقوم مقامه من الحكام ان يصلح
بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الشرع والعمل بمقتضى اخوة الاسلام وبان يذكر لهما قوله تعالى ان الله يأمر
بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فان قبلا نصحه ورجعا من الخلاف
الى الوفاق فيها والا فعليه ان يمنع الباغي منهما عن ذلك باي طريق امكن فان لم يمتنع واصر على بغيه واقدم
على القتال فعلى الامام ان يقاتله الى ان يرجع الى حكم الشرع واتباع الحق قال تعالى وان طائفتان من المؤمنين
ولم يقل منكم مع ان الخطاب مع المؤمنين لسبق قوله يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا تقبيحا
لفعلهم لان صفة الايمان من حقها ان يمنع مثل هذا العدوان ويقتضي العدل والاحسان وطائفتان مرفوع
على انه فاعل فعل محذوف وجوبا لكونه مفسرا بفعل مذكور بعده وهو قوله اقتتلوا فلو ذكر الفعل الرافع للزم

المظلمة بكسر اللام مصدر بمعنى الظلم وبفتحها اسم لما اخذه الظالم منك وتطلبه منه منه

المنعة اما مصدر كالانفة والعظمة او جمع مانع بمعنى العشاير منه

اجتماع المفسِّر والمفسَّر وهو غير جائز ونظيره قوله وان احد من المشركين استجارك وانما قلنا انه فاعل
فعل محذوف ولم نقل انه مبتداء وما بعده خبره لان كلمة ان حرف الشرط فيجب ان يدخل الفعل لفظا او تقديرا
قوله الى حكمه او ما امر به يعني ان الامر مصدر امر به اي حكم فاما ان يكون على اصل معناه او يكون بمعنى المأمور
به وهو الاطاعة المدلول عليها بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم والباغي في الشرع هو
الخارج على الامام العدل فان اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل
ونصبوا اماما فالحكم فيهم ان يبعث الامام اليهم ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم و
ان لم يذكروا مظلمة واصروا على بغيهم قاتلهم الامام حتى يتوبوا عن بغيهم ويفيئوا الى طاعته ثم الحكم في
قتالهم ان لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم ولا يجهز على جريحهم ولا يقسم فيئهم واجهاز الجريح اتمام القتل
عليه والمسارعة الى قتله قبل ان يموت بسبب ما فيه من الجراحة وبعد ربطه وما اتلفته احدى الطائفتين على
الاخرى قبل ان تجمعوا او تجندوا او حين ما تفرقوا او وضعوا من المقاتلة فهو مضمون على من اتلفه بالاتفاق
وما اتلفته حال القتال اي بعد التجند وقبل التفرق فان كانت الطائفة الباغية قليلة العدد بحيث لا منعة
لها ولا قوة ضمنوا ما اتلفوه بعد ان فاؤا بالاتفاق ايضا وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة ثم سكنت الحرب
فلا يجب عليهم ضمان ما اتلفوه حال القتال الا عند محمد بن الحسن فانه يوجب الضمان مطلقا ونظم الاية بظاهره
يؤيد مذهبه فان قوله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل يدل على لزوم الضمان مطلقا اذا فاءت الطائفة عن
البغي قليلة كانت او كثيرة فان المراد بالاصلاح الواقع بعد فيء اهل البغي وارتفاع المقاتلة ان يحكم الحكام حكما
ملتبسا بالعدل فيما وجب على كل واحد من الطائفتين من ضمان على ما اتلفوه حال المقاتلة حتى لا يؤدي ذلك
الى ثوران الفتنة بينهما مرة اخرى ومن لا يوجب عليهم الضمان يحمل الاية على كون الفئة قليلة العدد
والاصلاح المذكور في اول الاية بمعنى اصلاح ذات البين او الحالة الواقعة بينهما من العداوة وما يؤدي اليه
من المحاربة الى ان تتصالحا وتتوافقا وتراجعا الى ما تقتضيه الاخوة الاسلامية قوله بعد نسخ الشمس اي
ازالتها اياه يقال نسخت الشمس الظل اي ازالته فان الشمس كلما ازدادت ارتفاعا ازداد الظل انتقاصا حتى زوالا
ذلك الى تواري الشمس خط نصف النهار فاذا زالت عنه واخذت في الانحطاط اخذ الظل في الرجوع والظهور
فلما كان الزوال سببا لرجوع ما انتسخ من الظل اضيف الظل الى الزوال فقيل فيء الزوال قوله والفيئة عطف
على الظل واطلاق الفيء على كل واحد منهما من قبيل التوصيف بالمصدر كما في رجل عدل قوله لانه مظنة
الحيف من حيث انه بعد المقاتلة من حيث ان الشرطية القائلة فان فاءت فاصلحوا معطوفة على الشرطية
القائلة فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا بفاء التعقيب كما ان هذه الشرطية معطوفة على الشرطية
الاولى وهي قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فيكون مضمون الشرطية الاخيرة واقعا بعد مقاتلة
الحكام معهم كما ان مضمون الشرطية الثانية واقع بعد اقتتال الطائفتين فالحكام مأمورون اولا باصلاح ما

قوله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف يريد بيان وجه تقييد الصلح الثاني بالعدل وترك تقييده في الاول وتخصيص ما ذكر ان العدل انما يعتبر فيما يتصور فيه الظلم والحيف ولما كان هذا الصلح بعد المقاتلة كان المقام مقام ان يظن فيه الحيف المحتاج في ازالته الى العدل وتضمين الجنايات ولا كذلك الصلح الاول فان الغرض فيه اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون تضمين الجنايات استدل على كون الثاني مظنة الحيف بوقوعه بعد المقاتلة وفيه نظر لان الاول مظنة الحيف ايضا بهذا المعنى لانه متفرع على قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والاقتتال لا يخلو عن حيف وظلم فالصلحان مشتركان في كونهما واقعين بعد المقاتلة فلا بد من تقييد الثاني بالعدل من علة ليست في الاول فان كان المراد من المقاتلة في قوله من حيث انه بعد المقاتلة مقاتلة المسلمين والصلح الاول ليس بعد مقاتلتهم قلنا مقاتلة المسلمين ليست مظنة الحيف بل مقاتلتهم انما هي لتفيء تلك الطائفة الباغية الى امر الله وهو عين العدل فالاولى ان يعلل التقييد بالعدل بكون الصلح الثاني مظنة حيف من حيث انه وقع بغي احدهما على الاخرى والبغي امر يتضمن صنوف الظلم فيحتاج في اصلاحهم الى العدل باستيفاء الحقوق وضمان الجنايات ابن محمد

ما بين طائفتين معلقا باقتتالهما ومأمورون ثانيا بقتال من بغت منهما معلقا ببغيه على الاخرى ومأمورون
ثالثا باصلاح ما بينهما على تقدير ان يفيء من بغى على الاخرى الى امر الله بان تترك المقاتلة مع خصمه احترازا عن
مقاتلة الحكام معهم فلما كان الاصلاح الذي امر به الحكام واقعا بعد مقاتلتهم مع من فاء الى امر الله كان الاصلاح
المذكور مظنة للحيف فلذلك قيد بالعدل ههنا دون الاول قوله واعدلوا في كل الامور اشارة الى فائدة قوله و
اقسطوا بعد قوله واصلحوا بينهما بالعدل والحال ان القسط بالكسر العدل وهمزة اقسط للصيرورة والقسط
بالفتح الجور وهمزته للسلب يقال اذا جاء القسط زال القسط فقوله واقسطوا على كل واحد من التقديرين
امر بالعدل وقد امر به بقوله فاصلحوا بينهما بالعدل فيكون تكرارا وتقرير الجواب ان المأمور به اولا هو العدل
في الاصلاح الواقع بعد المقاتلة والمأمور به ثانيا هو العدل في الامور كلها والثاني ارفع درجة من الاول
بكثير والسعف جمع سعفة وهي اغصان النخل اذا يبست روي انه عليه الصلوة والسلام مر يوما على ملاء
من الانصار فيهم عبد الله بن ابي المنافق ورسول الله صلى الله عليه وسلم على حماره فوقف عليهم يعظهم فبال
حماره او راث فامسك عبد الله بن ابي انفه وقال خل عنا نتن حمارك فقد اذيتنا بنتنه فمن جاءك منا
فعظه فسمع ذلك عبد الله بن رواحة رض فقال الحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول هذا والله ان بول
حمار رسول الله اطيب رائحة منك فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الكلام بين عبد الله بن ابي
المنافق الخزرجي وبين عبد الله بن رواحة الاوسي رض حتى استبا وتجالدا وجاء قوم كل واحد منهما
من الاوس والخزرج وتجالدوا بالعصي وقيل بالنعال والايدي وقيل بالسعف ايضا فنزل قوله وان طائفتان
من المؤمنين اقتتلوا فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم واصلح بينهم فان قيل عبد الله
بن ابي كان منافقا والاية في طائفتين من المؤمنين قلنا احدى الطائفتين هي اصحاب عبد الله بن ابي و
عشيرته ولم يكن كلهم منافقين فالاية تتناول المؤمنين منهم والمراد بالمؤمنين من اظهر الايمان سواء كان
مؤمنا حقيقة او ادعاء وروي في سبب نزول هذه الاية روايات اخر ويحتمل ان يكون كلها صحيحة ويكون
نزول الاية عقيب جميعها قوله كما جاء في الحديث وهو قوله عليه الصلوة والسلام في حق اهل البغي
ولا يطلب هاربها فانه قد روي عن نافع عن ابن عمر رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن عبد الله
هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها
ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها قوله من حيث انهم منتسبون الى اصل هو الايمان الموجب للحيوة
الابدية كما ان الاخوة من النسب منتسبون الى اصل واحد هو الاب الموجب للحيوة الفانية وقوله الموجب
للحيوة الابدية اشارة الى ان اخوة الاسلام اقوى من اخوة النسب بحيث لا يعتبر اخوة النسب اذا خلت
عن اخوة الاسلام الا ترى اذا مات المسلم وله اخ كافر يكون ماله للمسلمين لا لاخيه الكافر وكذا اذا مات الاخ
الكافر وذلك لان الجامع الفاسد لا يفيد الاخوة وانما المعتبر الاصل الشرعي الا يرى ان ولد الزنا من

معنى الكلمة مستفاد من اطلاق اقسطوا محمد

يقال اجهز على الجريح اي اتم قتله منه

قوله انما المؤمنون اخوة من باب التشبيه البليغ شبه الايمان بالاب من حيث كونه سببا للحيوة الابدية كالاب منه

رجل واحد لا يتوارثان وهذا المعنى يستفاد من الآية لان انما للحصر فكانه قيل لا اخوة الا بين المؤمنين فلا
اخوة بين المؤمن والكافر قوله وقرئ بين اخوتكم واخوانكم على لفظ الجمع فان اخوة جمع اخ وكذلك
الاخوان قال بعض اهل اللغة الاخوة جمع الاخ من النسب والاخوان جمع الاخ من الصداقة وقد يقع احدهما موقع
الآخر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم وجه اتصاله بما قبله ان هذه السورة الكريمة فيها ارشاد
المؤمنين الى مكارم الاخلاق وهي اما مع الله تعالى او مع رسوله او مع غيرهما من ابناء جنسهم وهم على صنفين
لانهم اما من اهل الايمان والطاعة او من اهل الفسق والمعصية والمؤمن المطيع اما حاضر عندهم او غا
ئب عنهم فهذه خمسة اقسام احدها متعلق بجانب الله تعالى وثانيها بجانب رسوله وثالثها بجانب الفساق و
رابعها بالمؤمن الحاضر وخامسها بالمؤمن الغائب فذكر الله تعالى في هذه السورة خمس مرات يا ايها الذين امنوا
وارشدهم في كل مرة الى مكرمة هي قسم من الاقسام الخمسة فقال اولا يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي
الله ورسوله وذكر الرسول لبيان وجوب طاعة الله تعالى لانه لا يعلم الا بقول الرسول وقال ثانيا يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي لبيان وجوب احترامه عليه الصلوة والسلام وقال ثالثا يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ لبيان وجوب الاحتراز عن الاعتماد على قول الفاسق بناء على انهم يريدون
القاء الفتنة بينكم وقال رابعا يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم وقال تنابزوا لبيان وجوب ترك ايذاء
المؤمنين في حضورهم بالتحقير والتنقيص وقال خامسا يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن وقال ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا لبيان وجوب الاحتراز عن اهانة جانب المؤمن حال غيبته بذكر ما لو ذكر في حضوره
لتأذى به وهو ترتيب حسن حيث قدم الاهم على ما هو دونه فذكر جانب الله تعالى ثم جانب رسوله ثم ذكر ما يفضي
الى اقتتال طوائف المسلمين بسبب الاصغاء الى كلام الفاسق والاعتماد عليه واما المؤمن الحاضر او الغائب
فانه لا يؤذي المؤمن الى حد يفضي الى حد القتال وهيجان الفتنة وذكر في هذه الآية امورا ثلثة مرتبة بعضها
دون بعض وهي السخرية واللمز والنبز فالسخرية ان يحقر الانسان اخاه ويستخفه ويسقطه عن درجته
ويعده ممن لا يلتفت اليه واللمز ان يذكر الرجل في غيبته بما فيه من العيب وهذا دون الاول لان الساخر
لا يلتفت الى المسخور منه ولا يعده شيئا ولا يرضى ان يجريه على لسانه فضلا عن ان ينسب اليه شيئا من المعائب
بل ينزله منزلة المسخرة الساقطة عن درجة الاعتبار بالكلية بخلاف اللامز فانه يلتفت الى من يلمزه و
يجعل فيه شيئا ما فيعيبه به والنبز ان يدعو الانسان احدا باللقب السوء وهو دون الثاني لان النبز بمجرد
التسمية لا يقتضي وجود معناه اللغوي في المسمى كالاسماء الحسنة مثل سعيد ومحمود والالقاب المادحة مثل
محي الدين وشمس الدين بخلاف اللمز فان اللامز يضيف الى من يلمزه وصفا ثابتا فيه يوجب نقصه وحط
منزلته وليس تسمية مجردة كانه قال لا تتكبروا فتستحقروا اخوانكم بحيث لا تلتفتون اليهم اصلا وان نزلتم
عن هذا فلا تعيبوهم طالبين حط درجتهم فاذا لم تعيبوهم ولم تضيفوا اليهم ما يسوؤهم فلا تسموهم بما يكرهونه
قوله لانه

قوله لانه اما مصدر نعت به المشهور في مصدر قام لفظ القيام يقال قام الرجل قياما وان القوم اسم جمع
لا واحد له من لفظه مثل رهط ونفر الا انه يحتمل ان يكون القوم ايضا مصدرا في الاصل بدليل قولهم قومة للمرة
من القيام وبدليل قول من قال اذا اكلت طعاما احببت نوما وكرهت قوما اي قياما فينبغي ان يجوز رجل قوم ورجال
قوم ورجال قوم الا انه غلب ان يوصف به الجمع وح يكون اطلاقه على جماعة الرجال من قبيل توصيفهم بالمصدر
مبالغة مثل رجال عدل فان المصدر لكونه اسم جنس يصح اطلاقه على الكثير من احاده ثم توصيف الجماعة
الموصوفة بذلك الجنس بالمصدر الذي اطلق على الكثير من احاده ويحتمل ان يكون جمعا لقائم مثل ركب وصحب
وزور في جمع راكب وصاحب وزائر واختار الجوهري كونه اسم جمع حيث قال القوم الرجال دون النساء
لا واحد له من لفظه لان اهل العربية لم يجعلوا فعلا من ابنية التكسير الا الاخفش فالقوم سواء كان مصدرا
نعت به الجمع او كان جمع قائم يكون معنى الآية لا يسخر جمع قائمون ويكون الجمع القائمون مختصا بالرجال لان
القيام بالامور وظيفة الرجال قوله وحيث فسر بالقبيلتين جواب عما يقال كيف يختص القوم بالرجال مع
انه قد يفسر بما يعم الرجال والنساء في نحو قوم نوح وقوم عاد وقوم فرعون لان قوم كل واحد من الانبياء
الملوك يعم الرجال والنساء والآية صريحة في اختصاصه بالرجال حيث عطف عليه قوله ولا نساء وكذا زهير
وما ادري وسوف اخال ادري اقوم آل حصن ام نساء حيث قابل القوم بالنساء وتقرير الجواب انا لا نم ان
القوم في مثله يعم القبيلتين بل لا يتناول الا الرجال واكتفى بذكرهم عن ذكر النساء ولو سلم انه يعم القبيلتين
فتناوله لهما على سبيل التغليب لا بحسب المفهوم قوله واختيار الجمع جواب عما يقال المنهي عنه في الآية هو ان يسخر
جماعة من احد القبيلتين من جماعة اخرى من ذلك القبيل لان القوم اسم جمع للرجال والنساء اسم جمع لامرأة
فيلزم ان لا تحرم سخرية واحد والا لم يكن لاختيار اسم الجمع في كل واحد من القبيلتين فائدة وتقرير الجواب ان
اختيار الجمع ليس للاحتراز عن سخرية الواحد للواحد بل هو لبيان الواقع لان السخرية وان كانت بين
اثنين الا ان الغالب ان تقع تلك السخرية بحضر جماعة يرضون بها ويضحكون بسببها بدل ما وجب عليهم من
النهي والانكار فيكونوا شركاء الساخر في تحمل الوزر ويكونون بمنزلة الساخرين حكما فنهوا عن
ذلك قال ابن عباس رض نزلت الآية في ثابت بن قيس بن شماس كان في اذنه وقر كان اذا اتى
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه عليه الصلوة
ليسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلوة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم
من الصلوة اخذ اصحابه مجالسهم فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد فكان الرجل اذا جاء
لا يجد مجلسا فيقوم على رجليه فلما فرغ ثابت من الصلوة اقبل نحو رسول الله يتخطى رقاب الناس وهو يقول
تفسحوا فجعلوا يتفسحون حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فلم
يفعل فقال من هذا فقال له الرجل انا فلان فقال له بل انت ابن فلانة يريد اما له كان يعير بها في الجاهلية

مطلب اعمال عسى

فخجل الرجل ونكس رأسه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في استهزاء المشركين بفقراء المسلمين و
سخريتهم منهم فنهى الله المؤمنين ان يتخلقوا به تاديبا لهم وردى ان قوله ولا نساء من نساء نزل في
النبي عليه الصلوة والسلام عيرن ام سلمة بالقصر وقيل نزلت في صفية بنت حيي بن اخطب قال لها النساء
يهودية بنت يهوديين **قوله** وقرئ عسوا ان يكونوا فالمستكن في عسى اسم كان وان مع الفعل خبره
فان المتأخرين على ان عسى ترفع الاسم وتنصب الخبر مثل كان وان مع الفعل المضارع بعد اسمه في مثل عسى
زيد ان يخرج في محل النصب على انه خبر عسى استدلالا بمثل عسى الغوير ابؤسا ولا تلحني اني عسيت صائما
اي لا تلمني يقال لحيت رجلا الحاه لحيا اي لمته ونقل عن سيبويه منع كون ان يفعل خبره بناء على ان الحدث
لا يكون خبرا عن الجثة وان قوله ابؤسا وصائما مبني على اجراء عسى مجرى كان لتضمنه معنى كان واعتذر
من جعله خبرا عن لزوم كون الحدث عن الحدث بتقدير المضاف اما في الاسم نحو عسى حال زيد ان يخرج
او في الخبر نحو عسى زيد صاحب ان يخرج وقال الكوفيون ان مع الفعل في مثله في محل الرفع على انه بدل
مما قبله بدل الاشتمال لان عسى بمعنى قرب وتوقع فمعنى عسى زيد ان يقوم قرب زيد قيامه فانما غلب
فيه بدل الاشتمال لان فيه اجمالا ثم تفصيلا كما تقرر ذلك في بحث البدل وفي ابهام الشيء ثم تفسيره وقع
عظيم لذلك الشيء في النفس واذا قلت عسى ان يخرج زيد يكون ان يخرج فاعل عسى وزيد فاعل يخرج
فاكتفى باسمه عن خبره لاغناء الاسم عنه ومنه قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم وعسى ان تكرهوا
شيئا وهو خير لكم وهي لغة اهل الحجاز وعسى زيد ان يخرج لغة تميم وقراءة العامة على لغة اهل الحجاز و
قراءة عسوا وعسين على لغة تميم **قوله** فان المؤمنين كنفس واحدة علة لجعل الملموز نفس اللامز فان
المؤمنين اذا كانوا كنفس واحدة وكانت الافراد المنتشرة بمنزلة اعضاء تلك النفس يكون ما يصيب
واحدا منهم كانه يصيب الجميع كما اذا اشتكى عضو واحد من شخص تداعى سائر الاعضاء الى الحمى و
السهر فمتى عاب مؤمن مؤمنا فكانما عاب نفسه كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم فمن فعل ما نهي
به اللمز فقد لمز نفسه باعتبار كونه سببا للمز غيره اياه فقوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم من قبيل الاسناد
المجازي لان الاسناد بمعنى التعلق مطلقا وقرأ يعقوب ولا تلمزوا بضم الميم والنبز بفتح الباء اللقب
مطلقا حسنا كان او قبيحا وخص في العرف بالقبيح وسكون الباء مصدر نبزه بمعنى لقبه يقال تنابزوا
بالالقاب اذا لقب بعضهم بعضا والتلقيب ان يدعى الانسان بغير ما سمي به مما يكره المدعو ان يدعى
به وهذا التخصيص عرفي **قوله** اي بئس الذكر المرتفع اي ليس المراد بالاسم ما يقابل الفعل والحرف بل
المراد به ما يذكر به الشخص ويسمى به مطلقا والمخصوص بالذم الفسوق وهو التنابز المنهي عنه ولما كان
لفظ الاسم ماخوذا من سما يسمو سموا بمعنى ارتفع ارتفاعا كان متضمنا لمعنى الارتفاع والاشتهار
فان كان المراد تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين وتلقيبهم بهما يكون المعنى ما افتح ذكركم

اخوا

اخوانكم من المؤمنين بفسق كان فيهم بعد ما تابوا عنه وامنوا بان تقولوا لهم يا يهودي يا نصراني وكانوا يتنابزون
بنحو ذلك كما قيل لام المؤمنين صفية رضي الله عنها فعلى هذا يكون جملة فعل الذم متعلقة بقوله ولا تنابزوا علة للمنهي عنه و
يؤيد هذا المعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها
فنهي ان يعير بما سلف من عمله وان كان المراد به الدلالة على ان ارتكاب ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز
فسوق والجمع بين ارتكاب ذلك وبين الايمان قبيح يكون المعنى بئس الذكر المرتفع ان يرتفع ذكركم بالفسوق
بسبب ارتكابكم شيئا مما نهيتم عنه من السخرية واللمز والنبز بعد ذكركم بالايمان واشتهاركم به ويكون
الجملة متعلقة بجميع ما تقدم من قوله لا يسخر قوم من قوم ولا تلمزوا ولا تنابزوا علة للنهي عن جميع
ذلك ويكون تخصيص التنابز بالذكر في قوله والدلالة على ان التنابز فسوق لقربه ولقصد الاختصار
مع عدم الالتباس في المراد من حيث ان التنابز انما كان فسقا من حيث انه ارتكاب لما نهي عنه وهذه
العلة متحققة في السخرية واللمز ايضا فيكون الجميع فسقا **قوله** وابهام الكثير ليحتاط في كل ظن وتوضيح المقام
ان كثيرا ما يتبين بقوله من الظن كان عبارة عن الظن فكان المامور باجتنابه بعض الظن الا انه علق
الاجتناب بقوله كثيرا البيان انه كثير في نفسه ولا بد لنا من الفرق بين تعريف الظن الكثير وتنكيره
فلو عرف وقيل اجتنبوا الظن الكثير يكون التعريف للاشارة الى ما يعرفه المخاطب بانه ظن كثير قليل
ولو نكر يكون تنكيره للافراد والبعضية ويكون المامور باجتنابه بعض افراد الظن الموصوف بالكثرة
من غير تعيينه ان بعض هو وفي التكليف على هذا الوجه فائدة جليلة وهي ان يحتاط المكلف ولا يجترئ على
ظن حتى يتبين عنده انه مما يصح اتباعه او يجب الاجتناب عنه ولو عرف لكان المعنى اجتنبوا حقيقة
الظن الموصوف بالكثرة او جميع افراده لا ما قل منه ويحرم الظن المعرف فتعريف الجنس والاستغراق
ولا يؤدي الى احتياط المكلف لكون المحرم معينا فيجتنب عنه ولا يجتنب عن غيره وهو الظن القليل سواء
كان ظن سوء او ظن صدق ومن المعلوم ان هذا المعنى غير مراد بخلاف ما لو نكر الظن الموصوف بالكثرة
فان المحرم حينئذ اتباع الفرد المبهم من افراد ذلك الحقيقة وتحريمه يؤدي الى احتياط المكلف الى ان يتبين عنده
ان ما يخطر بباله من الظن من اي نوع من انواع الظن **قوله** فعليل مستأنف للامر فان تنوين كثيرا لما كان
بمنزلة تنوين ظن لكون الكثير مبينا بالظن وعبارة عنه كانت آية الامر بمنزلة ان يقال اجتنبوا بعض
الظن وهو كثير فعلل الامر بالاجتناب عنه بقوله ان بعض الظن اثم وهو ان يظن السوء بمن لا يعلم منه
فسق قيل نزلت الاية في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر
فضم الرجل المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعامهما وشرابهما
فضم سلمان الفارسي رضي الله عنه الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الفارسي الى المنزل فغلبته عيناه
فلم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول الله صلى

او كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب
ظاهر كان حراما واجب الاجتناب
وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد
منه الستر والصلاح او اونست منه
الامانة في الظاهر فظن الفساد و
الخيانة محرم بخلاف من اشتهر
الناس بتعاطي الريب والمجاهرة با
لخبائث عن النبي عليه وسلم ان الله
حرم من المسلم دمه وعرضه وان
يظن به ظن السوء وعن الحسن
كنا في زمان الظن بالناس حرام
وانت اليوم في زمان اعمل واسكت
وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة
لفاجر وعنه ان الفاسق اذا ظهر
فسقه وهتك ستره هتكه الله
واذا استتر لم يظهر الله عليه
لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب
الحياء فلا غيبة له كشاف

الله عليه وسلم ما طلب لنا منه طعاما فجاء سلمان رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال عليه
الصلوة والسلام انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل من طعام فليعطك وكان اسامة
رضي الله عنه خازن رسول الله عليه الصلوة والسلام وعلى رحله فاتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فا
خبرهما فقالا كان عند اسامة شيء ولكن بخل به فبعثا سلمان الى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا
فلما رجع قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى الرسول عليه الصلوة والسلام قال لهما مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما
قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال عليه الصلوة والسلام ظللتم تأكلون لحم اسامة وسلمان
فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم
وهو ان يظن ويتكلم به والآخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به والمراد بقوله تعالى ان بعض الظن اثم
ما اعلنته وتكلمت به من الظن وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام فيه وانت اليوم في
زمان اعمل فاسكت وظن بالناس ما شئت **قوله** والهمزة فيه من الواو فصل عليه كيف يكون الاثم من
الوثم مع ان كل واحد منهما من باب على حدة فان وثم يثم من باب ضرب واثم يأثم من باب علم الجوهري الاثم
الذنب يقال اثم الرجل بكسر العين اذا وقع في الذنب والوثم الدق والكسر يقال وثم يثم وثما مثل ضرب
يضرب ضربا اي عدا **قوله** تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب فان جس الخبر طلبه والتحسس
فاذا انتقل الى باب التفعل يحدث معنى التكلف منضما الى ما فيه من معنى الطلب يقال جسست الاخبار
اي تفحصت عنها واذا قيل تجسستها يزيد معنى التكلف كالتلمس فانه تفعل من اللمس وهو المس باليد
لتعرف حال الشيء فاذا قيل تلمس يحدث معنى التكلف والتطلب مرة بعد اخرى والعورة سوءة الا
نسان وقيل ما يستحي منه من العثرات والعيوب والجمع عورات بالتسكين **قوله** والتركاي وكس الحس
غاية الجس يقال للحس جس تسمية للشيء باسم مبدئه فيقال للحواس الجواس **قوله** يتبع الله عورته من
باب المشاكلة اي جازاه على عثراته كقوله كما تدين تدان فان الدين الجزاء والمعنى تجازى كما تفعل **قوله**
تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب المعاب الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول والتقدير تمثيل
كلفظ المختار فاعلا ومفعولا شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب باكل لحم الاخ
ميتا تشبيها تمثيليا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك ان الهيئة المشبهة بها اخس
جنس التناول وافحشه فيكون التمثيل المذكور تصويرا للاغتياب باقبح الصور مع مبالغات في تقبيحه احدها
الاستفهام المقرر اي الحامل للمخاطبين على ان يقروا بان احدا منا لا يحب ذلك الاكل الذي هو عبارة عن
تناول عرض المغتاب فان الاستفهام التقريري انما يحسن اذا كان الحكم مسلما عند كل احد فيكون مبالغة
في تقبيح الاكل وكذا اسناد الفعل الى احد المتناول لكل احد يحملهم على ان يقروا بان احدا من الاحاد

سميحة على وزن التصغير بئر من آبار مكة ويروى بالجيم ايضا وقيل بئر في الكتب المعتبرة منه

قوله خضرة اللحم ذكر ان العرب تسمي الاسود اخضر والاخضر اسود فخضرة اللحم من قبيل الاول وتسميته سواد القرى من قبيل الثاني سواد الكثرة خضرته وقيل انما ذكر خضرة اللحم لانه عم ارادوا باللحم لحم الميت والجيف يخضر فهو زيادة تهجين ويحتمل انه عم اراد بالخضرة النضارة وقد جاء في الحديث الدنيا حلوة خضرة اي غضة طرية ناعمة منه

قوله اعمل اي اشتغل واسكت اي لا تختلط بالناس خاصة نفسك ولا تروني الحرم ولكن على حذر منهم طه سوء الظن

لا يحب اكله ففيه ايضا مبالغة في تقبيح تناول العرض وكذا تعدية فعل المحبة الى ما هو في غاية الكراهة و
كذا ما ذكر بعده **قوله** ميتا منصوب على انه حال من المفعول وهو اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بانه
ميت لقوله عليه الصلوة والسلام ما ابين من حي فهو ميت ويحتمل ان يكون حالا من الاخ على رأي من يجوز
انتصاب الحال من المضاف اليه وفي قوله ميتا اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال الشتم في الوجه يولم فيحرم
واما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يولمه فكيف يحرم فدفعه بان اكل لحم الاخ وهو ميت ايضا لا
يولمه ومع هذا هو في غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الاخوة **قوله** والمعنى ان صح ذلك او عرض
عليكم هذا يعني ان قوله فكرهتموه اما جواب شرط محذوف والمعنى اذا ان صح وتقرر انه يتعين لكم الاقرار
بان احدا منكم لا يحب اكل جيفة اخيه فقد تحققت كراهتكم له وتقذركم منه والمقصود من تحقيق استكراههم
وتقذرهم من المشبه به الترغيب والحث على استكراه ما يشبه به وهو الغيبة كانه قيل اذا تحققت
كراهته لكم فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذي هو الاغتياب او هو معطوف على محذوف قبله تقديره عرض
عليكم هذا فكرهتموه اي يعرض عليكم هذا فاستكرهوا ايضا نظيره **قوله** وشدده نافع ضمير شدده
للميت فان صاحب التيسير ذكر في فرش سورة الانعام قرأ نافع ومن كان ميتا وفي يس الارض
الميتة وفي الحجرات لحم اخيه ميتا بتشديد الياء في الثلثة والباقون باسكانها ولم يذكر خلافا في قوله
فكرهتموه وقوله واتقوا الله عطف على ما تقدم من الاوامر والنواهي اي اجتنبوا ولا تجسسوا ولا يغتب واتقوا
الله ان الله تواب رحيم ختم كل واحدة من الاثنين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال
ههنا ان الله تواب رحيم اي يقبل توبة من تاب ويرحم من اليه اناب ثم انه نهى لما بين ما هو من مكارم الاخلاق بالنسبة
الى المؤمن الحاضر اولا وبالنسبة الى الغائب ثانيا نهى عامة المكلفين عن التفاخر بالانساب فناداهم نداء عاما
فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية يعني انكم متساوون في النسب من حيث انكم ابناء رجل واحد
وامرأة واحدة وهما آدم وحواء ومن حيث انكم جنس واحد يحسب توالدكم من الاب والام وافراد جنس واحد
لا يتفاوت بعضها على بعض كثير تفاوت بحيث يحسن التفاخر بسببه فلا تتفاخروا بالآباء والاجداد ثم بين
ان مدار الفضل والشرف ما هو فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم اي ليس لاحد على احد فضل الا بالتقوى والشعوب
جمع شعب بفتح الشين وهو اعلى طبقات الانساب فان طبقات النسب التي عليها العرب ست الشعب والقبيلة
والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة وكل واحدة مما ذكرت متأخرة من هذه الطبقات داخلة فيما قبلها كما ذكره
المص وزاد بعض الناس بعد الفخذ العشيرة فجعلها داخلة في الفخذ وجعل الفصيلة داخلة في العشيرة **قوله تعالى**
لتعارفوا اصله لتتعارفوا فالجمهور على تخفيف احدى التائين بحذفها والمعنى ان الحكمة التي من اجلها رتبكم على شعوب
وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض ولا ينسبه الى غير آبائه ولان تتعارفوا بسبب ذلك لا لان تتفاخروا بالآباء
والاجداد والنسب وان كان معتبرا عرفا وشرعا حتى لا تتزوج الشريفة بالنبطي الا انه لا عبرة به عند ظهور

فائدة الانسان بنى الاسلام قلبه يعني بنى الاسلام جسمه فرض عرضه كما بنى الاسلام جسمه فرض عرضه اشرف من قطع لحمه بل عرضه اشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن للعاقل اكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الاولى منه

ما هو اعظم قدرا منه واعز وهو الايمان والتقوى كما لا تظهر الكواكب عند طلوع الشمس فالفاسق وان كان
قرشي النسب لا قدر له عند المؤمن التقي وان كان عبدا حبشيا والامور التي يتفاخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة
لكن النسب اعلاها من حيث انه ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك بخلاف غيره كالمال مثلا فانه قد
يحصل للفقير مال فيبطل افتخار المفتخر به عليه وكذا الاولاد والبساتين ونحوها فلذلك خص الله تعالى النسب
بالذكر وابطل اعتباره بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان اعتبار غيره بطريق الاولى ثم انه تعالى لما بين ان
مناط الفضيلة والشرف هو التقوى وكان اصل التقوى هو الايمان والاتقاء من الشرك بين ان الايمان
لا يكون باللسان وحده بل اصل الايمان هو العقد بالجنان فقال قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا لان الايمان هو
التصديق بالجنان مع الثقة بحقية المصدق به وبصدق من اخبر به ولم يحصل ذلك لكم ولكن قولوا اسلمنا
اي استسلمنا وانقدنا وخضعنا اجاز لهم ان يقولوا ذلك لقيام ما يدل عليه ويشعر به وهو اظهار الشهادتين
وترك المحاربة قوله وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا اي وذلك لان لكن للاستدراك
وهو يقتضي كلامين متغايرين بالنفي والاثبات او بان يكون احدهما لطلب الفعل والاخر لطلب تركه وذلك لا يتحقق
بان يكون احد الجملتين خبرية والاخرى امرية كما في هذه الاية وانما يتحقق اما بان يكونا انشائيتين احدهما ناهية
والاخرى امرية بان يقال لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا او بان يكونا خبريتين اوليهما نافية للايمان وثانيتهما
مثبتة للاسلام بان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم الا انه عدل في الاية عن ايرادهما انشائيتين بان يكون الاولى ناهية
احترازا عن بحثه ان يقول النبي المبعوث للدعوة الى الايمان لا تقولوا آمنا فانه نهي عن القول بالايمان وهو لا
يليق باحد فكيف يليق بالنبي عليه الصلوة والسلام وعدل عن ان يقال لم تؤمنوا ولكن اسلمتم احترازا عن الجزم
باسلامهم والاعتداد بقولهم الخالي عن مواطاة القلب وهو غير مقبول في الشرع فان صاحبه ليس بمسلم بل
هو منافق ولا يخفى عليك ان هذا الكلام ليس فيه بيان وجه الاستدراك بل هو بيان لما في التعبير على مقتضى
الظاهر من المحذور وان ما عدل اليه من النظم خال عن المحذور فالاولى ان يتعرض لتوجيه الاستدراك بان يقال
قوله تعالى قل لم تؤمنوا في قوة ان يقال لا تقولوا آمنا لان نفي الايمان عنهم في مقام ادعائهم الايمان يتضمن النهي
عن ادعائه فصح الاستدراك عنه بقوله ولكن قولوا اسلمنا حملا على المعنى كانه قيل لم تؤمنوا فلا تكذبوا ولكن
قولوا اسلمنا لتكونوا صادقين في كلامكم ان فاتكم الايمان والتصديق قوله توقيت لقولوا اشارة الى جواب
ما يقال من ان قوله تعالى ولما يدخل الايمان في قلوبكم معناه نفي الايمان عنهم فهو بهذا الاعتبار تكرير لقوله لم تؤمنوا فما
الفائدة في هذا التكرير وتقرير الجواب انه وان كان باعتبار اشتماله على نفي الايمان عنهم تكريرا للاول الا انه قد انضم اليه
باعتبار كونه حالا عن ضمير قولوا معنى آخر خرج به عن كونه تكرارا فان الاول تكذيب لهم في دعواهم والثاني توقيت
لما امروا به من القول اي قولوا اسلمنا ما دمتم على هذه الصفة وهي ان لم يدخل الايمان في قلوبكم بعد فان الواو في
ولما واو الحال وذو الحال الضمير في قولوا فيفيد كونهم مامورين بان يقولوا اسلمنا دون آمنا بحال عدم دخول الا
يمان

دخول الايمان في قلوبهم اي قولوا اسلمنا ما دمتم على هذه الصفة فظهر بهذا التقرير انه توقيت لقولوا ومعنى "
التوقيت فيه لما يدل على ان حصول الايمان في قلوبهم متوقع يحصل عند اطلاعهم على محاسن الاسلام وانهم قد آمنوا
فيما بعد فان لما التي قد فعل وقد للتوقع قوله وقرا البصريان يالتكم بهمزة ساكنة بين الياء واللام من الته
حقه يالته من باب ضرب ونصر والسوسي يبدل الهمزة الفا على اصله والباقون يلتكم بغير همزة من لاته
يليته مثل باعه يبيعه وهما لغتان معناهما لا ينقصكم فالاولى لغة غطفان واسد والثانية لغة الحجاز
وقيل هي من ولته يلته كوعده يعده فالمحذوف من يلتكم على هذا فاء الكلمة وعلى كونه من لاته عينها وهي ايضا
لغة في معنى نقصه حقه قال الامام معنى قوله لا ينقصكم انكم اذا اتيتم بما يليق بضعفكم من الحسنة المعروفة
بالاخلاص وترك النفاق فهو يعطيكم بما يليق بفضله من الجزاء لا ينقص منه نظرا الى ما في حسناتكم
من النقصان والتقصير وهذا لان من حمل الى ملك فاكهة طيبة يكون ثمنها في السوق درهما مثلا واعطاه
الملك درهما او دينارا انتسب الملك الى قلة العطاء بل الى البخل فليس معنى الاية انه يعطي من الجزاء مثل
عملكم من غير نقص بل المعنى يعطي ما تتوقعونه باعمالكم من غير نقص ويؤيده ما قاله قوله تعالى عقيبه ان الله
غفور رحيم ثم انه تعالى لما نفى الايمان عن الاعراب اشار الى ما يوجب نفيه عنهم وبين لهم ان حقيقة
الايمان ما هو وان ادعاءه ممن يصح فقال انما المؤمنون الاية قوله اذا وقع في الشك مع التهمة اي اذا او
قعه في الشك فيما صدقه وآمن به وفي الاتهام لمن صدقه على ان الشك بالنسبة الى المخبر به والتهمة بالنسبة
الى من اخبر بذلك بان ينسب تهمة الكذب اليه بعد ما صدقه واعترف بان ما قاله حق يعني ان المؤمن انما يكون
مؤمنا بالتصديق وبان يبلغ ذلك التصديق الى درجة اليقين بحيث لا يطرأ عليه الشك والاتهام بتشكيك
المشكك فيما يستقبل من الزمان قوله وثم للاشعار الخ جواب عما يقال من ان عدم الارتياب لا ينفك عن
الايمان لكونه داخلا في مفهوم الايمان لما تقرر من ان الايمان تصديق مع ثقة وطمانينة قلب فكيف جعل
متراخيا عن الايمان لان ثم للتراخي وتقرير الجواب ان قوله آمنوا افاد انهم صدقوا تصديقا خاليا عن
الارتياب حال الايمان من حيث ان الخلو عنه معتبر في مفهوم الايمان وقوله ثم لم يرتابوا افاد انهم لم يحدث
لهم ارتياب بعد زمان وان طال كما يحدث ذلك لمن ضعف يقينه فللاشعار بهذا المعنى عطف عدم الارتياب
على الايمان بكلمة ثم فالتراخي زماني قوله في طاعته فانها هي السبيل المؤدي الى مرضاة الله وثوابه قوله
والمجاهدة بالاموال والانفس يعني ان المجاهدة بالاموال لا تختص بتقوية الغزاة بما عنده من المال بل تعم
جميع العبادات المالية وكذا المجاهدة بالانفس لا تختص بالغزو بل تعم جميع العبادات البدنية قوله تعالى
اولئك هم الصادقون قصر افراد وتكذيب لاعراب بني اسد حيث اعتقدوا الشركة وزعموا انهم صادقون
ايضا في دعوى الايمان قوله روي انه لما نزلت الاية المتقدمة وهي قوله تعالى قالت الاعراب الى قوله تعالى
اولئك هم الصادقون والمراد بهذه الاية قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم والاستفهام فيه للتوبيخ والانكار

اى لا تمنوا على الله بدينكم فانه عالم به لا يخفى عليه شيء **قوله** وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه اى لا يطلب الثواب وهو العوض من موليها اى معطيها وازللت اليه نعمة اى اعطيتها وفى الحديث من ازلت اليه نعمة فليشكرها
وازللت اليه شيئا من حقه اى اعطيت والمن فى الاصل القطع قال تعالى فلهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع ثم نقل
منه الى معنى الانعام والافضال على المحتاج لمجرد قطع حاجته اى مع قطع النظر عن يثيب المحتاج اى يعوضه
بشيء لاشتماله على معنى القطع يقال من عليه منا اى انعم عليه وافضل من غير استثابة وطلب عوض ثم انه قد
يطلق ويراد به عد المصنوع منة وانعاما واعتباره والاعتداد بشانه فيقال من عليه صنعه اذا اعتد
عليه واعتبره منة وانعاما وقيل المنة النعمة الثقيلة من المن وهو رطلان يقال من عليه منة اى اثقله
بالنعمة **قوله** على ما زعمتم دفع لما يقال من ان قوله تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ظاهره تسليم لايمانهم
وهو ينافى قوله قبل قل لم تؤمنوا ولما كان معناه لم تؤمنوا حقيقة ومعنى قوله ان هداكم له على زعمكم اندفعت
المنافاة مع ان المنافاة انما تتحقق ان لو كانت الهداية مستلزمة للاهتداء وليست كذلك لقوله تعالى واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى **قوله** وفى سياق الاية لطف جواب عما يقال قوله تعالى يمنون عليك ان
اسلموا يقتضى بظاهره انهم سموا ما احدثوه اسلاما وهم ما كانوا يسمونه اسلاما بل يسمونه ايمانا لقوله تعالى
قالت الاعراب آمنا ففى الكلام نوع من المنافرة فاجاب عنه بان فيه نوعا من اللطافة ومحصوله انه تعالى
سمى ما صدر عنهم اسلاما لكونه اسلاما فى الحقيقة وان زعموا انه ايمان وسموه به وادرج فى تقريره وجه
اللطافة جواب ما دفعه بقوله آنفا على زعمكم حيث قال بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
له لا لهم **قوله** لما فى الاية من الغيبة وهى قوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا وقراءة الباقين بتاء الخطاب نظرا الى
قوله قل لا تمنوا على اسلامكم الخ هذا آخر ما تيسر لى بفضل الله تعالى وسعة رحمته واحسانه من ايضاح
خفايا ما يتعلق بسورة الحجرات والحمد لله اولا وآخرا والصلوة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين وعلى
آله واصحابه الطيبين الطاهرين **سورة ق مكية** بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنعم المنان
والصلوة على سيد من ارسل لهداية نوع الانسان وعلى آله واصحابه الذين هم قادة اهل الايمان الى سبيل السعادة
والرضوان هذه السورة وسورة ص تشتركان فى افتتاح اولهما بالحرف المعجم والقسم بالقرآن بعده وقوله
بعد القسم بل والتعجب تشتركان ايضا فان اول السورتين وآخرهما متناسبان لانه تعالى قال فى اول ص
والقرآن ذى الذكر وقال فى آخرها ان هو الا ذكر للعالمين وقال فى اول ق والقرآن المجيد وقال فى آخرها فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد فختمهما بما افتتح به وايضا فى اول ص صرف العناية الى تقرير الاصل الاول وهو التوحيد
لقوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا وفى هذه السورة صرف العناية الى تقرير الاصل الآخر وهو الحشر والنبوة
لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد ولقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم **قوله** الكلام فيه كما مر
فى صاد والقرآن ذى الذكر اما من حيث القراءة فالجمهور على اسكان القاف بناء على ان حروف التهجى اسماء المسميات

قوله على زعمكم مع ان الهداية الخ ان تقول ما زعمتم هذا ان الكلام متناقضان فان زعمهم حقيقة هذا ان الهداية غير حاصلة دال على ان الهداية لا يستلزم الاهتداء وقوله مع ان الهداية حاصلة لكنه لا دال على ان الهداية والجواب ان قوله على ما زعمتم بالنظر الى احد معنى الهداية يستلزم الاهتداء وهى الدلالة الموصلة واما قوله مع ان الهداية لا يستلزم الاهتداء فبالنظر الى المعنى الآخر للهداية وهو الدلالة على ما يوصل الى المطلب كاررود

والا

والاصل فى الاسماء العارية عن العوامل الوقف على السكون وقرئ قاف بفتح الفاء وقاف بكسرها وكلاهما لالتقاء
الساكنين وجه الفتح الاتباع لصوت الالف لانه منها ووجه الكسر كونه اصلا فى تحريك الساكن وذلك ان يجعل
المفتوح منصوبا باضمار الفعل ان جعلت قاف اسما للسورة كانه قيل اقرأ او الزم قاف وعدم تنوينه لمنع
صرفه باجتماع التانيث والعلمية وان جعلته مقسما به بناء على انه من اسماء الله تعالى او من اسماء القرآن
او السورة او على انه تعالى لما اقسم بنحو التين والزيتون اظهارا لشرفه فاقسم بالحروف التى هى عناصر الكلام
الشريف الذى هو منبع خير وسعادة كان ادنى فى وجه نصبه ح اما حذف حرف القسم نسيا منسيا وايصال
فعله المحذوف اليه كما فى قولك الله لافعلن او اضمار حرف القسم وعدم جعله كالمنسى وفتح المقسم به فى موضع الجر
لعدم انصرافه كقولك الله لافعلن بالجر واما من حيث الاعراب فان قاف ان كان مذكورا على سبيل التحدى والتنبيه
على الاعجاز كما ذكر ان حروف التهجى اوائل السور تنبيهات قدمت امام المقروء ايقاظا للسامع حتى يقبل على
استماع ما يرد عليه من الكلام الرائق والمعنى الفائق فح لا يكون له محل من الاعراب بل يكون موقوفا على السكون وان
كان اسما للسورة ولم يجعل مقسما به فح يكون فى محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هذه قاف او فى محل النصب
بتقدير اقرأ او نحوه وان جعل مقسما به فهو ح اما منصوب على طريق الحذف والايصال او مفتوح فى موضع
الجر وروى عن ابن عباس رضه انه قال قاف جبل من زمردة خضراء وورد من زبرجدة خضراء محيط بالعالم
وعليه اطراف السماء فخضرة السماء منه اقسم الله تعالى بذلك الجبل قال الامام وهذا ضعيف لانه لو كان كذلك لذكر
حرف القسم كما فى نحو والطور وذلك لان حرف القسم انما يحذف حيث يكون المقسم به مستحقا لان يقسم به كقولك
الله لافعلن كذا ويكون استحقاقه له مغنيا عن ذكر حرف القسم ولا يحسن ان يقال زيد لافعلن كذا لانه لا يعلم
كونه مقسما به الا بذكر حرف القسم ولانه لو كان كذلك لكان يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية
ويكتب العين الله بكاف عبده وقد كتب فى جميع المصاحف حرف ق ثم قال فان قيل انه منقول عن ابن عباس رض
نقول المنقول عنه ان قاف اسم جبل ولا يلزم منه ان يكون المراد منه ههنا ذلك وقيل معنى ق قضى ما هو كائن
كما قال فى حم حم الامر اى قدر وقيل هو اسم الفاعل من قفا يقفو ومعناه هذا فى جميع الاشياء بالكشف
وهذه السورة تقرأ فى صلوة العيد لاشتمالها على قوله تعالى ذلك يوم الخروج وقوله كذلك الخروج وقوله ذلك
حشر علينا يسير فان العيد يوم الزينة فينبغى ان لا ينسى الانسان فيه خروجه الى عرصات الحساب ولا يكون
فى ذلك اليوم فرحا ولا يرتكب فسقا وفجورا وقد كان الشيخ الناسك البارع ابن الوفا نور الله مرقده يقرأ
هذه السورة الكريمة فى جميع خطبه واختلف فى ان جواب القسم ما هو فقيل محذوف يدل عليه ائذا متنا والتقدير
والقرآن المجيد لتبعثن حذف الجواب اعتمادا على قرينة مقالية متأخرة عن المقسم به وقيل التقدير ان محمدا لرسول
الله حذف اعتمادا على دلالة قوله بعده بل عجبوا ان جاءهم منذر وقيل التقدير ما امنوا به بل عجبوا دل عليه معنى قوله
بل عجبوا وقيل التقدير والقرآن انه كلام معجز دل عليه التحدى بقوله ق **قوله** والمجيد ذو المجد يعنى ان المجد الشرف

وتوصيف القران بالمجيد اما على انه من باب النسب كتامر ولابن بمعنى ذى تمر ولبن والقران ذو شرف على سائر
الكتب باعتبار ما فيه من العلوم والاعجاز او من قبيل وصف الكلام بوصف قائله او بوصف من علمه عمر به
قيل المجيد السعة في الكرم والقران كثير الكرم لان كل من طلب منه مقصودا وجده فيه واستغنى ببيانه وارشاده
قوله انكار لتعجبهم مما ليس بعجب يعني ان بل للاضراب وهو الاعراض عن الكلام الاول والعدول الى ما هو اهم فلما
كان ما بعد بل انهم كان منكرا استشهاده مقام التوبيخ فمعنى الانكار مستفاد من بل بمعونة المقام كانه قيل انظر
الى انهم هم يتعجبون فانهم يتعجبون مما ليس بعجب الخ وقوله ان جاءهم اى من ان جاءهم ووجه الانكار ان حق
من كان منهم ان يكون ناصحا للقوم مشفقا عليهم يحذرهم عن المخاوف خصوصا اذا كان في غاية العدالة
والامانة وكان المحذور منه غاية المخاوف ونهاية المحاذير وبقي الكلام في ان المضرب عنه بكلمة بل ما هو و
الظاهر انه مضمون الجملة القسمية فانه تعالى لما اقسم بالقران المجيد على حقية البعث او على انه عليه الصلوة والسلام
رسول مبعوث للانذار وانه يجب الايمان بكل واحد منهما اضرب عن الحكم المقسم عليه الى توبيخ الكفار بالجهل و
التعجب مما ليس بعجب فقال بل عجبوا **قوله** او من ابناء جلدتهم اى من القوم المختص بهم بان ولد فيهم ونشاء
بينهم وتربى بين اظهرهم وفي الصحاح الجلدة اخص من الجلد انتهى فيكون عبارة عن مزيد التعلق وكمال
الاتصال **قوله** او عطف لتعجبهم من البعث عطف على قوله حكاية لتعجبهم وقوله فقالوا على التقديرين معطوف
على قوله عجبوا الا انه على الاول من قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال فلا يكون
الفاء العاطفة للتعقيب الزماني بل للدلالة على ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لان تفصيل الشيء انما
يصح بعد جرى ذكره ويكون كلمة هذا اشارة الى كونه عليه الصلوة والسلام منبئا للرسالة والاخبار لا وعلى
الثاني يكون من قبيل عطف احد المتغايرين على الاخر ويكون هذا اشارة الى المبهم الذي يفسره قوله اذا
متنا فعلى هذا يجوز ان يكون الفاء للتعقيب الزماني لجواز ان يكون تعجبهم من البعث عقيب تعجبهم من البعثة
قوله واضمار ذكرهم ثم اظهاره جواب عما يقال كان الظاهر ان يقال بل عجب الكافرون فقالوا فلم عكس **قوله**
والمبالغة فيه مبتداء وقوله لانه اجل خبره وضمير فيه للتعجب عن البعث فرقا بين التعجيبين بكون الثاني ادخل
في الانكار واحق به على ان اجل للتفضيل المفعول اشغل من ذات التعجيبين ثم بين كونه ادخل فيه بقوله اذ
الاول هو تعجبهم من البعثة فلما كان الثاني ادخل في الانكار بولغ فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية
تعجبهم مبهما او مجملا وابهام التعجب واجماله بيان على ابهام المتعجب منه واجماله فان كانت الاشارة الى ما لم يذكر
صريحا ولا دلالة يكون المتعجب منه مبهما فيكون التعجب ايضا مبهما وان كانت الاشارة الى المجمل المذكور دلالة
وهو البعث المعبر عنه بعنوان مجمل وهو المنذر به المدلول عليه بقوله منذر يكون التعجب ايضا مجملا وقوله ثم
تفسيره او تفصيله مجرور بالعطف على حكاية تعجبهم مبهما او مجملا على طريق اللف والنشر **قوله** اى نرجع
يريد ان ناصب الظرف محذوف لدلالة قوله ذلك رجع بعيد عليه اى انرجع احياء اذا متنا وصرنا ترابا [illegible]

للانكار

ونقل عن الراغب ان بل هنا لتصحيح الاول وابطال الثاني اى ليس امتناعهم عن الايمان بالقران لان لا مجد له ولكن لجهلهم ونبه بقوله بل عجبوا على جهلهم لان التعجب من الشيء يقتضي الجهل بسببه ويستلزمه منه

للانكار والاستبعاد **قوله** وقيل الرجع بمعنى المرجوع وهو جواب الجوهري تقول ارسلت فما جاءني رجعى رسالتي
اى مرجوعها ويقال ما كان من مرجوع فلان عليك اى رده وجوابه ويقال هل جاء رجعة كتابك اى جوابه فعلى
هذا يكون الوقف على قوله ترابا حسنا ويكون قوله ذلك رجع بعيد من كلام الله تعالى لا من تتمة كلام الكفار ويكون
ذلك اشارة الى قولهم ائذا متنا فالمعنى قولهم هذا في جواب من انذرهم بالبعث والجزاء جواب بعيد عن الحق و
الصواب فان قيل على تقدير ان لا يكون قوله ذلك رجع بعيد من تتمة كلام الكفرة لا يصلح دليلا على عامل الظرف الواقع
في كلامهم فما العامل في الظرف ح اجيب بان ناصب الظرف ح ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث كانه قيل
انبعث اذا متنا ثم انه تعالى اخبر بلطف علمه ليستدل به على قدرته على ما يشاء من خلقه ابداء واعادة فقال
قد علمنا ما تنقص الارض منهم فان استبعاد البعث انما نشاء من استبعاد احاطة العلم بتفاصيل اجزاء كل واحد
من الموتى وتميز اجزاء كل واحد منهم عن اجزاء الاخرين فازال هذا المنشاء ببيان انه عالم بتفاصيل ذلك قادر
على الجمع والتاليف فليس الرجع منه ببعيد **قوله** واللام محذوف لطول الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحاها الى
قوله قد افلح من زكاها فانه قد تقرر في النحو ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية مثبتة فان كان فعلها ماضيا لزمها
اللام وقد نحو والله لقد قام او بدونها نحو والله لقام **قوله** يعني النبوة الثابتة الخ وهو اضراب بعد
بعد اضراب فالاول للانكار تعجبهم من امر البعثة والبعث والثاني للانكار تكذيبهم بالحق في اول وهلة
من غير تفكر ولا تدبر فان تكذيب مثل هذا الامر العظيم حين ما جاء من غير تفكر في غاية القباحة
فان من له عقل حقا ان يتامل عند سماع مثل ذلك وينظر ليعلم انه حق ام لا ثم بعد ذلك اما ان يصدق
او يكذب والظرف زمان منصوب بكذبوا وقرئ لما جاءهم بكسر اللام الجارة الداخلة على ما المصدرية
وهي لام التوقيت اى وقت مجيئه اياهم كما في قولك كتبته لخمس مضين اى عندها **قوله** اذا حرج بالمهملة
بين الجيمين من باب علم والحرج الجائل القلق وحرج الخاتم في اصبعه اى اضطرب من سعته والقلق
في قوله تعالى فهم في امر مريج جزائية لدلالته على انهم لما عدلوا عن الحق كان كل ما يقولونه ويميلون
اليه باطلا لا دليل عليه فلا يمكنهم الاقامة عليه قال قتادة معناه من ترك الحق مرج عليه امره و
التبس عليه دينه ثم ان القوم لما استبعدوا امر الرجع والبعث ذكر الله تعالى ما يدل لهم على قدرته على
البعث من عظم خلقه فقال افلم ينظروا انكارا على تركهم النظر والاستدلال بما يدل على صحته دلالة
ظاهرة واستبعادا لاستبعادهم اياه كانه قيل ينكرون البعث فلا ينظرون على اثار قدرته الباهرة
ليلجئهم ذلك الى الاعتراف بصحته وقوله فوقهم حال من السماء وقيل الى السماء باعتبار تضمين النظر
معنى الانتهاء ولم يقل في السماء للدلالة على ان مجرد انتهاء النظر اليها كاف في ازالة استبعادهم فان
النظر في الشيء ينبئ عن التامل واستقصاء النظر فيه بخلاف النظر الى الشيء فانه ينبئ عنه
وانما يدل على مجرد انتهاء النظر اليه **قوله** وهما علتان للافعال المذكورة معنى يعني ان قوله تعالى

من اللحوم والدماء والعظام ونحوها

تبصرة وذكرى تنازع فيهما الافعال المذكورة من بناء السماء وما يتفرع على بنائها ومد الارض
وما يتفرع على مدها لكنهما انتصبا بالفعل الاخير على راي البصريين في باب التنازع كانه قيل انبتنا
فيها للتبصر والتذكر فهو تذكير لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في اثار قدرته الباهرة فيستدل به على
ان البعث اهون شيء عليه وهما من حيث المعنى علتان لجميع ما تقدم اي فعلنا ذلك كله تبصيرا منا
وتذكيرا لهم والفرق بين التبصرة والتذكرة هو ان فيها ايات مستمرة منصوبة في مقابلة البصائر و
ايات متجددة مذكورة عند التناسي قوله وحب الزرع الحصيد اشارة الى انه من باب حذف الموصوف
واقامة الصفة مقامه بناء على ان الحب لا يحصد وانما يحصد النبت الذي فيه الحب قوله تعالى والنخل
منصوب بالعطف على مفعول انبتنا وباسقات حال مقدرة من النخل لانها وقت الانبات لم تكن طوالا
والبسوق الطول يقال بسق فلان على اصحابه اي طال عليهم في الفضل ويحتمل ان تكون باسقات بمعنى
حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت الجوهري ابسقت الناقة اذا وقع في ضرعها اللبن قبل
النتاج فهي مبسق ونوق مباسيق قوله فيكون من افعل فهو فاعل كانه اشارة الى مرجوحية الاحتمال
الثاني لان الظاهر ان يقال مبسقات قوله وقرئ باصقات لاجل القاف وهي لغة بني العنبر يبدلون السين
صادا قبل القاف والعين والخاء والطاء اذا وليتها او فصلت بينها بحرف او حرفين قوله تعالى لها طلع
يجوز ان يكون حالا من النخل وان يكون حالا من الضمير المنوي في باسقات ونضيد اي منضود بعضه
فوق بعض يقال نضد متاعه اذا وضع بعضه على بعض والمراد به ما كثر بالطلع وتراكم او كثرة ما فيه من
الثمر قوله علة لانبتنا او لانبتناها لنرزقهم او مصدر لانبتنا لان فيه معنى رزقنا قال تعالى تبصرة و
ذكرى لكل عبد منيب فقيد العبد بكونه منيبا وجعلها خلقها تبصرة لعباده المخلصين لان الاستبصار
يختص بهم وقال رزقا للعباد مطلقا لان الخلائق كلهم مرزوقون بما يترتب على انزال الماء
المبارك ولا يختص الرزق بعبد دون عبد غير ان المنيب يأكل ذاكرا شاكرا للنعماء وغير المنيب
يأكل كما تأكل الانعام قوله تعالى واحيينا به عطف على قوله فانبتنا حمل منكري البعث ومستبعديه بقولهم
ذلك رجع بعيد الى النظر الى اثار قدرته الله تعالى في هذا العالم وساق الكلام الى ان قال واحيينا به
بلدة ميتا ورتب عليه قوله كذلك الخروج والكاف في كذلك في محل الرفع على الابتداء والخروج خبره
او بالعكس قوله لانهم كانوا اصهاره من حيث ان لوطا عليه الصلوة والسلام تزوج منهم والاصهار
اهل بيت المرأة وقيل ان لوطا كان مرسلا الى طائفة من قوم ابرهيم عليهما الصلوة والسلام
وهم معارف لوط والتنوين في قوله تعالى كل عوض عن المضاف وهو اما اسم ظاهر مثل واحد او
قوم او ضمير المذكورين اولا اي جميعهم كذب الرسل فانه كان تقدير الكلام كل واحد منهم او كل قوم
كذب الرسل فالظاهر ان اللام في الرسل لتعريف الجنس اي كل واحد منهم كذب جميع الرسل بناء على
ان

قوله احتمانه لانهم كانوا اصهاره و الاصهار اهل بيت المرأة من الخليل من العرب من كمعل الضبب من الاحماء والاختان جميعا يقال صاهرت اليهم اذا تزوجت فيهم فتدوفي النسخ التي نظرت اليها اخوانه ولعله سهو من الناسخ واصل النسخ اختانه جمع ختن لانه رد على تفسير الاخوان بالاختان بقول لانهم اصهاره والختن صهر قال الجوهري كل شيء من قبل الزوج كالاب والاخ فهم الاحماء وكل شيء من قبل المرأة فهم الاختان والصهر يجمع هذا كله

فان السين منخفضة مهموسة رخوة والقاف مستعلية مجهورة شديدة فاجتماعهما لا يخلو عن ثقل فابدلت السين بالصاد لانها تناسب القاف في الاستعلاء والسين في الهمس منه

٢٢٢

على ان من كذب رسوله انما كذب رسوله لكونه منكرا للرسالة والحشر راسا فيكون مكذبا لجميع الرسل وان كان
تقدير الكلام كلهم كذب الرسل يجوز ان يكون اللام في الرسل لتعريف العهد والمعنى كل واحد منهم كذب رسوله وجميعهم
كذب الرسل قيل ان الرس بئر عند اليمامة كان عليها قوم كذبوا رسولهم حنظلة بن صفوان فاهلكهم الله وقيل
الرس بئر التي هي باجبب النجار من صاحب يس حبيب ما جاء من اقصى المدينة يسعى ونصح قومه فكذبوه وقتلوه
فاهلكهم الله بصيحة واحدة وثمود كذبت صالحا وعاد هودا واصحاب الايكة وهي الغيظة كذبوا شعيبا وقوم
تبع قبلهم قوم من حمير من اهل اليمن وتبع لقب ملكهم وكانوا يعبدون النار وكان تبع اتخذه غلمان من قدك
فكان يقربهم اليه ويكرمهم فاراد الغلمان ارشاده الى التوحيد والانقياد الى حكم كتابهم وكانوا اهل التورية
من قوم موسى عليه الصلوة والسلام فاحتالوا لذلك حتى وصلوا الى مقصودهم فدعوه الى دينهم وكتابهم فقبله
ودعاهم ثم دعوا من على حاشيته وخاصته فقبلوه وفشا في الناس ذلك فقالوا ان الملك ترك دينه فجمعوا
اليه فقالوا انا لا نرضى ان يكون ملكنا على خلاف ديننا فانزل عن سريرك وانزل الملك وان لم تفعل ذلك فادفع
الينا هؤلاء الغلمان وكان لهم نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيخرج الظالم فتحاكموا اليها فجاء الغلمان يركبون بالتورية
وجاء الحميريون باصنامهم فخرجت نار فاحرقت الحميريين ولم تخرج احدا من اصحاب التورية ولما بين الله
ان الرسل المتقدمين كذبوا وصبروا وانه اهلك الله تعالى مكذبيهم ونصرهم عليهم كان ذلك تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين ثم انه تعالى لما ارشدهم الى الاستدلال بما شاهدوا من عجايب صنعه ابتداء على
قدرته على البعث والاعادة اكد وجه الاستدلال بقوله افعيينا بالخلق الاول بالهمزة الانكارية الداخلة
على الفاء العاطفة لتفيد نفي العجز عن الخلق الاول بسبب اعترافهم بانتفائه المستلزم للقدرة على الاعادة
كانه قيل ابعد ما شاهدوا ما ذكر من الخلق الاول عجزنا عنه ولما لم نعجز عنه كما علموا اكيف نعجز عن الخلق
الثاني ثم اضرب عن انكار عجزه عن الخلق الاول بناء على اعترافهم بذلك وحملهم على النظر والاستدلال وفي طي هذا الاعتراف و
والاقرار بقدرته تعالى على الاعادة للتوبيخ بانهم ساقطون عن درجة الاستدلال ومتوغلون في الاصرار
على انكار البعث والاعادة وتلك الحالة ليست من حيث انهم ينكرون الخلق الاول والقدرة عليه بل من حيث
ان الشيطان لبس عليهم واوقعهم في حيرة واشتباه بان وسوس اليهم ان احياء الاجساد البالية والعظام
النخرة خارج عن الوهم والعادة بعيد عن الامكان ايضا فان من انكر الاعادة مع اعترافه بالابتداء لا يكون
انكاره الا لاجل اللبس والحيرة وعدم الاهتداء الى النظر والعبرة فلهذا قال بل هم في لبس من خلق جديد
وعرف الخلق الاول لانه يعترف به كل احد ونكر الثاني لتعظيم شانه والاشعار بانه بسبب ما يعقبه من الامور
العظام مما لا سبيل الى تعريفه والتعبير عنه بما يشير اليه بخصوصه وتنكير لبس ايضا للتعظيم كانه قيل في لبس
اي لبس قوله تعالى ونعلم في محل النصب على انه حال من فاعل خلقنا على ان تقديره ونحن نعلم ولا يجوز ان يكون نعلم
بنفسه اي من غير تقدير المبتدا حالا لانه مضارع مثبت وهو لا يقع موقع الحال الا بالضمير وحده نحو جاءني زيد

قوله تعالى واصحاب الرس الى اخره الذين تقوصت بهم تخسف مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم في القران بيانا منه

لما تقرر دلائل الافاق على منكري البعث بقوله افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها الى قوله كذلك الخروج شرع في تقرير دلائل الانفس فقال افعيينا بالخلق الاول كانه قال لا حاجة الى ذكره بل في انفسهم دليل على جواز ذلك ودخوله تحت قدرتنا ولما كان معنى الاستفهام النفي والانكار كان المعنى ما عجزنا عن الابدا حتى نعجز عن الاعادة فنحن قادرون عليها ايضا منه

والتعظيم ليس راجعا الى الخلق بل هو حتى يعترض بانه اهون من الخلق الاول بل الى ما يتعلق به من الكلف وما يلاقيه بعده وقوله والاشعار بانه خارج عن المعتاد والمتعارف فان التنكير يدل على ان مدلول الاسم غير متعارف ويحتمل ان يكون تنكير خلق للتعليل والتهوين منه

بركب لا بالواو وقوله ونحن اقرب اليه حال من فاعل نعلم فالاية بيان لكمال علمه قوله ما تحدث به نفسه يطلق
الوسوسة والالقاء الخفي مبني على ان تجعل ما موصولة وضمير تحدث للانسان وضمير به لما الموصولة التي هي عبارة
عما يخطر بالبال وما عدى تحدث الى ضمير الانسان بنفسه وعدي الى الضمير المحدث به بباء التعدية وان جاز ان
يعدي اليه بنفسه كما يقال في نطقته به ونطقته اياه فحين ما يعدى اليه بالباء يكون الباء صلة كما في صوت بكذا
ونطق به ويجوز ان يجعل الانسان مع نفسه اي قلبه شخصين يجري بينهما مكالمة ومحادثة تارة بكليهما هو كما
يقال حدثت نفسه بكذا واخبرته تحدثه هي كما يقال احدثته به نفسه فلو جعلت كلمة ما في الاية موصولة لكان
ضمير به عبارة عن الصوت الخفي الذي تصوته نفس الانسان وقد تقرر ان فعل الوسوسة يتعدى اليه
بنفسه فيكون الباء صلة وان جعلت كلمة ما مصدرية تكون الضمير للانسان ويكون الباء للتعدية وسوسة
النفس اليه لان الانسان ليس نفس الصوت الموسوس بل هو الموسوس اليه فان فعل الوسوسة يتعدى
الى الصوت الملقى بنفسه والى من يلقى اليه الحديث بواسطة الى او الباء قوله تجوز بقرب الذات لما تعذر
ان يحمل قرب الذات ومعيته على اصل معناهما لاستحالتهما في حقه تعالى تعين المصير الى المجاز فان قرب
الذات ومعيته لما كانا سببين موجبين للعلم مستلزمين له صح ان يطلقا ويراد بهما العلم المسبب
اللازم لهما فكان المعنى نحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من هذا العرق قوله والحبل العرق بمعنى انه
مستعار للعرق فان الحبل وهو الرسن شبه العرق به فاطلق عليه اسم الحبل المشبه به والحبل بمعنى
العرق لما كان اسم جنس يتناول العروق كلها اضيف الى الوريد الذي هو نوع من انواعه اضافة بيانية
على طريق اضافة العام الى الخاص للبيان كما في خاتم فضة ويحتمل ان يكون حبل الوريد من قبيل
لجين الماء لكونه من قبيل اضافة المشبه به الى المشبه اي وريد كالحبل والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه والوتين عرق في القلب اذا انقطع
مات صاحبه قوله اي يتلقى بمعنى يأخذ يقال تلقنت الكلام بالكسر اي فهمته وتلقنته اي اخذته والتلقين
كالتفهيم قوله وفيه ايذان الى وجه الابدان انه تعالى لما كان اعلم بحال الانسان ممن كان اقرب اليه من
حبل الوريد المخالط لاجزائه الداخلة في اعضائه لزم ان يكون اعلم بحاله بالنسبة الى الملك المتنحي عنه
القعيد عن يمينه وشماله ومن كان علمه بهذه المثابة كيف لا يستغني عن استحفاظ الملكين قوله لما فيه
من تشديد يثبط العبد عن المعصية اي تفويت اشتغاله عنها يقال ثبطه عن الامر تثبيطا اي شغله عنه
قوله اي عن اليمين قعيد يعني قوله قعيد مبتدأ وعن الشمال خبره وحذف المبتدأ من الاول لدلالة
الثاني عليه كما حذف خبران في الجملة المعطوف عليها لدلالة ما ذكر في الجملة المعطوفة في قوله ومن يك
امسى بالمدينة رحله واني وقيار بها لغريب اي واني بها لغريب وقيار كذلك ومنه قوله رماني بامر كنت
منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوى رماني اي كنت منه بريئا وكان والدي منه بريئا وقيل الاخذ في

فالمعنى وقوله وما يجد عون الا انفسهم وان يراد حقيقة الخادعة اي يخدعونه وذلك يجد عون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك يمنيهم ويكذبهم بالاماني وقال في اخره المراد بالانفس ذواتهم كذا

ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه منه وانه يتعلق بمعلومه منه ومن احواله تعلقا لا يخفى عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في كل مكان وقد جل عن الاماكنة كشاف

قال المفسرون القعيد بمعنى الملازم الذي لا يبرح لا بمعنى القاعد كالجليس بمعنى المجالس ولا بمعنى القاعد الذي هو ضد القائم وقال مجاهد القعيد بمعنى الرصد قال الحسن الملائكة يحتنبون الانسان على حالتين عند غائط وعند جماعه

٢٢٤
في الكلام لان فعيلا يصلح للواحد والاثنين والجماعة كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير قال مجاهد عن
اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات قوله ولعله يكتب اختلف فيما يكتبان قيل يكتبان كل
شيء حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يوجر عليه او يوزر به وورد عنه عليه الصلوة والسلام ان صاحب
الشمال ليرفع القلم ست ساعات من العبد المسلم المخطئ او المسيء فان ندم واستغفر الله منها القاها والا
كتب واحدة وعنه عليه الصلوة والسلام قال صاحب اليمين امين على صاحب الشمال فاذا عمل حسنة كتبها له
صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب اليمين امسك
فيمسك عليه سبع ساعات فان استغفر الله تعالى منها لم يكتب عليه شيئا وان لم يستغفر كتب عليه سيئة واحدة
وعن ثابت البناني عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان
عليه فاذا مات قالا يا رب قد قبضت عبدك فلانا فالى اين نذهب قال تعالى سمائي مملوءة من ملائكتي يعبدوني
وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا الى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني واكتبا ذلك في حسنات
عبدي الى يوم القيمة قوله الذاهبة بالعقل اشارة الى وجه استعارة السكرة لشدة الموت وهو مشابهتها
لسكر الشراب في كونها سببا لذهاب العقل المراد بالحق الذي احضرته سكرة الموت اما حقيقة الامر الذي نطق به
كتب الله تعالى واخبر به رسله انه كائن او الموعود الحق من البعث وما يترتب عليه فالحق على هذا ما يقابل الباطل
وعلى الاول مصدر بمعنى المتحقق او الحق الذي ينبغي ان يكون على انه صفة مشبهة بمعنى الثابت وعبر عما خلق
له الانسان من الموت والجزاء حكما بالحق لانه مما ينبغي ان يتحقق قوله ادخل الباء في تنبت بالدهن فانها للمصاحبة
اي تنبت ومعها الدهن او ملتبسة بالدهن فالحق على هذا يجوز ان يكون بمعنى حقيقة الامر وبمعنى الموعود الحق
والمعنى ما ينبغي ان يكون اي جاءت ملتبسة بالحق باحد هذه المعاني قوله وقرئ وجاءت سكرة الحق بالموت
باضافة السكرة الى الحق للبيان لانها كائنة لا محالة كتبها الله تعالى على الانسان واوجبها له والباء في هذه القراءة
للتعدية لانها الشدة سبب لزهوق الروح وبطلان القوى عن البنية فيكون كانها جاءت به او لان الموت يعقبها
فشبهت بالجائي ويجوز ان يكون بمعنى مع اي جاءت ملتبسة به قوله للانسان المذكور في قوله ولقد خلقنا الانسان
فيكون التفاتا من الغيبة الى الخطاب ويجوز ان يكون الكلام محكيا بالقول المضمر اي يقال له ذلك الموت ما كنت
منه تحيد قوله اي وقت ذلك النفخ قدر الوقت المضاف لان ذلك لما كان اشارة الى مصدر نفخ واخبر عن النفخ
بانه يوم الوعيد كان المعنى ذلك النفخ يوم انجاز الوعيد ولا وجه له لان المعنى المصدري لا يحكم عليه بانه زمان فلذلك
قدر المضاف قوله ملكان احدهما يسوقه اي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده من الجنة او النار والشهيد
هو الكاتب الذي يشهد عليها بما عملت والسائق لازم للبر والفاجر اما البر فيساق الى الجنة واما الفاجر
فالى النار قوله او ملك جامع للوصفين فيكون العطف من قبيل عطف الصفة على الصفة وعلى الاول من
عطف الذات على الذات قوله وقيل السائق نفسه تشبيها له بالسائق من حيث حضره في المجيء اي جاءت شاهدة

فلما ان تسوق نفسا وسمي قرينه من الشيطان سايقا لانه يتبعه الى المحشر كالسايق الذي يتبع من يسوق

قوله لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة فان الحال عن النكرة المحضة يجب تقديمها على ذي الحال وبين صاحب

الكشف كون نفس في حكم المعرفة بقوله لان كل نفس في معنى كل النفوس ثم نقل عن صاحب الكشاف ان اصل كل

ان يضاف الى الجمع كافعل التفضيل فكانه قيل كل النفوس انتهى كلامه فلو قيل جاءت النفوس كلها لتاخرت الحال

عنها لكون ذي الحال معرفة فجاز تاخرها اذا كان ذو الحال في حكم المعرفة ويجوز ان يقال ان كل نفس تخصص بالعموم

تخصص المبتدا في خبر ما احد خير منك لانه بالعموم يكون المعنى كل فرد فرد لا واحد غير معين الذي هو مدلول النكرة

وهو الوجه في تخصص النكرة بالعموم ويحتمل ان يكون جملة معها سايق وشهيد في محل الجر على انها صفة لنفس

او في الرفع على انها صفة لكل قوله على اضمار القول اي يقال له لقد كنت والقول المقدر اما صفة لكل نفس او حال

والمعنى لقد كنت في غفلة من هذا اليوم وما فيه وانت في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذي كان في الدنيا

على قلبك وسمعك وبصرك فبصرك اليوم حديد نافذ تبصر فيه ما كنت تنكره في الدنيا قوله والكافات بكسر التاء

منصوب بالعطف على التاء ومن فتح التاء والكافات اعتبر لفظ كل وجعل الخطاب للمذكر قوله قال الملك الموكل

عليه جواب لما عسى يقال ان الخطابات السابقة لكل نفس من النفوس المؤمنة والكافرة فذ تقدر

ان النفوس المؤمنة لها قرينان احدهما يكتب حسناته والاخر سيئاته فلم افرد القرين في قوله وقال قرينه

وتقرير الجواب انه افرد القرين بناء على ان المراد به الجنس او جعل الخطابات السابقة للكافر لكان وجه

افراد القرين ظاهرا لان قرين الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب الحسنات فالقرين سواء اريد به الجنس

او كاتب السيئات يكون قوله هذا اشارة الى ما كتبه من ديوان العمل ويكون المعنى هذا ما هو مكتوب عندي

حاضر لدي ولفظ ما في هذا التركيب مبتدا وما اما موصولة بمعنى الذي وقوله هو مكتوب عندي صلتها والموصول

مع صلته خبر هذا وقوله حاضر لدي خبر بعد خبر او موصوفة بمعنى شيء وقوله هو مكتوب عندي صفتها

والموصوف مع صفته خبر هذا وحاضر لدي خبر آخر وان كان المراد بقرينه الشيطان المقيض له لاغوائه

كما يدل عليه قوله فيما بعد قال قرينه ربنا ما اطغيته يكون هذا اشارة الى العاصي ويكون عتيد بمعنى

مهيأ لجهنم ويكون المعنى ان الشيطان يقول هذا العاصي الذي هو عندي او شيء هو عندي معتد لجهنم

مهيأ لها عندي بالاغواء والاضلال قوله او لواحد وهو مالك خازن النار ولما كان تثنية ضمير القيا

منافيا لكون الخطاب لواحد ذكر لتثنيته وجهين احدهما الدلالة على تكرير الفعل للتاكيد كانه الق الق

ولما لم يكن سبيل الى تثنية الفعل نزلت تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره والوجه الثاني كون تثنية الفاعل

دليلا على تكرير الفعل انه لما ثني الفاعل مع كونه واحدا في نفس الامر علم ان اصله الق الق ثم حذف الفعل

الثاني وثني فاعله وفاعل الفعل الاول على صورة ضمير الاثنين متصلا بالفعل الاول كما في قوله فان تزجراني

يا ابن عفان انزجر • وان تدعاني احم عرضا ممنعا • وثانيهما ان الف القيا ليس ضمير التثنية بل هي الف

مبدلة

ان العرب اكثر ما يرافق الرجل منهم اثنين فكثر على السنتهم ان يقولوا خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه

او على انها صفة لكل نفس او حال على انها صفة كانه قيل فماذا يقال لها فقيل يقال لقد كنت الخ الخ

قرينة الكافر كاتب سيئاته وليس له كاتب الحسنات

مبدلة من النون الخفيفة اصله القين فابدلت الالف من النون في حال الوقف ثم اجري الوصل مجرى

الوقف فقيل القيا في حالتي الوصل والوقف قوله كثير المنع للمال ان كان الكفار من الكفر المقابل للايمان

يكون وجه بناء المبالغة انه كما يستر دلائل واحدانيته تعالى ودلائل صدق مدعي الرسالة يستر ايضا دلائل

ساير ما يجب الايمان به مع ظهورها وقوتها ووجه المبالغة في قوله مناع للخير انه مع كونه كفارا عنيدا لا يقنع

بهما بل يتخطى الى ان يمنع ماله عن كل مستحق ويطلب شيئا من ماله حبا للمال وبخلا به عمن يستحقه ومعنى كونه

معتدا انه كما لم يؤد الحق المالي الى مستحقه يتعدى الى ان ياخذ المال الحرام بطريق الربوا ونحوه فان الكفار

مخاطبون بفروع الايمان من حيث انهم يعذبون بتركها وان لم يكونوا مطالبين بها حال الكفر لعدم اهليتهم

لثوابها ويحتمل ان يكون المراد بالخير الاسلام ويكون المعنى انه لا يقنع بكفره بل يكون مناعا للغير عن الايمان

وان كان الكفار من كفر النعمة بمعنى ان نعمة انعم الله تعالى بها لا يؤدي شكرها بل يصرفها في هوى نفسها يكون

المراد بالخير الاسلام بمعنى انه لا يقنع بكفران النعم بل يكون مناعا للغير عن الايمان قوله وانما استؤنفت كما

تستانف الجمل جواب عما يقال لم قيل ههنا قال قرينه بدون الواو وقيل فيما سبق وقال قرينه بالواو وتقرير

الجواب ان الجملة الاولى واردة في مقام تفصيل ما يلاقونه على قرب من نفخة البعث وما يترتب عليها من

الاحوال الواقعة بعد البعث الى ان يلقى كل كفار عنيد في جهنم ومنها قول القرين هذا ما لدي عتيد فتحتم ان يعطف

على الجملة المذكورة قبلها بخلاف الجملة الثانية فانها جملة مستانفة فتحتم ان يكون خالية عن العاطف

كما في الجملة الواقعة في حكاية التقاول مثل ما وقع في قصة ابرهيم عليه الصلوة والسلام اذ قال لابيه وقومه

ما هذه التماثيل الخ ثم قالوا وجدنا اباءنا ثم قال لقد كنتم الايات فان قيل فاين التقاول ههنا قلنا لما قال قرينه

هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه قوله لا تختصموا لدي علم ان ثمة تقاولا

بين الكافر وقرينه لكن طرح قول الكافر في الذكر لدلالة قوله ربنا ما اطغيته عليه كان الكافر قال اعتذارا

عن كفره وعصيانه يا رب ما عصيتك باختياري بل لان الشيطان الذي قيضته لي اطغاني وحملني على معصيتك

فقال قرينه ربنا ما اطغيته فمقالة الكافر وان لم يصرح بها اعتمادا على ذكر ما يدل عليها وهو قول قرينه ربنا

ما اطغيته الا انها لما كانت مقدرة ملحوظة في النظم كانت مورد الان يسال ويقال فماذا قال قرينه حين قال

الكافر ذلك في حقه فاجيب عنه بان قيل قال قرينه فانه اذا حكي قول احد الخصمين اتجه ان يقال فماذا قال خصمه

فيستانف بان يقال قال خصمه كذا وهذه الاية تؤيد كون المراد بالقرين في الاية المتقدمة هو الشيطان لا الملك

الموكل عليه فان قيل لما قال القرين اولا في حق الكافر هذا ما عندي وفي ملكي عتيد لجهنم هيأته لها باغوائي اياه

كيف يصح منه ان يقول ربنا ما اطغيته اي ما جعلته طاغيا متجاوزا حده في العصيان قلنا اشار للصلح الجواب

بقوله اولا باغوائي وآخرا فاعنته عليه لكونه في نفسه مائلا الى الفجور والحاصل ان الاغواء بمعنى تزيين المعصية

غير الاطغاء قال صاحب الكشف وهذه الاية لا تنافي قوله هذا ما لدي عتيد على معنى اعتدته لجهنم وهياته لها

باغوائي واضلالي على ما توهم لان الاول نظير قول الشيطان ولاضلنهم ولاغوينهم اجمعين وقوله ربنا ما اطغيته
نظير قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي انتهى كلامه وقيل في دفع المنافاة صدر القول الاول
من القرين في حالين قال اولا حين ما يسوقه انا فعلت به ذكرا اظهارا للانتقام من بني آدم لكونه سبب لعنة الشيطان
ثم اذا راى العذاب وقال الكافر انه الذي اطغاني رجع من قوله الاول وقال ما اطغيته **قوله** وهو استيناف مثل الاول
كان قائلا قال فماذا قال الله تعالى للقرين وخصمه حين تقاولا فاجيب بان قيل لا تختصموا لدي **وقوله** تعالى لدي يدل بمفهومه
على ان الاختصام في الموقف واما الاختصام في الدنيا فغير منهي عنه بل هو واجب **قوله** عالمين اني اوعدتكم توجيه
لكون جملة وقد قدمت اليكم حالا من فاعل لا تختصموا مع عدم مقارنة مضمونها بمضمون عاملها لان التقديم
كان في الدنيا والخصومة في الاخرة وقد تقرر ان اجتماع مضمون الحال مع مضمون العامل شرط والمعنى لا تختصموا
وقد صح عندكم الآن اني قدمت اليكم بالوعيد وزمان الصحة متحد مع زمان النهي **قوله** ويجوز ان تكون
بالوعيد حالا او يجوز ان لا تكون الباء زائدة ولا معدية بان تكون للملابسة وتكون المعنى وقد قدمت اليكم
ملتبسا بالوعيد ما يبدل القول لدي والمراد بالقول هو الوعيد بتخليد الكافر في النار ومجازاة العصاة
على حسب استحقاقهم جزاء وفاقا **قوله** لدي تعلق بالقول اي لا تبديل للقول بوقوع الخلف فيه وكلمة ما في قوله
ما يبدل لنفي الحال كانه قيل ما يبدل اليوم لدي القول بل ينجز ويحقق مضمونه فاذا اريد نفي الفعل في
الحال يقال زيد يفعل شيئا واذا اريد نفيه في المستقبل يقال لا يفعل او لن يفعل **قوله** وعفو بعض المذنبين
جواب عما يقال ما وجه التوفيق بين قوله ما يبدل القول لدي وبين ايات العفو والغفران فان الاول
يدل على انه لا يقع الخلف في مضمون الايات الواردة في حق وعيد العصاة والعفو عن بعضهم ينافي
مضمونها وتقرير الجواب ان العفو انما ينافيه ان لو كانت الايات الواردة في حق الوعيد عامة في حق جميع
العصاة وليست كذلك بل هي واردة في حق من تعلقت المشية بتعذيبهم بقرينة ايات العفو الواردة
في حق من تعلقت المشية بالعفو عنه فانه تعالى يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء فلا تبديل في القول بالعفو
عن البعض **قوله** فاعذب من ليس لي تعذيبه اشارة الى جواب ما يقال من انه تعالى نفى عنه كونه ظلاما
للعبيد وهو يشعر ثبوت اصل الظلم له وهو تعالى لا يظلم الناس شيئا من الظلم وما الله يريد ظلما للعباد
فضلا عن ان يظلمهم وتقرير الجواب ان نفي كونه تعالى ظلاما يستلزم نفي كونه ظالما وذلك لانه لما جرت عادة
ولة التخاصم بين وقرينه ونهاهم الله تعالى عن التخاصم لديه اي في دار الجزاء وموقع الحساب فقال لا
تختصموا لدي عالمين بانه لا فائدة فيه حيث تعلمون اني اوعدتكم على الكفر والطغيان في دار العمل والتكليف
فلم تلتفتوا اليه سمعا ولا رفعتم اليه راسا على عدم كون التخاصم مفيدا بان قال على طريق الاستيناف
ما يبدل القول لدي وما انا بظلام اي لا ابدل ما قدمته من الوعيد في حق كل كفار عنيد بالعفو عنهم بل
انتقم منهم باخلادهم في النار وعطف عليه قوله وما انا بظلام بصيغة المبالغة والمعنى لو عذبت
عبدا

قوله فاعذب من ليس لي تعذيبه على ان يكون المراد بالعبيد الذين خفت العذاب ويحتمل ان يكون عليهم كلمة العذاب والمؤمنين والمعنى قول الله المراد منهم الكافت لو تبدلت قولي ورحمت العبادة لما تعارضت في تعذيب العباد ظلما من الشهداء المؤمنين لاني نعمتهم فيه بما لاجل هذا اليوم فلو سويت من الطاعني وعصاني لكان ما يكابده المؤمن من الاطاعة الاشتغال خاليا عن الفائدة

عبدا ضعيفا منقادا لامري غير مستحق للتعذيب من قبلي لكان ذلك غاية الظلم ولست بظلام فاعذب
من ليس لي تعذيبه فظهر بهذا ان نفي كونه ظلاما يستلزم نفي كونه ظالما وايضا تخصيص الشيء بالذكر
لا يدل على نفي ما عداه فنفي كونه تعالى ظلاما لا يستلزم كونه ظالما وقيل الظلام لكونه بناء النسبة يكون بمعنى
الظالم كالتمار بمعنى التامر فالمعنى وما انا بظالم **قوله** تعالى يوم نقول لجهنم يجوز ان يكون ظرفا لظلام واذا
لم يظلم في هذا اليوم فعدم كونه ظالما في غيره اولى او ظرف لقوله ما يبدل او لمحذوف دل عليه ما قبله
اي ذلك يكون يوم نقول ويجوز ان يكون منصوبا بمضمر اي اذكر او انذر يوم فيكون مفعولا به وجوز كونه
لقوله ونفخ في الصور وهو بعيد للبعد **قوله** جيء بهما للتخييل والتصوير اي لتصوير امتلائها في القلب
حيث اجابت بقولها هل من مزيد وهو استفهام انكار كانها قالت امتلأت بحيث لا مزيد على ذلك
الامتلاء بكثرة من ادخل فيها من الجنة والناس والآقليس ثمة سؤال وجواب حقيقة وطريق التخييل
ان جهنم شبهت بمن له عقل وتمييز يسال ويجيب وجعل اثبات لوازم المشبه به لها دليلا على التشبيه
المضمر في النفس والمعنى انا نملأها من الجنة والناس كما كنا وعدنا بذلك بحيث لو قيل لها ذلك وهي عاقلة
ناطقة لقالت ذلك على سبيل الانكار والتعجب من كثرة العصاة **قوله** او انها من السعة بحيث يدخلها من
يدخلها وفيها بعد فراغ فتطلب الزيادة ليمتلي بها ذلك الفراغ فالاستفهام في قوله تعالى هل امتلأت لبيان استحقاقها
وانكار امتلائها وفي قوله هل من مزيد لطلب الزيادة فيكون هذا السؤال والجواب قبل دخول جميع اهلها فيها
بان يدخل فيها الكفار بأسرهم ويبقى فيها موضع لعصاة المؤمنين فتطلب جهنم امتلائها تحقيقا لقوله تعالى
لأملأن جهنم فيطرح في ذلك الموضع عصاة المؤمنين فيبرد حرارتها ويسكن ابقاء لهم غيظها فقوله علی هذا الوجه
فيحمل ما ورد في بعض الاخبار من ان جهنم تطلب الزيادة حتى يضع الجبار قدمه والمراد بالجبار
المؤمن فانه جبار متكبر على ما سوى الله تعالى ذليل متواضع لله عز وجل وروي انه لا يبلغني فوح حمى المتحقق
لدخول جهنم الآذهب فيها ولا يملأها شيء لكونها صورة قهر الله تعالى الذي لا نهاية له فتقول جهنم اليس قد
اقسمت لتملأني فيضع الله تعالى فيها قدمه اي ما تقدم من قوله سبقت رحمتي غضبي اي يضع فيها رحمته وينظر
اليها نظر الرحمة ثم يقول هل امتلأت فتقول قط قط اي حسبي حسبي وليس في مزيد فيتزوي بعضها في بعض
ضرورة انه اذا جاءت الرحمة تنزوي صورة القهر **قوله** او انها من شدة زفيرها وحدتها فالاستفهام
الاول للتقرير والثاني اقرار بالامتلاء في الحقيقة لانها نزلت نفسها منزلة طالب الزيادة والكثرة لشدة
تغيظها على العصاة واهتمامها بالانتقام منهم تتمنى زيادة الداخلين وكثرتهم **قوله** وقرأ نافع وابو بكر
يقول بياء الغيبة باسناد الفعل الى ضمير اسم الله لتقدم ذكره في قوله الذي جعل مع الله والباقون بنون
المتكلم المعظم نفسه لتقدم ذكره في قوله لدي وقد قدمت وما انا بظلام **قوله** فيكون ذلك اي اذا انتصب
يوم نقول بقوله نفخ يكون ذلك في قوله ذلك يوم الوعيد اشارة الى يوم نقول لان الاشارة الى ما بعد اسم

الاشارة جائزة لا سيما اذا كانت رتبة التقدم فكانه قيل ذلك اليوم اي يوم نقول لجهنم هل من مزيد يوم الوعيد
فلا يحتاج الى ان يجعل تقدير الكلام وقت ذلك النفخ يوم تحقق الوعيد لان الاحتياج اليه انما هو لكون ذلك اشارة
الى النفخ وعدم صحة حمل يوم الوعيد على المصدر واذا جعل ذلك اشارة الى اليوم صح الحمل من غير تقدير المضاف
قوله قربت لهم فان قيل الجنة مكان والامكنة لا تقرب بل تقرب منها فما وجه تقريبها اجيب بان الجنة لا تزال
ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكنه تعالى يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة وهذا
هو المراد بتقريبها فان قيل اسناد الازلاف بمعنى طي المسافة بينهما الى الجنة ليس اولى من اسناده الى
فكيف قيل وازلفت الجنة للمتقين ولم يقل وازلف المتقون للجنة اجيب بانه اختير ذلك لما فيه من اكرام
المؤمن وبيان لشرفه وانه ممن يمشى اليه والظاهر ان قوله وازلفت معطوف على قوله نقول لجهنم اي يوم
ازلفت قوله اي مكانا غير بعيد اشارة الى ان انتصاب غير بعيد على انه ظرف مكان لازلفت كقولك اجلس
غير بعيد والاصل ازلفت مكانا غير بعيد ثم حذف المكان للعلم به واقيمت صفته مقامه وان كان غير بعيد
حالا من الجنة كان الظاهر ان يقال غير بعيدة الا انه ذكر اما لكونه على زنة المصدر كالزئير والصليل
والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والزئير صوت الاسد في صدره يقال زأر يزأر ويزئر
زأرا وزئيرا ويقال صل السلاح ونحوه يصل صليلا اي صوت واما لغير ذلك قوله على اضمار القول
مبني على القراءة بتاء الخطاب ولا حاجة اليه على قراءة ابن كثير ذلك القول اما منصوب على انه حال من المتقين
اي مقولا لهم هذا الثواب او هذا الازلاف ما توعدون او هو مع مقوله جملة معترضة بين البدل والمبدل
منه على معنى يقال لهم والاعتراض متعين في قراءة ابن كثير بالياء لاسناد الفعل الى المتقين قوله
بدل بعد بدل يشعر كونه بدلا ثانيا من المتقين الا ان صاحب الكشاف صرح بانه بدل من كل اواب حيث
قال بدل بعد بدل تابع لكل ومعنى البعدية وروده عقيب البدل مع غير اتحاد المتبوع ولم يجعله بدلا ثانيا
من المتقين لان تعدد البدل مع اتحاد المبدل منه لا يجوز قوله ولا يجوز ان يكون في حكمه اي في حكم اواب
فان اوابا صفة لمحذوف والتقدير لكل عبد اواب ولا يجوز ان يكون من خشي صفة له كاواب لان من لا
يكون صفة فلا يقال الرجل من جاءني جالس كما يقال الرجل الذي جاءني جالس والخشية وان كان يفسر
بالخوف الا ان بينهما فرقا وهو ان الخشية خوف من عظمة المخشي وهيبته بخلاف الخوف فانه خشية
من ضعف الخاشي ويدل على ذلك انه حيث كان الخوف من عظمة المخشي استعمل فيه الخشية وان كان
الخاشي قويا في نفسه قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وقال وهم من خشية ربهم مشفقون مع ان الملائكة والجبل
اقوياء في انفسهم وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي استعمل فيه الخوف قال لا تخافوا ولا تحزنوا ونحو
ذلك قوله تعالى بالغيب حال من الفاعل اي خشي حال كونه غائبا عن الاعين لا يراه احد ومن المفعول اي

المعنى ان المتقين اذا فرغوا من الحساب برزوا غير بعيد منهم اي بان يطوي الله عز وجل المسافة التي بينها وبينهم او بان يكشف الحجاب عن ابصارهم فيرونها قريبا الخ
منه

مطلب الفرق بين الخشية والخوف

اي خشي عقاب الرحمن حال كونه كل منهما غائبا لا يعرفه المكلف الا بطريق الاستدلال قوله وتخصيص الرحمن
جواب عما يقال كيف قرن الخشية بالاسم الدال على سعة الرحمة مع ان الظاهر اقترانها بما يدل على العظمة
والمهابة قوله ووصف القلب بالانابة مع ان الموصوف بالانابة التي هي الرجوع من المعصية الى طاعة الله
تعالى هو المكلف للاشعار بان الاعتبار في الرجوع الى الله تعالى انما هو الرجوع بالقلب قوله سالمين او مسلما
عليكم يعني ان قوله تعالى بسلام حال من فاعل ادخلوها وانه اما من السلامة او من التسليم وعلى التقديرين هي
حال مقارنة لحصول كل واحد منهما حال الدخول وان كان التسليم بعد الدخول يكون حالا مقدرة قوله تعالى
ذلك يوم الخلود قال ابو البقاء اي زمان ذلك اليوم الخلود كانه جعل ذلك اشارة الى ما تقدم من انعام الله تعالى
عليهم بما ذكر اخبر الله تعالى لاهل الدنيا ان ذلك الزمان زمان الاقامة الدائمة وان اهل الجنة لا يرتحلون
عنها فتبقى في قلوبهم حسرتها وليس ذلك قولا يقول الله تعالى عند قوله ادخلوها لان المؤمنين يعلمون ان من
دخل الجنة يبقى فيها ابدا فلا فائدة لهم في الاخبار بذلك الا ان يقال ان استماع ذلك يفيد تطرية النشاط
ومزيد طمانينة القلب قوله تعالى ولدينا مزيد اي زيادة على ما يشاؤون ويأملون وما نزيده عليه على
ان يكون المزيد اسم مفعول كالمبيع قال انس وجابر رضي هو النظر الى وجه الله الكريم والظاهر ان مرادهما
ان النظر المذكور افضل ما لديه من المزيد والا ففي الجنة مزيد على كل ما يأملونه غير ذلك ثم انه تعالى لما اعلم
منكري البعث بما يلاقونه عن قريب من الموت والبعث والقاء المشركين في العذاب الشديد خوفهم بعذاب
الدنيا ايضا فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد بطشا وكم منصوب بما بعده وقدم على عامله اما
لانها استفهامية واما لانها خبرية وهي تجري مجرى الاستفهامية في اقتضاء الصدارة ومن قرن تمييز
وهم اشد صفة كم او صفة قرن وبطشا تمييز اشد والبطش الاخذ بشدة والجمهور على فتح القاف
مع التشديد في قوله فنقبوا والفاء فيه عاطفة على المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا فان كان التنقيب
بمعنى التطواف وقطع المفاوز لاجل تفرج البلاد وتصرف فيها بقهرها والاستيلاء على اهلها كما في قوله لقد
نقبت في الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب • يكون الفاء سببية للدلالة على ان شدة بطشهم
ابطرتهم وحملتهم على التنقيب وقوتهم عليه وان كان بمعنى الجولان والدوران فيها حذرا من الموت
كما في قوله فنقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال يكون الفاء لمجرد التعقيب حيث
كان سبب التنقيب مجرد الاحتراز عن الموت لا شدة البطش وقرئ فنقبوا بفتح القاف
مخففا والتشديد للكثرة والمبالغة وقرئ فنقبوا بكسر القاف مشددا على امر المخاطبين كقوله فسيحوا
في الارض فسيروا فيها فانظروا هل تجدون محيصا من قهر الله تعالى او الموت وقرئ ايضا فنقبوا
بكسر القاف مخففا اي اكثروا السير فيها حتى نقبت دوابهم من النقب يقال نقب البعير ينقب نقبا من
باب علم اذا رقت اخفافه من كثرة السير ومنه قوله • اقسم بالله ابو حفص عمر • ما مسها من نقب ولا دبر

وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد كشاف

اعفرلہ اللهم ان كان نجد قوله اى لهم من الله تعالى اشاره الى ان هل من محيص مبتدا احذف خبره اى
هل لهم من محيص اى ملجاء ومفر من عذاب الله تعالى واهلاكه او من الموت قوله اى قلب واع حمل القلب المذكور
فى الاية وهو مطلق على القلب الواعى ليظهر فائدة التقييد بقوله لمن كان له قلب فان كل انسان له قلب لا محالة
وايضا لو بقى القلب على عمومه للزم ان يكون ما ذكر فى هذه السورة تذكرة لكل انسان وليس كذلك لانه ما
يتذكر الا اولوا الالباب والقلوب الواعية واطلق القلب فى الاية للاشعار بان من ليس له قلب واع
فكانه لا قلب له لان المقصود من القلب الحفظ وفاقد ما هو المقصود منه كالمعدوم وكذا حمل قوله شهيد
على تقدير كونه من الشهود بمعنى الحضور بالذهن ليظهر فائدة التقييد بالجملة الحالية لان من القى السمع
اى مائلا عليه يكون حاضرا بشخصه لا محالة لاستحالة الاصغاء من الغائب فلو لم يحمل الحضور فى ذهنه على الحضور
لما ظهر فائدة التقييد ايضا واطلاقه فى الآية للاشعار بان من لا يحضر بذهنه فكانه غائب وكلمة او
فى قوله تعالى او القى السمع لتنبيه حال المتذكر الى كونه تاليا بنفسه وكونه سامعا من غيره والباء
فى قوله بذهنه يجوز ان يكون للتعدية او للملابسة ثم انه تعالى لما احتج على منكرى البعث بما يدل على كمال
قدرته وهددهم بما يلاقونه عن قريب من عذاب الاخرة ثم خوفهم بعذاب الدنيا عاد الى دليل آخر
فقال ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام اى فى ستة اوقات واحيان لان اليوم فى اللغة
عبارة عن زمان مكث الشمس فوق الارض من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات لم يكن شمس
ولا قمر ومن قدر على ابداء العالم باسره فى مدة يسيرة كيف لا يقدر على البعث والاعادة وقوله
تعالى وما مسنا من لغوب رد لما زعمت اليهود فانه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اليهود اتت النبى
عليه الصلوة والسلام فسالته عن خلق السموات والارض فقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الارض يوم
الاحد والاثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلثا وخلق الشجر والماء والمدائن والعمران
والخراب يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم الجمعة
قالت اليهود ثم ماذا قال ثم استوى على العرش قالوا قد اصبت لو تممت قال وما هو قالوا ثم
استراح يوم السبت فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فانزل الله تعالى هذه الاية ثم قال
فاصبر على ما يقولون من الشرك والتشبيه قال الامام وما قاله اليهود ونقلوه من التورية اما
تحريف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك لان الاحد والاثنين ازمنة متميزة بعضها عن بعض فلو كان
خلق السموات ابتداء يوم الاحد ونحوه لكان الزمان متحققا قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام
فيكون قبل خلق الاجسام اجسام اخر فيلزم القول بقدم العالم وهو مذهب الفلاسفة ومن العجب ان
بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف فان الفلسفى لا يثبت لله تعالى صفة اصلا ويقول انه تعالى لا يتغير
صفة بل هو واحد من جميع الوجوه وفعله وقدرته وحيوته وهو حقيقته وعينه وذاته والمشبهة يثبتون

وقالوا ان الذى وقع منا التشبيه ثم
وقع منا التشبيه فى هذه الامة انما وقع
ومنهم اخذه س ك

يثبتون لله تعالى صفة الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والصعود والنزول فبينهما
منافاة ثم ان اليهود فى كلامهم هذا جمعوا بين المتنافيين واخذوا بمذهب الفلاسفة فى المسئلة التى هى
اخص المسائل بهم وهى القدم حيث اثبتوا قبل خلق الاجسام اياما معدودة وازمنة محدودة واخذوا
بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى اخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فاخطأوا وضلوا فى الزمان
والمكان جميعا انتهى والفاء فى قوله تعالى فاصبر للسبب اى اذا لم يسمعوا قولك ولم يهتدوا بارشادك فاصبر
على ما يقولون من اباطيلهم واشتغل بعبادة ربك فانه عليه الصلوة والسلام له شغلان احدهما عبادة الله تعالى
وثانيهما هداية الخلق فاذا هداهم ولم يهتدوا قيل له اقبل على شغلك الآخر وهو عبادة الحق وهذا قبل
الامر بقتالهم امره الله تعالى بان ينزهه فى بعض الاوقات من النهار والليل وخص ما قبل الطلوع و
الغروب من النهار لكونهما وقتى اجتماع ملائكة الليل وملائكة النهار ولم يعين البعض الكائن من الليل
اى بعض هو للاشارة الى ان الليل كله زمان الانقطاع عن الشواغل فلا وجه لترجيح بعض اجزائه
على بعض بخلاف النهار فانه محل الاشتغال بالمصالح فينبغى ان يعين وقت العبادة منه ليبقى سائر اوقاته
لسائر المصالح وهذا على ان تكون كلمة من فى قوله ومن الليل للتبعيض ويحتمل ان تكون لابتداء الغاية فتكون
المعنى ومن اول الليل فسبحه الى ان يغلب عليك النوم ونحوه ويحتمل ان يكون المراد بقوله تعالى وسبح بحمد ربك نزهه
عما يقولون ولا تسأم من اباطيلهم بل ذكرهم بعظمة الله تعالى ونزهه عن الشرك والعجز عن الممكن الذى
هو امر الحشر والبعث قبل الطلوع وقبل الغروب فانهما وقتا اجتماع قومك الغلبة الحرارة فى بلادهم
ومن اوائل الليل ايضا لانه ايضا وقت اجتماعهم والفاء فى قوله تعالى فسبحه لتاكيد الامر بالتسبيح من الليل
وذلك لانه تتضمن معنى الشرط كانه قيل واما من الليل فسبحه والتعليق بالشرط يفيد ان عند وجوده
يجب وجود الجزاء قوله تعالى وادبار السجود قرأ نافع وابن كثير وحمزة ادبار بكسر الهمزة على انه مصدر
ادبر الشئ اذا تم وانقضى وانتصابه على الظرفية لان المصدر اقيم مقام الوقت والزمان كما فى نحو آتيك
خفوق النجم اى وقت خفوقه ومعنى وقت ادبار السجود وقت انقضاء الصلوة وتمامها وقرأ الباقون
بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى آخر ودبر الصلوة آخرها وعقبها وانتصابه على الظرفية والركوع والسجود
والتسبيح قد يعبر بها عن الصلوة لاشتمال الصلوة عليها فلذلك فسروا ادبار السجود بقوله واعقاب واختار
المص ان يكون التسبيح على اصل معناه وهو التنزيه ثم نقل كونه بمعنى الصلوة فمعنى قوله تعالى وادبار السجود و
صل اعقاب الصلوة روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله تعالى فى دبر
كل صلوة ثلثا وثلثين وحمد الله تعالى ثلثا وثلثين وكبر الله تعالى ثلثا وثلثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال
تمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت خطاياه وان كانت
مثل زبد البحر وقال عمر بن الخطاب وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما والحسن والشعبى والنخعى والاوزاعى ادبار

الا ان قوله بحمد ربك يؤيد
الاول قال مجاهد فى قوله و
ادبار السجود التسبيح باللسان
فى ادبار الصلوات
سلمه

السجود الركعتان بعد صلوة المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل صلوة الفجر وهو رواية عن ابن عباس رضي

قوله واستمع لما اخبرك به يعني ان مفعول استمع محذوف اي استمع ما اقول لك من احوال يوم القيمة ثم اخذ في وصفه فقال يوم ينادي المناد ونحو يوم منصوب بفعل مضمر والتقدير يخرجون من القبور يوم ينادي المنادي وهو اسرافيل على الصلوة والسلام فانه ينفخ وينادي بما ذكره المص وقيل ان اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي ويحتمل ان ينزل استمع منزلة اللازم ولا يقصد تعلقه بمفعول معين ويكون المعنى كن مستمعا لا تكن مثل هؤلاء المعرضين الغافلين قوله بالحق متعلق بالصيحة اي حال منها اي يسمعونها ملتبسة بالحق الذي البعث وذلك اشارة الى وقت النداء او الى وقت السماء اي ذلك الوقت يوم الخروج من القبور قوله من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل يعني ان المراد بقرب المكان قربه بالنسبة الى اهل القبور كلهم ولما كان قرب المكان بالنسبة الى بعض الموتى يستلزم البعد بالنسبة الى من بعد من ذلك البعض فاستحال المذكر ان يكون مكان النداء قريبا حقيقة حمل قرب المكان بالنسبة الى الكل على التشبيه والمعنى يخرجون من قبورهم يوم ينادي المناد بحيث يصل نداؤه الى الكل على السواء كانه ينادي من مكان قريب بالنسبة الى كل واحد منهم من الضحاك انه قال يسمع البعيد كما يسمع القريب واكثر المفسرين على ان المراد قرب مكان النداء الى السماء وان ذلك المكان هو صخرة بيت المقدس فانها اقرب الى السما بالنسبة الى سائر اجزاء الارض ثم اختلفوا في مقدار قربها اليها فمنهم من قال انها اقرب اليها من جميع الارض باثني عشر ميلا ومنهم من قال بثمانية عشر ميلا وقيل يسمعون النداء من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم بتخفيف الشين يعني ان الكوفيين وابا عمرو قرؤا هنا وفي الفرقان تشقق بتخفيف الشين والباقون بتشديدها واصله عند الكل تتشقق بتائين الاولون حذفوا احدى التائين للتخفيف والباقون ادغموا التاء الثانية في الشين ويوم تشقق يجوز ان يكون بدلا من يوم يسمعون وقيل انه بدل من يوم ينادي وفيه نظر لانه يستلزم تعدد البدل والمبدل منه واحد وقد تقدم ان الزمخشري منعه ويجوز ان يكون ظرفا للمصير اي يصيرون الينا يوم تشقق الارض وسراعا حال من الضمير المجرور في عنهم والعامل فيها تشقق وقيل عاملها هو العامل في يوم تشقق المقدر اي يخرجون سراعا يوم تشقق فيكون سراعا مبينا لهيئة الفاعل وعلى الاول يكون مبينا لهيئة المفعول به لان التشقق عدي اليه بحرف الجر كانه قيل كشفت عنه فهو مكشوف عنه والسراع جمع سريع كالكرام جمع كريم قوله ذلك يحتمل ان يكون اشارة الى التشقق عنهم وان يكون اشارة الى الاخراج المدلول عليه بفحوى الكلام او الى الحشر المذكور بعده اي ذلك الحشر حشر يسير والحشر الجمع قوله الا كنفس واحدة اي الا كخلق نفس واحدة وبعثها وهذا صريح في انه تعالى لا يشغله شان عن شان قوله نحن اعلم بما يقولون اي بما يقول كفار مكة في تكذيبك وانكار البعث والقاء قوله فذكر فاء جواب شرط مقدر اي اذا لم تكن جبارا تجبرهم على الاسلام بل بعثت مبلغا مذكرا فاقبل على شانك

ودم

ودم عليه وهو التذكير بالقران من يخاف ما اوعدت به من عصاني من العذاب وتارات الموت مما تكرر من سكرات الموت وشدايده فانا ناخذ المحتضر مرة بعد اخرى ثم ما يتعلق بسورة ق والحمد لله رب العالمين

سورة والذاريات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اول هذه السورة لاخر ما قبلها وذلك لانه تعالى لما بين الحشر بدلائله وقال ذلك حشر علينا يسير وقال وما انت عليهم بجبار تجبرهم وتلجئهم الى الايمان اشارة الى اصرارهم على الكفر بعد اقامة البرهان وتلاوة القرآن عليهم لم يبق الا اليمين فقال والذاريات انما توعدون من البعث والثواب والعقاب لصادق وكذا اول هذه السورة واخرها متناسبان ايضا حيث قال في اولها ان ما توعدون لصادق وقال في اخرها فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون والذاريات جمع ذارية من ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وذروا اي اطيرته وفرقته واذهبته واذريت الشيء اذا القيته كالقائك الحب للزرع والواو فيه للقسم والفاآت التي بعدها عاطفة وهذه المذكورات صفات حذفت موصوفاتها واقيمت هي مقامها والتقدير والرياح الذاريات او والنساء الذاريات او الاسباب الذاريات للخلايق من عالم العدم الى فضاء الوجود او بالعكس فالسحب الحاملات للامطار فالسفن الجاريات في البحر جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالملائكة المقسمات للامور من خير وشر بين الخلايق على ما امروا به ثم اشار الى جواز كون موصوف الحاملات الرياح فانها تحمل السحاب كما تذرو التراب ونحوه او النساء فانها تحمل الاولاد كما يذرين الاولاد او الاسباب التي تذري ما ذكر من الحاملات الى الحمل على الاسناد المجازي قوله وقرئ وقرا بفتح الواو وهو مصدر بمعنى الثقلة على تسمية المحمول بالثقيل بالثقلة والجمهور على كسر الواو وهو اسم لما يوقر اي يحمل فان المطر محمول للسحاب وكذا السحاب محمول للريح وموصوف الجاريات اما السفن او الرياح او الكواكب وموصوف المقسمات اما الملائكة خاصة او ما يعمهم وغيرهم او الرياح قوله فان حملت على ذوات مختلفة فذا اشارة الى تغير الامور الاربعة المذكورة بقوله تعالى والذاريات فالحاملات فالجاريات فالمقسمات الى جواز كونها امورا مختلفة متباينة بذواتها والى جواز كونها امرا واحدا بالذات له اربع اعتبارات الاول قول علي وابن عباس رضي قال علي رضي وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وان كانت هذه الاربع صفات متغايرات لامر واحد هو الرياح يكون الموصوف في الكل واحدا ويكون العاطف لعطف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآئب ويكون تقدير الكلام والرياح الذاريات للابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فالرياح الحاملات للسحب التي هي اثقل من الجبال فالرياح التي تجري بالسحب

ويحتمل ان يكون الموصوف في الكل واحدا ويكون الكلام من باب عطف الصفات ويكون التقدير والرياح الذاريات للابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فالحاملات لذلك السحاب فالجاريات لذلك الى حيث امرت به فالمقسمات للامطار في الاقطار على ما جرت به الاقدار سعدي

قال الجوهري الوقر بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر الحمل وقال الوقر بمعنى الثقل بمناسبة الوقر في الاذن هذا الاعجام المصدر جعله مجازا من اطلاق المصدر وارادة المفعول اي محمله

بعد حملها فالرياح التي تقسم ان تفرق الامطار في الاقطار فالفاء على الاحتمال الاول لترتيب الاقسام بها
اقسم اولا بالرياح الذاريات فبالسحب الحاملات للامطار فبالسفن الجاريات في البحر فبالملائكة المقسمات للامور
ولما كانت هذه الامور الاربعة متفاوتة في الدلالة على كمال القدرة قدم في الاقسام بها ما هو ادل عليه ثم
ثم وتوضيح المقام ان الايمان الواقعة في القران وان وردت في صورة تأكيد المحلوف عليه الا ان المقصود
الاصلي منها تعظيم المقسم به لما فيه من الدلالة على كمال القدرة فيكون المقصود من الحلف به الاستدلال به على
الحكم المحلوف عليه وهو ههنا صدق الوعد بالبعث والجزاء فكأنه قيل من قدر على هذه الامور العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة الا يقدر على اعادة ما انشأه اولا كقول القائل لمن انعم عليه وحق نعمك الكثيرة
اني لا ازال اشكرك اتى بصورة القسم الدال على تعظيم النعم استدلالا به على انه مواظب لشكرها فاذا كان
كذلك فالمناسب في ترتيب الاقسام بالامور المتباينة ان يقدم ما هو ادل على كمال القدرة والرياح ادل
عليه بالنسبة الى السحب لكون الرياح اسبابا لحدوثها والسحب لغرابة ماهيتها وكثرة منافعها ورقة
حاملها الذي هو الريح ادل عليه بالنسبة الى السفن وهذه الثلثة لكونها من قبيل المحسوسات ادل عليه
بالنسبة الى الملائكة الغائبين على الحس لان الخصم ربما ينكر وجود من هو غائب عن الحس فلا يتم الاستدلال
قوله والا فالفاء لترتيب الافعال اي وان لم تحمل الامور الاربعة على موصوفات متباينة بالذات بل على مو
صوف واحد له اربع اعتبارات تكون الفاء لترتيب الاوصاف في الوجود كما في قوله جاء في الآكل فالشارب
والنائم فقدم من الصفات المذكورة ما هو متقدم في الوجود فان الريح تذرو الابخرة اولا فتحمل السحاب
ثانيا فتجري بالسحاب جريا ذا يسر ثالثا فتقسم المطر رابعا قوله ذروا مصدر مؤكد لقوله والذاريات
وقيل ذروا مفعول به بمعنى مذرو اتسمية للمفعول بالمصدر كخلق الله وضرب الامير والمعنى والذاريات
ترابا مذروا والاول اشهر قوله وقرا مفعول به للحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا والمص
يتبع اعرابه يسرا وقوله امرا مفعول به وهو عبارة عن المقسوم ايا كان قال الامام الحكمة في الايمان الواقعة
في القران وجوه الاول ان الكفار كانوا في بعض الاوقات ينسبونه عليه الصلوة والسلام الى المجادلة ويقولون
انه عارف في نفسه بفساد ما يقوله وانه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال كما ان بعض الناس اذا اقام عليه
الخصم الدليل ولم يبق له حجة يقول انه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزي عنه وهو في نفسه يعلم ان الحق
بيدي فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين فيقول والله ان الامر كما اقول ولا اجادلك بالباطل
لانه لو استدل بطريق اخر لقال خصمه فيه كقوله الاول فلا يبقى له الا السكوت او التمسك بالايمان وترك
اقامة البرهان والثاني ان العرب كانت تحترز عن الايمان الكاذبة وتعتقد انها تخرب المنازل وتدع
الديار بلاقع ثم انه عليه الصلوة والسلام كان يكثر الايمان ولم يزده ذلك الا رفعة وثباتا فعلم العرب بذلك
انه لا يحلف كاذبا والا لاصابه شؤم الايمان ولناله المكروه في بعض الازمان والثالث ان الايمان التي اقسم

اقسم الله بها كلها دلائل اخرجت في صور الايمان لينبه بها على كمال القدرة على الحكم المحلوف عليه فالمقصود
بها الاستدلال على المحلوف عليه ولم تخرج في صورة الدليل بل اخرجت مخرج الايمان لان المتكلم اذا شرع
في اول كلامه باليمين يعلم السامع انه يريد ان يتكلم بكلام عظيم ليصغي اليه تمام الاصغاء فيبدأ بالحلف
ويدرج الدليل في صورة اليمين حتى يقبل القوم على سماعه فيظهر لهم البرهان المبين في صورة اليمين
قوله وما موصولة محذوفة العائد اي ان ما توعدون به من البعث لصادق اي لذو صدق على ان بناء
فاعل للنسب كتامر لان الموعود لا يكون صادقا بل الصادق هو الواعد او مصدرية على معنى ان وعدكم
لصادق اي لذو صدق كما اذا كانت موصولة والمصدرية لا تحتاج الى العائد قوله ذات الطرائق اي الحبك
بضمتين جمع حباك ككتاب ومثل او جمع حبيكة لطريقة وطرق والحباك والحبيكة الطريقة في الرمل ونحوه
قوله او النجوم فانها تزينها كما تزين الموشي طرائق وشيه بعد قوله يتوصل بها الى المعارف فان لها
هكذا في بعض النسخ يعني ان السماء ذات طرائق معقولة مؤدية الى المعارف بقوله فان لها طرائق اي فان
المعارف لا طرق يؤدي بكل واحد من تلك الطرق اليها والسماء ذات تلك الطرق الدالة عليها ثم قال او النجوم
بالجر عطفا على الطرائق بناء على ما قال الحسن البصري من ان حبكها نجومها فيكون الحباك بمعنى الزينة
والحسن قال الامام محيي السنة في تفسير ذات الحبك قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن
المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال الحسن حبكت بالنجوم وقال الامام ابو الليث ثم اقسم الله
عز وجل بالسماء ذات الحسن والجمال وقال علي بن ابي طالب رضي ذات الخلق انتهى وفي الصحاح حبكت
الثوب احبكه بالكسر حبكا اي اجدت نسجه قال ابن الاعرابي كل شيء احكمته واحسنت عمله فقد احبكته
فقوله تعالى ذات الحبك بمعنى ذات الزين التي هي النجوم فانها مزينة للسماء من حيث كونها على طرائق كطرائق الوشي
والشية كل لون يخالف معظم لون الحيوان والهاء في شية عوض عن الواو الذاهبة من اوله كما في عدة وقوله تعالى
لا شية فيها اي ليس فيها لون يخالف سائر لونها يقال وشيت الثوب اشيه اشيا وشية فهو موشي وفي
اكثر النسخ بعد قوله يتوصل بها الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشي فيكون
ايضا اشارة الى ما قال الحسن من ان حبكها نجومها وبيانا لوجه كون النجوم حبكا للسماء وهو ان الحبك ان كان
بمعنى الطرائق فالنجوم فانها لما وقعت في مواقعها على طرائق كانت السماء المشتملة على ذات الطرائق
وان كان بمعنى الزين فوجه كون السماء ذات النجوم ذات الحبك اي ذات الزين ظاهر لان النجوم زينة
لها فالسماء المشتملة على النجوم تكون مشتملة على الحبك لا محالة الا ان كون قوله والنجوم مجرورا بالعطف
على الطرائق في قوله ذات الطرائق يستلزم كونه قسيما للطرائق وهو ينافي قوله فان لها طرائق وكونه مرفوعا
بالعطف على الطرائق في قوله والمراد اما الطرائق يستلزم ان لا يكون الحباك بمعنى الزينة وهو ينافي
قوله او انها تزينها ويمكن ان يختار كونه مجرورا ويجعل عطف النجوم على الطرائق من قبيل عطف العام

على الخاص فان النجوم يجوز ان تعتبر من حيث كونها زينة فيصح ان تجعل النجوم حبكا للسماء بمعنى انها طرائق
فيها وبمعنى انها زينة لها قوله وقرئ الحبك بضم الحاء وسكون الباء وهو مخفف من الحبك بضمتين كرسل في
رُسُل والحبك بكسر الحاء والباء كالابل والحبك بكسر الحاء وسكون الباء كالسلك والحبك بفتحتين كالجبل جمع حبكة
كعقبة في عقبة والحبك بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم جمع نعمة والحبك بضم الحاء وفتح الباء كالبرق جمع حبكة بضمتين
كبرقة وبرق او حبكة بضم وسكون الباء كظلمة وظلم فهذه ست قراءات غير قراءة الجمهور وهي بضم الحاء
والباء والجميع سبع قراءات قوله ولعل النكتة في هذا القسم مع ان عدم ثباتهم على قول واحد امر مقرر
لا ينكره احد حتى يؤكد بالقسم الا انه اقسم عليه تعظيما للمقسم به من حيث كونه صالحا للبيان حال اقوالهم من اختلافها
وتنافي اغراضها للاشتراك بينها وبين الحبك والطرائق ذاتا ومؤدى الا ان القسم الاول لتعظيم المقسم به من
حيث كونه صالحا لان يستدل به على المقسم عليه قوله اذ لا صرف اشد منه تعليل لقوله يصرف عنه من
صرف باعتبار ان الصرف المدلول عليه بقوله من افك مطلق والمطلق ينصرف الى الكمال كانه قيل يصرف
عنه من صرف الصرف الذي لا صرف اشد منه واعظم فعلى هذا المعنى يقول اذ لا صرف اشد من الصرف
عن الرسول او القران او الايمان وايضا الابهام المدلول عليه باسم الموصول يفيد المبالغة في الاتصاف بمضمون
الصلة كما في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم وايضا لما قيل من افك ولم يذكر المأفوك عنه دل ذلك
على ان المراد من المأفوك عنه ما يعم كل خير وسعادة فكانه قيل يؤفك عنه من افك عن كل خير وسعادة
وعلى التقادير يكون الصرف المدلول عليه بقوله من افك عبارة من الصرف الذي لا صرف اشد منه
ولو لم يعتبر هذا المعنى لكان قوله يؤفك عنه من افك خاليا عن الفائدة مثل ان يقال يقتل المقتول ويضرب
المضروب وقيل المعنى يصرف عنه الآن من حكم عليه من الازل بانه مأفوك عن الحق والوجه الاول اولى لا
ن كون احوال الكائنات تابعا للقضاء السابق معلوم ليس في بيانه كثير فائدة وعلى الوجهين يكون المقصود
ذم اصحاب القول المختلف بكونهم مصروفين عن الحق وقيل انه مدح للمؤمنين والمعنى يصرف عن القول
المختلف من صرف عن ذلك القول قوله على معنى يصدر افك من عن القول اي على ان يكون كلمة عن
للسببية بمعنى من اجل اي يصرف من صرف عن الايمان من اجل هذا القول المختلف وسببه فانهم اذا رأوا
احدا يريد ان يدخل في الايمان يقولون له انه ساحر وكاهن ومجنون ومجادل يعلم طرق الجدال فيغلب
به من حاوره وتكلم معه لا لاجل انه محق وان من نازعه مبطل جاحد للحق فيصرفونه عن الايمان بمثل
هذه الاقوال المختلفة المتباينة الاغراض قوله ينهون عن اكل وشرب يقال انهى الجمل ينهى اذا كان غريبا
في السمن بالغا نهايته وجملا ناه وناقة نهية اي ضخمة سمينة بالغة نهاية الجسامة والسمن والانهاء
الابلاغ والنهاية الغاية وقراءة الجمهور يؤفك عنه من افك على بناء كل واحد من الفعلين للمفعول
وقرئ يؤفك عنه من افك على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل اي يصرف عنه من صرف الناس عنه
و

وقرئ يأفك عنه من افك على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول عكس ما تقدم اي يصرف الناس عنه من
هو مأفوك في نفسه قوله اجري مجرى اللعن ان استعمل بمعنى لعن الكذابون تشبيها للملعون الذي يفوته
كل خير وسعادة بالمقتول لفوته الحياة وكل نعمة قوله في جهل يغمرهم اي يعلوهم يقال غمرة الماء يغمره اي علاه
والغمرة الشدة حملها على شدة الجهل بشهادة المقام والخراص في الاصل الذي لا يجزم بامر ولا يثبت عليه
بل هو شاك متحير لا يقول ما يقول الا حزرا فالخرص الظن والتخمين من غير تعيين ولما كانت اللام فيه للعهد
والمعهود دون اصحاب القول المختلف وكانوا كذابين فيما يقولونه كان المعنى لعن الكذابون ثم وصفهم بانهم
في جهل تغمرهم ساهون لاهون والسهو ذهاب القلب عن الشيء قوله تعالى ساهون يحتمل ان يكون خبرا
بعد خبر لقوله هم اي هم مستغرقون في غمرة ساهون ويحتمل ان يكون ساهون هو الخبر وفي غمرة ظرف له
لغو كما في زيد في بيته قاعد قوله اي يقولون متى يوم الجزاء قدر القول المعطوف على يسألون لان قوله
ايان يوم الدين جملة اسمية منقطعة التعلق عما قبلها الا بتقدير القول وايان ظرف زمان بمعنى متى كما
ان اين ظرف مكان وايان مركب من اي التي للاستفهام وان بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى فلما ركبا
وجعلا اسما واحدا بني على الفتح كبعلبك لما سمع المشركون قوله تعالى وان الدين لواقع سألوا وقالوا
يا محمد متى يكون يوم الجزاء اي يوم القيمة قالوه تكذيبا منهم واستهزاء فلذلك لم يذكر جواب هذا الاستفهام
لانه ليس لطلب الجواب بقوله يوم هم على النار يفتنون ليس جوابا حقيقة حيث لم يتعين به ان المسؤول عنه
متى يقع لان جهلهم باليوم الثاني اقوى من جهلهم بالاول ولا يجوز ان يكون الجواب بما هو اخفى من السؤال بل جيء
به على صورة الجواب تهديدا لهم وتحقيرا قوله اي يقع وقوعه لما كان ايان يوم الدين جملة ظرفية بان كان
يوم الدين مبتدأ وايان خبره ورد ان يقال كيف وقع ايان ظرفا لليوم والحين لا يقع ظرفا للزمان
وانما يقع ظرفا للحدث فلا يقال اليوم كذا في زمان كذا فاشار المص الى جوابه بقوله اي وقوعه و بتقدير مضاف مثله
تقديره انهم لما سألوا ايان لم يقولوا نفس زمان الجزاء في اي زمان هو بل مرادهم وقوع زمان الجزاء
متى هو فجعلوا الزمان ظرفا للحدث الذي هو الوقوع لا لنفس الزمان حتى يقال انكم جعلتم العاقل ان يكون
للزمان زمان فان عاد السائل وقال كما لا يجوز ان يكون الزمان ظرفا لنفس الزمان فكذا لا يجوز ان
يكون ظرفا لوقوعه ايضا فلا يقال زمان جلوس زيد واقع في يوم كذا وفي وقت كذا اجيب عنه
بان الزمان لما كان ظرفا للزمانيات المتجددة وكانت الحصة المعينة من مطلق الزمان باضافتها
الى الحدث المتجدد منزلة منزلة ما اضيفت هي اليه من الحدث في تجددها جاز ان يجعل الزمان ظرفا
لوقوع تلك الحصة فيقال وقوع يوم الجزاء في اي زمان هو كما يقال جلوس زيد في اي وقت هو ومن
هذا القبيل قولهم يوم العيد او النيروز واقع في فصل كذا في سنة كذا كما يقال الجزء في الكل قوله
اي يقع يوم هم اشارة الى ان يوم منصوب على انه ظرف لعامل مضمر دل عليه كون السؤال عن زمان و

فوعه وان حركته بوم حركتا اعراب قوله او هو يوم هم اشارة الى انه في محل الرفع على انه خبر مبتداء
محذوف وان حركته حركة بناء وانما بني لاضافته الى الجملة التي لا يظهر فيها الاعراب فان الكوفيين
يجوزون بناء الظرف وان اضيف الى المضارع والجملة الاسمية وعند البصريين لا يبنى الا ما اضيف
الى فعل ماض كقوله على حين عاتبت وفي يفتنون بقوله يحرقون لانه يقال فتنته بالنار اذا احرقته
وعدي بعلى لتضمنه معنى يعرضون قوله اي مقولا لهم هذا القول اشارة الى ان قوله ذوقوا فتنتكم
في موضع النصب على انه حال من ضمير يفتنون قوله جواب للسؤال اي عن مقول سؤالهم فكما انهم لم
يسألوا سؤال مستفهم طالب للعلم كذلك لم يجابوا جواب معلم مبين لان جهلهم باليوم الذي يحرقون
فيه بالنار اقوى من جهلهم بيوم الدين وما هو اخفى من المسؤول عنه كيف يصح ان يكون جوابا عنه فانهم
لما قصدوا بما ذكروه في صورة الاستفهام الاستهزاء بما اوعدوا به قوبلوا بما هو في صورة الجواب
اهانة لهم وتحقيرا قوله هذا العذاب هو الذي كنتم به تستعجلون يعني ان قوله فتنتكم بمعنى عذابكم وان قوله
هذا اشارة الى الفتنة لكونها بمعنى العذاب وان قوله هذا الذي كنتم جملة اسمية ثم جوز ان يكون هذا في
محل النصب على بدل من فتنتكم لكونه بمعنى عذابكم والمعنى ذوقوا هذا العذاب الذي كنتم به تستعجلون في
الدنيا تكذيبا به وهو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقولهم فأتنا بما تعدنا ونظائره وقولهم ايان
يوم الدين من قبيل الاستعجال بصيغة القول ويحتمل ان يكون المراد بالاستعجال الاستعجال بالفعل وهو اصرارهم
على العناد واظهار الفساد فانه يعجل العقوبة ثم انه تعالى لما بين حال المجرمين بين بعده حال المتقين
فقال المتقين في جنات وعيون وقد مر ان المتقي في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الا
خرة وله ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وما من متق الا ويدخل
الجنة ويتنعم بنعيمها قوله اخذين حال من المستكن في قوله في جنات ولما كان الاخذ عبارة عن القبول
عن قصد ورغبة فسره بالقبول مع الرضا قوله اي يهجعون في طائفة من الليل اي في طائفة قليلة
ولم يصرح بقيد القلة اكتفاء عنه بتنوين طائفة فانه للتقليل فعلى تقدير كون ما مزيدة يكون قوله
يهجعون خبر كانوا ويكون قليلا منصوبا على الظرفية كما في قولك قام كل الليل او بعضه او قليله و
يكون من الليل صفة قليلا اي يهجعون في طائفة قليلة كائنة من الليل وان جعلت ما مصدرية يكون
المصدر الذي اول به الفعل مرفوعا على انه بدل من اسم كان بدل الاشتمال ويكون قليلا منصوبا على الظرفية
اي كان في قليل من الليل هجوعهم وان كانت موصولة يكون بدلا ايضا من ضمير كانوا ويكون من الليل
حالا من الموصول متقدما عليه ويكون قليلا خبر كان اي كان المقدار الذي يهجعون فيه قليلا حال كون
ذلك المقدار من الليل ويجوز ان يكون ما الموصولة فاعل قليلا كانه قيل قد قل المقدار الذي يهجعون فيه

و اما الكون على بمعنى في او بمعنى الباء فلا

فيه كائنا ذلك المقدار من الليل قوله ولا يجوز ان يكون نافية رد لمن جعل قليل خبر كان واتم الكلام به على
معنى كانوا من الناس قليلا كقوله وقليل ما هم وقليل من عبادي الشكور ثم ابتداء بقوله من الليل ما يهجعون
اي ما يهجعون من الليل ولا ينامون في الليل اصلا ووجه الرد ان ما النافية لها صدر الكلام فلا يعمل ما بعدها فيما
قبلها فلا يبقى لقوله من الليل ما يتعلق به قوله والليل الذي هو وقت السبات وصف به الليل للاشارة الى
وجه المبالغة في ذكر الليل فانه اذا قلت استراحتهم في وقت الاستراحة يكون استراحتهم في غاية القلة
لان النهار ليس وقتا لها فلا يستريحون فيه اصلا وفي الصحاح الغرار النوم القليل والهجعة النومة القليلة
وكلمة ما انما تزاد لتأكيد مضمون الجملة التي زيدت هي فيها وهي ههنا زيدت في جملة اخبر بها عن قلة هجوعهم فهي
تؤكد تلك القلة وتحققها فزيادتها تكون من طرق المبالغة في تقليل نومهم قوله وفي بناء الفعل على الضمير اشعار
وجه الاشعار ان تقديم الضمير وجعل الفعل خبرا عنه يفيد حصر الكمال اي هم الكاملون في الاستغفار دون غيرهم
وذلك انما يكون لوفور علمهم بالله تعالى وكمال خشيتهم واستغفارهم اما قوله مثل ان يقولوا ربنا اغفر لنا وانا
فعلى وهو ان يأتوا بعبادات تؤدي الى المغفرة قوله يستوجبونه على انفسهم اي يعدونه حقا واجبا عليهم
ويشبهونه به في صدق عزيمتهم على ايصاله اليهم كما يقال يستكثرونه بمعنى يعدونه كثيرا والمقصود من وصف
الحق بذلك دفع ما يقال كيف يمدح بان يثبت في ماله حق للفقراء اي نصيب اوجبه الله تعالى عليه في ماله فان اغنياء
المسلمين كلهم كذلك حيث اوجب الله تعالى عليهم الزكوة والعشر ونحوهما بل وعلى الكافر ايضا ان قلنا انه
مخاطب بفروع الاسلام فان ماله فيه حق معلوم للفقراء غير انه اذا اسلم سقط عنه وان مات عوقب
على ترك الاداء وان اداه من غير اسلام لا يقع الموقع فكيف يكون ذلك صفة مدح لهم ووجه الدفع ان ليس
المراد بالحق ما اوجبه الله تعالى في اموالهم بل المراد ما يؤثرون به الفقراء على انفسهم مع احتياجهم اليه شفقة
على خلق الله تعالى ورغبة فيما عند الله من الاجر الباقي كانهم يوجبون ذلك على انفسهم ويجعلونه حقا ثابتا
في مالهم قوله للمستجدي اي الطالب الجدوى وهو العطاء والمتعفف الفقير الذي يكف نفسه عن المسئلة ويتكلف
فيه يقال عف عن الحرام يعف اي كف نفسه عنه قوله اي فيها دلائل او وجوه دلالات يعني ان الاية يجوز ان يكون
بمعنى الدليل وان يكون بمعنى الدلالة فعلى الاول يكون المعنى ان الارض فيها دلائل دالة على قدرة الله تعالى وحكمته
وتدبيره ووحدانيته وهي المعادن والحيوانات والجبال والانهار والبحار وانواع النبات وغير ذلك وعلى
الثاني ان الارض دليل واحد فيها وجوه دلالات على ما ذكر قوله ايات مبتداء وفي الارض خبره قدم عليه
وقوله وفي انفسكم عطف على في الارض والمبتداء محذوف اي وفي انفسكم ايات فالضمير المستتر في انفسكم كالمستتر
في خبر المبتداء وان رفعت ايات بجعلها فاعل قوله في الارض على ما ذهب اليه الاخفش فانه يجوز اعمال الظرف
وان لم يعتمد كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في الفعل في نحو قولك قام زيد وقعد او قام زيد وقعد و
الايات الثابتة في الانفس ايضا اما بمعنى الدلائل اذ ما في العالم شيء الا وفي الانسان له نظير يدل دلالته او

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى آلاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور عنه
١٢٧٥ وكفى عبده

بمعنى وجوه الدلالات من الهيئات النافعة والمناظر البهية الخ قوله اسباب رزقكم من الشمس والقمر و
سائر الكواكب واختلاف المطالع والمغارب الذي يترتب عليه اختلاف الفصول التي هي مبادي حصول الارزاق
فعلى هذا يكون السماء بمعنى القبة الخضراء قوله او تقديره فان الارزاق كلها مقدرة من السماء هو لولا السماء
لما حصل في الارض حبة قوت بين الله تعالى ايات قدرته التامة ليستدل بها على قدرته على البعث
ورتب الايات الثلث ترتيبا حسنا فان الانسان لا بد له من امور تسبقه في الوجود ومن
امور تقارنه في الوجود ومن امور تلحقه بعد وجوده والارض التي هي المكان لا بد من سبقها لوجود
الانسان فيها فبدأ بذكرها فقال وفي الارض ايات ثم ذكر من الايات ما يقارنه في الوجود من الاجزاء
والاعراض فقال وفي انفسكم ثم ذكر ما يلحقه بعد وجوده ويحتاج اليه في بقائه فقال وفي السماء
رزقكم وما توعدون من الخير والشر فان الثواب والعقاب والخير والشر كل ذلك مكتوب في اللوح
وهو في السماء وكتب انه لمن اهل الجنة ولمن اهل النار فالمعنى كل ما ترزقونه في الدنيا وما توعدونه
في العقبى كل ذلك مقدر مكتوب في اللوح وهو في السماء قوله اي مثل نطقكم يوهم ان ما في مثل ما انكم
مصدرية وليست كذلك لانها انما تكون مصدرية اذا وقع بعدها فعل ليكون معها في تاويل المصدر ولا
فعل معها ههنا بل هي مزيدة للتاكيد وانكم تنطقون في محل الجر للاضافة مثل اليها وان مع ما في حيزها في
تاويل المفرد لوقوعها موقع المفرد والمص اشار اليه بقوله اي مثل نطقكم شبه الله تعالى تحقق ما اخبر
عنه بتحقق نطق الآدمي ووجوده وهذا كما تقول انه لحق كما انك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا و
انه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحققه كالشيء الذي تعرفه ضرورة فان قيل الفاء
تستدعي كون ما بعدها واقعا عقيب امر متقدم عليها فما الامر المتقدم في قوله تعالى فورب السماء اجيب
عنه اولا بان الامر المتقدم ههنا هي الايات كانه قيل ان ما توعدون لحق بالبرهان المبين ثم بالقسم
واليمين وثانيا بان الامر المتقدم هو القسم المذكور بقوله والذاريات فالفاء ههنا كالتي في قوله فالحا
ملات وقرا فالجاريات يسرا الا انه اعيدت اداة القسم ههنا بعد الفاء العاطفة لوقوع الفصل
بين القسمين واقسم اولا بالمخلوقات وههنا بربها ترقيا من الادنى الى الاعلى قوله ونصبه على الحال
يعني ان حركته مثل حركة اعراب وانه منصوب اما على انه حال من الضمير في لحق واما على انه صفة مصدر
محذوف وقيل ان حركته بناء فانه في محل الرفع على انه صفة لحق وبني على الفتح لاضافته الى غير
متمكن كما بنيت لذلك في قوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال فان
غير ههنا في محل الرفع على انه فاعل يمنع وبنيت على الفتح لاضافتها الى ان نطقت ونحو لقد تقطع بينكم
فيمن قرا بالفتح وقيل بسبب بنائه مثل تركبه مع ما وصيرورتهما شيئا واحدا كبعلبك فان الجزء
الاول من المركب يخرج عن كونه محل الاعراب بالتركيب فيبنى لذلك قوله وهو ما ان كانت بمعنى شيء
وجوز

وجوز في ما امرين كونها زائدة للتاكيد وكونها نكرة موصوفة وفي الثاني نظر لعدم كون الوصف مذكورا
ههنا فان قال هو محذوف والتقدير مثل شيء حق اعني انكم تنطقون او هو انكم تنطقون في موضع النصب
اعني او في موضع الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف قلنا الاصل عدم الحذف فلا يصار اليه من غير ضرورة
وايضا قد نصوا على ان هذه الصفة لا تحذف لابهام موصوفها فالوجه ان يكون ما زائدة للتاكيد ويكون
انكم تنطقون في موضع الجر بالاضافة قوله على انه صفة لحق فان قيل كيف يصح ان يجعل مثل صفة للنكرة
مع انه معرفة بالاضافة الى المعرفة تقديرا لانه في تقدير مثل نطقكم قلنا كلمة مثل لتوغلها في الابهام لا
تتعرف بالاضافة الى المعرفة فصح وقوعها صفة للنكرة مع كونها مضافة الى المعرفة كما هو كذلك في قراءة
من قرا مثل ما انكم برفع مثل فانه صفة لحق وما مزيدة ويجوز ان يكون ارتفاعه على انه خبر ثان
مستقل كالاول او على انه مع ما قبله خبر واحد كقولك هذا حلو حامض نقلهما ابو البقاء عن الاصمعي انه
قال اقبلت من جامع البصرة فطلع علي اعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني اصمع قال من اين
اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء
رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما و
ولى فلما حججت مع الرشيد طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف بي بصوت ضعيف رقيق فالتفت فاذا
انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض انه لحق فصاح وقال يا سبحان الله
من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجأوه الى اليمين قالها ثلثا وخرجت معها
نفسه كذا في الكشاف قوله فيه تفخيم لشان الحديث حيث قدر اتيانه على الاجمال ثم فصله بقوله اذ د
خلوا عليه فقالوا سلاما الى آخر القصة فان هل اتاك استفهام معناه التقرير والتعجب والتشويق
الى استماعه كما ذكره المص في تفسير قوله تعالى في سورة ص هل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب
وهذا الاسلوب انما يختار اذا كان الحديث الاتي به له فخامة وشان عجيب قوله وتنبيه على انه اوحي
اليه اي على انه ليس مما يعلمه بنفسه بل انما عرفه بان اوحي اليه فهو صادق في دعوى الرسالة حيث ان
يخبر عن الامور الماضية كما وقعت من غير مطالعة كتب التواريخ ولا مصاحبة اصحابها فلا سبيل الى
الاخبار عنها الا ان اوحي اليه ذلك فيكون كل ما اخبر به من امر البعث وغيره مطابقا للواقع لان صاحب
الوحي لا ينطق عن الهوى فيكون اتيان ذلك الحديث اليه عليه الصلوة والسلام واخباره به من جملة الايات
الدالة على حقية البعث فعلم من هذا التقرير وجه ارتباط الاية بما قبلها كانه قيل افلا ينظرون اصحاب العقول
المختلفة الى ما يدل على صدقه عليه الصلوة والسلام في دعوى الرسالة فيؤمنوا به ويحققوا جميع ما جاء به من عند
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايعاد لمكذبيه حيث بين فيه انه عليه الصلوة والسلام

ليس اول من خالفه قومه من الانبياء وبين فيه ايضا هلاك قوم لوط بسبب تكذيبهم اياه عليه الصلوة و
السلام وقال الامام النسفي وجه انتظام هذه الاية بما قبلها ان ابراهيم في قصة الخليل ولوط عليهما الصلوة
والسلام لكونها توطئة لما ذكر في آخر القصة وتركنا فيها آية كانه قيل وفي الايات الواقعة في الارض ما بقي من
اثار قوم لوط المهلكين بسبب كفرهم ومخالفة نبيهم قوله ظرف للحديث لما ذكره بعض الادباء من ان
نحو القصة والنبا والحديث والخبر يجوز اعمالها في الظروف خاصة وان لم يرد بها مصدر كما في هذه الاية وفي
قوله تعالى وهل اتيك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب والسر في جواز اعمالها مع انها ليست بمعنى المصدر تضمن
معانيها الحصول في الكون او للتضيق لانه في الاصل مصدر ضافه اي نزل به ضيفا ولذلك استوى فيه الواحد
والمتعدد او للمكرمين اذ التقدير انهم مكرمون عند ابراهيم عليه الصلوة والسلام كانه قيل اكرموا اذ دخلوا
عليه ولا يجوز انتصابه باتيك لاختلاف الزمانين قوله اي نسلم عليك سلاما يعني ان معنى النصب كونه مصدرا
مؤكدا لفعله المحذوف ومعنى الرفع كونه مبتدا حذف خبره وجاز الابتداء بالنكرة لتخصصها بالمتكلم والسلم
بكسر السين وسكون اللام بمعنى السلام قوله وقرئ منصوبا اي قرئ فقالوا سلاما قال سلما كما قرئ قال
سلم قوله انتم قوم منكرون اي قوم لا نعرفكم يقال انكرت الرجل بكسر الكاف نكرا وانكرته واستنكرته اذا
لم يعرفه فالكل بمعنى واحد وانما قال لهم ذلك لانه لما رأى لهم حالا وشكلا على خلاف حال الناس وشكلهم
علم انهم ليس من قومه فقال لهم ذلك او لانه عليه الصلوة والسلام كان بين اظهر قوم كافرين لا يحيي بعضهم
بعضا بما هو علم الاسلام فلما سمع منهم ما لم يسمعه من اهل زمانه نكرهم فقال لهم ذلك ويجوز ان يكون هذا
منه تعرفا من حالهم كانه قال انتم قوم لا نعرفكم فعرفوني حالكم لا اعلم من انتم فانكم غرباء لستم من
اهل ديارنا وعن ابن عباس رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم فان قيل
قال تعالى في سورة هود فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم فدل ذلك على ان انكاره عليه الصلوة والسلام حصل
بعد تقريب العجل اليهم وقال هنا فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى اهله بفاء التعقيب
وذلك يدل على ان تقريب الطعام اليهم كان بعد حصول انكاره فما وجه التوفيق فالجواب ان الانكار الذي
كان قبل تقريب العجل غير الانكار الحاصل بعده فان الانكار الحاصل قبله بمعنى عدم العلم بانهم من اي
بلدة ومن اي قوم والانكار الحاصل بعده بمعنى عدم العلم بانهم دخلوا عليه لقصد الخير والشر فان من امتنع
من تناول طعام اهل البيت يخاف مباشرته ولم يأمن من ضرره فان عادة من يجيء للشر والضرر ان
لا يتناول من طعام من يريد اضراره قوله اي منه لان المقصود ليس عرض جنس الاكل والحث عليه
بل المقصود عرض الاكل مما قربه اليهم فلما كان منه مقدرا كان فيه اشعار لكون العجل حينئذ اي مشويا
كما صرح به في موضع آخر فقال بعجل حنيذ قوله فعام يدرج اي يمشي ويمضي لسبيله يقال درج الرجل اي
دروجا اي مشى ودرج اي مضى في سبيله قوله الى بيتها لما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت واعرضت عنهم
فذكر

فالمعنى هل اتيك حديثهم الواقع في وقت دخولهم عليه
كانه قيل الذين اضافهم في وقت دخولهم عليه
كونهم كذلك عند ابراهيم من حيث انه عليه الصلوة والسلام خدمهم بنفسه كانه قيل اكرموا اذ دخلوا عليه
فاقبلت اي الى اهلها وكانت مع زوجها في خدمتهم

فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال الى الاهل ولم يذكره بلفظ الادبار عن الملائكة قوله تعالى في صرة حال من
فاعل اقبلت اي اقبلت كائنة في صرة وقيل لم يكن هناك اقبال من مكان الى مكان بل اقبلت بمعنى اخذت
وجعلت يقال اقبل يفعل كذا بمعنى اخذ يفعل كذا فعلى هذا يكون في صرة في محل النصب على انه خبر فعل المقاربة
وسماه المص مفعولا تشبيها له بالمفعول وقد مر في سورة الحجرات ان افعال المقاربة ترفع الاسم وتنصب
الخبر مثل كان والصرة الصيحة الشديدة صر يصر صريرا اذا صوت ومنه صرير الباب والقلم والصرة
ايضا الجماعة وبها فسرها بعضهم اي اقبلت في جماعة من النساء كن عندها وهي واقفة متهيئة
للخدمة واختلف في صفة الصك فقيل هو الضرب باليد مبسوطة وقيل بل هو ضرب الوجه باطراف الا
صابع فعل المتعجب وهي عادة النساء اذا انكرت شيئا والصك في الاصل ضرب الشيء بالشيء العريض
والعاقر المراة التي لا تحبل ويوصف به الرجال ايضا اذا لم يولد له والعقيم بمعناه وكانت سارة
رضي الله عنها عقيما لم تلد قط فلما لم تلد في صغرها وعنفوان شبابها ثم كبر سنها وبلغت سن الاياس استبعدت
ذلك وتعجبت فقالت عجوز عقيم اي انا عجوز ومع ذلك كنت في الشباب عقيما فكيف الد وكانت يومئذ
بنت ثمان وتسعين سنة وكان ابراهيم عليه الصلوة والسلام يومئذ ابن تسع وتسعين سنة وقيل
لما تعجبت قال لها جبرئيل عليه السلام انظري الى سقف بيتك فنظرت وكانت جذوعه من النخل اليابس
فاذا هي مورقة مثمرة فقال لها اتعجبين من امر الله ومثل هذا يكون بامر الله عز وجل قوله مثل ذلك الذي
بشرنا به قال ربك يعني ان الكاف في كذلك في محل النصب على انه صفة لمصدر قال ربك اي لا تستبعدي
ما بشرنا به ولا تتعجبي منه لانه من جهة الله الحكيم العليم فانه تعالى قال مثل ما اخبرناك به قوله ما شانكم
اي عن الامر العظيم الذي كان سببا لنزولهم مجتمعين فان الخطب انما يستعمل في الامر العظيم والفاء
فيه للتعقيب اي بعد ما علمت انكم ملائكة وان الملائكة لا ينزلون الا لامر عظيم لانهم عباد مكرمون
عند الله فلا بد من ان يكون نزولهم الا لامر عظيم فما ذلك الامر قوله لنرسل عليهم حجارة استدل به على وجوب
الرجم بالحجارة على اللائط قوله تعالى مسومة منصوب على انه صفة حجارة او على انه حال من المنوي في قوله
من طين او من حجارة وحسن ذلك كون النكرة موصوفة بالجار بعدها اي حال كونها مرسلة في خزانة الله
تعالى او معلمة قيل مكتوب على كل حجر منها اسم صاحبه وقوله عند ربك ظرف لمسومة واللام في المسرفين للتعريف
العهدي اي مسومة لهؤلاء المسرفين لكنهم مسرفون فيكون من وضع الظاهر موضع المضمر للاشارة الى
علة اعدادها لهم واسرافهم فاحشتهم التي قال تعالى في حقها ما سبقكم بها من احد من العالمين قوله تعالى
فاخرجنا من كان فيها اي بان كنا سببا لخروجهم حيث قلنا له عليه الصلوة والسلام فاسر بقطع من
الليل وفيه دليل على انه ببركة المحسن ينجو المسيء فان القرية ما دام فيها المؤمنون لم تهلك قوله يعني لوطا
وابنتيه ولما وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا استدل به على اتحادهما وهو ضعيف لان صدق

ودل على ان الايمان والاسلام [illegible] على ان المراد بالمخرجين [illegible] فان المفهوم من [illegible] والا لما صح [illegible] الاتحاد [illegible] عليه

الناطق والضاحك مثلا على الانسان لا يدل على اتحاد مفهوميهما لكن يدل على انهما صفتا مدح والا
يمان في اللغة عبارة عن التصديق مطلقا قال تعالى حكاية عن اخوة يوسف وما انت بمؤمن لنا اي
بمصدق فيما حدثناك في الشرع عبارة عن التصديق الخاص وهو تصديق الرسول في جميع ما علم
مجيئه به ضرورة اي في جميع ما علم كونه من الدين ضرورة فهو فعل القلب واما افعال الجوارح فمن فروع
الايمان وثمراته اللازمة المتفرعة عليه فالايمان يستتبع الاسلام الذي هو فعل الجوارح فكل مؤمن
مسلم من غير عكس فان المنافق مسلم وليس بمؤمن قال تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا فظهر
ان المسلم اعم من المؤمن واطلاق العام على الخاص لا يدل على اتحاد مفهوميهما قوله تعالى وتركنا
فيها اي في قرى قوم لوط معطوف على قوله فاخرجنا من كان فيها اي فاخرجناهم منها ثم اهلكناها وما
ابقينا منها الا الآية اي علامة تدل على انا اهلكناها واختلف في ان الاية ما هي فقيل هي ماء اسود منتن
انشقت ارضهم وخرج منها ذلك وقيل هي ما فيها من الحجارة الملقاة المنضودة التي رجموا بها و
قيل الآية نفس القرية وقد جعلت اعلاها اسفلها قال السدي ومقاتل كانوا اربعمائة الف وادخل
جبرئيل جناحه تحت الارض فاقتلعها ورفع حتى سمع اهل السماء صوتهم ثم قلبها ثم ارسل عليهم الحجارة ثم
تتبعت الحجارة شذاذهم ومسافريهم واصبح ابرهيم عليه الصلوة والسلام جالسا في مسجده فرأى
الدخان ساطعا وبين ابرهيم وبينهم اربعة فراسخ فلما رأى الدخان علم ان العذاب منزل بهم قوله
فانهم المعتبرون بها علة لتخصيص الذي تضمنه بكون تلك الاية عبرة لهم فان تلك الاية تدلهم على انه تعالى اهلك
اهلها بشؤم كفرهم ومعصيتهم فيخافون مثل عذابهم فيجتنبون عما هو سبب لهلاكهم قوله او وتركنا فيها
الظاهر ان يقال او على قوله فيها باعادة الجار لان المعطوف عليه ضمير مجرور وقد تقرر في النحو انه اذا
عطف على الضمير المجرور اعيد الخافض مثل مررت بك وبزيد الا ان عطفه على ضمير فيها لما استلزم كون
الجار الثاني متعلقا بتركنا نبه عليه بزيادة تركنا فقال او تركنا فيها الا ان المتعلق في الحقيقة هو الجعل
المحذوف المدلول عليه بقوله وتركنا لان في الترك معنى الجعل المحذوف المدلول عليه بقوله وتركنا لان في
الترك معنى الجعل قوله كقوله علفتها تبنا وماء باردا اوله لما حططت الرحل عنها واردا قوله واردا
حال من فاعل حططت والمعنى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا فحذف المعطوف وابقى العاطف اعتمادا
على دلالة ما يدل عليه وحمل عليه لان الماء لا يكون معلوفا بل هو مشروب وكذا قوله في موسى لا يصح ان
يتعلق بتركنا اذ لا يستقيم ان يقال تركنا في موسى آية كما يصح ان يقال تركنا في قرى قوم لوط آية لان ترك
الشيء في الشيء ينبئ عن ابقائه فيه وهو يستلزم بقاء الشيء الثاني فاذا لم يبق موسى فكيف يبقى ما ترك
فيه فيجب ان يكون المعنى وجعلنا في موسى اي في قصته وارساله الى موسى وانجائه مما لحق فرعون وقومه
من الغرق آية تدل على ان من خالف الرسول عليه الصلوة والسلام لا يفلح ابدا فكيف تجترئون على المخالفة

على مخالفة نبيكم وتدل ايضا على كمال علمه وقدرته وتدبيره في خلقه على ما يقتضيه الحكمة فكيف لا تنظرون
نظر من يعتبر قدرته على البعث وما فيه من الحكمة واذ ظرف لجعلنا المقدر على الوجه الثاني او للآيات
المقدرة على الوجه الاول اي وفي موسى آيات كافية للاعتبار في وقت ارسالنا اياه قوله فاعرض عن الايمان
به بيان لحاصل المعنى لان التولي بمعنى الاعراض والركن بمعنى الطرف والجانب والمراد به نفسه فانه كثيرا
ما يعبر بطرف الشيء وجانبه عن نفسه والباء في بركنه للتعدية كما في قوله تعالى ونأى بجانبه فانه معدية
لنأى بمعنى بعد وفي الوجه الثاني يكون الركن مستعارا لجنوده تشبيها لهم بركن البناء من حيث ان كل واحد
منهما يعتمد عليه ويتقوى به فعلى هذا يكون الباء للسببية او للمصاحبة اي فاعرض بسبب من كان يتقوى
بهم من جنوده في ملكه او فاعرض ومعه من كان في ملكه قوله كانه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى
الجن مبني على ان يكون ما ظهر من ايدي الساحرين آثار الجن وافعالهم كما ان ما ظهر من يد المجنون كذلك
والفرق بينهما ان الساحر يقصد الجن ويأتيهم باختياره بخلاف المجنون فان الجن يأتونه من غير سعيه
واختياره منه وقيل كلمة او ههنا بمعنى الواو لانه قالهما جميعا قال تعالى حكاية عنه ان هذا لساحر عليم وقال
في موضع آخر ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون قوله سماها عقيما يعني ان العقيم هي المرأة التي لا تلد
علم الرياح
وسميت الريح التي لا تنشئ سحابا بمطر او لا تنبت نباتا او لا تلقح شجرا عقيما اما لكونها سببا لعقم
من ارسلت هي عليهم فيكون تسميتها به من قبيل توصيف السبب بالمسبب او تشبيها بالمرأة العقيم
من حيث انها لا تنتج فائدة قوله وهي الدبور يعني اختلف في الريح العقيم التي ارسلت عليهم فقال
ابن عباس رض هي الدبور وقال علي رض هي النكباء وقال سعيد بن المسيب هي الجنوب والاول اصح
لقوله عليه الصلوة والسلام نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والرياح اربع الدبور والصبا
والجنوب والشمال والدبور ما تهب من جانب المغرب والصبا ما تهب من جانب المشرق
والجنوب ما تهب عن يمين من يتوجه الى المشرق والشمال ما تهب من جانب يساره والنكباء اسم
مشترك يطلق على كل ريح تهب مما بين هذه الرياح الاربع سميت نكباء لكونها ناكبة اي عادلة مائلة عن
مهاب الرياح والنكباء ايضا اربع فنكباء الصبا والجنوب تسمى الأَزْيَب ونكباء الصبا والشمال تسمى الصا
ئبة وتسمى نكيباء ايضا وهو من قبيل التصغير على قصد التكبير لانهم يستبردونها جدا ونكباء الشمال
والدبور قرة اي باردة وتسمى الجربياء ونكباء الجنوب والدبور حارة تسمى الهيف كذا في الصحاح
قال ابن كانت الريح تحمل البعير والشاة والعبد والامة فتلقيه بالوادي ولم تضر غير الناس
منهم وكانت العمالقة بجنبي الوادي ينظرون اليهم فلم تضرهم شيئا قوله تعالى وفي عاد اي وفي قوم
هود آيات ان كان معطوفا على قوله وفي الارض او وجعلنا فيهم آية ان كان معطوفا على قوله وتركنا
فيها وكذا قوله وفي ثمود قوم صالح فانه ايضا على احد هذين الوجهين قوله تفسير لقوله تعالى فعتوا

فى داركم ثلثة ايام يعنى ان المراد من الحين المذكور فى هذه الاية هى المدة التى امهلهم الله تعالى فيها بعدما عقروا الناقة وهى ثلثة ايام وقد تغيرت الوانهم فى تلك المدة فاصفرت فى اليوم الاول واحمرت فى اليوم الثانى واسودت فى اليوم الثالث وقيل هذا ضعيف لان قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم بحرف الفاء دليل على ان العتو كان بعد ما قيل لهم تمتعوا حتى حين فلو كان معنى هذا القول الى انقضاء ثلثة ايام وعند انقضائها ياخذكم الصاعقة التى هى الهلاك بصيحة جبرئيل عليه الصلوة ثم بسبب استكباركم عن امتثال امر ربكم وهو قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل فى ارض الله ولا تمسوها بسوء فان سنة الله تعالى قد جرت على ان لا يمهل قوما اصروا على الكفر بعد ظهور ما اقترحوه من المعجزة وقد خرجت الناقة من الصخرة الصماء بسبب اقتراحهم اياها فلما لم يؤمنوا ما عاينوا خروجها منها وجب عليهم العقوبة العاجلة فقيل لهم تمتعوا فى داركم ثلثة ايام فكيف يصح ان يحكى عنهم انهم عتوا عن امر ربهم بعد ما قيل لهم ذلك بل الظاهر ان يفسر الحين بمنتهى الاجل المقدر للناس وان يكون المعنى تمتعوا حتى حين بشرط امتثالكم ما امر الله تعالى به وهو ان لا تمسوها بسوء وان تتركوها على حالها ولا تزاحموها على شربها ومرعاها فانكم اذا امتثلتم هذا الامر تمتعتم وعشتم زمانا مديدا على حسب ما قدر الله تعالى من الآجال والا يأخذكم عذاب اليم وعقاب عاجل فعقروها وعتوا عن امر ربهم فعجلت عقوبتهم قال الامام ابو الليث فى تفسير قوله تعالى اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعنى قال نبيهم صالح عليه الصلوة والسلام عيشوا الى منتهى آجالكم ولا تعصوا امر الله تعالى فعتوا عن امر ربهم يعنى تركوا طاعة ربهم فاخذتهم صيحة العذاب وهذا التضعيف والاشكال انما يرد ان لو جعل قوله تعالى فعتوا عن امر ربهم معطوفا على مجرد قوله قيل لهم تمتعوا واما اذا جعل تفسيرا وتفصيلا لما اجمل فى قوله وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين من قصة اهلاكهم فلا ضعف ولا اشكال فان تقدير قوله تعالى وفى ثمود وفى اهلاك ثمود ايضا آية وقوله فعتوا عن امر ربهم تفسير لقصة اهلاكهم وتفصيل لها كالفاء التى فى قوله تعالى فنادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى فانه قد مر ان الفاء العاطفة للجمل قد تفيد كون المذكور بعدها كلاما مرتبا على ما قبلها فى الذكر لا ان مضمون ما بعدها عقيب مضمون ما قبلها فى الزمان فان ذكر تفصيل المجمل انما يصح بعد جرى ذكره كذا فى شرح الرضى قوله تعالى فاستكبروا عن امتثاله اشارة الى وجه تعدية فعل العتو بكلمة عن مع انه قد عدى بكلمة على فى قوله تعالى ايهم اشد على الرحمن عتيا وحاصله ان فيه معنى الاستكبار فعدى تعديته قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته وحيث استعمل بعلى يكون كقولك فلان يتكبر علينا قوله اى العذاب الصاعقة فى اللغة نار تسقط من السماء فى رعد شديد استعير منها لصيحة العذاب وللعذاب المهلك من اى نوع كان والصعقة الغشية والموت يقال صعق الرجل صعقة اى غشى عليه وقال تعالى فصعق من فى السموات

و

والارض اى مات قيل المراد بها ههنا الموت بصيحة جبرئيل عليه السلام قوله تعالى وهم ينظرون حال من مفعول اخذتهم وفائدة التقييد بها بيان عدم قدرتهم على دفعها ويجوز ان يكون النظر بمعنى الانتظار فالمعنى ان العذاب اتاهم لا على غفلة بل انذروا به من قبل ثلثة ايام وانتظروه ولم يأخذهم على غفلة اخذ العلى جز المحال قوله كقوله تعالى فاصبحوا فى دارهم جاثمين اى لاصقين بمكانهم من الارض لا يقدرون على الحركة والقيام فضلا عن الهرب من العذاب وهذه الاية نزلت فى قصة ثمود ايضا فلذلك استدل بها على ان المراد بالقيام ضد الجثوم وهو التلبد بالمكان واللصوق به يقال جثم الطائر بالارض اى تلبد بها ولصق وعلى الثانى يكون القيام من قولهم قام بالامر اذا قوى عليه وقاومه ولم يعجز عنه قال قتادة وجماعة فى تفسيره ما قدروا ان يقوموا بعذاب الله تعالى غير قوة عن انفسهم قوله ويؤيده اى يؤيد كون وجه انتصاب قوم كونه معطوفا على محل فى عاد قراءة من قرأ وقوم بالجر عطفا على المجرور فيما قبله من قوله وفى عاد وفى ثمود ذكر الله تعالى ست حكايات كل واحدة منها مشتملة على آية دالة على وجود الصانع وكمال قدرته ثلثة منها تدل عليه من حيث دلالتها على سعة رحمته واحسانه لاوليائه وهى حكاية ابرهيم عليه الصلوة والسلام وبشارته بان يولد له من عجوز عقيم وحكاية قوم لوط عليه الصلوة والسلام ونجاة من كان فيها من المؤمنين وحكاية موسى عليه الصلوة والسلام فان المذكور من حكايته ههنا وان كان اهلاك المعاندين لكن المقصود منه انجاء المؤمنين كما قال تعالى ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب من فرعون والثلثة الاخيرة منها تدل عليه من حيث كونها مسوقة لاهلاك المعاندين وهم عاد وثمود وقوم نوح فلذلك لم يقل وفى هود وفى صالح وفى نوح بل اقتصر على ذكر المهلكين ولما فرغ من هذه الحكايات الست شرع فى بيان سائر ما يدل على كمال قدرته من الآيات فقال والسماء بنيناها بايد الآية والعامة على نصب السماء على الاشتغال وكذلك قوله والارض فرشناها والتقدير وبنينا السماء بنيناها والايد والآد القوة يقال آد الرجل يئيد ايدا اى اشتد وقوى فهو أيد اى قوى وقوله وانا لموسعون معناه وانا لقادرون على خلقها وخلق ما هو ارفع منها واعظم وخصت السماء بالذكر لانه لا شيء اعظم منها فيما نشاهده وقيل معناه وانا لموسعون ما اوجدنا بينها سائغة كما جعلنا السماء واسعة ولما استدل على وجوده وكمال قدرته ببناء السماء وفرش الارض استدل عليها بما بينهما فقال ومن كل شيء خلقنا زوجين اى من كل جنس خلقنا نوعين كالسماء والارض والليل والنهار والبر والبحر والموت والحيوة والذكر والانثى والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة الى غير ذلك من انواع الجواهر والاعراض وكل نوعين منها زوج لا يستغنى احدهما عن الآخر ولا تتم المصلحة الا بالمجموع ثم قال فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وانه تعالى فرد واحد بالذات لا يقبل التعدد والانقسام فتفردوه بالوحدانية وتخصصوا العبادة به والفاء فى قوله تعالى ففروا للدلالة على سببية ما ذكر فى الاية السابقة

فكأنه قيل انما امرتكم بالفرار اليه بان تؤمنوا به وتكونوا في طاعته انذارا لكم من عذابه منه

فكأنه قيل انما نهيتكم عن الشرك انذارا لكم من عذابه منه

لما ذكر بعده اي اذا علمتم ان الله فرد لا نظير له ففروا اليه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا في طاعته و
عبادته وهو قوله ولا تجعلوا مع الله الها آخر اي لا تجعلوا مع المعبود بالحق معبودا آخر **قوله** او الاول مرتب
يعني انه لا تكرير فيه بناء على ان الاول تعليل للامر والثاني تعليل للنهي فانه تعالى امر اولا بالفرار اليه بالايمان و
الطاعة وعقبه بقوله اني لكم منه نذير تاكيدا للايتمار بالامر المذكور ثم نهى عن الشرك وعقبه ايضا بذلك تا
كيدا للانتهاء عما نهى عنه **قوله** اي الامر مثل ذلك يعني ان محل الكاف الرفع على انه خبر مبتدا محذوف والمعنى امر
كل قوم بالنسبة الى رسولهم مثل امرك مع قومك من حيث ان المرسلين قبلك كذبوا كما كذبت وقيل فيهم
اقوال مختلفة كما قيل فيك فلا تأس على تكذيب قومك اياك ثم فسر ما اجمله بقوله كذلك ما اتى الذين من قبلهم
الاية **قوله** ولا يجوز نصبه باتى بان يكون صفة لمصدره المحذوف اي ما اتاهم من رسول اتيانا مثل اتيانك
قريشا الا قالوا او لا بما يفسره وهو قوله الا قالوا ساحر بان يكون التقدير الا قالوا قولا مثل ذلك لان المعنى و
ان لم يأت بعد هذا الاتيان هناك مانع لفظا وهو ان ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها والاستفهام في قوله
تعالى اتواصوا به للتعجب والتوبيخ والضمير في به يرجع الى القول المدلول عليه بقوله قالوا المفترون لما نزل قوله تعالى
فتول عنهم فما انت بملوم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بناء على ظن ان الوحي قد انقطع و
ان العذاب قد حضر حتى نزل قوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تنفع من علم الله انه يؤمن وقال الكلبي
معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم من حيث انهم يزدادون به بصيرة **قوله** لما
خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة جواب عما يقال صح اللام ان تدخل على الغرض المطلوب من الفعل و
هو العلة الغائية الحاملة للفاعل على الفعل كما يقال اكلت لدفع الم الجوع ولبست لدفع الم البرد ولم تد
خل ههنا على الغرض لما ثبت من انه تعالى لا يفعل فعلا لغرض والا لكان مستكملا بذلك الغرض وهو كامل
في نفسه يستحيل ان يكون مستكملا بغيره او ان تدخل على الغاية المترتبة على الفعل من الحكم والمصالح تشبيها
لها بالغرض الحامل للفاعل على الفعل من حيث كونها منفعة مترتبة على الفعل ومن حيث ان ذلك الفعل لو
صدر من غيره تعالى لكانت تلك الغاية غرضا مطلوبا للفاعل كما في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
فان انتفاع الناس بما خلق في الارض لما كان غاية مترتبة على خلقه وكان حاملا للخلق في الجملة اذا كان
الخلق صادرا ممن يفعل لغرض شبه بالغرض المطلوب من الفعل فادخل عليه لام الغرض ولم تدخل
اللام في هذه الاية على ما هو الغرض من الخلق لاستحالة كونه تعالى فاعلا لغرض ولم تدخل ايضا على الغاية
المترتبة على الخلق لان العبادة لم تكن غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس حتى يقال انها شبهت
بالغرض من حيث كون الفعل مؤديا اليها وكونها غاية مترتبة عليه فاطلق عليها اسم الغرض ودخلت
عليها لام الغرض لذلك فما معنى اللام في هذه الاية وتقرير الجواب نعم العبادة ليست غرضا مطلوبا
من الخلق ولا غاية مترتبة على خلق كثير من الجن والانس الا انها شبهت بالغاية المترتبة من حيث ان

ان الجن والانس خلقوا على صورة متوجهة الى العبادة اي صالحة وقابلة لها فانهما خلقا بحيث تتأتى منهما
العبادة وانهما هيئ لهما بخلق اسبابها ودواعيها من الادلة العقلية والنقلية فيهما فصارا بذلك كأنهما
خلقا للعبادة وانها غاية مترتبة على خلقهما فلذلك اطلق عليها اسم الغاية ودخلت عليها لام الغاية مبالغة
في خلقهما على تلك الصورة ووصف الصورة بكونها مغلبة للعبادة لكونها بحيث تصدر عنها العبادة بسهولة
لتحقق اسبابها وكثرة دواعيها فصارت بذلك كأنها جعلت غالبة عليها متمكنة منها ولما وجب الكلام باخراج
اللام عن ظاهر معناها بجعلها للمبالغة في خلقهما بحيث تتأتى منهما العبادة بسهولة اشار الى وجه العدول
عن الظاهر فقال ولو حمل على ظاهره يعني ان المانع من حمل الكلام على ظاهره امران احدهما ان الدليل يمنع
حمل الكلام على ظاهره وثانيهما ان حمله على ظاهره يستلزم تعارض الآيتين لان من خلق لجهنم لا يكون مخلوقا
للعبادة ولما صرف الكلام عن الظاهر بان جعلت العبادة شبيهة بالغاية ارتفع التعارض **قوله**
وقيل معناه يعني قيل ان لام الغاية وان دخلت على العبادة ظاهرا الا انها في الحقيقة داخلة على ما هو سبب
للعبادة وهو الامر بها فيكون من قبيل ذكر المسبب وارادة السبب روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال في تفسير الاية الا لآمرهم بالعبادة وادعوهم الى عبادتي ويؤيده قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها
واحدا وقوله الا ليعبدوا الله **قوله** اي ليكونوا عبادا لي فيه ان عبد بمعنى صار عبدا غير مستعمل ولا موجود
في كتب اللغة **قوله** انما تكليفهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم منهم من يحتاج الى كسب عبده في تحصيل
الرزق ومنهم من يكون له مال وافر ورزق واسع يستغني به عن حمل عبده على الاكتساب لكنه يستعين
به في قضاء حوائجه بان يستخدمه في طبخ الطعام واحضاره بين يديه وغسل اوانيه وثياب نفسه
وكنس بيته والقيام على مصالح دوابه ونحو ذلك وهو تعالى مستغن عن جميع ذلك فلم يخلق عباده لينتفع بهم
وانما خلقهم وكلفهم بالاوامر والنواهي ليستعدوا لفضله ورحمته ويجتنبوا عن سخطه وعقابه
بالتذلل والعبادة وايثار طاعته على متابعة النفس والهوى وظهر بهذا التقرير فائدة تكرير وما
اريد فان الارادة الاولى متعلقة باكتساب الرزق والثانية متعلقة باصلاحه وخص الاطعام
بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم باكتساب الارزاق ونفي الاهم يستلزم
نفي ما دونه بطريق الاولى كأنه قيل ما اريد منهم من عون ولا عمل **قوله** ان الله هو الرزاق تعليل
لعدم ارادة الرزق منهم بالايماء الى استغنائه عنه وقوله ذو القوة تعليل لعدم احتياجه الى استخدا
مهم في مهماته من اصلاح طعامه وشرابه ونحو ذلك لان من يستعين بغيره في اموره يكون عاجزا
لا قوة له **قوله** المتين مرفوع في قراءة الجمهور على انه خبر بعد خبر لان او خبر مبتدا محذوف اي هو المتين
او على انه صفة لذو القوة او للرزاق وقرئ بالجر على انه صفة للقوة وتذكير وصفها لكون تأنيثها غير
حقيقي او لكونها في تأويل الايد والاقتدار وقيل هو مخفوض على الجوار كقولهم هذا جحر ضب خرب والمتانة

سورة القوة ثم انه لما بين ان كفار قريش كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كذب كفار الامم
الماضية رسلهم بين جزاء تكذيبهم بقوله فان للذين ظلموا ذنوبا والفاء فيه فاء فصيحة اي اذا عرفت
حال اولئك الكفرة المتقدمين من عاد وثمود وقوم نوح فان لهؤلاء المكذبين نصيبا مثل نصيبهم عبر عن
النصيب بالذنوب تشبيها للقسط لكل احد من العذاب بذنوب السقاة فانهم يقسمون الماء من الابار
على النوبة ذنوبا ذنوبا قال شاعرهم لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب اي البئر وفيه اشارة
الى ان العذاب ينصب عليهم كما تصب الذنوب قال تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم ثم نهاهم عن تعجيل
العذاب فقال فلا تستعجلون والنون المكسورة نون الوقاية وكان النضر بن الحارث يستعجل بالعذاب
فيقول متى هذا الوعد فنهى عنه فقيل ان لكل واحد من المكذبين ذنوبا لكن اخر ذلك الى يوم القيمة
ثم قال فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون اي من عذاب يوم القيمة والويل الشدة من العذاب
وقيل اسم واد في جهنم ثم بعون الله تعالى ما يتعلق بسورة الذاريات وهذا اوان بيان ما يتعلق

بسورة الطور وهي مكية بسم الله الرحمن الرحيم قوله

وهو جبل بمدين من الارض المقدسة اسمه زبير قال مقاتل هما طوران احدهما طور تينا والاخر
طور زيتا احدهما ينبت التين والاخر ينبت الزيتون قوله او ما طار فيكون الطور صفة بمعنى
الطائر كالقل والكثر بمعنى القليل والكثير يقال ماله قل ولا كثر قوله او في الواح موسى لمناسبة
الطور قوله الرق الجلد يعني ان الرق في الاصل ما رقق من الجلد ليكتب فيه ثم اطلق على سائر ما
يكتب فيه لاجل الكتابة تشبيها له بالرق المنشور منه ما ينبسط وينشر للقراءة قوله او الضراح بضم
الضاد المعجمة وبالحاء المهملة من الضرح وهو التنحية والابعاد والضريح البعيد وقيل هو من
المضارحة وهي المقابلة لانه مقابل للكعبة روي انه عليه الصلوة والسلام انه بيت في السماء الرابعة
بحيال الكعبة من الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك لم يدخلوه قط قبله ولا يدخلونه بعد ذلك
حتى تقوم الساعة فهو معمور بكثرة زواره من الملائكة وحرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض
وعن ابن عباس رضي قال هو البيت الذي بناه آدم عليه الصلوة في الارض فرفع ايام الطوفان
الى السماء ووضع بحيال الكعبة وقيل انزل الله تعالى بيتا من ياقوتة في زمان آدم ووضعه بمكة فكان
آدم يطوف به وذريته من بعده الى زمان الطوفان فرفع الى السماء وهو البيت المعمور طوله كما بين
السماء والارض قال صاحب الكشف وما جاء في الحديث انه في السماء السابعة لا ينافيه فقد ثبت ان في كل
سماء بحيال الكعبة في الارض بيتا واما الذي كان في زمن آدم فرفع بعد موته في السماء الرابعة
على ما نقله الازرقي في تاريخ مكة وسمي ضراحا لانه ضرح فرفع الى السماء على ما مر من ان الضرح
هو الابعاد قوله يعني السماء لقوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فانها بمنزلة السقف للارض و
م

ومرفوعة فوق كل شيء وقيل المراد به العرش قوله اي المملوء من قولك سجرت الاناء اي ملأته او
الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور يقال سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته لما روي ان الله تعالى يجعل
البحار كلها يوم القيمة نارا يزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن كعب انه قال هو البحر
يسجر فيكون جهنم وقيل يحمى البحر فيكون شراب اهل النار قوله او المختلط فان المسجور في اللغة اللبن
الذي ماؤه اكثر منه ويقال عين سجراء اذا خالطت بياضها حمرة قال الربيع ابن انس البحر المسجور
اي المختلط العذب بالملح فان البحار كلها تجتمع يوم القيمة وتجعل بحرا واحدا او المختلط بما فيه من الحيوانات
المائية وهذه الاقاويل كلها مبنية على ان يكون المراد بالبحر بحر الدنيا وقال عكرمة هو بحر تحت العرش
عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد
النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون في قبورهم قوله ووجه دلالة هذه الامور الخ يعني ان الايمان
انما تذكر في القران من حيث كون الامور المقسم بها دليلا على تحقق المقسم عليها فوجه تخصيص هذه الامور
بجعلها مقسما بها الاختصاص بمزيد الدلالة على تحقق المقسم عليه فهي الاقسام بها تعظيم لشأنها من دلالتها
على ثبوت المدعى مع الاخفاء في دلالتها باسرها على القدرة الكاملة والحكمة البالغة وما يدل عليهما يدل
على صدق اخباره جميعا فيكون صادقا في الاخبار بضبط اعمال العباد ومجازاتهم على حسب اعمالهم
قوله ويوم ظرف لم يبين ان عامله ما هو اشارة الى جواز انه واقع او دافع والظاهر ان العامل فيه دافع
وان الجملة المنفية معترضة بين العامل ومعموله تأكيد لما سبقه لان جعله ظرفا لقوله دافع يوهم ان احدا
يدفع عذابه في غير ذلك اليوم وهو باطل ما له من دافع في كل وقت فلا وجه لتقييده بذلك اليوم قوله اي
اذا وقع ذلك فويل لهم اشارة الى ان في الكلام معنى الشرط وان الفاء في قوله فويل جزائية جيء بها لربط
مدخولها بالشرط المحذوف والجملة الشرطية لبيان ان العذاب الواقع لمن هو والمعنى اذا علم ان عذاب الله تعالى
واقع وانه ليس له دافع فويل اذن للمكذبين وهو لا ينافي تعذيب غير المكذبين من اهل الكبائر لان الويل
وهو العذاب الشديد انما هو للمكذبين لا للعصاة المؤمنين قوله تعالى الذين هم في خوض يلعبون يجوز ان
يكون الظرف فيه مستقرا مرفوع المحل على انه خبر هم فيكون يلعبون حالا من المستقر فيه ويجوز ان يكون
لغوا متعلقا بيلعبون مقدما عليه ويكون يلعبون هو الخبر والموصول مع صلته للمكذبين لم يقصد
بها تخصيص المكذبين وتمييزهم وانما هو للذم كما في قولك الشيطان الرجيم والخوض في الاصل عام يطلق
على الخوض في كل شيء الا انه غلب في الخوض في الباطل والاندفاع فيه قوله يدعون اليها بعنف يعني
ان الدع هو الدفع بعنف وشدة يقال دععته ادعه دعا اي دفعته بجفوة قال تعالى يدع اليتيم اي يدفعه
قال مقاتل تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم ثم يدفعون الى جهنم دفعا على وجوههم حتى
اذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون في الدنيا فان قيل قوله تعالى يدعون الى نار جهنم

بدل على ان خزنتها يقذفون في النار دهم بعداء عنها وقوله تعالى يسحبون في النار على وجوههم يدل على انهم
فيها فالجواب من وجوه الاول ان الملائكة يسحبونهم في النار ثم اذا قربوا من نار مخصوصة وهي جهنم
يقذفونهم فيها من بعيد فيكون السحب في النار والدفع في نار اشد واقوى بدليل قوله تعالى يسحبون في الحميم
ثم في النار يسجرون ان يكون لهم سحب في حموة النار ثم بعد ذلك يكون لهم ادخال الثاني يجوز ان يكون في كل
زمان يتولى امرهم ملك فالى النار يدفعهم ملك وفي النار يسحبهم آخر والثالث يحتمل ان يكون الملائكة
يدفعون اهل النار اهانة لهم واستخفافا بهم ثم يدخلون معهم النار ويسحبونهم فيها قوله فيكون دعا حالا
بمعنى مدعوعين او يكون حالا مقدرة من مرفوع يدعون والمعنى يوم يدعون اليها فيقال لهم هلموا اليها
فادخلوها مقدرا في حقهم ان يدعوا اليها فيجيئون اليها قوله او ظرف لقول مقدر محكية بهذه النار يعني
ان قوله تعالى هذه النار مقول لقول مقدر ويوم يدعون ظرف لذلك القول اي فيقال لهم تلك المقالة يوم
يدعون ثم يوبخون لما عاينوا ما كانوا يكذبون به فيقال لهم افسحر هذا قوله هذا مبتدأ وقوله افسحر خبره
قدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام ولان شأن البلغاء تقديم ما لهم به مزيد العناية والاهتمام وهو
في هذا المقام توبيخ للمشركين في نسبته عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من الآيات الى السحر والتغطية على
الابصار ولما كانت الفاء العاطفة تقتضي معطوفا عليه يصح ترتب الجملة المعطوفة عليه قدره فقال
اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر فالاحوال التي شاهدتموها اليوم مما يصدق ذلك الوحي اسحر هو ايضا و
مصداق الشيء ما يصدقه واحوال الاخرة ومشاهدتها تصدق اقوال الانبياء في الاخبار عنها واشار
بقوله اهذا المصداق الى وجه تذكير اسم الاشارة مع كونه اشارة الى النار وهو ان يكون النار في تأويل
المصداق ونظير هذا الاسلوب ان يستدل المدعي على مذهبه بحجة فيقول الخصم له ما ذكرته تمويه باطل
لا يثبت به المدعى فيأتي المستدل بحجة اوضح من الاولى مسكتة للخصم ويقول افتمويه هذا ايضا فيريد به
بالالزام وطعنا له بنسبته الى المكابرة والعناد فيما قاله اولا كانه قال انكم كنتم في الدنيا منكرين البعث
وما يتفرع عليه من الثواب والعقاب فان كنتم صادقين في ذلك الانكار لزم ان لا يكون ما اصابكم اليوم
من عذاب ولا ما شاهدتموه من صورة النار نارا ومن المعلوم ان من رأى شيئا ولم يكن المرئي في نفس الامر
ذلك الذي رآه فخطاؤه يكون لاجل احد امرين اما لامر عائد الى المرئي واما لامر عائد الى الرائي فاتى من
هذين الامرين كان سبب خطائكم فقوله افسحر هذا اي هل في المرئي تلبيس وتمويه حتى حصل الحكم انه
نار مع انه ليس بنار في نفس الامر ام هل في بصركم خلل فكلمة ام متصلة والاستفهام للانكار اي ليس
شيء منهما بثابت فثبت انكم قد بعثتم وحوسبتم وجوزيتم باعمالكم وان الذي ترونه صحيح وعذاب
فهو تفريع شديد وتهكم فظيع وبعد هذا التفريع يقال لهم اصلوها اي قاسوا حرها وما فيها من العذاب
الشديد اي اذا لم يمكنكم انكارها وتحقق عندكم انه ليس بسحر وانه لا خلل في ابصاركم فاصلوها قوله
اي

اي الامران اشارة الى ان قوله سواء خبر مبتدأ محذوف دل عليه اصبروا او لا تصبروا اي الا
مران سواء عليكم اي صبركم وتركه مستويان في عدم النفع فان الصبر انما ينفع اذا تعلق بالشدة
الواقعة ابتداء فان الصابر عليها يثاب على صبره فينفعه الصبر لا محالة بخلاف الذي تعلق بالشدة الواقعة
جزاء فانه لا ينفع الصابر البتة لان الجزاء المؤبد واجبة الوقوع بمقتضى الوعيد فيقع مؤبدا قوله تعالى ان
المتقين في جنات يجوز ان يكون كلاما مستأنفا لبشارة المتقين بفوزهم بحسن العاقبة وان يكون من
جملة ما يقال للكفار زيادة في غمهم وتحسرهم قوله في اية جنات واي نعيم يعني ان تنكير جنات ونعيم اما
للتعظيم او للنوعية والخصوص وفاكهين منصوب على انه حال من المستقر في الظرف قيد كونهم في جنات ونعيم
بحال كونهم ناعمين متلذذين للدلالة على كمال حضورهم وسرورهم فان الجنة مع كونها دار اهل السعادة
قد يتوهم ان من يدخلها ربما يدخلها ليعمل فيها ويصلحها كما يتوهم ان ناطور الكرم اي مصلحه وحافظه فلما قيل
ونعيم اي انهم فيها متنعمون كما يتوهم ان المتفرج بالبستان لا كالناطور والعمار ثم زاد في بيان تنزهه
خاطرهم وكمال حضورهم وسرورهم بقوله فاكهين فان المتنعم قد يستغرق في النعم الظاهرة وقلبه مشغول
بامر ما فلما قال فاكهين تبين ان استغراقهم في النعيم ليس لاجل كونهم متلذذين لا يشوب سرورهم
وحضورهم شيء من الكدر وقرئ فكهين بالقصر وفاكهون بالرفع على انه خبر ان وفي يجوز ان يكون في ج
ظرفا لغوا متعلقا بالخبر وان يكون خبرا آخر عند من يجوز تعدد الخبر قوله تعالى بما آتاهم متعلق بفاكهين و
ما موصولة حذف عائدها وهو المفعول الثاني لآتاهم اي متلذذين بسبب ما آتاهم اي اعطاهم ربهم اياه
او مصدرية اي متلذذين باتيانهم ربهم ما خصهم به من الكرامة قوله عطف على انهم ان جعل ما مصدرية
والتقدير متلذذين باتيانهم ووقايتهم عذاب الجحيم ولا يجوز عطفه على آتاهم ان جعلت ما موصولة لان
المعطوف على الصلة يكون في حكم الصلة فيجب اشتماله على العائد ولا عائد اليها في الجملة المعطوفة لان
التقدير في فاكهين بالذي آتاهم ربهم اياه وبالذي وقاهم ربهم عذاب الجحيم وليس في الجملة الثانية ما
يعود الى الموصول لان وقاهم قد اخذ كلا مفعوليه ولو قدر العائد لبقي بلا عامل بخلاف آتاهم فان مفعوله الثاني
محذوف هو العائد الى الموصول قوله او في جنات اي او هو عطف على قوله في جنات لان التقدير ان المتقين
استقروا في جنات ووقاهم قوله او حال معطوف على قوله عطف اي يجوز ان يكون الواو حالية لا عاطفة
فتكون كلمة قد مقدرة لما تقرر من ان الماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد من اقتران الجملة بكلمة قد ظاهرة
او مقدرة وذو الحال اما المستكن في الظرف او في الحال او هو اما فاعل آتى او مفعوله او كلاهما قوله كلوا
واشربوا محكي بقول مقدر اي يقال لهم ذلك وهنيئا منصوب على انه صفة مصدر محذوف اي اكلا وشربا
هنيئا او على انه صفة للمفعول به المحذوف اي طعاما وشرابا هنيئا فانه ترك ذكر المأكول والمشروب
للدلالة على تنوعهما وكثرتهما والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا

لما تستغيص فيه اذا كان بحيث لا يورث الكدر مما نحو التخم والسقم بيان تنقص الله عليه العيش تنغيصا ان كدره
وتنغصت عيشته ان تكدرت **قوله** وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا فلا تكون هنيئا صفة لمحذوف بل
تكون من المصادر التي عاملها وجوبا لكثرة الاستعمال واقيمت هي مقامه والتقدير هنا كم ما كنتم تعملون اي
جزاء ما كنتم تعملون هنيئا والمصدر على وزن فعيل كثير كالنسيب والنكير والزئير والصليل ونظيره قول
هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت فان هنيئا مصدر حذف عامله واقيم هو
مقام فعله وما استحلت فاعل الفعل المحذوف اي هنيئا لعزة ما استحلت من اعراضنا هنيئا عليه زيادة
الباء في الفاعل لم يسمع الا في فاعل كفى ولا هي قياسية فلا وجه لتجويزها ههنا **قوله** متكئين حال
من الضمير في كلوا واشربوا على سرر متعلق بمتكئين ومصفوفة اي منتظمة بعضها الى جنب بعض و
تقييد الاكل والشرب بحال الاتكاء على السرير للايماء الى ان اهل الجنة فارغون عن الكلفة بالكلية لان
الاتكاء هيئة مختصة بالمتنعم الفارغ عن الكلفة والتعب **قوله** وزوجناهم يجوز ان يكون
مستأنفا وان يكون معطوفا على متكئين باضمار قد كانه قيل كلوا متكئين على سرر مزوجين بحور عين
قوله الباء لما في التزويج جواب عما يقال من ان فعل التزويج يتعدى الى مفعوليه بلا واسطة حرف الجر
يقال زوجته امرأة ولا يقال زوجته بامرأة قال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فما وجه
تعديته بالباء ههنا اجاب عنه اولا انه انما عدي بالباء باعتبار ما في ضمنه من معنى الايصال والالصاق
وثانيا بان الباء ليست للتعدية بل للسببية ثم استدل على اعتبار معنى الالصاق والقرن في التزويج بعطف
قوله تعالى والذين امنوا على حور عين ولو لم يعتبر فيه معنى الوصل والقرن بل كان بمعنى عقد النكاح لما
جاز العطف المذكور لاستحالة تحقق عقد النكاح بين المتقين واخوانهم المؤمنين واذا كان تزويجهم
بالمؤمنين بطريق وصل بعضهم بعضا والصاقه به يكون تزويجهم بالحور العين ايضا بذلك الطريق
لا بان يعقد بينهم عقد النكاح لان الجنة ليست بدار تكليف وهذا معنى قوله ولما في التزويج من معنى
الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على حور ولا وجه لعدم قوله لما في التزويج من معنى
الوصل والالصاق وهو ظاهر اختيار المص ان يكون والذين امنوا معطوفا على قوله بحور والمعنى قرناهم
بحور وبالذين امنوا وانهم يتمتعون تارة بملاعبة الحور العين وتارة بمؤانسة الاخوان والمؤمنين كما قال
اخوانا على سرر متقابلين فيكون قوله تعالى واتبعتهم ذريتهم معطوفا على قوله زوجناهم اي ومن اكرمه المتقين
ان الله تعالى يجمع بينهم وبين ذريتهم في الكرامة ويلحقها بهم لتقر بها اعينهم ثم بين ان ايمان الذرية يكفي في
الحاقها بهم فقال بايمان الحقنا بهم ذريتهم اي اولادهم الصغار والكبار يلحقون باباءهم بايمانهم بانفسهم والصغار
بايمان اباءهم فان الولد الصغير يحكم بايمانه تبعا لخير الابوين اي لمن امن منهما فبسبب ايمانه تبعا يلحق
بابيه كما ان الكبير يلحق به بايمانه بنفسه ثم ذكر فيه امر اخر قال قوله تعالى والذين امنوا مبتدأ خبره الحقنا بهم فيكون

فيكون قوله تعالى واتبعتهم ذريتهم بايمان جملة معترضة بين المبتدأ والخبر لتعليل الحاق الذرية بالاباء فان
تعليق الحاق الذرية بما تبعتهم الاباء في الايمان يشعر بعلية المتابعة للالحاق فالباء في قوله بايمان يجوز ان يكون بمعنى
في فيتعلق باتبع وان يكون على الاصل فيتعلق بمحذوف اي ملتبسين بايمان وعلى التقديرين يراد بالايمان ايمان الذرية
والتنكير في قوله بايمان للتعليل اي بشيء من الايمان وتقليل الايمان ليس مبنيا على دخول الاعمال فيه بل المراد
تلك ثمراته ولادناه قدره بذلك فالتقليل فيه بمعنى التحقير والمص عبر عن هذا المعنى بقوله في ادنى اصل الايمان
مشيرا عن توصيفه بالقلة والحقارة ولقد اجاد ولله دره وصاحب الكشاف جعل قوله بايمان متعلقا بالحقنا
في الوجهين جميعا وهما كون والذين امنوا معطوفا على حور وكونه مبتدأ خبره بايمان الحقنا بهم وجوز ان
يكون الايمان ايمان الاباء فيكون تنوينه للتعظيم وان يكون ايمان الذرية فالتنوين للتعليل وجعل قوله تعالى و
اتبعتهم ذريتهم في الوجه الاول معطوفا على قوله وزوجناهم بدليل قوله فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم
في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وفي
الوجه الثاني لم يدخل قوله بايمان في جملة الاعتراض وادخله المص واتفقا على ان قوله واتبعتهم ذريتهم
على الوجه الثاني اعتراض بين المبتدأ والخبر والظاهر انه يجوز ايضا كونه معطوفا على الصلة وهي امنوا
قوله للمبالغة في كثرتهم يعني ان الذرية تطلق لمن تناسل من الثقلين فلا حاجة الى جمعه الا انه جمع
للمبالغة في كثرتهم وللتصريح بما ذكره فان الذرية لو لم تقع على الواحد لما صح لان لفظ الجمع موضوع لان
يطلق على احاد مفرده **قوله** وقيل بايمان حال عطف على قوله اي جعلنا هم تابعين لهم في الايمان يعني ان الباء
للظرفية وقيل للملابسة فيكون حالا من المفعول الاول وهو الضمير او الثاني وهو الذرية او منهما اي اتبعنا
هم ملتبسين بايمان ولم يرض به لان قوله تعالى واتبعناهم يكون معطوفا على زوجناهم ويكون اتباعهم بهم عبارة
عن ضمهم اليهم والحاقهم بهم فيكون قوله بعد ذلك الحقنا بهم ذريتهم تكرارا **قوله** وما نقصناهم اي ما نقصنا
الاباء المتبعين من ثواب عملهم من شيء من النقص لما كان الحاق الذرية بالاباء يوهم ان يوزع ثواب عمل الاب
بينه وبين ولده فينقص به حظه من اجر عمله ازيل ذلك الوهم بقوله تعالى وما التناهم **قوله** ويحتمل ان
يكون بالتفضل اي على الاولاد بتبليغهم درجة الاباء بمحض التفضل الالهي من غير عمل يؤدي اليها وعلى
الاباء بان يقرب بهم اولادهم وتقر بهم اعينهم من غير ان ينقص من اعمالهم شيء وذلك تفضل عظيم في
حق الكل **قوله** من شيء مفعول ثان لالتناهم ومن مزيدة فيه ومن عملهم في محل النصب على انه حال من شيء
لانه في الاصل صفة فلما قدمت نصبت حالا **قوله** كل نفس بما كسبت رهينة عند الله تمثيل كان نفس العبد مرهون
عند الله بعمله الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا على ما امر به فكها اي خلصها
والا اوبقها فان العمل الصالح بمنزلة الدين الثابت على المرء من حيث انه مطالب به ونفس المرء بمنزلة العبد
المرهون عند المرتهن فكما ان المرتهن ما لم يصل اليه الدين لا ينفك منه الرهن كذلك العمل ما لم يصل اليه تعالى

ريه تسعيد جمع في الايمان
ثنا امنوا الا بانهم منهم

انه لا يبعد ان يتعلق بالمشيئة ويجوز ان يكون كل واحد منهم بعد وفاته
شيعة يفضلها او من الطاعة كمي من نفسه كمال الكسب فيتبعه
انه لابدهم اللحقه لكم نصيب منه النار اوله
شيعة بالمعنى العشرة الناس صنفان فيتبع
شيعة فيهتفها ودابع فيه فيه لله

لا يتخلص نفس المرء منه قال عليه الصلوة والسلام لمعاذ حق الله تعالى على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به
شيئا وحق العباد عليه تعالى ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فانه صريح في ان التوحيد والطاعة بمنزلة
الدين الثابت للمحسن على العبد ووجه مناسبة الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر حال المتقين وانه دفع عليهم ما
اعد لهم من الثواب والتفضل انزل هذه الآية ليدل على انهم فكوا رهانهم وكان موضعه بحسب الظاهر اخر
ما ورد في تفصيل جزاء المتقين وهو قوله هو البر الرحيم ليكون كلاما راجعا الى بيان حال الفريقين وهما
المدعون الى نار جهنم والمتقون الا انه نقل في خلال بيان اجزية المتقين ليدل على ان فكر ما بهم من بعض
اجزيتهم ثم ذكر ما يزيد بهم على ذكر قبله من الكرامة فقال وامددناهم بفاكهة اي واتبعنا ما اعطيناهم
من ثواب اعمالهم فانه تعالى لما قال وما التناهم اوهم ذلك انهم يجازون بما يساوي عملهم دفع هذا الاحتمال
بقوله وامددناهم اي ليس بعدم النقصان بالاقتصار على المساوي بل بالزيادة والامداد وقتا بعد وقت
ما يشتهون وتنوين فاكهة للتكثير اي بفاكهة لا تنقطع كلما اكل الثمرة عاد مكانها مثلها وما في قوله ما يشتهون
للعموم لانواع اللحمان قوله يتنازعون حال من مفعول امددناهم اي وامددناهم متناولين بعضهم
من بعض ويجوز ان يكون مستانفا وكاسا مفعول يتنازعون وقوله لا لغو فيها ولا تاثيم في محل النصب
على انه صفة كاسا وفيها اي في شربها فقيل في الجنة وفسر التنازع بالتعاطي على طريق التجاذب الذي
يقصد به الملاعبة وفيه نوع لذة اذ لا يتصور في الجنة التنازع بمعنى التخاصم والكاس قدح فيه خمر
ولا يسمى كاسا ما لم يكن فيه شراب كما لا يسمى مائدة ما لم يكن عليها طعام **قوله** اي لا يتكلمون بلغو الحديث
لان شربها لا يذهب بعقولهم حتى يتكلموا باللغو وهو الباطل من الكلام وانما يتكلمون بالحكم ومحاسن
الكلام الذي يجري بين العلماء الحكماء متلذذين بذلك يقال اثمه اذا جعله ذا اثم واشار بهذا التفسير
الى ان اللغو في الكلام والتاثيم في الفعل **قوله** وذلك مثل قوله لا فيها غول في عدم اعمال لا لانه اذا وقع بينها
وبين اسمها فاصلة وجب الرفع والتكرير نحو لا في الدار رجل ولا امرأة لانها لضعف عملها لا تعمل بالفصل
فرجل مرفوع بالابتداء وامرأة عطف عليه وفي الدار خبره فكذا غول مبتدا وفيها خبره وقد تقرر في
النحو انه يجوز في نحو لا حول ولا قوة رفع الاسمين على ان الاول منهما مبتدا والثاني عطف عليه وبالله خبر
ويجوز الغاء لا لضعف عملها ومن هذا القبيل قوله تعالى لا لغو فيها ولا تاثيم على قراءة الجمهور فانهم قرؤا برفع
الاسمين وتنوينهما وقرا ابن كثير والبصريان بفتحهما من غير تنوين لان كل واحد منهما ليس بمضاف
ولا مشابه للمضاف فبني على ما ينصب به **قوله** كانهم لؤلؤ صفة ثانية لغلمان او حال منهم لانهم قد وصفوا
او من المنوي في لهم وقوله يتساءلون حال من فاعل اقبل اي اقبلوا متحادثين قال ابن عباس رضي يتذكرون
ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا وقيل يتساءلون عن اعمالهم في الدنيا التي بها وصلوا الى هذه
النعم بوعد الله تعالى يدل عليه قوله المسؤلين في جوابهم انا كنا قبل اي في الدنيا في اهلنا مشفقين والخوف
من

ويلزم ان عدم الخلاص جزاء
لعمل بليس وقال تعالى كل امرئ
كان بما عمل من الشرك مرهونة
في النار والمؤمن لا يكون مرهونا
تمنيا لقوله تعالى كل نفس بما كسبت
رهينة الا اصحاب اليمين
منه

من العذاب اصل النفور كلها لانه يدخل فيه خوف التقصير في الطاعة وخوف ملابسة المعصية فيجب عند ذلك
على كل واحد منهما باقصى ما يمكن لما وصف الله تعالى اهل الجنة بان يزوجهم بحور عين وباخوانهم المؤمنين وانه
يلحق بهم ذرياتهم المشاركين لهم في اصل الايمان وانه يمد لهم في كل وقت ما يشتهون وانهم يتناولون فيها كاسا
يطوف بها الغلمان الموصوفون قال بعده واقبل بعضهم على بعض على ما هو عادة اهل المجلس يسرعون في التحادث
ليتم به استيناسهم كما قيل وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام السموم في الاصل الريح الحارة
التي تدخل المسام اطلق على نار جهنم على سبيل الاستعارة تشبيها لها به في نفوذ حرها في المسام والفاء في قوله
فذكر هي الفصيحة وفي قوله فما انت للتعليل اي اذا تحقق امر البعث والجزاء وتقرر فوز المتقين بالسعادة
لاجل التذكر والانتفاع بالموعظة فذكر ولا تبال بما قالوا في حقك انه كاهن او مجنون فانك بحمد الله تعالى مبرأ عما
يقولون فان من كان ارجح عقلا ورأيا وصدقا وامانة ووقارا ابعد حالا من الجنون والكهانة متناقضان
لا يجتمعان في شخص لان الكهانة تقتضي التدبير والفراسة فاين هي من الجنون والكاهن من يخبر عن
المغيبات الآتية من غير وحي **قوله** بنعمة ربك حال من المنوي في كاهن وقوله بكاهن منصوب المحل على انه خبر
ما وقوله ولا مجنون عطف عليه والتقدير ما انت كاهنا ولا مجنونا ملتبسا بنعمة ربك اي بانعامه عليك جميع الاخلاق
الحميدة والفضائل الشريفة التي افضلها النبوة والوحي وبحمده حال لازمة لانه عليه الصلوة والسلام لم يفارق
روح هذه الحال ويجوز ان تكون الباء في قوله بنعمة ربك للقسم المتوسط بين اسم ما وخبرها ويكون جواب القسم
محذوفا لدلالة هذا المذكور عليه والتقدير ونعمة ربك ما انت بكاهن ولا مجنون قوله ام يقولون
قال المص اخر الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار رد الله تعالى اولا قولهم في حقه عليه الصلوة والسلام
انه كاهن ومجنون فقال ما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ثم اضرب عن انكار قولهم هذا الى انكار قولهم
فيه انه شاعر فقال ام يقولون شاعر وقوله نتربص في موضع الرفع على انه صفة شاعر وصفوا الخ
به لانهم كانوا يخبرون عن ابتداء الشعراء ويقولون الشعر يحفظ ويموتون فلا يعارضه مخافة ان
يغلبنا بقوة شعره بل نصبر ونتربص موته وهلاكه كما هلك من قبله من الشعراء وحي يتفرق اصحابه وان اباه
قد مات شابا ونحن نرجوا ان يكون موته كموت ابيه **قوله** ما يقلق النفوس من حوادث الدهر يريد ان
الريب بمعنى الرايب من قولهم رابه الدهر وارابه اي اقلقه وان المنون هو الدهر وهو قول الكسائي والا
خفش والفراء سمي به الدهر لانه يقطع قوة الانسان فان المنون من المن وهو القطع يقال منه
اذا قطعه فريب المنون عبارة عن الحوادث الدهر وتقلبات الزمان التي تورث قلقا واضطرابا
للنفوس وقيل سميت ريبا تشبيها لها بالريب الذي هو الشك في التزلزل وعدم الثبات وقال الخليل
المنون الموت سمي منونا لانه يقطع العمر وريبه اوجاعه ثم اضرب عن توبيخهم والانكار عليهم بنسبة
المقالات المتناقضة اليه في حقه عليه الصلوة والسلام الى نسبتهم الى السفه والجهل الذي حملهم عليها فقال

ام تامرهم احلامهم بهذا التناقض في القول كانه قيل دع نفوهم بهذه المقالات المتناقضة وانظر الى ما فيهم
مما هو اقبح من ذلك وهو انهم سفهاء ليسوا من اهل التمييز ثم اضرب عن انكار كونهم من العقلاء المنجرين الى ما
هو ادخل في الذم بالنسبة الى نقصان العقل فقال ام هم قوم طاغون كانه قيل دع كونهم سفهاء عديمي العقل والقول
بان المودي الى تلك الاقوال المتناقضة سفههم وجهلهم وانظر الى طغيانهم ومجاوزتهم الحد في العناد فانه هو
الحامل لهم على تلك المقالات ثم اضرب عن الانكار عليهم بمجاوزتهم الحد في العناد الى توصيفهم بما هو ابلغ في الذم و
هو ان ينسبوا اليه عليه الصلوة والسلام انه يختلق القران من تلقاء نفسه ثم يقول انه من عند الله افتراء عليه
وهو اقبح من الطغيان الذي هو مجاوزة الحد في العناد لان الافتراء ابعد شيء من حاله لاشتهاره بالصدق
لاسيما ان يفتري على الله تعالى مع ان كون القران مفترى مع كونهم عاجزين عن اتيان اقصر سورة منه مثلا
فبان ان التقول تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب ثم كذبهم في نسبتهم التقول اليه عليه الصلوة والسلام
فقال بل لا يؤمنون اي ليس الامر كما زعموا من احتمال تخفي شيء من المطاعن فيه بل انهم لا يؤمنون بنبوته
وبالقران عنادا واستكبارا مع وضوح دلائل حقيته فهم من الذين ختم الله على قلوبهم وسمعهم وعلى ابصارهم
غشاوة فلا يؤمنون البتة ثم الزمهم الحجة وبين انهم طاغون معاندون في جميع ما ذكروه من المطاعن
فقال فليأتوا بحديث مثله والفاء فيه للسببية اي ان كان الامر كما زعموا من انه كاهن او مجنون او شاعر
ادعى الرسالة وتقول القران من عند نفسه فليأتوا بحديث مثله فانه عليه الصلوة والسلام في حد ذاته
نفسه واحد منهم فيجب ان يقدروا على ما قدر هو عليه بنفسه فاذا لم يقدروا على اتيان مثل ما اتى به تعين
ان ما اتى به كلام الهي واجب القبول وانه عليه الصلوة والسلام رسول مؤيد من عند الله تعالى قوله
ام احدثوا من غير محدث على ان كلمة من لابتداء الغاية اي بل يقولون انهم خلقوا من غير خالق خلقهم
وموجد اوجدهم وعلى الثاني تكون من للسببية بمعنى خلقوا لغير شيء اي عبثا ام يدعون انهم خلقوا
اي من غير علة ولا لغاية من ثواب او عقاب
انفسهم فلما لم يمكنهم ان يدعوا واحدا من هذين الامرين بل كانوا مضطرين الى الاقرار بان لهم صانعا
غيرهم فما الذي يمنعهم عن افراده بالعبادة وعن اثبات القدرة له على الاعادة وجه تعلق الاية بما
قبلها انهم لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الكهانة والجنون والشعر استبعادا لما يدعوهم اليه
من الاعتقاد بوحدانية الصانع وحقية امر البعث والجزاء ذكر ما يزيل استبعادهم ويدل على حقية
المبدا وحقية امر المعاد ويستلزم ذلك صدق من يدعوهم الى التوحيد واخلاص العبادة له تعالى
فكانه قيل كيف يكذبونه وفي خلق انفسهم ما يدل على صدقه في دعوى الرسالة وذلك لانهم مخلوقون لا محالة
والمخلوق لا بد له من خالق غير نفسه والوحدة من لوازم الخالق كما قيل وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد
والخلق الاول دليل على جواز الخلق الثاني وامكانه فلا وجه لاستبعاده واذا ثبت حقية المبدا والمعاد
ثبت حقية امر الرسالة بناء على ان خالقه يصدقه في دعوى الرسالة بما اظهر على يده من المعجزات
التي

التي لا يقدر عليها احد الا الواحد القهار ثم اضرب عن انكار كونهم مخلوقين من غير خالق خلقهم و
وانكار انهم خلقوا انفسهم الى انكار انهم خلقوا السموات والارض اي ليس الامر كذلك فلما لم يمكنهم ان يد
عوا خلق شيء من ذلك واعترفوا بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى وجب عليهم توحيده
ونفي الشركاء عنه وان يصدقوا من صدقه وان يؤمنوا بجميع ما جاء به من عند ربه ولما كان انكار كونهم
خالقين لانفسهم وللسموات والارض متضمنا لاقرارهم بان خالقهم وخالق السموات والارض هو الله تعالى
وكان الظاهر من الاقرار ان يكون عن ايقان اضرب عنه بقوله بل لا يوقنون والمعنى وانهم وان
اعترفوا بان الخالق هو الله تعالى لكنهم غير موقنين في ذلك الاعتراف اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن
عبادته وتصديق رسوله واطاعته فيما كلفهم به فظهر بهذا التقرير ان يقدر لقوله لا يوقنون مفعول
اي لا يوقنون بان الخالق الرازق المحيي المميت القادر على كل شيء هو الله تعالى ومن شك في مثل هذا
المطلب الجلي لا يبعد منه ان يصف سيد المرسلين بالجنون والكهانة ولم يوجد كلمة الواو في
قوله اذا سألتهم قالوا الله ولا وجه له قوله على الاشياء اشارة الى عدم ذكر متعلق مسيطرون
لقصد العموم والمسيطر المسلط القاهر الذي لا يكون تحت امر احد ونهيه ويفعل ما يشاء ويدبر
امر الربوبية ويختار ما يشاء ثم انه لما ابطل من الاحتمالات العقلية ما يصلح ان يكون مبنى لتكذيبهم
اياه عليه الصلوة والسلام وطعنهم فيه بانه كاهن او مجنون او شاعر شرع في ابطال قولهم
نتربص به ريب المنون فقال ام لهم سلم يصعدون فيستمعون كلام الملائكة وما يوحى اليهم من
علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم عليه كما يزعمون قوله تعالى
يستمعون فيه صفة لسلم وفيه متعلق بحال محذوفة تقديره يستمعون صاعدين فيه ومفعول
يستمعون محذوف اشار اليه بقوله الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم قوله فيه تسفيه لهم بيان لمناسبة
هذه الاية بهذا المقام فان مدلول الاية الانكار عليهم حين جعلوا لله تعالى ما يكرهون من الاناث
ولانفسهم البنين كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون والمقام مقام توبيخهم على قولهم
المتناقضة ومقالاتهم الزائفة المتعلقة بتكذيبهم اياه عليه الصلوة والسلام ومن بلغ في السفاهة
الى ان جعل رب العالمين ادون حالا منه بان جعل له ما لا يرضى لنفسه كما قال تعالى واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم لم يستبعد منه امثال تلك المقالات الحمقاء ويستحيل ان يترقى
روحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل مقتضى
طباعهم الفاسدة التشبث بالكلمات الخرقاء فانهم لما طعنوا فيك طعنوا في خالقهم قوله الغيب اللوح المحفوظ
على ان يكون الغيب بمعنى الغائب او يكون من قبيل تسمية محل الغيب غيبا ما لا شهادة قوله تعالى ام عند
هم الغيب جواب لقولهم نتربص به ريب المنون بقول الله تعالى اعندهم الغيب الذي كتب في اللوح

حتى علموا ان محمد عليه الصلوة والسلام يموت قبلهم ثم يكتبون ذلك بعد ما وقفوا عليه وقيل هو رد لقولهم انا
لا نبعث ولو بعثنا لم نعذب كما قال الله خبرا عن قول البعض ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقال
لاوتين مالا وولدا اطلع الغيب فان كان نحو له مكة ام عندهم الغيب جوابا لقولهم نتربص به ريب المنون
يكون وجه اتصال قوله ام يريدون كيدا بما قبله انه يكون جوابا آخر له فانهم لما قالوا نتربص به ريب المنون
قيل لهم لا تعلمون الغيب فتعلمون انه يموت قبلكم ام تريدون به كيدا فتقولون فيموت فان كنتم تدعون علم الغيب
فانتم كاذبون وان كنتم تظنون انكم تقدرون عليه فانتم جاهلون مجزيون بكيدكم مع غير ان يتم لكم
مرادكم ولا يعود ضرر مكرهم الا عليكم وان كان جوابا لانكارهم باحوال الاخرة يكون المعنى بل انهم لا يكتفون
بهذه المقالات الفاسدة ويريدون مع ذلك ان يكيدوا بك كيدا واساءة فهم المكيدون لا انت فانك انت
المنصور المظفر الغالب عليهم قولا وفعلا وحجة وسيفا فان القصر المدلول عليه بقوله هم المكيدون اضافى
فان زعموا ان لهم آلهة تنصرهم وتحفظهم عن ان يعود عليهم ضرر كيدهم فتعالى الله عن ان يكون له
شريك يعاونه ويدفع ما اراده وفى الصحاح الكسفة القطعة من الشىء والجمع كسف وكسف ويقال الكسف
والكسفة وقال الاخفش من قرأ كسفا من السماء جعله واحدا ومن قرأ كسفا جعله جمعا انتهى
وعلى القولين الكسف بفتح السين جمع والخلاف انما هو فى الكسف بالسكون واختار المص قول الاخفش
وقرئ فى جميع القرآن كسفا وكسفا بالافراد والجمع الا فى هذه الاية فانه على الافراد لا غير اى بسكون
السين والمعنى ان عذبناهم بسقوط كسف من السماء عليهم كما رأوا فى قولهم او تسقط السماء كما
زعمت علينا كسفا لم ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب اجتمع بعضه مع بعض
فتناقل فسقط علينا وليس بسماء وقوله فذرهم جواب شرط محذوف اى اذا بلغوا فى المكابرة والعناد
الى هذا الحد وتبين انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فدعهم حتى يموتوا على الكفر **قوله** وقرئ
يلقوا انما يلقى من لقى يلقى مبنيا للفاعل ووجهه ظاهر ويلقوا على بناء المفعول من باب التفعيل ويوم مفعول
به لا ظرف **قوله** قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء على بناء المفعول من صعقه الثلاثى
او من اصعقه الرباعى وكلاهما بمعنى اماته فيصعقون على الاول مثل يفتحون وعلى الثانى مثل يكرمون وقرأ
باقى السبعة يصعقون بفتح الياء على بناء الفاعل يعنى ان صعق يتعدى ولا يتعدى كسعد وسعدته
انا فانه وأما الذين سعدوا فى الجنة فهو مسعود ويقال صعق زيد اى مات وصعقه غيره اى اماته ويصعقون
على قراءة باقى السبعة من صعق اللازم ويصعقون بضم الياء يحتمل ان يكون من صعق المتعدى او من اصعقه
وقوله يوم لا يغنى بدل من يومهم الذى اى حتى يلاقوا يوم موتهم الذى لا ينفعهم كيدهم فيه ولا هم ينصرون
اى لا يمنعهم من العذاب مانع **قوله** يحتمل العموم بان يراد بهم كل من ظلم بعبادة غير الله ويحتمل الخصوص
بان يراد بهم كفار مكة ويراد بظلمهم كيدهم نبيهم وتكذيبهم اياه فيكون قوله للذين ظلموا من ايقاع الظاهر
مو

موضع الضمير للتسجيل على ظلمهم **قوله** دون عذاب الاخرة يعنى ان ذلك اشارة الى اليوم الذى فيه يصعقون والمعنى
لهم عذاب قبل ذلك اليوم وهو يوم النفخة الاولى وذلك العذاب هو عذاب القبر ان حمل الذين ظلموا على العموم
والمؤاخذة فى الدنيا والقحط سبع سنين ان حمل على الخصوص **قوله** فى حفظنا يعنى ان قوله باعيننا مثل
فى الحفظ والكلاءة يعبر به عنه تشبيها لحفظ الله وكلائته بمراقبة الحافظ ما يحفظه **قوله** وجمع الا
عين لجمع الضمير فانه تعالى لما عبر عن ذاته المقدس بضمير المتكلم مع غيره تعظيما لنفسه جمع ما اضيف اليه
ليطابق المضاف المضاف اليه الا ترى انه افرد المضاف حين افرد المضاف اليه فى قوله ولتصنع على عينى
قوله من اى مكان قمت متعلق بقوله حين تقوم اى اذا قمت من مجلس اى مجلس كان فقل سبحان الله وبحمده
اى استح الله ملتبسا بحمده عن سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم و
بحمدك فان كان ذلك المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له وعن ابى هريرة
رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا يكثر فيه لغطه فقال قبل ان تقوم سبحانك اللهم
وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما ويحتمل ان يكون
المعنى وسبح بحمد ربك حين تقوم من منامك لما قيل ان المراد به ان يقول عند القيام من النوم الحمد لله
الذى احيانى بعد ما اماتنى واليه البعث والنشور فانه روى انه عليه الصلوة والسلام كان يقول ذلك
عند الانتباه وقال الكلبى هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش الى ان يدخل فى الصلوة و
يحتمل ان يكون المعنى حين تقوم الى الصلوة لما روى عن الضحاك والربيع انهما قالا معناه اذا
قمت الى الصلوة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك بعد تكبيرة الافتتاح
وعن عائشة رض انها قالت مثل ذلك **قوله** واذا ادبرت النجوم من اخر الليل يعنى ان الجمهور على
الهمزة من ادبار النجوم على انه مصدر ادبر اذا ذهب وانصرف اقيم مقام الظرف وانتصب على الظرفية
اى فسبحه وقت ادبار النجوم بظهور ضوء الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع دبر بمعنى الاخر واعقاب
النجوم غيبتها بضوء الصبح او غروبها هذا آخر ما يتعلق بسورة الطور والحمد لله وحده والصلوة
والسلام على من لا نبى بعده **قوله** بسم الله الرحمن الرحيم **سورة والنجم مكية**
اقسم بجنس النجوم سمى نجوم السماء اى نجم كان نجما لطلوعه فان كل طالع نجم يقال نجم السن والقرن
والنبت اذا طلع ويحتمل ان يكون المراد بالنجم المقسم به الثريا لان النجم صار علما له بالغلبة قال
قائلهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وقال ايضا طلع النجم غدية فابتغى الراعى كسية
فانه انما يطلع عشاء فى قلب الشتاء واوان شدة البرد وقيل ان الثريا سبعة انجم ستة منها
ظاهرة وواحد خفى يمتحن الناس به ابصارهم وروى القاضى عياض فى الشفاء ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما عن ابى هريرة رض مرفوعا ما طلع النجم قط وفى الارض من

روى عن عاصم بن محمد انه
قال سألت عائشة رض بأى شىء
كان يفتتح رسول الله قيام الليل
فقالت كان اذا قام كبر عشرا
وحمد الله عشرا وسبح وهلل
عشرا واستغفر عشرا وقال
اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى
وعافنى ويتعوذ من ضيق
المقام يوم القيمة

قال ابن قتيبة الذى يعرف مصغرا
النجم والثريا تصغير ثروى وهى
اسم للحمل وجاءت الكاس
ولم يتكلم بها الا كذلك نحو حبات العدد
وهى كثيرة واصلها من الثروة
وطلوعها ليلة عشرة تخلو من ايار
وسقوطها ليلة عشرة من تشرين
يظهر من اول الليل فى المشرق
عند ابتداء البرد واذا توسطت
السماء مع غروب الشمس تكون
غاية شدة البرد

الثريا تصغير الثروى
وهو مؤنث ثروان يقال رجل
ثروان وامرأة ثروى وتلك
الانجم المجتمعة بالثريا لكثرة
عددها محمد

المعاينة شيء الارفع واراد بالنجم الثريا وهوى النجم سواء اريد به نجوم السماء كلها او الثريا وحده
اما غروبه واما انتشاره يوم القيمة كما قال تعالى واذا الكواكب انتثرت واما انقضاضه لرمي الشياطين
عند استراقهم السمع واما طلوعه وعلى الاحتمالات الثلث الاول بقوله فانه يقال هوى يهوى هويا بالفتح
اذا سقط وغرب وعلى الاحتمال الرابع بقوله وهويا بالضم اذا علا وصعد فان الهوي بفتح الهاء هو
السقوط من علو الى سفل يقال هوى يهوي هويا بفتح العين في الماضي وكسرها في الغابر وبفتح الهاء
في المصدر اذا سقط الى اسفل والهوي بضم الهاء الطلوع وفعلهما واحد والاختلاف انما هو في المصدر
وكل واحد من غروب النجوم وانتشارها وانقضاضها لكونه سقوطا من علو الى سفل صح ان يطلق
عليه الهوي بفتح الهاء كما يصح ان يطلق على طلوعها الهوي بضم الهاء وفائدة تقييد المقسم به بوقت
هويه بفتح الهاء او ضمها انه اذا كان النجم في وسط السماء يقل نفعه حيث لا يهتدي به الساري في انه لا يعلم المشرق
من المغرب والجنوب من الشمال بخلاف ما اذا لم يكن في وسط السماء بان يكون في جانب المشرق او المغرب
فانه حينئذ يتبين جانب المشرق عن المغرب والجنوب عن الشمال قوله او بالنجم عطف على قوله بجنس
النجوم اي او اقسم بالنجم من نجوم القران فان النجم في الاصل اسم للكوكب ثم يطلق على الوقت المضروب لكون
امتيازه منوطا بتعيين طلوع الكوكب وغروبه وسمي تفريق الفعل الى الاوقات تنجيما والفعل المنوق
منجما ثم يطلق النجم على الفعل الواقع في وقت معين بطريق اطلاق اسم المحل على الحال فنجوم القران القطع
النازلة في اوقات متفرقة قال ابن عباس رضي الله عنهما اقسم بالقران اذا نزل نجوما متفرقة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين سنة فالمراد بهويه نزوله قوله او النبات عطف ايضا على
قوله بجنس النجوم فان النجم قد يطلق على النبت الذي لا ساق له ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان وهويه
سقوطه على الارض وطلوعه منها وارتفاعه قوله على قوله متعلق بقوله اقسم بجنس النجوم يعني ان
قوله تعالى ما ضل صاحبكم هو المقسم عليه وذلك ان قريشا قالوا اضل محمد عن دين ابائه وغوى فانزل
الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى بل اهتدى ورشد فان الضلال نقيض الهدى والغي نقيض الرشد
اي هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من انه قد ضل وغوى وذهب اكثر المفسرين الى ان الغي و
الضلال واحد والمص اشار الى الفرق بينهما بقوله في تفسير وما غوى وما اعتقد باطلا وحاصل
ما ذكره من الفرق ان الغواية هي الخطاء في الاعتقاد خاصة والضلال اعم منها يتناول الخطاء
في الافعال والاقوال والعقايد فلذلك يقال ضل بعيره ولا يقال غوى والضلال هو العدول عن الطريق
المستقيم التي بينها الله تعالى لعباده سواء كان متعلقا بالافعال والاقوال او العقايد او الاخلاق
والغواية هو العدول عن الطريق المستقيم في باب العقايد فيكون قوله تعالى وما غوى من قبيل التخصيص
بعد التعميم لمزيد العناية بنفي الخاص فالمراد نفي ما ينسبونه اليه من العدول عن سنن الصواب في كل

والنجم مجرور بواو القسم والعامل اقسم
فيه اذا محذوف وهو فعل القسم وقت هويه قبل
بالنجم حين هوى اي وقت هويه في المستقبل
عليه كيف يعمل فعل الحال في المستقبل والآن و
فان فعل القسم انشاء والزمان يكون
حالا واذا للمستقبل كيف يكون من الزمان وقت هويه
المعنى اقسم الآن بالنجم وقت هويه واجيب عنه بان
بعد هذا الزمان والاستقبال
اذا قد انسلخ عنه معنى الاستقبال عامله
وصار للوقت المجرد وبعدية عامله الى
وتحقيقه ان اذا في مثله
ونصاحه فانه عري عن
معنى الاستقبال لانه وقعت
النسبة عنه بقوله انتهى
منه سلمه

في كل واحد من باب الاعتقاد والعمل فالله تعالى تولى جواب ما قالوا له عليه الصلوة والسلام فقال ما
ضل صاحبكم وما غوى وما صاحبكم بمجنون وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن وما ينطق عن الهوى
وساير الانبياء كانوا يجيبون بانفسهم فان قوم نوح لما قالوا له عليه والسلام انا لنريك في ضلالة
اجابهم بقوله يا قوم ليس بي ضلالة ولما قال عاد لهود عليه الصلوة والسلام انا لنريك في سفاهة
قال لهم ليس بي سفاهة ولما قال فرعون لموسى عليه الصلوة والسلام واني لاظنك يا موسى مسحورا قال
له واني لاظنك يا فرعون مثبورا ونحو ذلك قوله وما يصدر نطقه بالقران عن الهوى اي عن
مقتضى نفسه وشهوته من غير ان يوحى اليه شيء وهو اشارة الى ان تعدية النطق بعن مبني على تضمنه
معنى الصدور وقيل عن بمعنى الباء فان العرب تجعل عن مكان الباء فتقول رميت عن القوس
اي بالقوس قال اولا ما ضل وما غوى بصيغة الماضي ثم قال وما ينطق عن الهوى بصيغة المستقبل بيانا لحاله
قبل البعثة وبعدها اي ما ضل وما غوى ابدا حيث اعتزلكم وما تعبدون قبل ان يبعث رسولا وما ينطق
عن الهوى الآن حين يتلو عليكم ايات ربه والوحي في الاصل مصدر اطلق ههنا على الكتاب الالهي الموحى
وقوله يوحى صفة لوحي وفائدة المجيء بهذا الوصف دفع توهم المجاز اي هو وحي حقيقة لا مجرد تسمية
وحيا والوحي بالمعنى المصدري له معان وهي الارسال والالهام والكتابة والاشارة والكلام و
الافهام قوله واحتج به من لم ير الاجتهاد له قال صاحب الكشف وجه الاحتجاج ان الله تعالى
اخبر بان جميع ما ينطق به وحي وما كان عن اجتهاد فليس بوحي فليس مما ينطق به ثم نقل جواب
صاحب الكشاف بقوله واجاب بان الله تعالى اذا سوغ له الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه
كله وحيا لا نطقا عن الهوى ثم قال واعترض عليه بانه يستلزم ان يكون الاحكام التي يستنبطها
المجتهدون بالقياس وحيا والجواب انه عليه الصلوة والسلام اوحي اليه ان يجتهد بخلاف غيره
من المجتهدين ثم اورد اعتراض المص فقال وما قيل من انه حينئذ بالوحي لا الوحي فضعيف فادح لانه بمنزلة
ان يقول الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام حينما ظننت كذا فهو حكمي قوله ملك شديد قواه اشارة
الى ان شديد القوى من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها مثل حسن الوجه وان موصوفها محذوف
هو الملك وقيل هو البارى تعالى لقوله الرحمن علم القران وضمير علمه يجوز ان يكون للرسول وهو الظاهر
فيكون المفعول الثاني محذوفا اي علم الرسول الوحي اي القران الموحى ويجوز ان يكون للوحي وهو القران
فيكون المفعول الاول محذوفا اي علمه الرسول بان نزل به عليه وبينه له ولعل مراد المص بقوله فانه الواسطة
في ابداء الخوارق الاشارة الى ان ضمير علمه للرسول وان ثاني مفعولي علم محذوف حذف ليذهب
وهم السامع الى كل ما ظهر على يده من الخوارق قرانا كان او غيره وان طريق تعليم ذلك اياه عليه
الصلوة والسلام كونه واسطة في ابداء تلك الخوارق وقوله تعالى ذو مرة نعت بعد نعت للموصوف

تكلمت ههنا بحث لا بد منه وهو ان هذه
الاية واردة في اعتراض الشيطان
لا يستدل ان يستدل بشيء من الضمير انه هو
لانتفائه ولا الاتيان لان الضمير في انه هو
للقران بدليل من فسر النجم بنجوم القران
وهي من الايمان الحسنة ونحو قوله
وتنبادرا ما اعرض وتبعت
قوله تعالى علمه شديد القوى في الاية
سفي قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وما صاحبكم بمجنون ولقد راه بالافق
المبين وما هو على الغيب بضنين وما
هو بقول شيطان رجيم فاين تذهبون
ان هو الا ذكر للعالمين فقوله ما ضل
صاحبكم وما غوى جواب القسم
ان الجملة القسمية تتعلق بالتكلم
اي ما ضل صاحبكم وما مسه الجن
ولا استهواه وما غوى وليس بينه
وبين الغواية تعلق اي ليس بشاعر
والشعراء يتبعهم الغاوون وما ينطق
عن الهوى كالكاهن فقوله ان هو الا
وحي يوحى كالتكملة للبيان فكانه
قيل ما هذا القران الا وحي وليس بقول
مجنون ولا بقول شاعر ولا بقول كاهن
كقوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون
ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون
تنزيل من رب العالمين فقال اولا
ما ضل صاحبكم وما غوى ماضيين
ثم قضاه بقوله وما ينطق مستقبلا
ايذانا بانه صلى الله عليه وسلم في صغره
حين اعتزلكم وما تعبدون ما ضل
قط ولا غوى في كبره حين اختير للنبوة
حرا فكيف ينطق بالهوى الآن وهو رسول
من عند الله امين على خلقه رحمة للعالمين
بشيرا ونذيرا طيبي

المحذوق والمرة القوة وشدة العقل ايضا ورجل مريدان قوى ذو مرة كذا في الصحاح والحصافة
بالحاء المهملة شدة العقل وصحة الراى وفي الصحاح الحصيف الرجل المحكم العقل يقال حصف بضم الصاد
حصافة واحصاف الامر احكامه حمل قوله تعالى شديد القوى على قوته في جسمه واسند اليها ما دوى
من فعله قرى لوط وصيحة بثمود وحمل قوله ذو مرة على قوته في عقله وعلمه دفعا للتكرار ويساعده
اللغة ايضا قوله فاستوى معطوف على قوله علمه اى علمه فهو على غير صورته الحقيقية ثم استوى على
صورته التي جبل عليها وكان يتمثل بصورة دحية حين ينزل بالوحي ليتمكن النبي عليه الصلوة والسلام
من ضبط الوحي في تلقيه فلما احب عليه الصلوة والسلام ان يراه في صورته التي جبل عليها تمثل
له بتلك الصورة قيل ما رآه احد من الانبياء على صورته الحقيقية غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم
فانه راه على اصل صورته مرتين رآه مرة وهو في الارض انه في جبل حراء باجياد وهو جبل بمكة
طلع جبرئيل عليه السلام من جانب المشرق وهو الافق وسد الارض وملأها فخر رسول الله صلى الله
عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبرئيل في صورة الآدمي فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
ورآه مرة اخرى بتلك الصورة وهو في السماء عند سدرة المنتهى وهو قوله تعالى ولقد رآه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى قوله تعالى وهو بالافق الاعلى جملة اسمية في موضع الحال من المنوي في استوى
قوله فتعلق به دفع لما يقال الظاهر ان يقال ثم تدلى اليه فدنا منه لان التدلي سبب للدنو فلا يتفرع
على الدنو بل الدنو يتفرع عليه ووجه الدفع ان التدلي في الاصل هو الاسترسال مع التعلق وجرد
ههنا لمعنى التعلق الذي هو متفرع على الدنو روي عن الامام الواحدي انه قال تقديره ثم تدلى فدنى
من محمد صلى الله عليه وسلم حتى صار بعد ما بينهما قدر قوسين على التقديم والتأخير وقيل دنى بمعنى
قصد القرب منه عليه الصلوة والسلام وتحول عن المكان الذي كان فيه فتدلى اي فنزل اليه لان التدلي
وان كان بمعنى الامتداد من علو الى سفل يستعمل ايضا في النزول من العلو الى الاسفل عنه قوله
كقولك هو مني معقد الازار لما جعل اسم كان ضمير جبرئيل لزم منه ان يحكم عليه بانه قاب قوسين
اي قدرهما والشخص لا يكون مقدارا فاوله بانه من قبيل قولك هو مني معقد الازار في كونه عبارة عن
غاية القرب فان اصل الكلام ان يقال فكان قرب جبرئيل من محمد عليهما الصلوة والسلام مثل قرب احد
القوسين بالاخر فحذف المضاف واداة التشبيه للمبالغة في بيان قربه منه كما يقال هو مني معقد
الازار والاصل ان يقال قربه مني واتصاله بي كاتصال معقد الازار فعدل عنه الى هذه العبارة
لقصد المبالغة قوله او المسافة بينهما عطف على قوله جبرئيل والقاب المقدار وقاب قوسين عبارة
عن كمال القرب وفي التيسير كانت عظماء العرب اذا ارادوا تاكيد عهد وتوثيق عهد لا ينقض ولا
يرفض احضر المتعاقدان قوسيهما فجمعا بينهما وقبضا عليهما ونزعاهما ورميا عنهما سهما او

وفي التيسير روي ان النبي عم سأل جبرئيل ان يراه على صورته فقال ان الارض لا تسعني ولكن انظر الى السماء فراه على صورته
ثم دنا منه فكلما دنا منه انتقص فلما قرب مقدار قوسين رآه على صورته التي كان يراه عليها في كل مرة وفي تفسير ابي الليث حتى
اذا قرب منه مقدار قوسين رآه كما رآه في سائر الاوقات حتى لا يشك انه جبرئيل والقوس ما يرمى به السهم اي فكان قرب ما
بينهما قدر قوسين وقيل اي قدر ذراعين ويسمى الذراع قوسا لانه يقاس به المذروع اي يقدر فلم يكن قريبا قرب التصاق
ولا بعيدا بحيث لا يتاتى معه الافادة والاستفادة وهو الحد المعهود في مجالسة الاحباء والمتأدبين
صح

واحد ايشبران بذلك الى الاتحاد الكلي والاجتماع الاصلي فكان بعد ذلك رضا احدهما رضا الاخر وسخط
احدهما سخط الآخر فكانهما قالا الا كذا الجنب بيننا وابرمنا القربة ثم تقبل كمقبولي ومردود ك مردودي
وفي معالم التنزيل يعني قوله كان بين جبرئيل ومحمد عليهما الصلوة والسلام مقدار قوسين انه كان بينهما مقدار
ما بين الوتر والقوس كانه غلب القوس على الوتر وهذا اشارة الى تاكد القرب قوله او ادنى على تقديركم
يعني ان كلمة او فيه للشك من جهة العباد كما ان كلمة لعل كذلك في مواضع من القران اي لو رآهما راء منكم لقال
هو قدر قوسين في القرب او ادنى اي لالتبس عليه مقدر كما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
فانه تعالى عالم بمقادير الاشياء فخاطبنا على ما جرت به عادة المخاطبة بيننا قوله وفيه تفخيم للموحى به
اي في قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى على تقدير ان يكون المنوي في كل واحد من الفعلين ضمير جبرئيل
تفخيم لما تقرر من ان التعريف بالموصول قد يكون للتفخيم كما في قوله فغشيهم من اليم ما غشيهم اي الذي
لا يكتنه كنهه ولا يعادر قدره قوله او الله اليه على ان يكون المنوي في الفعل الاول ضمير جبرئيل وفي الثاني
ضمير الباري اي فاوحى جبرئيل الى النبي عليه الصلوة والسلام ما اوحى الله اليه قوله وقيل الضمائر كلها لله
اي ثم دنا الله تعالى من محمد صلى الله عليه وسلم به الى اخر الاية وكذا موصوف شديد القوى هو الله تعالى لقوله
الرحمن علم القران والقوى جمع القوة فقوله فاستوى الظاهر ان معناه فاستوى القران في صدره
اي في صدر محمد عليه الصلوة والسلام حين علم ربه له في صدر جبرئيل وقيل المعنى ثم دنى محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم من ربه عز وجل دنو الرتبة والمنزلة واعطاء المنية واجابة الدعوة لا المسافة
كقوله تعالى فاني قريب اجيب فتدلى اي اهوى للسجود فكان قاب قوسين وهو تمثيل لكمال دنوه من ربه
على اصطلاح العرب فان المحبين والحليفين في الجاهلية كانا اذا ارادا عقد الصفاء والود
والمحبة الصفا قوسيهما يريدان بذلك ان كل واحد يحامي عن صاحبه فاوحى الله تعالى الى عبده
محمد ما كذب فؤاد محمد فيما راى روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال رايته بفؤادي ولم اره بعيني
قوله من صورة جبرئيل او الله تعالى اشارة الى الاختلاف الواقع بين فضلاء الامة في انه عليه الصلوة
والسلام هل راى ربه ليلة الاسراء ام لا فانكرته عائشة رض وقالت من حدث ان محمدا راى
ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وقالت ان المرئي في قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى هو صورة
جبرئيل حيث قالت ولكنه راى جبرئيل في صورته مرتين ووافقها ابن مسعود رض في ان المرئي هو
جبرئيل وذهب جماعة كثيرة الى ان المرئي هو الله تعالى وانه عليه الصلوة والسلام راى ربه ثم انهم
اختلفوا في انه عليه الصلوة والسلام هل راى ربه بقلبه او بعين راسه فقال بعضهم جعل بصره
في فؤاده فرآه بفؤاده وهو قول ابن عباس رض قال راه بفؤاده مرتين وقال انس والحسن

قوله وقيل الضمائر له الضمائر التي
حيث يجب تنزيل الكلام لتعهد الخارجي
وانما قلنا هذا لان الظاهر ان ضمير استوى
وقوله وهو بالافق الاعلى يرجعان الى محمد
على تفسير هذا القائل اي فاستوى محمد
وهو بالافق الاعلى اي فوق السموات
ثم دنا منه رتبة فتقرب منزلته كقوله
عم حكاية عن ربه تعالى من تقرب الي
شبرا تقربت اليه ذراعا ومن تقرب
الي ذراعا تقربت اليه باعا ومن اتى
يمشي الي اتيته هرولة فتقربه
تعالى الى عبده واتيانه اليه عبارة
عن تقريب منزلة العبد ورفع
مكانته
صح

في ابو هريرة اتفقا على الرواية عنه
اذا تلقاني عبدي بشبر بمعنى طلب
القربة مني بالاخلاص في الطاعة
تلقيته بذراع التلقي من الله تعالى من
المتشابهات بمعنى يجازيه الله تعالى عبده
في عمله اضعاف ما يتقرب اليه سمي
الثواب تلقيا مشاكلة فان قلت
هذا يقتضي ان من عمل حسنة جوزي
بمثليه لان الذراع شبران وقد تقرر
في الاية ان الحسنة يجازى بعشر
امثالها فكيف الجمع قلنا الحديث
لم يذكر لبيان مقدار تضعيف الاجور
وانما ذكر لبيان اسراع الله تعالى على
تضعيف الثواب على طريق المثل
واذا تلقاني بذراع تلقيته بباع
واذا تلقاني بباع جئته باسرع اي
من تلقيه بان تكون مجيئه تعالى
مقدار باعين شرح المشارق
لابن الملك

وعكرمة راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعينى رأسه وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال
ان الله اصطفى ابرهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا عليهم الصلوة والسلام بالرؤية
واعلم ان رؤية الله تعالى فى الدنيا جائزة لان دليل الجواز غير مخصوص برؤيته فى الاخرة لان مذهب
اهل السنة ان الرؤية بالاراءة لا بقدرة العبد فاذا حصل الله تعالى العلم بالشىء من طريق البصر كان
رؤية بالاراءة وان حصل من طريق القلب كان معرفة والله تعالى قادر على ان يحصل مدرك المعلوم
فى البصر كما قدر على ان يحصل بخلق مدرك المعلوم فى القلب والمسئلة مختلف فيها بين الصحابة و
الاختلاف فى الوقوع مما ينبئ عن الاتفاق على الجواز قوله تعالى ما كذب الفؤاد قرأه هشام وابو جعفر
بتشديد الذال والباقون بتخفيفها وما الاولى نافية والثانية موصولة وعائدها محذوف ومحلها النصب
على انها مفعول كذب المشددة وعلى نزع الخافض فى قراءة التخفيف اى ما كذب الفؤاد فى الذى رآه
ببصره بان قال الفؤاد ان الذى يراه ببصره ليس بصحيح وان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر
ليست مطابقة لمنشأ الارتسام كما اذا ارتسمت صورة الانسان من شبح الانسان المرئى من بعيد
وقال الفؤاد فى حق الصورة المرتسمة فى الحس المشترك لا اعرفك حقا مطابقا للشبح المرئى
لكان كاذبا لانه قد عرفها حقا واعتقد كونها مطابقة للشبح قال المكى من خفف كذب جعل ما فى موضع
النصب على نزع الخافض واسقاط اى ما كذب فؤاده فيما رآه بصره اى لم يقل فيه كذبا وانما يقول
المكذب فيه ان لو قال له لا اعرفك ولا اعتقدك لانه قد عرفه بقلبه واعتقد حقا كما رآه ببصره وجعله
مرئيا فيكون قوله لا اعرفك كذبا فاذا لم يقل فؤاده ذلك القول صح ان يقال له انه ما كذب فيما رآه ببصره
من صورة المرئى قوله وما كذب بصره بنصب البصر على نزع الخافض اى وما كذب الفؤاد فى حق بصره
بان قال انه لم يحك صورة المرئى على الوجه المطابق له قوله فان الامور القدسية جواب عما يرد
على قوله وما كذب بصره بما حكاه له من ادراك القلب للمحسوس بالبصر متفرع على استعمال حاسة
البصر وارتسام الصورة فى الحس المشترك فكيف يمكن للفؤاد ان يكذب فى حق البصر بان قال انه لم
يحك صورة المحسوس على الوجه المطابق له وهو يستلزم ان يدرك المحسوس من غير استعانة بالبصر
وتقرير الجواب ان الامور القدسية بمنزلة المعقولات الصرفة فى ان الفؤاد يدركها بنفسه ولا يحتاج
فى ادراكها بالقوى الحاسة من حيث انه تعالى لم يخلق فى الحواس قوة الاحساس بها ثم انه تعالى لما خلق
فى حاسته عليه الصلوة والسلام قوة الاحساس بالصورة التى جبل عليها جبرئيل عليه السلام مثلا وقد عرفها
قبل ذلك بفؤاده فقد عرفها من طريق البصر ايضا فيمكن له ان يصدق ويكذب فى حق البصر ويصدقه ويكذبه
فيما حكاه له قوله او ما رآه بقلبه عطف على قوله ما رآى ببصره وهذا على قول من يقول انه عليه الصلوة و
السلام رأى ربه بفؤاده لا بعينى رأسه فالمعنى ح ما كذب الفؤاد بان قال فى حقه انه جسم شيطانى
وتخيل

ح حكم بان الصورة المرتسمة باعمال حاسة البصر مطابقة لمنشأ الارتسام الا كما اذا ارتسم فى الذهن شبح شجر مثلا وارتسم صورة الانسان منه

٢٥٦

وتخيل كاذب اذ ليس فى وسع الانسان معرفة الرب تعالى قوله واشتقاقه من مريت الناقة
الجوهرى مريت الناقة مريا اذا مسحت ضرعها لتدر ومريت الفرس اذا استخرجت ما عنده
من الجرى بسوط او غيره والمراء الجدال بالباطل وكان حقه ان يتعدى بفى لانه يقال جادلته
فى كذا لكنه ضمن معنى الغلبة فعدى تعديتها انكر الله تعالى عليهم فى جدالهم معه عليه الصلوة والسلام حين
اسرى به عليه الصلوة والسلام فقالوا صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك
مما جادلوه به فان قيل الظاهر افتماروه على ما رأى بصيغة الماضى لانهم انما جادلوه بعدما
اسرى به فما الحكمة فى ابرازه على صيغة المضارع فالجواب انه على حكاية الحال الماضية احضارا للحال
البديعة فى ذهن المخاطبين وتعجيبا لهم قوله وقرأ حمزة افتمرونه بفتح التاء من غير الف بعد الميم على
انه من فعله المسند الى الغالب فى باب المغالبة او من مريته حقه اذا علمته وجحدته اياه قوله
مرة اخرى يعنى ان نزلة لما كان اسما للمرة من النزول اقيمت مقامها فكانت فى حكمها فى كونها منصوبة
على الظرفية وقيل انها منصوبة على انها مفعول مطلق واقع موقع عامله المحذوف المنصوب على انه حال
من مفعول رآه نازلا نزلة اخرى والواو فى ولقد رآه يحتمل ان يكون عاطفة ويحتمل ان يكون حالية
اى كيف تجادلونه فيما رآه وتقولون انه لم ير جبرئيل وانما يرى شيطانا كما يرى الكهنة الشياطين
وهو قد رآه على وجه لا شك فيه رآه مرتين مرة بالافق الاعلى بناحية من السماء التى هى على اطراف
الكون ومرة حين نزوله بسدرة المنتهى ليلة المعراج فرآه بها على صورته التى خلق عليها قال رأيته
عند سدرة المنتهى وعليه ستمائة جناح يتناثر منها الدر والياقوت وهى مقام جبرئيل أم فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ملائكة السماء فى الوتر فكان امام الانبياء فى بيت المقدس وامام الملائكة
عند سدرة المنتهى فظهر بذلك فضله على اهل السماء والارض قال مقاتل السدرة هى شجرة طوبى ولو
ان رجلا ركب نجيبه وطاف على ساقها حتى ادركه الهرم لما وصل الى المكان الذى ركب منه تحمل لاهل
الجنة الحلى والحلل وجميع الوان الثمار وقيل هى شجرة غير شجرة طوبى نابتة فى يمين العرش فوق السماء
السابعة تخرج انهار الجنة من اصل تلك الشجرة واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل ان يكون من قبيل
اضافة الشىء الى مكانه كقوله شجرة بلدة كذا ومكان كذا فالمنتهى ح موضع لا يتعداه ملك قوله والكلام
فى المرئى والدنو ما سبق من ان المرئى هل هو جبرئيل او الله عز وجل فانه روى عن كعب الاحبار انه قال
ان محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم رأى ربه مرة اخرى فقال ان الله تعالى كلم موسى مرتين وادنى محمدا صلى الله
عليه وسلم مرتين وذهب اكثر المفسرين الى ان الضمير البارز فى رآه لجبرئيل على صورته عند سدرة المنتهى
وقوله عند سدرة المنتهى يجوز ان يكون حالا من مفعول رآه على تقدير ان يكون المرئى جبرئيل واما اذا كان
المرئى هو الله تعالى فلا يجوز ذلك لانه تعالى منزه عن ان يحل فى زمان او مكان ويجوز ان يكون ظرفا للرأى على انه

واضافة السدرة الى المنتهى يحتمل وجها آخر وهو
اضافة الشىء الى مكانه كقولك اشجار البلدة
كذا فالمنتهى ح موضع الانتهاء ويحتمل ان يكون
اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه
وعلى هذا فالتقدير سدرة عندها منتهى
العلوم ويحتمل اضافة الملك الى مالكه
كقولك دار زيد وشجرة زيد وح المنتهى
فيه محذوف فتقديره سدرة المنتهى
اليه قال الله تعالى وان الى ربك المنتهى
فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافة السدرة
اليه كاضافة البيت اليه للتشريف و
التعظيم

المتقدير من على ان يكون الظرف ظرفا للرأى ورؤية لا للمرئ كما اذا قلت رأيت الهلال في بيتي وقوله تعالى اذ يغشى السدرة في محل النصب على انه بدل من قوله نزلة اخرى وقد مر انه منصوب على الظرفية اى رأى محمد جبرئيل عليهما الصلوة والسلام اذ يغشى السدرة ما يغشاها قيل يغشاها الملائكة حتى يقعن على السدرة وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وفي ابهام ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها من الخلائق والغشيان يكون بمعنى التغطية والستر ويكون بمعنى أتى ايضا وهو المناسب ههنا **قوله** وقيل يغشاها الجم عطف على معنى قوله لما يغشاها لجنت لا يكتنهها نعت واختلفوا فيما يغشى السدرة فقيل هو فراش من ذهب او جراد من ذهب وهو الملائكة الذين يعبدون عندها وقيل بل يغشاها انوار الله تعالى لان النبي عليه الصلوة والسلام لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى للجبل فظهرت الانوار الالهية عليها لكن السدرة كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد عليهما الصلوة والسلام **قوله** ولعلها شبهت بالسدرة كانه جواب عما يقال العالم العلوي ليس فيه شيء مما في هذا العالم فلا يكون فيه شجرة النبق وهي شجرة الصدر فاوجه قوله عند سدرة المنتهى فاجاب بان شجرة النبق لما كان لها ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية شبهت بها شجرة المنتهى فاطلق عليها اسم السدرة على سبيل الاستعارة **قوله** ما زاغ البصر اى شيء رآه في تلك الليلة لم يمل بصره عنه قبل ان يستيقنه ويطلع على حقيقته او قصر نظره على ما امر برؤيته ولم يلتفت يمينا وشمالا الا على انه وصف له بالتأدب **قوله** لقد رأى الكبرى مفعول رأى من ايات ربه حال من المفعول قدمت عليه وحذف موصوف الكبرى والتقدير لقد رأى الايات الكبرى من ايات ربه اى رأى من ايات ربه ايات هي اكبر الايات **قوله** وقيل انها المعينة بما رأى في قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال الامام ان هذه الآية تدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير الله عز وجل ليلة المعراج وانما رأى ايات الله تعالى التي من جملتها رؤية جبرئيل على صورته وفيه خلاف ووجه الدلالة انه تعالى ختم قصة المعراج ههنا برؤية الايات وقال في موضع اخر سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الى ان قال لنريه من اياتنا ولو كان عليه الصلوة والسلام رأى ربه لكان ذلك اعظم ما يمكن من الكرامة فكان حقه ان يختم به قصة المعراج ثم انه تعالى لما قرر امر الرسالة ذكر بعده ما ينبغي ان يبتدئ به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشراك فقال افرأيتم اللات والعزى كانهما عليه من العجز والهوان فكيف تشركونهما بالله العزيز العليم فلو رأيتم اياهما حق الرؤية لعلمتم انهما لا تصلحان شريكين لله تعالى في استحقاق التعظيم وقوله افرأيتم عطف على تمارونه اى اتستمرون بعد هذا البيان على ما انتم عليه من المراء وتمرون اللات ونحوها اولادا له تعالى على خستها وانوثتها وسد الكم الذكر مسد المفعول الثاني **قوله** وهي فعلة من لوى على الشيء يلوى اذا عكف عليه او من لوى الرجل

قال المفسرون رأى رفرفا اخضر قد ملأ افق السماء قال البيهقي سد الافق اى رأى جبرئيل في صورته على رفرف كانه الرفرف بساط وقيل ثوب كان والرفرف الخضر اى رأى ابن عباس بلبسه قال القرطبي وروى ان ابن عباس رضي في قوله تعالى دنى فتدلى انه على الرفرف التقديم والتأخير اى تدلى الرفرف لمحمد عليه الصلوة والسلام ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال عليه الصلوة والسلام فارقني جبرئيل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يجلس عليه كالبساط ونحوه صح

رأسه مح

اذا اماله فانهم كانوا يعكفون عليها ويلوون اعناقهم اليها اصله لوية فاسكنت الياء وحذفت لالتقاء الساكنين فبقيت لوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصارت لات والعامة على تخفيف تائها وقرئ بتشديد التاء ايضا على انه في الاصل اسم فاعل من لت السويق اذا بله بالماء وقيل كان رجل يلت السويق للحجاج فلما مات عكفوا على صورته حجرا وسموه باسمه وعبدوه فلم يزل ذلك الى ان اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضي فكسرها وحرقها بالنار **قوله** سمرة نوع من الشجر روى ان خالدا رضي كان يقول حين يقطعها كفرانك اليوم لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك فلما قطعها عاد الى النبي عليه الصلوة والسلام فقال قد قطعتها فقال ما رأيت شيئا فقال عليه الصلوة والسلام ما بلغت فعاودها ومعه المعول فقلعها واجتث اصلها فخرجت منها امرأة عريانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فقتلها خالد رضي ثم رجع الى النبي عليه الصلوة والسلام واخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا **قوله** من مناه اذا قطعه وقيل من منى يمني اى صب سميت الصخرة مناة لان دماء النسائك كانت تصب عندها والفها عن ياء والتاء زائدة لتأنيث الصخرة فوزنه فعلة وميمها اصلية وقرأ ابن كثير مناءة بالمد والهمزة من النوء اصله منوأة نقلت حركة الواو الى النون فقلبت الفا ومعناه موضع الاستمطار من الانواء والنوء سقوط نجم من المنازل الثمانية والعشرين في المغرب عند طلوع الفجر مع طلوع رقيبه من المشرق يقابله ما سقط من ساعة سقوطه وذلك في كل ثلثة عشر يوما وهكذا كل نجم منها الى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فان لها اربعة عشر يوما وكانت العرب تضيف الامطار والرياح والحر والبرد الى الساقط منها وقال الاصمعي الى الطالع منها في سلطانه فتقول مطرنا بنوء كذا والجمع انواء فوزن الكلمة مفعلة فالفها عن واو وهمزتها اصلية وميمها زائدة كانوا يستمطرون بها عند هذه الانواء تبركا بها **قوله** صفتان للتاكيد لكون الثالثة للتاكيد ظاهر واما الاخرى فانها وان افادت معنى زائدا على ما افاده الموصوف لانها تأنيث الآخر بفتح الخاء بمعنى المغاير مع الاشتراك مع الموصوف فيما اثبت فاخرى تصلح صفة للمناة الا انه لا يصح ان يحمل الاخرى في الآية على هذا المعنى اذ لا مشاركة للمناة في كونها مناة ثالثة حتى توصف بالاخرى احترازا عنها فوجب ان يكون بمعنى المغاير مطلقا فتكون صفة مؤكدة ضرورة ان مناة كما تكون ثالثة اللات والعزى تكون مغايرة لها **قوله** او الاخرى من التأخر في الرتبة اى ويجوز ان يكون الاخرى صفة مسوقة للذم لكونها بمعنى المتأخرة في الرتبة الوضيعة في القدر كقوله تعالى قالت اخراهم لاولاهم اى وضعاؤهم لاشرافهم ووجه كون مناة وضيعة بالنسبة الى اللات والعزى ان اللات وان كانت صخرة الا انها على صورة الآدمي والعزى شجرة وهي لكونها من اقسام النبات اشرف من المناة التي هي صخرة فظهر ان مناة متأخرة عنهما رتبة **قوله** وهو المفعول

الثاني لقوله افرايتم اي ساد مسده فان ارايتم يتعدى الى مفعولين اما لكونه بمعنى افعلمتم واللات
وما عطف عليه مفعوله الاول والجملة الاستفهامية سادة مسد مفعوله الثاني كانه قيل افعلمتم هذه
الاصنام حاكمة بان يكون لكم الذكر وله الانثى واما لكونه بمعنى اخبروني والمعنى افتمارون بعد ما تبين
لكم رفعة شانه وحقية رسالته فاخبروني ان هذه الاصنام هل هن بنات الله تعالى واذكم البنات و
كراهتكم اياهن فان قيل كيف تكون الجملة الاستفهامية مفعولا ثانيا لافرايتم ولم يعد منها ضمير على المفعول
الاول فلما استغنى عن الضمير بتعريض الانثى فانه في قوة ان يقال وله هذه الاصنام وكان الظاهر
ان يقال وله هذه اي تلك الاصنام الا انه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لرعاية الفواصل والاشارة
الى علة الانكار والتوبيخ والفاء في قوله افرايتم للتعقيب كانه في قوله افتمارونه فانه تعالى صور امر
الوحي تصويرا تاما وحقق ان ما ينطق به وحي اوحي اليه بواسطة ملك شديد قواه لانه راى ذلك
الملك بصورته الملكية وعرفه حق المعرفة ثم قال افتمارونه على ما يرى اي افتجادلونه بعد هذه البيانات
على ما يرى من الايات المحققة لكونه على بينة من ربه بحيث لا يتصور معه ان يكون له شائبة الارتياب
في ان ما اوحي اليه كلام الحق بلغه اليه ملك مقرب عنده كيف وقد رآه نزلة اخرى وعرفه حق المعرفة
ثم قال لقد رآى من ايات ربه الكبرى تنبيها على ان ما ذكره الى هنا من الايات الكبرى وايضا للضلالة و
الغواية وتحقيق للدراية والهداية ثم عطف قوله افرايتم على تمارونه وادخل عليه الهمزة لزيادة
الانكار فانه اذا تبين عظمة الله تعالى في ملكوته وان رسوله يسد الافاق ببعض اجنحته ويهلك المدائن
بشدته وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام جلال الله تعالى وعزته فقد تحقق واتضح ان
ما ذهبوا اليه من ان هؤلاء الاصنام شركاء له تعالى وبناته مع حسرتها وحقارة شانها منكر غاية الانكار
ارانكم مع تمارانكم فيما ليس بظنة للمراء اخبروني هل هؤلاء الاخساء بنات الله تعالى والمقصود التهكم
بهم والتنبيه على انه نتيجة مرائهم وان من يبلغ في الضلال الى ان كان معتقده مثل هذا لا يبعد منه ان
ينسب من هو في اعلى درجات الرشاد والسداد الى الضلال والغواية وان يماري معه فيما اتضح
لكنا رعلى علم قوله فان فعلى بالكسر لم يات وصفا فان الصفات في المؤنث لا تاتي الا على فعلى بضم
الفاء كحبلى وانثى وعلى فعلى بالفتح كسكرى وعطشى ولا تاتي على فعلى بالكسر الا في بناء الاسماء كالشعرى
والدفلى وفي المصادر كالذكرى فظهر ان اصل ضيزى ضيزى بضم الضاد وما صار في الحكم يضيز ضيزا
اي جار وضازه حقه يضيزه اي بخسه ونقصه ثم كسروا الضاد لتسلم الياء كما كسروا الباء من
بيض اصله بيض جمع ابيض مثل اسود وسود ولو بقيت الضمة على حالها وابدلت الياء واوا لزم
التثقل لان الكسرة والياء اخف عندهم من الضمة والواو مع عدم اللبس اذ ليس في الصفات فعلى بالكسر
قوله على انه مصدر نعت به كالذكرى ولا يجوز كونه نعتا اصليا لما مر من انه ليس في الصفات فعلى

معنى قوله اي ما هي باعتبار الالوهية اي ما هي باعتبار ان يعبر عنها باسم الالهة الا اسماء عارية عن
مدلولاتها كما اذا اردت ان تحقر من هو متلقب بما يشعر مدحا تقول ما الا الاسم وكذا اذا كان ضمير هي للصفة
او للاسماء يكون المعنى ما ذكر فان قيل الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها فكيف قيل اسماء سميتموها فكيف اشار
المص الى جوابه بقوله الا اسماء تطلقونها عليها جعل سميتموها بمعنى ذكرتموها واطلقتموها عليها فيقال سميت زيدا
بمعنى ذكرته بهذا الاسم فان الاصنام باعتبار الالهية وكذا الصفات التي يصفون الاصنام بها والاسماء
التي يسمونها بها اسماء يطلقونها على الاصنام اطلاقا عاريا عن مدلولاتها كانه قيل وما هي بهذه الا
لفاظ الا اسماء اطلقتموها عليها بهواكم وشهوتكم ليس لكم على صحة اطلاقها عليها برهان تتعلقون
بها فسر قوله تعالى سميتموها انتم بقوله سميتم بها اشارة الى ان انتم تاكيد للضمير المرفوع المنصل وان قوله
واباؤكم معطوف على ذلك الضمير قوله وقرئ بالتاء كما يقتضيه الظاهر لان المقام مقام الخطاب
الا ان العامة قرءوا بالياء الغيبة التفاتا من خطابهم الى الغيبة تحقيرا لهم كانه قطع الكلام معهم
وقال لنبيه عليه الصلوة والسلام انهم لا يتبعون الا الظن فلا تلتفت الى قولهم فان من اتبع ظنه و
ما تشتهيه نفسه بعد ما جاءه الهدى والبيان الشافي لا يعتد بشانه ولا يعتد به وقوله ولقد جاءهم
من ربهم الهدى الظاهر انه حال من فاعل يتبعون اي يتبعون الظن وهوى النفس في حال ينافي ذلك و
هي مجيء الهدى من عند ربهم من الكتاب والرسول والبرهان الدال على بطلان ما اعتقدوه قوله ام
منقطعة ومعناها الاضراب عن اتباعهم الوهم الباطل والهوى الى انكار ما هو اخس منه وهو ان
يكون ما يتمنونه من شفاعة الهتهم وساير متمنياتهم اي ليس للانسان كل ما يتمناه والدليل عليه
قوله وكم من ملك الخ قوله وكثير من الملائكة اشارة الى ان كم خبرية للتكثير ومحلها الرفع على الابتداء و
خبرها لا تغني وجمع ضمير شفاعتهم مع انه راجع الى الملك حملا على معنى كم دون لفظها وليس المعنى انهم يشفعون
فلا تنفع شفاعتهم بل معناه انهم لا يشفعون لانهم لا يؤذن لهم فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم واللام
في قوله تعالى لمن يشاء متعلقة بالاذن وقوله من يشاء يجوز ان يراد به من يشفع من الملائكة ومن يشفع
له من الناس والثاني هو الظاهر لان الملائكة باجمعهم ماذونون في الشفاعة للمؤمنين لان الكل
يستغفرون للمؤمنين فلا وجه للتخصيص ثم انه تعالى لما استدل على بطلان شفاعة الاصنام لعبدتهم
بان اعظم اجناس الخلق لا شفاعة لهم الا بالاذن فكيف يشفع اخس الموجودات من غير ان
يؤذن لهم كان لهم ان يقولوا نحن لا نعبد الاصنام لانها جمادات وانما نعبد الملائكة بعبادتها فانها
صور الملائكة فنضعها بين ايدينا للتذكر بالشاهد الغائب فنعظم الملك المقرب فرد الله تعالى عليهم
بقوله ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي كيف تعظمونهم وانتم تسمونهم
تسمية كتسمية الانثى مع انكم تحقرون الاناث وتكرهونهن وقد علم الجواب عن اصل اعتذارهم بقوله

وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا من الاغناء فان معناه كم من ملك ممن يعبد هؤلاء
الكفرة ويرجون شفاعتهم عند الله لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يؤذن لهم في ان يشفعوا
لمن يشاء ان يشفع لهم من المؤمنين ويراهم اهلا لان يشفع لهم قوله تعالى تسمية الانثى منصوب بنزع
الخافض اي كتسمية الانثى والجار والمجرور في محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي تسمية
مثل تسمية الانثى اي ليذكرون الملائكة ذكرا كذكر الاناث حيث يذكرونهم ببنات الله قوله اي
كل واحد منهم لما كان الظاهر ان يقال تسمية الاناث بدل الانثى لان المسمى الملائكة دون الملك اقول الملائكة
بكل واحد منهم فان قيل كيف يصح ان يقال انهم لا يؤمنون بالاخرة مع انهم كانوا يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله وكان من عادتهم ان يربطوا مركب الميت على قبره زعما منهم انه يحشر عليه
اجيب عنه بانهم ما كانوا يجزمون به بل ينكرونه ويقولون لا حشر ثم يقولون فاذا كان فلنا شفعاء
بدليل انه الله حكى عنهم قولهم وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
وايضا انهم لا يؤمنون بالاخرة على الوجه الذي بينه الرسل فهم لا يؤمنون بحقيقة الاخرة بل بما ليس
بمعونة آخرة قوله وقرئ بها اي وقرئ ما لهم بها من علم بدل به فيكون ضمير بها اما للملائكة او
التسمية على حذف المضاف اي ما لهم بانوثة الملائكة او بمطابقة التسمية لهم من علم فانهم جاهلون
بكل واحد من الامرين معتقدون اعتقادا لا يطابق الواقع قوله فان الحق الذي هو حقيقة الشيء
لا يدرك الا بالعلم فسر الحق بحقيقة الشيء وهي ما عليه الشيء في نفس الامر وحكم عليها بانها لا
تدرك الا باليقين واشار الى ان المعارف قسمان حقيقية واعتبارية والحقيقية هي الاحوال الثابتة
للاشياء في حد انفسها مع قطع النظر عن جعل جاعل واعتبار معتبر وهي التي يبحث عنها اهل الحكمة
والاعتبارية هي المباحث المنوطة بالجعل والاعتبار كالمباحث الشرعية والعرفية فالاولى لا
يتوصل اليها الا بالعلم واليقين بخلاف الثانية فان الظن يعتبر فيها عند عدم الوصول الى اليقين
فان قيل كيف يصح ان يقال الظن لا يغني شيئا من المعارف الحقيقية مع انه قد يصيب ويتعلق بحقيقة
الشيء وما هو عليه في نفس الامر فالجواب نعم ان الظن قد يتعلق بالحق الا ان الواجب على المكلف
في المطالب الاعتقادية اليقين بما هو الحق ولا يكفيه الظن به فالظان بالوحدانية مثلا لا يغني من
الحق ولا ينوب منابه ولا ينفع صاحبه ولا ينزل منزلة المحق لان المحق من تيقن بالحق وجزم به و
الظان بالوحدانية لا يسمى موحدا ثم انه تعالى لما ذكر انهم تركوا الهدى الذي جاءهم من ربهم واتبعوا
الظن وما تهوى الانفس فرع عليه قوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا اي عمن كتابنا ووعظنا
فلم يصدقه وقيل عن ذكرنا بالوحدانية وصفات العظمة والكبرياء ثم جهلهم وصغر رائهم فقال ذلك
مبلغهم من العلم فان امر الدنيا وما يتمتع به فيها اخس الحظوظ واوضعها لا يقصر احد من العقلاء همه

همته عليه اذ هو من اخلاق البهائم التي لا ترغب الا في الحاضر التافه قيل كل ما في القرآن من قوله تعالى
فاعرض منسوخ باية القتال ورد بان الامر بالقتال لا ينافي الامر بالاعراض عن الدعوة وانما
ينافيه ان لو كان المراد بالاعراض الاعراض عنهم بالكلية وليس كذلك بل المراد به الاعراض عن
دعوتهم الى الايمان باقامة الدليل والبرهان فانه تعالى امر رسوله عليه الصلوة والسلام اولا بدعائهم الى
بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه باباطيلهم امره بازالة شبههم والجواب عن اباطيلهم بان قال
له وجادلهم بالتي هي احسن ثم لما لم ينفع ذلك قال له ربه اعرض عنهم ولا تشتغل باقامة الدليل والبرهان
اذا لم يبق سبيل الى معالجتهم بالغذاء الصالح ولا بالدواء النافع ولم يبق الا كي موضع الفساد لئلا
يسري فساده الى الموضع الصالح فقاتلهم واقطع دابرهم لئلا يتعدى داؤهم الى الصالحين ولا
يشيع الفساد في الامة فلما كان الاعراض عن دعوتهم الى الايمان شرطا لجواز المقاتلة معهم لم يكن
احدهما منافيا للاخر ناسخا له قوله والجملة اعتراض حيث تخللت بين الامر بالاعراض وتعليله
قوله وهو علة لما دل عليه ما قبله يعني ان قوله تعالى ليجزي متعلق بمحذوف هو قوله خلق العالم دل عليه
قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض فان اللام فيه للملك والملك انما يكون بالخلق ويجوز ان يكون
المحذوف قوله ميز الضال من المهتدي الذي هو مدلول قوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو
اعلم بمن اهتدى فقوله لله ما في السموات معترضة جيء به لتاكيد امر الجزاء وتقريره اي ميز احد الفريقين
من الآخر ليجازي كل واحد من احاد الفريقين بما يليق به من الجزاء قوله او بما حسن من اعمالهم مقابل
لقوله تعالى ولمثله فان جاء بالسيئة لا يجزى الا مثلها ومن جاء بالحسنة فله عشر امثالها والحسنى على او
ليس صفة المثوبة الا ان الحسنى على الاول منهما من قبيل زيد الافضل وعلى الثاني من قبيل زيد افضل
من عمرو والحسنى على الثالث صفة اعمالهم قوله تعالى الذين يجتنبون يجوز ان يكون منصوب المحل على
انه بدل او بيان او نعت للذين احسنوا او بتقدير اعني ويجوز ان يكون مرفوعا على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هم الذين فان قيل اذا كان بدلا من الذين احسنوا فلم تخالفا في الصلة حيث كانت صلة الاول
ماضيا وصلة الثاني مستقبلا قلنا للاشعار بان ترك المعصية سواء كانت بارتكاب المحرمات
او بترك الواجبات ينبغي ان يستمر عليه المؤمن ويجعل الاجتناب عنها دابا له وعادة حتى يستحق المثوبة
الحسنى فان من اجتنب عنها مرة وانهمك عليها في باقي الزمان لا يستحقها بخلاف الحسنات المتطوع
بها فان من اتى بها ولو مرة يوجر عليها فقوله الذين يجتنبون على صيغة المضارع يدل على ان المحسن هو
الذي لا يسيء ولا يرتكب القبيح الذي تحشى قبحه واتضح فالذين احسنوا هم الذين احسنوا ولهم
الحسنى وبهذا تبين المسيء والمحسن لان من لا يجتنب الكبائر يكون مسيئا والذي يجتنبها يكون
محسنا فان الكبائر جمع كبيرة وهي صفة في موصوفها فلما انها صفة الفعلة كانه قيل الفعلات الكبائر

اعلم ان النبي عم كالطبيب للقلوب فانه يعالج القلوب بما يعالج به الطبيب الابدان فكما ان الطبيب في معالجة المرضى اذا امكن ازالته في معالجة المرضى لا يستعملون في ازالته علاجه بالغذاء لا يستعملون الدواء واذا امكن ازالته بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي والكي فكذلك امره عم بالذكر الذي هو غذاء القلوب حيث قال قولوا لا اله الا الله فان بذكر الله تطمئن القلوب يعني ان الغذاء يطمئن الشكوك فانتفع به ابو بكر رض ومن كان مثله ومن لم ينتفع بالحمل على الذكر والا به ذكر لهم الدليل وقال اولم يتفكروا قل انظروا افلا ينظرون الى ... ذلك فلما لم ينتفعوا به اتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينفعهم قال اعرض عن المعالجة واقطع الفاسد لئلا يفسد الصالح فقوله تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا اشارة الى ما قلنا فان التولي عن ذكره تعالى كناية عن عدم النظر الذي هو ترك النظر في دلائل وجوده ووحدته وسائر صفاته وقوله ولم يرد الا الحيوة الدنيا اشارة الى انكارهم الحشر ومن لم يعتقد بالحشر والحساب لا يخاف فلا يرجع عما هو عليه ومن ترك النظر في دلائل الله لا يعرفه ولا يتبع رسوله ولا ينتفع بكلامه فلا يبقى في الدعاء فائدة فلم يبق الا ترك المعالجة والمسارعة الى المقاتلة منه

من الاثم فان قيل لم اختصت الكبائر بالذنوب في الاستعمال وما المانع من ان يقال فعلات كبائر الحسنات قلنا الحسنة لا تكون كبيرة لانها اذا قوبلت بما يجب ان يوجد من العبد في مقابلة نعم الله تعالى تكون في غاية الصغر ولولا ان الله عز وجل تقبلها لكان هباء ضايعا بخلاف السيئة فانها من العبد الذي انعم الله تعالى عليه بانواع النعم تكون كبيرة قوله كبائر الاثم معناه الكبائر من الاثم فان الاثم اسم جنس يدخل تحته الكبائر والصغائر وقد تقرر ان المضاف اليه اذا كان جنس المضاف تكون الاضافة بمعنى من كخاتم فضة وفسر الكبائر بما يكبر عقابه من الذنوب وجعل الفواحش اخص منها وفسره بما فحش قبحه من الكبائر فيكون عطف الفواحش على الكبائر للتغليظ والمبالغة في بابها وهو في النظم كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة في المدح كانه قيل والفواحش منها خاصة قوله الا ما قل وصغر يعني ان اللمم الصغير من الذنب من الم بالمكان اذا نزل به لا من غير لبث طويل ويقال الم بالطعام اذا قل اكله منه وكان عليه الصلوة والسلام يقول ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما فيكون الاستثناء منقطعا لان اللمم وهو الصغير من الذنب لا يدخل تحت الكبائر والفواحش والمعنى لكن اللمم قد غفره الله تعالى فان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنب الكبائر قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات قوله تعالى هو اعلم بكم يحتمل ان يكون متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل وبمن اهتدى وتقريرا لاحاطة علمه باحوال الفريقين فيكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم عليه ظاهرا فانه تعالى لما قال نحن اعلم بحال الفريقين ونجازيهما على حسب استحقاقهما كان ذلك مظنة ان يكون لبعض الكفرة نحن نعمل امورا في جوف الليل المظلم في البيت الخالي فكيف يعلمه الله فرد الله تعالى عليه وقرر احاطة علمه بها بقوله هو اعلم باحوالكم حين ابتداء خلقكم وحين صوركم في الارحام فكيف لا يميز من احسن منكم عمن اساء ويحتمل ان يكون متعلقا بقوله ليجزي الذين اساؤا واحسنوا وتاكيدا لامر الجزاء فانه تعالى لما قال ليجزي كل واحد من الفريقين كان ذلك مظنة لان يقول من انكر الحشر والجزاء ان امر الجزاء يقتضي ان يحشر من القبور ويجمع اجزاءهم المتفرقة بحيث لا يختلط شيء من اجزاء البعض باجزاء الباقين وذلك غير ممكن فرد الله تعالى عليهم وقرر احاطة علمه بجميع احوالهم فيعلم تفاصيل اجزاء كل شخص فيعيدها الى بدنه ثم يكون وجه تفريع قوله فلا تزكوا انفسكم على ما قبله كونه نتيجة لعلمه بتفاصيل الاجزاء والمعنى فلا تزكوا انفسكم من العذاب ولا تقولوا افترقت الاجزاء بحيث امتنع جمعها فلا حشر ولا جزاء فان العالم بكم عند الانشاء عالم بكم عند الاعادة والاجنة جمع جنين مثل اسرة وسرير والجنين الولد ما دام في بطن امه وهو فعيل بمعنى مفعول من جنه اذا ستره واذا خرج من بطن امه لا يسمى الا ولدا او سقطا فان قيل اذا كان الجنين اسما

اسما للولد ما دام في بطن امه فما فائدة قوله في بطون امهاتكم قلنا فائدته المبالغة في بيان كمال علمه وقدرته فان بطون الامهات في غاية الظلمة والخفاء فمن علم حال الجنين فيها لا يخفى عليه شيء من احواله واخبار الحس البصري كونه متعلقا بقوله هو اعلم بمن ضل حيث قال علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم ولا تطهروها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال لان كل واحد من التخلية والتحلية انما يعتد به اذا كان خالصا لله تعالى واذا كان هو اعلم باحوالكم منكم فلا حاجة الى التزكية قوله خلقكم من التراب بخلق آدم منه او بخلق كل واحد منكم من التراب فان اصل كل واحد من بني ادم من حيث انه يصير غذاء ويصير الغذاء دما ويصير الدم نطفة والنطفة انسانا ثم انه تعالى امره عليه الصلوة والسلام بالاعراض عمن تولى وعلل الامر المذكور باحاطة علمه بمن ضل واهتدى وانه يجازي كل واحد على حسب حاله فرع عليه قوله افرايت الذي تولى تعجيبا من حاله وانكارا عليه جهله وبخله عن اعطاء ما التزمه قوله من قولهم اكدى الحافر يعني ان اصل الاكداء ان يحفر الحافر فيبلغ الكدية فيمسك عن الحفر لتعذره عليه ثم استعير لكل ما تعذر على الانسان وقيل ارايت بمعنى اخبرني واعنده علم الغيب مفعوله الثاني اي اخبرني ان هذا المعطي المكدي هل عنده علم ما غاب عنه من احوال الاخرة فهو يعلم ان صاحبه يتحمل عنه اوزاره على ان قوله يرى بمعنى يعلم حذف مفعولاه لدلالة المقام عليهما قوله ام لم ينبأ اي الم يخبر بما في صحف موسى يعني اسفار التورية وفي الكواشي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه انزل على ابرهيم عشر صحائف وعلى موسى عشر صحائف قبل التورية وام منقطعة اي بل الم ينبأ اضرب عن انكار ان يكون عنده علم الغيب الى تقرير انه نبئ واخبر بما في الصحف قوله وابرهيم عطف على موسى اي وبما في صحف ابرهيم والجمهور على تشديد قوله وفى للتكثير والمبالغة في الوفاء بما التزمه وبما عاهد الله تعالى عليه وبالعمل بما امره على التمام وهو بمعنى اوفى والجوهري اوفى ووفى وفاء بمعنى اي اعطاه تاما وافيا ومن جملة وفائه بما عاهد الله تعالى انه عهد ان لا يسأل مخلوقا فاتاه جبرئيل عليه السلام حين القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا قوله يرتاد ضيفانا يطلبه يقال ارتاده ارتيادا اي طلبه قوله وتقديم موسى مع ان ابرهيم عليهما الصلوة والسلام متقدم عليه في البعثة فلذلك قدم عليه في قوله تعالى صحف ابرهيم وموسى ثم انه تعالى بين ما في صحفهما فقال الا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ومعناه لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفيه ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال كانوا قبل ابرهيم عليه الصلوة والسلام ياخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه وامرأته وعبده حتى جاءهم ابرهيم فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى وان

ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل اليه ولم يتمه ولم يبلغ آخره

في ألا تزر هي المخففة واسمها محذوف وهو ضمير الشان والتقدير انه لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى
فان قيل الاية مسوقة لبيان ان وزر الرجل لا يحمل عنه ونظم الاية لا يدل عليه لان النفس الوازرة مثقلة
بوزرها فكل احد يعلم انها لا تحمل شيئا غير ذلك الذي عليها فلو قال لا تحمل فارغة وزر اخرى لكان ادل واظهر
فالجواب ان المراد من الوازرة هي التي يتوقع منها الحمل والوزر لا التي وزرت وحملت فعلا وقوله وان
ليس للانسان معطوف على قوله ان لا تزر وان فيه ايضا هي المخففة من الثقيلة وللانسان خبر ليس
والا ما سعى اسمها اي الا سعيه ويجوز ان يكون ما موصولة وقوله وان سعيه سوف يرى معطوف على ان
لا تزر ايضا والمعنى ان المذكورات كلها في الصحف وقوله يرى خبر ان وهو من رؤية العين والمراد بالسعي
العمل في قوله تعالى ان سعيكم لشتى وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الحصر المستفاد من قوله ليس للانسان الا
ما سعى وعمل منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم فانه يدل على ان الذريات
يدخلون الجنة بعمل ابائهم وقال عكرمة كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى واما هذه الامة فلهم ما سعوا
وما سعى لهم غيرهم لما روي ان امرأة رفعت صبيا لها من المحفة فقالت يا رسول الله الهذا حج قال
نعم ولك اجره وقال رجل يا رسول الله ان امي افتلتت نفسها اي ماتت فجاءة واظنها انها لو تكلمت
لتصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم قال الشيخ تقي الدين ابو العباس من اعتقد ان الانسان
لا ينتفع الا بعمله فقد خرق الاجماع وذلك باطل فان الامة قد اجمعوا على ان الانسان ينتفع بدعاء غيره
وهو انتفاع بعمل الغير وايضا انه عليه الصلوة والسلام يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة
في دخولها ثم لاهل الكبائر في الاخراج من النار وهذا انتفاع بسعي الغير وكذا كل نبي وصالح له الشفاعة
وذلك انتفاع بعمل الغير وايضا الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الارض وذلك منفعة بعمل الغير
وايضا انه تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط بمحض رحمته وهذا انتفاع بما غير سعيهم وايضا
اولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل ابائهم وذلك انتفاع بمحض عمل الغير وكذا الميت ينتفع بالصدقة
عنه وبالعتق عنه بنص السنة والاجماع وهو عمل غيره وانه يسقط الحج المفروض على الميت
بحج وليه عنه بنص السنة وكذا تبرأ ذمة الانسان عن ديون الخلق اذا قضاها عنه قاض
وذلك انتفاع بعمل الغير وكذا بعمل الغير وكذا الصلوة على الميت والدعاء له فيها ينتفع بها الميت
وهي من عمل الغير ونظائر ذلك كثيرة لا تحصى والايات الدالة على مضاعفة الثواب ايضا كثيرة فلا بد
من توجيه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فانه لاشتماله على النفي والاستثناء يدل على ان الانسان
لا ينتفع الا بعمل نفسه ولا يجزى على عمله الا على قدر سعيه ولا يزاد عليه وذلك مخالف للاقوال الواردة
في انتفاعه بعمل غيره وفي مضاعفة ثواب اعماله فقول المص وما جاء في الاخبار الجواب عن هذا
الاشكال وتقرير الجواب ان معنى الاية الانسان لا ينتفع بسعي غيره وعمله اذا عمله الغير لنفسه ولم ينو

وكذا من عليه تبعات ومظالم اذا حلل منها سقطت عنه وان الجار الصالح ينتفع بجوار في المحيا والممات كما جاء في الاثر وان جليس اهل الذكر يرحم بهم وهو لم يكن منهم ولم يجلس معهم لذلك بل لحاجة اخرى

ولم ينو ان يكون ثواب عمله لغيره واما اذا عمله العامل ناويا ان يكون ثواب عمله لغيره فح ينتفع غيره
بثواب ذلك العمل لان العامل اذا نوى ان يعمل لغيره صار بمنزلة الوكيل عن الغير وصار سعيه وعمله
بمنزلة عمل الغير بنفسه فصار الغير منتفعا بعمل نفسه بهذا الاعتبار فكانه قيل وان ليس للانسان
الا ما سعى بنفسه حقيقة او حكما فان عمل الوكيل عمل للموكل حكما وايضا ان سعي الغير انما لا
ينفعه اذا لم يوجد له سعي قط فاذا وجد له سعي بان يكون مؤمنا صالحا كان سعي الغير تابعا لسعيه
بنفسه فان علقة الايمان وصلة وقرابة كما قال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وترا
حمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقال صلى
الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين اصابعه فاذا سعى احد في
الايمان والعمل الصالح فكانه سعى بتاييد عضد اخيه وسد ثلمته فكان سعيه سعيه قوله تعالى و
ان سعيه سوف يرى في ميزانه فانه تعالى قادر على اعادة كل ما عدم من الجواهر والاعراض فالعمل
ان كان صالحا يعاد على صورة جميلة وغير على تلك الصورة ولا وجه لان يقال المعنى سوف يرى ثواب
سعيه لقوله بعد ذلك ثم يجزيه الجزاء الاوفى قوله اي يجزى العبد سعيه يعني ان فعل الجزاء يتعدى
الى مفعولين كما في قوله تعالى وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وقولهم جزاك الله خيرا فاحد المفعولين
في الاية هو المرفوع المستتر في يجزى وثانيهما المنصوب البارز والتقدير ثم يجزى الانسان سعيه
اي جزاء سعيه فحذف المضاف والجزاء الاوفى مفعول به بواسطة حرف الجر عدي اليه الفعل بنزع
الخافض ويجوز ان يكون مفعولا مطلقا مبينا للنوع ويجوز ان يكون الهاء في يجزيه ضمير الجزاء المدلول
عليه بيجزى فتكون منصوب المحل على انه مفعول مطلق ليجزى فلا يكون الجزاء الاوفى مفعولا مطلقا ايضا
لان الفعل الواحد لا ينصب مصدرين بل يكون بدلا عنه او عطف بيان له او منصوبا بتقدير اعني قوله
وقرئ بالكسر العامة على فتح همزة ان وما عطف عليها بمعنى ان الجميع في صحف موسى وابراهيم وقرئ
بكسر الهمزة في الجميع على انه ابتداء كلام لبيان ان انتهاء الخلايق ورجوعهم الى موقف حساب الله تعالى
فيجازيهم باعمالهم والمنتهى مصدر ميمي بمعنى الانتهاء قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى قيل معناه
ان كل ما يعمله الانسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء وقال الكلبي اضحك اهل الجنة بفضله
ورحمته وابكى اهل النار بعدله وسخطه وقال الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر
وقيل اضحك قوما عند الموت باسماع ابشروا وابكى قوما عنده باسماع لا بشرى لكم قوله
تدفق في الرحم يقال منى المني وامناه اي انزله واراقه وصبه وفسره الاخفش بقوله يخلق على
انه من منى الماني اي قدر المقدر ومما يدل على كمال قدرة الله تعالى ان النطفة مع كونها جسما متناسب
الاجزاء يخلق منها الذكر والانثى والاعضاء المختلفة والطبائع المتباينة ثم انه تعالى بعد ما خلقهم اولا

من نطفة بخلقهم ثانيا من تراب كما قال وان عليه النشأة الاخرى وانما قال عليه لانه فاعله لامحالة
على ما تقتضيه الحكمة ثم قال وانه هو اغنى اى اعطى ما يغنيه عن الغير واقنى اى اعطى القنية وهى اسم
لما يقتنى اى يدخر ويتخذ رأس مال زيادة على الكفاية والتاثيل التاصيل ومال موثل اى متخذ اصل
مال يحفظ ويدخر لقصد الاستثمار والاستنماء وفى الصحاح اقتناء المال وغيره اتخاذه وفى المغرب
لا تقتنى من كلب سوء اجروا واقناه الله اى اعطاه ما يقتنى به من القنية والنشب قنوت الغنم و
غيرها قنوة وقنوة وقنيت ايضا قنية وقنية اذا اقتنيتها لنفسك لا للتجارة واقناه الله ايضا اى ار
ضاه والغنى الرضى تقول العرب من اعطى مائة من المعز فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من
الضان فقد اعطى الغنى ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنا قوله يعنى العبور اشارة الى ان
الشعرى شعريان احديهما الشعرى اليمانى ويسمى ايضا الشعرى العبور وثانيهما الشعرى الشامى
ويسمى ايضا الشعرى الغميصاء فصلت المجرة بينهما تزعم العرب ان الشعرى بين اختا سهيل
وان الثلثة مجتمعة فانحدر سهيل نحو اليمن وتبعه العبور فعبرت المجرة ولقيت سهيل واقامت
الغميصا فبكت لفقد سهيل فغمصت عينها اى كانت اهل نورا من العبور واخفى والغمص فى العين
ما سال من الرمص يقال غمصت عينه بالكسر غمصا قوله ولذلك كانوا يسمونه عليه الصلوة والسلام
بابن ابى كبشة لا يريدون بذلك اتصال نسبه عليه الصلوة اياه وان كان الامر كذلك بل يريدون به
موافقته عليه الصلوة والسلام اياه فى ترك عبادة الاوثان واحداث دين جديد وكان ابو كبشة
الخزاعى جد رسول الله عليه الصلوة لامه عبدها وقال لا ارى شيئا ولا قمرا ولا نجما يقطع السماء
عرضا غيرها وليس شىء مثلها فعبدها وعبدها خزاعة والمعنى ان الشعرى مربوب فاعبدوا ربه
ثم انه عليه الصلوة والسلام لما خالف العرب واظهر بينهم دينا جديدا شبهوه فى خلافه اياهم بابى
كبشة وسموه بذلك لخلافه اياهم كخلاف ابى كبشة العرب فى عبادة الشعرى قوله لانهم اولى الامم هلاكا
بعد الطوفان اشارة الى انه ليس هناك عادان احدهما اقدم زمانا من الاخرى حتى يكون وصف احدهما
بالاولى للاحتراز عن عاد الاخيرة بل ليس هناك الا عاد واحد هم اعقاب عاد بن عوص بن ارم
بن سام بن نوح وهم قوم هود اهلكهم بريح صرصر عاتية والمراد باوليتهم تقدم هلاكهم بحسب
الزمان على هلاك من هلك بعد قوم نوح وقيل كان بعدهم عاد اخرى سواهم فلهذا سماهم الله عاد
الاولى وهو قول المص وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم قال صاحب الكشاف فى تفسير
سورة الفجر قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين
منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم فى قوله تعالى بعاد
ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة انتهى كلامه وهو وان كان موافقا لما نقله

نقله المص من العاد عادان اولى واخرى الا انه يخالف له من حيث ان ارم هى الاولى على هذا القول
وهى اخرى على ما نقله المص قوله عادا الاولى اعلم انه قرأ ابن كثير وابن عامر والكوفيون عادا الاولى
بكسر التنوين وسكون لام التعريف وتحقيق الهمزة بعدها على الاصل فان التنوين اذا وقع بعده ساكن
يكسر لالتقاء الساكنين نحو قل هو الله احد الله وقد يحذف التنوين تشبيها له بحرف العلة كما فى قراءة من
قرأ احد الله الصمد وكقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو قليل جدا هذا فى الوصل فاذا وقفوا على عادا و
ابتدأوا بالاولى فقياسهم ان يقولوا الاولى بفتح الهمزة الوصل وسكون اللام وتحقيق الهمزة وهم
صرفوا عادا اما لانه اسم للحى او الاب فليس فيه ما يمنعه واما لانه وان كان مؤنثا اسما للقبيلة الا
انه مثل هند ودعد فيجوز فيه الصرف وعدمه وقرأ قالون عادا لولى بادغام التنوين فى لام التعريف
بعد نقل ضمة همزة اولى الى لام التعريف وحذف الهمزة للتخفيف وابدال واوا ولى همزة فانه لما قصد
التخفيف بالادغام نقل حركة الهمزة الى اللام وان لم يكن النقل من صلته ولما نقل الحركة الى اللام عند
بتلك الحركة اذ لا يمكن الادغام فى ساكن ولا فيما هو فى حكم الساكن وقرأ ورش وابو عمرو عادا لولى
بادغام التنوين فى اللام بعد طرح الهمزة ونقل حركتها الى لام التعريف كقالون الا انهما ابقيا الواو على
حالها غير مبدلة بهمزة وروى المص قراءة اخرى وهى ان تحذف همزة اولى بعد نقل حركتها الى اللام
وتحذف همزة الوصل استغناء عنها بحركة اللام وان لا يدغم التنوين فى لام التعريف لعدم الاعتداد
بحركتها فان من العرب من اذا نقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها كلام التعريف مثلا يجعله
فى حكم الساكن ولا يعتد بحركة النقل فيكسر الساكن الواقع قبلها ولا يدغم فيها التنوين وان كان قبلها
همزة وصل لا يستغنى عنها فيقول لم يذهب لحمر ورايت زيدا لعجم من غير ادغام التنوين فى
اللام والحمر والعجم بهمزة الوصل لكون اللام فى حكم الساكن فقرأه عادا الولى مبنية على هذا
الاصل قوله عطف على عادا فيكون منصوبا باهلك ولا يجوز كونه منصوبا بقوله فما ابقى لما تقرر
من ان ما بعد النفى لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى والمؤتفكة ايضا معطوف على عادا اى واهلك المؤتفكة
وهى قريات لوط عليه الصلوة والسلام قوله اهوى اسقط اشار الى بيان طريق اهلاكها ومفعول
اهوى محذوف وهو ضمير المؤتفكة اى اسقطها من السماء بعد ما رفعها اليها على جناح جبرئيل عليه
السلام يقال افكه فائتفك اى قلبه فانقلب ويجوز ان يكون المؤتفكة منصوبا باهوى والمنوى فى قوله
تعالى فغشيها ضمير البارى اى البس الله عز وجل المؤتفكة ما البس من العذاب الذى من جملته ما
امطر عليهم من الحجارة المنضودة المسومة فمفعولاه مذكوران احدهما ضمير المؤتفكة والثانى
قوله ما غشى والمنوى فى قوله ما غشى ايضا ضمير البارى ومفعولاه محذوفان احدهما ضمير ما والثانى
ضمير المؤتفكة اى غشاها الله ما غشاها اياه قوله تذير من جنس الانذارات جعل النذير مصدرا بمعنى

الانذار على تقدير كون هذا اشارة الى القران لان القران انما يتعلق به الانذار باعتبار اشتماله
على اقتصاص عاقبة المكذبين ولا شك ان اقتصاصها ليس بمنذر بل هو انذار وتخويف بخلاف
الرسول عليه الصلوة والسلام فانه منذر البتة وتانيث الاولى على تقدير كونه صفة للنذر
بمعنى منذورين فيكون النذر بمعنى الجماعة اذ لا وجه لان يقال من جنس المرسلين الاولى الا
بذلك التاويل قوله دنت الساعة الموصوفة بالدنو يعني ان الآزفة صفة لمحذوف هو الساعة
او القيمة وان اللام فيها للعهد فلذلك صح الاخبار عنها بالدنو اذ لو كانت للجنس لما صح اذ لا فائدة
في ان يقال قرب جنس القريب فان قلت الاخبار بقرب الآزفة المعهودة لا فائدة فيه ايضا قلت
لا نم ذلك لانه انما يفيد اذا كان الكلام مخرجا على مقتضى الظاهر وليس كذلك بل هو مبني على تنزيل
العالم بالشيء منزلة الجاهل لعدم جريه على مقتضى العلم ويجوز ان يكون المعنى القيمة التي وصف
لك بالازوف التي ازفة في نفس الامر فكيف لا تستعد لها قوله ليس لها نفس قادرة على كشفها
اي على ازالتها بالكلية وعلى الثاني يكون الكشف بمعنى الازالة ايضا الا انه لا يكون بمعنى الازالة بالكلية
بل يكون بمعنى التاخير الى امر بعيد وعلى الثالث يكون بمعنى التبيين والاعلام اي ليس لها نفس مبينة
تبين انها متى تقوم فسر السمود بثلثة اوجه الاول كون الانسان لاهيا غافلا قال الشاعر رمى الحدثان
الانسان انك سامد كانك لا تفنى ولا انت هالك والثاني الاستكبار والثالث الغناء قال
عكرمة السمود هو الغناء بلغة اهل اليمن وكان الكفار اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا ليشغلوا
الناس عن استماعه تم ما يتعلق بسورة النجم والحمد لله رب العالمين

سورة القمر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قال ابن عباس رض اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان كنت نبيا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل عليه الصلوة والسلام ربه ان يعطيه ما قالوا
فانشق فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وحديث
انشقاق القمر رواه جماعة كثيرة من الصحابة رض وقول من قال انه سينشق يوم القيمة الا انه
قيل انشق بلفظ الماضي لتحقق وقوعه قول مخالف للاجماع روي عن عبد الله بن مسعود رض
انه قال ما وعد الله تعالى رسوله من اشراط الساعة كلها قد مضى الا الاربعة طلوع الشمس من
مغربها ودابة الارض وخروج الدجال وخروج ياجوج وماجوج وقال ابن مسعود رض
رايت حراء بين فلقي القمر وهذا صريح في ان كل واحد من النصفين ذهب من موضع القمر و
روي عن ابن عباس رض انه قال ذهب احد النصفين عن موضع القمر وبقي النصف الاخر
في موضعه واول هذه السورة مناسب لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة فكانه تعالى اعاد

اعاد ذلك مع الدليل فان انشقاق القمر من علامات نبوته عليه الصلوة والسلام ونبوته وزمانه
من اشراط الساعة وايضا ان من ينكر خراب العالم يقول ان الافلاك وما فيها من الكواكب
لا يقبل الخرق والالتيام فاذا انشق بعضها ثبت بطلان ما قالوه فعلى هذا يجوز ان يراد باقتراب
الساعة عدم استبعاد الاذهان والعقول لوقوعها لا اقتراب زمان وقوعها قوله وان يروا
مرفوع بالعطف على فاعل قوله ويؤيد الاول اي يؤيد وقوع الانشقاق في عهده عليه الصلوة والسلام
قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ووجه كونه مؤيدا لذلك انه مسوق لذمهم بان حالهم فيما يستقبل
كحالهم فيما مضى وهي الاعراض عن تامل الآيات والاهتداء بها الى الحق الصريح والذم بهذا الطريق
انما يحسن اذا راوا قبله آية عظيمة واعرضوا عنها ولم يرفعوا اليها راسا والتنكير في قوله آية
للتعظيم اي وان يروا آية عظيمة وعلامة قوية كانشقاق القمر يعرضوا قوله مطرد اي دائم متتا
بع مظهر من فاعله مرة بعد اخرى يريدون به ترادف المعجزات التي نسبوها الى السحر فانه عليه
الصلوة والسلام كان ياتي في كل زمان بمعجزة قولية او فعلية ارضية او سماوية قالوا هذا سحر مستمر
اي دائم لا يختص تعلقه بشيء دون شيء ولا بزمان دون زمان بخلاف سحر السحرة فان بعضهم
يقدر على امر او امرين وثلثة ويعجز عن غيرها وهو قادر على جميع الامور في جميع الازمان قال
المفسرون لما انشق القمر قال المشركون سحرنا محمد فسئل السفار والقادمين فلما قدموا
سألوهم فاخبروهم انهم راوا ذلك فتعجبوا منه قوله او محكم معطوف على مطرد والمرة القوة و
الشدة فالسحر الذي يؤثر في الاجرام العلوية لما يؤثر في الاجرام السفلية يكون قويا مستحكما يقال حبل
مرير الفتل اذا اشتد فتله ويحتمل ان يكون قوله مستمر من المرارة بمعنى سحر مر بشع وان يكون من
المرور يقال مر يمر مرا ومرورا اي ذهب واستمر مثله ويقال امر الشيء اي صار مرا وكذلك مر الشيء
يمر بالفتح مرارة فهو مر وامر واستمر مثله على ان استفعل بمعنى فعل كطاق واستطاق وقر واستقر
فقولهم انه سحر مستمر اي مار يذهب ويفنى تمنية منهم لانفسهم وتعليل لها واطماع في غير مطمع
قوله وذكرهما بلفظ الماضي مع ان الظاهر ان يقال ويكذبوا ويتبعوا لكونهما معطوفين على قوله
يعرضوا فيقولوا قوله تعالى وكل امر مستقر الجمهور على كسر قاف مستقر ورفعه على انه خبر كل الواقع
مبتداء وفسره المص بقوله منته الى غاية اشارة الى ان الاستقرار كناية عن ملزومه وهو الانتهاء
الى الغاية فان لكل امر غاية في الدنيا وكذا في الاخرة ينتهي اليها لا محالة يستقر ويتم امره ويتبين
حاله فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سيصير الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل و
سيظهر لهم عاقبته وكذا امر مكذبيه فالاية وعيد للمشركين ووعد لرسول الله عليه الصلوة و
السلام وللمؤمنين ونظيره قوله تعالى لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون اي لكل نباء وان طالت مدته

فلا بد ان ينتهى غايته وتنكشف حقيقته من الخفية والبطلان **قوله** وقرئ بالفتح اى بفتح القاف
على انه مصدر ميمى بمعنى الاستقرار فلا بد من تقدير مضاف اى وكل امر ذو استقرار وقرئ بكسر القاف
وجر الكلمة فيكون كل امر مرفوعا بالعطف على فاعل اقتربت وهو الساعة ثم انه تعالى لما اوعد كفار
مكة بخذلانهم فى الدنيا وشقاوتهم فى العقبى ووعد الرسول والمؤمنين بالنصرة فى الدنيا و السعادة
فى الاخرة امر رسوله عليه الصلوة والسلام بان يتولى عن دعوتهم ومناظرتهم بالحجة والبرهان
وفرع الامر بالاعراض على قوله ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر فما تغنى النذر تعليلا
للامر المذكور والانباء هى الاخبار العظام فان النبأ والانباء لم يرد فى القران الا لما له وقع وشأن
عظيم والزجر المنع والنهى وزدجر افتعل منه اصله ازتجر وقد تقرر ان تاء الافتعال اذا وقعت بعد
الزاى والدال والذال تقلب دالا لان الزاى حرف مجهور والتاء حرف مهموس فتقلب حرفا يناسب
الزاى فى الجهر ويناسب التاء فى المخرج وهو الدال فيصير ازدجر والمزدجر فى الاية مصدر ميمى بمعنى
الازدجار وبمعنى الزجر ايضا فان بناء افتعل وان شاع كونه لمطاوعة فعل نحو جمعته فاجتمع الا
انه قد يكون بمعنى فعل نحو مدحته وامتدحته وهذا هو المناسب فى هذا المقام فقولنا زجره وازدجره
بمعنى واحد اى نهاه ومنعه عن السوء وارتفاع مزدجر يجوز ان يكون على الابتداء وفيه خبره و
ان يكون على انه فاعل الظرف لاعتماده على الموصول او الموصوف فان ما يجوز كونها موصولة فالجملة
بعدها صلتها او صفتها **قوله** متى واستفهام اى يجوز ان تكون ما نافية فيكون مفعول تغنى محذوفا اى فما
تغنى النذر شيئا وان تكون استفهامية بمعنى الانكار فيكون فى موضع النصب على انه مفعول مقدم لتغنى
اى اى شىء تغنى النذر اذا خالفهم اهل مكة وكذبوهم **قوله** ويجوز ان تكون الدعاء فيه اى فى البعث
والاعادة مثل كن فى التكوين ابتداء بان لا يكون ثمة داعيا من اسرافيل او غيره بل يكون الكلام من
قبيل الاستعارة التمثيلية بان يشبه نفاذ مشيئته تعالى وعدم تخلف مراده عن ارادته بترتب اجابة
المدعو المطيع لدعاء الداعى المطاع من غير توقف وتردد كما قيل ان امر كن فى الابتداء والتكوين
كذلك ومن قال ان الدعاء والنداء على حقيقته منهم من يقول ان اسرافيل ينفخ قائما على صخرة
بيت المقدس ويدعو وينادى قائلا ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة
ان الله تعالى يامركن ان تجمعوا لفصل القضاء ومنهم من يقول ان اسرافيل ينفخ وجبرئيل يدعو
وينادى بذلك ولما حذفت الواو من يدعو فى التلفظ لاجتماع الساكنين حذفت فى الخط
ايضا اتباعا للفظ وحذفت ياء الداعى اكتفاء بالكسرة والنكر بضمتين صفة على فعل وقرئ
بسكون الكاف كما فى قوله تعالى لقد جئت شيئا نكرا وكلاهما بمعنى المنكر والشىء المنكر بدا الفظيع سمى
نكرا لان النفوس تنكره وقرئ نكر بضم النون وكسر الكاف وفتح الراء على انه فعل ماض مبنى للمجهول

فى موضع الجر على انه صفة لشىء او حاشعا حال من فاعل يخرجون قدمت على عاملها لكونه فعلا
اصلا فى العمل قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى خاشعا ابصارهم وباقى السبعة خشعا والقراءة
الاولى جارية على اللغة الفصحى من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على فاعله الظاهر
يفرد ويذكر فيقال يخشع ابصارهم ولا يقال يخشعن ابصارهم فان تانيث الجمع غير حقيقى بل
لكونه بمعنى الجماعة والفعل اذا اسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى جاز الحاق علامة التانيث
بالفعل وتركها نحو طلع الشمس وقوله فمن جاءه موعظة فكذا اسند الى ظاهر الجمع مطلقا اى سواء
كان جمع سلامة او جمع تكسير وسواء كان واحد المكسر حقيقى التذكير او التانيث كرجال ونسوة
او مجازى التذكير او التانيث كايام ودور وكذا واحد المجموع بالالف والتاء تنقسم بهذه
الاقسام الاربعة نحو الطلحات والزينبات والجليات والغرفات فحكم المسند الى ظاهر هذه
الجموع حكم المسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقى فى جواز الحاق علامة التانيث وتركه واما
الحاق ضمير الجمع به مع كونه مسندا الى الظاهر فغير فصيح الا على لغة طى يقولون اكلونى البراغيث
فقراءة خشعا ابصارهم جارية على تلك اللغة فكذا اسماء الفاعلين اذا اسندت الى الجمع
جاز فيها التوحيد مع التذكير نحو خاشعا ابصارهم وجاز الجمع ايضا على لغة طى نحو خشعا
ابصارهم فقوله وقرئ خاشعة على الاصل وهو ان لا يجمع المسند الى ظاهر الجمع وان يؤنث
لكونه الى المؤنث وان كان تانيثها غير حقيقى ولم يجعل المص قراءة خشعا ابصارهم مبنية على لغة
اكلونى البراغيث لعدم الاحتياج الى حملها على تلك اللغة لانه انما يحتاج الى الحمل عليها فيما
اذا كان المسند الى ظاهر الجمع فعلا او ما يشبه الفعل ويجرى مجرى مجراه وهو جمع السلامة مثل
قائمين غلمانهم وكريمين اباؤهم واما اذا كان المسند مما لا يشبه الفعل كجمع التكسير فجمع
مثل هذا المسند اولى من افراده ليطابق فاعله ولا محذور فى كونه مخالفا للفعل فى الحكم لانه
لا يشبه الفعل فلذلك حسن خشعا ابصارهم وقبح قاعدين غلمانهم ولم يقبح قعود غلمانهم
والظاهر ان قوله تعالى يخرجون من الاجداث استئناف لبيان عاقبة التولى عنهم ان كان يوم
يوم منصوبا بيخرجون ولبيان ما يكون فى ذلك اليوم ان كان منصوبا باذكر وقوله تعالى كانهم جراد
فى موضع الحال من فاعل يخرجون اى يخرجون مشبهين بالجراد وكذا مهطعين والاهطاع
الاسراع اى مسرعين الى جهة الداعى منقادين اذلاء وقيل هو الاسراع مع مد العنق
وقيل هو النظر الجوهرى هطع الرجل اذا اقبل ببصره على الشىء لا يقلع عنه يهطع هطوعا واهطع
اذا مد عنقه وصوب رأسه واهطع فى عدوه اى اسرع ثم انه تعالى شرع فى ذكر
بعض الانباء الذى فيه مزدجر فقال كذبت قبلهم قوم نوح **قوله** وهو تفصيل بعد اجمال يعنى

يعني ان قوله تعالى كذبت قبلهم لا يقدر له مفعول بل ينزل منزلة اللازم اي فعلوا فعل التكذيب و
التكذيب لا بد له من متعلق الا انه اجمل ثم فصل بقوله فكذبوا عبدنا فيكون الفاء فيه للتعقيب في الذكر
كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال قوله وقيل معناه اي قيل ان الفاء ليست لعطف تفصيل المجمل
على المجمل بل هي لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها في التحقيق والوجود وذلك بان يقصد
تعلق قوله كذبت قبلهم بالمفعول الا ان ذلك المفعول لم يذكر اما لقصد التعميم واما لكونه متعينا لدلالة
القرينة عليه والمعنى كذبوا نوحا تكذيبا اي كذبوه بعدما كذبوا جميع الرسل فان قوم
نوح كانوا مشركين يعبدون الاصنام ومن يعبد الصنم يكذب كل رسول وينكر الرسالة رأسا
ويقول لا تعلق للباري تعالى بالعالم السفلي واما امره الى الكواكب والاوضاع الفلكية فكان مذهبهم
تكذيب الرسل جميعا فلما بعث اليهم نوح عليه الصلوة والسلام كذبوه ايضا على مقتضى ما ذهبوا
اليه فتكذيبهم اياه تكذيب له عقب تكذيب الرسل وقولهم في حقه عليه الصلوة والسلام هو
مجنون مبالغة في تكذيبهم اياه حيث شبهوه بالمجنون زاعمين انه يقول ما لا يقبله العقل ويأباه
وليس مرادهم انه مجنون حقيقة لانه مكابرة محضة قوله وزجر يعني ان قوله تعالى وازدجر
افتعل بمعنى فعل كقوله ما فيه مزدجر فيكون قوله وازدجر من كلام الله تعالى اخبر عنه عليه الصلوة و
السلام بانه انتهر وزجر بالسب وانواع الاذية حيث قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المر
جومين ويؤيد هذا المعنى ترتب قوله فدعا ربه عليه بالفاء اي لما زجروه عن دعوتهم وعن تبليغ
رسالته اليهم دعا ربه باني غلبني قومي بالتكذيب وانواع الاذية على طول الزمان فانتقم لي ممن
كذبني وهو مبالغة وتمثيل يعني جعل الماء آلة لفتح ابواب السماء مبالغة في كثرة الماء هذا على
ان يكون الباء في قوله تعالى بماء منهمر للاستعانة كما في قولك فتحت بالمفتاح ويحتمل ان يكون للحال
اي فتحناها ملتبسة بهذا الماء والمنهمر الكثير النازل بقوة وتتابع حيث قيل انه لم ينقطع
اربعين يوما وجعل الكلام استعارة تمثيلية لان الظاهر ان السماء ليست لها ابواب تفتح
وتغلق حتى تنزل الامطار من تلك الابواب بل هي انما تنزل من السحاب الا انه شبه نزولها
من السحاب بكثرة وشدة بنزولها من السماء بان غلبت على ابوابها وانصبت منها ولم يتأت
للابواب ان يسدها وقيل كل واحد من الابواب والسماء وفتحها حقيقة اذ لا بعد في ان يكون
للسماء ابواب تفتح وتغلق حتى روي عن علي رضي الله عنه ان ابواب السماء هي المجرة ولا بعد ايضا في
ان ينزل المطر من تلك الابواب قوله غير للمبالغة اي غير العيون عن المفعولية الى التمييز
للمبالغة لان قولنا فجرنا عيون الارض معناه فجرنا وسيلنا ما فيها من العيون ولا مبالغة
فيه بخلاف قولنا فجرنا الارض عيونا فان معناه فجرنا اجزاء الارض كلها بجعلها عيون الماء ولا

ولا شك في انه ابلغ ولما كان الماء اسم جنس صح ان يقال فالتقى الماء بدل فالتقى ماء السماء وماء الارض
والظاهر ان قوله تعالى على امر حال من الماء اي فالتقى مياه السماء والارض كائنة على المقدار الذي
قدر الله تعالى في الازل ان يكون عليه اي التقيا كائنا كل واحد منهما على مقدار الآخر مساويا
له كما قال مقاتل قدر الله تعالى ان يكون الماءان سواء وكانا على ما قدر او فالتقى الماء مستوليا
على ما قدره الله تعالى من هلاك قوم نوح قوله جمع دسار مثل كتاب وكتب ولما ان الكتاب بمعنى
المكتوب فكذا الدسار بمعنى المدسور فان المسمار يدفع دفعا شديدا اقيمت مقامها من
حيث انها كالشرح يعني ان قوله تعالى ذات الواح ودسر لما كانت صفة كاشفة للسفينة لما
بينها لكونها مركبة من الواح ودسر حسن اقامته مقام السفينة فان تقدير الكلام وحملناه
على سفينة ذات الواح ودسر فحذف الموصوف وقوله تجري في محل الجر على انه صفة ذات الواح
وباعيننا في موضع النصب على انه حال من المنوي في تجري اي بمرأى منا محفوظة بحفظنا قوله
اي فعلنا ذلك الاشارة الى الافعال المذكورة بقوله ففتحنا وفجرنا وحملنا اي فعلنا ذلك كله جزاء
للمكفور وهو نوح عليه الصلوة والسلام فان الانجاء والاهلاك مكتوب جزاء له على ما تحمله من
اذيتهم هذا على ان يكون المراد بالكفر ما هو ضد الشكر وهو جحود النعمة فان الكفر بهذا المعنى
يتعدى بنفسه يقال كفره كفورا وكفرانا ويجوز ان يراد به ما هو ضد الايمان ويكون التقدير لمن
كان كفر به فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير فان الكفر الذي هو ضد الايمان يتعدى بالباء
قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله والجمهور على انه كفر بضم الكاف وكسر الفاء على
بناء المفعول وقرئ كفر على بناء الفاعل والمراد بمن كفر قوم نوح قوله اي السفينة
الموصوفة بقوله ذات الواح ودسر ثم قيل المراد تركها عينها على الجودي من ارض الجزيرة و
قيل بارض الهند وقيل المراد ترك مثلها في الناس فانهم لم يعرفوا قبل ذلك اتخاذ السفن فلما
رأوا تلك السفينة صنعوا امثالها فكانت آية باقية وعبرة باهرة تدل على كمال قدرة الله تعالى
وحكمته وعظم فضله لعباده عن قتادة انه قال ابقى الله تعالى سفينة نوح على الجودي حتى ادركها
اوائل هذه الامة وعن ابن عباس رضي الله عنه قال الامام ابو الليث قوله تعالى ولقد تركناها آية يعني
سفينة نوح ابقيناها عبرة للخلق قال بعضهم يعني تلك السفينة بعينها كانت باقية على الجبل
الى قريب من خروج النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم يعني جنس السفينة صارت عبرة
لان الناس لم يعرفوا قبل ذلك سفينة فاتخذ الناس السفن بعد ذلك في البحر فلذلك كانت
آية للناس الى هنا كلامه قوله او الفعلة وهي انجاء نوح ومن آمن به من اصحاب السفينة
من الكرب العظيم وتدمير آخرين بعذاب اليم قوله من معتبر يعتبر بما صنع الله تعالى بقوم نوح

فتراء المعصية ويختار الطاعة والانابة ثم انه عليه الصلوة والسلام لما تبين انه اجاب
دعوة نوح بان فتح ابواب السماء بالماء المنهمر وفجر الارض عيونا وانه حمل من دعاه على السفينة
علم منه انه تعالى عذب قومه باسرهم بان اغرقهم اجمعين فقال استعظاما لذلك وابعادا للكفار
مكة فكيف كان عذابي الذي عذبتهم به وكيف كان عاقبة انذاري وعنادهم والنذر يحتمل ان
يكون مصدرا كالانذار كما حكي عن الفراء انه قال يقول العرب انذرت انذارا ونذرا كقولهم
انفقت انفاقا ونفقة وايقنت ايقانا ويقينا ويحتمل ان يكون جمع نذير الذي بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار
فالمعنى فكيف كان عاقبة انذاراتي لهم العذاب الم اعذبهم مرة واحدة بعدما تتابعت
وتواترت عليهم انذاراتي التي هي اثار رحمتي قوله باردا على ان يكون الصرصر ماخوذا
من الصر بكسر الصاد وهو برد يضر بالنبات والحرث وفي الصحاح ريح صرصر اي باردة و
يقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله
كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف وعن المبرد ان الصرصر الريح الشديدة الصوت من
صر الباب او القلم اذا صوت وقيل الصرصر الدائمة الهبوب من اصر على الشيء اذا دام
وثبت قوله في يوم نحس العامة على اضافة يوم الى نحس بسكون الحاء وهو عند الكوفيين
من قبيل اضافة الموصوف الى صفته فانهم يجوزون ذلك خلافا للبصريين فانهم لا يجوزونها
الا بتاويل حذف الموصوف من المضاف اليه فيقولون في مسجد الجامع مثلا تاويله مسجد الوقت
الجامع وتاويل الاية في يوم عذاب نحس ويجعلون المضاف اليه صفة لموصوف محذوف وبتنوين يوم ووصفه
بنحس كقوله تعالى في ايام نحسات جعل الاستمرار او بمعنى الدوام وجعل الدوام صفة لنحس اذ لا معنى لاستمرار
اليوم بخلاف نحوسة اليوم فانه يجوز استمرارها اياما ثم اشار الى جواز كون الدوام صفة لليوم بان
اليوم بمعنى الوقت مطلقا كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلوة والسلام على يوم ولدت ويوم اموت
حيث قال او استمر عليهم حتى اهلكهم ويجوز ان يكون المراد به ان ذلك اليوم استحكم عليهم واشتد حتى اهلكهم
على ان يكون الاستمرار من المرة وقوله او على جميعهم على ان يكون من المرور قال تعالى في سورة الحاقة واما
عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعة وهي كانت
العجوز من صبيحة اربعاء اخر الشهر الى وقت غروب الشمس في الاربعاء الاخر وتشاءم بعض الناس
بالاربعاء التي يكون في اخر الشهر بناء على انه تعالى وصفها بيوم نحس مستمر ولا وجه له لان المراد انه نحس
على المفسدين بمشيئة الله تعالى ولم يظهر نحوسته في حق هود ومن امن به ولا في حق سائر المفسدين والشعاب
جمع شعب وهو ما انفرج بين الجبلين قوله تنزع الناس صفة لقوله ريحا صرصرا ويجوز ان يكون
حالا منها لكونها موصوفة قوله كانهم حال من الناس اي نازعة للناس مشبهين باعجاز نخل وهي اصولها

التي

التي قلعت فروعها لان الريح كانت تبين رؤسهم من اجسادهم فتبقى اجسادهم بلا رؤس و
المنقعر المنقلع عن اصله وقعر الشيء اصله يقال قعرت النخلة اي قلعتها من اصلها فانقعرت اي
انقلعت والنخل جمع نخلة وتذكيره حيث قيل في صفته منقعر باعتبار لفظه وتانيثه في قوله تعالى اعجاز
نخل خاوية باعتبار معناه وقيل لرعاية الفواصل والمعنى تنزعهم الريح نزعا بعنف كانهم اعجاز نخل
تنقعر بهم فينقعرون وفيه اشارة الى قوتهم وثباتهم في الارض لجسامتهم فكانهم لعظم اجسامهم و
كمال قوتهم يقصدون المقاومة على الريح ثم ان الريح لما صرعتهم والقتهم على الارض فكانها قلعت
اعجاز نخل منقعر قوله بالانذارات والمواعظ الاول على ان يكون النذر مصدرا كالانذار والثاني
على ان يكون جمع نذير بمعنى الانذار والموعظة كالنكير بمعنى الانكار والثالث على ان يكون جمع نذير
بمعنى المنذر وجعلهم مكذبين للرسل مع انهم كذبوا رسولهم صالحا عليه الصلوة والسلام لان تكذيبه
فيما جاء به تكذيب للرسل جميعا في الحقيقة لانهم متفقون في اصول الدين قوله والاول اوجه لان
الاستفهام اولى به منصوبا على الاشتغال بمعنى انتبع بشرا ما نتبعه اوجه لانه حينئذ يكون اداة الاستفهام
داخلة على الفعل على الاصل قوله منا صفة لبشرا وكذا واحدا صفة بعد صفة ولك ان تجعل واحدا
حالا من بشرا لكونه موصوفا قوله كانهم عكسوا الخ يعني كان صالح عليه الصلوة والسلام يقول لهم
ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق في الدنيا وفي نيران هائلة في العقبى وهي المراد بالسعر الذي
هو جمع سعير وهو النار فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول قوله من بيننا حال
من الهاء في عليه اي خصص بالرسالة والوحي منفردا من ال ثمود وفيهم من هو اكثر مالا واحسن
حالا والاستفهام للانكار والاشر صفة مشبهة مثل فرح وفعله اشر ياشر اشرا فهو اشر من
باب علم قوله وقرا ابن عامر وحمزة ستعلمون بتاء الخطاب وفيه وجهان احدهما انه حكاية
قول صالح لقومه والثاني انه خطاب الله تعالى وكلامه لهم على سبيل الالتفات من الغيبة في قوله
فقالوا وقرا الباقون بياء الغيبة على وفق قوله فقالوا والجمهور على كسر الشين وتخفيف الراء
نحو قوله من الكذاب الاشر وقرئ الاشر بضم الشين وتخفيف الراء وهما لغتان بمعنى مثل يقظ
ويقظ وحذر وحذر وقرئ ايضا الاشر بفتح الشين وتشديد الراء وهو افعل تفضيل من
الشر اصله اشرر كما ان خيرا اصله اخير حذفت همزة افعل منهما لكثرة الاستعمال ثم ان ثمود لما كذبوا
تعنتوا عليه فسالوه ان يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء وهي الناقة التي اتت عليها
من يوم ارسل فيها الفحل عشرة اشهر وزال اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع فقال
تعالى انا مرسلوا الناقة اي باعثوها من الهضبة كما اقترحوا وقوله فتنة لهم مفعول له فان تحقيق
ما اقترحه القوم شبه الامتحان حيث يظهر به للخلق ويتميز من يتبع الهدى والبينة ممن يتبع

فكانهم بحسب قوتهم وجسامتهم يجعلون ارجلهم غائرة نافذة في الارض ويقصدون به المقاومة على الريح صح

وهي الجبل المنبسط على وجه الارض صح

المأوى ممن اصر على الضلال بعد ما شاهد ما اقترحه يحل عليه عذاب عظيم فان سنة الله تعالى جرت
كذلك كما قال فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه احدا من العالمين قوله قسمة بينهم اى
مقسوم او ذو قسمة بين ثمود والناقة غلب العقلاء على غيرهم في الضمير قوله لها يوم ولهم يوم
اشارة الى ان كون الماء الذي يشربونه مقسوما بين القوم والناقة ليس معناه ان يجعل الماء
قسمين قسم لها وقسم لهم بل المراد ان يجعل الشرب بينهم على طريق المناوبة بان يحضره القوم
يوما وتحضره الناقة يوما قوله يحضره صاحبه اشارة الى ان احضر واحتضر بمعنى والظاهر
ان قوله او يحضر عنه بمعنى او يمنع عنه الا ان استعمال الحضر بالضاد في معنى المنع ليس بمعهود و
الذي بمعنى المنع هو الحظر بالظاء والفاء في قوله فنادوا صاحبهم فصيحة تفصح ان يكون في الكلام
محذوف تقديره فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم
فان الناقة مع فصيلها تمشي في الصيف في مصيف مواشيهم فتهرب المواشي عنهما فتبقى في مو
ضعها الذي تمشي بها اوان الشتاء فكذا تمشيان وقت الشتاء في مشتى المواشي فتهرب المواشي
منهما فتبقى في المضيق فغلب عليهم الشقاوة فاجمعوا على قتلها فقال بعضهم لبعض ايكم يكمن
للناقة حيث تمر اذا صدرت عن الماء فتحاماها القوم وكمن لها قدار بن سالف ليقتلها و
صاح به بقية الرهط اى فشجعوه على صدورها ومجيئها وقربها من مكمنه ودعوه الى قتلها و
شجعوه عليه فتعاطى اى فاجترأ على تعاطي اى فاجترأ على تعاطي قتلها والاقدام عليه فان
التعاطي عبارة عن الاقدام على الفعل العظيم وتحقيقه ان الفعل العظيم يتبرأ منه كل احد ويعطيه صاحبه
او فتعاطى آلة العقر فعقرها قيل كمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة ثم نحرها وانبعث
تسمى الجزار قدار واشتهر انه بقدار بن سالف مشؤم آل ثمود والعقر الجرح ثم استعير للقتل واحيمر
تصغير احمر صغر تحقيرا له وكان قدار احمر اشقر ازرق ولما استعظم الله تعالى عذابهم بين
ذلك العذاب بقوله انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه الصلوة والسلام والعامة
على كسر الظاء من المحتظر على انه اسم فاعل وهو الذي يتخذ حظيرة من الحطب وغيره والهشيم
حطام الشجر والنبت اليابس ومن اتخذ لغنمه حظيرة تقيها عن برد الريح يتخذها من دقاق
الشجر وضعيف النبات فاذا طال عليها الزمان بلي وتكسر وصار هشيما وقرئ كهشيم المحتظر بفتح
الظاء اما على انه اسم مفعول بمعنى المتخذ حظيرة وهو نفس الحظيرة فالمعنى كهشيم الحظيرة التي
تمنع بها المواشي عن البرد والريح او على انه مصدر ميمي بمعنى الاحتظار ويسمى الشجر المتخذ
للحظيرة احتظارا لكونها مادة للاحتظار او اسم مكان اطلق عليه مادة الاحتظار باعتبار

باعتبار تنوعها المكانية فيها قوله ريحا تحصبهم اشارة الى ان الحاصب اسم فاعل حذف موصوفه
وهو الريح وتذكيره مع كونه مسندا الى ضمير الريح وهي مؤنث سماعي لكونها في تأويل العذاب و
قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة وكذا قول الملائكة لنرسل عليهم حجارة يدلان على ان الذي ارسل
عليهم نفس الحجارة لا التي تحصبها الا انه قيل ههنا وارسلنا عليهم ريحا حاصبا للدلالة على ان
امطار الحجارة وارسالها عليهم كان بواسطة ارسال الريح الحاصبة بالحجارة والاستثناء في قوله
الا آل لوط منقطع لانه مستثنى من الضمير في عليهم وهو ضمير القوم المذكور بقوله كذبت قوم لوط
ولا يدخل فيهم آل لوط لان المراد به من تبعه على دينه ونون سحر لان المراد بيان ان وقت
التنجية سحر من الاسحار ولو اريد سحر يوم بعينه لقيل نجيناهم بالسحر واسناد التنجية اليه باعتبار
كونه سببا آمر اله بان يخرج بهم بقطع من الليل فخرج فيه فجاء العذاب قومه وقت السحر
والسحر سحران الاعلى وهو قبيل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه والباء في قوله بسحر يجوز
ان يكون بمعنى في وان يكون للحال اى ملتبسين بسحر او مسحرين اى داخلين وقت السحر قوله
فتماروا انما عدوا من المرية اى تشاركوا في الشك فيما انذرهم وكذبوه وقالوا كيف يقدر على اهلاكنا
وحده وعدي تماروا بالباء واصله ان يعدى بفي لتضمنه معنى التكذيب فكانه قيل فكذبوا بالنذر
متشاركين والمراودة الطلب والارادة اى طلبوا منه وارادوا ان يسلم اليهم اضيافه ويخلي
بينهم وبينهم فطمسنا اعينهم وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عليه الصلوة والسلام وعالجوا
الباب ليدخلوها قالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك
فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه باذن الله فتركهم عميا بحيث صارت اعينهم كسائر الوجه
لا يرى لها شق هذا قول اكثر المفسرين وقيل طمس الاعين عبارة عن مجرد انهم لم يروا الرسل
وقالوا قد رايناهم حين دخلوا البيت فاين ذهبوا فلم يروهم فرجعوا اغراء العامة بكرة في
لكونها نكرة فلا وجه لمنع صرفه وقرئ غير منون على ان يراد بها بكرة نهار معين لا بكرة من البكر
فامتنع صرفه للتأنيث والتعريف وقرأ العامة ام تقولون بياء الغيبة على الالتفات قوله
وهو من دلائل النبوة لان الاية نزلت بمكة واخبر بانهم سيهزمون في الحرب بمكان كما قال ولا
طريق الى علم الغيب الا الوحي فعلم ان الاية وحي الهي قوله لم اعلم ما هو اى لم اعلم اى جمع يهزم
اجمعنا ام جمع الكفار روي عن ابن عباس رضي قال كان بين نزول هذه الاية وبين يوم بدر
سبع سنين قوله ممتنع لا نرام اى لا نزال عن موضعنا يقال رامه يريمه ريما اى برحه وزال
عنه وصار الى البراح وهو المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر وان ابا جهل كان يطعم
كل يوم فرسا له من ذرة وكان يحلف باللات والعزى ليقتلن عليه محمدا فركبه بدرا وجعل

يطارد ويقول نحن اليوم جميع منتصر ممن عاد انا فقتل على يد ابن مسعود رض قوله بل الساعة
اي ذكر هزيمتهم في الدنيا قوله يوم يسحبون يجوز ان يكون ظرفا لقوله المقدر بعده اي يقال لهم
في ذلك اليوم ذوقوا مس سقر قوله فان مسها سبب للتألم بها علة لتفسير مس سقر بحر
النار والمها يعني ان مس النار لما كان سببا للتألم بها صح ان يعبر بالمس عن التألم والاحتراق
مجازا مرسلا روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال قوله تعالى ان المجرمين في ضلال الى قوله مس
نزل في حق القدرية وعنه ايضا انه قال اذا جمع الله الخلايق يوم القيمة امر مناديا فنادى نداء
يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فيقوم القدرية فيامر بهم الى النار يقول الله تعالى ذوقوا
مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر وانما سموا خصماء الله لانهم يقولون لا يكتب الله تعالى علينا
المعاصي ولا يقضي ولا يقدر ثم يعذبنا بهذا مما لا يكون ابدا وعنه عليه الصلوة والسلام قال مجوس هذه
الامة القدرية وهم المجرمون الذين سماهم الله تعالى في قوله ان المجرمين في ضلال وسعر وكثرت الا
حاديث في حق القدرية وهم الذين ينكرون القدر وينسبون الحوادث كلها الى الاوضاع الفلكية
واتصالات الكواكب ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة رض انه قال جاء مشركوا قريش يخا
صمون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فانزل الله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر الى قوله خلقناه
بقدر رواه مسلم في صحيحه فان مذهبهم ذلك واعلم ان المسلمين في مسئلة القدر على طوائف فطائفة
يقولون ان كل ما يجري في العالم من الخير والشر والافعال والاقوال بقضاء الله تعالى وقدره لا اختيار
للعبد فيه وتسمى هذه الطائفة جبرية بسكون الباء وفتحها ومعنى الجبر القهر والاكراه و
يقولون اجبر الله تعالى عباده على افعالهم واقوالهم بغير اختيارهم فيها واضافة الفعل
اليهم كما يقال جرى النهر ودارت الرحى ومن ذهب الى هذا القول لاسقاط التكليف عنه
فقد كفر بهذا القول لانه يفضي الى ابطال الكتب والرسل لانه اذا لم يكن للعباد اختيار لم يكونوا
مكلفين فلم يبق لانزال الكتب وبعثة الرسل فائدة وان قالوا هذا القول لا عن اعتقاد
بل قالوه لتعظيم الله تعالى وتحقير انفسهم واظهار عجزهم عن دفع قضاء الله تعالى لا يكفرون به لكن
يصيرون مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع في الاعتقاد والطائفة الثانية القدرية
بفتح الدال وسكونها وهم يقولون كل ما يصدر من العباد عقيب قصدهم على وفق ارادتهم يكون
واقعا بقدرتهم ودواعيهم ولا يتعلق بها بخصوصها قدرة الله تعالى وارادته وانما نسبوا الى القدر
لان بدعتهم نشأت من قولهم في القدر بنفيه لا لاثباته وهذه الطائفة قد نفوا هذه التسمية
عنهم وقالوا ان مذهب القدر هو مذهب الجبر لانهم قالوا افعال العباد بتقدير الله تعالى وخلقه لانهم
لانهم اسندوا الفعل الى التقدير وقيل ان هذا المذهب باطل ايضا لانهم ان قالوا هذا القول عن

عن اعتقاد جريان العجز وجوازه على الله تعالى صاروا بهذا القول كافرين وان قالوه لا عن
اعتقاد ذلك بل عن خطأ ظنونهم واجتهادهم ولتنزيه الله تعالى عن افعالهم القبيحة فليسوا
بكافرين بهذا القول ولكن كانوا مبتدعين فاسقين لانهم خالفوا الاجماع وفيه مذهب
آخر وهو ان المؤثر مجموع قدرة الله وقدرة العبد وهذا المذهب وسط بين الجبر والقدر
وقيل هو اقرب الى الحق منهما لكونه مطابقا للنقل وموافقا لكتاب الله تعالى وكلام رسوله ولما
نقل عن الراسخين في العلم انه لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين وهذا القول منقول
عن جعفر الصادق كذا في شرح المصابيح للامام الخلخالي كل فرقة في خلق الاعمال يذهب
الى ان القدري خصمه فالجبري يقول القدري من يقول الطاعة والمعصية ليستا بخلق الله تعالى و
قدره فهم قدرية لانهم ينكرون القدر والمعتزلي يقول القدري الذي يجعل حسن بزر في العبد
ويسوق الله تعالى قدر ذلك فهو قدري لاثبات القدر حيث قال كل واحد من الخير والشر بقدر
الله تعالى لا اختيار للعبد فيه فالفريقان متفقان على ان الشيء القائل بان الافعال بخلق الله
تعالى وكسب من العبد ليس بقدري والحق ان القدري هو الذي ينكر القدر واسناد نسب
الحوادث الى الاوضاع الفلكية واتصالات الكواكب كما ذهب اليه كفار قريش فانهم ما كانوا
يقولون مثل ما يقوله المعتزلة من ان الله تعالى خلق لي سلامة الاعضاء وقوة الادراك و
مكنني من الطاعة والمعصية وهو قادر على ان يخلق في الطاعة الجاء وكذا في المعصية الجاء
وعلى ان يطعم الفقير الذي اطعمه انا بفضل الله تعالى واقداره اياي عليه بل كانوا يقولون
انطعم من لو يشاء الله اطعمه منكرين لقدرة الله تعالى على الاطعام قوله انا خلقنا كل شيء
مقدرا اشارة الى ان قوله تعالى بقدر حال من كل شيء وانه بمعنى التقدير ثم ان التقدير اما انه يحمل
على تسوية صورته وشكله وصفاته الظاهرة والباطنة على مقدار مخصوص اقتضته
الحكمة وترتب عليه المنفعة المنوطة بخلقه كما في قوله تعالى وخلق كل شيء فقدره تقديرا اما يحمل
جميع ما فيه من الاوضاع والاشكال موافقا لمقتضى الحكمة واما ان يحمل على تقديره في علمه الازلي و
كتبته في اللوح المحفوظ وهو القدر الذي يذكر في جنب القضاء قال المص في شرح المصابيح القضاء
هو الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية للموجودات على ترتيب خاص والقدر تعلق تلك
الارادة بالاشياء في اوقاتها انتهى كلامه فقوله تعالى بقدر اي بتقدير وقضاء سبق من الله تعالى قوله
فعلى هذا فالاولى ان يحمل خلقناه خبر الانا يعني ان الجمهور على نصب كل على الاشتغال و
يتعين ان يكون خلقناه خبرا لان وتفسيرا لخلقنا المضمر الناصب لكل فالتقدير خلقنا كل شيء خلقناه
بقدر ولا يجوز ان خلقناه صفة لشيء لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف لا يكون تفسيرا لما

بعمل فيما قبلها ايضا فاذا لم يجز كون خلقناه صفة تعين كونه تاكيدا او تفسيرا للمضمر الناصب بخلاف
ما اذا رفع كل شيء على الابتداء لانه يجوز ان يكون خلقناه صفة لكل او شيء ويقدر خبرا فيكون
المعنى كل شيء موصوف بكونه مخلوقا لنا ثابت بقدر وقضاء سابق من الله تعالى والمفهوم منه ان
الموجودات ما هو مخلوق لغير الله تعالى وانه ليس بقدر كما يقوله المعتزلة ويجوز ان يكون خلقناه خبرا الا
انه احتمل ان يكون قراءة الرفع موافقا لقراءة النصب في الدلالة على ان الاشياء كلها مخلوق لله تعالى
بقدر كما هو مذهب اهل السنة **قوله** ولعل اختيار النصب ههنا جواب عما يقال كيف اختار الجمهور
قراءة النصب مع ان التركيب من قبيل قولك زيدا ضربته والمختار فيه الرفع لان النصب محتاج الى
حذف العامل واضماره والاصل عدمهما بخلاف الرفع فانه بعامل معنوي لا يتلفظ حتى يقال احذف
او اضمر وتقرير الجواب انه على قراءة النصب يكون كل شيء باقيا على عمومه حيث لم يوصف ولم يخصص
بالصفة فيكون الكلام نصا في الدلالة على المقصود وهو كون الاشياء باسرها مخلوقة لله تعالى بقدر
بخلاف قراءة الرفع فان قوله خلقناه وان جاز كونه خبرا فيكون الكلام دليلا على ما هو المقصود
الا انه يجوز كونه نعتا لا خبرا فلا يفيد الكلام ما هو المقصود فاختير قراءة النصب لما فيها من
النصوصية على المقصود والمشهور ان قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر متعلق بما قبله كانه قيل
ذوقوا مس سقر فان كل شيء خلقناه بقدر ويجوز ان يكون متعلقا بجميع ما ذكر في السورة
من اهلاك الاشرار وانجاء الاخيار ووعيد اهل مكة من المشركين ووعد المؤمنين ثم بين ان
خلق الكائنات اهون شيء عليه وايسر فقال وما امرنا الا واحدة والواو كلمح بالبصر يعني الا
كلمح البصر يعني قضائي وخلقي ايسر واسرع من لمح البصر والمقصود تهديد المشركين بالاهلاك
فلذلك عقبه بقوله ولقد اهلكنا اشياعكم ثم بين ان عقوبة الاشياع المهلكين لم تتم باهلاكهم
الدنيا بل ينضم اليها عقاب الاخرة فقال وكل شيء فعلوه يعني الاشياع قبلكم في الزبر اي مكتوب
في دواوين الحفظة على ان الزبر جمع زبور وهو فعول بمعنى مفعول من زبره اذا كتبه وتنكير
جنات للتعظيم اي في جنات لا يوصف نعيمها وما اعد فيها لاهلها وقراءة الجمهور ونهر بفتحتين على
الاصل وقرئ بسكون الهاء للتخفيف وكلاهما واحد الانهار اكتفي بلفظ الواحد لكونه اسم جنس
يتناول الانهار وهو المراد ههنا بدليل ذكره بعقب جنات كانه قيل في جنات وانهار من الماء والخمر
واللبن والعسل والظاهر ان معنى في جنات عندانهار لان الانسان انما يتلذذ بالانهار بان يكون
عندها لا بان يكون فيها فالمعنى في خلال الانهار وفيما بينها من الامكنة وكذا قوله تعالى ان المتقين في
جنات وعيون معناه في خلال العيون **قوله** او سعة عطف على قوله انهار يعني ان النهر قد يستعمل
في نهر الماء ويستعمل ايضا بمعنى السعة يقال انهرت الطعنة اي وسعتها واستنهر الشيء اي اتسع
ويسمى

ويسمى النهار نهارا لسعة ضيائه قال الضحاك ليس المراد بالنهر ههنا نهر الماء وانما المراد سعة
الارزاق لان المادة تساعد هذا المعنى ويجوز ان يكون النهر بمعنى الضياء المتسع على انه من النهار
ومن قرأ نهر بضمتين جعله جمع نهر بفتحتين كاسد واسد وجمع نهر بالفتح والسكون كرهن ورهن
وسقف وسقف **قوله** في مكان مرضي اشارة الى ان مقعد صدق من باب رجل صدق في انه
اضافة الموصوف الى الصفة وان الصدق بمعنى الجودة والخيرية وقوله تعالى في مقعد صدق يجوز
ان يكون خبرا ثانيا وهو الظاهر وان يكون حالا من المنوي في قوله في جنات لوقوعه خبرا وجوز
ابو البقاء ان يكون بدلا من قوله في جنات بدل البعض لان المقعد بعضها او بدل الاشتمال لانها مشتملة
والاول الاظهر والمراد من العندية قرب المنزلة والمكانة دون قرب المكان والمليك ابلغ من المالك
والتنكير فيه وفي مقتدر للتعظيم اشار اليه المص بقوله عند من تعالى امره **قوله** في كل غبار من
اعتاد ان يقراها يوما ويتركها يوما تم هنا بحمد الله تعالى ترجمة ما يتعلق بسورة القمر فلنبدا الان في
اسرار **سورة الرحمن وهي مكية** عند ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم مدنية عند مقاتل بن
حيان والواقدي وقيل مكية الا آية وهي قوله يسأله من في السموات والارض الآية فانها مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** الرحمن مبتدا والجمل الثلث بعدها
اخبار مترادفة وعلم يتعدى الى مفعولين وحذف مفعوله الاول في الآية والتقدير علم جبريل
القران وقيل علم محمدا عليه الصلوة والسلام وقيل علم الانسان القران وهذا اولى لان المقصود
تعداد ما انعم به على نوع الانسان مطلقا حثا على شكرها وتنبيها على تقصيرهم فيه ولان قوله
عقيبه خلق الانسان علمه البيان يدل عليه **قوله** مصدق لنفسه باعجازه ومصداق لسائر
الكتب السماوية باشتماله على خلاصتها **قوله** صدرها بالرحمن جواب لما وجب ان يكون مسببا
عما قبلها فان الرحمن لما كان ابلغ من الرحيم باعتبار الكيفية اي باعتبار ان الرحمة المدلول
عليها بلفظ الرحمن هي جلائل النعم بخلاف الرحمة المدلول عليها بلفظ الرحيم فان المراد بها
ما دون جلائل النعم فلذلك يقال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية
كلها جسام فلا يقال له تعالى باعتبار تلك النعم رحيم بخلاف النعم الدنيوية فان منها ما هي جليلة
ومنها ما دون ذلك فيوصف تعالى باعتبار تلك النعم بانه رحمن كما يوصف به باعتبار النعم الاخروية
فصح ان يجعل قوله صدرها بالرحمن مرتبا على كون السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية
والاخروية **قوله** وقدم ما هو اصل النعم ليس معطوفا على قوله صدرها بل هو جواب عما يقال كيف
قدم تعليم القران للانسان على خلقه مع انه متاخر عن خلقه بحسب الوجود فاجاب عنه
بانه قدم تعليم القران ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق الانسان الى معنى
البشر

ان تعليم القران وان كان متأخرا عن خلق الانسان الا انه قدم عليه ايماء الى ان خلق
الانسان ليس مقصودا لذاته بل المقصود الاصلي من خلقه والحكمة الداعية اليه هي تكميله
بحسب قوته النظرية العلمية بمعرفة مبدئه ومعاده وان يتحلى بعبادة ربه وذلك انما يكون
بتلقي الوحي وتعرف ما يستنبط من علومه فلما كان تعليم القران وتعرف احكامه هو المقصود
الاصلي والحكمة الداعية الى خلق الانسان استحق ان يتقدم عليه لان الاهم اقدم فلذلك قدم
تعليم القران على خلق الانسان وقدم خلقه على تعليم البيان لكون التعليم متفرعا على الخلق ضرورة
ان الكمالات كلها من توابع اصل الوجود ثم ذكر بعده تعليم البيان لكون تعليمه في حكم اصل الخلق من
حيث ان المقصود منه ايضا تعلم القران واحكام الشرع لانه لولا البيان لما تمكن من تعلم القران
وتعليمه قوله بلجيئها على نهج التعداد فان المقام مقام تعداد النعم والحث على شكرها والتنبيه
على تقصير الانسان فيه وذلك يقتضي ايرادها على وجه التعديد اذ به يظهر ان كل واحدة منها //
مستقلة في الاعتداد بها واعتناء بشأنها منفردة عن النعم الباقية ولو جيء بالعاطف صارت
الكل كالنعمة الواحدة وفاتت هذه الفائدة قوله بحسبان بحساب اشارة الى قوله الشمس
مبتداء والقمر عطف عليه والخبر محذوف يتعلق به قوله بحسبان وان الحسبان مصدر
بمعنى الحساب كالشكران والغفران والرجحان وقيل الحسبان جمع حساب كشهاب
وشهبان وكل واحد منهما يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها فالشمس تقطع بروج
السماء في ثلثمائة وخمسة وستين يوما والقمر يقطعها في ثمانية وعشرين يوما ثم انه تعالى لما ذكر نعمة
ايجاد نفس الانسان الذي هو اصل جميع النعم وانعامه عليه بتعليم البيان ذكر نعمتين عظيمتين
سماويتين تترتب على نفس وجودهما وعلى كون حركتهما على حساب معلوم وقانون مقدر فوائد
لا تحصى ثم ذكر في مقابلتهما نعمتين ارضيتين وهما النجم والشجر وكلاهما من قبيل النبات الذي هو
اصل الرزق من الحبوب والثمار وحشيش الدواب والنجم كل نبات ينجم من الارض ولا ساق له
والشجر نبات يبقى ساقه في الشتاء قوله يسجدان من قبيل الاستعارة التبعية شبه
انقيادهما طبعا بانقياد المكلفين طوعا اي قصدا واختيارا وهو المسمى بالسجود عند اهل اللغة
فسمي المشبه باسم المشبه به قوله وكان حق النظم في الجملتين مثل الجمل السابقة واللاحقة في انهما
اخبار مترادفة للرحمن مثل تلك الجمل ومن حق الخبر اذا كان جملة اشتماله على الضمير الراجع الى
المبتداء كما في تلك الجمل الا انها جردتا عن الضمير الرابط اعتمادا على وضوح المراد فانه من المعلوم
ان الحسبان حسابه الذي قدره لهما وان المسجود له هو الرحمن ولا يذهب الوهم الى احتمال
آخر قوله خلقها مرفوعة محلا يعني ان المراد برفع السماء خلقها رفيعة القدر والمرتبة وقيل رفعها
على

على الارض وعطف المرتبة على المحل بالواو دليل على انه لم يرد بالمحل مكان الحلول بل اراد به القدر
والمنزلة المعنوية والاولى ان يعطف المرتبة عليه بكلمة او احترازا عن الجمع بين الحقيقة
والمجاز فان لفظ الرفع حقيقة في رفع الشيء مكانا عليا مجاز في رفع مرتبته وقدره الا ان يقال الجمع
بين الحقيقة والمجاز جائز عند الائمة الشافعية فالمصنف بنى العطف بالواو على مذهبه قوله
وادخال العاطف بينهما لما بين ان الجمل الثلث الاول اخليت عن العاطف لكون المقصود منها تبكيت
من انكر الرحمن والآئه بتعديد نعمه عليه واحدا بعد واحد وذلك يقتضي الاخلاء عن العاطف حتى
يعلم ان كل واحدة منها نعمة مستقلة مع قطع النظر عن النعم الباقية بين انه ادخل العاطف
بين الجملة الرابعة والخامسة جريا على ما يقتضيه ظاهر الحال فانه قد تقرر في علم المعاني اذا اتت
جملة بعد جملة اخرى وكان للاولى محل من الاعراب فان قصد تشريك الثانية للاولى في حكم
اعراب الاولى عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك المذكور ثم ان كان العطف بالواو
وجب ان يكون بين الجملتين جهة جامعة نحو زيد يكتب ويشعر او يعطي ويمنع لما بين المنع
والاعطاء من التضاد والجهة الجامعة بين الجملتين في الاية ان جري الشمس والقمر بحسبان النجم والشجر ط
من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود الشمس والقمر وانقيادهما طبعا لكون الجميع
من قبيل الانقياد لامر الله تعالى وحاصلا بتقديره وتدبيره في ملكه قوله العدل او ما تعرف
به مقادير الاشياء اي يجوز ان يراد بالميزان العدل الموجب لاستقامة امور العباد فانه اذا
وفر على كل ذي حق حقه وفي كل متعهد ما يستحقه استراح الخلق وانتظم امر العالم فيكون
وضع الميزان عبارة عن الامر بالعدل والجملة الخبرية موضوعة موضع الطلبية وكذا ان
اريد بالميزان آلة الوزن اي امر باستعمال ما يعرف به مقادير الاشياء عند الاخذ والاعطاء
لئلا تبخسوا الناس اشياءهم قوله كانه لما وصف السماء الخ اشارة الى بيان التناسب
بين قوله والسماء رفعها وبين قوله ووضع الميزان حتى يظهر وجه حسن تخلل العاطف بينهما
وذلك ان السماء والارض متناسبان من جهة التقابل وكذا وضع الميزان في الارض بأي
معنى كان مناسب لخلق السماء رفيعة القدر والرتبة من حيث ان كل واحد من الوصفين
يوجب شرف المحل لما وصف السماء بما هو صفة مدح لها وصف الارض بما فيها مما ينوط به //
مصالح اهلها قوله ان لا تطغوا يعني ان كلمة ان هي الناصبة ولا بعدها نافية وتطغوا منصوب
بان ولام العلة مقدرة قبلها متعلقة بقوله ووضع الميزان والطغيان مجاوزة الحد والتقدير
وضع الميزان لئلا تجاوزوا في الميزان اي في العدل او في آلة التسوية وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير
ان على اضمار القول اي قال لكم لا تطغوا فمن قال الميزان هو العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه آلة

التسوية قال طغيانه البخس عن ابن عباس رضه انه قال معناه لا تخونوا من وزنتم له ثم قال
واقيموا الوزن بالقسط اي قوموا وزنكم واجعلوه مستقيما ملتبسا بالعدل فان القسط هو العدل
وقيل معناه اقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل هو امر بالمعاملة بالوزن ملابسا بالعدل او عدم
تركه في معاوضات وحوائجك ولا تخسروا الجمهور على ضم التاء وكسر السين من اخسر بمعنى نقص كقوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي لا تنقصوا ما توفون به من الحقوق وقرئ ولا تخسروا بفتح
التاء وكسر السين من خسر يخسر من باب ضرب بمعنى نقص فيكون فعل وافعل بمعنى يقال خسرت
الشيء واخسرته اي نقصته على انهما لغتان بمعنى وقرئ بفتح التاء وضم السين بهذا المعنى ايضا وقرئ
بفتح التاء والسين ايضا من باب علم وهذا البناء لازم لا يتعدى بنفسه فيكون اصله لا تخسروا في
فحذف الجار واوصل الفعل قوله وتكريره مبالغة جلية اسمية يعني ان قوله ولا تخسروا الميزان تكرير
لقوله لا تطغوا في الميزان من حيث المعنى فان من فسر الميزان بآلة التسوية يقول الطغيان في الوزن نقص
الموزون فيكون قوله ولا تخسروا الميزان تكريرا له قوله خفضها مدحوة يعني ان المراد اظهر بالوضع ههنا ما
هو ضد الرفع اي والارض دحاها فوق الماء مخفوضة او خفضها مدحوة وقوله للانام علة للوضع
والانام ما على الارض من جميع الخلق وقيل هم الجن والانس وقيل هم بنو آدم خاصة اي وضعها
لاجل ما خلق فيها من الخلق او من الحيوان ثم فصل ما ينتفع به الخلق مما فيها من النعم فقال فيها
فاكهة ثم خص من بينها النخل بالذكر للاشارة الى فضل ثمرها على سائر الفواكه لانه مما يتفكه به و
يتغذى وقيل ذكر الميزان في هذا الموضع ثلث مرات فالاول بمعنى الآلة وهو قوله ووضع الميزان و
الثاني بمعنى المصدر اي لا تطغوا في الوزن والثالث بمعنى المفعول اي لا تخسروا الموزون قوله
جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم والكفرى بضم الكاف وفتح الفاء وتشديد الراء وعاء طلع والطلع
ما يطلع من النخل قبل ان ينشق والسعف جمع سعفة وهي غصن النخل ما دام عليه الخوص وهو
ورق النخل واذا جرد عنه الخوص سمي جريدا والجمار شحمة النخل وبالفارسية دل درخت خرما
جعل الكم اولا مرادا به الكفرى ثم جعل عاما لكل ما يغطي الجذع والسعف الذي يغطي الجمار
والكفرى الذي يغطي الثمر فكلامه من قبيل اللف والنشر المرتب قوله فانه ينتفع به تعليل لقوله
او كل ما يكم وجه التعليل ان وصف النخل المعدودة من جملة ما في الارض من النعم بقوله ذات الاكمام
انما يحسن لكون الاكمام من جملة النعم المنتفع بها فان المقام مقام تعداد النعم الجليلة فكما ان المكموم
وهو الجذع والجمار والثمر نعم جليلة فكذا ما يكمها فلا وجه لتخصيص الاكمام بالكفرى وعصف الحب
ايضا من النعم الجليلة لكونه علوف الدواب كما ان الحب مطعم الانسان ومن قرأ والريحان بالجر
عطفه على العصف اي وفيها الحب ذو العصف الذي هو علف الانعام والريحان الذي هو رزق

رزق الانسان ومن قرأ بفتح الثلثة فوجهه ظاهر قوله وهو فيعلان اصله ريوحان فقلبت
الواو ياء لاجتماعهما وسبق احدهما بالسكون ثم ادغمت الياء في الياء ثم خفف فصار ريحان على
وزن فيلان قوله وقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان كون الخطاب فيه للثقلين لا يستلزم كونه لهما في
قوله ربكما تكذبان لكنه يؤيده بناء على ان السورة بمنزلة كلام واحد فتوجه الخطاب اليهما في بعض
اياتها يدل على توجهه اليهما في البواقي فلما كان الجن مكلفين كالانس خوطب الجنسان بهذه الايات
حثا لهما على شكر النعم بالايمان والطاعة وتجديد النشاط من الطاعة ولازم شكر الآية وتقريعا
على المشركين الذين اتخذوا مع الله الهة اخرى والآلاء جمع الى كمعًا وعن جابر رضه انه قال
قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال ما لي اراكم سكوتا الجن كانوا
احسن منكم ردا ما قرأت عليهم هذه الآية مرة فباي آلاء ربكما تكذبان الا قالوا لا بشيء من
آلائك ورحمتك ربنا نكذب فلك الحمد وتكذيب آلاء الرب تعالى عبارة عن الجحود بكونها من آلاء
واستنادها اليه تعالى خاصة ومن اشراك بربه الذي رباه بهذه النعم الجليلة من لا يقدر على شيء
منها فكانه يزعم ان من اتخذه شريكا له تعالى له مدخل في هذه النعم وهو جحود لاستنادها اليه تعالى
خاصة وترك شكرها وكذا التقصير فيه في قوة الجحود للانعام تعالى بها قوله صلصلة اي صوت
يسمع اذا مسه ادنى شيء لغاية يبسه والصلصال اسم لهذا الطين ما لم يطبخ فاذا طبخ بالنار يسمى
فخارا وخزفا شبه الصلصال الذي خلق منه الانسان بالفخار في غاية يبسه حتى اذا اصابه ادنى
شيء صوت قوله وقد خلق الله تعالى آدم الخ بيان لوجه التوفيق بين هذه الاية وبين قوله تعالى في
مواضع اخر خلقه من تراب ومن طين لازب ومن حمأ مسنون فانه تعالى اخذ من تراب الارض فعجنه
فصار طينا ثم تغير فصار حمأ مسنونا اي منتنا ثم يبس فصار صلصالا كالفخار قوله
الجن او ابا الجن يعني ان الجان يحتمل ان يكون اسم جنس كالانسان وان يكون اسما لاب الجن
وعلى كونه اسم جنس يكون المراد به اباهم كما ان المراد من الانسان ابونا آدم عليه الصلوة والسلام
فهو تعالى خلقه من صلصال وخلق من بعده من صلبه كذلك الجن الاول خلقه من نار وخلق ذريته
من صلبه ومن في قوله من مارج لابتداء الغاية وفي قوله من نار للبيان كما اختاره المص و
يجوز ان يكون للتبعيض والمارج اللهب الخالص الذي لا يشوبه شيء من الدخان وقيل المارج
اللهب المضطرب من مرج اذا اضطرب واختلط قوله مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما
وقيل مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما والاول اشهر ذكر غاية ارتفاعهما وغاية انحطاطهما
اشارة الى ان الطرفين يتناولان ما بينهما كما اذا قلت في وصف ملك عظيم الملك له المشرق و
المغرب فانه يفهم منه ان له ما بينهما ايضا قوله تعالى رب المشرقين خبر مبتدأ محذوف اي هو سبحان

الحمأ المسنون
قال الجوهري الحمأ المنتن وقال في موضع
المتغير الطين الاسود
اخر الحار
منه

وقيل المارج ما اختلط
بعضه ببعض من لهب احمر
واصفر واخضر فانه النار
المشتعل يشاهد فيها الالوان
الثلثة مختلطا بعضها ببعض
من قولهم مرج امر القوم
اذا اختلط
منه

ربنا المشرقين وقيل مبتدأ خبره مرج البحرين واختلاف المشارق والمغارب تترتب عليه
منافع لا تحصى كما اشار اليه المص قوله يلتقيان في موضع الحال من البحرين اي متلاقيين لا حائل
بينهما في رأي العين وكذا قوله لا يبغيان في موضع الحال اي غير باغيين وقوله بينهما برزخ يجوز ان يكون
جملة مستأنفة وان يكون حالا من البحرين او من فاعل يلتقيان ثم ان كان المراد بالبحرين الملح و
العذب جعل التقاءهما عبارة عن اتصال احدهما بالآخر وتماس سطوحهما بانتهاء العذب الى
الملح بجريانه اليه فانه لا يكون بينهما حاجز من قدرة الله تعالى فلا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
وانتفاء كل واحد منهما عن الآخر وان كان المراد بهما بحر فارس والروم يكون المراد بالتقا
ئهما في البحر المحيط وبالحاجز ما بينهما من الارض وبالبغي مجاوزة الحد فان كل واحد منهما ما يجاوز
ما حد له ولا ينبسط على وجه الارض الحاجز بينهما ولا يغرقها لتكون الارض بارزة يتخذها اهلها
مسكنا ومهادا قوله وان صح ان الدر يخرج من الملح جواب عما يقال اللؤلؤ لا يخرج الا من الما
لح فكيف قيل منهما قوله وان صح اشارة الى ان خروج الدر من الملح فقد ليس بقطعي لجواز
ان يكون الخروج عبارة عن التكون ويتكون الصدف في كل واحد من البحرين وظاهر كلام
الله تعالى اولى بالاعتبار مما يزعمه بعض الناس فان من المعلوم ان في البر اشياء تخفى على التجار
المترددين فيه فكيف بما في قعر البحر وعلى تقدير تسليم انه يخرج من الملح نقول معنى قوله تعالى يخرج
منهما انه يحصل ويتكون بسبب اجتماع الملح والعذب والتقائهما بان يكون احدهما بمنزلة
اللقاح للآخر فيصدق ان يقال انه يخرج منهما كما يصدق ان يقال يخرج الولد من الذكر و
الانثى وانما تلده الانثى فقوله لانه يخرج من مجتمعهما اي من اجتماعهما على ان يكون المجتمع مصدرا
ميميا قوله وقرأ نافع وابو عمرو يخرج بضم الياء وفتح الراء والباقون بفتح الياء وضم الراء و
قرئ نخرج بضم النون ويخرج بضم الياء اي يخرج الله تعالى واعلم ان اصول المركبات واركانها
اربعة التراب والماء والهواء والنار فبين الله تعالى بقوله خلق الانسان من صلصال كا
لفخار ان التراب اصل لمخلوق شريف مكرم عجيب الشان وبين بقوله وخلق الجان من مارج من
نار ان النار ايضا اصل لمخلوق آخر عجيب الشان وبين بقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
ان الماء ايضا اصل آخر لمخلوق آخر له قدر وقيمة ثم ذكر ان الهواء له تأثير عظيم في جري السفن
المشابهة بالاعلام فقال قوله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام وخصها بالذكر لان جريها في البحر لا صنع
للبشر فيه وهم معترفون بذلك حيث يقولون لك الفلك ولك الملك اذا خافوا الغرق دعوا الله
تعالى خاصة وسميت السفينة جارية لان شأنها ذلك وان كانت واقفة في السواحل والمراسي كما
تسمى المرأة المملوكة ايضا جارية لكون شأنها الجري والسعي في مصالح سيدها والجمهور على كسر الراء
في

وهي قرينة من الحال المقدرة
منه

او هو من الاستثناء وهو الطلب اي لا يطلبان غير ما قدر لهما
منه

في قوله تعالى وله الجوار لما تقرر في النحو ان كل جمع من المنقوص على وزن فواعل يائيا كان او واويا كدواع فهو في
حالتي الرفع والجر كقاض في اسكان لام الفعل لثقل الضمة والكسرة على حرف العلة وحذفها لالتقاء الساكنين
وهما التنوين وحرف العلة ونقل التنوين الى عين الكلمة واما في حالة النصب فهو كضوارب لخفة
الفتحة عليها ثم اذا اتصلت الكلمة بالساكن بعدها كما في هذه الآية تحذف التنوين ايضا وتبقى عين
الكلمة مكسورة على حالها وقرئ برفع الراء بعد حذف الياء بناء على جعل الكلمة برأسه وجعل المحذوف
في حكم المنسي كما في قوله لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان وقد تقدم هذا البحث في قوله
تعالى ومن فوقهم غواش في سورة الاعراف قوله المرفوعات الشرع وهو بفتحتين جمع شراع السفينة
وهو قلعها فسر المنشآت اولا بالمرفوعات الشرع على انها اسم مفعول من انشأه الله تعالى اذا رفعه
يقال نشأت السحابة اذا ارتفعت وثانيا بقوله او المصنوعات اي المخلوقات على ان الكلمة من
انشاء الله تعالى المخلوق اي خلقه ويؤيد الاول ما روي عن مجاهد انه قال المنشآت هي السفن التي
رفع قلعها والتي لم يرفع قلعها فليست من المنشآت قوله او الرافعات الشرع اسند رفع الشرع
الى السفن اسنادا مجازيا على طريق اسناد الفعل الى مكانه وفي البحر متعلق بالمنشآت وكالا
علام اما من المستكن في المنشآت واما من الجوار قوله ذاته والتعبير عن الذات الموجودة
بالوجه شائع خصوصا اذا كان المعبر عنه معروفا مشهورا والعرب يخاطبون الكرام والرؤساء
بقولهم يا وجه العرب تشبيها لهم بالوجه الظاهر الذي هو اشرف الاجزاء والاعضاء التي يتوجه
اليها في الشرف والظهور وكونهم متوجها اليهم فانه تعالى ظاهر بادلته ظهور الانسان بوجهه
ثم اشار الى انه لا حاجة الى جعل الوجه مستعارا من العضو المخصوص بل هو في الاصل بمعنى الجهة
واصلها كالوعد والعدة فمعنى الآية كل من عليها من الثقلين فان ويبقى جانبه تعالى اي الامر الذي توجهوا
به اليه قال الامام النسفي رح قيل ويبقى وجه ربك اي كل عمل تقرب به اليه ويبقى به وجهه اي رضاه
اي ربك الانس والجن ولا يبقى لهم الا ما توجهوا به اليه قوله ذو الاستغناء المطلق تفسير لكونه
تعالى ذا الجلال عبارة عن العظمة والكبرياء والاستغناء من حيث الذات والصفات والافعال
نهاية العظمة وكونه تعالى ذا الاكرام عبارة عن كونه ذا الفضل العام وقيل في تفسيره الذي يجل و
يكرم عن كل ما يتصور او الذي يجله الموحدون ويكرمونه بالثناء كقولهم ما اجلكم وما اكرمكم
او الذي يجل عن احاطة العقول والاوهام في العزة والعلو ويكرم عبارة المؤمنين بالتقرب [illegible]
وهذه الصفة من عظائم صفة الله تعالى روي عنه عليه الصلوة والسلام انه قال الظوا بيا ذا الجلال
والاكرام وعنه عليه الصلوة والسلام انه مر برجل وهو يصلي ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب
لك قوله اشار المص الى النعم المدلول عليها بهذه الآية اي بما ذكرها قبل وابقاء ما لا يحصر فان الآية تدل

على الامتنان بابقاء ما هو بصدد الفناء وفيها ايضا حث على العمل المنجي وتحذير عن المهلك وايضا
يترتب على افناء الكل الاعادة والحيوة الدائمة **قوله** والمراد بالسوال ما يدل على الحاجة الى تحصيل
الشيء اي لا يستغني عنه احد من اهله وان لم ينطق البعض منهم بحاجته **قوله** يسئله من في
السموت والارض يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون حالا من وجه والعامل فيه يبقى اي يبقى مسئولا
من اهل السموات والارض وفيه اشكال وهو ان قوله ويبقى وجه ربك اشارة الى بقائه تعالى بعد فناء من
على الارض فكيف يكون في ذلك الوقت مسئولا لمن في الارض واجيب عنه بوجوه الاول انهم فانون في حد
انفسهم وانما يبقون بابقاء الله تعالى اياهم فيصح كونه تعالى مسئولا من قبلهم وان كانوا في معرض الفناء
بافناء الله تعالى اياهم والثاني انه تعالى يكون مسئولا لهم معنى لا حقيقة لانهم اذا فنوا فهم يسالونه بلسان
الحال وان تعذر عليهم ان يسالوه نطقا والثالث ان قوله تعالى ويبقى يدل على الاستمرار فيبقى ويعيد من كان
على الارض فيكون مسئولا والرابع ان السائلين في الارض هم الملائكة الذين يكونون في الارض فانهم فيها
وان لم يكونوا عليها ولا تضرهم زلزلتها فعند ما يفنى من عليها يبقى عليهم الله تعالى ولا يفنى الملائكة في تلك
الحال فيسالونه ماذا تفعل فيامرهم بما يريد **قوله** كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق
به قضاؤه اشارة الى جواب ما يقال كيف قال كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن
الى يوم القيمة وتقريره انه لا منافاة بينهما لانه تعالى قضى وقدر في الازل وجف القلم بما يكون في
كل يوم فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بتكوينه فيوجد اشخاصا ويجدد احوالا على ما سبق به
قضاؤه فهي شئون يبديها لا شئون يبتديها ذكر ان الحجاج بن يوسف ارسل الى محمد بن الحنفية
يتوعده وقال لافعلن بك كذا وكذا فارسل اليه محمد بن الحنفية ان الله تعالى ينظر في كل يوم ثلثمائة
وستين نظرة الى اللوح المحفوظ في كل ذلك يعز ويذل ويعطي ويمنع فارجو ان يرزقني الله تعالى
ببعض نظراته ان لا يجعل لك علي سلطانا فكتب به الحجاج الى عبد الملك بن مروان فكتب عبد الملك
هذه الكلمات ووضعها في خزانته فكتب اليه ملك الروم يتوعده في شيء فكتب اليه عبد الملك بتلك
الكلمات الى صاحب الروم فكتب اليه صاحب الروم انه والله ما هذا من كنزك ولا من كنز اهل بيتك
لكنه من كنز اهل بيت النبوة **قوله** اي نتجرد لحسابكم اي لما ورد ان يقال ما وجه قوله تعالى سنفرغ لكم مع
ان عدم الفراغ عبارة عن ان يكون الفاعل في فعل لا يمكن معه فعل آخر وهذا انما يكون في حق من يشغله
شان عن شان والله تعالى منزه عن ذلك اشار الى جوابه بوجهين الاول انه من قبيل الاستعارة
التمثيلية حيث شبه انتهاء الدنيا وما يتعلق بها من الشئون من الابتلاء والاختبار بالامر والنهي
والاحياء والامانة والمنع والاعطاء وتكوير الليل على النهار وبالعكس ونحو ذلك وبقاء شان واحد
وهو مجازاة المكلفين بالثواب والعقاب بفراغ من يشغله شان عن اشتغاله وتجرده
لمهم

سأل بعض الملوك وزيره عن الآية واستمهله الى الغد وذهب كئيبا يتفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الامير احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلث آيات دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شئون يبديها لا شئون يبتديها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه كشاف

اي سهل وعين من ساغ الشراب يسوغ سوغا اي سهل مدخله في الحلق ط

لمهم واحد فاستعملت العبارة الموضوعة للهيئة الثانية وهي الفراغ في الهيئة الاولى وهي
انتهاء الشئون الى شان واحد ووجه الشبه ترتب مجازاة المكلفين على انتهاء شئون الدنيا كما يترتب
تعلق ذلك الشخص بمهمه على فراغه عن ساير اشغاله وان كان بين الترتيبين فرق فاحش
من حيث ان الترتب في الثاني مبني على ارتفاع الموانع حيث كان ساير اشغاله مانعا عن تعلقه
لذلك المهم ولا مانع في حقه تعالى ومع ذلك اخر امر المجازاة الى قيام الساعة لحكمة اقتضته قال
ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا فشانه تعالى فيه الامر
والنهي والامانة والاحياء والمنع والاعطاء والاخر يوم القيمة فشانه تعالى فيه الحساب
والجزاء والوجه الثاني من الجواب انه تهديد ووعيد من الله تعالى للجن والانس بالمحاسبة
والجزاء على الاعمال من غير ان يشغله شان عن شان مستعار من قول الرجل لمن يهدده
سافرغ لك اي ساتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا يكون لي شغل سواه يريد به
التوفر على النكاية فيه والانتقام منه والاستقصاء في مجازاته فهذه العبارة اذا صدرت عمن
يشغله شان عن شان تكون كناية عن التوفر على النكاية فان من فرغ عن كل شيء يعوقه عن
النقمة والتعذيب تكون نكايته اشد واقوى واذا صدرت عمن لا يشغله شان عن شان تعذر
حملها على اصل معناها لان المفروغ عنه يجب ان يكون مانعا عن الملابسة للمفروغ له ولا
يتصور المانع في حقه تعالى فتعين كونها مستعملة في التجرد للجزاء وحده من غير اعتبار الفراغ عما
يمنع عنه تشبيها للتجرد المذكور بالفراغ يشغله عن الجزاء والانتقام والجامع التوفر في النكاية
والانتقام فاستعير اسم الفراغ للتجرد للجزاء ثم اشتق منه قوله سنفرغ لكم فهو استعارة
تصريحية تبعية **قوله** لثقلهما على الارض الثقل ضد الخفة يقال ثقل ثقلا مثل صغر صغرا والثقل
بالتحريك متاع المسافر وحشمه شبه الارض بالحمولة التي تحمل الاثقال والجن والانس جعلا اثقالا
محمولة عليها ثقلا حسيا وجعل ما سواهما كالعلاوة **قوله** او لرزانة رايهما اي لما لهما من الثقل
المعنوي فان الثقل ماله وزن وقدر ولهما زيادة قدر على غيرهما لما خصوا بالعقل والتمييز و
تحمل الامانة والتكليف **قوله** الا بالقوة يعني ان السلطان القوة التي يتسلط بها على الامر
لما بين الله تعالى انه سيجيء وقت يتجرد فيه لمحاسبتهم ومجازاتهم وهددهم بما يدل على شدة
اهتمامه بها كان مظنة ان يقال فلم اخر ذلك مع ما له من كمال الاهتمام به اشار تعالى الى جوابه بما
محصوله انهم جميعا في قبضة قدرته وتصرفه لا يفوته منهم احد فلم يتحقق ما يبعثه على الاستعجال
لان ما يبعث المستعجل على الاستعجال انما هو خوف الفوت فاذا لم يتحقق ذلك قسم الدهر كله قسمين
احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيمة وجعل المدة الاولى ايام التكليف والابتلاء والمدة

في الحديث تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي سماهما بذلك لان الدين يعمر بهما كالارض يعمر بالجن والانس حلبي

الثانية للحساب والجزاء وجعل كل واحد من الدارين محل الرزايا والمصائب ومنبع البلايا و
النوائب ولم يجعل لواحد من الثقلين سبيلا للفرار منها والهرب مما قضاه فيهما فقوله تعالى فانفذوا
امر تعجيز والمراد بيان انهم لا مهرب لهم عن قضاء الله تعالى ولا خروج لهم من ملكه وانهم لا ينفذون
ولا يعجزونه حتى لا يقدر عليهم فظهر بهذا التقرير ان قوله تعالى يا معشر الجن متعلق بقوله سنفرغ
لكم فكانا بمنزلة كلام واحد فلذلك فسر الآلاء في قوله تعالى فبأي الاء ربكما تكذبان بعد قوله الا سلطان
بالتنبيه والايقاظ والتحذير المستفاد من قوله سنفرغ لكم وبالمساهلة والعفو المستفاد من قوله فبأي
الاء ربكما تكذبان بعد قوله سنفرغ لكم فانه يشعر بان له في موقف الحساب الآء متعلقة بالمساهلة
في الحساب والعفو عن جرائم كثيرة ومحوها وقوله مع كمال القدرة مستفاد من قوله يا معشر الجن فيكون
المذكور ثانيا من قوله فبأي الاء ربكما بمنزلة التأكيد للاول والآلاء المذكور في الموضعين هي ما
بينه بقوله من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو هذا على تقدير ان يكون قوله تعالى ان استطعتم
ان تنفذوا بمعنى ان قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما فارين من قضائه واما ان كان معناه ان
قدرتم ان تخرجوا من جوانبهما لتعلموا ما فيهما من عجائب صنع الله تعالى فيكون المراد بالسلطان
البينة المؤدية الى العلم وبالالاء ما نصبه الله تعالى من المصاعد العقلية والنقلية ويكون قوله
يا معشر الجن والانس مسوقا لبيان علو شانه وسعة ملكه والامتنان بما نصبه من المصاعد التكوينية
والنقلية تقرير الكون وجهه ذا الجلال والاكرام والمعشر الجماعة العظيمة سميت به لبلوغها
غاية الكثرة فان العشر هو العدد الكامل الكثير الذي لا عدد بعده الا بتركيبه بما فيه من الآحاد
تقول احد عشر واثنا عشر وعشرون وثلثون اى اثنا عشرات وثلث عشرات فاذا قيل
معشر فكانه قيل محل العشر الذي هو الكثرة الكاملة قوله نضيء كضوء سراج السليط //
اشار الى كون النحاس بمعنى الدخان والسليط هو الزيت عند عامة العرب وعند اهل اليمن هو
دهن السمسم كذا في الصحاح وفيه ايضا النحاس دخان لا لهب فيه وانشد البيت وعن ابن
عباس رضي الله عنه ان المراد به هو الصفر المعروف يذيبه الله تعالى ويصبه على رؤسهم قوله وقرا
ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وهما لغتان بمعنى قوله ونحاس بالجر عطف على
شواظ اى وقرا ابن كثير ونحاس عطفا على نار وهو ضعيف لانه لا يكون شواظ من نحاس سواء
كان النحاس بمعنى الدخان والصفر المذاب وقيل في توجيه قراءة الجر تقدير الكلام شواظ من نار
وشيء من نحاس فيكون شيء مرفوعا بالعطف على شواظ ويكون من نحاس صفة لشيء كما ان
من نار صفة لشواظ فحذف الموصوف وهو شيء لدلالة ما قبله عليه ثم حذف كلمة من لتقدم
ذكرها في قوله من نار فبقي النحاس مجرورا بمن المحذوفة وقرأ الباقون برفع نحاس عطفا على

على شواظ اى يرسل هذا مرة وهذا مرة ويجوز ان يرسلا معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر وقرئ
ونحاس بكسر النون وهو اما لغة بمعنى نحاس بضم النون واما جمع نحس بمعنى العذاب كلحيان ولحى وصحاف
وصحف وقرئ ونحس بضم النون والحاء والسين مع التنوين عطفا على شواظ وهو اما جمع نحاس او جمع
نحس وجاء في الخبر انه يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار وعن
عباس رضي الله عنه انه قال في تفسيره ان الخلائق اذا خرجوا من القبور ساقهم شواظ الى المحشر فيكون قوله تعالى
يرسل عليكما شواظ متعلقا بقوله سنفرغ لكم وتفصيلا لما يكون يوم القيمة ببعض التفصيل تحذيرا من
هوله والتحذير نوع من الآلاء ثم زاد نوعا آخر من التفصيل فقال فاذا انشقت السماء اى بنزول
الملائكة اى اذا انفرجت السماء فصارت ابوابا لنزول الملائكة او للسقوط والانتقاض والظاهر ان كلمة
اذا فيه شرطية محذوفة الجزاء ليذهب السامع بعد تحقق انشقاق السماء وجزاءها كل ممكن اى رايت
هولا عظيما او كان ما كان مما لا يخطر بالبال من الثواب والعقاب ويحتمل ان تكون للظرفية المجردة //
فانه جعلت الفاء الداخلة عليها للسببية والتعقيب الذهني لكون المعنى يرسل عليكما شواظ من نار
ونحاس فتصير السماء بسبب ذلك حمراء مثل الورد الاحمر ورقيقا مذابا مثل الدهن بان تصل حرارة
الشواظ الى السماء فتجعلها كالاسرب الاحمر المذاب ويحتمل ان تكون الفاء للتعقيب الزماني بمعنى الله تعالى
اولا انه اذا بعثر ما في القبور وحشر الموتى من الجن والانس يرسل عليهما شواظ تسوقهم الى المحشر
فيهربون منها الى ان يجتمعوا الى موقف الحساب ثم يبين ان هذه الحالة الثابتة في الارض تؤدي الى انشقاق
السماء ونزول من عليها من الملائكة الى الارض فقدر وان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا
رأوهم الجن والانس هربوا خلايا تون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به قوله تعالى فكانت وردة
من باب التشبيه البليغ وقوله كالدهان يجوز ان يكون خبرا ثانيا وان يكون حالا من اسم كانت اى كانت
مثل الورد الاحمر من حرارة النار ومثل الدهن في رقة القوام والميعان قوله من باب التجريد وهو
ان ينتزع من امر ذي صفة آخر مثله فيها كما انه جرد من السماء سماء اخرى سميت بالوردة وهي
كما جرد الشاعر عن نفسه كريما آخر لكمال صفة الكرم فيه واللام في قوله ولئن بقيت موطئة للقسم
ولارحلن جوابه وقوله نحو الغنائم ظرف لقوله لارحلن ويروى تحوي الغنائم صفة لغزوة وقوله
او يموت بمعنى الا ان يموت ويموت منصوب بان مضمرة ويعني بالكريم نفسه لان فحوى الكلام يدل على انه لا
يريد كريما آخر والظاهر ان يقال الا ان اموت كريما لانه بصدد الاخبار عن حاله وبيان انه الموصوف //
بالكرم الا انه بنى الكلام على التجريد لكونه ابلغ في وصف نفسه بالكرم والتنوين في قوله تعالى فيومئذ عوض
عن الجملة اى فيوم اذا انشقت السماء لا يسأل احد عن ذنبه هل هو مذنب ام لا لان ارادوا ان يطلع

على حال اهل المحشر لان كل احد من المجرمين والمتقين يخرجون من قبورهم متميزين عن الطائفة
الاخرى بسيماهم وهو سواد وجوه المجرمين وزرقة عيونهم قال تعالى وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة
ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وتحشر المتقين الى الرحمن وفدا وتحشر المجرمين يومئذ زرقا
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلا يحتاج في تمييز المذنب عن غيره والاطلاع على حاله لمن اراد ذلك
الى ان يسأل عن ذنبه ويعلم حاله من جهته وهو لا ينافي ان يسأل سؤال التوبيخ كما قال تعالى فوربك
لنسألنهم اجمعين وايضا يوم القيمة لغاية طوله فيه مواطن كثيرة فيجوز ان يسأل في بعض المواطن
ولا يسأل في آخر والجان ان كان اسم الجنس فالامر ظاهر وان كان اسما لاب الجن فالمراد به ههنا
فروعه كما يطلق اسم الجد العالي على القبيلة قوله تعالى بالنواصي قائم مقام الفاعل لقوله فيؤخذ والتقدير
بالنواصي منهم وبنواصيهم وليس في قوله فيؤخذ ضمير يقوم مقام الفاعل يعود على المجرمين لان العرب
تقول اخذت الناصية واخذت بالناصية ولا تكاد تقول اخذت الدابة بالناصية بان يعدى اخذ الى
مفعولين احدهما بنفسه والى الاخر بواسطة الباء ولانه لو كان فيه ضمير لوجب ان يقال فيؤخذون
لاجل تقدم ذكرهم والنواصي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس اي تأخذ الملائكة بنواصيهم اي بشعور
مقدم رؤسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار قال الضحاك يجمع الاقدام مضمومة الى النواصي من خلف
ويلقون في النار وقيل تسحبهم الملائكة الى النار تارة تأخذ بالنواصي وتارة بالاقدام عن انس رضي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل ان تخلق جهنم
بالف عام فهم كل يوم يزدادون قوة الى قوتهم حتى يقبضوا على من قبضوا عليه بالنواصي والاقدام اجارنا
الله تعالى منهم ومن جهنم بفضله وكرمه ثم يقال لهم على وجه التقريع هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون اي
كنتم تكذبون بها وتقولون انها لا تكون على ان قوله المجرمون ظاهر وضع موضع المضمر ويجوز ان يكون هذا
الكلام خطابا من الله تعالى لنبيه عليه الصلوة والسلام في الدنيا اي قل لهم هذه صفة جهنم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه ثم انه تعالى اخبر عن حالهم فيها فقال يطوفون بينها وبين حميم آن وهو الذي
انتهى حره من انى الحميم يأني انى فهو آن اي يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم ومن قوله تعالى
كل من عليها فان الى ههنا مواعظ مزاجر وقد ذكر ان كلها نعمة من الله للانزجار بها عن المعاصي وقد اكتفى
المص بقوله آنفا ان التهديد لطف والتمييز بين المطيع والعاصي بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد
الآلاء ثم شرع في بيان ثواب المتقين الخائفين فقال ولمن خاف مقام ربه ذكر المص اولا ان المقام اسم
لمكان يقوم فيه العباد للحساب وان اضافة المقام اليه تعالى مع ان القيام فعل العباد لاجل الملابسة فانه تعالى مالك
يوم الدين وانه الذي يبعث من في القبور ويجمعهم في هذا المقام لاجل الحساب والجزاء ثم ذكر احتمال ان يكون المقام
مصدرا مضافا الى فاعله بمعنى المراقبة والحفظ والمعنى ولمن يعلم ان الله تعالى قائم عليه مراقب لاعماله فيجازيه

يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله تعالى خذوه واخذ زيد بيده ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ تبعا منه ملابسا للمقصود بالاخذ ومنه قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي الآية

فيجازيه لذلك فيطيعه ويجتنب عن معصيته جنتان قيل جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته
فالمقام بهذا المعنى صفة قائمة به تعالى لا بالخائف ثم ذكر احتمال ان يكون المقام مضافا الى الخائف من حيث
المعنى ويكون المعنى ولمن خاف موقفه ونفسه عند ربه او وقوف نفسه عنده لاجل الحساب الا انه اضيف الى
الرب تهويلا وتفخيما كما ان الاجل في الحقيقة للعبد الا انه قد اضيف اليه تعالى في قوله ان اجل الله اذا جاء
لا يؤخر فان الاضافة يكفي فيها ادنى الملابسة ثم ذكر احتمال ان يكون لفظ مقام مقحما ويكون تقدير الكلام
ولمن خاف ربه كما في قول الشاعر وماء قد وردت لوصل اروى عليه الطير كالورق اللجين ذعرت
به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين اللجين الخبط وهو ما سقط من الورق
عند الخبط والخبط ضرب الشجر بالعصا ليسقط ورقها واروى اسم حبيبة الشاعر ونفيت عنه
اي طردت وابعدت عن ذلك الماء وخص القطا والذئب بالذكر لان القطا اهدى الطير الى الماء و
الذئب اهدى السباع اليه فهما السابقان الى الماء والرجل اللعين شيء ينصب في وسط الزرع
يستطرد به الوحوش ومعنى البيت رب ماء قد وردت لاجل محبوبتي اروى وقد جاءت اليه
رؤسها او شبابا روي ان رجلا استفتى سفيان الثوري في رجل قال لزوجته ان لم اكن من اهل
الجنة فانت طالق فافتى بانه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله تعالى وحياء
منه قوله وكذا ما جاء مثنى بعد كقوله تعالى فيهما عينان تجريان وقوله فيهما من كل فاكهة زوجان
فان تثنية نعم المذكورة مبنية على ما ذكر من الاحتمالات وهي ان الخطاب لما كان للثقلين صارت
نعم المذكورة بلفظ المثنى لهما على سبيل التوزيع كانه قيل لكل خائفين منكما عينان وزوجان
عين وزوج للخائف الانسي وعين وزوج للخائف الجني او تقول عين وزوج بفعل
الطاعات وعين وزوج بترك المعاصي لانه مدار التكليف عليهما او تقول عين وزوج ثواب
واخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة او واحدة منهما روحانية
والاخرى جسمانية ثم انه تعالى وصف الجنتين بقوله ذواتا افنان قوله ذواتا تثنية ذات
ذووا الافنان جمع فن وهو النوع او جمع فنن وهو الغصن المستقيم الممتد طولا وقال المص
الافنان التي هي جمع فنن هي الغصنة والغصنة بكسر الغين وفتح الصاد جمع غصن كقرطة
في جمع قرط لما كانت الغصنة هي التي تورق وتثمر وتمد الظل وصف الجنتين في مقام المدح
بقوله ذواتا افنان تذكيرا لهذه النعم كانه قيل ذواتا اوراق وثمار وظلال قوله حيث شاؤا
التعميم مستفاد من عدم ذكر مفعول تجريان وقيل معناه تجريان دائما لا تنقطعان ابدا وقيل
اسم عين في الجنة قال تعالى عينا فيها تسمى سلسبيلا وكذا التسنيم سمي بذلك لانه يجري فوق
الغرف والقصور من تسنمه اذا علاه قيل فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان

لوصل اروى سال

من مخافة الله قوله تعالى متكئين حال من قوله من خاف جمع حملا على معنى من في قوله ولمن خاف بعد الافراد
حملا على لفظها والعامل فيها الاستقرار اي استقر لهم جنتان في هذه الحال وقيل حال عاملها محذوف
اي يتنعمون فيها متكئين والبطائن جمع بطانة الثوب وهو خلاف ظهارته قوله تعالى بطائنها من استبرق
جملة اسمية في موضع الجر على انها صفة لفرش والاستبرق ما غلظ من الديباج اي الثخين منه قيل هو
معرب استبر والسندس هو الديباج الرقيق الناعم والجنى ما يجتنى من الشجر سواء كان مجتنى الفعل
او كان بصدد الاجتناء ودان من الدنو اصله دانو كمثل غاز عن ابن عباس رض قال تدنو الشجرة
حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا لا يرد يده بعد ولا شوك قوله لم يطمثهن الانس
معنى ان الطمث المس في كل شيء يمس يقال للمرتع ما طمثت اذا المرتع قبلنا احد وما طمثت هذه
الناقة حبل قط اي ما مسها عقال وقيل اصل الطمث الجماع المؤدي الى خروج دم البكر بازالة عذرتها
ثم اطلق على كل جماع طمث وان لم يكن معه دم وقول المص اشارة الى ان مؤمني الجن يدخلون الجنة
ويثابون فيها بنعيمها التي من جملتها الجنيات كما يثاب مؤمنوا الانس بالحور العين التي من الانس
وتوقف ابو حنيفة رح في هذه المسئلة بناء على ان الاثابة لا تجب عليه تعالى وانما هي تفضل الهي تثبت
فيها بالنص ولم يرد في حق من آمن من الجن الا سقوط عقوبة الكفر عنه فهم يبعثون ويحا
سبون ويعذب من كفر منهم في جهنم ويجعل من آمن منهم ترابا قال حكاية عنهم يا قومنا اجيبوا
داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن قال بالحسن والقبح العقليين
وبوجوب ثواب المطيع عليه تعالى فانه يقطع بان مؤمني الجن يدخلون الجنة ويثابون فيها ومن
لا يقول بهما وذهب الى اثابتهم بالجنة والحور العين من الجنيات انما يذهب اليها استدلالا بهذه
الاية فانه تعالى لما خاطب مؤمني الجن والانس بقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان على وجه الامتنان
عليهم بحور موصوفات تارة بقاصرات الطرف واخرى بمقصورات في الخيام وبكونهن لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فهم منه ان كل فريق منهم يدخلون الجنة ويثابون بنعيمها ويطمثون ما
اعد لهم من الحور العين ثم هل المراد بالقاصرات الحور العين المخلوقات في الجنة ثم لم يمسهن اصلا
وقيل هن المؤمنات من نساء الدنيا والمعنى على هذا انه لم يطمثهن بعد النشأة الثانية احد
وقيل هن نساء الثقلين اي لم يطمث الجنية ولا الانسية بعد النشأة الثانية احد قوله قا
صرات طرفهن على ازواجهن وقيل قاصرات طرف غيرهن عليهن اي اذا رآهن احد لم يتجا
وز طرفه الى غيرهن والاصل نساء ازواج قاصرات حذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه وقوله لم يطمثهن صفة لقاصرات لان اضافتها لفظية لا تفيد تعريفا او حال منها لتخصص
النكرة بالاضافة وقوله كانهن الياقوت صفة اخرى لقاصرات او حال منهن لكونهن خصص با

قيل هو استفعل من البريق وهو
الاضاءة وقيل هو من البرقة
وهو اجتماع الالوان وجعل اسما
فاعرب اعرابه قال ابن مسعود
وابو هريرة رض اذا كانت البطائن
التي تلي الارض هكذا فما ظنك
بالظهارة ومن بعد ذلك وفي الخبر
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ظواهرها نور يتلألأ
صح

بالوصف اي مشبهات بالياقوت في حمرة الوجنة وصفاء اللون والمرجان الذي هو صغار اللؤلؤ
في بياض البشرة وصفاء اللون بحيث يرى السلك الذي فيهما من ورائهما وصغار اللؤلؤ انصع
بياضا قوله ومن دونهما جنتان اي ومن دون تينك الجنتين اي في الفضل والقدر الاوليان للسابقين المقربين فيهما من
كل فاكهة زوجان وعينان تجريان والاخريان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان قال
ابن عباس رض تانك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين ويدل على ان الاخريين ادنى من الاوليين في الفضل
والشرف لانه تعالى وصف الاوليين بكثرة الاشجار والفواكه حيث قال ذواتا افنان ووصف الاخريين
بكثرة النبات والرياحين المنبسطة على الارض حيث قال مدهامتان اي مائلتان الى السواد من
الري من الدهمة وهي السواد يقال ادهام الزرع ادهيماما فهو مدهام اذا علاه السواد ريا وقال
في حق الاوليين فيهما عينان تجريان وفي الاخريين نضاختان والنضخ دون الجري لان النضخ
هو الفوران بحيث كلما اخذ منه شيء فار آخر مكانه ولا يكون هذا القدر في الجريان وقال في الاوليين
فيهما من كل فاكهة زوجان وفي الاخريين فيهما فاكهة ونخل ورمان فان فاكهة اخلى من كل فاكهة
زوجان وقال في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وترك ذكر الظاهر لرفع شانها
وخروجها عن كونها مدركة بالعقول والافهام وقال في الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري
حسان وتفاوت بينهما يعلم مما ذكره المص في تفسير الرفرف والعبقري وفي هذا الكلام بيان لتفا
وت ما بينهما وان الاوليين افضل من الاخريين قوله عطفهما على الفاكهة جواب عما يقال
لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما من جملتها وتقريره انه من قبيل عطف الخاص على العام
بيانا لفضله وتنبيها على شرفه فكانهما لمزيتهما جنسان آخران كقوله تعالى بعد ذكر الملائكة وجبريل
وميكال وايضا النخل ثمرة فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه فهما فصارا باعتبار
ما فيهما من القيد الزائد كانهما لم يدخلا تحت مطلق الفاكهة ثم انه تعالى لما ذكر جنتي السابقين المقربين
وجنتي اصحاب اليمين قال فيهن خيرات اي في الجنان الاربع نساء ذوات خير وانه عليه الصلوة
والسلام فسره بان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقيل في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن
وقوله حور بدل من خيرات وهو جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والمقصورات
المحبوسات المستورات في الخيام ليس بالطوافات في الطرق قوله اي مخدرة اي مستورة عن الخدر
وهو الستر قوله ومقصورات الطرف على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم ولا يريدون غيرهم قيل
تقول الزوجة وعزة ربي ما ارى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك
فالخيام جمع خيمة وهي اعواد تنصب وتظلل بالنبات وهي تكون لاهل البوادي تكون ابرد من الابنية
واما خيام الجنة فروى قتادة عن ابن عباس رض قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ

فيها اربعة الاف مصراع من ذهب وعن عبد الله بن قيس الاشعري رض قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهل للمؤمن لا يراهم الآخرون
قوله وهم الاصحاب الجنس المدلول عليهم بقوله ومن دونهما جنتان اي لمن دونهم وقوله متكئين
حال منهم كانه قيل ولمن دون الخائفين المقربين وهم اصحاب اليمين جنتان متكئين فيهما على رفرف
والنمارق جمع نمرقة وهي وسادة صغيرة وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة وقيل
الرفرف الخضر فراش اذا استقر عليه الولي طار به من فرحه وشوقه اليه يمينا وشمالا حيث ما
يريده الولي روي في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه
الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر عليه الصلوة والسلام انه طار بي يخفضني
ويرفعني الى ان وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى
اداه الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم بين يدي الله تعالى من جملة الخدم مختص بخواص الامور في
محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة يركبها الانبياء عليهم الصلوة والسلام مخصوصة لركوبهم فهذا الرفرف
الذي سخره لاهل الجنتين هو متكأوهم وفرشهم يرفرف بالولي ويطير به على حافات تلك الانهار وحيث
يشاء من خيامه وازواجه وقصوره قوله تعالى خضر نعت لرفرف وعبقري عطف على رفرف
وحسان نعت لعبقري قوله تعالى تبارك اسم اي ارتفع شأنه عن العظمة قال البعض المراد بالاسم
الاسم الذي افتتح به السورة فانه تعالى افتتح السورة باسم الرحمن ثم ذكر خلق الانسان والجن
وخلق الارض والسموات وصنعه وذكر انه كل يوم هو في شأن ثم وصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم
القيمة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في آخر السورة تبارك اسم ربك الذي افتتح به
هذه السورة كانه تعالى يشير به الى ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم
السماء والارض فلذلك اثنى على صفة رحمته

سورة الواقعة مكية

غير قوله ثلة من الاولين وقوله افبهذا الحديث الى آخر الآيتين فانهما نزلتا في سفره الى
المدينة بسم الله الرحمن الرحيم قوله وانتصاب اذا بالمحذوف مثل
اذكر فيكون اذا بمعنى الوقت المجرد منصوبا على انه مفعول به قوله او كانت كيت وكيت فيكون
اذا ظرفا لهذا المضمر ولم يجعله منصوبا بليس في قوله ليس لوقعتها كاذبة لان ليس شأنها النفي
في انه لا حدث فيها وما ليس فيه معنى الحدث لا يكون عاملا في الظرف وتسميتها فعلا مجاز لعدم صدق
حد الفعل عليها قوله اي لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله تعالى اي تفتري عليه بان تنسب
اليه ما لا يصح اسناده اليه كنسبة الشريك والصاحبة والولد وان تقول انه تعالى لا يبعث الموتى
ولا يجازيهم ونحو ذلك من الاباطيل وفيه اشارة الى ان كاذبة اسم فاعل وانه صفة حذف موصوفها

[هامش: يعني علا من البركة ومن ثبات ودوام [illegible] البركة وهي الدوام [illegible] يكون فيه ذا تمام الخير [illegible] ثبت او دوام الخير لكنها [illegible] وان كانت من الثبات او يكون معناه علا وارتفع [illegible] شانه]

[هامش: اي بهذا الاسم صح]

[هامش: وقعت الواقعة كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكانها قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله كشاف]

موصوفها المرفوع على انه اسم ليس واللام في قوله لوقعتها لام التاريخ كما في قوله تعالى قدمت لحياتي
بمعنى انها بمعنى الوقت وهي مع عاملها المحذوف في محل النصب على انها خبر ليس اي ليس نفس كاذبة
حاصلة حين تقع بانكار شيء مما اخبر به الله تعالى او بانكار خصوص القيمة وتقريرها لان الكلام
فيها فان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة قال تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وقال
لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم وقال ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم
الساعة قوله او ليس لاجلها وقعتها كاذبة عطف على قوله واللام مثلها في قوله قدمت لحيوتي كانه
قيل واللام بمعنى الوقت او على اصل معناها فالمعنى اذا قامت القيمة بان نفخ النفخة الثانية بعثوا
بها كل احد ولا يتمكن احد من انكارها لاجل وقوعها ومشاهدتهم اياها واقعة فكل من اخبر عنها
حينئذ يكون مصدقا ولا عكس لما ان يكذب بانكار وقوعها كما انكره في الدنيا اما بلسان المقال
او الحال فان انهمك في اتباع الشهوات فقد كذب الساعة وانكر وقوعها بلسان الحال قوله
او ليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها عطف على قوله اي لا يكون حين تقع نفس تكذب
فان الكذب فيه بمعنى الاخبار بما لا يطابق الواقع وهو في هذا الوجه بمعنى التشجيع على مباشرة
ما لا يطاق تحمله فقوله لوقعتها يجوز ان يكون متعلقا بقوله كاذبة كانه قيل اذا قامت القيمة
لا تكون نفس تشجع صاحبها في حق وقعتها بان تقول له انك تطيقها وما هو اشد منها فلا تبال
واني لك ذلك ولا تكون نفس تطيق لزلزلة الساعة فما ظنك بنفس القيمة قوله في الخطب
العظيم متعلق بقوله معوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة في محل النصب على انه حال من الواقعة اي
اذا وقعت الواقعة مصدقة او مؤمنة جميع النفوس بالله تعالى وبجميع ما اخبر قوله تخفض
قوما الخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واسنادهما الى الواقعة من قبيل اسناد الفعل
الى زمانه والجمهور على رفع خافضة رافعة على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة قوما
الى النار ورافعة آخرين الى مقر الكرامة وحذف المفعول للعلم به ويجوز ان ينزل الفعلان
منزلة اللازم والمعنى انها ذات وضع ورفع وقرئتا بالنصب على الحال من الواقعة اي اذا
وقعت الواقعة حال كونها خافضة رافعة فهذه ثلث احوال متعاقبة الاولى قوله ليس لوقعتها
كاذبة والثانية قوله خافضة والثالثة رافعة وجاز كثرة الاحوال لان الحال نوع من
الخبر فكما جاز تعدد الخبر عن مبتدأ واحد فكذا جاز تعدد الاحوال قوله او بيان لما تكون
في الفرق بين الوجهين ان الكلام على الوجه الاول يكون كناية عن العظمة الملزومة
لمضمون الكلام وعلى الثاني يكون المقصود مجرد بيان مضمونه من غير ان يقصد الانتقال الى
الملزوم قوله او ازالة الاجرام بالجر عطف على قوله خفض اعداء الله تعالى قوله والنظر على

بخافضة رافعة يشعر بانه منصوب بهما معا وذلك لا يجوز لانه لا يتوارد عاملان على معمول واحد
فالمراد ان كلا منهما متسلط عليه من جهة المعنى على سبيل التنازع اى ترفع وتخفض وقت
رج الارض وبس الجبال قوله فكانت بمعنى صارت وقوله تعالى وكنتم عطف على رجت والخطاب
للخلائق باسرهم قسمهم ثلثة اصناف اثنان منها في الجنة وواحد في النار ثم بين ما هم فقال
اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة والسابقون قوله من تيمنهم بالمياس خبر محذوف في معنى ان
اطلاق اصحاب الميمنة على اصحاب الرفعة والمنزلة السنية وكذا اطلاق اصحاب المشأمة على
اصحاب الهوان والدناءة ناشيان من تيمنهم بجانب اليمين وتشأمهم بجانب الشمال حتى
انهم يتفاءلون بالسانح من الصيد لاعطائه جهة يمينه اياهم بان يطير ويمر من جانب يسارهم
الى جانب يمينهم ويتطيرون بالبارح وهو ضد السانح ويقولون فلان منى باليمين وفلان
منى بالشمال اذا ارادوا ان يصفوه بالرفعة والدناءة عندهم وفي الصحاح والمشأمة الميسرة
وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة والشوم نقيض اليمن واليمنة خلاف اليسرة والايمن
والميمنة خلاف الايسر والميسرة الى هنا كلامه وقيل وصف السعداء باصحاب الميمنة والاشقياء
باصحاب المشأمة لانه يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين ويؤخذ باهل النار ذات الشمال قوله
والجملتان الاستفهاميتان خبران بما قبلهما يعني ان قوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وما الاستفهامية
مبتدأ ثان وقوله اصحاب الميمنة خبر الاول وكذا قوله واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة و
اكتفى عن الراجع الى المبتدأ فيهما بصريح اسمه والمعنى اصحاب الميمنة اى شيء هم فوضع الظاهر
موضع الضمير للمبالغة في وصفهم بما دل على المدح كانه قيل ما تدرى ما لهم من الخير والكرامة وما
لاصحاب المشأمة من الشر والعذاب ومثله قوله تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة و
لا يكون ذلك الا في موضع التعظيم والتعجب نحو زيد ما زيد وكذا قوله تعالى والسابقون السابقون
فانه جملة اسمية اخبر عن السابقين بانهم السابقون مبالغة في مدحهم اى والسابقون من
عرفت حالهم وبلغك وصفهم وان كل مدح وثناء وصفتهم به قاصر عما هم عليه فاستغنت
بذلك في معرفة حالهم عن البسط والشرح كقول ابي النجم انا ابو النجم وشعري شعري كانه قال
وشعري ما انتهى اليك وعرفت فصاحته وبراعته قوله من غير تلعثم اى تردد يقال تلعثم
الرجل في الامر اذا تمكث فيه وتأنى والتوانى من الونى وهو الضعف يقال ونى في الامر يني
ونيا وونيا اى ضعف فهو وان وتوانى في حاجته اى قصر وفتر فسر المص قوله تعالى والسابقون
بثلثة اوجه فسر اولا بقوله والذين سبقوا الى الايمان والطاعة وثانيا بقوله او سبقوا في حيازة
الفضائل وثالثا بقوله او الانبياء وفسر قوله السابقون بقوله هم الذين عرفت حالهم ولم

وفي حديث الاسراء انه صلى الله عليه وسلم قال لما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت يا جبريل من هذا قال ادم عليه الصلوة والسلام وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه والاسودة التي عن يمينه اهل الجنة والتي عن شماله اهل النار وقيل اصحاب الميمنة هم الذين اخذوا من الشق الايمن من ادم حين اخرجت الذرية من صلبه والاخر من جانبه الايسر

ولم يعتبر التغاير بين المبتدأ والخبر بقيد من القيود حيث جعل متعلق السابقين واحدا
ثم اشار الى جواز ان يعتبر التغاير بينهما بان يجعل متعلق السبق الاول ما ذكر من الاحتمالات
ومتعلق السبق الثاني الجنة حيث قال والذين سبقوا الى الجنة وهو معطوف على قوله هم الذين
عرفت حالهم قيل السابقون اربعة منهم سابق امة موسى عليه الصلوة والسلام وهو حز
قيل مؤمن ال فرعون وسابق امة عيسى عليه الصلوة والسلام وهو حبيب النجار صاحب
انطاكية وسابق امة محمد صلى الله عليه وسلم وهما ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويحتمل ان
يكون السابقون الثاني تاكيدا للاول تاكيدا لفظيا واولئك المقربون جملة اسمية مرفوعة المحل
على انها خبر الاول والرابط اسم الاشارة والاقرب ان يوقف على السابقون الثاني لانه تمام
الجملة ويجعل قوله اولئك المقربون جملة مستقلة من مبتدأ وخبر ويجعل قوله في جنات النعيم
خبرا ثانيا او حالا من المنوي في المقربون اى اولئك الموصوفون بالسبق هم المقربون عند
الله تعالى في جنات النعيم او كائنين فيها قوله اى هم كثير من الاولين اشارة الى ان قوله ثلة خبر
مبتدأ محذوف وان الثلة بمعنى الجماعة الكثيرة وقوله من الاولين في موضع الصفة لثلة اى
السابقون المقربون جماعة كثيرة من الامم السالفة ويجوز ان يكون ثلة خبرا بعد خبر قوله
قوله عليه الصلوة والسلام ان امتي يكثرون سائر الامم وقال صلى الله عليه وسلم اهل الجنة مائة و
عشرون صفا هذه الامة منها ثمانون صفا وهذا لا ينافي كون سابقي الامم السالفة اكثر
من سابقي هذه الامة لان الانبياء المتقدمين كثيرة جدا ومن ضرورته ان يكثر السابقون
الى الايمان والطاعة من اممهم بالنسبة الى سابقي هذه الامة ومن المعلوم ان تابعي هذه
الامة اكثر من تابعي الامم السالفة بحيث يكون مجموع هذه الامة اكثر من مجموع الامم السالفة
قال الزجاج الذين عاينوا جميع النبيين وسبقوا الى الايمان بهم اكثر ممن عاين نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم وعليهم وسلم وسبق الى الايمان به ولما ورد ان يقال كيف يكون تابعو هذه
الامة اكثر من تابعي الامم السالفة وقد قال تعالى في حق اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من
الاخرين وكثرة اصحاب اليمين من الاولين يستلزم كثرة تابعيهم اجاب عنه بقوله ولا يرد
الخ يعني ان اللازم كثرة تابعيهم في انفسهم وذلك لا يرد قلتهم بالنسبة الى تابعي هذه الامة قوله
وروى مرفوعا انه عليه الصلوة والسلام قال الثلتان جميعا من امتي فالمعنى ثلة من سابقي هذه
الامة وقليل من الاخرين اخر هذه الامة في اخر الزمان قوله واشتقاقها من الثل وهو القطع
وجماعة السابقين مع كثرتهم قطعة مقطوعة من جملة بني ادم قوله الموضونة المنسوجة بالذهب
قال ابن عباس رضي وقال عكرمة الموضونة المشبكة بالدر والياقوت وقال الراغب الوضن

وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال كشاف

نسج الدرع ويستعار لكل نسج محكم وقيل اصله من وضنت الشيء اي ركبت بعضه مع بعض
ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقها **قوله** حالان من الضمير على اي من الضمير المنوي في
الفعل الذي تعلق به الجار في على سرر كانه قيل استقروا على سرر متكئين **قوله** ولدان اي غلمان
وهو جمع وليد وهو الذي لم يبلغ بعد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اطفال اهل الدنيا
خدم اهل الجنة وقال سلمان هم اطفال المشركين وقال الحسن لانهم لم يكن لهم حسنات يجزون
بها ولا سيئات يعاقبون عليها وابو حنيفة رح توقف فيهم لان الثواب بفضل الله تعالى بعده لا
بالعمل والاتصاف فيهم وقيل هم خدم خلقوا في الجنة على صور الغلمان **قوله** من خمر معين المعين
فعيل بمعنى فاعل من معن الماء اذا جرى فالمعين بمعنى الجاري من الماء او الخمر وقد موصوفة الخمر
بشهادة الكاس وهو القدح الذي فيه خمر وقوله تعالى لا يصدعون عنها من التصديع وبناء فعل
انما ليس للتعدية لان الثلاثي منه متعد يقال صدع فهو مصدوع اذا اصيب راسه بالوجع بل
هو للتكثير لكثرة الصداع او المصدوعين ومعنى عنها بسببها **قوله تعالى** لا يصدعون يجوز ان يكون
مستانفا اخبر الله عنهم بانهم لا ينالهم بسبب شربها صداع كما ينالهم ذلك بسبب شرب خمر
الدنيا فانها لذة بلا اذى وان يكون حالا من ضمير عليهم **قوله** ولا ينزفون عقولهم اشارة الى
ما ذكره في سورة الصافات من ان اصله النفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله و
نزحت الركية حتى نزفت ماءها والنفاد في الاية اما للعقل او للشراب فان نفاد الشراب مخل
لنشاط اهل المجلس **قوله** وقرئ لا يصدعون بفتح الياء وتشديد الصاد والاصل يتصدعون
اي يتفرقون فالمعنى ح لا يتفرقون كما يتفرق اهل الشرب من مجلس الشراب لمهم من مهمات
الدنيا وذلك التفرق بمنعهم من الاستمرار على صفاء الاجتماع في المجلس **قوله تعالى** وفاكهة مجرور
بالعطف على اكواب اي وبفاكهة وتخير الشيء واختاره عده خيرا ومن في قوله مما يتخيرون اما
لتبيين الجنس لان كل جنس من اجناسها في الفضل سواء او للتبعيض اي من جنس ما يتخيرونه
من اجناس الفاكهة او من اجناس ما يستلذ به من نعيم الجنة وكذا قوله تعالى مما يشتهون
عن ابن عباس رض قال يخطر ببالهم لحم الطير فيصير ممثلا بين ايديهم على ما يشتهونه فاذا
اخذوا منه حظهم يطير فيذهب وخص لحم الطير من بين اللحوم لان توسع العرب كان
بلحم الابل ويعز عندهم لحم الطير وكانوا يسمونه عند الملوك واحتج في توجيه عطف قوله
حور على اكواب الى اعتبار المعنى لانه لو عطف عليه باعتبار اللفظ لكان المعنى ويطوف عليهم
الولدان باكواب وبحور عين وهو غير صحيح لان الولدان لا يطوفون عليهم بالحور **قوله**
باطلا الباطل من الكلام ما يلغى ولا يلتفت اليه لعدم الفائدة في سماعه وخلوه عن معنى

تجمعه اصلا في نسج الدروع المنسوجة المضفورة من الدصن وهو النسج مطلقا [illegible]

واختلفوا في هؤلاء الولدان فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله تعالى اخبر انه يلحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فلو خدمه ولد غيره كان فيه منقصة بالخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا القول اقرب من الاول لانه قد اختلف في اولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال نعلم بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور لهم وان لم يولدوا لم يحصلوا على ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم والامة وليدة وان اسنت
ابن خازن

معنى يعتد به وان لم يكن كذبا ولا فحشا والتاثيم مصدر اثمته اي قلت له اثمت اي لا يؤثم
بعضهم بعضا وقوله الا قيلا استثناء منقطع لانه لا يندرج تحت اللغو والتاثيم وسلاما
سلاما اما بدل من قيلا اي لا يسمعون فيها الا سلاما سلاما او صفة لقيلا اي ولكن يسمعون
قولا ذا سلامة مما يكره اي خولا سالما او كلاما حسنا او مفعول للقول قيلا والمعنى لا يسمعون
فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما او مصدر مؤكد لفعله المحذوف المحكي بقوله قيلا اي الا ان يقول
بعضهم بعضا اسلم سلاما واسلم مما تكره سلاما او سلم الله تعالى عليكم سلاما ومعنى
التكرير في سلاما انهم يفشون السلام بينهم ويسلمون سلاما بعد سلام **قوله تعالى** في سدر مخضود
اي هم في خلال نبق خضد شوكه اي قطع والخضد وان كان قطع الشوك من الشجر ونزعه
منه الا ان المص فسر المخضود بقوله لا شوك له على معنى انهم في سدر خلق بلا شوك كان
نزع منه شوكه بعد ان كان فيه وعن مجاهد المخضود المتوقر الذي تنثني اغصانه من كثرة
حمله من خضد الغصن اذا اثناه وهو رطب وقال سعيد بن جبير ثمرها اعظم من القلال و
قال ابن كيسان المخضود هو الذي لا اذى فيه قال وليس شيء من ثمر الجنة في غلق كما يكون
في الدنيا من الباقلاء وغيره بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه **قوله** وشجر
موز والبه ذهب اكثر المفسرين هو شجر له اوراق كبار وظل بارد كما ان اوراق السدر صغار
وبينهما من الاشجار ما هو متوسطة الاوراق وذكر الطرفين يدل على اندراج ما بينهما
وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان لها نور طيب الرائحة وان كان لا يوكل منه شيء فيقصد
منه التنزه والزينة دون الاكل قيل كان لاهل الطائف واد يعجب فيه الطلح والسدر
فنظر المسلمون اليه فقالوا يا ليت لنا في الجنة مثل هذا الوادي فنزلت هذه الاية وقد
قال تعالى ولكم فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين فذكر لقوله ما يعجبهم ويحبون مثله وفضل
طلح الجنة وسدرها على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقرئ و
طلع منضود والعين اسند لا يقوله تعالى لها طلع نضيد فلا اشجار الجنة ليس لها ساق
بادية بل ثمارها منضودة من عروقها الى افنانها كلما اخذت منها ثمرة عاد مكانها احسن
منها **قوله** مسكوب اي ينصب لهم من مكان عال الى اخر من فوق ارض الجنة يسح وصفا وهو اعجب المياه في مجرى
العين وقيل ينصب من ساق العرش وقال سفيان يجري من غير اخدود وقيل دائم الجرية
لا ينقطع وما اشار اليه من النعيم بقوله ابن شاذ الكيوعيات واستفاد من عدم ذكر متعلق
مسكوب **قوله** لما شبه حال السابقين في التنعم باعلى ما يتصور لاهل المدن من الاستقرار على
السرر الى قوله واصحاب اليمين وما يتمناه اهل البوادي هو الاستقرار في ظلال السدر والظل والماء

وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل الخ

عن الامام انه قال سكب معناه مسكوب من الاماكن المرتفعة لان اكثر ماء العرب جار في غير اخدود فلا ينسكب في الهواء ولا ينقطع عنهم بل يحتاج اصحاب البادية وكانت العرب وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون الى الماء الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك
[illegible]

الموصوفة بالاوصاف المذكورة قوله لا تستطيع في وقت من الاوقات حتى في وقت الاخذ بل
يثبت مكانها مثلها قوله لا تمتنع عن متناولها بوجه كبعد بيتها وانعدام ثمن يشترى به وشوكة
في الشجر يؤذي من يقصد تناولها وحائط يمنع الوصول الى شجرها بل اذا اشتهاها العبد دنت منه
حتى يأخذها بلا تعب قال تعالى وذللت قطوفها تذليلا قوله او منضدة اي مبسوطة بعضها فوق
بعض يقال نضد متاعه ينضده من باب ضرب اذا وضع بعضه على بعض قيل لو طرح فراش
من اعلاها الى اسفلها لم يستقر الا بعد سبعين خريفا قوله ويدل عليه اي على ان المراد بالفرش
النساء وجه الدلالة ظاهر ومن حمل الفرش على ظاهرها جعل ضمير انشأناهن راجعا الى قوله
وحور عين او الى النساء المدلول عليهن بذكر الفرش لانها تبسط لان يضطجع عليها الرجل مع
اهله قوله ابتداء او اعادة الاول على ان يكون المراد بالمنشآت الحور اللاتي انشأهن الله تعالى في
الجنة انشاء مخترعا من غير ولادة والاعادة على ان يكون المراد بها نساء الدنيا ومما يدل على ان
المراد بهن نساء الدنيا قوله تعالى فجعلناهن ابكارا لان المنشآت في الجنة لا شك في كونهن ابكارا
والجعل بمعنى التصيير يستدعي ان يكن قبل ذلك ثيبات ويدل عليه ايضا ان ام سلمة رض سألت
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا
رمصا وفي رواية عمصا مكان شمطا جعلهن بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما
اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة رض ذلك قالت واوجعاه
فقال عليه الصلوة والسلام ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع
الله تعالى ان يدخلني الجنة فقال عليه الصلوة والسلام ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت تبكي
فقال عليه الصلوة والسلام اخبروها انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية عربا اترابا والشمط
جمع شمطاء يقال رجل اشمط وامرأة شمطاء وجمعها شمط اذا خالط بياض شعر رأسه
سواده والعمش في العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها في اكثر الاوقات والرجل اعمش
والمرأة عمشاء والرمص وسخ يجتمع في الموق والرجل ارمص والمرأة رمصاء قوله جمع
عروب كرسل ورسول من اعرب اذا بين والعرب في نبين محبتها لزوجها بالغنج وحسن
الشمائل وطيب النفس والمداعبة معه بما ينشط في قربانها قوله او صفة لابكارا او لاترابا وقد
اشار اليه المص بقوله وكذا ازواجهن قوله او خبر لمبتدأ ثلة من الاولين واللام سواء
جعل لاصحاب اليمين صفة او خبرا متعلق بمحذوف هو الصفة او الخبر والسموم في الاصل
ريح حارة تدخل في مسام البدن والمراد بها في الاية حر النار شبه بالسموم في نفوذه
المسام ومسام البدن منافذه وثقبه والحجمة الفحم وفي الحديث لا يستنجي احدكم بالحجمة اه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين نسخة

اي بالفحم والمعنى ان الصنف الثالث من الازواج الثلثة وهم اصحاب الشمال في سمائم حر نار جهنم
تخرج بها اكبادهم واجسادهم فيستغيثون بالماء فيغاثون بماء حميم شديد الحرارة فيزدادون
دون عذابا فوق عذابهم بحر النار فيستغيثون بالظل فيغاثون بظل من يحموم فاذا اتوه
لم يجدوه باردا ولا كريما بل يكون ما لقوا فيه من العذاب اشد مما كانوا فيه قبل ذلك قوله ولا نفع
فان الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه والكريم ما كرم على غيره لانتفاعه به وما لا ينتفع به
غيره لا يكون كريما والظل يقصد لفائدتين احديهما برودته التي يستريح بها من يأوي اليه
من غير ان يقصد به دفع اذى الحر عنه وثانيهما مجرد دفع اذى الحر عمن يأوي اليه مع قطع
النظر عن ان يفيده روحا او من غير ان يفيده البرد اصلا كالبيوت التي لا تتحرك فيها الهواء
فان من يأوي اليها يتخلص بها عن اذى حر الشمس وان لم يسترح ببردها وظل اليحموم ليس فيه
شيء من هاتين الفائدتين ونظير هذه الاية قوله تعالى انطلقوا الى ظل ذي ثلث شعب لا ظليل
ولا يغني من اللهب قوله نفى بذلك اي بقوله لا بارد ولا كريم ما اوهم الظل من الاستراحة
يعني ان مقتضى الظاهر ان يقال وظل من يحموم حار ضار الا انه عدل عن ذلك الى قوله وظل للتهكم
بهم من حيث ان الظل يوهم الروح والبرد ثم لما نفى عنه ما هو المطلوب من الظل وهو البرد
والكرم تعين ان ذكر الظل انما هو للسخرية والتهكم بهم والتعريض بان الذين يستأهلون
الظل البارد والكريم غيرهم اي بالنجس بهم وتأسفهم ثم انه تعالى ذكر اعمالهم التي اوجبت
لهم هذا العذاب فقال انهم كانوا قبل ذلك اي قبل ان يصيروا الى هذا العذاب في الدنيا مترفين
اترفته النعمة اذا اطغته ومن لم يتوسل بما انعم الله تعالى عليه من النعم الى رعاية مقتضى
العبودية بل صرفه الى ما يشتهيه فقد اترف وطغى فعلى هذا المترف صفة ذم كالاصرار
على الحنث وقيل الترفه التنعم والمترف المنعم فهو في حد نفسه ليس للذم وانما حصل
الذم بقوله وكانوا يصرون على الحنث فان المعاصي ممن كثرت النعم عليه اقبح القبائح فكانه
قيل انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين ولم يشكروا انعم الله تعالى عليهم
بل اصروا على الذنب العظيم والحكمة في ذكر سبب عذابهم مع انه لم يذكر في اصحاب اليمين
سبب ثوابهم فلم يقل انهم كانوا قبل ذلك شاكرين مطيعين التنبيه على ان ذلك الثواب منه تعالى
فضل لا يستحقه المطيع بطاعته بخلاف العقاب فانه منه تعالى عدل يصيب المذنب جزاء
المعصية فبين سبب عقابهم لئلا يتوهم ان هناك ظلما قوله ووقت المؤاخذة بالذنب
فقوله بلغ الغلام الحنث من قبيل انبت الربيع البقل من حيث ان الحنث اقيم مقام الوقت اي
بلغ وقت الحنث بمعنى وقت المؤاخذة به قوله كررت الهمزة الخ يعني ان الهمزة الاولى

لانكار الحشر مطلقا والثانية لانكاره وقت كون لحومهم ترابا وعظامهم رفاتا والتي دخلت
العاطف لانكار البعث ابائهم الذين هم اقدم موتا واتم انحلالا فكل واحد من هذه الامور اشد
انكارا مما قبله فانهم اشاروا الى استبعادهم للبعث وتكذيبهم اياه الى امور اعتقدوها مقررة
لصحة انكارهم له الاول الموت اشاروا اليه بقولهم ائذا متنا والثاني طول مدة موتهم بحيث
صارت لحومهم ترابا ولم يبق منهم الا العظام البالية ثم زادوا وقالوا في هذه الحال يقال لنا انكم
لمبعوثون بتاكيد الكلام بطرق ثلثة احدها تصدر الكلام بان وثانيها زيادة اللام في خبرها
في خبرها وثالثها العدول عن صيغة المستقبل الى صيغة اسم المفعول كان البعث امر كان في
الحال ثم زادوا وقالوا اوآباؤنا الاولون بادخال همزة الانكار على الواو العاطفة للدلالة على
ان ذلك اشد انكارا من حيث ان الاباء اقدم موتا واشد تلاشيا واضمحلالا قوله اوآباؤنا معطوف
على الضمير المرفوع المتصل في لمبعوثون وجاز ذلك لقيام الهمزة الفاصلة مقام التاكيد كما
قامت كلمة لا المؤكدة للنفي مقامه في قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا وقرئ باسكان الواو على
انها او القاسمة التي هي لاحد الشيئين او الاشياء اي انبعث نحن او اباؤنا انكارا لان يبعث
كل واحد منهم ومن ابائهم قوله لا هو لما تقرر ان ما بعد كلمة ان ولا ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل
فيما قبلها قوله وقرئ لمجموعون لتكثير المفعول كما في قوله تعالى وغلقت الابواب قال الحسن
لمجموعون في القبور الى ميقات يوم معلوم وهو يوم القيمة فيكون كلمة الى لبيان غاية اجتما
عهم فيها وميقات الشيء ما وقت به ذلك الشيء اي حدد وعين قوله من يوم معين بيان لما في
قوله ما وقت به اشار به الى ان اضافة الميقات الى اليوم بيانية بمعنى من كما في نحو خاتم فضة اي
الى الميقات الذي هو اليوم المعلوم وهو يوم القيمة وهو ميقات تنتهي الدنيا عنده اول جزء منه
فان بقاء الدنيا موقت محدود بتحقق اول جزء من ذلك اليوم يقال وقت الفعل بالتخفيف اذا
بين له وقتا يفعل فيه وذلك الفعل موقت قال تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا
اي مكتوبا مبين الوقت وقيل قوله تعالى لمجموعون معناه لمحشورون فكلمة الى على هذا بمعنى اللام
او بمعنى في كما في البيت قوله من الاولى لابتداء الغاية اي مبتدئون الاكل من شجر والمراد ثمره
والثانية لبيان جنس ذلك الشجر وقد اختلف الناس في الزقوم وحاصل الاقوال يرجع الى ان
ذلك في الطعم مر وفي اللمس حار وفي الرائحة منتن وفي المنظر اسود لا يكاد اكله يسيغه فهو طعام
ذو غصة كريه من جميع الوجوه اعاذنا الله منه برحمته والفاء في قوله تعالى فمالئون المتوسطة بين
الصفتين المختلفتين لبيان ترتبهما في الوجود والتعجب من جمعهم اياهما وكذا الفاء في فشا
ربون الاول وكذا في قوله فشاربون شرب الهيم فان مجرد الكلهم من ذلك الشجر الموصوف
امر

امر عجيب واعجب منه ان يغلب عليهم الجوع بحيث يقتضي ان ياكل كل واحد منهم الى ان
يملأ منه بطنه مع ما فيه من وجوه العذاب هذا على ان يكون ذكر البطون لمقابلة الجمع بالجمع
لانقسام الاحاد الى الاحاد ويحتمل ان يكون المراد من البطون ما في باطن الانسان من
الامعاء السبعة ويكون المعنى فمالئون بطون الامعاء والاول الظهر والثاني ادخل في التعذيب
واعجب منه ان يحملهم غلبة العطش على ان يشربوا عليه الحميم المتناهي الحر المقطع للامعاء
واعجب من ذلك كله كونهم شاربين اياه بالحرص كما يشرب الهيم الماء الطيب قوله جمع
اهيم او هيماء فاصله هيم بضم الهاء كحمر في جمع احمر وحمراء فابدلت الضمة كسرة لتسلم الياء
كما فعل ذلك في بيض جمع ابيض او بيضاء والصداء العطش قوله ولا يقضي عليها
هياما اي لا يترها قوله وقيل الرمال عطف على قوله الابل التي بها الهيام والرمل اذا لم يتماسك
لا يروى من الماء اصلا وهيام يجمع على هيم بضمتين على وزن سحب في جمع سحاب فاسكنت
الياء للتخفيف فابدلت ضمة الهاء كسرة لاجل الياء كما في بيض قوله وكل من المعطوف و
المعطوف عليه اخص من الآخر جواب عما يقال كيف صح عطف الشاربين على الشاربين مع انه ليس
من عطف الذوات على الذوات لاتحاد الذوات في الطرفين ولا من قبيل عطف الصفات لانهما
صفتان متفقتان فكان عطفا للشيء على نفسه وهو لا يجوز وتقرير الجواب منع اتفاق الصفتين
بناء على ان بينهما عموما من وجه لان الشرب من الحميم اعم من ان يكون كشرب الهيم او غيره وكذا
الشرب كشرب الهيم اعم من ان يكون من الحميم او غيره ومادة الاجتماع ظاهرة قوله وفيه تهكم اي
قوله هذا نزلهم من قبيل الاستعارة التهكمية وهي عبارة عن تشبيه احد الضدين بالآخر
من حيث التضاد ثم اطلاق اسم المشبه به على المشبه شبه في الآية ما قدم للتعذيب بما اعد للتكرمة
وهو النزل ثم اطلق اسم النزل على المشبه قوله بالخلق او بالبعث يعني ان قوله تعالى فلولا تصدقون
تحضيض على التصديق بمعنى هلا تصدقون والتصديق لا بد له من مصدق به ولم يذكر ذلك
فيحتمل ان يكون المراد التحضيض على التصديق بالخلق الاول فانهم وان كانوا مصدقين به لقوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله الا انهم منزلون منزلة المكذب به
من حيث انهم لا يجرون على ما يقتضيه ذلك التصديق وهو الايمان والطاعة وقد تقرر ان العالم
بالشيء ينزل منزلة الجاهل به اذا لم يجر على مقتضى علمه فهم لما اصروا على الكفر واتباع الشهوات
صاروا بمنزلة من كذب بالخلق الاول فصح تحضيضهم على التصديق به ويحتمل ان يكون المراد
تحضيضهم على التصديق بالبعث استدلالا بالخلق الاول ثم انه تعالى لما قال نحن خلقناكم استدل
عليه بقوله افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون فانه الزام لهم على الاعتراف

بان الخالق في الابتداء هو الله تعالى فان المني امر ممكن والممكن لابد له من موجد غير ذاته وموجده
لا يكون مخلوقا آخر والا لدار او تسلسل فتعين ان خالقه هو الله الواحد القهار ركانهم
لما قال خلقناكم قال المشركون خلقنا من النطف فرد عليهم بقوله افرأيتم ما تمنون اي ان زعمتم
ذلك فاخبروني ومفعولها الاول ما تمنون وثانيه الجملة الاستفهامية يقال امنى الرجل النطفة
وامناها بمعنى اي صبها فقوله تعالى ما تمنون سواء قرئ بفتح التاء او ضمها معناه ما تصبونها
في ارحام النساء قال القرطبي يحتمل عندي ان يختلف معناهما فيكون امنى بمعنى انزل عن جماع
ومنى بمعنى انزل عن احتلام وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى يحتمل ان يكون من البابين قوله
قسمناه عليكم واقتنا موت كل بمعنى اي تقدير الموت بين القوم يتضمن معنيين الاول
جعله مقسوما عليهم والثاني جعل ما اصاب كل واحد منهم مخالفا لما اصاب الباقين منه //
فاختلفت اعمارهم بذلك كما اختلفت الارزاق المقسومة بينهم فمنهم من يعيش الى ان يبلغ
الهرم ومنهم من يموت شابا وصبيا صغيرا ولما كان تقدير الموت متضمنا لها كان قوله تعالى و
ما نحن بمسبوقين نفيا لان يعجزه احد عن كل واحد منهما ويفوت عن تنفيذ مشيئته في حقه
بان يتخلص عن الموت او يغير وقته المقدر ويجوز ان لا يكون السبق بمعنى الفوات بل يكون
بمعنى الغلبة كما يقال سبقته على الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه قوله على الاول
حال يعني على تقدير ان يفسر قوله تعالى وما نحن بمسبوقين بقولنا لا يفوتنا احد يهرب عن الموت
او يغير وقته يكون قوله تعالى على ان نبدل متصلا بقوله نحن قدرنا بينكم الموت اما بان يكون حالا من
ما على قدرنا بينكم الموت عازمين على ان نبدل امثالكم اشباهكم بان نهلككم ونأتي باشباهكم مكانكم
قرنا بعد قرن الى وقت انقضاء الدنيا وعلى ان ننشئكم بعد فناء الدنيا فيما لا تعلمون من الصور
والصفات فان السعداء يبعثون على احسن الصور والاشقياء على اقبحها وهم لا يعلمون شيئا
منها اليوم واما بان يكون علة لقدرنا بان يكون كلمة على بمعنى اللام وعلى هذا اي على تقدير كونه متصلا
به يكون حالا او علة يكون قوله تعالى وما نحن بمسبوقين اعتراضا حسنا لتقرير قدرته على
ما يشاء قوله وعلى الثاني صلته اي ان فسر قوله تعالى وما نحن بمسبوقين بلا يغلبنا احد يكون
قوله على ان نبدل صلة اي متعلقا بمسبوقين فان السبق بمعنى الغلبة يتعدى بعلى كما اشار اليه بقوله
من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ولان نفي المغلوبية في معنى اثبات القدرة وهي تتعدى بعلى فكذا
ما بمعناها قوله والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم اشارة الى ان احد المفعولين وهو المتعدى
اليه بحرف الجر محذوف وان الامثال جمع مثل بكسر الميم وسكون الثاء ثم اشار الى جواز ان يكون
الامثال جمع مثل بفتحتين وهو الصفة العجيبة التي ان اطلق عليها لفظ المثل تشبيها لها بالقول

بالقول السائر المثل مضربه بمورده الذي هو المعنى العرفي للفظ المثل والمعنى على ان نبدل
صفاتكم ونغير بها وننشئكم في صفات وخلق وهيئآت لا تعلمونها وما عهدتم نظايرها قوله
وننشئكم عطف على ان نبدل اي وعلى ان ننشئكم ثم انه تعالى قرر امكان النشأة الثانية و
حرض على التذكر والاستدلال من العلم بالنشأة الاولى على النشأة الثانية اي هلا تذكرون
ان من قدر على النشأة الاولى بلا سبق مثال ومواد فهو على الثانية اقدر فقال ولقد علمتم النشأة
الاولى اي الخلقة الاولى قوله وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة
الاخرى على الاولى بقوله فلولا تذكرون فان معناه فلولا تعلمون صحة النشأة الثانية قياسا
على الاولى وترك القياس اذا كان جهلا كان القياس علما وكل ما كان من قبيل العلم فهو
صحيح وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق
بالنشأة الاخرى وهو يسعى لدار الغرور واعلم انه تعالى احتج على المشركين الذين انكروا
البعث بقوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق النطفة
التي مادة تكونهم فقال افرأيتم ما تمنون الخ ثم حملهم على ان يعترفوا بتفرده في خلق ما به يعيشون
ويكون سببا لبقائهم من المأكول والمشروب وما هو سبب لاصلاح المأكول غالبا وهو النار
فذكر من نوع ما هو الاصل فيه فذكر من المأكول الحب لانه الاصل فيه ومن المشروب الماء كذلك
ومن المصلحات النار لكونها سببا لاصلاح اكثر الاغذية ودخل في كل واحد منها ما هو دونه
فقال افرأيتم ما تحرثون اي اخبروني ما تحرثونه اي تبذرون حبه والزرع الذي تعالى لان الحرث
الذي هو القاء البذر في الارض فعلهم من حيث ان اختيارهم له مدخل فيه بخلاف الزرع
فانه خالص فعل الله تعالى فان انبات الحب واخراج الاوراق والساق والسنبل منه لا مدخل
فيه لاختيار العبد اصلا روي عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن
احدكم زرعت لكن ليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى وحده ثم قال ابو هريرة الم تسمعوا
قوله تعالى انتم تزرعونه ام نحن الزارعون قال القرطبي المستحب لكل من حرث شيئا ان يستعيذ
بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ افرأيتم ما تحرثون الآية ثم يقول بل الله الزارع والمنبت و
المبلغ اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا لانعمك من الشاكرين
يقال ان هذا القول امان لجميع الزرع من الآفات اليابس والهشيم من النبات اليابس المتكسر قيل هذه الآية تتضمن
امرين احدهما الامتنان عليهم والثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه تعالى لما انبت زرعهم بعلة
نلاشي بذره وانتقاله الى سوء حالة تحت التراب حتى صار زرعا اخضر ثم قوي واشتد و
انبت سنابل ذوات حبوب كثيرة فمن قدر عليه فهو باعادة الموتى احق واقدر وفي هذا البرهان

صحيح لكن كان الزرع في ... الآفات الدود ... وغيره ... ذلك ...
... ان انبت ... حتى ... على نعمة عليهم ...

قناعة للناظرين والجمهور على فتح الظاء وسكون اللام في قوله فظلتم اصله ظللتم بكسر اللام
الاولى فحذفت اللام الاولى هربا من ثقل التكرر وقرئ فظلتم بكسر الظاء بان نقلت حركة
اللام الاولى اليها بعد سلب حركتها وتفكهون اصله تتفكهون اي فظلتم النهار كله تتعجبون
من يبسه بعد خضرته يقال ظللت اعمل كذا بالكسر ظلولا اذا عملته بالنهار دون الليل وتفكه
بمعنى تعجب ويقال بمعنى تندم اي تتندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم
من المعاصي التي اصبتم بالحرمان من اصلها قوله لمغرمون غرامة ما انفقنا من البذر والمؤنة
على ان المغرم من ذهب ماله بغير عوض وقيل المغرم المهلك من قوله ان عذابها كان
غراما اي هلاكا والجملة محكية بقول مقدر في موضع الحال اي قائلين بهذا القول قوله او
محدودون من الحد بمعنى المنع اي ممنوعون حرمنا ما كنا نطلبه من الريع والزرع قوله
فمعلقة بالاستفهام الداخل على المفعول الثاني عن العمل فيه ولا يمنع عن العمل في المفعول
الاول ذكر في شرح الرضي انه اذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام فالاولى ان لا يعلق
فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وجوز بعضهم تعليقه عن المفعولين
لان معنى الاستفهام يعم الجملة التي بعد علمت كانه قيل علمت من زيد وليس بقوي قوله ملحا
اي شديد الملوحة بحيث لا يقدر على شربه والملح صفة مشبهة من ملح الماء بضم اللام ملوحة
فهو ماء ملح ولا يقال مالح الا في لغة ردية والاجيج مصدر بمعنى تلهب النار يقال اججت
النار فتأجج اجيجا قوله وحذف اللام الفاصلة جواب عما يقال قد التزمت البلغاء ادخال
اللام في جواب لو للفصل بين ما يتمحض للشرط وهو كلمة ان وبين ما لا يكون كذلك بل يكون
متضمنا بمعنى الشرط وشبيها باداة الشرط وهي كلمة لو فلذلك دخلت اللام في جواب لو في
قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فلم لم تدخل في قوله لو نشاء جعلناه اجاجا وانما قلنا ان
لو ليست متمحضة للشرط لان الشرط عبارة عن تعليق حصول شيء بغيره وذلك يستدعي
ان يكون المعلق امرا استقباليا ولو للمضي فلا يكون للشرط حقيقة لكنها لما دخلت على جملتين
تعلقت احديهما بالاخرى بان يكون امتناع مضمون الثانية منهما منوطا بامتناع الاولى
منهما كانت متضمنة لمعنى الشرط وشبيهة باداة الشرط وليس لها عمل في شيء منهما
حتى يكون العمل علامة لهذا التعلق فاحتيج الى ان ينصب ما يدل عليه فزيدت اللام في
جوابها لتكون علامة ودليلا على التعلق المذكور وتقرير الجواب انها حذف في جواب لو الثانية
اعتمادا على علم السامع بمكانها فان السامع لما علم انها جعلت علامة لكون الجملة الثانية مرتبطة
بالاولى وانها لا بد منها في جواب لو مطلقا واشتهر بين الناس موقعها ومكانها جاز حذفها
لان

لان الشيء اذا علم موضعه واشتهر انه لا بد منه لا يبالى باسقاطه فيحذف للاختصار
اعتمادا على وجود القرينة الحالية لا سيما وقد تحققت هنا قرينة لفظية وهي سبق ذكرها
في قوله لو نشاء لجعلناه حطاما فقوله او الاكتفاء اشارة الى تحقق القرينة اللفظية و
قوله لعلم السامع الى تحقق القرينة المعنوية وقوله وتخصيص ما يقصد لذاته جواب عما
يقال القرينة الحالية قائمة في كل واحد من آيتي المطعوم والمشروب فلم اختصت آية
المطعوم بذكر اللام فيها وآية المشروب بحذفها اعتمادا على القرينة الحالية ولم يعكس
الامر وتقرير الجواب ان المطعوم مقصود لذاته والمشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم
فكان الاول اهم وفقده اصعب واشد فكان مقام مرجحا لاختصاصه بمزيد التاكيد
للارتباط وعدم الاكتفاء بالقرينة قوله تقدحون اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد
هو جمع زند يقال ورى الزند وريا اي خرجت ناره واوريته انا والزند العود الذي تقدح
به النار وهو الاعلى والزندة السفلى فيها ثقب وهي الانثى فاذا اجتمعا قيل زندان والجمع
زناد والقداح الحجر الذي يورى النار والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر و
يسمون الاعلى منهما الزند والاسفل الزندة تشبيها لهما بالفحل والطروقة عن ابن
عباس رضي الله عنه ما من شجر ولا عود الا فيه النار سوى العناب فان عوده لا نار فيه ولهذا يدقه
اهل القصارة بخشبه قوله لما مر في سورة يس وهو قوله فمن قدر على احداث النار
من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفية كان اقدر على اعادة الغضاضة
فيما كان غضا فيبس وبلي والتبصرة التبصرة التذكير والايضاح لان التبصر التامل و
التذكير فهو بمعنى جعل النار مبصرة لامر البعث او مبصرة في ظلمة الليالي او مذكرة و
واتخوفنا النار جهنم حيث علقنا بها معظم معاش الانسان لتكون حاضرة عندهم في
اكثر الاوقات ليتذكروا بها نار جهنم ويفزعون عنه صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي
توقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم قوله للذين ينزلون القواء من المسافرين
واهل البادية فانهم اشد احتياجا الى النار يوقدونها لتهرب منهم السباع و
يصطلون البرد ويجففون ثيابهم ويصلحون طعامهم اذ لا يوجد الطعام الحاضر في البوا
دي الخالية من السكان فلذلك خص المقوين بالذكر مع ان المقيمين واهل المدن يتمتعون
بها ايضا يقال اقوى الرجل اذا نزل في الارض القواء كما يقال اصحر اذا نزل في الصحراء ويقال
ايضا اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها قال النابغة يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت و
طال عليها سالف الابد فدم كونها مذكرة على كونها متاعا لانها امر ديني قد غفل الناس عنها

فكانت اهم واولى بالتقديم قوله واحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره كان قائلا ما ل الظاهر
ان يقال فسبح ربك العظيم اى فنزهه عما لا يليق بشانه الاعلى من النقائص فانه تعالى لما رد على
من انكر البعث بان قال ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون بان ذكر ما يدل على صحة
البعث وقدرته عليه وبدا بذكر خلق الانسان لكونه اصل النعم كلها ثم ذكر تفرده بخلق
ما به بقاء الانسان فبدا بذكر ما هو اصل المطعوم وهو الحب ثم ذكر ما هو اصل المشروب
وهو الماء الذى يعجن به الخبز ويشرب ثم ذكر النار التى يطبخ بها معظم المطعومات ويتم
بها اكلها ان من انعم بهذه النعم عليكم وتفرد بخلقها ابتداء لا يقدر ان يعيدكم للحساب و
الجزاء فرع عليه الامر بتسبيحه وتنزيهه عما زعم منكروا البعث فى حقه تعالى فانهم منكرو لقدرته
الكاملة وعلمه الشامل لتفاصيل اجزاء الموتى فثبت بهذا ان الظاهر ان يقال فسبح ربك العظيم
عما يقول الجاهلون فلم قيل فسبح باسم ربك وتقرير الجواب ان كون الامر بالتسبيح متفرعا على
دلائل صحة البعث لا يستدعى تعلق التسبيح بمفعوله مرادا لان المقصود حاصل بتنزيله
منزلة اللازم وجعل الباء فى قوله باسم ربك للملابسة اما بتقدير الذكر المضاف الى الاسم و
جعل الاسم بمعنى الذكر مجازا فيكون المعنى فاحدث التسبيح بواسطة ذكر اسمه تعالى او بواسطة
ذكره تعالى وجاز كون الاسم مجازا عن الذكر لما اشار اليه المص بقوله فان اطلاق اسم الشىء ذكره
فانه اراد به بيان العلاقة بين الاسم والذكر يعنى ان اطلاق اسم الشىء لما كان سببا لذكره
صح اطلاق الاسم وارادة الذكر مجازا اصل ويجوز ان يجرى النظم على ظاهره من غير تقدير
المضاف والارتكاب المجاز بان يكون المعنى فسبح اسم ربك فانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى و
صفاته عن النقائص كذلك يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة للدلالة على ذاته عن سوء
الادب وهذا ابلغ فى الدلالة على تسبيح ذاته تعالى لانه يلزم منه ذلك بالطريق الاولى غاية ما فى
الباب ان يعدى فعل التسبيح الى مفعوله بواسطة الباء مع انه يعدى اليه بنفسه كما فى قوله تعالى
سبح اسم ربك الاعلى ولا محذور فيه لانه اذا كان تعلق الفعل بالمفعول ظاهرا لا يعدى اليه
بحرف الجر فلا يقال ضربت بزيد بل يقال ضربت زيدا واذا كان فى غاية الخفاء لا يعدى اليه الا
بحرف فلا يقال ذهبت زيدا بل يقال ذهبت بزيد واذا كان التعلق بين الامرين جاز الوجهان
فيقال سبحته وسبحت به وشكرته وشكرت له وقيل الاسم المقحم كما فى قوله ثم اسم السلام عليكما
قوله كلمة لا فى قوله تعالى فلا اقسم فيها اربعة اوجه الاول انها نافية والثانى انها مزيدة للتاكيد والثالث
انها لام ابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر كما فى لزيد منطلق والرابع انها للرد على الكفار
فى قولهم فى حق القران من انه سحر وشعر وكهانة ثم استانف القسم على انه قران كريم فهى فى

هذا الوجه ايضا حرف نفى الا انها ليست لنفى القسم بل لنفى ما هو محذوف وهو كلام الكفار فى
حق القران قال صاحب الكشف قوله تعالى فسبح باسم ربك ذكر فيه وجهين الاول فيه اضمار والثانى
مجاز والباء للاستعانة او الملابسة والمراد بذكر ربه او ذكر اسمه تلاوته للقران او لهذه
السورة الكريمة المتضمنة لاثبات البعث والجزاء ومراتب اهله لينطبق عليه قوله فلا اقسم
وعلى الاول لا بد من اضمار اى فسبح باسم ربك وامتثل ما امرت به فاقسم انه لقران والغرض
تاكيد الامر بالتسبيح انتهى كلامه فان قيل كيف جاز ان يكون كلمة لا فى قوله فلا اقسم لنفى الاقسام
مع انه تعالى قال بعده وانه لقسم عظيم فانه يدل على تحقق الاقسام منه تعالى وان المص صرح بان
قوله تعالى انه لقران كريم مقسم عليه وان قوله تعالى وانه لقسم عظيم اعتراض بين القسم والمقسم
عليه فالجواب ان التركيب وان كان موضوعا لنفى الاقسام بمواقع النجوم الا انه فى الدلالة على
تحقق المقسم عليه وتاكيده ابلغ من الاقسام بها فكانه قيل كون ما انزل عليك من الوحى قرانا كريما
اوضح من ان يحتاج الى قسم يؤكده وابعد من ان يكون له احد ينكره فلا اقسم عليه فبهذا الاعتبار
صح ان يجعل مواقع النجوم مقسما بها وان يجعل قوله انه لقران كريم جواب القسم والضمير فى قوله
وانه لقسم عائد الى القسم المدلول عليه بقوله فلا اقسم ضرورة ان الفعل يتضمن ذكر المصدر وفسر
مواقع النجوم اولا بمساقطها وهى المغارب التى تسقط النجوم عندها وثانيا بمنازلها ومجاريها
الكائنة فى السماء ثم نقل ما روى عن ابن عباس رض من ان المراد بمواقعها اوقات نزولها فا
نها جمع موقع بمعنى وقت الايقاع فالنجوم كل حصة من الآى التى تنزل فى كل وقت قوله وهو اعتراض
فى اعتراض اى جملة معترضة فيها جملة معترضة او جملة معترضة فى جملة معترضة فان
قوله وانه لقسم عظيم اعتراض بين القسم وجوابه مقرر للتاكيد وتعظيم للمقسم به وقوله لو
تعلمون ايضا اعتراض بين قوله لقسم عظيم وهما الموصوف والصفة تاكيد لذلك التعظيم قوله
كثير النفع او حسن مرضى يعنى ان الكريم قد يطلق على الجواد الكثير النفع وقد يطلق من كل شىء
على احسنه كما قيل الكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد فى بابه يقال وجه كريم اذا رضى فى حسنه وجماله
وكتاب كريم اى مرضى فى معانيه وجزالة الفاظه وفوائده ونبات كريم اى مرضى فيما يتعلق به من
المنافع والضمير فى قوله انه لقران عائد الى معلوم متميز عند الكل وهو الكلام الذى انزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الكافرون يقولون انه كلام اخترعه من عنده وسحر وشعر
ونحو ذلك فقال تعالى ردا عليهم انه لقران كريم فى كتاب مكنون اى مستور عن اعين الناس وهو
اللوح المحفوظ لقوله تعالى بل هو قران مجيد فى لوح محفوظ والقران فى الاصل مصدر كالغفران
والرجحان اريد به المفعول وهو المقروء كما تقول للجسم العظيم انظر الى قدرة الله تعالى اى مقدوره

وقال انه هذا خلق الله بل مخلوقه فان قيل اذا كان الكلام ردا على المشركين فهم ما كانوا ينكرون
كونه مقروءا فما الفائدة في قوله انه لقرآن اجيب عنه اولا بان الرد انما هو بمجموع قوله انه لقرآن كريم
وهم ما كانوا يقرون به وثانيا بان المعنى انه لكلام مقروء على موحى اليه بواسطة ملك وهم ما كانوا
يقرون به ايضا بل يقولون انه مختلق مفترى فلما قال انه مقروء عليه الى انا لا انه كلام الله تعالى او
حي اليه بواسطة الملك فلم لا يجوز ان يكون كلام الجن ابطل هذا الوهم بقوله في كتاب مكنون مستور
عن اعين المتلبسين لا يطلع عليه احد الا الملائكة ولا ينظر اليه الا قوم مطهرون فالملك لم ينزل به
عليه الا بعد ما اخذه من كتاب فهو ليس بكلام الملائكة فضلا عن ان يكون كلام الجن **قوله تعالى** في كتاب
يجوز ان يكون في محل الرفع على انه صفة بعد صفة لقوله قرآن او خبر مبتدا محذوف اي هو في كتاب وان يكون
في محل النصب على انه حال من المنوي في كريم **قوله** لا يطلع على اللوح يعني ان ضمير لا يمسه راجع الى
الكتاب الذي هو اللوح وان المراد بمسه الاطلاع عليه لا المس الجسماني المرادف للمس لتعذره
من المطهرين عن الكدورات فيكون جملة لا يمسه الا المطهرون مجرور المحل على انها صفة لكتاب
وعلى قوله او لا يمس القرآن يكون الجملة في محل الرفع على انه صفة اخرى لقرآن فعلى تقدير كونها
صفة كونها صفة لكتاب يكون قوله تعالى تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة لقرآن وان جعلت صفة
اخرى لقرآن يكون تنزيل صفة رابعة له منزلا على تسمية المفعول بالمصدر او على طريق التوصيف
بالمصدر للمبالغة لان القرآن الذي في كتاب ليس بتنزيل بل هو منزل لقوله تعالى نزل به الروح
الامين **قوله** فيكون بمعنى النهي يعني ان كلمة لا في قوله لا يمسه يحتمل ان يكون نافية فيكون ضمة لا يمسه
ضمة اعراب وهذا على تقدير ان يكون ضمير يمسه راجعا الى اللوح ويحتمل ان يكون ناهية ويكون
الفعل بعدها مجزوما لانه لو فك عن الادغام وقيل لا يمسسه لظهر الجزم فيه الا انه لما ادغم حرك
آخره بالضم ليناسب هاء الضمير بعده فهي ضمة بناء تابعة لضمة الهاء وقراءة الجمهور
المطهرون بتخفيف الطاء وتشديد الهاء المفتوحة من طهره الله من الذنوب فهو مطهر وقرئ
المطهرون بتشديد الطاء المفتوحة وكسر الهاء المشددة المتطهرون فادغمت التاء في
الطاء وقرئ المتطهرون على الاصل والمطهرون بسكون الطاء وفتح الهاء مخففة من
الطهرة بمعنى طهره والمطهرون فسكون الطاء وكسر الهاء مخففة بمعنى يطهرون انفسهم
او غيرهم بالاستغفار لهم وبما ينزلونه من الوحي وبالهام الخير **قوله تعالى** افبهذا الحديث
الهمزة فيه لانكار التهاون به بعد ما ثبت من عظمته وكرامته على الله تعالى والفاء عاطفة
والباء متعلقة بقوله مدهنون قدم على عامله والاصل افانتم مدهنون بهذا الحديث
وهو القرآن قال الراغب والادهان في الاصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة
و

والملاينة وترك الجد كما جعل التقريد وهو في الاصل نزع القراد عبارة عن ذلك و
قال القرطبي ادهن وداهن بمعنى واحد **قوله** اي شكر رزقكم اي وتجعلون شكر ما رزقكم الله
تعالى من النعم تكذيبكم بما لخصه في نسبة رزق عباده الى غيره بان قال مثلا وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها وهم ينسبونه الى الانواء ويقولون سقينا بنوء كذا ومطرنا بنوء كذا ولا ينسبون
السقيا الى الله تعالى وهو تكذيب له تعالى في مثل قوله قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله قراءة
العامة تكذبون من التكذيب وقرئ تكذبون مخففا من الكذب وهو كذبهم في حق القرآن بانه
سحر وشعر ومختلق مفترى وفي حق المطر بانه بالانواء فان كل مكذب بالحق فهو كاذب ومعنى الاية
انكم تكذبون الرازق الحقيقي بنسبة ما رزقه لكم الى غيره وتضعون التكذيب مكان الشكر
كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا
يصفرون ويصفقون مكان الصلوة روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا
فقال عليه الصلوة والسلام ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم ان تقولوا هذا المطر بنوء
كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانواء فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت
سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح
له وهو يقول سقينا بنوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون شكركم الله تعالى على
رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنوء كذا وعن زيد بن خالد رضي قال صلى بنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل
على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قد اصبح من عبادي مؤمن
بي وكافر بالكواكب فاما من قال مطرنا بفضل الله تعالى ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب
واما من قال مطرنا بنوء كذا او كذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب فتبين به ان ما اصاب العباد
من خير او شر لا ينبغي ان يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بترتبه عليها بل ينبغي ان
يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلوه بشكر ان نعمة او بصبر ان كان مكروها تعبدا له تعالى وتذللا فالا
نواء مثلا اعيان مخلوقة لا تضر ولا تنفع ولا تمطر ولا تحبس شيئا من المطر فينبغي ان يقال
مطرنا وقت كذا كما يقال مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنوء كذا وهو يريد ان النوء انزل المطر
كما يقول بعض المشركين فهو كافر حلال دمه ان لم يتب **قوله تعالى** فلولا اذا بلغت الحلقوم لولا فيه
للتحضيض بمعنى هلا والمعنى طلب رجع نفس المحتضر عند الموت من اهل الميت لاظهار عجزهم
والتهكم بهم فكان اصلها ان تدخل على فعل الرجع لكن قدم معموله عليه وهو قوله اذا بلغت لشدة
العناية بذكر تلك الحالة المكروهة وظهور عجزهم عندها واضمر العائد الى النفس في بلغت ولم يتقدم

ترتيب الاية فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها اذا بلغت الحلقوم والضمير في ترجعونها للنفس وهي الروح الحكم بانها [illegible] الميت جمال

لانذكر لكونها معلومة عند كل احد لكنه في قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة ولم يتقدم ذكر الارض
وقوله وانتم حينئذ جملة حالية من فاعل بلغت وحين منصوب على الظرفية وناصبه تنظرون و
التنوين في حينئذ عوض عن الجملة المضافة اليها كلمة اذا اي حين اذا بلغت الحلقوم وهو مجرى
الطعام ومفعول تنظرون محذوف اختصارا اي تنظرون حالكم من العجز عن ان تملكوا شيئا
مما يقاسيه المحتضر من هول نزع الروح مع حرصكم على امتداد عمره وبقائه سالما عن الشدائد
والاوجاع ووفور رغبتكم في تخليصه عن المهالك والآفات قيد قوله بلغت الحلقوم بهذه الجملة
الحالية لزيادة بيان عجزهم عن امساك روح المحتضر في جسده مع حضورهم عنده وكمال رغبتهم
في دفع الشدائد عنه ثم استانف بقوله ونحن اقرب اليكم منكم وهو جملة معترضة بين اذا الظرفية و
عامله الذي هو ترجعونها تاكيدا لما سبق له الكلام من توبيخهم على زعمهم الباطل المستلزم لتعطيل
الصانع حيث يزعمون انه لا بعث ولا حساب ولا اجزاء ولا اله يحاسب ولا يجازي ان كنتم تزعمون
ذلكم فنحن اقرب اليه منكم بالعلم والقدرة لما كان القرب الى الشيء سببا للعلم به والاطلاع على احواله
عبر بالقرب عن العلم على طريق ان يعبر باسم السبب عن المسبب وقيل المراد به قرب ملك الموت
واعوانه منه والمعنى ورسلنا الموكلون لقبض روحه اقرب اليه منكم ولكن لا ترونهم وفي الحديث
ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى ينتهوا بها الى
الحلقوم فيتوفاها ملك الموت وقوله لا تدركون كنه ما يجري عليه اشارة الى ان الابصار عبارة عن
الادراك بالبصيرة وان الكلام استدراك من قوله ونحن اقرب اليه منكم كانه قيل هو مسخر
في قبضة قدرتنا لا يملك امره احد غيرنا لكن لا تدركون ذلك فقوله ولكن لا تبصرون تاكيد لمضمون قوله
ونحن اقرب اليه منكم ثم كرر قوله فلولا تاكيدا للطلب لانكار التعجيزي ولبعدها عن مدخولها لفظا ثم
ذكر بعد لولا المكررة قوله ان كنتم غير مدينين لزيادة المبالغة في بيان عجزهم وابطال زعمهم
انكم مبعوثون محاسبون مجزيون باعمالكم او مملوكون مقهورون عاجزون عن امساك
روح المحتضر في جسده ثم ذكر المحضض عليه الذي هو العامل في اذا الظرفية فقال ترجعونها
ثم ذكر قوله ان كنتم صادقين تنبيها على ان صدقهم مجرد احتمال عقلي بفرض فرض الامور
المستبعدة الملحقة بالمستحيلات ثم ان المصنف اشار في تفسير الاية الى ان الفاء في قوله تعالى فلولا اذا
بلغت الحلقوم هي الفاء الفصيحة المفيدة للالزام والتبكيت وبين انها سببية وان ما بعدها
مسببة عن المحذوف المدلول عليه بقوله ان كنتم غير مدينين وليست مسببة عن نفس
الشرط المذكور لان جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين وهو المراد بقوله لولا الاولى
مع ما في حيزه دليل جواب الشرط قوله كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبهم باياته فانه تعالى
ان

والقرب على هذا قرب الملئكة
واسند اليه تعالى لكونه امرا
لهم بذلك والمجاز في الاسناد و
على الاول في المفرد سلمه

ان انزل عليهم كتابا معجزا يقولون انه سحر وافتراء وان ارسل اليهم رسولا صادقا يقولون
ساحر كذاب وان رزقهم مطرا يحييهم به ينسبونه الى الانواء وينكرون التوحيد والبعث والحساب
والجزاء ويكذبون الايات الناطقة بها وكل ذلك يدل على انهم يزعمون انهم غير مملوكين ومجزيين
فوبخ الله تعالى عليهم وبكتهم بان قال ان كان الامر كما تزعمون فلولا ترجعون الارواح الى الابدان
بعد بلوغها الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك بوجه ما فاعلموا ان الامر كله بيد غيركم وهو الله الكبير
المتعال جل جلاله ثم انه تعالى ذكر احوال الارواح الثلاثة المذكورة في اول السورة عند الموت
فقال فاما ان كان اي المحتضر المتوفى قوله فله استراحة اشارة الى ان الروح بفتح الراء بمعنى
الاستراحة وانه مبتدأ حذف خبره ومن فسر الروح بضم الراء بالرحمة جعله استعارة بان
شبهت الرحمة بالروح في كون كل واحد منهما كالسبب لحيوة المرحوم ومن فسره بالحيوة
الدائمة جعله مجازا مرسلا من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب قوله ورزق طيب
يقال خرجت اطلب ريحان الله تعالى اي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق
احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض روحه قوله
وانما وصفهم بافعالهم وهي الضلال عن الهدى وطريق الحق والتكذيب بالبعث الذي هو منشأ
كل ضلال قوله وتصلية جحيم قراءة الجمهور بضم التاء عطفا على نزل اي فله نزل وادخال عظمته
لا توصف عظمتها وقرئ بالجر عطفا على حميم اي وله نزل من حميم ومن تصلية جحيم قوله وذلك
ما يجب في التعبير لان الكلام في احوال المحتضرين عند الموت قوله اي حق الخبر اليقين لما كان الحق
عبارة عن الثابت الذي لا يطرأ عليه التبدل والتغير وكان اليقين هنا عبارة عن الخبر
المتيقن به لان المبتدأ عبارة عن المعلوم والخبر الدال عليه فيجب ان يكون الخبر ايضا كذلك كانت اضافة
الحق الى اليقين من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة كمسجد الجامع والبصريون يؤولون مثله
بتقدير المضاف روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا صدق رسول الله سورة الحديد
مدنية بسم الله الرحمن الرحيم روي انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ المسبحات
قبل ان يرقد ويقول ان فيهن آية افضل من الف آية ويعني بالمسبحات الحديد والحشر والصف
والجمعة والتغابن بدأ الله تعالى سورة بني اسرائيل بلفظ المصدر والحديد والحشر والصف
بلفظ الماضي والجمعة والتغابن بلفظ المضارع وسورة الاعلى بلفظ الامر استيعابا لجميع
ضروب صيغ التسبيح في كلامه المجيد واشارة الى ان المكونات من لدن اخراجها من العدم
الى الوجود مسبحة في كل الاوقات لا يختص تسبيحها بوقت دون وقت بل هي مسبحة ابدا في الماضي

والمستقبل ووجه الاشارة انه تعالى لما اخبر عن تسبيح جميع المكونات السماوية والارضية من العقلاء
وغيرهم تارة بصيغة الماضي واخرى بصيغة المضارع دل ذلك على ان كل واحدة من الصيغتين
جردت عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة فاذا لم تكن خصوصية الزمان مقصودة
في كل واحدة من الصيغتين بقيت دلالتها على مطلق الزمان ولا اولوية لبعض اجزائه على
بعض فكان كل واحدة منهما للاستمرار في الازمنة مع ان التسبيح لما اسند الى جميع المكونات
كان المراد به ما يعم التسبيح بالمقال وما يكون بدلالة الحال لانه الذي يمكن جمعه من الجميع وهو الدلالة
الجبلية على تنزه الخالق عن جميع النقايص فان كل موجود ممكن ينزه خالقه عن الامكان
وقبول العدم بحسب وجوده الظلي المستفاد من المؤثر وعن العجز بحدوثه وتغير احواله وعن
سائر النقايص بتربيته وتبليغه الى كمالاته الممكنة بالاسباب السماوية والارضية و
بالجملة كل موجود ممكن يفتقر لامكانه الذاتي الجبلي الى مؤثر واجب الوجود لذاته ضرورة
استحالة الدور والتسلسل ووجوب الوجود كما انه معدن لكل كمال مبعد عن كل نقصان فثبت
ان كل موجود ممكن يسبح ويبعد مؤثره عن كل نقصان بحسب ذاته وجبلته فان الامكان
الذاتي لما كان محوجا الى مؤثر واجب الوجود لذاته فكان وجوب وجوده مستلزما لتنزهه عن كل
نقصان كان كل ممكن مسبحا لخالقه عن جميع النقايص لاجل امكانه الذاتي اللازم له في جميع الازمنة
فكان التسبيح المسبب عنه ايضا مستمرا في جميع الازمنة فوجب ان يجرد كل واحد من الصيغتين
عن الدلالة على الزمان الذي هو مدلول الهيئة ويحمل كل واحد منهما على استمرار الازمنة قوله
ومجيء المصدر مطلقا اي عن الدلالة على الزمان والفاعل قوله قوله وهو معدى بنفسه كما في
قوله تعالى ويسبحونه بكرة واصيلا وسبح اسم ربك وتسبحوه وله يسجدون وذلك لان سبح بالتشديد
منقول من سبح الثلاثي وهو لازم بمعنى ذهب وبعد فعدي بتضعيف العين لمعنى سبحه
بعدته عن السوء ولما كان متعديا بنفسه كان اللازم فيه لام الاجل والاختصاص ويكون
الفعل منزلا منزلة اللازم ويكون معنى سبح لله احدث التسبيح واوقعه لاجل الله تعالى وخالصا
لوجهه من غير توقع ثواب وعوض كما يقال نصحت لك للدلالة على امحاض النصح للمنصوح
من غير غرض للناصح فيه قوله حال تشعر بما هو المبدأ للتسبيح فان العزيز هو الغالب على كل
شيء بحيث لا يتصور منازعته فيكون اشارة الى كمال القدرة كما ان الحكيم اشارة الى كمال العلم
لانه الذي يفعل ما فعله على وفق علمه الصائب فيعتبر في مفهوم الحكمة كل واحد من اتقان العلم
والعمل ولا شك ان من جمع بين كمال القدرة وكمال العلم يكون مسبحا منزها عن جميع النقايص
كالعجز والجهل ونحوهما قوله تعالى له ملك السموات جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب والملك عبارة
عن

عن استغناء الذات في ذاته وفي جميع صفاته عن كل ما عداه واحتياج كل ما عداه اليه في
ذواتهم وصفاتهم فالملك الحق ليس الا الله الواحد القهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو قوله
يحيي ويميت كانه قيل كيف يتصرف فيهما فاجيب بانه يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في
الدنيا وهو على كل شيء قدير قوله ولو بالنظر الى ذواتهم يعني ان المراد باوليته تعالى كونه سابقا
على كل ما سواه من الموجودات بالذات من حيث انه موجدها ومحدثها وباخريته بقاؤه بعد فناء
الموجودات ولو بالنظر الى ذواتها ولا يلزم ان يكون فناؤها بطريان العدم على وجوداتها المستفادة
من مؤثرها بل يكفي في فنائها كونها بحيث اذا نظر اليها في حد ذاتها وقطع النظر عما سواها وجدها
فانية عارية عن صفة الوجود بخلاف البارئ تعالى فانه اذا نظر اليه في حد ذاته وقطع النظر عن
جميع ما عداه يجده العقل موجودا باقيا ويحكم بان وجوده وجميع صفات كماله مقتضى ذاته فهو تعالى
باق في حد ذاته بعد فناء سائر الموجودات مطلقا سواء كان فناؤها بطريان العدم عليها او بكونها
في حد ذاتها عارية عن الوجود وكون وجودها مستفادة من الغير قوله او هو الذي يبتدئ منه
الاسباب اي ويجوز ان يكون اوليته تعالى عبارة عن كونه بحيث اذا نظر الى سلسلة الموجودات
المترتبة في الوجود كان تعالى مبدأ لسلسلة الاسباب ويكون آخريته عبارة عن كونه بحيث ينتهي
اليه سلسلة المسببات فان الوجود يبتدئ منه تعالى ولا يزال ينزل درجة حتى ينتهي الى الموجود الاخير
الذي يكون سببا لكل ما عداه ولا يكون سببا لشيء آخر فبهذا الاعتبار يكون الحق سبحانه اولا
ثم اذا اخذت تترقى من هذا الموجود الاخير درجة درجة حتى تنتهي آخر الترقي اليه تعالى فهو تعالى
اول في نزول الوجود منه تعالى الى الممكنات آخر عند الصعود من الممكنات اليه قال القرطبي اختلفوا
في معاني هذه الاسماء وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قائل
فانه روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انت الاول
فليس قبلك شيء وانت الآخر فليس بعدك شيء وانت الظاهر فليس فوقك شيء وانت
الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب و
بالباطن العالم ببواطن الاشياء قيل القول بان الباطن العالم ضعيف لانه يلزم التكرار في قوله
تعالى في قوله وهو بكل شيء عليم قوله او الاول خارجا والآخر ذهنا فانك اذا نظرت الى ترتيب
السلوك ولاحظت منازل السالكين السائرين اليه تعالى فهو تعالى آخر ما يرتقي اليه درجات
العارفين وكل معرفة تحصل قبل معرفته فهي مرقاة الى معرفته والمنزل الاقصى هو معرفة الله
تعالى فهو آخر بالاضافة الى السلوك في درجات الارتقاء في باب المعارج واول بالاضافة الى الوجود
الخارجي فمنه المبتدأ اولا واليه المرجع اخرا قوله والباطن حقيقة ذاته لان حقيقة ذاته

غير مدركة لا عقلا ولا حسا باتفاق المحققين من اهل السنة والمعتزلة ولما تعاضدت الادلة
على انه تعالى يدرك بالحاسة في الاخرة لم يفسر المص كونه تعالى باطنا بكونه غير مدرك بالحواس بل
هو الظاهر وجوده لان الموجودات باسرها ظاهرة بظهوره والباطن بكنه حقيقته وبطونه بهذا
المعنى لا ينافي كونه مرئيا في الاخرة وفسره صاحب الكشاف بكونه غير مدرك بالحواس وهو تفسير
بحسب التشهي تاييدا لما ذهب اليه من استحالة الرؤية والحق انه تعالى ظاهر لوجوده باطن بكنهه
وانه تعالى جامع بين الوصفين ازلا وابدا والبطون بهذا المعنى لا ينافي الرؤية في الاخرة لان الرؤية
بالحاسة لا تقتضي معرفة الحقيقة وعلى هذا يكون التذييل بقوله وهو بكل شيء عليم لئلا يتوهم
ان بطونه تعالى عن الاشياء يستلزم بطونها عنه تعالى كما في الشاهد **قوله** او الغالب على كل شيء
على ان يكون الظاهر من قولهم ظهر عليه اذا علاه وغلب عليه فالمعنى هو الغالب الذي يغلب على كل
شيء ولا يغلب عليه فيتصرف في الكائنات على سبيل الغلبة والاستيلاء اذ ليس فوقه احد يمنعه
وانه الباطن الذي يعلم بواطن الاشياء وليس تحتك شيء حتى لا يصل اليه علمك **قوله** والواو
الاولى والاخيرة يعني الواو المتوسطة بين الاول والآخر لعطف المفرد على المفرد وكذا المتوسطة
بين الظاهر والباطن واما الواو الثانية المتوسطة بين الآخر والظاهر فهي لجمع المجموع الثاني
على المجموع الاول ولو جعلت لعطف الظاهر على احد الوصفين الاولين لفات التناسب كما
ما اذا عطف احد الوصفين المتقابلين المذكورين اولا على الآخر ثم احد المتقابلين المذ
كورين ثانيا على الآخر ثم جمعت بين المجموع الاول والمجموع الثاني بالواو المتوسطة فان الكلام
ح يفيد انه تعالى كما متصف بكل واحد من الوصفين الاولين وبكل واحد من الوصفين الا
خيرين ازلا وابدا فهو ايضا متصف بكل واحد من المجموعين ازلا وابدا فما من وقت يصح اتصافه
تعالى بالاولية والاخرية الا ويصح فيه اتصافه بالظاهرية والباطنية معا ومن فسر باطنيته
تعالى بكونه غير مدرك بالحواس يجعل الآية دليلا على انتفاء الرؤية في الاخرة فلذلك جعل هذه الآ
حجة على من جوز ادراكه تعالى بالحاسة في الاخرة وقوله تعالى هو الذي خلق السموات تحقيق لعزته
وكمال قدرته كما ان قوله ويعلم ما يلج تحقيق لحكمته وكمال علمه **قوله** لا ينفك علمه وقدرته عنكم
اشارة الى انه تعالى ليس معنا بالمكان والحيز والجهة بل المعية مجاز عن العلم والقدرة على
طريق ذكر السبب وارادة المسبب **قوله** ولعل تقديم الخلق مع انه متأخر عن العلم تابع له تأخرا
ذاتيا لان خلق العالم على هذا النظام الانيق مما يستدل به على علمه وقدرته تعالى فلذلك قدم
الخلق على قوله يعلم ما يلج **قوله تعالى** امنوا بالله خطاب لكفار قريش اي قد اوضحت لكم الدلائل
الدالة على انه لا تليق العبادة الا لي فاعبدوني فامنوا بي وبرسولي وصدقوه فيما يخبر به عني **قوله**
وفيه

قوله ذكره مع الاعادة كما ذكر مع الابداء اي ذكر قوله له ملك السموات والارض ههنا في موضعين وذكره اولا مع الابداء حيث قال بعده يحيي ويميت فان الاحياء والاماتة امران متعلقان بالابداء لانهما يكونان في النشأة الاولى وذكره ثانيا مع الاعادة حيث قال بعده والى الله ترجع الامور والامور الحاصلة في الاعادة لان ملكية السموات والارض كالمقدمة لهما لانها لا بداء والاعادة يتوقفان على ان يكون له تعالى ملك السموات والارض اذ لو لم يكن له تعالى فيهما ما كان له مبدا ومعيدا لهم

وفيه حث على الانفاق وتهوين له اما ان كان معنى كونهم مستخلفين ان الاموال التي في ايديكم
انما هي اموال الله تعالى حقيقة بخلقه اياها وانشائه لها وليس لكم الا ان تتصرفوا فيها بسبب استخلافه
تعالى اياه وجعله بمنزلة الوكيل في التصرف فيها تصرفا يرضى به مالكها فيثيبه على ذلك بالجنة فلان
الانفاق من مال الغير يسهل على النفس اذا اذن فيه مالكه ولا سيما اذا اثاب عليه بالجنة واما ان كان
معناه ان ما في ايديكم من الاموال كان لمن قبلكم ثم انه تعالى نقل اموالهم اليكم على سبيل الارث ومن المعلوم
ان ما انتقل عمن قبل اليهم لا بد ان ينتقل منهم الى غيرهم ايضا فلان انفاق ما هو بصدد التحول والانتقال
سهل على النفس فتغتنم النفس فيه الفرصة فتنفقه اكتسابا لمرضاة الرحمن وثواب الآخرة قبل
قبل ان يخرج من يده ثم انه تعالى ذكر ثواب من انفق في سبيل وضمن لمن فعل اجرا كبيرا فقال فالذين
امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير فهو في موضع جواب الامر والفاء للدلالة على سببية الايمان والانفاق
لما ذكر من الاجر الكبير واعيد ذكرهما صريحا للمبالغة في الدلالة على سببيتهما لما ذكر **قوله** وبناء الحكم
على الضمير لا على الاسم الظاهر بان قال فللذين امنوا وانفقوا اجر كبير بل جعل الموصول مبتدا وجعل
الاجر مبتدا ثانيا ولهم خبر الثاني وجعل الجملة خبر المبتدا الاول للمبالغة المذكورة **قوله** ان ما تصنعون
غير مؤمنين به يعني ان قوله تعالى لا تؤمنون بالله في موضع النصب على انه حال من الفاعل المعنوي للفعل
المستنبط من ما الاستفهامية وقد تقرر في النحو ان عامل الحال قد يكون معنى الفعل والمراد بما يستنبط
منه معنى الفعل كحرف التنبيه واسماء الاشارة وحروف النداء والتمني والترجي والتشبيه وحرف
الاستفهام فان فيها معنى الفعل نحو ها زيد قائما ويا زيد قائما وليت عندنا قائما ولعله في الدار قائما وكانه
اسد صائلا وما لك قائما فان ما فيه استفهامية مرفوعة المحل على الابتداء ولك خبرها والاستفهام يطلب
الفعل فيستنبط معنى الفعل من اداة الاستفهام وحرف الجر في لكم وان كان يتعلق بالفعل او شبهه فلذلك
قال في الحال في نحو زيد في الدار قائما الا ان المص اختار ان الحال في الآية معمول لما الاستفهامية لا لحرف الجر
حيث قال اي وما تصنعون غير مؤمنين ولم يقل ما حصل لكم غير مؤمنين ولعله لمجرد اختيار **قوله** حال
من ضمير لا تؤمنون اي ما لكم غير مؤمنين بالله مدعوين الى الايمان بالحجج والايات فهما حالان متداخلان حيث
كانت الحال الاولى عاملة في الثانية واختلف ذو الحال فيهما وفي الاحوال المترادفة يتحد العامل و
ذو الحال **قوله** قبل ان دعوة الرسول اياكم الى الايمان وكون القبلية بالنسبة الى الدعوة يستفاد من
كون الماضي المصدر بقد حالا من مفعول يدعوكم **قوله** بنصب الادلة والتمكين من النظر لم
يحمل الميثاق على الميثاق الماخوذ عليهم حين اخرجهم من ظهر آدم عليه الصلوة والسلام
وقال لهم الست بربكم لان الكلام مسوق لبيان ان لم يبق لهم عذر في ترك الايمان بعد
ان دعاهم الرسول اليه بالدلائل الواضحة واخذ الله الميثاق وما اخذ منهم وقت اخراجهم

قوله او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها مستخلفين على وجهين الوجه الاول مبني على ان الاستخلاف من الخليفة والثاني من الخلف فان استخلفته بمعنى جعلته خلفا وبمعنى جعلته خليفة ويجوز على الثاني حمله على معنى الخليفة ايضا
تمت

من ظهر آدم غير معلوم لهم إلا بقول الرسول فما لم يعرفوا صدق الرسول لا يكون ذلك سببا
لوجوب اجابتهم الرسول فيما دعاهم الله فذكر أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهره لا مدخل
له في توبيخهم وتبكيتهم بترك الايمان بخلاف الميثاق المأخوذ بنصب الأدلة والتمكين من
النظر فقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون إلى آخر الآية كلام خرج مخرج الاستبطاء واخبار بارتفاع
موانع الايمان وتحقيق ما يوجبه على أكمل وجه وأتمه أي أي عذر لكم في ترك الايمان بالله تعالى و
آياته وقد أقيمت البراهين على حقية ما تؤمرون به سمعا وعقلا فان قوله والرسول
يدعوكم في قوة أن يقال وقد قامت البراهين السمعية وقوله وقد أخذ ميثاقكم بمنزلة أن
يقال وقد نصبت الأدلة العقلية المؤدية إلى تصديق الرسول في جميع ما جاء به حتى كنتم بسببها
كأنكم اعترفتم بمؤدى تلك الأدلة من أجل قوة دلالتها عليه وقوله تعالى إن كنتم مؤمنين شرط حذف
جوابه وهو ما أشار إليه المصنف بقوله فهذا موجب لا مزيد عليه لأنه لا مزيد على نظائر الأدلة
السمعية والعقلية وبهذا التأويل ظهر وجه قوله تعالى إن كنتم مؤمنين بعد قوله وما لكم لا تؤمنون
اندفع ما يتوهم بينهما من المنافاة كأنه قيل إن كنتم مؤمنين بشيء لأجل دليل فما لكم لا تؤمنون الآن
وقد تطابقت الأدلة النقلية والعقلية وبلغت مبلغا لا يمكن الزيادة عليها ثم إنه تعالى ذكر
بعض تلك الأدلة الدالة على وجوب الايمان فقال هو الذي ينزل على عبده آيات وهي المعجزات
التي أعظمها القرآن ثم حرض على الانفاق في سبيله من وجه آخر فقال وما لكم ألا تنفقوا أي
في أن لا تنفقوا فحذف الجار قوله تعالى ولله ميراث السموات والأرض جملة حالية من فاعل الاستقرار
الذي تعلق به قوله لكم والمعنى كيف تبخلون بانفاق أموالكم وهذه حال منافية للبخل بها لأن
انفاقها بحيث تستخلف عوضا يبقى خير من اهلاكها بغير شيء ثم بين فضل من سبق بالانفاق
في سبيل الله فقال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقسيم من أنفق من قبل محذوف أي ومن
أنفق من بعد الفتح حذف للعلم به ولدلالة قوله أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد
عليه قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم و
لا نصيفه وذلك لأن ما قبل الفتح كان حال مساس الحاجة إلى الجهاد والنفقة فيه ثم أعز الله
الاسلام بعد الفتح وكثر ناصره ودخل الناس في دين الله أفواجا قوله تعالى وكلا منصوب على
أنه مفعول مقدم ومن قرأه مرفوعا جعله مبتدأ وجعل الجملة التي بعده خبره بحذف العائد
أي وعده الله تعالى ومثله قول أبي النجم قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنبا كله لم أصنع برفع
كله أي لم أصنعه إلا أن حذف العائد من الخبر الواقع جملة قليل نادر حتى إن البصريين لا يجوزونه
إلا في ضرورة الشعر بخلاف حذفه من الصلات والصفات نحو أهذا الذي بعث الله رسولا و
قوله

فإن الاستواء يقتضي شيئين وقد ذكر أحدهما وهو من أنفق من قبل الفتح وحذف الآخر منه

وقوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس قوله فإنه أول من آمن وأنفق روي عن
ابن عمر رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعليه عباءة قد
خللها في صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة
قد خللها في صدره بخلال فقال يا جبريل أنفق ماله قبل الفتح علي قال فاقرأه من الله تعالى السلام
وقل له يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم
إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك من الله عز وجل السلام ويقول لك ربك أراض أنت
عني في فقرك هذا أم ساخط قال فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال على ربي أغضب أنا عن ربي راض
أنا عن ربي راض ونزول الآية في أبي بكر رضي الله عنه لا ينافي دلالتها على تفضيل الصحابة من المهاجرين
والأنصار الذين أنفقوا وقاتلوا من قبل الفتح من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا معه عليه
الصلاة والسلام وقيل هذا التفضيل لجميع الصحابة رضي الله عنهم ويؤيده ما روى سفيان عن زيد بن
أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأتي قوم بعدكم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم
قالوا يا رسول الله نحن أفضل أم هم قال لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدكم
ولا نصيفه ففرقت هذه الآية بينكم وبين الناس لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح و
قاتل أولئك أعظم درجة كذا في تفسير الفقيه أبي الليث ثم إنه تعالى حرض على الانفاق في سبيله
بطريق آخر فقال من ذا الذي يقرض الله قوله تعالى يقرض استعارة تبعية حيث شبه الانفاق
في سبيل الله باقراضه فأطلق عليه اسم الاقراض والجامع اعطاء شيء بعوض وإليه أشار المصنف
بقوله فإنه كمن يقرضه قوله وحسن الانفاق مبتدأ وقوله بالاخلاص خبره ولا يكون إلا
بانفاق حلال الأموال يبتغي به وجه الله تعالى خاصة لقوله الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد
عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى وبأن يكون ما أنفقه أحب الأموال إليه وأكرمه
عنده لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ولقوله عليه الصلاة والسلام أفضل الرقاب أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها ولقوله عليه
الصلاة والسلام أفضل أن تعطيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش ولا تمهل حتى إذا بلغت التراقي
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وبأن يتحرى له أفضل الجهات وبصرف صدقته
إلى الأحوج فالأحوج وأن يجمع بين جهتي سد حاجة الفقير وصلة الرحم فهو أفضل قوله
أي وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم في نفسه أي حسن مرضي في بابه وهو إشارة إلى
أن قوله تعالى وله أجر كريم جملة حالية من مفعول مضاعف وإطلاق التضعيف يدل على أن
الأضعاف المنضمة إلى الأجر زائد على ما أنفقه من المال كمية وكيفية قوله وقرأ عاصم قال

صاحب التيسير في حرش سورة البقرة قرا عاصم وابن عامر فيضاعفه هنا وفي الحديد بنصب
الفاء والباقون برفعها وجه النصب اضمار ان بعد الفاء الواقعة في جواب الاستفهام كما في قولك هل تزورنا
فنحسن اليك وقوله باعتبار المعنى جواب عما يقال الفعل المنصوب بان المضمرة لابد ان يكون مرتبا على
الفعل المستفهم عنه كما في المثال المذكور فان احسان المتكلم مترتب على زيارة المخاطب اياه وههنا
لم يقع الاستفهام لمن اصل القرض وانما وقع عن فاعله حيث قيل من ذا الذي يقرض فكيف ينتصب الفعل
بعده باضمار ان وتقرير الجواب ظاهر ومن قرا فيضاعفه مرفوعا جعله معطوفا على يقرض **قوله**
ظرف لقوله وله اي ظرف للاستقرار الذي تعلق به قوله وله اي استقر له اجر في ذلك اليوم وان كان مفعولا
لاذكر يكون مفعولا به لا ظرفا وقوله يسعى حال من المؤمنين لان قوله ترى من رؤية العين وبين
ايديهم ظرف للسعي ويجوز ان يكون حالا من نورهم وكذا بايمانهم وهو بفتح الهمزة جمع يمين **قوله**
ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة يعني ان النور مستعار لصحايف الاعمال تشبيها لها بالنور في كونها
سبب النجاة من النار والاهتداء الى طريق الجنة فان السعداء يؤتون صحايف اعمالهم
من قدامهم ومن جهة ايمانهم فتكون دليلا لهم الى الجنة ويستضيئون بنورها على الصراط وهم
يسعون لانهم لو مشوا الهوينا لما سعى النور بين ايديهم وبايمانهم لانه لا يسعى وهم يمشون
الهوينا لزم ان يتخلف عنهم ولا يكون بين ايديهم ولا بايمانهم اختلف في النور المذكور في
هذه الاية فقال قوم المراد نفس النور على ما روي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم قال كل مثاب يحصل
له النور على قدر عمله وثوابه في العظم والصغر فمنهم من يضيء له نور كما بين عدن الى صنعاء
ومنهم من له نور كالجبل ومنهم من لا يضيء له نور الا موضع قدميه وادناهم نورا من يكون
نوره على ابهام رجله ينطفي مرة ويتقد اخرى والمنافقون ايضا يؤتون نورا خديعة لهم
لقوله تعالى وهو خادعهم ثم يسلب نوره لنفاقه فذلك قول المؤمنين ربنا اتمم لنا نورنا خشية
ان يسلب نورهم كما يسلب نور المنافقين فاذا بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواضع
اقدامهم يقولون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم وقد روي ان بعض الصحابة رضي استضاؤا
في الدنيا بما حصل لهم من النور فكيف يستبعد ان يستضيء اهل السعادة بما ظهر لهم من النور في
العقبى فقد ذكر في المصابيح برواية انس رضي ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند
النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في حاجة لهما ذهب من الليل ساعة في ليلة شديدة الظلمة ثم
خرجا من عنده عليه الصلوة والسلام ينقلبان اي يرجعان الى بيتهما وبيد كل واحد منهما
عصية فاضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت لهما الطريق اضاءت
للآخر عصاه فمشى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله ذكر الامام ان النور الحقيقي هو الله تعالى
وان

او حمله على تقدير مبتدا اي نحن نبصر ضياعفه نسخ

وان العلم الذي هو نور البصيرة اولى بكونه نورا من نور البصر واذا كان كذلك
ظهر ان معرفة الله عز وجل هي نور في القيمة فمقادير الانوار يوم القيمة على حسب
مقادير المعارف في الدنيا وقال آخرون المراد من النور ما يكون سببا للنجاة وهو ما
اختاره المص **قوله تعالى** بشريكم مبتدا واليوم ظرف وجنات خبره ولما كان البشرى مصدرا
بمعنى البشارة والجنة عينا ومن المعلوم ان العين لا يكون خبرا عن الحدث والمعنى ذكر
المص لصحة الاخبار وجهين الاول ان يكون البشرى بمعنى المبشر به والثاني تقدير المضاف
في الخبر وعلى التقديرين يكون الجملة الاسمية في محل النصب على انها مقول قول مقدر والقول المقدر
مع معموله حالة اخرى من المؤمنين اي يوم تريهم ساعيا نورهم مقولا لهم بشراكم اليوم د
خول جنات وقوله تعالى خالدين نصب على الحال وذو الحال محذوف يدل عليه المصدر المقدر اذا
التقدير بشريكم دخولكم جنات خالدين فيها فحذف الفاعل وهو ضمير المخاطب واضيف المصدر
الى مفعوله فصار دخول جنات ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واعرب باعرابه ويجوز
ان يجعل تقدير الكلام بشريكم اليوم دخول جنات تدخلونها خالدين وان اول المبتدا بالمبشر به يكون
ذو الحال ما دل عليه بشريكم اي تبشرون بها خالدين فيها ولا يجوز ان يكون العامل فيها بشريكم لانه
مصدر قد اخبر عنه قبل ذكر متعلقاته فيلزم الفصل بينه وبين معموله باجنبي **قوله** انظرونا او انظروا
الينا يعني ان انظرونا في قراءة العامة امر من النظر ثم ان النظر يجوز ان يكون بمعنى الانتظار ومعنى
التوجه وتقليب الحدقة الى جانب المرئي والنظر بالمعنى الثاني يتعدى بنفسه في غير الشعر وانما يتعدى
بالى فلهذا اخره المص عن الاحتمال الاول عن ابي امامة رضي قال يغشى الناس يوم القيمة ظلمة
شديدة ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق ولا يعطيان شيئا فيمضي المؤ
منون ويقول المنافقون انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا نقتبس منه حظا لانهم يسرع بهم
الى الجنة ركبانا وهؤلاء مشاة فلا يدركونهم وقرا حمزة انظرونا بقطع الهمزة وكسر الظاء
من الانظار بمعنى الامهال ضد التضييق والحمل على العجلة فيكون قولهم انظرونا كناية عن التؤدة
في مشيهم يقال اتاد في مشيه اذا مشى مشيا هوينا على التؤدة والوقار والاتاد افتعال من التؤدة
لما روي ان يقال الذي يطلبه المنافقون من المؤمنين ان يتئدوا في مشيهم ولا يسرعوا فيه لا ان
يمهلوا للمنافقين فما معنى قولهم انظرونا بقطع الهمزة اجاب عنه بان امهلونا كناية عما يستلزمه و
هو اتاد المؤمنين في مشيهم والظاهر ان قوله تعالى فضرب بينهم بسور معطوف على قوله قيل ارجعوا
وراءكم متفرع عليه فان المؤمنين او الملائكة لما منعوا المنافقين عن اللحوق بهم والاستضاءة
بانوار معارفهم واعمالهم بقي المنافقون في ظلمة نفاقهم وحرموا عن اللحوق باصحاب الانوار والاضاءة

بانوارهم كما يحرم الاعمى عن الانتفاع بنور البصر فصار ولذلك كانه ضرب بينهم وبين المؤمنين بسور
حائل باطن ذلك السور وهو الذى يلى المؤمنين فيه الرحمة التى هى النور الذى يوديهم الى الجنة وظاهره اى
الذى يلى المنافقين من قبله العذاب اى عذاب الظلمة التى تؤدى الى السقوط فى حفر النيران فعلى هذا يكون
قوله تعالى فضرب بينهم بسور من قبيل الاستعارة التمثيلية وقيل يضرب بين الجنة والنار حائط هو
سور بما ذكر وهو حجاب الاعراف وقرئ فضرب على بناء الفاعل وهو البارى تعالى او الملك الآن
الجمهور على بنائه للمفعول والقائم مقام الفاعل هو قوله بسور والباء صلة والتقدير ضرب بينهم سور و
قوله تعالى له باب جملة اسمية مجرورة المحل على انها صفة سور وقوله باطنه مبتدأ وقوله الرحمة مبتدأ ثان
وفيه خبره والجملة خبر المبتدأ الاول والمبتدأ الاول مع خبره مرفوع المحل على انه صفة لباب وقوله
ينادونهم مستانف اى ينادى المنافقون المؤمنين قائلين الم نكن معكم فى الدنيا نصلى مثل ما تصلون
ونقرأ مثل ما تقرؤون ونفعل مثل ما تفعلون من الافعال الظاهرة فاجابهم المؤمنون بقولهم
بلى ولكنكم فتنتم انفسكم اى اهلكتموها بالنفاق واصل الفتن الاحراق وغركم بالله اى بحلم الله
تعالى وتاخيره العذاب عنكم والغرور بفتح الغين صفة على وزن فعول كصبور وقرئ بضم الغين
وهو مصدر بمعنى الاغترار والمتعلق بسند الى مصدره مثل جد جده والعذبة ما يفتدى به
مطلقا فيتناول الايمان والتوبة والمال فبسبب ما انتم عليه فى الدنيا ايها المنافقون لا يقبل
منكم يوم القيمة فداء لارتفاع وقت التكليف ومجيء يوم الجزاء وعطف الكافر على المنافق
لما اوهم ان لا يكون المنافق كافرا لوجوب المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه اشار الى
دفعه بان الكافر مطلقا وان كان اعم من المنافق الا ان المراد بالذين كفروا فى هذه الاية
الكافر المجاهر اى المظهر لكفره وهو مباين للمنافق الذى يبطن الكفر **قوله** كقول لبيد فغدت
كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها يصف بقرة وحشية اكل السبع
ولدها فصارت مروعة وقيل بل نفرت من صوت الصائد وكلابه ولم تعلم تنظر ان حاصرها
خلفها ام قدامها فغدت فزعة مذعورة لا تعرف منجاها من مهلكها والفرجان الجانبان و
هما الخلف والقدام سميا فرجين يكون كل واحد منهما منفرجا مكشوفا على ان الفرج فعل
بمعنى مفعول اى غدت من غلبة الخوف عليها بحيث تحسب ان كلا جانبيها وهما خلفها وقدامها
مولى المخافة اى اولى موضع لان يكون فيه الخوف قوله فغدت يروى بالعين المهملة وبالغين
المعجمة وقوله كلا الفرجين مبتدأ وتحسب مع ما فى حيزه خبره والجملة خبر غدت والضمير
فى انه للمبتدأ وهو كلا لانه مفرد اللفظ وان كان مثنى المعنى ومولى المخافة خبر ان وقوله خلفها
وامامها اما بدل من كلا واما خبر مبتدأ محذوف اى هما خلفها وامامها فالمولى ههنا اسم

اسم المكان يقال فيه ايضا هو اولى بكم وكذا المحرى اسم المكان يقال فيه انه احرى بكم واجدر
فهو مفعل من اولى كما ان المئنة مفعلة من ان التى للتاكيد والتحقيق غير مشتقة من لفظها لان
الحروف لا يشتق منها بل ربما تتضمن الكلمة حروفها دلالة على تحقق معناها فيها عن ابن مسعود
رض قال ان طول الصلوة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل المسلم اى ان هذا مما يعرف به فقه
الرجل ومكان لقول القائل انه عالم او انه فقيه ويجوز ان يكون مفعلا من الولى اى هى مكانكم عن
قريب ويجوز ان يكون المعنى هى ناصركم لا ناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على طريقة قولهم تحية
بينهم ضرب وجيع والمراد نفى التحية فيما بينهم قطعا ضرورة ان الضرب الوجيع ليس بتحية فيلزم
ان لا تحية بينهم البتة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الولاية بتقدير المضاف اى هى ذات ولايتكم بمعنى
متوليكم من قولهم ولى العالى البلد وولى الرجل البيع ولاية فيهما **قوله** والم يان اصلها الم يأتى
زيدت عليها ما واد غم فصار الما وكلمة نفى لقولنا فعل ولما نفى لقولنا قد فعل يقال انى يانى انا
مثل رمى يرمى وآن يئين اينا مثل باع يبيع وكلاهما بمعنى حان وجاء اناه وقته وحينه قال
الشاعر الما يان لى ان تجلى عمايتى واقصر عن ليلى بلى قد آن لبا فجمع بين اللغتين واختلف
فيمن نزلت هذه الاية فقال بعضهم نزلت فى المنافقين الذين اظهروا الايمان وفى قلوبهم
النفاق المباين للخشوع وقال آخرون نزلت فى الذين آمنوا على الحقيقة فان المؤمن قد يكون
له خشوع وخشية لائقة بالايمان وقد لا يكون كذلك فلعل طائفة من المؤمنين ما كان فيهم مزيد
خشوع ولا رقة قلب فحثوا عليه بهذه الاية ويحتمل ان يكون قوم من المؤمنين كان فيهم مزيد
خشوع ثم زال منهم شدة ذلك الخشوع فحثوا على المعاودة اليها روى عن الاعمش انه
قال ان الصحابة رض لما قدموا المدينة اصابوا لين العيش ورفاهية ففتروا عن بعض
ما كانوا عليه فعوتبوا بهذه الاية وعن ابى بكر رض ان هذه الاية قرئت بين يديه وعنده
قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب
قوله عطف احد الوصفين على الاخر فان القران كما انه ذكر من الله تعالى وموعظة فهو
ايضا حق نازل من السماء فيكون العطف هنا كما فى قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب والفرقان
اى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل ويجوز ان يراد بالاول ذكر
الله تعالى مطلقا وبالثانى القران كما فى قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا **قوله** وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف على بناء الفاعل وباقى
السبعة كذلك الا انهم شددوا الزاى وقرئ نزل مشددا مبنيا للمفعول وانزل مبنيا للفاعل
وهو الله تعالى وقراءة الجمهور ولا يكونوا بياء الغيبة جريا على نسق ما قبله وقرئ بتاء الخطاب.

وعن ابن مسعود رض ما كان بين
اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية
الا اربع سنين وعن ابن عباس رض
ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين
فعاتبهم على راس ثلث عشرة من
نزول القران وعن الحسن اما والله
لقد استبطأهم وهم يقرؤون من
القران اقل مما تقرؤون فانظروا فى
طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من
الفسق كشاف

على الالتفات على ان تكون كلمة لا ناهية ويكون الفعل مجزوما بها ويكون نافية ويكون الفعل منصوبا
عطفا على تخشع كما في قراءة الغيبة قوله او ما بينهم وبين انبيائهم عطف على الامل وقسوة القلب
غلظته ويبسه وفي الاية اشارة الى ان عدم الخشوع في اول الامر يفضي الى قسوة القلب المؤدية
الى الكفر نعوذ بالله تعالى من ذلك قوله تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر يعني ان قوله تعالى يحيي
الارض بعد موتها استعارة تمثيلية والمعنى تليين القلوب بالذكر بعد قساوتها شبه احياء القلوب
بالخشوع المسبب عن الذكر وتلاوة القران باحياء الارض الميتة بالغيث من حيث اشتمال كل
واحد منهما على بلوغ الشيء الى كماله المتوقع بعد خلوه عنه ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه ثم
غيا في الخشوع المذكور وما يؤدي اليه من الذكر فان التمثيل المذكور لتضمنه تشبيه قساوة القلوب
بموت الارض ونشبه طريانا خشوعها المتفرع على الذكر والتلاوة بحيوة الارض الميتة ترغيب الجاهلة
في تحصيل الخشوع وترك القسوة فالاية تمثيل لاثر الذكر في القلوب بعد قسوتها وبيان انه يحييها
كما يحيي الغيث الارض ويحتمل ان يكون تمثيلا لاحياء الاموات بان شبه احياؤها باحياء الارض
الميتة فمن قدر على الثاني فهو قادر على الاول فحقه ان تخشع القلوب لذكره ولما نزل من اياته وانما حمل
على التمثيل لترتبط هذه الاية بما قبلها فان قوله ترغيبا علة لحمل الاية على التمثيل دون الحقيقة قوله
عطف على معنى الفعل في المحلي باللام لا على لفظ المحلي لان عطف الفعل على الاسم قبيح قوله وهو على
الاول اي القراءة بتشديد الصاد والدال وهو جواب عما يقال عطف قوله واقرضوا على المصدقين
بتشديد الصاد عطف الشيء على نفسه بحسب الظاهر لان المراد بالاقراض هو التصدق
والانفاق لا غير اجاب عنه بان المعطوف تصدق خاص مقيد بكونه حسنا مقرونا بالاخلاص
فتغايرا وحسن العطف وعلى قراءة تشديد الدال فقط وجه العطف ظاهر لانه في معنى الذين
امنوا وانفقوا قوله معناه والقراءة في يضاعف ما مر في اخر سورة الفرقان في تفسير قوله
تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب قال فيه يضاعف بدل من يلق لانه في معناه
وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او على الحال وكذلك ويخلد وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم
وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف الالف في يضعف وقرئ نضعف له العذاب
ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر قوله وهو مسند الى لهم يعني ان القائم مقام
ما على يضاعف لهم اما الجار والمجرور بعده او ضمير التصدق او التصديق على حذف المضاف
اي يضاعف لهم ثواب التصدق قوله اي اولئك عند الله بمنزلة الصديقين جواب عما يقال
كيف حكم على كل من امن بالله ورسله بانه هو الصديق والشهيد مع ان الظاهر ان كل واحد منهما
اخص من المؤمن لان الصديق هو السابق الى التصديق والشهيد من استشهد في سبيل الله
اجاب

اجاب عنه اولا بان قوله اولئك هم الصديقون والشهداء من باب التشبيه البليغ والمعنى انهم بمنزلة
الصديقين والشهداء ثم بين وجه التشبيه بقوله لهم اجرهم ونورهم اي لهم اجر مثل اجر الصديقين و
الشهداء ولهم نور مثل نورهم ولما ورد ان يقال كيف يستوي بينهم وبينهم في الاجر ولا بد من التفاوت اجاب
عنه بقوله لكنه من غير تضعيف يعني انه تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوي اجرهم
مع اضعافه اجر اولئك واجاب عنه ثانيا بان المراد بالصديق والشهيد ليس المعنى المتعارف الذي ذكره
بل الصديق صيغة المبالغة بمعنى كثير الصدق والشهيد من يشهد الله تعالى بالواحدانية وباتصافه بجميع صفات
العظمة والكبرياء وللرسل بمقتضى الرسالة من الدعوة والتبليغ او من يشهد على الامم كما قال تعالى لتكونوا
شهداء على الناس والمراد انهم عدول يوم القيمة تقبل شهادتهم للعباد وعليهم فيما عملوه وكل مؤمن
كذلك ثم نقل جوابا اخر وهو ان قوله والشهداء عند ربهم جملة اسمية والمراد بهم الانبياء او الذين
استشهدوا في سبيل الله فلا يلزم ان يكون كل مؤمن شهيدا قوله او الاجر والنور الخ اي يجوز ان تكون
الضماير في قوله لهم اجرهم ونورهم راجعة الى قوله الذين امنوا بالله ورسله ويكون المعنى لهم الاجر والنور
الموعودان لهم فلا حاجة حينئذ الى تقدير المثل ولا يرد ايضا ان يقال كيف يستوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت
حتى يحتاج الى دفعه قوله تقرير ذلك فان محل الكاف في قوله كمثل اما النصب على انه حال من الضمير في لعب
لانه بمعنى الوصف او من معنى ما ذكر اي انها لعب مشبهة غيثا او ثبت لها هذه الصفات مشبهة غيثا
واما الرفع على انه خبر بعد خبر للحيوة او خبر لمبتدا محذوف اي مثلها وصفتها العجيبة مثل صفة غيث
ونبات الغيث ما ينبت بسببه والمراد بالكفار ههنا اما الحراث لانهم يكفرون البذر اي يغطونه
ويسترونه بتراب الارض واما الكفار بالله تعالى قوله تعالى ثم يهيج اي ييبس بعد زمان قريب
يقال هاج النبت هياجا اي يبس قوله ثم عظم امور الاخرة معطوف على قوله حقر امور الدنيا
قوله تعالى وفي الاخرة خبر مقدم وما بعده مبتدا والجملة معطوفة على جملة قوله انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو داخلة في حيز قوله تعالى اعلموا اخبر الله تعالى بعد بيان ان الحيوة العاجلة التي لا يتوصل
بها الى الفوز الاجل ان في الاخرة عذابا شديدا ومغفرة منه ورضوانا وفيه اشارة الى
رحمة الله تعالى غضبه من حيث انه قابل العذاب بشيئين المغفرة والرضوان الذي هو اعظم
السعادات ولن يغلب عسر يسرين ثم اكد ما ذكره لتحقير امور الدنيا بقوله وما الحيوة الدنيا
الا متاع الغرور وهو المتاع الذي تميل اليه الطبع او ما رآه اغترارا بجماله في ظاهره من
جهة الحس كالاواني المتخذة من الزجاج والحلي المموه بماء الذهب فان اخذه احد اغتر
بما ظهر على ظاهره واراد ان ينتفع به يتسارع اليه الهلاك ويتبين انه من خزف لا قيمة له ولا
رواج فكذلك الدنيا في حق من اثرها لنفس ذاتها واراد ان يتمتع بها فان افضل ما فيها من النعيم

هي الحيوة فمن صرفها الى متابعة الهوى والحظوظ العاجلة صارت بمنزلة اللعب الذي يفعله الصبيان
فانهم يتعبون انفسهم بذلك غاية الاتعاب ثم تنقضي تلك المتاعب عن قريب من غير فائدة و
بمنزلة اللهو الذي يفعله الشبان فان من اشتغل به لا يبقى له بعد انقضائه الا الحسرة والندامة حيث
يرى المال ذاهبا والعمر فانيا واللذة منقضية والنفس ازدادت شوقا وعطشا اليها مع فقدانها
فيتوالى عليه حسرات متضاعفة ومضار مجتمعة عن سعيد بن جبير رضي متاع الدنيا متاع الغرور
اذا الهتك عن طلب الاخرة واما اذا دعتك الى طلب رضوان الله وسعادة الاخرة فنعم المتاع
ونعم الوسيلة ثم انه تعالى لما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم الاخرة وفخم شانها حث عباده على المسارعة
الى نيل ما وعد فيها من المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة وحسن المآب فقال ﴿سابقوا﴾
والمراد بالمسابقة المسارعة اللازمة لها لان موجبات المغفرة لا يسابق اليها حقيقة والمضمار
ما يضمر فيه الخيل وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك يكون في اربعين يوما
وهذه المدة تسمى مضمارا ويسمى به الموضع الذي يضمر فيه الخيل ايضا **قوله** وقيل المراد به البسطة لا العرض
الذي هو في مقابلة الطول فيتناول الطول والعرض جميعا **قوله** فيه دليل على ان الجنة مخلوقة لان ما
لم يخلق بعد لا يوصف بانه اعدت وهيئت **قوله** وان الايمان وحده كاف في استحقاقها اذ ذكر ان الجنة
اعدت لمن آمن ولم يذكر مع الايمان شيء آخر وقالت المعتزلة هذه الاية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها
لوجهين الاول ان قوله تعالى اكلها دائم وظلها يدل على ان من صفتها بعد وجودها ان لا تفنى لكنها لو كانت
موجودة الآن لفنيت بدليل قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه والثاني انها لو كانت موجودة الآن
لكانت في احدى السموات السبع وما كانت في واحدة منها كيف يجوز ان يكون عرضها كعرض كل السموات
والارض فثبت بهذين الوجهين انه لا بد من التاويل وذلك بان يقال ان الله تعالى لما كان قادرا لا يعجز
عن شيء وحكيما لا يصح الخلف في وعده وقد وعد بالجنة لكل من آمن واطاع كانت الجنة كالمعدة
المهيأة لهم بناء على ان كل ما سيقع قطعا كالواقع بالفعل كما يقول الرجل لصاحبه اعددت لك كذا
اذا عزم عليه وان لم يحضر بعد والجواب ان قوله كل شيء هالك عام وقوله اعدت للمتقين مع قوله اكلها
دائم خاص واذا وقع التعارض بين الخاص والعام فالخاص مخصص العام مطلقا اي سواء علم
تاريخ نزولهما وانهما نزل اولا او لم يعلم هذا عند الشافعية وذهب الحنفية الى المتاخر في النزول
عاما كان او خاصا ناسخ للمتقدم اذا علم تاريخ نزولهما والا يحملون العام على الخاص مطلقا كما
ذهب اليه الشافعية واما قولهم ان الجنة لو كانت مخلوقة الآن لكانت في احدى السموات وما يكون في واحدة
منها لا يكون عرضه كعرض كل السموات والارض فالجواب عنه انها مخلوقة الآن فوق السماء السابعة كما قال
عليه الصلوة والسلام سقف الجنة عرش الرحمن ولا بعد في كون المخلوق فوق الشيء اعظم منه الا يرى

قوله سارعوا او سابقوا اشارة الى ان قوله سابقوا بمعنى سارعوا استعارة تبعية لان المغفرة لا يسابق اليها حقيقة بل يسارع الى موجباتها والمضمار والرضوان بالسابقة الحقيقية للمسابق وهو ميدان ثم اطلق اسم السابقة عليها واشتق منه سابقوا اي اذا سمعتم ان في الاخرة من له المغفرة فبادروا الى طلبها بفعل ما وعدت المغفرة عليه والى طلب جنة عرضها اي سعتها كسعة السماء والارض قال الحسن اي كسعة جميع السموات والارضين كلها اذا بسطت كل واحدة الى صاحبتها وهو مبني على ان يكون اللام في السماء والارض للاستغراق

ان

ان العرش اعظم المخلوقات مع انه مخلوق فوق السماء السابعة قوله تعالى ما اصاب من مصيبة
الاية ان كان حثا على مكارم الاخلاق من الصبر على الضراء والشكر على السراء وتجنبا للرذيلتين
اللتين هما الفرح بالنعمة بحيث يؤدي الى الشر والبطر والخروج عن حد الشكر والحزن على ما
فات منها حزنا مطغيا مخرجا عن حد الصبر والرضا بالقضاء الا ان المقصود الاهم منه الحث على الجهاد
كما هو المقصود مما سبق من قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله وقوله لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل الى اخر الايات ونقل عن الزجاج انه قال انه تعالى لما قال سابقوا الى مغفرة بين
ان المؤدي الى الجنة والنار مما صدر من بني آدم لا يكون الا بقضاء الله تعالى وقدره فان جميع
الموجودات مثبتة في اللوح المحفوظ اجمالا ثم انه تعالى يفصل قضاءه السابق بايجادها في
المواد الخارجية واحدا بعد واحد فالاول هو المسمى بالقضاء والثاني بالقدر قال الامام انه تعالى
لم يقل ان جميع الحوادث مكتوبة في الكتاب لان حركات اهل الجنة والنار غير متناهية واثباتها
في الكتاب محال وخص من الحوادث ما يتعلق بالارض وبالانفس ولم يدخل فيها احوال السموات
وما يتعلق بها مما يتعلق من قبيل المصائب ولم يذكر السعادات الارضية والانفسية وفي كل ذلك
الاشارات واسرار وهذه الاية دالة على جميع الحوادث الارضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في
اللوح المحفوظ قال المتكلمون انما كتب كل ذلك ليستدل الملائكة بذلك على كونه تعالى عالما بجميع الاشياء
قبل وقوعها لان اثباتها فيه فرع علمه بها وليعرفوا بذلك انه حكيم فانه تعالى لما خلقهم ورزقهم مع
علمه بما يقدمون عليه من المعاصي علم منه انه لم يفعل ذلك الا لحكمة **قوله** اي اثبت وكتب كيلا
تحزنوا يعني ان اللام في قوله كيلا متعلقة بما يدل عليه قوله الا في كتاب **قوله** لسعادل ما فاتكم فان
فاتكم ذكر في مقابلة فاتكم والفعل في قوله فاتكم للغائب فينبغي ان يكون في مقابله ايضا للآتي لا للمخاطب
وجه من قرا اتاكم بالمد ما ذكره المص من الاشعار بان حصول نعم الدنيا وبقاءها لا بد له من
سبب بخلاف فواتها **قوله** والمراد به اي بقوله كيلا تاسوا ولا تفرحوا اي ليس المراد به نفي الحزن
والفرح على الاطلاق فانه ما من احد الا وهو يفرح بنعم الله تعالى ويحزن على فواتها وليس مجرد
الفرح والحزن بمذموم وانما المذموم منهما ما يؤدي الى ما لا يجوز من البطر والاختيال والا
فتخار بالزخارف الفانية على الناس وينظر اليهم بعين الاحتقار ومن عدم الرضا بالقضاء
والتسليم لامر الله تعالى واستشهد على ان المراد ذلك بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال اي فرح يخرجه
فرحه عن حد الشكر الى الخيلاء والبطر فخور بما اوتي من النعم على الناس قيل لبزرجمهر ايها الحكيم
ما لك لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو آت قال لان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام
بالحبرة ويؤيد هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب

بلغ مقابلة
بحمد الله تعالى

وكيف لا يهون عليه ذلك وقد علم ان وقوع كل ما وقع واجب وعدم كل ما لم يقع واجب ايضا
من حيث انه تعالى علم كل ممكن على الوجه الذي يكون عليه من الوقوع وعدم الوقوع واثبته كذلك في اللوح
المحفوظ فلو لم يكن على الوجه الذي تعلق به العلم والقضاء الازلي لانقلب جهلا فمن علم ان الامر كذلك
هانت عليه المحن والمصائب ولا يشتد فرحه بحدوث المآرب حيث علم ان الامر منوط بمجرد المشيئة
الالهية فان شاء ابقاها وان شاء سلبها قوله فان المختال بالمال يضن به غالبا علة لكونه بدلا
من كل مختال على معنى لا يحب الذين يبخلون فان من فرح بالمال فرحا مطغيا واختال وافتخر به على
الناس انما يفعله لحبه اياه وعزته عنده فالغالب عليه ان يبخل به عن الصرف الى حقوق الله تعالى قوله
خبر محذوف وتقدير الكلام الذين يبخلون فالله غني عنهم قوله قرأ نافع وابن عامر فان الله الغني
باسقاط هو لسقوطه في مصاحف المدينة والشام وقرأ الباقون باثباته لثبوته في مصاحفهم فقد
اتبع كل فريق امامه من المصاحف ثم انه تعالى لما حث على المسارعة الى ما يوجب المغفرة والجنة
ولم يفصل ان موجباتها ما هو قال لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان اي ليتميز بهما
مصالح الدين والدنيا فمن اتبع كتاب الله في باب العقائد والاخلاق واعمال الجوارح واستعمل الميزان
في معاملة الخلق فهو سارع الى ما يوجب المغفرة والجنة قوله اي الملائكة قدم هذا الاحتمال لان
قوله وانزلنا معهم الكتاب يدل على ان الرسل منزل لون وانهم يصحبون الكتاب حال النزول والانبياء
لسوا بمنزلين فضلا عن ان ينزل معهم الكتاب وان اريد بالرسل الانبياء يكون معهم حالا مقدرة
من الكتاب اي انزلناه صائرا معهم وكائنا فينتظم به امر دينهم ودنياهم بسلوك الصراط المستقيم
الموصل الى المغفرة والرضوان ودرجات الجنان قوله وانزال الاسباب يعني ان الميزان بمعنى ما يوزن
به ليس بمنزل من السماء بل هو من مصنوعات البشر والمراد بانزاله انزال اسبابه وقيل الانزال بمعنى
الانشاء والتهيئة كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقيل هو من باب علفتها
تبنا وماء باردا وتقدير الكلام انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان ويدل على صحة هذا التوجيه قوله تعالى
والسماء رفعها ووضع الميزان والمراد بوضعه الامر باستعماله فان اوامر الله تعالى واحكامه تنزل من
السماء وروي ان جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه الصلوة والسلام وقال مر قومك
يزنوا به وقيل المراد بالميزان العدل وبانزاله انزال الامر به قوله تعالى فيه بأس شديد جملة حالية من
الحديد قيل معناه فيه من خشية القتل خوف شديد وقال محيي السنة فيه قوة شديدة في الحرب وفي
الصحاح البأس العذاب والبأس الشدة في الحرب قال مجاهد فيه جنة وسلاح والمعنى انه تتخذ
منه آلتان للحرب آلة الدفع وآلة الضرب قال اهل المعاني معنى انزلنا الحديد احدثناه وانشأناه كما
في قوله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وقوله وانزلنا عليكم لباسا وذكر ان اوامر الله تعالى واحكامه
تنزل

تنزل من السماء وروي انه عليه الصلوة والسلام قال ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض
انزل النار والحديد والماء والملح وعن ابن عباس رضي قال نزل آدم عليه الصلوة والسلام من الجنة
ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة والسندان يروى
بفتح السين وكسرها يقال له بالتركي اورس والكلبتان آلة يؤخذ بها الحديد المحمى والميقعة المبرد
وهو ما يحدد به الحديد والمطرقة آلة يضرب بها الحدادون الحديد المحمى يقال له بالتركي چكوچ فعلى
الانزال على حقيقته وقوله تعالى وانزلنا الحديد فيه بأس شديد بعد قوله وانزلنا معهم الكتاب و
الميزان ليقوم الناس بالقسط اشارة الى ان تمشية قوانين الكتاب واستعمال ما يوزن به يتوقفان
على وال صاحب سيف يقيم به امر السياسة ويقهر به من تجاوز القسط وتعدى وظلم فان الظلم من
شيم النفوس الامارة والسيف حجة الله تعالى على من تعدى وظلم ثم قال ومنافع للناس اشارة الى ان
القيام بالقسط كما يحتاج الى القائم بالسيف يحتاج ايضا الى ما يتوقف عليه التعايش من الصنائع
والآلات المخترعة قوله والعطف على محذوف يعني ان قوله تعالى وليعلم الله معطوف على علة محذوفة يدل
عليها قوله تعالى فيه بأس شديد ومنافع للناس فانه حال فيه معنى التعليل اي ليعاملوا وينتفعوا به
وليعلم الله فحذف ما حذف اعتمادا على قيام ما يدل عليه وللدلالة على ان المقصود الاصلي من انزال
الحديد هو المذكور فعلى هذا يكون اللام متعلقة على انزلنا المذكور اي وانزله ليعلم قوله قوله تعالى
بالغيب حال من المستكن في ينصره اي ينصر دين الله ورسله وهو لم ير الله تعالى ولا احكام الآخرة
ولا احدا من رسله فان المعتبر في الطاعة ما وقعت حال الغيبة عن المطاع على ان يكون المراد
بالغيبة الغيبة عن المنصور ويجوز ان يكون المراد بها الغيبة عن الناس اي ينصر دين الله
وينصر رسله باستعمال السيوف والرماح وساير السلاح في مجاهدة اعداء الدين بالغيب
اي ملتبسا بالغيبة عمن يراه من الناس اي يفعل ما فعل عن اخلاص لا كالمنافق الذي يفعله اذا رآه الناس
ولا يفعل اذا غاب عنهم واحتج من قال بحدوث علم الله تعالى بقوله تعالى وليعلم الله ونحن نقول المعنى ليعلم الله
من ينصر دينه ورسله موجودا فيستحق الثواب بقيامه بالقسط كما علم في الازل بانه سيوجد ثم انه
تعالى لما اجمل ذكر الرسل الملتبسين بالبينات وبين انه انزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس
بالعدل وانزل الحديد ذا البأس الشديد ليستعين به الخلق في نصرة الدين وتقوية المسلمين فصل بعض
ما اجمله من ارسال الرسل بالكتب فقال ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم وقدم قوله في ذريتهما وهو ثاني
مفعولي جعلنا بمعنى صيرنا ليفيد الاختصاص فانه ما جاء احد بعدهما بالنبوة الا كان من اولادهما
قوله بان استنبأنا هم اي استنبأنا بعضا من ذريتهما لان جعل الذرية ظرفا للنبوة يدل
على كونها في بعض منهم والكتاب هو الوحي المتلو الذي من شأنه ان يكتب وقيل هو مصدر بمعنى

والجمع المواقع والميم زائدة والياء بدل من الواو قلبت لكسرة الميم

الكتابة يقال كتبت كتابا وكتابة وهو الحظ بالعلم والثنا في قوله منهم للتعقيب في الذكر لان التفصيل المجمل حقه ان يذكر بعد ذكر الاجمال فحدا اعني سمتي المعابلة حيث لم يقل ومنهم فاسق لما ذكر من الامرين

قوله ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي اتبعنا على اثار نوح وابرهيم برسلنا موسى والياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم وعيسى من ذرية ابرهيم من جهة امه كما هو من ذرية نوح ايضا يقال قفوت اثره قفوا وقفوا اي اتبعه وقفوت على اثره بفلان اي اتبعه اياه قوله وامره اهون اي امر فتح همزة الانجيل اهون من فتح باء برطيل لان الانجيل لفظ اعجمي فلا محذور في كونه مخالفا لاوزان العرب بخلاف برطيل فانه لفظ عربي ففتح البا فيه صار بحيث لم يوجد له نظير في الاوزان العربية فكان شاذا بخلاف ما لو كسر البا فيه فانه له نظائر كثيرة في الالفاظ العربية كالقنديل والاحليل والابريق والاكبر والبرطيل حجر مستطيل يدخل في الحلوق لاجل التداوي به شبهت الرشوة به فسميت برطيلا على طريق الاستعارة واللغة الشائعة برطيل بكسر البا ويستعمل بفتح البا ايضا بطريق الشذوذ والمراد بمن اتبع عيسى على دينه الحواريون واتباعهم قيل الرأفة اللين والرحمة والشفقة والمراد بها في الاية المودة فكان بعضهم يواد بعضا كما وصف الله تعالى هذه الامة بقوله رحماء بينهم قوله اي وابتدعوا رهبانية على ان يكون انتصاب رهبانية على انه من قبيل ما اضمر عامله على شريطة التفسير قوله او ورهبانية مبتدعة على ان يكون معطوفة على قوله رأفة ورحمة مجعولة له تعالى ويكون ابتدعوها صفة لرهبانية وجعل اما بمعنى خلق او بمعنى صير ويرد على هذا ان يقال كيف يكون الرهبانية حاصلة لهم بجعل الله تعالى ومبتدعة لهم حاصلة من جهتهم وهما متنافيان بحسب الظاهر والجواب عنه منع التنافي بناء على ان الرهبانية وهي الفعلة المنسوبة الى الرهبان كتكثير العبادات ولزوم الخلوات من الافعال التي يكون لقدرة الانسان واكتسابه مدخل فيها بخلاف الرأفة والرحمة فانهما من الامور الغريزية فلا مدخل لكسب الانسان فيهما فصح توصيف الكل بكونها مجعولة مخلوقة له تعالى وتوصيف ما يكون بكسب الانسان واختياره بانه مبتدع له فان جميع الافعال الاختيارية منسوبة اليه تعالى بالخلق والايجاد والى العبد بالكسب والاختيار ويرد على الاعتراض الاول ان يقال كيف يجوز ان يكون رهبانية منصوبة بابتدعوا المقدر المفسر بالظاهر مع ان جعل الرهبانية مبتدعة لهم في مقابلة كون الرأفة والرحمة مجعولتين لله تعالى يدل على ان الرهبانية فعل العبد بحيث يستقل العبد بفعلها وهو مذهب اهل الاعتزال والجواب عنه ما مر من ان اسناد ابتداعها اليهم لا يستلزم استقلال قدرتهم فيها كما هو مذهب المعتزلة فلا محذور والرهبان بفتح الراء صفة مشبهة كالعطشان ابلغ من الراهب بمعنى الخائف يقال رهب بكسر الهاء يرهب بفتحها رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالفتحات الثلث اي خاف فهو راهب ورهبان والرهبانية

الفعلة

الفعلة المنسوبة الى الراهب وهي المبالغة في العبادة قوله كانها منسوبة الى الرهبان بضم الراء لم يجعله منسوبا حقيقة بل جعله مصدرا كالعبادانية لانه لا ينسب الى الجمع وهو باق على صيغته بل يرد الجمع الى واحده فينسب اليه فيقال في النسبة الى المساجد مثلا مسجدي ولا يقال مساجدي نعم قد يكون لفظ الجمع لكونه اسما لطائفة مخصوصة بمنزلة العلم لها وان كان جمعا في نفسه ينسب اليه وهو باق على صيغته فيقال في النسبة الى الانصار والاعراب والفرائض انصاري واعرابي وفرائضي قيل في وجه ابتداع النصارى الرهبانية واحداثها من عند انفسهم ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى عليه الصلوة والسلام اي بعد رفع فقاتلوهم ثلث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فقالوا لو قاتلناهم مرة اخرى لافنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا حتى نتفرق في الارض نتجرد فيها للعبادة فاختاروا الرهبانية فارين من الفتنة في الدين مخلصين انفسهم للعبادة وحملوا المشاق على انفسهم بالامتناع عن المطعم والمشرب والنكاح والتعبد في الجبال والغيران والكهوف والديارات والصوامع عن ابن عباس رضي الله عنهما انه في ايام الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام غير الملوك التورية والانجيل فساح قوم في الارض متعبدين قوله استثناء منقطع لان المستثنى هو الابتداع المعلل بالابتغاء ووجه الاتصال كون الكتبة بمعنى الاستعباد والتذليل المتناول للايجاب والندب وكون الابتغاء مستثنى من اعم العلل كانه قيل ما تعبدنا هم بالرهبانية وما قضيناها عليهم لشيء من الاشياء الا ابتغاء مرضاة الله تعالى لا لابتغائهم اياها ولم يكتف في توجيه كون الاستثناء متصلا لكونه من اعم العلل بل اعتبر معه كون الكتبة عبادة لا للايجاب والندب ليصح حصر العلة في الابتغاء فان كتبنا لو كان بمعنى فرضنا لما صح الحصر لان من فعل الواجب لا يفعله لمجرد ابتغاء الرضوان بل يفعله لدفع العقاب المترتب على تركه ايضا وبهذا التوجيه وان صح الاتصال والحصر الا انه بقي ان يقال كون الرهبانية مندوبة لهم من قبله تعالى ينافي ابتداعهم اياها فاجاب عنه اولا يجوز ان يكون الندب بعد الابتداع وثانيا يجوز ان يكونوا ندبوا اليها من اول الامر وان يكون معنى الابتداع الانتداب اليها اولا قوله فما رعوها جميعا جعل الضمير المرفوع في قوله فما رعوها للذين ابتدعوها مقيدين بقيد الجمع لان بعضا منهم قد رعاها بدليل قوله فاتينا الذين رعوها حق رعايتها وثبتوا على ما التزموه ولم يضيعوا شيئا من حقوقه التي من جملتها الايمان بنبي اخر الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وحق رعايتها منصوب على انه مفعول مطلق لقوله فما رعوها كما في قوله ما عرفناك حق معرفتك اي كمال معرفتك وفي الاية دليل على ان من شرع في فعل لم يجب عليه من وجوه

معنى ... وهو ان يكون ... مكتوبة عليهم ندبا وابتغاء لمرضاة الله تعالى لا لغرض اخر اخترعوها من ... الا انه يفهم منه انهم اخترعوها من تلقاء انفسهم وانها لم تكتب عليهم الا ان يقال لا تنافي بين كونها مكتوبة عليهم ندبا وبين اختراعهم اياها من تلقاء انفسهم لان الثاني انما يكون ان لو كانت الكتبة متقدمة على الاختراع وليس بلازم

منه

العبادات لزم عليه اتمامه ورعايته حق الرعاية وان من شرع فيما ليس عليه حتى لزمه ثم تركه استحق
اسم الفسق والوعيد وروي عن ابي امامة الباهلي رضي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احدثتم
قيام رمضان ولم يكتب عليكم وانما كتب صيامه فدوموا على القيام اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا
من بني اسرائيل ابتدعوا بدعا لم يكتبها الله عليهم ابتغوا بها رضوان الله تعالى فما رعوها حق رعايتها فعا
تبهم الله بتركها فقال ورهبانية ابتدعوها الاية ثم انه تعالى لما قال في الاية المتقدمة فاتينا الذين آمنوا
منهم اجرهم وهو وعد لمن آمن من قوم عيسى عليه الصلوة والسلام ايمانا صحيحا باعطاء الاجر اللائق
بهم الا انه عبر عنه بلفظ ايتائه تنبيها على تحقق وقوعه ولم يبين مقدار ذلك الاجر خاطب عقيبها جميع
من آمن بالرسل المتقدمة من اليهود والنصارى وامرهم بتقوى الله والايمان بسيد المرسلين
عليه وعليهم الصلوة والسلام ووعدهم بايتاء كفلين من رحمته بمقابلة ايمانهم به وبمن قبله فقال
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله الاية تبين به ان الاجر الموعود لمن آمن من قوم عيسى غير مختص بهم بل
يعم جميع اقوام الرسل المتقدمة بشرط ان آمنوا بسيد المرسلين وتبين ايضا ان الاجر الموعود
كفلين ولما ورد ان يقال هذا معقول في حق من آمن بعيسى وراعى دينه الى ان بعث نبينا صلى الله
عليه وسلم لانه قد استمر على الدين الحق الى ان نسخ وتبين عنده حقيقة الدين الناسخ وحين
تبين له ذلك اتبع الحق الثاني فاستحق بذلك لان يعطى له كفلين من الرحمة بخلاف اليهود فان
اليهودية قد انتسخت ببعثة عيسى عليه الصلوة والسلام فليست اليهودية على الدين الحق
حين آمنوا بنبينا عليه الصلوة والسلام فكيف يثابون على دينهم السابق اجاب عنه بقوله ولا
يبعد الخ ولم يرض المص بقول من قال الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره عليه الصلوة والسلام
لما ثبت ان قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين نزلت فيمن آمن بنبينا عليه الصلوة والسلام
من اليهود كعبد الله بن سلام رض واحزابه فانهم لم يؤمنوا بعيسى الى ان جاء الاسلام وقد ضوعف
اجرهم **قوله** يريد المذكور في قوله يسعى نورهم وهو النور الذي يمشون به في الاخرة على الصراط الى
ان يصلوا الى الجنة وهذا النور هو علامة المؤمنين يوم القيمة يميز لهم من اصحاب اعمالهم وقيل
المراد به الهدى والبيان الذي يتبعه المؤمن ويسلك به سلوكا معنويا الى جناب القدس وهو سبيل
واضح يؤدي سالكه الى مرضاة الرحمن **قوله** ولا مزيدة فانها تزاد كثيرا كما في قوله تعالى ما منعك ان لا
تسجد واللام في قوله لئلا يعلم متعلقة بمعنى الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير
ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا فعلنا ذلك وبيناه لكم ليعلم اهل الكتاب الذين ادركوا
عصره عليه الصلوة والسلام ولم يؤمنوا به ان الشان لا يقدرون اي ليعلموا عدم قدرتهم على شيء
مما ذكر من فضله وهو الكفلان من رحمته والنور والمغفرة وليعلموا ان الفضل بيد الله يتفضل به
على

اي نصيبين نقل عن الراغب ان الكفل الحظ الذي فيه الكفاية كانه تكفل امره والكفلان هما المرغوب فيهما بقوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة منه

وعن ابن عباس رض ان النور هو القران فلا يكون المشي به بالاقدام بل ان يعمل على حسب بينته ويسلك الصراط المستقيم المؤدي الى مرضاة الله تعالى ودار كرامته منه

قوله ان هي المخففة وليست الناصبة للفعل المستقبل لامرين احدهما ارتفاع الفعل بعدها والثاني ان الناصبة لا تقع بعد العلم فلا يقال علمت ان يقوم زيد منه

على من يشاء من عباده فيؤتي المؤمنين منهم اجرين ونورا ومغفرة **قوله** وهو مشروط به لان
قوله تعالى يؤتكم كفلين مجزوم على انه جواب الامر وقد تقرر ان المضارع انما ينجزم بعد الامر
لتضمن الامر معنى الشرط وكون المضارع المجزوم في موضع الجزاء له متوقفا على حصوله و
ذلك لان الفعل المطلوب بصيغة الامر قد يكون مطلوبا في نفسه فلا ينجزم بعده الفعل وقد يكون
مطلوبا بالغير فيذكر ذلك الغير بعده مجزوما لكونه في معنى الجزاء لما قبله ومعنى كون الفعل المطلوب
بصيغة الامر مطلوبا بالغير كون ذلك الغير متوقفا على حصوله وتوقف غيره عليه وهو
معنى كونه شرطا له روي ان اهل الكتاب وهم بنو اسرائيل كانوا يفضلون انفسهم على سائر
اهل الاديان بسبب كونهم اهل الكتاب ويقولون الوحي والرسالة فينا والكتاب
والشرع ليس الا لنا وانه تعالى خصنا بهذه الفضيلة العظيمة من بين جميع العالمين
فانزل الله تعالى هذه الاية تخاطب فيها من آمن بالرسل المتقدمة فقال لهم انكم ان تتقوا الله
وتؤمنوا برسوله يؤتكم الله في الاخرة كفلين من رحمته ثم قال فعلنا ذلك وبيناه لكم ليعلم
من لم يؤمن به من اهل الكتاب ان الشان لا اجر لهم ولا نصيب من فضل الله تعالى وان كانوا
مجتهدين في التدين بدين من بعث قبله لانه كفر بما فرض الله تعالى عليه في ذلك الوقت فاحبط
اعماله والمقصود من انزالها ان يزول عن قلوب من لم يؤمن به عليه الصلوة والسلام من
اهل الكتاب اعتقاد انهم مفضلون على سائر اهل الاديان من حيث كونهم اصحاب كتاب الهي
فان مجرد كون الكتاب منزلا من عنده تعالى لا يوجب بقاء حكمه ابدا وكون من تمسك به مفضلا
على غيره لان الحكمة الالهية قد تقتضي كون بعض احكامه موقتا بوقت معين فينتهي ذلك
الحكم بمجيء ذلك الوقت ويكون منسوخا فيه ويظهر بعد ذلك حكم جديد ولا فضل للمرء في اتباع
الحكم المنسوخ وانما الفضل بتقوى الله تعالى وطاعته فيما كلف به في كل وقت فلذلك كان اجر
من اتبع الدين القديم ودام على اتباعه الى زمان بعثة نبينا عليه الصلوة والسلام ثم اذا
علم ببعثته آمن به واتبع دينه ضعف اجر من مات قبله واما من ادرك عصره ولم يؤمن
به فليس له شيء من الاجر لكون اعماله محبوطة بالكفر **قوله** اولا يقدرون على شيء من فضله
الخ فانهم كانوا لا يعدونه عليه الصلوة والسلام اهلا لان يبعث رسولا وينزل عليه الكتاب
ويقولون لولا انزل هذا الكتاب على رجل من القريتين عظيم فتبين تعالى بهذه الاية ان من
آمن به عليه الصلوة والسلام هو الذي يضاعف اجره ويجعل له النور والمغفرة ثم قال
ذلك ليعلموا ان ليس لهم التصرف في امر النبوة وقيل كلمة لا ليست بمزيدة وان الضمير في لا
يقدرون ليس لاهل الكتاب بل هي للنبي والمؤمنين به والمعنى فعلنا ذلك وبيناه لئلا يعتقد

وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى يا ايها الذين آمنوا اثبتوا على ايمانكم واتقوا الله يؤتكم ما وعد من آمن من اهل الكتاب برسول الله من الكفلين في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم في الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا في سبعين راكبا الى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب فقال ناس ممن آمن من اهل مملكته وهم اربعون رجلا ائذن لنا في الوفادة على رسول الله فاذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة احد فلما راوا ما بالمسلمين من خصاصة استاذنوا رسول الله فرجعوا وقدموا باموال لهم فآسوا بها المسلمين فانزل الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله يؤتون اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله اجره مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت كشاف

اهل الكتاب ان الشان لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله تعالى ولما ورد ان يقال كيف يصح
هذا الوجه مع انه يستلزم ان يكون المعنى ولئلا يعلم اهل الكتاب ان الفضل بيد الله ومن المعلوم ان انتفاء
علمهم به ليس مما يصح ان يقصد بفعل ما ذكر ونبينه وجه الملازمة ان قوله وان الفضل بيد الله معطوف
على مفعول العلم المنفي البتة فيلزم ان يكون المعنى ما ذكر اشار الى دفعه بقوله فيكون ان الفضل عطفا
على ان لا يعلم اي لا نم كونه معطوفا على مفعول العلم المنفي بل هو علة معطوفة على العلة السابقة اي فعلنا
ذلك لئلا يعلم اهل الكتاب ان المؤمنين لا يقدرون على شيء وليعتقدوا او ليعلموا ان الفضل
بيد الله تعالى وليس في هذا القول الا اضمار زيادة في قوله وان الفضل بيد الله بان يكون تقدير الكلام
وليعتقدوا ان الفضل بيد الله واما القول الاول فهذا افتقر نافيه الى جعل اللفظ الموجود صلة و
الاضمار اولى من الحذف لان الكلام اذا افتقر الى الاضمار لم يوهم ظاهره باطلا اصلا واما اذا افتقر
الى الحذف كان ظاهره موهما للباطل فعلمنا ان هذا القول اولى قوله وقرئ ليلا بكسر اللام الاولى
واسكان الياء بعدها والاصل لان لا يعلم حذفت همزة ان فبقيت لن لا فادغمت النون في اللام فبقي
للّا فاجتمع ثلث لامات فثقل النطق به فابدلت الوسطى منهن ياء تخفيفا كما قالوا دينار في دنّار
وديوان في دوّان وقيراط في قرّاط قوله وقرئ ليلا بفتح اللام الاولى واسكان الياء بعدها اصله
لان لا يعلم على لغة من يفتح اللام اي لام الجر مع الظاهر كما يفتحها مع الضمير بناء على ان الاصل في
الحروف المفردة الفتح فحذفت همزة ان فصار لن لا فادغمت النون في اللام فصار للّا ثم ابدلت
اللام الوسطى ياء فصار ليلا وقراءة العامة لئلا بكسر لام كي وبعدها همزة مفتوحة مخففة و
ورش يبدلها ياء محضة وهي تخفيف قياسي لكونها مفتوحة بعد كسرة وفي مائة وفئة تم ههنا ما يتعلق
بسورة الحديد والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين

سورة المجادلة مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لوليه والصلوة والسلام
على نبيه محمد واله وصحبه اجمعين قوله في زوجها اي في شانه من ظهاره اياها بان قال لها انت علي كظهر
امي ثم ندم على ما قال بناء على ان الظهار والايلاء كانا من طلاق الجاهلية فقال لها ما اظنك الا قد
حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق وكان ذلك اول ظهار وقع في الاسلام ولم ينزل بعد حكمه
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رض تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان
اوس بن الصامت ابو ولدي وابن عمي واحب الي ظاهر مني وما ذكر طلاقا وقد ندم على فعله فهل
من شيء يجمعني واياه فقال عليه الصلوة والسلام لها ما اريك الا وقد حرمت عليه فقالت لا تقل ذلك
يا رسول الله وذكرت فاقتها ووحدتها تبغا في اهلها وان لها صبية صغارا وقالت ان ضممتهم الي
جاعوا وان ضممتهم الى ابيهم ضاعوا فاعاد النبي عليه الصلوة والسلام قوله الاول وهو حرمت عليه

رآها وهي تصلي وكانت حسنة
الجسم فلما سلمت راودها
فابت فغضب وكان به خفة
فظاهر منها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه فجعلت تراجع اي تجادل رسول الله معانيها الاولى وكلما قال لها رسول الله حرمت عليه
هتفت وقالت اشكو الى الله تعالى مما لقيت من زوجي حال فاقتي ووحدتي وقد طالت معه صحبتي
ونفضت له بطني تريد بذلك اني بلغت عنده سن الكبر وصرت عقيما لا الد بعد وكانت في
كل ذلك ترفع راسها الى الله عز وجل وتقول اللهم فانزل على لسان نبيك فقامت عائشة رض
تغسل الشق الاخر من راسه عليه الصلوة والسلام وهي في مراجعة الكلام مع رسول الله وبث
الشكوى الى الله تعالى حتى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الايات الاربع وفي الاية دليل على ان من انقطع
رجاؤه عن الخلق ولم يبق له في مهمه احد سوى ربه كفاه الله تعالى ذلك المهم روي ان عمر بن الخطاب
رض مر بهذه المراة في خلافته وهو على حمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت
يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المؤمنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت
خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو رض واقف يسمع كلامها فقيل يا امير المؤ
منين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف الطويل فقال عمر والله لو حبستني من اول النهار الى اخره
لما زلت الا للصلوة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها
من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر قوله وفي منكم تهجين لعادتهم
فيه يعني ان المظاهر ان يقال والذين يظاهرون من نسائهم بدون لفظ منكم لان حكم الظهار لا يختص
بالعرب والحاكم لفظ منكم يفهم منه اختصاصه بهم واجاب عنه بان افهامه انما يفيد ذلك اذا لم يكن لافهامه
فائدة اخرى ولفظ الاية فائدة اخرى وهي تهجين عادتهم وتوبيخهم لان الظهار كان مخصوصا
بالعرب وكان من ايمان اهل الجاهلية منهم ولم يوجد ذلك من غيرهم قال صاحب الكشاف في سورة
الاحزاب كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وقال في هذه السورة انه من ايمان اهل جاهليتهم
ووجهه انهم كانوا يعدونه طلاقا مؤكدا باليمين على الاجتناب قوله واصله يظهرون يتظهرون
من اظهر بمعنى تظهر ادغمت التاء في الظاء واتى بهمزة الوصل للابتداء فصار اظهر وكذا ادغمت
التاء الثانية من تتظهرون في الظاء فصار تظهرون فهو من باب التفعل واصله اظاهر تظاهر
ادغمت التاء في الظاهر واتي بهمزة الوصل للابتداء فصار اظاهر واصل تظاهرون تتظاهرون
ادغمت التاء الثانية في الظاء فصار تظاهرون فهو من باب التفاعل قوله وعن عاصم امهاتهم
على لغة تميم فانهم لا يعملون ما بمعنى ليس بناء على ان اصل العوامل ان يختص بالقبيل الذي يعمل فيه
من الاسم او الفعل لتكون متمكنة بثبوتها في مركزها وكلمة ما تدخل على القبيلين غير مختصة
باحدهما فلا يعمل عندهم وتعمل عند الحجازيين مع عدم الاختصاص لقوة مشابهتها لليس
وهي اللغة الفصيحة التي عليها ورد الكلام الالهي قال الله تعالى ما هذا بشرا وعليها قراءة الجمهور ما هن

من الشانة قد هتف يهتف
هتفا وهتف به هتافا
اذا صاح به ودعاه وفي
الحديث فجعل يهتف
بربه اي يدعوه و
يناشده صح

قوله باطل يعني قوله
هذا انسب وفيه اشعار
ما هن امهاتهم
بان خبر الذين يظاهرون
محذوف وهو مخطئون و
ما هن امهاتهم الخ بيان
لخطائهم كانه قيل الذين
يظاهرون من نسائهم مخطئون
في قولهم انت علي كظهر امي
ما هن امهاتهم
هو انسب بالظاهر لشان
الجالين وذهب صاحب
الكواشي الى ان الخبر ما هن
امهاتهم صح

حيث غروا آبائهم بالنصب اي بكسر التاء **قوله** وهي ايضا على لغة من ينصب اي القراءة بزيادة
التاء لاتختص باحد من اللغتين وفي اللباب وقراءة عبد الله بزيادة الباء وهي تحتمل اللغتين وقال
الزمخشري وزيادة الباء في لغة من ينصب قال شهاب الدين هذا على مذهب ابي علي يرى ان الباء لا تزاد
الا اذا كانت ما عاملة فلا تزاد في التميمية ولا في الحجازية اذا منع من عملها مانع نحو ما ان زيد بقائم
وهذا مردود بقول الفرزدق وهو تميمي لعمرك ما معن بتارك حقه وبقول الاخر لعمرك ما ان
ابو مالك بواه ولا بضعيف قواه فزادها مع ما الواقع بعدها ان **قوله** اذ الشرع انكره اي انكر قوله و
هو تشبيه زوجته بامه فان زوجته ليست بامه حقيقة ولا يمكن الحاقها بها فكان تشبيها
بها الحاق لاحد المتباينين بالاخر فكان منكرا شرعا والمنكر من القول اخلاق ما يعرف منه في
الشرع اذ الزور الكذب والبهتان فان قيل المظاهر انما قال انت علي كظهر امي انشاء للتحريم لا استمتاع
بها فان حكم الظهار في الشرع ان يحرم على الزوج وطؤها بعد الظهار ما لم يكفر والانشاء لا يوصف
بالكذب قلنا ان قوله ان كان خبرا فهو كذب ظاهر وان كان انشاء فهو ايضا كذب باعتبار ما تضمنه
من الحاق الزوجة المحللة بالام المحرمة ابدا وهذا الالحاق مناف لمقتضى الزوجية فيكون كاذبا **قوله**
مطلقا او اذا تيب عنه فان ما دون الشرك من الذنوب حكمه موكول الى مشية الله تعالى ان شاء يغفر
وان لم يتب العبد عنه وان شاء يغفر بعد التوبة واما اذا لم يتب عنه فيعذبه عليه فانما يعذبه على حسب
ذنبه **قوله** اي قولهم بالتدارك مبني على جعل اللام بمعنى الى لانهما ينعاقبان كثيرا نحو يهدي للحق
والى الحق واوحى لها واوحى اليه وجعل ما مصدرية فكانه قيل ثم يعودون الى قولهم اي تداركه
بمعنى يدركون ويصلون الى ذلك القول او الى ما فات عنهم بسببه من وجوه الاستمتاع بالزوجات
بالمنافع المتوقفة على قيام الزوجية فان استدراك ما فات وتداركه معناه اللحوق والو
صول اليه يقال ادركت الشيء اذا لحقته وتدارك القوم اي تلاحقوا بان لحق اخرهم اولهم و
الذي يلوح من كلام المص انه فسر العود الى القول او الى ما فات بسببه بالتدارك والوصول
اليه على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب فان العود الى الشيء من اسباب الوصول اليه
فاذا قيل عاد الغيث على ما افسد يعني من شيء من البنيان والحياض واغراق بعض البسا
تين والمواشي يراد به تداركه ووصل الى ما افسده بان اجبر منه جبرا ابعاد له بل افضل
وانفع من صلاح الزرع والثمار وسمن المواشي وحصول الخصب والرخاء ونحو ذلك فلفظ
العود فيه ايضا مجاز مرسل بمعنى التدارك والوصول والعود يستعمل على معنيين احدهما
ان يصير الى شيء قد كان عليه قبل ذلك فيكون بمعنى الرجوع الى ما فارق عنه والاخر ان يصير
ويتحول الى شيء وان لم يكن على ذلك قبل والعود بهذا المعنى لا يستلزم ان يكون رجوعا الى ما فارق
عنه

عنه والعود قلنا انه سبب للتدارك والوصول هو العود بهذا المعنى وهو التحول الى الشيء مطلقا
والمثل المذكور يضرب لمن له شر قليل ونفعه للناس اكثر من ضرره ومعنى الاية على هذا والله
اعلم والذين يتكلمون بقول يقتضي بطلان وجوه انتفاعهم بمنكوحاتهم بالمنافع المتعلقة بالزوجية
كالوطيء ودواعيه والامساك على سبيل الزوجية وذلك القول هو التشبيه المعهود فانه يحرم عليهم
جميع ذلك ويبطله ثم ينقضون مقتضى ذلك التشبيه بان يفعلوا شيئا مما حرموه به وفوتوه على
انفسهم فعليهم تحرير رقبة اي وفعل ذلك الشيء المحرم عليهم بسبب ذلك القول تدارك له اي لحوق لما فات
منهم بسببه ونقض لما يقتضيه وهو الامتناع عنه ثم العود الموجب لكفارة الظهار عند الشافعي
رح هو امساكها عقيب على وجه الزوجية ولو بلحظة وان لا يحرمها في الحال بطلاق باين فاطلقها
في الحال اي عقيبه او مات احدهما في ذلك الوقت فلا كفارة عليه لان العود الى القول هو نقض ما
يقتضيه واتيان خلافه وذلك لم يوجد وانما كان الامساك المذكور عودا بهذا المعنى لان التشبيه
المذكور اقتضى ان يحرم عليه جميع ما يتوقف على النكاح من وجوه الاستمتاع والامساك على الزوجية من
وجوه الاستمتاع بها اذ يحصل دفع الوحشة والاستيناس بها فيكون الامساك المذكور نقضا لما
يقتضيه ذلك التشبيه وتداركا لما فات منه بسببه وهو المراد بالعود وكون التدارك المذكور متراخيا
عن التشبيه كما هو مقتضى كلمة ثم من حيث ان الامساك المذكور لا يكون عودا ونقضا لمقتضى التشبيه
الا بعد زمان يمكن ان يطلقها فلما توقف كونه عودا على مضي ذلك الزمان كان متراخيا عن التشبيه
بذلك القدر من الزمان وعند ابي حنيفة رح العود هو العزم على جماعها فمتى عزم على ذلك لم يحل له
حتى يكفر ولو ماتت هي بعد مدة قبل ان يكفر سقطت عنه الكفارة لعود العزم على جماعها وهذا
اظهر مما ذهب اليه الشافعي لان مقتضى الظهار ليس تسبيب المرأة واطلاقها حتى يكون امساكها نقضا
لمقتضى الظهار واتيانا بضده بل حكمه الامتناع عن وطئها فضده العزم على وطئها هذا هو المشهور
في الكتب الحنفية واما قول المص وعند ابي حنيفة رح باستباحة استمتاعها ولو بنظرة بشهوة فلم
اجده فيها وفي الطيبي قال الامام العود عند ابي حنيفة رح عبارة عن استباحة الوطيء والملامسة
والنظر اليها بالشهوة لانه لما شبهها بالام في حرمة هذه الاشياء فعند استباحتها كان مناقضا لقوله
انت علي كظهر امي **قوله** وعند مالك بالعزم على الجماع وهو قول ابي حنيفة رح في المشهور وقد ذكر
وجهه **قوله** وعند الحسن لانه الاصل المقصود من عقد الزوجية وما عداه انما هو من دواعيه و
مقدماته او من لوازمه فيكون مقتضى الظهار تحريم هذه المنفعة بالذات والامتناع عنها ونقض
هذا المقتضى باتيان ضده انما يكون بمباشرة نفس ذلك الفعل **قوله** او بالظهار في الاسلام عطف
على قوله بالتدارك يعني انه قبل العود الى القول هو التكلم بلفظ التشبيه المنكر في الاسلام وكونه عائدا

ويتعين ان العزم عليه نقض التشبيه وتدارك لما فات عنه بسببه والمعنى على هذه الوجوه ثم يريدون العود للتماس بعد ما حرموه على انفسهم
١٢

اليه باعتبار سبق ذلك منه في الجاهلية والتعبير عما سبق من الظهار بلفظ المضارع لارادة
معنى الاستمرار فيما مضى وقتا فوقتا فانهم كانوا يعتادونه في الجاهلية وكلمة ثم لاستبعاده
بالنسبة الى حالة الاسلام وهذا القول يستلزم ان تجب الكفارة بمجرد تكلمه بلفظ الظهار في الاسلام
من غير عود حتى لو طلقها عقيب الظهار او ماتت المظاهر منها لزمته الكفارة لان العود ح ليس
الا تكلم لفظ الظهار في الاسلام وهو خلاف ما عليه علماء الامصار قوله او بتكراره لفظا عطف
على قوله بالتدارك ايضا يعني ان الظهار رتبة قالوا العود اعادة لفظ الظهار وتكراره وان لم يكرر
اللفظ فلا كفارة عليه قوله او معنى فيكون معنى الاية ثم يعودون الى قولهم بتكرار ذكر القول
لا اللفظ بل معنى بان يحلف على ما قال فانه لو قال امرأتي علي كظهر امي ان فعلت كذا ثم فعل
ذلك حنث فيكون فعل ذلك الفعل بمنزلة تكرير لفظ الظهار فتلزمه الكفارة حين حنث لان
شرط وجوب الكفارة انما يتحقق ح وشرط وجوبها مجموع الظهار والعود لان المبتدأ متضمن
لمعنى من حيث كونه موصولا صلته فعل وعطف عليه فعل آخر بكلمة ثم فيكون مجموع الفعلين
شرطا له قوله او الى المقول فيها عطف على قوله الى قولهم ففي الوجوه السابقة كان المراد بما
قالوا القول حقيقة وفي هذا الوجه اريد النساء على جعل المصدر بمعنى المفعول كضرب الامير
او على حذف فيه ان جعل ما موصولا او موصوفة اي ثم يعودون للتي قالوا فيها او للامرأة
قالوا فيها ونظيره قولهم مشترك بمعنى مشترك فيه والعود الى نسائهم واللحوق بهن يكون
على وجوه مختلفة على حسب اختلاف المذاهب فعلى قول الشافعي بامساكهن وعلى قول ابي
حنيفة ومالك باستباحة استمتاعهن وعلى مذهب الحسن بوطئهن والعود الى المقول فيه
ايضا مجاز مرسل بمعنى تداركها واللحوق اليها بعد فواتها عنه بمقتضى قوله وعن الفراء ان
اللام في قوله لما قالوا بمعنى عن والمعنى ثم يرجعون عما قالوه ويريدون الوطء قوله فعليهم
او فالواجب اعتاق رقبة فعلى الاول يكون قوله فتحرير رقبة مبتدأ وخبره محذوف اي فعليهم
تحرير رقبة والمبتدأ مع خبره في موضع الرفع لوقوعهما موقع خبر المبتدأ الاول وهو قوله والذين
يظاهرون وعلى الثاني يكون قوله فتحرير خبر مبتدأ محذوف والتحرير جعل الرقيق حرا باعتاقه
ومن فوائدها لان تكرر السبب يوجب تكرر المسبب الا عند اتحاد المجلس كقراءة اية السجدة
في موضعين قوله قياسا على كفارة القتل فان الرقبة مقيدة بالايمان فيها قال الله تعالى في كفارة
القتل فتحرير رقبة مؤمنة والشافعي رح يطلق يحمل المطلق على المقيد وان كان ورد كل
واحد منهما في حادثة على حدة ولا يحمل عند ابي حنيفة رح الا عند اتحاد الحكم والحادثة
وان جامع المظاهر عنها ليلا لم يبطل التتابع ولا يلزمه استيناف الشهرين عند الثلاثة في
لان

حتى لو لم يحلف عليهم بنفسه كظهار يلزمه كفارة يعني ان تعدا من العود تكريره كلمة لم يكرر المذكور لفظ الظهار معنى سلمه

ا ما امسكها او بالتقدم على وطئها او كذلك سلمه

لان الليل ليس محلا للصوم ويبطل عند ابي حنيفة ومالك رح لقوله تعالى من قبل ان يتماسا قوله
او مرض مزمن اي ممتد فانه بمنزلة العاجز من كبر السن فيجوز له العدول عن الصيام الى الاطعام
فان كان يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطء امرأته فالمختار ان ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام
ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه قوله او شبق وهو شدة اشتهاء الضراب
قال الامام محيي السنة في تفسيره عن سلمة بن صخر قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لا يصيبه
غيري فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتي شيئا فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر
رمضان فبينما هي تخدمني ذات ليلة اذ تكشف لي منها شيء فلم البث ان وقعت عليها فانطلقت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال اعتق رقبة فقلت لا املك غير رقبتي هذه فقال
صم شهرين فقلت يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا من الصيام قال فاطعم ستين مسكينا
الحديث فامره بان يعدل عن الصيام الى الاطعام لاجل شبق ويحتمل ان يكون الشبق اعم مما ذكر
ويتناول شدة اشتهاء الطعام وقلة الصبر لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال لاوس بن
الصامت رض زوج خولة رض هل تستطيع الصوم فقال لا والله اني اذا اخطأني ان اكل في اليوم
مرة او مرتين لكل بصري وظننت اني اموت فامره بان يطعم ستين مسكينا قوله يعادونهما
فسر المفسرون المحادة بالمعاداة والمخالفة في الحدود كقوله تعالى ان الذين يحادون الله و
رسوله قال الزجاج المحادة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك وقوله كبتوا اي خذلوا قال المبرد
كبت الله فلانا اي اذله وقال ابو عبيدة والاخفش اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي
الذين من قبلهم من اعداء الرسل وهو يصلح ان يكون دعاء عليهم واخبارا عما سيكون بالماضي
لتحقق وقوعه قال المبرد اصل المحادة الممانعة ومنه يقال للبواب الحداد وللممنوع الرزق
المحدود وقيل المحادة مفاعلة من لفظ الحديد والمراد المقابلة بالحديد سواء كان في ذلك
حديد حقيقة او كان منازعة شديدة شبيهة بالخصومة بالحديد الجوهر الحاجز بين الشيئين
وحد الشيء منتهاه ويقال فلان حديد فلان اذا كان ارضه الى جنب ارضه والحد المنع ومنه قيل
للبواب حداد والمحادة المخالفة ومنع ما يجب عليك فثبت به ان المحادة تستعمل بمعنى المعاداة لغة
وذلك اما في كونها مفاعلة ماخوذة من الحد الفاصل بين الشيئين فمعناها الاصلي ان ينفرد كل منهما
بحد على حدة ولا يكون حديدا للاخر كما هو معنى قول الزجاج ثم نقلت الى المعاداة للتناسب
بينهما في الاشتمال على معنى المباعدة ويجوز كونها استعارة للمعاداة تشبيها لها بالمحادة قوله تعالى
الم تر ان الله يعلم ما في السموات تاييد وتاكيد لكونه شهيدا على كل شيء مطلعا عالما بكل المعلومات
بحيث لا يخفى ستر وعلانية قوله ما يقع من تناجي ثلثة اشارة الى ان كان تامة وان يجوز

مصدر بمعنى التناجي وهي المكالمة سرا وان ثلثة مجرور باضافة النجوى اليه من قبيل اضافة المصدر
الى فاعله بمعنى النجوى تجوى اي مسارة ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة وكذلك ناجيته وانتجى القوم
وتناجوا اي تساروا والاسم النجوى وقوله تعالى واذ هم نجوى فجعلهم هم النجوى وانما النجوى فعلهم
كما تقول قوم رضا ورجل عدل كذا في الصحاح وان كان التقدير ما يقع من ذوي نجوى ثلثة اي
اهل نجوى واطلق النجوى على الاشخاص مبالغة يكون الجار ثلثة على انه صفة للمضاف المقدر
او للنجوى بمعنى المتناجين قوله الا الله يجعلهم اربعة جعل رابعهم من قبيل الواحد من المتعدد باعتبار
تصيره لا اضافة الى العدد الذي هو انقص من العدد الذي اشتق منه هذا المصير بدرجة وهو
الثلثة فمعنى رابع ثلثة مصير ثلثة اربعة والمفرد من المتعدد باعتبار حاله لا يضاف الا الى عدد
يساوي العدد الذي اشتق منه ما يدل على هذا المفرد فيقال رابع اربعة وثالث ثلثة وثاني اثنين
احدهما قوله والاستثناء من اعم الاحوال يعني انه لا يقول الا هو رابعهم والا هو خامسهم والا هو معهم
كل واحد من هذه الجمل بعد الا في موضع النصب على الحال لما تقرر ان المستثنى المفرغ يعرب على حسب
العامل فالمستثنى منه المقدر من الاحوال العامة اي ما يوجد شيء من هذه الاشياء في حال ما الا في
حال من هذه الاحوال قوله وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال وذو الحال مع رافعه محذوف فان
والتقدير ما يكون من اهل نجوى يتناجون ثلثة وحذف لدلالة نجوى عليه وان اول النجوى بمتناجين
يكون ذو الحال المستكن فيه والجمهور على جر خمسة عطفا على لفظ ثلثة قوله او محل لا ادنى مثل لا حول
ولا قوة بفتح حول ورفع قوة اما فتح الاول فلان اسم لا اذا كانت نكرة مفردة يبنى على ما يرفع به
اما رفع الثاني فعلى ان تكون لا الثانية زائدة لتأكيد النفي في الاول ويعطف الاسم المرفوع على
محل اسم لا قوله فيقولون السام عليك يعنون الموت وهم يوهمون انهم يقولون السلام عليك
وكان عليه الصلوة والسلام يرد عليهم فيقول عليكم بدون الواو اختلفوا في رد السلام على اهل
الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر بذلك وقال مالك ليس بواجب
فان رددت فقل عليك وقال بعضهم يقول في الرد وعلاك السلام اي ارتفع عنك وقال بعض المالكية
يقول في الرد السلام عليك بكسر السين يعني الحجارة قوله وانعم صباحا من النعومة اي ليصبح صباحك
ناعما لينا لا بؤس فيه قوله توسعوا فيه التفسح التوسع والفسيح الواسع وفسح له في المجلس اي
وسع وهو من باب منع يمنع وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم اي صار واسعا قال القرطبي لما بين
ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين الادب في مجالسة
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه المجلس وامر المسلمين بالتعاطف والتآلف
والمعاملة بالمجاملة بان يفسح بعضهم لبعض ويطيب نفسه بذلك ولا يتحرج بالمزاحمة
حتى

ومن نجوى فاعل كان ومن زائدة منه

النجوة والنجاة ما ارتفع من المكان الذي تظن انه نجا وكذا لا يبلغه السيل منه

اي ضمار يتناجون لدلالة نجوى عليه فانتصابهما يكون على انهما حالان من فاعل يتناجون المقدر اي يتناجون حال كونهم ثلثة وخمسة هذا على ان يكون المضاف مقدرا قبل نجوى اي من اهل نجوى يتناجون ثلثة ويجوز ان يكونا حالين من الضمير المستكن في نجوى على انه بمعنى متناجين اي ما يكون متناجين حال كونهم ثلثة اسامي

حتى يتمكنوا من الاستماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايضا الصحيح في الاية انها عامة
في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والاجر سواء كان مجلس حرب او ذكر او مجلس رسول الله
عليه وسلم او مجلس يوم الجمعة وان كل واحد احق بمكانه الذي سبق اليه قال عليه الصلوة والسلام
من سبق الى ما لم يسبق اليه فهو احق به ولكن يوسع لاخيه ما لم يتأذ لذلك فيخرجه الضيق
من موضعه وعنه صلى الله عليه وسلم لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده
فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا قوله انشزوا اي ارتفعوا وقوموا قال مجاهد والضحاك اذا نودي
للصلوة فقوموا اليها وذلك ان رجالا تثاقلوا عن الصلوة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا
اي انهضوا الى الحرب وقال ابن زيد والزجاج هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم كان كل رجل
منهم يحب ان يكون اخرهم عهدا بالنبي عليه الصلوة والسلام قال الله واذا قيل لكم انشزوا عن
مجلس النبي عليه الصلوة والسلام فانشزوا فان له حوائج ولا تمكثوا وقال مجاهد واكثر
المفسرين معناه اذا قيل لكم انهضوا الى الصلوة والى الجهاد والى كل خير فقوموا لها ولا تقصروا
وقول المص انهضوا للتوسعة اي لمن جاء بعدكم يحتمل ان يكون المراد به انه اذا كثرت المزاحمة
وكانت بحيث لا تحصل الوسعة بتنحي احد الشخصين عن الاخر حال قعود الجماعة وقيل
قوموا جميعا وتفسحوا حال القيام فانشزوا ولا تثاقلوا عن القيام ويحتمل ان يريد المعنى
اذا قيل لكم قوموا عن مواضعكم وانتقلوا عنها الى موضع اخر اطيعوا من امركم به و
قوموا من مجالسكم وتوسعوا لاخوانكم ويؤيده ما روي عن مقاتل بن حيان ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان جالسا في الصفة وكان في المكان ضيق وكان يكرم اهل بدر من المهاجرين
والانصار فجاء ناس منهم وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي عليه الصلوة والسلام
فسلموا على النبي فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع
لهم فلم يفسحوا لهم فشق على رسول الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير اهل بدر قم يا فلان فاقام
من المجلس بعدد القائمين من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف رسول الله
صلى الله عليه الصلوة والسلام الكراهة في وجوههم فانزل الله تعالى قوله يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم
تفسحوا الخ ولما كان التفسح لمن ابطأ اقباله الى ذلك المجلس باجابة بعض اهل المجلس ناسب
ان يفسر النشوز بالقيام عن المجلس للتوسعة قوله او ارتفعوا عن المجلس مبني على ان يراد
بالنشوز النشوز عن بيت النبي واجاب عن الامر السابق بقوله يرفع الله الذين امنوا
منكم اي من فعل ذلك طاعة لرسوله وتوسعا لاخوانهم يرفعهم درجات قوله والذين
اوتوا العلم يجوز ان يكون معطوفا على الذين امنوا على طريق عطف الخاص على العام لان الذين

قم يا فلان كذا [illegible] منه

وعن الزهري العلم ذكر ولا يحبه الا ذكورة الرجال كشاف

اي العلم صفة كمال لا تجيئه الا الكاملة لانه مركوز في الجبلة كمال الذكر ونقصان الانثى ح من ثمة يقولون هو الرجل وقال تعالى او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين غلب عليهن صفة النساء المنشأة في الزينة والنعومة وسلب عنهن صفة الرجال من البيان في المقال ومجاراة الخصوم في القتال طيبي

اوتوا العلم بعض المؤمنين منهم ويجوز ان يكون والذين اوتوا العلم من عطف الصفات بان يكون
لذات واحد كانه قال يرفع الله المؤمنين العلماء وقال ابن عباس رضي تم الكلام عند قوله منكم وينتصب
الذين اوتوا بفعل مضمر اي ويخص الذين اوتوا العلم بدرجات او يرفعهم درجات وقول المص و
يرفع العلماء منهم خاصة اختيار بهذا القول واما انتصاب درجات فيحتمل اوجها ان يكون مصدرا
اي يرفعهم رفع درجات بحذف المضاف وان يكون حالا منهم وان ظرفا على اسقاط الخافض
الى درجات قوله مستعار ممن له يدان اي من جهة امام من له يدان فانك اذا قلت جلست بين يدي
فلان كان المعنى جلست امامه من حيث اليدين مجاز مرسل من الجهتين الواقعتين في كل واحد
من سمتي اليدين وهما جهتا اليمين والشمال من قبيل تسمية الشيء باسم ما يسامته ويجاوره
وما بين جهتي اليمين والشمال هو جهة الامام وانما حمل ما بين اليدين على ما بين الجهتين
لان ما بين نفس اليدين هو جهة الشخص لا معنى للجلوس فيها فتعين الحمل على المجاز ثم
اذا استعمل لفظ بين يدي فيما لا يدان له كالنجوى يكون استعارة تمثيلية تشبيها لتقديم الصدقة
على النجوى بجعلها امام الانسان على طريق تشبيه الهيئة بالهيئة فان اصل التركيب فيمن
له يدان ويحتمل ان يكون نجواكم استعارة بالكناية وبين يدي تخييلية وقول المص قدامها مجاز
ايضا لان المراد فيها اذ القدام من ظروف المكان وقد استعاره للزمان قوله وهو وان اتصل
به تلاوة جواب لما يقال كيف يكون اشفقتم مزيلا لوجوبه وناسخا له وهو متصل به والحكم لا
ينسخ بكلام متصل به واختلف القائلون بوجوبها في مقدار تاخر الناسخ عن المنسوخ فقال
الكلبي ما بقي ذلك التكليف الا ساعة من النهار ثم نسخ وقال مقاتل بن حيان بقي ذلك التكليف
عشرة ايام ثم نسخ قوله وهو على القول بالوجوب لا يقدح في غيره اي ما روي عن علي رض لا يوجب
قدحا في غيره بنسبة ترك الواجب اليهم على القول بوجوبها لان ترك الواجب انما يلزم ان لو
تحقق منهم المناجاة في مدة بقائه من غير تقديم الصدقة وذلك غير معلوم فلعله لم يتفق
للاغنياء مناجاة في مدة بقائه اختص الفقر على ان مفعول اشفقتم محذوف وان تقدموا في تقدير
لان تقدموا وعلى الثاني مفعوله ان تقدموا وجمع صدقات لكثرة الفاعلين لها او لكثرة شروطها
وهي التناجي قبل اشفقتم استفهام معناه التقرير والاشفاق الخوف من المكروه قوله
بان رخص لكم ان لا تفعلوه فسر توبة الله عليهم باسقاط وجوب تقديم الصدقة ونسخ
الحكم به وترخيصهم في تركه اذ لا وجه لحملها على معناه الحقيقي وهو قبول توبتهم اذ لم يقع منهم
التقصير في حق هذا الحكم حتى يتوبوا عنه فيقبل الله توبتهم وذلك انهم لم يكلفوا بان يتصدقوا في وقت
معين ثم يشتغلوا بعدها بالمناجاة حتى ينسبوا الى المعصية بتركها في ذلك الوقت بل امروا بانهم ان
اراد

قال القرطبي ما روي عن علي رض ضعيف لان الله تعالى قال فان لم تفعلوا وهذا يدل على ان احدا لم يتصدق بشيء منه

ان ارادوا المناجاة فلا بد من تقديم الصدقة ومن ترك المناجاة من الاغنياء حبا للمال ومن الفقراء
فقدا له لا يكون مقصرا حيث لم يخالف ما امر به وانما يتحقق التقصير والعصيان ان لو ناجى احد منهم
من غير ان يقدم الصدقة ولم يقع ذلك لانهم ان اقدموا على ذلك فلا يمكنهم الرسول عليه الصلوة والسلام
من المناجاة ما لم يعلم منهم تقديم الصدقة واذا لم يمكنهم من ذلك لم يقدروا على المناجاة قبل التقديم
ليتحقق منهم العصيان حتى يتوبوا عن ذلك فيقبل الله توبتهم فلما لم يمكن حملها على الحقيقة تعين حملها
على المجاز وجعلها عبارة عن نسخ الحكم المذكور وترخيصهم لترك اعطاء الصدقة قبل المناجاة و
سماه توبة منه تعالى عليهم تشبيها له بها من حيث اشتماله على ترك المؤاخذة بترك المامور به لعلمه
منهم ما قام مقام توبتهم وهو خوفهم من ان يقصروا في تقديم الصدقة في بعض حوائجهم التي يحتاجون
فيها الى المناجاة فيأثموا او تكثر حوائجهم فلا يمكنهم رفع كثير منها اليه اذا لم يجدوا ما يقدمونه او خافوا
ذلك على بعضهم فرحمهم الله تعالى وخفف عنهم كما يشتمل قبول توبة المذنب التائب عنه على ترك
المؤاخذة بذلك الذنب لاجل توبته عنه قوله واذ على بابها وهو انها للمضي والمعنى انكم تركتم ذلك فيما
مضى فتداركوه باقامة الصلوة وقيل انها بمعنى اذا للمستقبل كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل
بمعنى ان الشرطية وهو قريب مما قبله الا ان تستعمل فيما يحتمل وقوعه ولا وقوعه قوله فلا تفرطوا
فيه اشعار بانه مسبب عن قوله فاذ لم تفعلوا كانه قيل فلما قصرتم في ذلك فلا تقصروا في اقامة الصلوة
وسائر الطاعات وانما قال لا تفرطوا في ادائهما لان معنى الاقامة توفية حدود الشيء وادامته قال
الراغب وفي تخصيص الاقامة تنبيه على انه لم يرد ايقاعها فقط فلهذا لم يؤمر بالصلوة ولم يمدح
بها الا بلفظ الاقامة وكثير من الافعال التي حث الله تعالى على توفية حقه ذكرها بلفظ الاقامة قال تعالى
ولو انهم اقاموا التورية والانجيل واقيموا الوزن قوله كمن يحلف بالغموس لم يجعل حلفهم غموسا
لان الغموس الحلف على الماضي وحلفهم هذه على الحال وفي هذا التقييد فان كذب الخبر لو كان عبارة
عن عدم مطابقة حكمه للواقع مع اعتقاد انه غير مطابق له كما ذهب اليه الجاحظ لكان التقييد
بالجملة الحالية وهي قوله وهم يعلمون بلا فائدة لان المتكلم بالخبر الكاذب يعلم كونه كاذبا في خبره فلما
قيد بذلك علم ان كذب الخبر ليس الا عدم مطابقة حكمه للواقع سواء علم المخبر عدم مطابقته
للواقع كما اذا اخبر المنافقون للمسلمين بانهم مسلمون او لم يعلم كما اذا قال الدهري انبت الربيع
البقل معتقدا ذلك فالكذب بهذا المعنى لما صدق على كل نوعيه افاد التقييد المذكور ان المراد به
احد قسميه انهم كاذبون متعمدون الكذب كمن يحلف غموسا قوله وروي انه عليه الصلوة و
السلام فعلى هذه الرواية يكون الكذب المحلوف عليه قولهم ما شتمنا وما فعلنا شيئا يوجب هتك
حرمتك فانهم كانوا يفعلون ذلك فاذا قيل لهم فعلتم ذلك خافوا على انفسهم من القتل فيحلفون انهم

قوله تعالى نزل الآية كانه اشارة الى المناجاة وبين طاعة الله تعالى والموالاة مع من غضب الله تعالى عليه منه

ما قالوا لكم وهم يعلمون انهم كاذبون في هذا الانكار قوله مستفاحا اي عظيما والنوعية مستفادة
من تنكير عذابا والعظم من توصيف بالشدة قوله فتمرنوا التمرن على الشيء الاعتياد والاستمرار
يقال مرن يمرن مرونا ومرانة اي تعوده واستمر عليه وتمرنهم على مثل ما عملوه في الحال اي السوء مستفاد
من كان الدالة على الزمان الماضي اي العمل السيء دأبهم القديم قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا اي يحلفون كاذبين ليدفعوا القتل عن انفسهم واولادهم والاستغنام عن اموالهم
ولن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم اذا دخلوا النار قوله تعالى يوم يبعثهم الله منصوب بما يتعلق به
قوله فلهم عذاب مهين من معنى الاستقرار قوله تعالى فيحلفون له قال ابن عباس رض يحلفون لله تعالى
كذبا كما حلفوا لاوليائه في الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين او كنا مؤمنين ظاهرا
وباطنا ويحسبون انهم على شيء بانكارهم وحلفهم قال ابن زيد ظنوا الانكار والحلف ينفعهم
في الاخرة وقيل يحسبون في الدنيا انهم على شيء لانهم في الاخرة يعلمون الحق باضطرار فكيف
ينكرونه ويزعمون ترويج الانكار الكاذب باليمين الكاذب والاول اظهر ولذلك اختاره
المص واجاب عن الثاني بقوله لان تمكن النفاق في نفوسهم الخ قوله من حذت الابل وحذتها
الجوهري الحوذ السوق السريع تقول حذت الابل احوذها حوذا او احوذتها مثله ولم ينقل المجيء
حاذ يحيذ حتى يقال حذتها مثل بعتها وفي بعض النسخ من حذت الابل وحزتها ويرد عليه ان
استحوذ بالذال كيف يكون بالزاي وان كان الذي بالزاي بمعنى الذي بالذال الجوهري الحوز الجمع
وكل من ضم الى نفسه شيئا فقد حاز حوزا وحيازة والحوز والحيز السوق اللين وقد حاز الابل
يحوزها ويحيزها الا ان يراد بالاشتقاق الاشتقاق الاكبر كاشتقاق نعق من النهق وهو
ان يكون بين اللفظين تناسب في المخرج لاتحاد جنس الحروف قوله وهو مما جاء على الاصل
اي انه فصيح استعمالا وان شذ قياسا اذ القياس ان يقال استحاذ واستيلاء الشيطان
وغلبته عليهم وسوقه اياهم حيثما اراد لارتكابهم المعاصي كان سببا غير ذاكرين الله ومعاتبهم بين
يديه ومجازاتهم عليها قوله اي بالحجة فان الغلبة بالحجة هي الثابتة لجميع الرسل لانهم اتقا
ئزون بالعاقبة المحمودة في الدنيا والاخرة واما الغلبة بالسيف فهي ليست بثابتة للجميع
لان منهم من لم يؤمر بالحرب قال الزجاج غلبة الرسل على نوعين من بعث منهم بالحرب فهو غالب
في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة كذا في البغوي واذا انضم الى الغلبة بالحجة الغلبة
بالسيف كان اغلب اقوى عن مقاتل انه قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر
وما حولهن رجونا ان يظهرنا الله سبحانه على فارس والروم فقال عبد الله بن ابي بن سلول
اتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها والله انهم لاكثر عددا واشد بطشا
من

من ان تظنوا فيهم ذلك فنزلت لاغلبن انا ورسلي قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله ان كان تجد من افعال القلوب المتعدية الى مفعولين يكون قوله يوادون
مفعولا ثانيا له وان كان وجد بمعنى صادف ولقي يكون يوادون صفة لقوما بعد صفة او حالا منه والموادة التواد
والموالاة والمعنى انه لا يجتمع الايمان مع وداد اعداء الله لان شرط الايمان بالله محبة الله وتحقق محبة
الله معاداة اعداء الله ورسوله فان قيل اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم
فما هذه الموادة المحرمة فالجواب ان الموادة المحرمة هي ارادة منافعه دينا ودنيا مع كونه كافرا وما
سوى ذلك جائز روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة
فاني وجدت فيما اوحيت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر الآية فعلم منه ان النفاق واهل الظلم
داخلون فيمن حاد الله ورسوله اي خالفهما وعاداهما واستدل مالك رح بهذه الاية على معاداة القدرية
وترك مجالستهم قوله وبنور القلب اي بادراك حقيقة الحال والرغبة في الارتقاء الى المدارج الرفيعة
الروحانية والخلاص عن دركة علم الطبيعة الدنية قال الحسن ايدهم ونصرهم بنصر منه وقال
ابن عباس رض نصرهم على عدوهم وسمى تلك النصرة روحا لانه به يحيى امرهم وقال الربيع بن انس
بالقران وحجة فان فيه حيوة لهم وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة من الله تعالى وقيل
ايدهم بجبريل عليه الصلوة والسلام على كثير ممن يحاربهم قوله وقيل الضمير في منه يعود على الايمان لانه
لانه روح يحيى به المؤمنون في الدارين ايدهم بروح من الايمان قاله السدي

سورة الحشر مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله بنو النضير رهط من اليهود من ذرية هرون
عليه الصلوة والسلام نزلوا المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم قوله فقتله غيلة في الصحاح يقال قتله غيلة وهو ان يخدعه فيذهب به الى موضع
فاذا صار اليه قتله قال محمد بن اسحق جلاء بني النضير كان مرجع النبي عليه الصلوة والسلام من
احد وكان فتح بني قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان فاجلاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ان يحمل كل ثلثة اهل ابيات على بعير واحد ما شاؤوا وما تركوا فلرسول الله صلى
الله عليه وسلم ولاصحابه رض والجلاء الخروج من البلد وقد جلوا عن اوطانهم وجلوتهم انا
يتعدى ولا يتعدى ويقال ايضا اجلوا عن البلد واجليتهم انا كلاهما بالالف كذا في الصحاح قوله
حتى صالحوا على الجلاء مصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير شيء لا يجوز الآن ولما
كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والآن لابد من قتالهم او سبيهم او ضرب الجزية عليهم قوله
اي في اول الحشر اشارة الى ان اللام في قوله لاول الحشر لام التوقيت كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك
الشمس وبالمثنى قدمت لخمس في اي وقت زوالها او غروبها ووقت حيوتي والحشر الجمع والسوق

والاخراج ومعنى اولية حشرهم هذا كون ذلك الحشر اول ما حشروا واخرجوا اذ انهم لم
يصبهم جلاء قبل ذلك وكان انشائهم من بلاد الشام الى جانب المدينة عن اختيار منهم قال
الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم
في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام فلا نظر في هذا الوجه الى كون حشرهم هذا
في مقابلة الحشر الثاني وبالاضافة اليه بل الى كونه غير مسبوق بحشر اخر فقط وكذا في قوله او في اول
حشره للقتال لان المراد في اول جمع جمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتالهم لان ذلك اول عسكر
صدر منه عليه الصلوة والسلام عليهم فلا نظر فيه ايضا الى كونه بالاضافة الى حشر وعسكر ثان
وقع منه عليه الصلوة والسلام عليهم وضمير حشره للرسول او هذه النسخة وان كانت قليلة الا
انها اقرب واظهر وفي اكثر النسخ او في اول حشرهم للقتال بمعناه في اول جمع الرسول اياهم واخراجهم
للقتال **قوله** او الجلاء الى الشام اي في اول حشر للجلاء الى الشام على ان تكون اليهود الى الشام
متعددا او المراد منه هنا ما وقع اولا فاولية الحشر على هذا بالاضافة الى ما وقع بعده وهو
اجلاء عمر رض اياهم من خيبر الى الشام فيجوز ان يصيبهم قبل ذلك اجلاء اخر **قوله** فتدركهم بمنازلهم
اي تدركهم الساعة وهم بالشام يدل على ان آخر حشرهم الى الشام يكون في الدنيا حين قرب القيمة
قبل قيامها والمفهوم عن عبارة صاحب الكشاف انه الحشر الذي يكون عقيب بعث الناس من قبورهم
وهو قوله وقيل اخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام وفي التيسير قيل ان الناس يحشرون
في الآخرة الى ارض الشام فكان حشر اليهود اليها الآن اول الحشر **قوله** او ان نارا عطف على
انهم يحشرون اليها اي اخر حشرهم اما حشر الناس الى الشام او الى المغرب قال قتادة تاتي نار تحشر
الناس من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل من تخلف
منهم وذكر ان تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار **قوله** وتغيير النظم حيث لم يجعل حصونهم
اسم ان وما نعتهم خبرها بل حصونهم مبتدا وما نعتهم خبرا مقدما للمبتدا والجملة خبر انهم فان قيل
لم حملت الكلام على التقديم والتاخير وهلا جعلت ما نعتهم مبتدا وحصونهم خبره مع ان ما نعتهم
معرفة يصح ان يكون مبتدا قلنا لا نم كونها معرفة بل هي نكرة لكون اضافتها لفظية ولو سلم كونها
معرفة فجعلها مبتدا يفيد خلاف المقصود فان المقصود الاخبار عن الحصون بكونها حصينة و
منيعة مانعة عن اقتدار المسلمين عليهم واخراجهم منها لانه ذكر في مقابلة قوله ما ظننتم ان
يخرجوا تاييد المضمونه بمقتضى المقام افادة انهم ظنوا ان لا يخرجوا من حصونهم لمتانتها واحكامها
وكونها مانعة لهم من الانهزام **قوله** للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها يعني انه قدم الخبر ليفيد قصر
الموصوف على الصفة على معنى ان حصونهم ليس لها صفة غير المانعية وذلك لفرط وثوقهم بكونها

ان الافادة

وانما جعل معطوفا على قوله للقتال كان الاولى ان يقال او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام

٤٠٦

بكونها حصينة فلذلك ظنوا انهم لا يخرجون منها واسناد الجملة الى ضميرهم لما فيه من تقوي الحكم
ويؤيد التاكيد المستفاد من ان المشددة فيه لان على ان الظنين ليسا من باب واحد بل الظن الاول
على بابه وان ظنهم لشدته وقوته جار مجرى اليقين والعلم فانه قد تقرر ان ان المفتوحة المشددة
وكذا المخففة منها لا يعمل فيها ولا يسلط عليها الا فعل العلم واليقين فتامل **قوله** ويجوز اي
ويجوز ان يكون مانعتهم خبر انهم وحصونهم فاعلا له لاعتماده على المبتدا نحو ان زيدا قائم ابوه
وان عمروا قائمة جاريته **قوله** وقرئ فآتاهم الله بالمد من الايتاء وحذف مفعول الفعل به وهو العذاب
ان كان الضمير لاهل الكتاب والنصران قد كان للمؤمنين والجمهور على القصر من الاتيان **قوله**
المذي رعبها اشارة الى ان اصل الرعب عند اهل اللغة الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه
الجوهري رعبت الحوض ملأته وسيل راعب يملأ الوادي وسنام رعيب اي سمين ممتلئ وهذه الاية تدل
على ان المامور كلها من الله تعالى لان الاية دلت على ان وقوع ذلك الرعب صار سببا في اقدامهم على بعض الافعال وبالجملة
فالفعل لا يحصل الا عند حصول داعية متاكدة في القلب وحصول تلك الداعية لا يكون الا من الله تعالى فكانت الا
فعال باسرها مستندة الى الله تعالى بهذا الطريق كذا في اللباب **قوله** نكاية اي اضرارا الجوهري نكيت في العدو نكاية
اذا قتلت فيهم وجرحت قال ابن عباس رض كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل
وجعل اعداء الله تعالى ينقبون بيوتهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها وقال ابو عمرو بن العلا
بايديهم في تركهم لها بغير ساكن وبايدي المؤمنين في اجلائهم اياهم عنها **قوله** والجملة حال او عن الضمير المجرور
في قلوبهم وخرج ابو عمرو بين الاخراب والتخريب فقال خرّب بالتشديد بمعنى هدم وافسد واخرب بالهمزة ترك
الموضع خرابا وذهب عنه وهو قول الفراء وقال المبرد لا اعلم له وجها واختار الهذلي قراءة ابي عمرو
لاجل التكثير لكثرة البيوت وقال ابو عمرو انما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء خرابا بغير
ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خرّبوها بالهدم كما يدل عليه قوله تعالى بايديهم وايدي المؤمنين
قوله تعالى فاعتبروا الاعتبار ماخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء ولهذا سميت العَبْرة عَبْرة
لانها تنتقل من العين الى الخد وسمي علم التعبير لان صاحبه ينتقل من المتخيل الى المعقول وسميت الالفاظ
عبارات لانها تنقل المعاني من القائل الى عقل المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لانه ينتقل عقله من حال
ذلك الغير الى حال نفسه **قوله تعالى** يا اولي الابصار قال ابن عباس رض يريد يا اهل اللب والعقل والبصائر
وقال الفراء يا من عاين تلك الوقايع والابصار جمع بصر ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا من بأس
الله بالحصون فانزلهم الله تعالى منها وانهم غدروا في عهدهم وصلحهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالانضمام الى قريش والاتفاق معهم ليتعززوا ويمتنعوا بهم فخابوا وخسروا **قوله** الخروج منها و
طائهم قبل الجلاء اخص من الخروج لانه لا يقال الجلاء الا لخروج الجماعة او لاخراجهم والخروج و

قال معنى ذلك ان المنافقين ارسلوا اليهم ان لا يخرجوا
ودربوا على الازقة فاحتاجوا لذلك الى الخشب والحجارة
فخربوا بعض البيوت ليسدوا الا
بنقضها افواه الازقة وكان
المسلمون يخربون سائر الجوانب
قوله ودربوا ان جعلوا على الازقة
دروبا ان ابوابا عظيمة سدوا لا
والدرب في الاصل المنفذ ويطلق
على بابه مجازا

فانظروا الى هذه المعجزة
ان
وصدق الخبر ما وعد الله
ورسوله وقد حقق الله جميع
ما يعدكم الله ورسوله

والاخراج يكون للجماعة والواحد وقيل في الفرق بينهما ايضا ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد
بخلاف الخروج فانه لا يستلزم ذلك وقول المص للخروج من اوطانهم قريب من هذا وان في ان كتب
الله مخففة من الثقيلة واسمها مضمر وهو ضمير الشان او الامر ومحلها الرفع على الابتداء لان لولا اذا
كانت بمعنى الامتناع لا يليها الا المبتداء قوله استئناف اي ليس بمعطوف على قوله لعذبهم في الدنيا اذ
لو كان معطوفا عليه لزم ان ينجوا من عذاب الاخرة ايضا لان لولا يقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط
قوله اولى الاخير فالمعنى ذلك العذاب المعد لهم في الاخرة بسبب انهم شاقوا الله ورسوله اي عادوه
وخالفوا امره ويجوز ان يكون في موضع النصب على اضمار فعل اي فعلنا بهم ذلك بسبب كذا وكذا قوله
ان شيء قطعتم اشارة الى ان ما شرطية منصوبة المحل على انها مفعول قطعتم ومن لينة بيان
له وقوله فباذن الله جزاء الشرط وفيه محذوف فقطعها وتركها باذن الله فيكون باذن الله خبر
المبتداء المحذوف وقوله من نخلة اشارة الى ما رواه محيي السنة عن مجاهد وعطية ان اللينة
هي النخل كلها من غير استثناء ومن النخل كلها لينة ما خلا العجوة وقيل هي الوان النخل كلها الا العجوة والبرنية
وهما اجود النخل وقيل اللينة النخلة الكريمة الشجر بكونها قريبة من الارض والطيبة التمر قال الزمخشري
كانهم اشتقوها من اللين لا من اللون وقيل هي العجوة خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح
عليه الصلوة والسلام في السفينة والعتيق الفحل وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على
اليهود قطعها وقال سفيان رح هي ضرب من النخل يقال لتمرها لون وهو اجود التمر يكون شديد الصفرة
يرى نواه من خارجه ويغيب فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل اللينة هي الاشجار
كلها للينها بالحيوة ثم ذكر المص ان عين لينة فيها قولان احدهما انها واو وان وزنها فعلة من اللون
اصلها لونة قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما في ديمة وقيمة وثانيهما انها ياء وانها فعلة
من اللين وجمعها على الاول الوان وعلى الثاني ليان وقيل اللينة اسم جنس فيفرق بين واحده
وجمعه بالتاء كتمرة وتمر فجمع لينة على لين وجمع اللين ليان كذئب وذئاب والليان كطفل واطفال
وهو شاذ لان تكسير ما يفرق بين مفرده وجمعه بالتاء شاذ روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما نزل بني النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند
ذلك فقالوا يا محمد اوجدت فيما انزل عليك الفساد في الارض او الصلاح فاكثروا فيه القول
فندم بعض من قطعها على ما فعل خشية ان يكون فسادا فقال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وقال الاخرون نغيظهم بقطعها قال تعالى ولا ينالون من عدو
نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ومن تركها فلتبقى غنيمة للمسلمين واستدل بهذا على جواز الاجتهاد وعلى
جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما فعلا ذلك بالاجتهاد وقيل انما يدل على اجتهاد النبي

والعرب تسمى الوان التمر اذا اجتمعت ما لم يكن فيها عجوة لين جمع لينة منه

٤٠٤

النبي صلى الله عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الادلة للكفار قوله واذن لكم في القطع يشعر
بان الاذن انما هو في القطع فقط والظاهر انه عام في القطع والابقاء لانه جواب الشرط المتضمن
لهما جميعا قوله وما اعاده عليه يريد ان قوله افاء من الفيء وهو في الاصل بمعنى الرجوع
وفي الصحاح فاء يفيء فيئا رجع وافاءه غيره رجعه وفلان سريع الفيء من غضبه ثم قال
والفيء الخراج والغنيمة تقول منه افاء الله على المسلمين مال الكفار يفيء افاءة واستفأت
هذا المال اي اخذته فيئا فقول صاحب الكشاف افاء الله على رسوله جعله فيئا له خاصة مبني على
ان الفيء الغنيمة والمص فسر قوله افاء بما هو اصل معناه لغة وهو اعاد وارجع ثم اشار
بقوله بمعنى صيره له او رده عليه الى ان العود له معنيان احدهما ان يصير الشيء الى ما فارق عنه
والاخر ان يصير ويتحول الى شيء مطلقا سواء كان له اولا ثم فارقه ورجع اليه ثانيا او لم يكن
كذلك بل هو اول انتقاله اليه وصيرورته له فقوله بمعنى صيره له اشارة الى هذا المعنى وقوله او
رده عليه اشارة الى الاول ثم بين كون المال المغنوم معادا اليه عليه الصلوة والسلام بعدما
فارق عنه مع ان ذلك المال لم يكن له عليه الصلوة والسلام قبل ذلك حتى حصوله له الآن رجوعا
الى ما فارق منه بقوله فانه كان حقيقا بان يكون فيه هذا الاعتبار كانه في يده ثم فارق عنه
ووقع في ايدي الكفرة غصبا منه فاعاده الله اليه بعد فارق عنه وما في قوله تعالى وما افاء الله شرطية في
محل النصب بقوله افاء قوله فما اوجفتم جواب الشرط اي فلذلكم لم يحصل بعملكم وسعيكم ولكن يسلط الله
الخ والايجاف من الوجيف وهو السير السريع يقال وجف الفرس يجف وجفا ووجيفا اذا اسرع وكذا
البعير واوجفته اذا حركته واتعبته ومن في قوله من خيل ولا ركاب صلة اي خيلا ولا ركابا والركاب
الابل خاصة غلب على الابل كما غلب الراكب على راكب الابل فانهم يسمون راكب الفرس فارسا وواحده
ركاب راحلة ولا واحد لها من لفظها قيل ان الصحابة رض طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم
الفيء بينهم كما قسم الغنيمة بينهم فذكر الله تعالى الفرق بين الامرين وان الغنيمة هي التي اتعبتم
انفسكم في تحصيلها واما الفيء فلم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فكان الامر فيه مفوضا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء قوله وذلك ان كان المراد فيء بني النضير مع قوله سبحانه
من بني النضير او من الكفرة اشارة الى ان المفسرين لم يتفقوا في ان هذه الاية نزلت في فيء
بني النضير بل هو مختلف فيه بينهم بناء على ان اموال بني النضير اخذت بعد القتال لانهم حوصروا
اياما وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء فينبغي ان يكون تلك الاموال حكمها حكم الغنيمة في كون
خمسها لمن سمي له والاخماس الاربعة الباقية مقسومة بين اهل القتال فلذلك ذهب بعض المفسرين
الى انها نزلت في فدك لان اهله انجلوا عنه فصارت تلك القرى والاموال في يد رسول الله صلى الله

قال الظاهر ان يقال واذن لكم فيما فعلتم فانهم فيما قطعتم وفيما تركتم يتحرجون على هلاكها وبانهم يتحرجون على ابقائها للمسلمين بسبب ما فعلتم بالجمعهم ذل وصغار منه

قوله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل الفاسقين الناقضين للعهد اي اهل الكتب

عليه وسلم من غير حرب فكان عليه الصلوة والسلام يأخذ من غلته قدر نفقته ونفقة من يعوله ويجعل
الباقي في السلاح والكراع فلما انتقل عليه الصلوة والسلام الى دار السعادة والبقاء ادعت فا
طمة رضي الله عنها انه عليه الصلوة والسلام كان نحلها فدك فقال ابو بكر رضي الله عنه انت اعز الناس علي فقرا او
احبهم الي غنى لكن لا اعرف صحة قولك ولا يجوز لي ان احكم بذلك فشهدت لها ام ايمن ومولى الر
سول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منها ابو بكر رضي الله عنه الشاهد الذي يجوز شهادته في الشرع فلم يكن فاجرى
ابو بكر رضي الله عنه ذلك على ما كان يجريه الرسول صلى الله عليه وسلم ينفق منه على من كان ينفق عليه الرسول
ويجعل ما بقي في السلاح والكراع وكذا من كان بعده من الخلفاء وذهب البعض الاخر الى ان
هذه الآية نزلت في بني النضير وقراهم فان المسلمين لما لم يقطعوا لاجل الوصول اليها مسافة
كثيرة حيث كانت قريبة من المدينة وكان ما عليها من المقاتلة قليلة والخيل والركاب غير
حاصل اجراه الله تعالى مجرى ما لم يحصل فيه المقاتلة اصلا فخص تلك الاموال برسول عليه الصلوة
والسلام وعن عمر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تخمس ما اصبت من بني النضير
يا رسول الله كما خمست ما اصبت من بدر فقال عليه الصلوة والسلام لا اجعل شيئا جعله
الله تعالى لي دون المؤمنين بقوله وما افاء الله على رسوله منهم وقال الواقدي كانت اموال بني
النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لم يخمسها اعطى منها المهاجرين ولم يعط منها الانصار الا
رجلين محتاجين سهل بن حنيف وابا دجانة ونفل سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق
وكان سيفا له ذكر عندهم كذا في التيسير **قوله** اختلفوا في قسم الفيء والغنيمة تقسم
على خمسة اسهم اربعة اخماسها للغانمين ويقسم خمسها على خمسة اسهم منها سهم للنبي
عليه الصلوة والسلام وسهم لذوي القربى والمراد بهم بنو هاشم وبنو المطلب وسهم لليتامى
وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وذكر في قسمة الفيء ثلثة اقوال الاول انه يسدس و
يصرف سهم الله تعالى في عمارة الكعبة والمساجد ويصرف ما بقي وهو خمسة اسداس الستة
الى مصارف الخمسة التي يصرف اليها خمس الغنيمة والثاني انه يخمس ويصرف كل خمس
الى مصارف خمس الغنيمة بناء على ان ذكر الله تعالى انما هو للتبرك وتعظيم رسوله والثالث
انه يخمس ويجعل اربعة اخماس لرسول الله خاصة يصرفها كما بينا ثم يقسم الخمس الباقي ايضا
على خمسة اسهم سهم منها للنبي عليه الصلوة والسلام وسهم لذوي القرابة وسهم لليتامى و
سهم للمساكين وسهم لابن السبيل فكان جميع مال الفيء مقسوما على خمسة وعشرين سهما
احد وعشرون سهما للنبي عليه الصلوة والسلام واربعة اسهم لذوي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل وبعد ان انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دار الكرامة يصرف ما كان له

بلا حرب قتال على التحقيق في بل لم يكن قتال ولم يحصل ما دون الا الحصار للغنيمة منه

فانهم لما منعوا من اموال الزكوة كما هو لهم الناس جعل لهم حق في الفيء منه

٤-٥

له من الفيء الى الامام في قول والى المجاهدين والمترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون مقام
النبي عليه وسلم في قول آخر ونقول ثالث يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار
وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم وهذا في اربعة اخماس الفيء واما القسم الذي كان له من خمس
الفيء والغنيمة فهو لمصالح المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا اختلاف لقوله عليه الصلوة
والسلام ليس لي من غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وكانت الغنائم في شرع من قبلنا
لله تعالى خاصة لا يحل منها شيء لاحد واذا غنمت الانبياء شيئا جمعوها فتنزل نار من السماء
فتاخذها فخص نبينا عليه الصلوة والسلام من بينهم بان احلت له الغنائم قال عليه الصلوة والسلام
احلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي **قوله** بيان للاول فكانه لما قيل ما افاء الله على رسوله من
اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة فلا يقسم قسمة الغنائم قيل فكيف يقسم
فقيل ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بين الله تعالى لرسوله ما يصنع بما افاء الله عليه وامره
ان يقسمه على احد الاقوال المذكورة **قوله تعالى** كيلا يكون علة لقوله فلله وللرسول اي تولى الله
تعالى قسمة الفيء وبين كيفية قسمته لئلا يغلب الاغنياء الفقراء على الفيء فيكون المراد
بالاغنياء الرؤساء والمعنى فعلنا ذلك في هذا الفيء كيلا يقسمه الرؤساء والاقوياء بينهم دون
الفقراء والضعفاء فان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربع الغنيمة لنفسه
وهو المرباع ثم يصطفي منها ايضا بعد المرباع ما شاء وفيها قال الشاعر لك المرباع منها والصفايا و
الدولة بالضم اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم وبالفتح مصدر بمعنى التداول وقيل بمعنى انتقال
حال سارة الى قوم عن قوم ويستعمل في نفس الحال السارة التي تحدث للانسان فيقال هذه دولة
فلان اي قد اقبلت وقيل الظفر في الحرب وقيل الدولة بالضم انتقال النعمة من قوم الى قوم وبالفتح
الاستيلاء والغلبة **قوله** او اخذه يكون بينهم اشارة الى توجيه ثان لقراءة دولة بفتح الدال
وقد وجهها اولا بان جعل اسم كان ضمير الفيء وجعل دولة بمعنى التداول وقدر قبلها مضافا اليها
وجعل بينهم ظرفا للتداول وجعل اسم كان في هذا الوجه الاخذ المضاف الى الفيء وجعل الدولة بمعنى
الاستيلاء والغلبة الجاهلية وجعل بين متعلقا بيكون والمعنى كيلا يكون اخذه دولة اي استيلاء
وغلبة بينهم على ان يكون بين الاغنياء كلاما مبتدأ لبيان من يكون اخذ الفيء استيلاء بالنسبة اليهم
وهم الاغنياء بقوتهم وغلبتهم القائلين من عز بز اي من غلب سلب فيجعلون الاستقلال بحال
الغنيمة والانفراد به منوطا بالغلبة عليه فكل من غلب عليه شيء منه يستقل به ولا يعطي للفقراء
والضعفاء شيئا منه وقرأ هشام تكون بالياء والتاء ودولة بالرفع فقط والباقون بالياء من
تحت ونصب دولة اما الرفع فعلى ان كان تامة اي كيلا يقع دولة او كيلا يحدث دولة جاهلية

وفي الكشاف [illegible] ان الدولة والدولة بمعنى واحد [illegible] الاية بقوله كيلا يكون الفيء [illegible] الاغنياء يتداولونه منه

والمعنى كيلا يكون الفيء متداولا بينهم ويكون مرة بهذا ومرة لذاك منه

المرباع الربع والمعشار العشر ولم يسمع في غيرهما صحاح

وهي التي عبر عنها الزمخشري بالجد منه

ان النسخة الشائعة اي اخذه غلبة تكون بينهم اي بين اهل الجاهلية فلا ينبغي لاهل الاسلام ان يستنوا بسنتهم فيكون تغلبهم حاصل المعنى منه

وهي ان يستبد الاغنياء والرؤساء بمال الغنيمة ويحرم الفقراء واما التذكير والتانيث //
فواضحان لان تانيث الدولة مجازي واما النصب فعلى انها هي الناقصة واسمها ضمير الفيء فالنذ
كير واجب وحذف خبرها **قوله** او من الامر يعني ان قوله تعالى ما اتاكم اما مخصوص بما اخذ من الكفار
من مال الغنيمة والفيء او عام في كل ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم من الاحكام فتكون هذه
الاية دليلا على ان كل ما امر به النبي عليه الصلوة والسلام امر من الله عز وجل روي ان ابن
مسعود رضي لقي رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي بهذا
اية من كتاب الله تعالى قال نعم وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا وعن ابن
مسعود وابن عباس والحسن رضي انهم حملوا على العموم وان كان نزل في الغنائم **قوله**
فان الرسول لا يسمى فقيرا جواب عن سوال مقدر وهو ان يقال لم لا يجعل قوله للفقراء بدلا عن
مجموع قوله لله وللرسول في آخر المعطوفات بل جعلته بدلا من قوله لذي القربى وما عطف
عليه خاصة مع ان الجمل المتعددة اذا عقبها قيد لا يكون ذلك القيد مختصا ببعضها بل يكون كلها
سواء في ذلك الا ان يقوم الدليل على اختصاصه ببعضها فالدليل عليه فيما نحن بصدده وحا
صل الجواب ان الابدال خصص بقوله لذي القربى لقيام ما يدل على امتناع ابداله عن المجموع
لان ذكر الله ليس لبيان كونه من مصارف الفيء بل انما ذكر للتبرك وتعظيم النبي عليه الصلوة و
فلا يصح ادخاله في جملة من ابدل منهم المصارف والرسول عليه الصلوة والسلام وان كان من
المصارف الا ان ادخاله في جملة من ابدل منهم الفقراء يستلزم تسميته فقيرا وذا لا يجوز لانه يوهم
الذم والنقصان لان اصل الفقر كسر فقار الظهر من قولهم فقرته كما يقال كبدته اذا ضربت كبده
ولهذا سميت الحاجة والداهية فاقرة لانهما يغلبان الانسان ويكسران فقار ظهره واذا لم يصح
تسمية الرسول فقيرا فلان لا يصح تسميته تعالى فقيرا اولى **قوله** ومن اعطى اغنياء ذوي القربى
بناء على انه تعالى علق استحقاقهم للفيء بالقرابة نفسها ولم يشترط فيه شيئا آخر من فقر
ونحوه واشتراط الفقر في القرابة زيادة على الكتاب وذهب ابو حنيفة رح الى ان استحقاق
ذوي القربى للفيء مشروط بالفقر لانهم انما استحقوه عوضا عن الصدقة فيكون استحقاقهم
له مشروطا بما هو شرط في استحقاق الصدقة بناء على ان قوله للفقراء بدل من لذي القربى
وما عطف عليه بدل الكل فيجب اتصاف كل واحد منهم بالفقر ومن لم يشترط في استحقاقهم الفقر
جعل قوله للفقراء بدلا مما بعده او يجعل تخصيص فقراء ذوي القربى بالاستحقاق مختصا ببني
النضير **قوله** حال مقيدة لاخراجهم يعني انه حال من واو اخرجوا توصيفا لهم بما يفيدهم //
فخامة الشان **قوله** فانهم لزموا المدينة والايمان اشارة الى وجه عطف قوله والايمان على

اذ لا بد في بدل الكل من الكل ان
يصدق مفهوم كل واحد عليه
ذات الاخر كما في قولك جاءني
زيد اخوك ونحوه منه

لانه عليه الصلوة والسلام قسم بين
المهاجرين حين لم يعط منه الانصار
الا ثلثة منهم حاجة منه

على الدار مع ان الايمان لا يتبوأ فيه لان تبوء المنزل اتخاذه منزلا والتمكن والاستقرار فيه
فالمتبوأ فيه لا بد ان يكون من قبيل المنازل والامكنة والايمان ليس من هذا القبيل ووجه هذا
عطف على الدار بناء على تضمين تبوؤا معنى لزموا وحاصله ان الايمان شبه في النفس بمنزل
الانسان ومستقره وجعل اثبات التبوء له وتعليقه به قرينة التشبيه المضمر في النفس //
فالايمان استعارة بالكناية واثبات لازم المشبه به له وهو التبوء استعارة تخييلية
واخلصوا الايمان يعني ان انتصاب الايمان ليس بالعطف على الدار حتى يقال ان الايمان لا يتمكن
فيه فما وجه العطف بل هو منصوب بفعل مضمر وذلك المضمر مع معموله معطوف على الجملة السابقة
كما في قوله متقلدا سيفا ورمحا اي وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد **قوله** سمى المدينة بالايمان
مجازا مرسلا على طريق تسمية المحل باسم ما حل فيه فيكون المراد بالدار والايمان شيئا واحدا
وهو المدينة كما كان المراد بدار الهجرة ودار الايمان اياها في الوجه الثاني **قوله** من قبل هجرة
المهاجرين ظاهر الاية لما كان موهما بان الانصار امنوا قبل المهاجرين وليس كذلك اشار الى
دفع هذا الوهم بحمل الكلام على تقدير المضاف في قوله من قبلهم لكان المعنى على الوجه الاول
والثالث ان الانصار الذين جعلوا المدينة والايمان مستقرا واستوطنوا فيهما قبل هجرة
المهاجرين او استوطنوا المدينة واخلصوا الايمان قبل هجرتهم والامر كذلك حتى قيل فلتت دار
كانت بالمدينة الا كان الاسلام دخلها قبل قدوم النبي صلى الله عليه الصلوة والسلام اليها ولا حاجة
الى هذا التقدير على الوجه الثاني والرابع ان المراد من الايمان فيهما هي المدينة اما مجازا
مرسلا واما لكون التقدير دار الايمان فكان المعنى على الوجهين والذين استوطنوا المدينة
قبل المهاجرين والامر كذلك فلا حاجة الى تقدير المضاف **قوله** كالطلب لي كطلب ما اوتي //
المهاجرون مما يحتاج اليه الانصار والمراد من نفي الوجدان نفي العلم لان الوجدان في النفس
ادراك علمي وفيه من المبالغة ما ليس في لا يعلمون والحزازة وجع في القلب من غيظ و
عداوة كامنة لا يظهرها فاطلاق الحاجة على هذه الاشياء مجاز مرسل من قبيل اطلاق
اسم السبب على المسبب لان جميع ذلك ينشأ عن الحاجة فقيل كان المهاجرون في دور
الانصار فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم
فيما صنعوا مع المهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم واموالهم ثم قال ان احببتم قسمت ما افاء
الله تعالى علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم فيه من السكنى في مساكنكم
واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم قال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ رض
بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار جميعا بقولهم رضينا وسلمنا

تقدير تبوؤا منزلا ان
تنزلته وبياته منزلا
بهاته ومكنته رفيه
صحاح

وان كان قوله والايمان
في تقدير ودار الايمان
لكونه متبوأ فيه فقط
منه

او يجعل التعلية
قيدا للتبوء في الدار
فقط وان كان بعيدا
منه

في رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار فاعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ما اعطى ابا دجانة وسهل بن حنيف وسعد بن
معاذ رض والصحيح ان قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم نزل بسبب ايثارهم المهاجرين بالفيء ثم لا يبعد ان
يدخل فيها ساير الايثارات المتعلقة بالطعام للاضياف اشار المص بقوله حتى ان من كان عنده امراتان
الى مثل ما روي عن ابي هريرة رض ان رجلا بات به ضيف ولم يكن عنده الا قوته وقوت صبيانه فقال
لامراته نومي الصبية واطفيء السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الآية وذكر المفسرون
انواعا من ايثارات الانصار للضيف بالطعام وتعللهم عنه حتى يشبع الضيف وذكر الثعلبي عن انس
رض انه قال اهدي لرجل من الصحابة رأس شاة مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جار له زاعما انه
احوج اليه منه فوجهه جاره ايضا الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تداول ذلك الراس
في سبعة ابيات الى ان رجع الى المجهود الاول فنزلت الآية والايثار تقديم الغير على النفس في حظوظها
الدنياوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك انما ينشأ عن قوة النفس وتاكيد المحبة والصبر على
المشقة ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم باموالهم ومنازلهم لا عن غنا بل مع
احتياجهم اليها حكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلثون رجلا بقرية من قرى
الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم وكسروا الرغفان واطفئوا السراج وجلسوا
للطعام فلما فرغوا فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيئا ايثارا لصاحبه على نفسه قوله
وهي فرجة شبه حالة الفقر والحاجة ببيت ذي فرج في الاشتمال على مواضع الحاجة
قال حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شيء من الماء وانا اقول
ان كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار برأسه ان نعم فاذا برجل يقول
آه آه فاشار اليّ ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار
ان نعم فسمع آخر يقول آه آه فاشار هشام ان انطلق اليه فجئت اليه فاذا هو قد مات فرجعت
الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وهذا من قبيل الايثار بالنفس
وهو فوق الايثار بالمال قوله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا الخ قال قتادة انما امرتم ان تستغفروا
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولم تؤمروا بسبهم قالوا علم الله تعالى انه سيقع بين الصحابة رض
اشياء ثم يذكر ذلك لمن بعدهم فربما يقع في قلوب بعضهم كراهة بعض ذلك فيتغير عليهم قلوبهم
فامرهم الله تعالى بالاستغفار لهم ونبههم على ان ذلك مما يرجى عفو الله عنه ويجب على من بعدهم
حسن الاعتقاد فيهم وحسن الدعاء لهم وسمع ابن عمر رض رجلا يتناول بعض المهاجرين
فقراء عليه للفقراء المهاجرين الآية وقال هؤلاء المهاجرون افمنهم انت قال لا ثم قراء عليه و

قوله جعل الذين جاءوا من بعدهم الى آخره ... عطف على ... والذين جاءوا من بعدهم ... خبرا ... والذين ... الذين ... قوله او التابعين ... بعضهم ... علي بن ... من بعدهم

والذين تبوؤا الدار الآية وقال هؤلاء الانصار افمنهم انت قال لا ثم قراء عليه والذين جاؤا من
بعدهم الآية ثم قال امن هؤلاء انت قال ارجو قال ليس من هؤلاء من يسب هؤلاء وقال الشعبي تفاضلت
اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب
موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل
ملتكم فقالوا اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيمة
وكان عمر رض يجعل الفيء لكل هؤلاء ويجعل بعضها معطوفا على البعض وبهذه الآيات ايضا احتج في
وضع الخراج في سواد العراق وترك قسمتها بين الغانمين وان كان بلال واصحابه يجادلونه
في ذلك وقال لهم اني وجدت في كتاب الله تعالى ما يغنيني عن موافقتكم وقراء هذه الآيات وجعلها خراجية
ليصل ذلك الى جميع المسلمين قرنا بعد قرن قوله واستبوا بني النضير بذلك ان عاقدوا او وعدوا
معهم انكم ان رايتم ان الصواب لانفسكم في ترك القتال مع المسلمين واختيار الجلاء نحن نوافقكم على
وان رايتم ان الصواب لانفسكم في القتال معهم لنعيننكم على قتالهم قيل هذه الآية سيقت للتعجب من
اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون من النصر والموافقة في الخروج معهم مع علمهم بانهم لا يعتقد
ون دينا ولا كتابا واللام في قوله تعالى لئن اخرجتم لام توطئة القسم وهي اللام الداخلة على حرف
الشرط بعد تمام القسم ظاهرا او مقدرا قوله تعالى لنخرجن جواب القسم وجواب الشرط مضمر و
التقدير والله لئن اخرجتم تخرجون لنخرجن ولما كان جواب القسم وجواب الشرط متماثلين اقتصر
على جواب القسم واضمر جواب الشرط وجعل المذكور جوابا للقسم لسبقه وكذا قوله لا يخرجون معهم و
لا ينصرونهم كل واحد منهما جواب القسم ولذلك رفعت الافعال ولم تجزم وحذف جواب الشرط لدلالة
جواب القسم عليه قوله وفيه دليل على صحة النبوة حيث اخبر بقوله والله يشهد انهم لكاذبون عن
خلفهم في الميعاد وتحقق ذلك بعد كما اخبر به وقيل وجه الدلالة عليها ان عبد الله بن ابي المنافق و
واصحابه ارسلوا الى اليهود ما قالوا خفية لمكرهم ولم يطلع عليه احد غير اليهود فظاهر انهم
لم يخبروا بذلك للنبي عليه الصلوة والسلام فلما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الم تر الى الذين
نافقوا يقولون الآية علم انه تعالى اطلع رسوله ما اخفوه قوله اذ ضمير الفعلين وهما ليولن الا
دبار ثم لا ينصرون يحتمل ان يكون لليهود والمعنى لئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن من اليهود ثم
لا ينفعهم نصرة المنافقين وان يكون للمنافقين والمعنى ليهزمن من المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك
اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود قوله اشد مرهوبية جعله مصدرا
من المبني للمفعول لان انتم خطاب للمسلمين والخوف ليس واقعا منهم بل من المنافقين فالمخاطبون
مرهوبون غير خائفين اي انهم يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم فان قيل هم خوفين احدهما خوف

شنعهم الرافضة وقبحهم وحاكمهم

المؤمنين وانهم يضمرونه في صدورهم وثانيهما خوف الله تعالى الذي يظهرونه نفاقا والاول اشد من
الثاني عندهم والحاصل انهم يظهرون لكم خوف الله تعالى مع انهم لا يخافون منه وانما يظهرونه خوفا منكم
ولولا ذلك لما اظهروه وكما انهم خلوا عن خوفه الله تعالى حقيقة في انفسكم قوله ذلك بانهم اي ذلك الخوف
بانهم لا يعقلون ما فيه صلاحهم حتى يجتمعوا عليه ولا يعقلون ايضا ان تشتت القلوب يوهن قواهم
لان صلاح القلب يؤدي الى صلاح الجسد وفساده قوله اذ التقدير كوجود مثل الذين فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وجعل قريبا ظرفا للمضاف اليه مسامحة والا فهو في الحقيقة ظرف للوجود
المقدر والمراد بالمثل الصفة العجيبة الشأن اي صفة هؤلاء كوجود صفة من قبلهم في زمان قريب
من صفتهم وهم اهل بدر قال مجاهد كانت وقعة بدر قبل غزوة بني النضير بستة اشهر فلذلك قال وعن
ابن عباس رضي ان المراد بالذين من قبلهم بني قينقاع امكن الله منهم قبل بني النضير وقيل هو عام في
كل من انتقم الله منهم على كفرهم قبل بني النضير من نوح الى محمد عليهما الصلوة والسلام مثل حال
اليهود بحال اصابت من قبلهم قريبا في ان كل واحد من الفريقين ذاقوا وبال امرهم ثم مثل حال
المنافقين في اغراء اليهود على القتال بقولهم انا معكم ننصركم ولا نخذلكم فاغتر اليهود بقولهم
فدربوا الازقة وحصنوا الحصون ثم خذلهم المنافقون وتبرؤا منهم بحال الشيطان حين اغرى
الانسان على الكفر ليغتر الانسان باغوائه فيكفر والعياذ بالله فلما كفر تبرأ منه فسر امر الشيطان
بالاغراء والاغواء لانه ليس بمسلط على الانسان بحيث يأمره بالمعصية ويلجئه عليها ولو كان
الامر كذلك لما نجا من شره احد بل شأنه الوسوسة وتزيين المعصية اليه كما قال ابليس وما كان لي عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم وقد اغوى ابليس كفار
قريش يوم بدر وشجعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان ورأى الشيطان
جبرئيل ومعه من الملائكة خاف وتبرأ منهم ونكص على عقبيه وانهزم وخذل المشركين وروي
عن ابن عباس رضي انه قال كان في بني اسرائيل راهب عبد الله تعالى زمانا من الدهر حتى كان مشهورا
بكونه مستجاب الدعوة فيؤتى بالمجانين فيعوذهم ويداويهم فيبرؤن على يده قوله واتي بامرأة قد
جنت وكان لها اخوة فاتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت
فلما استبان حملها لم يزل به الشيطان يزين له حتى قتلها ودفنها فذهب الشيطان في صورة رجل حتى
لقي احدا من اخوتها واخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا فبلغ ذلك الى ملكهم فسار
الملك في الناس فاتوه فاستنزلوه فاقر لهم بالذي فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبة
تمثل له الشيطان فقال انا الذي زينت لك هذا والقيتك فيه فهل لك ان تطيعني فيما اقول لك اخلصك
مما انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فسجد له فقتل كافرا فذلك قوله كمثل الشيطان اذ قال

بقوله لا غالب لكم اليوم واني جار لكم

للانسان اكفر يعني اسجد فلما كفر اي سجد قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قيل قول الشيطان
اني اخاف الله رب العالمين ليس حقيقة وانما هو على وجه التبري من الانسان فهو تاكيد لقوله اني بريء منك
والظاهر ما قاله المص من ان امره ليس الا الاغواء والتزيين لا المشاركة مع العصاة في معا
صيهم بل هو متبري عما اكتسبوه باختيارهم والله تعالى اعلم قوله وقرئ عاقبتهما على انها الخبر
لكان يعني ان العامة على نصب عاقبتهما على انه خبر كان واسمها انهما في النار لان ان مع ما في حيزها
اعرف من عاقبتهما فهو اولى بالاسمية وقرئ برفع عاقبتهما على انه اسم كان وخبرها انهما في النار
وان العامة ايضا على نصب خالدين على انه حال من المنوي في قوله في النار وكان انهما ثابتان في
النار خالدين فيها عاقبة لهما وقرئ خالدان بالرفع على انه خبر ان وفي النار لغو فيتعلق بالخبر فيكون
كلمة في في قوله فيها تاكيد اللفظ للتي في قوله في النار اعيد معها ضمير ما دخلت هي عليه وهو النار و
عن المبرد نصب خالدين على الحال اولى لئلا يلغى الظرف مرتين يعني في النار وفيها ولم يجز الفراء الا
نصب خالدين على الحال وقال لانك اذا رفعته على خبر ان كان حق في النار ان يكون مؤخرا فيتقدم المضمر
على المظهر لان التقدير عنده فكان عاقبتهما انهما خالدان فيها في النار وذلك عند البصريين جائز
لانهم انما يراعون الرتبة في اللفظ لا في الاصل ويمكن ان يمنع كون الظرف في هذه القراءة ملغى لجواز
كونه مستقرا بان يكون خبرا لان ويكون خالدان خبرا ثانيا فلا يلزم ما ذكره الفراء قوله فالاستقلال
النفوس اي لاستقلال الانفس التي سطرتها فيما قدمت للاخرة ففيه حث عظيم على النظر وتعيير بالترك
واشعار بان الغفلة قد عمت فلا احد خلص منها قيل العرب تكني عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد
تنبيها على ان الساعة قريبة كما قيل وان غدا للناظرين قريب وقال الحسن وقتادة قربه
الساعة حتى جعلها كالغد لان كل قريب آت والموت لا محالة آت قوله فجعلهم ناسين لها اي بسبب
انهم نسوا حق الله من اداء الواجبات وترك المنكرات انساهم انفسهم في الدنيا وجعلهم
بحيث لم يسعوا في عمل صالح ينجيها ولم يجتنبوا عن عمل سيئ يوبقها ولم ينظروا ان ما هم عليه
يفضي لا محالة الى مرد موبق ولم يخلق فيهم داعية الاهتمام لاستكمالها فالانساء على الوجه الاول يكون
في الدنيا وعلى الوجه الثاني في الاخرة قوله الذين استكملوا نفوسهم اشارة الى ان المراد باصحاب
الجنة اصحاب النفوس بملازمة طاعة الله تعالى والتجنب عن معصيته وباصحاب النار اصحاب
الغفلة الذين نسوا حقوق الله وطاعته فانساهم انفسهم بان خذلهم وقطع عنهم توفيقه و
عونه وعبر عن الفريقين باصحاب الجنة واصحاب النار زيادة في تصوير عدم استوائهما
بحسب الفضائل الاخروية فان تباعد ما بين الجنة والنار وعدم استوائهما مما لا يخفى على احد
فالتعبير عن الفريقين باصحاب الجنة والنار يكون زيادة توضيح وبيان لعدم استوائهما يوم الدين

فسجد للشيطان بالاشارة مثله على الصلب

عذاب اليم لا يقادر قدره والمعنى
ان حال بني النضير كحال اولئك في الدنيا
والاخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم
بل حال بعضهم الذين هم اليهود وكذلك
واما حال المنافقين فهي ما نطق به
قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر ثان
للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن
لحال اخرى لليهود وهو اغترارهم
بمقالة المنافقين اولا وجبنهم
اخرا وقد اجمل في النظم الكريم حيث
اسند كل من الخبرين الى المقدر
المضاف الى ضمير الفريقين من
غير تعيين ما اسند اليه بخصوصه
ثقة بان السامع يرد كلا من
المثلين الى ما يماثله كانه قيل
مثل اليهود في حلول العذاب
بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل
المنافقين في اغرائهم اياهم
على القتال حسبما نقل عنهم
كمثل الشيطان اذ قال الخ
ابو

فقوله تعالى لا يستوي وان كان عاما بحسب الظاهر الا ان السياق والمقام يخصصه بالاستواء في منازل
الاخرة وهذا عند الحنفية واما الشافعية فانهم يبقونه على ظاهر العموم ويقولون معناه لا
يستوون في شيء ما ويستدلون به على ان المسلم لا يقتل بالكافر يقتل بالمسلم وكذا يملك المسلمون
اموال الكافر بالقهر والاستيلاء فانهم لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لانهما لا يستويان في شيء
ما عند الشافعية ويستويان في الاحكام الدنياوية عندنا وفائدة الخلاف تظهر فيما اذا غلب
المسلمون عليهم وقد اخذوا اموال المسلمين قهرا ووجد اصحاب تلك الاموال اموالهم بعينها في
جملة مال الغنيمة فعند الشافعي يرد مال المسلم الى المسلم وعند ابي حنيفة رح لا يرد بل يقسم
بين الغانمين كساير الغنايم واعلم ان ثبوت الفرق بين الفريقين وعدم استوائهما
امر معلوم بالضرورة فمقتضى الظاهر ان لا يخاطب المؤمنون به لان العالم بالشيء لا يخبر به
ولكنهم خوطبوا واخبروا به اخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر لعدم جريهم على موجب العلم
فان العالم بالشيء اذا لم يعمل على مقتضى علمه ينزل منزلة الجاهل فيلقى اليه الكلام الخبري مثل ان
يقال الصلوة فريضة يعاقب تاركها قوله تمثيل وتخييل والظاهر انه اراد بالتمثيل التصوير والتبيين
وقوله وتخييل عطف تفسير له والمعنى ان هذه الاية تصوير لعظمة قدر القران وقوة تاثيره وانه
بحيث لو خوطب به جبل مع شدته وصلابته ذليلا متصدعا من خشية الله بناء على احتباط
ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم قدر القران واقامة ما فيه من التكاليف والاحكام والاخبار
والاتعاظ بما فيه من العجايب والعبر والمراد منه توبيخ الانسان بانه مع ضعف بنيته ورخاوة قواه
وكونه اقبل للاشياء والاضمحلال لا يتخشع عند تلاوة القران بل يعرض عما فيه من عجايب الوعد
وعظايم الوعيد وما جرى على الامم الماضية بمقابلة معاصيهم كان لم يسمع شيئا منها فالمعنى
مثل ان قول غريب في حق عظمة القران ودناءة حال الانسان وبيان لصفتها العجيبة وهي من
جملة الامثال الواقعة في مواضع من التنزيل فان لفظ المثل حقيقة عرفية في القول السائر
ثم يستعار منه لكل امر غريب عجيب الشان تشبيها له بالقول السائر في الغرابة لانه لا يخلو عن
غرابة قوله خاشعا متصدعا حالان من الضمير المنصوب في قوله لرايته لانه من رؤية البصر
وان شئت جعلت متصدعا حالا من المستتر في خاشعا والخاشع والمتصدع المتشقق
اي ذليلا بما كلفه من طاعته متشققا من خشية الله ان يعصيه فيعاقبه قوله
وهو لغة فيه اي القدوس بفتح القاف لغة في القدوس حكاه صاحب الكتاب وفعول
في الصفات قليل واكثر ما ياتي في الاسماء نحو تنور وسمور وهبود الجبل باليمامة قوله
مصدر وصف به للمبالغة يعني ان السلام بمعنى السلامة وصف به للمبالغة في كونه سليما

من النقايص او في اعطائه السلامة فما ورد من قوله انت السلام معناه انت الذي سلم
من كل عيب بريء من كل نقص وقوله ومنك السلام اي الذي يعطي السلامة وقيل المسلم على عباده
في الجنة لقوله سلام قولا من رب رحيم وقوله واليك يرجع السلام اشارة الى ان كل من عليها
فان ويبقى وجه ربك وقوله فحينا ربنا بالسلام طلب السلامة منه قوله واهب الامن على
ان المؤمن بكسر الميم الثانية اسم فاعل من آمن يؤمن ايمانا قال ابن عباس رض هو الذي
آمن الناس من ظلمه وآمن من آمن به من عذابه وهو من الايمان الذي هو ضد التخويف
كما في قوله تعالى وآمنهم من خوف قوله وقرئ بفتح الميم الثانية بمعنى المؤمن به فانه تعالى يؤمن
به المؤمنون فهو مؤمن به ولو لم يقدر الجار لامتنع اطلاقه عليه تعالى لانه يدل على انه تعالى كان
خائفا منه غيره فكان مؤمنا وهو باطل تعالى عن ذلك علوا كبيرا عن ابن عباس رض انه
قال اذا كان يوم القيمة اخرج اهل التوحيد من النار واول من يخرج من وافق اسمه
اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من يوافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم انتم المسلمون وانا
السلام وانتم المؤمنون وانا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين كذا في
اللباب قوله مفيعل من الامن قال الامام محيي السنة في تفسيره وقيل هو في الاصل مؤيمن
قلبت الهمزة هاء كما يقال هرقت في ارقت ومعناه المؤمن انتهى ولما قلبت هاء ابقيت
ولم تحذف كما تحذف همزة الافعال من نحو يؤمن لان حذفها انما كان لاجتماع الهمزتين في المتكلم
من المضارع وحمل الباقي عليه وبقلبها هاء انتفت علة حذفها فلم تحذف وهذا مثل قولهم
يهريق بفتح الهاء في مضارع هراق واصلهما اراق يريق قوله الذي جبر خلقه على ما اراده
اي قهرهم واكرههم عليه واللغة الشايعة في هذا المعنى اجبره بهمزة الافعال وجبره على كذا
لغة تميم وكثير من الحجازيين واستدل بورود الجبار من يقول ان امثلة المبالغة تاتي من
المزيد على الثلاثي فانه من اجبره على كذا اي قهره وقال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في
جبار ودراك فانهما من اجبر وادرك وفي الصحاح الجبر ان تغني الرجل من فقر او تصلح
عظمه من كسر يقال جبرت العظم جبرا وجبر العظم بنفسه جبورا اي انجبر قال الامام الجبار
فيه وجوه احدها انه فعال من جبر اذا اغنى الفقير واصلح الكسير والثاني ان يكون من جبره
اذا اكرهه على ما اراده قال السدي انه الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما اراده الثالث قال
ابن عباس رض الجبار هو الملك العظيم وقيل الجبار الذي لا يطاق سطوته قال الواحدي هذا
الذي ذكرنا من معاني الجبار هو معناه في صفة الله تعالى واما معاني الجبار في صفة المخلوق
فمنها المسلط كقوله وما انت عليهم بجبار ومنها العظيم الجسم كقوله تعالى ان فيها قوما جبارين

الجبار هو الذي ينفذ مشيته على سبيل الاجبار في كل احد ولا ينفذ فيه مشية احد فالذي لا يخرج احد من قبضته وتقصر الايدي دون حمى حضرته هو الله تعالى فانه يجبر كل احد ولا يجبره احد منه

ومنها التمرد عن عبادة الله تعالى كقوله ولم يجعلني جبارا شقيا ومنها القتال كقوله بطشتم جبا
رين وقوله ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قوله الذي يكبر معنى ان صيغة التفعل للتكلف بالم يكن
باصله او بما حصل اصله ولكن بتكلف باظهار الزيادة على ما كان فيه فاذا قيل تكبر وتسخى دل على انه يرى
ويظهر الكبر والسخاء وليس بكبير ولا سخي والتكلف بالم يكن بما كان مستحيلا في حقه تعالى حمل على لازمه
وهو ان يكون ما قام به من الفعل على اتم ما يكون واكمله من غير ان يكون هناك تكلف واعتمال حقيقة ومنه
ترحمت على ابرهيم بمعنى ردت الرحمة في حقه ورحمته كمال الرحمة واتممتها عليه واذا قيل انه تعالى متكبر
كان المعنى انه البالغ في الكبر اقصى المراتب قوله لا يشركه بمعنى ان الذي يجعلونه شريكا له تعالى لا يشاركه
في شيء من صفات العلى فانه ما يكون شريكا له ويحتمل ان يكون ما مصدرية ايضا قوله المقدر للاشياء
على مقتضى حكمته الجوهري الخلق التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع وعن الزمخشري انه قال
لما كانت احداثات الله تعالى مقدرة بمقادير الحكمة عبر عن احداثه بالخلق دون احداثات غيره انتهى لكنه
الى غيره تعالى احداثا بناء على مذهبه في افعال العباد وقال الامام الغزالي في كتابه المسمى بالمقصد الاقصى
قد يظن ان هذه الاسماء اعني الخالق البارئ المصور مترادفة وان الكل يرجع الى الخلق والاختراع
ولا ينبغي ان يكون كذلك بل كل ما يخرج من العدم الى الوجود يفتقر الى تقدير اولا والى الايجاد على وفق
التقدير ثانيا والى التصوير بعد الايجاد ثالثا فالله تعالى خالق من حيث انه مقدر وبارئ من
حيث انه مخترع موجد ومصور من حيث انه مرتب صور المخترعات احسن ترتيب وهذا كالبناء مثلا
فانه يحتاج الى مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الارض وعدد الابنية وطولها
وعرضها وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التي عندها تحدث
اصول الابنية ثم يحتاج الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته ويتولاه غير البناء هذه هي
العادة في التقدير والتصوير وليس الامر كذلك في افعاله تعالى بل هو المقدر والموجد والمزين فهو
الخالق البارئ المصور ومثاله الانسان الذي هو احد مخلوقاته وهو يحتاج في وجوده اولا الى
ان يقدر ما منه وجوده كما يحتاج البناء الى المواد التي يحصل منها البناء ثم لا يصلح لبنية الانسان
الا الماء والتراب جميعا اذ التراب وحده يابس محض لا يلتئم ولا ينعطف في الحركات والماء وحده
رطب محض لا يتماسك ولا ينتصب بل ينبسط بل لا بد ان يمتزج الرطب باليابس ويصير طينا
حتى يعتدل ثم لا بد من حرارة طابخة للطين جاعلة اياه صلصالا كالفخار حتى يستحكم مزج الماء بالتراب
ولا تنفصل اجزاء الطين ثم لا بد ان يكون كل واحد من الماء والتراب على مقدار مخصوص كيلا يكون
المركب في غاية الصغر كالذر والنمل اذ لا يترتب عليه الافعال الانسانية ولا في غاية الكبر
كالجبل لانه يزيد على مقدار الحاجة بل الكافي من غير زيادة ولا نقصان قدر معلوم يعلمه الله تعالى
وكل

وكل ذلك يرجع الى التقدير فهو تعالى باعتبار تقديره هذه الامور وباعتبار الايجاد على وفق التقدير
خالق وباعتبار مجرد الايجاد والاختراع من العدم الى الوجود بارئ والايجاد المجرد على وفق
شيء آخر واما اسم المصور فهو له من حيث انه رتب صور الاشياء احسن ترتيب وصورها احسن
تصوير انتهى كلامه وقيل عدم ذكر الخالق على البارئ لان الارادة متقدمة على تأثير القدرة و
قدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على ايجاد الصفات سورة الممتحنة مدنية
بسم الله الرحمن الرحيم وتسمى الممتحنة بكسر الحاء اي المختبرة نسب الفعل اليها
مجازا ومن قرأها بفتح الحاء فانه اضاف السورة الى المرأة التي نزلت فيها آية فامتحنوهن الله
اعلم بايمانهن والظعينة هي المرأة ما دامت في الهودج واذا لم تكن فيه فهي المرأة والعقيصة
الضفيرة وقيل هي التي تتخذ من شعرها مثل الرمانة واصل العقص اللي وادخال اطراف الشعر
في اصوله ونصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن التصديق بنبوته ورسالته والانقياد
لاوامره ونواهيه والغش ترك النصح مصدر من غشه قوله كنت امرأ ملصقا في قريش اي
كنت حليفا ولم اكن من انفسها ومن معك من المهاجرين كان لهم فيهم قرابات يحمون اهليهم و
اموالهم واذ فاتني ذلك من النسب احببت ان اتخذ عندهم يدا يحمون بها اهلي عندهم ولم افعله كفرا
ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقكم فعذره اي قبل عذره
فقال عمر رض يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه شهد بدرا وما يدريك لعل
الله تعالى يتوب [اطلع] على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وروي ان حاطبا لما سمع يا ايها
الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان قوله والباء مزيدة اي في المفعول به كقوله ولا
تلقوا بايديكم الى التهلكة وقوله ومن يرد فيه بالحاد وان كان المفعول محذوفا اي اسرار رسول الله
واخباره تكون الباء سببية لا زائدة قوله والجملة حال من فاعل لا تتخذوا والمقيس المودة او صفة
لاولياء اي اولياء تلقون اليهم انتم بالمودة واعترض على كونها حالا او صفة بانهم نهوا عن اتخاذهم
اولياء مطلقا في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء وقوله تعالى لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم والتقييد بالحال او الوصف
يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف بل الظاهر انها استئناف فلا محل لها من الاعراب
كانه لما قيل لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء قالوا كيف نتخذهم اولياء فقيل تلقون اليهم بالمودة
واجيب بان قولك ان التقييد بالحال او الوصف يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال او الوصف
غير لازم لان عدم جوازه مطلقا لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال ولا للصفة
هنا البتة قوله جرت على غير من هي له فان القاء المودة قائم بالمخاطبين بالاولياء وان كان

صفة لاولياء لفظا ومثل هذه الصفة اذا عبر عنها بلفظ الفعل لا يحتاج الى ابراز الضمير
بان يقال مثلا تلقون اليهم انتم بالمودة وانما يجب ابرازه في الاسماء فانه اذا وقع بدل تلقون
ملقين وجب ان يقال اولياء ملقين اليهم انتم بالمودة فان قيل كيف قيل لا تتخذوا عدوكم
اولياء والعداوة والمحبة لكونهما متنافيين لا يجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع
بينهما فرع امكان اجتماعهما قلنا الضدان المتنافيان انما يمتنع اجتماعهما عند تحقق
الوحدات الثمانية ومنها لم يتحقق وحدة النسبة فان الكفار اعداء المؤمنين من حيث انهم
حاربوا الله ورسوله وتركوا طاعتهما ومحبتهما بخلاف المؤمنين فانهم قد احبوا الله تعالى و
رسوله وعظموهما واطاعوا حكمهما فان الكفار الذين هم اعداء الله واعداء رسوله انما كانوا
اعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك يجوز ان يتحقق بينهم الموالاة و
الصداقة بالنسبة الى الامور الدنياوية والاغراض النفسانية فنهى الله تعالى عن ذلك **قوله** حال
من فاعل احد الفعلين اي من الضمير الذي في لا تتخذوا او من الضمير الذي في تلقون اي لا تتخذوهم
اولياء او تلقوا اليهم مودتكم وهذه حالهم **قوله تعالى** يخرجون حال من الضمير في كفروا او ان
كفروا ومخرجين الرسول واياكم من مكة قال ابن عباس رض وكان حاطب ممن اخرج مع النبي
صلى الله عليه وسلم او استئناف لبيان كفرهم **قوله** علة للخروج يعني ان انتصاب جهادا وابتغاء
على انهما مفعولا لهما لخرجتم اي ان كنتم خرجتم لاجل هذين فلا تتخذوهم اولياء ولا تلقوا اليهم
بالمودة ونفس لا تتخذوا لا يكون لان جواب الشرط لا يتقدم عليه عند البصريين بل المتقدم
دليل الجواب وحذف الجواب اعتمادا عليه وجاز ذلك عند الكوفيين **قوله** بدل من تلقون قيل
ويشبه ان يكون بدل اشتمال لان القاء المودة يكون سرا وجهرا فابدل منه تسرون لبيان انه
باي نوع وقع الالقاء والافعال تبدل من الافعال كما في قوله تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف
له العذاب وانشد سيبويه متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تضرما **قوله** تأججا
او استئناف اي انتم تسرون لم يرد بالاستئناف كونه جوابا لسؤال مقدر بل اراد كونه منقطع التعلق
عما قبله لفظا وفسره بقوله اي طائل لكم في اسرار المودة بناء على ان قوله تسرون اليهم بالمودة
مسوق للانكار **قوله** وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم بيان لوجه الانكار فلا جرم كان حاصل
المعنى ما ذكره والباء في قوله بالمودة كما سبق اي انها اما صلة جيء بها لتأكيد التعدي اي تسرون اليهم
مودتكم او سببية والمفعول محذوف اي تسرون اليهم اسرار النبي عليه الصلوة والسلام بسبب
المودة وقوله وانا اعلم جملة حالية من فاعل تسرون قال القرطبي وهذا كله معاتبة لحاطب وهو يدل
على فضله ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون الا من محب لحبيب كما قيل اذا ذهب العتاب
فليس

فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب **قوله** ومجيء ودوا وحده بلفظ الماضي اشعار ان قوله تعالى
وودوا معطوف على جواب الشرط وهو قوله يكونوا ويبسطوا وهو مضارع كالشرط فلا بد
من النكتة في كون المعطوف على جزاء الشرط مخالفا لهما وهي الاشعار بان ارتداد المؤمنين
اهم الاشياء عندهم وانهم يتمنونه قبل كل شيء من اظهار العداوة وبسط الايدي و
الالسن لاجل همتهم اضرار المؤمنين بمضار الدنيا والدين جميعا من القتل والشتم والار
تداد وذلك اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من الدنيا وما يتعلق
بها وقيل الارجح ان قوله وودوا معطوف على جملة الشرط والجزاء على انه تعالى قد اخبر بخبرين
بما تضمنته الجملة الشرطية وبودادتهم كفر المؤمنين وذلك لان ودادة كفرهم ليست مترتبة
على الظفر بهم والتسلط عليهم بل هم وادون كفرهم على كل حال سواء ظفروا بهم ام لم يظفروا
فلا فائدة في تقييده بالشرط وتعليقه عليه واجيب بمنع كونه ارجح بل الظاهر انه عطف على
الجواب وقولهم وادون ذلك مطلقا مسلم ولكن ودادتهم له عند الظفر والتسلط اقرب و
طمعهم فيه اكثر وازيد **قوله** فما لكم ترفضون اليوم حق الله لن يغني عنكم غدا اشارة الى
ان يوم القيمة ظرف لقوله يفصل اي يفصل بينكم يوم القيمة فيوقف على اولادكم ويبتدأ بيوم
القيمة يفصل ويجوز ان يكون ظرفا لقوله لن تنفعكم بل هو الظاهر فيوقف عليه ويبتدأ
يفصل بينكم لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم وليس فيهم من يحميهن فاردت
ان آخذ عندهم يدا بين الله تعالى ان الارحام والاولاد لا ينفعون شيئا يوم القيمة لمن عصى
بسببهم **قوله** وقرأ حمزة والكسائي يفصل بضم الياء وفتح الفاء وكسر الصاد مشددة
على بناء الفاعل من التفصيل وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الفاء والصاد المشددة
على بناء المفعول من التفصيل وقرأ عاصم يفصل بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد على
بناء الفاعل من الثلاثي وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو يفصل بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد
مخففة على بناء المفعول من الفصل وهو الاصل والمشدد من التفصيل وهو للتكثير والتكرير والتفصيل
التفريق والفصل كذلك والفاعل فيما بني له هو الله تعالى والقائم مقامه فيما بني للمفعول اما ضمير
المصدر اي يفصل الفصل ولم يتعرض له المص او الظرف بعده وهو بينكم وبني على الفتح لاضافته
الى غير متمكن كقوله لقد تقطع بينكم في احد الوجوه وهذه اربع قراءات للقراء السبعة وهنالك
قراءات اخر من الشواذ ثم قال والله بما تعملون بصير اي عليم ولم يقل خبير مع انه ابلغ في العلم
بالشيء فان الخبر بالضم هو العلم بالشيء مع طمأنينة القلب بناء على ان الخبر وان كان ابلغ في
العلم بالشيء الا ان البصير ابلغ منه فيه كانه يجعله كالمحسوس بحس البصر لما نهى الله تعالى عن موالاة

ثانيه جواب الشرط وكذا ما عطف عليه وان صح ان يكون ماضيا لفظا لكنه مستقبل في المعنى فيكون قوله وودوا في معنى ويودوا فلا بد من العدول عن الاصل من نكتة سلمه

والمعنى على الثانی فی ظاهر وعلى الاول ان ابرهیم کان اباکم وبه تمیم الشرف والفضل والنجح علی من سواکم فلکم اقتداء حسن به وبالذین علی دینه فالاولی ان تقتدوا به الا فی قوله لابیه لاستغفرن منه

قراء عاصم اسوة بضم الالف والباقون بکسرها وهما لغتان بمعنی القدوة منه

الکفار ذکر قصة ابرهیم وان من سیرته التبرء من الکفار ای فاقتدوا به الا فی استغفاره لابیه
قوله اسم لما یؤتسی روی عن صاحب الکشاف انه قال القدوة والاسوة لکل واحد منهما معنیان
احدهما الاقتداء والایتساء وهو الاصل والثانی المقتدی به والمؤتسی به والایة یحتمل الامرین الجوهری
ائتسی به ای اقتدی به ویقال لا تأتس بمن لیس لک باسوة ای لا تقتد بمن لیس لک بقدوة وفی فلان
اسوة واُسوة ای قدوة انتهی والکلام من باب التجرید فان فلانا نفسه هو القدوة ویجوز ان یکون
علی حذف المضاف ای فی سننه وافعاله واقواله ما یقتدی به قوله اسوة اسم کانت ولکم
خبرها وفی ابرهیم صفة لاسوة او خبر بعد خبر لکان او هو الخبر ولکم تبیین او هو متعلق
بحسنة تعلق الظرف بالعامل او حال من المستکن فیها ولا یجوز کونه متعلقا باسوة کما زعمه بعض
المعربین وحالکما تقول لی اسوة فی فلان وذلک لانها قد وصفت ووصف المصدر باجنبی عنه و
لا یجوز الفصل بینه وبین معموله باجنبی نحو اعجبنی ضربک الیوم امس زیدا علی ان امس ظرف لاعجبنی
ولمن زعم ذلک ان یقول انه یغتفر فی الظرف ما لا یغتفر فی غیره فلا یبالی بالفصل بین المصدر
ومعموله اذا کان ظرفا واذا ظرف لخبر کان ومعمول له لا لاسوة لما مر آنفا قوله تعالی وحده مصدر
فی موضع الحال ای واحدا منفردا فان قیل ما وجه قوله تؤمنوا بالله وحده ولا بد فی الایمان من
الایمان بالله وملائکته وکتبه ورسله وبالیوم الآخر والجواب ان الایمان بالله فی حال وحدته
یستلزم الایمان بالجمیع وح ینقلب المعاداة موالاة قوله استثناء من قوله اسوة حسنة لما
اخبر الله تعالی بان لکم فی ابرهیم اقوالا وافعالا تقتدون به استثنی قوله لابیه لاستغفرن لک منها و
بین انه لا اسوة لکم به لانه لا یجوز الاستغفار لاعداء الله تعالی وکان استغفار ابرهیم قبل النهی
او کان لموعدة وعدها اباه فظن ابرهیم علیه الصلوة والسلام انه قد آمن فلما تبین له اصراره علی
الشرک تبرء منه فلا یحل لکم ان تستغفروا للمشرکین مع علمکم بشرکهم قوله ولا یلزم من استثناء
المجموع استثناء جمیع اجزائه جواب سوال یرد علی کون قوله وما املک لک من الله من شیء من تمام
قول ابرهیم المذکور استثناء الله تعالی مما کان یؤتسی به تقریر السوال انه کیف یصح کونه من تمام قول
المستثنی وهو فی نفسه کلام حسن مطابق للواقع یحسن ان یؤتسی به غیر حقیق بالاستثناء
وحاصل الجواب ان ما ذکرت انما یدل علی عدم صحة کونه مقصودا بالاستثناء ومستثنی بانفراده و
اما اذا استثنی مجموع مقالته وکان المقصود بالاستثناء من ذلک المجموع وعد الاستغفار لابیه بقوله
لاستغفرن لک فلا محذور فیه اذ لا یلزم من استثناء المجموع استثناء جمیع اجزائه وقرن به ما
بعده فی کلام ابرهیم تحقیقا للوعد فکانه قال لاستغفرن لک وما فی طاقتی الا هذا فهو مبذول لا محالة
فلما کان هذا تابعا لما قبله ومبنیا علیه فی کلام ابرهیم ادخل فی المستثنی ولا یلزم من استثناء المجموع
استثناء

قوله فلا تقتدوا بشأنکم شرع علی قوله او بکم وبه فان قوله کفرنا بکم لما کان بانا نقول لکم انا برآء منکم ومما تعبدون وان ان یراد بکم العابدون و نسب جمیعا علی التغلیب المعبودون حقیقة و وتعلق الکفر بالمعبود حمل الکفر علی بالعابد بمجاز فلذلک عموم المجاز عدم الاعتداد او بطریق عدم لان الکفر بالشیء یستلزم عدم الاعتداد به لئلا یلزم الجمع بین الحقیقة والمجاز فی لفظ الکفر منه

استثناء جمیع اجزائه مع ان قوله ولا املک لک من الله شیئا یدل علی انه لو ملک له ما هو اکثر من
الاستغفار لفعل فکان ملحقا بما قبله وفی معناه فکان حقیقا بالاستثناء قوله متصل بما قبل
الاستثناء ای بما فی ابرهیم مما هو اسوة حسنة لمن بعده من الاقوال الدالة علی تخلقه بالاخلاق
الحمیدة المرضیة وفصل بینهما بالاستثناء قوله او امر من الله للمؤمنین فیکون منقطعا عما
علی اضمار قولوا ای قولوا علیک اعتمدنا والیک رجعنا بالاعتراف من ذنوبنا والیک المرجع
فی الاخرة فعلی هذا لا یکون الایة من قول ابرهیم علیه الصلوة والسلام ومما هو اسوة حسنة فیه
لمن بعده قوله بان تسلطهم علینا اشارة الی ان الفتنة مصدر بمعنی المفتون قوله تعالی ومن
یتول ای ومن یعرض عن الاقتداء بهم ووالی الکفار فان الله هو الغنی عن خلقه وعن موالاتهم
ونصرتهم لاهل دینه لم یتعبدهم لحاجته الیهم بل هو ولی دینه وناصر حزبه وهو الحمید المستحق
للحمد فی ذاته وهو وعید لمن تولی عن التأسی بهم قوله فوعدهم الله بذلک وانجز اذ فعل الله
ذلک فان عسی من الله تعالی وعد ولا یخلف وعده وذلک بان یسلم الکافر وقد اسلم قوم من کفار
مکة بعد فتحها وخالطهم المسلمون بعد ما اشتدت العداوة بینهم قال ابن عباس رض کانت المودة
بعد الفتح بتزوج النبی صلی الله علیه وسلم ام حبیبة بنت ابی سفیان فلانت عند ذلک عریکة
ابی سفیان وکانت تحت عبد الله بن جحش وکانت هی وزوجها من مهاجرة الحبشة فاما ان
زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه علی دینه وابت وصبرت علی دینها ومات زوجها علی النصرانیة
فبعث النبی صلی الله علیه وسلم الی النجاشی فخطبها فقال النجاشی لاصحابه من اولاکم بها قالوا خالد
ابن العاص قال فزوجها من نبیکم ففعل وامهرها النجاشی من عنده اربعمائة دینار قوله
بدل من الذین ای بدل اشتمال لان بینهم وبین البر ملابسة بغیر الکلیة والجزئیة فکان المنهی
عنه برهم بالقول وحسن المعاشرة والصلة بالمال لا انفسهم وقد ضمن الفسط بالعدل لا نقوله
وتقسطوا الیهم تفسیر لما قبله وهو ان تبروهم فانهم اذ لم یخرجوکم من دیارکم ولم یؤذوکم فهذا انتب منهم
فالعدل معهم ان تبروهم ایضا قوله روی ان قتیلة وهی کانت زوجة ابی بکر الصدیق رض وکان طلقها
فی الجاهلیة وهی ام اسماء بنت ابی بکر رض فقدمت علیهم فی المدینة التی کانت فیها المصالحة بین
رسول الله صلی الله علیه وسلم وبین کفار قریش فاهدت الی اسماء بنت ابی بکر رض قرطا واشیاء ان
تکرهت ان تقبل منها حتی اتت رسول الله صلی الله علیه وسلم فذکرت ذلک فانزل الله تعالی لا ینهاکم الله عن
الذین لم یقاتلوکم فی الدین قوله فاختبروهن بما یغلب علی ظنکم قیل انه کان من ارادت اضرار
زوجها قالت سأهاجر الی محمد صلی الله علیه وسلم فلذلک امر النبی بامتحانهن واختلفوا فیما کان
یمتحنهن بان یستحلفهن بالله انها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الی ارض

قوله فخطبها علیه هذا السبب من قوله نهی ان یخطب الرجل علی خطبة اخیه الرجل المرأة فتركن وهو ان یخطب الرجل علی صداق معلوم و الیه ویتفقا علی صداق معلوم و شیئا ولم یبق الا العقد بل من باب التضمین اذ المعنی بعث رسول الله صلی الله علیه وسلم الی النجاشی لیخطب ان یباشر عقدها علی رسول الله صلی الله علیه وسلم خاطبا له ایاها بدل علیه ساق ای ساق النجاشی عن رسول الله صلی الله علیه وسلم الی ام حبیبة اربعمائة دینار قال صاحب الجامع وقد اختلف فی وقت نکاح رسول الله صلی الله علیه وسلم ایاها وموضع العقد فقیل انه عقد علیها بارض الحبشة سنة ست وزوجها منه النجاشی وامهرها اربعمائة دینار وقیل اربعة الاف درهم من عنده وبعث الیه صلی الله علیه وسلم شرحبیل بن حسنة فجاء بها الیه ودخل بها فی المدینة طیبی

ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل من المسلمين ولا لحدث احدثته وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله فاذا احلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي عليه الصلوة والسلام زوجها مهرها وما انفق عليها ولا يردّ نفسها لقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار وروي عن ابن عباس رض ايضا انه قال كان امتحانهن ان يشهدن ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا شهدن به مع طيب النفس لا يرجعن الى الكفار قوله العلم الذي يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب حمل العلم على الظن الغالب لان الامتحان لا يفيد الاطلاع على حقيقة الحال كما اشار اليه انفا بقوله بما يغلب على ظنكم موافقة ويدل على ان المراد بالعلم ذلك الجملة الاعتراضية وهي قوله تعالى الله اعلم بايمانهن فان معناه الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تتوصلون الى حقيقة الحال المكتوبة في الصدور وانما المطلع عليها هو الله تعالى وحده ذكر الله في ايمانهن ثلث مراتب المرتبة الاولى ما ظهر في السنتهن مما يدل على الايمان والثانية ما يدل عليه خلقهن وما يوجد منهن من الامارات الدالة على موافقة قلوبهن السنتهن وهو ما نطق في حقهن من شأنهن على الايمان والثالثة الايمان الصادق الذي يطمئن عليه القلب وذكره ذلك لا يطلع عليه الا علام الغيوب وبه يندفع ما يتوهم من التدافع بين قوله اذا جاءكم المؤمنات وقوله فامتحنوهن فان الامتحان انما يكون لتحصيل العلم وهن قوله والتكرير للمطابقة اي بين الزوجين في ان كل واحد منهما لا يحل للاخر ونفي الحل من احد الجانبين وان كان مستلزما من الجانبين لكن لم يكتف بالدلالة الالتزامية بل صرح بنفي الحل من الجانبين للمبالغة في ثبوت الحرمة اذا اسلمت المرأة والزوج كافر قوله لزمه ردّ مهورهن وفاء بالعهد ولئلا يجتمع على ازواجهن حرمان من الوجهين الزوجة والمال فلما جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجاء اهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال عليه الصلوة والسلام كان الشرط في الرجال لا في النساء فانزل الله تعالى هذه الاية وامره في النساء ان لا يردون اليهم وفي الرجال ان يردوا اليهم وذلك لضعف النساء عن الدفع عن انفسهن وعجزهن من الصبر على الفتنة فكان قوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن بيان تخصيص وتغيير لقوله عليه الصلوة والسلام في كتاب المصالحة من اتانا منكم رددناه ومن اتاكم منا فسحقا له لا بد ان يبين ان المراد به الرجال دون النساء وتراخي المخصص من العام جائز عند الجبائي وتبعه صاحب الكشاف وان لم يجوز تأخر الاسلام على انه عند صاحب الكشاف من تأخير بيان المجمل لانه لا يقول بعموم هذه الالفاظ بل يجعلها مطلقات والحمل على الخصوص بحسب المقام والحنفية يجوزونه فان قلت فعلى ما ذكرت يكون الاية بيان تغيير وتأخيره عن وقت الحاجة

الحاجة لا يجوز اتفاقا قلت وقت الحاجة الى العمل بالخطاب كان بعد مجيء سبيعة الاسلمية وطلب زوجها مسافر المخزومي لا حين جرت المصالحة مع قريش وهذا ما ذهب اليه بعض الشافعية ايضا ومنهم من قال انه عليه الصلوة والسلام اخطأ في اجتهاده حيث عمم وانه جائز لكنه لا يقر على الخطأ ومنهم وافق جمهور الحنفية على النسخ والتخصيص فمن جوز منهم نسخ السنة بالكتاب قال نسخ العموم بالاية ومن لم يجوزه قال نسخ بالسنة اي بامتناعه عليه الصلوة والسلام من الرد وردت الاية مقررة لفعله عليه الصلوة والسلام واحتج ابو حنيفة رح بقوله تعالى ولا جناح عليكم ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن على ان احد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الاخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ووجه الاحتجاج انه تعالى نفى الجناح من كل وجه في نكاحهن بعد ايتاء المهور ولم يقيده بمضي العدة فلولا ان الفرقة تقع بمجرد الوصول الى دار الاسلام لما كان الجناح ثابتا في نكاحهن وعند الشافعي رح لا تقع الفرقة الا باسلامها لانه تعالى حرم المسلمة على الكافر واما بمجرد الخروج فلا تقع فان اسلمت قبل الدخول تنجزت الفرقة وبعد الدخول توقفت الى انقضاء العدة وليس في الاية دلالة على مذهب ابي حنيفة رح اذ بالايمان قيدت الاية قوله بما تعتصم به الكافرات اي بما تمتنع بسببه مما يحل وينافي مقتضى الزوجية على ان العصم جمع عصمة وهي المنع يقال عصمه الطعام اي منعه من الجوع وابو عاصم كنية الجوع والعصمة الحفظ يقال عصمته فانعصم واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية كذا في الصحاح وفيه ايضا امسكت الشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت به وكذلك متسكت به تمسيكا وقرئ ولا تمسكوا بعصم الكوافر انتهى ما فيه فعلم ان العصمة هي المنع واريد بها في الاية عقد النكاح الذي هو سبب لمنع ازواجهن اياهن عن الاطلاق اي لا تعتمدوا بما كان بينكم وبينهن من العقد الكائن قبل حصول اختلاف الدارين فقوله تعالى ولا تمسكوا في مقابلة قوله يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات الى قوله اجورهن فالاول اشارة الى حكم اللاتي اسلمن وخرجن من دار الكفر والثاني اشارة الى المسلمات اللاتي ارتددن وخرجن من دار الاسلام الى دار الكفر وهذا على تفسير النخعي والى حكم النساء اللاتي بقين في دار الكفر وما اسلمن ولا هاجرن بعد اسلام ازواجهن وهجرتهم وهذا على تفسير ابن عباس ومجاهد رض وعلى التفسيرين زال العقد بينهم وبين ازواجهن وانقطعت عصمتهن عنهم باختلاف الدارين عند ابي حنيفة رح وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وهذا مبني على ان النهي عن الشيء امر بضده اذا كان له ضد واحد لكنه يخالف كل واحد من مذهبي الحنفية والشافعية رح فان الفرقة تقع عند الحنفية رح بنفس الوصول الى دار الاسلام فكيف يؤمر بالطلاق بعد وقوع الفرقة وعند الشافعية رح ان جمعهما

العدة وقت التطليق يقع الطلاق حين انشائه والا فالبينونة تثبت بواسطة بقائهما على الكفر
عند انقضاء عدتها ومذهب الحنفية رح في الكافرين الذميين اذا اسلمت المرأة عرض الاسلام على
الزوج فان اسلم اقرا على ماكانا عليه والا فرق بينهما ولو كانا حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلث حيض
اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان كان احدهما في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما اى
العقد بتباين الدارين قوله تعالى واسالوا ما انفقتم اى اذا ارتدت امرأة احدكم ولحقت بدار الحرب
فاسألوا مهرها ممن تزوجها وليسألوا ما انفقوا اى وليسأل كل حربي اسلمت امرأته وهاجرت الينا مهرها
ممن تزوجها منا وظاهر قوله وليسألوا يدل على ان الكفار مخاطبون بالاحكام وهو امر للمؤمنين بالاداء
مجازا من قبيل اطلاق الملزوم وارادة اللازم كما في قوله وليجدوا فيكم غلظة قوله على حذف الضمير او
جعل الحكم حاكما على المبالغة وحاصل هذين الوجهين انه اذا جعل يحكم حالا من الحكم فلا بد من ضمير يعود
اليه يرتبط به الحال وذلك الضمير اما ضمير منصوب على انه مفعول مطلق ليحكم وذلك اذا كان المستتر
في يحكم عائدا الى الله اى يحكمه الله بينكم واذا كان عائدا الى الحكم على جعل الحكم حاكما على وجه المبالغة
كقولهم نهاره صائم وليله قائم وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار قوله وان سبقكم وانفلت منكم اى خرج
وفر منكم لحاق من غير تردد ولا تذبذب يريد ان تعديته فاتكم بالى لتضمنه احد الفعلين او نحوهما
مثل فر وذهب ثم اشار الى ان الشئ يجوز ان يراد به النساء اى شئ من النساء اى نوع وصنف
منهن كالعربية والعجمية او الحرة او الامة او نحوها او ان يراد به المهر ولا بد على هذا من حذف مضاف
نحو من ازواجكم اى من مهور ازواجكم ليتطابق الموصوف وصفته قوله وقد قرئ به اى
باحد دون شئ فانه روى ان ابن مسعود رض قرأ فان فاتكم احد من ازواجكم ولما ورد ان
يقال ان هذه القراءة ايدت كون المراد بشئ النساء فاى نكتة في التعبير اجاب عنه بان فيه
فائدتين الاولى تحقير من فاتت منهن الى الكفار والثانية زيادة التعميم والمبالغة فيه فانه
لكونه اعم من الاحد اظهر احاطة اصناف الزوجات قال المفسرون ان ذهب من المسلمات
مرتدات الى الكفار من اهل العهود يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال للمسلمين اذا جاء احد من
الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك نصفا وعدلا بين الحالين قال
ابن العربي كان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة قال الزهري ولولا هذه
الهدنة والعهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية لامسك
النساء ولم يردوا الصداق وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه
الاية اقر المسلمون رضا بما حكم الله عز وجل وكتبوا الى المشركين فقد حكم الله بيننا بانه ان جاءتكم
امرأة منا توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امرأة منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا اما

وكانه نبه بهذا الحكم حال قيام العهد ثم نسخ ذلك بآية القتال فلم يبق سؤال المهر لا منا ولا منهم

قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة رجعن عن الاسلام ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري رض وفاطمة بنت ابي امية كانت تحت عمر بن الخطاب رض وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان رض وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر رض كشاف

اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شئ فوجهوا به وابوا الانقياد لحكم الله تعالى من
اداء ما انفق المسلمون على زوجاتهم من المهر فانزل الله تعالى فان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار
الاية قوله فجاءت نوبتكم من اداء المهر بان هاجرت امرأة الكافر مسلمة الى المسلمين ولزمهم
اداء مهرها الى زوجها بعد ما فاتت امرأة المسلم الى الكافر ولزم المسلم ان يسأل مهر زوجته المرتدة
ممن تزوجها منهم جعل قوله تعالى فعاقبتم من العقبة وهي النوبة والمعاقبة المناوبة يقال عاقب
الرجل صاحبه في كذا اى جاء فعل كل واحد منهما بعقب فعل الاخر واداء كل واحد من المسلمين والكفار
لا يلزم ان يعقب اداء الاخر لجواز ان يتوجه الاداء لاحد الفريقين مرارا متعددة من غير ان يلزم
الفريق الآخر شئ وبالعكس فلا يتعاقبون في الاداء الا انه شبه ما حكم به على الفريقين من
اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء تارة اخرى بامر يتعاقبون
فيه فاطلق على الاداء المذكور اسم العقبة بمعنى المتعاقب فيه ثم اشتق منه قوله فعاقبتم استعارة
تبعية قوله نوبتكم من اداء المهر اشارة الى ان المعنى ليس على معاقبتكم الكفار في الاداء لما تقرر انهم
غير مخاطبين بالاحكام بل على معاقبتهم بين اداء مهر المهاجرة اليهم وسؤال مهر المرتدة اللاحقة بالكفار
منهم وذلك لما تقتضي مشاركة الفريقين في توجه الخطاب اليهما وهذا كما يقال ابل معاقبة اذا كانت ترعى
نوعا من النبات تارة ومن النوع الآخر اخرى ولا يراد انها تعاقب غيرها من الابل في ذلك ومعنى الاية
على هذا ان فاتت امرأة مسلم الى الكفار ولم يعط الكفار مهرها فاذا فاتت امرأة كافر الى المسلمين اى
هاجرت اليهم وجب على المسلمين ان يعطوا المسلم الذي فاتت امرأته الى الكفار مثل مهر زوجته الفائتة
من مهر هذه المرأة المهاجرة فيكون كالعوض لمهر الزوجة الفائتة ولا يجوز لهم ان يعطوا مهر هذه المها
جرة زوجها الكافر قوله وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى وهو الغنيمة الطيبي قال قطرب
فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئا اذا اخذ شيئا وفي الصحاح العقاب العقوبة وقد
عاقبه بذنبه وقوله تعالى فعاقبتم اى فغنمتم انتهى ولعل وجه هذا التفسير انه جعل عاقبتم مجازا عن
معنى غنمتم على طريق اطلاق لفظ السبب على المسبب لان عقاب المسلمين الكفرة وغلبتهم
عليهم سبب للاغتنام منهم فكأنه قيل ان فاتكم احد من ازواجكم الى الكفار فغنمتم من عدوكم
شيئا فاعطوا من فاتت زوجته من تلك الغنيمة مثل ما انفق عليها روي عن ابن عباس رض انه قال
لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرات ست نسوة رجعن عن الاسلام فاعطى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة قوله قال نزلت يوم الفتح قال مقاتل
بن حيان لما كان يوم الفتح وفرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال وقد بايعهم اذ ذاك
على الاسلام والجهاد في سبيل الله فقط وهو عليه الصلوة والسلام على الصفا وعمر رض قاعد اسفل

اى ان فاتكم وانفلت المرأة الخ بعد ما نقضوا العهد فذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم وقاتلوهم حتى اذا ظفرتم وغلبتم وغنمتم فآتوا الاية سلمه

منه يبايع النساء للنبي عليه الصلوة والسلام فقال لهن بايعن على ان لا يشركن بالله شيئا الاية و
قيل نزلت في حق المؤمنات المهاجرات اللاتي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامتحانهن قالت
عائشة رض ان المهاجرات كن اذا قدمن قعدن عند النبي فيقول لهن ابايعكن على ان لا تشركن بالله
شيئا ويتلو عليهن الاية الى اخرها فاذا اقررن بذلك فقد تم امتحانهن فلا يرجعن الى الكفار بعده و
يقول لهن انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة قط غير
انه يبايعهن بالكلام وعن اميمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقلت يا رسول
الله صافحنا فقال اني لا اصافح النساء انما قولي لامراة كقولي لمائة امراة قيل ذكر الله تعالى لرسوله
عليه الصلوة والسلام في صفة البيعة خصالا ستا هن اركان ما نهي عنه في الدين ولم يذكر اركان
ما امر به وهي ايضا ست الشهادة والصلوة والزكوة والصيام والحج والاغتسال من الجنابة
وذلك لان النهي عنها دائم في كل زمان وكل حال فكان التنبيه على اشتراط الدائم اهم واكد وقيل
ان هذه المناهي كانت في النساء كثيرا وليس منا من يرتكبها حتى لا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت
بالذكر لهذا فان قيل ما الفائدة في تقديم بعض هذه المنهيات على البعض في الاية وترتيبها على الوجه
المذكور فالجواب قدم الاقبح على ما هو ادنى منه قبحا ثم كذلك الى اخرها وكذا قدم ما هو الاظهر و
الاغلب فيما بينهم قوله يبايعنك في موضع الحال من المؤمنات اي بايعات ويفترينه اما في
موضع جر على انه صفة لبهتان او يفترين او نصب على انه حال من فاعل ياتين قوله بين
ايديهن متعلق بمحذوف هو حال من الضمير المنصوب في يفترينه اي يختلقنه مقدرا وجوده بين
ايديهن وارجلهن على ان يكون المراد بالبهتان المولود المبهوت به كما ذهب اليه جمهور المفسرين وليس
المعنى على نهيهن من ان ياتين بولد من الزنا فينسبنه الى الازواج لان ذلك نهي بقوله ولا يزنين بل
المراد نهيهن عن ان يلحقن بازواجهن ولدا التقطنه من بعض المواضع وكانت المراة
تلتقط المولود فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك حملته في بطني الذي هو بين يدي ووضعته
من فرجي الذي هو بين رجلي والبهتان في الاصل مصدر يقال بهت زيد عمرا بهتا وبهتانا
اي قال عليه ما لم يفعله فزيد باهت وعمرو مبهوت والذي بهت به مبهوت به واذا قالت لزوجها
هذا ولدي منك فقد بهتته به اي قالت عليه ما لم يفعله جعله نفس البهتان ثم وصفه بكونه مفترى مبالغة
في وصفهن بالكذب **قوله** في حسنة تامرهن بها وهي تعم كل امر فيه رشدهن كالنهي عن النياحة
والدعاء بالويل وخرق الثوب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان تحدث المراة الرجال الا اذا
رحم محرم وان تخلو برجل غير محرم وان تسافر الا مع ذي محرم **قوله** تنبيه على انه لا يجوز طاعة
مخلوق في معصية الخالق فان التقييد المذكور لما اشعر بان معصية الرسول عليه الصلوة والسلام

وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس يده ثم غمس ايديهن وروي انه عليه الصلوة والسلام بايعهن وبين يده وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رض الحكاية الكواشي

في المنكر غرضهم مع نزاهة شانه عن ان يامر بالمنكر علم انه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مطلقا
قوله تعالى غضب الله عليهم صفة لقوما وكذلك قد يئسوا **قوله** لكفرهم بالنبي على ان يكون من
في قوله من الاخرة لابتداء الغاية اي انهم لا يوقنون بالاخرة البتة **قوله** او لعلمهم بانه لا حظ لهم
فيها على ان يكون التقدير من ثواب الاخرة فاذا كان المراد بالقوم اليهود فهم اهل كتاب يؤمنون
بالاخرة لكنهم لما اصروا على الكفر حسدا وعنادا يئسوا من ثوابها **قوله** ان تبعثوا على ان تكون
من في قوله من اصحاب القبور لابتداء الغاية ايضا وان يكون المعنى انهم يئسوا ايضا من بعث الموتى
وان ياسهم من الاخرة كياسهم من بعث الموتى بمعنى انهم لا يعتقدون شيئا منهما فيكون لفظ
الكفار من وضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة ياسهم **قوله** او يثابوا اي من ان يثابوا وهو
متعلق بيئس الثاني مقدر **قوله** من اصحاب القبور بيان للكفار والمعنى كما يئس الكفار الذين هم اصحاب
القبور من ان يثابوا وعلى قوله ان يبعثوا تكون من اصحاب القبور متعلقا بيئس الثاني بتقدير المضاف
اي كما يئسوا من بعث اصحاب القبور بطريق وضع الظاهر موضع الضمير وعلى تقدير ان تكون من
اصحاب القبور متعلقا بيئس الثاني بتقدير المضاف يجوز ان يكون التقدير كما يئس الكفار من ان ينالهم
خير من اصحاب القبور قال مجاهد الكفار حين دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله وقال الحسن
وقتادة معناه ان الكفار الذين هم احياء يئسوا من الكفار الذين هم اصحاب القبور ان يرجعوا
اليهم ولعل قول المصنف او ينالهم خير منهم اشارة الى قولهما **سورة الصف مدنية**
وقيل مكية بسم الله الرحمن الرحيم روي ان المسلمين عن الكلبي انه قال
قال المؤمنون قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليها فنزلت هل
ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا زمانا ولم ينزل بيانها فكانوا يقولون لو نعلمها لاشتريناها
بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم الاية فابتلوا يوم احد فنزلت هذه الاية تعييرا لهم بترك الوفاء فقد دلت
على ان كل من الزم نفسه عملا فيه طاعة يجب عليه ان يفي بها قال القرطبي ثلث ايات منعتني ان اقص
على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ويا ايها
الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن انس بن مالك رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتيت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت عادت قلت من
هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء خطباء امتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤن كتاب الله ولا يعملون
به **قوله** والاكثر حذف الفها مع حرف الجر اي حرف كان نحو لم وبم وفيم وعم واصل الجميع لما وبما
وفيما وعما فلما دخل على ما الاستفهامية حرف الجار حذفت الالف منها لان الجار جعل معها كالشيء الواحد لكونه موضوع

وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فقال عمر رض لصهيب رض اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر رض يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم كـ ق

للدلالة على المستفهم عنه مع كثرة استعمالهما معا وهي تقتضي التحقيق وليس المراد منها حقيقة الاستفهام
لان الاستفهام من الله محال لانه عالم بجميع الاشياء بل المراد الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان عن
نفسه ما لا يفعله من الخير لانه ان اخبر انه فعل في الماضي او في الحال ولم يفعله كان كذبا وان وعد ان يفعله في
المستقبل ولا يفعل كان خلفا وكلاهما مذموم **قوله** للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من
يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه فيه اشارة الى ان قوله ان تقولوا في موضع رفع على الابتداء و
ما قبله خبره اي قولكم ما لا تفعلون كبر مقتا او ان كبر مسند الى ان تقولوا ومقتا تمييز محول من الفاعلية
والاصل كبر مقت ان تقولوا اي مقت قولكم وقيل كبر مقتا فعل الذم مثل بئس فيكون في كبر ضمير مبهم مفسر
بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم فيجئ فيه الخلاف المشهور هل رفعه بالابتداء وخبره الجملة المتقدمة
عليه او خبره محذوف وهذه قاعدة مطردة في كل فعل يجوز التعجب منه يجوز ان يبنى منه فعل ويجرى
مجرى نعم وبئس في جميع الاحكام ومال الزمخشري الى ان كبر وان لم يكن من صيغ التعجب الا انه قصد به التعجب
كما قصد ذلك بقوله غلت ناب كليب بواؤها او البيت وجارة جساس ابانا نابنا بها كليبا علت ناب
كليب بواؤها وجساس بن مرة الشيباني رئيس بكر بن وائل بن قاسط وهو ابو قبيلة وجاره
جساس امرأة اسمها بسوس يقال هي خالة جساس وكانت لها ناقة مسنة فرأها كليب بن وائل
في حماه وكليب بن وائل ايضا رئيس قبيلة من بني تغلب وكان له حمى ومنه المثل اعز من حمى كليب فلما
رأى الناقة في حماه رماها بسهم فقتلها فشكت بسوس صاحبة الناقة الى جساس فقتل كليبا قصاصا
لناقة بسوس فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها اربعين سنة حتى ضرب بها المثل في الشوم
وقيل اشأم من بسوس وبها سميت حرب البسوس والاباءة الاقتصاص وابات القتيل بالقتيل اذا
قتله به من البواء وهو السواء والناب الناقة المسنة ثم ان التعجب لما كان مستحيلا في حقه تعالى لانه
حالة تعرض للانسان عند رؤية ما خفي سببه وجهل به ولما لم يخف على الله شيء استحال ان
يتعجب من شيء فلذلك حمل الزمخشري لفظ التعجب وهو قوله كبر مقتا على تعظيم قولهم ما لا يفعلون في قلوب
الناس ثم بين افادة التعجب معنى التعظيم بقوله لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره
واشكاله يعني ان التعجب يستلزم كون المتعجب منه خارجا عن نظائره فاطلق لفظ التعجب واريد كون
الشيء خارجا عن نظائره فيكون مجازا مرسلا من قبيل اطلاق لفظ الملزوم على اللازم وجعل
كبر مسندا الى قوله ان تقولوا وجعل مقتا تمييزا عن الفاعل وهو ان تقولوا مقدما عليه فان قلت
كيف جعله تمييزا للمذكور مع انه تمييز عن الذات المقدرة وهي النسبة فالجواب ان الامر كذلك
الا انه لا يمنع كون التمييز عبارة عما انتصب عنه ومفسرا له كما تقرر ان التمييز عن النسبة اذا
كان اسما جاز ان يكون لما انتصب عنه كما جاز ان يكون لمتعلقه صح ان يكون تفسيرا للمميز عنه

اي ليس موضوعا له لان [illegible] ما وضع للتعجب انما هو ما افعله وافعل به
سلمه

عنه المذكور كما في قولك طاب زيد ابا فان الاب جاز ان يكون نفس زيد ومن ولد زيدا فلذلك صح كونه
عبارة عن الذات المذكورة وتفسيرا له مع كونه لرفع الابهام المستقر عن الذات المقدرة وهي النسبة
والظاهر ان كلام المص اجمال الكلام الزمخشري فقوله للدلالة الى وجه دلالة التمييز عليها لانه لو قيل كبر مقت
ان تقولوا لم يفهم منه كون قولهم مقتا محضا وانما يفهم كونه ذا مقت بمقته الله بخلاف ما لو
جعل تمييزا لقولهم وعبارة عنه فانه حينئذ يفهم كونه مقتا محضا للمبالغة في تعلق المقت به وفي التمييز
من سلوك طريقة الابهام والتفسير كان ادل على تحقيق نسبة الكبر الى المقت وتاكيدها لان تفسير
الشيء بعد اجماله وقع في النفس وادعى الى قبولها اياه فللاشارة الى هذا المعنى عقب قوله مقت
خالص بقوله كبير وقوله مبالغة في المنع عنه مفعول له لقوله ونصبه على التمييز لكن بعد تقييده
بقوله للدلالة **قوله** في تراصهم من غير فرجة اي في تصافهم وتلاحقهم ومعنى الاية ان الله يحب
من ثبت في الجهاد في سبيله ولزم مكانه كثبوت البناء ويجوز ان يكون المراد تنزيل تحالفهم بعضهم
بعضا والمعنى يصفون انفسهم صفا في حال كونهم في اجتماع الكلمة وموالاة بعضهم بعضا كالبنيان
المرصوص قال سعيد بن جبير رضي الله عنه هذا تعليم من الله للمؤمنين كيف يكونون عند قتال عدوهم
ولذلك قالوا لا يجوز الخروج من الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسلها الامام او
منفعة تظهر في المقام المنتقل اليه كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة
خلاف فقيل لا بأس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال وقيل لا ابرز احد
لذلك لان فيه رياء وخروجا الى ما نهى الله عنه وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت
في حروب النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر **قوله** حال من المستكن في الحال الاولى و
هي صفا فيكون حالا متداخلة اي صافين مصطفين مشبهين بالبنيان ويجوز ان يكون حالا
ثانية من فاعل يقاتلون **قوله** والرمي بالادرة ومن الاذى ما ذكر من انهم قالوا دس على امرأة
تدعي على موسى انه زنى بها ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة وقولهم فاذهب انت و
ربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون عليهما الصلوة والسلام واحمد اسم
نبينا صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون منقولا من الفعل المضارع ويحتمل ان يكون منقولا
من صفة وهي افعل التفضيل وهو الظاهر بمعنى احمد احمد الحامدين لربه والانبياء عليهم
الصلوة والسلام كلهم حامدون لله عز وجل ونبينا احمدهم اي اكثرهم حمدا وكذا محمد منقول من
الصفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فانه محمود في الدنيا بما هدى
اليه ونفع به من العلم والحكمة ومحمود في الاخرة بالشفاعة **قوله** وهو يدعى الى الاسلام
والجمهور على ضم الياء وفتح العين على البناء للمفعول وهو ظاهر وقرئ تدعى بفتح الياء والدال

[illegible]

وتشديد الدال وكسر العين مع ياء بعدها على البناء للفاعل على معنى يدعي الاسلام وانما عدي بالى
حملا على المعنى لان معنى يدعي الى الاسلام ينتسب اليه وعلى هذا فالضميران وهما هو والمستتر في يدعي ير
جعان الى من كما في القراءة المشهورة كذا قيل وقول المص يقال دعاه وادعاه كلمس والتمس اشارة الى
وجه آخر لهذه القراءة وهو ان يكون يفتعل بمعنى يفعل كلمس والتمس لمعنى قوله تعالى وهو يدعى الى الاسلام
وهو يدعو اليه على ان يكون الضميران لله فيكون القراءتان حينئذ بمعنى واحد **قوله** واللام مزيدة اي في
مفعول الارادة تاكيد لمعنى الارادة فان اللام لما فيها من معنى الارادة تصلح مؤكدة لها فانك اذا قلت
جئتك لاكرمك يفهم معنى الارادة من اللام كما انها لما فيها من معنى الاضافة زيدت في لا اباك تاكيدا لمعنى
الاضافة في لا اباك **قوله** وقرا ابن كثير وحمزة الخ وعلم منه ان الباقين قرؤوا بالتنوين متم ونصب
نوره فالاضافة تخفيف والتنوين هو الاصل وقوله تعالى والله متم نوره جملة حالية من فاعل يريدون
او يطفئوا والمعنى والله متم نوره باظهاره في الافاق فان قيل الاتمام لا يكون الا عند النقصان فما
معنى نقصان هذا النور فالجواب اتمامه بحسب نقصان الاثر وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق
والمغارب وكذا الاكمال في قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يراد به اظهاره وانتشاره في الاطراف وعن
ابي هريرة رض ان ذلك يكون عند نزول عيسى عليه الصلوة والسلام قال مجاهد قيل سبب نزول هذه
الاية ما حكاه عطاء عن ابن عباس رض ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطأ عليه الوحي اربعين يوما فقال
كعب بن الاشرف يا معشر اليهود ابشروا فقد اطفأ الله نور محمد مما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها ولو في قوله ولو كره
بمعنى ان وجوابه محذوف اي وان كرهوا ذلك فالله تعالى يفعله لا محالة وهذه الجملة حال من الحال المتقدمة
وهي قوله والله متم نوره فهما متداخلان واتمام نوره لما كان من اجل النعم كان استكراه الكفار اياه
اي كافر كان من اصناف الكفرة غاية في كفران النعمة فلهذا اسند كراهة اتمامه الى الكافرين فان
لفظ الكافر اليق بهذا المقام واما قوله ولو كره المشركون فانه قد ورد في مقابلة اظهار دين الحق
الذي معظم اركانه التوحيد وابطال الشرك وكفار مكة كارهون له من اجل انكارهم للتوحيد و
اصرارهم على الشرك فالمناسب لهذا المقام التعرض لشركهم لكون العلة في كراهتهم الدين الحق
وليس المراد من ظهوره ان لا يبقى دين آخر من الاديان بل المراد ان يكون اهل الاسلام عالين و
غالبين ومن الظهور الغلبة باليد في القتال ومن الاظهار ان لا يبقى دين آخر سوى الاسلام في
آخر الزمان قال مجاهد ذلك اذا انزل الله تعالى عيسى عليه الصلوة والسلام لم يكن في الارض دين
الا دين الاسلام وقال ابو هريرة رض ليظهره على الدين كله بخروج عيسى ع م لا يبقى كافر الا اسلم
قوله استئناف مبين للتجارة فان هل الاستفهامية لما تضمنت عرض التجارة المنجية من العذاب الاليم

لهم

هو لدو يهو يدعو بمعنى يدعو قال ابن جني قراءة طلحة بن مصرف انظر هو يدعى الى الاسلام بمعنى يدعى الاسلام لكن لما كان بمعنى يدعى الاسلام ينتسب اليه قال يدعى الى الاسلام حملا على معناه الى الاسلام كقوله تعالى هل لك الى ان تزكى والاستعمال هل لك في كذا لكن لما كان معناه ادعوك الى ان تزكى استعمل الى ههنا نظرا الى المعنى طيبي

اي كنت على وجه لا تعرف اباك وعلى هذا هو ذم وقيل هو مدح اي لا تحتاج الى الانتساب الى الاب لكثرة فضائلك ومفاخرك سلمه

لهم استنزلت حشمتهم وتشوقهم الى طلبها واستعلام انها ما هي وكيف نعمل حتى تحصل لنا التجارة منه فكانهم
قالوا دلنا يا ربنا عليها ما هي وكيف نعمل حتى ننجو منه فبينها الله تعالى بقوله تؤمنون الاية وفي التيسير
لما نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم لم ينزل معه ما بعده وكانوا
في شوق الى معرفته ليعملوا به فبقوا على ذلك سنة عشر شهرا ثم نزل قوله تؤمنون بالله ورسوله
وهو تفسير لتلك التجارة وجعل ذلك تجارة تشبيها له بها في الاشتمال على معنى المبادلة والمعاوضة طمعا
لنيل الفضل والزيادة فان التجارة هي معاوضة المال بالمال لطمع الربح والايمان والجهاد شبيه
لها من حيث ان فيهما بذل النفس والمال طمعا لنيل رضا الله تعالى والنجاة من عذابه قال القرطبي
وتؤمنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا ولذلك جاء يغفر لكم مجزوما على جواب الامر والمعنى
امنوا بالله ورسوله وجاهدوا باموالكم وانفسكم ويؤيده قراءة من قرا امنوا بالله ورسوله وجا
هدوا على لفظ الامر وهو ابن مسعود رض قيل وانما جيء به على لفظ الخبر للايذان لوجوب الامتثال
كانه امتثل امره فهو تعالى يخبر عن ايمان وجهاد موجودين كما تقول غفر الله له ويغفر ويؤيده ايضا قراءة
زيد بن علي رض تؤمنوا وتجاهدوا بالجزم بناء على اضمار لام الامر اي لتؤمنوا ولتجاهدوا ومحمد تفد
نفسك اي لتفد وقراءة العامة تؤمنون بثبوت نون الرفع واختلف النحاة في وجهها فقال بعضهم
هو على تقدير حذف ان اي ان تؤمنوا لانه تفسير للتجارة ومحله اما الجر على البدل من تجارة وقال الا
خفش على انه عطف بيان للتجارة كانه قيل هل ادلكم على تجارة منجية ايمان وجهاد او الرفع على انه خبر
مبتدا محذوف اي التجارة هي ان تؤمنوا فلما حذف ان ارتفع الفعل كقوله الا ايهذا الزاجري احضر
الوغى الاصل ان احضر وان اشهد اللذات هل انت مخلدي فلما حذفت ان بطل عملها ورجع الفعل
الى اصله ومن قال بهذا القول ذهب الى ان قوله تعالى يغفر لكم مجزوم على انه جواب شرط محذوف دل
عليه ما قبله اي ان تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم وقال الفراء انه مجزوم على انه جواب الاستفهام وهو
قوله هل ادلكم على تجارة فهو مثل قولك هل تاتيني اكرمك وانكر عليه وخطئ وقيل لو كان جوابه لكان
التقدير ان دللتكم على التجارة يغفر لكم ودلالته اياهم لا توجب المغفرة لهم وانما تجب المغفرة
بالقبول والايمان لان الله تعالى قد دل كثيرا على الايمان فلم يؤمنوا فلم يغفر لهم ومنهم من وجه كلامه
بانه لم يرد بالاستفهام الاستفهام عن دلالتهم على التجارة بل اراد الاستفهام الذي هذا الاستفهام
عبارة عنه بحسب المعنى وذلك ان التجارة لما كانت مفسرة بالايمان والجهاد وكانت عبارة عنهما
في الحقيقة والمعنى صار كانهما لفظ بهما في موضع التجارة بعد هل فكانه قيل هل تتجرون بالايمان
والجهاد اي هل تؤمنون وتجاهدون يغفر لكم ذنوبكم على ان يغفر جواب لهذا الاستفهام الذي هو
معنى الاستفهام الملفوظ ولم يرد انه جواب للاستفهام الملفوظ حتى يتوجه عليه التخطئة والانكار والمص

اي يؤيد كونه خبرا انه بمعنى الامر سلمه

جوز كونه جوابا للاستفهام الملفوظ نفسه باعتبار تاويله وارجاعه الى استفهام يصح كون المغفرة

جوابا له بل للاستفهام مقدر يدل عليه الكلام وهو هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم اى ان تقبلوا وتفعلوا

ما دللتكم عليه يغفر لكم وقال سيبويه ومن تبعه تؤمنون هنا ليس على حذف ان ليكون بدلا عن التجا

رة او مفسرا لها او خبر مبتدا محذوف بل هو خبر ~~مبتدا محذوف وهو~~ فى معنى الامر كما نقله القرطبى عن

المبرد والزجاج واختاره المص **قوله** ولكم الى هذه المنة اشارة الى ان اخرى صفة لمحذوف والخبر

وهو لكم وتحبونها صفة بعد صفة لذلك المحذوف **قوله** باضمار يعطكم بالجزم على انه معطوف على قوله

يغفر لكم ويدخلكم ويعطكم نعمة اخرى غير الغفران والثواب فى الآجل وتحبونها نعت لها ايضا واما

اذا كان انتصاب اخرى بفعل مضمر يفسره تحبونها المذكور على انه من باب ما اضمر عامله على شريطة

التفسير كما اشار اليه المص بقوله او تحبون فلا يكون تحبونها نعتا لاخرى لانه مفسر للعامل قبلها **قوله**

او مبتدا خبره نصر من الله على ان يكون الخبر جملة حذف مبتدؤها تقديره هى نصر والجملة خبر اخرى

قال ابو البقاء **قوله** وهو على الاول بدل قال الفراء اخرى فى موضع رفع على الابتداء والتقدير ولكم

خلة اخرى او مثوبة اخرى وهو اختيار الطبرى واستدل على هذا بقوله نصر وفتح بالرفع على البدل من

اخرى قاله المكى ومن الله نعت للنصر او متعلق به اى ابتداؤه منه **قوله** وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب

ايه قد قرئ نصرا من الله وفتحا قريبا بالنصب على البدل من اخرى واخرى منصوب بفعل مضمر كما

مر اى يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى ثم ابدل منها نصرا وفتحا قريبا او على الاختصاص بتقدير

اعنى او على المصدرية اى تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا قريبا **قوله** عطف على محذوف قال صاحب

المفتاح هو عطف على قل مرادا قبل يا ايها الذين فيكانه هو الوجه لان تؤمنوا بيان للتجارة وهذا

لا يصلح ان يكون بيانا له لان التجارة تجارة الذين امنوا والمخاطبون فى تؤمنوا وتجاهدوا هم المؤ

منون ايضا فصح ان يكون قوله تؤمنون وتجاهدون بيانا لما قبله على طريق الاستئناف فكيف يصح

عطف بشر المؤمنين عليه مع ان المخاطب به هو النبى عليه الصلوة والسلام وتبشيره لا يصلح بيانا

لتجارة الذين امنوا او من جعله معطوفا على تؤمنوا يجعل الخطاب فى قوله يا ايها الذين امنوا شاملا

للرسول عليه الصلوة والسلام ولامته فانه اكمل من آمن بالله واحكامه واولهم ايمانا فلما قال له عليه

الصلوة والسلام ولامته هل ادلكم على تجارة بين تجارتهم بالايمان بالله ورسوله وبالجهاد فى سبيله و

بين تجارته عليه الصلوة والسلام بالتبشير وهو تبليغ الرسالة فانه اربح التجارات وانفعها وبه ينال

حق ما لا ينال غيره بشئ مما ثبت لهم فصح بذلك تفسير التجارة وبيانها بالتبشير كما يصح تفسيرها

بالايمان والجهاد **قوله** قراء الحجازيان وهما نافع وابن كثير انصارا منونا لله باللام الجارة داخلة

على لفظة الله والباقون باضافته الى الجلالة الكريمة والرسم يحتمل القراءتين معا واللام يحتمل ان يكون

مزيدة

مزيدة فى المفعول لتقوية العمل لكون العامل فرعا فى العمل اذ الاصل كونوا انصار الله وان يكون غير

مزيدة ويكون الجار والمجرور نعتا لانصارا والاول اظهر واما قراءة الاضافة ففرع الاصل

المذكور ويؤيده قراءة الاضافة والاجماع عليها فى قوله نحن انصار الله ولا يتصور جريان الخلاف هنا

لانه مرسوم بالالف وقيل فى الكلام اضمار اى قل لهم يا محمد كونوا انصار الله وقيل ابتداء خطاب من

الله اى كونوا انصارا مثل كون الحواريين لعيسى انصارا او حواريين عن القرطبى ان الحواريين

خواص الرسل قال معمر وكان لمحمد لنبينا عليه الصلوة والسلام حواريين منهم طائفتهم وهم

سبعون رجلا وهم الذين تابعوه ليلة العقبة وقيل هم قريش وسماهم قتادة ابو بكر وعمر وعلى

وطلحة والزبير وسعد بن ابى وقاص وابو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن

عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم اجمعين ولم يذكر سعدا

فيهم وذكر جعفر بن ابى طالب بدله وقال مقاتل قال الله لعيسى عليه الصلوة والسلام اذا دخلت

القرية فائت النهر الذى عليه القصارون فاسالهم النصرة فاتاهم عيسى وقال من انصارى

الى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه **قوله** ليطابق الخ فان قول عيسى لا يطابق

جواب الحواريين بحسب الظاهر فان ظاهر قوله عليه الصلوة والسلام يدل على انه سال

من ينصره فكيف يطابقه جواب الحواريين بانهم ينصرون الله وايضا لا وجه لابقاء قول عيسى على

ظاهره لان النصرة لا يتعدى بالى فلذلك اوله بان حمل الانصار على الجند لانهم ينصرون ملكهم ويعينونه

فى مراده ومراده عليه الصلوة والسلام نصرة دين فسال من يتبعه ويعينه فى ذلك المراد ويشاركه

فيه فمعنى من انصارى الى الله من جندى متوجها الى نصرة دين الله على ان متوجها حال من ياء المتكلم

فى جندى وكلمة الى متعلقة به لا بالنصرة وبهذا التوجيه يحصل التطابق بين القولين لان محصول

قول عيسى عليه الصلوة والسلام طلب من ينصر دين الله فاجابوا بانا نلتزم ذلك وننصر دينه ونعين

رسوله والاضافة فى انصارى معنوية حيث لم يضف اسم الفاعل الى معموله لان فاعل انصارى

ضمير يرجع الى من ومفعوله دين الله واضافة انصار الله لفظية **قوله** اذ المراد قل لهم كما قال

فالكاف منصوب المحل على انه نعت لمصدر محذوف اى قل لهم قولا مثل قول عيسى للحواريين وكذا على

تقدير ان يكون الكلام ابتداء خطاب من الله للمؤمنين فان المعنى ح انصروا دين الله نصرا مثل نصر

الحواريين عيسى بن مريم **قوله** وذلك بعد رفع عيسى قيل لما رفع تفرق قومه ثلث فرق فرقة قالوا

كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه الله

اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان حتى

بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله فايدنا الذين امنوا

على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اى عالين غالبين من قولك ظهرت على الحائط اذا علوت عليه وظاهرين خبر
اصبح بمعنى صاروا وقال زيد بن علي وقتادة فاصبحوا ظاهرين بالحجة والبرهان لانهم قالوا فيما روي الستم
تعلمون ان عيسى كان ينام والله تعالى لا ينام وانه كان ياكل ويشرب والله تعالى منزه عن ذلك سورة
الجمعة مدنية بسم الله الرحمن الرحيم والجمهور على جر الملك
وما بعده على انها صفات لاسم الله تعالى وقرئ بالرفع في الجميع على القطع والاستيناف قال ابن عباس رض
الاميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لانهم لم يكونوا اهل كتاب وقيل الاميون الذين لا يكتبون
وقريش كانت كذلك وقيل الامي منسوب الى امة العرب وقيل الى الام اى كما ولدته امه فهم الذين بقوا
على ما خلقوا عليه لم يقرؤوا ولم يكتبوا قوله والشريعة وهي ما شرعه الله تعالى لعباده من الاحكام المبينة
في القران ومعالم الدين الدلائل التي يستدل بها على القواعد الدينية سواء تعلقت بالاعتقاد او العمل
جمع المعلم الاثر يستدل به على الطريق وفي التيسير والحكمة اى ويعلمهم مع ذلك ما شرعه لهم مما لم يذكره
في كتابه وقيل يعلمهم وجه الاستنباط قوله وان هى فان المبعوث فيهم اذا كانوا في ضلال قبل
البعثة زال توهم انه تعلم ذلك من احد منهم واحتج اهل الكتاب بقوله تعالى بعث في الاميين رسولا منهم
على انه عليه الصلوة والسلام كان رسولا الى الاميين وهم العرب خاصة وهو ضعيف لان تخصيص
الشيء بالذكر لا يستلزم نفي ما عداه فان قوله تعالى ولا تخطه بيمينك لا يفهم منه انه يخطه بشماله مع انه صرح
بقوله كافة للناس على انه عليه الصلوة والسلام كان رسولا الى الكل قوله وان هي المخففة من الثقيلة
واسمها مضمر وهو ضمير الشان او الامر واللام في لفي ضلال هى الفارقة بينها وبين النافية قوله
عطف على الاميين او المنصوب فعلى الاول يكون اخرين مجرورا على معنى وبعث في اخرين من الاميين وعلى
الثاني يكون منصوبا اى ويعلم اخرين لما يلحقوا بهم اى لم يكونوا في زمانهم وهو صفة الاخرين بعد وصفه
بقوله منهم ومن فيه للتبيين روى عن سهل بن سعد الساعدي رض ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال رايتني
اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا رسول الله اما السود فالعرب واما
العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي عليه الصلوة والسلام كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام
وفي الصحاح شاة عفراء يعلو بياضها حمرة ويجمع على عفر مثل سوداء وسود والاسفار جمع سفر
بكسر السين وهو الكتاب كشبر واشبار قال الفراء الاسفار الكتب العظام سميت اسفارا لانها تكشف
عما فيها من المعاني اذا قرئت يقال سفرت المراة اذا كشفت عن وجهها قيل الحمار لا يدري اسفر على ظهره
ام زبل فكذلك اليهود الزبل بالكسر السرجين وموضعه مزبلة وفي هذا تنبيه من الله تعالى انه ينبغي لمن حمل
الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ويعمل به لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء قوله ويحمل حال من
الحمار اى حاملا اسفارا وجاز ان يكون في موضع الجر على انه صفة للحمار لان اللام فيه للعهد الذهني كما في

وهو صفة مشبهة تفيد الثبات اى يملك كل شيء ولا يزول عنه ملكه منه

واخرين مجرور عطف على الاميين الذين يعني انه تعالى بعث في الاميين الذين على عهده وفي اخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رض وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان رض ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناولته رجال من هؤلاء وقيل هم الذين ياتون من بعدهم الى يوم القيمة ويجوز ان ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم اى يعلمهم ويعلم اخرين لان التعليم اذا تناسق الى اخر الزمان كان كله مستندا الى اوله وكانه هو الذي تولى كل ما وجد منه كشاف

في اللئيم في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني قوله اى مثل الذين كذبوا اشارة الى ان قوله تعالى الذين هو
المخصوص بالذم بتقدير المضاف ومثل القوم فاعل بئس لكونه مضافا الى المعرف بلام الجنس واحتاج
الى تقدير المضاف لما تقرر من انه يجب في باب نعم وبئس من اتحاد الفاعل والمخصوص بالمدح والذم
بالذات ولا اتحاد ههنا بين مثل القوم وبين من عبر عنهم بالذين كذبوا الا بتقدير المضاف وان كان الذين
صفة القوم يكون التقدير بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء وهو المثل الذي ضربه الله تعالى لهم قوله اذ كانوا
يقولون نحن اولياء الله واحباؤه ذكر انهم قالوا للعرب نحن اهل الكتاب وانتم اميون لا كتاب لكم و
نحن ابناء الله واحباؤه وانتم رعاة الابل لنا السبت ولا سبت لكم فرد الله تعالى عليهم هذه الاشياء
في هذه السورة الكريمة بعد ما نزه نفسه عما قالوا فيه من قولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله بقوله يسبح
لله الاية وذب عن العرب ما قالوا فيهم بقوله هو الذي بعث في الاميين وامر نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يجيب عن افترائهم وافتخارهم بادعاء انهم اولياء الله واحباؤه من دون الاميين وغيرهم ممن ليس
من بني اسرائيل بان يقول لهم ان كنتم تزعمون ذلك فادعوا الله تعالى ان يميتكم كما روي عن ابن عباس رض
انه قال فتمنوا اى قولوا اللهم امتنا فان لاولياء عند الله كرامة ومنزلة لا يصلون اليها الا بالموت فتمنوا ذلك
لتصلوا اليها ان كنتم صادقين في دعويكم انكم اولياء الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اى بما اسلفوه
من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم مع انهم وجدوا نعته وصفته في التورية فلو تمنوه لماتوا في ساعتهم فكان
في ذلك بطلان قولهم في ادعائهم الولاية قال عليه الصلوة والسلام لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده
لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الا مات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم قوله
والفاء لتضمن الموت معنى الشرط باعتبار الوصف اى باعتبار كون الموصوف بالموصول في حكم الموصول فكما
ان المبتدا اذا كان اسما موصولا صلته فعل او ظرف جاز دخول الفاء في خبره فكذا اذا كان موصوفا بالموصول
المذكور جاز ذلك ايضا لتضمنه معنى الشرط والجزاء ايضا اى ان فررتم منه فانه ملاقيكم فيكون مبالغة في الدلالة
على انه لا ينفع الفرار منه من حيث ان الفرار عن الشيء سبب الفوت عنه عادة فاذا قيل ان الفرار سبب
الملاقاة كان ذلك مبالغة في عدم الفوت منه قوله وقد قرئ بغير فاء اى ففي انه ملاقيكم بغير فاء اما
على انه كلام مستانف وح يكون الخبر نفس الموصول كانه قيل ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استونف
وقيل انه ملاقيكم واما على انه هو الخبر وح يكون الموصول نعتا للموت ثم انه تعالى رد طعنهم الثالث وهو
قولهم لنا السبت ولا سبت لكم بقوله يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلوة الاية حيث هدى الله المسلمين
بهذه الاية الى ما هو سيد الايام وخيرها والجمهور على ضم ميم الجمعة وقرئ باسكانها والضم هو الاصل و
الاسكان تخفيف وكلاهما مصدر بمعنى الاجتماع وقيل المسكن بمعنى المجتمع فيه مثل رجل ضحكة اى يضحك
منه كثيرا وقال مكي فيه لغة ثالثة وهي فتح الميم على نسبة الفعل اليها كانها تجمع الناس كما يقال رجل لعنة

انهم اهل كتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل اسفارا منه

جواب عما يقال ما وجه تعليق ملاقاة الموت على فرارهم منه مع انه ات ملاقيهم فروا منه او لم يفروا والجواب انه كقولك الذي ياتيني فله درهم فانه في قوة قولك ان اتاني انسان فله درهم وكون الاتيان شرطا للاستحقاق معقول منه

اذا كان يلعب الناس ومن في قوله من يوم الجمعة ذكر لها اوجه احدها انها صلة اى اذا نودى يوم الجمعة
والثانى انها بمعنى فى اى فى يوم الجمعة كما فى قوله ارونى ماذا خلقوا من الارض اى فى الارض والثالث الحكى
عن الامام انه قال اذا نودى للصلوة اى لوقت الصلوة بدليل قوله من يوم الجمعة ولا تكون الصلوة
من اليوم وانما يكون وقتها من اليوم والرابع ما قاله الزمخشرى من انه بيان لاذا وتفسير له واورد عليه
بانه يقتضى ان يكون اذا عبارة عن مجموع يوم الجمعة وليس كذلك بل هو عبارة عن بعضه وهو وقت
صلوة الجمعة وجوابه ظاهر لان كون اليوم ظرفا للنداء لا يستلزم الا وقوع النداء فى جزء منه لا وقوعه
فى جميع اجزائه فلا محذور روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما سميت الجمعة جمعة لان الله
جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمع فيه جميع المخلوقات وقيل
لاجتماع الجماعات فيه وقيل لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سمى الجمعة جمعة كعب بن لؤى
سماها بها لاجتماع قريش فيها اليه وكان يقال له قبل ذلك يوم العروبة وقيل اول من سماها جمعة الانصار
قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل آية الجمعة و
هم الذين سموها الجمعة وذلك انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه فى كل سبعة ايام وهو السبت و
للنصارى مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلى ونتعظ بقول من يذكرنا فقالوا
فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن
زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة ثم انزل الله تعالى فى ذلك بعد حين فاجتمعوا
ذبح لهم اسعد شاة فتغدوا وتعشوا منها لقلتهم فهذه اول جمعة فى الاسلام وروى انهم كانوا اثنى
عشر رجلا وعن الزهرى ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها
النبى صلى الله عليه وسلم وقال البيهقى يحتمل ان مصعبا جمع بهم بمعونة اسعد بن زرارة فاضافه كعب اليه
كما روى عن كعب انه اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم على اسعد بن زرارة فقيل له فى ذلك فقال لانه
اول من جمع بنا قبل نزول سورة الجمعة فقيل له كم كنتم يومئذ قال اربعين واما اول جمعة جمعها النبى
صلى الله عليه وسلم باصحابه فقال اهل السير قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقبا يوم
الاثنين لاثنى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين امتد الضحى ومن تلك السنة يعد التاريخ
الاسلامى فاقام بها الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته صلوة الجمعة فى بنى
سالم بن عوف فى بطن واد لهم قد اتخذ القوم فى ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهى اول خطبة
خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله واستعينه واستغفره واستهديه وااومن به ولا اكفره واعادى
من يكفره واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى
ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس و

وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن
يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه ما اوصى به المسلم المسلم
ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن
عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما يبتغوه من الاخرة ومن يصلح الذى بينه وبين
الله من امره فى السر والعلانية لا ينوى به الا وجه الله يكن له ذكرا فى عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت
حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه
والله رؤوف بالعباد وهو الذى صدق قوله وانجز وعده ولا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى
وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله فى عاجل امركم وآجله فى السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه
سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقى مقته وتوقى عقوبته
وتوقى سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا فى
جنب الله فقد علمكم فى كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن
الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حى عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد الموت فانه
من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضى على الناس ولا يقضون
عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم **قوله** يا ايها الذين
امنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فيه تعريض لليهود بانهم ما وفقوا لما
سعد به المؤمنون من اصابة ما هو سيد الايام وخير ما طلعت عليه الشمس من الايام ويوم المزيد الذى
يزيد خيره وبركته للعاملين فيه وقد ورد فى الحديث هذا يومهم الذى فرض عليهم يعنى يوم الجمعة
فاختلفوا فيه فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى
وعنه صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه
اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى فى كل
جمعة ستمائة الف عتيق من النار **قوله** فقصر انتصب على المصدر اى اسراعا وسطا دون
العدو وفى التيسير لم يرد بالسعى الاسراع لقوله عليه الصلوة والسلام اذا خرجت يوم الجمعة فامش
على هينتك ولقوله عليه الصلوة والسلام اذا اتيتم الصلوة فأتوها وانتم تمشون ولا تأتوها وانتم تسعون
وقال الحسن اما والله ما هو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلوة الا وعليهم السكينة والوقار
ولكن بالقلوب والنيات والخشوع والابتكار فانه سعى ومسارعة الى المغفرة ولقد ذكر
الزمخشرى فى الابتكار قولا وافيا حيث قال وكانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر

[illegible]

وعن كعب رضى ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه الصلوة والسلام من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد وبايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم كانت الطرقات فى ايام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج كشاف

مفتحة ابواب الصلوة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور
الى الجمعة قال محيي السنة وليس المراد من السعي الاسراع وانما المراد منه العمل والفعل والمعنى فامضوا اليه
واعملوا له او واعملوا المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والتنظيف والاستياك والتوجه اليه
وكان عمر بن الخطاب رض يقرأ فامضوا الى ذكر الله كيلا يظن ان المراد من السعي الاسراع في المشي وقرأه
ابن مسعود رض كذلك وقال لو قرأت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وليست هذه القراءة القران
المنزل بل هي تفسير منهم لمعناه وجائز قراءة القران بالتفسير في موضع التفسير وقال الفراء وابو عبيدة معنى
السعي في الاية المضي وقال الفراء ايضا السعي والمضي والذهاب واحد والنهي عن البيع يتضمن النهي عن الشراء
لانهما متضايفان متكافئان عقلا ووجودا فلذلك اكتفى بذكر احدهما عن الاخر **قوله** اطلاق لما حظر
عليهم اي اباحة ما حرم عليهم من المعاملة والمبايعة فان الامر قد يكون للاباحة كما في قوله تعالى فاذا حللتم
فاصطادوا فانه اباحة لما حرم بقوله لا تقتلوا الصيد وانتم حرم **قوله** واذكروه في مجامع احوالكم قال
سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاعه فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر
بهذا المعنى يتحقق في جميع الاحوال قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذي امر بالسعي
اليه ولا هو ذكر خاص لا يجامع التجارة اصلا اذ المراد منه الخطبة والصلوة امر به اولا ثم قال اذا فرغتم
منه فلا تتركوا طاعة في جميع ما تأتونه وتذرونه **قوله** فخرج الناس اليهم الا اثني عشر ذكر ابو داود
ود ان السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك استماع الخطبة وقد كانوا اخليق لفضلهم ان لا يفعلوه
ما روي عن مقاتل بن حيان انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل
العيدين الى ان اتفق انه عليه الصلوة والسلام صلى الجمعة بالناس على عادته ثم صعد المنبر فشرع
في الخطبة وهو قائم اذ دخل المدينة رجل يقال له دحية بن خليفة الكلبي قدم بتجارته من الشام و
كان بالمدينة مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه من بر ودقيق وغيرهما وكان دحية
اذا قدم تلقاه اهله بالدفوف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك استماع الخطبة شيء
فانزل الله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما فقدم النبي عليه الصلوة والسلام الخطبة
على صلوة الجمعة بعد ذلك وقيل كانت هذه الواقعة قبل ان يسلم دحية **قوله** وافراد التجارة برد الكناية
يعني انه اعيد الضمير على التجارة دون اللهو مع تقدم ذكرهما معا لكونها اصلا مقصودا في نفرتهم واللهو كان
متفرعا عليها وليس اللهو مقصودا او مقتضيا للتجارة وظاهر قوله وافراد التجارة يشعر بانه جواب
لما يقال كيف قال اليها ولم يقل اليهما وقد ذكر شيئين ولا اتجاه له لان المعطوف باو لا يثنى معه الضمير
ولا الخبر ولا الحال ولا الوصف لانها لاحد الشيئين فلذلك اول قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما ومن قصد بن لجوابه تحقه ان يقول وحد الضمير لان العطف باو لا يثنى معه الضمير وان

وان عاد السائل وقال لم عينت التجارة بارجاع الضمير اليها وقد ذكر احد الشيئين من غير
تعيين فالمناسب ارجاعه الى احدهما من غير تعيين كذلك او قال لم عينت به ولم يجعل الضمير
راجعا الى اللهو مع ان ارجاعه الى كل واحد منهما جائز نص الاخفش على جوازه سماعا من
العرب نحو اذا جاءك زيد وهند فاكرمه وان شئت فاكرمها يجاب بان افراد التجارة الى تعيينها
برد الكناية لانها المقصود او للدلالة على ان الانفضاض اليها اذا كان مذموما كان الانفضاض
الى اللهو اولى بذلك او لما قيل من ان الكلام مشتمل على الحذف والتقدير وان قوله انفضوا اليها
جواب لقوله اذا رأوا تجارة واو في قوله او لهوا بمعنى الواو والتقدير واذا رأوا لهوا انفضوا
اليه حذف الثاني لدلالة الاول عليه روى محيي السنة عن الزهري عن السائب بن يزيد قال
كان النداء يوم الجمعة اولا اذا جلس الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر و
عمر رض فلما كان عثمان رض وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء اسم دار عثمان
رض وقيل موضع مرتفع في سوق المدينة قوله زاد النداء الثالث يدل على انه كان في عهد
من قبله نداءين وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يؤذن مؤذن
واحد على باب المسجد فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رض على ذلك فيكون ما زاده
عثمان رض من التاذين على داره التي تسمى زوراء نداء ثانيا لا ثالثا الا ان السائب سماه
ثالثا وجعل ما كان في عهد من قبله نداءين نظرا الى الاقامة فانه قد يطلق عليها الاذان كما في
قوله عليه الصلوة والسلام بين كل اذانين صلوة لمن شاء يعني الاذان والاقامة وبهذا الاعتبار
يكون ما كان على الزوراء ثالثا محدثا في زمن عثمان رض ليتأهب الناس لحضور الخطبة عند
اتساع المدينة وكثرة اهلها **سورة المنافقين مدنية** بسم الله الرحمن الرحيم
قوله ولذلك صدق المشهود به لكونه مطابقا للواقع وكذبهم في الشهادة لانه الخبر الكاذب
الذي لا يطابق الواقع وهو ما تضمنه قولهم نشهد وهو ادعاؤهم ان هذه الشهادة اخبار
وافق فيه اللسان القلب وان حكمه موافق لاعتقادنا والتكذيب يرجع الى هذا الخبر الضمني لا الى
نفس نشهد انشاء للشهادة فان الشهادة وان كانت تقع على الحق والزور الا ان اطلاقها على
الزور مجاز كاطلاق البيع على الفاسد لانها انما وضعت للاخبار الذي طابق فيه اللسان
اعتقاد القلب فلما قالوا نشهد تضمن ذلك ادعاء المواطأة لان اللفظ موضوع للاخبار الموا
طيء فكأنهم قالوا نخبر اخبارا طابق حكمه ما اعتقدناه بقلوبنا ولا شك ان هذا الخبر الضمني لا يطا
بق حكمه للواقع **قوله** حلفهم الكاذب اشارة الى ان قوله تعالى اتخذوا لا يرجع الى قوله نشهد انك
الاية وانما يرجع الى انهم قالوا قولا باطلا ثم حلفوا كاذبا انهم ما قالوا وقد قالوا ذلك فنزلت الاية

اظهار الحالهم وبيانا للسبب في تكاهم الايمان الكاذبة روى البخاري عن زيد بن ارقم رض قال كنت
مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي بن سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول حتى ينفضوا وقال ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
رسول الله الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله وكذبني فاصابني هم لم
يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله تعالى اذا جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال ان الله تعالى قد صدقك يا زيد فالمراد بالايمان التي اتخذوها جنة هي حلفهم بانهم ما قالوا اذ كلما
اطلع على شيء من نفاقهم حلفوا انهم ما قالوه فستروا به كما يستتر بالجنة وهو كقوله تعالى يحلفون لكم
لترضوا عنهم يحلفون بالله ما قالوا فهو جنة لما يضمرونه ذكره وقال الضحاك هي حلفهم بالله انهم لمنكم وما هم
من المسلمين قال القرطبي من قال اقسم بالله او اشهد بالله او اعزم بالله او احلف بالله او اقسمت او
شهدت او عزمت او حلفت وقال في كل ذلك كلمة بالله فلا خلاف انها يمين وكذلك عند مالك واصحابه ان
قال اقسم او اشهد او اعزم او احلف ولم يقل بالله اذا اراد بالله وان لم يرد فليس بيمين وقال ابو حنيفة و
اصحابه رح لو قال اشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال اشهد لقد كان كذا دون النية كان يمينا ايضا
لهذه الاية لان الله تعالى ذكر عنهم الشهادة ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وعند الشافعي رح لا يكون ذلك يمينا
وان نوى اليمين لان قوله تعالى اتخذوا ايمانهم ليس يرجع الى قوله قالوا نشهد وانما يرجع الى ما اخبر الله تعالى
عنهم في سورة براءة بقوله يحلفون بالله ما قالوا انتهى فقول المص حلفهم الكاذب اشارة الى قول الشافعي
رح وما بعده الى قول ابي حنيفة رح **قوله** صدا مصدر صده عن الامر اي منعه وصرفه عنه وقوله صدودا
مصدر صد عنه بمعنى اعرض عنه فانهم اعرضوا عن سبيل الله ومنعوا الناس عن الدخول فيه وما في
قوله تعالى ساء ما كانوا يعملون يجوز ان تكون موصولة في موضع رفع ساء وما بعدها صلتها والعائد محذوف اي
ساء الشيء الذي كانوا يعملونه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وان تكون موصوفة في موضع
نصب اي ساء شيئا وما بعدها صفتها والعائد ايضا محذوف من الصفة وحذفها من الصلة احسن من
حذفه من الصفة وان تكون مصدرية في موضع رفع لساء ولا حذف على هذا اي حذف العائد اي بئس
العمل عملهم وهو النفاق قراءة العامة فطبع مبنيا للمفعول والقائم مقام الفاعل الجار بعده وقرئ فطبع
مبنيا للفاعل وفي الفاعل وجهان احدهما انه ضمير عائد على الله ويدل عليه قراءة الاعمش فطبع الله مصرحا
بالجلالة فان قيل اذا كان الطبع مستندا اليه تعالى كان ذلك حجة لهم على الله تعالى حيث يقولون اعراضنا عن الحق
لغفلتنا عنه وغفلتنا بسبب انه تعالى طبع على قلوبنا فاجاب عنه الامام بان هذا الطبع من الله تعالى بسوء
افعالهم وقصدهم الاعراض عن الحق فكانه تعالى تركهم وانفسهم الجاهلية وغوايتهم الباطلة
دنا

وثانيهما ان الفاعل ضمير يعود على المصدر المفهوم مما قبله اي فطبع هو اي تلعابهم بالدين **قوله** في كونهم اشبا
حا خالية عن العلم والنظر هذا هو الوصف الجامع بينهم وبين ذوات الخشب من حيث انها خشب مع
قطع النظر عن اتصافها بكونها مسندة الى الحائط ونحوه واما الجامع بينهم وبين الخشب المسندة فهو انهم
مع كونهم اشباحا بلا ارواح واجساما بلا احلام كالاخشاب الجسيمة لا ينتفع بشيء من منافع الاجسام
كالخشب المسندة فان الخشب اذا انتفع به كان في سقف او جدار او غيرهما من مظان الانتفاع وما دام
متروكا فارغا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع وقيل شبهوا بالخشب المسندة
الى الحائط لان الخشب المسندة احد طرفيها الى جهة والاخر الى جهة اخرى والمنافق كذلك لان احد
طرفيه وهو الباطن الى اهل الكفر والطرف الاخر وهو الظاهر الى جهة اهل الاسلام والاسناد الامالة
تقول اسندت الشيء اذا املته ومسندة للتكثير فان التسنيد تكثير الاسناد بكثرة المحال اي كانها استند
الى مواضع **قوله** وقيل الخشب جمع خشباء فيه ان فعلاء الصفة لا يجمع على فعل بضمتين بل على فعل بضمة
وسكون كحمراء وحمر ومن قراء بضمتين جعله جمع خشبة كثمرة وثمر ومن قراء بضمة وسكون جعله
جمع خشب كاسد واسد وخشبة كبدنة وبدن او خشباء كحمراء وحمر او جعل خشبا تخفيف
خشب بضمتين **قوله** نخرة جوفها اي فسد وفي بعض النسخ نخر اي بلي وتفتت والمخبر خلاف المنظر
والمرآى **قوله** يحسبون كل صيحة عليهم يحسبون في موضع الحال من الضمير المنصوب في كانهم والعامل
فيها معنى التشبيه ويجوز ان يكون مستانفا وكل صيحة مفعول اول ليحسبون وعليهم المفعول الثاني اي يحسبون
كل صيحة انها مصاح بها عليهم وضارة بهم وتم الكلام هنا ثم استانف الله تعالى خطاب نبيه عليه الصلوة
والسلام وقال هم العدو اي الكاملون في العداوة لان اعدى الاعداء العدو الذي يداريك ويتبسم في
وجهك وصدره مملو حقدا وعداوة ويجوز ان يكون عليهم متعلقا بصيحة وجملة هم العدو في موضع
المفعول الثاني ليحسبون كما اذا طرح لفظة هم وقيل يحسبون كل صيحة عليهم العدو والمص جعل
عليهم صلة يحسبون باعتبار كونه صلة المفعول الاول وجمعه بالنظر الى الخبر يعني ان الظاهر ان
يقال هو العدو نظرا الى لفظ كل او هي العدو نظرا الى كونه عبارة عن الصيحة الا انه جمع الضمير نظرا الى
الخبر فان المراد بالعدو جميع ما يصاح به عليهم ولفظ العدو لكونه بزنة المصادر يقع على الواحد
وما فوقه كما في قوله تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء ونظيره قوله تعالى هذا ربي فان الاشارة بقوله هذا
الى الشمس فينبغي ان يقال هذه الا انه ذكر المبتدا نظرا الى الخبر **قوله** فاحذرهم اي فاحذر ان
تثق بقولهم وتميل الى كلامهم او فاحذر ممايلتهم لاعدائك وتخذيلهم اصحابك فانهم يفشون سرك للكفار
قاتلهم الله قال ابن عباس رض اي لعنهم الله وقيل هي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره
فيضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله احله محل من قاتله عدو قاهر لكل معاند يستغفر لكم

اراد ان تقدير الكلام يحسبون كل صيحة عليهم حذف عليهم ... الصيحة

وروي انه قال الشيخ لم تفعل ذلك ولو سوله بالحق لاضربن عنقك فقال وبحكم افاعلات قال نعم فلما راى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قال له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فنزلت فاذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم الآية ك ش ى

رسول الله اعمال الثاني لان تعالوا يطلب رسول الله المجرور بالى اي تعالوا الى رسول الله ويستغفر
يطلب فاعلا فاعمل الثاني ولذلك رفعه وحذف من الاول اذ التقدير تعالوا اليه ويجوز ان لا يكون من
باب التنازع لان قوله تعالوا امر بالاقبال من حيث هو مع قطع النظر عن تعلقه بالمقبل عليه لما نزل
القرآن لبيان نفاقهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله من النفاق
واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رؤسهم اي اما لوها واعرضوا يقال لوى الرجل رأسه اي اماله واعرض و
قرأ نافع لووا بالتخفيف على اصل الفعل والباقون بالتشديد للتكثير لكثرة الممالة وهي الرؤس قوله سواء
عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم اي كان ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم والجمهور
على فتح همزة استغفرت من غير مد وهي همزة استفهام وهمزة الوصل محذوفة لعدم اللبس وقرأ يزيد بن
القعقاع بالف الوصل دون همزة الاستفهام على الخبر وجعل همزة الاستفهام مرادة ولكنه حذفها في اللفظ
لان ام المعادلة تدل عليها وعنه ايضا آستغفرت لهم بالمد على انه اشبع همزة الاستفهام للاظهار والبيان
لا انه قلب همزة الوصل الفا كما يفعل بالتي مع لام التعريف في نحو آلسحر وآلله اذن لكم لان اثبات همزة الوصل
غير التي تصحب لام التعريف مع همزة الاستفهام غير مستعمل عند اهل العربية وذلك لان حق همزة الوصل ان
تسقط في الدرج ولم تسقط ما يصحب منها لام التعريف بل قلبت الفا في نحو آلسحر لانها مفتوحة كهمزة الا
ستفهام فلو حذفت لالتبس الاستفهام بالخبر وهمزة الوصل في نحو استغفرت مكسورة فلو حذفت مع همزة
الاستفهام عملا بالقياس لم يلزم التباس الاستفهام بالخبر فحذفت ولم تقلب الفا قوله روي ان اعرابيا
نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء واسم الاعرابي جهجاه بن سعيد الغفاري وكان اجير عمر بن
الخطاب رضي يقود فرسه واسم الانصاري سنان بن وبر الجهني وكانت منازعتهما على ماء يقال له المريسيع
من مياه بني المصطلق وهم حي من خزاعة بين مكة والمدينة وغزوة بني المصطلق كانت قبل غزوة الخندق
وبعد دومة الجندل وهي حصن على خمسة عشر ليلة من المدينة ومن الكوفة على عشر مراحل والمفهوم
من تقرير صاحب التيسير ان سورة المنافقين نزلت قبل ان بلغ النبي عليه الصلوة والسلام المدينة راجعا
من تلك الغزوة وقال صاحب المعالم فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد بن ارقم رضي جلست
في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله تعالى سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله وقال
ايضا لما اراد عبد الله بن ابي ان يدخل المدينة جاء ابنه عبد الله بن عبد الله فقال وراءك قال مالك ويلك
قال لا والله لا تدخلها ابدا الا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبد
الله الى رسول الله ما صنع ابنه فارسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال اما اذا جاء امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات وروي انه مات بعد القفول
من غزوة تبوك كما ذكره الزمخشري في سورة براءة وروي انه لما مات استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم
والبسه

بالمهاجرين واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وانت هناك قال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولاوشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم رضي فقال انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي دعني يا رسول الله اضرب عنق المنافق فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فامر به انصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلوة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك ان زيدا الكاذب فهو قوله اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك
ك ش ى

والبسه قميصه فنزل قوله تعالى لن يغفر الله قرأ العامة ليخرجن بضم الياء وكسر الراء مسندا الى
الاعز والاذل مفعوله وقرئ ليخرجن الاعز بفتح الياء وضم الراء ورفع الاعز فاعلا ونصب الاذل
على المصدرية بناء على ان الاصل خروج الاذل فلما حذف المصدر اقيم المضاف مقامه واعرب
باعرابه او على الحالية بتقدير المضاف ايضا اي مثل الاذل وجوز ابو البقاء ان يكون منصوبا
على المفعول به وناصبه حال محذوفة اي مشبها الاذل وقرئ ليخرجن الاعز بضم الياء وفتح الراء مبنيا
للمفعول ورفع الاعز قائما مقام الفاعل ونصب الاذل مصدرا اي اخراج الاذل او حالا اي مثل الا
ذل وقرئ لنخرجن بضم نون العظمة وكسر الراء ونصب الاعز على انه مفعول به ونصب الاذل على
المصدرية اي اخراج الاذل او الحال اي مثل الاذل ولنخرجن جواب قسم محذوف واغنى جواب القسم عن
جواب الشرط لما ذكر الله تعالى شح المنافقين باموالهم واشتغالهم بها عن صرفها الى ما يقتضيه
ذكر الله من طاعته فيما امروا به ونهوا عنه بان حكى عنهم قولهم لا تنفقوا على من عند رسول الله
وذكر ايضا تعززهم باولادهم وعشائرهم واشتغالهم بهم من كونهم انصار دين الله واعوان رسول الله
والتعاون البر والتقوى كما يقتضيه ذكر الله وذكر فضله العظيم لاوليائه وعذابه الاليم لاعدائه
حيث حكى قولهم ليخرجن الاعز منها الاذل نهى المؤمنين وحذرهم عن اخلاق المنافقين بقوله يا ايها
الذين آمنوا لا تلهكم الآية اي لا تشتغلوا بانفسها عن التوسل بها الى مرضاة ربكم وحسن ثوابه قوله
والمراد نهيهم عن اللهو بها اي عن الاشتغال بها في الصحاح لهيت عن الشيء بالكسر الهى لهيا و
لهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه اي شغله ولهوت الشيء بالفتح الهو لهوا اذا
لعبت به انتهى فعلى هذا الظاهر ان يقال والمراد نهيهم عن اللهي بها اي عن ترك ذكر الله بسبب الاشتغال
بها لان المقام يقتضي ان يذكر ما هو مطاوع لقوله لا تلهكم وهو قوله لا تلهوا اي لا تتركوا ذكر الله و
لا تعرضوا عنه لا قولنا لا تلهوا بضم الهاء بمعنى لا تلعبوا فان قوله لا تلهكم لا يدل على هذا المعنى بوجه ما
فضلا عن ان يكون في دلالته عليه مبالغة بخلاف دلالته على المعنى الاول فان القول المذكور يدل عليه كناية
والكناية ابلغ من التصريح ووجه كونه كناية ان كون الاموال والاولاد ملهية اياهم لازم لكونهم لاهين
تاركين لانهم لو لم يتركوه لما صيرا هم تاركين فيكون الانتقال من لا تلهكم الى معنى قولنا لا تلهوا انتقالا من
اللازم الى الملزوم فيكون كناية كما في قولك لا اريتك ههنا تريد به لا تحضرن هنا وهذا وجه قوله وتو
جه اليها للمبالغة قوله وهو الشغل اي الاشتغال بها عن ذكر الله فان الشغل اذا عدي بالباء يكون
بمعنى التعلق واذا عدي بعن يكون بمعنى الاعراض يقال شغلت فلانا بكذا وعن وانا شاغل ولا يقال
اشغلته فانها لغة رديئة وفي الشغل اربع لغات شغل وشغل بضم وسكون وبضمتين وشغل وشغل
بفتح وسكون وبفتحتين قوله فاصدق مضارع منصوب بان مضمرة بعد الفاء في جواب التمني في قوله لولا

اخرتني ومن قرا واكون بالواو وفتح النون عطفه على لفظ اصدق ومن قراءه بالجزم عطفه على
موضعه لانه في موضع الجزم على انه جواب شرط مقدر اذ التقدير ان اخرتني اصدق واكن
على وانا اكون لم يرد ان في الكلام مبتدا محذوفا وانما اراد ان الواو في واكون للاستيناف وانه كلام
مبتدا فصور الكلام بصورة الاسمية لانها اظهر في الاستيناف قوله ليوافق ما قبله في الغيبة
وهو من اتاه الموت فتمنى الامهال قوله ولن يوخر الله نفسا لان النفس وان كان واحدا في
اللفظ الا ان كونه نكرة في سياق النفي في معنى الجمع فلذلك اعيد عليها ضمير الجمع في تعملون ومن قرا بتاء
الخطاب نظر الى قوله لا تلهكم وانفقوا مما رزقناكم

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو تفاعل من الغبن وهو ان تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الاخفاء
قوله للدلالة على الاختصاص لعله على تاكيد الاختصاص وازاحة الشبهة بالكلية فان اللام مشعر
باصل الاختصاص قدم او اخر واختصاص الملك به حقيقة ظاهر لانه مبدئ كل شيء ومبدعه
ومالكه فيه بمشيته وارادته يتصرف فيه كيف يشاء وكذا اختصاص الحمد به لان اصول النعم وفروعها
انما هي بخلقه وايجاده ورشحة من بحر جوده واحسانه ولولا انه انعم بها على عباده لما قدر احد ببذل
جناح بعوضة ولا ما هو احقر منه والفاء في قوله فمنكم كافر تفصيلية جي بها لبيان ما اجمل في قوله
خلقكم قال القرطبي قال علماؤنا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري على حسب ما علم واراد وحكم وقد
يريد ايمان شخص في عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وعن ابن عباس رض قال ان
الله تعالى خلق بني آدم مؤمنا وكافرا ويعيدهم في القيمة مؤمنا وكافرا وعن ابي بن كعب رض قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا قوله حتى
لا يمسخ بالخاء المعجمة تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها قوله فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا فنبه
لما تقدم من علمه تعالى بما في السموات والارض وبما يصدر من بني ادم سرا وعلنا وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون
في الصدور وفي نظم الاية ترق من الاظهر الى الخفي وتنبيه على انه لا يخفى عليه شيء البتة كما قال لا يعزب عن علمه
مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وهذه السورة الى هنا واردة لبيان عظمة الله في ملكه وملكوته بتقديم اولا
ان كل شيء ينزهه ويقدسه عما لا يليق بجلاله ثم خص له صفة المالكية على الاطلاق وخص له ايضا كل كمال وجمال
ونعمة وافضال ثم وصف ذاته الكريمة بالقدرة على كل شيء وقدرها بما يدل عليها من الدلائل في الانفس والافاق
وذيل الاستدلال المذكور ببيان انه مصير العباد ومجازيهم حسبما عملوا كانه جعل اثبات القدرة دليلا على
البعث والجزاء ولما كان الجزاء متوقفا على شمول علمه وكونه بحيث لا يعزب عن علمه شيء من احوال الخلائق
وصف نفسه بالعلم المحيط ثم شرع في تهديد الكفار بقوله الم ياتكم الاية قوله فذاقوا عطف على كفروا اي فذوقوا
بسبب كفرهم قوله والبشر يطلق للواحد والجمع لانه اسم جنس وهو بمعنى الجمع هنا ولذا جمع الضمير في يهدوننا

وار

الفاعلون
[illegible] ان العباد [illegible] انه اذا
فان قلت [illegible] في علم الحكيم [illegible] غيره
[illegible] ولكن قد [illegible] ولم الخيار [illegible]
للكفر [illegible] الا الكفر [illegible]
خلقهم لم يتعلق [illegible] مع علمه بما يكون
فما دعاه الى خلقهم [illegible] وخلق فاعل
منهم [illegible] خلق القبيح [illegible]
القبيح الا واحد [illegible]
[illegible] وقتل النفس
[illegible] نقطع السبيل [illegible]
المحرمة [illegible] ونفقه
العلماء على [illegible] القائم
والدين في قرونه [illegible] اشد
بل [illegible] على [illegible]
قلت قد علمنا ان الله حكيم عالم بقبح
القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا
ان افعاله كلها حسنة وخلق فاعل
القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وحسنه
ان يكون له وجه حسن وخفاء وجه
الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما انه
لا يقدح في حسن اكثر [illegible] خلقها بالحق
جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها [illegible] والحكمة البالغة وهو
بالغرض الصحيح [illegible] ليعملوا
ان جعلها [illegible] المكلفين
فيجازيهم كشاف

وارتفاع بشر على انه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال وهو اولى من جعله مبتدا وما
بعده خبره لان اداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهرا او مضمرا والفاء في قوله فكفروا سببية لا للتعقيب
اي فكفروا بسبب هذا القول لانهم قالوه استصغارا للرسل ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل
بشرا قوله واستغنى الله تقرير لما سبق من التهديد والوعيد اي وكان الله غنيا عن ايمانهم وطاعتهم
فلم ينقص الكفر بهم ومعاصيهم من ملكه الاشياء وانما اضروا وابدلوا على انفسهم قوله الزعم
ادعاء العلم فمن قال ازعم زيدا قائما فمعناه اقول انه كذا ويتعدى الى الجملة بقوله ازعم اشعارا بانه لا سند
للحكم سوى ادعائه اياه وقوله قال الرضي الاستراباذي في شرح الكافية افعال القلوب على ضرب
اما لكذا واما للقول بان الشيء على صفة قولا غير مستند الى وثوق نحو زعمتك كريما انتهى كلامه وقال
ابن السكيت يقال الامر الذي لا يوثق به مزعم اي يزعم هذا انه كذا ويزعم آخر انه كذا وان في قوله ان لن
يبعثوا المخففة واسمها مضمر اي انهم لن يبعثوا وليست بناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله قوله
بلى ايجاب للنفي الذي قبله فكان تقدير الكلام بلى تبعثون ثم استدا وربي لتبعثن ثم لتنبؤن اي ليس
الامر مقتصرا على البعث بل يعقب البعث الجزاء فان قيل كيف يفيد القسم في اخباره عن البعث وهم
قد انكروا الرسالة لكنهم مع ذلك يعتقدون انه عليه الصلوة والسلام يعتقد عظمة ربه اعتقادا جازما
لا يزيد عليه فيعلمون بذلك انه لا يقدم على القسم بربه الا وان يكون صدق هذا الاخبار عنده اظهر من
الشمس في اعتقاده لما ذكر ان ما نزل بالامم الماضية من العقوبة كان لكفرهم بالله وتكذيبهم بالرسل
وعرفهم قيام الساعة وامرهم بالايمان بالله ورسوله والنور الذي انزله حتى لا يذوقوا وبال امرهم
في الدنيا والعذاب الاليم في العقبى قوله وقرا يعقوب نجمعكم بنون العظمة اعتبارا لقوله والنور
الذي انزلنا والمراد بيوم الجمع يوم القيمة يجمع الله تعالى فيه الاولين والاخرين والجن والانس واهل
السماء والارض وقيل يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه
كل نبي وامته قوله يغبن فيه اي يخدع بعضهم بعضا اي هذا البعض يغبن ذلك البعض وذلك
البعض يغبن هذا البعض ليتحقق الفعل من الجانبين وكون نزول السعداء منازل الاشقياء
من الجنة لو كانوا سعداء غبنا للاشقياء ظاهر حيث اخذوا منازلهم من الجنة وهم لا يشعرون
واما كون نزول الاشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا اشقياء غبنا فليس بظاهر لان
الاشقياء بنزولهم في النار لم يغبنوا اهل الجنة وانما جعل غبنا باعتبار الاستعارة التهكمية
قوله مستعار من تغابن التجارة فان حقيقة التغابن متفرع على تحقق حقيقة التجارة ومعاملة
المبادلة ليغبن احد التاجرين الآخر بان يوقعه في الخسران ولم يتحقق بين اهل الجنة والنار في
الدنيا معاملة يتفرع عليها تغابنهما في الاخرة حقيقة لحمل الكلام على الاستعارة فشبه ما عليه كل

واحد من الفريقين في الدنيا بالتجارة والمبادلة وما يترتب عليه من حسن العاقبة وسوئها بالتغابن
وذلك ان كلا الفريقين خلق الله تعالى فيهما الاستطاعة وسلامة الآلات وجعلهما قادرين على اختيار ما
يؤدي الى سعادة الآخرة فاختار كل فريق ما يشتهيه مما كان قادرا عليه بدل ما اختاره الآخر وارتفع
فهذا الاختيار منهما شبه بالمبادلة والتجارة وشبه ما يتفرع عليه من نزول كل واحد منهما منزل الآخر
بالتغابن وقيل التغابن هنا من واحد لا من اثنين فهو كالتواني في ذلك يوم التغابن اي الغبن وهو فوت الحظ
يقال غبن الرجل في البيع مجهولا والمعنى ثم يغبن المؤمنون الكافرين باخذ منازلهم واهليهم المعدة لهم في الجنة
لو آمنوا في المعالم وتفاعل من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فالمغبون من غبن عن اهله ومنازله في الجنة
فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان وغبن كل مؤمن بتقصيره في الاحسان انتهى انظر كيف جعل الغبن
من جانب واحد وعليه ما قيل ان اشد الناس غبنا يوم القيمة ثلثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه وخالف
هو علمه ودخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعلمه وعبد اطاع الله تعالى بقوة مال سيده وعصى سيده
الله تعالى فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصيته وولد ورث مالا من ابيه وابوه
شح به وعصى الله فيه فدخل ابوه ببخله النار ودخل هو بانفاقه في الخير الجنة قال عليه الصلوة والسلام
لا يلقى الله تعالى احد الا نادما ان كان مسيئا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد **قوله** واللام فيه
يعني ان اللام في التغابن للجنس فيفيد التركيب حصر حقيقة التغابن بذلك اليوم مع انه قد يقع في غيره
فاشار الى جوابه بان سعادة الآخرة لكونها اجل كل سعادة واعظمها كان فقدها نهاية الغبن بحيث لا يعد
ما دون فقدها غبنا بالنسبة اليه وفقدها انما يتحقق في ذلك اليوم فصح بهذا الوجه حصر الغبن بذلك اليوم
فللتنبيه على هذا المعنى اوثر ما يدل على النقص **قوله تعالى** خالدين فيها ابدا حال من الهاء في يدخله ووحد اولا
حملا على اللفظ ثم جمع حملا على معناه وابدا نصب على الظرف وكذا خالدين الثاني نصب على الحال من
اصحاب والعامل فيها ما في اولئك من معنى الفعل **قوله** كان ما في الآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له
حيث بين فيهما ان السعداء اختاروا ما هو داخل تحت وسعهم ومقدرتهم ما اداهم في الآخرة الى الفوز
بدفع المضار وجلب المنافع والاشقياء اختاروا منه ما اداهم فيها الى اشد العذاب محرومين من وجوه
المنافع باسرها فغبنوا فيما تركوه من المعاملة وفيما اختاروه جميعا حين ظهر لهم سوء اختيارهم
فقد ترا ان كون السعداء مغبونين بان خدعهم الاشقياء انما يقال على طريق التهكم بالاشقياء فكانت
الآيتان تفصيلا للتغابن حيث بينتا ان احد الفريقين ربحوا وفازوا في الآخرة بما اختاروه في الدنيا وان
الآخرين خسروا فيها بما اختاروه في الدنيا وظهر به ان الدنيا متجر الربح والخسران يظهر في الآخرة **قوله تعالى**
الا باذن الله استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال اي ما اصاب مصيبة ملتبسة بشيء من الاشياء الا
باذن الله اي الا بتقديره وارادته شبه تقدير الله تعالى وارادته بالاذن بجامع عدم المنع ثم ذكر المشبه به
واريد

فان قيل قال اولا في حق المؤمن ومن يؤمن بالله بلفظ المستقبل وفي حق الكفار قال والذين كفروا بلفظ الماضي فالجواب ان تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من الذين كفروا وكذبوا باياتنا ندخله جنات ومن لم يؤمن منهم اولئك اصحاب النار منه

واريد به المشبه وقيل سبب نزول هذه الآية ان الكفار قالوا لو كان ما عليه المسلمون حقا لصانهم
الله تعالى عن المصائب في اموالهم وابدانهم في الدنيا فبين الله تعالى ان ذلك انما يصيبهم بتقديره ومشيته
وفي اصابتها حكمة لا يعرفها الا هو منها تحصيل اليقين بان ليس شيء من الامر في ايديهم ويتبرؤن بذلك
من حولهم وقوتهم الى حول الله وقوته ومنها تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضى بقضاء الله
تعالى الى غير ذلك ثم قال ومن يؤمن بالله ومن يصدق بالله ورسوله ويعلم انه لا يصيبه مصيبة الا باذن
يهد قلبه للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بان يقول قولا او يفعل فعلا يدل على التضجر من
قضاء الله تعالى وعدم الرضا به بل يسترجع ويقول انا لله وانا اليه راجعون ومما كان يحسب جميع شؤونه
مستندا الى الله تعالى ومصيرا في قبضة قدرته وكان مرجعه الى موقف حسابه كيف لا يرضى بقضائه
ولا يصبر على بلائه وقد اعتقد انه رب العالمين والتربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون ايضا بما ينفر
عنه الطبع **قوله** وبالنصب لا يهدن قلبه على قراءة يهد مبنيا للمفعول بنزع الخافض اي يهد
في قلبه كما في قوله الا من سفه نفسه وقوله ولا تعزموا عقدة النكاح فلما سقط حرف الجر نصب
ما بعده **قوله** حتى القلوب واحوالها كالتسليم من انقاد لامره وكراهة من كرهه **قوله تعالى** واطيعوا الله
اي لا تشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول
واتباع سنته ولكن حل بتمسككم في السراء والضراء العمل بما شرع لكم عطاء بن يسار قال
نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا
لكم فاحذروهم نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد الغزو بكوه ور
ققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر السورة بالمدينة وروى
الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه انه سئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا
ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اتوا النبي راوا الناس قد تفقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى هذه الآيات
وبين بها ان العدو لا يكون عدوا بذاته وانما يكون عدوا بفعله فاذا فعل الزوج والولد فعل
العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة عن عكرمة قال كان الرجل
يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقول اهله اين تذهب فتدعنا فاذا اسلم وفقه قال
لارجعن الى الذين كانوا ينهون عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله تعالى وان تعفوا
وتصفحوا الآية **قوله** اي افعلوا ما هو خير لها اشارة الى ان انتصاب خيرا بمضمر يدل عليه الاوامر
السابقة والمعنى ائتوا وافعلوا خيرا لانفسكم لما حث على الامتثال بالاوامر المذكورة اكد الحث
عليها بقوله وافعلوا ما هو خير لها وبين وجه الحث عليها بانها خير لانفسكم وهذا الوجه هو المنقول

وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيمة فيقال اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران فيهما فنزل واخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته
سنان

عن صاحب الكشاف ولم يجعله منصوبا بانفقوا لان الانفاق انما يتعدى الى ما هو من جنس المال وفي
قدر الخبر بالمال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا فهو عنده منصوب بانفقوا على انه مفعول به وهو عند الكسائي و
الفراء نعت لمصدر محذوف اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم وهو عند ابي عبيدة خبر كان مضمر اي انفقوا يكن
خيرا لانفسكم **قوله** ومن يوق شح نفسه اي ومن يقه الله عنه **سورة الطلاق مدنية**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** والمعنى اذا اردتم تطليقهن ولو كان المعنى اذا اوقعتم
التطليق كما هو الظاهر لم يكن لترتيب قوله فطلقوهن لعدتهن عليه وجه سمي من يريد التطليق وقبل
عليه مطلقا لكونه مشارفا عليه فان المشارف للشيء بمنزلة من شرع في ذلك الشيء الا ترى الى انه عليه
الصلوة والسلام جعل الماشي الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي حيث قال اذا اقيمت الصلوة فلا تاتوها تسعون
وائتوها تمشون وعليكم السكينة فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلوة فهو في الصلوة وقال عليه الصلوة والسلام
لا يزال احدكم في الصلوة ما ينتظر الصلوة وكذا سمي المشارف لان يقتل قتيلا حيث قال من قتل قتيلا فله سلبه
وليس المراد به المقتول الان فانه حقيقة محال **قوله** اي وقتها وهو الطهر زمان الطلاق المشروع هو الطهر الخالي عن
المس اجماعا واما عدة المطلقة ذات الاقراء فانقضاؤها بثلثة قروء اي حيض عند الحنفية واطهار
عند الشافعية ودليل الفريقين قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء والتربص الانتظار
والقرء بالفتح لفظ مشترك بين الطهر والحيض ويجمع على اقراء وقروء وحمله الحنفية على الحيض لا على الاطهار
وايضا لو حملناها على الاطهار لانقضت العدة بقرئين وبعض الثالث لان الطهر الذي وقع فيه الطلاق
قد انقضى بعضه قبل وقوع الطلاق وذلك البعض غير محسوب من العدة لانها انما تجب بعد وقوع الطلاق
فيلزم ترك العمل باللفظ الخاص فان الثلثة اسم خاص لعدد معلوم لا يحتمل غيره فلا يجوز حمله على غير محله
ولان قوله عليه الصلوة والسلام دعي الصلوة ايام اقرائك صريح في ان المراد به الحيض ورجح الشافعي رح
حمله على الاطهار لان العدة تجب عقيب الطلاق والطلاق غير مشروع الا في الطهر فاذا كان مبدا العدة
الطهر كان منتهاها ايضا كذلك فدل ذلك على ان العدة الاطهار وفائدة الخلاف فيما اذا طلق في الطهر لا
تنقضي عدتها ما لم تطهر من الحيضة الثالثة وعند الشافعي رح لما شرعت في الحيضة الثالثة انقضت
عدتها فاذا تقرر ان العدة عندهم هي الاطهار السلمة كان المناسب ان تكون اللام في لعدتهن للتا
قيت بمعنى عند او في كقوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس اي عنده وقوله اخرج الذين كفروا من
ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر والمعنى ههنا في عدتهن واما من عد العدة بالحيض فلا يمكنه
جعل اللام للتاقيت للاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع منه بل يجعلها متعلقة بمحذوف
دل عليه معنى الكلام فيحصل تقدير الكلام فطلقوهن لعدتهن متوجهات اليها واذا طلقت المراة
في الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها وفي التيسير فطلقوهن لعدتهن

ان

اي للوقت المعد والطلاق فهن المشروع وهو طهر لم يجامعها فيه كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم
حيث قال لابن عمر رض حين طلق امراته في الحيض ما هكذا امرك الله تعالى ان من السنة ان
تطلقها في طهر لا جماع فيه فتلك العدة التي امر الله تعالى ان تطلق لها النساء انتهى فلم يجعل العدة عبارة
عن التربص الذي يلزم المراة بزوال النكاح بل جعلها بمعنى الوقت المعد للطلاق المشروع و
جعل اللام للتاقيت متعلقة بطلقوهن وعن ابن عباس رض انه قرا الاية بقوله الاطهار عدتهن
قدر مضافا الى العدة بمعنى التربص المذكور وجعل اللام للتاقيت ايضا **قوله** واضبطوها وكملوها
ثلثة قروء ولا بد لضبطها من حفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق قيل والصحيح ان المخاطب
بالاحصاء هم الازواج لا الزوجات ولا المسلمون لانه يلزم تفكيك الضماير ولكن الزوجات
داخلة فيه بالالحاق لان الزوج يحصي ليتمكن من تفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق
ثلثا وليعلم بقاء زمان الرجعة ليراجع ان حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الانفاق
عليه وانقضائه وليعلم انها هل تستحق عليه ان يسكنها في بيته او له ان يخرجها وليتمكن من الالحاق نسب
ولدها به وقطعه منه وكذلك الحاكم يفتقر الى احصاء العدة للفتوى عليها وفصل الخصومة عند
المنازعة فيما يتعلق بها وللاحصاء فوائد اخر تتعلق المراة بها فلذلك امر باحصائها **قوله** وفي الجمع
بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى اي على انه يجب على الزوج ان يسكنها مسكن الفراق
حقا لها كالنفقة وعلى انه يلزمها ويجب عليها ان تلازم مسكن الفراق حقا للشرع فان خروجها منه
حرام لصريح نهي الشارع قال صلى الله عليه وسلم للتي قتل زوجها اسكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله
اي حتى تنقضي العدة الا ان في كون ملازمة مسكن الفرقة واجبا عليها حقا للشرع بيانا في قوله
آنفا اذ الحق لا يعدوهما ولعل مراده ان كل واحد من الزوجين يستوجب حقا على الاخر اما الزوجة
فانها تستحق عليه المسكن والنفقة لان العدة وهي الاحتباس والانتظار الى انقضاء الاقراء انما يجب
عليها صيانة للمياه عن الاشتباه وللانساب عن الالتباس فانها لو لم تجب العدة لتزوجها ان تتزوج
المراة باخر فتلد لستة اشهر فيقع الاشتباه فكانت محبوسة لمنفعة ترجع الى الازواج ومن كان
محبوسا لمنفعة ترجع الى غيره فمؤنته تجب عليه واما الزوج فانه ايضا يستحق عليها ان تلازم مسكنه
ما دامت في العدة لان العدة من توابع النكاح ومقتضياته وفي حال بقاء العدة صار النكاح
كانه قائم فيستحق عليها ان تكون في ضبطه **قوله** مستثنى من الاول وهو نهيهم عن اخراجهن وهذا
على تقدير ان يراد بالفاحشة بذاؤها على زوجها واحمائها والبذاء بالمد الفحش بالقول واطا
له اللسان وحماة المراة ام زوجها وكل شيء من قبل الزوج مثل الاب والاخ فهم الاحماء
واحده حم وكذا ان اريد بها الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وكل واحد من المعنيين مروي عن

اي ثلثة الى ان القرء الاخير ما لم ينتهي لا تنقضي العدة والى ان القرء الاول اي الحيض الاول ايضا ينبغي ان يكون كاملا منه

قوله ولنزوجها مصدر اضيف الى المفعول ومحله مرفوع على الفاعلية منه

الصحابة والتابعين **قوله** او الثاني وهو نهيهن عن الخروج وهذا على تقدير ان يراد بالفا
حشة خروجها من بيتها في العدة فيصير المعنى ولا يخرجن الا اذا ارتكبن الفاحشة بالخروج وهذا ابلغ
في المنع من الخروج حيث علق المنع منه بكونه فاحشة كما يقال لا تكذب الا ان تكون فاسقا اي
ان تكذب تكن فاسقا **قوله** الا ان يأتين حال من فاعل لا يخرجن او من مفعول لا تخرجوهن اي
الا آتيات بفاحشة وان مع الفعل في تأويل المصدر على تقدير المضاف اي الا اتيانا اي الا ذا اتيان
بفاحشة فحذف المضاف واقيم ما بعده موقعه واعرب باعرابه **قوله** او المطلوب اي او انت ايها
المطلوب **قوله** وهو الرغبة في المطلقة بعد الرغبة عنها في الاية اشارة الى ان المستحب ان يفرق
الطلقات الثلث والى النهي والنهي عن ايقاعها دفعة واحدة فانه ان اوقعها دفعة لا يمكن له
ان يراجعها ولا ان يستانف نكاحها الا بعد ان تنكح زوجا غيره فان ذكر علة الحكم يكون اشارة اليه
واثباتا له **قوله** شارفن آخر عدتهن فسر بلوغ الاجل بمقاربة انقضائه كما في طلقتم النساء فردتم
طلاقهن لانه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة **قوله** تبريا عن الريبة علة للاشهاد على الرجعة
فانه اذا راجعها ولم يشهد على الرجعة يتهم في امساكها انه بلا نكاح وقوله وقطعا للتنازع يصح كونه
علة لكل واحد من الاشهاد على الرجعة وعلى الفرقة **قوله** وعن الشافعي رح وجوبه في الرجعة اشارة
الى ان الشافعي رح له قولان يجب الاشهاد على الرجعة وفي قوله الآخر لا يجب بل هو مندوب وهو قول ابي حنيفة
رح **قوله** يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية من ايقاع الطلاق على وجه السنة
واحصاء العدة والكف عن الاخراج والخروج والاشهاد واقامة الشهادة باداءها على وجهها من
غير تبديل وتغيير خالصا لوجه من غير توقع جعل ويرجح الاول العرب بالمشار اليه والثاني كونه ملايما لقوله
ومن يتق الله الاية لانتساعها على تقدير كونها معترضة بين قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الى قوله واليوم
الآخر وبين قوله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم الاية فان القولين مرتبطان فانه على تقدير كونه
معترضة يكون المقصود منه تأكيد ما ذكر من اول السورة الى هنا مما يتعلق بطلاق النساء وامساكهن و
اذا كانت الاشارة الى ذلك المجموع ايضا يتلاءم الكلامان **قوله** او كلام جيء للاستطراد عطف على قوله
جملة اعتراضية ووجه الاستطراد فيه عدم تعلقه بما سبق عليه بكونه تأكيدا له او بيانا او نحو ذلك وانما ذكر
في هذا الموضع من حيث انه لما امر المؤمنين بالمجاملة في معاشرة النساء وامساكهن واطلاقهن وذكر فيها
امورا شتى ثم اشار الى جميع ذلك مطريق الغفر لكنه وحكم عليه بانه موعظة وتذكير للمؤمنين الذين يذكرون
الله واليوم الآخر في جميع شؤونهم مما يفعلونه ويتركونه فانهم هم الذين يوعظون بها حقيقة فلما انجر الكلام
الى ذكرهم اردف الكلام بذكر الوعد على ايمانهم واتقائهم بالخلاص عن مضار الدارين والفوز بخيرهما
من حيث لا يحتسبون استطرادا اي من غير ان يقصد به تعلقه بما قبله وان دخل فيهم الذين يتقون عما

والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون كشاف

نهى عنه الاية المتقدمة صريحا او ضمنا **قوله** وعنه عليه الصلوة والسلام الخ تاييد لكونه
استطرادا **قوله** تتغفل منها العدو اي اخذها منهم على غفلة **قوله** وقرأ حفص بالاضافة اي
برفع بالغ من غير تنوين وجر امره والباقون بالتنوين والنصب وهو الاصل وقرئ بالغ امره
بتنوين بالغ ورفع امره على انه فاعل بالغ بمعنى نافذ والمعنى ان الله امره نافذ ويحتمل ان يكون
ارتفاع امره على الابتداء وبالغ خبرا مقدما وقرئ بالغا امره بنصب بالغا ورفع امره فيكون بالغا
واما انتصاب بالغا فعلى انه حال من اسم الله فخبر قوله قد جعل الله الذي هو خبر ان والتقدير ان الله
قد جعل لكل شيء قدرا بالغا امره **قوله** وهو بيان لوجوب التوكل عليه فان من علم انه تعالى
يبلغ ما يريده وينفذ امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكفر عنه سيآته
ويعظم له اجرا وانه تعالى جعل لكل شيء من الشدة والرخاء والموت والحيوة ونحوها تقديرا متعلقا
بنفس ذاته وبزمان وقوعه وبجميع كيفيات واوصافه وانه تعالى بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره
لم يبق له سوى التسليم والاعتماد على تقديره والتوكل عليه فلهذا لم يعطف على قوله ومن يتوكل و
كذا من علم انه جعل لكل شيء مقدارا وحدا معينا او اجلا ونهاية ينتهي اليه ولا يتأتى تغيره يضطر
الى التوكل لا محالة وكونه تقريرا لما تقدم وتمهيدا لما سيأتي ظاهر **قوله تعالى** واللائي مبتدأ ويئسن
وما بعده صلته الى نسائكم ومن الاولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة
بمحذوف وان ارتبتم شرط فعدتهن مبتدأ وثلثة اشهر خبره والجملة الاسمية جواب الشرط والفاء
فاء الجواب والجملة الشرطية خبر واللائي ومتعلق الارتياب محذوف والتقدير ان ارتبتم في عدتهن
فعدتهن كذا وواحد اللائي التي وقوله واللائي لم يحضن مبتدأ حذف خبره لدلالة خبر المبتدأ الاول
عليه فقدره الزمخشري جملة حيث قال والمعنى فعدتهن ثلثة اشهر ايضا والاولى ان يقدر مفردا اي
فكذلك او مثلهن **قوله تعالى** واولات الاحمال مبتدأ واجلهن مبتدأ ثان وان يضعن حملهن خبر
الثاني والجملة خبر الاول ويجوز ان يكون اجلهن بدل اشتمال من اولات وان يضعن خبره واولات
واحدتها ذات **قوله** والمحافظة على عمومه اولى لما تعارضت آية اولات الاحمال مع اية التوفي في حق
المتوفى عنهن ازواجهن من اولات الاحمال من حيث ان اية واولات الاحمال اقتضت انقضاء
عدتهن بوضع الحمل سواء كان ما بين وفاة ازواجهن ووضع حملهن اربعة اشهر وعشرا او لم يكن
واية التوفي اقتضت ان يكون منتهى عدتهن انقضاء اربعة اشهر وعشر من حين وفاة ازوا
جهن وان لا تنقضي قبل تلك المدة وان وضعن حملهن واذا تعارض عموم الآيتين في حقهن لم يمكن
العمل بهما جميعا فلا بد من ترجيح عموم احدهما فرجح عموم آية واولات الاحمال للمطلقات والمتوفى
عنهن ازواجهن من اولات الاحمال الا لحكم بان منتهى عدة جميعهن وضع حملهن وذلك لان عمومها بالنظر

لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال فيعمل الفعل فنصب مفعوله كما نصب بلغ في قوله تعالى فاذا بلغن اجلهن ويقال بلغ بالكسر اي هو مع خافتة بلغ ما يريد منه

لانه بمعنى بالغ امره قبل الاحتياج ... بالغا امره ...

روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ الاياس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ابهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة اشهر فاذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك كشاف

الى نفس لفظ اولات الاحمال بخلاف عموم قوله ازواجا فانه نكرة ولا عموم للنكرة بذاتها وبنفس لفظها و
قوله ان ازواجا في آية التوفي تعم اولات الاحمال وغيرها لم يريد وانه عمومها بنفس لفظها بل المراد عمومها بواسطة
كونها في خبر صلة الموصول العام بذاته فاذا تبين كون عمومها بالعرض لم يصلح معارضا لعموم العام بالذات
حملنا الازواج على غير الحوامل قوله والحكم معلل هنا وجه ثان لترجيح عموم هذه الاية وذلك ان الحكم بان
اجلهن وضع حملهن رتب على الموصوفات بكونهن اولات احمال وتعليق الحكم بالوصف الصالح للعلية يجعل
ذلك الحكم به كما اذا قلت المسكر حرام بخلاف الحكم بتربص اربعة اشهر وعشر اذ لا تعرض فيه لعلة الحكم والمعلل
يكون راجحا باعتبار اوني قوله فتقديمه في العمل تخصيص اي تقديم هذه الاية في العمل والمحافظة على عمومها تخصيص
لعموم الاية الاخرى لا هذه الاية خاص من وجه كما ان تلك خاص من وجه فيكون العمل بهذه الاية المتاخرة
في مقدار ما تناوله الايتان اعني الحامل المتوفى عنها زوجها يكون تخصيصا لتلك الاية بما وراء الحامل المتوفى
عنها زوجها اذ الخاص المتاخر يخصص العام المتقدم بالاتفاق قوله وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص
يعني تقديم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا في العمل والمحافظة على عمومها وترك العمل باية
سورة الطلاق في حق ما تناولتاه وهي الحامل المتوفى عنها زوجها يكون بناء للعام المتاخر على الخاص وهو
اولات الاحمال فانها المتوفى عنها زوجها وغيرها وذلك لا يجوز عند الحنفية بل العام المتاخر ينسخ المتقدم
عندهم ولا يبنى العام على الخاص كما ذهب القاضي عبد الجبار والشافعي رح اي مكانا من مكان سكناكم اشارة
الى ان من في قوله من حيث سكنتم للتبعيض والمبعض محذوف اي مكانا هو بعض من مكان سكناكم قيل
قوله تعالى اسكنوهن وما بعده استئناف لبيان ما يتعلق بالمعتدات من التقوى فلما قيل ومن يتق الله فكانه
قيل كيف نعمل في شان المعتدات حتى نكون ممن يتق الله في حقهم فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم وعن الكسائي
ان من فيه صلة والمعنى اسكنوهن حيث سكنتم قوله وهو عطف بيان تفسيرا وايضاحا لمكن الازواج
كانه قيل اسكنوهن مكانا من سكنكم مما تطيقونه ونوقش فيه بانه لم يعهد في عطف البيان اعادة العامل
وانما عهد هذا في البدل ولذلك اعربه ابو البقاء بدلا من قوله من حيث سكنتم كانه قيل اسكنوهن من وسعكم
اي مما تطيقونه قوله وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات فانه تعالى لما ذكر
السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على ان غير الحامل من المعتدات لا نفقة لها و
هذا مذهب الشافعي رح فان تعليق الحكم بالشرط يدل على عدمه عند عدم الشرط عنده وعند ابي حنيفة
رح يجب النفقة والسكنى لكل مطلقة بثلث او واحدة رجعية او بائنة ما دامت في العدة اما المطلقة
الرجعية فلانها منكوحة كما كانت وانما يزول النكاح بمضي العدة وكونه في معرض الزوال بمضي العدة لا يسقط
النفقة كما لو آلى او علق طلاقها بمضي شهر والمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالاجماع واما المبتوتة
فعندنا لها النفقة والسكنى ما دامت في العدة لقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم اذ المعنى

اذ المعنى اسكنوا المعتدات مكانا من المواضع التي تسكنونها وانفقوا عليهن في العدة من سعتكم
وفي قراءة ابن مسعود رض اسكنوهن من حيث سكنتم وانفقوا عليهن من وجدكم وقراءته
وان لم يثبت بها كون ما زاد فيها من جملة الكلام المنزل لكنها يصلح تفسيرا للمعنى لانها مسموعة
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رح لها السكنى لهذه الاية ولا نفقة لها الا ان يكون
حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل قال الامام ابو الليث رح في تفسيره وقد اجمعوا على ان المطلقة
اذا كانت حاملا فلها النفقة واما اذا لم تكن حاملا فان كان الطلاق رجعيا فلها النفقة والسكنى
بالاجماع وان كان الطلاق بائنا فلها السكنى والنفقة في قول اهل العراق وقال بعضهم لها السكنى
ولا نفقة لها انتهى قوله اعرضت عنه اي اشارة الى ان العتو بمعنى العناد وهو لا يتعدى
بعن وانما عدي بها لتضمينه معنى الاعراض كانه قيل اعرضت عنه بسبب عتوها لما ذكر اي هنا
احكاما متعلقة بالطلاق وما يتفرع عليهما عقبها بتكثير اقوام اعرضوا عن طاعة ربهم فيما
امرهم به فحل بهم عذابه لذلك تحذيرا لهم عن المخالفة في تلك الاحكام وتاكيدا لايجابها عليهم تعالى
وكاين من قرية فان كاين بمعنى كم الخبرية في كونها للتكثير قوله تعالى الذين امنوا منصوب باضمار اعني
بيانا للمنادى في قوله يا اولي الالباب اي العقول او يكون عطف بيان للمنادى او نعتا له ويضعف
كونه بدلا لعدم حلوله محل المبدل منه قوله يعني بالذكر جبرئيل عليه الصلوة والسلام وذكر له اربعة اوجه
الاول انه من قبيل التوصيف بالمصدر للمبالغة والثاني انه مجاز مرسل من قبيل تسمية المنزل اي باسم القرآن
المنزل والقرآن يطلق عليه الذكر لاشتماله على ذكر الله تعالى او لكونه آمرا به فيكون اطلاقه على الملك مجازا
في المرتبة الثانية الثالث ان الذكر بمعنى ذو الذكر فانه مذكور في السموات والرابع انه بمعنى ذي الشرف قوله
لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه يعني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شبه بالذكر الذي هو القرآن لشدة
ملابسته به فاطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن بما يلائم المستعار منه وهو الانزال ترشيحا
لها او مجازا مرسلا من قبيل اطلاق السبب على المسبب فان انزال الوحي اليه عليه الصلوة والسلام سبب
لارساله قوله وابدل عنه رسولا اي على كل واحد من التقديرين قوله او اراد به اي بالذكر القرآن فيكون
رسولا منصوبا بفعل محذوف دل عليه انزل اي انزل الله اليكم ذكرا وارسل اليكم رسولا فان انزال الذكر
دل على ارسال الرسول قوله او ذكر مصدر ورسولا مفعول فان المصدر المنون لكونه في تاويل ان مع الفعل
يعمل عمل فعله كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فكانه قيل قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا و
يكون ذكره الرسول قوله او بدل بمعنى الرسالة فالمعنى ح قد انزل الله اليكم رسالة اي ما يدل على حقيقتها
فعلى هذا يكون قوله يتلو عليكم حالا من اسم الله قوله مبينات قرأ الجمهور بفتح الياء اي بينها الله لقوله
قد بينا لكم الايات وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بكسرها اي تبين لكم ما تحتاجون اليه من

الاحكام وعلى التقديرين هو حال من الايات واللام في ليخرج متعلق بانزل لا بقوله يتلو لان يتلو مذكور على سبيل
التبعية دون انزل ولفظ الماضي في قوله يا اولي الباب الذين امنوا مبني على انهم كانوا مومنين قبل نزول هذه الاية
وقيل خطابهم بايها من النداء وعلى تقدير ان يتحد الموصول الاول الواقع منادى مع الموصول الثاني الواقع مفعولا
لقوله ليخرج بالذات لما احتيج الى ان يقال كيف يصح ان يقال في حق من آمن قبل ايها المؤمنون قد انزل الله اليكم "
ذكرا ليخرجكم الى الايمان بلام الغاية ولفظ المضارع الدالين على كون الاخراج غير حاصل الآن وان يقال //
ايضا ما معنى اخراج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الضلالة الى الهدى وهم مهتدون الآن بما هم عليه
من الايمان والعمل الصالح اشار الى جوابه بان لفظ الماضي في الموضعين مبني على تحقق الايمان والعمل الصالح فيهم
قبل نزول قوله قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا ليخرجكم من الظلمات الى النور وقوله ليخرج بلام الغاية ولفظ
المضارع مبني على كون الاخراج متأخرا عن انزال القران وارسال الرسول فانهم وان كانوا مومنين الآن
فهم غير مومنين عند انزال ذكر الرسول ولا تنافي بين ايمانهم الآن وعدم ايمانهم وقت البعثة وانزال
القران فصح الامتنان عليهم بان يقال ايها المؤمنون الآن قد انزلنا اليكم ذكرا رسولا ليخرجكم مما كنتم عليه
قبل انزاله من الضلالة ويحصل لكم ما انتم عليه الآن من الهدى فقوله والمراد بالذين في قوله تعالى ليخرج
الذين الخ معناه ان المراد بالموصول الذي هو تابع المنادى السابق هو الموصول المذكور في قوله ليخرج الذين
امنوا فيكون الموصول الثاني من وضع الظاهر موضع الضمير اشعارا بان المراد بالنور الذي اخرجوا اليه هو
الايمان والعمل الصالح وقوله او ليخرج من علم انه عطف على قوله والمراد بالذين ليخرج الذين اي او المراد
بالموصول الثاني ما هو اعم من الاول لان المراد بالموصول الاول هم المومنون الموجودون وقت النداء اي وقت
نزول الاية ولا شك ان من علم الله تعالى انه يؤمن او من قدر ايمانه اعم منه وفي بعض النسخ والمراد بالذين
في قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد انزاله اي ليحصل لهم الى اي بعد انزاله ذكرا
رسولا وقبل نزول هذه الاية المصدرة بالنداء قوله او ليخرج من علم الى عطف على قوله الذين امنوا بعد
انزاله بحسب المعنى لان المعنى او المراد به من علم وقدر انه يؤمن قوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من الضمير
المنصوب في يدخله وافرد ضمير يدخله حملا على لفظ من وجمع الذين حملا على المعنى وقد ضمير له ايضا حملا
على اللفظ والحمل على اللفظ بعد الحمل على المعنى قليل ضعيف عند النحاة ومحل قوله تعالى قد احسن الله
له رزقا النصب على الحال من ضمير يدخله ايضا فيكون الجملة حالا ثانية من ذي حال واحد او من المنوي
في خالدين فيكون حالا متداخلة قوله فيه تعجب وتعظيم فان الجمل الخبرية الغير الموضوعة لانشاء التعجب
قد يقصد بها التعجب كما مر في اول سورة الصف ان قول الشاعر علت ناب كليب بواؤها للتعجب جعل هذه الاية
من قبيل ما قصد به التعجب لانه لو حمل على الخبر المحض لم يكن في ذكره فائدة لان المراد بالرزق هو المذكور
مما رزقوه في الجنة ومعلوم انه حسن وان حسنه خارج عما يدركه العقول والاوهام قوله اي وخلق مثلهن
من الا

ومما على ليخرج اما ضمير الباري تعالى او الذكر المنزل او ضمير الرسول منه

ولا بد من تقدم هذا القيد ليصح عطف قوله او ليخرج عليه اي ما اشتمل عليه هذا الكلام منه

فلذلك لم يعطف على ما قبله منه

الناب هي الناقة المسنة منه

من الارض اشارة الى ان مثلهن منصوب بفعل مقدر بعد الواو دل عليه الفعل الناصب للسموات ولم يجعل
معطوفا على سبع سموات كما ذهب اليه الزمخشري لانه يستلزم الفصل بين حرف العطف والمعطوف
بالجار والمجرور وصرح سيبويه وابو علي بكراهته في غير موضع الضرورة وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ
والجار والمجرور قبله خبره ولا خلاف في ان السموات سبع بعضها فوق بعض بدليل حديث الاسرى و
اختلف في مثلية الارض لهن فقيل هي مثلهن في العدد ومنه في بعض الاوصاف فان المثلية تصدق
بذلك والاول هو المشهور وفي الكواشي قيل ما في القران آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية
وان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذلك غلظ كل سماء والارضون مثل السموات
قال ابن عباس رضي في كل ارض آدم كآدمكم ونوح كنوحكم وابرهيم كابرهيمكم وعيسى كعيسى قالوا
معناه ان في كل ارض خلق الله تعالى لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وابرهيم وعيسى فينا
انتهى كلامه وقال الضحاك ان الارضين سبع كالسموات ولكنها مطبقة بعضها على بعض لا فتوق بينها
بخلاف السموات قيل الاصح ما ذكره في الكواشي لكثرة دلائله ثم قيل ورد على انها سبع ارضين وفي كل ارض
سكان من خلق الله تعالى تخص دعوة الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم فيمن في غيرها من الارضين
وان كانوا عقلاء مميزين وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون
السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والثاني
انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم الضياء بوجه آخر وهذا قول من جعل الارض كرة //

سورة التحريم مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله فيقلن له انا
نشتم منك ريح المغافير اكلت عسلا اكلت نحله العرفط وهو نبت خبيث الرائحة وقيل له ريح
كريح الخمر وقيل هو شوك له نور بالامثة النحل والمغافير جمع مغفور بضم الميم وهو بناء قليل الوجود و
المغفور شيء يشبه الصمغ يخرج من العرفط وهو حلو كالعسل وله رائحة كريهة وكان صلى الله تعالى
يشتد عليه ان يوجد منه ريح كريهة وكان يحب ان يوجد منه الروائح الطيبة لمناجاة الملك قوله تعالى تبتغي
لتحرم اي عطف بيان له فان حقيقة الاستفهام لما لم يتصور منه تعالى حمل على المعاتبة في ارتكابه التحريم
من غير غرض مقبول وباعث معتبر وهو ابتغاؤه عليه الصلوة والسلام مرضاة ازواجه اي لم تبتغي مر
ضاتهن والحال انهن احق ابتغاء رضاك عنهن فانما فضلتهن بك فلما كان قوله لم تحرم لانكار
التحريم والانكار يرجع الى ان ما حمل عليه لا يصلح حاملا وكان ذلك الحامل مبهما فسره بقوله تبتغي
مرضاة ازواجك وانما قلنا هذا لانه لا ابهام في نفس التحريم حتى يحتاج الى الايضاح والبيان و
انما الابهام فيما هو الغرض منه والحامل عليه ففسره بقوله تبتغي الخ ففيه تفخيم وتهجين لمثله ان يقدم على
ابتغاء مرضاتهن وعلى تقدير ان يكون حالا من فاعل تحرم يكون الانكار واردا على مجموع القيد والمقيد دفعة

قال الطيبي والاول الاصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى عليه الصلوة والسلام ان صهيبا حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسألك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها ومن شر اهلها ومن شر ما فيها انتهى

واحدة ويكون هذا التقييد مثل التقييد في قوله تعالى لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة فيدل على ان التحريم منكر
ايضا وتقرير كونه استينافا انه تعالى لما انكر عليه التحريم اتجه له ان يسأل بان يقول لم تنكر علي يا رب فيما حرمته على
وقد وجد ذلك من الانبياء قبلي كما قلت في كلامك المجيد الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل له لانك تبتغي مرضاة
ازواجك ومثلك اجل منصبا منه فهو استيناف لبيان الداعي الى الانكار ببيان ما دعاه الى التحريم وانما يجعل
نفسه داعيا اليه قوله فانه لا يجوز تحريم ما احله الله لان ما احله الله تعالى لا يحرم الا بتحريم الله تعالى اياه بنظم
القران او بان يوحي الى رسوله تحريمه اياه بوحي غير متلو فان من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد احله
الله تعالى فقد كفر فان قيل اذا لم يجز ذلك فما وجه تحريمه عليه الصلوة والسلام ذلك اجيب بان المراد بهذا التحريم هو
الامتناع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالا لا اعتقاد كونه حراما بعد ما احله الله تعالى فان ذلك لا يتصور
من عوام المؤمنين فكيف من الانبياء ولكنه يجوز بعد زلة لان الامتناع من الانتفاع باحسان المولى الكريم يشبه
عدم قبول احسانه ففيه شائبة سوء الادب قوله قد شرع لكم فسر الفرض بالشرع والتبيين كما في قوله تعالى
سورة انزلناها وفرضناها ويدل عليه كونه موصولا باللام فان فرض بمعنى اوجب انما يتعدى بعلى
وفعل اذا وصل فرض بعلى لم يحتمل غير الايجاب كقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم واذا وصل باللام احتمل
الوجهين واشار الى ان تحلة مصدر حلل بتضعيف العين كالتحليل نحو تكرمة من كرم وهذان المص
دران خارجان عن القياس فان فعل اذا صحيحا غير مهموز فالقياس ان يجيء مصدره على وزن
التفعيل وتفعلة لا يجيء الا من المعتل اللام ومهموز اللام نحو زكى تزكية ووصى توصية وسمى تسمية
ونبأ تنبئة فالتحلة تحليل اليمين فكان اليمين عقد والكفارة حل والاستثناء لما كان مانعا
من انعقاد اليمين جعل كالحل فجعل تحليلا لليمين اذا اتصل بها فان كلمة ان شاء الله اذا اتصل
بالكلام السابق يرفع حكمه من اي جنس كان لقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلوة والسلام قال ستجدني ان شاء
الله من الصابرين ولم يصبر ولم يكن ذلك خلفا للوعد لان هذا الكلام خرج عن كونه وعدا باقترانه بان شاء الله
فهو انما يكون وعدا ان لو تجرد عنه ولو بقي وعدا بعد اقترانه به لكان عدم صبره عليه الصلوة والسلام
خلفا للوعد منه وهو امارة النفاق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلث وان صام وصلى وزعم
انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا اوتمن خان واذا اقترن باليمين رفع موجبه ايضا وهو لزوم
الكفارة على تقدير الحنث قوله واحتج به من رأى التحريم في الجملة كالحنفية ومن حرم على نفسه شيئا مما يملكه لم
يصر محرما وكفر باستباحته ان باقدامه على ما حرم على نفسه وقال الشافعي رح لا كفارة عليه لانه
ليس بيمين الا في النساء والجوار لان تحريم الحلال قلب المشروع واليمين عقد مشروع فلا ينعقد
بلفظ هو قلب المشروع وهو تحريم الحلال كما لا ينعقد بعكسه وهو تحليل الحرام ولان ذا ليس الى العبد
لان المحرم والمحلل هو الله تعالى فلغو ولنا قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم الاية انتهى فقوله لانه ليس بيمين

الا في

فمعنى الاية على تقدير ان يكون التحليل بمعنى الاستثناء قد شرع الله لكم تعقيب ايمانكم بالاستثناء حتى لا ينعقد منه

وذهب البعض الى انه يجوز الاستثناء من الايمان بينهما وان تخلل بينهما مدة فمن جوز ان يكون طريق تحلة اليمين هذا الاستثناء مع عدم اتصاله باليمين فقد اخذ بهذا المذهب لانه جعل معنى الاية استثنوا بعد هذا وحللوا به يمينكم منه

ع او ان يكفر بعد الحنث ما اذا قال ذلك لزوجته او جاريته لا يجب عليه الكفارة الا بعد ان يقربها منه

اي لا يصير حراما لعينه بل يصير حراما لغيره وهو اليمين التي تثبت في ضمن التحريم فانه تعالى قد جعل تحريم الحلال يمينا واوجب فيه الكفارة والتحريم المضاف الى الجواري يمين بالاتفاق فكذا المضاف الى سائر المباحات منه

الا في النساء والجوار ظاهره مخالف لقول صاحب الكشاف ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة
في النساء وحدهن والفرق بين المذهبين مع اتفاقهما على ان من قال لزوجته او جاريته حرمتك علي ونوى
تحريم ذاتها او لم ينو شيئا يجب عليه كفارة اليمين هو ان الحنفية لما جعلوا التحريم يمينا مطلقا لم يوجبوا عليه الكفارة
ما لم يقربها وان الشافعية لم يجعلوه يمينا مطلقا ولكنهم جعلوه سببا لوجوب الكفارة عليه في النساء خاصة
فقالوا يجب عليه كفارة اليمين بنفس اللفظ سواء قربها اولا ولو حرم على نفسه طعاما او شيئا آخر لم يلزمه
بذلك كفارة عند الشافعي ومالك وتجب كفارة اليمين بعد الحنث عند ابي حنيفة رح ووجه استدلال الشافعي
بهذه الاية على ان تحريم النساء يوجب الكفارة ان قوله تعالى انكار للتحريم فكان بمعنى النهي عنه فكانه قيل لم
تمتنع منه بل اقدم عليه وكفر بما يحلل اليمين قوله مع احتمال انه عليه الصلوة والسلام اتى بلفظ اليمين
قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب
رض استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل عليه الصلوة والسلام
الى ام ولده مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا
فجلست عند الباب فخرج عليه الصلوة والسلام ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت
انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك في بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي اما رأيت لي حرمة و
حقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال عليه الصلوة والسلام اليس هي جاريتي احلها الله تعالى لي اسكتي
فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت
حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة رض فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم عليه
امته مارية وقد اراحنا الله تعالى منها واخبرت عائشة رض بما رأت وكانتا متصادقتين متظاهرتين
على سائر ازواج النبي عليه الصلوة والسلام فغضبت عائشة رض فلم تزل بنبي الله حتى حلف ان
لا يقربها فنزلت كذا في معالم التنزيل فهذه الرواية صريحة في انه عليه الصلوة والسلام اتى بلفظ اليمين
بعد التحريم فوجوب الكفارة مبني عليه ولفظ التحريم ليس بشيء اي لا حكم له وفيه ايضا ان النبي عليه
الصلوة والسلام لما رأى الكراهة في وجه حفصة اراد ان يرضيها فاسر اليها شيئين تحريم الامة
على نفسه وتبشيرها بان الخلافة بعده في ابي بكر رض وفي ابيها رض فاخبرت به حفصة عائشة رض
واطلع الله تعالى نبيه عليه فعرف عليه الصلوة والسلام حفصة بعض ما اخبرت به عائشة رض
وهو تحريم الامة واعرض عن بعض يعني ذكر الخلافة كره عليه الصلوة والسلام ان ينتشر ذلك
في الناس تكرما وحلما واذ في قوله واذ اسر النبي معمول لاذكر المقدر فهو مفعول به لا ظرف و
المعنى اذكر اذ اسر النبي فاعل نبأت مستتر فيه يرجع الى البعض ازواجه واصل نبأ وانبأ اخبر و
اخبر وحدث ان يتعدى الى مفعولين الى الاول بنفسه والى الثاني بحرف الجر وقد يحذف الجار تخفيفا

[illegible]

ما حكم تحريم الحلال
وان قلت ما حكم تحريم الحلال قلت قد اختلف فيه فابو حنيفة رح
يراه يمينا في كل شيء ويعتبر الانتفاع
المقصود فيما يحرم فاذا حرم طعاما
فقد حلف على اكله او امة فعلى
وطئها او زوجة فعلى الايلاء
منها اذا لم يكن له نية وان
نوى الظهار فظهار وان نوى
الطلاق فطلاق بائن وكذلك
ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا
فكما نوى وان قال نويت الكذب
دين فيما بينه وبين الله ولا
يدين في القضاء بابطال الايلاء
وان قال كل حلال علي حرام فعلى
الطعام والشراب اذا لم ينو والا
فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا
ولكن سببا في الكفارة في النساء
وحدهن وان نوى الطلاق فهو
رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن
عباس وابن مسعود وزيد رض ان
الحرام يمين وعن عمر رض اذا نوى
الطلاق فرجعي وعن علي رض ثلاث
وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان
ظهار وكان مسروق لا يراه يمينا و
يقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من
ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء
محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام و
قوله تعالى لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
وما لم يحرمه الله تعالى فليس لاحد ان يحرمه و
لا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله الله هو حرام علي وانما
امتنع من مارية ليمين تقدمت منه
وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل
له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع
منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت
عليه وكفر ونحوه قوله قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين
كشاف

وقد يحذف الاول اعتمادا على ما يدل عليه وقد جاءت الاستعمالات الثلثة في هذه الايات فلما نبأت به
تعدى الى اثنين وحذف اولهما والثاني مجرور بالباء وهو ضمير الحديث ان نبأت حفصة صاحبتها
التي هي عائشة بالحديث الذي اسره اليها رسول الله صلى الله عليه الصلوة والسلام والضمير المنصوب
في اظهره للنبي عليه الصلوة والسلام وضمير عليه راجع الى الحديث بتقدير المضاف اي على افشائه فعلى
هذا يكون اظهر متضمنا معنى اطلع من ظهر فلان السطح اذا علاه وحقيقته صار على ظهره واظهره
السطح ان رفعه عليه واستعير للاطلاع على الشيء اي اطلع الله النبي على افشاء حفصة رض ذلك الحديث
على جبرئيل عليه السلام والمرفوع المستتر في عرف للنبي ومفعوله الاول محذوف اي عرف النبي عليه
الصلوة والسلام حفصة بعض ما افشته الى صاحبتها على طريق العتاب بان قال لها الم اك امرتك
ان تكتمي سري ولا تبديه لاحد وذكر بعض الذي افشته وسكت عن بعض من هذا قيل ان الكريم
لا يبالغ في العتاب وهذا المعنى على قراءة التشديد في عرف وهي قراءة الجمهور وقرأ الكسائي //
بتخفيف الراء قال الفراء معناه غضب فيه وجازى عليه وهو العرب انا اعرف الاحسان اجازي عليه
وفي التنزيل وما تفعلوا من خير يعلمه الله اي يجازي عليه وفيه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وانما احتيج
الى هذا التاويل على قراءة التخفيف لانه تعالى اعلمه على جميع ما نبأت به حفصة صاحبتها لقوله تعالى واظهره
الله عليه قال المفسرون ان النبي صلى الله عليه وسلم جازى حفصة بان طلقها طلقة واحدة فلما بلغ ذلك عمر
رض قال لو كان في آل خطاب خير لما كان رسول الله عليه الصلوة والسلام طلقك فامره جبرئيل براجعتها وشفع
فيها وقيل هم بطلاقها فقال له جبرئيل عليه السلام لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة
فلم يطلقها قوله لكن المشهور من باب اطلاق اسم المسبب وهو التعريف على السبب الذي هو المجازاة
فان عتاب المسيء ومجازاته سبب لتعريفه اساءته كما ان تعريف اساءة المسيء سبب لمجازاته
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل نساءه شهرا وحلف ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة
موجدته عليهن حين عاتبه الله تعالى بسببهن وقعد في مشربة مارية ام ابرهيم رض حتى نزلت آية
التخيير قالت عائشة رض فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انك كنت اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك قد دخلت من تسع وعشرين اعدهن
فقال ان الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ثم قال يا عائشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك
ان لا تعجلي فيه حتى تستأمري فيه ابويك ثم قال ان الله تعالى اوحى الي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة
الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله و
الدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما فخيرني ما حترت الله ورسوله ثم خير سائر
نسائه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة رض وكانت تحته عليه الصلوة يومئذ تسع نسوة خمس
من

ان قال الا انك قد ذكرت كذا وذكر بعض ذكره دون الكل تكرما عن الاستقصاء في الاعلام منه

فانه اذا علم الاول فقد اعلم جميعه فلم يجز ان يكون عرف بالتخفيف بمعنى علم منه

وعن عمر رض قال سمعت النبي عليه الصلوة والسلام يقولون انه طلق نساءه فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله قالت لا ادري هو هذا معتزل في هذه المشربة فاتيته فدخلت فسلمت عليه فقلت اطلقت نساءك يا رسول الله فقال لا فقلت الله اكبر وفيه تفصيل ذكره محيي السنة في المعالم

من قريش عائشة بنت ابي بكر رض وحفصة بنت عمر رض وام حبيبة بنت ابي سفيان رض وام
سلمة بنت امية رض وسودة بنت زمعة رض وغير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية
رض وميمونة بنت الحارث الهلالية رض وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية رض وجويرية بنت
الحارث المصطلقية رض والمستتر في قوله تعالى فلما نبأها به ضمير النبي والبارز في نبأها ضمير حفصة و
المجرور في به ضمير الحديث الذي افشته حفصة اي فلما اخبر النبي عليه الصلوة والسلام حفصة بما اظهره الله
عليه من انها افشت سره قالت من اخبرك هذا عني يا رسول الله ظننت ان عائشة رض اخبرته قوله
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة اشارة الى ان قوله تعالى فقد صغت قلوبكما ليس جزاء للشرط من حيث
ان صغو قلبيهما كان سابقا على الشرط والجزاء يجب ان يكون مترتبا على الشرط مسببا عنه بل جزاء
الشرط محذوف والمذكور يدل عليه من حيث انه علة اي ان تتوبا فقد اتيتما بما وجب عليكما اذ
وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب حيث احببتما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه الصلوة والسلام يحب العسل والنساء وكذا الكلام
في الشرطية الثانية وهي قوله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه فان الجزاء فيها ما اشار اليه بقوله
فلن يعدم من يظاهره وقوله فان الله هو مولاه علة له فان من كان الله وليه وناصره كيف يعدم المظاهر
وان تظاهرا اي تتعاونا على النبي عليه الصلوة والسلام بالمعصية والايذاء تعاملا من الظهر لانه اقوى
الاعضاء بالافراط في الغيرة وافشاء سره وقوله هو مولاه قيل يجوز ان يكون هو فصلا ومولاه خبر ان
وان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجملة خبر ان وقوله جبرئيل يجوز ان يكون عطفا على موضع اسم ان
بعد استكمالها خبرها وكذا قوله وصالح وان يكون كلاهما معطوفين على المنوي في مولاه فيكون جبرئيل و
ما بعده داخلين في الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون جبرئيل ايضا ظهيرا له عليه الصلوة و
السلام بدخوله في عموم الملائكة ويجوز ان يكون الكلام تم عند قوله مولاه ويكون جبرئيل مبتدأ وما بعده
عطفا عليه وظهير خبر الجميع فتختص الولاية بالله تعالى وفي جعل هو فصلا بحث لانه قد تقرر ان توسط
ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر المعرفتين يفيد الحصر واذا انحصرت الولاية له عليه الصلوة والسلام
في الله تعالى كيف يصح عطف جبرئيل وما بعده عليه فانه لا يقال زيد هو المنطلق وعمرو بل يقال زيد لا
غير فالوجه ان يجعل مبتدأ ثانيا جيء به لتقوي الحكم لا للحصر قوله وجبرئيل رئيس الكروبيين فيه
اشعار بوجه تخصيص جبرئيل بالذكر من بين الملائكة وجعل قوله والملائكة بعد ذلك ظهير جملة مستقلة
معطوفة على جملة فان الله هو مولاه وما عطف عليه والكروبيون المقربون من كرب الشيء اي
دنا وقرب قيل في هذا اللفظ ثلث مبالغات احدها ان كرب ابلغ من قرب والثانية انه وزن فعول
وهو للمبالغة والثالثة زيادة الياء فيه وهي تزاد للمبالغة كاحمري قوله ولذلك عم بالاضافة

قوله وتخصيص صالح جبرئيل للتعظيم الشهير ان ذكر الخاص بعد العام تشريف له وتعظيم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله و جبرئيل وههنا ذكر العام بعد الخاص ويكون هذا الاسلوب مفيدا للتعظيم غير مشهور الا ان العلة مشتركة منه

فان اضافة اسم الجنس تفيد العموم فكان في معنى وصالحوا المؤمنين بل اشمل قوله وبقوله بعد ذلك
تعظيم جواب عما يقال قوله بعد ذلك لا يخ اما ان يراد به البعدية الزمانية او الرتبية لاسبيل الى الاول لان
تظاهر الملائكة على موالاته عليه السلام بعد موالاة صلحاء المؤمنين زمانا وهو ظاهر ولا الى الثاني
لان بعدية مظاهرة الملائكة رتبة بالنسبة الى موالاة من سبق ذكره لا تخلو اما ان تكون مظاهرتهم
اعظم واقوى من موالاة من سبق ذكره او ادنى او اضعف فالاول يستلزم ان تكون نصرة الملائكة
اعظم من نصرة الله تعالى وهو محال وكذا الثاني يستلزم ان تكون نصرتهم اضعف وادنى من نصرة
صلحاء المؤمنين وكذلك وتقرير الجواب ان نصرة الله تعالى على وجهين الاول نصرته بذاته والثاني
نصرته بتوسط مخلوقاته والاول هي النصرة الحقيقية المستغنية عن الالات والاسباب والعدة والمدة
فانه ينصر من يشاء بقدرته القاهرة التي لا يتاتى على نفاذها معقودا ربما والثاني يتفاوت بحسب
تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة اعظم وابعد رتبة بالنسبة الى نصرة سائر المخلو
قات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فانه تعالى مكن الملائكة على ما لا يمكن الانسان عليه فالمراد بقوله
بعد ذلك البعدية بحسب الرتبة بان تكون مظاهرة الملائكة اعظم بالنسبة الى نصرة المؤمنين على ان تكون
ذلك اشارة الى من ينصر الله تعالى به من خلقه والملائكة بجهة عمومه يتناول جبرئيل فيفيد تعظيم نصرة
جنس الملائكة على نصرة سائر ما يكون واسطة في نصرة الله تعالى اياه عليه الصلوة والسلام ولا يخفى
ان نصرة جميع الملائكة وفيهم جبرئيل اقوى من نصرة جبرئيل وحده قال ابن عباس رض اراد بقوله
وصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضي الله عنهما وقال الضحاك خيار المؤمنين وقيل من آمن وعمل صا
لحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الانبياء وقيل الخلفاء وقيل الصحابة رض والظاهر ان صالح
مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون الواو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعا بالواو والنون وحذفت النون
للاضافة وسقطت واو الجمع في التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت في الكتاب على اللفظ //
يمح الله الباطل ويدع الداع وسندع الزبانية الى غير ذلك قوله يتظاهرون اشارة الى ان ظهير
بمعنى الجمع وافراده لفظا بناء على ان فعيل يطلق على الواحد والكثير كفعول وفي التنزيل خلصوا نجيا
وحسن اولئك رفيقا قوله عسى ربه لما عاتبهما بانه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة
شرع في تخويفهما بان ذكر لهما انه عليه الصلوة والسلام يحتمل ان يطلقكما ثم انه ان طلقكما لا يعود
ضرر ذلك الا اليهما لانه تعالى يبدله ازواجا خيرا منكن خاطب الله جميعهن مع ان الخطاب السابق
ليس الا مع اثنين منهن على تغليب المخاطب على غيره حيث عبر عن الجمع بلفظ المخاطب مع ان
الخطاب ليس الا مع اثنين منهن او على تعميم الخطاب وقصده فصل لكل عسى في القران واجب
الا هذا وقيل هو ايضا واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فان المذهب
انه ليس

كتاب
عليه وسلم
وطاعة الله في طاعة رسول الله صلى الله
القنوت هو القيام بطاعة الله تعالى
عوض بذلك في قوله قانتات لان
على هواه ورضاه خيرا منهن وقد
مع الطاعة لرسول الله والتذلل
غيرهن من الموصوفات بتلك الاوصاف
اياه لم يبقين على تلك الصفة ولكن
عليه وسلم لعصيانهن له وايذائهن
قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله
نساء خير من امهات المؤمنين
خير امنهن ولم يكن على وجه الارض
فان قلت كيف تكون المبدلات

٤٤٢

انه ليس على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين الا انه عليه الصلوة والسلام اذا طلقهن //
بعصيانهن له وايذائهن اياه كان غيرهن من الموصوف بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم خيرا منهن وهذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم يكن واقعة في نفسها وكان الله تعالى
عالما بانه عليه الصلوة والسلام لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن يبدله خيرا منهن
تخويفا لهن كقوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم فانه اخبار عن القدرة
وتخويف لهم لا ان في الوجود من هو خير من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان طلقكن شرط
معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف او متقدم اي ان طلقكن فعسى وازواجا مفعول
ثان لقوله ان يبدله وخيرا صفة للازواج وكذا ما بعده من لدن قوله مسلمات الى قوله ثيبات و
اخليت هذه الصفات كلها عن العاطف وجئ به بين الثيبات والابكار وهما صفتان ايضا
لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعان في احد بخلاف سائر الصفات قوله متقاربات مخلصات
لما توهم كون قوله مسلمات مؤمنات مشتملا على التكرار دفعه بان الايمان هو التصديق بالقلب
والاسلام هو الاقرار باللسان او هو الانقياد الظاهري بالجوارح وقد لا يجتمعان فجمع بين قوله
مسلمات مؤمنات تحقيقا لاجتماعهما قوله مصليات هكذا فسره الحسن وفي الصحاح القنوت
الطاعة هذا هو الاصل ومنه قوله تعالى والقانتين والقانتات ثم سمي القيام في الصلوة قنوتا وفي
الحديث افضل الصلوة طول القنوت ومنه قنوت الوتر ايضا وفيه ايضا اصل العبودية الخشوع والذل
والتعبد التذلل يقال طريق معبد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك قوله صائمات قال ابن عباس
والحسن وابن جبير رض وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن مهاجرات قال ابن زيد ليس في امة محمد
عليه الصلوة والسلام السياحة الا الهجرة والسياحة لغة الجولان في الارض قوله تعالى قوا من الوقاية
وهي الحفظ اصلها وقيوا كاضربوا فحذفت الواو لوقوعها في المضارع بين ياء وكسرة والباقي محمول
عليه ثم اعلت الياء بالاسكان والحذف ثم ضم ما قبل الواو ليصح قوله عطفا على واو قوا وجاز العطف
على الضمير المرفوع المتصل من غير تاكيد للفصل بالمفعول وقوله نارا مفعول ثان لان وقى يتعدى الى مفعولين
وكفاه دليلا فوقاه الله سيئات ما مكروا وقودها الناس صفة لنارا والوقود بفتح الواو الحطب
وقرئ بضمها وهو مصدر بمعنى التوقد فلا بد من تقدير مضاف اي ذوو وقودها قوله تلي امرها ان
ليس المراد بالاستعلاء المدلول عليها بقوله عليها الاستعلاء الحسي الحقيقي بل المراد الاستعلاء والغلبة
على ما فيها من الامور قوله او غلاظ الخلق شداد الخلق لا يرحمون اذا استرحموا خلقوا من الغضب
مقتضى جبلتهم تعذيب الخلق كما ان مقتضى جبلة الحيوان الاكل والشرب ما بين منكبي احدهم مسيرة
سنة يضرب احدهم بمقمعة ضربة واحدة سبعين الفا فيهوون في النار وقال عليه الصلوة والسلام

فان قلت الكذب قد خاطب الله تعالى
المخلصين المكذبين بالقول فكانه
يهذا بعينه في قوله تعالى فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا
النار التي وقودها الناس و
الحجارة وقال تعالى اعدت للكا
فرين فجعلها معدة للكافرين
فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وان كانت
دركاتهم فوق دركات الكفار
فانهم ساكنون الكفار في دار
واحدة فقيل للذين امنوا قوا
انفسكم باجتناب الفسوق مساكنين
الذين اعدت لهم هذه النار
الموصوفة ويجوز ان يامرهم بالتوقي
من الارتداد والندم على الدخول
في الاسلام وان يكون خطابا
للذين امنوا بالسنتهم وهم المنا
فقون ويعضد ذلك قوله تعالى
على اثره يا ايها الذين كفروا
كشاف

في خزنة جهنم ما بين منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب قوله فيما مضى وفيما يستقبل
اشارة الى معنى الجملتين والفرق بينهما بحسب المعنى فان العصيان عبارة عن ترك المامور به
فيكون انتفاء العصيان باتيان المامور به فيكون عطف قوله ويفعلون ما يؤمرون كعطف الشيء
على نفسه والاظهر في الوجه الاول ان يقال ان الجملة الاولى للحال والثانية للاستقبال نظرا الى لفظ
المضارع فيهما وتقدير الوجه الثاني ان الذين اذا امرهم بامر يقولون سمعنا واطعنا ولا
يقولون سمعنا وعصينا فان السمع قسمان سمع طاعة وهو ما يكون مع التقبل والالتزام و
عزم الاتيان وعدم الاباء والانكار وسمع معصية وهو ان لا يكون مع التزام بل يكون مع كطا...
الاباء والانكار او مع اظهارهما فمعنى لا يعصون انهم يسمعون سماع القبول والالتزام و
معنى قوله ويفعلون وانهم يفعلون حسب ما التزموه قوله بالغة في النصح اشارة الى ان فعول
من ابنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور والى انه امام من النصح بضم النون وهو الخلوص
او الصدوق قال ابن الاعرابي نصحت الابل الشرب تنصح نصوحا اي صدقته وانصحتها انا
اي ارويتها ومنه التوبة النصوح وهي الصادقة او من النصاحة وهي الخياطة فتوبة نصوحا
على الاول بمعنى توبة خالصة صادقة لا مداهنة فيها قال الاصمعي الناصح الخالص من العسل
ونحوه وكل شيء اخلص فقد نصح فالتائب اذا صدق الله في توبته بان توجه اليه بكليته
لما غفل عنه عند المعصية بكليته فقد خلص فيها الله تعالى وعلى الثاني توبة بالغة في الخياطة و
الاحكام في الصحاح النصح بالفتح مصدر قولك نصحت الثوب خطته ومنه التوبة النصوح
اعتبارا بقوله عليه الصلوة والسلام من اغتاب خرق ومن استغفر رفا قوله كانها تنصح ما خرق
الذنب اصل الكلام مكان التائب برفا خرقه بالذنب قوله تقديره ذات نصوح ذكر لانه صاحب
نصوحا بضم النون نكتة اوجه الاول انه صفة توبة بتقدير المضاف ويجوز ان يكون من باب
الموصوف بالمصدر للمبالغة مثل رجل عدل والثاني انه مصدر موكد لفعل محذوف والجملة
صفة توبة اي توبة تنصحهم نصوحا والثالث انه مفعول له اي لاجل النصوح لا نفكم قوله
وللعوايض الاعادة اي اذا كان الذنب الذي يكون منه التوبة حقا لله كترك صلوة وصوم و
تفريط في زكوة فان التوبة لا تنصح منه حتى ينضم الى الندم قضاء ما فات منها قوله عطف على النبي
اي ولا يخزي الذين امنوا فعلى هذا يكون نورهم يسعى مستانفا او حالا قوله وقيل مبتدا خبره
نورهم يسعى ويقولون خبر ثان او حال وتقدم مثل هذه الجملة في سورة الحديد قوله مثل الله
تعالى حالهم الى الظاهر ان هذا الكلام مبني على انه فسر ضرب بجعل وصير وجعل قوله تعالى مثلا و
امراة نوح مفعولين له بتقدير المضاف في الموضعين والتقدير جعل الله حال تينك المراتين
مثلا

والمثل على معناه اللغوي الشبه مثله

مثلا وشبها لحال الذين كفروا في كونهما انهما لم تنتفعا بالانتساب الى عبدين مكرمين عند الله بعد
تحقق المخالفة بينهما في الطريقة والسيرة بل كان حالهما بعد الموت كحال من ليس بينه وبين الانبياء
والصالحين علاقة بوجه ما من الكفرة فكذلك الكفرة لا ينتفعون بالانتساب الى الصلحاء و
في ضرب هذا المثل نوع تنبيه لامهات المؤمنين ان وصلتهما مع النبي صلى الله عليه وسلم لا تغني عنهما
من الله تعالى شيئا اذا عصين وخالفن الامر ولذلك ذكر امراتين تحت نبيين ومن تامل في هذه
التشديدات لاح له منزلة حبيب الله عند الله تعالى وحقق معنى قول ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها يا
رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك الحديث قوله تعالى كانتا تحت عبدين جملة مستانفة
لبيان حال المراتين حتى يتضح التمثيل قوله يريد به اي بنظم الكلام على هذا الاسلوب حيث وضع
الظاهر موضع الضمير ولم يقل تحتهما مع تقدم ذكر نوح ولوط واضاف العبد الى ذاته المقدس ووصفهما
بكونهما صالحين وهو اجل الصفات قوله بالنفاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ما بغت امراة نبي قط و
انما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما فقيل كانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل
خيانتهما النميمة اذا اوحي اليهما شيء افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة
لوط اذا نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال قيل سبب
نزول هذه الاية ان كفار مكة استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فبين الله تعالى ان الشفاعة لا
تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء سيد المرسلين كما لا تنفع شفاعة نوح لامراته ولوط لامراته
فانهما لم يدفعا مع كرامتهما على الله عز وجل عن زوجتيهما لما عصتا شيئا من عذاب الله وقيل
لهما ادخلا النار مع الداخلين كذلك يقال لكفار مكة وغيرهم قطع الله تعالى بهذه الاية طمع من يرتكب
المعصية ان ينفعه صلاح غيره قوله تعالى اذ قالت ظرف للمثل المحذوف تصريح بان المثل اريد به
المعنى المجازي وهو الحال او القصة الغريبة وضرب بمعنى صير والمضاف مقدر مثل قوله امراة فرعون
اي مثل امراة فرعون والمعنى صير الله حال امراة فرعون حال الذين امنوا ومحصول المعنى انه مثل و
شبه حالهم بحالها قوله وعمله اي كفره ومعاصيه وقيل تعذيبه اياي روي انه لما غلب موسى السحرة
امنت امراة فرعون وقيل هي عمة موسى امنت به فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها و
رجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس وقال الضحاك امر بان يلقى عليها حجر رحى وهي في الاوتاد فقالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فوصل الحجر اليها حتى رفع روحها الى الجنة فالقي الحجر عليها بعد خروج
روحها فلم تجد الما وقيل اشتاقت الى الجنة وملت صحبة فرعون فسالت ذلك قوله في فرجها
قال المفسرون اراد بالفرج هنا الجيب لقوله فنفخنا فيه من روحنا وهو من قبيل اسناد المجاز لان
النفخ جبريل بامرنا وهو انما نفخ في جيب درعها فعلى هذا يكون قوله فيه من باب الاستخدام لان الظاهر

ما بغت امراة نبي قط

ورميه بالخيانة وسط ... على الصدق انه ... والسلام ... محققون

وبعد صفنا ... الشبه البليغ ... اسلام ...

فرعون ... الاستغفار ... على ان الاله ... الخلاص
بالله والالتجاء اليه وسؤال ... منه عند المحن ... الانبياء
الصالحين ... ومنهم ... وتجني
رب انتج بيني وبينهم ... المؤمنين ربنا
لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
...

يعني الزمخشري ... ليس ... نفخ ... مله

ان المراد بلفظ الفرج العضو واريد بغير معنى آخر للفرج وهو جيب القميص فان كل خرق في الثوب يطلق عليه لفظ الفرج ومنه قوله تعالى وما لها من فروج **قوله** اي بعيسى والانجيل فان عيسى عليه الصلوة والسلام كلمة الله القاها الى مريم وروح منه **قوله** اي في مريم او في الجبلة قيل فعلى هذا يدل الكلام على احياء مريم لان نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه وليس المراد احياء عيسى في مريم والتقدير ونفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه فيها **قوله** كفضل الثريد على سائر الطعام فان العرب لا يوثرون على الثريد شيئا حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لان الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤنة في المضغ فضرب به مثلا ليؤذن بانها اعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب الى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستيناس بها والاصغاء اليها وحسبك انها عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعقل غيرها من النساء وروت ما لم يرو مثلها من الرجال **سورة الملك مكية** بسم الله الرحمن الرحيم **قوله تعالى** تبارك الذي قال ابن عباس رضي الله عنهما تعالى وتعاظم وقيل هو تفاعل من البركة وهي النماء والزيادة اي كثرت بركات اسمائه او وصلت بركات نعمه الى جميع خلقه وقيل من البروك وهو الثبات والقرار يقال برك البعير بروكا اي استناخ وكل شيء ثبت ودام فقد برك اي دام بره وثبت خيره **قوله** بقبضة قدرته التصرف اشارة الى ان اليد مجاز عن القدرة والظاهر ان قوله بيده الملك استعارة تمثيلية وهو ان يشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها ويدعى دخول الاولى في جنس الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك اللفظ المركب لا في مفرداته بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا كما في قولك اني اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فكذا في هذه الاية شبه احاطته تعالى بالملك واستيلاؤه عليه بحيث يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء بكون الشيء في يد شخص يتصرف فيه كيف يشاء قبضا وبسطا اعطاء واخذا ثم قيل بيده الملك واريد انه محيط به مستول عليه والى هذا اشار المص بقوله بقبضة لانها امارة من القبض ومقدار مقبوض بكف واحدة اي الملك بجملته في قبضة واحدة من قبضاته او مقدار مقبوض بكف واحدة **قوله** في الامور كلها هذا التعميم مستفاد من تعريف الملك بلام الاستغراق ومن كون الكلام مسوقا لتعظيم ذاته المقدس والثناء عليه ومقام المدح يقتضي العموم ومن اشتمال على كلمة كل ومن كون مفهوم الملك يقتضي العموم كما يصرح به كلام الغزالي وصاحب الكشاف خص الملك بالموجود حيث قال بيده الملك على كل موجود من حيث ان المتصف به مع استغنائه في ذاته وصفاته عن كل موجود هو الذي يحتاج اليه كل موجود في وجوده وكمالات وجوده فكان له اختصاص بالموجود قال الامام حجة الاسلام الغزالي

الملك

واما ما روي ان عائشة رضي سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله في كتابه المسلمة بعينها ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها فقالت ما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة الجبلة الخنس تحدث اثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمي آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين وابى الله تعالى الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم واسلم من ذلك كشف

وتقديم الظرف يفيد الحصر والاختصاص اي جنس الموجودات الكلية ان جنس الملك لا يتصرف فيها غيره مخصصة له كما قال له ملك السموات والارض ملا

الملك هو الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ويحتاج اليه كل موجود بل لا يستغني عنه شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا بقائه بل كل شيء وجوده منه او مما هو منه فكل شيء سواه فهو له مملوك في ذاته وصفاته وهو مستغن عن كل شيء فهو الملك المطلق انتهى كلامه ولا انه لا يوصف احد بالملك في العرف العام الا بالنسبة الى الموجود وخص الشيء بالمعدوم الممكن حيث قال وهو على كل شيء مما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة قدير مع ان الشيء عند اصحاب مذهبه يعم كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه سواء كان موجودا او معدوما من حيث ان الشيء لما اعتبر من حيث كونه متعلق القدرة وجب ان يختص بالمعدوم لان المراد بالقدرة القدرة على الايجاد والموجود ليس بمقدور عليه بهذا المعنى لان ايجاد الموجود محال غير مقدور عليه والموجودات حال بقائها مستغنية عن المؤثر عند بعض المتكلمين ومنهم الزمخشري وو جب ان يختص بالممكن ايضا لان الواجب والممتنع ليسا بمقدورين **قوله** على كل ما يشاء اشارة الى ان الشيء مصدر شاء بمعنى المفعول كضرب الامير اي المشيء وجوده ومشية الايجاد تستدعي سبق العدم فخرج الواجب والممتنع والمشيء وجوده معدوم ومع ذلك يسمى شيئا من حيث انه سيصير شيئا وهذا وان كان مجازا الا انه يجب المصير اليه لقيام الدليل على ان المعدوم ليس بشيء والحيوة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما واختلفوا في الموت فقيل انه عبارة عن عدم هذه الصفة عن محل يقبلها وقال اهل السنة انه صفة وجودية مضادة للحيوة كالحرارة والبرودة واحتجوا بقوله تعالى الذي خلق الموت والعدم لا يكون مخلوقا لان المخلوق حادث وعدم الحوادث ازلي ولو كان مخلوقا لزم وجود الحوادث ازلا وهو باطل وقول المص قدرهما او اوجد الحيوة وازالها بيان للمعنى المراد بالخلق فانه في الاصل بمعنى التقدير ويستعمل بمعنى الايجاد وفي الصحاح الخلق التقدير يقال خلقت الاديم اذا قدرته قبل القطع وقال الحجاج ما خلقت الا فريت ولا وعدت الا وفيت ثم ذكر ما في معناه والموت المسبوق بالحيوة لما كان صفة وجودية حادثة عند نا صح كونه مخلوقا سواء كان الخلق بمعنى التقدير او الايجاد اما على الاول فظاهر واما على الثاني فكذا الا ان المص عبر عن خلق تلك الصفة الوجودية بازالة ضدها لكون كل واحد منهما لازما مساويا للآخر وحكي عن ابن عباس رضي والكلبي ومقاتل رح ان الموت والحيوة جسمان فالموت في هيئة كبش املح لا يمر بشيء ولا يجد ريحه الا مات وخلق الحيوة على صورة فرس انثى بلقاء وهي التي كان جبريل والانبياء يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء يجد ريحها الا حيي ولا تطأ على شيء الا حيي وهي التي اخذ السامري من اثرها قبضة فالقاها على العجل فحيي

حمل قطعت على وجه الاصلاح منه

الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين على سبيل القصد

وهو دفع التعبير عن تلك الصفة بالحيوة الذي هو مفهوم عدمي الا انه لكونه كاشفا عن تلك الصفة الوجودية لم يتحاش عنه منه

والظاهر ان هذا القول منقول على سبيل التمثيل والتصوير والا فهو في التحقيق من قبيل الصفات لا
من قبيل الاعيان **قوله** ليعاملكم معاملة المختبر يعني ان البلوى وهو الاختبار ليس على حقيقته لانه انما يتصور
ممن يخفى عليه عواقب الامور بل هو وارد على سبيل الاستعارة التمثيلية حيث شبهت حال المكلفين
الذين كلفهم الله تعالى بالاوامر والنواهي بعد ما مكنهم من فعل الطاعة والمعصية حتى يظهر منهم ما ثبت في
علمه الازلي من طاعة المطيع ومعصية العاصي فيجازيهم على حسب عملهم لا على حسب علمه بما يصدر منهم
فانهم لا يستحقون الثواب والعقاب بما في علمه تعالى بل بافعالهم بحال المختبر فاستعيرت العبارة الموضوعة للحالة
الثانية للحالة الاولى وما يظهر بخلق المكلفين وتكليفهم من طاعتهم ومعصيتهم باختيارهم غير ما
تعلق به العلم الازلي منهما فان العلم الازلي تعلق بهما قبل وقوعهما باعتبار انهما سيقعان لا باعتبار
انهما واقعان لان ذلك لا يكون علما وما يظهر بخلقهم وتكليفهم هو تحققهما ووقوعهما بالفعل فمعنى قوله
تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعلم ان هذا المعنى واقع بعد ما علم انه سيحصل والفلاسفة خذلهم الله تعالى
زعموا ان الله تعالى يعلم الجزئيات على وجه كلي لا على وجه جزئي والمسلمون ايدهم الله تعالى يعتقدون انه تعالى يعلم
الجزئيات على وجه جزئي اي عند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد و
ستعدم فالتغير في المعلوم لا في العلم والالف واللام في قوله الموت والحيوة عوض عن المضاف اليه اي خلق موتكم
وحيوتكم ايها المكلفون ليبلوكم لان خلق موت غير المكلفين وحيوتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له فان الابتلاء انما
يكون بالاحياء والتكليف فمعنى خلق الموت للابتلاء الجواب ان البلوى الذي جعل علة للخلق متضمن معنى العلم
الذي هو سبب للمجازاة فكانه قيل ليعلم ايكم احسن عملا فيجازيكم على حسب ذلك والجزاء انما يكون بعد الموت الذي يوصل
السعداء الى ارفع المراتب واللام في قوله ليبلوكم ظاهره يدل على ان افعال الله تعالى معللة بمصالح العباد وانه تعالى يفعل
الفعل لغرض كما ذهب اليه المعتزلة وعند اهل السنة والجماعة ليس هو على ظاهره بل معناه ان الله تعالى فعل فعلا لو
كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله الا لتلك المصلحة والغرض **قوله** اصوبه واخلصه لان العمل اذا كان خالصا
ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل ايضا فثبت ان احسن الاعمال ما كان اصوب واخلص
بان يكون لوجه الله خالصا وبان يكون موافقا للسنة **قوله** جملة واقعة يعني ان ايكم مبتدأ واحسن خبره وعملا
تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى وقوله المتضمن اشارة الى جواب ما يقال ان فعل
البلوى متعد الى مفعول واحد بنفسه وانما يتعدى الى الثاني بواسطة الباء وقد اخذ ههنا مفعوله وهو الضمير المنصوب
المتصل فكيف يصح ان يقال انه يستدعي مفعولا ثانيا يتعدى اليه بنفسه وان الجملة الاسمية واقعة موقعه وجوابه نعم
انه كذلك الا انه متضمن بمعنى العلم فكانه قيل ليعلمكم ايكم احسن عملا وبذلك الاعتبار استدعى مفعولا ثانيا وهي
الجملة التي بعده ولما كان فعل البلوى في قوة افعال القلوب التي من خصائصها انها تعلق بحرف الاستفهام نحو
علمت ازيد افضل ام عمرو وبالاسم المتضمن لمعنى الاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى احتمل ان يكون هذه الآية

من

اي حاصلها طلب العبادة منهم مع تفويض الاختيار اليهم منه

لان احياءهم واماتتهم ليس بمنوطين بذلك العلم بل تابعان لهم منه

فان في [illegible] انما يكون [illegible] الله تعالى والصواب ان يكون على السنة [illegible]

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تلاها فلما بلغ قوله تعالى ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله تعالى يعني ايكم اتم عقلا من الله وفهما لاغراضه منه والمراد انه اعطاكم الحياة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذي لا بد منه منه

من باب التعليق لان اي متضمن لمعنى الاستفهام فانك اذا قلت لا علم ايكم افضل كان المعنى لا علم ازيد افضل ام عمرو
واعلم لا يعمل فيما بعد الاستفهام وكذا لا يعمل في اي لاتحاد المعنى فلذلك دفع هذا الاحتمال بان قال وليس من
باب التعليق وروي عن الزمخشري انه قال اذا قلت علمت لزيد منطلق فهو تعليق للفعل عن العمل في الصورة كما
يمنع اللحم خلاء عن الهرة اذا علقته بالوتد العالي فكذلك منعت الفعل عن العمل في الصورة اذا وقع بعده ما يجب
صدر الكلام فلا يعمل الفعل المعلق فيما بعده لفظا محافظة على صدارته ويعمل معنى وتقديرا لان معنى علمت
لزيد قائم علمت قيام زيد كما كان كذلك عند انتصاب الجزئين ومن شرط التعليق عند النحويين ان لا يذكر شيء
من المفعولين كقولك علمت ايهم اخوك وعلمت لزيد منطلق اما اذا قلت علمت القوم ايهم افضل فهذا الكلام
صحيح في نفسه ولكن لا يكون تعليقا عندهم واذا كان كذلك فلا تعليق فيه وهو قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس
من التعليق في شيء وهو الضمير المنصوب انتهى كلامه وفي شرح الرضي واذا صدر المفعول الثاني بكلمة الاستفهام
فالاولى ان لا يعلق فعل القلب عن المفعول الاول نحو علمت زيدا من هو وعلمت عمرا ابوه من هو وجوز
بعضهم تعليقه عن المفعولين لان معنى الاستفهام يعم الجملة التي بعد علمت كانه قيل علمت ابو من زيد وليس
بقوي لاتفاقهم على النصب في علمت زيدا ما هو قائما ام ان المعنى علمت ما زيد قائما انتهى **قوله** لانه يخل به
وقوع الجملة خبرا اي اذا اسبق احد المفعولين والمفعول الثاني جملة مصدرة بكلمة الاستفهام لا يكون معلقا
عن الجملة الاستفهامية واللازم ان يكون الجملة الاستفهامية خبرا والانشاء لا يقع خبرا كما هو المشهور في النحو
وجه اللزوم ما ذكره الفاضل الاسترابادي في شرح الكافية من ان اعراب الجملة المعلق عنها كاعراب [illegible]
اذا لم يتقدم عليها فعل القلب فيلزم ما ذكر بخلاف ما اذا وقعت الجملة الاستفهامية موقع المفعولين فان
التعليق فيها لا يستلزم وقوع الانشاء خبرا وهو ظاهر واستدل الزمخشري على ان الفعل لا يعلق عن الجملة
الاستفهامية الواقعة موقع المفعول الثاني بان الفعل لا اثر له في لفظ الجملة بل في محلها فاذا اسبق احد
المفعولين والمفعول الثاني جملة وجب ان لا يفرق بين كونها مصدرة باداة التعليق وغير مصدرة بها
صورة ولفظا كما في قولك علمت زيدا ابوه قائم وعلمت زيدا لابوه قائم فان عمل علمت ليس الا في محل ابوه قائم
وهو باق عند ورود كلمة التعليق فاذا لم يتغير ما صورته لم يبق وجه لجعل الاول من باب الاعمال والثاني من
باب التعليق بل كلاهما من باب الاعمال **قوله** مطابقة اشارة الى ان طباقا مصدر بمعنى المطابقة وانه صفة
لسبع سموات وانما وصفت بالمطابقة مبالغة والوجه ان يكون قوله مطابقة بكسر الباء لكون المصدر
بمعنى الفاعل **قوله** اذ خصفتها طبقا على طبق اي اذا الزقت بعضها على بعض قال الله تعالى وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة اي يلزقان بعضه ببعض ليسترا به عورتهما **قوله** او طوبقت طباقا على انه مصدر
مؤكد لفعله المحذوف والجملة صفة سبع **قوله** او ذات طباق عطفا على مصدر بحسب المعنى اي او جمع
بمعنى ذات طباق فهو ايضا صفة لسبع ويجوز ان يكون حالا من سبع لتعرفه بالاضافة الى ما هو في

وظاهره انه مبني على ان الفعل لم يعلق عن الجملة الاستفهامية كما هو اختيار الزمخشري لا على انه يجوز التعليق عن احد المفعولين دون الآخر كما هو المراد من هذا الكلام والمسئلة خلافية منه

حكم المعرفة لان المراد بالسموات كلها او رحبة المسجد بالتحريك ساحته والجمع رحب ورحاب ورحبات قوله
صفة ثانية اشارة الى ان طباقا صفة على التقادير كلها كما قررناه وما جعله صفة ثانية وقد تقرر ان الجملة لوا
نعت صفة لابد فيه من العائد الى الموصوف فجعل خلق الرحمن من وضع الظاهر موضع الضمير واصل الكلام ماترى
فيهن قوله للتعظيم لان مصنوع العظيم عظيم قوله والاشعار بعموم هذا الظاهر بحسب المفهوم لكل مخلوق
بانه تعالى يخلق مثله قوله وان في ابداعها نعما لان اسناد خلقها الى الرحمن اشعار بان خلقه على مقتضى الحكمة البا
لغة قوله متعلق بقوله ماترى على معنى التسبب اي على ان يكون الاخبار بعدم التفاوت في خلق الرحمن سببا لان
يؤمر المخاطب برجع البصر ليتحقق عنده ما اخبر به ورجع يجيء لازما ومتعديا فرجع بنفسه رجوعا ورجعه غيره
قوله في ارتياد الخلل اي في طلبه الجوهري راد الكلاء يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى اي
طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم فليرتد لبوله اي ليطلب مكانا لينا او منحدرا قوله كما في لبيك وسعديك فان
اصلهما الب لك البابين اي اقيم لخدمتك وامتثال مامورك ولا ابرح من مكاني واسعدك اي اعينك اسعا
دين فان اسعد يتعدى بنفسه بخلاف الب فانه يتعدى باللام وتثنية المصدر فيهما للتكرير اي البابا و
اسعادا كثيرا متواليا وكذا قوله كرتين فانه منصوب على المصدرية للفعل السابق فانه بمعنى ثم ارجع البصر
رجعتين اخريين وليس المراد رجعتين اثنتين بل المراد ان يكرر النظر اليها مرارا كثيرة بشهادة قوله وهو
حسير فانه فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذي هو الاعياء وحسيرا اي بالغ غاية الاعياء والكلال ومن المعلوم
ان البصر لايبلغ الحد المذكور برجعه كرتين اثنتين وانما يصير حسيرا برجعه مرارا كثيرة قوله كانه طرد عنه
طردا بالصغار اشارة الى ان خاسئا اسم فاعل من خسأ اللازم بمعنى تباعد وهرب فعلى معنى الصغار
والذلة فاذا قيل خسأ الكلب فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كانه زجر وطرد عن مكانه الاول بالصغار
وخسأ يستعمل لازما ومتعديا فيقال خسأ الكلب بنفسه وخسأت الكلب اي باعدته وطردته ولايجوز ان يكون
خاسئا في الآية مشتقا من المتعدي الا بان يكون بمعنى المفعول اي مبعدا اي اذا كررت نظرك لم يرجع اليك بصرك
بما طلبه من وجدان الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا مبعدا صاغرا عن ان يرى شيئا من ذلك وقال ابن عباس
رض الخاسئ الذي لم ير ما يهواه قوله ينقلب مجزوم على انه جواب الامر وخاسئا حال من البصر وهو حسير
جملة حالية اما من البصر او من الضمير المستتر في خاسئا فتكون من قبيل الاحوال المتداخلة اعلم انه تعالى عظم
ذاته الكريم اولا بقوله تبارك وعلا باختصاص الملك به وشمول قدرته لجميع الاشياء وان لا مؤثر فيها
سوى قدرة الله تعالى وجعله ذريعة الى اثبات البعث والجزاء لان الايمان به اصل العقايد الدينية بعد الايمان
بالله الكرام الجزاء بان وصف نفسه بانه هو العزيز الغفور وكونه عزيزا غفورا لما توقف على كونه
قادرا على جميع المقدورات عالما بكل المعلومات ذكر بعد ذلك ما يدل على اتصافه بهاتين الصفتين اما توقفه
على القدرة التامة لان من لم يكن تام القدرة كيف يتمكن من ايصال جزاء كل احد تمامه اليه سواء
كان

قوله اي نظرت اليها اشارة الى ... وجه ابدا ... التعقيب في قوله فارجع البصر مع انه ليس قبله فعل ... فذكر ان كونها سببية لا ينافي كونها للتعقيب ... معلها

كان ثوابا او عقابا واما توقفه على العلم التام لان من لم يحط علمه بجميع المعلومات لايتميز المطيع
من العاصي فيخطئ في ايصال الحق الى مستحقه فابتدا بذكر ما يدل على القدرة التامة فقال الذي خلق سبع
سموات طباقا فانها من حيث كونها معلقة في جو الهواء بلا عماد ولا سلسلة مع اختصاص كل
واحد منها بكيفيات بديعة وخواص غريبة تتحير في ادراكها العقول والابصار يدل على كمال القدرة
وعقبه بذكر ما يدل على العلم فقال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ثم ذكر ما يدل على كونه قادرا عالما
فقال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب من حيث حدوثها واختصاصها بما فيها من الخواص
والاوصاف يدل على قدرة صانعها ومن حيث ما يتفرع عليها من المنافع والمصالح يدل على علمه قوله
اقرب السموات الى الارض اشارة الى ان الدنيا تانيث الادنى بمعنى الاقرب وان كون السماء قربى من ساير
السموات انما هو بالاضافة الى ما تحتها من الارض لامطلقا لان الامر بالعكس بالاضافة الى ما فوقها من
العرش والمصابيح السرج استعير للكواكب تشبيها لها بها في الاضاءة فان الناس يزينون مساجد
هم ومنازل اجتماعهم باثقاب السرج فيها فمن الله تعالى عليهم بمثل ما الفوه حيث زين سقف الدار
التي اجتمعوا فيها بمصابيح لاتوازيها مصابيح الناس قوله ولا يمنع ذلك اي كون المصابيح زينة لسماء الدنيا
لا يقتضي كونها مركوزة في السماء الدنيا ولا ينافي كون بعضها مركوزة فيما فوقها من السموات لان
السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا او في سموات اخرى فوقها فهي لابد وان
تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين يكون السماء الدنيا متزينة بهذه المصابيح وهذا
القول من المص مبني على تجويز ان يكون الامر على ما اتفق عليه اهل الهيئة من ان الكواكب الثوابت
مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق الكل السموات والله تعالى اعلم قال قتادة رح خلق الله النجوم
لثلث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر والاوقات فمن
تاول غير ذلك فقد تكلف مالا علم له وتعدى وظلم قوله هي رجم عدائكم اشارة الى وجه الامتنان
بجعل الكواكب رجوما للشياطين فقد روي ان السبب في جعلها رجوما ان الجن كانت تستمع بخبر
السماء فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا
للسمع رمي بشهاب فاحرقه لئلا ينزل به الى الارض فيلقيه الى الناس فيخلط على النبي صلى الله عليه
وسلم امره ويرتاب الناس بخبره وهذا لايستلزم ان لا تكون هذه الشهب موجودة قبل بعث
النبي صلى الله عليه وسلم البتة بل يجوز ان يوجد قبله لاسباب اخر حتى ان قدماء الفلاسفة ذكروا
وقوعها واسبابها في كتبهم وانما يدل على انها بعد البعثة قد توجد لسبب آخر وهو دفع الجن و
زجرهم عن ابن عباس رض قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الصحابة اذ رمي بنجم
فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم ويموت

ولقد زينا السماء الدنيا التعرض ... على ... انه الزينة ... في الواقع ... علينا اذ لا ... من ... في النظر ابن كمال

وجعلناها رجوما للشياطين وفيه دلالة على ان الكواكب التي استعير لها المصابيح في السماء الدنيا لان انقضاض الشهب لا يتصور من ساير السموات وقد مر في سورة الانبياء ان تحت السماء فلكا هو مكنون فيه الكواكب كلها وعن كعب ان السماء الدنيا موج مكفوف ابن كمال

وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء نجم ولكنهم يتبعون الكهانة و يتخذون النجوم علة ...

عظيم قال صلى الله عليه وسلم فانها لا ترمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا عز وجل اذا قضى الامر في السماء
سبحت حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء
حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء و
تتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه قوله وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا
اي قيل انه ليس من الرجم بمعنى الرمي بل من الرجم الذي هو ان يتكلم الرجل بالظن كما في قوله رجما بالغيب قوله
بانقضاض الشهب المسببة عنها الظاهر انه متصل في الكتابة والترتيب بقوله هي رجم اعدائكم وهو كذلك في
بعض النسخ وانه جواب عما يقال ما وجه كون المصابيح التي جعلت زينة للسماء مما يرجم به الشياطين مع انها
قارة ثابتة في محالها لم ينتقص شيء منها مع ان هذه الشهب يرمى بها من قديم الزمان وتقرير الجواب ان المسترقة
لا يرجمون بالكواكب انفسها بل يرجمون بالشهب المسببة عنها فان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم
منفصلة من نار الكواكب وهي قارة في الفلك على حالها كقبس يؤخذ من النار وهي النار كاملة في موضعها كما هي
قوله تعالى واعتدنا لهم وقوله وللذين كفروا وان الذين يخشون ربهم الاية كالنتيجة لما سبق اي ثبت
بدلائل القدرة الكاملة والعلم الشامل انه عزيز غفور ثبت كونه قادرا على تعذيب العصاة وعلى اثابة المطيعين
فذكر بعد ذلك تفاصيل احوال الفريقين وعذاب جهنم في قراءة الجمهور مرفوع مبتدا وللذين كفروا خبره قدم عليه
وقرئ بالنصب على طريق عطف المنصوب على المنصوب والمجرور على المجرور الجوهري الشهيق الحمار آخر صوته و
زفيره اوله وقيل الشهيق رد النفس والزفير اخراجه وقيل الشهيق في الصدر والزفير في الحلوق قال تعالى
اذا طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة سمعوا لجهنم شهيقا ولعل المراد تشبيه صوت لهب النار بالشهيق
وهو افظع الاصوات وقال المبرد والله تعالى اعلم تنفس كتنفس المتغيظ وقال عطاء سمعوا لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها
شهيقا على حذف المضاف قوله وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم يعني شبه اشتعال النار بهم لحقوقها
نثرا فيهم وايصال الضرر اليهم باغتياظ المغتاظ [illegible] على غيره المبالغ في ايصال الضرر اليه فاستعير اسم الغيظ
لذلك الاشتعال استعارة تصريحية قوله تمثيل بمعنى التشبيه ويحتمل ان يكون بمعنى التخييل على معنى ان الغيظ
استعارة تخييلية تابعة للاستعارة بالكناية بان شبه جهنم في النفس لشدة غليانها وقوة تاثيرها فيهم
بالانسان المغتاظ على غيره المبالغ في ايصال الضرر اليه واثبت لها لازم المشبه به وهو الغيظ دليلا على
التشبيه المضمر في النفس الغيظ اشد الغضب وهو الحرارة التي يجدها الانسان من فوران دم قلبه والتغيظ
اظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع قال تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا والغضب ثوران دم القلب
ارادة الانتقام ولذلك جاء اتقوا الغضب فانه جمرة في قلب ابن آدم الم تر الى انتفاخ اوداجه و
حمرة عينيه قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فيه دليل على جواز الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب
بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى ولكنهم اتبعوا بتلك الجملة تحسرا وزيادة في تغممهم على تفريطهم في قبول قول النذير

قوله و

انقض الحائط اي سقط وكذا انقض الطائر منه

وقيل من الشياطين المرجوم من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله كذا

وهو جواب عما يقال النار ليست من الاحياء فكيف وصفت اجاب عنه اولا بحمله على التمثيل وثانيا بجواز ان يكون المراد به غيظ الزبانية وكذا قوله سمعوا لها شهيقا وهي تفور شبه صوت لهبها وسرعة تبادرها بصوت الحمار حال جريانها منه

قوله وبالغ في نسبتهم الى الضلال اشارة الى ان قوله ان انتم الا في ضلال كبير من مقالة الكفار اي وقلنا
ما نزل الله من شيء اي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بتكذيبهم للرسل ثم
اعترفوا بجهلهم حيث قالوا وهم في النار لو كنا نسمع من الرسل او نعقل عنهم ثم جوز ان يكون من كلام الخزنة
للكفار اي لما قالوا ذلك الكلام قالت الخزنة لهم ان انتم الا في ضلال كبير قوله فالنذير اما بمعنى الجمع
جواب عما يقال النذير مفرد فكيف قال فوج الكفرة للنذير ان انتم وهذا القول لا يرد على ان يكون
الخطاب من كلام الخزنة للكفار وهو ظاهر قوله او لواحد عطف على قوله بمعنى الجمع وقوله اقامة
عطف على التغليب قيل ظاهر الاية يدل على انه لا يدخل النار احد الا الكفار الذين كذبوا الرسل
لانه تعالى حكى عن كل من القي في النار انهم قالوا كذبنا النذير وهذا يقتضي ان لا يدخلها الفاسق المصر
واجيب بان النذير كما يطلق على الرسول يطلق ايضا على ما في العقول من الادلة المحذرة المخوفة
ولا احد يدخل النار الا وهو مخالف للدليل غير متمسك به ولا عامل بموجبه فهو مكذب له وان اراد المص
الجواب بقوله جماعة من الكفرة يعني ان الفوج وان عم لجميع من القي فيها [illegible] كلها الا ان المراد منه
بعض من القي فيها وهم الكفرة والمخصص هو الادلة السمعية الدالة على تعذيب العصاة قوله
والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل الظاهر ان لفظ التغليب هو قوله تعالى اصحاب السعير وليس فيه
تغليب بالمعنى المشهور لما تقرر ان جميع ابواب التغليب من قبيل المجاز لاشتراك الجميع في عدم كون اللفظ
مستعملا فيما وضع ولفظ اصحاب السعير حقيقة فيما اريد به هنا وهو من يلابس السعير ويدخلها فان الا
ضافة في مثله لمطلق الملابسة سواء كانت بطريق الخلود والدوام فيها او لا مثل رب السلم ورب
المال وقوله تعالى يا صاحبي السجن فاطلاق اصحاب السعير على كل من يدخلها من الكفرة وعصاة المؤمنين
اطلاق بحسب الحقيقة فلا يكون من باب التغليب العرفي فوجب ان يكون المراد بالتغليب معناه اللغوي
وهو ايراد اللفظ الغالب اي المتناول لما سيق لهم الاية وهم الذين كفروا بربهم ولغيرهم من العصاة
والفسقة فانه لما ذكر عذاب الكفرة وهول مصيرهم وشهيقها وغليانها بهم وشدة غيظها عليهم
وتوبيخ خزنتها اياهم بان سألوهم الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب واعترافهم باتيانه وتكذيبهم
اياه واستحقاقهم العذاب بسببه كان المناسب ان يختم الكلام بان يقال فسحقا لهم اي بان
يذكروا بلفظ يخصهم لا بما يعمهم وغيرهم من عصاة المؤمنين الا انهم ذكروا بما يعمهم وغيرهم
للايجاز والمبالغة اذ لو ذكر كل واحد من الفريقين بلفظ على حدة وقيل لهم ولاهل الفسق
والعصيان من المؤمنين لفات الايجاز ولو ذكروا فقط بلفظ يخصهم بان قيل فسحقا لهم
لم يحصل المبالغة في الوعيد والتهديد فاوثر طريق التعميم للايجاز في التعبير وللاطناب في المبالغة
في التهديد وفيه ايضا اشارة الى علة سحقهم وبعدهم من رحمة الله فان صاحب السعير

ما دام فيها بعيد من الرحمة كل البعد وفي نسخة مطالعتي وقع موقع التغليب لفظ التغيير هكذا
والتغيير للايجاز والمبالغة والتعليل والظاهر ان المراد به التغيير الواقع في قوله فسحقا لاصحاب
السعير وذلك من وجوه الاول ان القياس ان يقال اسحاقا لانه منصوب على انه مصدر مؤكد لفعله
المحذوف والتقدير اسحقهم الله اسحاقا على معنى ابعد الله من رحمته ابعادا اعترفوا او جحدوا
فان الاعتراف بالذنب والندامة عليه بعد انقضاء زمان التكليف لا ينفع والسحق البعد
يقال سحق الشيء فهو سحيق اي بعد فهو بعيد الا انه حذفت الزوائد من اسحاقا فعدل سحقا الا
بجاز والثاني وضع الظاهر موضع الضمير لان المقام بحسب الظاهر يقتضي ان يقال فسحقا لهم الا انه
لو قيل كذلك لفات المبالغة في الوعيد ولو قيل فسحقا لهم ولمن دخلها وعذب فيها مدة على حسب
ذنبه ثم خرج منها لحصلت المبالغة في وعيد الكفار لان من دخلها مدة ثم خرج منها اذا كان
من المستحقين فمن كان خالدا فيها اسحق الا انه يفوت الايجاز فغير الى ما ذكر ليحصل الايجاز
والمبالغة والتعليل ووجه التعليل ظاهر قوله بالتثقيل اي بضم الحاء وهما لغتان بمعنى كالعنق و
الطنب والعسر قوله غائبا عنهم على ان بالغيب حال من المضاف المقدر وعلى الثاني حال من ضمير
يخشون قوله او بالمخفي منهم على ان باء الآلة متعلقة بيخشون والالف واللام في الغيب بمعنى الذي
قوله تعالى بذات الصدور اي بما في القلوب كما سمي ولد المرأة وهو جنين ذا بطنها وما في الاناء من الطعام
ذو الاناء ثم انه تعالى لما ذكر وعيد الكفار ووعد المؤمنين على سبيل المغايبة رجع بعد ذلك الى خطاب
الكفار فقال واسروا قولكم او اجهروا به لا يتفاوت علم الله بما في قلوبكم على ان تعتبروا واعتبرها سرا او جهرا
كان المشركون ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبرئيل عليه السلام فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم
كي لا يسمع اله محمد فنزلت ثم انه تعالى لما ذكر انه لا تفاوت في تعلق العلم المحيط بين السر والجهر ذكر الدليل عليه فقال
الا يعلم من خلق اي الا يعلم من خلق مخلوقه بحذف المفعول او الا يعلم الله من خلقه باسناد يعلم الى
ضمير الباري تعالى والمصنف قدم الاحتمال الاول حيث قال الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء ثم قال الا يعلم الله
من خلقه قوله المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن الظاهر ان ليس مراده تفسير اللطيف بالعالم بجميع
المعلومات جلاياها وخفاياها بل مراده ان اللطيف من يعلم بالخفايا خاصة ومن يعلم الخفايا يلزمه العلم بالجلايا
بطريق الاولوية فلذلك اعتبر في مفهوم اللطيف وصول علمه الى ما ظهر من خلقه ايضا قال حجة الاسلام الغزالي رح
انما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في ايصالها الى
المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فاذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الادراك تم معنى اللطف ولا
يتصور كمال ذلك في العلم والفعل الا لله تعالى والخبير هو الذي لا يعزب عنه الاخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت
شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن الا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن

وسمعت ان المحققين كسعد الملة وخواجه زاده نور الله مرقدهما كانا يكتبان بان النسخة الصحيحة هي التي وقع فيها لفظ التغيير بدل التغليب منه

قوله ان الذين يخشون ربهم استئناف جواب السؤال الناشئ من بيان حال الكفرة فكانه قيل فما حال من عداهم فاجيب به منه

ان الذين يخشون ربهم بالغيب الخشية خوف يشوبه تعظيم المخشي مع المعرفة ولذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وانما قال بالغيب اذ عند العيان لا يبقى للخشية شان اي كمال

وتقديم السر [illegible] الايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ابو

اللطيف خالق اللطف لا يعلمه من حيث بالخفيات يلطف بعباده وقيل العالم ولما يحسبون وقيل الخبير والخبير معناه العالم شرح المواقف

لكن العلم اذا اضيف الى الخفايا الباطنة سمي خبرة وسمي صاحبها خبيرا انتهى وقال الامام الرازي اعلم
انهم اختلفوا في اللطيف فقال بعضهم المراد العالم وقال الاخرون بل المراد من يكون فاعلا للاشياء
اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على اكثر الفاعلين ولهذا يقال ان لطف الله تعالى بعباده عجيبة يراد
به دقائق تدبيره لهم وفيهم وهذا الوجه اقرب والا لكان ذكر الخبير بعده تكرارا انتهى واذا فسرا بما فسرهما
به الغزالي اندفع توهم التكرار قوله والتقييد بهذه الحال يستدعي ان يكون ليعلم مفعول ليفيد جواب
ما يقال انه لم يذكر في نظم الآية لفظان يكون احدهما فاعلا ليعلم والاخر مفعوله فما الذي دعا الى
اعتبار تعلقه بالمفعول ولم لا تجعله من باب يعطي ويمنع بان تنزله منزلة اللازم ويعرب النظم بوجه
ثالث وهو ان يجعل من خلق فاعل يعلم ولا تقدر له مفعولا على معنى الا يكون عالما من هو خالق والخلق
انما يكون بالعلم وتقرير الجواب انه لو لم يعتبر تعلقه بالمفعول لما افاد التقييد بالحال فائدة معتبرة لكونه
في قوة تقييد الشيء بنفسه وذلك لان الا يعلم لانكار عدم العلم فيكون في معنى ثبوت العلم فعلى تقدير ان لا
يقدر ليعلم مفعول مع ان قوله وهو اللطيف حال لكان مآل المعنى الا يعلم وهو عالم اي يعلم في حال علمه لا
فائدة في هذا التقييد لانه يفيد لمطلق العلم بنفسه فان قيل لا نم ذلك بل هو في معنى الا يعلم وهو عالم بما
ظهر من خلقه وما بطن لانه فسر قوله وهو اللطيف الخبير بذلك فالعلم المدلول عليه بالعامل مطلق والمد
لول عليه بالحال مستغرق فيفيد التقييد اذ ليس من قبيل الا يعلم وهو عالم بل من قبيل الا يعلم وهو عالم
بكل شيء اجيب بان الا يعلم اذا نزل منزلة اللازم مثل فلان يعطي ويمنع يكون للعموم والاستغراق في
المقام الخطابي كما صرح به صاحب المفتاح كالعلم المدلول عليه باللطيف الخبير فانه مستغرق وعلى التقدير
المذكور ايضا فهما متساويان في الاستغراق والاطلاق فيلزم تقييد الشيء بنفسه فكانه قيل الا يعلم كل
شيء من هو عالم لكل شيء قوله لينة اشارة الى ان الذلول فعول من الذل بكسر الذال وهو اللين
والانقياد فالذلول من كل شيء المنقاد الذي يذل لك فانه تعالى جعل الارض منقادا لبني آدم ولو
جعلها صخرة خشنة لما تيسر المشي عليها وجعلها لينة منبتة يمكن حفر الآبار وشق العيون
والانهار وبناء الابنية وزرع الحبوب وغرس الاشجار ولو كانت حجرة صلبة لتعذر ذلك
ولكانت تسخن جدا في الصيف وتبرد في الشتاء فلا تكون كفاتا للاموات والاحياء وايضا
ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقلب باهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كانت متاعا
لنا وتعلق هذه الآية بما قبلها انه تعالى لما بين بالدليل كونه عالما بما يسرون وبما يعلنون ذكر بعده هذه
الآية على سبيل التهديد كقول السيد لعبده الذي اساء اليه في السر يا فلان انا اعرف سرك وعلانيتك
فلا تنس ما جعلت في هذه الدار التي ربيتك فيها مثل هذا الخبر الذي هيأته لك فلا تأمن تأديبي فاني ان
شئت جعلت هذه الدار التي هي منزل امنك ومركز سلامتك منشأ للآفات التي تتحير فيها فكذا ههنا كانه

ان الا يوصف بالعلم منه

قوله جعل لكم الارض ذلولا من قبيل التشبيه البليغ لان الذلة والتشبيه به وجههما الارض والذلول مفعول ثان لجعل بمعنى صير منه

تعالى يقول يا ايها الكفار انا اعلم بسركم وجهركم وضمائركم فلا تخافوني فان الارض التي هي قراركم انا ذللتها لكم و
وجعلتها سببا لمنفعتكم فامشوا في مناكبها وابتغوا ابتغا نفعها فاني ان شئت خسفت بكم هذه الارض
من السماء انواع المحن **قوله** في جوانبها او جبالها اي شبه جوانب الموضع الذي يتمكن فيه كل واحد من بني
آدم بالمناكب من حيث ان منكبي الرجل جانباه او شبهت الجبال التي فيها بالمناكب من جهة الارتفاع ثم
ذكر اسم المشبه به واريد المشبه فهي استعارة تصريحية **قوله** وهو مثل الظاهر ان يقال او هو مثل ولعل
كلمة او سقطت سهوا من الناسخين لان الظاهر ان مراده ان قوله تعالى فامشوا في مناكبها استعارة
تمثيلية وهي ان تشبه صورة منتزعة من عدة امور بصورة اخرى مثلها ويدعى دخول الاولى في جنس
الثانية للمبالغة فيطلق على الاولى اللفظ المركب الدال على الثانية فيعتبر التجوز في مجموع ذلك المركب
لا في مفرداته بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او تصور وجه الاستعارة التمثيلية في هذه الاية
ان يقدر بعير للمناكب يمشي فيها ويجعل ذلك كناية عن فرط تذليلها ثم يشبه الارض في فرط تذليلها بذلك البعير
ثم استعير اللفظ الذي كني به عن فرط تذليل ذلك البعير للمشبه وهو الارض قصدا الى بيان فرط تذليل الارض
فيجب ان يعتبر التجوز في شيء من مفردات اللفظ المذكور وقوله في جوانبها او جبالها يدل على ان الاستعارة في
لفظ المنكب فبينهما تدافع فلا بد ان يعد كونه مثلا وجها ثانيا معطوفا على ما سبق بكلمة او كما صرح به صاحب
الكشاف ونقل **قوله** يعني الملائكة اشارة الى ان من في السماء في موضع النصب على انه مفعول ءامنتم وان
يخسف بدل اشتمال منه اي ءامنتم من في السماء خسفه وكذا قوله ان يرسل بدل من من اي ءامنتم من في السماء
ارساله **قوله** او على زعم العرب فانهم كانوا مشبهة مجسمة فكانه تعالى قال لهم ءامنون من قد اقررتم بانه اله
متمكن في السماء واعترفتم بالقدرة على ما يشاء ان يخسف بكم الارض الجوهري خسف المكان يخسف خسوفا
ذهب في الارض وخسف الله به الارض خسفا اي غاب به فيها **قوله** مضطرب تذهب وتجيء قالوا
ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك فتعلوا عليهم وهم يخسفون فيها ويذهبون
والارض فوقهم تمور فتلقيهم الى اسفل السافلين **قوله** ان يمطر عليكم حصبا اي الحصبا قال ابن عباس
رض اي حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل الحاصب الريح فيها حجارة
وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل سحاب فيها حجارة والمعنى هل جعل لكم من هذين
امان واذ لا امان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم **قوله** كيف انذاري اشارة الى ان النذير
والنكير مصدران بمعنى الانذار والانكار والمعنى فستعلمون عاقبة انذاري اياكم بالكتاب والسنة
حين حققت المنذر به فستعلمون ح انه لا خلف لخبري ولا دافع لعذابي وقيل النذير هنا المنذر يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قول عطا عن ابن عباس والضحاك والمعنى فستعلمون رسولي وصدقه
ولكن حين لا ينفعكم ذلك خوف الكفار بهذه التخويفات اكد ذلك التخويف بالمثال والبرهان اما المثال
فهو

فهو ان بين ان الكفار الذين كانوا قبلهم كعاد وثمود ونحوهما شاهدوا امثال هذه العقوبات
بسبب كفرهم فقال ولقد كذب الذين الاية واما البرهان فهو انه تعالى ذكر ما يدل على كمال قدرته من
وجوه الاول قوله اولم يروا الى الطير والثاني قوله امن هو الذي انشأكم والثالث قوله قل هو الذي ذرأكم
الاية ومتى ثبت ذلك ثبت كونه تعالى قادرا على ايصال جميع انواع العذاب اليهم **قوله** صففن قوادمها
قوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح والواحدة قادمة **قوله تعالى** فوقهم يجوز ان يكون
ظرفا ليروا وان يكون حالا من الطير اي كائنات فوقهم وصافات حال اما من الطير واما من المنوي
في فوقهم ان جعلته حالا فيكون متداخلة ويقبضن عطف على صافات لانه بمعنى وقابضات وانما
لما عطف الفعل على الاسم **قوله** باسطات اجنحتهن ويضممنها تصريح بان مفعولي صافات و
يقبضن انما هو اجنحة الطير لا انفسها **قوله** ولذلك اي لكون ضم الاجنحة يحدث على سبيل التجدد والعروض
وقتا بعد وقت عبر عنه بلفظ الفعل الدال على ذلك وعبر عما هو الاصل في الطيران وهو صف الاجنحة
وبسطها بلفظ الاسم للمعرفة المذكورة فان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء فكما ان الاصل
في السباحة مد الاطراف وبسطها فكذا الاصل في الطيران صف الاجنحة وبسطها والقبض انما يكون
تارة بعد تارة للاستظهار به على التحرك كما في السابح قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الايمان
ويعاندون الرسول عليه الصلوة والسلام معتمدين على شيئين احدهما اعتمادهم بمالهم وعددهم
والثاني اعتقادهم ان الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فابطل الله تعالى عليهم
الاول بقوله امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم الاية ورد عليهم الثاني بقوله امن هذا الذي يرزقكم
الاية فلما اتضح الحق وحصل الالزام قال تعالى بل لجوا في عتو ونفور اذ لا يشتبه على احد انه لا يمكن
اسباب الرزق كالمطر والنبات لا يوجد رازق سواه كما انه تعالى اذا ارسل عذابه لا يوجد جند يدفعه
فتعين ان امتناعهم عن الايمان ليس بسبب اشتباه الحق عليهم بل لجوا واصروا على ما هم عليه في
عتو اي في تمرد وتكبر ونفور اي تباعد عن الحق واعراض عنه ولما وصفهم بالعتو والنفور نبه
على ما يدل على قبح هذين الوصفين فقال افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الخ مكبا حال من فاعل يمشي و
مشيه في هذه الحال يدل على اختلاف المسلك وعدم استوائه واشتماله على ارتفاع وانخفاض ومزالق
ومهالك فيعثر ساعة فساعة ويخر على وجهه منكبا في كل خطوة فحاله عكس حال من يمشي على صراط مستقيم
فانه يمشي سويا اي قائما منتصبا سالما من العثور والخرور **قوله** في مكان متعادي الجوهري مكان متعادي
متعاد كان بعضه يعادي على بعض كما في عكسه متناصي اذا كان متفاوتا ليس بمستو وهذه ارض متعادية
ذات حجرة وهي الاماكن وذات لخافيق وهي شقوق في الارض واحدها لخقوق وهي الشقوق فيها **قوله** من
الغرائب اي مجيء افعل لازما وفعل متعديا من النوادر والغرائب مثل قشع الله السحاب اي كشفه فانقشع

وعينا ... اي ذلك الارض الكاد اي ذلك الحداء للطيرا ستة

والخوافي ما دون القوادم من الريش ... نصف الجناح تحه

وكذا ... حالا ايضا وعلى وجهه توكيد لان الكب لا يكون الا على الوجه ومن دون الرحمن يعني سوى الرحمن ومن في اين هذا استفهامية بمعنى اي الناس منه

اى انكشف قال الواحدى اكب مطاوع كبه يقال كببته فاكب واشار المصنف الى رد هذا القول بقوله والتحقيق
انهما من باب انفض اى الهمزة فيهما للصيرورة قال الجوهرى انفض القوم اى هلكت اموالهم وانفضوا ايضا
مثل ارملوا اذا فنى زادهم ويقال ارمل اى صار ارمل بان مات زوجه قوله والمراد تمثيل المشرك والموحد
اى تشبيههما فيكون يمشى فى الموضعين استعارة تبعية وعلى صراط مستقيم استعارة تصريحية ولم
يذكر مسلك المشرك واحواله واكتفى بدلالة المكب على احواله للاشعار المذكور وقيل المراد بالمكب الاعمى
اى كناية عنه لان الاعمى لا يهتدى الى الطريق فيتعسف فيلزمه ان ينكب على وجهه بخلاف البصير
السوى قوله قليلا فى قوله تعالى قليلا ما تشكرون نعت لمصدر محذوف وما زائدة اى تشكرون شكرا قليلا
او زمانا قليلا وهذه الجملة مستأنفة لبيان قبح حالهم بعد ما مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله
حيث انعم عليهم نعمة السمع والبصر والفؤاد فضيعوها ولم يستعملوها فيما خلقت لاجلها اذ لم يقبلوا ما
سمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه ولم يتأملوا فى عاقبة ما عقلوه فكانهم ضيعوا هذه النعم وافسدوا هذه
المواهب حيث لم يصرفوها فيما يرضى به من انعمها فلم يشكروا النعمة البتة فالمراد بقلة الشكر عدمه فان
القلة قد تستعمل بهذا المعنى فيقال قل ما افعل كذا اى لا افعله لما خوف الكفار بانه ان يشأ يخسف بهم الا
رض او يمطر عليهم حجارة من السماء واثبت قدرته على ذلك بالتنبيه على بعض آثار قدرته وهو وقوف
الطير فى الهواء وخلق الانسان مشتملا على ما فيه من عجائب الصنع وهو السمع والبصر والفؤاد وحدوث
ذاته الجامعة لجميع البدائع والغرائب من الاعضاء والقوى المدلول عليه بقوله قل هو الذى ذرأكم والمقصود
الاصلى من التنبيه على هذه الدلائل انما هو بيان صحة الحشر والنشر لينتفى ما ادعاه من مجازاة المكلفين
على حسب اعمالهم المدلول عليه بقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ولهذا ختم الاية بقوله و
اليه تحشرون وتبين ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل انما كان لاثبات هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفرة
انهم طالبوه بتعيين وقته حيث قال ويقولون متى هذا الوعد واخبار بلفظ المستقبل فى ويقولون اما لان
المقصود بيان ما يوجد من الكفار من هذا القول فى المستقبل واما لان المعنى وكانوا يقولون متى هذا الوعد
ولعلهم كانوا يقولون ذلك سخرية واستهزاء وكانوا يقولونه ايهاما للضعفة لا تستعجلوا فى القبول منه فانه
لا اصل لما قاله وامر الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بان يقول لهم ان العلم بالوقوع غير العلم بوقت
الوقوع فالعلم الاول حاصل عندى وهو كاف فى الانذار واما العلم الثانى فليس الا لله ولا حاجة فى كونى نذيرا
مبينا اليه ثم انه تعالى بين حالهم عند نزول ذلك الوعد وقال فلما رأوه الاية والزلفة بمعنى القربة فى موضع الحال
من الضمير المنصوب لان رأى من الرؤية العين اى ذا زلفة اى قريبا منهم او جعل نفس الزلفة مبالغة
واصل سيئت وجوه الذين ساء الموعود ورؤيته وجوههم اى احزنها من ساءه الشىء
يسوءه سوءا ومساءة نقيض سره ثم بنى للمفعول وقال ابن عباس رضى الله عنهما اى اسودت وعلتها الكآبة
والقترة

من باب احل الشىء اذا صار ذا امر من الامور التى دل عليها الفعل نحو اجرب الرجل اذا صار ذا جرب واراب اذا صار ذا ريبة والام اذا قمر بالملام عليه كانه صار ذا ملامة وكذا اكب ... دخل فى الكب وصار ... وانما مطاوعه انكب ... منه

... الموعود ... عذاب يوم بدر ...

والقترة يقال ساء الشىء يسوء اى قبح وسىء يساء اذا قبح فهو يستعمل لازما ومتعديا قوله
تطلبون اى تتمنون وتسألون قوله وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون حين خوفهم
بعذاب الله تعالى يروى ان كفار مكة كانوا يدعون ويتمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
المؤمنين بالهلاك فامر النبى عليه الصلوة والسلام ان يقول لهم ان الله سواء اهلكنا بالاماتة او رحمنا
بتاخير آجالنا فاى راحة لكم واى منفعة لكم فيه ومن الذى يجيركم من عذاب الله تعالى اذا نزل بكم فهلا
تمسكتم بما ينجيكم منه وهو التوحيد والايمان وفيه حث لهم على طلب تخليص انفسهم ونزول تمنى
هلاك المسلمين ثم امره ان يقول لهم آمنا بالذى ادعوكم اليه للعلم بانه مولى النعم كلها ولم نكفر
به كما كفرتم على ان يكون آمنا تعريضا بالكافرين حيث ورد عقيب ذكرهم ثم يقول وعليه توكلنا
لا على غيره كما فعلتم انتم حيث توكلتم على رجالكم واموالكم وتقديم الصلة للاشعار بان غيره
لا يصلح للاتكال عليه من اجل ان نفعه وضره ليسا من ذاته بل بمشية الله واذنه فهو المرجع
فى الامور كلها قوله وقرأ الكسائى بياء الغيبة على وفق قوله فمن يجير الكافرين والباقون
بالخطاب على الالتفات من الغيبة قوله غائرا فى الارض اى ذاهبا فى الارض ناضبا يقال غار
الماء يغور غورا اى نضب غورا خبر اصبح وكان ماء اهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون قوله
جار او ظاهر يعنى على الاول المعين فعيل من معن الماء اى كثر وجرى من الامعان فى الجرى كانه قيل
ممعن فى الجرى وفى الصحاح امعن الفرس تباعد فى عدوه وامعن فلان بحقى ذهب به وماء معين
اى جار وعلى الثانى هو اسم مفعول من العين كمبيع من البيع يقال عنت الشىء اى اصبته بعينى
فانا عائن وهو معين سورة ن مكية بسم الله الرحمن الرحيم قوله
وقيل اسم الحوت فان نون يجىء بمعنى السمكة كما فى قوله تعالى فى ذكر يونس عليه الصلوة والسلام وذا
النون قوله والمراد به اى بالحوت الذى سمى بالنون اما جنس الحوت فيكون النون اسم جنس
واما فرد معين منه قال الامام ثم القائلون بالنون هى السمكة منهم من قال انه تعالى اقسم
بالحوت الذى على ظهره الارض وهو فى بحر تحت الارض السفلى ومنهم من قال انه اقسم بالحوت الذى
احتبس يونس عليه الصلوة والسلام فى بطنه ومنهم من قال انه اقسم بالحوت الذى لطخ سهم
نمرود بدمه وفى التيسير قال عكرمة اقسم الله تعالى بالحوت لان نمرود لما رمى السهم نحو السماء
عاد السهم مخضبا بدم سمكة فى بحر معلق فى الهواء فاكرم الله تعالى ذلك الحوت بان اقسم به واكرم
جنسه من غير ذكره قوله او الدواة بالجر عطف على الحوت اى وقيل ن اسم للدواة قال الا
مام والقول الثانى وهو ايضا مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما واختيار الضحاك والحسن وقتادة
ان النون هو الدواة فيكون قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان

وعلى ظهر الحوت صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين وعلى الصخرة ثور له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة ولما خلق الله تعالى الارض بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الارضين السبع حتى ضبطها وامر الله تعالى ان يقع على ذلك الثور فلم يستقر قدماه على سنام الثور فاهبط ياقوتة خضراء من اعلى الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقرت عليه قدماه وقرون الثور خارجة من اقطار الارض ومنخراه فى البحر والله تعالى اعلم ... والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة معالم

اى بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان تكون الفتحة باضمار حرف القسم فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالنصب ... او بالجر وان تكون ذلك نصبا باضمار اذكر لا فتحا كما سبق فى فاتحة سورة البقرة وان تكون ... الحرف للتعريف ... والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف ... على نمط التعديد للتحدى ... او اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف فالواو فى قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به ... للعطف عليه الخ

... ان الدواة ... على الجنس اى والمراد بالحوت ... باسم النون الدواة التى ... فى انها يستخرج منها ما يكتب ... يستخرج ذلك من ...

التفاهم بالنطق والبيان انما يكون بين الحاضرين واما بالنسبة الى من غاب وبعد من اهل عصر واحد او من
اهل الازمان الآتية فانما يكون بالكتابة قوله فان بعض الحيتان الخ بيان لوجه اطلاق النون على الدواة وهو
انه استعارة تصريحية بان شبهت الدواة التي يتخرج منه النقش وهو المداد بالنون الذي يتخرج منه ذلك ثم
اطلق النون واريد به المشبه وهو الدواة وكانه جواب عن قول الزمخشري واما قولهم هو الدواة فما
ادري اهو وضع لغوي ام شرعي اي لم يثبت ذلك المعنى لغة ولا شرعا قوله ويؤيد الاول وهو ان نون
حرف معدود من حروف الهجاء فانه لو كان اسما لكانت كلمة تامة معربة كما اعرب القلم و
مكتوبة بصورة لفظها فاستغناء الامرين يدل على انه حرف جيء به للتحدي قوله وهو الذي
خط اللوح يعني ان القلم المقسم به هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر ان اول ما خلق الله القلم
نظر اليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيمة فجرى على اللوح المحفوظ
بذلك من الآجال والاعمال والارزاق ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم وهو قلم من
نور طوله كما بين السماء والارض قوله او الذي يخط به اي ويحتمل ان يراد به جنس القلم
المقول على كل قلم يكتب في السماء والارض قال قتادة القلم نعمة من الله تعالى عظيمة ولولا القلم
ما قام دين ولم يصلح عيش والله تعالى اعلم بما يصلح خلقه وهذا دليل على انه كان يقول ان المراد
بالقلم قلم الناس وعن ابن عباس رضي الله عنه في رواية ان المراد به قلم الملائكة من الحفظة والكرام
الكاتبين قوله واخفى ابن عامر اي ادغم النون في الواو في يس والقران وفي ن والقلم و
قرئ باظهارها على الاصل قال الامام القراء يختلفون في اظهار النون واخفائه فمن اظهرها فانه يكون
بها الوقوف بدلالة اجتماع الساكنين فيها واذا كانت في حكم الموقوف عليها كانت في تقدير الانفصال
عما بعدها واذا انفصل ما بعدها عنها وجب التبيين والاظهار لانها انما تخفى حروف الغنة عند
الاتصال ووجه الاخفاء ان همزة الوصل لم تنقطع مع هذه الحروف في نحو الم الله وقولهم في العدد
واحد اثنان ولما لم تنقطع الهمزة معها علمنا انها في تقدير الوصل اولما اتصلت صورة وحكما
ادغمت في الواو وقال القراء واظهارها اعجب الي لانها حروف هجاء والهجاء كالموقوف عليه وان
اتصل لان الاصل في المسرود على سبيل التعداد ان يوقف على كل واحد منه قوله وقرئت بالفتح و
هي اما فتحة بناء كما في اين وكيف واخترت على السكون مع انه الاصل في البناء لخفتها واما حركة اعراب
بان يكون منصوبا بفعل محذوف اي اقرأ نون ثم ابتداء القسم بقوله والقلم او يكون منصوبا بعد
حذف حرف القسم بايصال فعله اليه ومنع الصرف للتانيث والعلمية لانها علم السورة وقرئت
بالكسر ايضا لالتقاء الساكنين او لانها مقسم بها اضمر قبلها حرف القسم نحو الله لافعلن وهو ضعيف
لان حذف الجر وابقاء عمله مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها قوله على التعظيم لان القلم الذي
خط

سيد القلم الاعلى وقلم الكرام البررة وقلم الحفظة وقلم الانس

خط اللوح قلم واحد متشخص لا يصح ارجاع ضمير الجمع اليه الا بان يكون التاويل وان اريد به جنس القلم يكون
في معنى الجمع فوجه التعبير عنه بلفظ الجمع الآن يأتي الكلام في وجه اسناد الفعل الى الآلة وفي التعبير عنها
بلفظ العقلاء واجاب عنه بان ذلك مبني على تشبيهها بالعقلاء الفاعلين في اظهار المراد وتبيين
المقصود قوله او لاصحابه او للحفظة الظاهر ان الاول مبني على ان يراد بالقلم الجنس والثاني على ان
يراد به قلم الحفظة وعلى التقديرين ذكر القلم يدل على من يستعمله فصح ارجاع الضمير اليه ثم ان كان المستعمل
مفردا يفرد الضمير وان كان جمعا يجمع قوله وما مصدرية فيكون المقسم به نفس الكتابة وان كانت
موصولة يكون المراد به المسطور والمكتوب قوله والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة
اشارة الى ان انت اسم ما وبمجنون خبره والباء زائدة لتاكيد النفي والباء في بنعمة متعلقة بمحذوف
هو في موضع النصب على انه حال من المنوي في مجنون اي ما انت بمجنون متلبسا بنعمة ربك ولعل مراد
الزمخشري بقوله انما تتعلق بمجنون منفيا كون الجر مع متعلقه معمول المجنون لان الجار بنفسه متعلق
به الا ترى انك اذا قلت مررت برجل مضروب في الدار جعلت في الدار حالا لا يكون في الدار من صلة
مررت ولا من صلة مضروب بل من صلة محذوف وهو كائن او مستقر ولم يرد من احد من النحاة
غير ذلك فان قيل كيف يعمل مجنون منفيا فيما قبل الجار مع ان المعمول لا يقع الا حيث يصح وقوع العامل
فيه والمجرور لا يصح وقوعه قبل الجار اقول اشار الزمخشري والمص الى الجواب بقوله ولم يمنع الباء ان
يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد النفي وحصافة الرأي بالحاء والصاد المهملتين صحة الرأي
واستقامته الجوهري الحصيف الرجل المحكم العقل وقد حصف بالضم حصافة واحصاف الامر احكامه
انتهى قوله والعامل في الحال معنى النفي اي مع قطع النظر عن تعلقه بالمجنون فاللازم من التقييد بالحال
ان لا يتحقق النفي حال انتفاء القيد بناء على ان القيد حينئذ قيد لمجرد النفي لا للنفي المجنون منعما عليك
بكذا قوله وفيه نظر من حيث المعنى بناء على انه يستلزم ثبوت اصل الجنون بناء على ان النفي يرجع الى
القيد كما نقله التفتازاني في شرح التلخيص عن الشيخ عبد القاهر قال الامام روي عن ابن عباس
رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة الى حراء فلم تجده فاذا به وجهه متغير بلا غبار فقالت له
ما لك فذكر نزول جبريل عليه الصلوة والسلام وانه قال له اقرأ باسم ربك فهو اول ما نزل من القران
قال ثم نزل بي الى قرار الارض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلوة يا
محمد فذكر عليه الصلوة والسلام ذلك لخديجة رضي الله عنها فذهبت خديجة رضي الله عنها الى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان
قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال ارسلي الي محمدا فارسلته فاتاه فقال هل امرك
جبريل ان تدعو احدا فقال لا فقال والله لئن بقيت الى دعوتك لانصرنك نصرا عزيزا ثم مات قبل دعاء الرسول
صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة في السنة كفار قريش فقالوا انه مجنون فاقسم الله تعالى على انه ليس

كما قيل واصحاب القلم و سطورهم على ان ما موصولة او وسطرهم على انها مصدرية الخ

والنعمة هو النبوة وحصافة العقل وكل واحد منهما ينافي الجنون اما الثاني فظ وكذا الاول لان النبوة تقتضي كمال العقل والمعرفة فكيف يجتمع الجنون منه

هذا النظر ربما يرد على من يقول ان الباء زائدة لتاكيد النفي ومنهم المص ولا ينهض على من يقدر به ان تأكيد الزمخشري منه

ويمكن ان يقال ان القيد للنفي لا للمنفي فلا يلزم ذلك منه

جعل الظرف اعني بنعمة ربك حالا من انت ولما كان انت مبتدأ لم يجوز المغني والحال من المبتدأ لا يجوز على الاصح اوله بانه فاعل في المعنى لمعنى النفي والتقدير انتفى كونك بنعمة ربك مجنونا وتفسيره بقوله منعما عليك بالنبوة اخذ بالزبدة من مضمون هذه الحال بقرينة الخصوص ابن محمد

بمجنون وهو خمس ايات من اول هذه السورة ثم قال ابن عباس رضه واول ما انزل قوله سبح اسم ربك وهذه الآ
الى الثانية انتهى كلامه واعلم انه تعالى وصف رسوله عليه الصلوة والسلام بثلثة انواع من الصفات الصفة
الاولى نفي الجنون عنه ثم انه تعالى قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدليل القاطع على صحتها وهو قوله تعالى بنعمة ربك
وهي ما كانت ظاهرة محسوسة فيه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة عن كل
عيب والانصاف بكل مكرمة ووجود هذه النعم فيه ظاهر المكشوفا ينافي حصول الجنون فيه فدل ذلك على كونهم
كاذبين في قولهم انه لمجنون والصفة الثانية قوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون ان لاجرا على احتمال طعنهم
فيك بالجنون ونحوه او على ابلاغ حكم الله تعالى اليهم ودعائهم الى توحيده وطاعته باظهار النبوة والمعجزات
وعدم المبالاة بنسبتهم اياك الى الجنون وفي الممنون قولان احدهما وهو قول الاكثرين ان المعنى غير منقوص
ولا مقطوع يقال منه المبرأ اضعفه والمنين الضعيف ومنت الشيء اذا قطعه والقول الثاني انه غير مكدر
عليك بسبب المنة والصفة الثالثة قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وهو كالتفسير لما تقدم من قوله بنعمة ربك
وتعريض لمن رماه بالجنون بان ذلك كذب وخطاء لان من اتصف بما فيه من الاخلاق الحميدة والافعال المرضية
يكون في غاية البعد من الجنون لان اخلاق المجانين سيئة وكلمة على في قوله لعلى خلق للاستعلاء فدلت على انه صلى
الله عليه وسلم مشتمل على هذه الاخلاق ومستول عليها حتى صارت بمنزلة الامور الطبيعة ولهذا قال تعالى قل لا
اسالكم عليه اجرا وما انا من المتكلفين اي لست متكلفا فيما يظهر لكم من اخلاقي لان المتكلف لا يدوم امره
طويلا بل يرجع الى الطبع والخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة ونفس الاتيان
بالافعال الجميلة شيء وسهولة الاتيان بها شيء آخر فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق وسمي خلقا
لانه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الانسان وان احتاج في كونه ملكة راسخة الى اعمال
وطول رياضة ومجاهدة قوله فقالت كان خلقه القرآن ارادت به انه صلى الله عليه وسلم كان متحليا بما في القرآن
من مكارم الاخلاق ومتخليا عما يزجر عنه من سيآتها قوله اتيكم الذي فتن بالجنون اشارة الى ان اتيكم مبتدا
والمفتون بمعنى المجنون خبره وسمي المجنون مفتونا لانه فتن اي محن بالجنون وان الباء زائدة في المبتدا كما في بحسبك
زيد قيل وهذا الوجه ضعيف لان الباء لا تزاد في المبتدا الا في حسبك فقط قوله او بايكم الجنون فتكون الباء للالصاق
نحو به داء والمفتون بمعنى الفتون وهو الجنون والمصدر قد يجيء على وزن المفعول نحو المعقول والمجلود والميسور
يقال ما لفلان معقول ولا مجلود اي عقل ولا جلادة قوله اي باي الفريقين وجه ثالث جعل الباء فيه بمعنى في
وفسر ضمير الخطاب في ايكم بالفريقين مع ان الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجماعة قريش ولا يعبر عن الفرد
بالفريق وبدل على كون الخطاب له عليه الصلوة والسلام ولفريق قريش ما سبق من قوله تعالى فستبصر ويبصرون
فان الخطاب فيه له خاصة ولا يدخل فيه الامة ايضا فينبغي ان لا يدخل الامة في الخطاب بايكم ايضا الا انه ادخل الامة
في الخطاب وجعل رسول الله مع امته فريقا وجماعة قريش فريقا آخر لئلا يرد ان يقال كيف يصح جعل
الباء

قوله ومن الناس من رد لصاحب الكشاف حيث قال غير ممنون عليك لانه ثواب تستوجبه علي عملك وليس بتفضل عليك ابتداء وانما يمن التفاضل لا الاجور على الاعمال وذلك لانه غير جار على المذهبين اما عندنا فلان الكل من تفضله واما عند المعتزلة فلان الاقدار والتمكين على العمل تفضل منه تعالى ابتداء فكيف يخلو عن منة منه تعالى

لفرط احتماله المضاة من قومه وحسن مخالفته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله تعالى به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

الباء بمعنى في مع انه لا يصح ان يقال للجماعة وواحد يقابلهم في ايكم زيد ومحصول الكلام ان الخطاب في ايكم
وان كان بحسب اللفظ مختصا به عليه الصلوة والسلام وبفريق قريش ليجري الكلام على نهج ما سبق ولا يتنافر
لكنه ليس كالسابق في الاختصاص حقيقة لدخول الامة فيه ايضا فصح تقديره باي الفريقين وهذا اوجه الا
وجه لما فيه من التعريض وسلامته عن استعمال النادر وهو زيادة الباء في المبتدا وجعل صيغة المفعول
بمعنى المصدر قوله وهم المجانين على الحقيقة يعني ان مقتضى الظاهر ان يقال وهو اعلم بالمجانين والعقلاء الا انه المناسب
لما سبق من فستبصر الاية اي سيتضح لكم عن قريب جلية الحال ويتميز عندكم المجنون عن العاقل بان يكون
في الغلب منصورا على الكفرة والمشركين ويستولي عليهم بالصغار والذلة بالقتل والاسر والنهب كما كان
يوم بدر وبعده هذا في الدنيا وفي الآخرة الامر اظهر واوضح الا انه وضع الضال والمهتدي موضع المجانين
والعقلاء اشعارا بان المجنون في الحقيقة هو من عصى ربه وضل سبيله والعاقل من اطاعه واتبع سبيله
قوله تهييج للتصميم على معاصاة رؤساء مكة وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فنهاه الله
عن ذلك وامره بالتشدد مع قومه وقوي قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من
اوائل ما نزل قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقيل انقطع المكذبين اي فيما دعوك
اليه من موافقتك اياهم في دينهم الخبيث احيانا قوله والفاء للعطف اشارة الى جواب ما يقال لم رفع فيدهنون
ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمني وتقرير الجواب انه معطوف على تدهن فيكون داخلا في حيز لو والتمني بجواب
التمني حتى ينصب ويسقط نونه اي تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزاء عليه والمكافاة وعلى
هذا الظاهر ان لو مصدرية وقد ذهب بعض العلماء الى ان لو يكون مصدرية ايضا قوله او للسببية الى الاغاثة
ان ادهان رسول الله عليه الصلوة والسلام سبب لادهانهم وهذا المعنى كما يحصل بنصب المضارع الواقع موقع
جواب التمني باضمار ان يحصل ايضا بان يجعل المضارع خبر مبتدا محذوف اي فهم يدهنون ح ولا بد ان يرفع
ح واذا كان المعنى كما ترى فللبليغ ان يختار اتيانها نسيا ان الاسمية تدل على العدة بثباتهم على الملائمة
والموافقة وعلى تقدير جعله خبر مبتدا محذوف يجوز ان يكون قيد يدهنون للاستقبال وان يكون للحال على معنى فهم
الآن يدهنون الخ قوله كثير الحلف وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف قوله حقير الراي وكفى دليلا على حقارة
رايه كونه حلافا فانه يدل على انه لا يعرف عظمة الله وجلاله اذ لو عرف ذلك لما اقدم عليه في كل حين
ومن لم يكن عارفا بعظمة الله تعالى وكان متعلق القلب بطلب الدنيا كان مهين الراي فهذا يدل على ان عزة النفس
وكمال العقل انما يحصل فيمن عرف نفسه بالعبودية وان مهانتها وسفاهة الراي لا تحصل الا لمن غفل عن سر
العبودية قوله عياب الهماز صيغة مبالغة من الهمز وهو في اللغة الضرب طعنا باليد والعصا او
نحوهما واستعير للمغتاب الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم كانه يضربهم بايذائه اياهم وقيل
اللماز
الهماز يهمز الناس ويضربهم بيده واللماز باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز

وعطف على انه عطف على تدهن بناء على ان لو للتمني بمنزلة ليت ونصب جواب تمني تكون في تأويل المصدر الا ان جعلت للتمني وكان مصدرية فيما نحوا انه تدهن فيدهنون لا فيما بعد واعترض بان

الذي يذكر في مغيبهم وقيل بالعكس قوله بنميم اي مشاء من النميمة بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما
ونميما ونميمة اي يمشي بالسعاية قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة نمام وفسر الخير بالمال اي بخيل مناع للمال
ان ينفق في وجوهه وفسر بالايمان ايضا قال ابن عباس رضي الله عنه يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته قيل كان
للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولاقاربه من تبع منكم دين محمد لا انفعه بشيء ابدا والنص
عمم الخير اذ لا دليل يخصه ببعض الوجوه قوله متجاوز في الظلم اي يتجاوز الحق والحد بان يظلم على الناس
ويمكن حمله على جميع الاخلاق الذميمة فان جميعها تجاوز عن حد الاعتدال قيل العتل الشديد الخصومة
وقيل الفاحش اللئيم وقيل هو الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من
اولئك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا رجل عتل اي سريع الى الشر قوله دعي اي ملصق بالقوم و
ليس منهم والزنمة من كل شيء الزيادة وزنمة الشاة شيء يقطع من اذنها فيترك فييبس كذلك كالشيء
المعلق من خارج والحاصل ان الزنيم ولد الزنا الملحق بالقوم في النسب وليس منهم وكان الوليد كذلك قوله
بعد ذلك معناه انه بعدما عدله من المثالب والنقائص فهو عتل زنيم وهذا يدل على ان هذين الوصفين وهو كونه
عتلا زنيما اشد معايبه لانه اذا كان جافيا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان النطفة
اذا خبثت خبث الولد فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا من حيث انهما للتراخي
رتبة قوله مال ذا لكج لان كان اشارة الى ان قوله ان كان مفعول له وان المصدرية مع ما في حيزها مجرورة بلام
مقدرة متعلقة بمحذوف دل عليه الجملة الشرطية بعدها اي يكفر ويجحد ويكذب لان كان ذا مال ووجه الدلالة ان
قوله سفوح الايات انها اساطير الاولين كفر وجحود وتكذيب قوله على ان شرط الغنى في النهي عن الاطاعة كالتعليل
بالغنى في النهي عن قتل الاولاد في قوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق لما ورد على قراءة ان كان بان الشرطية
انه كيف يصح من الله ان يعلق نهيه عن الاطاعة على شرط مع ان الشرط سيما بكلمة ان يستدعي الجهل تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا اشار الى دفعه اولا بان ليس المراد بالتعليق حقيقته بل ما يلزمه من كون المعلق عليه
سببا وعلة للمعلق فعبر بصورة التعليق عن علة الاطاعة المنهي عنها فكانه قيل لا يطعه لعلة كونه ذا
مال وبهذا التوجيه يحصل التوافق بين قراءتي فتح الهمزة وكسرها في ان كان ذا مال وثانيا بان حرف الشرط
المذكور الى المخاطب وجعله من قبله بان نزله بسبب اطاعته للغني منزلة من شرط الغنى في الاطاعة بان
قال اطعه ان كان ذا مال فقيل له لا تطعه ان كان ذا مال اي لا تجعل الغنى شرطا للاطاعة بمعنى لا تجعله علة لها مع
ما فيه من المثالب التي تقتضي هجرها بالكلية ونظير صرف الشرط الى المخاطب ههنا صرف الترجي اليه في قوله تعالى
لعله يتذكر او يخشى فان ظاهر اللفظة في الموضعين يدل على ان الترجي والتعليق من المتكلم وهو الله تعالى
وهما في الحقيقة من المخاطب وهو محمد وموسى وهرون عليهم الصلوة والسلام قوله سنسمه اي سنجعل له سمة
اي علامة يعرف بها قوله على الانف وفي التعبير عنه بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير
وا

وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت الاية ش ان

الغالب جميع شبهه والدي الاب منه

ومن ثمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده ش س موضوع كذا سمعته

والتعبير عن اعضاء الناس بالاسماء الموضوعة لاشباه تلك الاعضاء من الحيوانات يكون استخفافا كما اذا عبر عن
شفاه الناس بالمشافر وعن ايديهم وارجلهم بالاظلاف والحوافر وكلما كان الحيوان اخبث واقبح كانت الاستهانة
اشد واكثر قوله وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر قال صاحب الكشف هذا ضعيف لان ابا جهل قتل يوم
بدر والثلثة الاخر وهم الوليد والاسود والاخنس ماتوا قبله فلم يسم احد بذلك الوسم الذي بقي اثره مدة حيوته
قوله وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال وذلك لان الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع من
الوجه لارتفاعه عليه فالوسم على الانف غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين فكيف بها على اكرم موضع
من الوجه قوله او سنسود وجهه يوم القيمة فعلى هذا يكون المراد بالخرطوم الوجه فان التجوز باطلاق اسم البعض
على الكل شايع كثير اي سنجعل له في الاخرة علامة يعرفه بها اهل القيمة انه كان غاليا في عداوة الرسول صلى
الله عليه وسلم وفي انكاره الدين الحق تميز بها عن ساير الكفرة في الاخرة كما تميز عنهم في الدنيا بشدة الانكار
والتكذيب لما قال معنى حق ذلك العتل الزنيم الاجل ان كان ذا مال وبنين كفر وعصى وتمرد استنهما على سبيل
الانكار ربتين في هذه الاية وهي قوله انا بلوناهم الخ انا انما اعطيناه المال والبنين وساير احزابه من اهل مكة
على سبيل الامتحان ليصرفوه ويتوسلوا به الى طاعة الله تعالى وشكر نعمه فان لم يفعلوا ذلك فانا نقطع عنهم تلك النعم
ونصب عليهم انواع البلايا والافات وقد ابتليناهم ببعض منها كالجوع والقحط والكافي في ملكه موضع
النصب على انها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي بلوناهم ابتلاء مثل ابتلاء اصحاب الجنة واذ ظرف
لبلونا وليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء عليه لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين
حال من الضمير المرفوع المقدر في قوله ليصرمنها اي داخلين وقت الصباح يقال اصبح فلان اذا دخل في الصباح
والصرام قطع ثمار النخيل من صرمه اذا قطعه ولا يستثنون جملة مستانفة ويضعف كونها حالا من ضمير ليصرمنها
او من المنوي في مصبحين لان المضارع المنفي بلا كالمثبت في عدم دخول الواو عليه واضمار مبتدا قبله كما
في قولهم قمت واصك وجهه للحاجة اليه قوله غير ان المخرج بخلاف المذكور يعني ان المخرج بان شاء الله
خلاف المذكور بان شاء الله والمخرج بالاستثناء عين المذكور بالاستثناء مثلا اذا قيل جاءني القوم
الا زيدا فالمخرج من القوم بالاستثناء عين زيد واما اذا قيل يجيء زيد ان شاء الله فالمراد به اخراج ما يتعلق
به المشية وهو خلاف المذكور بان شاء الله لان المذكور به ما يتعلق مشيته تعالى لان التقدير ان شاء الله مجيئه
قوله ولان معنى لاخرجن ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد يريد به وحدة معناهما ان معنى كل
واحد منهما يستلزم معنى الاخر لان تعليق الخروج بالمشية يفيد انه لا يخرج الا ان يشاء الله خروجه
اي لا يخرج زمانا ما الا زمان مشية الله تعالى خروجه فيه وكذا استثناء زمان مشية الله من ازمنة عدم
الخروج يفيد انه يخرج ان شاء الله تعالى قوله كالبستان الذي صرم ثماره شبهت به من حيث هلاك ثما
ره وعدم بقاء شيء منها فيها وبهذا لا ينافي هلاك جميع ما فيها واحتراقه كما روي عن الكلبي ان الله تعالى ارسل

في الدارين او في الدنيا بان يصير مشهورا بالذكر الردي والوصف القبيح في العالم فالمعنى سنلحق به شينا لا يفارقه ونبين امره بيانا واضحا حتى لا يخفى على احد كما لا يخفى السمة على الخرطوم ولا شك ان المبالغة العظيمة في ذم الوليد نبت على وجه الزيد ولا يعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوبه فالحق به عار لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم منه

فالوسم على العضو المخصوص كناية عن الاذلال لعدم المانع من ارادة الحقيقة والتعبير عنه بلفظ الاسم لعدم استعماله في غير الفيل والخنزير منه

اي بلونا اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل صنعاء كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطاه المنجل وما في اسفل الاكداس وما اخطاه القطاف من العنب وبقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات الخ

عليها نار فاحترقت وهم نائمون فانها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمار وان حصل
الاختلاف بينهما في امور اخر فانها اذا احترقت اشجارها وسائر نباتاتها وعادت انها فانه لا تشبه البستان
الذي قطعت ثمار اشجاره مع بقاء سائر ما فيه الا ان مخالفتها من هذا الوجه لا ينافي مشابهتها به
في هلاك الثمار **قوله** وكالرمال فان الصريم كما يطلق على الليل والنهار يطلق ايضا على قطعة ضخمة من الرمل
منصرمة من سائر الرمال وقيل الصريم رملة معروفة باليمن لا تنبت شيئا فعلى التقديرين شبهت الجنة
وهي محترقة بالرملة التي لا تنبت شيئا ولا ينتفع منها بنفع وصلاح عن القرطبي ان في الاية دليلا على ان
العزم مما يواخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن
يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وقد صح انه عليه الصلوة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه
قوله ان اخرجوا على ان يكون ان مفسرة من حيث انه تقدمها ما هو بمعنى القول **قوله** او بان اخرجوا
اليه على ان يكون مصدرية اي تنادوا بهذا الكلام وجواب قوله ان كنتم صارمين محذوف دل عليه قوله
ان اغدوا وهو فاغدوا **قوله** ان مفسرة لان التخافت في معنى القول ويحتمل ان يكون مصدرية اي
يتخافتون بهذا الكلام وهو قول بعضهم لبعض على وجه الاخفاء والمسارة ولا يدخلنها اليوم عليكم مسكين
وفي صورته نهي المسكين عن الدخول والمراد نهيهم من تمكينه من الدخول اي لا تمكنوه من الدخول فيدخل
والنهي عن الدخول اللازم كناية عن النهي عن التمكين الذي هو ملزوم الدخول والكناية ابلغ
قوله وغدوا قادرين على نكد لا غير على ان يكون قادرين حالا من فاعل غدوا او يكون خبر غدوا
على تضمين غدوا معنى اصبحوا وعلى حرد متعلقا بقادرين قدم عليه للحصر والتخصيص والحرد
مصدر حرد يحرد من باب علم ومعناه نكد وانتفى خبره **قوله** او وغدوا حاصلين على النكد
على ان يكون على حرد حالا من فاعل غدوا وقادرين اما حال ثانية واما حال من ضمير الحال الاول
فالمقدور عليه في هذا الوجه ضد ما اعتبر مقدورا عليه في الوجه الاول **قوله** وقيل الحرد بمعنى الحرد
متحركين وهو الغضب فيكون على حرد متعلقا بقادرين مقدما عليه للحصر **قوله** وقيل القصد
والسرعة يقال حرد يحرد من باب ضرب اذا قصد فقوله على حرد حال من فاعل غدوا وقادرين
حال مقدرة اي كانوا يحسبون انهم قادرون على صرام نخلها واجتناء ثمارها ولم يعلموا انه قد حيل
بينهم وبين ما يشتهون وقيل الحرد علم لجنتهم فحينئذ يكون على متعلقة بغدوا اي غدوا على
تلك الجنة مقتدرين على نيل مرادهم في زعمهم **قوله** والى لانتهاء الرغبة الجوهري رغبت في
الشيء اذا اردته ورغبت عنه اذا لم ترده ولم يذكر تعديته بالى فغفت المص بان ارادة الله
بمعنى رجاء عفوه وطلب خيره وكلمة الى للبيان ان منتهى رجائهم ليس الا هو **قوله** اي في الاخرة لما

الباطن ادل ما يعرض من حديث النفس الارادة الخاطر ثم الارادة السانح ثم الخاطر والسانح والهم ثم العزم والهم ثم عنهما ثم ملك الخاطر يتجاوز عنهما وارادة وجه وانه متى صار بها وارادة او عزما فذلك عمل ماخوذ به وعلى هذا قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فهذا وجه التوفيق بينهما وبين قوله عم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها وقوله عم من هم بحسنة فلم يعملها كتب له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه منه

لما استحال حمل قوله عند ربهم على العندية المكانية حمله على ان جنات النعيم كائنة مستقرة في
دار مختصة به تعالى لا يتصرف فيها غيره وهي الدار الاخرة او في عالم مجاور له مناسب لقدس الله تعالى
وطهارته ولذلك يقال للجنة حظيرة القدس قال النحويون في الفرق بين عند ولدى انه اذا قال المال
لدى زيد لم يصدق الا اذا كان المال حاضرا عنده واذا قيل المال عند زيد يصدق ذلك سواء كان
المال حاضرا عنده او غائبا كائنا في شيء يلابسه كبيته وصندوقه وامينه ونحو ذلك وعند ربهم
يجوز ان يكون ظرفا منصوبا بالاستقرار وان يكون حالا من المنوي في للمتقين لا من جنات لعدم العامل
قوله جنات ليس فيها الا التنعم الخالص مستفاد من اضافة جنات الى النعيم اذ المقصود منها التعريض
بجنات الدنيا وتميزها منها وذلك لا يكون الا بان ينتفي عنها ما سوى النعم الخالص لانها لو كانت مشوبة بما
سوى النعم لما كانت متميزة عنها قال مقاتل لما نزلت هذه الاية قال كفار مكة ان الله تعالى فضلنا عليكم
في الدنيا فلا بد وان يفضلنا عليكم في الاخرة فان لم يكن التفضيل فلا اقل من المساواة فاجاب
الله تعالى عنه على وجه الانكار بقوله افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم
المعوج كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم وما استفهامية في موضع رفع بالابتداء
والاستفهام بمعنى الانكار والخبر لكم وكيف معمول تحكمون وتحكمون في موضع الحال من المنوي في لكم الراجع
الى ما **قوله** واصله ان لكم بالفتح لان ان مع ما في خبرها واقعة موقع المفعول به لتدرسون
الا انها كسرت لدخول لام الابتداء على خبرها فان لام الابتداء لا تدخل في خبر ان المفتوحة تقول علمت
انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر **قوله** وكسر ان بعد تدرسون لانه علق عنه لما فيه من معنى العلم
ويجوز ان يكون حكاية للمدروس اي لما كان المدروس فيه المقدر ان لكم فيه لما تخيرون بكسر ان لمكان
اللام حكى به في نظم القران بصورته على طريق الحكاية والفرق بين الوجهين محل تامل ويمكن ان
يقال ان المدروس المقدر في الوجه الاول ليس هذا النظم بعينه وهو ان لكم فيه لما تخيرون بل ما يدل
هو عليه باي لفظ كان وفي الثاني هو هذا النظم بعينه قيل ان كلمة فيه في قوله ان لكم لما تخيرون لا
يساعد كون هذا النظم بعينه هو المدروس وان كان المدروس المقدر معنى هذا النظم ومدلوله
لكون احدى كلمتي في مغنية عن الاخرى الا ان يقال ان الجمع بينهما للتاكيد كما يقال فيك زيد راغب
فيك **قوله** او استئناف فيتم الكلام عند قوله تدرسون ثم يبتدا على وجه الانكار ويقول ان لكم
فيه لما تخيرون على معنى ان كان لكم ذلك فلكم فيه ما تخيرون اي ليس لكم ذلك **قوله** بذلك الحكم قائم
اشارة الى ان بذلك متعلق بزعيم وان الزعيم ههنا بمعنى القائم بالدعوى والحجة اي ايهم قائم بذلك
الحكم وبالاحتجاج على صحته كما يقوم زعيم القوم باصلاح امورهم **قوله** اذ لا اقل من التقليد
يريد ان المراد بيان انه كما ليس لهم دليل عقلي على اثبات هذا المذهب هو التسوية بين المسلمين

عليه من التحكيم المقسم منها بمعنى الى ان يحصل وتنتهي اليه وافرده لم تبطل ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم اعطيناكم ما تحكمون ويجوز ان يتعلق عهودنا الابد مند اذا حكمناكم و لكم علينا الى يوم القيمة لا تخرج عن ثلث بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة فان قلت بم يتعلق الى يوم القيمة

قوله يوم الفصل الذي هو اليوم الاول الكائن في القيمة اي عن هذا النص سالمي

والمجرمين في الثواب والخلاص من العقاب ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه فليس لهم ايضا من توافقهم من العقلاء في الذهاب الى هذا القول حتى يقلدوا بهم وذلك يدل على انه باطل من كل الوجوه وقيل في تفسير هذه الاية ان المعنى ام لهم اشيا يعتقدون انها شركاء الله فيعتقدون ان اولئك الشركا يجعلونهم في الاخرة مثل المؤمنين وانما اضاف الشركا اليهم لانهم جعلوها شركاء الله تعالى وهذا كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ثم انه تعالى لما ابطل قولهم شرح بعده عظمة يوم القيمة فقال يوم يكشف عن ساق ويوم ظرف منصوب بقوله فليأتوا بشركائهم او باضمار اذكر وقرا الجمهور يكشف باليا التحتانية على بناء المفعول وعن ساق قائم مقام الفاعل وقرئ بالتاء الفوقانية على بناء الفاعل اي تكشف الشدة او الساعة او الحال الحاضرة عن ساق على معنى تشتد وعلى بناء المفعول ايضا والمعنى كما سبق قوله ان كان اليوم يوم القيمة وذلك لان الامر بالسجود ونحوه من التكليفات لا يكون يوم القيمة فلا يكون الدعوة الى السجود فيه على سبيل التكليف بل على سبيل التوبيخ والتخجيل قوله وقد كانوا يدعون الى السجود وقال ابرهيم التيمي اي يدعون الى الصلوة المكتوبة بالاذان والاقامة فيأبون وقال سعيد بن جبير رح كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وهم اصحاء معافون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيمة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته من القهر فقال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهو القران وقيل حديث القيمة اي لا تشتغل قلبك به كله الي فاني اكفيك امره ومن منصوب عطفا على ضمير المتكلم او على مفعول معه وهو مرجوح لامكان العطف من غير ضعف قوله وهو الانعام عليهم اي الطريق الذي يدنيهم الله تعالى به درجة درجة الى العذاب هو الانعام قال ابو روق سنستدرجهم اي كلما اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار فالاستدراج انما يحصل من الاعتبار الذي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه تفضيلا لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم روي ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني فاوحى الله تعالى الى نبي زمانهم ان قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله تعالى ينعم على عبد وهو مقيم على معصية فاعلم انه مستدرج وتلا هذه الاية قوله لانه في صورته اي في صورة الكيد وهو المكر والاحتيال لان ظاهره احسان وانعام وحقيقته اهلاك وعذاب ولا خفاء ان الاهلاك بما هو في صورة الاحسان في صورة الكيد قوله ام تسألهم اجرا معطوف على ما سبق من قوله ام لهم شركاء اي لا تلتمس منهم اجرا على ما تدعوهم اليه من الايمان بالله حتى يثقل عليهم حمل الغرامات في بذل المال فيثبطهم ذلك عن الايمان والمعنى ليس عليهم كلفة في متابعتك بل هي سبب سعادتهم في الدنيا والاخرة قوله في الضجرة متعلق بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وبيان لوجه المماثلة فانه لم يصبر على اذى قومه وخرج مغاضبا فضيق الله تعالى عليه والتقمه الحوت قيل انه في قوله

اذنا

ودرجة الى كذا واستدرجه اي ادناه منه على التدريج والاستدراج ترك المصالحة والارداد المرض فيه فيبا منه

اذ نادى منصوب بمضاف محذوف اي لا تكن حالك كحاله وقصتك كقصته في وقت ندائه فانه في ذلك الوقت كان مكظوما ويدل على المحذوف ان الذوات لا ينصب عليها النهي وانما ينصب على احوالها وصفاتها وفيه ان هذا التقدير يوهم النهي عن الاطاعة لان حاله وقت ندائه بقوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين هو الاعتراف بالظلم والانابة الى المولى والطاعة لا ينهى عنها فالوجه ان يكون اذ نادى مفعولا به لاذكر مقدرا قوله وحسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه بين الفعل وفاعله مع ان تانيث النعمة غير حقيقي وفيما اسند الى مثله يجوز التذكير والتانيث وقرئ تداركته بتاء التانيث نظرا الى لفظ النعمة وقرئ ايضا لولا ان تداركه بتشديد الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه في الدال بعد قلبها دالا والاصل تتداركه بتاءين قوله وهو على حكاية الحال الماضية ومعنى حكايتها ان تقدر تلك الحالة الماضية واقعة في حال التكلم فيعبر عنها بلفظ يدل على اقتران مدلوله بزمان الحال وانما يفعل هذا في الفعل الماضي المستغرب كانك تحضره للمخاطب وتصوره له حتى يطلع عليه فيتعجب من غرابتها كما تقول رايت الاسد فاخذ السيف فاقتله فظهر بهذا التقرير ان ما يكون على حكاية الحال الماضية لا يدخله علم الاستقبال لان دخوله عليه ينافي الغرض المذكور فلذلك احتاج المص في توجيه كونه على حكاية الحال الى ان يفصل ان المصدرية عن تداركه ويجعل الحالة المحكية ان يقال فيه ذلك القول وهو تداركه نعمة حيث قال يعني لولا ان كان يقال فيه تتداركه وليس مقصود المص من ذلك القول بيان ان طريق حكاية الحال الماضية انما هو تقدير القول لما عرفت ان حكايتها لا تحتاج الى تقدير القول بل يكفي فيها ان يقدر وقوعها في حال التكلم ويعبر عنها بما يدل على وقوعها فيه قوله وهو حال يعتمد عليها الجواب يعني ان جواب لولا في الحقيقة هو مفهوم قوله وهو مذموم وان كان في الظاهر هو قوله لنبذ وذلك ان لولا تقتضي ان يكون جوابه منفيا والمنفي هنا ليس النبذ بالعراء لانه كان ثابتا بالقول تعالى في اية اخرى فنبذناه بالعراء اي القته الحوت بها بل المنفي هو نبذه مذموما وتقدير الاية لولا هذه النعمة لنبذ بالعراء مع وصف المذمومية فلما حصلت هذه النعمة لا جرم لم يوجد النبذ بالعراء مع هذا الوصف وانتفاء النبذ مع هذا الوصف لا ينافي النبذ على خلاف ذلك الوصف وقيل تقدير الاية لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت الى يوم القيمة ثم نبذ بعراء القيمة مذموما ويدل على هذا قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وهذا كما يقال عرصة القيمة وعراء القيمة قوله وفيه دليل على خلق الافعال فانه لو لم يكن افعال العباد بخلق الله تعالى لما قال فجعله من الصالحين وقال الجبائي يحتمل ان يكون معنى جعله انه اخبر بذلك ويحتمل ان يكون لطف له حتى صلح اذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب ان هذين الوجهين اللذين ذكرتم مجاز والاصل في الكلام الحقيقة قوله شزرا وهو نظر فيه اعراض او نظر الغضبان بمؤخر العين قوله روي

قوله على حكاية الحال الماضية لا على حقيقة الاستقبال لان المعلم بالاجماع عن حمل لفظ المضارع عليها وذلك ان سوق الكلام يقتضي ان يكون المراد انتفى النبذ مذموما لتحقيق وصول النعمة قبل النبذ وقبولها من قبل زمن التوبة الكبيم

سيح حرى

كانه قيل يا محمد حسبك انتقاما منه ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به قادر عليه منه

انه كان في بني اسد عيانون قال الكلبي كان رجل من العرب يمكث لا ياكل شيا يومين او ثلثة ثم يرفع جانب
الخبا فتمر به الابل او الغنم فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فلا يذهب الا قليلا حتى تسقط منها
طائفة هالكة فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر النبي صلى
الله عليه وسلم انشد قد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد معيون فعصم الله تعالى نبيه عليه
الصلوة والسلام ونزلت هذه الاية ومن الناس من انكر الاصابة بالعين وقال انها لا حقيقة لها
لان تاثير الجسم في الجسم لا يعقل الا بواسطة المماسة ولا مماسة هنا فامتنع حصول التاثير وهو ضعيف
اذ لا يستبعد ان يكون لبعض النفوس خاصية في التاثير مع انه امر ممكن في نفسه والدلائل السمعية
ناطقة بوقوعه **قوله** وقرا نافع ليزلقونك بفتح الياء على ان زلق بفتح اللام متعد وبالكسر لازم كحزنته
فحزن والباقون بضم الياء من ازلقه اي ازل رجله فالتعدية بالهمزة وقيل زلقه وازلقه بمعنى
واحد **قوله** وتبين انه ذكر عام للجن والانس يتعظون به ويستنبطون منه ما فيه صلاح احوالهم
المتعلقة بالدين والدنيا وفيه من الاداب والحكم وسائر العلوم ما لا حد له ولا حصر فمن يظهر مثل
هذا الكلام ويتلوه ويدعو الناس الى ما فيه كيف يتفوه في حقه انه مجنون مع انه من ادل الامور على كمال
الفضل ومتانة عقله ورايه ومن نسب اليه القصور فانما هو من جهله وجنته فان ذا الفضل
لا يعرفه الا ذووه فقوله الا ذكر للعالمين تعريض لهم بانهم لفساد فهمهم ليسوا من اهل التذكر
به ومرادرا فضله وتعاطيه اذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا عزو ان يرتاب والصبح مسفر **سورة
الحاقة مكية** بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** التي يحق وقوعها صفة
لكل واحد من الساعة على سبيل البدل على ان الحاقة فاعلة من حق الشيء يحق بالكسر بمعنى
صح وثبت ووجب اي الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء **قوله** او التي يحق فيها الامور على ان
الحاقة من حققت الامر احقه اي عرفت حقيقته وصرت منه على تيقن فالحاقة بمعنى العارفة للامور
على حقيقتها سميت القيمة بها مع ان الفعل لاهلها فيها على الاسناد المجازي مثل ليل قائم ونهار صائم فان
الخلائق هم الذين يعرفون الامور على حقيقتها في ذلك الوقت فاسند العرفان الى الوقت مجازا **قوله**
او يقع فيها حواق الامور اي ثوابتها على ان الحاقة بمعنى الثابتة والثبوت وصوح لما في يوم القيمة من
الامور واسند الى اليوم والساعة مجازا ويجوز ان يكون الحاقة بمعنى ذي الحاقة بان يكون بمعنى
النسب فيكون تسمية الساعة بها حقيقة لكونها ذا الحاقة اي لكونها مشتملة على حواق الامور و
ثوابتها **قوله** خبرها ما الحاقة يعني ان ما مبتدا ثان والحاقة خبره والجملة خبر الاول والمامور دان
يقال فاين العائد الى المبتدا من هذه اشار الى جوابه بقوله واصله ما هي اي جاز اخلاء الجملة عن
العائد حملا على المعنى ونظرا الى الاصل فان اصل الكلام الحاقة ما هي على ان الخبر جملة استفهامية يجب

فاريد بعض العائنين على ان يتعين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله تعالى
حس ش

العزو التعجب منه

تقول اعلان الاسناد المجازي متعلق بكل واحد من الوجهين الاخيرين منه

يجب للفظ الا ان معناها التفخيم والتعظيم لشانها ومعنى التفخيم كما يستفاد من الجملة الاستفهامية يستفاد
ايضا من وضع الظاهر موضع الضمير فان البلغاء يضعون الظاهر موضع الضمير في نظمهم ونثرهم لقصد
التعظيم والتفخيم فيقولون مثلا زيد ما زيد بدلا من ان يقال ما هو لتعظيم شانه وتفخيم امره فقول المصنف على التعظيم
لشانها بيان لمعنى الاستفهام **قوله** لانه اهول لها اشارة الى نكتة وضع الظاهر موضع المضمر **قوله**
واي شيء اعلمك ما هي اشارة الى ان ما الاولى استفهامية ومعناها التفخيم والتعظيم وكذا ما الثانية و
كل واحدة منهما مبتدا وما بعده خبر والجملة الثانية في محل النصب على انها مفعول ثان لادرى بل هي ساد
مسد المفعول الثاني والثالث له لانه بمعنى اعلم وهو يتعدى الى ثالث وعلق ادرى عنها لتضمنها معنى الاستفهام
قوله تقرع الناس بالافزاع اي يصيبهم بما كانها تقرعهم بها شبهت الاصابة بالقرع فسميت باسمه ثم اشتق
منه فهو استعارة تبعية **قوله** وانما وضعت موضع الضمير الحاقة يعني ان مقتضى الظاهر ان يقال كذبت ثمود وعاد
بها اي بالحاقة لانه تعالى لما ذكر الحاقة وفخم شانها شرع في ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل
مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم الا انه وضع موضع ضمير الحاقة لفظ القارعة ليدل على ان معنى القرع حاصل
في الحاقة وذلك ابلغ في وصفها بالشدة والهول وثمود قوم صالح عليه الصلوة والسلام وكانت منازلهم بالحجر
فيما بين الشام والحجاز وعاد قوم هود عليه الصلوة والسلام وكانت منازلهم بالاحقاف والاحقاف
الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله **قوله** بالواقعة المجاوزة الحد اشارة الى ان الطاغية صفة لمحذوف
وان الطغيان مجاوزة الحد في اي شيء كان والباء فيها للاستعانة نحو كتبت بالقلم وتلك الواقعة هي الصيحة
المتجاوزة في القوة والشدة عن حد الصيحات حتى لم يحتملها قلوب القوم كقوله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة
واحدة فكانوا كهشيم المحتظر او الرجفة الطاغية لقوله تعالى فاخذتهم الرجفة **قوله** او بسبب طغيانهم
يعني ان طغيانهم حملهم على التكذيب وعقر الناقة ونحوهما فاهلكوا بسببها كما قال كذبت ثمود بطغويها
وضعف هذا الوجه بقوله وهو لا يطابق قوله واما عاد الاية وذلك لان الباء في الجملة الثانية للاستعانة
دخلت على ما وقع به العذاب وهو الريح الصرصر فالجملة الاولى انما يطابقها اذا فسرت بالوجه الاول و
اما اذا جعلت الطاغية بمعنى الطغيان والباء سببية فلا وقيل الطاغية اسم البقعة التي اهلكوا
فيها والباء بمعنى في **قوله** من الصر او الصر الاول بفتح الصاد وهو الصوت يقال صر الجندب صريرا و
صر القلم والصر بكسر الصاد برد يضرب النبات والحرث قال الجوهري ريح صرصر اي باردة ويقال اصلها
صرر من الصر فابدلوا مكان الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله
تجفف انتهى **قوله** كانها عتت على خزانها اي عصت وغلبت عليهم جعل عاتية استعارة بمعنى
شديدة العصوف بان شبهت شدة عصوف الريح بعتوها على خزانها او على عاد ثم اطلق اسم المشبه
به وهو العتو عليها واشتق منه لفظ عاتية على طريق الاستعارة التبعية فكان لفظ عاتية بمعنى شديدة

بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه بادراء صلى الله عليه وسلم بها احد كما في قوله تعالى وما ادريك ماهية نار حامية فنظائره خلا ان المبتدا هنا نفس المسؤل عنها وهنا حال من احوالها كما في قوله تعالى وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبتدا هنا ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبتدا ههنا هو الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادريك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا الخ

واصل العصف الشدة منه

العصف ولم يجعله حقيقة لان حقيقة العصيان من صفات العقلاء مع ان عصيان الريح وغلبتها على
الخزان حقيقة بعيد غاية البعد قال الكلبي عتت الريح على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة
هبوبها غضبت لغضب الله تعالى ولم يخرج مما ذكر ولا بعده شيء منها الا بقدر معلوم قال صلى الله عليه وسلم
طغى الماء على خزانه يوم نوح وعتت الريح على خزانها يوم عاد فلم يكن لهم عليها سبيل فعلى هذا القول
هي عاتية على الخزان وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه يريد ان الريح عتت على عاد فما قدروا على ردها
بحيلة من استتار ببناء او استناد الى جبل فانها كانت تنزعهم عن مكانهم وتهلكهم وقيل ان هذا ليس
من العتو الذي هو عصيان انما هو بلوغ الشيء وانتهاؤه ومنه قولهم عتى النبت اي بلغ منتهاه وجف
قال تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا فعلى هذا عاتية بمعنى بالغة منتهاها في القوة والشدة قوله سخرها
عليهم بقدرته فان التسخير استعمال الشيء بالاقتدار قوله تعالى سبع ليال منصوب على الظرفية و
حسوما حال من مفعول سخرها عليهم وارسلها في حال كونها متتابعة الهبوب في تلك المدة من غير
فتور ولا انقطاع وعبر عنها بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والايام قوله جمع
حاسم كشهود وقعود في جمع شاهد وقاعد فحسوما بمعنى حاسمات فاعلات للكي مرة بعد اخرى
الى ان يحصل الحسام للداء واستعمالها اطلق على الرياح المتتابعة الهبوب في المدة المذكورة
الى ان يستأصل القوم وتقطع دابرهم على طريق الاستعارة بان شبهت ذوات الرياح بذوات
بفعل الكي وتتابعها بتتابع الكيات هذا ان جعل حسوما جمع حاسم من حسم اذا كوى مرة بعد اخرى
وان جعل من حسم بمعنى قطع واستأصل كان معنى حسوما انها تحسم اي تقطع وتستأصل واستأصل
كل ما اتت عليه مما ينتفع به او تقطع دابرهم وان كان مصدرا كالشكور والكفور فاما ان يكون مصدرا
يؤكد الفعلة المقدر والتقدير تحسمهم حسوما اي حسما بمعنى تستأصلهم استئصالا واما ان يكون مفعولا
له اي سخرها عليهم لاجل الحسم اي للاستئصال **قوله** ويؤيده القراءة بفتح الحاء فان حسوما في هذه
القراءة حال من الضمير المنصوب في سخرها بمعنى سخرها عليهم مستأصلة كما اذا كان مصدرا للفعل المحذوف
والسرب بفتحتين بيت في الارض **قوله** جمع صريع كقتيل وجرحى في جمع قتيل وجريح وصرعى حال من القوم
لان الرؤية بصرية اي لو كنت عندهم في ذلك الوقت لرأيتهم فيها مصروعين والكاف في كانهم في موضع
الحال ايضا اما من القوم على قول من جوز حالين من ذي حال واما من المنوي في صرعى على قول من لم يجوز
مصروعين مشبهين اعجاز نخل خاوية الاجواف لا شيء فيها شبهوا بها من حيث ان ابدانهم خوت اي
خلت من ارواحهم كالنخل الخاوية وقيل وصف الاعجاز بالخاوية كناية عن كونها بالية عتيقة
فانها اذا بليت خلت اجوافها فالمقصود من التشبيه بيان ان الريح ابلتهم فصاروا كالنخل البالية
وقيل كانت الريح تدخل في افواههم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاوية

قوله

فخرجت بلا كيل ولا وزن وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
ارسل الله تعالى سفينة من ريح
الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا
بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح
فان الماء يوم نوح طغى على الخزان
فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا
لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان
الريح يوم عاد عتت على الخزان
فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ
بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة
عن الشدة والافراط فيها
كشاف

الباقية يجوز ان يكون
اسما بمعنى البقية وصفة
بتقدير الموصوف ومصدرا
منه

قوله او بقاء على ان باقية مصدر كالعاقبة والكاذبة والعافية وعلى التقادير من باقية مفعول
ترى ومن زائدة **قوله** ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء واللام ومن لفظ عام والمراد به هنا الكفار
خاصة ومن قبله الكفار **قوله** قرى قوم لوط سميت مؤتفكات لان الله تعالى قلبها على قوم لوط من افكه
عن الشيء اي قلبه وصرفه عنه وائتفكت البلدة باهلها اي انقلبت **قوله** بالخطاء على ان يكون
الخاطئة مصدرا على العاقبة والكاذبة وما بعده على ان يكون صفة لمحذوف بمعنى النسب كتامر
ولابن اي ذات الخطاء **قوله** زائدة في الشدة اي على عقوبات سائر الكفار كما ان افعالهم كانت
زائدة في القبح في افعال سائر الكفرة يقال ربا الشيء يربو اذا زاد ومنه الربا الشرعي وهو الفضل
الذي ياخذه آكل الربا زائدا على ما اعطاه **قوله** جاوز حده المعتاد اشارة الى ان الطغيان
مجاوزة الحد وهي قد يكون بالنسبة الى الغير وقد لا يكون وهو الفرق بين الوجهين مع اشتراكهما
في كون طغى فيها استعارة تصريحية والمستعار منه مجاوزة الانسان قدره والمستعار له كثرة الماء
وبلوغه الى حيث لا يطيقه المخلوقات والجامع الاستعلاء المفرط **قوله** وهو يؤيد من قبله بفتح القاف وسكون
الباء لان الآية امتنان على المؤمنين بانجائهم مما اخذ به الجاؤون بالخاطئة من اغراقهم بالطوفان
وهذا انما يحسن اذا كانوا داخلين فيمن اخذهم الله اخذة رابية وذلك بان يقرأ ومن قبله و
المقصود من ذكر قصص هذه الامم وذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامة عن الاقتداء بهم
في معصية الرسول **قوله** وعن ابن كثير تعيها بفتح التاء والباء وسكون العين تخفيفا لان تعي مثل
كتف وتحذو العرب تخفف مثلهما **قوله** تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم يعني ان التنوين
للتقليل مع التعظيم والتوصيف بالواعية مدح لها يؤكد التعظيم المستفاد من التنكير والمذكور بيان
لسبب استحقاقهم التعظيم لان كمال الحفظ سبب له من حيث ان الوعاة اذا حفظوا هذه التذكرة
وبثوها للناس واتعظوا بها يلتحقون بزمرة من نجا بسفينة نوح عليه الصلوة والسلام ودوام
نسلهم فيتحققون بسبب هذا الالتحاق ما استحقه هولاء من النجاة ودوام النسل قال الامام فان
قيل لم قال اذن واعية على التوحيد والتنكير قلنا للايذان بان الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس
بقلة من يعي منهم وللدلالة على ان الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله تعالى فهي السواد الاعظم
عند الله تعالى وان ما سواه لا يلتفت اليهم وان امتلأ العالم منهم **قوله** وقرأ نافع اذن بالتخفيف
الجوهري الاذن يخفف ويثقل وهي مؤنثة وتصغيرها اذينة والجمع آذان **قوله** وتنبيها على
امكانها فان ذكر مآل المكذبين لما دل على القدرة والحكمة للصانع كان ذلك تنبيها على امكان القيمة و
وقوعها لان ثبوت القدرة يدل على امكانها وثبوت الحكمة يدل على وقوعها وبعد ذلك شرع سبحانه
في تفاصيل احوال القيمة فذكر اولا مقدماتها فقال فاذا نفخ في الصور الآية **قوله** وانما حسن اسناد

وسيرت الجبال اي في الجو على هيأتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأى العين ساكنة في اماكنها والحال انها تمر مر السحاب الذي تسيره الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال بأرعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى و

تكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة

الفعل الى المصدر لتقيده ليس المراد التقييد الحاصل من التوصيف بالوحدة لان لفظ النفخة متقيد مع قطع النظر عن الوصف لانه لا يطلق الا على المرة الواحدة من النفخ والمنون عند البصريين انما هو اقامة المصدر المبهم نحو ضرب ضرب وفي شرح الرضي في المفعول المطلق ان لا يكون لمجرد التاكيد اذ النائب عن الفاعل يجب ان يكون مثله في افادة ما لم يفده الفعل حتى يتبين احتياج الفعل اليه فجرى مجرى الكلام فلو قلت ضرب ضرب لم يجز لان ضرب مستغن بدلالته على ضرب عن قولك ضرب بل يقال ضرب ضربة او الضرب العلاني **قوله** وحسن تذكير الفعل المسند الى نفخة للفصل ونفس الجواز من حيث ان التانيث غير حقيقي **قوله** واحدة تاكيد لنفخة لما مر ان النفخة لا تطلق الا على المرة الواحدة وقيل انما اكدت بها تنبيها على ان النفخة واعلاما بانها في العظمة لا نظير لها فيما بين افراد النفخة **قوله** فدكتا الجملتان اشارة الى وجه التثنية في قوله تعالى فدكتا والظاهر ان يقال فدككن لاسناد الفعل الى الارض و الجبال وهي امور متعددة الا انه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض كالجملة الاخرى فعبر عنهما بضمير التثنية ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ولم يقل كن **قوله** قامت القيمة اشارة الى ان الواقعة صارت علما للقيمة بالغلبة وليست باقية على اصل معناها لانه لا يصح ان يقال وقع الواقع كما يفهم مما نقل انفا عن شرح الرضي **قوله** فيومئذ وقعت الواقعة جواب لقوله فاذا نفخ في الصور فيومئذ بدل من اذا وتكرار لمعناه كرر لطول الكلام فالبدل مع متبوعه منصوبان بوقعت ويومئذ في قوله فهي يومئذ واهية ظرف لواهية اي فالسماء يوم اذ نفخ في الصور وقامت القيمة ضعيفة مسترخية ساقطة القوة كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة شديدة يقال وهى البناء يهي وهيا فهو واه اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف يقال انها بعد صلابتها تصير بمنزلة الصوف في الوهي قال الفراء وهيها تشققها وقيل واهية اي متخرقة ماخوذ من قولهم وهى السقاء اذا انخرق وبعدما انشقت السماء انتقلت الملائكة الذين هم سكانها الى جوانبها وحافتها حتى يأمرهم الرب عز وجل فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها **قوله** ولعله تمثيل لخراب السماء ولعله اشارة الى جواب سؤال اورده الامام الرازي بقوله فان قيل الملائكة يموتون في الصعقة الاولى لقوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فكيف يقال انهم يقفون على ارجاء السماء يومئذ قلنا الجواب من وجهين الاول انهم يقفون لحظة على ارجاء السماء ثم يموتون والثاني ان المراد بالملك هم الذين استثناهم الله تعالى بقوله الا من شاء الله انتهى والمصنف اشار في جواب الاول بقوله فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك بعدما اجاب عنه من قبل نفسه بان حمل قوله تعالى فهي يومئذ واهية والملك على ارجائها على الاستعارة التمثيلية ولم يجعله حقيقة حتى يرد ان يقال كيف يقفون على ارجائها وهم يموتون عند

عند النفخة الاولى فان تشبيه الهيئة بالهيئة لا يستلزم ان يعتبر في جانب الهيئة المشبهة جميع ما اعتبر في جانب المشبه بها والمعنى انها يومئذ متشققة منقطعة تشبيها بالبناء الذي يخرب فيعود الله الى جوانبه ومواضعه التي لم يصبها الوهن **قوله** لانها في نية التقديم اعتذار عن ارجاع الضمير الى ما لم يتقدم ذكره يعني انه من قبيل ضرب غلامه زيد قال مقاتل يعني ان الجملة يحملون العرش فوق رؤوسهم فالظرفان اعني قوله فوقهم ويومئذ متعلقان بيحمل اي يحمل ثمانية فوقهم عرش ربك يومئذ وعلى تقدير ان يكون ضمير فوقهم للملائكة الذين هم على الارجاء الظاهر ان يكون فوقهم حالا من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة كما في قول الشاعر لمية موحشا طلل ويدل عليه قول الامام الاقرب ان فوقهم معناه فوق الملائكة الذين هم على الارجاء والمقصود التمييز بينهم وبين الملائكة الذين هم حملة العرش انتهى **قوله** ولعله ايضا تمثيل الى جواب عن استدلال المشبهة بهذه الآية على انه تعالى حاضر في العرش متمكن بانه لو لم يكن الله تعالى في العرش لكان حمل العرش عبثا عديم الفائدة لا سيما وقد اكد ذلك بقوله يومئذ تعرضون والعرض انما يكون لو كان الاله حاضرا في العرش قال الامام اجاب اهل التوحيد عنه بانه لا يمكن ان يكون المراد منه ان الله تعالى جالس في العرش وذلك لان كل من كان حاملا للعرش كان حاملا لكل ما كان في العرش فلو كان الاله في العرش يلزم ان يكون الملائكة حاملين لله تعالى وذلك محال لانه يقتضي احتياج الله تعالى اليهم وان يكونوا اعظم قدرة من الله تعالى وكل ذلك كفر صريح فعلمنا انه لا بد فيه من التاويل فنقول السبب في هذا الكلام هو انه تعالى خاطبهم بما يتعارفونه فخلق لنفسه بيتا يزورونه ليس انه يسكنه تعالى الله عن ذلك وجعل في ركن البيت حجرا هو يمينه في الارض اذ كان من شأنهم ان يعظموا رؤساءهم بتقبيل ايمانهم وجعل على العباد حفظة لا لان النسيان يجوز عليه سبحانه لكن لان هذا هو المتعارف فلذلك لما كان شأن الملك اذا اراد محاسبة عماله جلس لهم على سرير ووقف الاعوان حوله احضر الله تعالى يوم القيمة عرشا وحضرت الملائكة وحفت به لا لانه يقعد عليه او يحتاج اليه بل لمثل ما قلنا في البيت والطواف انتهى كلامه وفي التيسير ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية اي ينزل العرش الى عرصة القيمة لفصل القضاء بين الخلق انتهى **قوله** تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر اي بامراره اياهم عليه ليعرف حالهم يعني يعرضون بمعنى يحاسبون استعارة تبعية والاظهر ان يقال تشبيها لاحضارهم موقف الحساب لاجل المحاسبة بعرض السلطان اذ لا معنى لتشبيه نفس المحاسبة بعرض السلطان العسكر قيل هذا هو العرض على الله عز وجل ودليله وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا ليعلم ما لم يكن به عالما بل ذكر العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة وتقدير الاعمال عليهم للمجازاة وفي الحديث يعرض الناس يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطاير الصحف في الايدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ووجدت على ظهر بعض الكتب ان العرضة الاولى للجدال

عرض الجنة عرض العين اذا امر بهم عليك ونظرت ما حالهم صحاح

وهو عبارة عن دفع العبد الذنوب عن نفسه وتنقيته منها لا سيما الكافر فانه يأبى ابلاغ الرسل
عليهم الصلوة ويقول ما جاءني وما رأيته والرسول يجادله ويكذبه ويمتد النزاع والجدال في ذلك الموقف
ما شاء الله تعالى والعرضة الثانية للمعاذير وهو جمع معذور او معذرة والياء للاشباع كمياسير جمع
جمع ميسرة وحاصلها انه يعترف ويعتذر ويقول فعلت سهوا او اضطررت اليه على مذهب من يقول
العبد مجبر على فعله والعرضة الثالثة لتطاير الصحف اي لقطع الخصومات واظهار الحق وتقوية قول
الانبياء عليهم الصلوة والسلام وتاكيد شهادة الحفظة على صدق العبد وكذبه قوله وهذا وان كان
بعد النفخة الثانية جواب عما يقال كيف قلت ان المراد بهذه النفخة هي النفخة الاولى التي عندها خراب
العالم مع ان قوله تعالى يومئذ يعرضون يفهم منه ان المراد بها النفخة الثانية لان العرض انما يكون عندها
ومحصول جوابه ان تعقيب النفخة بما يتعلق بخراب العالم لما دل على ان المراد النفخة الاولى قلنا بذلك وقوله
تعالى بعد ذلك يومئذ يعرضون لا ينافي ذلك لان اليوم قد يطلق على الزمان الممتد قوله سريرة اي لا يخفى
عليه تعالى فعلة خفية حال كونها واقعة منكم مما تخفونه وتكتمونه من اعمالكم والسر والسريرة الذي
يكتم ويخفى والجملة مستانفة لبيان ان العرض المذكور ليس لحفظ من اعمالهم عليه بل المراد به افشاء
الحال وتحقيق انه تعالى ليس بظلام للعبيد فعلى هذا قوله تعالى لا تخفى منكم خافية يفيد المبالغة في التهديد
لدلالته على ان الناس يعرضون على من لا يخفى عليه شيء اصلا ليتحققوا ان ما اصابهم من العذاب ليس
الا بما كسبت ايديهم ويعفو عن كثير ويستره ويحلم عنه قوله او على الناس فقوله منكم متعلق بقوله لا
يخفى اي لا يخفى منكم يوم القيمة ما كان يخفيه الانسان من الطاعة والمعصية والخير والشر في الدنيا
فانه يظهر فيه احوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم ويظهر احوال اهل العذاب فيظهر بذلك حزنهم و
فضيحتهم كما هو المراد بقوله تعالى يوم تبلى السرائر فقوله لا تخفى منكم خافية تهديد وتخويف عظيم بالافتضاح
على رؤس الاشهاد قوله للفصل اي بين الفعل وفاعله المؤنث بقوله منكم مع ان التانيث غير حقيقي
نجيا بالجيم ثم الحاء الفرح بنال بجحة فبجح اي افرحته ففرح قوله وفيه لغات اجودها هاء يا رجل
بفتح الهمزة وهاء يا امراة بكسرها وفي شرح الرضي ها اسم لخذ وفيه ثمان لغات الاولى بالف مفردة
ساكنة للواحد والاثنين والجمع مذكرا كان او مؤنثا الثانية ان تلحق هذه الالف المفردة كاف
الخطاب الحرفية كما في ذلك وتصرفها مثل تصرف ذلك نحو هاك هاك هاكما هاكم هاكن الثالثة ان تلحق الالف
همزة مكان الكاف وتصرفها تصرف الكاف نحو هاء هاء هاؤما هاؤم هاء هاؤما هاؤن الى اخر كلامه فقوله تعالى
هاؤم لكونه بمعنى خذوا يقتضي مفعولا يتعدى اليه بنفسه وكذا اقرؤا يقتضي ذلك فتنازعا في كتابيه واعمل
الثاني لانه اقرب العاملين واعمال الاقرب في مثله جائز بالاتفاق بين البصريين والكوفيين الا ان الكوفيين
يجوزون اعمال الابعد ايضا لكونه متقدما في الوجود على العامل الثاني والبصريون لا يجوزون اعمال الابعد

لان

ومن المعنى لا تخفى عليه تعالى منكم نفس خافية لا لحجاب [illegible]

فانه لما اوتي كتابه بيمينه علم انه من الناجين ومن الفائزين بالنعيم فاحب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله وقيل يقول ذلك لاهل بيته وقرابته منه

لان بعده من الاسم الظاهر الذي بعده يجعله مرجوحا ضعيفا ولا اثر للضعف عند وجود ما
هو اقوى منه وايضا لو كان العامل هو الابعد لكان التقدير هاؤم كتابي فكان يجب ان يقال اقرؤه
لما تقرر في النحو انه اعمل الفعل الاول والحال ان الثاني يطلب مفعولا فالمختار ان لا يحذف مفعول
الثاني بل يجعل ضميرا بارزا وذلك لان الثاني مع كونه اقرب الطالبين اذا لم يحظ بمطلوبه مع الا
مكان فحقه ان يشتغل بما يقوم مقام مطلوبه لئلا يلزم حرمانه عنه بالكلية فلما لم يبرز مفعول
اقرؤا علمنا انه هو العامل في كتابيه ومفعول هاؤم محذوف والتقدير هاؤم كتابي فحذف الا
ول لدلالة الثاني عليه قوله تثبت في الوقف وتسقط في الوصل بيان لما هو الاصل في هاء
السكت فانها انما جيء بها لتحصين حركة الحرف الموقوف عليها وبيانها فانه لو لم يجاء بها ووقف على
الياء السكت فلا يحتاج اليها حالة الوصل فلذلك كان حقها ان تثبت في الوقف وتسقط في الوصل
الا ان القراء السبعة اتفقوا في كتابيه وحسابيه على اثبات هاء السكت فيهما في الاصل ايضا
اجراء للوصل مجرى الوقف او وصلا بنية الوقف مع الاتباع لرسم المصحف الامام وكذلك اتفقوا في
ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة على اثباتها في الحالين الا حمزة فانه اسقط الهاء من هذه
الكلم الثلث وصلا واثبتها وقفا على الاصل ولم يعمل بالاصل في كتابيه وحسابيه جمعا بين اللغتين
هو المنقول عن القراء السبعة واما الهاء التي في القاضية ونحو هاوية وخاوية وثمانية وعالية و
دانية والخالية فانها فيهن للتانيث فيوقف عليهن بالهاء ويوصلن بالتاء ووصل الابيات باسقاط
هاء السكت حال الوصل في جميع المواصل مع اجماع السبعة بخلافه بناء على ان الوقف والابتداء وما
هو من قبيل الاداء ليس معتمدا بها انما المعتمد الاثر قوله واستحب الوقف لثباتها في الامام ولما كانت هذه
الهاءات مثبتة في المصحف الامام والمثبتة فيه لا بد وان تكون مثبتة في اللفظ ولم يحسن اثباتها
في اللفظ الا عند الوقف لا جرم استحبوا الوقف لهذا السبب وما نقل عن البعض من اسقاطها عند
الوصل تجاسر على الامام قوله اي علمت فسر الظن بالعلم لان الاعتقاد بالبعث والحساب
من جملة العقائد الدينية التي يجب الايمان بها والايمان لا يحصل بالشك والظن بل لا بد للمؤمن ان
يعتقد ويتيقن بحقية البعث والحساب وما يتفرع عليهما فلذلك فسره به فالمعنى اني علمت
وايقنت في الدنيا ان الله تعالى سيبعثني ويحاسبني فاجتهدت في الطاعات وجانبت السيئات ما
استطعت فنجاني الله تعالى برحمته وفضله من اهوال هذا اليوم كنت قد آمنت بهذا اليوم وخفت
من اهواله وعملت له فجعلني الله تعالى من الآمنين فيه قال ابن عباس رض اول من يعطى كتابه بيمينه
رفعته ن من هذه الامة عمر بن الخطاب رض وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فاين ابو بكر رض فقال هيهات زفته
الملائكة الى الجنة قوله ذات رضى اي رضي بها صاحبها والنسبة قد تكون بالحرف كخوري ومصري

وقد يكون بالصيغة نحو تامر ولابن ودارع بمعنى ذي تمر وذي لبن وذي درع وعيشة راضية
اما من هذا القبيل او من قبيل الاسناد المجازي حيث جعل الرضى للعيشة مع انه لصاحب
العيشة وقيل انه بمعنى مرضية فان فاعل قد يجيء بمعنى مفعول نحو ماء دافق كما ان مفعول قد يجيء بمعنى
فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا اي ساترا والوجوه كلها لما آل الى كون العيشة مرضية يرضى بها صاحبها
وقد تقرر ان الشيء انما يكون مرضيا به من جميع الوجوه لو كان مشتملا على ثلثة امور الاول كونه منفعة
صافية عن الشوائب والثاني كونه دائما لا يترقب زواله وانقطاعه والثالث كونه بحيث يقصد به
تعظيم من رضي به واكرامه والا لكون استهزاء او استدراجا وعيشة من اوتي كتابه بيمينه جامعة
لهذه الامور فتكون مرضيا بها على وجه الكمال قال ابن عباس رض انهم يعيشون فلا يموتون ابدا ويصحون فلا
يمرضون ابدا وينعمون فلا يرون بأسا ابدا ويشبون فلا يهرمون ابدا **قوله تعالى** في جنة عالية بدل
من عيشة باعادة الجار ويجوز كونه متعلقا بعيشة راضية اي يعيش عيشا مرضيا في جنة عالية و
العلو في المكان فهو حاصل لان الجنة فوق السموات وكون منازل البعض فوق منازل الآخرين وكون
منازل الآخرين اسفل من منازل الاولين لا يقدح في كون منازل جميع اهل الجنة عالية وفوق السموات
وان اريد العلو في الدرجة والشرف فالامر كذلك وان اريد كون تلك الابنية والاشجار عالية مشرفة فالامر كذلك
ايضا فهي عالية من جميع الجهات **قوله** جمع قطف بكسر القاف وهو العنقود يقال قطفت العنب قطفا و
القطاف بكسر القاف وفتحها وقت القطف كذا في الصحاح والمص عبر عن العنقود بما يجتنى بسرعة لانه
يقطع علاقته ويجتنى جميع ما فيه من الحبات بسرعة دفعة **قوله** باضمار القول اي يقال لهم كلوا وهذا امر امتنان
لا امر تكليف لان الآخرة ليست بدار تكليف وقيل لا يبعد ان يكون امر ندب اذا كان الغرض منه تعظيم الا
نسان وادخال السرور في قلبه **قوله** وجمع الضمير بعد قوله فهو في عيشة راضية للمعنى فانه راجع
الى من في قوله فاما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع **قوله** اكلا وشربا هنيئا اشارة الى ان هنيئا منصوب
على انه صفة مصدر محذوف اي اكلا هنيئا وشربا هنيئا وقوله او هنئتم اشارة الى انه مصدر موكد لفعله
المحذوف اي هنئتم هنيئا وكل شيء يأتيك من غير تعب فهو هنيء اي لا تكدر فيه ولا تنغيص ومعنى الاسلاف في
اللغة تقديم ما ترجو ان يعود عليك بخير فهو كالاقراض ومنه يقال اسلف في كذا اذا قدم فيه ماله والمعنى بما
عملتم في الدنيا والباء اما سببية او للمقابلة اي بدل ما اسلفتم **قوله** يا ليتها الموتة التي متها اشارة الى ان ضمير
ليتها للموتة الاولى وهي وان لم تكن مذكورة الا انها لظهورها كانت كالمذكورة والقاضية القاطعة للحيوة
فان القضاء قد يكون بمعنى الفراغ والانتهاء الامر تقول قضيت حاجتي وضربه فقضى عليه اي قتله كانه فرغ
منه وسمى قاضيا اي قائل يتمنى كون الموتة الاولى ينتهي امره عندها ولا يبعث بعدها ولا يلقى ما وصل اليه من
الحالة وسوء العاقبة قال قتادة تمنى الموت ولم يكن في الدنيا عنده شيء اكره من الموت وشر من الموت مما

ما يطلب منه الموت قال الشاعر وشر من الموت الذي ان لقيته تمنيت منه الموت والموت اعظم **قوله**
او يا ليت هذه الحالة اي او يكون ضمير ليتها للحالة التي شاهدها عند مطالعة الكتاب ينبغي ان يكون بدل
تلك الحالة الموتة القاضية لانه رأى تلك الحالة الشنع وامر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه
عندها والوجه الثالث ظاهر **قوله** او استفهام انكار توبيخ به نفسه بقوله اي شيء اغنى عني ما جمعته
من المال والاتباع اذ لم احشر معهم او لم استغن بهم في سبيل الله ووجوه مرضاته فذهب الكل ضايعا
قال تعالى ويأتينا فردا ولقد ولقد جئتمونا فرادى وقيل ما نفعني ما جمعته وانفقته في وجوه الخير
والبر في الدنيا اذ احبطه شركه والسلطان من السلاطة وهي القهر والغلبة ويطلق على الوالي لاتصافه
بها وعلى الحجة والبرهان ايضا لكونهما سببا لها والسلطان بمعنى الوالي يجمع على سلاطين والسلطان
بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لاجرائه مجرى المصدر لانه في الاصل مصدر كالشكران والغفران والكفران وفي
الاية فسر بكل واحد من المعنيين فعلى الاول يتحسر ويقول اني كنت انازع المحقين في الدنيا بسبب الملك
والسلطان فالآن ذهب ذلك وبقيت ذليلا مهانا وعلى الثاني معناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها على محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وقال مقاتل يقول ضلت عني حجتي
حين شهدت عليه الجوارح بالشرك **قوله تعالى** خذوه فغلوه مثل قوله كلوا واشربوا في الاحتياج الى اضمار
القول اي يقال لخزنة النار خذوه فغلوه والغل جمع اليدين الى العنق اي شدوه بالاغلال **قوله تعالى** صلوه
اي احرقوه يقال صليت اللحم وغيره اصليه صليا على وزن رميته ارميه رميا اذا شويته ويقال ايضا
صليت الرجل نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فان القيته فيها القاء كانك تريد الاحراق قلت اصليته
بالالف الافعال وصليته تصلية كذا في الصحاح فالثلاثي وغيره سواء في التعدية الى مفعولين والسلسلة حلق
منتظمة كل حلقة منها في حلقة وجملة ذرعها سبعون ذراعا في محل الجر على انها صفة السلسلة وفي سلسلة
متعلق بما سلكوه اي ادخلوه فيها والذرع في اللغة التقدير بالذراع يقال ذرع الثوب يذرعه ذرعا اي قدره
بذراعه **قوله** اي طويلة اشارة الى انه ليس المقصود من سبعون ذراعا التقدير بهذا المقدار بل المقصود
الوصف بالطول كما في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة اي مرارا كثيرة **قوله** بان تلفوها على جسده اشارة
الى دفع ما قيل من ان ادخال السلسلة في العاصي معقول واما ادخال العاصي في السلسلة فما معناه و
زعم بعضهم انه محمول على القلب كما يقال ادخلت القلنسوة في رأسي والخاتم في اصبعي بل ان يقال ادخلت
رأسي في القلنسوة والاصبع في خاتمي اذ قد نقل في التفسير ان السلسلة تدخل في فيه وتخرج من دبره
فعلى هذا معنى الاية ثم اسلكوا فيه السلسلة فهي المسلوكة فيه لا هو المسلوك فيها وما ذكره المص يغني عن
الاحتياج الى اعتبار القلب عن ابن عباس رض ان اهل النار يكونون كالثعلب في الجبة والثعلب طرف جنبه
الرمح الداخل في جبة السنان وهي الزج **قوله** لتفاوت ما بينهما في الشدة يعني انه عطف الاغلال على

[illegible]

الاخذ بالفاء وعطف التصلية بثم الدالة على التراخي وظاهر ان التراخي الزماني ليس بمراد
لان التهديد بتوالي العذاب اشد واقطع من التهديد بتفريقه فلذلك حمله على التراخي في الرتبة
بين الكلام في ان ثم الداخلة على قوله في سلسلة هل هي لعطف قوله فاسلكوه كما ان ثم السابقة
لعطف صلوه او هي لعطف قول مضمر على ما اضمر قبل قوله خذوه اي قيل لخزنة النار خذوه فغلوه ثم
الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها كذا فاسلكوه والاوجه للاحتمال الاول لاستلزام الثاني اجتماع
حرفي العطف الفاء وثم في معطوف واحد فتعين الثاني فيكون الفاء لعطف المقول على المقول
مع افادة التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على ان الاخبار الثاني اشد واهول
من الاول وهو الاخبار بان الخزنة يؤمرون بان يدخلوه الجحيم ويجعلوه يحترق فيها ولا شك ان
الاخبار بان الخزنة يؤمرون بعد ذلك بان يدخلوه في السلسلة عقيب التصلية كما يدخل الثعلب في
الجبة اشد واهول من الاخبار الاول فثم الثانية للتراخي الرتبي بين القولين وثم الاولى للتراخي
بين المقولين هذا ما سنح للخاطر الكليل بعون المولى الجليل فليتامل فانه دقيق حسن يزيد كل
فكره حسنا اذا ما زدته فكرا كالمسك يزداد بالتقليب تضوعا وفوحا قوله تعليل على طريق
الاستئناف للمبالغة اي بيان لسبب تعذيبهم بما بين من العذاب الشديد على طريقة الاستئناف
كانه قيل ما باله يعذب بهذا العذاب الشديد فاجيب بذلك للمبالغة في عظم جريمته فان السائل
لما استفظع الجزاء واستهوله فسال عن السبب الذي يوجب مثل تلك العقوبة الهائلة كان الجواب
ان يقال في عظم الجريمة وقبحها ويقال كيف لا يستشنع عذابه وانه قد ارتكب هذه الجريمة التي هي افتح
الجرايم واشنعها وتخصيص الحث على الفعل واظهار الرغبة في ملابسة ووقوعه فهو لا يتعلق بما هو
من قبيل الاعيان بل انما يكون على الفعل والطعام عين لانه اسم لما يوكل وليس بفعل حتى يحث عليه
فنظم الاية الكريمة اما من قبيل حذف المضاف والتقدير ولا يحض على بذل طعام المسكين فاما
ان الطعام فيه اسم اقيم مقام الاطعام واستعمل بمعناه كما يقام الطعام العطاء موضع الا
عطاء في كلامهم قوله وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى انهم يعاقبون على ترك
الامتثال بها كعدم اقامة الصلوة وايتاء الزكوة والانتهاء على الفواحش والمنكرات لا على
معنى انهم يطالبون بها حال كفرهم فانهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام اهلية الاداء فيهم
لان مدار اهلية الاداء هو استحقاق الثواب بالاداء ولا ثواب لاعمال الكفار واهلية الوجوب لا
يستدعي اهلية الاداء كما تقرر في الاصول قوله ويجوز ان يكون ذكر الحض للجواب عما يقال الظ
ان يقال ولا يبذل طعام المسكين او ولا يطعم المسكين فلم عدل منه وانما قلنا ان الظاهر ان يقال
ذلك لان سوق الكلام لبيان عظم جريمته ولا شك ان ترك الفعل اعظم جريمة من ترك الحث
عليه

عليه وخبر ليس في قوله فليس له اليوم هنا حميم اما له واليوم وههنا متعلقان بما تعلق هو به او بمحذوف
وقعا معه في موضع الحال من ضمير الحميم في له واما ههنا وله واليوم متعلقان بما تعلق هو به كذلك ولا يجوز
ان يكون اليوم خبرا البتة لانه زمان والخبر عنه جثة قوله فعلين من الغسل فالنون والياء زائدتان
وقوله تعالى لا ياكله الا الخاطؤن صفة لغسلين قوله لا من الخطاء المضاد للصواب لا حاجة اليه
وانما ذكره لتوضيح المقام فانه لا يقال في الفعل منه الا اخطا فهو مخطئ او تخطا فهو متخطئ اي اراد
الصواب فصار الى غيره من غير تعمده والقصد اليه واما الخاطئ فهو اسم فاعل من خطئ يخطا خطا
على وزن علم يعلم علما ومعناه تعمد الخطأ وهو الذنب قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا اي اثما والاسم
منه الخطيئة ويجمع على خطايا وقال ابو عبيدة خطئ واخطا لغتان بمعنى واحد فعلى هذا القول يحتاج
الى تفصيل المص قوله وقرئ والخاطون بطرح الهمزة بعد نقل حركتها الى الطاء روي ان ابن عباس
رضي الله عنه طعن في هذه القراءة وقال الخاطون كلنا نخطو انما هو الخاطئون يعني ان الخاطون من الخطو
هو لا يصلح سببا للعذاب فتخفيف الهمزة بهذا الوجه مع انه مخالف للقياس ملبس للمراد ايضا فلا ينبغي
ويجوز ان يجاب عنه بان المراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فهو من الخطو
لا من تخفيف الهمزة المؤدي الى الالتباس مع كونه على خلاف القياس ثم انه تعالى لما فخم في القران
العظيم شان القيمة ونبه على امكان قيامها ووقوعها وفصل ما فيها من احوال السعداء والاشقياء
ختم الكلام بتعظيم القران فقال فلا اقسم بما تبصرون الاية قوله لظهور الامر اشارة الى ان لا نافية
للقسم اي لا اقسم على ان هذا القران قول رسول كريم لوضوحه ليستغنى عن تاكيده بالقسم قوله
وهو محمد او جبرئيل عليهما الصلوة والسلام فان قيل قد اتفق المسلمون على ان القران كلام الله تعالى
فكيف يصح ان يكون الكلام الواحد كلاما لله تعالى ولجبرئيل ولمحمد عليهما الصلوة والسلام والجواب ان
الاضافة يكفي فيها ادنى ملابسة فالقران كلام الله تعالى حقيقة اظهره في اللوح المحفوظ ورتبه و
نظمه وهو ايضا كلام جبرئيل بمعنى انه هو الذي انزله من السموات وبلغه الى محمد وهو ايضا كلام محمد صلى
الله عليه وسلم بمعنى انه هو الذي اظهره للخلق ودعا الناس الى الايمان به وبما فيه قوله تصدقون
لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا اشارة الى ان انتصاب قليلا هنا وفيما بعده على انه صفة لمصدر
محذوف معمول لما بعده من الفعل وما مزيدة للتاكيد وقوله لما ظهر لكم صدقه اشارة الى ان مقام
اللوم والتوبيخ يقتضيه الايمان يدل على ان المراد بالايمان الايمان بما ظهر صدقه وحقيته وتمهيد لما
سيذكره من الفرق بين نفي شاعرية القائل وكاهنيته من ان الاول ظاهر بين لا ينكره الا معاند من
حيث ان نظم القول مباين لنظم كل صنف من اصناف الشعر وضروبه ومن ادعى انه قول شاعر
فانما يدعيه مكابرة وعنادا لا من جهة التباس الامر عليه قوله المنافية لطريقة الكهنة لف ونشر

مرتب فان الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون اليه ما سمعوه من اخبار السما فيخبر الناس بما سمعه منهم
وطريقته عليه الصلوة والسلام منافي لطريقة الكاهن لان ما يبلغه من الكلام مشتمل على شتم الشياطين وسبهم
فكيف يمكن ان يكون ذلك بالهام الشياطين لانهم لا ينزلون شيا فيه ذمهم وسبهم على من ينكر عليهم و
يطعن فيهم وكذا معاني ما يبلغه عليه الصلوة والسلام منافية لمعاني اقوال الكهنة كالاخبار ببعض
الحوادث الآتية وتعيين السارق ومكان السرقة ونحو ذلك فلو تذكر اهل مكة كيفية نظم القران
من حيث دلالته على معانيه وتذكروا ايضا احوال من انزل عليه لما قالوا انه قول الكاهن **قوله**
وقرأ ابن كثير ويعقوب بيا الغيبة فيهما اي في قوله يؤمنون ويتذكرون على الالتفات والجمهور بتا
الخطاب على وفق قوله بما تبصرون وما لا تبصرون **قوله** كانها جمع افعولة اي وجه كون هذه التسمية تحقيرا
للاقوال المفتراة فان صيغة افعولة انما تطلق على مخترعات الامور وغرايبها كالاعجوبة لما يتعجب منه والا
ضحوكة لما يضحك منه والاقوولة من القول وان لم يكن مستعملا الا انه قدره وجعل الاقاويل جمعا له لكون
المقام مقام تحقير الاقوال المفتراة والجعل المذكور يدل على تحقيرها فلذلك ذهب اليه ولم يقطع به بل قال
كانه جمع افعولة من القول لان الظاهر انه جمع الجمع اي انه جمع اقوال جمع قول كانا عيم جمع انعام جمع نعم و
للاشعار بان كونه على صورة جمع افعولة كاف في التحقير **قوله** وهو تصوير للاهلاك الخ يعني ان الظاهر ان
يقال لو تسب الينا قولا لم نقله لقتلناه صبرا وهو ان يؤخذ يد المقتول ويضرب عنقه سواء اخذ عنه
او يساره لكن قيل بدل ذلك لاخذنا باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي لاخذنا بيمينه لقطعنا وتينه
تصويرا للاهلاك بافظع صوره فان القتال اذا اراد ان يوقع الضرب في قفا المقتول اخذ بيساره
فيضرب عنقه من خلفه واذا اراد ان يوقعه في جيده مواجهة اخذ بيمينه ويضرب بالسيف في جيده
من جهة امامه وهو اشد على المقتول من الصورة الاولى لانه ينظر الى السيف **قوله** ويكفح اي يستقبله
يقال كفحه اذا استقبله والجيد خلاف القفا وقيل اليمين بمعنى القوة اي لاخذناه بقوة منا فيكون
باليمين حالا من الفاعل وقيل المعنى لاخذنا منه اليمين اي سلبنا عنه القوة والباء على هذا صلة
زائدة وعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شيء في ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وارادة الحال او
ذكر الملزوم وارادة اللازم ومحصول المعنى على جميع التقادير انه لو نسب الينا قولا لم نقله لمنعناه
عن الثبات عليه اما باقامة الحجة على كونه مفتريا في دعواه بان نقيض له من يعارضه فيه فيظهر كذبه
للناس ويظهر كذبه فيما ادعاه كقتله صبرا واما بان نسلب عنه القوة والقدرة على التكلم بذلك
القول وحكمة الله تعالى تقتضي ذلك لئلا يشتبه الصادق بالكاذب **قوله تعالى** فما منكم من احد عنه حاجزين
كلمة ما نافية هي المشبهة بليس واعمالها لغة اهل الحجاز وبنو تميم لا يعملونها لدخولها على القبيلتين و
اعراب الآية الكريمة على لغة بني تميم ان من احد في موضع رفع بالابتدا ومن زائدة لتاكيد النفي ومنكم
خبره

خبره وحاجزين صفة لاحد مجرور حملا على لفظ احد ولكنه جمع حملا على معناه لان احدا يقع في سياق
النفي كانه قيل فما منكم قوم يحجزون عنه واعرابها على لغة الحجازيين ان من احد اسم ما وحاجزين منصوب
بالخبرية لا وجه الخبر لما تقدم ومنكم على هذا حال لانه في الاصل كان صفة لاحد ولما تقدم عليه امتنع جعله
صفة له لامتناع تقديم الصفة على الموصوف فحكم بانه في محل النصب على الحالية كقولهم لعزة موحشا
طلل قديم وعنه يتعلق بحاجزين على القولين وضميره للمقتول الماخوذ باليمين او للقتل المدلول عليه بقوله
لاخذنا ولقطعنا ولا يجوز ان يكون ما حجازية ويكون منكم هو الخبر لان خبر المبتدا اذا تقدم بطل عملها
واستوت فيه اللغتان والمعنى ان القران قول رسول الله ليس بشاعر ولا كاهن وانه تنزيل من رب العالمين
بين الحكمة في تنزيله فقال انه لتذكرة للمتقين **قوله** اليقين الذي لا ريب فيه اشارة الى ان حق اليقين
مثل اخلاق ثياب في انه من اضافة الصفة الى الموصوف فان اليقين ونحوه يوصف بكونه حقا اي ثابتا لا
يطرا عليه الزوال والبطلان كما يوصف الثياب بكونه اخلاقا والبصريون لا يجوزون مثل هذه الاضافة و
لا اضافة الموصوف الى صفته من حيث ان الصفة والموصوف لما اطلقا على شيء واحد واتحدا صدقا كانت
اضافة احدهما الى الاخر بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه ولا فائدة فيه ويأولون ما وقع منها ايما وقع ويقولون
اصل اخلاق ثياب شيء اخلاق فحذف الموصوف واقيم صفته وهو اخلاق الى جنسه الثياب كما الاضافة
في خاتم فضة فالاضافة بمعنى من واليقين في الاصل من اقسام مطلق العلم والمراد به ههنا المعلوم المتيقن
به لكونه خبرا عن القران الذي هو من قبيل المعلوم فحصول المعنى ان القران هو الكلام المتيقن به الذي لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الامام وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين اي حق لا بطلان فيه
ويقين لا ريب فيه اضيف احد الوصفين الى الاخر للتاكيد وعن ابن عباس رضي الله عنه قال انما هو كقولك عين اليقين
ومحض اليقين وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين قال الفراء ان العرب يجيزون اضافة الشيء
الى نفسه اذا اختلف اللفظان كقوله فقلت انجوا عنها نجا الجلد انه سيرضيكما منها سنام وغاربه و
النجا هو الجلد من كقولك نجوت جلد البعير والجنبة اذا سلخته والشاعر يخاطب ضيفين طرقاه اي اتياه ليلا
قوله فسبح الله بذكر اسمه العظيم اشارة الى ان معناه ليس مثل معنى سبح اسم ربك بل مفعول سبح محذوف
والباء في باسم ربك مثله في قولك ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف
سورة المعارج مكية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** والذكاء ولكون سال
بمعنى دعا وتضمنا لمعناه عدي بالباء مثل دعا بقال دعوت الله بكذا اي استدعيته وطلبته وقال تعالى
يدعون فيها بكل فاكهة اي يستدعون في الجنة كل فاكهة وسال يتعدى بنفسه يقال سألته الشيء ونقل
الطيبي عن الواحدي ان الباء في بعذاب زيادة للتاكيد كقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة والمعنى سال
سائل عذابا واقعا **قوله** وهو اما من السوال يدل على انه منه اشتقاقا ومعنى الا انه سهلت همزته

ای لیس المراد انتباع خصوص الفعله من جهة النضیعة وهو قطع الوتین بل المراد الاهلاک الفظیع بای وجه کان مله

وفيه ان النفي متوجه على كينونة الحاجز منهم والمقام يقتضي نفي الجنس عاليه الا ان يقال ان المعنى منكم اي من جنس المخلوقات بمعنى من دون الله مله

اي الحق الثابت من اليقين واليقين اسم العلم الذي زال عنه اللبس وهو تاكيد كما تقول حق يقين ويقين حق ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين مله

اي كما ان الاخلاق مكان جنس مله

اذا اوتيت على المنساة من كبر
فقد تباعد عنك اللهو والغزل
[illegible] منه

سال يقلبها الفا على خلاف القياس كما قالوا منسا في منسأة ولا هناك المرتع والقياس
في مثله ان يسهل الهمزة بجعلها بين بين اى بين الهمزة والالف فعلى هذا الهمزة سائل اصلية
الا انه صرح بقوله على لغة قريش ان المراد ان سال بالالف اللينة من السؤال من جهة المعنى لا
من جهة اللفظ والاشتقاق لما روى ان سيبويه قال ان لغة قريش انهم يقولون سلت تسال كخفت
تخاف وان الف سال بسال منقلبة عن الواو وانهم يقولون هما يتساولان والهمزة على
هذا منقلبة عن الواو كالهمزة في خائف وخطأ احمد بن الحسن الجاربردى صاحب الكشاف
في قوله هما يتسايلان حيث قال الصواب يتساولان بالواو وفي الصحاح السوال ما يساله
الانسان وقرئ اوتيت سولك يا موسى بالهمزة وبغير الهمزة انتهى قوله او من السيلان فيكون
الف سال منقلبة عن الياء كالهمزة سائل كباع فهو بائع قوله والمعنى سال واد اشارة الى ان
سائل صفة محذوف هو واد وان المعنى اندفع عليهم ذلك الوادي فذهب بهم واهلكهم يقال اندفع
الفرس اذا اسرع في سيره روى ان نضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط قتلا يوم بدر صبرا
ولم يقتل صبرا غيرهما قوله صفة اخرى لعذاب وصفه اولا بانه واقع لا محالة سواء طلبه او لم يطلبه
وثانيا بانه معد للكافرين لا يتخطاهم قوله وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب اشارة
الى ما روى عن قتادة رضي الله عنه لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم فدعا الناس الى التوحيد وخوف
المشركين بالعذاب قال المشركون بعضهم لبعض سلوا محمدا لمن هذا العذاب بمن يقع فاخبره الله
تعالى بما جرى بينهم بقوله سال سائل بعذاب واقع ثم اجاب السائل بقوله للكافرين على انه خبر مبتدا
محذوف قوله والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم لان سال ح لا يكون من سألته الشيء
ودعوته به بل من سألته عن الشيء ما هو وبمن يقع ولذلك فسر الباء ح بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل
به خبيرا وقوله فان تسألوني بالنساء فانني بصير بادواء النساء طبيب ولما كان سؤالهم هذا
على التعنت والانكار ضمن سال ما يدل على التهكم بهم والاستهزاء وهو اهتم واعتنى فعدي بتعديته
قوله تعالى ليس له دافع يجوز ان يكون نعتا اخر لعذاب وان يكون مستانفا والاول اظهر ومن الله
متعلق بدافع اى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته لانه اذا اوجبت الحكمة وقوعه امتنع ان لا يفعله
الله تعالى قوله اى ذي المصاعد اشارة الى ان العروج بمعنى الصعود والمعارج جمع معرج بفتح الميم
وهو موضع الصعود وهو غير مناسب لهذا المقام ثم ان المراد بالمعارج اما معارج الاعمال الصالحة
فان معارجها تتفاوت على حسب تفاوت نفس الاعمال في الاشتمال على الاداب والمستحبات
المعتبرة فيها وخلوص النية وحضور القلب ونحوها واما معارج المومنين في سلوكهم في مراتب
المعارف الالهية والمكاشفات والتجليات ولا شك في تفاوت طبقات اولياء الله تعالى في درجات

قوله صفة لواقع هذا على
تقدير ان يكون السائل هو رسول
الله صلعم والباء بمعنى هذا اما بمعنى
اللام او بمعنى على او على بابه اى
بعذاب نازل بهم او عليهم او
لاجلهم منه

ثوابهم وهي الجنة ولا شك ايضا في تفاوت الدرجات التي يعطيها اولياءه في الجنة واما معارج الملائكة
ومنازل ارتقائهم بحسب الامكنة وهي السموات فانهم يعرجون فيها ولكل واحد منهم مقام معلوم منها او
بحسب الفضائل والكمالات الروحانية والمعارف الالهية وبحسب شدة قوتهم على تدبير هذا العالم وضعف
تلك القوة والظاهر ان درجاتهم واحوالهم متفاوتة في جميع ذلك قال قتادة ذي المعارج اي ذي الفواضل والنعم
وذلك لان اياديه ووجوه انعامه مراتب متفاوتة وهي تصل الى الناس على مراتب مختلفة وعلى جميع التقادير
تلك المعارج سواء كانت للاعمال او المؤمنين او الملائكة والمراتب بيد الله تعالى يختص برحمته من يشاء فلذلك
وصف نفسه بقوله ذي المعارج والظاهر ان ضمير اليه في قوله تعالى تعرج الملائكة والروح اليه لتلك المعارج بتاويل
المكان ونحوه واليه وفي يوم متعلقان بتعرج وخمسين خبر كان والف سنة تمييز خمسين وكان مع ما
في حيزه في موضع الجر على انه صفة يوم قوله على التمثيل والتخييل متعلق بقوله لبيان يعني ان الحكم بان
عروج الملائكة والروح اليه يكون في تلك المدة المذكورة ليس على التحقيق بل على الاستعارة بالكناية
وما يدل عليها وهو الاستعارة التخييلية بان شبه ما بين مبتدا عروجهم وغاية تلك المعارج بمسافة
اهل الدنيا وشبه عروجهم اليها بحركة اهل الدنيا فيها واثبت لعروجهم اليها لازم المشبه به وهو كونها
مقطوعة في المدة المذكورة فان اهل الدنيا لا يقطعون مثل تلك المسافة الا في تلك المدة ونفس التشبيه
استعارة بالكناية على اختيار الخطيب والاثبات المذكور استعارة تخييلية فهاهنا استعارتين
تبيين ارتفاع تلك المعارج وبعد غايتها فقوله لو قدر قطعها في زمان اي في زمان قطع اهل الدنيا مثلها من
المسافة خلاصة معنى الاستعارتين والفرق بين ما اختاره وبين ما نقله بقوله وقيل ان تقدير الزمان
الذي جعل ظرفا لعروج الملائكة بالمدة المذكورة على ما اختاره مبني على تشبيه عروجهم بعروج الانسان
لو فرض والتقدير المذكور دليل عليه وليس معنى الكلام على ما نقله تقدير ذلك الزمان بالمدة المذكورة
بل تشبيهه بها من حيث اشتماله على ما يشتمل هي عليه مع ان ضمير اليه على ما اختاره للمعارج بالتاويل
المذكور وعلى ما نقله للعرش باعتبار انسياق الفهم اليه لكونه منتهى عالم الاجسام قوله وقيل معناه
الخ توضيح هذه المقالة ان قوله تعالى مقداره خمسين الف سنة من باب التشبيه البليغ اي مقدار ذلك اليوم
كمقدار هذه المدة بالنسبة الى الانسان من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض
من الملائكة استيعاب تلك المدة بذلك والمراد بكل واحد من ذلك اليوم وتلك المدة يوم الدنيا وسنيها ولا
يلزم منه ان يكون ما بين اسفل العالم واعلى العرش مسيرة خمسين الف سنة بسير الانسان وانما
يلزم ذلك ان لو كان عروج الملائكة فيما بينهما الى العرش في تمام يوم كامل هو بالنسبة الى الانسان كخمسين
الف سنة ولا يلزم ذلك لان قوله عروج اليه في يوم لا يدل على كون اليوم معيارا للعروج مستوعبا بالعروج
بان يكون بازاء كل جزء من احدهما جزء من الاخر كما في قولك صمت يوم كذا فان اليوم بالنسبة

[illegible] منه ان [illegible]
تلك المعارج [illegible]
الملائكة [illegible]
العالم واعلى [illegible]
لان ما بينهما [illegible]
الا [illegible] سنة
منه

الى نحو الاكل والشرب والحركة ظرف لا معيار فيجوز ان يعرجوا الى العرش في ساعة قليلة من يوم من ايام
الدنيا والحاصل انه لو كان نحو سير الانسان ان يعرج اليه بحاله من القوة لم يعرج اليه في اقل من تسعة الاف سنة
فالمقصود من التشبيه بيان سرعة عروج الملائكة الا تقدير مسافة ما بين اسفل العالم واعلى العرش بسير
الانسان قوله وحيث قال اي سواء كان من تتمة قول هذا القائل او ابتداء الكلام من المص فالمقصود منه التطبيق
بين الآيتين ومقصود القائل منه التوفيق بين هذه الآية وبين قوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره
الف سنة قال وهب في التطبيق بينهما ما بين اسفل العالم الى اعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة
ومن اعلى سماء الدنيا الى الارض مسيرة الف سنة لان عرض كل سماء مسيرة خمسمائة سنة وما بين اسفل
السماء الى قرار الارض خمسمائة سنة اخرى فقوله تعالى في يوم يريد في يوم من ايام الدنيا وهو مقدار الف
سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا ومقدار خمسين الف سنة لو صعدوا الى اعلى العرش وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ايام سماها الله تعالى وهو اعلم بها وانا اكره ان اقول فيها ما لا اعلم قوله وقيل في يوم متعلق بواقع قال
معالم وعلى هذا القول يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة او سال واد من اودية جهنم بعذاب في يوم طويل مقداره كذا من سني الدنيا قوله والمراد به يوم
القيمة والظاهر ان يوم القيمة اسم لمدة وقوف الخلايق في موقف الحساب حتى يقضي بينهم ويصل كل فريق من
اهل الجنة واهل النار الى مستقرهم ومثواهم لا مدة بقاء الاخرة اذ ليس مقدار طولها خمسين الف سنة من
سني الدنيا فقط والا لحصلت لها غاية ولفنيت الجنة والنار عند تلك الغاية وهذا غير جائز ويدل على صحة
هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يؤد زكوة ماله الا جعل شجاعا من نار تكوى
بها جبهته وظهره وجنباه في يوم القيمة في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله تعالى بين
الناس فانه صريح في ان يوم القيمة هو مدة وقوفهم للحساب حتى يفصل بينهم قوله واستطالته اما
لشدته على الكفار اي لا لكونه طويلا في نفسه فانه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا انه قال يحاسبكم
الله تعالى بمقدار ما بين الصلوتين ولذلك سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين وانما حاسبكم على قدر
رفقهم الخلايق والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذلك يحاسبهم في لحظة كما قال تعالى ما
خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومع هذا الاشتداد الامر فيه على الكفار يعدونه اطول من المدة المذكورة
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي
بيده انه ليخفف على المؤمن حتى انه يكون عليه اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا قوله او لكثرة
ما فيه من الحالات والمحاسبات يعني ان مدة وقوفهم للحساب استطيلت مع كونها قصيرة كون الحساب
فيها سريعة للاشارة الى كثرة ما فيها بحيث لو ولي امر المحاسبة في تلك المدة غير الله عز وجل لما فرغ منها
في اقل من خمسين الف سنة وان كان اعقل الخلق واذكاهم قوله او لانه في الحقيقة كذلك كما قيل ان فيه

الاية ما خلقكم الجميع ولا بعثه الا كخلق نفس واحدة وبعثها مسلاه

٤٠٤ ٥

فيه خمسين موطنا كل موطن الف سنة قوله والروح جبريل لقوله تعالى نزل به الروح الامين فيكون قوله
والروح من عطف الخاص على العام تعظيما له قوله لان السوال كان عن استهزاء او تعنت الاول على ان
يكون السوال بمعنى الطلب والدعاء فان النضر وابا جهل انما سالا ما سالاه عن استهزاء برسول الله
صلى الله عليه وسلم وتكذيب بالوحي والثاني على ان يكون السوال بمعنى السوال عن الشيء ما هو وممن يقع
ومتى يقع فان كفار مكة انما يسالون عن العذاب على طريق التعنت وطلب الزلة وكل ذلك مما يضجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه قوله او عن تضجر اي على ان يكون السائل هو النبي عليه وسلم
والضمير في قوله تعالى انهم يرونه بعيدا لاهل مكة وبعيدا مفعول ثان ليرون ومثله قريبا والروية
الاولى بمعنى الظن والاعتقاد والثانية بمعنى العلم واليقين قوله من الامكان على ان يكون السوال
بمعنى الطلب على وجه الاستهزاء قوله او من الوقوع على ان يكون بمعنى السوال عن العذاب ممن يتبع
على طريق التعنت والانكار لوقوعه قوله اي يمكن يوم يكون فيه ان تقييد الامكان بالزمان المعين
لا معنى له لان الممكن ممكن في جميع الازمنة ويمكن ان يقال ليس المراد تقييد الامكان به بل بيان ما يتقدم
عليه من الاهوال والامور العظام قوله او بدل من في يوم جعله بدلا من الجار والمجرور جميعا ليصح
نصب البدل لان الجميع في محل النصب على الظرفية ولو جعل بدلا من المجرور وحده لما صح نصب البدل
وانما قال ان علق به اي ان كان قوله تعالى في يوم متعلقا بواقع لانه حينئذ يكون المراد باليوم يوم القيمة
كما مر فيصح ان يبدل عنه اليوم تقع فيه هذه الامور لان اليوم الثاني اسم لزمان متسع مشتمل على يوم
الحساب بخلاف ما اذا كان متعلقا بقوله تعرج فانه حينئذ لا يراد باليوم يوم القيمة لما مر ان سوق
الكلام حينئذ لبيان ارتفاع تلك المعارج بانها بحيث لو كانت حركة الملائكة والروح مثل حركة الانسان
لما عرجوا اليها الا في مدة خمسين الف سنة فاذا لم يكن المراد به يوم القيمة لا يصح ابدال هذا اليوم
منه الا على طريق بدل الغلط وهو لا يقع في القرآن فيصح ان يقال ان ابداله من في يوم مشروط بكونه
متعلقا بقوله واقع قوله كالفلزات الجوهري الفلز بالكسر وتشديد الزاي ما ينفيه الكير مما يذاب
من جواهر الارض والمهل يقال هو النحاس المذاب انتهى وفي التيسير المهل هو ما يذاب بالنار كالفضة
والرصاص ونحوهما سمي به لانه يمهل في النار حتى يذوب روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه اذاب فضة
الدراهم او ما بقي منها [illegible] ثم قال من سره ان ينظر الى المهل فلينظر الى هذا وقال [illegible] ما
يروى من ان سماء الدنيا من حديد وقيل هو الصديد والقيح وفي الصحاح العهن الصوف والقطعة
منه عهنة فسره بالصوف مطلقا وقيل هو الصوف بقيد كونه احمر وهو اضعف الصوف وقيل بقيد
كونه مصبوغا الوانا وهو المناسب بهذا المقام لان الجبال متلونة بالوان مختلفة كما قال تعالى جدد بيض وحمر
مختلف الوانها وغرابيب سود والمعنى انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع وقيل اول ما تتفرق

تنبيه الدر في كل موطن منها عن امر مما كلف به فمن اجاب عنه تجاوز عنه وكان الموطن من طرفة العين والا اسرع عنه الف سنة ثم ينتقل يوقف فيه الى الموطن الثاني في ساله فيه كذلك ثم الى الثالث والرابع الى تمام الخمسين مسلاه

فان قيل كل واحد من العذاب ويوم القيمة ممكن ولا معنى لوصف الممكن بالقرب من الامكان فلعله مبني على الممكن كلمة باينهم يريد به بعيدا والمراد وصفه بالامكان ويدل عليه قول المص اي يمكن يوم كذا فافهم مسلاه

الجبال تصير رملا ثم تهبا منفوشا ثم هبا منبثا قوله يبصرونهم فرقت قرا الجمهور ولا يسال حميم حميما على البناء للفاعل واشار المصنف الى انه من سالته عن الشيء وان مفعوله بالواسطة محذوف والمعنى لا يسال حميم حميم عن حاله بان يقول له كيف حالك ولا يكلمه لان لكل امرئ يومئذ شان يغنيه ويشغله عن الالتفات الى غيره وان يسال عن حاله قوله اي لا يطلب من حميم حميم على ان يكون حميما مفعولا ثانيا من غير اسقاط حرف ويكون حوله ولا يسال حميم من سالته الشيء بمعنى طلبته منه اي لا يطلب الحميم اين حميمك ولا يطلب منه احضاره قوله او لا يسال منه حاله اشارة الى جواز ان يكون حميما منصوبا باسقاط عن اي لا يسال حميم عن حميمه ليعرف شانه من جهته كما يتعرف خبر الصديق من جهة صديقه بل كل انسان يسال عن عمل نفسه كما قال كل نفس بما كسبت رهينة قوله استيناف في جواب من قال لعله لا يبصره فكيف يسال عن حاله فقيل يبصرونهم ثم عاد السائل فقال كيف لا يسال مع تمكنه من السوال فقيل يود المجرم او حال عن الضمير الاول اي لا يسال حميم عن حاله في حال كونه معرفا اياه و في الصحاح البصر العلم وبصرت بالشيء علمته قال من بصرت بالم يبصروا به والبصير العالم انتهى فقوله تعالى يبصرونهم عدي بالتضعيف الى ثان وقام الاول مقام الفاعل والشايع المتعارف تعديته الى الثاني بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار ويقال بصرته اباه وتقول بصرني زيد بكذا واذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا واذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت بصرت كذا وما في الآية من هذا القبيل فمعنى يبصرونهم يعرفونهم اي يعرف الحميم الحميم حتى يعرفه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسه او لاستغنائه عن السوال بسبب انه تعالى ميز اهل الجنة واهل النار بالعلامات والاوصاف الدالة على حاله فاستغنوا بذلك عن السوال قوله وجمع الضميران في يبصرونهم مع انهما للحميمين حملا على المعنى فان الحميم وان كان مفردا في اللفظ فالمراد به الكثرة والعموم لانهما نكرتان في سياق النفي قوله وعشيرته وهي القبيلة وهم بنواب واحد والفصيلة في الاصل القطعة المفصولة من الجسد ثم غلب اطلاقها على الآباء الاقربين قال الامام فصيلة الرجل اقاربه الاقربون الذين فصل عنهم وينتمي اليهم كان المراد من الفصيلة المفصولة لان الولد يكون مفصولا من الابوين قال عليه الصلوة والسلام فاطمة قطعة مني فلما كان الولد مفصولا منهما كانا ايضا مفصولين منه فسميا فصيلة لهذا السبب وكان يقال العباس رض فصيلة النبي صلى الله عليه وسلم لان العم قائم مقام الاب قوله الضمير للنار وان لم يتقدم ذكرها لدلالة لفظ عذاب عليها وان كان لظى خبران يكون نزاعة خبرا ثانيا او خبر مبتدا محذوف اي هي نزاعة فيكون مرفوعة على الذم وان كان لظى بدلا من اسم ان يكون نزاعة خبران وقراء العامة نزاعة بالرفع وقراء حفص وجماعة اخرى غيره نزاعة بالنصب على الاختصاص والتقدير اعني نزاعة او على انه حال اما من المنوي في لظى فانها وان كانت

علما

وكونها مؤنثا بدلا مبني على ما قرر من ان لظى علم للنار ... بهم ... الا العلمية والتانيث لكونهم ... صح

علما فهي جارية مجرى المنقولات كالحارث والعباس وذلك لانها بمعنى التلظي ولذلك جاز دخول حرف التعريف على لما بقي فيها بعد التسمية من رائحة الصفة واما من المحذوف الذي دل عليه لظى حذف هو وعامله تقديره تتلظى نزاعة وهي حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا و هذا صراط ربك مستقيما لان لظى لا يكون الا نزاعة للشوى فلا معنى للحال الا على وجه التاكيد قوله او المنتقلة على ان يكون بمعنى متلظية اي متلهبة وهو معناه اللغوي والنار المتلهبة لا يلزمها ان يكون نزاعة فيجوز ان يكون حالا منتقلة على ان كون لظى بمعنى جهنم نزاعة امر توقيفي مبني على البيان وقبل البيان يجوز بالنسبة الينا ان يكون نزاعة وان لا يكون فيجوز ان يكون حالا منتقلة مع كونه بمعنى جهنم قوله والشوى الاطراف كاليدين والرجلين وقيل الشوى الاعضاء التي ليست بمقتل ومنه يقال للرامي اذا رمى الصيد ولم يصب مقتله رماه فاشواه اي اصاب الشوى اي تنقلع النار منهم كل عضو غير مقتل ثم يعود كما كان وهكذا ابدا قوله كقول ذي الرمة تدعو الحي يصف الثور الوحشي اوله امسى بوهبين مجتازا لمرتعه من ذي الفوارس تدعو انفه الربب • ووهبين اسم موضع وكذا ذو الفوارس ومجتازا عدي باللام لتضمنه معنى الطلب اي طالبا لمرتعه ويروى مختارا بالخاء والراء المهملة ورواية الصحاح بالجيم والربب جمع ربة بكسر الراء وهي اول ما ينبت من الارض وفي مجمل اللغة الربة نبات يبقى في اخر الصيف و تدعو انفه اي تجره ليأكل وكذا دعوة لظى من فر عنها مجاز عن جذبها واحضارها اياه وفي التيسير دعوتها خروج لسان منها وجرها اهلها اليها وقيل انها تدعوهم بلسان الحال فانه لما كان مرجع كل احد من الكفار الى زاوية من زوايا جهنم فكانت كانها الداعية لهم اليها فيجيئونها كرها فهي استعارة تخييلية وقيل ان الله تعالى يخلق النطق في جرم النار فتدعو الكافرين والمنافقين باسمائهم بلسان فصيح الي يا كافر الي يا منافق فان مستقرك فيّ ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وليس ببعيد فان خوارق العادة غير كثيرة وقيل يدعو زبانية النار على حذف المضاف او على الاسناد المجازي حيث اسند الدعاء الى المدعو اليه وقوله تدعو يجوز ان يكون مستانفا وان يكون صفة لقوله نزاعة وان يكون حالا من المنوي فيها و ان تكون خبرا بعد خبر لان او خبر المبتدا المحذوف قوله حرصا وتاميلا من قبيل اللف والنشر المرتب فان جمع المال مبني على الحرص وحب الدنيا وابعاؤه ومنع حق الله منه مبني على طول الامل فقوله ادبر وتولى اشارة الى الاعراض عن معرفة الله تعالى وطاعته وقوله وجمع فاوعى اشارة الى حب الدنيا وترك الشفقة على عباد الله تعالى ولا شك ان مجامع آفات الدين ليست الا هذه وقد مر ان الوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك قوله شديد الحرص قليل الصبر اشارة الى ان الهلوع صفة مركبة من الصفتين الذميمتين وهما الجزع البالغ عند اصابة المكروه والامساك البالغ والبخل عند اصابة الخير وان ما بعده قوله بلوعا تفسير له قيل اصل الهلع في اللغة اشد الحرص واسوء الجزع وقيل هو الفزع و

والحق لا يكون الا مصدقا وصراط ربك لا يكون الا مستقيما
صح

والاضطراب السريع عند مس المكروه والمنع السريع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع اى سريعة السير
وفعله هلع يهلع بكسر العين في الماضي وفتحها في الغابر هلعا فهو هلع وهالع وهلوع والجزع ضد الصبر وانتصاب
هلوعا على انه حال من المنوي في خلق وهي حال مقدرة لان الهلع انما يكون فيما بعد وكذا انتصاب جزوعا ومنوعا
فانها حال بعد حال منه كذلك قوله او محققة الخ رد على صاحب الكشاف حيث زعم ان خلق الانسان
هلوعا قبيح لا يصح اسناده الى الله تعالى فليس الكلام على حقيقته بل هو استعارة شبه الانسان من حيث
اختياره الهلع وانجذابه اليه ورسوخه فيه بالمخلوق هلوعا فاطلق عليه اسم المشبه به فاشار المص
الى ان الاوصاف الثلثة صفات غريزية جبل عليها الانسان وانه اذا خلى وطبعه لا يظهر منه الا اثار
تلك الصفات ومقتضياتها من الافعال والاقوال الا انه لما اعطى العقل وميزان الشرع وبين له غوائل الاخلاق
الذميمة ومحاسن الاخلاق الحميدة كلف بمخالفة طبعه وموافقة شرعه ومجاهدة نفسه الامارة التي هي
اعدى عدوه وارتكاب القبيح انما يتصور ممن كلف باتباع المامور به واجتناب المنهي عنه لا ممن يفعل
ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بحكمته ولا يسأل عما يفعل اي شيء كان فشيء انما يسند اليه تعالى لا يوصف بانه
قبيح فلا يصح قوله ان خلق الانسان هلوعا قبيح قيل المراد بالخير والشر الغنى والفقر او الصحة والمرض والمعنى
انه اذا صار فقيرا او مريضا اخذ في الجزع والشكاية واذا صار غنيا او صحيحا اخذ في منع المعروف و
شح بماله ولم يلتفت الى الناس فان قيل حاصل هذا الكلام انه نفور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق
بالعاقل فلم ذمه الله تعالى عليه فالجواب انما ذمه الله تعالى عليه لقصور نظره على الامور العاجلة والاستراحة في
الدنيا والواجب عليه ان يكون شاكرا راضيا في كل حال ويجعل احوال الدنيا كلها وسيلة الى سعادة الاخرة لا
يطلب شأنها لكونه راحة عاجلة قوله لمضادة تلك الصفات لها بيان لعلة استثناء هؤلاء الموصوفين
على تقدير كون تلك الاوصاف الثلثة احوالا محققة فالمعنى ان الانسان خلق مطبوعا على هذه الاوصاف الا
المصلين الموصوفين باضدادها فانهم لم يخلقوا كذلك لاستلزم اجتماع الاضداد وبينهم منه على الاستثناء على
تقدير كونها احوالا مقدرة على معنى ان الانسان خلق مقدرا هلعه وجزعه ومنعه الا المصلين فانهم لم
يخلقوا على هذا التقدير لانهم لو خلقوا كذلك لاتصفوا بها فيلزم اجتماع الاضداد ايضا ولعله انما خص المستثنى
منهم بالمطبوعين ولم يعممهم لمن يعرض له تلك الاوصاف ايضا ترجيحا لاحتمال كونها احوالا محققة قوله
لا يشغلهم عنها شاغل قال الامام الرازي فان قيل كيف قال على صلوتهم دائمون ثم على صلوتهم يحافظون وما الفرق
بين الدوام والمحافظة قلنا معنى دوامهم عليها ان لا يتركوها في شيء من الاوقات ومحافظتهم عليها ترجع
الى الاهتمام بحالها حتى يأتي بها على اكمل الوجوه بان يكون قبل دخول وقتها متعلق القلب بدخول وقتها وبرعاية
سائر شرائطها من الوضوء وستر العورة وتعيين جهة القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين وبالاتيان
بها بالجماعة وفي المساجد الشريفة وان يجتهد قبل الدخول في الصلوة في تفريغ القلب عن الوساوس والالتفات
الى

اشار اليه المص بقوله وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور النظر عليها
منه

الى ما سوى الله تعالى وان يبالغ في الاحتراز عن الرياء والسمعة وان لا يلتفت فيها يمينا ولا شمالا وان
يكون حاضر القلب عند القراءة فاهما للاذكار مطلعا على حكم الصلوة ويجتهد بعد الفراغ عنها في الاحتراز عن
ارتكاب شيء من المعاصي والمنكرات مخافة من الاحباط بارتكابها قوله خائفون فلا يتركون واجبا ولا ير
تكبون محظورا ويجتهدون في طاعة ربهم والاجتناب عن مخالفته ومع ذلك لا يأمنون عذابه قوله
فمن ابتغى وراء ذلك اي وراء ما ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين فاولئك هم العادون اي
المتعدون حد الشرع ودخل في هذا التحريم وطي الذكران والبهائم والزنا وقيل يدخل فيه الاستمناء ايضا
وروي ان العرب كانوا يستمتعون في الاسفار فنزلت الاية قوله وقرأ ابن كثير لامانتهم بالافراد لان
الامانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الانسان سواء كان من جهة الحق تعالى او من جهة الخلق فتناول
ما ائتمن الله تعالى عليه عباده من الشرائع وامانات الدين كما تناول المكلفين ما حملوه من امانات الناس
فلا حاجة الى الجمع ومن جمعها نظر الى اختلاف الانواع وكذا الكلام في افراد الشهادة وجمعها واكثر
المفسرين على ان القيام بالشهادة اداؤها عند الحكام على من كانت هي عليه من قريب او بعيد شريف
او وضيع وعلم كتمها والقيام بها عند الحكام وان كان من جملة الامانات الا انه تعالى عطفها على ما
قبلها عطف الخاص على العام اظهارا لفضلها فان في اقامتها احياء الحقوق وفي تركها ابطالها و
تضييعها وعن ابن عباس رض ان المراد بالشهادة شهادة ان الله تعالى واحد لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله قوله وانافتها اي اعلاء قدرها يقال اناف على كذا اذا اشرف عليه
قوله وفي نظم هذه الصلات مبالغات لا تخفى مثلا في قوله تعالى والذين هم على صلوتهم يحا
فظون مبالغات من حيث تعريف المسند اليه بالموصول فانه يقتضي ان يكون ذات المسند
اليه معلوما للمخاطب حاضرا في ذهنه بواسطة ما نسب اليه من مضمون الصلة ولا يخفى ان
اشتهار المصلين بالمحافظة على صلوتهم مبالغة في المحافظة عليها ومن تقديم اسم المفيد
لتقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع كما في قولك هو يعطي الجزيل فقصد الى تحقيق انه يفعل اعطاء
العطاء الجزيل ومن تقديم قوله على صلوتهم المفيد للاختصاص الدال على ان محافظتهم مقصورة
على صلوتهم لا تتجاوز الى امور دنياهم ومن صيغة المفاعلة فانها ان كانت بمعنى الثلاثي تكون
للمبالغة في ملابسة اصل الفعل وان كانت على بابها تدل على التعاون على البر وهو ابلغ من مجرد
حفظ الصلوة ورعاية ما يناسبها واذا تقرر ان الموصول مع صلته افادة هذه المبالغات
تقرر ان توصيف المصلين به يفيد مدحا عظيما لهم كل ذلك يعرف بالتامل والله الموفق وقس
عليه البواقي والظاهر ان قوله تعالى مكرمون خبر اولئك وفي جنات متعلق به قدم عليه للحصر
والتخصيص ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون خبرا آخر لاولئك قوله فما للذين كفروا

اي المواظبة اي التي يواظبها
الرجل على نفسه يوما في
الاوقات المعلومة فتكون
معلومة اي مقدرة كالمكتوبة
وان لم يكن ذلك بتقدير الله تعالى
منه

يقال امنته على كذا
اذا كلفته حفظه
منه

استفهامية للانكار في موضع رفع بالابتداء وللذين كفروا خبرها وقبلك ظرف مكان لمهطعين او
حال من المنوي في للذين اي فما لهم ثابتين حولك ومهطعين اما حال بعد حال واما حال من المستكن
في قبلك ان جعلته حالا وعن اليمين يجوز ان يتعلق بعزين لانه بمعنى متفرقين وان يتعلق
بمهطعين اي مسرعين عن جانبي اليمين وان يتعلق بمحذوف على انه حال اي كائنين عن اليمين
وعزين حال من المنوي في للذين او من الضمير في مهطعين فيكون حالا متداخلة قيل والمراد باهطاعهم
اسراعهم في الكفر والتكذيب لقوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقيل اسراعهم الى حضور
مجلسك والسماع منك اي ما لهم يسرعون في التكذيب لك او ما لهم يسرعون اليك ويسمعون منك
ليعيبوك ويستهزؤا بك لا لان يطيعوا امرك **قوله** واصلها عزوة من العزو يقال عزا فلان نفسه
الى بني فلان يعزوها عزوا اذا انتمى اليهم وعزوته الى ابيه اذا نسبته اليه فاعتزى هو وتعزى
اي انتمى اليه وانتسب وقيل اصلها عزية من عزيته بمعنى نسبته **قوله** ويستهزؤن بكلامه و
يقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت الاية انكارا على استدارتهم حوله
مهطعين عزين وردعا لهم عن الطمع الفارغ **قوله** وثاني بخلق امثل منهم واختلف في ان هذا
المقدور الذي وصف الله نفسه بالقدرة عليه هل خرج الى الفعل ام لا فقيل بدل الله كفر بعضهم بالايمان
وقيل لم يقع هذا التبديل وانما ذكر الله تهديدا لهم لكي يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الانصار والمهاجرين وجمع
المشارق والمغارب اما لان المراد بها مشرق كل يوم من السنة ومغربه او مشرق كل كوكب ومغربه او
المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته او المراد انواع الهدايات والخذلانات ثم قال اي لهم
يوما يلقون فيه ما يوعدون به فاتركهم يخوضوا ويلعبوا بالاشتغال بما لا ينفعهم واشتغل انت بما امرت
به وهذه الاية منسوخة باية السيف ثم ذكر ذلك اليوم فقال يوم يخرجون ويوم يجوز ان يكون بدلا من
يومهم او منصوبا باضمار اعني وسراعا حال من الضمير في يخرجون اي مسرعين الى موقف الحساب
والاجداث جمع جدث وهو القبر وكانهم حال ثانية منه او حال من المنوي في سراعا فيكون حالا متداخلة
قوله منصوب للعبادة او علم بمعنى النصب بفتح النون وسكون الصاد كما هو قراءة غير ابن عامر وحفص
من السبعة بمعنى المنصوب سواء نصب لان يعبد من دون الله او نصب علامة لموضع الملك في نزوله
ومسيره وهو العلم المنصوب الذي يسرع الشخص نحوه فالمعنى انهم يسرعون الى الموقع مثل اسراعهم
الى صنمهم الذي يعبدونه ويسرعون اليه ايهم يستلمه اولا او كانهم قد نصب لهم علم فهم يسعون
اليه ليبلغوه فيبادرون في السبق اليه والنصب بضمتين قيل هو كل ما نصب وعبد من دون
الله وجمعه الانصاب قال تعالى وما ذبح على النصب وقيل هو جمع وواحده نصاب مثل كتاب وكتب
فالمعنى كانهم يتبادرون الى صنم او اصنام ايهم يستلمه او يستلمها وقيل واحده نصب كرهن ور

هن وسقف وسقف وفيه قراءة ثالثة وهي نصب بضم النون وسكون الصاد على انه
تخفيف نصب بضمتين مثل عسر وعسر او على انه جمع نصب بالفتح والسكون كسقف في جمع
سقف وكلمة او في قول المص وجمع مبنية على ان نصب بضمتين واحد الانصاب بمعنى الا
صنام **قوله تعالى** خاشعة حال من فاعل يوفضون والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه
من العذاب وكذا ترهقهم ذلة في موضع الحال منه ايضا اي يغشاهم هوان المذنبين **قوله تعالى** كانوا
يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب فحذف العائد من الصلة الى الموصول لطول
الصلة **سورة نوح عليه الصلوة والسلام مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
روى قتادة عن ابن عباس رض عن النبي صلى الله عليه وسلم اول نبي ارسل نوح وارسل الى
جميع اهل الارض ولذلك لما كفروا اغرق الله تعالى اهل الارض جميعا وهو نوح بن لامك بن متوشلخ
بن اخنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلائيل بن انوش بن قينان بن شيث بن آدم قال
وهب وكلهم مؤمنون **قوله** اي بالانذار اشارة الى ان ان هي التي تنصب المضارع اي مصدرية و
اجاز سيبويه وابو علي كون صلة ان المصدرية امرا او نهيا ونحوهما مما فيه معنى الطلب وقال ابو
علي في قوله تعالى ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله يجوز ان يكون مصدرية فيكون بدلا من
ما او الهاء في به او خبر مبتدا محذوف اي هو ان اعبدوا الله وان يكون مفسرة كذا في شرح الرضي و
الظاهر ان الباء المقدرة قبل ان متعلقة بمحذوف دل عليه ارسلنا والتقدير ارسلنا نوحا آمرا
اياه بالانذار **قوله** او بان قلنا له انذر اشارة الى الاختلاف في ان صلة ان المصدرية هل يجوز ان يكون
شيا مما فيه معنى الطلب وصرح نجم الدين الرضي الاستراباذي بان الاصح انه لا يجوز لان ان المصدرية
مع صلتها تكون في تاويل المصدر والمصدر لا طلب فيه فبين صيغة الطلب وتصدرها بان المصدرية
منافاة فلا يجوز اجتماعهما وحيث صدرت بها يقدر بعدها القول ليبقى معنى الطلب بحاله فمعنى الاية
ارسلناه بهذا القول اي بالامر بالانذار فيكون قوله تعالى ان انذر في محل النصب على انه صفة مصدر
محذوف اي ارسلنا نوحا ارسالا ملتبسا بهذا القول ويجوز ان يكون الباء فيه كما في قولك ضربت
بالسوط على معنى ان ارساله كان بهذا القول فان قوله انذر هو الارسال وان كان ان بمعنى اي المفسرة
لا يكون لها موضع من الاعراب وقرا عبد الله بن مسعود رض انذر بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك
ثم انه عليه الصلوة والسلام امر قومه بثلثة اشياء بعبادة الله تعالى وتقواه وطاعة نفسه فالامر
بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من افعال القلوب والجوارح والامر بتقواه يتناول
الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات وقوله واطيعون يتناول امرهم بطاعته في جميع المامورات
والمنهيات وهذا وان كان داخلا في الامر بعبادة الله تعالى وتقواه الا انه خصه بالذكر تاكيدا في ذلك

كي في قوله تعالى وان اجهر وجهرك
لان مدار وصلها بصيغ الافعال
دلالتها على المصدر وذلك لا
يختلف بالخبرية والانشائية
ووجوب كون الصلة خبرية
في الموصول الاسمي انما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا يوصف الا بالجمل الخبرية
وليس الموصول الحرفي كذلك
وحيث استوى الخبر والانشاء
في الدلالة على المصدر استويا
في صحة الوصل بهما فتجرد عند
ذلك كل منهما عن المعنى الخاص
بصيغة فيبقى الحدث المجرد عن
معنى الامر والنهي والمضي
والاستقبال كانه قيل ارسلناه
بالانذار اهـ

التكلف ومبالغة في تقريره قوله بعض ذنوبكم وهو ما سبق اشارة الى فائدة من التبعيضية فانه
لو قال يغفر لكم ذنوبكم لكان قد وعدهم على تلك الاشياء الثلثة التي امرهم بها مغفرة جميع ذنوبهم ما
تقدم منها وما تاخر لان اضافة الجمع تفيد الاستغراق وليس كذلك فان الذنوب المتاخرة عن الايمان لا
يكون مغفورة بسبب الايمان فلا بد من حرف التبعيض وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الا
يمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد قوله هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان اشارة الى جواب ما اورده
الزمخشري من ان تاخيرهم الى الاجل المسمى يستلزم تاخر اجلهم وقد اخبر بانه لا يؤخر وهما متناقضان
وتوضيح الجواب ان الاجل اجلان قريب معلق غير مبرم وبعيد مبرم وهو الاجل المسمى والمحكوم عليه بالتاخر
على تقدير الايمان والطاعة هو الاول والمحكوم عليه بامتناع تاخره هو الثاني لان اضافة اجل الله للعهد
والمعهود هو الاجل المسمى فلا تناقض حيث اختلف موضوعا الموجبة والسالبة بهذا تقرير الجواب الذي
اشار اليه بقوله اذا جاء الاجل الاطول قوله فبادروا في اوقات الامهال والتاخير بيان لفائدة قوله
ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر وتوضيح ما اختاره من الجواب ان المحكوم عليه بامتناع تاخره هو الاجل الذي تحقق
مستجمعا للشرط الذي قدر به اجلا سواء كان قريبا او بعيدا والمحكوم عليه بالتاخر هو الاجل القريب الذي
فقد شرط كونه اجلا فلا تناقض ايضا لانعدام وحدة الشرط قوله لعلمتم ذلك اشارة الى ان
جواب لو محذوف وكلمة لو دلت على انهم ليسوا من اهل العلم مع انه تعالى خلقهم مشتملين على اسباب
العلم وآلات تحصيله الا انهم ضيعوها بتوغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتها وتهالكهم عليها حتى بلغوا الى
الى حيث صاروا كانهم شاكون في الموت قوله كقوله فزادتهم ايمانا صدر الآية ولذا انزلت سورة
فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في
كفروا فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون والضمير في فزادتهم يعود الى السورة اسندت
الزيادة اليها لكون نزول السورة سببا لها والمعنى ان الله تعالى يزيدهم ذلك عند نزولها قوله والتعبير بصيغة
الطلب للمبالغة فان سين استغشي للطلب ثم انه يجوز ان يكون لطلب الفعل الثلاثي وهو غشيه اذا
اتاه ومنه قولهم غشيها غشيانا اذا جاءها وان يكون لطلب المزيد فيه وهو غشاه تغشية اي
غطاه وستره ومعنا استغشا ثوبه على الاول طلب ان يغشاه ثوبه اي ياتيه وعلى الثاني طلب ان
يغشيه ثوبه اي يغطيه كقوله تعالى وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي طلبوا ارضاع اولادكم وكلا
الفعلين ماخوذان من الغشاء وهو الغطاء وهو في الاصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل
بمعناه وفيه ايضا معنى الاتيان لانه اتيان خاص فاستعملوه ايضا بمعناه فقالوا اغشيه اي اتاه كما
قالوا غشيه اي غشاه واغطاه فاصل الاستغشاء طلب الغشيان بمعنى الاتيان او بمعنى الستر ومعنى الطلب
ههنا ليس بمقصود فهو هنا بمعنى التغطي والتستر وعبر عنه بصيغة الطلب للمبالغة فيه كانهم طلبوا من

من شبابهم ان يغشاهم قوله اذا صرّ اذنيه اي اذا ضمها الى رأسه قال في الصحاح ابن السكيت
صر الفرس اذنيه ضمها الى رأسه فان لم يوقعوا قالوا اصر الفرس بالالف انتهى وفيه ان
العانة القطيع من حمار الوحش شبه الاقبال على الكفر والمعاصي باصرار الحمار على العانة
بكدمها ويطردها عن الزمخشري انه قال لو لم يكن في ارتكاب المعاصي الا التشبيه بالحمار لكفى به
مزجرة فكيف والتشبيه في اسوأ احوال الحمار حال الكدم والطرد للسفاد قوله او لتراخي
بعضها عن بعض اي بحسب الزمان بان ابتداء بمناصحتهم ودعوتهم في السر فعاملوه بالامور
الاربعة ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الاعلان والاسرار قوله لانه احد نوعي
الدعاء فيكون من باب المصدر الذي يكون للنوع نحو جلست جلسة ورجع القهقرى فان الجلسة
ليست بمطلق الجلوس بل هو جلوس مختص بصفة من الصفات وكذا القهقرى هو الرجوع الى
خلف وفيه بحث لان كون الجهار احد نوعي الدعاء موقوف على جعله صفة مصدر محذوف حتى
يكون دعوة مخصوصة والا فالمجاهرة اعم من الدعوة فكيف يكون نوعا منها بخلاف نحو الجلسة
والقرفصاء والقهقرى فان مدلولاتها مشتملة على مدلولات افعالها مع وصف زائد فيكون نوعا منه
قوله وكانهم لما امرهم بالعبادة الى اشارة الى فائدة امر نوح عليه الصلوة والسلام اياهم
بالاستغفار بعد ما امرهم بعبادة الله وتقواه واطاعة نفسه قوله فامرهم بما يجب اي بقطع اي قال
لهم نوح انكم وان كنتم قد عصيتموه ولكن استغفروه من تلك الذنوب فانه سبحانه كان غفارا لجميل
ذنوب التائبين كان لم يكن ثم انه عليه الصلوة والسلام لما علم انهم اهل حرص على الدنيا لم يقتصر على
ان وعد المغفرة على استغفارهم بل وعدهم ذلك بما هو اوقع في قلوبهم وهو اسباغ نعيم الدنيا عليهم
كما يشتهون فان الاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح ابواب الخيرات يدل عليه ايات كثيرة من القرآن
العظيم غير هذه الاية منها قوله تعالى في كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر سببا لخراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا
لعمارة العالم ومنه قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات وقوله تعالى ولو
انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ونحو ذلك وكان في قوله تعالى انه كان غفارا للاستمرار اي انه تعالى
كان ابدا غفارا لمن استغفر وتاب عن ذنوبه قوله فوعدهم بذلك اي بما هو اوقع في قلوبهم من
فتح ابواب السماء فان القوم لما اشتد عليهم القحط اربعين سنة وهلكت مواشيهم وانقطعت زروعهم
رجعوا فيه الى نوح عليه الصلوة والسلام واستغاثوا فقال استغفروا ربكم عما كنتم عليه من الشرك
والمخالفة حتى يفتح عليكم ابواب نعمه قوله يرسل السماء جواب شرط محذوف وقول النحاة في مثله

انه جواب الامر تسامح في العبارة اعتمادا على وضوح المراد ومدرارا حال من السماء او يرسل السماء
تقديره يرسل ماء السماء والدر الانصباب قوله لا تأملون له توقيرا قال وقار بمعنى التوقير كالسلام بمعنى
التسليم قوله ولله بيان للموقر وهو التعظيم فكانهم لما سمعوا قوله مالكم لا ترجون ان توقروا وتعظموا على بناء
المفعول قالوا لمن الموقر اي من الذي يعظمنا ويوقرنا فقيل لله ومدخول اللام في مثله كما جاز كونه مفعولا جاز
كونه فاعلا ايضا فانك اذا قلت ضَرْبٌ لزيد جاز ان يكون فاعلا وان يكون مفعولا وكذا ارتشاهد الحجة
الاضافتين واصل لله ان يكون مؤخرا عن وقارا على انه صفة له او معمولا له متعلق به اذ لا مانع عنه فلما
قدم امتنع ان يكون صفة له ولا متعلقا به لان معمول المصدر لا يتقدم عليه فجعل على البيان قوله مبالغة اي في
عدم اعتقادهم له عظمة فانهم اذا لم يكن لهم الرجاء التابع لادنى الظن فاني يكون لهم الاعتقاد قوله
تقدير الانسان صفة مركبات قوله ثم اتبع ذكره اي ذكر الدليل الدال على انه يمكن ان يعيدهم وعلى انه عظيم القدرة
بدأ بدلائل الانفس لان نفس الانسان اقرب الاشياء اليه ثم اتبع ذكره لدلائل الافاق ومعنى طباقا قال ابن عيسى
والسدي رحمه الله بعضها فوق بعض كل سماء مطبقة على الاخرى كالقباب فان قيل كون بعضها منطبقا على
البعض يقتضي ان لا يكون فرج فالملائكة كيف يسكنون فيها اجاب عنه الامام بان الملائكة ارواح وايضا قال
المبرد معنى كونها طباقا كونها متوازية لا انها متماسة قوله لما بينهن من الملابسة من حيث انها طباق فهذا
كما يقال زيد في المدينة وانما هو في زاوية من زواياها الا ان زواياها لما كانت بينها ملابسة من حيث كونها متلاصقة
واتصال بعضها ببعض بحيث عرضت لها هيئة وحدانية صح ان يقال لزيد انه فيها واشار الزمخشري
الى جواب آخر عنه بقوله وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلي السماء فظهورهما مما يلي
الارض فاذا كان وجه كل واحد منهما متوجهة الى جهة السموات وقفاه الى جهة الارض ظهر وجه قوله
فيهن فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديره ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجا الا ان لفظة فيهن حذفت من الثاني
لدلالة الاول عليه وينبغي ايضا ان يكون كل واحد منهما نورا او سراجا لاهل السموات والارض في جهة لا
حدهما وظهره للآخر وقد روي عن عطاء ان القمر نور لاهل السموات والارض وقال السدي انه نور لاهل الارض قوله
مثلا به يريد ان قوله تعالى وجعل الشمس سراجا من باب التشبيه البليغ وان التشبيه انما هو من هذه الجهة فلا يرد
ان يقال ان نور القمر عرضي مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبيه القمر بالسراج ادنى من تشبيه الشمس به
قوله فاستعير الانبات بمعنى انه استعارة تصريحية تبعية حيث شبه الانشاء من الارض بالانبات منها ثم
اطلق اسم المشبه به على المشبه ثم اشتق منه الفعل ومعنى انبات المخاطبين من الارض انباتهم منها بواسطة
انبات ابيهم آدم عليه الصلوة والسلام اولانه تعالى انبت الكل منها من حيث انه خلقهم من النطف المتولدة من
الاغذية المتولدة من النبات المتولدة من الارض قوله فاختصر اي بحذف الفعل الناصب لنباتا لدلالة
قوله انبتكم عليه التزاما من حيث ان المحذوف مطاوع له قال الامام وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم
انباتا

انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم نباتا عجيبا وهذا المعنى اولى
لان الانبات صفة لله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة
اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله فلا يمكن اثباته بالسمع بخلاف ما اذا قيل انبتكم
نباتا على معنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا كاملا فانه وصف للنبات بكونه عجيبا كاملا وكون النبات كذلك امر مشاهد
محسوس فيمكن الاستدلال به على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فلهذه الدقيقة عدل الكلام
الى هذا النظم قوله واكده بالمصدر لان المعنى ويخرجكم حقا لا محالة ولعله انما لم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو
الجامعة اياها مع يعيدكم رمزا الى ان الاخراج مع الاعادة في القبر كشيء واحد وقضية واحدة لا يجوز ان يكون
بعضها محقق الوقوع دون بعض بل لا بد ان تقع الجملة لا محالة وان تأخرت عن الابداء قوله تعالى بساطا
اي مبسوطة والفج الطريق الواسع قوله صار ذلك سببا لزيادة خسارتهم في الاخرة المفهوم من نظم الاية
ان اموالهم واولادهم عين الخسار وان ازديادهما انما هو عين ازدياد خسارهم والامر في الحقيقة
كذلك فانهما وان كانا من جملة المنافع المؤدية الى السعادة الابدية بالشكر عليهما وصرفهما في
وجوه الخير الا انهما اذا ادّيا الى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين الى العذاب
المؤبد في الاخرة صارا كانهما محض الخسار لان الدنيا في جنب الاخرة كالعدم فمن انتفع بهما في
الدنيا وخسر سعادة الاخرة صار كمن اكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فان تلك اللقمة في حقه
محض هلاك اذ لا عبرة لانتفاعه بها في جنب ما ادت هي اليه قوله وهو ابلغ من كبار بضم الكاف و
تخفيف الباء كما ان الكبار ابلغ من الكبير وههنا ثلث مراتب فاول المراتب الكبير واوسطها الكبار
بالضم والتخفيف وابلغها الكبار بالضم والتثقيل ومكرهم الكبار هو قولهم لاتباعهم لا تذرن ودا
الخ والتوحيد لما كان اعظم المراتب كان المنع عنه والامر بالشرك اعظم الكبائر ولهذا وصفه الله
بكونه مكرا كبارا قال الامام انما سماه مكرا وهو الحيلة الخفية لوجهين الاول انه في اضافة الالهة اليهم
من الحيلة الموجبة لاستمرارهم على عبادتهم قالوا هذه الاصنام آلهة لكم وكانت آلهة لآبائكم فلو قبلتم
قول نوح عليه الصلوة والسلام لاعترفتم على انفسكم بانكم كنتم جاهلين ضالين كافرين وعلى ابائكم
بانهم كانوا كذلك واعتراف الانسان على نفسه وعلى جميع اسلافه بالقصور والضلال اشتقاق شديد
لا يجري عليه العاقل فلما اشتمل لفظ آلهتكم الاشارة الى هذا المعنى كان صارفا لهم عن الدين بالحيلة
الخفية فلهذا سمى الله تعالى كلامهم مكرا والثاني انه تعالى حكى عن المتبوعين انه كان لهم مال وولد فلعلهم
قالوا لاتباعهم ان آلهتكم خير من اله نوح لان آلهتكم يعطونكم المال والولد واله نوح لا يعطيه شيئا
فانه فقير مع اتباعه فصرفوهم بهذا المكر عن طاعة نوح عليه الصلوة والسلام وهذا مثل مكر فرعون
اذ قال أليس لي ملك مصر وقال ايضا انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه

اسورة من ذهب انتهى كلامه **قوله** خصوصا اشارة الى ان قوله لا تذرن ودا ولا سواعا من
عطف الخاص على العام تعظيما لهذه الاصنام الخمسة بناء على انها اكبر اصنامهم **قوله** وقد انتقلت لما
العرب قال الامام فيه اشكال لان الدنيا قد تخربت في زمان الطوفان فكيف بقيت تلك الاصنام وكيف انتقلت
الى العرب ولا يمكن ان يقال ان نوحا وضعها في السفينة وامسكها لانه عليه الصلوة والسلام انما جاء
لنفيها وكسرها فكيف يمكن ان يقال انه وضعها في السفينة سعيا منه في حفظها انتهى كلامه ويعلم
جوابه مما ذكر في التيسير ومعالم التنزيل ونحوهما من ان تلك الاصنام الخمسة قد دفنها الطين والتراب
والماء ايام الطوفان فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكان للعرب اصنام
اخر اللات لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ونصر وسعد بن بكر ومناة لقديد واساف
ونائلة وهبل لاهل مكة اساف حيال الحجر الاسود ونائلة حيال الركن اليماني وهبل في جوف الكعبة
قوله للتناسب اذ قبله اسمان منصرفان وبعده اسم منصرف كما صرف سلاسلا لذلك ويحتمل ان يكون
قراءة من قرأهما بالتنوين مبنية على لغة من يصرف غير المنصرف مطلقا وهي لغة حكاها الكسائي
قوله ومنع صرفهما للعلمية والعجمة هذا على تقدير كونهما اسمين اعجميين وان كانا عربيين فالمنع
من الصرف للعلمية ووزن الفعل وهمدان بسكون الميم قبيلة من اليمن ومذحج على وزن مسجد بسكون
الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة والجيم ابو قبيلة من اليمن وقال سيبويه الميم من نفس الكلمة ومراد
بضم الميم ابو قبيلة من اليمن وكذا حمير بكسر الحاء وسكون الميم الكل من كلام الصحاح **قوله** عطف على رب
انهم عصوني اشارة الى ان الواو في قوله ولا تزد الظالمين من كلام الله لا من كلام نوح لاستلزامه
عطف الانشاء على الاخبار فللاحتراز عن ذلك حمل الكلام على ان نوحا قال كل واحد من هذين القو
لين من غير ان يعطف احدهما على الآخر احدهما رب انهم عصوني وثانيهما ولا تزد الظالمين الا
ضلالا فحكى الله تعالى احد قوليه بتقديره بلفظ قال وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الاول بالواو النائبة
عنه اي عن لفظ قال اي قال رب انهم عصوني وقال لا تزد الظالمين الاية **قوله** ولعل المطلوب جواب
عما يقال كيف يليق بالنبي المبعوث للهداية ان يدعو على امته بالضلال في امر دينهم وزيادتهم مع انه
قد بعث ليصرفهم عنه **قوله** وما مزيدة اي بين الجار والمجرور لتاكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله
مما خطيئاتهم فانه يدل على ان اغراقهم بالطوفان لم يكن الا من اجل خطيئاتهم تكذيبا لقول المنجمين
من ان ذلك كان لاقتضاء الاوضاع الفلكية اياه ونحو ذلك فانه كفر لكونه مخالفا لصريح هذه الآية
والزيادة ما هي الابهامية فائدة اخرى غير التاكيد وهي تفخيم خطيئاتهم اي من اجل خطيئاتهم العظيمة
والخطايا والخطيئات كلاهما جمع خطيئة الا ان الاول جمع تكسير والثاني جمع سلامة وقد تقرر
ان الجمع المكسر غير الاوزان الاربعة التي هي افعل وافعال وافعلة وفعلة جمع كثرة لا يطلق على ما دو

ن العشرة الا بالقرينة فالمقام مقام تكثير خطيئاتهم لانهم كفروا الف سنة فلعل ابا عمرو انما قرأ
خطاياهم بلفظ جمع الكثرة لذلك وفي شرح الرضي والظاهر ان كل واحد من جمعي التكسير والسلامة
لمطلق الجمع من غير نظر الى القلة والكثرة فيصلحان لهما فلذلك قيل انهما مشتركان بينهما واستدلوا
عليه بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله **قوله** من الدار او الدور فمعنى ديار على الاول احد ممن ينزل الدار
ويسكنها وعلى الثاني احد يدور في الارض فيذهب ويجيء وانكر بعضهم كونه من الدوران وقال لو
كان من الدوران لم يبق على الارض جني ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وانما المعنى اهلك كل ساكن
دار من الكفار اي كل انسي منهم ولو كان ديار فعالا من الدار لقيل دوار لان اصله دار دوار فقلبت
واوه الفا فلما ضعفت عينه كان دوارا بالواو الصحيحة المشددة اذ لا وجه لقلبها ياء **قوله** لما
جربهم واستقرأ احوالهم فكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول له احذر هذا فانه كذاب
وان ابي اوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقيل ان نوحا عليه الصلوة و
السلام عرف ذلك بالنص ايضا اي كما انه عرف بالاستقراء والنص قوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من
قد آمن وقد مر في اول السورة ان نوحا دعا جميع اهل الارض ولما تبين عنده انه لن يؤمن احد منهم
دعا عليهم اجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الاصل في الد
عاء على الكافرين ولا يجوز ان يدعى على كافر معين لانا لا نعلم خاتمته ومآل امره فلعل الله تعالى يجعل
خاتمته ويحول حاله احسن الاحوال **سورة الجن مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
واكثر الفلاسفة ينكرون وجوده في الخارج وروي ان ابا علي حد الجن بانه حيوان هوائي يتشكل
باشكال مختلفة ثم قال وهذا شرح الاسم اي بيان لمدلول هذا اللفظ بدون العلم بوجوده في الخارج
فان التعريف الاسمي لا يكون الا للمعلومات وللموجودات الغير المعلوم الوجود واما جمهور ارباب الملل
والمصدقين بالانبياء فقد اعترفوا بوجود الجن واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة و
اختلف المثبتون على قولين القول الاول انهم اجسام عاقلة خفيفة الحي والثاني ليسوا اجساما
ولا حالا في الاجسام بل هي جواهر قائمة بانفسها وكونها مشاركة لذات الواجب تعالى في الوصف العا
رض لا سيما في السلوب لا يقتضي مساواتها لذاته تعالى في الماهية حتى يلزم تركب الواجب ثم صح ان تلك
الجواهر المجردة مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنية خبيثة محبة
للشرور والآفات ومن انواعها من يقدر على افعال شاقة عظيمة يعجز عنها قدرة البشر ومن الناس
من يقول انها هي النفوس البشرية المفارقة عن ابدانها فانها حال تعلقها بابدانها ان استكملت
بالفضائل العلمية ثم فارقت عنها ازدادت قوة وكمالا بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف
الاسرار الروحانية وان تخلت وتعطلت عن الفضائل والكمالات وانهمكت في مقتضيات نفسه الامارة

قوله ينك يتوب صالح والابد جد
نسا زل الانبا وما جدهم
الا من انطلب الايمان فلم يكشف
دعائهم بالمغفرة بحجة انظار الاجابة
بل قال ولمن دخل بيتي مؤمنا تصريحا
سلمه

فان كونها ليست اجساما
ولا جسمانية من قبيل السلف
سلمه

وسلكت سبيل الغواية في كل باب من ابواب الاعمال والاعتقادات يكون بعد مفارقتها عن بدنها باقية على
غوايتها فاذا اتفق ان حدث بدن آخر مشابه للبدن الذي فارقت تلك النفس المفارقة عنه فبسبب
تلك المشابهة تحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس
ذلك البدن في افعالها وتدبيرها لذلك البدن فان الجنسية علة الضم فان اتفقت هذه الحالة في النفوس
الخيرة سمي ذلك المعين ملكا وتلك الاعانة الهاما وان اتفقت في النفوس الشريرة سمي ذلك المعين شيطانا
وتلك الاعانة وسوسة قوله وفيه دلالة على انه عليه الصلوة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم الخ
كما ذهب اليه ابن عباس رض حيث قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه
عامدين الى سوق عكاظ فادركهم وقت صلوة الفجر بنخلة فاخذ هو عليه الصلوة والسلام يصلي
باصحابه الصلوة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم في الصلوة فلما سمعوا القران استمعوا له ثم
رجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا
احدا فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن الخ وفي هذا دليل
على انه عليه الصلوة والسلام لم ير الجن اذ لو رآهم لما اسند معرفة هذه الواقعة الى الوحي فان ما عرف
وجوده بالمشاهدة لا يستند اثباته الى الوحي وذهب ابن مسعود رض الى انه عليه الصلوة والسلام امر بالمسير
الى الجن ليقرأ القران عليهم ويدعوهم الى الاسلام روي عن ابن مسعود رض ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال الثانية فسكتوا ثم
قال الثالثة فقلت انا اذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى اذا جاء الحجون عند شعب ابن ابي
دب خط علي خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدروا عليه امثال الحجل كانهم رجال الزط
حتى غشوه فغاب عن بصري فقمت فاومى بيده الي ان اجلس ثم تلا القران فلم يزل صوته يرتفع
ولصقوا بالارض حتى صرت لا اراهم قال الامام واعلم انه لا سبيل الى تكذيب الروايات وطريق
الجمع بين مذهب ابن عباس ومذهب ابن مسعود رض من وجوه احدها لعل ما ذكره ابن عباس
رض وقع اولا فاوحى الله تعالى اليه بهذه السورة ثم امر بالخروج اليهم بعد ذلك كما روي عن ابن مسعود
رض وثانيها ان بتقدير ان تكون واقعة الجن مرة واحدة يجوز ان يؤمر عليه الصلوة والسلام
بالذهاب اليهم وبقراءة القران عليهم الا انه عليه الصلوة والسلام ما رآهم وما عرف انهم ماذا
قالوا واي شيء فعلوا فالله تعالى اوحى اليه انه كان كذا وكذا وقالوا كذا وثالثها ان الواقعة
كانت مرة واحدة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم لما رجعوا الى
قومهم قالوا لقومهم على سبيل الحكاية انا سمعنا قرانا عجبا وكان كذا وكذا فاوحى الله تعالى الى
رسوله صلى الله عليه وسلم ما قالوه لاقوامهم وقيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين

اي استمع القران نفر فحذف المفعول به لدلالة ما بعده عليه وهو قوله انا سمعنا قرانا عجبا سلمه

فانك ان فعلت لم ترني ولم اراك ابدا نسخه

احد

احدهما بمكة وهي التي ذكرها ابن مسعود رض والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس رض وقيل
ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى ونصيبين قرية باليمن
غير التي بالعراق قوله بديعا مباينا اشارة الى ان العجب بمعنى العجيب الذي يتعجب منه لحسن نظمه
وصحة معانيه من حيث انه يدعو الى التوحيد والطاعة ووضع موضعه للمبالغة كما صرح به قوله
ولن نشرك بربنا احدا اي ولن نرجع الى ابليس ولن نطيعه ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك
به وهذا يدل على ان اولئك الجن كانوا من المشركين وذكر الحسن ان فيهم يهودا ونصارى
ومجوسا ومشركين ثم انهم لما نفوا عن انفسهم الشرك نزهوا ربهم عن الصاحبة والولد فقالوا
وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا قوله فانها من جملة الموحى به يدل على ان القراء
متفقون على فتح ان في قوله انه استمع نفر من الجن لوقوعها موقع المصدر من حيث كونه قائما مقام
الفاعل لاوحي والضمير في انه للشان اي اوحي الي ان الشان استمع نفر من الجن اي استمع القران
نفر فحذف المفعول به للعلم واتفقوا ايضا على الفتح في قوله وان لو استقاموا لانها مخففة من الثقيلة
معطوفة على معمول اوحي كانه قيل اوحي الي انه استمع وانه لو استقاموا والضمير للشان ايضا وكذا اتفقوا
على الفتح في قوله فان المساجد لله لكونها معطوفة على معمول اوحي ايضا وقيل لان التقدير ولان المساجد
لله فلا تدعوا فحذف الجار لان حذفه من ان وان كثير واتفقوا على الفتح ايضا في قوله ليعلم ان قد ابلغوا
لوقوعه موقع المفرد من حيث كونه مفعولا ليعلم وهي مخففة من الثقيلة وقرا ابن كثير المكي وابو عمرو
البصري ما عدا هذه المواضع المذكورة بالكسر بناء على انه قول الجن فيكون معطوفا على قوله انا سمعنا
وهي مكسورة اتفاقا لكونها محكية بعد القول مبتدأ بها الا ان قوله وانه لما قام فانهما قرآها بالفتح ايضا عطفا
على معمول اوحي وقرأها نافع وابو بكر بالكسر على استئناف او معمول فالكسر على قراءة نافع وابي بكر في ثلثة
عشر موضعا وهي قوله وانه تعالى وانه كان يقول سفيهنا وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا
لمسنا وانا كنا نقعد وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون
وانه لما قام عبد الله وعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو في اثني عشر موضعا وهي غير قوله وانه لما قام و
اتفق القراء ايضا على كسر الهمزة اذا وقعت بعد القول وبعد فاء الجزاء وجملة ذلك في ستة مواضع
وهي قوله فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعو وقل اني لن يجيرني وقل ان ادري وفان له نار جهنم
وفانه يسلك ووجه الفتح فيها ظاهر والحاصل ان المذكور في هذه السورة على ثلثة اقسام قسم ليس
معه واو العطف فهذا لا اختلاف بين القراء في فتحه وكسره على حسب ما جاءت به التلاوة واقتضته
العربية كقوله قل اوحي الي انه استمع لا اختلاف في فتحه لوقوعه موقع المفرد وكقوله انا سمعنا قرانا عجبا لا اختلاف
في كسره لكونه محكيا بالقول فيكون كلاما مبتدأ به والقسم الثاني ما اقترن بالواو العاطفة وهو

اربع عشرة كلمة احدها للخلاف في فتحها وهي قوله وان المساجد لله وهذا هو القسم الثالث والثانية قوله
لما قام كسرها نافع وابو بكر وفتحها الباقون والاثنتا عشرة الباقية فتحها حمزة والكسائي وابن عامر وحفص
وكسرها الباقون كما تقدم تحرير ذلك كله ثم قيل في توجيه القراءة بالفتح انها واقعة موقع المفعول لكونها معطوفة
على مرفوع اوحي فتكون كلها في موضع الرفع على انه قائم مقام الفاعل لما لم يسم فاعله ورد ذلك بان اكثر
لا يصح دخوله تحت معمول اوحي الا ترى انه لو قيل اوحي الي انا لمسنا السماء وانا كنا وانا لا ندري وانا منا
الصالحون وانا لما سمعنا وانا منا المسلمون لم يستقم معناه وقال مكي والعطف في فتح ان على آمنا به اتم
في المعنى من العطف على انه استمع لانك لو عطفت وانا ظننا وانا لما سمعنا وانه كان رجال من الانس
وانا لمسنا وشبه ذلك على انه استمع لم يجز لانه ليس مما اوحي اليه وانما هو امر اخبروا به عن انفسهم والكسر في
جميع هذا ابين وعليه جماعة من القراء انتهى كلامه وقيل الفتح في ذلك كله على انه معطوف على محل به من
آمنا به كما اشار اليه المص والزمخشري والمكي ضعف هذا الوجه ايضا حيث قال والفتح في ذلك على الحمل على
آمنا به فيه بعد في المعنى لانهم لم يخبروا انهم آمنوا بانهم لما سمعوا الهدى آمنوا به ولم يخبروا انهم آمنوا انه كان
رجال انما حكى الله تعالى عنهم انهم قالوا ذلك مخبرين به عن انفسهم لاصحابهم فالكسر اولى بذلك واجيب عنه بان
ما قاله المكي غير لازم فان المعنى على ذلك صحيح وقد سبق الزمخشري الى هذا التخريج الفراء والزجاج الا ان
الفراء استشعر اشكالا وانفصل عنه فانه قال فتحت ان لوقوع الايمان عليها وانت تجد تسليط الايمان على
بعض ما فتح حسنا دون بعض وذلك لا يمنع من امضائهن على الفتح فانه يحسن فيه تقدير ما يوجب فتح
ان نحو صدقنا وشهدنا كما قالت العرب وزججن الحواجب والعيونا فنصب العيون لاتباعها الحواجب
وهي لا تزجج انما تكحل فاضمر لها الكحل انتهى اي تكحلن العيون وكما علفتها تبنا وماء باردا اي وسقيتها ماء
باردا والزج دقة في الحاجبين وطول وزججت المراة حاجبها دققته وطولته فان الفراء اشار الى شيء مما
ذكره المكي واجاب عنه وقال الزجاج لكن وجهه ان يكون محمولا على معنى آمنا به صدقناه وعلمناه فيكون
المعنى صدقنا انه تعالى جد ربنا انتهى ولم يجعل معطوفا على لفظ الجار والمجرور لعدم ذكر الجار في المعطوف ولا
على لفظ المجرور لان البصريين لا يجوزون العطف على الضمير المجرور من غير اعادة الجار في المعطوف وان اجاز
الكوفيون والمراد من الحمل على المحل الحمل على معنى المعطوف عليه بان يجعل معنى آمنا به صدقنا على اعتبار
الحذف والايصال ثم يجعل ما بعده معطوفا على ما هو مفعول بحسب المعنى احترازا عن العطف على المضمر المجرور
بلا اعادة الجار ولو جعل معطوفا على نفس المجرور وحمل الكلام على حذف الجار من المعطوف خاصة بناء على ان
حذف حرف الجر من ان وان قياس مستمر لكان له وجه وقول المص وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء مبني
على ظاهره لانه لا خلاف في كسر ما كان محكيا بعد القول فلا بد من تخصيص قول الكل بان يقال مثلا المراد به كل
ما كان مقترنا بالواو العاطفة قوله مستعار من الجد الذي هو البخت والدولة سواء استعمل بمعنى الملك و

اي فيما كان من قول الجن فان ما كان من جملة الموحى به فالامر فيه ظاهر

والسلطان او بمعنى الغنى فان الجد في اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى ابي الاب وابي الام يكون بمعنى
الحظ والبخت يقال رجل مجدود اي محظوظ شبه سلطان الله تعالى وغناه الذاتيين الازليين
ببخت الملوك والاغنياء فاطلق اسم الجد عليه استعارة قوله والمعنى وصفه بالاستغناء عن
الصاحبة والولد الخ يعني ان قوله جد ربنا فاعل تعالى والتعالي لما اسند الى الجد الذي هو سبب التعالي علم
ان المراد تعاليه عما اضيف اليه ولما لم يذكر المتعالى عنه كان فيه اجمال ثم لما قيل ما اتخذ صاحبة و
لا ولدا زال ذلك الاجمال والابهام فقوله ما اتخذ صاحبة استئناف لبيان المتعالى عنه كانه قيل بالذي
تعالى عنه فقيل ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وقرئ تعالى جدا ربنا بنصب جدا على التمييز من النسبة ورفع ربنا
بتعالى اي تعالى ربنا جدا ثم قدم المميز كما في قولك حسن وجها زيد وهو المنقول من الفاعلية اذ التقدير
تعالى جد ربنا ثم صار تعالى ربنا جدا اي عظمة نحو تصبب زيد عرقا اي عرق زيد ثم قدم التمييز والجد
بكسر الجيم ضد الهزل وضد التولي في الامور ايضا فاذا قرئ تعالى جد ربنا بالكسر كان المعنى تعالى صدق
ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وان الالهية لا يشوبها شيء من سمات الاحتياج
والحدوث فان الصاحبة تتخذ للحاجة اليها والولد للتكثر والاستئناس به والبقاء النسلة بعد فوته
وهذه من لوازم الامكان والحدوث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قوله وانه كان يقول سفيهنا ضمير
انه للشان واسم كان مضمر فيها وهو ضمير الشان ايضا والجملة التي بعد كان تفسير ذلك الضمير لانه مضمر لم
يتقدمه ظاهر يعود عليه وانما يضمر على شريطة التفسير وهي في موضع خبر كان قوله قولا ذا شطط اشارة
الى ان شططا في النظم صفة مصدر محذوف بتقدير المضاف لان القول لا يوصف بانه في نفسه بعد عن
الحق والصواب ومجاوزة الحد في اي شيء كان الا على طريق المبالغة وانما يقال قولا شططا او ذو شطط
فقدر المضاف لذلك ثم اشار الى جواز ان يكون المعنى يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما بعد ذلك
السفيه عن الحق والصواب في ذلك القول قوله اعتذار كانهم قالوا حسبنا ان الشان لن تقول الانس
والجن على الله كذبا فلذلك صدقناهم في ان لله تعالى صاحبة وولدا فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق
بسببه علمنا انهم قد يكذبون عليه تعالى وهذا منهم اقرار بانهم انما وقعوا في تلك الجهالات بسبب التقليد
وانهم انما تخلصوا عن تلك الظلمات ببركة الاستدلال والتفكر في ايات الله تعالى قوله جعله مصدرا اي
مصدرا مؤكدا للفعله واقعا موقع تقولا كانه قيل ان لن تتقول تقولا ولا يجوز ان يجعل كذبا في هذه القراءة
نعتا لمصدر محذوف اي تقولا كذبا لان التقول لا يكون الا كذبا فلا فائدة في توصيفه بالكذب وان فيه مخففة
من الثقيلة ايضا اي ظننا انه والضمير للشان وكذا الضمير انه في قوله وانه كان رجال اي وان الشان رجال من
الانس ورجال اسم كان ومن الانس صفة لرجال وكذا من الجن ويعوذون خبر كان ورهقا مفعول
ثان لزادوا واختلفوا في فاعله فقيل الانس اي زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم كبرا وعتوا حتى قالوا

قد سمعنا الجن والانس فظنوا ابدا لكن في كفرهم وقيل بل هما علة هو الجن از فزاد الجن الانس
بذلك طغيانا في الكفر فان الانس اذا عاذوا بهم فامنوا في منازلهم ظنوا ان ذلك من الجن فازدادوا
رغبة في اطاعة الشياطين وقبول وساوسهم واشار المصنف الى وجهين قال مقاتل كان اول من تعوذ
من الجن قوم من اهل اليمن من بني حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله
وتركوهم روي عن رجل انه قال خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا
المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر
الوادي جارك الله فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تصبه
كدمة فانزل الله تعالى على رسوله بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم
رهقا اي زاد الجن الانس خطيئة والرهق الاثم في كلام العرب واضيفت الزيادة الى الجن اذا
كانوا اسبابها وكذا اذا كان المعنى فزاد الانس الجن كبرا وغيا فان الانس باستعاذتهم بالجن كانوا
سبب الزيادة غيهم **قوله** والرهق في الاصل غشيان الشيء اي اتيانه قال الله تعالى ولا يرهق وجوههم
قتر ونرهقها قترة وترهقهم ذلة ثم استعمل بمعنى الآثام من نحو الخطيئة والشر والكبر والغي وقيل انه في
الاية على اصل معناه والمعنى ان رجال الانس لما استعاذوا بالجن خوفا من ان يغشاهم الجن
ثم انهم زادوا في ذلك الغشيان فانهم لما تعوذوا بهم ولم يتعوذوا بالله استذلوهم واجترؤا عليهم
فزادوهم ظلما بان خبطوهم وخنقوهم وغير ذلك من طرق ايذائهم فالزيادة على هذا المعنى من
فعل الجن ومسندة اليهم وهو اللائق بسياق الاية والموافق لنظمها **قوله** والآيتان من كلام
الجن بعضهم لبعض استئناف كلام من الله تعالى معنى الاية الاولى على كلا الاحتمالين ظاهر ومعنى الآية
الثانية على الاحتمال الاول ما قال مقاتل ان مؤمني الجن لما رجعوا الى قومهم منذرين كذبوهم فقال مؤمنوا
الجن لكفارهم وانهم يعنون كفار الانس ظنوا اظنا مثل ظنكم يا معشر الجن ان لن يبعث الله احدا
بالرسالة بعد عيسى او بعد موسى او لن يبعث الله احدا بعد الموت للحساب والجزاء ثم انهم لما بعث
اليهم محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعليهم بالقرآن المعجز آمنوا به وصدقوه في جميع ما اخبر
فافعلوا انتم يا معشر الجن مثل ما فعله الانس ومعناها على تقدير كونها ابتداء كلام من الله تعالى و
ان الجن ظنوا كما ظننتم يا كفار قريش ان لن يبعث الله رسولا الى خلقه يقيم به الحجة عليهم او لن يبعث
الله الخلق بعد موتهم فالمقصود تاكيد الحجة على قريش بانه اذا آمن هؤلاء الجن بمحمد صلى الله عليه وسلم
وبما اخبر به فانتم احق بذلك والاحتمال الاول اظهر لان ما قبل الايتين وما بعدهما من كلام الجن و
ادخال كلام اجنبي بين كلامهم غير مناسب وهذان الاحتمالان على تقدير كسر ان فيهما او بنيهم ذلك
من قوله ومن فتح ان فيهما الخ **قوله** ساد مسد مفعولي ظنوا جعلا من اعمال الفعل الاول وهو اختيار

على تقدير ان يكون النفر الذين استمعوا من الجن يهودا او نصارى رح لله

اختيار الكوفيين فان ظنوا يطلب مفعولين وكذلك ظننتم ولعل الوجه في اختياره اعمال الاول ان
ما في قوله كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها في تاويل المصدر والفعل اقوى من المصدر في العمل
فلا ينازعه المصدر فيه **قوله** مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس والجس باليد في كون كل منهما
وسيلة الى تعرف حال الشيء فعبر عنه باللمس والمس **قوله** اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كالخدم
لخادم يريد انه اسم مفرد في معنى الجمع وهو الحراس كالخدم ولهذا وصف بشديد ولو كان جمعا لقيل
شدادا لان المعنى ملئت ملائكة شدادا وقيل شديدا حملا على لفظ حرسا فانه وان كان بمعنى الحراس و
الحفظة وهم الملائكة الا انه لفظ مفرد فلذلك وافقه صفته في الافراد والظاهر ان معنى قوله فوجدنا
ها اصبناها وصادفناها فيتعدى الى مفعول واحد ويكون قوله ملئت جملة حالية من مفعول وجدناها
ولا بد في مثلها من كلمة قد ظاهرة او مقدرة واذا لم تكن ظاهرة ههنا فهي مقدرة ويحتمل ان يكون من افعال
القلوب المتعدية الى اثنين فتكون جملة ملئت في موضع المفعول الثاني له اي فعلمناها مملوءة وحرسا تمييز نحو
امتلأ الماء اناء وشهبا عطف على حرسا وحكمه في الاعراب حكمه وهو جمع شهاب وهو الشيء المضيء الذي
يتولد من نار الكواكب التي هي زينة السماء ويرجم به الشياطين لا بانفس الكواكب الا ان الكواكب لما كانت سببا
لتولده جعلت رجوما اي مرجوما بها في قوله وجعلناها رجوما للشياطين ومردة الجن كانوا يقعدون في
مواضع القعود من السماء لاستماع الاخبار من اهل السماء والقائها الى الكهنة فحرسها الله تعالى حين
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بان رمى المسترقة منهم بالشهب المحرقة فلذلك قالوا فمن يستمع الآن
يجد له شهابا رصدا اي كنا نستمع فالآن متى حاولنا الاستماع رمينا بالشهب وذكر المصنف في شهابا رصدا
وجهين الاول ان يكون الشهاب يراد به المعنى المشهور ويكون رصدا صفة له بمعنى راصدا اي قبله و
ذلك لان الشهاب لما كان معدا له صار كانه راصد له ليهلكه والثاني ان يراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف
ورصدا صفة له على ان يكون اسم جمع للراصد والمعنى ذوي شهاب راصدين اياهم ليرجموهم بما
معهم من الشهب فان قيل قوله تعالى فمن يستمع الآن يدل على ان الرجم لم يكن قبل بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله وجعلناها رجوما للشياطين يدل على انه كان قبل ذلك لانه لما ذكر خلق
الكواكب فائدتين التزيين ورجم الشياطين وكانت فائدة التزيين حاصلة قبل البعثة
وجب ان يكون الفائدة الاخرى حاصلة قبل ايضا اجيب عنه بان ذكر تلك الفائدتين لا يقتضي
اقترانهما بحسب الزمان لم لا يجوز ان يكون المعنى وجعلناها بحيث تصلح لان ترجم بها فان الرجم مصدر
سمي به ما يرجم به ويؤيد هذا المعنى ما روي عن جماعة من المفسرين من ان السماء لم تكن تحرس
في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام خمسمائة عام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من السماء بالملائكة والشهب قال ابن عباس رض كان الجن يصعدون الى السماء فيستمعون

الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا اما الكلمة فيها يكون حقة واما الزيادات فهي باطلة و
قال ابي بن كعب رضي لم يرم بنجم منذ رفع عيسى عليه الصلوة والسلام حتى بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرمي بها فرات قريش امرا ما راوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون انعامهم ويعتقون رقابهم يظنون
انه فناء العالم فبلغ ذلك بعض اكابرهم فقال لم فعلتم ما ارى قالوا رمي بالنجوم فرايناها تتهافت من
السماء فقال اصبروا فان لم يكن نجوما معروفة فهو وقت فناء العالم وان كانت نجوما لا تعرف فهو امر
حدث فنظروا فاذا هي لا تعرف فاخبروه فقال في الامر مهلة وهذا يكون عند ظهور نبي فما مكثوا الا
يسيرا حتى ظهر وانتشر بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاقرب الى الصواب ان هذه الشهب كانت مو
جودة قبل المبعث الا انها زيدت بعد المبعث زيادة ظاهرة ومنعت الجن عن استراق خبر السماء
راسا لئلا يلتبس على الناس اقوال الرسول عليه الصلوة والسلام المستندة الى الوحي الالهي باقوال
الكهنة الماخوذة من الشياطين مما استرقوا من اقوال اهل السماء وهذا القول يؤيده نظم القران
لانه قال فوجدناها ملئت حرسا فانه يدل على ان الحادث هو الكمال والكثرة وقال ايضا نقعد منها مقاعد
اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت المقاعد كلها **قوله** ذوي
طرائق لما لم يمكن حمل الكلام على حقيقته لامتناع كون الذوات طرائق ذكر لتوجيهه ثلثة اوجه الاول
تقديرها اصحاب الى طرائق والثاني حمل الكلام على التشبيه البليغ والثالث تقديرها اصحاب الى الاسم
كان اي كانت طرائقنا طرائق فحذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد
كالقطعة من قطع واصله في الاديم يقال لكل ما قطع منه قدة وجمعها قدد ووصفت الطرائق بالقدد
لدلالتها على معنى التقطع والتفرق فمن الصالحين بالمؤمنين الابرار بناء على ان تقديم ما حقه
التاخير يفيد الحصر والتخصيص وكذا كون كل واحد من المبتدا والخبر معرفا بلام الجنس او بلام الاستغراق
يفيد ذلك فانك اذا قلت زيد الجواد او الجواد زيد على ارادة الاستغراق فكانك قلت زيد كل الجواد او
كل الجواد زيد وكذا اذا قلته على ارادة الجنس والحقيقة فقد حكمت باتحاد زيد وجنس الجواد في الخارج
ضرورة ان المحمول يتحد بالموضوع في الوجود وهذا معنى الحصر فقول الجن بعضهم لبعض منا الصالحون
يفيد اتحاد جنس الصالح ببعضهم ولا يصح قصر الجنس عليه تحقيقا وهو ظاهر ضرورة ان الجنس ليس محصور
في ذلك البعض بحسب الواقع فلا بد ان يكون القصر مبنيا على المبالغة والادعاء لكمال ذلك البعض في
الصلاح فابرزوا الكلام في صورة تفيد ان جنس الصلاح مقصور على بعضهم لا يتجاوز لعدم اعتدادهم
بصلاح غير ذلك البعض فلذلك فسر الصالحون بذلك فكان المعنى كنا قبل استماع القران منا صالحون
كمال الصلاح ومنا صالحون دون اولئك في الصلاح يكون دون ذلك بناء على اصل حالة وهو الظرفية
وانه صفة لمحذوف كما ذكره المص ومقصود الجن بهذا القول المبالغة في دعوة من دعوهم الى الايمان

اي

معنى قوله ومن يستمع الآن اي كل من يستمع الآن يجد له شهابا رصدا لا يتمكن واحد من الشياطين من الاستماع الآن ومعنى قوله جعلناها رجوما للشياطين انها رجوم لها في الجملة ولا يلزم منه نفي الاستراق بالكلية سلمه

اي لان جنس الجواد لو صدق على غير زيد لم يصح الحكم باتحادهما وجودا سلمه

حين دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد عليه الصلوة والسلام سلمه

اي ما احدثنا بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ما لم يكن في جنسنا من الايمان بالانبياء المتقدمة وان وكنا
متفاوتين في ذلك فقالنا لا نؤمن بهذا النبي المبعوث باوضح الدلائل والمعجزات وهو القران العجب في
حسن نظمه ودقة معناه وفيه بيان كل شيء مع قلة الفاظه ويحتمل ان يكون دون مبتدا بمعنى غير لا ظرفا
فلا يقدر له موصوف اي ومنا غير الصالحين فيدخل فيه المقتصدون والكافرون **قوله** علمنا اشا
رة الى ان الظن هنا بمعنى اليقين لان الايمان لا يحصل بالظن ولان مقصود الجن بهذا الكلام ترغيب
اصحابهم وتحضيضهم على الايمان بتخويفهم بالمواخذة على تقدير اصرارهم على الكفر والعصيان وذلك
انما يكون بالعلم لا بالظن وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان المحذوف والجملة بعدها خبرها
وهي مع ما في حيزها سادة مسد مفعولي العلم اي وعلمنا بالاستدلال والتفكر في ايات الله ان
الشان انا مسخرون في قبضة قدرته وسلطانه لن نفوته ان اقمنا في الارض او هربنا منها الى الجها
او الى السماء **قوله** كائنين في الارض وهاربين اشارة الى ان قوله في الارض حال من فاعل نعجز
وكذا هربا مصدر في موضع الحال من فاعل نعجزه وحمل الارض اولا على العموم بان حمل اللام على الاستغراق
حيث قال اينما كنا فيها وقوله ولن نعجزه هربا بما ذكر في مقابلة قوله لن نعجز الله في الارض وجب
ان يراد بالهرب الهرب من الارض الى غيرها كالسماء والبحار وفيه ترقي ومبالغة ولم يعتبر عمومها و
لا خصوصها انما بل جعل وجود اللام وعدمها سواء كما في ارسلها العراك فان العراك حال وحق الحال
ان يكون نكرة والعراك وان كان معرفة صورة الا انه مصدر واقع موقع الحال النكرة والاصل ارسلها
معتركة اي مجتمعة مزدحمة ولم يقصد بحرف التعريف عهد ولا استغراق فكذا هنا فالمعنى انا لن نعجزه
عن امضاء ما اراده بنا سواء كنا ساكنين مستقرين في الارض وهاربين فيها من موضع الى آخر
وحصول المعنى على الوجه الثاني ان القرار وعدمه سيان في ان شيئا منهما لا يفيد فواتنا عنه
وفائدة ذكر الارض فيه الاشارة الى انها مع سعتها وانبساطها ليست بمنجى منه تعالى ولا مهربا ويحتمل
ان يكون اللام على الوجه الثاني للعهد اي لن نعجزه سواء ثبتنا في ارضنا التي نسكن فيها او هربنا منها
الى موضع آخر والتقابل على الاول انما هو بين الكون في جزء من اجزاء الارض وبين الهرب عنها
الى امر مباين لها منفصل عنها **قوله** فلا يخاف قدر مبتدا وجعل قوله لا يخاف خبرا له وجعل الجملة
الاسمية جزاء الشرط والجزاء اذا كانت جملة اسمية يجب دخول الفاء عليها لان حروف الشرط
لما لم يؤثر في الجزاء لا من حيث الاعراب وهو ظاهر لكون الجملة مبنية ولا من حيث المعنى كذلك
وجب دخول الفاء عليها لتدل على انها جزاء الشرط ولو لم يقدر المبتدا لكان الجزاء مضارعا منفيا
بلا وفي مثله جاز الامران دخول الفاء وعدمه لاحتمال كون حرف الشرط مؤثرا في الجزاء معنى وغير
مؤثر فيه اما كونه مؤثرا فيه بجعله متعينا للاستقبال مع كونه قبل دخول اداة الشرط صالحا للحال والا

والاستقبال فبني على كون لا لمجرد النفي لا لنفي الاستقبال فانه ح يكون لحرف الشرط تاثير فيه لجعله للاستقبال
واما كونه غير مؤثر فيه فبني على كون لا لنفي الاستقبال ح لا يؤثر حرف الشرط في الجزاء معنى لان تعيينه للاستقبال
استفيد من حرف النفي فامتنع اسناده الى حرف الشرط ايضا لاستحالة توارد العلتين على معلول واحد فان
كان حرف الشرط مؤثرا فيه لم يحتج الى الفاء وان لم يؤثر يحتاج الى ما يدل على كونه جزاء الشرط فان قلت ظاهر من
كلامكم انه يجوز ان يقال فمن يؤمن بربه لا يخف من غير ان يقدر مبتدا او من غير ان يدخل الفا كقوله تعالى ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم اجاب عنه الزمخشري بان الامر كذلك الا انه التزم ذلك لفائدتين الاولى تقوية الحكم و
تقريره في ذهن السامع بسبب تكرر الاسناد الحاصل بتقدم المسند اليه والفائدة الثانية تخصيص الخبر الفعلي
بالمسند اليه المتقدم بحيث لا يشاركه غيره وقيل هذا تصريح منه بجواز اجتماع التقوي والتخصيص في خبر
هو عرفي وانت عرفت وهو خلاف ما ذهب اليه الشيخ عبد القاهر والسكاكي **قوله** وان قدر فلا يخف
على ان لا ناهية فيجب الفاء ح لما تقرر ان الجزاء اذا كانت جملة طلبية كالامر والنهي يجب مقارنتها
لعلامة الجزاء ولا يجوز كونها نافية والا لاستغنى عن الفاء بجزم الجزاء **قوله** او جزاء بخس بتقدير المضاف
اي لا يخاف جزاء بخس ولا جزاء رهق على ان البخس والرهق من افعال المكلف لا من افعال الباري
كما في الاول وقيل انه ليس مبنيا على الاضمار بل اشار الى ان البخس والرهق يجوز ان لذلك فانك اذا قلت
خفت الذئب صح وكذا اذا قلت خفت جزاءه وذلك لان ما يتولد منه المحذور محذور له **قوله** تعالى وانا
منا المسلمون ومنا القاسطون من كلام الجن لاصحابهم تحريضا لهم على الاسلام ببيان احوال الفريقين
اي منا بعد استماع القران من اسلم ومنا من كفر والقاسط الجائر لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه
عادل الى الحق يقال قسط اذا جار واقسط اذا عدل روي ان الحجاج قال لسعيد بن جبير ما تقول في قال انك
قاسط عادل فقال الحاضرون ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة
جعلني جائرا كافرا او تلى قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
وههنا تم قول الجن وقوله تعالى وان لو استقاموا من جملة الموحى اليه اي اوحي الي ان الشان استمع نفر
من الجن وان الشان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام لوسعنا عليهم في الدنيا وبسطنا لهم في
الرزق وكلفناهم بالشكر فيه لنعلم كيف يشكرون والغدق بفتح الدال مصدر غدق الماء يغدق بكسر
العين في الماضي وفتحها في الغابر اذا غزر ووصف الماء به للمبالغة في غزارته كرجل عدل يقال سلكه
الخيط في الابرة اذا ادخله فيها فتقدير الآية نسلكه في عذاب وكفاك دليلا ما سلككم في سقر بحذف
الجار واوصل الفعل كما في قوله تعالى واختار موسى قومه وصعدا صفة لعذاب وهو مصدر صعد يصعد
صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه وقيل وقيل الصعد في
اللغة اسم بمعنى المشقة يقال تصعد في الامر اذا شق عليك فقوله عذابا صعدا بمعنى ذا صعد اي ذا مشقة
قد

قوله على الطريقة المثلى اشارة الى ان اللام للعهد والمعهود اما طريقة الاسلام التي هي افضل الطرائق او طريقة الضلال التي كانت لهم سابقا

قد تقدم في اول السورة ان القراء السبعة اتفقوا على فتح ان في قوله وان المساجد على معنى قل اوحي الي ان
المساجد لله فالفاء في قوله فلا تدعوا سببية اي اذا كان كذلك فلا تعبدوا فيها غيره والمراد بالمساجد على قول
اكثر المفسرين المواضع التي بنيت للصلوة وذكر الله تعالى فتدخل فيها الكنائس والبيع ومساجد المسلمين
قال القرطبي المراد بها البيوت التي بنيها اهل الملل للعبادة انتهى واهل الكتاب كانوا يشركون في صلوتهم في البيع
والكنائس فامر الله تعالى المسلمين بالاخلاص والتوحيد وان لا يعبدوا فيها مع الله احدا غيره **قوله** ومن
جعل ان مقدرة باللام التعليلية المتعلقة بقوله فلا تدعوا على معنى لا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها
خاصة وهو اشارة الى تضعيف ما ذهب اليه الخليل من ان تقدير الاية ولان المساجد لله فلا تدعوا ونظيره
قوله تعالى وان هذه امتكم على معنى ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اي لاجل هذا المعنى
فاعبدون وقوله لايلاف قريش فانه متعلق بقوله فليعبدوا ووجه التضعيف انه ح يلزم الفاء فائدة
الفاء السببية لان معنى السببية ح يستفاد من لام التعليل والقائل ان يمنع لزوم الفاء فائدة الفاء
ويقول لم لا يجوز ان يكون فائدتها تاكيد ما افادته اللام **قوله** لانها جعلت قال عليه الصلوة والسلام
جعلت لي الارض طهورا ومسجدا الح فكانه تعالى قال الارض كلها مخلوقة لله تعالى فلا تسجدوا عليها لغير
خالقها **قوله** لانه قبلة المساجد تعليل لاطلاق لفظ المساجد مع كونه جمعا على المسجد الحرام والمساجد
في قوله قبلة المساجد جمع مسجد بفتح الجيم على انه مصدر ميمي بمعنى السجود او على انه اسم مكان بمعنى موضع
السجود اي لانه قبلة السجدات او قبلة موضع السجود فانه اذا اريد بلفظ المسجد ما على البيوت المبنية
للعبادة من المواضع والمصادر فانما يقال بفتح الجيم على الاصل ولا يقال بكسر الجيم الا اذا اطلق على
البيوت المذكورة والمعنى انه عبر عن المسجد الحرام بلفظ المساجد لكونه قبلة لمساجد الدنيا و
ان كل احد يسجد اليها ومحصله انه وان كان مكانا متخصصا الا انه له تعدد اعتبارا من حيث
كونه قبلة لكل واحد من المساجد وللسجدات الواقعة فيها فلذلك اطلق لفظ الجمع عليه
والمتوجه اليه في العبادة حقيقة هو الله تعالى الا انه لما استحال توجه الجسم اليه اقيم التوجه الى
قبلة الله مقام التوجه اليه تعالى والظاهر ان قول المص ومواضع السجود مرفوع معطوف على قوله
المسجد الحرام وكذا قوله واراد به السبعة وقوله والسجدات ويدل عليه ما وجد في بعض النسخ
بعد قوله لانه قبلة المساجد هكذا وفسرت بمواضع السجود على ان المراد النهي عن السجود لغير
الله تعالى وباراب السبعة وبالسجدات وقوله على انه جمع مسجد اي بفتح الجيم متعلق بالتفاسير الاربعة
المذكورة بقوله وقيل المسجد الحرام الح فان المسجد بالفتح يصح ان يكون مصدرا بمعنى السجود واسما
لمكان السجود او لما يسجد عليه من الاراب السبعة فانها مواضع السجود من الجسد قال عطاء مساجدك
اعضاؤك التي امرت بالسجود عليها لا تذللها لغير خالقها وقال عليه الصلوة والسلام

قال الحسن رح من السنة اذا دخل احد المسجد ان يقول لا اله الا الله لا ادعو مع الله احدا لان قوله لا تدعوا مع الله احدا في ضمنه امر بذكر الله تعالى وبدعائه مسلما

اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب قال ابن الاثير الاراب الاعضاء جمع ارب وهو العضو والمساجد
على تقدير كونه جمع مسجد السجود جمع مع ان الاصل في المصدر ان لا يثنى ولا يجمع لقصد الانواع فان انواع
السجود مختلفة باختلاف اوقات الصلوات الخمس وتلاوة ايات السجدة **قوله** وانما ذكر لفظ العبد
الى مبنى على فتح ان في قوله وانه لما قام كما هو قرائة الجمهور على انه من جملة الموحى به فمقتضى الظاهر ان يقال
اوحى الي ان الشان لما قمت ادعوه اي اعبده والمراد قيامه لصلوة الفجر ببطن نخلة حين اتاه الجن
واستمعوا قرائته كادوا يكونون على بدل عليه الصلوة والسلام عبر عن نفسه ولا بضمير المتكلم حيث
قال اوحى الي فالمناسب به ظاهرا ان لا يعدل عن الضمير الى الاسم الظاهر لفائدتين التواضع والا
شعار بما هو سبب قيامه وعبادته اياه وهو كونه عبد الله واما اذا قرئ بكسر ان وهو قرائة نافع وابي
بكر على انه ابتداء كلام من الله تعالى او على انه من قول الجن لقومهم حين رجعوا اليهم قال لما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي كاد اصحابه يكونون عليه لبدا تعظيما له وقيل انهم قالوا لاصحابهم حين
رجعوا اليهم انه عليه الصلوة والسلام لما قام عابدا ربه تلبدت كفار الانس والجن تظاهروا عليه
ليبطلوا الحق الذي جاء به ويطفئوا نور الله فابى الله تعالى الا ان ينصره ويظهره على من عاداه يريدون
بهذا القول تقبيح حال الكفرة والطعن عليهم في اجتماعهم على الناصح الامين وطلب منعه عن
اظهار ما جاء به من الحق المبين مع كونه موافقا لقانون العقل ومقتضى الحكمة ومؤيدا بالشواهد
والمعجزات الباهرة وسائر ما يوجب الارتياب في حقيته عن صدور مبلغه واصل المقصود ترغيبهم
في قبوله والانقياد اليه على حسب التقادير كان الظاهر ان يقال لما قام رسول الله او نبي الله لانه حكاية
من تتمة كلام رسول الله عن نفسه فيحسن ان يعبر عن نفسه حسب ما يقتضيه التواضع والتذلل بل
هو ابتداء كلام من الله تعالى او من قول الجن وعلى التقديرين المناسب ذكر ما يدل على تعظيمه واجلاله
الا انه على تقدير كونه كلام الله المسوق لبيان تعجب الجن مما راوا من عبادته او لبيان تزاحم الانس
والجن وتظاهرهم على ابطال امره عبر عنه عليه الصلوة والسلام بعبد الله للاشعار بان تعجبهم
وكذا تظاهر الفريقين على ابطال امره ليس في موقعه من حيث ان عبادة عبد الله لمولاه
ليست مما يتعجب منه ولا مما ينكر ويزدحم على تغييره وكذا عبر عنه عليه الصلوة والسلام بذلك على
تقدير كونه من كلام الجن المسوق لبيان تعظيم اصحابه اياه متلبدين عليه ترغيبا لقومهم في
الايمان به عليه الصلوة والسلام واتباع امره للاشعار بانه عبد مامور لا يفعل من عند نفسه
وانما يتبع ما يوحى اليه ويؤمر به وان قالوه تقبيحا لحال المتظاهرين عليه يكون العدول الى لفظ
عبد الله للاشارة الى وجه التقبيح **قوله** وهو جمع لبدة يعني ان الجمهور قرؤا لبدا بكسر اللام وفتح
الباء المخففة جمع لبدة كخرقة وخرق واللبدة الشيء المتلبد اي المتراكب المتلاصق بعضه على بعض

الاراب هي القدمان والركبتان واليدان والوجه سلمه

على بعض فالمعنى كادوا يكونون عليه جماعات متراكمة مزدحمة وقرئ لبدا بضم اللام وفتح الباء
مشددة وهو جمع لابد كسجد في جمع ساجد قال ابو الفتح اللبد الكثير ركب بعضه حتى يتلبد من
كثرته انتهى وقرئ لبدا بضم اللام والباء خفيفة وهو جمع لبود كصبر وصبور **قوله** يوجب تعجبكم
او اطباقكم على مقتضى لف ونشر مرتب واشارة الى ان المعنى انه لما اوحى اليه انه عليه الصلوة
والسلام لما قام عابدا تلبد عليه الجن تعجبا مما راوا وسمعوا او اطبق عليه كفرة الانس و
الجن لابطال امره واجاب عليه الصلوة والسلام بقوله انما ادعو ربي فحكى الله تعالى ذلك عنه بقوله
قال او يكون ذلك بقية حكاية الجن احوال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومهم **قوله** ليوافق ما بعده
ولما روي عن مقاتل انه قال ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك جئت بامر عظيم وقد عاديت
الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فانزل الله تعالى قل انما ادعو ربي **قوله** اشعارا بالمعنيين
الاول لا املك لكم ضرا ولا نفعا والثاني لا املك لكم غيا ولا رشدا وكلا المعنيين مناسب للمقام
فان النافع والضار والمرشد والمغوي هو الله تعالى وان احدا من الخلق لا قدرة له عليه فلو اني
اردت منكم الاهتداء بالايمان والطاعة ونهيتكم عن الشرك والعصيان فانكم قابلتموني بالمخالفة
والاجتماع على عدواني ومنعي وليس في يدي ادخالكم في الايمان وابقاؤكم على الكفر او ليس في يدي
اضراركم بالعقوبة على الكفر ولا نفعكم بالاثابة على الايمان فان كان الضر بمعناه يكون الرشد مجازا
مرسلا بمعنى النفع على طريق اطلاق اسم السبب وارادة المسبب وان كان الرشد بمعناه يكون الضر
بمعنى الكفر والغي على طريق اطلاق اسم المسبب على السبب فان الرشد سبب النفع والضر
مسبب عن الغي وثمرته **قوله** متحرفا وملتجأ يقال الحد في دين الله والتحد فيه اي مال عنه وعدل
يقال للملجأ ملتحد لان اللاجئ يميل اليه اي لن ينقذني مما قدره الله تعالى علي من السوء احد ان اخذه
ولن اجد من دونه معدلا اعدل اليه الا هو **قوله** ارشاد وانقاذ اشارة الى ان الاستثناء من رشدا
متصل سواء كان بمعناه او بمعنى النفع **قوله** مؤكد لنفي الاستطاعة فان نفيها عنه متضمن بمعنى ان
المالك لهما هو الله وانه عاجز عنهما راسا فيؤكد الجملة المعترضة لكونها بمعناه وفائدة الاستثناء
المبالغة في توصيف نفسه بالتبليغ لدلالته على انه لا يدع التبليغ الذي يستطيعه لتظاهرهم على عداوته
قوله او من ملتحدا اي لن اجد من دونه ملجأ ومنجا الا بلاغا اي لا ينجيني الا ان ابلغ عن الله تعالى
ما ارسلني به قال الاما بعد تقرير هذا الوجه واقول هذا الاستثناء منقطع لانه تعالى لم يقل ولن اجد ملتحدا
بل قال ولن اجد من دونه ملتحدا والبلاغ من الله لا يكون من دون الله بل يكون من الله وباعانته
وتوفيقه **قوله** او معناه ان لا ابلغ بلاغا على ان لا يكون الكلام استثناء بل شرطا والاصل ان لا فادغم
فان شرطية وفعلها محذوف لدلالة مصدره عليه ولا نافية بمعنى لم والتقدير ان لا ابلغ بلاغا من الله

فوجه ارتباط الاية بما قبلها انهم لما تمردوا عليه ... لعداوته قيل له ... اني لا املك لكم ضرا ولا نفعا ... نفعكم ... ليس في استطاعتي ... اردت ولا الضر الذي ... به انهما الى الله تعالى سلمه

هذا على تقدير ان يكون المعنى لا املك لكم ضرا ولا نفعا سلمه

قلن يجيرني منه احد و هذا الوجه ضعيف لان حذف فعل الشرط و ابقاء اداته قليل جدا وقد انضم اليه في
الاية حذف الجزاء ايضا لان الجزاء لا يتقدم على الاداة عند البصريين ومع هذا جوزه المص بناء
على ان الجواب اما مذكور عند من يرى جواز تقديمه واما في قوة المذكور لدلالة ما قبله عليه قوله
عطف على بلاغا كانه قيل لا املك الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن الله واقول قال الله كذا
كذا ناسبا للمقالة اليه وان ابلغ رسالاته التي ارسلني بها من غير زيادة ولا نقصان قوله
ومن الله صفة بلاغا اي بلاغا كائنا من الله تعالى وليس متعلقا بقوله بلاغا لان صلة التبليغ في المشهور
انما هي كلمة عن دون من قال الواحدي ان في قوله تعالى فان له نار جهنم مكسورة الهمزة لان ما بعد فاء
الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه قوله ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فامتعه ومن يؤمن
بربه فلا يخاف على ان المبتدأ فيها مضمر وخالدين حال من الهاء في له والعامل الاستقرار الذي تعلق به الجار
قوله جمعه للمعنى فان من بعض يعني كل احد يفعل العصيان وافرد ضميره حملا على اللفظ من قوله
في الامر بالتوحيد فان الكلام فيه من حيث ان الكلام لتوبيخ مشركي مكة باصرارهم على الشرك مع انه عليه
الصلوة والسلام دعاهم الى التوحيد وتلا عليهم من القران ما يدل على بطلان الشرك زمانا مديدا افتطار
ولا د الجن امنوا بالقران وتبرؤا عن الشرك اول استماعهم اياه ثم ولوا الى قومهم منذرين عن
الشرك وسوء عاقبته وساق الكلام الى ان قال فلا تدعوا مع الله احدا ثم وبخ المشركين من
الجن والانس الذين تلبدوا على معاداته وابطال امره حين راوه يعبد الله وحده مخالفا لهم في
عبادتهم الاوثان فظهر ان المقصود المهم في هذه السورة الدعوة الى التوحيد والامر به والنهي عن الاشراك
والعصيان وان كان عاما متناولا للكل ما يصدق عليه مخالفة الامر وعدم الامتثال به الا انه قد تقرر
ان العام يجوز تخصيصه بامور منها تخصيصه بالقرائن العامية وورود في حادثة مخصوصة و
العصيان المذكور في الاية من هذا القبيل فانه ذكر في مقام الامر بالتوحيد فتخصص بعدم الامتثال به
وسلوك مسلك الشرك ومقصود المص من تخصيص العصيان ان يجيب جمهور المعتزلة في استدلالهم
بهذه الاية على ان عصاة المؤمنين يخلدون في النار حيث قالوا ان هذا العموم اقوى في الدلالة على هذا
المطلوب من سائر العمومات لان سائر العمومات ما جاء فيها قوله ابدا فيتمحل لهم حمل الخلود على المكث
الطويل ترويجا لمذهبه واما ما جاء فيه لفظ الابد فلا يتاتى له الحمل المذكور لكون لفظ الابد يجافي
سقوط ذلك الاحتمال فلما خص العصيان بالعصيان في الامر بالتوحيد لم يبق الاية دليلا على ما
ادعته المعتزلة قوله بالمعنى الثاني اي يتعاونون الانس والجن وتظاهرهم على ابطال امره والمعنى
انهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا راوا ما يوعدون
فسيعلمون انهم اضعف ناصرا واقل عددا فان الكافر لا ناصر له ولا شفيع يوم القيمة كما قال ما للظالمين

والعصيان وان كان عاما الا ان المراد
به مخالفة الامر المخصوص وهو
الامر بالتوحيد بقرينة المقام
فيكون العاصي بمعنى المشرك
منه

من حميم ولا شفيع يطاع واما المؤمنون فلهم العزة والكرامة والكثرة قال الله تعالى والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم والملك القدوس يسلم عليهم سلام قولا من رب رحيم فهناك يظهر ان القوة
والعدد في جانب المؤمنين او في جانب الكفار وان فسر لبدا بتراكم الجن وتزاحمهم عليه تعجبا مما راوا وسمعوا
تتبعض بكون ما بعد حتى غاية لمحذوف دلت عليه الحال من استضعافهم عدده كانه قيل لا يزالون يستضعفون
ويستهزؤن حتى اذا راوا ما يوعدون تبين ح ان المستضعف من هو قيل هذا هو الاظهر لان كونه غاية
لقوله يكونون عليه لبدا بعيد جدا لطول الفصل بينهما بالجمل الكثيرة وقدر بعضهم ذلك المحذوف المغيا
فقال تقديره دعهم حتى اذا راوا وقيل انه غاية لما تضمنته الجملة التي قبلها من الحكم بكينونة النار لهم وانهم
يوعدون بها كانه قيل العاصي موعد بها حتى اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون ومن في قوله تعالى من اضعف يجوز ان يكون موصولة
في موضع النصب بقوله فسيعلمون فيكون اضعف خبر مبتدا محذوف اي فستعلمون الذي هو اضعف وان يكون
استفهامية مرفوعة بالابتداء واضعف خبره والجملة في موضع نصب سادة مسد مفعولي العلم لانها معلقة للعلم
قبلها وناصرا وعددا منصوبان على التميز واقريب خبر مقدم وما توعدون مبتدأ ويجوز ان يكون اقريب مبتدا
وان لم يكن معتمدا اليه لوقوعه بعد الف الاستفهام وما توعدون فاعل له ساد مسد الخبر وما موصولة والعائد
محذوف اي اقريب الذي توعدونه نحو اقائم الزيدان فان قيل اليس قال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين
فكان عالما بقرب وقوع القيمة فكيف قال ههنا لا ادري اقريب ام بعيد والجواب ان المراد بقرب وقوعه هو
ان ما بقي من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر من القرب معلوم واما قربه بمعنى كونه بحيث يتوقع في كل ساعة فغير
معلوم قوله اي علم الغيب المخصوص به علمه اخذه من اضافة الغيب الى ذاته المقدس فان الاضافة تفيد
اختصاص المضاف بالمضاف اليه بين اولا انه تعالى عالم بجميع ما غاب عن حس الخلق على ان اللام في الغيب
للاستغراق ثم بين انه لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه الا المرتضى الذي يكون رسولا للاشارة الى ان ما لا
يختص به علمه يطلع عليه غير الرسول اما بتوسط الانبياء او بنصب الدلائل وترتيب المقدمات او بان يلهم الله تعالى
بعض الاولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك والحمل على هذا المعنى متعين للقطع بان ليس
مراد الله تعالى بهذه الاية انه لا يطلع احدا على شيء من المغيبات الا الرسل لظهور انه تعالى قد يطلع على شيء من
الغيب غير الرسل كما اشتهر ان كهنة فرعون اخبروا بظهور موسى عليه الصلوة والسلام وبزوال ملك
فرعون على يده وان بعض الكهنة اخبروا بظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل زمان ظهوره ونحو ذلك
من المغيبات وكانوا صادقين فيه وارباب الملل والاديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن
وقوع الوقايع الآتية في المستقبل ويكون صادقا فيه قوله واستدل به وجه الاستدلال انه تعالى خص الرسل
من المرتضين بالاطلاع على الغيب واصحاب الكرامات من الاولياء ليسوا برسل فلا يطلعون على الغيب
فلا كرامة لهم بالاطلاع على ما سيقع في المستقبل من المغيبات فاذا خص الاظهار بما يكون بغير وسط يكون

قوله على الغيب المخصوص به علمه
اشارة الى جواب اخر عن الاستدلال
المذكور وتقريره انه لا يلزم من اختصاص
الاطلاع على غيبه المخصوص علمه بالرسل
من الشرع نفي الكرامة لجواز ان
يكون من الغيوب ما جاز ان يطلع
عليه الاولياء بالهام الملائكة
منه

الغيب الخفي الذي لا يدركه الحس ولا
تقتضيه بداهة العقل وهو قسمان
لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده
مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته و
اليوم الآخر واحواله وهو المراد به
في قوله تعالى يؤمنون بالغيب منه

اللازم اختصاص الملك بالاطلاع على الغيب بلا واسطة وذلك لا ينافي اطلاع الاوليا وتلقيا من الملائكة
الالهامات الصادقة **قوله** يحرسونه من اختطاف الشياطين يعني ان جبرئيل عليه السلام كان اذا نزل
بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحي فيلقونه الى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل
الرسول عليه الصلوة والسلام فيختلط على الناس امر الرسالة **قوله** اي ليعلم النبي الموحى اليه فقوله ليعلم
متعلق بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل اخبرنا بحفظ الوحي عن اختطاف الشياطين ليعلم رسول
البشر ان رسل الملائكة ابلغوا رسالات ربهم كما هي **قوله** بمعنى ليتعلق علمه به موجودا او اصل المعنى
ليبلغ الانبياء رسالات ربهم هي محروسة من الزيادة والنقصان وعبر عن ذلك المعنى بما ورد عليه
النظم لكونه ادل على تحقق التبليغ من قولنا ليبلغوا فان العلم بالتبليغ المذكور كناية عن وجوده لكونه
لازما له ومتفرعا عليه بخلاف قولنا ليبلغوا فانه لا يستلزم وجود التبليغ وقيد العلم بكونه متعلقا
بالتبليغ موجودا لان المراد به العلم الذي يتعلق به الجزاء وذلك العلم به موجودا وهذا العلم انما يحصل
حال وجود التبليغ واما قبل وجوده فانما يعلم بانه سيوجد لا بانه موجود فان ذلك لا يكون علما والعلم بانه
سيبلغ لا يتعلق به الجزاء والتغير والتبديل انما هو في المعلوم لا في العلم فانه تعالى يعلم جميع الجزئيات
على وجه جزئي فعند وجودها يعلم انها وجدت وعند عدمها يعلم انها عدمت وقبل ذلك يعلم انها ستوجد
وستعدم وهو مذهب اهل الاسلام **قوله** عددا يجوز ان يكون تميزا منقولا من المفعول به والاصل
احصى عدد كل شيء كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا اي عيون الارض ويجوز ان يكون منصوبا على المصدر حملا
على المعنى لان احصى بمعنى عد فكانه قيل وعد كل شيء عددا او لان عددا بمعنى احصاء اي احصى كل شيء
احصاء فيرد المصدر الى الفعل او الفعل الى المصدر وهذه الاية مما يستدل به على ان المعدوم ليس بشيء
لانه لو كان شيئا لكانت الاشياء غير متناهية وقوله احصى عددها يقتضي كونها متناهية لان الاحصاء
العدد انما يكون في المتناهي فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بان
المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض **سورة المزمل مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
قوله والمزمل مفتوحة الميم مخففة الزاي وهو الذي زمله غيره وبكسر الميم وتخفيف الزاي ايضا
اي المزمل نفسه بحذف المفعول **قوله** لانه كان نائما اي بالليل متزملا في قطيفة فنودي بما يهجن تلك
الحالة وقيل ايها النائم المتزمل بثوبه قم واشتغل بالعبادة وقال ابن عباس رض اول ما جاءه جبرئيل
خاف فظن ان به مسا من الجن فرجع من الجبل مرتعدا وقال زملوني فبينا هو كذلك اذ جاء جبرئيل
وناداه وقال يا ايها المزمل وقال النخعي كان متزملا بقطيفة عائشة رض وكانت مرطا طوله اربعة
عشر ذراعا قالت عائشة رض كان نصفه علي وانا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
والله ما كان خزا ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل عليه ان هذه السورة
مكية

من الضمائر ما بعث نبي الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين الذين يتشبهون بصورة الملك فان جاء شيطان في صورة الملك قال هذا شيطان فاحذره منه

وهو كساء من صوف او خز كان يؤتزر بها صح
الخز اسم دابة سمي الثوب المتخذ من وبره خزا منه

مكية وهذا القول من عائشة رض يدل على انها مدنية لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة و
اجيب عنه بانه يجوز ان يكون عليه الصلوة والسلام قد بات في بيت ابي بكر الصديق رض ذات ليلة وكان بعض
المرط على عائشة رض وهي طفلة والباقي لطوله على النبي عليه الصلوة والسلام فحكت ذلك ام المؤمنين رض
اذ لا دلالة فيه على انها حكاية حال كانت بعد البناء بها روي انه صلى الله عليه وسلم تزوجها في شوال سنة
عشر من النبوة قبل الهجرة بثلث ولها ست سنين واعرس بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين **قوله**
او دام عليها على ان يكون النداء بالمزمل للتحبب وتحسين ما كان عليه وهو الصلوة متزملا بمرط عائشة
رض وعامة القراء على كسر الميم في قم لالتقاء الساكنين وقرئ بضمها اتباعا لحركة القاف وبفتحها
طلبا للخفة والليل ظرف للقيام وان استغرقه لحدث الواقع فيه وحد الليل من غروب الشمس
الى طلوع الفجر وضمير نصفه على تقدير كونه بدلا من قليلا راجع الى الليل وضمير منه وعليه راجعان
الى النصف والمعنى قم الى الصلوة في الزمان المحدود المسمى بالليل الا في الجزء القليل منه وهو نصفه
او انقص القيام من نصفه او زد عليه **قوله** وقلته بالنسبة الى الكل لا بالنسبة الى النصف الاخر لان
النصفين متساويان في المقدار ويجوز ان يوصف النصف المستثنى بكونه قليلا بالنسبة الى النصف المشغول
بالعبادة مع انهما متساويان في المقدار من حيث ان النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة و
الشرف **قوله** او نصفه بدل من الليل بدل البعض من الكل **قوله** الا قليلا مستثنى من قوله نصفه متقدم
عليه كانه قيل قم اقل من نصف الليل كالثلث ثم ان كان الضمير في منه وعليه لما هو اقل من النصف يكون
المعنى انقص من ذلك الاقل والزيادة عليه ويكون التخيير بين ان يقوم فيما هو اقل من النصف وبين ان يقوم
فيما هو انقص من ذلك الاقل وبين ان يقوم فيما هو ازيد منه **قوله** او النصف عطف على قوله الاقل من النصف
فيكون المعنى قم اقل من نصف الليل دائما او يكون الامر في يدك ومفوضا الى اختيارك اما ان تختار القيام
في اقل من نصف الليل واملى ازيد منه وذلك انه لما جعل نصفه بدلا من الليل والا قليلا استثناء من النصف
وجعل الضمير في منه وعليه راجعا الى النصف ثم لم يبق معنا الا الامران اقل من النصف وازيد منه لان
قولنا قم نصف الليل الا قليلا وقولنا او انقص من نصفه متحدان في المعنى وظاهر النظم يقتضي ان يكون هنالك
ثلثة امور لان فيه حرفا عطف ويفهم منه ان يكون التخيير بين ثلثة امور ولم يكن في ذلك اذ ليس هنا الا امران
فقط فلذلك وجه الكلام بان جعل الحاصل من المعطوفين الاخرين وهو اختيار احدهما احد شقي التخيير و
الشق الاخر ما هو المذكور اولا وهو القيام في اقل من النصف وانما كان المعنى ما اشار اليه بقوله والتخيير
بين ان يقوم اقل من النصف على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر **قوله** او الاستثناء من اعداد
الليل عطف على قوله والاستثناء من الليل اي هو الاستثناء من ساعات الليل واجزائه على ان تعريف الليل
لاستغراق اجزائه ويجوز ان يكون لاستغراق افراده فالمعنى قم الليالي جميعا الا قليلا من اعدادها وافرادها

هذا ما عند الفقير في توضيح هذا المقام والكلام بعد يحتاج الى التامل لان التخيير بين النصف على الثبات وبين تمام الاقل من الاقل وبين القيام في الاكثر كونه تخيير او في الاقل والاكثر .. بحصول التخيير بين القيام في الاقل والقيام في الاكثر بهذا المعنى لا بنافي ثبات القيام في الاول وكون القيام في الاكثر مفوضا الى الاختيار فلا فائدة في ابراد الشق الاول من التخيير على تقدير جعله على المعنى المذكور اذ يكفي ان يقال قم الليل الا قليلا نصفه او زد عليه فتامل منه

يتبع لك فيها عذر يمنعك من القيام فيها ثم بين ما يقوم فيه من اجزاء الليل بان خيره بين ان يقوم نصف كل ليلة
او ينقص منه او يزيد عليه فيكون نصفه بدلا من الليل قيل هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها فالنصف
اذا استوى الليل والنهار والنقص منه اذا قصر الليل والزيادة عليه اذا طال الليل قوله ثغر رتل ورتل هو بفتح
التاء وكسرها ثنايا مفلجة متباعد ما بينها بعد استواء نباتها مثل نور الاقحوان يقال ثغر رتل اذا كان بين
الثنايا افتراق قليل وترتيلا مصدر مؤكد للفعل الدال على ايجاب الترتيل والمصدر اكد ايجاب الامر وافاد
انه مما لا بد للقارئ منه ليتمكن بهذه من حضره من التامل في حقائق تلك الايات ودقائقها فعند الوصول الى
ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول الى الوعد والوعيد يقع في الرجاء والخوف فيستنير القلب
بنور معرفة الله وينفتح عليه اسرار الكلام الالهي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بقارئ
القران يوم القيمة فيوقف في اول درج الجنة ويقال له اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا
فان منزلتك عند اخر اية تقرؤها قوله والجملة اعتراض يعني ان قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا معترضة
بين قوله يا ايها المزمل قم الليل وبين قوله ان ناشئة الليل فانه متعلق بالقول الاول مناسب له قد حول
هذه الجملة بينهما بشبه توسط الجملة المعترضة بين اجزاء الكلام فسمي اعتراضا لذلك لا لانه اعتراض
صناعي لعدم تعلق القول الثاني بالاول من حيث الاعراب قوله يسهل التكليف عليه بالتهجد بيان
لفائدة الاعتراض فكانه قال لا تستثقل الامر بالقيام فانك ستلقي اليك قولا ثقيلا وتكاليف شاقة
يسهل عندها قيام الليل وان كان لا جلوس الثقل ومضادة الطبع فيكون فيه دلالة على ما ذكر وايضا
قال انما امرتك بقيام الليل لانا سنلقي عليك قولا ثقيلا اي قولا يثقل العمل به فلا بد لك ان تسعى في صيرورة
نفسك مستعدة لتلقي ذلك القول العظيم ولا يحصل ذلك الاستعداد الا بصلوة الليل فان النفس تستعد بها لقبول
الفيض الالهي من حيث ان الشواغل الحسية والعوائق الجسمانية تكون ساكنة مضمحلة في الليلة
الظلماء فان الانسان اذا اشتغل فيها بعبادة ربه وترتيل كلامه يتنور قلبه ويتنور روحه فيزداد
مناسبته واتصاله بعالم الغيب فيستعد لتلقي المعارف الالهية والالهامات الربانية قوله ويدل على انه
اي التهجد عطف على قوله يسهل والواقع في النسخ التي رايتها مشوق بالميم والظاهر انه تحريف من الناسخين
والاصل شق بكسر الشين وهو المشقة قال الله تعالى لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس يقال شق على الشيء
يشق شقا ومشقة والاسم الشق بالكسر ولم يسمع اشق على فهو مشق يعني ان الفائدة الثانية
للاعتراض الدلالة على ان التكليف بقيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة التي يشتمل عليها القران فعليك
بملازمة هذا التكليف وان تستانس به لئلا يثقل عليك امثاله قوله او رصين اي محكم ثابت وهو
عطف على قوله ثقيل على المكلفين والرزانة الوقار والثقل معنى او ثقله عبارة عن بلاغته واعجازه
بحسب النظم ودقة معانيه وكثرة منافعه فالثقل على الاول راجع الى ثقل العمل به وعلى هذا الى ان جهات
حسنة

قوله لا معنى للتكليف الا الزام ما فيه كلفة ومشقة

حسنة وكماله ثابتة مستقرة لا تزول ابدا كثبوت الشيء الثقيل في محله قوله او على الكفار لانه يهتك
اسرارهم ويبطل اديانهم ويبين انهم اهل النار قوله فيفصم اي يقلع يقال افصم المطر اي اقلع وانجلى
قوله يرفض اي يترشح عرقا وارفضاضها لدمع ترششها وكل متفرق ذاهب مرفض قوله
تنا الى خوص برى نبتها السرى والصوى منها مشرفات القماحد تنانا اي قمنا والخوصاء الناقة
الغائرة العينين والمذكر اخوص وجمعها خوص والني بفتح النون الشحم واللحم يقال ناقة ناوية اي
سمينة ونوى اي سمن وبرى اي اذهب واذاب من برت القلم بريا وبريت البعير اذا حسرته واذهب
لحمه والسرى سير الليل والصوى اي طاطا ونكس وفاعله ضمير السرى والقماحد جمع قمحدوة وهي
القفاء التي هي مؤخر الرأس ومعقد الازار والمعنى قمنا الى نوق غائرات الاعين اذاب شحمها ولحمها
بسير الليل وجعلها مهزولة ضعيفة وجعل السرى قماحدها المشرفة المرتفعة من السمن منخفضة
حتى النزال اي قمنا اليها ورحلناها والناشئة على هذا صفة لمحذوف اي النفس القائمة من مضجعها
بالليل للعبادة قوله او قيام الليل على ان الناشئة مصدر كالعاقبة من نشأ اذا قام قوله
اي تحدث فان الانشاء الاحداث فان كل ما حدث يقال للمذكر منه ناشئ وللمؤنث ناشئة فناشئة
الليل هي الامور التي تحدث في ساعات الليل قوله او ساعات الليل على ان الناشئة صفة ساعات
الليل اي ساعات الليل الناشئة اي الحادثة شيئا بعد شيء الجوهري ناشئة الليل اول ساعاته يقال
انشأ يفعل كذا اي ابتدأ والنشء اول ما ينشأ من السحاب ونشأ الشيء ينشأ اذا ابتدأ وانبل
شيئا بعد شيء فهو ناشئ وانشأه الله فنشأ قال زين العابدين ناشئة الليل ما بين المغرب الى
العشاء وهو قول سعيد بن جبير والضحاك والكسائي قالوا لان ناشئة الليل هي الساعة التي تنشأ
من الليل وقيدها ابن عباس والحسن بما كان بعد العشاء وما كان قبلها فليس بناشئة وخصصها
عائشة رضي بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة وقيل الليل كله ناشئة عن ابن
ابي مليكة قال سالت ابن عباس وابن الزبير عن ناشئة الليل فقالا الليل كله ناشئة قوله
اي كلفة او ثبات قدم تفسير لوطأ بفتح الواو وسكون الطاء وقصر الالف وهو مصدر وطئ
وطئ الشيء اي داسه برجله وجعل عليه ثقله فان النفس القائمة بالليل الى العبادة اشد
وطأ من التي تقوم بالنهار على ان الوطء مصدر من المبني للمفعول لان الواطئ الذي يلقي ثقله
على العابد هو العبادة في الليل فيكون العابد بالليل اشد موطوءا لها من العابد بالنهار وان فسرت
ناشئة الليل بقيام الليل او بالعبادة التي تحدث فيه يكون الوطء مصدرا من المبني للفاعل فان
كل واحد منهما ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة والوطء بمعنى الكلفة والثقل كما في
كلامهم يقال اشتدت على القوم وطأة سلطانهم اذا ثقل عليهم معاملته معهم وفي الحديث اللهم

لا صفة ح

يعني ان الليل وقت ... والنهار ... الصفة ومشقة ... ح

اشد وطاء تك علي مضر فالمقصود من الاية التنبيه علي ان الثواب في قيام الليل علي قدر شدة الوطاة
وثقلها كما قال عليه الصلوة والسلام افضل العبادات احمزها اي اشقها وان كان الوطاء عبارة عن ثبات
القدم واستقراره يكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالامر بالقيام فيه من حيث انه تعالى
جعل الليل لباسا يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب في اكتساب المعاش وجعل النهار معاشا
يباشرون فيه امور معاشهم فلا تثبت فيه اقدامهم للعبادة وقرا ابو عمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو و
فتح الطاء ومد الالف من المواطاة وهي الموافقة يقال واطأت فلانا على كذا مواطاة ووطاء اذا وافقته
فان فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى انها اشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها او
ان فسرت بالقيام او العبادة او الساعات كان المعنى انها اشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها
او من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص قوله واسد مقالا اي ان ناشئة الليل ازيد
من جهة السداد والاستقامة في المقال او من جهة الثبات والاستمرار على الصواب قوله ولهذه الرمزة
يعني ان الظاهر ان يقال وتبتل اليه تبتلا او يقال بتل نفسك عما سواه تبتيلا لكن لم يرد النظم هكذا
لرقيقة وهي ان المقصود بالذات انما هو التبتل والانقطاع اليه وذلك لا يحصل الا بالتبتيل فذكر اولا
التبتل اشعارا بانه المقصود بالذات وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لا بد منه وان كان مقصودا
بالعرض لا بالذات لانه تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله لان المشتغل بغير الله لا يكون
منقطعا الى الله وفيه رعاية الفواصل ايضا قوله خبر محذوف ذكر لكل واحد من قراءتي الرفع والجر
وجهين الوجه الاول في رفع لفظ الرب انه رفع على المدح والتقدير هو رب المشرق فيكون خبر مبتدا محذوف
والثاني مبتدا وخبره الجملة بعده وهي لا اله الا هو والعائد هو الضمير المنفصل والوجه الاول في جره كونه
بدلا من ربك والثاني كونه مجرورا باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول
والله لا احد في الدار الا زيد قوله فان توحده بالالوهية يقتضي ان توكل اليه الامور لان كل ما سواه ممكن
ومحدث وكل ممكن ومحدث فانه ما لم ينته الى الواجب لذاته لم يجب ولما كان الواجب لذاته واحدا كان
جميع الممكنات مستندة اليه ومنتهية اليه وهذا المراد من قوله فاتخذه وكيلا فظهر بهذا ان معرفة انه لا اله
الا هو توجب تفويض كل الامور اليه وان من لا يفوض كل الامور اليه فانه غير عالم بحقيقة لا اله الا هو
ومن اتخذه وكيلا يستريح عن معارضة زيد وعمرو والاغتمام على ما فاته من المقاصد لانه تحقق
عنده ان قيام الله تعالى باصلاح امره احسن من قيامه باصلاح امور نفسه فيقع في دائرة الرضا
والتسليم فيستريح ومهمات العباد لما كانت محصورة في امرين كيفية معاملتهم مع الله تعالى وكيفية
معاملتهم مع الخلق والاول اهم من الثاني فلذلك قدم الله تعالى في اول السورة ذكر ما يتعلق بالاول ثم اتبعه
بما يتعلق بالقسم الثاني وجمع كل ما يحتاج اليه في هذا القسم في الصبر والهجر حيث قال واصبر على ما يقولون

على معنى ان النفس الناشئة بالليل اثبت قدما على العبادة او ان قيام الليل اثبت من قيام النهار لقلة الاشتغال في الليل منه

مكون تبتيلا مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف لا التأكيد لانه لا يفيد ذلك المعنى منه

واهجرهم هجرا جميلا وذلك ان الانسان اما ان يكون مخالطا للناس او مجانبا عنهم فان خالطهم لا
يجد منهم الخير والراحة بل كثيرا ما يجد منهم الايذاء والايحاش فيغتم به بسبب ذلك الغموم والاحزان فلا بد
لاهل الاختلاط من الصبر الكثير وان ترك المخالطة فذلك هو الهجر الجميل بان تخالفهم في افعالهم السيئة
ولا تخاصمهم ولا تسمعهم القبيح وتنصح لمن رجوت منه القبول قوله تعالى والمكذبين يجوز كونه معطوفا على
ياء المتكلم في ذرني ويجوز كونه مفعولا معه والاحسن لان شرط باب المفعول معه ان يكون فعله لازما
حتى يكون ما بعد الواو على تقدير العطف مرفوعا ويكون العدول الى النصب لكونه نصا على المصاحبة فان
العطف لا يدل الا على ان ما بعد الواو يشارك ما قبلها في ملابسة معنى العامل لكل منهما والنصب كما يدل
ايضا على ان ملابسته لهما في زمان واحد فاذا قلت سرت وزيدا بالنصب يكون زيد مشاركا للمتكلم في
ملابسة السير بكل منهما وفي وقوع سيرهما معا واذا قلت سرت انا وزيد بالعطف يكون المعنى مشاركا
لهما في السير فقط ولا يلزم كون السيرين في وقت واحد فظهر ان النصب انما يكون نصا في الدلالة
على المصاحبة اذا كان الفعل لازما قوله اولي النعمة صفة للمكذبين والنعمة بفتح النون التنعم و
بكسرها الانعام وما انعم به عليك وبالضم السرور يقال نعمة عين ونعم عين اي افعل ذلك كرامة لك وقرة
لعينك ومسرة لها قوله تعليل لها من حيث ان تعداد ما عنده من اسباب التعذيب الشديد في حكم بيان
اقتداره على الانتقام منهم والجحيم كل نار عظيمة في مهواة والغصة الشجى وهو ما ينشب في الحلق من
عظم وغيره فلا يساغ وطعاما ذا غصة اي طعاما غير سائغ ياخذ بالحلق لا هو نازل ولا خارج و
معنى الاية ان لنا في الآخرة ما يضاد تنعمهم في الدنيا وهي هذه الامور الاربعة الانكال والجحيم وذلك الطعام
والعذاب الاليم والمراد به سائر انواع العذاب وتنكير العذاب وابهام كيفيته يدل على كونه في نهاية الهول و
الشدة الى ما تقدم عليه قوله تبقى مقيدة بحبها فكانت محبة اللذات البدنية والرغبة فيها كالانكال و
القيود المانعة له من التخلص الى عالم الروح والصفا ثم يتولد من تلك القيود الروحانية نيران روحانية
فان شدة ميلها الى الاحوال البدنية وعدم تمكنها من الوصول اليها توجب حرقة شديدة روحانية
لمن تشتد رغبته في وجدان شيء ثم انه لا يجده فانه يحترق عليه فذاك هو الجحيم ثم انه يتجرع غصة
الحرمان والم الفراق فذاك هو المراد بقوله وطعاما ذا غصة ثم انه بسبب هذه الاحوال يبقى محروما
عن تجلي نور الله والانخراط في سلك القديسين وذلك هو المراد من قوله وعذابا اليما فان كونه محجوبا
من ربه ومحروما عن مشاهدة انوار جلاله وجماله اشد عليه مما سبق قوله فسر العذاب بالحرمان
اي كما فسرت الامور الثلثة المتقدمة بطريق العذاب الروحاني واسبابه وكل ذلك لعدم اختصاص
العقوبات المذكورة بالاجسام غاية ما في الباب ان لفظ الانكال والجحيم والطعام ذي الغصة حقيقة
في العقوبات الجسمانية ومجاز مشهور في العقوبات الروحانية وذلك لا يمنع حمل تلك الالفاظ عليها قوله

بين الحلقوم والمهواة ما بين الجبلين وبحر صحاح الجليس

وصف عليه السلام نفسه في الاولى على انكار الذات بعد عدم اختصاصه بعدمه منه

منثورا اشارة الى ان مهيلا اسم مفعول من هال واصله مهيول كمبيع من باع يقال هلت الدقيق
في الجراب اي صببته فيه من غير كيل وكل شيء ارسلته ارسالا من رمل او تراب او طعام ونحوه قلت
هلته اهيله هيلا فانهال اي جرى وانصب اي تكون الجبال بعد ما كانت اوتاد الارض قطعة مجتمعة من
الرمل لا تتماسك اجزاؤها بل شيئا مصبوبا منثورا اي متفرق الاجزاء بان ينسفه الله تعالى اجزاءها اي
يقلع بعضها عن بعض ويجعلها كالعهن المنفوش فعند ذلك تصير كالكثيب ثم انه تعالى يحركها كما قال
ويوم نسير الجبال وسيرت الجبال فعند ذلك تصير مهيلا قال ابن عباس رضي الله عنه مهيلا اي رملا سائلا
متناثرا وقيل المهيل اذا وطئته بالقدم انهال اي انصب وسال واذا اخذت من اسفله انهال ثم انه
تعالى لما خوف المكذبين اولي النعمة باهوال القيمة خوفهم بعد ذلك باهوال الدنيا فقال انا ارسلنا اليكم
رسولا الآية والخطاب لاهل مكة على العموم لا لاولي النعمة منهم على الخصوص والمقصود تهديدهم
بالاخذ الوبيل والمعنى انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم فعصيتموه كما ارسلنا الى فرعون رسولا
فعصاه وفي اعادة فرعون والرسول مظهرين تفظيع لشان عصيانه وان ذلك لكونه عصيان
الرسول لا لكونه عصيان موسى وفيه ان عصيان المخاطبين افظع وادخل في الذم اذ ازداد
لهذا الرسول وصفا آخر اعني شاهدا عليكم وادمج فيه انهم لو امنوا كانت الشهادة لهم قوله
فكيف تتقون مرتب على الارسال فالعصيان وكان الظاهر ان يتقدم على قوله كما ارسلنا الا انه اخر
زيادة في التهويل اذ علم من قوله فاخذناه انهم ماخوذون مثله واشد فاذا قيل بعده فكيف تتقون
كان زيادة على زيادة كانه قيل هبوا انكم لا تؤخذون في الدنيا اخذة فرعون وامثاله فكيف تتقون
انفسكم هول القيمة وما اعد لكم من الانكال ونحوها ان دمتم على ما انتم دمتم على الكفر قوله ان
كفرتم بحرف الشك اشارة الى ان ارسال هذا الرسول لا يبقي لاحد شبهة تبقيه في الكفر كيف وهو
النور المبين فيكون بقاؤهم على الكفر بعد ارساله حقيقا ان يقدر بتقدير الامور المشكوك وجودها قوله
تتقون انفسكم يدل على انه فسر تتقون بتقون فعداه لذلك الى مفعولين اولهما انفسكم المقدر
وثانيهما يوما فانه اشار بتقدير المضاف حيث قال عذاب يوم الى انه منصوب على انه مفعول به لتتقون
فان وقى يتعدى الى مفعولين قال الله تعالى ووقيهم عذاب الجحيم وفيه بحث لان تتقون مضارع اتقى
واتقى ليس بمعنى وقى فكيف يصح تفسيره به وجعله متعديا بتعديته بل هو متعد الى مفعول واحد وجعل
يوما مفعولا به لذلك لا يقتضي كونه بمعنى تقون بل يصح الجعل المذكور وهو بمعناه بتقدير ما هو المضاف
الى اليوم على معنى كيف تتقون عذاب يوم من صفته كيت وكيت ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا
وبالجملة فتقدير انفسكم لا يظهر له وجه وجملة يجعل الولدان شيبا صفة ليوما والعائد الى الموصوف
ضمير يجعل نسب الجعل الى اليوم للمبالغة لان نفس اليوم لا تاثير له البتة وليس المراد ان هول ذلك اليوم
يجعل

يجعل الولدان شيبا حقيقة لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان بل الكلام مبني على الغرض والمعنى ان هيبة
ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي يعذب لكان اشيب ويرى انه في سن الشيخوخة والحال انه طفل في سن
الطفولية وفيه مبالغة عظيمة في وصف اليوم بالشدة او على التمثيل بان يشبه اليوم في شدة هوله بالزمان
الذي يشيب الشبان لكثرة همومه واهواله فان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع
فيه الشيب لان كثرة الهموم توجب انعصار الروح الى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة
الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الاجزاء الغذائية غير تامة النضج وذلك يوجب استيلاء
البلغم على الاخلاط وذلك يوجب ابيضاض الشعر ومسارعة الشيب فثبت ان كثرة الهموم يورث
مسارعة الشيب كما قيل وهنا امور تشيب الوليد ويخذل فيها الصديق الصديق ويجوز ان يكون
المراد وصف ذلك اليوم بالطول اي انه في طوله بحيث يبلغ الاطفال فيه اوان الشيخوخة والمشيب وهو
لا ينقضي بعد قيل هذا الوجه ضعيف لان ذلك اليوم اطول مما ذكر ويمكن ان يجاب عنه بان هذا على
عادة العرب في التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التابيد وعدم الانقطاع بقولهم
ما ناحت حمامة وما لاح كوكب وما تعاقب الايام والشهور وما لك خالدين فيها ما دامت السموات
والارض والشيب جمع اشيب واصل الشين الضم فكسرت لتصح الياء كحمر احمر والشيب بياض
الشعر ذكر الله تعالى من هول ذلك اليوم امرين الاول قوله يجعل الولدان شيبا والثاني قوله السماء
منفطر به فان السماء على عظمها وقوتها اذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق
قوله على عظمها متعلق بقوله منشق قوله والباء للالة اي للاستعانة كما في قولك فطرت العود بالقدوم
فانفطر به والظاهر انها سببية او بمعنى في اي انها منفطرة في ذلك اليوم قوله والضمير لله تعالى وان لم يجر
له ذكر للعلم به فيكون المصدر مضافا الى فاعله اي ان وعد الله تعالى بكون يوم القيمة على ما وصفه
الله تعالى من الشدائد كائن متحقق لانه تعالى لا يخلف الميعاد وان كان الضمير لليوم كان من اضافة
المصدر الى مفعوله والفاعل هو الله مقدر قوله الايات الموعدة بكسر العين اي الناطقة بالوعيد
فان الايعاد انما يستعمل في الشدة والشر وتلك الايات هي من قوله ان لدينا انكالا الى هنا قوله استعار
الادنى للاقل لانه اراد من الاستعارة المجاز المرسل لان اطلاق الادنى على الاقل من قبيل اطلاق الملزوم
على اللازم من حيث ان اقرب احد طرفي المسافة بالآخر يستلزم قلة ما بينهما من الاحياز و
الحدود قوله عطفا على ادنى اي انك تقوم اقل من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه فيحتمل انهم قد
جربوا بين قيام نصف الليل والزائد عليه كقيام ثلثي الليل والناقص عنه كقيام ثلثه ثم انهم
كانوا يصيبون في قيام النصف والثلث لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يريدون على
النصف والثلث وفي الزيادة اصابة المقصود واما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا

بحث
وقد بينا انه في ذلك اليوم لكن
الولدان تشيبه ما نحن فيه الصغر
لا يكون حقيقة ايضا لان ايصال
الالم والخوف الى الصبيان غير
جائز يوم القيمة فالاولى الحمل على
التمثيل بان يشبه يوم القيمة في
شدة هوله بزمان يجعل الولدان
شيبا فوصف بوصف ذلك الزمان
وان لم يكن فيه الولدان فتامل

فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل انهم قد تحيروا بين قيام الثلث والناقص منه كالربع والزائد
عليه كالنصف ثم انهم اذا ارادوا قيام الربع يزيدون عليه الى الثلث واذا ارادوا قيام الثلث يزيدون
عليه الى النصف واذا ارادوا قيام النصف يزيدون عليه الى ما هو ادنى من الثلثين كل ذلك للاحتياط
فى اصابة المقصود ويحتمل انهم تحيروا بين ان يقوموا فيما هو اقل من النصف على البتات كالثلث وبين
ان يكونوا مخيرين فى قيام الاقل من النصف والاكثر منه ثم انهم قاموا الثلث اختيارا للشق الاول من
التخيير وقاموا النصف احتياطا فى اختياره وقاموا ادنى من الثلثين اختيارا للشق الثانى منه هذا فى
قراء النصب على الاحتمالات الثلث التى ذكرها المصنف فى اول السورة وان قرئ بجر نصفه وثلثه عطفا
على المجرور قبلهما وهو لفظ ثلثى على معنى انك تقوم ان تصلى اقل من ثلثى الليل واقل من نصفه وثلثه يكون مطابقا
للتخيير بين قيام الثلث والربع والنصف وهو الاحتمال الثانى مما ذكر سابقا فان الادنى من الثلثين
هو النصف والادنى من النصف هو الثلث والادنى من الثلث هو الربع ولا يبعد ان يجعل منطبقا على
الاحتمال الاول وهو ان يكون التخيير بين قيام النصف والثلثين والثلث ويكون المقصود انكم وان اجتهدتم
فى قيام المقادير المذكورة لكنه ربما يقع منكم الخطأ فى اصابتها فتقومون اقل منها بناء على انكم لن تحصوا
ولن تطيقوا تقدير الاوقات والساعات فان قيل القيام فى اقل هذه المقادير واجب وان كان القيام فيما
زاد عليه مندوبا فعلى تقدير ان يحمل هذه الاية على كونها منطبقة على الاحتمال الاول على الوجه المذكور
يلزم ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم تاركا للواجب حيث اسند اليه القيام فى اقل من ثلث الليل الذى هو اقل
المقادير ليكون القيام فيه واجبا فالجواب ان تعيين مقدار الواجب وتقديره مفوض الى اجتهادهم فالثلث
فى حقهم ما كان ثلثا فى غالب ظنهم وان كان ذلك ناقصا عن ثلث الليل فى نفس الامر بقدر يسير وظاهر انه عليه
الصلوة والسلام ما ترك القيام فيما هو ثلث بحسب اجتهاده فى مدة بقاء فرضية قيام الليل عليه فقراءة قوله
وثلثه بالجر لا يستلزم كونه عليه الصلوة والسلام تاركا للواجب وانما يستلزمه ان لو كان المراد بالثلث
فيه الثلث بحسب اجتهاده وليس كذلك بل المراد به الثلث فى نفس الامر فلا محذور **قوله** وطائفة
مرفوع معطوف على الضمير فى تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما **قوله** كما هى الا الله يعنى ان العالم بمقادير ساعات
الليل والنهار على حقائقها هو الله تعالى وانتم تعلمون ذلك بالتحرى والاجتهاد الذى يقع فيه الخطأ **قوله** ان
لن تحصوا تقدير الاوقات اشارة الى ان الضمير المنصوب فى لن تحصوه راجع الى مصدر يقدر وان مخففة
من الثقيلة اى علم انه وكذا ان فى قوله ان سيكون مخففة من الثقيلة اى علم ان الامر والشان لن تطيقوا
تقدير الساعات على حقائقها واحتج بعضهم بهذه الاية على وقوع تكليف ما لا يطاق فانه تعالى قال لن تحصوه ثم
انه تعالى قد كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال قم الليل نصفه الاية ويمكن ان يجاب عنه بان المراد
صعوبته لا انهم لا يقدرون عليه اصلا كما يقال لا اطيق ان انظر الى فلان اذا استثقل النظر اليه **قوله** ورفع

ورفع التبعة اشارة الى ان قوله فتاب عليكم استعارة تبعية شبه الترخيص فى ترك ما قدر من قيام
الليل فى رفع التبعة فى تركه كما رفعت عن التائب بقبول التوبة من التائب ثم استعمل لفظ المشبه به و
هو قبول التوبة فى المشبه وهو الترخيص المذكور ثم اشتق منه قوله فتاب اى رخص **قوله** عبر عن الصلوة
بالقراءة على طريق اطلاق اسم الجزء على الكل مجاز امرسلا **قوله** قيل كان التهجد واجبا الى اى قيل كان الواجب
اولا القيام المقدر فلما عسر عليهم اصابة المقدر نسخ فرضية رعاية المقدار المنصوص عليه وبقى اصل الو
جوب فان الامر فى قوله فاقرءوا ما تيسر من القران يدل على وجوب ما تيسر من صلوة الليل الا غير مقدرة
بكونها فى ثلث الليل او ربعه او نحوهما ثم نسخ نفس الوجوب ايضا بالصلوة الخمس لما ورد فى الاحاديث ما يدل
على ان لا وجوب من الصلوة الا الخمس منها ما روى ان الزيادة على الصلوات الخمس تطوع ولانه لما بين
مواقيت الصلوة بمثل قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس الاية وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
الاية وقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى سقط فرضية ما تيسر من الصلوة **قوله** او
فاقرءوا القران بعينه كيف ما تيسر عليكم عطف على قوله فصلوا ما تيسر الخ يعنى ان قوله فاقرءوا اما مجاز
بمعنى فصلوا او حقيقة على انه امر بدراسة القران فى غير الصلوة ليحصل الامن من النسيان والفوز بر[ضا]
الملك المنان وقيل قوله فاقرءوا ما تيسر من القران هو على حقيقة القراءة فى صلوة الليل وقيل فى كل صلوة
واختلف العلماء فى قدر ما يلزمه من القراءة فى الصلوة فقال مالك والشافعى رح فاتحة الكتاب لا يجوز
العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها وقدره ابو حنيفة رح باية واحدة من آى القران كانت
وعنه ثلث ايات لانها اقل سورة **قوله** بالمسافرة للتجارة سوى الله تعالى فى هذه الاية بين درجة
المجاهدين فى سبيل الله والمكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان الى ذوى
الحاجات حيث جمعها فى قرن واحد فدل على ان التجارة بمنزلة الجهاد قال صلى الله عليه وسلم من جلب
يجلب طعاما من بلد الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله تعالى منزلة الشهداء ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون فى سبيل
الله **قوله** وآتوا الزكوة الواجبة قال الامام وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة غيرها وانما و
جبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا على ما روى من انه تعالى افترض
قيام الليل فى اول هذه السورة فقام نبى الله واصحابه حولا مع مشقة عظيمة من حيث انه يعسر عليهم
تمييز القدر الواجب حتى قام اكثر الصحابة الليل كله خوفا عن الخطأ فى اصابة المقدار المفروض وامسك
الله تعالى خاتمة السورة اثنى عشر شهرا فى السماء حتى انزل الله تعالى فى آخر السورة التخفيف بنسخ تقدير القيام
بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية اصل التهجد حسب ما تيسر ودام الامر على ذلك ما دام عليه الصلوة و
السلام بمكة حتى نسخت فرضيته باصله فى المدينة **قوله** او باداء الزكوة على احسن وجه وهو اخراجها و

قال بعض المفسرين كانوا يقومون الليل الا انه تيسر عليهم وذلك على الرجل لا يدرى متى نصف الليل متى ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة ان يخطأ فاشتد ذلك عليهم وانتفخت اقدامهم فخفف الله تعالى عليهم الا انهم وقال علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا تعيين القدر المفروض عليكم

وروى عنه عليه الصلوة والسلام انه قال من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفى لفظ آخر فكانما اعتق رقبة

واكثرها نفعا للفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى احوج الفقراء من الصالحين ووجه
هذا التفسير ان قوله تعالى واتوا الزكوة امر بمجرد اعطائها على اى وجه كان وقوله واقرضوا الله قرضا حسنا ليس
كذلك بل هو امر بالاعطاء المقيد بكونه حسنا وتسمية الانفاق ابتغاء لوجه الله اقراضا استعارة تشبيها له
بالاقراض من حيث ان ما انفقه يعود عليه مع زيادة **قوله** والترغيب فيه الظاهر انه منصوب معطوف على الامر
في قوله يريد به الامر اي ويريد به الترغيب في سائر الانفاقات او في اداء الزكوة على احسن وجه والمقصود
بهذا القول بيان ارتباط قوله وما تقدموا لانفسكم من خير الاية بما قبله **قوله** تجدوه مجزوم على انه جواب
الشرط ولفظ هو تاكيد للمفعول الاول لتجدوه او فصل بينه وبين المفعول الثاني فان ضمير الفصل كما يتوسط
بين المبتدا والخبر قبل دخول العوامل يتوسط بينهما ايضا بعد دخولها وشرطه ان يكون الخبر معرفة او افعل
من كذا لان افعل من يشبه المعرفة في امتناعه من حرف التعريف ومعنى الاية وما تقدموا لانفسكم من خير
مالكم تجدوه عند الله خيرا واعظم اجرا الا انه قال هو خيرا للتاكيد والمبالغة فان ضمير الفصل يفيد التاكيد كما
اذا قلت زيد هو القائم كان المعنى زيد نفس القائم وقرئ هو خير على ان يكون مبتدا وخير خبره والجملة مفعول
ثان لتجدوه وهذا على مذهب من يجعل الضمير الفصل موضعا من الاعراب كما اشار اليه صاحب الكافية بقوله
وبعض العرب يجعله مبتدأ وما بعده خبره ولا موضع له عند الخليل

سورة المدثر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** اي المتدثر وهو اصل المدثر ادغمت التاء في الدال لتقارب مخرجيهما ومعناه
المتغشي بالدثار لينام او ليستدفئ والدثار الثوب الذي يلبس فوق الشعار والشعار ما يلي الجسد
سمي به لانه يماس شعر البدن **قوله** ولذلك قيل الا لاجل ما روي عنه صلى الله عليه وسلم قال صاحب
الكشف وهذه الرواية لا تدل على انه اول سورة نزلت والظاهر انها اقرأ الى قوله ما لم يعلم للاحاديث
الصحاح في ذلك وانها كانت في حراء وهذه بعد الهبوط ولقوله عليه الصلوة والسلام لست بقا
رئ فانه لا يتصور اذا انزل ذلك اولا والا لكان الامتناع منه معصية فالوجه ان يراد اول سورة
في قول من قال انها اول سورة نزلت السورة الكاملة انتهى كلامه واعلم ان بعض اهل التفسير
حمل التدثر في قوله يا ايها المدثر على التدثر بما هو دثار حقيقة الا انهم اختلفوا في سبب ذلك
التدثر فمنهم من قال انه تدثر به بناء على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعبا من الملك
النازل من حيث انه راى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن ان به مسا من الجن فخاف
على نفسه لذلك ومنهم من قال انه عليه الصلوة والسلام تدثر به اغتماما بما سمع ان قريشا اجتمعوا
فقالوا قد اختلفت كلمتنا في الاخبار عن حال محمد صلى الله عليه وسلم فمن قائل هو مجنون ومن قائل
هو كاهن ومن قائل هو شاعر او ساحر ووفود العرب يجتمعون في ايام الحج ويسألون عن امره
فاذا سمعوا منكم هذه الاجوبة المختلفة لا يصدقونكم لعلمهم بان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموه

قد ابصر [illegible] وهي لا [illegible] بين الجنب والكشف [illegible] نزال [illegible] صح

فيجعلون تكذيبهم اياه على التعصب والحسد فسموه باسم واحد يجتمعون عليه يكون اشبه بحاله فقال
الوليد بن المغيرة اني فكرت فيه ثم اخترت ان اسميه ساحرا لان الساحر هو الذي يفرق بين الاب
وابنه وبين الاخ واخيه وبين المرأة وزوجها وشانه كذلك فقبلوا منه ذلك واتفقوا عليه فلما
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع الى بيته محزونا فتدثر بثوبه متفكرا كما يفعله
المغموم وبعضهم قال انه عليه الصلوة والسلام انما تدثر لانه غلب عليه النوم فتدثر واضطجع نائما
فجاءه جبريل عليه السلام وايقظه وقال ان الدنيا اليوم مملوءة من الكفار وانت وحدك وبالغ اداء
قد ارسلت لتدعوهم الى الاسلام وتنذرهم بسوء عاقبة الكفر والطغيان ومن هذا شانه كيف
يليق به التفرغ للاستراحة والتلفف بالدثار فازل عنك الغفلة وكن على جد وصدق عزيمة في
القيام على مقتضى منصبك وانذار قومك وقال البعض الاخر ليس المراد بالدثار ما هو دثار حقيقة بل
المراد به خلعة النبوة تشبيها لها بالدثار من حيث ان كل واحد منهما زينة وشرف لصاحبه
كما يقال البسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم فكانه قيل يا ايها المبعوث للانذار المتدثر
بدثار الرسالة قم لما بعثت له وقيل المراد بالدثار جبل حراء ومعنى تدثره به اختفاؤه فيه اعتزالا
عن الخلق شبه اختفاءه فيه بالتدثر بالثوب فكانه قيل يا ايها المدثر بدثار الاختفاء قم من
زاوية الخمول واشتغل بالانذار وقيل في هذه العبارة لطيفة من جهة المعنى وهي ان النذير اذا
انذر من شدة الامر وهجوم العدو عن قريب يطلع ارفع المواضع ويتجرد عن ثيابه وينادي
قومه يا صباحاه النجا النجا ولما كان عليه الصلوة والسلام متدثرا خاطبه الله تعالى يا ايها
المدثر فكانه يقول بعثتك نذيرا فالتدثر لا ينبغي لشانك وانما اللائق بك ان تكون عريانا كما
قال عليه الصلوة والسلام انا النذير العريان **قوله** وقرئ المدثر بتخفيف الدال المخففة وفتح الثاء المشددة
اسم مفعول من دثره غيره امر الامرا اي غطاه به فهو مدثر به اي مغطى يقال عصب القوم بفلان
اي استكفوا حوله واحاطوا به فهو عصب بهم اي احيط **قوله** من مضجعك هذا على تقدير ان يراد
تدثره عليه الصلوة والسلام بالثوب حقيقة واضطجاعه في مضجعه باحد الاسباب الثلثة المذكورة
اولا **قوله** او قم قيام عزم وجد على ان يراد تدثره عليه الصلوة والسلام بدثار النبوة والاصطفاء
او بدثار الاختفاء بجبل حراء فانه عليه الصلوة والسلام لا اضطجاع له على كل واحد من التقديرين حتى
يكون المعنى قم عن مضجعك فلا بد ان يكون المعنى قم قيام عزم وجد ففي هذا التوجيه رمزة خفية
الى ما ذكره في سورة المزمل من انه عليه الصلوة والسلام سمي بالمزمل تشبيها له في تثاقله بالمتزمل
كما يقال لمن يباشر الامر بالفتور والتواني يا فلان تفعله وانت متزمل اي متلفف متغطى بالشملة فيكون
المقصود بهذا النداء تهييج همته وتقوية عزيمته على الانذار والا فهو عليه الصلوة والسلام برئ عن

التوانی والفتور فیما کلف به قوله مطلق للتعمیم او مقدر بمفعول الخ یعنی ان قوله تعالی فانذر اما
ان یقصد تعلقه بمفعول غیر مذکور ویقصد طلبه من الفاعل مقیدا بهذا التعلق فی تقدیر له مفعول حسبما
تعینه القرینة وتدل علیه ان عاما فعام کما روی عن ابن عباس رض انه قال تقدیره قم نذیرا للبشر لقوله تعالی
وما ارسلناک الا کافة للناس وان خاصا فخاص کما قیل معناه فحذر قومک من عذاب الله ان لم یؤمنوا بقرینة
قوله تعالی وانذر عشیرتک الاقربین واما ان یقصد طلب مطلق الانذار من الفاعل من غیر ان یقصد تعلقه بمفعول غیر
مذکور عام او خاص ومعنی اطلاق اعتباره من حیث هو بان یعتبر عمومه بان یراد جمیع افراده ولا خصوصه بان یراد
بعض افراده ولا تعلقه بمن وقع علیه فضلا عن عمومه او خصوصه واذا کان المطلوب مطلق الانذار ینزل الفعل منزلة
اللازم فلا یقدر له مفعول لان المقدر بواسطة دلالة القرینة علیه کالمذکور فی ان کلا منهما ینافی الاطلاق فقوله تعالی
فانذر اذا حمل علی طلب مطلق الانذار کان المعنی فاشتغل بفعل الانذار وکن فی نفسک نذیرا طریقته والتخلق بما یلیق به
وانواع العزلة عن الناس فلما لم یقصد تعلقه بالمفعول لم یذکر صریحا ولم یقدر ایضا لا عاما ولا خاصا فکان
الانذار فی الآیة کالمناظرة فانه فرق جلی بینه وبین قولک ناظر زیدا فاذا تقرر ما ذکرنا ظهر لک ان قوله مطلق
للتعمیم محل بحث لان التعمیم انما یقصد اذا کان تعلق الفعل بالمفعول العام مقصودا ثم یحذف اعتمادا علی القرینة الدالة
علی المقصود مع قصد الاختصار فان التعمیم یستفاد ایضا مع ذکر المفعول به لکنه یفوت الاختصار فتأمل وقول
صاحب الکشاف والصحیح ان المعنی فافعل الانذار من غیر تخصیص له باحد معناه من غیر تقییده بمتعلق عام و
لا خاص وقول المص للتعمیم لیس بهذا المعنی قوله وخصص ربک مستفاد من تقدیم المفعول قوله عقد ابان
یعتقد انه منزه عن الشرکاء والاضداد والانداد ومشابهة الممکنات والحدثات قوله وقولا بان تقول
الله اکبر قوله لافادة معنی الشرط وهو کون ما بعد الفاء لازما لما قبلها فان الامر کذلک فی جمیع صور الشرط والجزاء
فادخلت الفاء علی فعل الامر الذی قدم مفعوله لتدل علی ان المفعول یستلزم ان یجب علی الفاعل تعلیق فعله به
فکان الجملة الامریة وقعت جواب شرط محذوف والمعنی مهما یکن من شیء فلا تدع تکبیره ای وصفه بالکبریاء
او کدّ فی افادة الاختصاص من زیدا ضربت من جهة التعلیق بالشرط العام الذی هو وقوع شیء ما قوله
او الدلالة ای او هی فاء جواب للامر بالقیام فالانذار یعنی قم فکبر ای فعظم ونزه ربک عما لا یلیق بشأنه فانه
لم یؤمنوا بک ولم یصدقوک فیما تدعوهم الیه من تکبیر ربک فانذرهم یوما کیوم الامم الماضیة فی الدنیا وبالعذاب
الدائم فی العقبی ودلالة فاء الجواب علی سببیة الامر بالقیام للتکبیر وکون التکبیر مقصودا من الامر ظاهر واما
دلالته علی کونه اصل المقصود دون قوله فمحل بحث وانما ذکره لبیان الواقع والمص اخذ هذا الوجه من قول الزجاج
دخلت الفاء لافادة معنی الجزائیة والمعنی قم فکبر ربک وکذلک ما بعده علی هذا التاویل هکذا حکی الامام عنه
فی الکبیر والفرق بین الوجهین ظاهر لمن تأمل وقیل المراد منه التکبیر فی الصلوة قوله فان التطهیر واجب
فی الصلوة فان قبل هذه السورة فی اول المبعث وما کانت الصلوة واجبة فی ذلک الوقت فما وجه الامر برعایة
سنن

عن ان یکون له شریک وصاحبة وولد عما لا یلیق سه

٤٧٤

سنن ابطا من التکبیر والتطهیر اللذین مر اجیب بانه لا یبعد انه کانت له علیه الصلوة والسلام صلوات تطوعیة
فامر ان یکبر فیها او یطهر ثیابه لاجلها وقیل ما کان المشرکون یصونون ثیابهم عن النجاسات فامره الله تعالی
بان یصون ثیابه عنها بناء علی ان تطهیرها محبوب فی جمیع الاحوال وعدم تحفظها عنها من العادات المذمومة
الواجب رفضها قوله بتقصیرها فیکون التطهیر مجازا او کنایة بذکر اللازم وارادة الملزوم فان التقصیر
منه مستلزم للطهارة قال النبی صلی الله علیه وسلم ازرة المؤمن الی انصاف ساقیه لا جناح علیه فیما بینه
وبین الکعبین وما اسفل من ذلک ففی النار جعل علیه الصلوة والسلام غایة طول الازار الی الکعب و
توعد علی ما تحته بالنار قوله او طهر نفسک فان العرب تکنی عن النفس بالثوب یقال المجد فی ثوبه والعز
فی ازاره ای فی نفسه فان الثوب لازم لکل نفس وطهارة الظاهر لازم لطهارة الباطن فالآیة من قبیل
اینفعت لدته ومثلک لا یبخل وقیل فی الکلام حذف مضاف ای ذا ثیابک فطهر یعنی ونفسک قوله والافعال
الذمیمة الدمیمة بالدال المهملة القبیح قوله او فطهر دثار النبوة عما یدنسه علی ان یفسر المدثر بکونه
متدثرا بالنبوة او یکون هو علی حقیقته وانما المجاز فی لفظ الثیاب کما قیل من ان الکفار لما لقبوه
بالساحر شق ذلک علیه جدا حتی رجع الی بیته وتدثر ثیابه اغتماما من ذلک القول فکان ذلک اظهار جزع
وقلة صبر علی ما یسوءه وحقد من ابغضه فقیل له قم فانذر ولا یحملک سفاهتهم علی ترک انذارهم بل
حسن خلقک وطهر دثار نبوتک عن سوء الخلق کالجزع والغضب وقلة الصبر فان ذلک لا یلیق
بذلک الدثار ثم اوضح ذلک بقوله ولربک فاصبر قوله واهجر العذاب فان الرجز فی الاصل هو العذاب
قال تعالی لئن کشفت عنا الرجز ای العذاب ثم انه قد یسمی ما یؤدی الی العذاب رجزا علی تسمیة المسبب باسم
سببه وفی الآیة یجوز حمله علی المعنیین قوله نهی عن الاستکثار نهی تنزیه ای فی حق جمیع الخلق قوله
او نهیا خاصا به ای نهی تحریم فانه من خواصه صلی الله علیه وسلم لما فی الاستکثار من الحرص والبخل فان
اصل البخل الالتذاذ بامساک المال وجمعه ولا یجوز حمله علی نهی التحریم فی الجمیع لان الاستکثار جائز لغیره
علیه الصلوة والسلام لقوله صلی الله علیه وسلم المستغزر یثاب من هبته ای یعوض منها والغزارة الکثرة
یقال غزر الشیء یغزر بالضم فیهما فهو غزیر بمعنی کثر فهو کثیر واحتج من جوز المعاصی علی الانبیاء بهذه
الآیة فقال لولا انه کان مشتغلا بها اولا لما زجر عنها بقوله والرجز فاهجر والجواب ان المراد منه الامر
بالمداومة وتهییج حمیته علی ذلک الهجران کما ان المسلم اذا قال اهدنا لا یرید انا لسنا علی الهدایة فاهدنا
بل یرید ثبتنا علی هذه الهدایة فکذا ههنا قوله او لا تمنن علی الله بعبادتک علی انه من منّ علیه منة اذا
امتن علیه واعتد بما فعله وعلی الاول کان من منّ علیه اذا انعم فقوله تستکثر علی الوجهین مرفوع لفظا
لتجرده عن الناصب والجازم ومنصوب محلا علی انه حال من فاعل لا تمنن کقوله فذرهم فی خوضهم یلعبون
ای لاعبین والسین فیه علی الاول للطلب وعلی الثانی للوجدان وان قرئ بالسکون ففیه وجهان الاول انه

ویقال فلان طاهر الجیب ونقی الذیل اذا وصف بالنقی عن المعایب ویقال فلان دنس الثیاب فی ضده سه

مرفوع لكنه سكن اعتبارا لحال الوقف واجراء للوصل مجرى الوقف والثاني انه بدل اشتمال من تمنن
كانه قيل تمنن لا تستكثر وشان المنان بما يعطيه ان يستكثره اى ان يراه كثيرا وان يعتد به فصح ابداله
منه ويمكن ان يكون مجزوما على انه جواب للنهي على ان يكون المن بمعنى المنة والمعنى لا تمنن بعطيتك تزدد
من الثواب الجزيل لسلامتها من الابطال بالمن حاله ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى **قوله**
وبالنصب على اضمار ان تقديره ولا تمنن ان تستكثره اى لان تستكثره فالمن بمعنى الاعطاء واللام
لام العلة اى لا تعط للاستكثار كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت
مخلدي بنصب احضر **قوله** وعلى هذا اى على تقدير كون اصل الاية ولا تمنن ان تستكثره جاز ان يكون
ارتفاع تستكثر لخلوه عن العوامل اللفظية بسبب حذف ان وابطال عملها لان ان لا تعمل مضمرة الا في
مواضع مخصوصة وهذا الموضع ليس منها وعليه برفع احضر في قوله الا ايها الزاجري احضر الوغى **قوله**
فاستعمل الصبر على ان يجعل فاصبر منزلا منزلة اللازم بان لا يعتبر تعلقه بما يصبر عليه من الطاعات وبما
يصبر عنه من المعاصي **قوله** او على مشاق التكاليف واذى المشركين بان يعتبر تعلقه بهذا المفعول العام
المتناول للكل مصبور عليه ومصبور عنه لكنه ترك ذكره اعتمادا على القرينة وللقصد التعميم مع الاختصار
قوله فاذا نقر شروع في شرح وعيد الاشقياء بعد ارشاد سيد الانبياء صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم اجمعين اتفق المفسرون على ان الناقور هو الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
عليه السلام مرة للاصعاق ومرة للاحياء سماه الله تعالى باسمين احدهما الصور والآخر الناقور
وهو فاعول من النقر بمعنى ينقر فيه الجوهري وقد نقرت بالفرس نقرا وهو صويت يزعجه وذلك ان
تلصق لسانك بحنكك ثم تفتح والقرع صوت يسمع من قرع الابهام على الوسطى وقيل النقر المصفر
ولما كان النقر في الاصل بمعنى القرع والنكت الذي هو سبب لحدوث الصوت ومعلوم ان مباشرة ما هو
سبب لحدوث الصوت راجع الى معنى التصويت وجعل الشيء بحيث يظهر منه الصوت فسر المص النقر
بالتصويت **قوله** والفاء للسببية الظاهر انه ليس على اسلوب قوله تعالى ثم فكبر ربك فان الفاء فيه
للدلالة على سببية الامر بالقيام للتكبير المذكور بعد الفاء وكون الامر بصبره عليه الصلوة والسلام على
اذى قومه سببا لما ذكر بعد الفاء ليس بظاهر بل الظاهر ان المراد سببية ما بعد الفاء لما قبلها قال الفاضل
نجم الدين الرضي الاسترابادي في شرح الكافية وكثيرا ما تكون الفاء للسببية بمعنى لام السببية وذلك
اذا كان ما بعده سببا لما قبلها كقوله تعالى اخرج منها فانك رجيم وتقول اكرم زيدا فانه فاضل وهذه تدخل
على ما هو الشرط في المعنى كما ان الاولى اى الفاء في مثل قولك زيد فاضل فاكرمه دخلت على ما هو الجزاء في
المعنى لان المعنى اذا كان كذا فاكرمه وما بعد الفاء في الاية شرط في المعنى اى اذا كان بين ايديهم يوم عسير
يلقون فيه عقوبة اذاهم وتلقى انت ثواب صبرك عليه فاصبر **قوله** ويومئذ بدل له اى انه مرفوع المحل لكونه

اى اذا سمعت هذه انكاليف من الافعال والتدر فاصبر او على الاجل امر ربك او لوجهه سلمه

بدلا

بدلا من المبتدا او هو ذلك الا انه لما اضيف اليوم الى اذ وهو غير متمكن بني على الفتح فكانه قيل فيوم اذ
نقر فيه يوم عسير **قوله** او ظرف لخبره اى خبر لقوله يوم عسير لان الظرف المستقر ما يتم به الكلام
بان يقع خبرا في الجملة التي كان فيها ولما ورد ان يقال كيف يصح ان يقع يومئذ خبرا عن يوم عسير و
ظرف الزمان لا يقع خبرا الا عن الحدث ولا يقال يوم كذا في يوم كذا اشار الى جوابه بقوله اذ التقدير
فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير يومئذ على ان يكون قوله فذلك مبتدا ووقوع يوم عسير مبتدا
ثانيا ويومئذ خبر المبتدا الثاني وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول ويومئذ يغني غناء العائد لانه بمعنى
فيه وفيه بحث لان الجواب المذكور لا يتم من حيث ان وقوع الزمان في الزمان غير معقول الا يرى انك
لو قلت زمان جلوس الامير في زمان الربيع لكان خلفا والصحيح ان يقال زمانه زمان الربيع
او زمانه الربيع وجوابه انه انما قدر الوقوع تفصيا عن لزوم كون الزمان ظرفا للزمان مع انه لا
يكون ظرفا الا للزمانيات وهو ما كان من قبيل الحدث ويوم عسير ليس بحدث فقدر الوقوع
تفصيا عن ذلك فان عاد السائل وقال وقوع الزمان ليس من الزمانيات فلا يصح جعله مظروفا
للزمان ايضا فللمص ان يجيب بان يقول كل زمان له شان يتعلق به الغرض وكان بحيث يترقب
وينتظر وقوعه كيوم العيد والنيروز وان يجعل موعودا للسعداء والاشقياء بالفوز للاولين
وبالعناء للآخرين كيوم القيمة فانه ملحق بالزمانيات يصح ان يحكم عليه بانه واقع في زمان كذا
وهو شائع في عرف العرب والعجم كما يقال يوم العيد في زمان الربيع اى وقوعه فيه فجعل يوم
العيد مظروفا للزمان لرجوعه الى الحدث وكونه ملحقا به فكذلك اليوم العسير جعل مظروفا لو
قت النقر وهو يوم القيمة لذلك وليس المراد ان يومئذ ظرف للوقوع المقدر حتى يرد ان معمول
المصدر لا يتقدم عليه ولا يجوز ان يكون ظرفا للعسير ايضا لكونه صفة لليوم الذي اضيف
اليه المصدر فكان في صلة المصدر ومعمول ما كان في صلة المصدر لا يتقدم عليه والتصريح بلفظ
الوقوع ابراز لما يرجع اليه المعنى تفصيا عن لزوم كون الزمان ظرفا للزمان برجوعه الى
الحدث لا لتقدير لعامل الظرف ولا يرد ايضا ان يقال كيف يصح ان يخبر عن ذلك الوقت بانه و
قوع يوم عسير والوقوع مباين للزمان فلا يحمل عليه لما ذكر من ان يوم عسير مبتدا ثان خبره
يومئذ وقيل يومئذ منصوب المحل بفعل مضمر وهو اعني تقدير القول فذلك دفعا لاحتمال كونه
اشارة الى النقر المدلول عليه بقوله فاذا نقر وتعينا لكونه اشارة الى وقت النقر فكانه قيل
فذلك اعني يوم اذ نقر يوم عسير ولو جعل ظرفا لما دل عليه الجزاء وهو قوله فذلك يوم عسير لكان
له وجه ايضا كانه قيل فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين يومئذ **قوله** تاكيد يمنع ان يكون عسره
عليهم من وجه دون وجه وذلك لان يسير نكرة في سياق النفي فيعم جميع افراده وفوائدها على

قوله او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك وقوع يوم عسير يعني من شان ظروف الزمان والمكان المنصوبة بتقدير في ان تكون مظروفاتها معاني الافعال ويوم ليس في معنى الفعل فلا ينتصب به يومئذ الا بالتاويل فناويله ان يقدر مصدر مضاف اليه تقديره وقت النقر وقوع يوم عسير يومئذ فيجوز جعل وقوع يوم عسير على وقت النقر على سبيل التجوز من باب اسناد الشيء الى سببه وامارته مح

الكافرين يتعلق بعسير لانه لما لم يجز تقديم المضاف اليه على المضاف كان عدم جواز تقدم معمول
المضاف اليه عليه اولى قوله او ذم اي او انه منصوب على الذم بتقدير اعني وكان يلقب في قومه "
بالوحيد زعما منهم انه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يفتخر بنفسه ويقول ان الوحيد بن الوحيد
ليس له في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير ايضا فسماه الله الذي به تهكما واستهزاء كقوله "
ذق انك انت العزيز الكريم او على معنى انه وحيد في الكفر والخبث والدناءة او لكا راده انه وحيد
عن نسبه اي الذي لا اب له والزنيم من الحق بالقوم وهو ليس منهم قوله مبسوطا كثيرا والمال الكثير
اذا اعتبر يمتد عدة والمال المبسوط في الامكنة الممتدة يمتد بحسبها قال ابن عباس رضي كان
ماله ممدودا ما بين مكة والطائف الابل والخيل والغنم وكان له بالطائف بساتين كثيرة واشجار
وانهار قوله او ممدا بالنماء بان يكون نماء ماله مددا الاصله يقال مددنا القوم اي صرنا مددا لهم
وامددناهم بغيرنا وامددناهم بفاكهة ولما ذكر الله الذي كثرة امواله وبنيه ذكر بتين انبساط "
جاهه ورياسته فان الاولين لا يستلزم الثالث فقال ومهدت له تمهيدا احذف مفعول مهدت
للتعميم مع الاختصار والريحان نبت معروف ويطلق على الرحمة والراحة وعلى الرزق ايضا
قال صلى الله عليه وسلم الولد ريحان الله اي رزقه قوله ثم يطمع ان ازيد اي يرجو ان ازيد في
ماله وولده في الدنيا وقد كفر في وقيل [illegible] جوان ازيد له في الاخرة على ما اعطيته في الدنيا فانه
كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لي ونظيره قوله ارايت الذي كفر باياتنا وقال
لاوتين مالا وولدا قوله انه كان لاياتنا عنيدا اي معاندا كالجليس والاكيل والعشير وفيه
اشارة الى امور كثيرة من صفاته احدها انه كان معاندا في جميع الدلائل الدالة على التوحيد والعدل
والقدرة وصحة النبوة وصحة البعث وما يتفرع عليه وانه كان منازعا في الكل منكرا له وثانيها
ان كفره كفر عناد وانه يعرف هذه الاشياء بقلبه وينكرها بلسانه وكفر المعاند اخس انواع
الكفر وثالثها ان قوله انه كان عنيدا يدل على انه من قديم الزمان كان على هذه الحالة • ورابعها
ان تقديم قوله لاياتنا على قوله عنيدا يفيد ان معاندته مختصة بايات الله وبيناته فتخصيص العناد
بها مع كونه تاركا للعناد في ساير الاشياء يدل على غاية الخسران قوله ساغشيه عاقبة شاقة
شدة ارتفاعها بان الكلفة بذلك كرها على ان يكون الارهاق كلبس الشيء العظيم المشقة يجب تغشيه
المكلف بشدته ومشقته من جميع الجوانب والصعود العقبة الشاقة المصعد وهو خلاف
الهبوط وفي الكلام حذف مضاف تقديره سارهقه ارتفاع صعود وهبوط قوله وهو مثل
لما يلقى من الشدايد يعني قيل ان لفظ الصعود مستعار لما يصيبه من الشدايد وليس في جهنم ما
يسمى عقبة شاقة المصعد حقيقة قوله وعنه عليه الصلوة والسلام اشارة الى ما قيل ان صعودا
لبس

لا ينقطع ثمارها صيفا وشتاء اه

ويؤيده ما قيل من انه ما زال بعد نزول الاية في نقصان ماله حتى هلك وهو فقير لانه لم يتصل به نماء والموجود على الفناء قوله المناسبة للزيادة النعم المالية من الزيادة الدالة اشارة الى ان الردع الدال على عدم الزيادة كناية عن ازالة النعم الموجود كما يدل عليه القول المنقول منه

لبس مسعار ابل هو اسم لعقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت واذا رفعها عادت كما هي وكلما وضع
عليها رجله ذابت واذا رفعها عادت كما هي تمسكا بما روي من الحديث مع ان الاصل في النصوص حملها على
الحقيقة ما لم تكن ضرورة داعية الى ان تحمل على المجاز والمراد بالخريف في الحديث العام وسمي خريفا
لان الخريف آخر العام وفيه يدرك ثمارها وفيه يتم ما يتعلق بتلك العام فصار بذلك كانه العام كلها ونوا
كاسمي لعلة الصورية علة تامة لذلك قوله تعليل للوعيد او الوعيد الآخرة المشار اليه بقوله سارهقه
صعودا الوعد الله الذي ذلك المخلوق الزنيم او لا يجعله محروما مما طمع فيه وتعكس حاله بان يسلب عنه
ما انعم عليه في الدنيا وعلله بكونه الايات رتبه عنيدا ثم بين ما اعد له في الاخرة من العذاب الشديد بقوله
سارهقه صعودا وعلل هذا الوعيد المتعلق بالاخرة بقوله انه فكر وقدر فيما يكون جهة طعن في حق
الفاسق وحيالة الوحش الكاسر لشان القران العظيم وامر النبي الكريم وتردد في ان يصفه بانه قول
مجنون او قول كاهن او قول شاعر او قول ساحر ثم ظهر له ان لا يمكنه ترويج كل واحد من الاقوال الثلثة
لظهور بطلانها عند كل احد وقدر في نفسه ان يقول فيه انه قول ساحر وهيا ذلك وعينه من جملة
ما جبل انه من المطاعن ومعنى كونه علة انه بالغ في الكفر وانكار الحق فبالغ في جزائه بان اعذبه فافصح
العذاب المؤبد قوله او بيان للعناد والظاهر على هذا ان يكون قوله انه كان لاياتنا عنيدا علة متقدمة لقوله
سارهقه صعودا وان يكون معنى قوله ثم يطمع ان ازيد انه يطمع ان ادخله الجنة كما رواه صاحب التيسير
عن الحسن بناء على ما روي عن الوليد انه يقول ان كان محمد صادقا فيما اخبر به من امر البعث والجزاء فما
خلقت الجنة الا لي فيكون قوله كلا قطعا لرجائه عما كان يطمع فيه من ان الجنة لم تخلق الا له وقوله
سارهقه صعودا اخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا تاكيدا للردع السابق وقوله انه كان لاياتنا
عنيدا تعليل لقوله سارهقه صعودا متقدم عليه وقوله انه فكر وقدر بدل من قوله انه كان لاياتنا عنيدا
بيانا للعناد لان في البدل معنى البيان فقول المص تعليل للوعيد مبني على ان يكون معنى قوله يطمع ان ازيد الزيادة
على ما اعطى له في الدنيا كما قررنا اولا وقوله او بيانا للعناد مبني على ان يراد بالزيادة ادخاله الجنة فليتامل
قوله تعجب من تقديره استهزاء به الخ يعني ان لفظ قتل انما يذكر عند التعجب والاستعظام فهو في الاية
يحتمل الوجهين الاول انه تعجب واستعظام لحسن تقديره وثناء عليه بذلك على طريق الاستهزاء على معنى
ان هذا الذي ذكره في غاية الركاكة والسقوط والثاني تعجب واستعظام لقوة خاطره في نفس الامر على
معنى انه لا يمكن القدح في امر محمد صلى الله عليه وسلم بشبهة اعظم ولا اقوى مما ذكره هذا القائل قوله
ردي انه متراكح اشارة الى كونه معاندا في انكاره ايات الله حيث اعترف بانه يعلو ولا يعلى وبان
لا حمله على التفكر والتقدير الطلاوة بضم الطاء وفتحها الحسن والقبول والماء الغدق اي الكثير وكان "
مغدق اي كثير الماء مخصب قوله اعلاه مثمر واسفله مغدق استعارة بالكناية شبه القران الكريم

فانه وان كان حقيقة في الدعاء بالاهلاك لكنه يستعمل في الاستعظام من حيث ان الفعل اذا ارتقى اقصى درجات الكمال يحسد عليه ويقول بذمه ان [illegible] الى سنة في حقه قتل مثله

بالشجرة الفضة الطرية التي استحكم اصلها بكثرة الماء وانمرت فروعها في السماء وانبت له اعلاه واسفل
ولا علاء الاثمار ولاسفله الاعذاق على طريق التخييل فقام اي فقام الوليد واتى قريشا وكلهم انهم تنسبونه
الى الجنون وما رايتموه يخنق وما ذلك بناء على زعمهم ان الجن والشياطين يخنق المجنون والكاهن لا
يخبر عن المبدا والمعاد وانما يخبر عن الحوادث المتعلقة بامر المعاش واني سمعت كلام الشعراء وما
يشبه كلام محمد واحدا منهم وامره وشانه بمعزل عن الكهانة والشعر فقالوا له فما تقول في حقه فاخبرهم
ما قدر في نفسه ان يقول في حقه عليه الصلوة والسلام فقال ما هو الا ساحر وما كلامه الا سحر يفرق به بين
الاحبة فقبلوا منه ذلك ورضوا به قوله تكرير للمبالغة اي في المعنى الذي قصد بايراده او لا من استعظام
حسن تقديره استهزاء او استعظام قوة خاطره فان تاكيد الاستعظام يفيد المبالغة فيه وبعد
ما بالغ في الاستعظام المذكور على احد المعنيين بالتكرير دل بكلمة ثم على ان الكرة الثانية ابلغ في
ذلك من الكرة الاولى يعني ان ثم في قوله ثم قتل للتراخي بحسب الرتبة وفي ما بعده على اصلها اي للتراخي
بحسب الزمان اي ثم اعاد النظر والفكر في امر القران رجاء ان يتضح له ما لم يتضح او لا فلم يتهيأ له
ذلك فلذلك عبس وقطب ما بين عينيه اي جمعه وقبضه وفيه ذلك على انه يعرف بقلبه انه كاذب
وباهت فيما قدر في نفسه ان يقول في حقه عليه الصلوة والسلام وانه انما كذبه عنادا وطغيانا
لانه لو اعتقد صحة ما قدره من الكلام لفرح باستنباطه وادراكه ولما لم يفرح به بل عبس وبسر
علمنا انه كان يعلم ضعف تلك الشبهة يقال عبس وبسر اذا قبض وجمع بين عينيه كراهة للشيء
واسود وجهه منه ووجه باسر اي منقبض اسود كالح متغير وفي التيسير وقيل ثم نظر في وجه محمد
صلى الله عليه وسلم ثم عبس اي تغير وجهه لرؤيته ثم ادبر عن محمد واستكبر عن الانقياد له ثم لبس
فقال ان هذا الا سحر يؤثر اي يتعلم ويؤخذ عن الغير وليس هو من السحرة بنفسه من قولهم اثرت
الحديث واثره اثرا اذا حدثت به عن قوم في اثارهم اي بعد ما ماتوا هذا هو الاصل ثم صار
بمعنى الرواية عمن كان قوله لما خطرت هذه الكلمة بباله يوهم ان قوله فقال معطوف على مقدر
والتقدير وخطر بباله ان يقول في حق القران ما هذا الا سحر يؤثر فقال ذلك القول عقيب خطوره بباله
ولا حاجة الى هذا التقدير فلم لا يجوز ان يكون كلمة ثم للدلالة على ان تفوهه بما وقع عقيب توليه
عن الحق او الرسول عليه الصلوة والسلام وقوله ان هذا الا قول البشر وانما قاله تمردا وعنادا
الا على سبيل الاعتقاد لما روي انه اقر قبل ذلك بانه ليس من قول البشر حيث قال لقد سمعت من محمد
آنفا كلاما ما هو من كلام الانس والجن الخ وسقر ركن من دركات النار وقال ابن عباس رضي
انه اسم للطبقة السادسة من جهنم لم ينصرف للتعريف والتانيث يقال سقرته الشمس
اذا اذابته والمته وسميت بسقر لايلامها قوله بيان لذلك يريد انها جملة مستانفة لبيان وصفها و

قوله فكر بما جاء اي غضبه
عن قولهم احب الحديد
بالنار ان ابا جهل قال للوليد
مبعوث لصب من طعام
محمد واصحابه وبهذه قريش
قد تحجم مالا لكي لتكون لك عوضا
عما تاخذه من اصحاب محمد
فقال والله ما يشبعون وما لي
حاجة الى مال احد ولكني على
تفكر في امره فقام فنادا هم
الخ منه

قوله ثم نظر عطف على فكر
وقدر والدعاء اعتراض
بينهما

وفخامة شانها قوله والعامل فيها معنى التعظيم عامل الحال الجب ان تكون فعلا او شبهه بل يجوز ان
يعمل فيها معنى الفعل اي ما يستنبط منه معنى الفعل من غير ان تكون من صيغة الفعل وتركيبه كالظرف والجار
والمجرور وحرف التنبيه واسم الاشارة ومعنى الفعل ههنا ما الاستفهامية في قوله ما سقر فانه يستنبط منه
معنى التعظيم والتفخيم والمعنى استعظم سقر في هذه الحال قوله لا تبقي على شيء يلقى فيها اي لا ترحم عليه
الجوهري ابقيت عليه اذا رعيت عليه ورحمته انتهى اختلف المفسرون في قوله لا تبقي ولا تذر فقيل
هما لفظان مترادفان بمعنى واحد كرر للتاكيد والمبالغة كقولك صد عني واعرض عني وقيل لابد من الفرق
ثم ذكروا فيه وجوها الاول انها لا تبقي شيئا من اللحم والعظم والعصب والدم الا احرقته ثم يعادون خلقا
جديدا فلا تذر ان تعاود احراقهم باشد مما كانت وهكذا ابدا كلما اعيدوا وهذا رواية عطا عن
ابن عباس رضي وثانيها انها لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا عذبته ثم لا تذر من ابدان اولئك المعذبين
شيئا الا احرقته وثالثها لا تبقي من ابدان المذنبين شيئا الا عذبته ثم لا تذر من قوتها وشدتها وانواع عذابها
شيئا الا وتستعمله في تعذيبهم واربعها ما ذكره المص من انها لا ترحم على شيء يلقى فيها بل تعذبه ولا تدعه
بان تعذبه بصرف بعض قوتها وشدتها وبعض نوع من انواع عذابها بل تبالغ في تعذيبه الى ان تهلكه قوله
مسودة لاعالي الجلد فسر لواحة بمسودة ومغيرة والبشر باعالي الجلد اي ظاهره اشارة الى ان لواحة اسم
فاعل بني للمبالغة من لاحه السفر او العطش اي غيره وهي لواحة اي مغيرة مسودة قيل تلفح وجوههم لفحة
تدعها اشد سوادا من الليل والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد الانسان قوله او لائحة للناس على ان لواحة
اسم فاعل من لاح يلوح اي ظهر وان البشر بمعنى الناس قيل انها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله
وبرزت الجحيم لمن يرى قوله على الاختصاص او على انه حال من سقر والعامل معنى التعظيم كما سبق او من المنوي
في لا تبقي او في لا تذر والجمهور على رفعها بتقدير هي لواحة قوله ملكا او صنفا يريد ان تسعة عشر عدد لجملة
اشخاص من تلي امر سقر ويتسلط على اهلها او لجملة اصنافهم ولا يعلم عدد اشخاص كل صنف الا الله وقيل هؤلاء
التسعة عشر عدد الرؤساء والنقباء واما جملة اشخاصهم كما قال الله وما يعلم جنود ربك الا هو وحكي
عن المفسرين ان خزنة النار تسعة عشر مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي
واشعارهم تمس اقدامهم يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرافة
والرحمة ياخذ احدهم سبعين الفا في كفه ويرميهم حيث اراد من جهنم قوله والمخصص لهذا العدد قال ارباب
الحكمة في وجه تخصيصه ان سبب فساد النفوس الانسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية
اما القوى الحيوانية فهي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنى عشر واما القوى
الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهذه سبعة فالمجموع تسعة
عشر فلما كانت منشاء الافات هو هذه التسعة عشر لا جرم كان عدد الزبانية هكذا والمراد بالقوى الحيوانية

تدرصفحك تسعير البشرة لا بانفي
قوله لا تبقي ولا تذر لانه بعد
الا لقار رقبا والتسعير بقبله منه

القعب شاهر النعم وصاص
تدبيرهم منه

قال ابن الاثير الصياصي قرون البقر
وفي الاساس صيصية الديك مخلب
في ساقه منه

فانه بكل واحد منها نعمة لا نعد ولا تحصى
في استكماله بحسب طبيعته الحيوانية وهو تتوسل بها الى معصية
المنعم بها استوجب عليه الرجوع بمقابلة
كفرانه بكل واحدة من هذه النعم
ملك او صنف من الزبانية

القوى التي تختص الحيوان بين المواليد الثلثة الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة
فالمدركة اي ما لها مدخل في الادراك بالمشاهدة والحفظ عشرة وهي الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس
الباطنة والفاعلة اي ما لها مدخل في الفعل اما باعثة او محركة اثنتان الشهوة والغضب وللقوى الطبيعية هي
القوى التي لا تختص الحيوان بل يوجد في النبات ايضا ثلثة منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة واربع
منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة **قوله** ست منها لاصناف الكفرة كاليهود والنصارى
والمجوس وعبدة الاوثان وعبدة الملائكة وعبدة الشمس اهل كل دركة من دركات الكفار يعذبون فيها
لامور ثلثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل فيكون في كل دركة ثلثة انواع من العذاب بكل نوع منها
يناسب امرا من تلك الامور الثلثة التي هي اسباب كونهم معذبين فيها فيكون في ست دركات جهنم ثمانية
عشر نوعا من العذاب يلي امر كل نوع من هذه الانواع شخص من الزبانية او صنف منها فيكون مجموع اشخاص
الزبانية او اصنافها المسئولون على تعذيب الكفار ثمانية عشر بان يكون في كل دركة ثلثة منها واما دركة
الفساق فانهم لا يخلون فيها الا بترك العمل فيكون فيها نوع واحد من العذاب يناسب تلك الجريمة بتولي
على ذلك النوع الواحد من العذاب ملك او صنف من الزبانية فصار مجموع الزبانية به تسعة عشر **قوله**
او ان الساعات اربعة وعشرون بجعل حصة اعداد الزبانية بكونها تسعة عشر بناء على ان الساعات التي
قد تصرف في المعصية كذلك فلما كانت الساعات المصروفة في المعصية تسعة عشر كانت اعداد من
يتولى تعذيب العصاة تسعة عشر ايضا بان يتولى كل واحد منهم مجازاة المعصية الواقعة في ساعة
واحدة من تلك الساعات **قوله** فيما هو كاسم واحد لان تسعة عشر اصله تسعة وعشرة الا انهم حذفوا الواو
وجعلوا الكلمتين اسما واحدا ولذلك بني الاسم الاول منه على الفتح لكو اخره وسط الكلمة بسبب التركيب
وبني الاسم الثاني ايضا لتضمنه معنى حرف العطف وهذا الاسم المركب في الاية مرفوع المحل بانه مبتداء
وعليها خبره وكثرة الحركات فيما كالكلمة الواحدة توجب الثقل فلذلك اسكن اول الاسم الثاني للتخفيف و
جعل ذلك امارة لقوة اتصال احد الكلمتين بالآخر **قوله** اي تسعة كل عشير جمع اي معاشر جماعة ومدبر
امرهم على ان يكون اعشر جمع عشير بمعنى المعاشر والمصاحب والضامن لتدبير امرهم فيكون بمعنى النقيب
ومبلغ الجماعة غير معلوم ليعلم مبلغهم مع اعشرهم **قوله** ولا يسترو حوا الى ان يجبلوا ولا يا تلفوا
الجوهري استروح اليه اي استنام ثم قال استنام اليه اي سكن اليه واطمئن روي انه لما نزل قوله تعالى عليها
تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم قال ابن ابي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وانتم
الجمع العظيم فقال ابو الاشدين بن اسيد بن كلدة وقيل ابو الاسود بن كلدة وكان من شجعان العرب
واقويائهم وكان اذا قام على اديم واجتمع جماعة على ازالته رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا ايجذبون
الاديم حتى يتقطع قطعا ورجلاه على حالهما انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فلما قال

ابو

صورها بن ضرار عنه كان بمكة يعلم وعبادة ... [illegible] ... قريش ثم قال لهم ان الكفر ... الاوثان فكان ان يعبد ... رسول الله صلى الله عليه وسلم ... نسبة له ... ومنهم ...

ابو جهل وابو الاشدين ذلك قال المسلمون ويحكم لا يقاس الملائكة بالحدادين فجرى هذا مثلا في كل شيئين
لا تساوي بينهما والمعنى لا يقاس الملائكة بالسجانين والحداد السجان الذي يحبس الناس فانزل الله و
ما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليكونوا بخلاف جنس المعذبين فلا يرقوا لهم فان الجنسية مظنة الرأفة
والرحمة فلذلك بعث الرسول المبعوث الينا من جنسنا ليكون له رأفة ورحمة بنا **قوله** فعبر بالاثر عن
المؤثر اي الاصل ان يقال الا سبب فتنتهم ومقتضيها فعبر عن السبب والمقتضي باسم المسبب والاثر
وهو الفتنة بان حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تنبيها على ان احدهما كانه هو الآخر لشدة التلازم
بينهما وحمل الكلام على هذا لان جعل من دواخل المبتداء والخبر فوجب ان يصح حمل مفعول الثاني على الا
ول لا يصح ان يحمل افتتان الكفار على عدد الزبانية الا بالتوجيه المذكور **قوله** وافتنانهم بان استقلالهم
واستهزاؤهم به اي وقوعهم في الكفر بسببه فالاية حجة لنا على انه تعالى يريد الاضلال من حيث انها دلت
على ان المقصود الاصلي من الجعل المذكور انما هو فتنة للكافرين والمعتزلة اجابوا عنه بان المراد من
الفتنة الامتحان حتى يفوض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين الى علم الخالق وهذا من المتشابه
الذي امروا بالايمان به ومنهم من اجاب بان المراد من الفتنة ما وقعوا فيه من الكفر بسبب تكذيبهم
بعدد الخزنة والمعنى الا فتنة على الذين كفروا به وليقولوا ما قالوا او ذلك عقوبة لهم على كفرهم وحاصله
راجع الى ترك الالطاف **قوله** ولعل المراد بالجعل الخ جواب عما يقال انه تعالى علل قوله وما جعلنا عدتهم
الا فتنة باربعة امور ليستيقن الذين اوتوا الكتاب وثانيها ويزداد الذين امنوا ايمانا وثالثها
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب ورابعها وليقول الذين في قلوبهم مرض الخ وبينهم منه انه تعالى جعل افتتان
الكافر بعدد الزبانية سببا لهذه الاربعة لانك اذا قلت جعلت الكتاب متعلقا لينتفع به يكون نسبة تلك
مفعول الجعل الى الاول سببا لما يذكر بعد اللام فما وجه كون جعل الكافر مفتتنا بعدة الزبانية بسببا لتلك
الامور وتقرير الجواب ان الجعل يطلق على معنيين احدهما جعل الشيء متصفا بصفة في نفس الامر
ثانيهما الاخبار باتصافه بها كما في قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا واذا كان المراد
بالجعل في الآية الجعل بمعنى الثاني ظهر وجه السببية فان الاخبار بان عدد الزبانية عدد افتتان الكفار
يصلح سببا للامور المذكورة فان هذا العدد المذكور لما كان موجودا في كتبهم ثم انه عليه الصلوة والسلام
لما اخبر عنه على وفق ذلك من غير سابقة دراسة وتعلم فيظهر عندهم ان ذلك العلم انما حصل بسبب
الوحي الالهي فيستيقنون بنبوته عليه الصلوة والسلام بكون القران كلاما الهيا **قوله** بالايمان به اشارة
الى ان المراد بازدياد ايمانهم ازدياده بحسب الكمية لا ازدياد متعلقه فان ازدياده بحسب الكمية صحيح
واقع حال قيام زمان الوحي على حسب ازدياد متعلقه يوما فيوما فالذين امنوا بجميع ما جاء من
عند الله قبل نزول ما يدل على عدد الزبانية اذا نزل عليهم قوله تعالى عليها تسعة عشر فامنوا به ايضا

اي لم يجعل من جنسكم فقط ليعتبر منهم ... واحد منهم جميعا اعظم ... كان فيه قوة الجن والانس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ... فلا يطيقهم ... منه

وصدقوه فلا شك انهم يزدادون ايمانا قوله او بتصديق اهل الكتاب له اشارة الى ان المراد بالازدياد
ازدياد يقينهم قوة بتصديق اولئك وبموافقة كتابهم بكتاب اولئك كما استيقن اولئك بموافقة كتابهم
لكتابنا قال الامام فان قيل لما اثبت الاستيقان لاهل الكتاب واثبت زيادة الايمان للمؤمنين فما الفائدة
في قوله بعد ذلك ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون الجواب ان المطلوب اذا كان غامضا دقيق الحجة
كثير الشبه فاذا اجتهد الانسان فيه وحصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل
الدقيق فيعود الشك والشبهة فثبوت اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريان الارتياب بعد ذلك
فالمقصود من اعادة هذا الكلام هو انه حصل له يقين جازم بحيث لا يحصل عقيبه شك ولا ريب قوله
فيكون الاية اخبارا بمكة جواب عما يقال كيف يصح ان يفسر المرض بالنفاق والحال ان السورة مكية
من اوائل ما نزل منها ولم يكن بمكة نفاق لان اهلها اما مكذب ظاهرا وباطنا واما مؤمن حقا والنفاق
انما حدث بالمدينة بعد الهجرة اليها وتقرير الجواب ان قوله وليقول المنافقون والكافرون الخ لا يقتضي
تحقق النفاق وقت النزول بل يجوز ان يكون مبنيا على ان علم الله تعالى كان متعلقا بانه سيحدث بعد
فاخبر عما سيكون فعلى هذا يكون هذه الاية معجزة له عليه الصلوة والسلام لانه اخبر عن غيب سيقع و
قد وقع على وفق اخباره قوله المستغرب استغراب المثل اشارة الى ان اطلاق المثل على هذا العدد
على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقدا تاما
كعشرين او ثلثين والاستفهام للانكار والمراد انكار انه من عند الله تعالى بناء على انه لو كان من عنده لما
جاء ناقصا قوله وقيل لما استبعدوه اي لما كان هذا العدد عددا عجيبا ظنوا ان ليس مراد الله تعالى
منه ما اشعر به ظاهره بل جعله مثلا لشيء آخر وتنبيها على مقصود آخر كسائر الامثال فسموه مثلا لذلك
فان قيل القوم كانوا ينكرون كون القران من عند الله فكيف قالوا ماذا اراد الله بهذا مثلا اجيب بان الذين
في قلوبهم مرض ان كان المراد بهم المنافقون فانهم كانوا معترفين في الظاهر بان القران من عند الله فلا جرم
قالوا ذلك باللسان وان كان المراد بهم الكفار فقالوه على سبيل التهكم او على سبيل الاستدلال بان القران
لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام قوله مثل ذلك الاضلال والهدى اشارة الى ان محل الكاف
في كذلك النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي يضل اضلالا مثل ذلك وان ذلك اشارة الى ما تقدم من
الاضلال والهدى والاضلال تقدم ذكره في قوله وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون والهدى في قوله
ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا اي كاضلال الله تعالى ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة
جهنم وعددهم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي ويرشد من يشاء كارشاد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم المعترفين
تسمية الاضلال بمنع الالطاف ومنهم من قال اهتدى قوم باختيارهم عند نزول هذه الايات وضل قوم عند
نزولها كذلك انسب ذلك الى المؤثر في ذلك الاهتداء وذلك الضلال وهو هذه الايات فهو كقوله فزادتهم ايمانا وزادتهم
رجسا

قاطع بالتكذيب او شاك او غير معتقد تصديقا ولا تكذيبا سلمه

رجسا ومنهم من قال انه تعالى يضل من يشاء يوم القيمة عن دار ثوابه ويهدي اليه من يشاء قوله اذ لا
سبيل لاحد الى حصر الممكنات فالمقصود من بيان فرط كثرتها التنبيه على انه لا يعسر عليه تتميم الخزنة عشرين
ولكن له في اختيار هذا العدد حكمة لا يعلمها الا هو او انهم لما استقلوا عدد الخزنة قال تعالى وما يعلم جنود ربك
الا هو والمعنى هب ان هؤلاء تسعة عشر الا ان لكل واحد من الاعوان والجنود ما لا يعلم عددهم الا الله
قوله وما سقر والمعنى وما سقر وذكر صفتها الا تذكرة وعظة للبشر او وعدة الخزنة الا تذكرة لهم
ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله تعالى وانه لا احتياج في تعذيب الكفار والفساق الى اعوان وانصار وانه
ليس ما جعله الله من الجنود من الملائكة وغيرهم لحاجة الى معين وناصر بحيث كلما كثر جنوده كان اقوى
واقدر وذلك لانه هو الذي يعذبهم في الحقيقة وهو الذي يخلق فيهم الالام ولو انه تعالى قلب شعرة واحدة
في عين ابن آدم او سلط الالم على عرق من عروق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة فلا يلزم من قلة عدد
الخزنة قلة العذاب مع ان جنود الله تعالى غير متناهية لان مقدوراته غير متناهية وجعل تقليل عددهم تذ
كرة لهم لهذا المعنى والحاصل ان ذكر سقر وبيان صفاتها من كونها لا تبقي ولا تذر تذكرة للبشر اي انذار لهم
ليتقوا عاقبة الكفر والضلال وذكر عدد خزنتها تذكرة لهم واعلام بانه غالب على امره مستغن عن الا
عوان والانصار والسورة ايضا تذكرة لهم لاشتمالها على الانذار وغيره قوله كلا ردع لمن انكرها الظاهر
ان يكون الضمير المنصوب في انكرها عبارة عن احدى الامور الثلثة التي فسر بها ضمير هي فان من انكر عدة
الخزنة واستهزاء بها واستقلها فهو منكر للنبوة والقران ولما يتعلق بالبعث والجزاء ومجازاة الكفار في سقر
فيصح ردعه عن انكار كل واحد منها ثم ان كان منكر السقر ولكونها من احدى الكبر نذيرا يكون معنى ما بعد القسم
كما ذكره المص وان كان منكرا للسورة يكون معناه انها لاحدى السور الكبر نذيرا وان كان منكر العدة الخزنة
فالمعنى انها من احدى الحجج الكبر نذيرا من قدرة الله تعالى على قهر العصاة من لدن آدم عليه الصلوة والسلام
الى قيام الساعة من الجن والانس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل الا ان آخر كلام المص
يدل على ان ضمير انكرها لسقر واشار به الى ان جعل ضمير هي لسقر اولى كيلا يتفكك الضماير قوله او انكار
لان يتذكروا بها بعد ما بين الله تعالى في نفسها مما يتذكر بها انكر تذكرهم وردعهم به قوله وحفص اذ ادبر
بسكون ذال اذ وادبر على وزن افعل والباقون بفتح ذال اذا والف بعدها ودبر على وزن فعل واذ بالسكون
ظرف لما مضى من الزمان واذا ظرف لما يستقبل منه والرسم محتمل لكليهما ومن اختار اذا قال لان ما بعده
اذا اسفر وايضا هي في مصحف عبد الله مكتوب بالفين بعد الذال احدهما الف اذا والاخرى همزة ادبر وقال
ليس في القران قسم يعقبه اذ وانما يعقبه اذا واختار ابن عباس رض اذ بالسكون ويحكى عنه انه لما سمع دبر
قال انما يدبر ظهر البعير واختلفوا في ان دبر وادبر هل هما بمعنى واحد والادبار نقيض الاقبال والدبور بمعناه
او لكل منهما معنى غير معنى الآخر واختار المص الاول حيث جعل دبر بمعنى ادبر اي انصرف وذهب ومن قال

والعامل في اذ واذا على القراءتين معنى القسم سلمه

أي خلافهما بمعنى فسر دبر الليل أي جاء بعد النهار ودبرني أي جاء خلفي فعلى هذا قوله والليل إذ أدبر
معناه أقبل بعد مضي النهار **قوله** أي البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها ويحتمل أن يكون الألف واللام في الكبر
للعهد والمعهود دركات جهنم وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية نعوذ بالله تعالى
منها ويحتمل أن يكون للجنس **قوله** وإنما جمع كبرى على كبر يعني أن فعلى يجمع على فعال كحبلى وحبال ولا يجمع
على فعل بل يجمع فعلة نحو ركبة وركب فينبغي أن لا يجمع كبرى على كبر لكنه جمع على كبر تنزيلا للكبرى منزلة كبرة
إلحاقا لألف التأنيث بتاء التأنيث كما أن فواعل وفاعلات جمع فاعلة كضاربة وضاربات وضوارب مع
أن قاصعاء جمع قواصع قال في الصحاح شبهوا فاعلاء بفاعلة وجعلوا ألف التأنيث بمنزلة الهاء **قوله**
والجملة جواب القسم فإن القمر في قوله والقمر مقسم به مجرور بواو القسم والليل والصبح معطوفان عليه
وههنا تفصيل وهو أن قوله كلا إن كان ردعا للمنكر يجوز أن يكون قوله إنها لإحدى الكبر جواب القسم
فيكون القسم مع جوابه جوابا للمنكر بعد ردعه عن إنكاره ويجوز أن يكون تعليلا لكلا بأن يكون جوابا للمنكر
مؤكدا بإن واللام كما يقال في جواب أنكر قيام زيد إن زيدا لقائم وفيه تكلف وخروج من الظاهر لأنه يحتاج
إلى جعل القسم معترضا بين كلمة الردع وعلته وإلى جعل جواب القسم محذوفا كأنه قيل ارتدع عن إنكارها لأنها
حقا إنها لإحدى الكبر والقمر والليل والصبح إن الأمر كذلك فيكون كلمة إن في قوله إنها جيء بها لوقوع الكلام جوابا
للمنكر لا لوقوعه جوابا للقسم وإن كان قوله كلا إنكارا من الله تعالى لأن يتذكروا بها تعين أن يكون قوله إنها لإحدى
الكبر جوابا للقسم لأنه لم يسبق إنكار من الغير حتى يكون الجملة المؤكدة جوابا له **قوله** تمييز أي من نسبة
إحدى الكبر إلى اسم إن لأن معناه إنها من معظمات الدواهي التي خلقها الله تعالى للتعذيب فصح أن ينتصب منه
التمييز كما تقول هي إحدى النساء عفافا **قوله** أو حال عما دلت عليه الجملة جعل ذا الحال المحذوف فايدا عليه معنى
قوله إنها لإحدى الكبر وقيل إنه حال من الضمير في إنها وقيل من المنوي في إحدى أو في الكبر وجرد عن التاء مع
أن فعيلا بمعنى فاعل يفرق فيه بين المؤنث والمذكر لكون ضمير إنها في تأويل العذاب أو لكون النذير بمعنى ذات
إنذار على معنى النسب كقولهم امرأة طالق وطاهر **قوله** بدل من للبشر بإعادة العامل كقوله تعالى لمن
يكفر بالرحمن لبيوتهم وللذين استضعفوا لمن آمن وأن يتقدم مفعول شاء أي نذيرا لمن شاء التقدم و
السبق إلى الخير والجنة بالطاعة أو التأخر عنه بالمعصية أي نذيرا للذين إن شاؤوا تقدموا إلى الجنة بالطاعة
ففازوا وإن شاؤوا تأخروا بالمعصية فهلكوا وعبر المص عن هذا المعنى بقوله أي نذيرا للمتمكنين من التقدم و
التأخر فإن قلت قد تقرر أن مفعول شاء وأراد لا يذكر في الكلام الفصيح إلا أن يكون فيه غرابة فأي غرابة فيه
حتى ذكر في هذا الوجه دون الوجه الثاني قلت غرابته أن التقدير والله إنها لإحدى الكبر نذيرا للكافرين المتمكنين
من فعل الطاعة والمعصية فعبر عن هذا المعنى بقوله لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر وهذا المقصود لا
يحصل إلا بذكر المفعول والمعتزلة احتجوا بهذه الآية على كون العبد متمكنا من الفعل غير مجبور عليه وجوابه أن

أن هذه الآية دلت على أن فعل العبد معلق على مشيئته لكن مشيئة العبد معلقة على مشيئة الله تعالى لقوله وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله وحج بهذه الآية حجة لنا عليهم **قوله** ولمن شاء خبر لأن يتقدم فلا يكون أن يتقدم مفعول
شاء بل يكون في محل الرفع بالابتداء ولمن خبره مقدم عليه وشبهه الزمخشري بقولك لمن توضأ أن يصلي ثم قال
ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر ومحصول المعنى أنه لا إلجاء ولا قسر والمكلف مختار في كل ما أتاه أو
تركه فليفعل ما أراده وفيه نوع تهديد فلذلك شبهه المص بحسب المعنى بقوله تعالى فمن شاء فليؤمن الآية **قوله**
ولو كان صفة لقيل رهين لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث لما قال تعالى في سورة الطور كل
امرئ بما كسب رهين وقال ههنا كل نفس بما كسبت رهينة توهم أن رهينة تأنيث رهين من حيث إنه
لما كان خبرا عن المذكر وهو امرئ لم تلحقه التاء وإذا كان خبرا عن المؤنث وهو النفس لحقته التاء ولولا أن رهينة
مؤنث رهين لما كان الأمر كذلك والمص دفع هذا الوهم بأنه ليس بصفة حتى يكون التاء للفرق بين المذكر
والمؤنث بل هو اسم للمصدر الكائن بمعنى المفعول أي اسم لما يرهن والتاء فيه ليست هي التي تكون للفرق
بين المذكر والمؤنث بل هي التاء التي تكون للنقل من الوصفية إلى الاسمية فإن الوصفية إذا غلبت الاسمية عليها
وكانت بحيث لا يحتاج إلى الموصوف ولا يذكر معها الموصوف التي تلحقها التاء دليلا على النقل كالنطيحة و
والذبيحة اسمان لما نطح وذبح وكل فعولة بمعنى مفعول لا يذكر معها الموصوف نحو حلوبة وركوبة وحمولة لكونها اسما
لما يحلب ويركب ويحمل عليه وكل ما لحقته هذه التاء المذكورة يستوي فيه المذكر والمؤنث ويكون ذو التاء وغيره
بمعنى الركوب والركوبة والرهين والرهينة فصح أن يقال لكل امرئ رهينة كما يقال لكل نفس رهينة أي محبوسة ثابتة
من رهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته كذا أي تركته مقيما عنده وثابتا والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون
ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما أوجبه عليه من التكاليف التي هي حق خالص له تعالى فإن أداها المكلف
كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه وإلا بقي نفسه مرهونة محبوسة عنده قال صلى الله تعالى عليه وسلم
كل الناس يغدو فبايع نفسه فإما أن يعتقها أو يوبقها أي يهلكها من وبق يبق وبوقا أي هلك **قوله** وقيل
هم الملائكة أو الأطفال فعلى هذا الاستثناء منقطع لأن النفوس المرهونة هي نفوس المكلفين والملائكة وأطفال
المسلمين ليسوا بمكلفين فلا يجب عليهم حق الله تعالى حتى يكون نفوسهم محبوسة في النار بعقابها بخلاف ما إذا
فسر أصحاب اليمين بأهل الأعمال الصالحة من المؤمنين كما أشار إليه بقوله فإنهم فكوا رقابهم بما أحسنوا من
أعمالهم فإن الاستثناء يكون متصلا وقيل أصحاب اليمين هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم عليه الصلاة
والسلام يوم الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم فإنهم لا
يحبسون بذنوبهم في النار وقيل هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم وقيل معنى الآية كل نفس محبوسة في موقف
الحساب محاسبة بعملها إلا أصحاب اليمين فإنهم يدخلون الجنة بغير حساب **قوله** لا يكتنه وصفها إشارة إلى أن
تنكير جنات للتعظيم **قوله تعالى** في جنات يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هم في جنات وأن يكون حالا من أصحاب اليمين

على هذا الأخف لوجهين الأول
أن الولدان لم يكتسبوا شيئا
والثاني أنه تعالى ذكر في وصفهم
أنهم في جنات يتساءلون عن
المجرمين ما سلككم في سقر و
هذا الأليق بالولدان لأنهم لم
يعرفوا ذنبا وكونه مؤديا إلى
دخول سقر فسألوا ما سلككم
في سقر مسلمه

او من فاعل يتساءلون ويجوز ان يكون ظرفا ليتساءلون مقدما عليه ويتساءلون يجوز ان يكون من التساؤل
الواقع بين اثنين على معنى ان اصحاب اليمين يسأل بعضهم بعضا عن احوال المجرمين ويجوز ان يكون
بمعنى يسألون اي يسألون غيرهم عن احوال المجرمين فان تفاعل قد يستعمل بمعنى فعل كما يقال تداعيناه اي
دعوناه وعلى التقديرين ليس المجرمون مسؤولين بل هم المسؤول عنهم فلا بد من توجيه قوله ما سلككم في سقر
فانه يفهم منه ان اصحاب اليمين سألوا المجرمين بان يقولوا لهم ما سلككم في سقر وان المجرمين اجابوهم بان
قالوا لم نك من المصلين الى الآن هذا المعنى لما اقتضى كون المجرمين مسؤولين وكون كلمة عن في غير موقعها
وجه الكلام بان جعل قوله ما سلككم في سقر مع جوابه حكاية من قبل المسؤولين لما جرى بينهم وبين المجرمين
من السؤال والجواب والمعنى ان اصحاب اليمين لما تساءلوا اما بان سأل بعضهم بعضا او بان سألوا غيرهم عن
المجرمين قال المسؤولون في جواب من سألهم قلنا لهم ما سلككم في سقر فاجابونا بان قالوا لم نك من المصلين الى
الآن الكلام جيء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه ويحتمل ان يكون المراد ان اصحاب اليمين
كانوا يتساءلون عن المجرمين قائلين اين هم فلما رأوهم قالوا لهم ما سلككم في سقر ويحتمل ان يكون يتساءلون
بمعنى يسألون وكلمة عن في قوله عن المجرمين صلة اي زائدة والمعنى يسألون المجرمين ويقولون لهم ما سلككم
في سقر على قصد التوبيخ والتحسر وسلككم اي ادخلكم من قولهم سلكت الخيط في الابرة اي ادخلته فيها **قوله**
لم نك من المصلين بمنزلة قولك زيد في جواب من قال من ضربك اي ضربني زيد لكن حذف الفعل لكونه معلوما و
انما المقصود تعيين الفاعل والمعنى في الآية ايضا سلكنا عدم صلوتنا وكذا وكذا لكن سد قوله لم نك من
المصلين الخ مسد الفاعل الفعل المذكور لكونه دالا عليه **قوله** الصلوة الواجبة مع قوله ما يجب اعطاؤهم
حمل الصلوة والاطعام على الصلوة والزكوة الواجبة لان ما ليس بواجب منهما لا يجوز ان يعذبوا على تركه
قوله في الباطل الخوض في الاصل بمعنى الشروع مطلقا في اي شيء كان ثم غلب في الدخول بمعنى الشروع في
الباطل والقبيح **قوله** اخره لتعظيمه يعني ان تكذيب القيمة وانكاره كفر والامور الثلثة المتقدمة فسوق فينبغي
ان يقدم عليها لكونه اعظم الاسباب المؤدية الى دخول النار والخلود فيها الا انه اخر لكون المقام مقام التدرج من
الادنى الى الاقبح لا يقتضي تأخر الاقبح فلذلك اخره على كونه اعظم القبائح **قوله** لو شفعوا لهم جميعا يريد
انه ليس معنى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين انهم يشفعون ولا تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة يوم
القيمة لا تكون الا لمن ارتضاه الله تعالى واذن فاذا رضيه واذن للشفعاء ان يشفعوا له للشفاعة في حقه
فيشفعوا تقبل الشفاعة فيه بل معناه انه لو فرض وقدر اجتماع الشفعاء على شفاعتهم لا تنفعهم تلك
الشفاعة **قوله** فما لهم عن التذكرة معرضين محل ما رفع بالابتداء ولهم خبره ومعرضين حال من الضمير
المجرور في لهم وعن التذكرة متعلق بمعرضين والعامل في الحال هي اللام الجارة لنيابتها عن الفعل وكانهم
حمر حال بعد حال اي اي شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة مشابهين حمرا مستنفرة بكسر الفاء بمعنى نافرة
فان

لا خلاف في ان الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات مطلقا واما العبادات فهم مخاطبون بها في حق المؤاخذة في الآخرة ايضا لقوله تعالى ما سلككم في سقر واما في حق وجوب الاداء في الدنيا ففيه خلاف صح

الاستفهام للانكار اي للانكار والتعجب لهم في الاعراض عنه وبل يريد اضراب صح

فان استنفر ونفر بمعنى مثل عجب واستعجب وسخر واستسخر وقال الزمخشري كانها تطلب النفار من نفوسها في
انهم جمعوا همتهم نفوسهم للنفار وحملوها عليه فابقى السين على بابها من الطلب وقرئ ايضا مستنفرة بفتح الفاء اي
مذعورة خوفها الصائد كانه طلب منها النفار قيل الكسر اولى نظرا الى قوله فرت للتناسب وان كان قوله
من قسورة يناسب الفتح اذ يفهم منه انها طردها القسورة **قوله** اي اسد سمي القسورة لانه يغلب السباع و
يقهرها قال ابن عباس رضي الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد تهرب اشد الهرب كذلك هؤلاء المشركون اذا رأوا
محمدا صلى الله عليه وسلم يهربون منه كما تهرب الحمار من الاسد ثم قال ابن عباس رضي القسورة هي الاسد بلسان
الحبشة وقال جماعة من التابعين القسورة هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقال الازهري هي اسم جمع
لا واحد له من لفظه وقيل القسورة ركز الناس واصواتهم وفي تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا
ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو اذا خافت من شيء **قوله** من الله الى فلان اي يكون
عنوان ذلك الكتاب من الله تعالى الى فلان بن فلان اتبع محمدا فانه رسول من قبلي اليكم ونظيره لن نؤمن
لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه **قوله** لا لامتناع ايتاء الصحف اي لا لعدم قيام الدليل القاطع
والبرهان القوي الدال على صحة النبوة فانه قد حصلت من المعجزات والدلائل ما فيه كفاية في الاستدلال بها
على صحة النبوة بحيث يكون طلب الزيادة عليها محض مكابرة وعناد والضمير في انه تذكرة وفي ذكره للتذكرة
في قولهم عن التذكرة معرضين وانما ذكره لانها في معنى الذكر او القران كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة
بمعنى الصوت **قوله** وان تذكرة يعني ان تنوين تذكرة للتعظيم اي انه تذكرة بليغة كافية فمن شاء ذكره
اي فمن شاء ان يذكره ويتعظ به ذكره اي جعله نصب عينه فان نفع ذلك راجع اليه وانه يحكى من ذكر **قوله**
وقرأ نافع بتاء الخطاب وهو التفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بياء الغيبة حملا على ما تقدم من
قوله كل امرئ منهم وقوله فما لهم وكانهم وقرئ بالياء والتاء مشددا اي قرئ بهما مخففا **قوله** وهو تصريح
بان فعل العبد بمشيئة الله تعالى وقالت المعتزلة المعنى الا ان يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه والجواب انه تعالى
نفى الذكر مطلقا واستثنى عنه حال المشيئة المطلقة فيلزم منه انه متى حصلت المشيئة يحصل الذكر وحيث
لم يحصل الذكر علمنا انه لم يحصل المشيئة وتخصيص المشيئة بالمشيئة القسرية ترك للظاهر

سورة القيمة مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ادخال لا النافية على فعل القسم
للتاكيد شائع يريد بلا النافية ما في صورة لا النافية بشهادة قوله للتاكيد اي لتاكيد القسم وبادخالها
زيادتها للتاكيد كما انها زيدت في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب لتاكيد العلم وما كان لتاكيد مدخوله لا يدل على النفي
لكن ان ما يكون لنفي مدخوله او لنفي كلام سابق لا يدل على تاكيد مدخوله قال الامام والقول بان لا صلة زائدة ضعيف
عندي من وجوه الاول ان تجويز هذا يفضي الى الطعن في القران لان على هذا التقدير يجوز جعل النفي اثباتا و
الاثبات نفيا وتجويزه يفضي الى ان لا يبقى الاعتماد على اثباته ولا على نفيه وثانيها ان هذا الحرف انما يزاد في وسط

شبهوا في اعراضهم عن القران واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذم لهم وتهجين حالهم ما لا يخفى

ركز بكسر الراء الصوت الخفي

الكلام لا في اوله ثم قال فان قيل لا نم انها انما تزاد في وسط الكلام الا يرى ان امرء القيس كيف زادها في مستهل قصيدته وهو قوله • لا وابيك يا ابنة العامري • لا يدعي القوم اني افر • سلمنا انها لا تزاد في اول الكلام الا ان القران كله كالسورة الواحدة لاتصال بعضه ببعض فيكون اول هذه السورة بمنزلة وسط الكلام والجواب ان قوله لا وابيك قسم على النفي وقوله لا اقسم نفي القسم مثل لا افعل ولا اضرب فلا وجه لقياس لا اقسم على ذلك البيت وقولهم القران كله كالسورة الواحدة معناه مثلها في عدم التناقض وذلك لا يستلزم كونه كلاما واحدا حقيقة مسوما المعنى واحد بل الظ انه مؤلف من عدة كلام متمايزة المبادي والمقاطع ومختلفة المعاني والمقاصد في اول الكلام والمص لم يلتفت الى هذا التضعيف والبحث وقال لا مانع من زيادة لا التاكيد مدخولة في كلام الفصحاء صح ان يجعل لا في لا اقسم زائدة لتا كيد القسم **قوله** ابنة العامري منادى حذف منه حرف النداء اي يا ابنة العامري لا انا لا افر من الحرب وانا متميز بذلك ومشتهر به حتى لا يدعي ذلك احد في حق وجواب القسم في الاية محذوف لدلالة قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه عليه اي اقسم بيوم القيمة وبالنفس اللوامة بان حسبان الانسان ان اهل القبور لا يبعثون احياء بمجموعة عظامهم النخرة باطل بل هم يبعثون ويحاسبون ويجازون بما عملوا وقيل لفظة لا ليست بصلة بل هي نافية حقيقة ثم فيه احتمالان الاول انها واردة لنفي كلام ذكر قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل ليس الامر كما ذكرتم ثم ابتدأ بالقسم فقيل اقسم بيوم القيمة وضعفه الامام ايضا بان قال اعادة حرف النفي مرة بعد اخرى في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة مع ان المراد ماذكروه يقدح في فصاحة الكلام والاحتمال الثاني ان لفظة لا هيهنا لنفي القسم كانه قال لا اقسم عليك بذلك اليوم وبتلك النفس ولكني اسالك غير مقسم ايحسب انا لا نجمع عظامك بعد ما تفرقت وبليت بالموت فان كنت تحسب ذلك فاعلم انا قادرون على ان نفعل ذلك ثم قال وهذا القول اصح ويمكن تقرير هذا القول بغير هذا الوجه وهو ان يقال كانه تعالى يقول لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان هذا المطلوب اعظم واجل من ان يقسم عليه بهذه الاشياء ويكون الغرض من هذا الكلام تعظيم المقسم عليه وتفخيم شانه او ان يقال كانه تعالى يقول لا اقسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان ثبوته اظهر واجلى من ان يحاول اثباته بمثل هذا القسم ثم قال بعده ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه اي كيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد مع ظهور فساده وقيل اصله لاقسم على ان اللام ابتداء دخلت على اقسم فاشبع فتحة لام الابتداء فكان لا اقسم ويشهد على صحة هذا الوجه قراءة ابن كثير لاقسم بلا الف بين اللام وهمزة اقسم على وفق رسمه فانه رسم بلا الف في مصحف عثمان رض وهو امام المصاحف ولم يختلف القراء في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة في انه يقرأ بالف بعد لا لانه لم يرسم الا كذا بخلاف الاول فانه رسم بدون الف بعد لا وكذلك في قوله لا اقسم بهذا البلد لم يختلفوا في انه يقرأ بالف بعد لا وعلى قراءة ابن كثير سواء اشبعت فتحة اللام او لا يكون اقسم خبر مبتدأ محذوف والتقدير لانا اقسم لان لام الابتداء لا تدخل الا على الجملة الاسمية وضعف هذا القول بانه يستلزم اضمار قسم آخر ليكون هذه اللام جوابا

ان لنعش وقوله ايحسب لا يصلح ان يكون جوابا لانه جملة انشائية سلمه

والمقصود من نفي القسم تاكيد ثبوت المطلوب وتحققه فان الكلام قد يؤكد بنفي القسم كما يؤكد باثباته سلمه

جوابا عنه فيصير التقدير والله لا اقسم بيوم القيمة فيكون ذلك قسما على قسم وانه ركيك ولانه يفضي الى التسلسل **قوله** او التي تلوم نفسها ابدا فان النفوس الشريفة لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعة عن الحسن ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه واما الجاهل فانه يكون راضيا بما هو فيه من الاحوال الخسيسة **قوله** كيف لم ازدد اشارة الى ان معنى لوم المؤمن المطيع لربه نفسه وهو في الجنة على طلب العيش والسرور وهو تمني الزيادة في الطاعة لا حقيقة اللوم لانها انما تكون عند الضجرة وضيق القلب وذلك لا يليق باهل الجنة حال كونهم في الجنة **قوله** وضمها الى يوم القيمة جواب عما يقال ما المناسبة بين القيمة وبين النفس اللوامة حتى جمع الله تعالى بينهما في القسم وتقرير الجواب ان نفس البعث والقيمة امر عظيم الشان في نفسه يظهر فيه الاشياء بجلياتها فصح لذلك ان يجعل مقسما به واذا صح ذلك صح جعل النفس اللوامة مقسما بها ايضا لما بينهما من المناسبة التامة من حيث ان المقصود من البعث واقامة القيمة مجازاة النفوس واظهار سعادتها وشقاوتها وهو من بدايع القسم حيث تناسب القسم والمقسم عليه فانه اقسم بيوم البعث وبالنفوس المجزية فيها على حقيقة البعث والجزاء كقول ابي تمام وثناياك انها اغريض كما ذكره المص في سورة الزخرف **قوله** يعني الجنس وقيل المراد به المعهود اي الانسان المكذب بالبعث على الاطلاق لا الانسان المعين ولا جنس الانسان وان في قوله ان لن نجمع عظامه مخففة من المثقلة اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه وبلى ايجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع كانه قيل بلى نجمعها وقادرين حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد بلى اي نجمع العظام قادرين على تاليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول والسلاميات عظام الاصابع والبنانة واحدة البنان وهي اطراف الاصابع ومن قدر على جمعها مع صغرها فهو على جمع الكبار اولى ومن قدر جمع الحواشي والاطراف فهو على جمع الاصول والاساس اقدر **قوله** فيجوز ان يكون استفهاما اي من الارادة بعد الاستفهام عن الحسبان فيكون الاضراب عن نفس المستفهم وهو الحسبان لا عن الاستفهام **قوله** وان يكون ايجابا بان استفهم اولا عن الحسبان ثم اضرب عن الاستفهام وانتقل بهذا الى الاخبار فقوله عن المستفهم او عن الاستفهام لف ونشر مرتب ومعنى الاضراب عن الاستفهام الى الايجاب ظاهر وهو ان ليس منشأ انكاره البعث توهم عجزنا عنه وانما الذي يحمله عليه وهو حب العاجل وشهوة الفجور واما معنى الاضراب عن المستفهم الى مستفهم آخر فهو انه تعالى انكر اولا ان يحسب الانسان انه تعالى عاجز عن جمع اجزاء الميت بعد تفرقها واختلاطها بالتراب وباجزاء غيره فقال بلى قادرين عليه فكانه قال اعنده شبهة تسوقه وتحمله الى انكار البعث وهي عجزنا عن تمييز الاجزاء المتفرقة وتمييز بعضها عن بعض فحاشا ان نعجز عن شيء مما من الامور الممكنة في نفسها ثم اضرب عن استفهام كون انكاره البعث مبنيا على الشبهة الى استفهام كونه مبنيا على ارادة استمراره على الفجور فيما يستقبل من الزمان وان لا يتوب عنه لكونه موافقا لمقتضى طبيعته وشهوته وتفصيل المعنى ان انكار البعث قد ينشأ من الشبهة وقد ينشأ من حب العاجل ومتابعة الشهوة فالله تعالى اشار الى كل واحد منهما اما الى الاول فبقوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه فانه انكار للبعث بناء على شبهة

ولذلك قال الحسن يعني الاية اي اقسم بيوم القيمة ولا اقسم بالنفس اللوامة لنحاسبنكم سلمه

تفريع جواز الاحتمالين على كونه معطوفا على ايحسب بالهمزة محل يحسب فانه ان عطف على ايحسب بالهمزة لا يكون استفهاما بل ايجابا اضرب عن الاستفهام اليه وانما يكون استفهاما اذا عطف على يحسب بلا همزة فيكون استفهاما مثله سلمه

ان الانسان اذا مات واختلطت اجزاؤه باجزاء التراب وتفرقت بالرياح شرقا وغربا فكيف يمكن تمييز
اجزاء كل شخص عن اجزاء غيره وبعثه حتى يتفرع عليه محاسبته ومجازاته بما عمل في الدنيا ثم رد الله هذه الشبهة
بقوله بلى اي نجمع عظامه ونركبها كما كان بعينه يعني انه تعالى عالم بالجزئيات فيكون عالما باجزاء كل شخص متميزا عن اجزاء غيره
وقادرا على كل الممكنات فيلزم ان يكون قادرا على تركيبها ثانيا واما الانكار الناشئ عن حب العاجل والانهماك
في الشهوات فاشار اليه بقوله بل يريد الانسان ليفجر امامه يعني ان الانسان الذي هو اسير بطنه وشهوته لاستيفاء
حظوظه التي هي مقتضى طبعه فتذكرة البعث تكدر عليه ميله الى ذلك وتذكره حبس نفسه الامارة عن اطلاقها في
قضاء شهواتها وتقييدها بالقيود الشرعية فيجد امر البعث ثقيلا مخالفا لمقتضى طبعه فينكره لذلك ويقول على طريق
الاستهزاء والسخرية ايان يوم القيمة فلا ينتهي عن المعاصي ولا يخطر بباله ان يتوب عنها وان خطر يقول سوف اتوب حتى
يأتيه الموت على شر احواله واسوأ افعاله والظاهر ان قوله تعالى يسأل ايان يوم القيمة في موضع الحال من الانسان
في قوله بل يريد الانسان اي ليس انكاره للبعث لاشتباه الامر عليه وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل
يريد ان يستمر على فجوره في حال كونه سائلا متى يكون القيمة ونقل عن ابي البقاء انه قال جملة يسأل ايان يوم
القيمة تفسير وايضاح ليفجر والتفسير يكون بالاستئناف وبالبدل ورفع يسأل يمنع كونه بدلا من ليفجر
لانه لو كان بدلا لانتصب فتعين ان يكون جملة مستأنفة كانه قيل ما يفعل حتى يريد ان يفجر ويميل عن الحق
فقيل يستهزئ ويقول ايان يوم القيمة ويوم القيمة مبتدأ وايان خبره ثم انه تعالى ذكر علامات القيمة فقال
فاذا برق البصر قال الجوهري برق السيف وغيره يبرق من باب نصر بروقا اي تلألأ والاسم البريق وبرق
البصر بكسر الراء يبرق برقا اذا تحير فلم يطرف فاذا قلت برق البصر بفتح الراء فانما تعني بريقه اذا شخص
انتهى وقرأ نافع بفتح الراء والباقون بكسرها فقيل هما لغتان في التحير والدهشة وقيل برق بالكسر
تحير فزعا فصار لا يطرف وبرق بالفتح من البريق اي لمع وتلألأ من شدة شخوصه وارتفاعه يقال
شخص شخوصا اي ارتفع قوله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره يعني ان الاصل فيه ان
الرجل اذا اكثر من النظر الى لمعان البرق فدهش بصره بذلك وتحير يقال برق الرجل ثم يستعمل ذلك في كل
حيرة وان لم يكن هناك نظر الى البرق كما قالوا قمر الرجل يقمر اذا تحير بصره من كثرة النظر الى القمر ثم استعير
في كل حيرة عرض له من كثرة النظر الى كل ما يبرق البصر كالثلج ونحوه ويقال ايضا بعل الرجل في امره اذا
تحير ودهش واصله من قولهم بعلت المرأة اذا فاجأها زوجها فنظرت اليه وتحيرت ثم قيل المراد ببرق
البصر او برقه هي الحالة العارضة له عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم والقولان
الاخيران ظاهر الارتباط بالسؤال عن يوم القيمة ينبغي يكون لان السؤال لما كان عن يوم القيمة كان
المناسب ان يقع الجواب بما يكون عند قيامها كانه قيل يوم القيمة اذا برق البصر وخسف القمر واما
اذا اريد به الحالة الحادثة عند الموت فلا بد من بيان وجه ارتباط السؤال عن يوم القيمة وذلك ان

ان منكر البعث انما سأل ايان يوم القيمة على سبيل الاستهزاء والسخرية فقيل في جوابه ان من استهزأ به اذا
قرب موته وبرق بصره يتضح ان الذي كان عليه من الاستهزاء والانكار خطأ عظيم مستوجب للعذاب
الشديد الدائم فيقول ح اين المفر او قيل في جوابه انه انما انكر البعث واستهزأ به بناء على ان التصديق
به يكدر عليه حلاوة اطلاق النفس في قضاء الشهوات واللذات الجسمانية فاذا قرب موته وبرق بصره
يتضح ان انكاره بالبعث ركونا الى اللذات الدنياوية باطل حيث ادى الى خسران الدارين قوله ولا ينافيه
فيه الخسوف جواب سؤال مقدر وهو ان يقال ان الخسوف يقتضي المقابلة بين الشمس والقمر ليتحقق حيلولة
الارض بينهما فلا يتأتى للقمر ان يستفيد النور من الشمس فيبقى اسود وعدم النور الذي هو معنى خسوف
القمر واجتماعهما في طلوعهما من المغرب ينافي المقابلة بينهما فينافيه الخسوف المبني على المقابلة و
اجاب عنه بان ليس المراد بالخسوف الا المحاق وذهاب النور مطلقا سواء كان ذلك بحيلولة الارض
بينهما او بغير ذلك فان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على ازالة الضوء من القمر في جميع الاحوال
وقرأ العامة وخسف القمر على البناء للفاعل وقرئ وخسف مبنيا للمفعول لان خسف يستعمل لازما و
متعديا يقال خسف القمر وخسفه الله والخسوف قد يكون بمعنى غيبة الشيء وذهابه بنفسه ومنه قوله تعالى
فخسفنا به وبداره الارض وقيل يحتمل ان يكون المراد بخسف القمر خسفه بهذا المعنى وهو ذهابه بنفسه
قوله ولمن حمل ذلك على امارات الموت الاشارة بقوله ذلك الى برق البصر وهو جواب عما يقال ما ذكر في
معنى قوله وخسف القمر وجمع الشمس والقمر انما يستقيم على مذهب من حمل برق البصر على ما هو من امارات
القيمة لانه ح يجتمع الامور الثلثة في زمان واحد كما هو مقتضى عطفها بالواو الجامعة واما على مذهب من حمله
على ما هو من امارات الموت فلا يستقيم ذلك لان ذهاب ضوء القمر واجتماعه مع الشمس فيما ذكر لا يكونان في زمان
برق البصر بذلك المعنى فلا يصح عطفهما عليه بالواو وتقرير الجواب نعم ان الامر كذلك فلا بد من ان يفسر
خسف القمر والجمع بينهما بتفسير آخر فلا ان يجعل القمر استعارة لمحل قوة البصر تشبيها لها بالقمر في ان نورها
مستفاد من الروح بواسطة تصرفه واستخدامه قواه الطبيعية فيما يليق بكل واحدة منها وان يجعل
الشمس استعارة للروح تشبيها للروح بالشمس في ان كمالات القوى البدنية مستندة الى تأثير الروح
وتصرفه فيها كما استناد كمالات عالم الارض الى تأثير الشمس وحركاتها فح يفسر قوله وخسف القمر بان يقال
ذهب ضوء البصر عند الموت وقوله وجمع الشمس والقمر اي اجتمعا في حكم الذهاب وان اختلف طريق الذهابين
فان ذهاب ضوء البصر بمعنى بطلانه واضمحلاله وذهاب الروح بطلان تعلقه بالبدن وانتقاله الى عالم
الآخر قوله او بوصول اشارة الى تفسير آخر للجمع بان يجعل الشمس مستعارا للارواح العالية والعقول
المجردة التي يستفاد منها انوار العقول الانسانية وادراكاتها وان يجعل القمر مستعارا للروح الانساني
فح يكون جمعهما عبارة عن وصول الروح الانساني الى الارواح العالية قوله وتذكير الفعل حيث

[illegible]

لم يقل وجمعت الشمس لتقدمه اي لكونه مسندا الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي وهي الشمس وفي مثله جاز تذكير الفعل
وتأنيثه **قوله** وتغليب المعطوف يعني ان الجمع لم يسند الى الشمس وحدها بل هو مسند الى القمر ايضا بواسطة
الواو العاطفة والقمر مذكر فلذلك غلب جانب التذكير في لفظ الفعل وهذا الوجه لا يصلح بانفراده دليلا
فانك اذا قلت قام هند وزيد لم يجز عند الجمهور الا ان يقال ذكره لتاييده الوجه الاول والمعنى ذكر الفعل
لاسناده الى ظاهر غير الحقيقي مع انه قد عطف عليه مذكر فغلب على المؤنث الغير الحقيقي حكى الامام عن الفراء
انه قال قلت لمن نصر هذا القول هل تقولون الشمس جمع والقمر قال لا بل نقول جمعت فقلت ما الفرق
بين الموضعين فرجع عن هذا القول **قوله** يقول الانسان جواب اذا في قوله فاذا برق واذا ظرف معمول
له واين المفر منصوب المحل بالقول والجمهور على فتح الميم والفاء من المفر على انه مصدر بمعنى الفرار فان مصدر
باب ضرب يضرب مفتوح العين اي يقول هذا الانسان المنكر للقيمة اذا عاين هذه الاحوال اين المفر
من حيث انه لا يرى شيئا من علامات مكنة الفرار كما يقول من ايس من وجدان زيد اين زيد حيث لم يجد
علامات اصابته وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء فيكون اسما لمكان الفرار وهو الموضع الذي يفر اليه ويحتمل
ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ ايضا بكسر الميم وفتح الفاء وهو الشخص الجيد الفرار شخص مطعن ومضرب
اذا كان كثير الطعن والضرب كقول امرئ القيس يصف ٭ مكر مفر مقبل مدبر معا ٭ كجلمود صخر حطه السيل
من عل **قوله** مستعار من الجبل فان الوزر في الاصل الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت اليه وتحصنت
به وزر تشبيها له به اي لا شيء يعتصم به من امر الله وخبر لا محذوف اي ملجأ ثم او في الوجود **قوله** اليه
وحده استقرار العباد اشارة الى ان تقديم الى ربك يفيد الاختصاص وان اللام في المستقر عوض عن المضاف
اليه وانه بمعنى الاستقرار وروح المراد اما استقرار العباد انفسهم على معنى انهم لا يقدرون ان يستقروا الا الى
حيث امرهم الله واما استقرار امورهم على معنى الى حكم ربك يومئذ يرجع امور العباد لا يحكم فيها غيره او
ان المستقر بمعنى مكان الاستقرار فيكون المعنى موضع قرارهم يومئذ من جنة او نار مفوض الى مشيئة ربك
وحده من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله النار والمستقر مرفوع بالابتداء والى ربك خبره ويومئذ
معمول الى ربك ولا يجوز ان يكون معمول المستقر لانه ان كان مصدرا بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه
وان كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام في قوله الى ربك يومئذ المساق ونحوه **قوله** او بما قدم من
عمل وبما اخر من حسنة او سيئة عمل بها بعده فما قدمه هو ما عمله بنفسه من الاعمال خيرا كان او شرا و
لم يبق سنة لمن بعده وما اخره هو ما عمله هو بنفسه من ذلك فابقاه سنة حسنة او سيئة لمن بعده وعلى الا
ول ما قدمه وما اخره ما عمله وما لم يعمله وعلى الثاني ما قدمه من عمل عمله ايام حيوته وما اخره من سنة حسنة
او من سيئة عمل بها بعده وعلى الثالث ما انفق من ماله ايام حيوته وما خلفه لورثته وعلى الرابع ما
عمله مدة حيوته مقدما او مؤخرا او نظيره قوله تعالى فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والظاهر ان هذا

ان هذا الانباء يكون يوم القيمة عند وزن الاعمال حال العرض والمحاسبة ويجوز ان يكون عند الموت وذلك
انه اذا مات يبين له مقعده من الجنة والنار ثم انه لما قال ينبؤ الانسان يومئذ باعماله قال بل لا يحتاج
الى ان يخبره غيره وذلك لان نفسه شاهدة عليه بكونه فاعلا لتلك الافعال **قوله** حجة بينة على اعمالها
اشارة الى ان الانسان مبتدأ وبصيرة خبره وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على اعمال نفسه وان تانيث
البصيرة مع كونها خبرا عن الانسان وهو مذكر مبني على انها صفة موصوف محذوف اي الانسان حجة بصيرة
او عين بصيرة على التشبيه البليغ ووصف الحجة بكونها بصيرة والبصير انما هو صاحبها على الاسناد المجازي ونكتة
المجاز الدلالة على كونها واضحة الدلالة سهلة الاهتداء بها فان الهادي في الطريق اذا كان بصيرا غير اعمى
سهل عليه امر الدلالة وسهل على غيره الاهتداء به فجعلت الحجة بصيرة للاشارة الى كونها سهلة الدلالة و
سهلة الاهتداء بها والمص اشار الى هذا المعنى بقوله حجة بينة بدل حجة بصيرة هذا اذا كان المراد بقوله على
المجاز على الاسناد المجازي حقيقي وعلى تقدير ان يكون المعنى الانسان عين بصيرة على نفسه يحتمل ان يكون
الانسان مبتدأ وبصيرة مبتدأ ثانيا وعلى نفسه خبر الثاني والجملة خبر الاول كقولك زيد على رأسه عمامة
والعائد من الجملة الى المبتدأ الاول ضمير نفسه والبصيرة على هذا الوجه الملك الموكل او الجوارح وقيل تانيث
البصيرة يجوز ان يكون لان المراد بالانسان ههنا جوارحه فكانه قيل بل جوارح الانسان على نفس الانسان
بصيرة وقيل هذه الهاء لاجل المبالغة كقولك رجل راوية وطاغية وعلامة **قوله** على المجاز اي على الا
ستعارة بالكناية بان شبهت الحجة في وضوح دلالتها بالهادي البصير واثبت لها البصارة تخييلا ليكون
دليلا على التشبيه المضمر في النفس كما في قولك انشبت المنية اظفارها **قوله** ولو جاء بكل ما يمكن ان
يعتذر به اي هو على نفسه حجة وهو الذي يشهد عليها ولو اتى بكل عذر في الذنب عنها فان الذنب لا رواج
له يومئذ لانه يوم ظهور الحق بحقيقته ويحتمل ان يكون المقصود منه تاكيد ما فهم من مجموع قوله ينبؤ الانسان
الى كانه قيل يجازى ويعاقب لا محالة ولو اتى بكل عذر وقيل المعاذير بمعنى الستور جمع معذار وهو الستر
بلغة اهل اليمن والمعنى ان احتجابه واستتاره عن المخلوق في حال مباشرة المعصية في الدنيا لا يغني
عنه شيئا لان عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهود وفيه تلويح الى معنى قوله وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم الاية **قوله** وذلك اولى اي كون المعاذير جمع معذار اولى لان بناء الجمع في تكون
على وفق القياس فان المعذرة تجمع على معاذر لا على معاذير **قوله** وفيه نظر لعل وجه النظر ان يقال
كون البناء على وفق القياس انما يكون وجها للاولوية كون معاذير جمع معذار ان لو كان معذار بمعنى
العذر لفظا مستعملا مسموعا وليس كذلك وكونه جمع معذرة وان كان على خلاف القياس الا انه على وفق
الاصل فان الاصل ان يكون بناء الجمع بناء معتبرا من مفرد ملفوظ مستعمل ولفظ معذرة كذلك فالوجهان
متعارضان متساويان لا اولوية لاحدهما على الاخر ولكل واحد منهما ذهب جماعة من النحويين فان

الانباء مجاز مرسل
اريد به العلم والعلم
كناية عن المجازاة
فافهم منه

اي ان جوارحه تشهد عليه قال الله تعالى
يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون قيل
هذا في حق الكفار فانهم ينكرون
ما عملوا فيختم على افواههم و
تنطق جوارحهم منه

منهم من ذهب الى ان مثل هذا الجمع جمع الملفوظ به على خلاف القياس كمذاكير فانه جمع ذكر وهو العضو المعروف ومنهم من ذهب الى ان مثله اسم جمع لغير الملفوظ به بل المقدر فقال ان مذاكير جمع مذكار وان لم يسمع **قوله** قبل ان يتم وحيه اخذه من قوله تعالى في سورة اخرى ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى الیك وحيه وقل رب زدنى علما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه حفظ التنزيل وكان اذا نزل عليه الوحى يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل عليه الصلوة والسلام مخافة ان لا يحفظ فانزل الله تعالى لا تحرك به لسانك اى بالقران وجاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه كما اضمر فى قوله تعالى انا انزلناه فى ليلة القدر **قوله** لتعجل به اى باخذه **قوله** واثبات قراءته فى لسانك بحيث تقرؤه متى شئت وهو اشارة الى ان القران مصدر بمعنى القراءة مضاف الى مفعوله والى ان ثمه مضافا مقدرا **قوله** بلسان جبريل اشارة الى ان اسناد قرانا اسناد مجازى اسند فعل المامور الى نفسه لكونه آمرا والمعنى اذا اقراه جبريل بامرنا وفرغ من قراءته فاقراه ح وكرر كيلا ينفلت منك وكن تابعا فى القراءة ولا تقرا معه **قوله** وهو دليل على جواز تاخير البيان لانه تعالى ذكر البيان بكلمة ثم وهى للتراخى و انما قال عن وقت الخطاب لانه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة الى العمل لانه تكليف بما لا يطاق قال الفاضل سعد الملة والدين فى التلويح وما روى من انه نزل قوله تعالى فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل قوله تعالى من الفجر فكان احدنا اذا اراد الصوم وضع عقالين ابيض واسود وكان ياكل ويشرب حتى يتبينا فهو محمول على ان هذا الفعل كان فى غير الصوم الفرض ووقت الحاجة انما هو وقت الفرض ويجوز تاخيره عن وقت الخطاب مطلقا اى سواء كان البيان تفصيليا او اجماليا بان يقترن باللفظ ما يشعر بانه ليس المراد من اللفظ ما يقتضيه ظاهره مثل ان يقترن به ما يشعر ان المراد بهذه النكرة فرد معين وبهذا العام خاص وبهذا المطلق مقيد وبهذا اللفظ المعنى المجازى ونحو ذلك ومنعت المعتزلة جواز تاخيره عن وقت الخطاب مطلقا تفصيليا كان او اجماليا وجوزه الشيخ ابو الحسن الاشعرى تاخير البيان التفصيلى ولم تجوز تاخير البيان الاجمالى وحمل البيان المذكور فى هذه الاية على البيان التفصيلى واجاب عنه المص فى المنهاج بان تقييد البيان المذكور بالتفصيلى تقييد بلا دليل لانه ذكر مطلقا ولم يوجد ما يقتضى تقييده والمعتزلة حملوا الكلمة ثم فى الاية على الترتيب فى الاخبار لا فى الوجود اى ثم نخبرك انا نبين معناه لك كما انزلناه عليك **قوله** وهو اعتراض بما يوكد التوبيخ على حب العجلة زعم قوم من قدماء الروافض ان هذا القران قد غير وبدل وزيد فيه ونقص عنه واحتجوا عليه بانه لا مناسبة بين هذه الاية وبين ما قبلها ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الامر كذلك فالمص اشار الى بيان المناسبة بوجوه الاول ان قوله تعالى لا تحرك به

دلت الاية على انه عليه الصلوة والسلام يقرا القران مع جبريل والسلام يقرا فى اثناء قراءته وكان يسال فى اثناء قراءته وكان يسال عن مشكلاته ومعانيه لغاية حرصه على العلم فنهى عن الاول بقوله فاذا قراناه فاتبع قرآنه وعن الثانى بقوله ثم ان علينا بيانه منه

الفعال الحبل

به لسانك الى اعتراض بين قوله بل يريد الانسان ليفجر امامه وقوله كلا بل تحبون العاجلة تاكيدا لما تضمناه من التوبيخ على حب العاجلة فانهما مشتركان فى ذلك اما ذكر الكلام الاخير فهذا المعنى ظاهر واما اعادة الكلام الاول اياه فلما مر من ان المعنى ان انكار الكفرة للبعث ليس من جهة اشتباه الحق عليهم لعدم قيام الدليل على صحته ووقوعه بل لان شدة حرصهم على قضاء الشهوات العاجلة صرفهم عن النظر فى ذلك الدليل فانكروا البعث لذلك فلما كان مؤداهما التوبيخ على الاهتمام بعاجل الامر مع فنائه وتاثيره الى هجران الابد والاعراض عن الآجل منه مع انه سعادة باقية وسط هذا الكلام بينهما وبين به ان العجلة مذمومة حتى فى امر الدين تاكيدا لما تضمناه فكانه قال لا تقتفى آثارهم بان تهتم بعاجل الحال فتستعجل فى اخذ القران وتتابع جبريل فى القران خوفا من فواتها وكن على يقين باجل الحال فانا ضمنا ان نجمعه فى صدرك ونسهل قراءته على لسانك متى شئت ثم اراد ان يردع بنيه عليه الصلوة والسلام ويبكر عادته العجلة على وجه لا يوحشه ولا ينفره فاورد كلمة كلا واضرب عن كون الاستعجال امرا اختياريا ينهى عنه ويوبخ عليه بل هو بمنزلة الامر الطبيعى الذى جبل عليه الانسان وعمم الخطاب له عليه الصلوة والسلام ولغيره فقال بل تحبون العاجلة الخ **قوله** او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الايات عطف على قوله بما يوكد التوبيخ على انه وجه ثان لاعتراض قوله لا تحرك به لسانك بين الكلامين المسوقين لذكر احوال القيمة وتقريره ان استعجاله النبى صلى الله عليه وسلم فى اخذ القران لفظه وقع عند نزول هذه الاية الكريمة عليه فلا جرم نهى عليه الصلوة والسلام عن ذلك الاستعجال حيث وقع ثم جىء الى بيان المقصود وهذا كما ان المتعلم اذا التفت يمينا وشمالا فى اثناء تعلمه من الاستاذ يقول الاستاذ فى اثناء الدرس لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود الى الدرس فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام فى اثنائه فمن لم يعرف السبب يقول ان وقوع تلك الكلمة فى اثناء ذلك الدرس غير مناسب لكن من عرف الواقعة علم انه حسن الترتيب **قوله** وقيل فى وجه ارتباطه بما قبله ان الخطاب فى لا تحرك به لسانك ليس مع الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو خطاب مع الانسان المذكور فى قوله ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم واخر فانه اذا عرض عليه كتابه وقيل له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فاخذ فى القراءة يتلجلج لسانه من شدة الخوف ومن سرعة القراءة فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فانه يجب علينا بحكم الوعد او بحكم الحكمة ان نجمع اعمالك عليك وان نقراها عليك فاذا قراناه فاتبع قرانه بالاقرار بانك فعلت تلك الافعال ثم علينا بيان امره وشرح مراتب جزائه قال الله تعالى يقرر على الكافر جميع اعماله على سبيل التفصيل وفيه اشد الوعيد فى الدنيا واشد التهويل فى الاخرة وهذا الوجه ذكره القفال ثم قال وهذا وجه حسن ليس فى العقل ما يدفعه وان كانت الآثار غير واردة به وكلمة على للوجوب فقوله تعالى ان علينا يدل على ان ذلك كالواجب على الله تعالى اما على مذهبنا فذلك الوجوب بحكم الوعد

بعد تخصيصه فى قوله لا تحرك الى بل تحبون بامن يصلح ان يكون مخاطبا كما فى قوله ولو ترى منه

التلجلج التردد فى الكلام الى التلجلج المضغة فى فيه يقال يتلجلج اللقمة فى فمه اى يتردد فيها للمضغ منه

واما على قول المعتزلة فلان المقصود من البعثة لا يتم الا اذا كان الوحي محفوظا مبرا عن النسيان فكان
ذلك واجبا نظرا الى الحكمة قوله واثبات قرائته في لسانك اي انا سنقرئك يا محمد الى ان تصير لا تنسى و
هو كقوله سنقرئك فلا تنسى وقيل معنى قوله علينا قرانه ان جبريل سيعيده عليك حتى تحفظه فالقارئ هو
جبريل وعلى الوجه الاول القارئ هو محمد صلى الله عليه وسلم قوله وان كان الخطاب للانسان التفاتا عن
الاخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه بالخطاب قال الفراء القران اذا نزل تعريفا لحال القوم فتارة
ينزل على سبيل المخاطبة لهم وتارة على سبيل المغايبة كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وهذا الوجه
مغاير لحمله على تعميم الخطاب من حيث ان الكلام اذا حمل على تعميم الخطاب لا يكون فيه التفات بل هو من قبيل
تغليب المخاطب غيره قوله ويؤيده القراءة بالياء فيهما فان بناءهما ليس الا لاسناد الفعل الى ضمير الانسان المذكور
قبلهما فدل ذلك على انه اذا قرئ بتاء الخطاب يكون الخطاب للانسان ايضا وقال الزمخشري القراءة بيا الغيبة
ابلغ وذلك لان فيه التفاتا واخراجا له عليه الصلوة والسلام عن صريح الخطاب بحب العاجلة مع تضمنه طرفا
من التوبيخ على سبيل الرمز لطافة مكانه في شانه عليه الصلوة والسلام واما اذا قرئ بتاء الخطاب ففيه
تغليب المخاطب ولا التفات فيه قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة قيل وجوه يومئذ ناضرة
نعت له ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة خبره والى ربها متعلق بالخبر والمعنى ان الوجوه البهيجة اي الحسنة
المتلالئة من كثرة النعيم يومئذ اي يوم القيمة ناظرة الى الله تعالى والنضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك
من اثر النعيم والناضر الناعم الغض الحسن من كل شيء والبهاء الحسن يقال بهي الرجل وبهو ايضا
فهو بهي وقيل وجوه مبتدا وناضرة خبر ويومئذ منصوب بالخبر وسوغ الابتداء بالنكرة كون الموضع موضع
تفصيل الاحوال الواقعة يومئذ والى ربها ناظرة خبر بعد خبر قوله وليس هذا في كل الاحوال جواب عما يقال
كيف يصح ان يفسر النظر بالرؤية وقد تقرر ان تقديم المفعول يفيد الاختصاص فيكون المعنى انها ترى ربها خاصة
ولا ترى غيره ومن المعلوم انهم يرون اشياء لا تحصى في موقف القيمة فان المؤمنين لكونهم الآمنين الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون نظارون في ذلك اليوم وتقرير الجواب ظاهر وفيه بحث لان التقييد ببعض
الاحوال تقييد بلا دليل مناف لمقام المدح المقتضي لعموم الاحوال وغير مناسب لقوله تعالى وجوه يومئذ
ناضرة لعمومه في الاحوال والاولى ان يقال التقديم لا يتعين كونه للاختصاص لاحتمال كونه للاهتمام
ورعاية الفاصلة ولو سلم فالمعنى ان النظر الى غيره في جنب النظر اليه لا يعد نظرا كما في قوله زيد
الجواد قوله وفيه منتظرة انعامه اي من المعتزلة المنكرين للرؤية من فسر النظر بالانتظار كما في
قوله فناظرة بم يرجع المرسلون اي فمنتظرة وقوله انظرونا نقتبس من نوركم ما ينظرون الا صيحة واحدة
وقوله انعامه اشارة الى ان من فسره بالانتظار جعل الى اسما مفردا بمعنى النعمة مضافا الى الرب
وفي الصحاح الالاء النعم واحدها الا بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء مثاله معا وامعاء فيكون
مفعولا

اي وجوه كثيرة وهي وجوه
المؤمنين المخلصين يوم
ان تقوم القيمة بهيجة
متهللة تشاهد عليها
نضرة النعيم على ان وجوه
مبتدا وناضرة خبره و
يومئذ منصوب بناضرة
وناظرة خبر ثان الخ

مفعولا مقدما لقوله ناظرة بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ ناضرة منتظرة نعمة ربها ورد
هذا القول بوجهين الاول ان الانتظار لا يسند الى الوجه سواء اريد به معناه الحقيقي او اريد به
العين بطريق ذكر المحل وارادة الحال فان قيل فليكن الوجه بمعنى الذات وجملة الشخص فان
نحو الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر به عن الكل ولا يخفى انه يصح اسناد الانتظار الى الكل
اجيب بانه خلاف الظاهر فلا وجه للعدول اليه مع تاتي الوجه الواضح المستقيم والوجه الثاني ان النظر
بمعنى الانتظار لا يتعدى بالى فان كلمة الى تصحب نظر العين ولا تصحب النظر بمعنى الانتظار فان
قيل نظرت اليه انما يراد نظر العين واذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته ولا يخفى ان هذا الرد
انما يتوجه على تقدير ان يكون كلمة الى حرف جر واما اذا كان اسما بمعنى النعمة كما اشار اليه انعامه
فلا وجه ان يكون قوله منتظرة انعامه اشارة الى ان قوله الى ربها مبني على تقدير المضاف وهو توجيه آخر
للاية من قبل منكري الرؤية مع قطع النظر عن كون النظر بمعنى الانتظار تقريره انه لما امتنع
تعلق الرؤية به تعالى حقيقة تاول الاية بان تقول معناها ناظرة الى ثواب ربها وانعامه غاية
ما في الباب ان المص جمع بين كون النظر بمعنى الانتظار وبين تقدير المضاف واجيب عن الوجه
الثاني من وجهي الرد بان النظر بمعنى الانتظار انما يتعدى بنفسه بان يقال نظرته بغير صلة اذا
كان الانتظار لمجيء الانسان بنفسه واما اذا كان الانتظار لرفده وانعامه فقد يقال فيه
نظرت اليه كقول الرجل انما نظري الى الله ثم اليك واجيب عنه ايضا بمنع كون الى حرف تعدية بل هو
واحد الالاء فقول المص انعامه رمز خفي الى هذه الاحتمالات قوله وقول الشاعر اشارة الى
جواب نقض يرد على قوله وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى وتقريره كيف تدعي انه لا يتعدى بالى والحال
ان النظر في قوله الخ بمعنى الانتظار وقد عدي بالى اجاب بانه بمعنى السوال والتوقع لان الانتظار
لا يستوجب العطاء ومن في قوله من ملك تجريدية كما في قولك رايت من زيد اسدا بمعنى انه اسد قوله
والبحر دونك اي اقل منك في الجود والمعنى اذا رجوت عطاءك وتوقعت معروفك وانت ملك و
الحال ان البحر دونك في الجود زدتني نعما اي تعطيني فوق ما رجوته والظاهر ان كون النظر بمعنى السوال
مبني على كونه من نظر العين والنظر الى الملك وان كان لا يوجب الانعام ظاهرا الا انه مقدمة طلب
المعروف وهو الذي يوجبه فلكونه من مقدماته ويقصد به ذلك ينزل منزلته ويعبر به عنه كما نزل
زيارة الفقراء للاغنياء وملازمة ابوابهم وتسليمهم عليهم منزلة التوقع منهم كما قيل وحسبك
بالتسليم مني تقاضيا وعن ابن عمر رض عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادنى اهل الجنة منزلة من
ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله تعالى من ينظر
الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا عليه الصلوة والسلام وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقد فسر

اي اذا فسر النظر بالرؤية فان المراد
بالوجوه ح العين الباصرة منه

روي انه سئل مالك رحمه الله عن قوله
الى ربها ناظرة فقال كذب قوم
كان هذا صحيحا لما عاتب الكفار
بقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون وروي الشافعي على انه
سبحانه في الدار الاخرة ولو لم يكن
لاهل المعرفة سرور الا في قوله
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
لا كتفوا به واثنى سرورا انهم
من وصول المحب الى حبيبه والعارف
الى معروفه طيبي شرح الكشاف

وارتكب المص كون الوجوه بمعنى
اربابها التي هي الجملة حيث قال
في تفسير قوله تظن ان يفعل بها
فاقرة تتوقع اربابها ان يسلك
سبيل الاستخدام لان المراد بلفظ
الوجوه الباصرة معناه الحقيقي
وذلك لضرورة دعت اليه ولا
ضرورة هيهنا على قاعدة اهل
السنة منه

وهو في الحقيقة بيان
الكاف في البحر منه

النظر بنظر العين والرؤية فظهر ان الحالي ابتع رأيه وهواه وورد عنه صلى الله عليه وسلم انه نظر الى القمر
ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته وهو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه
المرئي بالمرئي والاحاديث في هذا الباب كثيرة فثبت انه يراه المؤمنون بغير كيف ولا كم ولا ضرب من مثال
فينسون النعيم اذا رأوه فيا خسران اهل الاعتزال **قوله** شديدة العبوس قد تقدم في قوله تعالى عبس
وبسر ان بسر اتباع لعبس والمعنى انها عابسة كالحة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار السرور والنعمة
منها لما سودها الله تعالى حين ميز اهل الجنة واهل النار فايست من رحمة الله وايقنت ان العذاب نازل بها وهو قوله
تظن ان يفعل بها فاقرة وهي الداهية العظيمة سميت فاقرة لانها تكسر فقار الظهر يقال فقرت الرجل اذا ضربت
فقارة ظهره كما يقال رأسته وبطنته اذا ضربت رأسه وبطنه فهو مفقور والداهية فاقرة لانها تصيب الفقارة
وهو تؤثر فيها ومنه سمي الفقير فانه فعيل بمعنى مفعول اما ان الفقر كسر فقارة ظهره فجعله مفقورا وتظن
في قوله تظن ان تفعل بها فاقرة في محل الرفع على انه خبر وجوه او خبر بعد خبر ان باسرة ظانة وباسرة على
الاول صفة وجوه ويومئذ منصوب بها والظن هنا على معناه لا بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه جمهور
المفسرين لوقوع ان الناصبة بعده وان الناصبة لا تقع بعد العلم وانما تقع بعده ان المشددة وذلك
ذلك لان العلم من مواضع التقرير والتحقيق والظن ونحوه من الرجاء والتوقع من مواضع الشك والتردد
وان المشددة تفيد التاكيد وان الناصبة لا تفيده فلذلك وجب ان تقترن المشددة بما يفيد التحقيق
والمخففة الناصبة بما يدل على الشك والتردد يقال علمت انك تقوم وظننت ان تخرج واطمع ان تعطيني
ولو قلت علمت ان يخرج زيد واظن ان زيدا لخارج كان قلبا للعادة من حيث انه اقترن ما هو علم
التاكيد بما لا تقرير فيه وما هو عار من التاكيد بما فيه تقرير فاذا قيل ارجو انك تعطيني فذلك لاجل الدلالة
على قوة الرجاء وكذا اذا قلت اخشى ان يفعل فانما هو لقوة الخشية وتقريرها وانما ذهب الجمهور الى ان
الظن هنا بمعنى العلم واليقين بناء على ان اليوم الذي يفوز فيه اهل السعادة بمشاهدة جمال ذي
الجلال والاكرام تتعين فيه الاشقياء بما يفعل بهم من الدواهي الفاقرة اذ اشتد فيه الظنون
بالعيان وينكشف فيه الامور بحقائقها قال الامام والظن هنا انما ذكر على سبيل التهكم كانه قيل انهم شاهدوا
تلك الاحوال والدواهي العظام حصل فيهم ظن ان القيامة حق وصاحب الكشاف لما حمل النظر في الآية الاولى
على معنى التوقع والرجاء حيث قال والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما اقتضاه مذهبه حمل
الظن في هذه الآية ايضا على التوقع حيث قال اي تتوقع ان يفعل بها داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت
الوجوه الناظرة ان يفعل بها كل خير بناء على ان قضية المقابلة بين الآيتين تقتضي ذلك فان الوجوه الباسرة
في مقابلة الوجوه الناظرة فاذا توقعت الوجوه الناظرة من ربها كل خير توقع ما يقابلها الدواهي العظام
وتبعه المصنف حيث فسر الظن بالتوقع ايضا اشارة الى ان الظن ليس بمعنى العلم واليقين كما ذهب اليه الجمهور
فان

النقر والنقارة واحدة فقار الظهر منه

فان قيل تفسيره بالتوقع ينافي مقتضى التقابل بين الآيتين لان ما يفعل بارباب الوجوه الناضرة
لما كان غاية النعمة وهو الاستغراق في مطالعة جمال ربهم ينبغي ان يكون ما يفعل في حق ارباب الوجوه
الباسرة ما هو غاية النقمة وهو الاستغراق في معاينة تمام الدواهي الفاقرة لا توقعها لتحقق مقتضى
التقابل قلنا لا ينافيه بل يحققه وذلك لان الظن اذا فسر بالتوقع دل الكلام على انهم فيه
ويعاينون شدته مع كونه اشد الدواهي وافظعها يظنون ويتوقعون بعده ما هو اشد منه لانهم
ح يتيقنوا بعظم جرمهم وبكمال سخط الملك الجبار عليهم ويتيقنوا ايضا بانه كما لا نهاية للطفه ورحمته
لا نهاية ايضا لقهره واليم عذابه فكلما فعل بهم فاقرة من الدواهي يظنون ان يفعل بهم ما هو
اشد منه وهكذا ابدا ولا يخفى ان التوقع بهذا المعنى مقابل لما يفعل باهل الوجوه الناضرة **قوله**
ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كانه قيل لما عرفتم صفة سعادة السعداء وشقاوة الاشقياء
في الآخرة وعلمتم انه لا نسبة لها الى الدنيا فارتدعوا عن ايثار الدنيا على الآخرة وتنبهوا لما
بين ايديكم من الموت الذي تنقطع عنده العاجلة وتنقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين
والتراقي العظام المكتنفة بثغرة النحر عن يمين وشمال الجوهري الترقوة العظم الذي بين ثغرة
النحر والعاتق وقال العاتق موضع الرداء من المنكب وبلوغ النفس التراقي كناية عن الاشفاء
الى الموت والعامل في اذا بلغت معنى قوله الى ربك يومئذ المساق اي اذا بلغت النفوس الحلقوم
رفعت وسيقت الى الله تعالى اي موضع امر الله تعالى ان ترفع اليه كما قيل في قوله اني ذاهب الى ربي اي الى
حيث امرني ربي **قوله تعالى** وقيل من راق معطوف على بلغت **قوله** من يرقيه ويشفيه بما به
على انه من الرقية وهي التعويذ بما يحصل به الشفاء كما يقال بسم الله ارقيك وفعلها من باب ضرب
والاستفهام على هذا يحتمل ان يكون بمعنى الطلب كان الذين يكونون حول ذلك الانسان طلبوا الاطباء
يعالجه وراقيا يرقيه ويحتمل ان يكون استفهاما بمعنى الانكار كما يقال عند اليأس من الذي يقدر ان
يرقي هذا الانسان المشرف على الموت **قوله** ايكم يرقى بروحه الى السماء اي يصعد على انه من الرقي
وفعله من باب علم يقال رقيت السلم ارقاه رقيا ورقيا اذا صعدت والمعترفة في رقاني يرقيني
رقية قال ابن عباس رضي الله عنه ان الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بهذا
الكافر وقال الكلبي يحضر العبد عند الموت سبعة املاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب
مع ملك الموت فاذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم الى بعض ايهم يرقى بروحه الى السماء فهو
قوله من راق روي ان بعض الطاعنين في القرآن قالوا انما تصل النفس الى التراقي بعد مفارقتها
القلب ومتى فارقت النفس القلب حصل الموت لا محالة والآية تدل على ان عند بلوغها التراقي
تبقى الحيوة حتى يقال فيه من راق وحتى تلتفت الساق بالساق والجواب ان المراد من قوله حتى

اذا بلغت التراقى اى اذا حصل القرب من تلك الحالة قوله وظن المحتضر وذلك حين عاين ملك الموت قال المفسرون المراد انه ايقن وعبر عما حصل له من المعرفة ح بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع فى الحيوة لشدة حبه بهذه الحيوة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه فيها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحيوة ولعله عبر عنها بالظن تهكما قوله او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الاخرة الوجه الاول مبنى على ان يكون المراد من الساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما او التوا احدهما بالاخرى وهذا الوجه مبنى على ان يكون الساق مثلا فى الشدة وعبارة عنها كما فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق وقولهم كشفت الحرب عن ساقها اى اشتدت ووجه المجاز ان الانسان اذا دهمته شدة " شمر لها عن ساقيه فقيل للامر الشديد ساق من حيث ان ظهوره لازم لظهور ذلك الامر قوله سوقه الى الله وحكمه اشارة الى ان المساق مصدر ميمى بمعنى السوق وان الالف واللام فيه عوض عن المضاف اليه وان قوله الى ربك فى تقدير الى حكم ربك والمعنى ان سوق هولاء فى ذلك اليوم مفوض الى حكمه يساقون الى حيث امران يساقوا اليه قوله والضمير فيهما للانسان الذى دل عليه قوله تعالى فيما بعد ايحسب الانسان " فان ظهور الانسان واسناد يحسب اليه فيه يدل على ان المضمر فى قوله فلا صدق ولا صلى ضمير الانسان وجعله الزمخشرى معطوفا على قوله يسال ايان يوم القيمة وهو حال من الانسان اى ايحسب كذا بل يريد كذا فى حال كونه منكرا للبعث فلا صدق ولا صلى شرح الله تعالى كيفية اعماله المتفرقة على انكار البعث مما يتعلق باصول الدين وبفروعه ومما يتعلق بدنياه اما ما يتعلق باصول الدين فهو انه ما صدق بالدين ولكنه كذب به واما ما يتعلق بفروع الدين فهو انه ما صلى ولكنه تولى واعرض واما ما يتعلق بدنيا فهو انه ذهب الى اهله يتمطى اى يتبختر ويختال فى مشيه فدلت الاية على ان الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الفروع كما يستحقهما بترك الايمان وان لم يجب اداؤها عليه فى الدنيا وفى توضيح صدر الشريعة للاخلاف فى ان الكفار مخاطبون بالايمان والعقوبات والمعاملات مطلقا واما العبادات فهم مخاطبون بها فى حق المواخذة فى الاخرة اتفاقا ايضا لقوله تعالى ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الاية واما فى حق وجوب الاداء فى الدنيا ففيه خلاف قوله من المط يعنى ان يتمطى يتفعل من المط وهو المد يقال مطه يمطه اى يمده ... حاجبه اى مدتهما وتكبر وتمطط اى تمدد فاصل يتمطى يتمطط ابدلت الطاء الاخيرة ياء كراهة اجتماع الامثال كما فى تقضى البازى والتمدد فى المشى من لوازم التبختر فجعل كناية عنه وان كان من المطا " مقصورا وهو الظهر كان الفه مبدلة من الواو ويقال للمتبختر متمطى لانه يلوى مطاه ويحركه فى تبختره و يتمطى جملة حالية من فاعل ذهب قوله ويل لك يريد ان اولى لك كلمة مستعملة فى موضع ويل لك وقريب منه من معناه وانه مشتق من الولى بمعنى القرب واصله اولاك الله ما تكرهه على ان اولى فعل مثل اكرم من وليه يليه اى قربه نقل الى باب افعل فعدى به الى مفعولين الاول الكاف والثانى ما تكرهه واللام زائدة فى

وهى بمعنى القلب ... تجويز ... فى وزن الفعل ... سكك

فى المفعول كما فى ردف لكم قوله اولى لك الهلاك اى يجوز ان يكون اولى اسما للتفضيل بمعنى احق واحرى ويكون خبر مبتدا محذوف اى الهلاك اولى لك من كل شئ وقيل انه افعل من الويل بعد القلب واصله اويل فقدم اللام على الياء كما فى شاكى وهار اى اصلهما شايك وهاير والمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل انه فعلى من آل يؤل ومعناه المصير والمرجع واللام صلة والتقدير اولاك اى مرجعك وعقباك الهلاك او النار ويحتمل ان يكون اولى فعلا على وزن افعل بمعنى فعل كابرز بمعنى برز واشغلته بمعنى شغلته وكرر اولى للتاكيد وحذف لك من الثانى لدلالة الاول عليه وقيل التكرير فيه ليدل على معنى ويل لك على عملك السيئ الاول ثم على الثانى ثم على الثالث والرابع وهكذا وقيل معناه بعد الك فبعد الك فى امر دنياك وبعد الك فى امر اخراك وقيل المعنى ويل لك مرة بعد اخرى قال قتادة والكلبى ومقاتل اخذ " رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد ابى جهل ثم قال له اولى لك فاولى توعده به فقال ابو جهل باى شئ تهدد نى لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيئا وانى لاعز اهل هذا الوادى ثم انسل ذاهبا فلما انكره عدو الله لعزته عند نفسه انزل الله تعالى مثل ما قال الرسول عليه الصلوة والسلام وقيل يحتمل ان يكون وعيدا مبتدأ من الله تعالى للكافر عدى بن ربيعة وان يكون امرا من الله تعالى لنبيه بان يقولها لعدو الله فيكون المعنى ثم ذهب الى اهله يتمطى فقل يا محمد اولى لك فاولى اى احذر فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه قوله مهملا فان السدى فى اللغة المهمل يقال اسديت ابلى اسداء اى اهملتها وتكرير الانكار لحسبانه يتضمن تكرير انكاره للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث ايضا وتقريره ان اعطاء القدرة والالة والعقل بدون التكليف والامر بالمحاسن والنهى عن المفاسد يقتضى كونه تعالى راضيا بقبايح الافعال وذلك لا يليق بحكمته فاذن لا بد من التكليف فى الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم الا بان يميز الذين امنوا وعملوا الصالحات عن المفسدين فى الارض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازى كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون فى الدنيا فلا بد من البعث والقيمة ثم استدل على صحة البعث بدليل ثان وهو الاستدلال بالابداء على الاعادة فقال الم يك نطفة وهى الماء القليل يقال نطف الماء اى قطر والاستفهام بمعنى التوبيخ يقول الم يك ماء قليلا فى صلب الرجل وترائب المرأة ويمنى بالياء صفة منى وبالتاء صفة نطفة اى يصب ويراق فى الرحم ثم نبه سبحانه وتعالى بهذا على خسة قدره اولا وكمال قدرته حيث صير مثل هذا الشئ الدنئ بشرا سويا قوله فعدله اى جعل كل عضو من اعضائه الزوج معادلا لزوجه او جعله معادلا لما تقتضيه الحكمة قيل فائدة قوله يمنى فى قوله من منى يمنى الاشارة الى حقارة حاله كانه قيل انه مخلوق من المنى الذى يجرى مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا ان يتمرد عن طاعة الله تعالى فيما امره ونهى الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما فى قوله تعالى فى عيسى بن مريم كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة وكناية عنها قوله تعالى الذكر والانثى يجوز ان يكونا بدلين من الزوجين وان يكونا منصوبين باضمار اعنى سورة الانسان مكية

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** استفهام تقرير وتقريب جز قوله هل اتى
التقرير مستفاد من همزة الاستفهام المقدر والتقريب مستفاد من قد فانها موضوعة لتقريب الماضي من
الحال قال الامام اتفقوا على ان هل ههنا وفي قوله هل اتاك حديث الغاشية بمعنى قد كما تقول هل رايت
صنيع فلان وقد علمت انه قد رآه وتقول هل وعظتك وهل اعطيتك ومقصودك ان تقرره
بانك قد وعظته وقد اعطيته وقد يجي بمعنى الجحد تقول وهل يقدر احد على مثل هذا فتحمله على ان تقول
لا يقدر عليه احد غيرك واما انها تجي بمعنى الاستفهام فظاهر والدليل على انها ههنا ليست بمعنى الا
ستفهام وجهان الاول ما روي ان الصديق رض لما سمع هذه الاية قال ليتها كانت تمت فلا نبتلى
ولو كان ذلك استفهاما لما قال ليتها تمت لان الاستفهام انما يجاب بلا او نعم واما اذا كان المراد به
الخبر فحينئذ يحسن ذلك الجواب الثاني ان الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر انتهى كلام
الامام ونقل عن الكسائي والفراء وابي عبيدة وعن سيبويه ايضا ان هل بمعنى قد قال الفراء
هل يكون جحدا ويكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تحمله على ان تخبر وتقرر بانك اعطيته ومن الجحد
ان تقول هل يقدر احد على مثل هذا تحمله على ان تقول لا يقدر احد غيرك وصرح النحاة ان هل لا تستعمل الا في
الاستفهام قال الزمخشري في المفصل هل في قولهم اهل بمعنى قد الا انهم تركوا الالف قبلها لانها لا تقع الا في الاستفهام وبين
انها لما لم تستعمل الا في موضع الاستفهام كانت كانها علم الاستفهام فلم يذكر معها اداة الاستفهام فظهر من هذا كله انها هل
اذا كانت بمعنى قد لا بد ان يكون قبلها اداة الاستفهام ملفوظة او مقدرة فلذلك قال المصنف واصله اهل ومعنى
الاستفهام التقرير في الاية ان يحمل من ينكر البعث على ان يقر ويقول نعم انه اتى عليه في زمان
قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا فيقال له من احدثه بعد
ان لم يكن وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه واحياؤه بعد موته ونظيره قوله تعالى
ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون فتعلمون ان من انشأ شيئا
بعد ان لم يكن قادر على اعادته بعد موته ومراد البيت سائل فوارس يربوع بشدتنا
أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم ويربوع ابو حي من تميم وقوله بشدتنا بفتح الشين
وهي الحملة ويروى بكسرها وهي القوة وسفح الجبل اسفله حيث يسفح فيه الماء من الجبل
اي ينصب والقاع المستوي من الارض اي الصحراء والاكم جمع اكمة وهي التل اي الجبل
الصغير يقول اسأل عن هذه القبيلة عن حال شدتنا اكانت قوية جعلت لنا العز
والغلبة ام كانت دونها فجعلت الذل والمغلوبية والمسؤل عنه هو هذا المقدر وجعل
قوله اهل رأونا كناية عنه **قوله** طائفة محدودة فسر الحين بالطائفة المحدودة من
مطلق الزمان ولم يعين حدها تنبيها على انها محدودة في نفسها ومبهمة في علمنا كما روي

روي عن ابن عباس رض ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف
مقداره وفسر الدهر بمطلق الزمان وهو الامر الممتد الوهمي كما هو المشهور واختلفوا
في الانسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين المراد به آدم عليه الصلوة والسلام
فمن ذهب اليه هذا قال ان الله تعالى ذكر خلق آدم في هذه الاية ثم عقب بذكر خلق جنس
الانسان من ذريته في قوله انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال الاخرون المراد
بالانسان بنو آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة اذ المناسب ان يكون
المراد بالانسان في الموضعين واحدا وان كان المراد به الجنس من ذرية آدم فالمراد
بالحين تسعة اشهر مدة الحمل في بطن امه لم يكن شيئا مذكورا فيها لانه كان نطفة
او مضغة او علقة ولا قدر لشيء منها حتى يذكر ويعتنى بشانه وان كان المراد به نفس
آدم فقد اختلف في تعيين المراد بالحين ح فقيل انه اربعون سنة لما روي عن ابن
عباس رض انه عليه الصلوة والسلام اتى عليه زمان من الدهر لم يكن شيئا يذكر لانه كان
طينا وهو وان كان شيئا موجودا لكنه لم يكن شيئا مذكورا ثم نفخ فيه الروح بعد اربعين
سنة وهو ملقى بين مكة والطائف وروي عنه ايضا انه خلق من طين فقام عليه
اربعين سنة ثم من حماء مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم
خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثلث اربعينات وزاد ابن مسعود رض فقال خلق
من تراب فقام عليه اربعين سنة ثم من طين كذلك ثم من حماء مسنون كذلك ثم من
صلصال كذلك فتم خلقه بتمام اربع اربعينات مائة وستين سنة ثم نفخ فيه الروح
فلاجل هذه الاختلافات فسر الحين بالطائفة المحدودة ولم يعين حدها **قوله** بل كان
شيئا منسيا اشارة الى ان المنفي ليس اصل كونه شيئا بل كونه شيئا مذكورا بالانسانية فانه
في ذلك الحين كان شيئا خاملا حقيرا لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى ما اسمه ولا يراد به
ذلك من حين خلقه من تراب الى ان نفخ فيه الروح وكذا جنس الانسان من ذرية آدم عليه
الصلوة والسلام كان في الرحم شيئا نافها حقيرا كالنطفة فان قيل ان الطين والصلصال
والحماء المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضي انه مضى على الانسان حال كونه
انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الوقت ما كان شيئا مذكورا بالانسانية فالجواب ان الطين
والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان وكان محكوما عليه بانه سينفخ فيه الروح و
يصير انسانا صح تسميته انسانا ومن قال ان الانسان هو النفس الناطقة وانها موجودة قبل
وجود الابدان فلا يتوجه عليه الاشكال **قوله** جمع مشج او مشيج قال ابو حيان الامشاج واحدها

الصلصال الطين الحر خلط
بالرمل فصار يتصلصل اي
يصوت اذا جف فاذا طبخ بالنار
فهو الفخار صحاح

مشيج بفتحتين كمثل وامثال او مشيج بكسر الميم وسكون الشين كعدل واعدال او مشيج كشريف واشراف يقال مشجت بينهما مشجا اذا خلطتهما **قوله** وجمع النطفة به اي بوصفها بالامشاج وهو جمع والنطفة مفرد وحاصل الجواب ان لفظ النطفة وان كان مفردا الا ان المراد به هو المجموع المؤلف من شيء الرجل والمراة وكل واحد منهما شيء مغاير للآخر وكذا كل جزء من اجزاء كل واحد منهما مغاير لباقي الاجزاء بحسب الاوصاف والخواص فصار كل جزء من اجزاء النطفة المؤلفة من تلك الاجزاء بهذا الاعتبار كانه نطفة منفردة وكان المجموع المؤلف منها نطف شتى فجمع وصفها كذلك قال ابن عباس رض معنى كون النطفة مختلطة اختلاط ماء الرجل وهو ابيض غليظ وماء المراة وهو اصفر رقيق فيختلطان ويخلق الولد منهما فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المراة **قوله** وقيل مفرد عطف على قوله جمع مشيج اي قيل ان قوله تعالى نطفة امشاج مثل قولهم برمة اعشار وبرد اكياش في ان صيغة افعال فيها لفظ مفرد ولذلك وقعت صفة لمفرد لا جمع بكسر مثل اشراف وايتام يقال برمة اعشار اذا انكسرت قطعا وبرد اكياش وهو ما يغزل غزله مرتين وهو برد من برود اليمن يقال عليك بالثوب الاكياش فانه من ثياب الكياش فانه من ثياب الاكياس **قوله** وقيل الوان عطف على قوله اخلاط قال مجاهد الامشاج الوان النطفة نطفة الرجل بيضاء ونطفة المراة صفراء وقال قتادة الامشاج هي الاطوار المختلفة التي ينتقل الجسم من بعضها الى بعض وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والتقدير من نطفة ذات امشاج فحذف المضاف **قوله** يعني مريدين اختباره اشارة الى انه حال مقدرة لا مقارنة لانه تعالى لم يرد الابتلاء والامتحان وقت خلقه غير مكلف فيه وحال مقارنة ان كان بمعنى تنقله في بطن امه من حال الى حال **قوله** فاستعار له الابتلاء بان شبه التنقل من حال الى حال بفعل من يفعل افعالا مختلفة للامتحان والابتلاء من حيث انه يظهر بعد التنقل من كل حال امر آخر كما يظهر نتيجة الافعال الكائنة للامتحان بعدها **قوله** فهو كالمسبب من الابتلاء الخ كانه قيل انا خلقناه من الامشاج غير عابثين بل مريدين ابتلاءه بان نكلفه بالاوامر والنواهي ونجازيه على حسب انقياده وبسبب انا خلقناه مريدين تكليفه اعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات الفهم والتمييز والمراد بالفعل المقيد بالابتلاء هو قوله خلقناه فان نبتليه حال من فاعله والحال قيد لعاملها **قوله** ورتب عليه اي على اعطاء الحواس تعريفه سبيل الخير

والشر

خصصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفهما منه

والشر والنجاة والهلاك وتبيين كل واحد منهما بنصب الدلائل العقلية وانزال الآيات والكتب وبعثة الانبياء لان معنى هديناه السبيل اريناه وعرفناه ذلك انما يكون بما ذكر ورتب ذكر الهداية بهذا المعنى على ذكر اعطاء الحواس لكونها في نفسها متاخرا عن خلق الحواس فان الانسان في مبتدأ الفطرة خال عن جميع المعارف والعلوم الا انه مخلوق مشتمل على آلات تعينه على تحصيل المعارف وتصورات حقايق الاشياء وتصديقها باحوالها وهي الحواس الظاهرة والباطنة فانه اذا احس بالمحسوسات تنبه لما بينها من المشاركات والمباينات وتنتزع منها عقايد صادقة اولية كالعلم بان النفي والاثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وان الكل اعظم من الجزء ويتوسل بتركيبها الى استعلام المجهولات النظرية والاطلاع على سبيل الخير والشر في كل باب فثبت ان مرتبة التحلي بالحواس الظاهرة والباطنة متقدمة على مرتبة تعقل حقايق الاشياء والتصديق باحوالها وتبيين سبيل الخير والشر وان قوله ورتب عليه الخ اشارة الى هذا المعنى **قوله** واما للتفصيل اي لتفصيل ذي الحال فانه مجمل من حيث الدلالة على الاحوال لا يعلم ان المراد هدايته في حال كفره او في حال ايمانه فلما دخلت كلمة اما على كل واحدة من الحالين زال الاجمال وتبين ان الهداية تعلقت به في كل واحدة من حالتي الكفر والايمان قال الرضي الاستراباذي في شرح الكافية قالوا ان او واما في الخبر ثلثة معان الشك والابهام والتفصيل وفي الامر معنيان التخيير والاباحة فالشك اذا اخبرت عن احد الشيئين ولا تعرفه بعينه والابهام اذا عرفته بعينه وتقصد ان تبهم الامر على المخاطب فاذا قلت جاءني زيد او عمرو وجاءني اما زيد واما عمرو ولم تعرف الجائي منهما بعينه فاو واما للشك واذا عرفته وقصدت الابهام على السامع فهما للابهام واذا لم تشك ولم تقصد الابهام على السامع فهما للتفصيل انتهى محصول كلام الرضي **قوله** والتقسيم بان يعتبر ذو الحال من حيث انه مطلق وهو لفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخولي كلمة اما قيدا له فيحصل بتقييده بكل واحد منهما قسم منه والمعنى هديناه مطلق الانسان منقسما الى الانسان الشاكر والى الانسان الكفور ومعنى كونها للتقسيم والانفصال قريب من كونها للتفصيل الا انها اذا كانت للتفصيل يعتبر ذو الحال من حيث انه مجمل متساوي الدلالة بالنسبة الى الاحوال المتعددة لا من حيث انه مطلق **قوله** او من السبيل عطف على قوله من الهاء اي او انهما حالان من السبيل على معنى عرفنا السبيل اما سبيلا شاكرا

من حيث ان المعنى عليه كونه للتقسيم هديناه بعد كونه واحدا من قسمين لا ان المعنى على كونه للتفصيل لعدم [illegible] في حاله [illegible] اما في الآية [illegible] والتقدير [illegible] مذهب اهل السنة منه

واما سبيلا كفورا وصف السبيل على معنى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا او سبيلا كفورا
وصف السبيل بالشكر والكفر مجازا لانهما وصفان لمن سلكه وقرئ اما بالفتح على
انها اما التفصيلية وجوابها محذوف مقدر والمعنى اما كونه شاكرا فبتوفيقنا واما كونه
كفورا فبسوء اختياره وخذلان منا قوله ليطابق قسيمه علة للمنفي وهو ان يقال كافرا
بدل كفورا فانه لو قيل كذلك لطابق قوله شاكرا قوله محافظة علة للنفي اي بعدم قوله
كذلك كافرا لمراعاة الفواصل رؤس الآي قوله واشار الى انما المأخوذ به اي الذي اخذ به من الكفر
وعوقب عليه هو المتوغل فيه فلذلك اختير صيغة المبالغة على لفظ كافر فان الشاكر
والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزما للمواخذة
لم يصح ان يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فانه ملزوم للاثابة بمقتضى وعده الكريم
وفيهم من بيان وجه العدول عن ان يقال اما شاكرا واما كافرا ووجه العدول عن ان
يقال اما شكورا واما كفورا وذكر لان الانسان لما لم يخل عن الكفران غالبا لم يؤد شكرا
لله بتمامه فلم يوجد الانسان الشكور الا قليلا والقليل النادر في حكم المعدوم قال الله تعالى
وقليل من عبادي الشكور فادير امر الاثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما ادير امر
المواخذة على المبالغة في الكفران لا على اصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله تعالى وسبقها
على غضبه ثم انه تعالى لما ذكر الشاكر والكفور اتبعهما الوعد والوعيد فقال انا اعتدنا،،
والاعتاد هو اعداد الشيء حتى يكون عتيدا حاضرا متى احتيج اليه قال تعالى هذا ما لدي
عتيد والاغلال جمع غل وهو قيد تشد به اليد المعنوع قوله للمناسبة لان ما قبله وما
بعده منون منصوب واعلم انه قرأ نافع والكسائي وهشام وابو بكر بتنوين سلاسل وصلا
والباقون بغير تنوين ووقف حمزة وقنبل عليه بالالف بلا خلاف وابن ذكوان والبزي
وحفص بالالف وبدونها يعني ان الثلثة روي عنهم الخلاف في الوقف عليه والباقون
وقفوا بدون الالف بلا خلاف والحاصل ان القراء في هذه الكلمة على اربع مراتب منهم من
ينون وصلا ويقف بالالف وقفا بلا خلاف وهم نافع والكسائي وهشام وابو بكر ومنهم
من لا ينون وصلا ولا يأتي بالالف وقفا بلا خلاف وهما حمزة وقنبل ومنهم من لا ينون ويقف
بالالف بلا خلاف وهو ابو عمرو وحده ومنهم لم ينون ويقف بالالف تارة وبدونها اخرى وهم
ابن ذكوان وحفص والبزي فهذا ضبط ذكرنا اما التنوين في سلاسل فذكروا له وجوها منها انه،،
قصد بذلك التناسب ومنها ان الكسائي وغيره من اهل الكوفة حكوا عن بعض العرب انهم
يصرفون جميع ما لا ينصرف الا افعل منك لان الاصل في الاسماء الصرف وترك الصرف خلاف

فانه لما اسبغ نعمه على عباده
بحيث لم يبق في وسع احد قضاء حق
شكره وان بالغ في الاشتغال باخفاء
شكره اذا باشر المعصية بكون شاكرا
فمن الذين في وسعه ان يكون شكرا لله
وانما الذي في وسعه وجوب شكر
بان يقر ويعترف بالمعرفة حسبا
ويكون على وقع...
انكس ـ سلمه

خلاف الاصل لعارض فيها ومنها انه مرسوم في امام الحجاز والكوفة بالالف رآه ابو عبيد
ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة ايضا فنون وصلا،،
ووقف عليه بالالف اتباعا للرسم الكريم قوله جمع بر وهو من اطاع الله تعالى وامتثل
امره وقيل البر الموحد وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر وفي الحديث
الابرار الذين لا يؤذون احدا وقال ابن عباس رضي يعني بالابرار الصادقين في الايمان
قيل هم الذين بروا الناس واشفقوا عليهم وقيل هم الذين بروا انفسهم بترك المعاصي
قوله من خمر فسر الكأس على طريق ذكر المحل وارادة الحال لما روي عن قتادة والضحاك
وابن عباس رضي ذلك ولعل الباعث على ذلك قوله تعالى كان مزاجها كافورا والكافور لا يمزج
بالكأس بل يمزج بما فيها فكلمة من على هذا الوجه صلة والكأس عند اهل اللغة الاناء الذي
فيه الشراب واذا لم يكن فيه شراب لم يسم كأسا ومزاج الشيء اسم لما يمزج به اي يخلط
كالقوام اسم لما يقام به الشيء ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء
والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها والكافور طيب معروف واشتقاقه من
الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته ولذلك يقال الكافر الليل والكافر الساتر لنعم
الله تعالى والكافر الزارع لانه يستر الحب في الارض والكفارة تغطية الاثم في اليمين،،
الفاجرة ونحوها من المعاصي بالحسنات المعينة شرعا والكافور ماء يكون في جوف
صنف من الشجر فيغرزونه بالحديد فيخرج الى ظاهر فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ،،
المنجمد على الاشجار قوله وعذوبته قال الامام مزج الكافور بالمشروب لا يفيده لذة،،
فما السبب في ذكره ههنا فاشار المص الى جوابه اولا بقوله وعذوبته يريد ان كافور
الجنة وان شارك كافور الدنيا في البياض والبرودة وطيب الرائحة لكنه يخالفه في طعمه
فانه حلو لذيذ وثانيا بقوله وقيل الكافور اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في بياضه ورائحته
وبرده ولكن لا يكون فيه طعمه ولا مضرته فالمعنى ان ذلك الشراب الذي يشربه الابرار يكون
ممزوجا بهذا الماء المسمى بالكافور وثالثا بقوله وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور اي ليس
المراد بالمزج نفس الكافور وجرمه بل المراد كيفياته من البياض والبرد وطيب العرف
واسند المزاج الى الكافور مجازا او المراد ان مزاجها كيفيات الكافور قوله ان جعل اسم
ماء وان كان المراد بالكافور الطيب المعروف او كيفيتها فلا يصح ابدال قوله عينا منه
الا غلطا وبدل الغلط لا يقع في القران فهو حينئذ بدل من محل من كأس على تقدير المضاف و
التقدير يشربون خمرا خمر عين او منصوب على الاختصاص اي اخص عينا وامدحها،،

المسمى بالكافور الذي يشرب المقربون
صرفا ويمزج منه لشراب الابرار منها
فهو خمر الابرار ـ سلمه

او اعني عينا او باضمار يشربون يفسره ما بعده ولم يجعل عينا مفعول يشربون على معنى
يشربون عينا من كاس بناء على انه فسر الكاس بما حل فيه فيكون من كاس مفعول يشربون
ومن صلة على تقدير مضاف ولا بد منه على كل واحد من التقديرين اما على تقدير كونه بدلا من
كافورا فلان كونه بدلا منه مبني على ان يجعل الكافور اسم ماء والعين الذي هو منبع الماء
لا يبدل من نفس الماء الا بتقدير مضاف اي ماء عين واما على تقدير كونه بدلا من محل من كاس
فلانه فسر الكاس بالخمر والعين لا يبدل من الخمر الا بان يكون التقدير خمر عين فقول المص
اي ماء عين او خمرها الخ وشرب مرتب قوله اي ملتذا الظاهر ان مراده الاشارة الى
ان الباء في بها متعلق بمحذوف وهو حال من مفعول يشرب وهو محذوف ايضا وهو ضمير العين
على ان يكون قوله عينا بدلا من محل من كاس والمعنى يشرب بها عباد الله في حال كونها ملتذا بها
والجملة استيناف لبيان التذاذ الابرار بشربها ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى ان الباء
فيه متعلق بمعنى يشرب لانه في معنى يلتذ وان الجملة في محل النصب على انها حال من فاعل
يشربون المتقدم فيكون لفظ عباد الله من وضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بسبب
تنعمهم فالمعنى انهم يشربون خمر عين مزج بها الكافور ملتذين بها الا انه قيل ملتذا بها عبد الله
للاشعار المذكور وهذا الاحتمال استفدناه من كلام ابي البقاء حيث قال الباء في يشرب بها
قيل زائدة وقيل بمعنى من وقيل هو حال اي يشرب ممزوجا بها والاولى ان يكون محمولا على المعنى
والمعنى يلتذ بها ويفجرونها حال انتهى كلامه بعبارته قوله او ممزوجا بها اشارة الى ان الباء
متعلقة بمحذوف هو حال من المفعول المحذوف ليشرب والجملة صفة لقوله عينا على ان يكون عينا
بدلا من كافورا والمعنى يشرب عباد الله شرابهم ممزوجا بتلك العين اي بمائها المسمى كافورا
وقيل الباء مزيدة فيكون المضمر المجرور مفعولا به ليشرب بتقدير المضاف فتقدير يشرب
بها يشرب ماءها او خمرها لان نفس العين لا تشرب قوله يجرونها يقال فجرت الماء افجره بالضم
فجرا فانفجر اي بجسته فانبجس بمعنى سفحته فانساح وسيلته فسال وفجرته شدد للكثرة
فقول المص حيث شاؤا استفاد من بناء التفعيل وتفجيرا مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى
السهولة واعلم انه تعالى لما وصف ثواب الابرار في الاخرة شرح اعمالهم التي بها استوجبوا
ذلك الثواب فقال يوفون الآية كانه سئل بان قيل بما هم حتى رزقوا مثل ذلك الثواب الجزيل
فاجيب بانهم كانوا يعرفون ما اوجبوه على انفسهم ابتغاء لوجه الله تعالى والنذر في عرف
الشرع مختص بان يقول العبد لله علي كذا وكذا من الصدقة وسائر ما يتقرب به من الطاعة
او يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله تعالى مثلا ان يقول ان شفى مريضي او رد غائبي فعلي كذا وا

وان شئت نصب على المدح والتقدير اعني عينا منه

كقولك شربت الماء بالعسل او ممزوجا به منه

واختلفوا فيما اذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما اذا قال ان دخل فلان الدار فعلي كذا
فمن الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذر والايفاء بالشيء هو الاتيان
به تاما وافيا فقيل لفظ كان في قوله تعالى كان مزاجها كافورا زائدة والتقدير يشربون من
كاس مزاجها كافورا واما ههنا فكان محذوفة والتقدير كانوا يوفون بالنذر قوله استطار
الحريق اي النار والحريق في قوله عليه الصلوة والسلام شهيد بمعنى المحروق كالكتاب الحكيم
بمعنى المحكم قوله وهو ابلغ من طار كالمستنفر فانه ابلغ من النافر قوله وفيه اشعار
بحسن عقيدتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء وكثرة شدائده وانتشارها غاية الانتشار صح
حتى ملأت السموات والارض فال مقاتل كان شره فاشيا في السموات فانشقت وتناثرت
كواكبها وفزعت الملائكة وفي الارض حتى نسفت الجبال وغارت المياه وانهدمت وتكسرت
كل ما على الارض من جبل وبناء اطلق الشر على اهوال القيمة مع انها عين حكمة وصواب
لكونها مضرة وشدة بالنسبة الى من تنزل عليه فلذلك فسر المص بقوله شدائده ومن
خاف من مثل ذلك اليوم فلا جرم يجتنب عن المعاصي قوله يوفون بيان لاعمالهم واتيانهم
بجميع الواجبات قوله يخافون بيان لثباتهم فان الطاعات انما تتم بالثبات ومجموع
هذين الامرين سماهم الله تعالى بالابرار قوله حب الله يحتمل الوجهين الاول ان يكون المصدر
مضافا الى المفعول والفاعل متروك اي على حبهم لله والثاني ان يضاف الى الفاعل
والمفعول متروك اي على حب الله الاطعام وعلى تقدير ان يكون ضمير حبه للطعام
المذكور او للاطعام المدلول عليه بقوله ويطعمون يكون المصدر مضافا الى مفعوله والفاعل
متروك اي على حبهم الطعام او الاطعام اي وهم يحبونه على ان يكون الجار والمجرور
في موضع الحال من فاعل يحبون قوله مسكينا وما عطف عليه مفعول ثان لقوله ويطعمون
ومجامع الطاعات محصورة في امرين التعظيم لامر الله تعالى واليه الاشارة بقوله يوفون
والشفقة على خلق الله تعالى واليه الاشارة بقوله ويطعمون الطعام فان الاطعام وهو
جعل الغير طاعما كناية عن الاحسان الى المحتاجين والمواساة معهم باي وجه كان وان
لم يكن ذلك بالطعام بعينه الا ان الاحسان بالطعام لما كان اشرف انواع الاحسان
عبر عن جنس الاحسان باسم هذا النوع قوله فيقول الحسن اليه وذلك لانه يجب اطعامهم الى
ان يرى الامام رأيه فيهم من قتل او من او فداء او استرقاق فان قيل اذا كان الاسير الكافر ممن
يكون عاقبة امره القتل كيف يجب اطعامه قلنا القتل في حال لا ينافي وجوب الاطعام في حال
اخرى ولا يجب اذا عوقب بوجه ان يعاقب بوجه آخر ولذلك لا يحسن ممن يلزمه القصاص

ان يفعل به غير القتل ثم هذا الطعام يجب على الامام فان لم يطعمه الامام وجب على المسلمين
ثم انه تعالى لما ذكر اصناف من يجب مواساتهم وهم ثلثة احدهم المسكين وهو العاجز عن
الكسب بنفسه والثانى اليتيم وهو الذى مات كاسبه وهو صغير والثالث الاسير وهو
المأخوذ من قومه فلا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة بين ان لهم فيه غرضين احدهما تحصيل رضا
الله تعالى وهو المراد من قوله انما نطعمكم لوجه الله والثانى الاحتراز من خوف يوم القيمة وهو
المراد بقوله انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا **قوله** على ارادة القول اى يقولون ذلك
باللسان او بان يظهروا اما ان يدل عليه و ما يقولونه فى انفسهم وعن مجاهد وسعيد بن
جبير رضى الله عنهم انهم ما تكلموا به ولكن علم الله تعالى منهم ذلك فكشف عن اعتقادهم وصحة نيتهم فاثنى
به عليهم ليرغب فى ذلك راغب **قوله** اى شكرا اشارة الى ان الشكور والكفور مصدران على
وزن الدخول والخروج اى لا نريد منكم جزاء بالمال والنفس ولا شكورا باللسان عن ابن عباس
رضى الله عنه لا نريد منكم هدية ولا ثناء يقولون ذلك ازاحة لتوهم المن والمكافاة لان من احسن لوجه
الله لا يريد مكافاة الخلق **قوله** فلذلك نحسن اليكم اشارة الى ان قوله انا نخاف بدل من قوله انما
نطعمكم فيكون فى معرض التعليل لاطعامهم الطعام فالمعنى ان احساننا اليكم للخوف من
شدة ذلك اليوم لا للارادة مكافاتكم **قوله** او لا نطلب المكافاة منكم على ان يكون قوله انا نخاف
تعليلا لقوله انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء اى لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله تعالى
على طلب المكافاة **قوله** تعبس فيه الوجوه اشارة الى ان العبوس صفة لاهل ذلك اليوم
ووصف اليوم به من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره والضراوة هى السطوة
والاقدام على ايصال الضرر بالعنف والجرأة لكل من رآه فعلى هذا الوجه يكون العبوس استعارة
بالكناية مع التخييلية حيث شبه اليوم بالاسد العبوس الكريه المنظر فى شدة صولته باهله
تشبيها مضمرا فى النفس وجعل اثبات لازم المشبه به وهو العبوس وعدم الانبساط دليلا
على التشبيه المذكور **قوله** شديد العبوس يقال قمطرير اى منقبض من شدة العبوس ويقال
فلان جمع بين قطريه اذا نفر مغضبا كانه جمع جوانبه وزنها لان يصول على من يغضبه والقطر
هو الجانب والناحية يقال طعنه فقطره فتقطر اى القاه على احد قطريه وهما جانباه فتقطر
اى سقط قال الزجاج جاء فى التفسير ان قمطريرا معناه يعبس الوجه فيجمع ما بين العينين قال
وهذا شايع فى اللغة يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها يعنى ان معنى
اقمطر فى اللغة جمع فعلى هذا وصف اليوم بالقمطرير لكونه سببا لعبوس اهله وجمعهم ما بين
اعينهم وعلى ما ذكر المص شبه اله بالعبوس الذى يجمع ما بين عينيه استعارة بالكناية   والميم

وهذا اوجه من الاول ليلتقى قوله لوجه الله بمعنى خالصا لوجهه غير مشوب بحظ النفس من جلب نفع او دفع ضر منه

والميم زائدة لم يتعرض لزيادة الراء مع ان قاعدة الصرف تقتضى زيادتها ايضا بناء
على ان الراء ليست من حروف الزيادة وهى حروف اليوم تنساه بخلاف الميم ولا يلزم
من عدم التعرض لها انكار الاتيان بها راسا فانه يتبين البطلان بل لما لم يصح عطف
الراء على الميم بان يقول والميم والراء زائدتان استثقل ان يقول والميم زائدة وكررت الراء
وضعفت او شددت فسكت عنها راسا مع ان مقصوده تبيين ان اقمطر من القطر
لا من القمط ويكفى فى هذا المقصود التعرض لحال الميم فلذلك سكت عن حال الراء **قوله**
وايثار الاموال اشارة الى ان المراد بقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله ليس هو الاطعام فقط
بل جميع طرق المواساة باهل الحاجات من الطعام والكسوة ويدل عليه عطف قوله وحريرا
على جنة عند ذكر مجازاتهم على صبرهم على ما فعلوه فى الدنيا مما يؤدى الى الجوع والعرى
والمجازاة بالجنة تناسب صبرهم على الجوع والمجازاة بالحرير تناسب صبرهم على العرى
قوله بستانا يأكلون منه اشارة الى ان ليس المراد بالجنة دار السعادة المشتملة على جميع
انواع العطايا والكرامات حتى يقال اى حاجة الى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة مع انها مشتملة
عليه فى جملة ما اعد فيها للمؤمنين بل المراد بها البستان فذكرها لا يغنى عن ذكر الملبس
قوله فنزل جبريل عليه الصلوة والسلام بهذه السورة روى انهم لما آثروا الاسير على
انفسهم فى المرة الثالثة باتوا على اشد ما يعرض من الجوع فلما اصبحوا اخذ على رضى الله عنه بيد
الحسن والحسين رضى الله عنهما ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون
كالفراخ من شدة الجوع قال عليه الصلوة والسلام ما اشد ما يسوءنى ما ارى بكم وقام
فانطلق معهم فرأى فاطمة رضى الله عنها فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة الخ ولا يلزم من هذا ان يكون المراد
من الابرار اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين غاية ما فى الباب
انها نزلت عند صدور هذه القربة المخصوصة منهم لكنه قد ثبت فى اصول الفقه ان العبرة
بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فانه تعالى ذكر فى اول السورة انه انما خلق الخلق للابتلاء
والامتحان ثم بين انه هدى الكل وازاح عللهم ثم بين انهم انقسموا الى شاكر والى كافر ثم ذكر
وعيد الكافر ثم اتبعه بذكر وعد الشاكر فقال ان الابرار يشربون وهذه صيغة جمع فتتناول
جميع الشاكرين والابرار ومثل هذا لا يمكن تخصيصه بالشخص الواحد وان كان يدخل فيهم
دخولا اوليا كما يدخل فى جميع الآيات الدالة على شرح احوال المطيعين وكذا غيره من اتقياء
الصحابة والتابعين فلا وجه لان يقال انها نزلت فى حق على بن ابى طالب رضى الله عنه خاصة

هذا على تقدير ان يكون الآية عامة فى حق جميع الابرار من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهم وان كان سبب نزولها هو صدور الطاعة المخصوصة عنهم منه

الابنية قوله او صفة لجنة فيه بحث لان متكئين ح يكون جارية على غير من هي له فيجب
ابراز الضمير عند البصريين فان اسم الفاعل اذا جرى صفة او خبرا او حالا او صلة على
غير من هو له لم يستتر فيه ضمير الفاعل بل يجب ابرازه ولا كذلك الفعل فانه يجوز استتار الضمير
فيه ح فقوله لا يرون فيها شمسا يجوز ان يكون صفة لجنة مع استتار الضمير فيه بخلاف متكئين
ودانية فانهما لا يكونان صفة له لعدم الابراز ومنهم من لم يفرق بين الفعل واسم الفاعل
في وجوب الابراز ح ولا يجوز ان يكون متكئين حالا من فاعل جزى لان الصبر كان في الدنيا
والاتكاء انما هو في الاخرة الا ان يجعل حالا مقدرة والارائك جمع اريكة وهي السرير
في الحجلة بالتحريك واحد حجال العروس وهو بيت يزين بالثياب والاسرة والستور والسرير
لا يسمى اريكة الا اذا كان في الحجلة كالسجل وهو الدلو المملوء ماء واذا كان فارغا لا يسمى سجلا
والكأس لا يسمى كاسا الا اذا كان مملوا من الخمر وكذلك الطبق الذي يهدى فيه الهدية اذا
كانت الهدية فيه يسمى مهدى بكسر الميم واذا كان فارغا يسمى طبقا او خوانا ونظائرها كثيرة
قوله يمر عليهم هواء معتدل يريد ان المراد بالشمس الهواء الحار المؤذي كالهواء المنكيف
بالشمس في الدنيا وبالزمهرير الهواء البارد المؤذي ببرده كالهواء المنكيف وقت الزمهرير
في الدنيا وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر والسجسج بالسينين المهملتين والجيمين
هو الهواء المعتدل والقر بالفتح بمعنى البارد وبالضم بمعنى البرد يقال اعتكر الظلام اي اختلط
كانه تراكم بعضه على بعض من بطوء الانجلاء وزهرت النار زهورا اضاءت وبرزت
والزمهرير ما ظهر بدل بما زهر قوله والمعنى ان هواها مضيء بذاته يعني ان المعنى على تقدير ان
يكون المراد بالزمهرير القمر ان الجنة لكون هواها مضيئا لذاته لا يحتاج الى شمس ولا الى قمر
وان اهلها في ضياء مستديم لا ليل فيها ولا نهار لانهما انما يحصلان بطلوع الشمس وغروبها
عبر بعدم رؤية الشمس والقمر عن انعدام الاحتياج اليهما قوله حالا او صفة اخرى قد ذكر
ان لا يرون يحتمل ان يكون حالا ثانية من مفعول جزاهم وان يكون حالا من المستكن في متكئين
فيكون حالا متداخلة وعلى الوجهين يكون بمعنى غير رائين وان يكون صفة لجنة كمتكئين
والظاهر ان قوله ودانية ان قرئ بالنصب على انه معطوف على لا يرون يكون تابعا له في جهة
النصب فيجوز ان يكون حالا اخرى اما من المنصوب في جزيهم واما من المستكن في متكئين وان
يكون صفة اخرى لجنة ولا محذور في عطف قوله ودانية وهو مفرد على جملة لا يرون لانها
في حكم المفرد ووجه العطف الدلالة على ان الامرين يجتمعان لهم كانه قيل جزيهم جنة جامعين
فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو ظلال اشجارها عليهم قوله اي وجنة اخرى دانية اي

السجل تذكر وهو الدلو اذا كان فيه ماء قل او كثر والجمع سجال صحاح

اطلاق اسم اللازم على الملزوم منه

فعلى هذا يكون قوله لا يرون بمعنى لا يجدون اولان ... لان الهواء ليس مما يرى منه

لا بان نقصانها بانعدام ما يحتاج اليها فيه منه

اي على تقدير ان يكون قوله ودانية معطوفا على جنة يكون من قبيل حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه والمعنى وجزاهم جنة اخرى دانية عليهم ظلالها فيكون سوق الكلام لوعد الابرار
الموصوفين بما ذكر بجنتين لكونهم من جملة الخائفين بدليل قوله انا نخاف من ربنا وقد صرح في
آية اخرى ان لمن خاف مقام ربه جنتان قوله والجملة حال او صفة اي ان كان ظلالها مبتدأ ودانية
خبرا مقدما عليه يكون الجملة الاسمية اما حالا من فاعل لا يرون فيكون الواو فيها حالية لا عاطفة
والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم واما صفة لجنة فيكون الواو
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى سبعة وثامنهم كلبهم قال المفسرون معنى قوله
تعالى ودانية عليهم ظلالها ان ظلال الاشجار في الجنة قريبة من الابرار من جوانبهم حتى صارت
الاشجار بمنزلة المظلة عليهم وان كان لا شمس فيها لتظلهم منها وهواؤها لما كانت مضيئة بذاتها
لم يتصور هناك ظل لانه انما يكون بتوسط شيء كثيف بين المضيء والمستضيء ولا يتصور شيء
بين الشخص والهواء فالمعنى ان اشجار الجنة يكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الاشجار
مظلة منها فلا يرد ان بناء الظلال انما يوجد حيث توجد الشمس واذا كان لا شمس في الجنة فكيف
يحصل الظل هناك قوله معطوف على ما قبله او حال من دانية جوز كون الواو عاطفة وحالية و
ان كانت عاطفة يكون الجملة المعطوفة تابعة لما قبلها في حكم اعرابه حالا او صفة سواء قرئ
دانية بالرفع او النصب وكون الجملة حالا من دانية يبتني على ان يكون دانية منصوبا بالعطف
على جنة بتقدير الموصوف حتى يكون حالا عن المفعول به اي وجزاهم دانية وقد ذللت قطوفها
لهم والقطوف جمع قطف بكسر القاف وهو العنقود والقطف بالفتح مصدر قولك قطفت العنب
اي قطعته سمي العنقود قطفا لانه يقطف كما سمي الجنى لانه يجنى وذللت اي جعلت منقادة
لا تمتنع عن قطوفها قطافها وتناولها كيف شاؤوا فيقطفها النائم والقاعد والمضطجع بسهولة
ويتناولها لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف
الاواني التي يشرب بها فقيل ويطاف عليهم بآنية الخ اي يدور على هؤلاء الابرار الخدم
اذا ارادوا الشرب بآنية من فضة وآنية جمع اناء واصلها أأنية بهمزتين الاولى همزة
افعلة مزيدة للجمع والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية الفا لسكونها وانفتاح ما قبلها
ونظيره كساء واكسية وغطاء واغطية قوله من فضة نعت لآنية والاكواب
هي الكيزان العظام التي لا اذان لها ولا عرى واحدها كوب وافرادها بالذكر بعد ذكر الآنية
لشرفها بالنسبة الى غيرها وهو من قبيل قوله من المؤمنين والمهاجرين ويحتمل ان يكون
المراد بالآنية ما يقع منه الشرب كالقدح وبالكوب ما صب منه في الاناء كالابريق

وان قرئ بالرفع وعطف جملة وذللت عليها يكون اختلاف الجملتين اسمية وفعلية للاشارة الى ان الحاجة الى دنو الظلال دائمة مستمرة بخلاف تذليل القطوف منه

واليه اشار المص بقوله وابارين قوله اي تكونت اشارة الى ان كان تامة بمعنى حدثت فيكون قوارير الاولى حالا لا من فاعل كانت ولعل الوجه في اختيار كونها تامة مع امكان جعلها ناقصة وقوارير الاول خبرها انها اذا جعلت بمعنى تكونت وحدثت ينتقل الذهن الى المكون المحدث وحيث لا مكون الا الله كان معنى قوله كانت قوارير تكونت قوارير بتكوين الله فيكون فيه تفخيما للآنية بكونها اثر قدرة الله تعالى قوله جامعة بين صفاء الزجاجة الخ بيان لمعنى تكون الاواني قوارير حال كونها من فضة مع ان القوارير انما تكون من الزجاجة لا من الفضة اي ليس المعنى انها قوارير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بانها وانها من فضة من باب التشبيه البليغ لانها في نفسها ليست زجاجة ولا فضة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ليس في الدنيا مما في الجنة الا الاسماء فثبت ان آنية الجنة مباينة بالحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولان قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما في الجنة لا يقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لا لطافة فيها وما في الجنة ليس كذلك وان شارك كل واحد منهما في بعض الاوصاف فيشبه الفضة في بياضها ونقائها ويشبه القارورة في شفافيتها وصفائها فهي حقيقة مغايرة لهما جامعة لاوصافهما وذلك كاف في صحة اطلاق اسم القارورة والفضة عليها والاكثر في مثل سلاسل وقوارير ان لا ينصرف لانه على صيغة منتهى الجموع وانما صرفه من القراء من صرفه اما على لغة من يرى صرف كل ما لا ينصرف الا افعل من واما لانه وقع في المصحف الامام فصرفه على الاتباع لخط المصحف وانما كتب بالالف لانه رأس آية فناسب الفواصل التي تزاد فيها الالف للوقف واعلم ان القراء في كلمتي قوارير على خمس مراتب الاولى تنوينهما معا والوقف عليهما بالالف بدلا من التنوين لنافع والكسائي وابي بكر والثانية عكس هذا وهو عدم تنوينهما وعدم الوقف عليهما بالالف لحمزة وحده والثالثة عدم تنوينهما والوقف عليهما لهشام وحده والرابعة تنوين الاول دون الثاني والوقف على الاول بالالف وعلى الثاني بدونها لابن كثير وحده والخامسة عدم تنوينهما معا والوقف على الاول بالالف بدلا من التنوين وعلى الثاني بدونها لابي عمرو وابن ذكوان وحفص ووجه القول الاخير ان الاول رأس آية فناسب بينه وبين رؤس الآي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني بان الثاني ليس برأس آية ومن لم ينونهما ووقف عليهما بالالف فلانه ناسب بين الاول وبين رؤس الآي وناسب بين الثاني وبين الاول ومن نون الاول دون الثاني فانه ناسب بين الاول وبين

يعني ان ابدل الالف من التنوين حالة الوقف

رؤس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الاول واما نصب قوارير الاول فعلى انه خبر كان على قول من جعل كان ناقصة او على الحال على قول من جعلها تامة والجملة في موضع الصفة لاكواب واما نصب قوارير الثاني وعليه الجمهور فعلى البدل من الاول على سبيل الايضاح والتبيين لانه يبين انه من الفضة ومن فضة صفة لقوارير اي قوارير مخلوقة من فضة وقرئ قوارير بالرفع على اضمار مبتدأ اي هي قوارير كائنة من فضة وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ارض الجنة من فضة وان اواني كل ارض تتخذ من تربة تلك الارض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الاكواب من فضة ومن قوارير وهو ان اصل القوارير في الدنيا الرمل واصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما ان الله تعالى قادر على ان يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على ان يقلب فضة الجنة قارورة صافية فالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على ان نسبة قارورة الجنة الى قارورة الدنيا كنسبة الفضة الى الرمل فكما انه لا نسبة بين هذين الاصلين فكذا بين القارورتين قوله اي قدروها في انفسهم اي قدر الشاربون المطاف عليهم كون تلك القوارير على مقادير واشكال على حسب ما يريدون ويشتهون فجاءت كما قدروها فان منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء والنقاء والشكل اما الصفاء فقد ذكره الله تعالى بقوله كانت قوارير واما النقاء فقد ذكر الله تعالى بقوله من فضة واما الشكل والمقدار فقد ذكره بقوله قدروها تقديرا قوله او قدر الطائفون بها على ان ضمير قدروها للطائفين ولا بد من تقدير المضاف اي قدروا شرابها على قدر ري الشارب من غير زيادة ولا نقصان وهو الذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فان طرفي الاعتدال مذمومان وقرئ قدروها بضم القاف وكسر الدال وتشديدها مبنيا للمفعول منقولا من قدرت الشيء يقال قدرني فلان شيئا كذا اذا جعلك قادرا عليه قوله ما يشبه الزنجبيل ما يحتمل ان يكون بالمد وبشبه صفة او بالقصر ويشبه صلته وعلى التقديرين لا يكون الزنجبيل على حقيقته بل يكون اسم ماء في الجنة يشبه الزنجبيل ويوجد فيه طعم الزنجبيل يمزج به شراب الابرار كما ان الكافور اسم ماء يشبه الكافور ويكون عينا بدلا من زنجبيلا على تقدير ماء عين وان كان الزنجبيل على حقيقته يكون عينا بدلا من كأسا على تقدير خمر عين ولما وصف الله تعالى اواني شربهم شرع بعد ذلك اوصاف شربهم فقال ويسقون فيها الآية ووصفه بانه ممزوج من زنجبيل لان العرب كانوا يحبون جعل الزنجبيل في المشروب لانه يحدث فيه ضربا من اللذع وهو الاحراق يقال لدغته النار اذا احرقته ولما توهم من تسمية تلك العين بالزنجبيل

يعني شرابهم في الجنة يشبه الزنجبيل ويمزج به ويوجد فيه طعم الزنجبيل كما ان الكافور اسم ماء يوجد فيه ويمزج به شراب الابرار في شبه الكافور

يعني بالابرار الجنة والعين الاحرار

ان ليس فيها سلاسة الانحدار في الحلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللدغ ازال ذلك الوهم بانها،،
تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها اي نزولها في الحلق وانتفاء لدغ الزنجبيل عنها فان السلاسة
هي ضد اللدغ **قوله** وذلك اي لكون السلسبيل بمعنى السلسال والسلسل اللذين هما من صفات الماء
بمعنى سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه قيل زيدت الباء على السلسال للدلالة على غاية
السلاسة والحلاوة **قوله** والمراد به اي بالسلسبيل وبوصف العين به بيان انتفاء لدغ،،
الزنجبيل عنها وان يصفها بما هو نقيض اللدغ وهو السلاسة **قوله** وقيل اصله سل سبيلا
على انه كلام مركب من فعل امر من سالته الشيء ومفاعل مستتر فيه ومفعول به بارز والتقدير
سلوات سبيلا اليها ثم جعل هذا الكلام المركب علما لعين في الجنة او لما بها كما سمى رجل،،
بتأبط شرا ثم شرع بعد في ذكر اوصاف الخدم الذين يطوفون عليهم بذلك المشروب في
تلك الاواني فقال ويطوف عليهم ولدان فانهم احق في الخدمة واعلم انه جعل مزاج شراب
الابرار الكافور اولا ثم زنجبيلا لان المقصود الاهم حال الدخول البرودة المجوم،،
العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من انواع
نعيمها ومطعوماتها يميل طباعهم الى الاشربة التي تهيج الاشتهاء وتبعث على تهيئة ما تناولوه
من المطعومات وبلذة الطبع بشربها فلعل الوجه في تاخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج
به الكافور ذلك والله اعلم **قوله** دائمون اي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة
والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة **قوله** وانبثاثهم
اي تفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بانواع الخدمة وطوافهم على الابرار المخدومين
مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا باللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ
اذا كان متفرقا يكون احسن في المنظر لوقوع شعاع بعضه على بعض فيكون مخالفا،،
للمجتمع منه وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون اي المخزون لانهن لا يمتهن في الخدمة
فلا ينتشرن انتشار الولدان **قوله** لما فصل بعض احوال اهل الجنة من وجوه النعم وصنوف
العزة والاكرام اتبعه بما يدل على ان هناك امورا اخر اعلى واعظم من هذا القدر المذكور
فقال واذا رايت ثم الآية ورايت هنا من رؤية العين فيتعدى الى مفعول واحد،،
واختلف في مفعوله فقيل هو ثم وهو اسم للظرف والمعنى اذا رايت ذلك الموضع وقيل محذوف
وثم ظرف مكان **قوله** والتقدير واذا رايت الاشياء ثم فثم في محل النصب على الظرفية وعن
الفراء ان تقديره واذا رايت ما ثم فما موصولة في موضع النصب على انه مفعول رايت وثم
صلته ثم حذف واقيم ثم مقامه وهذا خطأ عند البصريين فانه لا يجوز عندهم حذف الموصول
وانامة

وانامة الصلة مقامه وقيل لا مفعول له ظاهرا ولا مقدرا ليشيع ويعم ويذهب ذهن السامع
الى كل ما يتصور رؤيته كانه قيل اذا وجدت منك رؤية في ذلك المكان وهو الجنة رايت كذا وكذا
ثم قيل هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل عام والنعيم ما يتنعم به **والملك الكبير** ما ورد
في الحديث المذكور وزاد المصنف العارف ينكشف له صور عالم الغيب والشهادة بجنابها
فيتضح بسببها بانوار العلوم المدنية والمعارف الالهية الفائضة من قدس الجبروت كما،،
ناله في حق صاحب موسى عليهما الصلوة والسلام وعلمناه من لدنا علما **قوله** وقرأ
نافع وحمزة بالرفع اي بسكون الياء من عاليهم لثقل الضمة عليها وبكسر الهاء لسكون الياء
قبلها والباقون بفتح الياء وضم الهاء على الاصل فان الاصل في هاء الضمير هو الضم مطلقا اي سواء
كان للمفرد او للمثنى او للمجموع نحو منه وعنه ومنهما وعنهما ومنهم وعنهم ومنهن وعنهن
وفتحت في منها وعنها لاجل الالف وكسرت اذا وقعت قبلها كسرة او ياء ساكنة نحو بهم و
فيهم للمجانسة الا ان حمزة قرأ الالفاظ الثلثة بضم الهاء وهي عليهم واليهم ولديهم في
جميع القرآن حيث وقعت نظرا الى ان الياء فيهن بدل عن الالف ولو نطق بالالف لم يكن
في الهاء الا الضم فكذا الحال اذا نطق بدلها **قوله** ونصبه على الحال اي قراءة عاليهم بفتح الياء
مبني على كونه حالا من الضمير المجرور في قوله ويطوف عليهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا،،
المطوف عليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل المنصوب على الحال وعاليهم
نكرة لكون اضافته لفظية لانه اسم فاعل بمعنى الاستقبال المضاف الى معموله فلاجل كونه نكرة
جاز نصبه على الحال اذ حق الحال ان يكون نكرة ويجوز بحسب العربية ان يكون عاليهم حالا
من الولدان او يكون ضميره لهم لا للابرار الا ان المصنف لم يلتفت اليه من حيث ان المقام مقام
تعداد نعيم الابرار وكرامتهم فالمناسب ان يكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان او على كونه
حالا من الضمير المنصوب في حسبتهم اي حسبت الولدان عاليا اياهم ثياب سندس او من المضاف
المقدر قبل مفعول رايت اي رايت اهل نعيم وملك كبير عاليهم فعاليهم حال من الاهل المقدر وجعل
الزمخشري قراءة الرفع مبنية على ان يكون عاليهم مبتدا وثياب سندس خبره بمعنى ما يعلوهم
من لباسهم ثياب سندس ويجب ح ان يكون اسم الفاعل بمعنى الجمع لان خبره جمع والخبر اذا
كان جمعا يجب ان يكون المخبر عنه جمعا ايضا او في معنى الجمع **واورد** عليه ان اضافة عاليهم
لفظية فيكون نكرة فكيف جاز الابتداء بالنكرة واجيب بان فيه تخصصا ما بالاضافة من
حيث كونها اضافة الى المعرفة فلذلك جاز الابتداء به واختار المصنف عكس ذلك حيث جعل
ثياب سندس مبتدا وعاليهم خبره **قوله** حملا على سندس بالمعنى اي قرئ بجر خضر على انه صفة

بدليل ما روي ان رجلا قال لرسول الله عليه الصلوة والسلام ارايت ان دخلت الجنة ... عيناك ... فقال عليه الصلوة والسلام نعم ...

نائب ... الابرار

قيل ... الولدان ... الابرار ... الطائفين

جواب عما ... عاليهم ... مفرد ... خبره جمعا ... لا يكون ... في اللفظ ... مفرد في ...

لسندس ولما وراه يقال خضر جمع اخضر فكيف جاز جعله صفة لسندس وهو مفرد دفعه
بما هو محصول ان سندسا وان كان مفردا بحسب اللفظ لكن لما اريد به الجنس كان في معنى الجمع
فلذلك صح وصفه بالجمع كما في قوله تعالى وينشئ السحاب الثقال واعلم ان القراء السبعة في خضر
واستبرق على اربع مراتب الاولى رفعهما نافع وحفص فقط خضر صفة لثياب كقولك
يلبسون ثيابا خضرا واستبرق بالرفع معطوف على ثياب لكن على حذف مضاف اي وثياب
استبرق كما في قولك على زيد ثوب خز وكتان اي وثوب كتان والثانية خفضهما حمزة
والكسائي خضر صفة لسندس واستبرق عطف عليه لان المعنى ثياب من سندس وثياب
من استبرق والثالثة رفع الاول وخفض الثاني لابي عمرو وابن عامر رفع خضر على
انه نعت لثياب وجر استبرق عطفا على سندس اي ثياب خضر من سندس ومن
استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق ايضا خضرا والرابعة عكس الثالثة اي خفض
الاول ورفع الثاني جر خضر على انه صفة نعت لسندس ورفع استبرق عطفا على
ثياب بحذف مضاف اي وثياب استبرق والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن
والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق وقيل عاليهم ظرف مكان بمعنى فوقهم لانه
منصوب على الظرفية ثم منهم من قدر مضافا اي فوق حجالهم المضروبة عليهم ثياب
سندس والمعنى ان حجالهم من الحرير والديباج لان كل واحد من الاستبرق والسندس
داخل في اسم الحرير في قوله ولباسهم فيها حرير قوله عطف على ويطوف عليهم عطف
جملة فعلية وحلوا وان كان ماضيا لفظا فانه مستقبل معنى وعبر بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه واساور مفعول ثان لحلوا بمعنى وحلوا قوله ولا مخالفة جواب لما يقال انه تعالى قال
في سورة الكهف يحلون فيها من اساور من ذهب وفي سورة الحج يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤا فكيف جعل تلك الاساور هاهنا من فضة قوله لامكان الجمع اي لجواز ان يجمع
في ايديهم سواران من فضة وسواران من ذهب وسواران من لؤلؤ ليجمع لهم محاسن
الجنة وفي التيسير قال سعيد بن المسيب ليس من اهل الجنة احد الا في يده ثلثة اسورة
واحد من فضة واخر من ذهب والثالث من لؤلؤ فذلك قوله تعالى يحلون فيها من اساور
من ذهب ولؤلؤا وجاز ان يكون ذلك بحسب التعاقب في الاوقات تارة يلبسون الذهب
وتارة يلبسون الفضة او بان يعطى لكل واحد ما يرغب فيه ويميل طبعه اليه فان الطباع
مختلفة فرب انسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه لصفرة الذهب وجاز
ان يكون ذلك على حسب اختلاف اعمالهم قوله وعلى هذا يجوز الحمل اشارة الى دفع المخالفة بين

بين الايتين بوجه اخر وهو ان تكون اسورة الذهب للمخدومين واسورة الفضة للخدم
وانما قال وعلى هذا لما ترى ان ضمير عاليهم يجوز ان يكون للولدان بان يكون حالا من ضمير حسبتهم
فعلى هذا اذا كان قوله تعالى وحلوا حالا من ضمير عاليهم يكون مسندا الى ضمير الولدان ايضا
بخلاف ما اذا كان حالا من ضمير عليهم او من ملكا كبيرا على تقدير المضاف فان حلوا على
التقديرين يكون مسندا الى ضمير الابرار فتكون اسورة الفضة لهم لا للولدان قوله فان مطهر
اشارة الى ان الطهور بمعنى المطهر قال مقاتل هو عين ماء على باب الجنة تنبع من ساق
شجرة منها نزع الله تعالى ما كان في قلب من شرب منه من غش وغل وحسد وما كان في
جوفه من قذر واذى وقال ابو قلابة يؤتون بالطعام والشراب فاذا استوفوا منها
حظهم يؤتون بالشراب الطهور فيشربون فتطهر اي فتنهضم بذلك بطونهم ويفيض عرقا
من جلودهم مثل ريح المسك فظهر من قولهما ان الطهور بمعنى المطهر لان شربه يطهر باطنهم
عن الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية وقيل الطهور مبالغة الطاهر من حيث انه
ليس بنجس كخمر الدنيا وما مسته الايدي القذرة والاقدام الدنسة ولا يؤول الى ان
يكون نجسا لانه يترشح عرقا من ابدانهم له ريح كريح المسك قال علي رضي الله عنه في هذه الاية اذا
توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة تخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احديهما
فيجري عليهم بنضرة النعيم فلا يتغير ابشارهم ولا تشعث شعورهم ابدا ثم يشربون
من الاخرى فيخرج ما في بطونهم من الاذى ثم يستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام
عليكم طبتم فادخلوها خالدين قوله على اضمار القول اي يقال لهم هذا الذي ترونه من الكرامات
طبق ما وعده الله تعالى في القران العظيم ثواب اعمالهم فيزداد بذلك القول فرحهم وسرورهم
كما ان المعاقب يزداد غمه اذا قيل له هذا جزاء عملك الردي وشكر الله تعالى للعبد قبول طاعته
وثناؤه عليه واثابته واطلاق الشكر عليه مجاز تشبيها له بالشكر من حيث انه مقابل
للعمل كما ان الشكر مقابل للنعم وقيل ليس هو حكاية ما يقال لهم في الجنة بل هو اخبار من الله
لعباده في الدنيا كانه تعالى شرح لهم ثواب اهل الجنة ثم قال ان هذا كان في علمي وحكمي جزاء
اعمالكم لكم خلقتها ولاجلكم اعددتها قوله وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل
به فان المقصود من الاية لما كان تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما
نسبوه اليه من كهانة وسحر ذكر الله تعالى ان ما نزل عليه متفرقا آية بعد آية وحي من الله تعالى
وبالغ في تاكيد كونه وحيا من عنده حيث اكد الحكم بان وكرر الضمير بعد ايقاعه اسما
لان تاكيدا على تاكيد فكانه تعالى يقول ان هؤلاء الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الملك الحق

اقول على سبيل التكيد ان ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي فلا تكترث بطعنهم
فانك انت النبي الصادق المصدق فوثق به قلبه عليه الصلوة والسلام وازال من خاطره
المبارك الغم والوحشة الحاصلين من طعن الكفار وجعله مقدمة ممهدة لما رتب عليه
من الامر والنهي فان الاشتغال بالطاعة والقيام بهذه التكاليف لا يتم الا بعد فراغ القلب
ثم امره بالصبر بما حكم به من تاخير نصره على الكفار وتعليقه الامور باوقاتها وذلك ان
الكفار كانوا يبالغون في ايذائه وهو صلى الله عليه وسلم كان يريد ان يأذن له في مقاتلتهم
وان ينصره عليهم فقال له عليه الصلوة والسلام انا ما نزلنا عليك هذا القران مفرقا
منجما الا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين وتلك الحكمة اقتضت تاخير الاذن
في القتال الى وقته المقدر فاصبر لما حكم به ربك من تاخير نصرك عليهم الى وقته ومن احتمال
اذاهم مدة قليلة ولا تستعجل فانه كائن لا محالة لان الامر بالصبر يؤذن باتيان المسرة
والفرج بعده **قوله** اي كل واحد من مرتكب الاثم الخ بيان لحاصل المعنى وما يؤول اليه فان
كلمة او لاحد الامرين والتسوية بينهما لا للسلب الكلي فانك اذا قلت في الاباحة جالس
الحسن او ابن سيرين كان المعنى جالس احدهما فكذا في النهي اذا قلت لا تكلم زيدا او عمرا
فالتقدير لا تكلم احدهما فيؤول المعنى الى النهي عن تكلم كل واحد منهما لان كل واحد منهما
يصدق عليه مفهوم احدهما وقد نهى عن تكلمه فانه لا فرق بين قولك لا تكلم احدهما ولا تكلم
واحدا منهما والثاني يفيد النهي عن تكلم كل واحد منهما بناء على ما اشتهر من ان النكرة في
غير الموجب يفيد العموم فكذا الاول لانه بمعناه فلذلك فسر الاية بقوله لا تطع كل واحد منهما
وروي عن الفراء انه قال تقدير الاية لا تطع احدا منهم سواء كان آثما او كفورا كقول الرجل
لمن سأله شيئا لا اعطيك سواء سألت او سكت **قوله** والتقسيم باعتبار ما يدعونه
اليه من الاثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في انفسهم الى الآثم والكفور لان القوم كلهم كانوا
كفرة والكفور اخبث انواع الآثم فيكون كلهم آثمين ايضا فلا معنى للتقسيم بحسب كفرهم
واثمهم فلذلك اعتبر في كل واحد من القسمين كونه داعيا الى ما ارتكبه من المعصية ولم يجعل
الآثم مجرد من يرتكب الاثم ولا الكفور مجرد من يرتكب الكفر وتوغل فيه فالمعنى لا تطع من يدعوك
من الكفرة الى الاثم ولا من يدعوك منهم الى الكفر فان الطاعة تقتضي سبق الدعوة من قبل
المطاع وتعين كون المدعو اليه اثما او كفرا استفاد من تعليل النهي بوصف الكفر والاثم
القائمين بهم فانه يدل على ان من اتصف بهما يجب ان يعصى ولا يطاع فيما اتصف
به وان كل واحد منهما مستقل في ايجاب العصيان وحاصل الكلام ان التقسيم للدلالة على

ان

ثم ان كان الجمع بين الشيئين
مما فيه فضيلة وشرف غالبا
كما في هذا المثال يكون كلمة او
للاباحة فيجوز الجمع بين الشيئين
والاقتصار على احدهما والا
فهي للتخيير نحو اضرب زيدا او
عمرا فلا يجوز الجمع بين الشيئين
بل يجب الاقتصار على احدهما
منه

على ان ليس المراد النهي عن مطاوعتهم مطلقا بل عن مطاوعتهم في الاثم والكفر والاثم اعم
من الكفر يتناول المعاصي كلها فكل كفور آثم وليس كل آثم كفورا فنهيه عليه الصلوة والسلام عن
اطاعتهم في الاثم يتناول نهيه عليه الصلوة والسلام عن اطاعتهم في الكفر وفي سائر المعاصي
الا ان الكفر لما كان اخبث انواع الاثم خصه بالذكر تنبيها على غاية خبثه وان لا ينبغي ان يكتفى
في النهي عنه بانه مندرج تحت مفهوم الاثم وفي نهيه عليه الصلوة والسلام عن اطاعة الكفرة
فيما يدعونه اليه مع انه عليه الصلوة والسلام ما كان يطيع احدا منهم ولا يتصور في حقه ذلك
اشارة الى ان الناس محتاجون الى مواصلة التنبيه والارشاد من حيث ان طبيعتهم التي
جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية الى السهو والغفلة وان احدا لو استغنى عن توفيق
الله تعالى وامداده وارشاده لكان احق الناس به هو الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم
فظهر منه انه لا بد لكل مسلم ان يرغب الى الله تعالى ويتضرع اليه في ان يحفظه عن الفتن والآفات
في جميع اموره **قوله** ودوام على ذكره حمل الامر بالذكر على المداومة عليه سواء اريد بالذكر
مطلق الذكر او الصلوة على طريق اطلاق الجزء على الكل لانه عليه الصلوة والسلام كان آتيا
بنفس الذكر المأمور به وقول الزمخشري ودم على صلوة الفجر والعصر مبني على انه حمل قوله تعالى
بكرة على اول النهار وقوله اصيلا على الوقت بعد العصر الى المغرب كما صرح به الجوهري في الصحاح
وهو كما ترى تفسير للاية على وجه لا يتناول صلوة الظهر وادخلها المص في الذكر الواقع في
الاصيل بناء على ان الاصيل قد يطلق على ما بعد الزوال ايضا وانتصاب بكرة واصيلا على
الظرفية وكذا انتصاب ليلا طويلا اي صل لربك اول النهار وآخره ففي اوله صلوة الصبح
وفي آخره صلوتي الظهر والعصر **قوله** وتقديم الظرف الخ يريد انه قدم للاهتمام ووجه الاهتمام
كون ما فيه من الصلوة اشق على النفس واتم اخلاصا فيكون اعظم اجرا لان افضل الاعمال
اشقها واخلصها وقيل قوله تعالى وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الامر للندب
وقيل هو مخصوص بالنبي صلى الله عليه السلام واعلم انه تعالى قال في هذه الاية واذكر اسم ربك
وقال في آية اخرى واذكر ربك في نفسك اشارة الى ان العقول البشرية لا سبيل لها الى معرفة
الحقيقة المخصوصة لذاته المقدس بل ليس لهم الا معرفته باسمائه وصفاته فلذلك قال تارة
واذكر اسم ربك اشارة الى معرفة الاسماء وقال اخرى واذكر ربك في نفسك اشارة الى الصفات
الصفات اذ لا سبيل لشيء من الممكنات والمحدثات الى الاطلاع على حقيقته المخصوصة التي
هي المستلزمة لهذه اللوازم السلبية والاضافية ثم انه تعالى لما خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم
خطاب تعظيم وثبت قلبه وازال عنه ما اعتراه من الغموم بان قال له انا نحن نزلنا عليك

وهديتك وشرحت صدرك بانزال هذا القران العظيم عليك مفرقا منجما وامره بالانقياد له
والصبر لحكمه ونهاه عن طاعة غيره عاد الى شرح احوال الكفار فقال ان الذي حمل هؤلاء الكفار على
الكفر والاعراض عن اتباع ما تدعوهم اليه ليس هو اشتباه الحق عليهم لعدم كفاية ما نزلنا
عليك من الآيات والدلائل الدالة على التوحيد وحقية امر النبوة فيما استقله من البيان والآثار
فان فيما انزلنا اليهم كفاية في تبيين الحق والارشاد اليه وانما الذي حملهم عليه هو غلبة الشهوة
والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات البدنية الدنية قوله امامهم او خلف ظهورهم
فان الوراء يستعمل بكل واحد من المعنيين قال الجوهري وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام
وهو من الاضداد قال تعالى ومن ورائهم جهنم وقال وكان وراءهم ملك اي امامهم انتهى والمظ
في وجه الاستعمالين ان وراء اسم للجهة المتوارية اي المستترة المختفية عنك واستتار جهة
الخلف عنك ظاهر وما في جهة الامام قد يكون متواريا عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه بجهة
الخلف في ذلك فيستعار له اسم الوراء لذلك واما الوراء ههنا ان كان بمعنى الامام فالمعنى ظاهر
لان يوم القيمة امامهم وقد تركوا ادراك امره وما ينفعهم فيه وان كان بمعنى الخلف فيحتاج الى
تأمل لان يوم القيمة ليس خلفهم بل هو قبل انهم يذرونه خلفهم والظاهر ان قوله ويذرون وراءهم
يوما ثقيلا يكون استعارة تمثيلية ح اي على تقدير ان يكون الوراء بمعنى الخلف بان شبهت حالهم في
عدم اهتمامهم بيوم القيمة واعراضهم عنه وعدم التفاتهم اليه بجعلهم اياه وراء ظهورهم
فاستعمل ما يدل على الحال المشبه بها في الحال المشبهة ويحتمل ان يكون الكلام على تقدير المضاف
اي ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل ووصف اليوم بالثقل مع انه من صفات الاعيان
الجسمية الاستعدادات الوهمية مجاز اشبه له في شدته وهوله بالحمل الثقيل يقال بهظه الحمل
اي اثقله قوله وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه اي توصيف اليوم بالشدة وان وقع في تقبيح
حال الكفار من اهل مكة الا انه يصلح تعليلا لما جرى بينه تعالى وبين رسوله صلى الله عليه وسلم من
الامر والنهي كانه قيل امرتك بما امرتك ونهيتك عما نهيت عنه لتنجو من ثقل ذلك اليوم وشدته
وتظفر فيه بجميع السعادات والكرامات قوله واحكمنا ربط مفاصلهم فسر الاسر بالربط كما
هو المنقول عن اهل اللغة وقدر بعده مضافا وهو المفاصل لما ذكرنا ولان الداعي لهم الى الاصرار
على ما هم عليه من الكفر والعناد حب العاجل اتبعه بهذه الآية فكانه قيل لهم هب ان حبكم لهذه
اللذات العاجلة طريقة مستحسنة الا ان ذلك يوجب عليكم الايمان بالله والانقياد له من حيث
ان جميع ما انتم فيه من النعم وما تتمكنون به من الانتفاع بها انما هو بخلق الله وحده لا شريك
له في خلق شيء منها كما يفيده تقديم المسند اليه في نحن خلقناه وحق مثل هذا المنعم ان يطاع

ان يطاع في جميع ما يكلف به ولا يعصى بوجه ما وانتم قابلتم لاحسانه بكمال العصيان مع انكم ترغبون
في احسانه وفي ان يزيد عليكم ما تأملونه ومثل هذه الرغبة تنافي العصيان ثم اشار بقوله و
اذا شئنا الآية الى ان من قدر على اعطاء هذه النعم قادر على ان يهلككم ويسلب عنكم جميع ما
انتم فيه من اللذات وان يلقيكم في كل محنة وبلية فان لم تطيعوا هذا المنعم القادر شكرا لانعامه
ورغبة في مزيد احسانه فلم لا تطيعونه خوفا من قهره ونقمته والحاصل ان حب العاجلة وحده
مع قطع النظر عن الظفر بالسعادات الباقية والنجاة عن شدة اليوم الثقيل كاف في ايجاب
طاعة الله تعالى رغبة في تلك الحظوظ العاجلة ورهبة عن زوالها فهو توبيخ عظيم على كفرهم
قوله ولذلك جيء باذا يعني ان امثالهم الذين جعلوا بدلا منهم يحتمل ان يكون المراد بهم المعادين
بالنشأة الثانية فانهم امثالهم من حيث ان كل واحد منهم يشتمل على ما هو عين الاجزاء الاصلية
للمبدأ مع شدة الاسر والارتباط بينها وان كانوا غيرهم ومخالفين لهم بحسب العوارض
كاللطافة والكثافة فح يكون كلمة اذا في موقعها لان حقها ان يستعمل فيما يكون معلوم الوقوع واعادة
الامثال وتبديلها من المبتدئين محقق الوقوع لا ريب فيها ويحتمل ان يكون المراد بتبديل الامثال
ايجاد امثال هؤلاء الكفرة في الصورة وشدة الاسر وان خالفوهم في العمل والطاعة بعد
اهلاك هؤلاء الكفرة في الدنيا فح يكون ايراد كلمة اذا في هذا الموضع محتاجا الى التوجيه لان
ايجاد امثالهم في الدنيا ليس معلوم الوقوع فالمقام بحسب الظاهر مقام ان التي لا تستعمل الا في الامور
المحتملة التي لا يعلم وقوعها ولا وقوعها فاشار المص الى توجيه ايرادها ح بان ايجاد امثالهم في
الدنيا وان لم يتحقق وقوعه الا انه بمنزلة معلوم الوقوع من حيث كونه داخلا تحت قدرة
الله تعالى وقوة ما يدعون اليه من كفرهم وعنادهم وعدل الله تعالى وكونه شديد العقاب
قوله تقرب اليه بالطاعة فسر السبيل الى مرضاة الرب بالطاعة وفسر اتخاذها بالتقرب
بها اليها اي اذا اتضح هذا التذكير فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلا
مقربا الى مرضاة ربه وهو الطاعة قوله الا وقت ان يشاء الله اشارة الى ان مع الفعل
في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف وانتصابه بالظرفية في نحو قولك آتيك خفوق
النجم وصياح الديك فهو استثناء مفرغ اي ما تشاؤن وقتا من الاوقات الا وقت ان
يشاء الله مشيتكم قال الامام واعلم ان هذه الآية من جملة الآيات التي تلاطمت فيها امواج
القدر والجبر فالقدري يتمسك بقوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ويقول انه صريح مذهبي و
نظيره فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر والجبري يقول متى ضمت هذه الآية الى الآية التي
بعدها خرج منه صريح مذهب الجبر وذلك لان قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا يقتضي

صح الكتاب

ان يكون مشية العبد حتى كانت خالصة فانها تكون مستلزمة للفعل وقوله بعد ذلك
وما تشاؤن الا ان يشاء الله يقتضي كون مشية الله تعالى مستلزمة لمشية العبد ومستلزم
المستلزم مستلزم فاذن مشية الله تعالى مستلزمة لفعل العبد وذلك هو الجبر وهكذا الاستدلال
على الجبر بقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لان هذه الآية ايضا تقتضي كون المشية للعبد
مستلزمة للفعل وباقي التقرير كما تقدم ثم نقل عن المعتزلة ما اجابوا به عن هذا الاستدلال
بقوله قال القاضي المذكور في هذه الآية اتخاذ السبيل الى الله تعالى ونحن نسلم ان الله تعالى قد شاءه
لانه تعالى امر به فلا بد وان يكون قد شاءه وهذا لا يقتضي ان يقال العبد لا يشاء الا ما شاءه
الله تعالى على الاطلاق اذ المراد بذلك الامر المخصوص الذي قد ثبت انه تعالى قد اراده وشاءه
ثم ضعف هذا الجواب بقوله واعلم ان هذا الكلام الذي ذكره القاضي لا تعلق له بالاستدلال
على الوجه الذي ذكرناه ولخصناه وايضا فحاصل ما ذكره القاضي تخصيص هذا العام
بالصورة التي مر ذكرها فيما قبل هذه الآية وذلك ضعيف لان خصوص ما قبل الآية لا يقتضي
تخصيص هذا العام به لاحتمال ان يكون الحكم في هذه الآية واردة بحيث تعم تلك الصورة
انتهى كلام الامام فثبت بما ذكره ان دليل الجبرية على مذهبهم تام لا يتوجه عليه جواب
المعتزلة الا انه لا يستلزم القول بالجبر الصرف بان يكون العبد مجبورا على افعاله بحيث لا
يكون لمشيته مدخل فيها كيف وقد صرح في الدليل ان الفعل مستند الى مشية العبد وان
مشيته الخالصة عن موانع الوجود مستلزمة للفعل غاية ما في الباب ان المشية ليست
من الافعال الاختيارية له بل هي متوقفة على ان يشاء الله اياها وذلك لا ينافي كون الفعل
الذي تعلقت به مشية العبد اختياريا له واقعا بمشيته وان لم تكن مشيته مستقلة فيه
وهو الجبر المتوسط الذي يقول به اهل السنة ويقولون الامر بين الامرين والله تعالى اعلم
وقرأ نافع والكوفيون تشاؤن على الخطاب العام او على الالتفات من الغيبة في قوله
نحن خلقناهم والباقون بياء الغيبة موافقا لقوله خلقناهم وما بعده قوله لتطابق
الجملة المعطوف عليها فان هذه الجملة معطوفة على جملة فعلية قبلها وهي قوله يدخل
من يشاء فاذا انتصب الظالمين على طريق انتصاب ما اضمر عامله على شريطة
التفسير لاشتغال الفعل الذي بعده عنه بضميره تطابقت الجملتان في الفعلية ويكون
قوله والظالمين في مقابلة قوله من يشاء بخلاف ما اذا ارتفع الظالمون بالابتداء فانه
ح تفوت المطابقة بين الجمل المتعاطفة وقيل وايضا يلزم المخالفة لرسم المصحف الامام
قوله وكافانا يقال كافأته على ما كان منه مكافأة اذا جازيته ولم يضمر ناصب الظالمين من

من لفظ المفسر وهو اعد لهم بل اضمر ما يناسبه في المعنى من نحو اوعد وكافأ وعذب لان نفس
اعد لا يتعدى بنفسه الا ترى الى قوله واعد لهم وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرأ وللظالمين
بزيادة اللام على تقدير واعد للظالمين

سورة المرسلات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله متتابعة اشارة الى ان عرفا من باب
التشبيه البليغ بان شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس من قولهم جاؤا
كعرف الفرس اي متتابعة وفي الصحاح والعرف عرف الفرس وقوله تعالى والمرسلات عرفا
يقال هو مستعار من عرف الفرس اي يتتابعون كعرف الفرس انتهى والظاهر انه لم يرد الاستعارة
المصطلحة لان ذكر المشبه وهو الطوائف المرسلات يمنع من كونها استعارة وانتصاب
عرفا على انه حال من المرسلات جمع مرسلة الواقعة صفة لطائفة من الملائكة فلما اريد توصيف
طوائف من الملائكة الذين كل طائفة منهم مرسلة لمصلحة قيل والمرسلات بان جمعت
بالالف والتاء لكونها جمع مؤنث من العقلاء وهي الطائفة المرسلة ولا يكفي في صحة جمعها
بالالف والتاء ان يقدر موصوفها الملائكة لان واحدها ملك مرسل فيقال في جمعه ملائكة
مرسلون او ملائكة مرسلة ان اولت الملائكة بالطائفة او الجماعة واشار المصنف الى ما
ذكرنا بقوله اقسم بطوائف من الملائكة قوله بأوامره اي بتنفيذ ما حكم به وامره بامضائه من
تعذيب قوم وانجاء آخرين ويمكن المراد من ارسالهن بالاوامر ايصال الاوامر الالهية
الى الانبياء لانه ح لا يبقى للتخصيص بالاوامر فائدة ويبقى قوله والناشرات مكررا لحمل النشر
في ايصال الارزاق بالتصرف بالامطار والرياح وكتابة اعمال العباد بالليل والنهار وقبض
الارواح وعصفا مصدر مؤكد وكذلك نشرا وفرقا وعصوف الرياح شدة هبوبها
شبهت الطوائف المرسلات من الملائكة في سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن بالرياح
القوية الهبوب والفاء للدلالة على اتصال جريهن بالارسال من غير مهلة وهي لعطف الصفة
على الصفة لا لعطف الموصوف على الموصوف لاتحاد موصوف المرسلات والعاصفات
وعدل الزمخشري وبطوائف منهن نشرن يدل على انه جعل الواو في قوله تعالى والناشرات
للاستئناف قسم آخر بطوائف اخر منهن نشرن ويمكن حمل كلام المص عليه بان يجعل
تقدير كلامه وبطوائف اخر منهن نشرن الشرائع من قولهم نشر المتاع ونحوه اي بسطه
واظهره او نشرن النفوس الموتى بالجهل اي بعثها واحيتها فعلى هذا تكون اول السورة
مشتملا على قسمين اقسم الله تعالى اولا بقسم من الملائكة ووصفهم بوصفين وهما المرسلات
والعاصفات وعطف احدهما على الآخر بالفاء لكون عصوفهن تعقب ارسالهن واقسم

قوله هذا ان آيات لعطف
الصفات لا لعطف الذوات
والمعنى اقسم بطوائف الملائكة
التي ارسلهن فعصفن
... فالتعقيب
كما في قوله يا لهف زيابة
للحارث الصابح فالغانم فالآيب
بمعنى صبح فغنم فآب
والفاء تدل على ترتب
معانيها في الوجود تمت

سمى الوحى ذكرا لانه يذكر الناس ويعظهم منه

ثانيا بقسم اخر منهم ووصفهم بثلثة اوصاف وهى الناشرات والفارقات والملقيات
وعطف بعضها على بعض بالفاء ايضا الا ان ملاحظة كون الفرق عقيب النشر وكون
الالقاء عقيب الفرق محل تامل من حيث ان الظاهر ان الفرق بين الحق والباطل يكون
مع النشر لابعده وان الفاء الذكر الى الانبياء متقدم على نشر الشرايع فى الارض واحياء
النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل لانه يعقبهما ويحصل بعدهما فما وجه
الفاء فى الموضعين الاخيرين ويمكن ان يقال ليس المراد بالناشرات من يحدث فيه
صفة النشر ويكون ناشرا بالفعل حتى يقال انه مع الفرق بل المراد بها ما من شانه النشر
كما يقال لله تعالى انه خالق ورازق فى الازل ويقال للسيف وهو فى جفنه انه قاطع وكذا المراد
بالفارقات ما من شانه ان يفرق بينهما وتقارن النشر والفرق بهذا المعنى زمانا
لاينافى كون النشر علة متقدمة بالذات على الفرق والفاء الذكر بالفعل الى الانبياء متفرع
على تلك الصفتين فظهر ان كلمة الفاء فى الموضعين اصابت موقعها هذا على تقدير
ان يكون الكلام مشتملا على قسمين وان يكون المرسلات والعاصفات صفتين لمقسم به واحد
والثلث الاخيرة صفات للمقسم به الاخر واما ان جعل الكلام قسما واحدا وجعل الكل صفات
لشىء واحد كما يدل عليه ظاهر كلام المص فالوجه فى اختصاص بعض الاوصاف بالواو وبعضها
بالفاء ان العطف بالفاء كما كان مقتضيا لاتصال الثانى بالاول وتعلقه به لكون الاول سببا للثانى
بخلاف العطف بالواو مثلا اذا قيل قام زيد فذهب فالمعنى انه قام ليذهب فكان قيامه سببا لذهابه
ومتصلا به واذا قيل قام وذهب فهما خبران مستقلان لايتعلق احدهما بالاخر ظهر بذلك وجه الاختصاص
وذلك لان اول السورة موضع القسم فلا بد ان يختص بواو القسم وان الملائكة اذا ارسلت طارت
سريعا بلا توقف وذلك الطيران هو العصف فالعصف مرتب على الارسال فلاجرم عطف على ماقبلها
بالفاء واما نشر الشرايع واحياء النفوس الجاهلة بها ووصف فانه لايترتب على الارسال والعصف
فان الملائكة اول ماينقلون الوحى الى الرسل لايصير ذلك الدين فى الحال مشهورا ومنتشرا بل الخلق
يوذون الانبياء عليهم الصلوة والسلام فى اول الامر وينسبونهم الى الكذب والسحر والجنون فلاجرم
لم يذكر الفاء الذى يفيد التعقيب بل ذكر الواو من حيث ان النشر لما تراخى عن الارسال صار كانه
امر مستقل بنفسه لاتعلق له بالارسال ثم اذا حصل النشر ترتب عليه حصول الفرق بين الحق
والباطل والقاء الذكر اى اتمام الوحى ومايتعلق بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال فلذلك ذكر هذين
الامرين بحرف الفاء ومن عرفه بهذا الوجه على ان تكون الصفات الخمس لطوائف الملائكة امكنه
ان يلاحظ وجه الاختصاص على تقدير ان يجعل الصفات المذكورة على غير الملائكة قوله اوبا

ولعل تقديم نشر الشرايع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوايف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جىء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق ابو

فعلى هذا الفرق ضد النكر منه

اوبايات القران عطف على قوله بطوائف فعلى هذا يكون المقسم بايات القران الموصوفة
بتلك الصفات الخمس قوله بكل عرف اشارة الى ان انتصاب عرفا بنزع الخافض اقسم الله تعالى
بالايات المرسلة على لسان جبرئيل الى محمد صلى الله عليه وسلم بكل خير ومعروف كيف وهى الادلة
الى سبل النجاة والموصلة الى مجامع الخيرات ثم حذف الجار واوصل الفعل الى المجرور بنفسه
قوله فعصفن سائر الكتب والاديان اى غلبتها وقهرتها يقال عصف بالشىء اى اباده واهلكه
وعصفت الحرب بالقوم اى ذهب بهم قوله اوبرياح عذاب ورياح رحمة فعلى هذا يكون قوله
والناشرات قسما ثانيا برياح الرحمة بعد ان اقسم برياح العذاب التى ارسلها عرفا اى
متتابعة كشعر العرف فعصفن ووصف الرياح بالعصف والارسال شايع كثير قال تعالى وارسلنا
الرياح الله الذى يرسل الرياح وحمل المرسلات العاصفات على رياح العذاب بشهادة توصيفها
بالعصف الذى هو شدة الهبوب وهى امارات كونها مرسلة للعذاب وحمل مابعدها على رياح
الرحمة اخذا من توصيفها بنشر السحاب فى الجو وتفريق اجزائه بعضها عن بعض عقب نشره
قال الله تعالى الله الذى ارسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى
الودق يخرج من خلاله فقوله والناشرات نشرا فالفارقات فرقا على هذا التفسير ومعنى قوله
تعالى فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا اى قطعا فان الكسف جمع كسفة وهى القطعة
من الشىء والرياح الموصوفة بصفات القهر واللطف لما كانت سببا لتمسك العاقل بذكر الله تعالى
والالتجاء اليه تعالى عفوه ورحمته وبذل الجهد فى شكر نعمه صارت تلك الرياح كانها القت الذكر فى القلب
فلذلك قيل فى حقها فالملقيات ذكرا واسند الالقاء اليها اسنادا مجازيا قوله مصدران لعذر
وانذر يكون عذرا مصدر عذر ظاهر لان فعلا كالشكر والكفر من مصادر الثلاثى واما كون نذرا
مصدر انذر فليس بظاهر فكانه اراد انه اسم المصدر كالطاقة او انه مصدر نذر بمعنى انذر
الا ان نذر لما لم يشتهر فى ذلك المعنى لم يذكره وذكر فى موضعه انذر لشهرته وكونه ادخل فى ايضاح
المعنى قوله اوجمعان جمع العذير بمعنى المعذرة والنذير بمعنى الانذار لاختلاف اجناسهما
بحسب اختلاف الاسباب فانه لا اختلاف فى انه يجوز تثنية المصدر وجمعه لقصد الانواع والاجناس
قوله ونصبهما على الاولين اى على ان يكونا مصدرين اوجمعى ما هو بمعنى المصدر بالعلية اى
على انهما مفعول لهما والعامل فيهما الملقيات اى فالملقيات ذكر المحو ذنوب المحقين المعتذرين
الى الله تعالى بالتوبة والاستغفار وتخويفا للمبطلين المصرين قوله اوالبدل عطف على قوله
بالعلية ثم ان كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحى يكون عذرا او نذرا بدل البعض من الكل
فان مايتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحى وان اريد بالذكر

كما قال اليوم اكملت لكم دينكم ومن يبتغ الى هذا المعنى بقوله فالمتقين ذكرا الحجب الالسنة الا لكون فى القلوب الا ذكر الله منه

المبدأية ما يتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فان الثناء
ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع الثناء عذره ومحو اساءته وكذا الثناء ما يتعلق بشقاوة
الكافر متحد مع الثناء انذاره على كفره قوله وعلى الثالث وهو ان يكونا جمعي عاذر ونذير بمعنى المعذر
والمنذر يكون انتصابهما على الحالية من المنوي في الملقيات اي عاذرين ومنذرين قوله
بالتخفيف اي باسكان الذال وتثقيلها تحريكها بالضم قوله انما توعدون ما موصولة في محل النصب
على انه اسم ان وتوعدون صلتها والعائد محذوف والواقع خبرها وكان من حق ان ان تكتب
منفصلة عن ما الموصولة ولكنهم كتبوها متصلة بها قوله من مجيء القيمة خص الموعود بالقيمة
لان المذكور عقيب هذه الايات علامات يوم القيمة فدل ذلك على ان المراد بالموعود هو القيمة
فقط وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظرا الى عموم لفظ الموصول
في الصحاح الطموس الدروس والانمحاء طمس الطريق والطمس اي المحي ودرس والطمس محو
الاثر الدال عليه فيحتمل ان يكون المراد محق ذواتها وهو موافق لقوله تعالى واذا النجوم
انتثرت وان يكون المراد محق انوارها والاول اولى لانه لا حاجة فيه الى الاضمار ويجوز ان
يمحى نورها ثم تنتثر ممحوقة النور والنجوم مرتفعة بفعل مضمر يفسره ما بعده عند البصريين
غير الاخفش وبالابتداء عند الكوفيين والاخفش وطمست خبره والاول اولى لان اذا فيها
معنى الشرط والشرط بالفعل اولى ومحل الجملة على المذهبين الجر باذا وجواب اذا محذوف
والتقدير فاذا طمست النجوم وقع ما توعدون او بعثتم او جوزيتم على اعمالكم وحذف لدلالة
قوله ان ما توعدون لواقع عليه وقيل جوابه ويل للمكذبين وقيل التقدير فاذكروا اذا النجوم
طمست قوله صدعت اي انشقت وفتحت السماء فكانت ابوابا الفرج الشق فرجه الله تعالى
فانفرج وصدعه فانصدع اي انشق وكل مشقوق فرج قوله نسفت اي قلعت من اصلها
نسفت البناء نسفا قلعته والمنسفة آلة يقلع بها البناء وبعير نسوف يقلع الكلاء من
مقدم فمه والمنسف ايضا ما ينفض به الحب ونسفت الطعام اي نفضته ومنه قوله تعالى
لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا يقال حرقت الشيء حرقا اي بردته بالمبرد وشدد للكثرة
والمبالغة قوله عين لها وقتها الذي يحضرون فيه فسر توقيت الرسل لانه يبين لهم الوقت
الذي فيه يحضرون للشهادة على اممهم وذلك الوقت ما اشير اليه بقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم الاية ولما ورد عليه ان يقال انه تعالى لما اقسم على ان ما توعدونه من مجيء
يوم القيمة كائن لا محالة شرع بعده في ذكر علامات قيامها وذكر في عدادها توقيت الرسل
فكانه قيل اذا كان كذا وكذا كانت القيمة ولا يليق بهذا الموضع ان يقال واذا بين لهم الوقت
الذي

عطف على ما تم التوحيد
والشكر اي جزائهما
منه

عطف على
ومتى جوابه لاي يوم اجلت
اضمار القول اي اذا كان كذا
وكذا يقال لاي يوم اخرت
الامور المتعلقة باحضار هذه
الرسل وحججهم وهي تعظيم من
اممهم وتعذيب من كذبهم
وظهور ما كانوا يدعون اليه
الخلق الى الايمان به من الاهوال
والعرض والحساب ونشر
الدواوين ووضع الموازين
منه

٥٠٢

الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم من امارات القيمة لان ذلك البيان كان حاصلا في الدنيا قبل
ظهور مقدمات قيام الساعة بزمان كثير بخلاف الثلثة المتقدمة وهي الطمس والفرج والنسف
فانها مقدمات القيمة ولكن الا عند قيامها اشار المص الى جوابه بقوله لحصوله فانه يتعين
لهم قبله يعني ان تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات قيام القيمة ايضا من حيث
ان ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلا في الدنيا من حيث ان ذلك الوقت لم يتعين لهم
الا لحصوله وبان يقال لهم فيه احضروا للشهادة فقد جاء الوقت الذي يسألون فيه الذين
ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فكان من قبيل الثلثة المتقدمة ولما لم يتعين لهم ذلك
الوقت قبل حصوله حمل التوقيت على التعيين بالحصول اذ لا معنى التوقيت الا تحصيل الوقت
وتكوينه فان بناء التفعيلات يدل على تحصيل تلك الماهيات كالتسويد تحصيل السواد والتحريك
تحصيل الحركة فكذا التاقيت تحصيل الوقت لكن يرد عليه ان التوقيت بمعنى تحصيل الوقت
ايضا ليس من مقدمات القيمة وعلاماته بل هي ذلك الوقت فلا يحسن ان يقال اذا وقت
الرسل بحصول وقت حضورهم للشهادة وقت القيمة واعتبر التوقيت بالنسبة الى
حضور الرسل لا بالنسبة الى انفسهم وذواتهم مع ان قوله اقتت مسند الى ضمير انفس
الرسل لا الى حضورهم لان توقيت الشيء بمعنى تعيين وقته انما يعتبر بالنسبة الى الزمانيات
المتجددة لا الى الذوات القارة فاذا اضيف التوقيت بهذا المعنى الى الذوات فلا بد من
اضمار الحدث فلا يقال زيد موقت الا ان يراد موقت حضوره اي معين وقت حضوره و
قرئ ثانيا بقوله او بلغت ميقاتها الذي كانت ينتظره فان التوقيت قد يستعمل بمعنى جعل
الشيء منتهيا الى وقته المحدود والتوقيت بهذا المعنى يضاف الى الذوات من غير اضمار
الحدث قوله وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل لانه من الوقت والباقون ابدلوا الواو همزة
كما في أحدانا واجوه في وحدان ووجوه وادور في جمع دار اصله ادور فان كل واو انضمت
وكانت ضمتها لازمة فانها تبدل على الاطراد همزة وقعت اولا او ثالثة كما في الامثلة السابقة
والسبب فيه ان الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجري مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلا
ولهذا السبب يستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل في نحو لا تنسوا الفضل بينكم لان ضمة الواو
ليست بلازمة فيه قوله اي يقال لاي يوم اخرت اشارة الى ان الجملة الاستفهامية
في محل النصب بالقول المضمر وهذا القول المضمر يجوز ان يكون جوابا لاذا كما تقدم وان يكون
حالا من مرفوع اقتت اي مقولا فيها لاي يوم اخرت الرسل والامور المتعلقة بحججهم واحضارهم
ومعنى الاستفهام التفخيم والتعظيم لذلك اليوم والتعجب من هوله قوله ويجوز عطف على قوله

يعني ان قوله اقتت اسند
الى ضمير انفس الرسل لا
الى حضورهم منه

اي بلغت الرسل
ميقاتها منه

اى يقال فالتقدير حق واذا الرسل اعلمت وقت تاجيلها قوله ويل فى الاصل مصدر منصوب
باضمار فعله اى لكن لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا او هلك هو هلاكا والويل موضوع
موضع الاهلاك او الهلاك وهو اشارة الى وجه وقوع ويل مبتدا مع انه نكرة فانه لما كان
مصدرا سادا مسد فعله المخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة
بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا فى سلام عليك لما فخم يوم التاجيل بقوله لاى
يوم اجلت اتبع ذلك تعظيما ثانيا بقوله وما ادريك ما يوم الفصل ثم اتبعه بتهويل ثالث
فقال ويل يومئذ للمكذبين بكل ما جاء به الانبياء عليهم الصلوة والسلام واخبروا عنه
والمص قدر مفعول المكذبين اولا بقوله بذلك اى بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلايق و
ثانيا بقوله بايات الله وانبيائه ليكون كل واحد من المكذبين غير الاخر تنبيها على تخلصهما عن
من التكرار واعلم ان المقصود من هذه السورة تخويف الكفار وتحذيرهم عن الكفر فخوفهم
اولا بان اقسم على ان اليوم الذى يوعدون به وهو يوم الفصل لواقع ثم هول فقال وما ادريك ما
يوم الفصل ثم زاد فى التهويل فقال ويل يومئذ للمكذبين فهو النوع من التخويف والنوع الثانى
منه ما ذكره بقوله الم نهلك الاولين وهم جميع الكفار الذين هلكوا قبل بعثة محمد سيد المرسلين
صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين والاخرون هم الذين كانوا بعد بعثته صلى
الله عليه وسلم وخوفهم بان اخبر انه تعالى اهلك الكفرة المتقدمين بسبب كفرهم فاذا كان الكفر
حاصلا فى هؤلاء المتاخرين فلا بد وان يهلكهم ايضا قوله ثم نحن نتبعهم اشارة الى ان قوله ثم
نتبعهم ليس معطوفا على ما قبله لان المعطوف يوجب ان يكون المعنى اهلكنا الاولين ثم
اتبعناهم الاخرين فى الاهلاك وليس كذلك لان اهلاك الاخرين لم يقع بعد فلذلك قرئ
برفع نتبع على ان يكون منقطعا عما قبله ويستانف به الكلام على وجه الاخبار عما سيقع فى
المستقبل باضمار المبتدا اى نحن نتبعهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضى ثم سنتبعهم بزيادة
سين التنفيس قوله فيكون الاخرين المتاخرين من المهلكين لا الذين كذبوا محمدا صلى
الله عليه وسلم لانهم ليسوا من المهلكين وقت نزول السورة وهى نكتة عطفه على نهلك يقتضى
كونهم من المهلكين كالاولين لدخول الاتباع حينئذ فى حيز لم التى تقلب معنى المضارع ماضيا
وتنفيه وفيه بحث لان قراءة الجزم منسوبة الى الاعرج وليست بمتواترة وانما القراءة الثابتة
بالتواتر نتبعهم بحركة العين وهو فعل مضارع يتناول الحال والاستقبال ولا يتناول الماضى
البتة اذ ليس فى قراءة الرفع ما يقلب معناه الى الماضى ويلزم من ذلك ان يكون المعنى فى هذه القراءة
بسكون العين باقيا على اشتراكه بين الحال والاستقبال فلا يكون مجزوما داخلا فى حيز لم

فى حيز لم بعطفه على نهلك ولا يكون السكون سكون جزم بل سكون تخفيف كما روى فى بيت
امرئ القيس فاليوم اشرب غير مستحقب بسكون اشرب مع انه مرفوع لتجرده عن العوامل
اللفظية والا يلزم التنافى بين القراءتين وانه غير جائز فلا يكون المراد بالاخرين المتاخرين
فى الاهلاك بل المتاخرون عن البعثة كما فى قراءة الرفع قوله مثل ذلك الفعل اشارة الى ان
محل الكاف كذلك النصب على انه نعت مصدر محذوف اى فعلا مثل ذلك الفعل قوله فى قرار مكين القرار
موضع الاستقرار والمكين الحصين اى جعلنا ذلك الماء فى مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظا
سالما عن التعرض به قوله الى قدر معلوم فى موضع الحال من الضمير المنصوب فى فجعلناه الراجع
الى الماء اى مؤخرا الى مقدار معلوم من الزمان قوله فقدرنا على ذلك او فقدرناه اشارة الى
ان قدرنا بتخفيف الدال يجوز ان يكون من القدرة ويعضده قوله فنعم القادرون اى فقدرنا
على خلقه وتصويره كيف شئنا واردنا من مثل تلك المادة الحقيرة فنعم القادرون حيث
خلقناه فى احسن الصور والهيآت ويجوز ان يكون من التقدير فان قدر المخفف لغة
بمعنى قدر المشدد وقوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قرئ بالتخفيف والتشديد فالمراد
تقدير خلقه وجوارحه والوانه واشكاله ومدة حمله وحيوته ويدل على كونه من التقدير
قراءة نافع والكسائى بالتشديد فيكون قوله فنعم القادرون ايضا بمعنى فنعم المقدرون
وهذه الاية نوع ثالث من تخويف الكفار ووجه التخويف فيها من وجهين الاول انه تعالى ذكرهم عظيم
انعامه عليهم بان بين لهم مبدا خلقهم وانه رباه فى قرار مكين الى ان صيره بشرا سويا فى
احسن تقويم ونبه على انهم كفروا نعمة مثل هذا المنعم الذى لا يحصى انواع نعمه واحسانه عليهم وان
من قابل مثل هذا الاحسان بمثل اساءتهم وعصيانهم فقد بالغ غاية الكفران ونهاية العصيان
واستوجب اشد العذاب وافظع العقاب فلذلك قال عقيب ذكر هذا الانعام ويل يومئذ للمكذبين
الوجه الثانى انه تعالى بعد التعرض لخلقهم من الماء المهين صرح بكونه قادرا على النشاة الاولى
ولا يخفى على ذوى العقول السليمة ان من قدر على الابتداء فهو قادر على الاعادة فكانه تعالى قال
من قدر على ايجادكم من مثل ذلك الماء المهين الا يقدر على ان يبعثكم ويجازيكم على عصيانكم
فكيف لا تخافون من اهوال يوم البعث والجزاء وكيف لا تستعدون له ثم قال ويل يومئذ للمكذبين
ثم شرع فى النوع الرابع من تخويفهم بان ذكرهم ما انعم عليهم من النعم التى فى الافاق فقال الم نجعل الارض
كفاتا الاية وقد عرفهم فى الاية التى قبل هذه الاية نعمه التى فى الانفس قدم تلك الاية لان النعم التى فى
الانفس كالاصل للنعم التى فى الافاق فانه لولا اصل الوجود وما يتفرع عليه من القوى والالات لما
تيسر الانتفاع لشئ من النعم التى فى الافاق ووجه التخويف ما ذكر فى الاية المتقدمة وكفاتا مفعول ثان

لتجعل لانها بمعنى الم نصيرها كافتة تضم الاحياء على ظهرها والاموات في بطنها ولهذا كانوا يسمون الارض
امانشبيها لها بالام في ضمها للناس الى نفسها احياء واموانا كالام التي تضم ولدها اليها وتضبطهم ولما
كانوا ينضمون اليها جعلت كانها تضمهم وايضا اى كما ان الارض كفات الاحياء بمعنى انهم يسكنون
فيها كذلك انها كفات لهم بمعنى انها تكفت وتجمع لجميع ما يحتاج اليه الانسان في حيوته من الماء كل والمشرب
والملبس والمركب والابنية الجامعة للمصالح الدافعة للمضار وغيرها وايضا انها تكفت ما ينفصل من
الاحياء الامور المستقذرة ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشيء يكفته كفتا اذا ضمه
وجمعه وفي الحديث اكفتوا صبيانكم بالليل فان للشيطان خطفة ويقال جراب كفيت اذا كان
لا يضيع شيئا مما يجعل فيه وذكر المص في كفاتا اربعة اوجه الاول انه اسم لما يكفت كالضمام والجماع
اسمان لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وضمام اصول الكتاب ويقال شددت الشيء
ثم سمي الخيط الذي يشد به الشيء شدادا والثاني انه مصدر كالكتاب والحساب وصفت به الارض
للمبالغة كرجل عدل والثالث انه جمع اسم فاعل كصيام جمع صائم والرابع انه اسم جامد هو كفت بمعنى
الوعاء فالكفات بمعنى الاوعية وعلى الثالث بمعنى الاشياء الكافتة ولما ورد عليها ان الارض مفرد
فكيف صح اجراء الجمع عليها اجاب بانه اجرى عليها باعتبار اقطارها ثم ذكر ان ناصب احياء واموانا
اما كفاتا او نجعل وعلى كل تقدير فهما اما مفعولان لعاملهما او حالان لمفعول عاملهما والمعنى الم
نجعلها كافتة احياء واموانا او الم نجعلها كافتة الانس احياء واموانا او الم نجعل الارض احياء
منبتة واموانا لا تنبت حال كونها كفاتا او الم نجعلها كفاتا حال كونها احياء واموانا والظاهر ان جعل
الكفات عاملا مبني على كونه مصدرا او جمع اسم الفاعل لانه اذا كان اسما لما يكفت او جمعا للكفت
بمعنى الوعاء لا يكون عاملا لما تقرر في النحو ان الاسماء الجامدة وكذا اسماء الزمان والمكان والآلة
وان كانت مشتقة لا تعمل وفي اسم المكان المصدر خلاف وجمع اسم الفاعل مما من الاسماء العاملة
قوله وتنكيرهما للتفخيم جواب ما يقال ان النكرة للمفرد المنتشر فيكون المعنى ان الارض يكفت بعض
الاحياء والاموات وليس كذلك بل هي كافتة الاحياء والاموات جميعا وحاصل الجواب الاول ان
هذا التنكير للتفخيم لا للافراد والنوعية والتنوين الكائن للتفخيم لا ينافي العموم والاستغراق لان في معنى
تكفت احياء لا يعدون واموانا لا يحصرون وحاصل الجواب الثاني انا لا نسلم ان الارض كفات لجميع
الاحياء والاموات نعم انها كفات لجميع احياء الانس واموانه لكن الاحياء والاموات غير منحصرة في
احياء الانس واموانه فلا يكون كفاتا للجميع بل للبعض فيصح التنكير وانما قلنا ان الاحياء والاموات
غير منحصرة فيها لان بعض الحيوان تكفته الهواء والبعض الاخر تكفته الماء والاظهر ان يتقدم الجواب
الثاني على الاول لان الاول جواب تسليمي تقديره ان يقال سلمنا ان الارض كفات للجميع لا للبعض

لا للبعض فالتنكير الكائن للتفخيم لا ينافي العموم والجواب المنعي متقدم على الجواب التسليمي في قانون
التوجيه ونقل عن القفال رح انه قال دلت الاية على وجوب قطع يد النباش من حيث انه تعالى
جعل الارض كفات الميت فيكون حرزا والسارق من الحرز يجب عليه القطع قوله جبالا ثوابت
اشارة الى ان مفعول جعلنا محذوف ورواسي صفة له وشامخات صفة بعد صفة ومعنى الاول
ثوابت من رسا الشيء يرسو اذا ثبت والجبال ثوابت على ظهور الارض لا تزول والشامخ العالي
المرتفع قوله او الاشعار بان فيها اى في عداد الجبال وفي جملتها ما لم يعرف ولم ير وان ما
يرى على ظهر الارض من الجبال بعض منها فالتنكير فيها للتبعيض اشعارا بان منها ما لم يعرف ولم ير
وان السماء فيها جبال ايضا بدلالة قوله من جبال فيها من برد وكون التنكير للتفخيم لا ينافي
كون جميع افراد الجبال ثابتة في الارض لما عدّ الله تعالى انواع ما انعم به عليهم واستفهم عن انعامه
بها عليهم استفهام تقرير كانه قال انعمنا بها عليكم ثم هددهم بالويل على تكذيبهم اياها تعريضا
بانهم قابلوا تلك النعم الموجبة للشكر بالكفر والعصيان وتخويفا لهم بسوء عاقبة صنيعهم هذا
يوم العرض والجزاء شرع في تخويفهم ببيان كيفية عذابهم في ذلك اليوم بحكاية ما يقال لهم
فيه وهو انطلقوا الى ما كذبتم من العذاب والظاهر ان القائلين هم خزنة النار وزبانية جهنم
وقرأ يعقوب انطلقوا بفتح اللام على لفظ الماضي على معنى انهم انقادوا للامر لاجل انهم مضطرون
اليه لا يستطيعون امتناعا منه قيل هو بعيد لانه كان ينبغي ان يقال فانطلقوا ليرتبط آخر الكلام
باوله على طريق قولك قلت له اذهب فذهب ويمكن ان يقال ترك الفاء بناء على ان الكلام
استئناف لبيان امتثالهم اضطرارا بعد حكاية ما يقال لهم بلفظ الامر والالزام قوله يعني ظل
دخان نار جهنم اليحموم الدخان الغليظ الاسود واستشهد المص على ان ظل المكذبين هو دخان
نار جهنم بقوله في ظل من يحموم لا بارد ولا كريم ثم بين انه يرتفع منها ثم يتفرق ثلث فرق كما هو شأن الدخان العظيم اذا ارتفع انشعب انقسم الى
شعب كثيرة قوله بتشعب لعظمه اشارة الى ان قوله ذي ثلث شعب كناية
عن كون ذلك الدخان عظيما بناء على ان التشعب من لوازمه واستشهد فيما ذكر على ذلك بقوله
في احاطته بهم سرادقها وقال سرادق النار هو الدخان شبهها له بالسرادق الجوهري السرادق
واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق ثم قال ان شعبة
من ذلك الدخان على يمينه وشعبة اخرى على يساره وشعبة ثالثة من فوقه قال المفسرون
ان الشمس تقرب يوم القيمة رؤس الخلائق وليس عليهم يومئذ لباس ولا اكنان فتلفحهم الشمس
وتسفعهم ويأخذ كرب ذلك اليوم انفاسهم ويشتد ذلك اليوم ثم ينجي الله تعالى برحمته من يشاء
الى ظل ظليل من ظله فهنالك يقولون فمنّ الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين

اى بين انواع العذاب عموما وخصوصا في الاخرة الى هذا منه

كانه قيل انهم كانوا يؤمرون في الدنيا بالطاعة فلما كانوا يلتفتون اليها اما اليوم فصاروا منقادين لمثل هذا التكليف الذي هو اشق من كل شيء فلو اطاعوا في الدنيا لما اضطروا اليوم الى هذا الانقياد ذات ح منه

انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله انطلقوا من ذلك الموضع الى ظل من دخان نار
جهنم قد سطع ثم افترق ثلث فرق فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب ثم يؤمر
بكل فريق الى مستقره من الجنة او النار فعلى هذا ظل المكذبين هو دخان نار جهنم وقال
موم المراد بقوله ظل ذي ثلث شعب عين النار لا دخانه وتشعبها ثلث شعب عبارة عن
كونها من فوقهم ومن تحت ارجلهم ومحيطة بهم وتسمية عين النار بالظل مجاز من حيث انها
محيطة بهم من كل جانب استشهادا بقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وقال تعالى
يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم **قوله** ولان المؤدي الى العذاب فان جميع ما
يصدر من الانسان من العقايد الفاسدة والاعمال الباطلة لا ينشاء الا من هذه القوى
الثلث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلث لما كانت منبع جميع الافات الصادرة عن الانسان
تشعبت شعب العذاب على حسبها **قوله** تهكم بهم يعني ان توصيف الظل بانه لا يظل من حر ذلك اليوم
وهو حر النار والشمس للدلالة على ان تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم فان
شان الظل ان يدفع عمن يستظل به مناساة شدة الحر وان ينفعه ببرده وتسميه والذين
امروا بالانطلاق اليه بما يغني عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلا عن ان يستريحوا
ببرده **قوله** وغير مغن عنهم من حر اللهب شيئا اشارة الى قوله لا ظليل في موضع الجر على انه
صفة لظل اي ظل غير ظليل وغير مغن والى ان مفعول يغني محذوف وهو شيئا ومن في من اللهب
لبيانه وان قوله تعالى لا يغني من اللهب من قول العرب اغن عني وجهك اي ابعده لان الغني
عن الشيء يباعده كما ان المحتاج اليه يقاربه فصح ان يعبر باغناء شيء عن شيء عن ابعاده
عنه فكان المعنى ان هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما
يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واصفر واخضر **قوله** كل شررة اشارة الى ان شررا
جمع شررة وهي ما تطاير من النار في الجهات متفرقا كالنجوم وكالقصر في موضع الصفة
لشرر والقصر مفرد وهو البناء العالي ووصف به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده **قوله**
ويؤيده انه قرئ بشرار اي ويؤيد ان شررا جمع وان وصفه بالمفرد باعتبار كل واحد من
آحاده انه قرئ بشرار بفتح الشين والف بين الرائين وهو جمع شرارة الجوهري والشرارة
واحدة الشرار وهو ما تطاير من النار وكذلك الشرر والواحدة شررة وقيل المراد بالقصر
الجنس وهو في معنى القصور فلذلك وقع صفة للجمع وان كان جمع قصرة ساكنة الصاد على مثال
جمر وجمرة وتمر وتمرة فالامر ظاهر قال المبرد يقال للواحد من الحطب الجزل الغليظ قصرة و
الجمع قصر وروي انه سئل ابن عباس رضي الله عنه عن القصر فقال خشب كنا ندخره للشتاء نقطعه

الجزل اي ما عظم من الحطب ويبس سلمه

نقطعه نسميه القصر وقيل هي اصول النخل والشجر العظام وكذا اي قرئ كالقصر بضم القاف والصاد
على انه جمع قصر كرهن ورهن او قرئ كالقصر بكسر القاف وفتح الصاد جمع قصرة وهو بفتحتين واحد
في اللغة اصل العنق وقيل اصول النخل المقطوع مثل حاجة وحوج ونارة ونير او قرئ كالقصر
بفتحتين جمع قصرة مثل شجر وشجرة فالقصر اعناق النخل **قوله** وهي اصل العنق ضمير هي فيه راجع
الى القصرة بفتحتين **قوله** والهاء للشعب اي ضمير انها في قوله ترمي بشرر ضمير الشعب وقيل ضمير
النار المدلول عليه باللهب قال الامام واعلم ان الله تعالى وصف النار التي كانت ذلك الظل دخانها
بانها ترمي بالشررة العظيمة والمقصود منه بيان ان تلك النار عظيمة جدا انتهى **قوله** جمع جمل اي كما وام
من جمال وجمالة جمع جمل الاول مثل جبال في جمع جبل والثاني كحجارة في جمع حجر ثم جمع جمال على جمالات
كما يقال رجالات في جمع رجال وبيوتات في جمع بيوت وكذا جمع جمالة على جمالات فجمالات على التقديرين
جمع الجمع وقراءتها من السبعة من عدا حمزة والكسائي وحفص **قوله** وقيل سود تضعفه لانه من
البعيد ان يسمى الشيء الاسود اصفر باعتبار ما يشوبه شيء قليل من الصفرة وايضا الشرر انما يسمى
شررا ما دام نارا وشيء كان نارا يكون اصفر واذا انطفى يكون اسود وحينئذ لا يسمى شررا **قوله**
والتشبيه الاول في العظم اي ان هذا الشرر كالقصر في عظمه وكالجمالات الصفر في لونه وكثرته و
تتابع بعضه بعضا واختلاطه وسرعة حركته **قوله** وقرئ بها اي بجمالة بالضم وكلاهما من الشواذ
قوله اي بما ينفع اي يحتج به فيما اتوا به في الدنيا من الاعمال الفاسدة والاعتقادات الزايفة
اشار به الى انه لا مخالفة بين هذه الاية وبين قوله تعالى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وقوله
والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولا يكتمون الله حديثا وذلك لانهم وان نطقوا وتخاصموا لكنهم
لما لم ينفعوا بنطقهم بل كان جميع ما نطقوا به حجة عليهم موجبا لخجلتهم وافتضاحهم كانوا كانهم لم
ينطقوا شيئا وهذا كما يقال لمن جاء بما لا ينتفع به ما جئت بشيء ثم اشار المص الى وجه آخر
في دفع المخالفة وهو ان المعنى لا ينطقون في ذلك اليوم بشيء اصلا في بعض مواقف ذلك اليوم
والاية الثانية ان يختصموا ويتكلموا في موقف آخر من مواقفه والجمهور على رفع قوله يوم على انه خبر
هذا والاشارة الى اليوم وقرئ يوم بالنصب ونصبه على الظرفية عند البصريين والاشارة
الى غير اليوم اي هذا الذي تقدم من الوعيد واقع يوم لا ينطقون لانه انما يبنى عندهم اذا اضيف
الى مبني نحو يومئذ والفعل هنا معرب كما ترى وعند الكوفيين هو مبني والفتحة فتحة بناء وهو
خبر لهذا كما تقدم اجمع القراء على رفع قوله تعالى فيعتذرون عطفا على يؤذن ولم ينصبوه على انه
جواب النفي لانه لو كان جوابا لكان عدم اعتذارهم مسببا عن عدم الاذن وذلك يوهم ان لهم
عذرا وقد منعوا عن ذكره وهو خلاف الواقع فرفعوه عطفا على يؤذن فيكون النفي متوجها

خ ل ربع على انه [illegible] جمالا
لانه جمع [illegible]

لان ما قرئ [illegible] يكون
سببا لما بعده [illegible]
حيث لم يجز [illegible] ذكر
لئلا يلزم

والعذر [illegible]
ان ينفعوا [illegible]
[illegible] عليه

الى الاذن الذى يكون الاعتذار عقيبه مطلقا اى مع قطع النظر عن ان عدم الاعتذار بسبب
عن عدم الاذن ام لا فلا يوهم ما اوهمه النصب فانه ليس لهم عذر فى الحقيقة ولكن ربما تخيلوا
خيالا فاسدا ان لهم فيما ارتكبوه من المعاصى عذرا فلا يوذن لهم فى ذكر ذلك العذر الفاسد واى
عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر بأياديه وفى هذه الاية تخويف للكافر بوجه اخر وهو انه بعد ان عنا
العذاب الجسمانى من جميع جوانبه فى موقف الحساب يقع فى العذاب الروحانى وهو عذاب الخجالة
والافتضاح على رؤس الاشهاد وهو اشد من العذاب الجسمانى فانه اذا تبين عند كل
احد من اهل الموقف ان ليس له عذر ولا حجة فيما اتى به من القبائح يفتضح عندهم بظهور قصوره
وتقصيره اشد الافتضاح ولاسيما ان الموقف موقف وقع فيه العبد الابق فى يد مولاه الذى انعم
عليه بانواع النعم طول دهره ولم يرد العبد مع ذلك كله سوى الكفران والعصيان فالآن اخذه
مولاه بالمجازاة ومع ذلك انه يرى فى ذلك خصماءه الذين كان يستخف بهم ويستحقرهم فائزين
بانواع العز والتكريم ويرى نفسه فى غاية الذل والعذاب الاليم قوله تقرير وبيان للفصل
اشارة الى فائدة قوله جمعناكم وذلك ان القضاء والحكم الواقع يوم القضاء على نوعين
احدهما ما يتعلق بما بين الرب والعبد من الثواب والعقاب وليس فى هذا النوع من الحكم
فصل الخصومات والدعاوى الواقعة بين العباد وثانيهما ما يتعلق بما يكون بين العباد
بعضهم مع بعض بان يدعى هذا على ذاك انه ظلمنى وذاك يدعى على هذا انه قتلنى فانه
لابد من فصل حكومة فيما بينهم والفصل لا يكون الا بجمع الخلايق فيه فكان قوله جمعناكم
والاولين كلاما موضحا لقوله هذا يوم الفصل فان هذا اليوم لما كان يوم فصل حكومات
جميع المكلفين فلابد من احضار الجميع لاسيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب وفى هذه
الآية تخويف لهم بوجه آخر وهو ظاهر والخطاب فى جمعناكم لمكذبى خاتم النبيين علينا
وعليهم افضل الصلوة والتسليم ثم قال فان كان لكم كيد فكيدون تقريعا وتخجيلا لهم بانهم
كانوا فى الدنيا يدفعون الحقوق عن انفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل
والمكايد والتلبيسات ويحاولون ايضا فى ابطال امر الدين بالتلبيسات الزائغة و،،
يبذلون جهدهم فى ايذاء المؤمنين فخاطبهم الله حين علموا ان الحيل منقطعة و،،
التلبيسات غير ممكنة بقوله فان كان لكم كيد فكيدون لزيادة التخجيل والتقريع وهذا من
جنس العذاب الروحانى ولاظهار عجزهم عن الكيد فان مثل هذا الاستكلام به الآن يتضمن
بعجز مخاطبه عما هو بصدده قوله لانهم فى مقابلة المكذبين يعنى ان السورة من اولها الى
اخرها فى تقريع الكفار على كفرهم وتخويفهم فيجب ان تكون هذه الاية مذكورة لوعد المؤمنين
بسبب

بسبب ايمانهم فى مقابلة وعيد الكفار بسبب كفرهم حتى تكون الاية بذلك نوعا آخر من تهديدهم
وتعذيبهم من حيث انه كان بينهم وبين المؤمنين فى الدنيا من البغض والعداوة ما،،
بسببه تكون الموت اسهل على الكافرين ان يرى للمؤمن من دولة وقوة فلما بين الله فى هذه
السورة اجتماع انواع الخزى والعذاب على الكافرين فى هذه الاية اجتماع انواع السعادة
والكرامة فى حق المؤمن حتى ان الكافر مع ما يرى نفسه فى غاية الذل والهوان اذا رأى
خصمه فى غاية العز وعلو القدر والشان تضاعف حسرته وتزايدت غمومه واحزانه
وهذا ايضا من جنس العذاب الروحانى فلهذا قال فى اخر هذه الاية ايضا ويل يومئذ،،
للمكذبين ولو حمل المنقول على من يتقى المعصية ويكون شديد الاهتمام فى رعاية ما كلف
به لفاتت هذه المناسبة والانتظام والظلال جمع ظل وتنوينه للتعظيم لما بعث الكفار
الى ظل ذى ثلث شعب اعد للمؤمنين فى مقابلته ثلثة انواع من النعمة ظلالا ظليلة،،
متنية دافعة عنهم كل شئ يتأذى منه وعيون عذبة مغنية لهم عن العطش والفواكه
التى يشتهونها ويتمتعون بها اى يتناولونها عن جوع ولا من امتلاء عن شهوة وتلذذ قوله
اى مقولا لهم ذلك اشارة الى ان الجملة الامرية وما عطف عليها فى موضع النصب على انها
مقول قول اضمر منصوب على انه حال من المنوى فى قوله فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال
مقولا لهم ذلك وكذا قوله كلوا وتمتعوا فى موضع الحال من المنوى فى قوله للمكذبين اى الويل
ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا الخ وهو اشارة الى جواب
ما يقال كون قوله كلوا وتمتعوا حالا من المنوى فى للمكذبين يقتضى ان يقال هذا القول لهم فى
الاخرة لان العامل فى الحال هو الظرف ح وثبوت الويل للمكذبين فى الاخرة فيكون هذا
القول مقولا لهم فى الاخرة ايضا وهو بعيد لان الاخرة ليست دار اكل وتمتع بنعيم الدنيا و
لا نصيب للكافر من نعيم الاخرة وتوضيح الجواب ان هذا القول لهم فى الاخرة لا يكون،،
لطلب الاكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم امكانه بل انما يقال لهم ذلك تذكيرا لحالهم
فى الدنيا من ايثار الفانى على الباقى وانهماكهم فى حب اللذة القليلة والراحة اليسيرة،،
والاعراض عن السعادة الابدية فيكون الامر امر توبيخ وتحسير وتحزين وجوز الزمخشرى
ان لا يكون قوله كلوا وتمتعوا متعلقا بما قبله من جهة الاعراب بان يكون كلاما مستأنفا
مقولا لهم فى الدنيا تخويفا لهم بنوع آخر كانه قيل لهم انما عرضتم انفسكم لهذه الآفات والمحن التى
ذكرناها لاجل حبكم للدنيا ورغبتكم فى طيباتها الا انها قليلة مؤدية الى العذاب المؤبد فهى بمنزلة
لقمة واحدة من الحلواء مسمومة مهلكة من ابتلعها هل يصلح هذه اللذة اليسيرة ان تكون عوضا

ويكون الاية تنزلت ب... لتنقص عن الكفر وترغب للايمان

قوله اى ساتينا الا ان ... فيه وانتصاب قليلا اما على المصدرية اى تمتعا قليلا او على الظرفية اى زمانا قليلا

للهلاك الابدي فهو وان كان امرا بحسب اللفظ الا انه في المعنى نهي بليغ وزجر عظيم قوله
اطيعوا او اخضعوا او اركعوا الركوع في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسي وركوع
الصلوة من جملة افراده يقال ركع الشيخ اي انحنى من الكبر وفي عرف الشرع هو حقيقة
في ركوع الصلوة خاصة مجاز في غيره وتفسيره بالطاعة للحق والخضوع مجاز لغوي تشبيها
لها بالانحناء الحسي وتفسيره بالصلوة مجاز مرسل عرفي اطلاقا لاسم الجزء على الكل ويؤيده
ان في سبب نزوله قوله لا نجبي قال الجوهري في فصل الجيم من المثلثات التجبية ان يقوم
الانسان قيام الراكع وفي حديث ابن مسعود رضي في ذكر القيمة حين ينفخ في الصور فيقومون
فيجبون تجبية رجل واحد قياما لرب العالمين وقال ابو عبيد التجبية تكون في حالين احدهما
ان يضع يديه على ركبتيه وهو قائم والوجه الآخر ان ينكب على وجهه باركا وهو السجود انتهى
قوله فانها مسبة اي ان هيئة التجبية تظهر وترتفع منها الستة وهي الاست اي الدبر اد
زمانا زمان ظهورها وارتفاعها في التنبيه فقالوا لا نجبي اي لا ننحني للركوع والسجود فنعلوا
ستاهنا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا يكون فيه ركوع ولا سجود قوله وقيل هو يوم القيمة
انما قال لهم اركعوا حين يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد لله يمكن
من السجود ومن كان يسجد رياء لغيره صار ظهره طبقا واحدا فلا يستطيع ان يسجد فان يوم
القيمة ليس زمان التكليف حتى يحمل قوله اركعوا على امر التكليف والايجاب حقيقة بل هو صيغة
ايجاب قصد بها كشف حالهم في الدنيا قوله واستدل به على ان الامر للوجوب وجه الاستدلال
انه تعالى ذمهم بمجرد ترك المامور به فلولا ان تعلق الامر به سبب الوجوب لما استحقوا الذم بتركه فدل
ذلك على ان مجرد الامر للايجاب فان قيل انما ذمهم لكفرهم فالجواب انه تعالى ذمهم على كفرهم من
وجوه كثيرة وانما ذمهم في هذه الآية لتركهم المامور به فقط فدل على ان ترك المامور به لا يجوز
وانه تعالى لما ذمهم حال كفرهم على ترك الصلوة علم انهم حال كفرهم مخاطبون بفروع الشرايع
كما انهم مخاطبون بنفس الايمان يستحقون الذم والعقاب بتركها روي عن صاحب الكشاف
ان قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل بقوله للمكذبين كانه قيل ويل للذين كذبوا
وللذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويجوز ان يكون متصلا بقوله انكم مجرمون على طريق
الالتفات كانه قيل لهم احياء بان يقال لهم يوم القيمة على سبيل التوبيخ والتحقير كلوا و
تمتعوا وعلل ذلك بكونهم مجرمين وبكونهم اذا قيل لهم صلوا لا يصلون قوله اذا لم يؤمنوا
به الخ اشارة الى ان قوله تعالى فبأي حديث بعده يؤمنون جواب شرط محذوف وان كلمة بعد
بمنزلة ثم في افادة التراخي الرتبي يعني ان القرآن من بين سائر الكتب المنزلة متميز بانه

آية معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة فله ارتفاع شان وعلو منزلة
بالنسبة الى سائرها فان لم يؤمنوا به فبأي كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجب من الكفار
وبين انهم في اقصى درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر والدليل
القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه في ارفع درجات الفصاحة والبلاغة وبلوغه
اقصى طبقات الاعجاز وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم اجمعين

سورة النبأ مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله اصله عن ما على ان عن الجارة دخلت على ما الاستفهامية قلبت النون ميما وادغمت
الميم في الميم بناء على ان التقاء الحرفين المتجانسين او المتقاربين في الكلام يوجب ضربا
من الثقل فحاولوا دفعه بطريق من الطرق والادغام احد طرقه لانه يورث ضربا من الخفة
واحد المتقاربين لا يدغم في الآخر الا بعد قلبه بالآخر تحقيقا للمماثلة الموجبة للادغام قوله
لما مر من ان حرف الجر اذا دخلت على ما الاستفهامية يحذف الفها تخفيفا للفظ الكثير التداول
فرقا بين الاستفهامية والاسمية ولينبئ عن شدة اتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء
منه نحو لم وبم وفيم والام وعم وعلام فان قلت الميم حرف شفوي مخرجه ما بين الشفتين
والنون مخرجه ما بين طرف اللسان وفويق الثنايا العليا والثنايا جمع ثنية وهي مقدم الاسنان
وهو اربعة اسنان اثنان منها في اعلى الفم واثنان اخران منها في اسفله يطلق على كل واحد منها
لفظ الثنية ومجموع الاربعة ثنايا فاذا تقرر هذا ظهر انه لا تقارب بين الميم والنون في المخرج
فما سبب الادغام قلنا نعم الا ان فيهما غنة والغنة قد جعلهما كالمتقاربين في المخرج قال
ابن الحاجب وادغمت النون في الميم وان لم يتقاربا لغنتهما والغنة مدة تخرج من الخيشوم
كما ان حروف العلة مدة تخرج من الفم وقيل الغنة صوت في الخيشوم والاغن الذي يتكلم من
خياشيمه كانه لفخامته خفي جنسه فسأل عنه يريد ان كلمة ما سواء كانت لشرح الاسم او
لطلب الحقيقة المبينة اداة الطلب والسؤال يطلب بها شرح مفهوم الاسم او كشف حقيقة
الشيء المعلوم الوجود والمطلوب لا بد ان يكون مجهولا عند الطالب لئلا يلزم تحصيل الحاصل
هذا اصل تلك الكلمة ثم انها قد تطلق على الشيء العظيم الشان الفخم القدر وان لم يكن مجهولا عند
المتكلم على طريق الاستعارة تشبيها له بالمجهول المسؤول عنه من حيث انه لفخامته وعظم شانه
صار كانه عجز العقل عن ان يحيط بكنهه فيسأل عنه كالاشياء التي جهلت مفهوماتها وحقائقها
فطلب بها فلاجل هذه المشابهة استعملت فيه كلمة ما ايضا مجازا حيث جردت عن معنى الاستفهام
ولم يستعمل فيه ومنه قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما ادريك ما القارعة وما سجين وما

ولا حذف الف الاستفهامية [illegible]

وما العقبة ونحوها فان كلمة ما فيها لمجرد التفخيم **قوله** او يسألون اى ويجوز ان يكون صيغة التفاعل
على اصلها من كون اصل الفعل بين كثيرين بان يكون كل بعض منهم سائلا للبعض الاخر وان يكون بمعنى
الفعل الثلاثى فى مثل تداعوهم بمعنى يدعونهم قال الامام التساؤل هو ان يسأل بعضهم بعضا كالتقابل
وقد يستعمل التساؤل ايضا فى ان يتحدثوا به وان لم يكن من بعض لبعض سؤال قال تعالى واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول ائنك لمن المصدقين فهذا على معنى التحدث
فيكون معنى الكلام عم يتحدثون وهذا قول الفراء انتهى كلامه ولم يتعرض لكونه بمعنى يسألون **قوله**
او للناس عطف على قوله لاهل مكة والظاهر ان المراد بالناس ما يعم اهل ذلك العصر من الكفار والمؤمنين
اما المؤمنون فيسألون او يسألون عنه ليزدادوا ايقانا فى دين الاسلام واما الكفار فعلى سبيل
السخرية والاستهزاء او على سبيل ايراد الشكوك والشبهات الا ان قوله المص فيما بعد كلا سيعلمون
ردع للتساؤل ووعيد عليه يقتضى ان يكون المراد من الناس ما يعم اهل مكة وغيرهم من الكفرة
فقط **قوله** بيان للشأن المفخم معناه ان قوله عم يتساءلون كلام تام اورد على طريق السؤال وقوله
عن النبأ العظيم جواب ببيان ان الشأن المفخم بالسؤال السابق نبأ عظيم وتقدير الكلام
يتساءلون عن النبأ العظيم الا انه حذف يتساءلون فى الآية الثانية لدلالة الاول عليه فيكون
عن فى عم متعلقا بيتساءلون المذكور وقوله عن النبأ متعلقا بالمحذوف فقوله عم يتساءلون سؤال
تفخيم وتعظيم للمسؤول عنه وقوله عن النبأ العظيم جواب وبيان له والسائل والمجيب هو الله
عز وجل والفائدة فى ان يذكر السؤال ثم يذكر الجواب منه ان هذا الاسلوب اقرب الى التفهيم
والايضاح ونظيره قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار **قوله** او صلة يتساءلون يريد ان
قوله عن النبأ يجوز ان يتعلق بيتساءلون المذكور ويكون عم متعلقا بيتساءلون المضمر والمذكور
يفسر ذلك المضمر فيتم الكلام بقوله عم ويكون قوله يتساءلون عن النبأ بيانا للشأن المفخم ويدل ويحتمل انه قراءة بها السكت حال الوصل اجراء للوصل مجرى الوقف منه
عليه قراءة من قرأ عمه بهاء السكت والظاهر انه وقف على عمه ثم ابتدأ يتساءلون عن النبأ فيكون
متعلق عم مضمرا مفسرا بما بعده لانه لما وقف عليه صار منقطعا عما بعده فيكون كلاما مبتدأ
انما وقف بهاء السكت لان الف ما الاستفهامية لما حذفت جعلت فتحة الميم دليلا على الالف المحذوفة
فوقف عليها بالهاء حفظا لتلك الفتحة عن السقوط حالة الوقف وهى الفائدة فى الوقف بالهاء فى جميع
المواد التى وقف بها والحاصل انه اتى بهاء السكت حال الوقف لئلا تخلو الكلمة عن احد حروفه
الاصلية وعما يدل عليه ووقف عليه اكثر القراء بالاسكان امنا من الالتباس وقيل يجوز ان يكون
قوله عن النبأ استفهاما آخر متصلا بما قبله بتقدير الف الاستفهام فيه والتقدير عم يتساءلون
أعن النبأ العظيم الا انه حذف حرف الاستفهام لدلالة الاستفهام المذكور عليه ونظيره قوله تعالى افان

افان مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون وقيل يجوز ان يكون عم بمعنى لاى شئ وقوله
يتساءلون عن النبأ العظيم متصلا به على تقدير لاى شئ يتساءلون عن النبأ العظيم و
نسب هذا القول الى الفراء والذى فى الآية يحتمل ان يكون مجرورا على انه صفة للنبأ وان يكون
مستأنفا مرفوعا بتقدير هو او منصوبا بتقدير اعنى **قوله** بجزم النفى والشك فيه على ان يكون
ضمير يتساءلون لاهل مكة فقط وهو الظاهر لسياق قوله كلا سيعلمون الآية فانه تهديد والتهديد لا يليق
الا بالكفار فانهم ليسوا بمتفقين فى انكار الحشر الجسمانى لان منهم من ينكره ويجزم بانتفائه و
يقول ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ومنهم من كان شاكا فيه قائلا وما اظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى **قوله** او بالاقرار والانكار هذا على
تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من المؤمنين والكفار فانهم مختلفون فيه
يقر به المؤمنون وينكره الكفار **قوله** ردع عن التساؤل ووعيد عليه الردع مستفاد
من كلا اى ليس امر البعث مما يشك فيه او ينكر بحيث يتساءل عنه والوعيد مستفاد من سيعلمون
اى انهم سيعلمون ان ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه **قوله**
تكرير اى تكرير للردع بتكرير كلمة كلا وللوعيد بتكرير سيعلمون للمبالغة فيهما والتشديد **قوله**
وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشد يريد ان لفظة ثم موضوعة للتراخى الزمانى وقد
يستعمل مجازا فى التراخى الرتبى اى التباعد ما بين المعطوفين فى الشدة والفظاعة وذلك
لتشبيه التباعد الرتبى بالتراخى الزمانى فى الاشتمال على مطلق التباعد بين الامرين و
المعنى المجازى هو المراد ههنا لان المقام مقام التهديد والتشديد وذلك انما يكون اكد
بالحمل عليه والاظهر فى العبارة ان يقال وثم للاشعار بان الردع الثانى والوعيد الثانى
اشد **قوله** وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيمة او الاول للبعث والثانى للجزاء فيكون
ثم محمولا على معناه الحقيقى وهو التراخى الزمانى اذ المعنى سيعلمون حقيته عند النزع ثم فى
القيمة ولا شك ان القيمة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع او المعنى سيعلمون حقية
البعث حين ان تبعثوا من قبوركم ثم حقيته ان يجازى كل احد على حسب طاعته وعصيانه
حين ان تجازوا على كفركم وانكاركم ولا شك ان وقت الجزاء متراخ عن وقت البعث وعلى
تقدير ان يكون ضمير يتساءلون لمطلق الناس من الكفار والمؤمنين يحتمل ان يكون ضمير احد
لفظى سيعلمون للمؤمنين وضمير سيعلمون الآخر للكفار والمعنى سيعلمون المؤمنون عاقبة
تصديقهم وسيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم فيكون احدهما وعدا للمؤمنين والاخر وعيدا
للكفار وثم لتفاوت ما بين الوعد والوعيد من الرتبة ويحتمل ان يكون كلاهما وعيدا

اعلم ان فيما ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلثة الاول باعتبار قدرته على انشاء هذه الافعال البديعة من غير
مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات
جليلة ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم
انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم تفعل هذه الافعال الآفاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء الخ

للكفار بان يكون المعنى سيعلم الكفار احوالهم ثم سيعلمون احوال المؤمنين وكل منهما وعيد
للكفار اما الاول فظاهر واما الثاني فلان المؤمنين اعداؤهم وعلمهم بكون اعدائهم في النعيم
المقيم واللذة الصافية عذاب روحاني اشد من الجسماني قوله ليستدلوا بذلك الخ يعني
انه لما حكى عنهم انكار البعث والحشر واراد اقامة الحجة على صحته اورد ما يدل على كونه
قادرا على جميع الممكنات عالما بجميع المعلومات لانه اذا ثبت هذان الاصلان ثبت القول
بصحة البعث فاثبت هذين الاصلين بان عدد انواعا من مخلوقاته المحكمة المتقنة فان
هذه الاشياء من جهة حدوثها تدل على القدرة ومن جهة اتقانها واحكامها تدل على العلم
ومن كان في العلم والقدرة بهذه المثابة صح منه ان يكون قادرا على تخريب الدنيا بسماواتها وارضها
وايجاد عالم الآخرة بخواصها واحكامها لانه قد تقرر ان الاجسام متساوية الاقدام في قبول
الصفات والاعراض ولما فسر النبأ العظيم بالبعث ظهر اتصال هذه الآية بما قبلها وبما بعدها
ايضا وهو قوله ان يوم الفصل كان ميقاتا الخ ولذلك اختار المص تفسيره به ولو فسر بالقرآن
او بالنبوة كما فسره البعض به لفات انتظام هذه الآية بما قبلها وان انتظمت بما بعدها كما
لا يخفى ومن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال انه نبأ عظيم في فصاحته وبلاغته واحتوائه
على العلوم الكثيرة وانهم اختلفوا فيه وتساءلوا عنه فجعله بعضهم سحرا وبعضهم شعرا وبعضهم
قال انه اساطير الاولين وما قيل تفسير النبأ بالقرآن اولى من تفسيره بالبعث او النبوة
لان النبأ اسم للخبر لا للمخبر عنه والبعث والنبوة ليسا بخبرين بل هما مخبر عنهما فكان اسم
النبأ اليق بالقرآن منه بالبعث والنبوة فالجواب ان اسم النبأ وان كان اليق بالقرآن
الا ان اسم العظيم اليق بالبعث والقيامة لانه منتهى فزع الخلق وخوفهم منه وهو اعظم
الاشياء في قلوبهم ولان ما بعده من الآية لما كانت مسوقة لاثبات صحة البعث واقامة الحجة
ظهر بذلك ان المراد بالنبأ العظيم هو نبأ البعث قوله مصدر سمي به الجوهري المهاد المهد
الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا بسطته ووطأته وتمهيد الامور تسويتها
واصلاحها انتهى فالمهد في الاصل مصدر بمعنى البسط سمي به مهد الصبي تسمية للمفعول بالمصدر
كضرب الامير وكذا المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت اطلق على الارض
الممهودة اي الم نجعل الارض بساطا ممهودا تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه و
يجوز ان يراد به المعنى المصدري اما على تقدير المضاف اي ذات مهد واما على ان وصف الارض
بالمصدر للمبالغة كما تقول رجل عدل من حيث انه لكماله في تلك الصفة صار كانه عين تلك
الصفة وفيه مبالغة لانه اذا صار عينها استغنى عما عداها في صدور آثارها عنه واما اذا كان

واما من قال النبأ العظيم هو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال انه عليه السلام لما بعث جعلوا يتساءلون بينهم ماذا الذي حدث فانزل الله تعالى عم يتساءلون وذلك لانهم عجبوا من ارسال الله تعالى اياه كما قال تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجاب وعجبوا ايضا ان جاءهم بالتوحيد كما قال اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فحكى الله تعالى عن مسائلة بعضهم بعضا على التعجب بقوله عم يتساءلون منه

اذا كان موصوفا بها فلا اقل من ان يحتاج فيه الى تلك الصفة ومهادا مفعول ثان لجعل ان
كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة ان كان بمعنى الخلق واوتادا ايضا يحتملهما ومعنى جعل
الجبال اوتادا للارض ارساؤها بالجبال لئلا تميل باهلها كما يرسى البيت بالاوتاد فهو من
باب التشبيه البليغ قوله ذكرا وانثى كما قال تعالى وانه خلق الزوجين الذكر والانثى وفيه قول
آخر وهو ان يحمل الازواج على معنى آخر اعم من الاول على معنى انا خلقناكم حال كونكم متنوعا
لاوصاف متقابلة كل واحد منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل
والقوة والضعف والذكورة والانوثة والطول والقصر الى غير ذلك فيكون كل واحد منكم بحسب
ما فيه من الاوصاف زوجا لما هو موصوف بما يقابل وصفه كالحسن بالقبيح والطويل بالقصير
الى غير ذلك من كل زوجين متقابلين كما قال تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين وهذا دليل
ظاهر على كمال القدرة ونهاية الحكمة حتى يصح الابتلاء والامتحان فيتعبد الفاضل فيكون ذلك
ابلغ في تعريف النعم قوله قطعا عن الاحساس والحركة لما طعن بعض الملاحدة في هذه الآية بان
قالوا السبات هو النوم والمعنى وجعلنا نومكم نوما فما الفائدة في هذا الكلام اجاب المص بوجهين الاول
ان السبت في اللغة القطع يقال سبت شعره سبتا اي قطعه وحلقه وسمي النوم قطعا من حيث
ان النائم منقطع عن الاحساس والحركة وان النوم يقطع التعب والكلال فكان نعمة عظيمة
تحسن ذكره في اثناء تعداد النعم الجليلة والثاني لانم ان السبات هو النوم بل هو موت والمسبوت
الميت واستدل على صحة اطلاق الموت على النوم بقوله لانه احد التوفيين المشار اليهما بقوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي ويتوفى التي لم تمت في منامها ويدل
عليه ايضا انه لما جعل النوم موتا جعل اليقظة التي يكنى عنها بالنهار معاشا اي حيوة
حيث قال وجعلنا النهار معاشا قال الامام وهذا القول عندي ضعيف لان الاشياء المذكورة في
هذه الآية من جلائل النعم فلا يليق ذكر الموت بهذا المقام وايضا ليس المراد بكونه موتا انه موت
حقيقة اذ لا ينقطع به الروح عن البدن بل المراد انقطاع اثر الحواس الظاهرة عن
البدن وهذا هو النوم فكان المعنى انا جعلنا نومكم نوما فعاد الاشكال انتهى كلامه و
يمكن ان يجاب عنه بان التنوين في سباتا للنوعية كما في قوله وعلى ابصارهم غشاوة
فالمعنى وجعلنا نومكم نوعا من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم فان النوم بمقدار
الحاجة نعمة جليلة من انفع الاشياء واما دوامه فمن اضر الاشياء للانسان ولما كان
انقطاعه نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض ذكر الانعام ويكون المعنى وجعلنا نومكم
نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه وما جعلنا غشيا مستوليا عليكم فان ذلك مرض وذكره

لا يناسب المقام قوله غطاء يستر بظلمته من اراد الاختفاء اي اختفاء نفسه او غيره من الانس
والاموال عمن لا يحب اطلاعه عليها فوجه الشبه بين الليل واللباس كونهما سببا للاستتار فلا يريد
المرء ظهوره ووجه النعمة في ذلك ان الانسان قد يريد الاستتار عن العيون اذا اراد هربا من عدو
او اراد ان يفعل فعلا لا يرضى ان يطلع عليه غيره ويانس بظلمة الليل بيان العدو ايضا قوله
وقت معاش يحتمل ان يكون مراده ان لفظ معاشا في نظم القرآن مصدر يقال عاش يعيش عيشا
ومعاشا ومعيشة وعيشة فعلى هذا لا بد من تقدير المضاف وهو لفظ الوقت ليكون الثاني
عين الاول اعني النهار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش ويحتمل ان يكون مراده الاشارة الى
ان لفظ المعاش اسم زمان على صيغة مفعل فلا حاجة ح الى تقدير المضاف وقوله وقت معاش
ابراز بمعنى اسم صيغة الزمان وتفصيل لمفهومها قوله تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به في تقلباتكم
تفسير السبات بالقطع عن الاحساس والحركة لان التقلب فيه لا يكون الا بالاحساس والحركة
والاشارة الى ان المعاش في قوله وقت معاش بمعنى التعيش وهو التقلب والتكلف في تحصيل اسباب
المعيشة والدنيا معاش لانه مكان التعيش والنهار معاش لانه زمان له قوله او حيوة تبعثون
فيها عن نومكم في مقابلة تفسير السبات بالموت رعاية للمطابقة بينهما وقضية المطابقة انما
تتم ان لو قيل وجعلنا يقظتكم حيوة الا انه عبر عنها بالنهار لكونه مستلزما لها غالبا الجوهري
العيش الحيوة يقال عاش فلان مدة كذا قوله سبع سموات اقوياء اشارة الى ان شدادا
صفة لمحذوف وهو مميز سبع وشدتها احكام خلقها بحيث لا يؤثر فيها مرور الازمان لا فطور فيها
ولا فروج ونظيره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فان قيل لفظ البناء يستعمل في اسافل
البيت والسقف في اعلاه فكيف قال وبنينا فوقكم قلنا لان البناء يكون ابعد عن الافة والانحلال
من السقف فذكر قوله وبنينا اشارة الى انه وان كان سقفا لكنه في البعد عن الاختلال كالبناء
قوله تعالى وجعلنا سراجا والمراد بجعل السراج خلقه فلذلك يتعدى الى مفعول واحد والجعل فيما
سبق بمعنى التصيير فيتعدى الى مفعولين قوله او بالغا في الحرارة ولعل كلمة او لمنع الخلو لان
منهم من قال الوهج يجمع النور والحرارة ومنهم من قال الوهج النور ومنهم من قال الوهج حر النار
او الشمس فيكون الوهاج للمبالغة في احد هذه المعاني على سبيل منع الخلو قوله السحاب التي اعصرت
المعصرات بالسحاب يكون اسم فاعل من اعصرت السحاب اذا حان لها ان تعصرها الرياح فتمطر
ولم يعصرها بعد وهمزته اعصر للحينونة كما في احصد الزرع اي حان ان يحصد واعصرت الجارية
اي حانت ان تعصر الطبيعة رحمها فتحيض والا لكان ينبغي ان المعصرات بفتح الصاد على انه اسم
مفعول لان الرياح تعصرها وكون السحاب مبدا لانزال الماء ظاهر وان فسر المعصرات بالرياح

اي ما تحيون به ويكون سببا لحيوتكم وهو الرزق سلمه

بالرياح يكون ايضا اسم فاعل من اعصرت الرياح اذا حان لها ان تعصر السحاب فتمطر وهمزته
اعصر للحينونة واذا اريد بها الرياح ذوات الاعاصير فهمزته افعل للصيرورة فهو اسم فاعل من
اعصرت الرياح اي صارت ذات اعصار كما يقال ابقلت الارض اي صارت ذات بقل والاعاصير جمع
اعصار وهي الريح التي تستدير في الارض ثم تنبع الى السماء كالعمود وقيل هي ريح تثير سحابا فيه رعد
وبرق والسحاب اذا اعصرته ريح ذات اعصار لا بد ان ينزل منه المطر قوله وانما جعلت مبدا
للانزال جواب عما يقال ما وجه من فسر المعصرات بالرياح مع ان المطر لا ينزل من الرياح بل ينزل
من السحاب وتقرير الجواب ان ما هو مبدا بالذات لنزول المطر هو السحاب لا الرياح لكن السحاب
انما تنشأ وتتكون وتمتلئ اخلافه بالمطر بهبوب الرياح فصح ان تجعل الرياح مبدا للانزال باعتبار
كونها آلة وسببا لتكون مبدئه الذي هو السحاب وقيل في جوابه كلمة من في قوله من المعصرات بمعنى
الباء اي وانزلنا بالرياح المثيرة للسحاب قوله ويؤيده اي يؤيد كون المعصرات بمعنى الرياح وقراءة
من قرا بالمعصرات بدل من المعصرات وذلك لان الباء للسببية والسببية في المبدا الآلي الذي هو
الريح اظهر منها في المبدا المادي وهو السحاب قوله يقال ثجه وثج بنفسه يريد ان ثج قد يكون لازما
بمعنى انصب بنفسه وقد يكون متعديا بمعنى صبه غيره كما في الحديث فان معناه افضل اعمال الحج رفع
الصوت بالتلبية وصب دم الهدي واختار المص كون ثجاجا في الاية مبالغة اسم الفاعل من ثج
اللازم ولهذا قال في تفسيره منصبا بكثرة واختار الزجاج كونه من المتعدي حيث قال معناه
الصباب كانه يثج نفسه اي يصبه وبالجملة فالمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به قوله
وقرئ ثجاحا بالحاء المهملة بعد الجيم ولم اجده في الصحاح ولا في حواشي الكشاف ومنهم من
قوله ومثاجح الماء مصابه ان ثج بمعنى صب لا بمعنى انصب فهو مراد في الثجاج الماخوذ من
المتعدي كما اختاره الزجاج قوله ما يقتات به القوت بالضم ما يقوم به بدن الانسان كالحنطة
والشعير ونحوهما اي لنخرج به حبا ليكون قوتا للانسان كالحنطة ونحوها ونباتا ليكون علفا
للحيوان كالتبن والحشيش وجنات الفافا ليتفكه بها الانسان واعلم ان كل شيء ينبت من
الارض فاما ان يكون له ساق او لا يكون فان لم يكن له ساق فاما ان يكون له كمام فهو الحب
واما ان لا يكون له كمام وهو الحشيش وهو المراد هنا بقوله ونباتا والى هذين القسمين
وقعت الاشارة بقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم واما الذي له ساق فهو الشجر فاذا اجتمع
من الاشجار شيء كثير سمي جنة وظهر بما ذكر انحصار ما ينبت من الارض في هذه الاقسام
الثلثة وقدم ذكر الحب لانه هو الاصل في الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات
اليه واخرت الجنات في الذكر لانعدام الحاجة الضرورية الى الفواكه قوله جمع لفيف كخلفوا

ومثاجح الماء مصابه وانثجح الماء في الوادي اي سال سلمه

كمام جمع كم وهو وعاء الطلع سلمه

[illegible] سلمه

في الالفاف وذهب صاحب الكشاف الى انه لا واحد له كالاوزاع والاخياف الاوزاع
الجماعات المتفرقة المختلفة ومنه الاخياف للاخوة من اباء شتى وامهم واحد وكثير
من اهل اللغة اثبتوا له واحدا ثم اختلفوا في واحده قال الاخفش والكسائي واحدها لف بالكسر
كجذع واجذاع وقيل لف بالضم وانكر المبرد الضم وقال بل واحدها لفاء وجمعها لف وجمع
لف الفاف فيكون الفاف جمع الجمع وذلك ان الاصل لف في المذكر ولفاء في المؤنث
كاحمر وحمراء ثم جمعا على لف كحمر ثم جمع لف على الفاف لان لف لما صار على زنة قفل المفرد
جمع جمعه كما تقول قفل واقفال ونقل الزمخشري هذا القول عن ابن قتيبة ثم قال وما
اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر واحمار كأنه استبعد هذا القول من حيث
ان نظائره لا تجمع على افعال فانه لا يجمع خضر على اخضار ولا حمر على احمار مع انهما
جمعان لاحمر وحمراء واخضر وخضراء وفي هذا الاستبعاد نظر لان الجمع لا يجمع بالقياس
الى نظائره من الجموع بل يكفي ان يكون له نظير في المفردات فلفظ لف لما كان نظير القفل و
شغل من حيث الوزن صح ان يجمع على الفاف ولا يضره عدم استعمال احمار واخضار
ولهذا امتنعوا من تكسير مفاعل ومفاعيل لعدم نظيرهما في المفردات حتى يحملا عليه
ثم قال الزمخشري ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها وليس هذا
باوجه مما نقل عن ابن قتيبة لان بناء الجمع بتقدير حذف الزوائد لا نظير له ايضا كأنه قاس
الجمع على تصغير الترخيم وهو ان يحذف الزوائد كلها من الاسم ثم يصغر على ما بقي نحو ان يقال
حميد في احمد ومحمد ومحمود ولا يبالي بالالتباس ثقة بالقرائن ويقال سويد في اسود
وخريج في مخرج ومثل هذا التصغير سمي تصغير الترخيم لما فيه من الحذف للتخفيف فشبهه
بالترخيم المصطلح ولم يسمع من النحاة ان تحذف زوائد الاسم ثم ان يجمع ما بقي منه وهذا
الذي ذكرناه توضيح لما اورده صاحب الكشاف على حمل الفاف جمع ملتفة بتقدير حذف
الزوائد بقوله وفيه انه لا نظير له ايضا لان تصغير الترخيم ثابت واما جمعه فلا انتهى ايراده
وقيل يحتمل ان يكون جمع لفيف كشريف واشراف قوله جنة لف وعيش مغدق وندامى
كلهم بيض زهر يقال عيش مغدق اي ناعم والمغدق الماء الكثير وبناء اغدق للصيرورة
والندامى جمع ندمان يقال نادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني اي جليسي في
مجلس الشراب وبيض اي حسان وزهر جمع ازهر اي ابيض مشرق اللون والاصل
زهر بسكون الهاء نقلت حركة الراء الى الهاء فعلا في الوقف يصف الشاعر طيب الزمان
والمكان وكرم الاخوان قوله في علم الله او في حكمه لما كان الاصل في كان الناقصة الدلالة
على

على ثبوت خبرها لفاعلها في الزمان الذي يدل عليه الفعل بصيغته ماضيا كان او حالا او
استقبالا لا ان كان للماضي ويكون للحال او للاستقبال وكن للاستقبال ومعلوم ان
ثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لانه امر مقرر قبل حدوث الزمان
ايضا فلذلك قيده بعلم الله او حكمه ولعل المراد بالحكم القضاء والتقدير الازلي وهو
غير العلم عند الاشاعرة لانه عبارة عن الارادة الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي
عليه فيما لا يزال قوله حدا توقت به الدنيا اي تنتهي به بقاء عالم الدنيا بان ينتهي بقاؤه
عنده الانتهاء اليه وتوصيف الحد بما ذكر اشارة الى ان الميقات اخص من الوقت حيث
قيد بكونه حدا ينتهي عنده بقاء الدنيا او بكونه حدا ينتهي اليه الخلائق من الانس والجن
كالميعاد والميلاد فان كل واحد منهما اخص من مطلق الوقت التقييد الاول بكونه زمان
الوعد والثاني بكونه زمان الولادة وقيل الميقات زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله تعالى
من الثواب والعقاب او بكونه وقتا لاجتماع الخلائق في موقف الحساب قوله او بيان ليوم
الفصل يحتمل ان يكون مراده انه عطف بيان له وانه منصوب باضمار اعني وافواجا حال
من فاعل تأتون وهذا النفخ هي النفخة الاخيرة التي عندها يكون الحشر والنفخ في الصور اما
بمعنى نفخ الارواح في اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة كبسرة وبسر واما
بمعنى نفخ اسرافيل في القرن فالصور مفرد ومعناه القرن الذي ينفخ فيه للبعث قوله
تحشر عشرة اصناف من امتي فان قيل لم يذكر هيئة حشر المتقين من امته حتى يكون
الاصناف المحشورون احد عشر صنفا قلت لعل الوجه فيه انه لا يخفى على احد ان الذين
رضي الله تعالى عنهم من المتقين يحشرون على الصور الحسنة ثم انهم وان كانوا اصنافا
كثيرة على حسب اختلاف الاعمال الحسنة والاخلاق المرضية الا ان اهتمام السائل لا يتعلق
ببيان تفصيلهم بحسب صورهم الحسنة وتفصيل ما يؤدي الى ان يحشروا عليها من الاعمال
والاخلاق الصالحة بل مطمح نظره ونهاية قصده واهتمامه معرفة هيئاتهم القبيحة في المحشر
ومعرفة ما كان لان يحشروا عليها فلذلك فصل هيئات اهل المعاصي مع الاسباب المؤدية اليها
ولم يتعرض لهيئات الصالحين تفصيلا بل اكتفى بالاشارة الاجمالية اليها بقوله من امتي
من التبعيضية والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بان يجعل الرجل اعلى والراس اسفل
قوله ثم فسرهم بالقتات جمع قات وهو النمام وهو تفسير للذين يحشرون على صورة القردة
والثاني للثاني والثالث للثالث وهكذا الى ترتيب اللف والنشر وبيان المناسبة بين
معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يفضي الى تطويل الكلام فليطلب من علم التعبير

للامر
تفخيم وتهويل [illegible]
يتعين لزيادة [illegible] يعني النفخ فانه زمان
في تأخير الفصل يعني النفخ بنفسه
[illegible] النفخة وفي
[illegible] بمباديه واثاره والصور
الفصل [illegible] ينفخ فيه اسرافيل
هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل
عليه السلام عن ابي هريرة رضي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لما فرغ الله تعالى من خلق السموات
والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل فهو واضعه على فيه
شاخص بصره الى العرش متى
يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ
فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة
غير من شاء الله وذكر قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في
السموات ومن في الارض الا من
شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ
نفخة لا يبقى ميت الا بعث
وقام وذكر قوله تعالى ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون
ابو

قوله وشقت اى تصدعت بعد ان كانت شدادا لا فطور فيها فيكون قوله تعالى وفتحت السماء ههنا بمعنى اذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت بناء على ان الفتح والتشقيق والتفطير متقاربة المعنى قال الامام هذا ليس بقوي لان المفهوم من فتح الباب غير المفهوم من التشقق والتفطر فربما كانت للسماء ابواب ثم تفتح تلك الابواب مع انه لا يحصل في جرم السماء تشقق ولا تفطر بل الدلائل السمعية دلت على ان عند حصول فتح هذه الابواب يحصل التشقق والتفطر والفناء بالكلية انتهى ويمكن ترجيح ما ذهب اليه المص بان الفاء في قوله فكانت ابوابا يدل على ان الفتح سبب لصيرورته الكل كانه ابواب او ذوات ابواب فلو كان الفتح بمعنى التشقق لا يصح بهذه السببية واما لو كان مستعملا في معناه الحقيقي لكان الابواب حاصلة قبل الفتح الا انها كانت مغلقة فلا يصح ح ان يقال فكانت ابوابا الا بتأويل بعيد وهو ان الابواب قبل الفتح كانها معدومة ثم وجدت بالفتح قوله وقرأ الكوفيون وهم ثلثة شيوخ من القراء السبعة عاصم وحمزة والكسائي فانهم قرؤا لفظ فتحت بتخفيف التاء والباقون بتثقيلها والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة ولما ورد ان يقال ان قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا يقتضي ان تصير السماء بكليتها ابوابا فكيف يكون ذلك وان تلك الابواب في اى حائط هي اشار الى توجيه المعنى بوجهين الاول ان قوله فكانت ابوابا محمول على المبالغة من حيث ان تلك الابواب لما كثرت جدا صارت السماء كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض كلها كانها صارت عيونا تتفجر والثاني انه مبني على حذف المضاف اى فكانت ذات ابواب وقيل ضمير كانت ليس للسماء بل هو راجع الى مضمر والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة ابوابا لنزول الملائكة الى المحشر كما قال وجاء ربك والملك صفا صفا فقوله تعالى وفتحت السماء الخ معطوف على فتأتون فان قيل ينبغي ان يقال وتفتح السماء ليوافق المعطوف والمعطوف عليه فما فائدة العدول الى الماضي في المعطوف مع ان المعطوف عليه مضارع قلنا فائدته اكتساب كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه من معنى الآخر فان في كون المعطوف ماضيا دلالة على انهما واقعان البتة وفي كون المعطوف عليه مضارعا اشعارا بانهما حكاية حال آتية تصويرا لتلك الحالين في مشاهدة السامع ولو جعل حالا على معنى فتأتون افواجا وقد فتحت السماء لكان وجها قوله مثل سراب حمله على التشبيه البليغ ووجه التشبيه ما اشار اليه من ان من يرى السراب من بعيد يحسبه ماء فاذا جاء الموضع الذي كان يراه فيه لم يجده شيئا فكذلك الجبال اذا سيرت اى نسفت وقلعت من اصولها وقيل اذا سيرت اى زيلت عن وجه الارض بحيث يرى الارض تحتها بارزة وذلك بان ترسل الرياح فتطيرها في الهواء كانها غبار

غبار فمن نظر اليها يحسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي في الحقيقة مارة بسبب مرور الرياح بها فان الجبال في هذه الحال وان كانت شيئا موجودا الا انها لما لم تبق على حقيقتها صارت مثل السراب الذي هو ليس بشيء او الهباء الشيء الذي تراه في البيت من ضوء الشمس والهباء ايضا دقاق التراب كذا في الصحاح وتسيير الجبال من جملة احوالها عند قيام الساعة ولها احوال اخر غيرها ذكرها الله تعالى في آيات متفرقة فاول احوالها الاندكاك والانكسار ذكره في قوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وحالتها الثانية ان تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة ان تصير كالهباء وذلك ان تنقطع وتتبدد بعد ان كانت كالعهن كما قال فكانت هباء منبثا وحالتها الرابعة ان تنسف وتقلع من اصولها لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بارسال الرياح عليها وهو المراد من قوله فقل ينسفها ربي نسفا وحالتها الخامسة ان الرياح ترفعها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء كانها غبار وهي المراد بقوله وهي تمر مر السحاب ويبقى ان تلك الحركة والمرور حصلت بقهره وتسخيره اياها فقال ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة والحالة السادسة ان تصير سرابا بمعنى لا شيء مثله واعلم ان الاحوال المذكورة الى ههنا هي احوال عامة القيمة ومن ههنا شرع في وصف احوال جهنم واهوالها فقال ان جهنم كانت مرصادا وفي لفظ كانت اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب لجهنم من قديم الزمان على تقدير ان يفسر المرصاد بالمجدة في ترصد الكفرة لئلا يشذ منهم واحد واما على تقدير تفسيره بموضع رصد ففيه اشارة الى ان اهل النار منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة جهنم يرصدون الكفار او الى ان اهل الجنة منتظر ومطلوب من قديم الزمان لخزنة الجنة يستقبلونهم عند جهنم ويرصدونهم عندها ليحرسوهم من فيحها لان ممر المؤمنين كان على جهنم لقوله تعالى وان منكم الا واردها وقيل معناه كانت مرصادا في علم الله تعالى وفيه مبالغة لا تخفى قوله كالمضمار استشهاد لكون المرصاد اسما للمكان الذي يرصد فيه والضمر الهزال وخفة اللحم وتضمير الفرس ان تعلفه حتى يسمن ثم ترده الى القوت وذلك في اربعين يوما وهذه المدة تسمى المضمار والموضع الذي تضمر فيه الخيل ايضا مضمار وذكر المص في المرصاد وجهين الاول ان يكون اسم المكان الترقب فان الرصد هو الترقب والثاني انه من ابنية المبالغة كالمعطار والمطعان والمجار يعني ان جهنم تكثر وتبالغ وتجد في ترصد اعداء الله تعالى وتشهق عليهم كما قال تكاد تميز من الغيظ فقوله او محدة يحتمل ان يكون بالحاء المهملة من احدت النظر اذا توجهت بالشدة والاهتمام فيكون المرصاد بمعنى المبالغ في النظر الى الكفار لئلا يشذ واحد منهم قوله على التعليل لقيام الساعة المدلول عليه بقوله يوم ينفخ في الصور فتأتون افواجا والمعنى قامت القيامة لان جهنم كانت مرصادا لاقامة الجزاء لاهل النار بالتعذيب ولاهل الجنة بتنعيمها بعد جوازهم من فيح جهنم

واختار المص هذا المعنى حيث قال تسير الجبال في الهواء تسيير الهباء منه

المعطار الرجل المتعطر [illegible] والمطعان كثير الطعن [illegible] بالرمح [illegible]

الشهيق عند قوم آخر صوت الحمار منه

تشذ عنه اى انفرد عن الجمهور

فترصدهم بالجد والمبالغة او ترصد الخزنة فيها على لقيام الساعة لان الترقب لا يكون الا قبلها
ثم ان كان المرصاد بناء المبالغة على معنى ان جهنم كانت تبالغ في ترصد الكفرة يكون للطاغين متعلقا
بالمرصاد او بصفة لمرصاد فيتعلق بمحذوف ويكون قوله مآبا بدلا من قوله مرصادا وكذا ان كان المرصاد
اسم المكان ترصد خزنة النار لاهل النار يكون للطاغين متعلقا بما قبله ايضا ويكون مآبا بدلا
وان كان اسم المكان ترصد خزنة الجنة لاهل الجنة او كان اسم المكان الترصد مطلقا سواء كان
الراصد خزنة الجنة او خزنة النار يكون للطاغين متعلقا بقوله مآبا كانه قيل ان جهنم كانت
مرصادا للمؤمنين او مرصادا للكل ومآبا للطاغين خاصة فيكون قوله ان جهنم كانت مرصادا
كلاما تاما يصح الوقف عليه ويكون قوله للطاغين مآبا كلاما مبتدأ ثم انه لما بين ان جهنم كانت
مآبا للطاغين بين كمية استقرارهم هناك فقال لابثين فيها احقابا ولابثين حال مقدرة مثل المنوت
في قوله للطاغين اي مقدرين اللبث فيها واحقابا ظرف زمان لقوله لابثين ومعموله والحقب
الدهر وجمعه احقاب واصل الحقب من الترادف والتتابع يقال احقب اذا اردف ومنه الحقيبة
واحتقبه واستحقبه بمعنى اي احتمله ومنه قيل احتقب فلان الاثم كانه جمعه واحتقبه من خلفه
والحقب المردف فلذلك فسر المص احقابا بقوله دهورا متتابعة يتبع بعضها بعضا قوله وهو ابلغ
لان الصفة المشبهة يدل على الثبوت واسم الفاعل على الحدوث فاللابث من وجد منه اللبث ولا
يقال لبث الا لمن شأنه اللبث وهو ان يستقر في المكان ولا يكاد ينفك منه قوله وليس فيه ما يدل
على خروجهم منها جواب عما يقال ان الاحقاب وان طالت الا انها متناهية وعذاب اهل النار غير
متناه بالنص ثم لو قيل الاحقاب لم يرد هذا السؤال لدلالة اللام على استغراق جميع الاحقاب
اجاب المص عنه بوجوه تقرير الاول ان احقابا المنكر لا يدل على التناهي وانقطاع العذاب اذ
لو صح ان الحقب الواحد بضع وثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما واليوم الف سنة
من ايام الدنيا كما روي كذلك عن ابن عباس وابن عمر رض وكذا لو صح ان الحقب الواحد سبعون الف
سنة اليوم منها الف سنة مما تعدون كما روي عن الحسن انه قال الاحقاب لا يدري احدنا ما هي
ولكن الحقب الواحد سبعون الف سنة اليوم منها كالف سنة مما تعدون فليس فيها ما يدل على تناهي
تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد لابثين فيها احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر
وهكذا الى الابد وتقرير الثاني انه لو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا
يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها ولهم عذاب مقيم لان المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وتقرير الثالث سلمنا ان
احقابا المنكر يدل على التناهي وعدم التتابع لا الى نهاية لكن تناهي الاحقاب انما يستلزم
تناهي

ويجوز ان يكون حالا من مآبا كان صفة فلما كان قدم عليه نصب على الحال فيتعلق بمحذوف منه

للطاغين حال من مآبا كان صفة له في الاصل يعني مرجعا كائنا للطاغين فلما قدم عليه انتصب حالا او صفة لقوله مرصادا منه

وقوله احقابا لما كان ظرف لابثين مع كونه عبارة عن مدة متناهية فهم منه انتهاء لبثهم فيها وذلك يستلزم خروجهم منها منه

اي لانم ان تناهي الحقب يدل على تناهي الاحقاب فان لفظ الجمع انما يدل على كثرة امثال واحد لا على تناهيها منه

بانه يدل تناهي الحقب على تناهي الاحقاب المستلزم لانتهاء اللبث منه

تناهي اللبث المقيد وذلك لا يستلزم الخروج لان تناهي اللبث المقيد لا يستلزم تناهي
مطلق اللبث وذلك اي كون تناهي الاحقاب مستلزما لتناهي اللبث المقيد مبني على ان لا
يكون لا يذوقون كلاما مستأنفا اخبر بذلك عنهم بل يكون حالا من المنوي في لابثين اي
لابثين احقابا غير ذائقين فيها شيئا سواهما فيكون حالا متداخلة ويكون قوله احقابا
ظرفا لابثين المقيد بمضمون لا يذوقون وانتهاء هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث
وتقرير الرابع ان ما ذكرتم من ان تناهي الاحقاب يدل على تناهي اللبث فيها المستلزم لخروجهم
عنها موقوف على ان يكون احقابا ظرفا لقوله لابثين وهو غير مسلم لجواز ان يكون ظرفا منصوبا
بقوله لا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها فح لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث
والخروج حيث لم يكن احقابا ظرف اللبث وتقرير الخامس ان ما ذكرتم مبني على كون احقابا
ظرف لابثين وهو غير مسلم فانه ليس بظرف اصلا بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين بمعنى
حقبين اي نكدين وقوله لا يذوقون فيها بردا تفسير لنكدهم ولا يتوهم ح تناهي مدة لبثهم
فيها حتى يحتاج الى التوجيه قوله والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار كانه
اشارة الى جواب ما يقال انهم يذوقون فيها برد الزمهرير فكيف قيل انهم لا يذوقون فيها بردا
وتقرير الجواب ان تنكير بردا للنوعية اي بردا ينتفعون به ويميلون اليه قال الزجاج لا
يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة فيكون قوله
ولا شرابا بمعنى ولا ماء باردا تخصيصا بعد التعميم لكماله في الترويح ويكون قوله الا حميما وكذا
وغساقا مستثنى منقطعا من البرد والشراب بمعنى المروح بمعنى ولكن يذوقون فيها حميما
وغساقا والحميم الماء الحار الذي انتهى حره والغساق صديد اهل النار وان فسر بالزمهرير
فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لان الزمهرير ليس مما يشرب قوله او النوم
انما سمي النوم بردا لانه يبرد صاحبه الا يرى ان العطشان اذا نام سكن عطشه ومن
امثال العرب منع البرد البرد والمراد بالبرد الثاني النوم وبالبرد الاول معناه الاصلي
اي اصابني من البرد ما منعني من النوم قال الامام ان فسر الغساق بالبارد كان التقدير
لا يذوقون فيها بردا الا غساقا ولا شرابا الا حميما الا انهما جمعا لاجل انتظام الآي و
مثله من الشعر قول امرء القيس • كأن قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف
البالي • والمعنى كأن قلوب الطير رطبا العناب ويابسا الحشف البالي وجعل المص قوله جزاء
مصدرا مؤكدا الفعل المحذوف وجعل وفاقا صفة لجزاء بتقدير المضاف اي جزاء ذا وفاق
او بان يوصف الجزاء بالمصدر مبالغة في موافقته لاعمالهم اي جزاء موافقا او بان يكون

وفاقا مصدر المؤكد الفعل المحذوف لجزاء فتكون الجملة صفة جزاء والتقدير جوزوا بذلك جزاء
وافق اعمالهم وفاقا ووجه الموافقة بينهما انهم اتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقابا
عظيما وهو التعذيب بالنار فكما انه لا ذنب اعظم من الشرك فكذا لا جزاء اقوى من التعذيب
بالنار فتوافقا وقيل انه وفاق حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه واعلم انه
تعالى لما بين اجمالا انهم جوزوا على حسب اعمالهم وجرائمهم شرع في انواع جرائمهم فبين اولا
فساد قوتهم العملية بقوله انهم كانوا لا يرجون حسابا اى ينكرون القيمة ولا يخافون محاسبة يوم
الحساب وهو عبارة عن اقدامهم على جميع القبائح والمنكرات وعدم رغبتهم في شيء من الطاعات
والخيرات فان رغبة الانسان في فعل الخيرات وفي ترك المنكرات انما تكون بسبب ان ينتفع به
في الآخرة فمن انكر الاخرة ويوم العرض والجزاء لا ياتي بالخيرات ولا يمتنع عن المنكرات فلما
كان انكارها منبع كل فساد اكتفى بذكره عن تفصيل ما يتعلق بباب العمل ولما كان الحساب من
اشق الامور واصعبها على الانسان والشيء الصعب الشاق لا يقال فيه انه يرجى بل يقال انه
يخشى ويخاف وقال الامام وكثير من المفسرين ان قوله تعالى لا يرجون معناه لا يخافون ونظيره
قولهم في تفسير قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ثم بين فساد قوتهم النظرية بقوله وكذبوا
باياتنا اى كانوا منكرين بقلوبهم للحق مصرين على الباطل فظهر بذلك انهم كانوا قد بلغوا في
الرداءة والفساد الى حيث يستحيل عقلا وجود ما هو ازيد منه فلذلك عوقبوا بما هو العقاب
جزاء وفاقا **قوله** وكذبوا باياتنا يدل على انهم كذبوا جميع دلائل الله في التوحيد والنبوة و
المعاد وحقية القران وسائر الاحكام الشرعية وهذا غاية الرداءة ونهاية الفساد بحسب القوة
النظرية **قوله** مطرد شايع منهم مثل كلمتهم كلاما وحرقتهم حراقا قال صاحب الكشاف وكنت
افسر آية فقال بعضهم لقد فسرتها فسارا ما سمع بمثله **قوله** كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه
كذابه استدل به على ان الكذاب مصدر كذب الثلاثي بمعنى الكذب ووجه الاستدلال ان كذابا
فيه مذكور بعد ذكر الفعل الثلاثي فدل ذلك على انه مصدر لذلك الفعل الثلاثي ويحتمل ان يكون الكذاب
فيه مصدرا من باب المفاعلة للمبالغة من غير النظر الى المشاركة فيكون مصدر كاذب بمعنى
كذب كذبا عظيما بالغا فانه قد يخرج الفعل الواقع من واحد في زنة المفاعلة تنبيها على قوة
الفعل وكماله ووجه التنبيه ان المفاعلة للمغالبة والفعل في المغالبة يكون اقوى وابلغ فان
الفعل متى غولب فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير من يغالبه فيه لزيادة ما
يكون سببا للاهتمام به فانه يقال يخاشي الله بمعنى يخشاه خشية عظيمة ولفظ المفاعلة في
مثله مجاز شبه الفاعل الذي لا مشارك له في الفعل بمن له مشارك فيه في كونه مبالغا في

فان قيل كيف يكون العذاب الغير المتناهي بحسب الشدة وبحسب المدة وفاقا للكفر فانه وان كان غير متناه في الشدة اذ لا نهاية لقبح الكفر لكنه متناه بحسب المدة فان مدة عمر الكافر متناه قلنا ان جزاء الكفر موافق له في عدم التناهي مطلقا فان الكفر متناه بالمدة وغير متناه في الشدة والجزاء بالنار متناه في الشدة لانه تعالى قادر على ما فوقه من العذاب وغير متناه بحسب المدة لانه مؤبد فكل واحد منهما موافق للآخر في مطلق عدم التناهي منه

وهو صدوره منه على قصد ان يغلب شريكه منه

في مباشرة الفعل بالجد والاهتمام واسند اليه الفعل بصيغة المفاعلة الموضوعة لان يسند الى
احد الشريكين بالنسبة الى الآخر فان الفعل الصادر من احد المشاركين فيه يكون صدوره
منه على جد وقوة لصدوره منه على قصد الغلبة على المشارك الآخر فان استعمل فيمن لا مشارك
له فيه يقصد به المبالغة غالبا قيل كون كذابا المخفف مصدر كذب الثلاثي لغة اهل اليمن فانهم
يقولون كذب كذابا مثل كتب كتابا فان قرئ كذابا في الآية بالتخفيف يكون انتصابه بكذبوا
المشدد على انه مفعول مطلق من غير لفظ الفعل لكون الفعل بمعناه لان كذبوا المشدد يتضمن
معنى كذبوا المخفف لان كل مكذب للحق كاذب ويحتمل ان يكون انتصابه بفعل مقدر من لفظه اى
فكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا **قوله** او المكاذبة عطف على الكذب في قوله بمعنى الكذب اى يجوز
ان يكون كذابا المخفف مصدر كاذب الذي هي للمشاركة او للمبالغة من غير النظر الى المشاركة
قوله ويؤيده اى يؤيد كون انتصاب كذابا المخفف على الحالية على المعنيين اى سواء كان
بمعنى الكذب او المكاذبة قراءة من قرأ كذابا بضم الكاف وتشديد الذال فانه جمع كاذب كنصار
وناصر وانتصابه على الحال وجوز ان يكون كذابا في هذه القراءة صيغة مبالغة للفاعل
الواحد لا جمعا مثل رجل كتار وشاب حسان فيكون كذابا صفة واحد بالغ في الكذب
وذلك الواحد هو مصدر كذبوا والمعنى وكذبوا باياتنا تكذيبا كذابا اى تكذيبا مفرطا كذبه ويجوز
ان يكون انتصاب كذابا المخفف على تقدير كونه بمعنى المكاذبة على المصدرية لفعله المقدر والمعنى
وكذبوا باياتنا فكاذبوا مكاذبة او لكذبوا المذكور لاستلزامه معنى كاذبوا قيل في جعله مصدر
المفاعلة بناء على ان كلا من المسلمين والكافرين كانوا عند الآخرين كاذبين لان كل واحد من
من المشاركين في باب المفاعلة يريد ان يغلب على الآخر في ذلك الفعل وهذا انما يكون اذا اتصف
كل منهما بذلك الفعل كخاصم وحال المسلمين مع الكافرين ليس كذلك لان كلا منهما ينزه
نفسه عن الكذب وينسبه الى الآخر انتهى كلامه فتامل في جوابه **قوله** وقرئ بالرفع والجمهور
على نصب كل شيء بالاضمار على شريطة التفسير وهو الراجح لتقدم جملة فعلية والمعنى و
احصينا كل شيء لما بين الله تعالى ان فساد احوالهم بحسب قوتهم العملية والنظرية بلغ الى
اقصى الغايات بين ان تفاصيل تلك الاحوال في كثرتها وكيفيتها معلومة له وكذا ان قدر ما يستحقونه
بسببها من العقاب معلوم له فيكون المقصود منه تقرير ما ادعاه من قوله جزاء وفاقا **قوله**
مصدر احصيناه اما بتأويل احصينا بمعنى كتبنا واما بتأويل كتبنا بمعنى احصينا بناء على ان
الاحصاء والكتابة يتشاركان في معنى الضبط عبر عن الاحصاء بالكتابة للدلالة على قوة
علمه وتقرره وتمكنه بحيث لا يتطرق الزوال فان الكتابة هي النهاية في قوة العلم وتقرره ولذلك

ويحتمل ان ينتصب على الحالية بمعنى كاذبين على ان يكون كذابا جمع كاذب كصاحب وصحاب منه

نا صلى الله عليه وسلم قيدوا العلم بالكتابة وكانه مع ما فى كل شىء احصيناه احصاء اسلوبا
فى القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة فقوله كتابا يفيد تاكيد ذلك الاحصاء بحيث الاحكام الخلقى
والا فالعلم المكتوب يقبل الزوال وعلم الله بالاشياء لا يقبله اصلا لانه واجب لذات الواجب
قوله او لفعل عطف على احصيناه قوله او حال عطف على قوله مصدر لاحصيناه فان قيل
لا شك ان احصاء الله كل شىء ازلى والكتابة فى اللوح والصحف حادثة فكيف تجعل حالا
من مفعول احصيناه مع ان المقارنة بين الحال وصاحبها شرط فى تلبس العامل بها قلت
الازلية لا تنافى مقارنة الحادث فى بعض الازمان اى فى زمان وجوده او نقول معناه
مقدرين الكتابة فى اللوح او الصحف وتقديره الكتابة ازلى كالاحصاء قوله مسبب عن
كفرهم بالحساب بين ان هذه الفاء جزائية دالة على ان الامر بالذوق مسبب ومعلل بما تقدم
من كفرهم وتكذيبهم فيكون قوله وكل شىء احصيناه جملة معترضة بين السبب والمسبب يؤكد
كلا واحد من الطرفين لانه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على ان ما يتفرع
عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به فان قيل بهذه الزيادة ان كانت
غير مستحقة كانت ظلما وان كانت مستحقة كان تركها فى اول الامر احسانا والكريم لا يليق به الرجوع فى
احسانه والجواب انها مستحقة وترك المستحق فى بعض الاوقات لا يوجب الابراء والاسقاط حتى يكون
ايقاعه بعده رجوعا فى الاحسان قوله وبحيئه على طريق الالتفات حيث ذكرهم اولا بطريق المغايبة
فى قوله انهم كانوا لا يرجون حسابا وفى قوله فذوقوا ذكرهم على سبيل الخطاب والمشافهة وهذا يدل على
كمال الغضب فان قيل قوله فذوقوا الخ تكرير لانه ذكر سابقا انهم لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الآية
قلنا انه تكرير لزيادة المبالغة فى تقرير الدعوى فانه لما شرح اولا احوال العقاب ثم ادعى
كونه جزاء وفاقا ثم بين تفاصيل افعالهم القبيحة ظهر صحة ما ادعاه اولا من ان ذلك العقاب كان
جزاء وفاقا لا جرم اعاد ذكر العقاب فقال فذوقوا هذا كما يقال فى اثبات حدوث العالم مثلا
العالم حادث لانه متغير وكل متغير حادث فالعالم حادث فكذا هنا ادعى اولا واقام الدليل ثم اعاد
تلك الدعوى بعينها مبالغة فى التقرير قوله وفى الحديث هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار كلما
استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه فيكون كل مرتبة منه متناهية فى الشدة وان كانت
مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة كما اشرنا اليه سابقا قوله فوزا على ان يكون المفاز مصدرا
ميميا فان الفوز قد يطلق على الظفر بالمطلوب وقد يطلق على الظفر بالنجاة عن المكروه ولذلك يقال للفلاة
اذا قل ماؤها مفازة تفاؤلا بالخلاص منها وقد يطلق الظفر الفوز بمجموع الامرين والظاهر ان المراد
بالفوز فى الآية الظفر بالمطلوب لانه لما فسره بما بعده وهو قوله حدائق واعنابا فوجب ان يكون

ان يكون المراد من المفاز هذا القدر فان قيل الخلاص من الهلاك اهم من الظفر باللذات فلم اهمل
الاهم وذكر غير الاهم قلنا لان الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم لكونه حاصلا لاصحاب الاعراف
مع انهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فانه يستلزم الخلاص من الهلاك فكان ذكره اولى
قوله بدل الاشتمال او البعض اما بدل الاشتمال فظ على تقدير كون مفازا مصدرا ميميا لان الفوز
يدل على الحدائق والاعناب والكؤوس دلالة التزامية ولا معنى للاشتمال الا دلالة المبدل منه على البدل
بنحو الدلالة لانه ح يكون المبدل منه كالمشتمل على البدل كما قد بين فى موضعه وكذا على تقدير كون مفازا
اسم موضع يصح كون اعنابا وكاسا بدل اشتمال منه ولا يصح ذلك فى حدائق لانها بعض المفاز
فلا تكون بدل اشتمال منه واما بدل البعض فلا يصح على تقدير كون مفازا مصدرا وهو ظاهر وعلى
تقدير كونه اسم موضع يصح فى الحدائق لانها بعضه ولا يصح فى الاعناب والكؤوس لانهما ليسا بعضا
منه والحق انه يجوز ان يكون شىء بدل بعض والمعطوف على ذلك الشىء بدل اشتمال او غيره وبالعكس
فكان قوله بدل الاشتمال او البعض مانعة الخلو عنهما سواء كان المفاز مصدرا ميميا او اسم موضع
قوله فلكت ثديهن اى استدار وصار كالكعب فى النتوء يقال فلك ثدى الجارية تفليكا اى استدار
كفلكة المغزل قوله لدات جمع لدة ولدة الرجل تربه وقرينه فى السن والميلاد والهاء فى لدة عوض
عن الواو الذاهبة من اوله لانه من الولادة قوله ملآنا فدهاق مصدر على وزن فعال بمعنى مدهقة
اى مملوءة وصف به الكاس للمبالغة فى امتلائه اللغو من الكلام ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة
قوله لا يسمعون فيها اى فى الحدائق وقيل فى الكاس وهو الخمر فى غالب الاستعمال والمراد ههنا
القدح الذى فيه الخمر بقرينة وصفه بالدهاق واهل الشرب فى الدنيا تتغير عقولهم فيجرى بينهم اللغو
فى الكاس التى يشربونها بخلاف اهل الجنة فانهم اذا شربوا لا تتغير عقولهم فلا يتكلمون باللغو من
الهذيان والصياح والعدوان ولا يكذب بعضهم بعضا حتى يسمعوا شيئا من ذلك قوله بمقتضى وعده
اشارة الى جواب ما قيل انه كيف جعل الشىء الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لان كونه جزاء
يستدعى ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعى عدم الاستحقاق والجمع بينهما جمع بين المتنافيين
وتقرير الجواب ان ذلك الاستحقاق انما يثبت بحكم الوعد لا من حيث ان الطاعة توجب الثواب على الله
فذلك الثواب بالنظر الى وعد الله اياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر الى انه لا يجب على الله
لاحد شىء يكون تفضلا وعطاء وانتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه بقوله ان للمتقين
مفازا كانه قيل جازى الله المتقين بمفاز جزاء قوله وهو بدل من جزاء اى قوله عطاء بدل من قوله
جزاء بدل الكل من الكل لان العطاء والجزاء متحدان ذاتا وان تغايرا فى المفهوم وفى جعله بدلا من جزاء
نكتة لطيفة وهى ان بيان كونه عطاء وتفضلا منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة اليه

الحمد لله ... صح ... ان ... حاشية ... نسخة ...

... على ان ... بيان ... ان ... بمعنى تكذيبا

فان حق البدل ان يكون مقصودا بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة اليه قوله وقيل منتصب به
نصب المفعول به يعني انه قيل ان عطاء منصوب على انه مفعول به لجزاء بمعنى جزاهم عطاء على ان العطاء
بمعنى المعطى من الاعيان فبل عليه انتصاب جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي هي قوله ان
للمتقين مفازا والمصدر انما يعمل اذا كان بمعنى ان مع الفعل والمفعول المطلق لا يكون كذلك اذ لا يقال
ضربت ان ضربت اذ لا يؤكد الفعل بان مع الفعل بل بالمصدر الصريح قال سيبويه في كتابه ويعمل
على فعله ماضيا كان او غيره اذا لم يكن مفعولا مطلقا واجيب عنه بانه لا يلزم من عدم جواز تاكيد
الفعل بان مع الفعل لفظا عدم كون المفعول المطلق بمعنى ان مع الفعل بمعنى لا يجب ان يكون حكم
صريح ان مع الفعل متحدا مع حكم ما هو بمعنى صريح ان مع الفعل فجاز ان يؤكد الفعل بالمصدر
الذي هو بمعنى صريح ان مع الفعل مع انه لا يجوز ان يؤكد بصريح ان مع فاذا جاز ان يكون المفعول المطلق
بمعنى ان مع الفعل جاز ان يكون عاملا قوله كافيا اشارة الى ان حسابا صفة لعطاء فهو مصدر اقيم
مقام محسبا اي كافيا من قولهم اعطاني ما احسبني اي ما كفاني ومنه قول ابرهيم عليه الصلوة والسلام
حسبي من سؤالي علمه بحالي اي كفاني من سؤالي ويقولون احسبت فلانا اذا اعطيته ما يكفيه حتى قال
حسبي قوله او على حسب اعمالهم والتقدير على هذا عطاء بحساب بحذف الجار ونصب الاسم وفي
الصحاح حسبته واحسبه بالضم حسبا وحسابا اذا عددته وقدرته وتفسير حسابا بقوله على
حسب اعمالهم اي عطاء كائنا على قدرها وعددها مبني على تلك اللغة والتفسير الاول مبني على كونه
من قول الجوهري احسبني الشيء اي كفاني واحسبته وحسبته بالتشديد بمعنى اعطيته ما يرضيه
وحسبه اي يعطيه حتى يقول حسبي وحسبك درهم اي كفاك وهو اسم انتهى والاظهر ان يقال
على حسب ما وعد له من الاضعاف في مقابلة اعماله فانه تع قدر الجزاء على ثلثة اوجه وجه منها
على عشرة اضعاف كما قال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ووجه على سبعمائة ضعف كما في آية
السنبلة ووجه على ما لا نهاية له كما قال انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فان قول المص
على حسب اعمالهم يفهم منه كون الجزاء مثل العمل وذلك انما يكون في السيئة لا في الحسنة والكلام في
جزاء المتقين وجزاؤهم لا يكون مماثلا لاعمالهم البتة فلا بد ان يكون مراد المص كون الاضعاف الموعود
من الجزاء على حسب اعمالهم بان يجازى كل عمل بما وعد له من الاضعاف قوله وقرئ حسابا بفتح الحاء
وتشديد السين بمعنى عطاء محسبا اي كافيا على انه صيغة المبالغة من اعطاه ما احسبه اي كفاه
تدل على المبالغة في الكفاية وقياس فعال ان يبنى من الثلاثي وان يكون مبالغة فاعل وحساب ههنا
فعال من افعل مبالغة مفعل كما يقال اجبره فهو جبار اي مجبر وادركه فهو دراك اي مدرك وافقر عن الشيء
فهو فقار اي مفقر قوله وقد رفعه الحجازيان وهما نافع المدني وعبد الله بن كثير المكي اي ما قال على الابتداء

مع

مع احتمال كونه خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات لان الابتداء راجح لعدم احتياجه الى الحذف قوله
ربك الرحمن بالجر صفة له في اسمي الرب والرحمن ثلث قراءات رفع الاسمين لابن كثير ونافع وابي
عمرو وخفضهما لابن عامر وعاصم وخفض الاول ورفع الثاني لحمزة والكسائي اما رفعهما فبان يكون
كل واحد منهما خبر مبتدأ محذوف والتقدير هو رب السموات هو الرحمن او بان يكون الاول مبتدأ والثاني
خبرا عنه فيكون قوله لا يملكون استئنافا او بان يكون الاول مبتدأ والثاني صفته ولا يملكون خبره واما
جرهما فلما ذكره المص من كون رب السموات بدلا من ربك والرحمن صفته واما جر الاول فلكونه بدلا
من ربك ورفع الثاني فلكونه مبتدأ ولا يملكون خبره او لكونه خبر مبتدأ محذوف ولا يملكون استئنافا او
خبرا بعد خبر قوله اي لا يملكون خطابه يدل على ان من في منه زائدة والظاهر انه متعلق بيملكون والمعنى لا
يملكون من جهته تعالى خطابا واحدا اي لا يمكنهم الله تعالى ان يخاطبوه كما تقول ملكت منه درهما فيكون
من لابتداء الغاية الا ان هذا الوجه وان كان ظاهرا بحسب العادة الا انه بعيد بحسب المعنى اذ المعنى
انهم لا يستحقون من عند انفسهم مخاطبة الله تعالى ومكالمته من حيث انهم في انفسهم مملوكون والمملوك
لا يستحق على مالكه شيئا الا انه تعالى لا يمكنهم من ان يخاطبوه كيف وانه ينبغي ان يشفعوا عنده باذنه فجعلها
بالوجه من زائدة فان الكلام حينئذ يدل على نفي ان يملكوا خطابه وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه لان الاذن
حيث انما يحصل بفضله واحسانه غير مملوكة لهم بحسب انفسهم والاعتراض على احد عبارة عن ان
يجلبه في اثناء كلامه وحكمه من لا تعلق له بما هو فيه من المصلحة والمقصود من ايراد لفظ الاعتراض
ههنا الاحتراز عن دخول الشفاعة باذنه في الخطاب وانما قيد بقوله في ثواب وعقاب للاشارة
الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبله من وعيد الكفار ووعد المؤمنين فالمعنى لا يملكون ان يخاطبوه
فيما سبق من الثواب والعقاب قوله فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق اشارة الى ان في هذه
الاية دلالة على ان الملائكة افضل من البشر وذلك لان المقصود من الاية ان الملائكة والروح مع
كونهم افضل المخلوقات واشرفهم لما لم يقدروا ان يتكلموا في موقف القيمة اجلالا لربهم وخوفا منه
وخضوعا له فكيف يكون حال غيرهم اي عدم قدرة غيرهم عليه اولى ومعلوم ان هذا الاستدلال لا يتم
الا اذا كانوا افضل الخلائق وتقرير المص محل بحث لان المستفاد من نظم الآية انحصار قدرة التكلم
المطلق فيمن اذن له الرحمن وقال صوابا من الروح والملك والمستفاد من تقرير المص انحصار قدرة
التكلم بالصواب في الاذن به فلا مطابقة بين الاية وبين تقرير المص من وجهين احدهما ان المفهوم
من الاية انحصار قدرة التكلم المطلق ومن تقرير المص انحصار قدرة التكلم المقيد وثانيهما ان المفهوم
من الاية انحصار القدرة فيمن اذن له وقال صوابا ومن تقرير المص انحصارها فيمن اذن له فقط و
جوابه انه لما استفيد من الاية انه لابد في القدرة على التكلم المطلق عنده من اجتماع ان يكون

المتكلم ماذونا منه تعالى وان يكون ذلك الكلام الذي تكلم به صوابا فقد استفيد منها انه لا بد في القدرة على التكلم بالصواب من كون المتكلم به ماذونا منه تعالى فيه فتقرير المص بيان لمحصول معنى الآية مطابق لها قوله يوم ظرف للايملكون قبله ولا يتكلمون اما حال من فاعل يقوم اي ساكتين او غير ناطقين واما مستانف لبيان حال الروح والملائكة وعلى تقدير كونه مستانفا يكون قول المص تقرير وتوكيد آخر لقوله تعالى لا يتكلمون وعلى تقدير كونه حالا يكون قوله لا يملكون الى قوله صوابا كلاما واحدا والتقرير يستدعي ان يتحقق كلامان يقرر احدهما مضمون الآخر وذلك انما يظهر اذا كان يوم ظرفا ليتكلمون وكانت الجملة مستانفة لبيان حال الروح والملائكة فكلامه لا يخلو عن اضطراب واختلفوا في الروح في هذه الآية فعن ابن مسعود رض انه ملك اعظم من السموات والجبال وعن ابن عباس رض انه ملك من اعظم الملائكة خلقا وعن مجاهد انهم خلق على صورة بني آدم ياكلون ويشربون ويلبسون ليسوا ناسا وعن الحسن وقتادة هم بنو آدم وعلى هذا معناه ذو الروح وعن الضحاك والشعبي هو جبريل قيل هذا القول هو المختار لان القرآن يدل على ان هذا الاسم اسم جبريل وثبت ان القيام صحيح من جبريل ويصح ان يتكلم ويؤذن له فيه لكن نقل هذا الاسم عنه الى خلق لا نعرفه **قوله تعالى** صفا حال فيحتمل ان الروح على الاختلاف المذكور وجميع الملائكة يقومون صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفين على ما روي ان الروح ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش اعظم منه فاذا كان يوم القيمة قام وحده صفا وقام الملائكة كلهم صفا واحدا ويجوز ان يكون المعنى يقومون صفوفا اي مصطفين والصف في الاصل مصدر يطلق على الواحد والجمع فان قوله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا يدل على انهم يقومون صفوفا **قوله تعالى** الا من اذن له يجوز ان يكون في موضع الرفع على البدلية من واو لا يتكلمون وهو الارجح لكونه غير موجب والمستثنى منه مذكور وفي مثله يختار البدل وان يكون منصوبا على اصل الاستثناء والمعنى لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال ذلك الشفيع الماذون له بالشفاعة صوابا بان شفع لمن ارتضى او بان كان من اهل الايمان فان المؤمنين لهم الشفاعة كما للانبياء وقيل المعنى لا يتكلمون بالشفاعة لاحد الا من اذن له اي لاحد يستحق اذن الرحمن لهم في شفاعته وكان ذلك الشخص ممن قال صوابا بان صح بان يقر بالتوحيد والرسالة ويحقق جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رض يشفعون لمن قال لا اله الا الله فعلى هذا يكون من اذن له الرحمن في موضع الجر على تقدير جار محذوف اي لمن اذن له وضمير قال راجع الى من الذي اريد به المشفوع له والخطاب في قوله انا انذرناكم لمشركي العرب وكفار قريش لانهم كانوا ينكرون البعث ويوم ظرف لمحذوف اي انذرناكم عذابا كائنا يوم ينظر المرء عمله الذي قدمه والمرء عام للمؤمن والكافر لان كل احد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتا في صحيفته خيرا كان او شرا فيرجو المؤمن ثواب الله تعالى على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه واما الكافر فيقول يا ليتني

كنت ترابا قال ابو الزناد لما اقتص بين الخلائق حتى للجماء من القرناء يقال لسائر الامم من البهائم والطيور ومؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا حيث لا يتوقع العفو ايقن بالخلود في العذاب الدائم وقال ليث بن ابي سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح فانهم مكلفون مثابون ومعاقبون كبني آدم كذا في اللباب والمنادى في قوله يا ليتني محذوف اي يا قوم وكنت ترابا في محل الرفع على انه خبر ليت

سورة والنازعات بسم الله الرحمن الرحيم

وهي جمع نازعة الواقعة صفة لطائفة من الملائكة انثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات وناشطات كما مر في سورة والمرسلات والنزع جذب الشيء بشدة والنشط جذبه برفق ولين والاغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ الى اقصى درجاته يقال اغرق النازع في القوس اذا بلغ غاية المد حتى انتهى الى النصل ذكر المص اولا احتمال ان يكون هذه الصفات الخمس لموصوف واحد هو طوائف ملائكة الموت والعطف لتغاير الصفات وفسر قوله غرقا بتفسيرين الاول انه مصدر بمعنى الاغراق قال الامام الغرق والاغراق في اللغة بمعنى واحد فيكون انتصابه على انه مفعول مطلق للنازعات لان الشرط اتحاد المصدر مع عامله في المعنى وهو حاصل هنا لان الغرق نوع من النزع قال ابو البقاء غرقا مصدر بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع والثاني انه مصدر بمعنى الصفة المشبهة اذ هو مخفف غرقا بكسر الراء حذف موصوفها وهو النفوس وتذكير صفتها باعتبار الجنس فيكون انتصابه على انه صفة لمفعول به محذوف في قول المص او نفوسا غرقة عطف على قوله اغراقا فان قيل على تقدير ان يكون غرقا صفة للنفوس هل يكون المراد بالنفوس ما يعم نفس المؤمن والكافر او خاصا بالكافر قلنا خاص بالكافر بقرينة النزع والنشط لان قوله تعالى والنازعات غرقا والناشطات نشطا قسم بملك الموت واعوانه الآن الاول اشارة الى كيفية قبض ارواح الكفار والثاني الى كيفية قبض ارواح المؤمنين ووجه التخصيص ما مر من الفرق بين النزع والنشط وان نزع الشيء اجتذابه من مقره بشدة والنشط جذبه منه برفق فالملائكة تنشط ارواح المؤمنين كما ينشط الدلو من البئر وتنزع ارواح الكفار كما تنزع الاشجار المتفرقة العروق في اطراف الارض وكما يسلخ جلد الحيوان وهي حية ولان نفوس المؤمنين لبثت بغرقة في اجسادهم من حيث انها تنظر الى عالم القدس في اوقات توجههم وحضورهم **قوله** وتسبح في اخراجها سبح الغواص اشارة الى ان قوله والسابحات سبحا استعارة تبعية

وحل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون ترابا الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين انتهى

مع انه ملك اثنية الملائكة عما لا يدخله حتى قال وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا منه

كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم للاختصار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حاله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه انتهى

نشطت الدلو انشطها نشطا نزعتها برفق منه

شبه ملابسة ملائكة الموت ايّاهم في نزع الارواح ونشطها بسبح الغواص لاخراج الشيء
من اعماق البحر فانه يتحرك برفق ولطافة لئلا يغرق فكذا الملائكة يرفقون في ذلك الاستخراج
لئلا يصل اليه الم ومشقة ثم استعمل لفظ السبح في تلك الملابسة ثم اشتق منه السابحات قال
فطرب السابحات الملائكة تقبض ارواح المؤمنين يسلونها سلا رويدا ثم يدعونها حتى تستريح
ثم يسلونها سلا رقيقا ثم يدعونها حتى تستريح كذا قاله الكلبي والسابح في الماء كذلك كذا في التيسير
قوله فيسبقون بارواح الكفار الى النار ان قيل السبق لا يدل على المسبوق فان كان كذلك فاين
المسبوق ههنا قلنا لعل السبق ههنا كناية عن الاسراع في ايصال كل واحد من الارواح الى
منزله لان السبق من لوازم الاسراع وايضا ارواح الكفار يسبق ارواح عصاة المؤمنين
في دخول النار والظاهر ان ارواح المؤمنين تسبق ارواح الكفار بمعنى انهم يدخلون الجنة
قبل دخول اهل النار النار بمقتضى قوله تعالى سبقت رحمتي غضبي والله تعالى اعلم والفاء في
قوله فالسابقات وقوله فالمدبرات للدلالة على ان السبق بعقب الصفات السابقة وكذا تدبير
الثواب والعقاب بعقب الادخال في الجنة والنار واعلم ان كون هذه الصفات الخمس
لموصوف واحد يقتضي ان تكون ملائكة الموت عين ملائكة الرحمة والعذاب حيث ذكر ان ملائكة
الموت بعد قبض الارواح يدخلونهم الجنة او النار وبعد الادخال يدبرون امر عقابها وثوابها
ولعل قول المص بان يهبطوا الخ اشارة الى دفعه فتامل **قوله** او الاوليان لهم عطف على
قوله هذه صفات ملائكة بمعنى ان الاوليان من الكلمات الخمس وهما قوله والنازعات غرقا
والناشطات نشطا صفتا ملائكة الموت والثلث الباقية لطوائف اخرى فيكون قوله
والسابحات قسما ثانيا والواو فيها للقسم والكلمتان اللتان بعدها عطف عليها على
طريق عطف الصفة على الصفة كما ان قوله والنازعات قسم ابتدائي وقوله والناشطات
عطف عليه ففي الكلام قسمان اقسم اولا بطوائف ملائكة الموت وثانيا بطوائف اخرى ا ا
ينزلون من السماء مسرعين مشتبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في الماء واستعارة
السبح للاسراع شايع كما يقال للفرس الجواد انه السابح او صفات النجوم عطف على قوله صفات
ملائكة الموت فالنازعات على هذا بمعنى الذاهبات وفي ديوان الادب نزع اليه اي ذهب فكانها
تطلع وتغرب بالنزوع والسوق وغرقا حال من المنوي في النازعات اي وطوائف النجوم
الذاهبات من المشرق الى المغرب على ان يكون غرقا بمعنى الصفة المشبهة مغرقات اي
اي متوغلات في الذهاب بالغة الى اقصى درجاته او غرقات اي غائبات في افق المغرب
فعلى هذا يكون النازعات اشارة الى طلوعها وغرقا الى غروبها **قوله** بان تقطع الفلك

بشعر

لما وصفهم بالناشطات
شبههم في ملابسة
النشط بالسابحات
تامل منه

518

بشعر بان النجوم تتحرك بنفسها في الفلك بحيث يكون الفلك ساكنا لحركتها كما يكون الارض ساكنة
للحركة الابنية الواقعة عليها والظاهر ان الامر ليس كذلك بل ان النجوم مركوزة في الافلاك تتحرك
بحركتها وانما قال تقطع الفلك نظرا الى ان آثارها تتحرك فيه حركة ابنية كذا الكلام في السابح
قوله وتنشط من برج الى برج نقل الامام هذا المعنى من صاحب الكشاف ثم قال وانوار جح
حاصل هذا الكلام الى ان قوله والنازعات غرقا اشارة الى حركة اليومية والناشطات
اشارة الى انتقالها من برج الى برج وهو حركتها المخصوصة بها في افلاكها الخاصة والعجب ان
حركاتها اليومية قسرية وحركاتها من برج الى برج ليست قسرية بل ملائمة لذواتها فلا جرم
عبر عن الاولى بالنزع وعن الثاني بالنشط فتامل يا مسكين في هذه الاسرار **قوله** فتدبر
امرا انيط بها ان قيل قال الله تعالى ان الامر كله لله فكيف اثبت التدبير في الامور ههنا لغيره والجواب
انه تعالى لما خلق الاشياء بحيث يترتب عليها المصالح المتعلقة بها كان الامر كله لله وصح اسناد
التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه المذكور فان قيل لم قال فالمدبرات ولم يقل امورا
مع ان المصالح المترتبة عليها امور كثيرة والجواب ان المراد به الجنس فقام مقام الجمع لذلك **قوله**
او صفات النفوس الفاضلة فانها تنزع على صيغة المجهول لان تلك النفوس منزوعة عن
الابدان فاطلاق النازعات عليها كاطلاق نحو تامر ولابن بمعنى ذات تمر ولبن اي ذي تمر
فان تلك النفوس اذا كانت منزوعة كانت ذوات نزع فيصح ان يقال انها نازعة على قياس اللابن
والتامر وانما قيد النفوس بالفاضلة لان النشاط الى عالم الملكوت والسباحة فيه والسبق
الى حظائر القدس وتدبير النفوس القاصرة انما يتصور من النفوس الفاضلة فان النفوس
البشرية الخالية من العلائق الجسمانية المشوقة الى الاتصال بالعالم العلوي بعد خروجها
من ظلمة الاجساد يذهب اليه على اسرع الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه
الحالة بالسباحة ثم لا شك ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا ومحبة الاتصال
بعالم القدس مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما
كانت اضعف كان سيرها اثقل ولا شك ان الارواح السابقة اليه اشرف فلا جرم وقع القسم
بها حيث قال والسابقات سبقا ثم ان هذه النفوس الشريفة لا يبعد ان يظهر منها اشرفها و
قوتها آثار في هذا العالم فيكون مدبرات الامر الا يرى ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات
يرشده الى مطلوبه **قوله** او حال سلوكها عطف على حال المفارقة اي انها صفات نفوس حال سلوكها
قوله اقسم الله بها على قيام الساعة يريد ان جواب القسم محذوف تقديره ان القيمة واقعة ا ا
يدل عليه قوله تعالى والذاريات ذروا ثم قال انما توعدون لصادق وقوله تعالى والمرسلات عرفا انما

كان انسان والشيء الى
يا سنة في الوجود تابع
كتبه منه

توعدون لواقع فكذا ههنا فان القران كالسورة الواحدة **قوله** يوم ترجف منصوب
بالجواب المحذوف فان قيل كيف يصح هذا مع ان القيمة لا تقع يوم الراجفة وهي النفخة الاولى
التي تموت فيها الاحياء بل انما تقع عند النفخة الثانية وبينهما اربعون سنة قلنا المراد بيوم
ترجف الراجفة الوقت الواسع الذي يحصل فيه النفختان ولا شك انها تقع في بعض ذلك الوقت
الواسع وهو وقت النفخة الثانية ويدل على ما قلنا ان قوله تتبعها الرادفة جعلها حالا عن الراجفة
فانه يستلزم كون رجفات الراجفة واقعا في حال كون الرادفة تابعة له وان يكونا في زمان واحد
لان الحال يجب ان يكون حصولها مقارنا لحصول الفعل المقيد بها وذلك لا يكون الا بان يكون المراد
باليوم الوقت الواسع والرجفة والرجف الحركة والاضطراب لقوله تعالى يوم ترجف الارض وترجف
لكونه فعلا مضارعا يقتضي كون قيام مدلوله بفاعله على وجه الحدوث والحركة انما تحدث في الاجرام
الساكنة فلذلك فسر الراجفة بالاجرام الساكنة التي تعرض لها الحركة **قوله** او الواقعة التي
ترجف عندها الاجرام وهي النفخة الاولى اسند اليها الرجف مجازا على طريق اسناد الفعل الى سببه
فان حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الاجرام الساكنة وان فسرت الراجفة بنحو الارض والجبال
من الاجرام الساكنة يكون اسناد الرجف اليها حقيقة ويكون المراد بالرادفة الاجرام المتحركة
كالسماء والكواكب لان انشقاقها وانتثار كواكبها يحصل اثر حركة الراجفة **قوله** او النفخة الثانية
هذا على تقدير ان يفسر الراجفة بالنفخة الاولى فان الرادفة كل شيء جاء بعد شيء آخر يقال
ردفه اي جاء بعده كالنفخة الثانية تجيء بعد الاولى وكتغير احوال الاجرام المتحركة كانفطار
السماء وانتثار الكواكب فانه يردف ويجيء اثر تخريب السواكن وتزلزلها **قوله** وهي صفة لقلوب
اشارة الى وجه صحة الابتداء بقلوب وهو نكرة يعني انه وان كان نكرة لكنه موصوف بقوله واجفة
والنكرة الموصوفة يجوز ان يكون مبتدأ فقلوب مبتدأ ويومئذ منصوب بواجفة وابصارها
مبتدأ ثان وخاشعة خبره وهو مع خبره خبر الاول واضيف الابصار الى ضمير القلوب مع ان
القلوب لا ابصار لها بتقدير المضاف واثار المضاف اليه اي ابصار اصحابها ويدل على تقدير الاصحاب
ايضا قوله يقولون قال الامام خصص القلوب بالواجفة ولم يعرفها بلام الاستغراق بان يقول
القلوب يومئذ واجفة لانه ثبت بالدليل ان اهل الايمان لا يخافون بل المراد به قلوب الكفرة
مما يؤكد ذلك انه تعالى حكى عنهم انهم يقولون ائنا لمردودون في الحافرة وهذا كلام الكفار لا كلام
المؤمنين **قوله** ولذلك اي ولاجل ان ذلة ابصارهم من الخوف بحيث يعرفون اي شيء ينزل
عليهم من الامور العظام اضاف الابصار الى القلوب لانها محل الخوف وهو من صفاتها واضافة
الابصار لما كانت في معنى توصيفها بتلك الاضافة اشعر بكونها علة للحكم بالذلة وبان سبب ذلتها

او على طريق اسناد الفعل الى ما يكون معه في الوجود فان الدنيا تضطرب عند النفخة الاولى منه

والمعنى ان الاجرام المتحركة في تغير احوالها تتبع الاجرام الساكنة في رجفانها منه

الوجيف والوجيب خفقان القلب واضطرابه ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والايجاف حمل الدابة على السير السريع وللمفسرين عبارات كثيرة في تفسير الواجفة ومعناها واحد قالوا خائفة وجلة زائلة عن اماكنها قلقة شديدة الاضطراب غير ساكنة ونحوها منه

ما في القلوب من الخوف ثم انه تعالى حكى عن منكري القيمة والبعث اقوالا ثلثة اولها قولهم ائنا لمردودون
في الحافرة وثانيها قولهم ائذا كنا عظاما نخرة وثالثها قولهم تلك اذا كرة خاسرة وهذه الاقوال
صدرت عنهم في الدنيا استبعادا للبعث وتعجبا منها **قوله** محفورا اي آثرنا فيها بمشينا فالحافر
في الحقيقة هو الماشي في تلك الطريقة وان الطريقة محفورة الا انها سميت حافرة كما قيل عيشة
راضية وماء دافق فان حق هذه الالفاظ ان يسند الى الفاعل لكنها اسندت الى المفعول
على النسبة اي منسوبة الى الحفر والرضى والدفق **قوله** او تشبيه القابل بالفاعل في ان وجود
الفعل يتوقف على وجود كل واحد من الفاعل والقابل كما يقال صام نهاره تشبيها الزمان الفعل
بفاعله والحاصل ان الرجوع في الحافرة في الاصل عبارة عن الرجوع الى الطريقة التي سلكها اولا
واثر فيها بمشيه عليها ثم اطلق على الرجوع في الاحوال من اخر الحال الى اولها فقال الواحد الحافرة
عند العرب اسم لاول الشيء وابتداء الامر قال الشاعر احافرة على صلع وشيب معاذ الله
من سفه وعار يقول الارجع الى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والتصابي بعد ان شبت وصلعت
ثم قال معاذ الله هذا سفه ظاهر وعار شديد فظهر ان معنى الاية انرد الى اول حالنا وابتداء
امرنا فنصير احياء كما كنا **قوله** يقال حفرت اسنانه اي اثر الاكال في اصولها محفورة حفرا اي فصارت
ذوات حفر بان ركبها الوسخ من ظاهرها وباطنها والحفر والحفر سلاق في اصول الاسنان
والمراد بالحفرة في هذه القراءة الارض التي تغيرت وانتنت باخباثها اي اجزائها وباجسام الموتى والمعنى
ائنا لمردودون ونحن في الارض المتغيرة بموتانا واجسادهم فعولة في الحفرة على هذا في
موضع الحال من فاعل مردودون وقيل الحفرة بمعنى الحافرة ومقصورة منها وقال بعضهم
الحافرة وجه الارض التي يحفر فيها قبورهم سميت حافرة بمعنى المحفورة نحو عيشة راضية بمعنى
مرضية فيكون في الحافرة ايضا حالا **قوله** وقرا نافع وابن عامر الخ اي المعمول لقوله لمردودون
على قراءة من قرا اذا على الخبر واما من قرا ائذا على الاستفهام فعامله محذوف يدل عليه
لمردودون والتقدير انرد اذا كنا عظاما نخرة وفيه زيادة استبعاد للبعث وانما قلنا
ان العامل محذوف لان حرف الاستفهام يمنع من ان يكون ما بعدها معمولا لما قبلها **قوله** وهي
ابلغ لان فعلا من صيغ المبالغة او لانه صفة مشبهة دالة على الثبوت فان لفظ فاعل انما
يطلق على من صدر عنه الفعل ولفظ فعل يطلق على من كان الفعل فيه غريزة او كالغريزة
والنخرة والناخرة لغتان بمعنى واحد كالطمع والطامع واللبث واللابث وفعل ابلغ
والنخر البلى يقال نخر العظم والخشب بكسر العين اذا بلي واسترخى وصار بحيث لو مس
لتفتت وقيل النخرة غير الناخرة اذ النخرة بمعنى البالية واما الناخرة فهي العظام

التصابي التعاشق

الفارغة المجوفة التي يحصل منها صوت من هبوب الريح كنخير النائم والمجنون لامن النخر التي هي البلى واعلم ان حاصل شبهة من احتج على انكار البعث بقوله ائذا كنا عظاما نخرة ان الذي يشير اليه كل احد بقوله انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فاذا مات فسد تركيبه فيمتنع اعادته لاختلاط كل جسم عنصري منه باصله فتميز تلك الاجزاء عن اصل ذلك العنصر وكذا تميز بعضها عن بعض محال ولان الاجزاء الترابية باردة يابسة فيمتنع تولد الانسان منها لانه حار رطب في مزاجه ولان اعادة عين ما عدم اولا محال لان الذي عدم لم يبق له عين ولا ذات ولا خصوصية فاذا دخل شيء آخر في الوجود استحال ان يقال بان هذا العائد هو عين ما فني اولا والجواب انا لا نم ان ما اشار اليه كل احد بقوله انا هو هذا الجسم والهيكل المخصوص فما الدليل عليه بل يجوز ان يكون امر مجرد ليس بجسم ولا جسماني كما ذهب اليه طائفة عظيمة من المسلمين والفلاسفة او يكون جسما مخالفا بالماهية للاجسام القابلة للكون والفساد ساريا فيها كالورد في الورد وكالنار في الفحم والدهن في السمسم فاذا فسد هذا الهيكل بقي ذلك الجسم حيا مدركا عاقلا اما في السعادة او الشقاوة او يكون جسما مساويا لهذه الاجسام في الماهية الا ان الله خصها بالبقاء والاستمرار من اول عمره الى الابد وعند هذه الاحتمالات لا يلزم من فساد البدن وتفرق اجزائه فساد ما هو الانسان حقيقة ولئن سلمنا ان الانسان هو هذا الهيكل فلا نم امتناع اعادة المعدوم فان قيل قوله ان اختلط اجزاؤه العنصرية بالعناصر فلا تتميز قلنا علمه تعالى محيط بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وانه تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر على جمعها باعيانها واعادة الحيوة اليها لانها متميزة في علمه فان قلت مدلول الاجزاء الترابية باردة يابسة قلنا السمندر يعيش في النار والنعامة تبتلع الحديدة المحماة فبطل الاعتماد على الاستقراء وقوله المعدوم لم يبق له عين فلا يصح الحكم بان العائد عين الفاني قلت بقاء الاعيان المتميزة في علمه المحيط كاف في صحة الحكم بان الداخل في الوجود هو عين ما فني اولا **قوله** ذات خسران او خاسر اصحابها يعني ان اسناد الخسران الى الكرة والحال انهم هم الخاسرون والكرة تخسر بها اما على ارادة النسبة من اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذات لبن وتمر ومنسوب اليهما واما على الاسناد المجازي على طريق اسناد الفعل الى ما يلابسه في الوجود كقوله فما ربحت تجارتهم والربح فعل اصحاب التجارة والربح والتجارة متلابسان في الوجود **قوله تعالى** تلك تتبعها الشر بها الى الردة والرجفة في الحافرة وكرة خبرها والمعنى ان كان بعثنا بعد الموت حقا فتلك الرجعة رجعة خاسرة وهذا المعنى افادته كلمة اذن فانها حرف جواب وجزاء عند الجمهور والكر

والكر الرجوع يقال كره وكر بنفسه يتعدى ولا يتعدى كما يقال رجع بنفسه ورجعه غيره والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات وقولهم هذا استهزاء منهم بالحشر حيث ابرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع **قوله** متعلق بمحذوف يريد بالتعلق التعلق بحسب المعنى وهو العطف والتقدير لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فانها سهلة هينة في قدرته فانما هي الا صيحة واحدة يقال زجر البعير اذا صاح عليه والمراد من هذه الصيحة النفخة الثانية وهي صيحة اسرافيل قال المفسرون يجيئهم الله في بطون الارض فيسمعون فيقومون **قوله** فاذا هم احياء على وجه الارض فسر الساهرة بوجه الارض وهو اختيار الصحاح وذكر ما يدل على ان المراد بها ارض الدنيا قال الامام واختلفوا فيها فقال بعضهم هي ارض الدنيا وقال آخرون هي ارض الآخرة لانهم عند الزجرة والصيحة ينتقلون افواجا الى ارض الآخرة ولعل هذا الوجه اقرب انتهى وفي التيسير قال الخليل بالساهرة اي بوجه الارض بعد ان كانوا في بطنها وهو قول الاخفش وابي عبيدة وقطرب وجميع اهل اللغة وقال الفراء سميت بها لان منام الحيوان وسهرهم فيها وصفت الارض بصفة اهلها من النوم والسهر غايته انه اكتفى بذكر احد الوصفين عن الآخر وذلك غير بعيد ونظيره قوله تعالى سرابيل تقيكم الحر اي الحر والبرد وهذا توضيح ما في التيسير والظاهر بياض الارض عبارة عن خلوها عن الماء والكلاء والاشجار شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة بمعنى جارية الماء قال الشاعر وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما اي مجللا اي منغطيا ومنه جل الدابة لاقطارها اي جوانبها يقول رب ساهرة قد غطى السراب وجوانبها وقت الضحى قد قطعتها متلثما اي وانا اشد اللثام على فمي وانفي من خوف هبوب السموم والحر القائل يقال اضحى فلان يفعل كذا اذا كان يفعله بالضحى كما يقال ظل يفعل اذا كان يفعله بالنهار دون الليل **قوله** او لان سالكها يسهر خوفا فوصف الارض بصفة من يسلك فيها وهي السهر لاجل الخوف قال الامام فتلك الارض يجتمع الكفار فيها في موقف القيمة يكونون فيها في اشد الخوف فسميت تلك الارض ساهرة لهذا السبب وقال قتادة هي جهنم والمعنى فاذا هؤلاء الكفار في جهنم وانما قيل لها ساهرة لان اهلها لا ينامون فيها **قوله** اليس قد اتاك حديثه اشارة الى ان هل بمعنى قد وان الهمزة الاستفهام قبلها محذوفة لكثرة وقوع هل في الاستفهام بحيث صارت كانها علم الاستفهام فاستغنى بها عن الهمزة وانما ثبتنا هل متضمنة معنى استفهام التقرير ومعنى تقريب الحكم المقرر من الحال فلذلك قال في تفسيره اتاك بهمزة الاستفهام وقد اي قد جاءك قبلك حديثه عن قريب على ان يكون الاستفهام لجهل المخاطب على ان يقربا بمعرفة قبل ذلك كما

قال ابو سعيد الساهرة صحراء على شفير جهنم منه

هذا المعنى يستفاد من اذا الفجائية فانها لما دلت على انهم فاجئوا هذا الوقت دلت على انهم كانوا قبل ذلك بخلافه منه

وروى الضحاك عن ابن عباس ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه هي بيت المقدس الاكبر

في الم نشرح لك صدرك والم يجدك واليس الله بكاف عبده وهذا المعنى يبنى على ان
يكون قد اتاه ذلك الحديث قبل هذا الكلام واما ان لم يكن قد اتاه فقد يجوز ان يقال هل اتيك
حديث موسى ام انا اخبرك به فانه عبرة لمن يخشى فلا يكون الاستفهام ح لحمل المخاطب
على الاقرار بل لحمله على طلب الاخبار والمص حمله على الاحتمال الاول وتقدير كلمة اليس بوجه
اذ لا وجه لتقديرها سوى تبيين ان الاستفهام استفهام تقرير وذلك ان الكفار لما اصروا
على انكار البعث حتى انتهوا في ذلك الى ان استهزؤا وقالوا تلك اذن كرة خاسرة وشق
ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزن بسببه جعل عليه الصلوة والسلام كانه لم يعلم بحديث
موسى عليه الصلوة والسلام وانه لم يأته بعد والا لما كان يتحزن به بل يتسلى بذلك الحديث المنبي
وعن تحمل موسى مشاق عظيمة في دعوة فرعون فناسب ان يدخل اداة الاستفهام على كلمة
النفي ولهذا افتتح قوله هل اتيك بقوله اليس قد اتاك والا فلا يطابق التفسير المفسر بحسب
الظ فظهر بما ذكرنا وجه تفرع قوله فسليك على تكذيب قومك على التفسير المذكور وظهر ايضا
ان عطف قوله ويهددهم على قوله فسليك المستلزم لكون التهديد المذكور ايضا متفرعا على
التفسير المذكور محل بحث لان التهديد المذكور لا يظهر تفرعه على التفسير المذكور بل الظ
انه يتفرع على ان يكون الاستفهام في هل اتيك لحمل المخاطب على طلب الاخبار بان يكون
المعنى هل اتيك حديث موسى ام انا اخبرك به فتهدد به المشركين ووجه التهديد ان
فرعون كان اقوى من كفار قريش واكثر جمعا واشد شوكة فلما تمرد على موسى
اخذه الله نكال الاخرة والاولى فلذلك هؤلاء المشركون في تمردهم عليك ان اصروا
اخذهم الله واجعلهم نكالا وعبرة للعالمين **قوله** قد مر بيانه قوله طوى وهو
ان طوى بالضم اسم للوادي فيكون عطف بيان للوادي المقدس وقيل ان طوى بالضم
مثل طوى بالكسر في انهما بمعنى ثنى بكسر الثاء وهو الشيء المثنى وفي الصحاح الثني //
مقصورا الامر يعاد مرتين يقال ناديته طوى وثنى اي مرتين وعلى هذا يحتمل ان يتعلق
بنودي اي نودي نداءين وان يتعلق بالمقدس اي قدس مرتين وثبت فيه البركة و
التقديس وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وطوى بضم الطاء غير منون وقرأ ابن عامر //
والكوفيون بالتنوين وضم الطاء وروي عن ابي عمرو وطوى بكسر الطاء مثل ثنى في انهما
اسمان للشيء المثنى والطى بمعنى الثني اي ثنيت فيه البركة والتقديس وقال الفراء طوى
واد بين المدينة ومصر فمن صرفه قال ليس فيه الا العلمية لانه اسم للمكان وهو مذكر ومن
لم يصرف جعله معدولا عن جهته كعمر وزفر ثم قال والصرف احب الي اذ لم اجد في المعدول
نظيرا

قوله هل اتيك سواء كان تسلية عليه الصلوة والسلام او لتهديد قومه في تكذيبهم متفرع بما قبله وهو ظاهر

نظيرا اي لم اجد اسما من الوادي عدل عن فاعله غير طوى وقيل طوى بمعنى يا رجل بالعبرانية فكانه
قيل يا رجل اذهب الى فرعون وهو قول ابن عباس رضي الله عنه واذ في قوله اذ ناداه ظرف منصوب بحديث
اي هل اتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه لا باتيك لاختلاف وقتي الاتيان والنداء لان الاتيان
لم يقع في وقت النداء وقوله اذهب مقول قول مضمر اي اذ ناداه ربه فقال اذهب والطغيان مجاوزة
الحد ثم انه لم يبين انه تعدى في اي شيء ولهذا قال بعض المفسرين معناه انه تكبر على الله و
كفر به وقال اخرون انه طغى على بني اسرائيل بان استذلهم بكمال التذليل والتحقير والاولى ان يحمل
على الاطلاق ويكون المعنى انه طغى على الخالق بان كفر به وطغى على الخلق بان تكبر عليهم واستعبدهم
فكما ان كمال العبودية لا يكون الا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون
بسوء المعاملة معهما فهذا اوجه من الحمل على احدهما فقط **قوله** هل لك ميل اشارة الى ان لك
خبر مبتدأ محذوف والى انه متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقراءة تزكى بتشديد الزاي بنى على ادغام
تاء التفعل في الزاي لتقاربهما والتخفيف من حيث ان اجتماع المتقاربين كاجتماع المثلين ومن
قرأ بالتخفيف حذف احدى التائين وهو من طرق تخفيف الثقل الحاصل من اجتماع المثلين
والمتزكي الطاهر من العيوب بالسعي والاجتهاد وهذه الكلمة جامعة لكل ما يدعوه اليه لان
المراد هل لك ميل الى ان تتطهر بما تصير به زاكيا عن كل ما لا ينبغي وذلك يجمع كل ما يتعلق بالاعتقاد
والعمل ثم فصل الفعل الذي يصير به زاكيا بان ذكر اول ما يجب على المكلف في باب الاعتقاد وهو
معرفة الله تعالى ثم فرع عليه ما هو ملاك الخيرات ومبنى السعادات كلها وهو خشية الله تعالى فان
من خشي الله عز وجل اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر كما قال صلى الله عليه وسلم من
خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل يقال ادلج القوم اذا ساروا من اول الليل وان ساروا من
آخر الليل فقد ادلجوا بتشديد الدال **قوله** اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة تعليل لكون //
المضاف المقدر في قوله واهديك الى ربك هو المعرفة فلذلك قال وارشدك الى معرفته وذلك
انه تعالى فرع الخشية على ما قبله وهي لا تكون الا بعد المعرفة كما قال انما يخشى الله من عباده العلماء
اي العلماء بالله فلذلك قدر المعرفة **قوله** وهذا كالتفصيل الخ يعني انه تعالى بين في موضع من
كتابه الحكيم انه حين ارسل موسى وهرون عليهما الصلوة والسلام الى دعوة فرعون امرهما
بان يقولا له قولا لينا وبين ههنا انه امر موسى ح ان يقول له هل لك الى ان تزكى الاية فظهر ان
المذكور في كل موضع بعض ما اوحي به اليهما فكانه لما قال لهما فقولا له قولا لينا رتب لهما هذا
الكلام اللين الرفيق تفصيلا وبيانا لصورة القول المأمور به فانه قول لين مشتمل على بعض
التفصيل اما كونه لينا فلانه ابتداء في مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض على اسلوب

وتخصيص فرعون بالذكر في قوله اذهب الى فرعون مع كون قومه في حكمه وعونه في ذلك الطريق لا لانه بعث الى فرعون فقط فانه بعث اليه والى قومه

[illegible] صح

الترغيب في كونه زاكيا عما لا يليق به ومتطهرا بطهارة الايمان من غيران يأمر بها ومن
غيران يذكر ما يتعلق بالتزكي حيث لم يقل الى ان تزكى من الشرك والجهل وكفران نعمة خالقك
وذاتك واقبل ما ادعوك اليه حتى تخرج من الضلالة والطغيان ونحو ذلك مما فيه عنف
وغلظة واما اشتماله على بعض المستفصل فظاهر وظهر من هذا انه لابد في الدعوة الى الله
من اللين والرفق وترك الغلظة والعنف ولهذا قال تعالى لخاتم النبيين محمد صلى الله
عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فكل من سلك في دعوة الخلق
اليه تعالى سبيل الخشونة والعنف فهو على ضد ما امر الله تعالى به رسله وانبياءه قوله فذهب
وبلغ فاراه اشارة الى ان الفاء في قوله فاراه للعطف على محذوف يدل عليه قوله اذهب
اليه وقل كذا وكذا وهذا كقوله فاضرب بعصاك الحجر فانفجرت اي فضرب وامثال هذا الايجاز
كثيرة في القرآن قوله فانه كان المتقدم والاصل اعلم انهم اختلفوا في الآية الكبرى على ثلثة
اقوال الاول انها اليد البيضاء لقوله تعالى في سورة طه وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء
من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى قاله سعيد والكلبي وقال عطاء هي قلب
العصا حية وقال مجاهد هي مجموع اليد والعصا وذلك لان سائر الآيات دلت على ان
اول ما اظهر موسى عليه الصلوة والسلام لفرعون هو العصا ثم اتبعه باليد فوجب
ان يكون المراد مجموعهما واختار المص القول الثاني ثم ذكر القول الثالث واستدل
على ما اختاره وهو ان يكون المراد بها قلب العصا حية بانها كانت متقدمة في الاراءة
حيث ابتدأ موسى بها وهذه دعت الى الاخرى فان العصا لما انقلبت حية اضمر موسى
في نفسه خيفة منها وقصد ان يتقي الحية بيده فقيل له حين رفع يده واضمم يدك الى
جناحك تخرج بيضاء بحيث تبرق كالشمس من غير سوء آية اخرى لنريك ذلك الصنع من
حيث انه تعالى لم يرض ان يخاف مما اظهره الله تعالى على يده معجزة له فلما كانت الآية الاولى
هي الداعية الى الاخرى كانت الاولى اصلا والثانية تابعة لها فسميت الاولى لذلك كبرى
ولانه ليس في اليد الا انقلاب لونه الى لون آخر وهذا المعنى كان حاصلا في العصا ثم حصل
في العصا امور اخر ازيد من ذلك منها حصول الحيوة في الجرم الجامد ومنها تزايد اجزائه
وكبر جرمه ومنها حصول القدرة الكبيرة والقوة الشديدة ومنها الابتلاع للاشياء الكثيرة
بحيث فنيت فيها ولم يزدد به عظم بطنها ومنها زوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا
بهما حية وزوال تلك الحيوة والقدرة عنها وعودها عصا كما كانت وكل واحدة من هذه
الوجوه كانت معجزة مستقلة في نفسها فعلمنا ان الآية الكبرى هي العصا قوله او مجموع معجزاته
و

وقيل ادبر هاربا من الثعبان
فانه روي انه عليه الصلوة و
السلام لما القى العصا انقلب
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل على الارض و
الاعلى على سور القصر فتوجه
نحو فرعون فهرب واحدث
وانهزم الناس مزدحمين
فمات منهم خمسة وعشرون
الفا من قومه وقيل انها لما
انقلبت حية ارتفعت في
السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة نحو فرعون وجعلت
تقول يا موسى مرني بما شئت
ويقول فرعون انشدك
بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه
فعاد عصا وبالجملة ان ذلك
كان قبل الاصرار على التكذيب
والعصيان والتصدي للمعارضة
انتهى

وجعلها آية واحدة لاشتراك الجميع في كونها معجزة دالة على صدق من ظهرت هي على يده فصارت
الجميع باعتبار وحدة القدر المشترك بينها كالآية الواحدة وجعلها كبرى بالاضافة الى سائر
الآيات التي اعطيها الانبياء قبل موسى عليهم الصلوة والسلام قوله وعصى الله بعد ظهور الآية
وتحقق امر نبوة موسى ووجوب الطاعة عليه وهو اشارة الى انه انما عطف قوله عصى على
كذب لدلالته على ان المراد بالتكذيب احد محتمليه وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم
بان من كذبه ممن يجب تصديقه والايمان بجميع ما جاء به من حيث انه قد اعتقد بقلبه ان
ما اظهره من المعجزة يمتنع ان يعارضه البشر فعلم به انه فعل الله تعالى خلقه في يد موسى ليكون
معجزة له دالة على صدقه في دعوى الرسالة من الله تعالى فان التكذيب انما يكون معصية
لله تعالى اذا كان بهذا المعنى وللتكذيب قسم آخر غير هذا وهو تكذيب من لا يجب تصديقه والتكذيب
بهذا المعنى لا يكون عصيانا لله تعالى فافاد العطف ان الذي ترتب على اراءة الآية الكبرى هو التكذيب
الذي يكون عصيانا لله تعالى فان قيل قوله تعالى بعده فحشر فنادى يدل على ان فرعون ما اعتقد
بان ما اظهره موسى من المعجزة فعل الله تعالى خلقه في يد موسى ليستدل به على صدقه في دعواه
وذلك لانه اعتقده بامكان المعارضة حيث جمع السحرة وامرهم بمعارضته فكيف يكون تكذيبه
من القسم الذي يكون عصيانا لله تعالى قلنا يجوز ان يكون حشره اي جمعه ونداؤه في المجمع تمردا
وعنادا لا اعتقادا بانه يمكن معارضته بل هو تعلل بالباطل دفعا للمجلس قوله يسعى مسرعا
حال من فاعل ادبر اشارة الى ان يسعى في النظم حالية بمعنى مسرعا في مشيه قال الحسن
كان فرعون رجلا طياشا اي خفيفا قوله اعلى من كل من يلي امركم يريد انه لم يرد بقوله
انا ربكم انه خالق السموات والارض والجبال والنبات والحيوان فان العلم بفساد ذلك ضروري
ومن شك فيه كان مجنونا ولو كان مجنونا لما جاز من الله بعثة الرسول اليه بل الرجل كان دهريا
منكرا للصانع وللحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم آله حتى يكون له عليكم امر ونهي او يبعث
اليكم رسولا بل المربي لكم والمحسن اليكم انا لا غير لا بمعنى انه خالق العالم وقال القاضي الباقلاني
كان اللائق به عند ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية وظهور ذله وعجزه
ان لا يقول ذلك القول الدال على تربية الخلق وعلو الشأن مع ظهور كونه من جملة اهل
الارض في الذل والهوان وان مالك الملك والرب الاعلى هو الذي ايد رسله بالمعجزة و
البرهان فكانه صار الرجل في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول قوله
اخذا منكلا اشارة الى ان نكال الآخرة والاولى مصدر بمعنى منكلا لان النكال بمعنى التنكيل كالكلام
بمعنى التكليم والسلام بمعنى التسليم والتنكيل بمعنى المنكل على طريق رجل عدل وانه

مصدر اخذ اخذا منكلا
اي حاملا على النكول
والامتناع منه

منصوب على انه صفة لمصدر محذوف منصوب باخذه الله او ان اضافته الى الآخرة والاولى
بمعنى في كضرب اليوم فان قيل معنى الاخذ المتنكل هو ان يعاقب المسيء على ذنبه بان يفعل به فعلا يمنع
غيره عن الاتيان بمثل ذنبه ويمنعه ايضا عن المعاودة الى ذلك الذنب وهذا المعنى انما يتصور
بالتنكيل في الدنيا بالاغراق واما التنكيل في الآخرة فلا قلنا بل يتصور فان من سمع في الدنيا ما عوقب
به المذنب في الآخرة وصدق بذلك يمتنع بسبب سماعه عن ارتكاب ذلك الذنب الذي ادى اليه
فيكون العقاب في الآخرة تنكيلا لمن سمعه وصدقه في الدنيا وان لم يكن تنكيلا لمن رآه في الآخرة
ولهذا قال لمن رآه او سمعه فان قوله لمن رآه مخصوص بالتنكيل في الدنيا وقوله او سمعه متناول
للتنكيل في الدنيا والآخرة والكلمة بحسب اصل اللغة تنبئ عن الامتناع عن الشيء وعدم الاقدام
عليه ومنه نكل عن اليمين اي امتنع عن ان يحلف ونكل عن العدو امتنع عن معارضته ومحاربته
جبنا ويقال نكل به على ذنبه تنكيلا اي عاقبه على ذنبه عقابا يحمل المعاقب على الامتناع عن المعاودة
الى ذلك الذنب ويحمل غيره ايضا على الامتناع عن اتيان مثل ذنبه لان المعاقب لما عوقب على ذلك
الذنب كان ذلك عبرة لغيره يعتبر بحاله فيمتنع عن اتيان مثل ما اوتي به وقيل نكال الآخرة مصدر
مؤكد للفعل المذكور وهو اخذه الله حملا على المعنى لان الاخذ ههنا عقوبة فكانه قيل نكل به نكال الآخرة
اي تنكيلها فان قيل ما وجه قوله نكال الآخرة والاولى بالعطف بالواو الجامعة فان اخذه بصيغة
الماضي ان كان حقيقة مستعملة في الاخذ في الماضي لا يتناول الاخذ في الآخرة وان كان مجازا مستعملا
في الاخذ في الآخرة لتحقق وقوعه لا يتناول الاخذ في الاولى وعلى التقديرين لا مجال للجمع بينهما
قلنا يجوز ان يستعمل في معنى مجازي بصيغة الماضي يعم كلا الاخذين ويحتمل ان يقدر اخذه الآخرة في
المعطوف فيكون تقدير الكلام فاخذه الله نكال الآخرة واخذه نكال الاولى فيكون اخذه الاول
المذكور مجازا ولهذه الثاني المقدر حقيقة **قوله** او على كلمة الآخرة عطف على قوله في الآخرة
بالاحراق فان اضافة النكال على ذلك التفسير بمعنى في والآخرة والاولى صفتان للدار المحذوفة
اي اخذه الله في الدار الآخرة وهي النار وفي الدار الاولى وهي الدنيا والاضافة على هذا
التفسير من اضافة المسبب الى السبب والآخرة والاولى صفتان لكلمتي فرعون اولهما قوله
ما علمت لكم من اله غيري والاخيرة قوله انا ربكم الاعلى قالوا وكان بينهما اربعون سنة و
قيل عشرون سنة والمقصود التنبيه على انه ما اخذه بكلمة الاولى في الحال بل امهله اربعين
سنة فلما ذكر الثانية اخذه بهما وهذا تنبيه على انه تعالى يمهل ولا يهمل كذا قال الامام وعبارته يعني ان
كلمة الفاء في قوله فاخذه الله انما تدل على ترتب الاخذ وتفرعه على التكذيب والعصيان المؤديان
الى تلك الكلمة الحمقاء واما دلالتها على تفرعه على كلمة الاولى فلا اذ لم تذكر الكلمة الاولى في هذه

في هذه السورة اولا الا ان المقصود بكلمة الفاء الدالة على تفرع الاخذ على ما ذكر في هذه السورة
وبذكر ان الاخذ المذكور بسبب مجموع الكلمتين التنبيه على انه ما اخذه بكلمة الاولى في الحال
الى آخره وقيل كلمة الآخرة هي قوله انا ربكم الاعلى وكلمة الاولى هي تكذيبه بموسى عليه الصلوة
والسلام حين اراه الآية التي عجز عن معارضتها قال القفال وهذا كانه هو الاظهر لانه تعالى
قال فاراه الآية الكبرى فكذب وعصى ثم ادبر يسعى فحشر فنادى فقال انا ربكم فذكر المعصيتين
ثم قال فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فظهر ان المراد انه عاقبه على هذين الامرين فان
قيل قول المصنف وعلى كلمة الآخرة يشعر بان اضافة النكال الى الآخرة بمعنى على وكونها بمعنى
على غير مذكور في النحو بل المذكور فيه ان الاضافة منحصرة في ثلثة اقسام الاضافة بمعنى اللام
فيما عدا جنس المضاف وظرفه مثل غلام زيد وبمعنى من في جنسه كخاتم فضة وبمعنى في
في ظرفه كضرب اليوم قلنا الاضافة ههنا ايضا بمعنى اللام لان كلمة الاولى والآخرة
ليستا من جنس النكال ولا ظرفه وانما عبر بعلى للاشعار بالمقابلة والسببية ويدل
عليه قوله لهما في قوله او للتنكيل فيهما او لهما فافهم وهو اشارة الى ان النكال بمعنى التنكيل
ايضا كالسلام بمعنى التسليم والى جواز ان يكون انتصابه على انه مفعول له لاخذه الله
اي فاخذه الله للتنكيل في الدارين او لاجل الكلمتين الخطيئتين **قوله** ويجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا مقدرا بفعله كوعد الله وصبغة الله فكانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى ثم انه تعالى
ختم هذه القصة بقوله ان في ذلك لعبرة اي فيما قصصنا عليك من نصرة موسى و
خزي فرعون لعبرة لمن شانه الخشية فانه يدع التمرد على الله والتكذيب لانبيائه
خوفا من ان ينزل عليه مثل ما نزل بالمنكرين بعثة موسى وعلما بانه تعالى ينصر رسله وانبياءه
كما نصر موسى فاعتبروا يا معاشر المكذبين لمحمد صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا لكم واعلموا
انكم ان شاركتموهم في المعنى الموجب للعقاب شاركتموهم في حلول العقاب بكم ثم انه تعالى
لما ختم هذه القصة رجع الى مخاطبة منكري البعث فقال أانتم اشد خلقا خاطبهم
اولا بانفسهم بان اقسم بالملائكة الموكلين بقبض الارواح على قيام الساعة وتحقق
بعد ما تمت الآية وذكر الكفار ثم التفت عن خطابهم الى ان حكى عنهم بطريق الغيبة
مقالاتهم المتعلقة بانكار البعث ثم اجابهم بقوله فانما هي زجرة واحدة اي لا تستصعبوها
فانها سهلة هينة في قدرته فالآن شرع في بيان سهولته فقال أانتم اشد خلقا وفسر
المصنف الشدة بالصعوبة لا بالصلابة لانه لا يلائم المقام اي اخلقكم بعد الموت اصعب

ام خلق السماء بلا مادة مع عظم جثتها وقوة تاليفها وهو استفهام تقرير ليقروا بان

مع صغر جثتكم وضعف تاليفكم سلمه

خلق السماء اصعب فيلزمهم بان يقول لهم ايها السفهاء من قدر على الاصعب لاعسر
كيف لا يقدر على اعادتكم وحشركم وهي ايسر واسهل فخلقكم على وجه الاعادة اولى ان
يكون مقدورا لله تعالى فكيف تنكرون ذلك والتفاوت بين الامرين بان يكون احدهما
اصعب من الاخر انما هو عند المخاطبين وفي زعمهم وتقديرهم فان كلا من الامرين
بالنسبة الى قدرة الله واحد ولما كان الجواب بطريقه متضمنا تسلية الرسول عليه الصلوة
والسلام من استهزائهم وتهديدا للكافرين لانكارهم اوقع قصة موسى معترضة
في البين لتاكيد امر التسلية والتهديد **قوله** انتم مبتدا واشد خبره وخلقا تمييز والسماء
عطف على انتم وحذف خبره لدلالة خبر انتم عليه اي ام السماء اشد خلقا وبناها
مستانف لبيان كيفية خلق السماء بقوله بناها بين كيفية البناء بوجوه اربعة الاول ما
يتعلق بالارتفاع فقال رفع سمكها اعلم ان امتداد الشيء اذا اخذ من اسفله الى اعلاه سمي
سمكا واذا اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا فالمراد برفع سمكها هو جعل مقدار ارتفاعها من
الارض وثخنها الذاهب في العلو رفيعا حتى ذكروا ان ما بين الارض وبينها مسيرة خمسمائة
عام وثخن كل واحد منها كذلك والثاني من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله فسويها وفسر المص
ملسة ولا خفاء في الفرق بين الوجه الثالث والاولين لكن بين الوجه الاول والثاني خفاء
فلعله اراد بتعديلها متعادلة الاجزاء اي متشابهة الاجزاء من جميع الجهات والاوصاف وفي
سلامتها من العيوب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وهل ترى من فطور واراد بجعلها مستوية
عدم الاختلاف والتفاوت بين اجزائها بان يكون اقرب الى المركز بالنسبة الى البعض الاخر
بل يكون جميعها متساوية البعد بالنسبة الى المركز فيكون ذلك اشارة الى كونها كرة قالوا لما ثبت
انها محدثة مفتقرة الى فاعل مختار فما تصور في الذهن شيء من كونها كرة ويحتمل ان يريد بتسويتها
كونها سطحا ملساء بان لا يتفاوت اجزاؤها بالارتفاع والانخفاض والثالث من تلك الوجوه
ما اشار اليه بقوله واغطش ليلها واغطش قد يجيء لازما يقال اغطش الليل اذا صار مظلما ويجيء
متعديا يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما والغطش الظلمة والمراد ههنا هو المتعدي اشار اليه

ومثل اظلم الليل واظلمه الله على انه متعد من ظلم سلمه

المص بقوله اغطش منقول من غطش كاخرج من خرج واظلم من ظلم بكسر اللام فان قيل الليل
اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله واغطش ليلها يرجع معناه الى انه جعل
المظلم مظلما وهو بعيد والجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير الله

وتقديره

وتقديره فلا اشكال **قوله** وانما اضافه اليها اي اضاف الليل الى ضمير السماء للملابسة بينهما من حيث
ان الليل يحدث بسبب غروب الشمس وغروبها انما يحصل بسبب حركة الفلك والاضافة يكفيها ادنى
ملابسة المضاف بالمضاف اليه والوجه الرابع من تلك الوجوه ما اشار اليه بقوله واخرج ضحيها فسر
المص الاخراج بالابراز وهو ظاهر والضحى بالضوء وحمل الكلام على تقدير المضاف على معنى واخرج
ضحى شمسها لان الضحى هو ضوء الشمس لقوله تعالى والشمس وضحيها وحذف لدلالة الضحى عليه **قوله** يريد
النهار اي يريد بضحى الشمس وضوئها النهار وانما عبر عن النهار بضوء الشمس تسمية للمحل باسم

بعد تثنية تا غدر تقدير تا ستام صح

ما حصل فيه لان النهار اسم لزمان حصل فيه ضوء الشمس على وجه الارض وان فضل النهار على الليل
انما هو اشتماله على نور الشمس وضوئها لهذا اشرف ما فيه فسمي النهار به لذلك ولما بين الله تعالى كيفية
خلق السماء اتبعه بكيفية خلق الارض فقال والارض بعد ذلك والعامة على نصب الارض والجبال
على اضمار فعل يفسره ما بعده اي ودحى الارض اي بسطها بعد خلق السماء وبنائها مسكنا لاهلها و

وعلى تقدير نصبها يعطف الفعلية على الفعلية وعلى تقدير الرفع يعطف الاسمية على الفعلية والاول اولى للتناسب سلمه

مستقرا عليها والنصب هو المختار هنا لان الجملة المتقدمة المعطوفة هي عليها فعلية وكلمة بعد على اصل
معناها وهو التاخر ولا معارضة بينها وبين آية فصلت وهي قوله تعالى ثم استوى الى السماء بعد قوله
خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام لانه
تعالى خلق الارض غير مدحوة بل كائنة كالكرة المجتمعة ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض اي
بسطها ثالثا وفيه ان الدلائل دلت على ان الارض الآن كرة ايضا وايضا ان الجسم العظيم يكون
ظاهره كالسطح المستوي فيستحيل ان يكون هذا الجسم العظيم مخلوقا ولا يكون ظاهره مدحوا مبسوطا
وقيل ان بعد ههنا في موضع مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وكما يقال
انت احمق وانت بعد هذا سيء الخلق وقيل بعد ههنا بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر اي من قبل الفرقان **قوله** ومرعيها اي كلاها فان الرعي بكسر الراء الكلا وبالفتح المصدر
والمرعى في اصل اللغة يطلق على موضع الرعي بفتح الراء وعلى زمانه وعلى نفس المعنى المصدري

اي يصلح لان لم يسمع استغنى له نسبة سلمه

وليس هو في بعض هذه المعاني اصلا بالنسبة الى الباقي بحيث يكون استعماله في الباقي على طريق
النقل منه بل هو بحسب الوضع اللغوي مشترك بينها ولغة اصلية في جميعها ويطلق ايضا على
الرعي بكسر الراء وهو الكلاء ولكنه ليست لغة اصلية في هذا المعنى بل هو مجاز فيه على طريق تسمية الكلاء
بموضع الرعي في تعلق الرعي بفتح الراء بكل واحد منهما ويجوز ان يكون المرعى مصدرا بمعنى المفعول
اذا اطلق على الكلاء **قوله** باضمار قد والماضي المثبت اذا وقع حالا لا بد له من قد ظاهرة او مقدرة
للتنافي بحسب الظاهر بين لفظ الماضي والحالية واذا اضمر قد جعل الماضي قريبا الى الحال فيرتفع التنافي
والقباحة وفي مثله يجوز ترك الواو فلذلك جرد قوله اخرج منها ماءها عن العاطف او لان الجملة

استيناف لبيان دحو الارض وتمهيدها للسكنى فان دحوها للسكنى الحيوان لا يكون الا باشتمالها على
ما لا بد منه في تاتي السكنى عليها من تهيئة امر الماكل والمشرب باخراج الماء والمرعى ومن ارساء الجبال
عليها اوتادا لها لتستقر فيتاتى السكون والقرار عليها والكلام السابق لا يعطي علما بذلك فلذلك
جرد عن العاطف ويظهر بكون هذه الجملة حالا او استينافا جواب عما يتوهم من التعارض"
بين هذه الاية وآية فصلت من حيث ان هذه الآية تقتضي كون خلق الارض بعد خلق السماء
وما في حم السجدة يقتضي كون خلق السماء بعد خلق الارض وتقرير الجواب ان قوله اخرج منها
ماءها ومرعاها الى اخرها حالا لم يكن المراد بقوله دحيها بسطها مطلقا بل البسط المفيد باخراج
مائها ومرعيها وارساء الجبال عليها فكانه قيل دحى الارض بعد خلق السماء دحوا يترتب عليه
انتظام احوال من يسكن عليها بان جعلها مستقرة بارساء الجبال عليها ومشتملة على ما لا بد منه
لمعاش اهلها ومستعدة لنبات اقواتهم وحصول ارزاقهم والدحو على الوجه المذكور متاخر
عن دحو السماء لان الارض كالام والسماء كالاب وما لم يحصل الاب لم يكن الام مشتملة على الاولاد
ومستعدة لحصولها وكذا اذا كانت جملة اخرج منها ماءها استينافا لبيان كيفية دحوها وتمهيدها
للسكنى يكون البعدية وصفا للدحو على الوجه المبين وتاخره لا ينافي كون خلق نفس الارض متقدمة
على خلق السماء كما يدل عليه قوله في سورة فصلت ثم استوى الى السماء وقد ذكر في تلك
السورة ما في هذا الجواب وعدم التفات المصنف اليه وان المختار عنده ان خلق الارض كان بعد
خلق السماء كما يدل عليه قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها ودفع التناقض بين الايتين بان
حمل ثم في حم السجدة على تفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في الزمان حتى يلزم التناقض كانه قيل
ائنكم لتكفرون بالذي خلق وفعل كذا وكذا واعظم من ذلك انه استوى اي قصد الى خلق السماء
وهي شيء حقير ظلماني الدخان **قوله** تمتيعا لكم اشارة الى ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى
التسليم وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف المدلول عليه بباقي الكلام اي متعكم
بها تمتيعا واما على انه مفعول له اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم اي منفعة لها ولكم فظهر به ان المراد
بالمرعى ما ياكله الناس والانعام واستعير المرعى لماكل الانسان كما استعير الرتوع لاكله وتنوعه
في الاصل اكل الماشية ما شاءت الجوهري رتعت الماشية ترتع رتوعا اي اكلت ما شاءت يقال
خرجنا نرتع ونلعب في نتنعم ونلهو وكما استعير المرسن للانف والمشفر للشفة ونكتة الاستعارة
توبيخ المخاطبين والحاقهم بالبهائم من حيث ان الكلام مع منكري الحشر كانه قيل ايها المعاندون
الداخلون في زمرة البهائم في تمتعكم بالدنيا وذهولكم عن الاخرة كيف تستصعبون البعث ممن
قدر على هذه الامور العظام وما بين امكان البعث والحشر بيان كيفية خلقة السماء والارض
اخبر

اخبر بعد ذلك عن وقوعه وفصل احوال كل واحد من اهل الطغيان والطاعة وبين مأويهما حيث
قال فاذا جاءت الطامة الاية والطامة اسم لكل داهية عظيمة يتسع ما قبلها في جنبها وقيل اصل
الطم الدفن والعلو فكل ما غلب شيئا وقهره واخفاه فقد طمه ويقال جاء السيل فطم الركية اي"
دفنها وسوّيها وسميت القيمة او النفخة الثانية طامة لانها تغلب على كل شيء فتغمره فانه يشاهد
يوم القيمة من الايات الهائلة الخارجة من العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية"
يحشر الخلائق الى موقف القيمة **قوله** لكن هذا العموم مستفاد من لفظة من لا انها من الفاظ"
العموم ولا دخل لحذف مفعول يرى في افادة العموم لان المستفاد من حذف المفعول عموم المفعول
لا عموم الفاعل والمقصود ههنا عموم الفاعل اما عدم خفائها على المؤمنين فلانهم يمرون
عليها حين مجاوزة الصراط لقوله وان منكم الا واردها الى قوله ثم ننجي الذين اتقوا فان قيل
انه تعالى قال في سورة الشعراء وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين فخص الغاوين
بتبريزها لهم قلنا انها برزت للغاوين والمؤمنون يرونها ايضا في الممر ولا منافاة بين الامرين
وجواب فاذا جاءت محذوف الى اذا جعل جواب الشرط ما يدل عليه قوله يوم يتذكر
كان تقدير الكلام فاذا جاءت الطامة يجازى الانسان على سعيه او يعرف كل احد ما
قدمت يداه او يعرف كل فريق ما يستحقه ونحو ذلك او ما بعده من التفصيل يحتمل ان يكون
معطوفا على قوله يوم يتذكر اي او دل على الجواب المحذوف ما بعد قوله يوم يتذكر من التفصيل
وتقدير الكلام فاذا جاءت الطامة دخل الخائفون الجنة والطاغون النار فان قيل
ان ضرورة دعت الى ارتكاب الحذف وهلا قلت ان الجواب هو الجملة الشرطية المصدرة
باما التفصيلية الدالة على تفصيل ما اجمل سابقا قلنا على تقدير كون الجواب تلك الجملة
الشرطية يلزم ان يكون كلمة اما لغوا خاليا عن الفائدة اذ لا يتصور تفصيل المجمل ويحتمل
ان يكون معطوفا على قوله محذوف اي او ليس بمحذوف بل هو التفصيل المذكور بعده كما ذهب اليه
صاحب الكشاف حيث قال فما جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك قلت فان قوله
فاما مبتدا وقوله جواب فاذا جاءت وقال صاحب الكشف في الحواشي ذكر العلامة في الدرس وجها
آخر وهو ان يكون جواب اذا محذوفا كانه قيل فاذا جاءت وقع ما لا يدخل تحت الوصف وقوله فاما
تفصيل لذلك المحذوف والذي ذكر في المتن من انه هو الجواب فيه غموض ثم قال افد لا غموض بعد
تحقق استقامة ان يقال فاذا جاءت فان الطاغي الجحيم مأواه وان الخائف الجنة مأواه و
زيادة اما لم تفد الا زيادة المبالغة وتحقيق الترتيب والثبوت على كل تقدير انتهى كلامه ولعل
مراده وتحقيق الترتيب الى عطف تفصيل لبيان زيادة المبالغة والمعنى لا غموض فيه بناء على ان

يوم يتذكر الانسان ما سعى
بدل من اذا جاءت
بل هو بدل بعض منه يعني
والاظهر انه منصوب باعني
كي قيل تفسير للطامة الكبرى
فان الابدال منها بالظرف المحض
مما يوهم تعلقها بالجواب ويجوز
ان يكون بدلا من الطامة"
الكبرى مفتوحا لاضافته الى
الفعل على راي الكوفيين اي
يتذكر فيه كل احد ما عمله من
خير وشر بان يشاهده مدونا
في صحيفة اعماله وقد كان"
نسيه من فرط الغفلة وطول
الامد كقوله تعالى احصاه الله
ونسوه الخ

وعد يرى الكفار لكونها
خفية على الكفار ومستقر لهم
لا ان نارهم يرونها
الخ

ايه احوال الطغاة
كذا واحوال المطيعين
كذا

اما للتفصيل بل هي حرف جزاء بها التاكيد ترتب الجواب على الشرط وبيان ان الحكم ثابت
على كل تقدير من حيث ان معنى نحو اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء فزيد منطلق بمعنى ان يقع
في الدنيا شيء يقع انطلاق زيد والمقصود التنطع بوقوع الانطلاق حيث جعل وقوعه لازما
لوقوع شيء ما في الدنيا وما دامت الدنيا باقية فلا بد من حصول شيء فيها وفي شرح الرضي
جواز السكوت على مثل قولك اما زيد فقائم بدفع لزوم التفصيل فيها   واللام فيه ساد مسد
الاضافة معنى انه لا بد في الخبر من رابط بالمبتدأ اذا كان جملة ومن في قوله من طغى موصولة
في موضع الرفع بالابتداء وقوله طغى صلتها وقوله فان الجحيم هي المأوى خبره ولا ضمير فيه يعود الى
المبتدأ فقدره البصريون وقالوا تقدير الكلام فان الجحيم هي المأوى له وانما حذف لطول الكلام
وذهب الكوفيون الى ان تقديره فان الجحيم هي مأواه فسد الالف واللام مسد العائد لعدم
الالتباس اي ترك التعريف بالاضافة لعدم الاحتياج اليه لان كل احد يعلم بان صاحب المأوى
ههنا هو الطاغي وعرف اسم الجنس بلام الحقيقة لكون الجنس معروفا عند كل احد وليس اللام
لام العهد الخارجي لما مر من انه لا حاجة الى تعريف الحصة المعينة فيكون حرف التعريف سادا
مسد الاضافة معناه ترك العائد باضافة الاسم اليه بان جعل موضع الاضافة ما يناسبها
ولا يجتمع معها وهو حرف التعريف لانه ترك الاضافة واقيم حرف التعريف مقامها من
حيث ان تعريف العهد يغني غناء الاضافة الى الضمير في افادة الربط وذلك انه لما كان ترك
العائد بناء على عدم الاحتياج الى الرابط لعدم الالتباس لم يحتج الى جنس ما يدل على الربط
فلا يكون ثم اقامة اللام مقام العائد معنى وهذا الذي اراده صاحب الكشاف بقوله وليس الالف
واللام بدلا من الاضافة الخ ولا ينافيه قول المصنف ساد مسد الاضافة اذ ليس مراده
انه اقيم مقام العائد في افادة الربط بل اراد انه ترك طريق الاضافة بالمذكور الى
طريق يناسبها لعدم الاحتياج الى ما يدل على الربط   لعلمه بالمبدأ والمعاد اشارة الى
ان الخوف من القيام بين يديه للحساب لا بد ان يكون مسبوقا بالعلم به كما قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء   ليس له سواها مأوى اشارة الى ان نهي النفس عن الهوى
معناه نهيها عن جميع الهوى على ان اللام للاستغراق والا فلا معنى للحصر لان المؤمن العاصي
قد يدخل النار اولا ثم يخرج منها ويدخل الجنة فلا يصح نفي صفة فان الجنة هي المأوى بالحصر
اللهم الا ان يقال معنى الحصر ان الجنة هي المقام الذي لا يخرج منه من دخل فيه   متى ارساها
اشارة الى ان ايان ظرف بمعنى متى وهو مبني لتضمنه معنى حرف الاستفهام وان المرسى مصدر
بمعنى الارساء وهو الاثبات وهو مبتدأ وايان خبره ويحتاج الى تقدير المضاف اذ لا يخبر
بالزمان

اشارة الى انه لو لم يكن الخوف للعلم بها لم يكن سببا ظاهرا لدخول الجنة وكذا لو لم يكن زجر النفس عن الهوى للعلم بانه مردود لكونه مخالفا لمبدئه ومراجعه لم يكن سببا له [illegible]

بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت ارسائها اي متى يقيمها الله ويوجدها ويجوز ان يكون
المرسى اسما لزمان الارساء فلا حذف على هذا   او منتهاها ومستقرها اشارة الى انه اسم
لمكان ينتهي اليه المتحرك ويستقر فيه كمرسى السفينة كان الساعة شيء يتحرك ويجري الى ان ينتهي
جانب الوقوع دائما مثل جريان السفينة الى مستقرها ولهذا قيل سمي الساعة ساعة لسعيها
مسافة الانفاس وكان المشركون يسمعون اخبار القيامة واوصافها الهائلة مثل انها طامة
كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء ايان مرساها   من ان تذكر وقتها لهم
اشارة الى ان قوله من ذكراها فيه مضاف محذوف وهو الوقت وصلة محذوفة وهي لهم والقرينة
الدالة عليها ذكره في مقابلة سؤال الكفار عن وقت اثباتها فان ايان مرساها سؤال عن وقت
اثباتها فحكاية سؤالهم هذا دلت على ذينك المحذوفين وان المعنى ما انت في شيء من تبيين وقتها
لهم على ان يكون الاستفهام في قوله فيم انت للانكار فعلى هذا انت مبتدأ فيم خبره قدم عليه ومن
ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر   وقيل فيم انكار لسؤالهم على انه خبر مبتدأ محذوف اي فيم هذا
السؤال الواقع من الكفرة وقوله انت من ذكراها كلام تام مستأنف من مبتدأ وخبر وجواب انها
قريبة لا بعيدة لانك علامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها والاهتمام على تحصيل الاعتداد
لها فلا معنى لسؤالهم عنها والجواب على الوجه الاول هو مجموع قوله فيم انت من ذكراها وان العلم بوقت
اتيانها مما تفرد به الله تعالى طوي علمه عنك وعن سائر البشر وعلى الوجه الثاني هو قوله الى ربك منتهاها
واما قوله فيم انت من ذكراها فمتصل بسؤالهم والمعنى يسألونك عنها قائلين متى ارساؤها ولم لا تذكر
وتبين وقتها لنا فقال تعالى جوابهم الى ربك منتهى علمها   وهو لا يناسب تعيين الوقت اي
البعث للانذار خاصة انما يناسبه تبيين ما يكون حاملا للمبعوث اليهم على الخشية وتحصيل الاعتداد
للنجاة عن شدائدها واهوالها ولا دخل لتعيين وقت قيامها في ذلك فان محض الانذار لا يتوقف
على علم المنذر بوقت قيامها فلم يكن تعيينه مناسبا لذلك فلذلك لم يعين الله وقت قيامها للمبعوث
بل قال انما انت منذر من يخشاها   وتخصيص من يخشى مع انه عليه الصلوة والسلام مبعوث الى من يخشى
ومن لا يخشى والجمهور على ان قوله منذر من يخشاها من اضافة الصفة الى معمولها للتخفيف على الاصل
لان الاصل في الاسماء الاضافة والعمل فيها انما هو بالشبه ومن قرأ بالتنوين اعتبر ان الاصل فيها
الاعمال والاضافة انما هي للتخفيف   كانهم يوم يرونها كناية عن شدة ما انكروه بحيث انهم اذا
راوه يحسبون انهم ابدا كانوا فيه ويستقلون مدة لبثهم في الدنيا لفناء ذاتها وبقاء تبعاتها ويزعمون
انهم لم يلبثوا فيها الا اخر يوم او اوله وهو ظرف الماضي كان من معنى التشبيه ولما ورد ان يقال اي حاجة
اضافة الضحى الى ضمير العشية والعشية لا ضحى لها اجاب عنه بان تنوين عشية عوض عن المضاف اليه

وهو يوم منكر ومعنى قوله او ضحاها او ضحى ذلك اليوم الذي اضيف اليه العشية الا ان الضحى والعشية لما
كانتا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة للاضافة احدهما الى الاخرى فلذلك اضيفت الضحى
الى العشية والمراد اضافتها الى يوم تلك العشية ومثله كثير في كلام العرب يضيفون الغداة الى العشي
وبالعكس ويقولون آتيك الغداة او عشيها وآتيك العشية او غداتها يريدون آتيك غداة نهار
او عشية نهار الذي تلك الغداة اوله فحذف للاختصار فان قيل لم لم يقل الا عشية او ضحى وما فائدة
الاضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا الا عشية او ضحى احتمل ان تكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر
فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الاول الى الزمان الآخر واما اذا قيل الا عشية
او ضحاها لم يحتمل ذلك البتة **قوله** يعني جعله الله عبارة عن استقصار مدة اللبث بما يلقى من البشرى
والكرامة في البرزخ والموفق **سورة عبس مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
يقال عبس اي كلح بوجهه وتولى اي اعرض بوجهه والصناديد جمع صنديد وهو السيد الشجاع
وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الاسلام تبليغا لهم ورجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم لان عادة
الناس انه اذا مال اكابرهم الى امر مال اليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم **قوله** على اختلاف
المذهبين اي في تنازع الفعلين فان الفعلين المذكورين تنازعا واستدعى كل واحد منهما ان
ينصب قوله ان جاءه على انه مفعول له واعمل البصريون الفعل الثاني لقربه منه اي تولى لان جاءه
الاعمى والكوفيون اعملوا الفعل الاول **قوله** وقرئ آن بهمزتين وبالالف بينهما للفصل على الاستفهام
الذي معناه الانكار فيوقف على عبس وتولى على هذه القراءة لا على قراءة الجمهور ثم يبتدئ بقوله آن
جاءه على معنى الان جاءه الاعمى فعل ذلك فقوله آن على هذه القراءة متعلق بمحذوف يدل عليه عبس
وتولى لا بالمذكور لان ما بعد حرف الاستفهام لا يتعلق بما قبلها **قوله** وذكر الاعمى للاشعار الخ لما ورد
ان يقال انه تعالى لما عاتبه على مجرد انه عبس في وجه ابن ام مكتوم كان ذلك تعظيما عظيما من الله تعالى
لابن ام مكتوم واذا كان كذلك فكيف يليق بمثل هذا التعظيم ان يذكره باسم الاعمى مع ان ذكر الانسان
بهذا الوصف يقتضي تحقير شانه جدا اشار المصنف الى جوابه بان يقول ان ذكره بلفظ الاعمى ليس لتحقير شانه
بل للاشعار بعذره في الاقدام على ما فعله او لزيادة الانكار على عبوسه وتوليه كانه يقول انه بسبب عماه
استحق مزيد الرفق والرافة فكيف يليق بك يا محمد ان تخصه بالغلظة كما ان وجه الالتفات من
الغيبة الى الخطاب ذلك اي زيادة الانكار فان قيل ان ابن ام مكتوم كان يستحق التاديب والزجر
فكيف عاتب الله تعالى رسوله على ان ادبه والحال انه عليه الصلوة والسلام انما يؤدب المؤمنين
ويعلمهم محاسن الاداب وانما قلنا انه كان يستحق التاديب لانه وان كان لا يرى القوم لعماه لكنه
لصحة سمعه كان يسمع مخاطبة الرسول عليه الصلوة والسلام مع اولئك الكفار ويعرف بذلك شدة

[illegible]

منه اهتمامه عليه الصلوة والسلام لشانهم فيكون اقدامه على قطع كلامه ايذاء له وايذاء النبي
عليه الصلوة والسلام عظيمة وايضا الاهم مقدم على المهم وابن ام مكتوم كان قد اسلم وتعلم ما
كان يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم سببا لاسلام
جمع عظيم فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم فثبت بهذا ان ما فعله
ابن ام مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله النبي عليه الصلوة والسلام كان واجبا فكيف
عاتبه الله تعالى على ذلك اجيب عنه بوجهين احدهما ان الامر وان كان كما ذكرتم الا ان ظاهر ما فعله
الرسول عليه الصلوة والسلام يوهم تقديم الاغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء
وهو لا يليق بمنصب النبوة لانه ترك الافضل فلذلك عاتبه الله تعالى وثانيهما ان يقال لعل هذا العتاب
لم يقع على ما صدر منه الفعل الظاهر بل على ما كان منه في قلبه من الميل اليهم بسبب قرابتهم و
علو منصبهم وشرفهم ومن تنفر طبعه عن الاعمى بسبب عماه وعدم قرابته وقلة شرفه فلما وقع
التعبيس والتولي لهذه الداعية لا لاجل تاديبه على ما ارتكبه من الذنب عوتب على ذلك التعبيس والتولي
لذلك   او لزيادة الانكار اصل الانكار مستفاد من قوله عبس وتولى باسناد الفعلين الى
الرسول عليه الصلوة والسلام بصيغة الغيبة فانه يدل على ان وقوعهما منه عليه الصلوة والسلام
منكر لا يليق بمنصبه وخلقه العظيم لا سيما انه ما ارسل الا رحمة للعالمين فكيف يليق به ان
يعرض عمن جاءه مسترشدا طالبا للتزكي والاتعاظ ووجه دلالته على ذلك ان خطاب
المعاتبة يقتضي ان يقال عبست وتوليت عمن جاءك للتزكي والسلوك الى طريق الغيبة
يشعر بان العابس والمتولي غير المخاطب وانه يشكو الى المخاطب من فعله وذكره يدل على ان ذلك
الفعل منكر لا يتصور وقوعه من المخاطب انما المتصور ان يقع من غيره ثم يشكى الى المخاطب
منه وهو انكار عظيم لوقوعه عنه ثم اذا التفت بقوله وما يدريك كان فيه مزيد انكار لذلك
كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها اياه بالتوبيخ
والزام الحجة كذا ذكر ذكر المشتهر بوصف الاعمى يفيد زيادة الانكار على ذلك كانه قيل اتخص
ذلك المسكين عند العبوس والاعراض عنه وكان يجب ان تزيده لعماه التعطف والاهتمام
بامره   واي شيء يجعلك داريا بحاله اي بحال هذا الاعمى فقدر لفعل الدراية مفعولا اخيرا
على ان قوله لعله يزكى ليس بمفعول له بل تم الكلام عند قوله وما يدريك فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده
على معنى وما يطلعك على امره وعاقبة حاله على ان الاستفهام بمعنى النفي اي لا يدريك شيء ثم ابتدأ
فقال لعله يزكى للاعمى وان لعل مجاز بان يستعمل كلمة الترجي للقطع والتحقيق فان لعل في
كلام العظماء يراد به ذلك وان كان ظاهر النظم يدل على ان المراد تسليط فعل الدراية على الترجي

على ان خبر لعله ح

والمعنى انك لا تدري انه يترجى منه التزكي او التذكر الا انما طلع الترجي راجع الى الاعمى او
غيره فالمعنى انه رجاء تزكيه او كونه ممن يرجى منه ذلك كان في الاشتغال من العبوس والاعراض
قوله بما يتلقى منك تلقى الشيء تناوله بسرعة والمراد به ههنا التعلم والتزكي بالنسبة الى الجهل
والاثام والتذكر بالنسبة الى فعل الخيرات والطاعات وبالجملة فلعل ذلك العلم الذي يتلقنه عنك
يطهره عن بعض ما لا ينبغي وهو الجهل والمعصية او يشغله ببعض ما ينبغي وهو الطاعة قوله
وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره عما لا ينبغي من الجهل والمعصية وانقاذه بفعل ما ينبغي
من الطاعة ولم يتعرض لجانب الانقاذ اكتفاء بذكر التزكية عنه فان قوله لعله يزكى اذا كان
موهما بذلك يكون قوله او يذكر موهما بان الاعراض المذكور كان لاحد الامرين قوله وقيل الضمير
في لعله للكافر فعلى هذا القول راجع الى النبي عليه الصلوة والسلام فلذلك قال انك طمعت في اسلامه
الخ قوله وقرأ عاصم فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع فمن رفعه جعله معطوفا على يذكر ومن نصبه
نصبه على انه جواب لعل بالفاء فان الفعل المضارع ينتصب بان مقدرة بعد الفاء بشرطين
احدهما السببية والثاني ان يكون قبلها احد الاشياء الستة الامر او النهي او الاستفهام او النفي
او التمني او العرض والشرط الاول ههنا متحقق بلا شبهة واما الثاني فغير متحقق بحسب الظاهر الا
انه حمل الترجي على التمني والاستفهام من حيث انها غير موجب بل مطموع الحصول بعد فتقدر ان
بعده كما قدر بعد الاشياء الستة ليكون الفعل بها في تاويل المصدر فيعطف المصدر على المصدر
الاول فتقدير الاية لعله يكون منه تذكر فانتفاع كما في قوله لعلي ابلغ الاسباب ثم قال فاطلع بالنصب
على قراءة حفص والمعنى لعله يكون مني بلوغ الاسباب والاطلاع الى اله موسى ويحتمل ان يكون
لعل ههنا للتمني على ما يدل عليه عبارة الكواشي حيث قال ونصب على جواب التمني وقال صاحب المفتاح
وبسبب توليد لعل التمني في قولهم لعلي ساحج فازورك بالنصب هو بعد المرجو عن الحصول قوله
اما من استغنى اي عن طلب الخير مطلقا او عن الايمان والتزكي [illegible] قوله
يسعى يسرع طالبا للخير يؤيد الاول قوله تتعرض له بالاقبال عليه التصدي للشيء التعرض له و
التقيد به والاهتمام بشانه وضده التشاغل عنه وقرئ تصدى بتخفيف الصاد وتشديدها
والتخفيف مبني على حذف تاء التفعل والتشديد مبني على ادغامها في الصاد بعد قلبها صادا وقرئ
تصدى بضم التاء وتخفيف الصاد اي تحمل وتدعى الى التعرض والتصدي له اي يدعوك
داع الى التصدي له من الحرص والتهالك على اسلامه قوله وليس عليك باس الى اشارة الى ان ما
في وما عليك نافية وان قوله ان لا يزكى في موضع الجر بفي مقدرة متعلقة باسم لا وهو محذوف ويحتمل
ان يكون ان لا يزكى في موضع الرفع على انه مبتدا وما عليك خبره والجملة في موضع النصب على انها

بالقلب والقالب اي تقبل عليه بوجهك وتميل اليه بقلبك سلمه

انها حال من فاعل تصدى مقررة لجهة الانكار ويجوز ان تكون استفهامية على معنى اي شيء
عليك في ان لا يزكى بالاسلام من تدعوه الى الاسلام اي لا شيء عليك فيه فيؤول المعنى الى كونها
نافية قوله يسعى حال من فاعل جاءك وقوله وهو يخشى جملة حالية من فاعل يسعى فهو حال
من حال واصل تلهى تتلهى حذف احدى التائين تخفيفا من لهي عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهيا اي
اعرض عنه لا من اللهو بالشيء بالفتح يلهو لهوا اذا لعب به لان الفعل مسند الى ضمير النبي ولا
يليق بشانه الرفيع ان ينسب اليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء بالمصلحة
قوله ولعل ذكر التصدي والتلهي للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغني وتلهيه عن
الفقير لا على مجرد تعبيس الوجه والتولي به ووجه الاشعار ان التصدي هو التعرض للشيء بالقلب
والقالب والتلهي التشاغل عنه بان يميل القلب الى غيره وفي الخبر ان ابن الزبير رضي اذا سمع
صوت الرعد لهي عن حديثه واعرض ومال الى التفكر في عظمة الله وقدرته وذلك يكون بالقلب
والظاهر ان المراد بالغني المستغني عما دعي اليه من التزكي بالايمان والطاعة وبالفقير الطالب
المحتاج الى ذلك لانه هو المناسب للمقام قوله ردع عن المعاتب عليه وهو اعراضه عليه
الصلوة والسلام عن طالب الخير واقباله على من استغنى عنه وكان فارغا عن طلبه فان قيل
معنى الردع المنع ولا يتصور المنع عن نفس المعاتب عليه لانه كائن ولا يتصور المنع عن الكائن
وانما يتصور عن معاودة مثله فالصواب الاقتصار على ان يقال ردع عن معاودة مثله قلنا
معنى الردع عن المعاتب عليه منعه عن استحسان ذلك بقلبه واعتقاد انه لا يليق بمنصبه
وخلقه فلا اشكال قال الحسن لما تلى جبريل عليه الصلوة والسلام هذه الايات على النبي صلى
الله عليه وسلم عاد وجهه كانما اشتق فيه الرماد ينتظر ماذا يحكم الله عليه فلما قال كلا سري عنه
اي انكشف انتهى
اي لا تفعل مثل ذلك فانه لا يليق بك قوله والضميران للقران او للعتاب المذكور اي ضمير انها وضمير
ذكره فان كانا للقران يكون وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر استغناء هؤلاء
الكفرة عن قبول ما دعاهم اليه وصف شان القران وعظمته في كونه موعظة وهدى للناس
وقال كيف يظهر شدة الحرص والرغبة في قبول هؤلاء الكفار سواء قبلوه او لم يقبلوه لا يتفاوت
شان القران في علو قدره فمن شاء اتعظ به فلا تلتفت اليهم ولا تشغل قلبك بهم واياك ان
تعرض عمن آمن به تطييبا لقلوب المستغنين عنه وان كان الضميران للعتاب يكون وجه
الارتباط انه تعالى لما عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم على ما وقع منه من الاهتمام باسلام الصناديد
لتضمنه قلة المبالاة لشان ضعفاء المسلمين مع جلالة قدره الشريف عنده عقبه بقوله ان
هذه المعاتبة تذكرة اي موعظة للسامعين فاتعظوا بها يا معاشر من يطلب تخلية النفس

وهو يخاف الله في الاتيان وانه لا يهتم بوالديه وبتكاليفه وبما اوجب عليه سلمه

والتلهي عن الشيء التشاغل عنه بالميل الى غيره واصله تتصدد من تصدد ويقال تصدد اذا تعرض وتصدد وكان في صدده وتصدد اي تشبه بالصدد والصدد القرب وتوجه اليه والصدد الجهة وصار في قبالتك الجوهري الصدد والقرب يقال داري صدد داره اي قبالتها نصب على الظرفية سلمه

اي على معنى لا تفعل بعد ذكر مثله سلمه

وجه الاشكال انه لو كانت العبارة او عن معاودة والظاهر بالواو سلمه

اي تغير وجهه فكانه ذر عليه شيء يغيره صحاح

اي ان فعله صلى الله عليه وسلم ما اوجب تقديم الاغنياء على الفقراء ترجيح الدنيا على الدين وكان ذلك سببا للمعاتبة سلمه

بالاخلاق الحميدة والآداب المرضية ولازموا باجلال الفقراء الطالبين تزكية نفوسهم على المصاحبة وتحليتها بالطاعات ولا تعرضوا عنهم بسبب الاشتغال لاصلاح احوال من يظهر الاستغناء عن الخير ولا يسعى في تحصيله واعلموا ان هذا التاديب والعتاب مثبت في اللوح المحفوظ الذي فوض حفظه الى اكابر الملائكة **قوله** صفة لتذكرة فيكون قوله فمن شاء ذكره جملة معترضة بين الصفة وموصوفها وان كان في صحف خبرا ثانيا لقوله انها تكون الجملة معترضة بين الخبرين نقل عن الزمخشري انه انكر كونها اعتراضا وقال شرط الاعتراض ان يكون بالواو او مجردا عنها واما بالفاء فلا واجيب بان هذا ايضا في ما صرح به الزمخشري في قوله تعالى فاسألوا اهل الذكر في سورة النحل من انه من الاعتراض على بعض الوجوه وقيل انه استطراد للحث على التذكر والاتعاظ فانه تعالى لما قال ان تلك المعاتبة تذكرة للسامعين من حيث انه عليه الصلوة والسلام اذا عوتب بما يخ جلالة قدره عنده تعالى فما بال غيره قال بعده فمن شاء ذكره حثا على التذكر وكأنه قال فتذكر بها ايها السامع وكان الظاهر ان يؤخر قوله فمن شاء ذكره عن وصف التذكرة الا انه قدم عليه لشدة العناية به **قوله** مكرمة نعت لصحف اي صحف مكرمة عند الله وكذا مرفوعة مطهرة نعت بعد نعت للصحف وكذا بايدي سفرة في موضع الصفة لصحف وهي جمع صحيفة وهي ما يكتب فيه الشيء **قوله** مرفوعة القدر او مرفوعة بحسب المكان لكونها في السماء السابعة **قوله** منزهة عن ايدي الشياطين او المراد انها مطهرة بسبب انه لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة والسفرة كالكتبة لفظا ومعنى جمع سافر وهو الكاتب من سفر اذا كتب والسفر بكسر السين الكتاب وجمعه اسفار والمراد بالكتبة هم الملائكة لانهم ينسخون الكتب من اللوح او المراد بهم الانبياء لانهم ينسخونها من الوحي ويحتمل ان يكون السفرة جمع سافر بمعنى سفير والسفير هو الرسول المعبر عن المرسل والمصلح بين القوم من السفارة وهي الاصلاح والى المعنيين اشار المص بقوله جمع سافر من السفر او السفارة وهي الرسالة من الله تعالى الى الرسل فيكون السفراء الملائكة او من الله تعالى الى الامة فالسفراء بهذا المعنى هم الرسل من البشر فقوله او سفراء عطف على قوله كتبة يريد ان السفرة بمعنى الكتبة او بمعنى السفراء الذين شانهم السفارة فالسفرة ان كان بمعنى السفراء بين الله تعالى ورسله يكون المراد بالصحف الكائنة بايديهم الصحف التي ينزلها الملائكة الرسل وان كان بمعنى السفراء بين الله والامة فالصحف الكائنة بايديهم هي التي ينزلها الملائكة اليهم او التي انتسخوها من الوحي قال الامام واختار القفال ان السفرة ههنا الملائكة الذين يسفرون بالوحي بين الله وبين رسله واحدها سافر والعرب يقول سفرت بين القوم اذا اصلحت بينهم فجعلت الملائكة اذا نزلت بوحي الله وتاديبه كالسفير الذي يصلح به بين القوم قال الشاعر وما ادع السفارة بين قومي ولا امشي بغش ان مشيت **قوله** والتركيب للكشف اي تركيب حروف السفر سواء كان من السفر بمعنى الكتابة

والصحف الصحف التي استنسخها الملائكة من اللوح وعلى الثاني التدوين المراد بالصحف الانبياء بدل التي استنسخوها من الوحي الصحف عليه قوله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى سنه

او

او من السفارة بمعنى الاصلاح ينبئ عن معنى الكشف والتبيين اما اذا كان من السفر بمعنى الكتابة فلان في الكتابة معنى الكشف والتوضيح ويقال للكتاب سفر وللكاتب سافر لان كل واحد منهما يبين الشيء ويوضحه واما اذا كان من السفارة بمعنى الاصلاح فلان الاصلاح بين القوم يكون بالبيان والتوضيح ويقال للرسول سافر وسفير لانه يعبر عن مرسله ويكشف عنه حكمه واسره لما ذكر السفرة اثنى عليهم بوصفين الاول انهم كرام اي مكرمون عند الله وقال عطاء يريد انهم يتكرمون اي يكونون مع ابن آدم اذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة والوصف الثاني انهم بررة قال مقاتل مطيعين وهو جمع بار نحو كافر وفاجر فانهما يجمعان على كفرة وفجرة قال الامام قوله مطهرة بايدي سفرة يقتضي ان يكون طهارة تلك الصحف انما حصلت بايدي هؤلاء السفرة فقال القفال في وجهه انه لما كان لا يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها لطهارة من يمسها انتهى كلامه والقصر في قوله لا يمسها الا بايدي ملائكة مطهرين قصر غير حقيقي بل هو اضافي والمراد تنزيهها عن ايدي الشياطين وجوز الامام ان يكون الباء في قوله بايدي سفرة متعلقة بمطهرة وليس بلازم لجواز تعلقها بمحذوف كما اشرنا اليه بقولنا انه في محل الجر على انها صفة لصحف اي في صحف كائنة بايدي سفرة ويجوز تعلقها ايضا بما تعلق به كلمة في في قوله في صحف اي انها مثبتة في صحف كذا بايدي سفرة **قوله** دعاء عليه باشنع الدعوات فان القتل غاية شدائد الدنيا واشدها فان قيل الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز والقادر على الكل كيف يليق به ذلك اجيب بان ذلك ورد على اسلوب كلام العرب يقولون اذا انكروا فعلا احد قاتله الله والمقصود بيان انهم استحقوا انواع العقاب حيث اتوا باشنع القبائح وقوله ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعم الله اي على صورته فان حقيقة التعجب انما يتصور من الجاهل بسبب ما خفي سببه والذي احاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة تعجيب من الله تعالى لخلقه اي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه ويحتمل ان يكون ما في ما اكفره استفهامية ويكون ما اكفره استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ اي اي شيء حمله على الكفر قيل المراد بالانسان هم الذين اقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وترك ابن ام مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقراء لفقرهم لانه تعالى انما ذمهم لترفعهم فيوجب ان يعم الحكم بسبب عموم العلة ولانه تعالى زيف طريقهم بسبب حقارة حال الانسان في الابتداء والانتهاء على ما قال من نطفة خلقه ثم اماته فاقبره وعموم هذا الزاجر يقتضي عموم الحكم وارتباط هذه الاية بما قبلها يؤيد الاول فانه تعالى لما ذكر القصة المشتملة على استغناء صناديد قريش عن طلب الخير دعا عليهم بقوله قتل الانسان وعجب عباده المؤمنين من ذلك بقوله ما اكفره فكأنه قيل ما سبب حمله على هذا الترفع والاستغناء مع ان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة

قدرته وهو فيما بين المرتبتين حال عذرته **قوله** وهو مع قصده يدل على سخط عظيم وذم
بليغ يعني ان هذا الدعاء ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب
ليس على حقيقته لانه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بايراد ما هو في صورة الدعاء
الدالة على سخط العظيم والتنبيه على انه استحق اهول العقوبات واشنعها وبايراد صيغة
التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه باقبح القبائح ولا شك ان السخط والذم يجوز من
الله تعالى **قوله** بيان لما انعم عليه خصوصا جعل نفس الاستفهام بيانا مع ان البيان انما يحصل
بجواب الاستفهام من حيث ان الاستفهام غير مقصود في نفسه لان حقيقة الاستفهام لا
يتصور منه تعالى بل المقصود منه تقرير حقارة اصله ليتضح ما انعم به عليه في مبدأ حدوثه
من جليلة فان الكناية في ذلك الاصل المهين صورة الانسان المكرم من جلائل النعم ولما كان
ذلك الاستفهام طريقا للتقرير والبيان المتفرع عليه جعل بيانا وقوله خصوصا قيد لما انعم
عليه من النعم اي بيان للنعم المخصوصة التي انعم بها عليه من مبدأ حدوثه الى وقت نشوره
لا لجميع النعم **قوله** والاستفهام للتحقير اي لتحقير اصله للاشعار بان من كان اصله مثل هذا   لا لطلب الفهم والعلم فانه انما يليق بالجاهل لا بمن احاط بكل شيء علما منه
الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بجميع المنعم الذي كسى ذلك الاصل الحقير
بمثل هذه الصورة البهية ما احسن كيف يتكبر من خرج من سبيلين البول مرتين **قوله**
فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال لما كان خلق الشيء تقديره واحداثه بمقدار
معلوم من الكمية والكيفية وكان عطف قوله فقدره على خلقه يستلزم التكرار وعطف الشيء
على نفسه فسر التقدير المعطوف بالتهيئة فانه يقال قدره فتقدر بمعنى هيأه فتهيأ والمعنى
احدثه بمقدار معلوم من الاعضاء والاشكال والكمية والكيفية فجعله مستعدا لان ينتهي   فان الله تعالى بارئ باعتبار مجرد الايجاد والاختراع من العدم الى الوجود في الازل وخالق باعتبار تقديره وايجاده على وفق التقدير منه
منها الى القدر اللائق بمصلحته **قوله** او فقدره اطوارا يعني ان التقدير المتفرع على الخلق
مأخوذ من القدر بمعنى الطور والمعنى انه اوجده على وفق التقدير الازلي ثم جعله ذا اطوار
من علقة ومضغة الى آخر خلقته ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وفي الكبير قال الفراء
قدره اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقته ذكرا او انثى شقيا او سعيدا وقال الزجاج
المعنى قدره على الاستواء كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا
انتهى **قوله** والمعنى ان يتسهل له ينقلب عن الهيئة التي كان المولود عليها في بطن امه
فان فوهة الرحم كانت غير مفتوحة قبل وقت الولادة وان رأس المولود وهو في بطن
امه كان من فوق ورجله من تحت فاذا جاء وقت الخروج انفتح فوهة الرحم وانتكس
المولود بان ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت فيخرج رأسه اولا ولا شك ان

ان الذي فتح الفوهة والهم الانتكاس انما هو الله تعالى وفعله تسهيلا لخروج المولود من بطن
امه **قوله** او ذلل له سبيل الخير والشر والتذليل اي التيسير يدخل فيه اقدار والتعريف والعقل
وبعثة الانبياء وانزال الكتب قال ابو مسلم المراد من هذه الآية ما هو المراد من قوله وهديناه
النجدين لانه تعالى لما بين انه ميز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا وبين كل خير وشر يتعلق بالدين اي
جعلناه متمكنا من سلوك سبيل الخير والشر **قوله** وتعريفه باللام دون الاضافة الخ ولو قال
ثم سبيله يسره باضافة السبيل الى الانسان لتوهم اختصاص السبيل به مع انه سبيل عام للانس
والجن على المعنى الثاني وللحيوانات ايضا على المعنى الاول **قوله** وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا
طريق والمقصد غيرها وهو الآخرة ووجه الايماء انه لما فسرت الآية بانه تعالى يسره سبيل المكلفين
في دار التكليف اشعر ذلك بان هذه الدار معبر ينتهي اما الى الخير او الشر وان اهلها اهل السبيل
لا اهل القرار والسكون ولا يخفى ان هذا الايماء مبني على ان يكون المراد بالخير والشر ما يتعلق بالدين
منهما هو الذي حسنه الشرع وقبحه بان وعد عليه ثواب الآخرة او عقابها فالمصنف اشار بقوله هذا
الى التعميم الذي ذهب اليه ابو مسلم حاد عن هذه النكتة وايد ما ذهب اليه من تخصيص السبيل
بما يؤدي الى نعمة الآخرة ونقمها بانه ح يحسن انتظام ما بعد هذه الآية بخلاف ما اذا ابقي
على عمومه كما ذهب اليه ابو مسلم **قوله** وعد الاماتة والاقبار في النعم لما جعل قوله تعالى من اي شيء
خلقه الى قوله كلا اسوقا لبيان ما انعم الله به عليه وكفرانه بذلك وجب كون الاماتة والاقبار نعمة
بين وجه ذلك وانما قال وصلة في الجملة لان كونها وصلة الى سعادة الابد ولذة خاصة انما هو
بالنسبة الى المؤمن لا الى الكافر لا يقال الكلام ههنا في الكافر بقرينة قوله قتل الانسان ما اكفره
فكيف تعد الاماتة نعمة في حقه مع ان الموت في حقه مفتاح كل بلاء ومحنة لانا نقول الاماتة في
نفسها شأنها ان تكون تحفة للمؤمن يتخلص بها من سجن الدنيا الى سعة عالم الآخرة وكونها نقمة
في حق الكافر انما هو من سوء اعتقاده وسيئات اعماله **قوله** والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن
السباع فانه لو لم يقبر بل بقي على وجه الارض كسائر الحيوانات لاكلته الطير والسبع فان قيل من
اي شيء استفيد الامر بالقبر والحال انه ليس ههنا صيغة الامر قلنا هو مستفاد من قوله
فاقبره فانه يقال قبر الحي الميت يقبره من باب نصر اذا دفنه بيده والقابر هو الدافن بيده
ولا يقال اقبر الميت الا اذا امر غيره بان يجعله في القبر فالمقبر هو الله تعالى لانه هو الامر بان يدفن
اموات بني آدم في القبور اكراما لهم عن ان يلقون للطير والسباع والمراد بالانشار الاحياء و
البعث **قوله** وقت النشور غير متعين في نفسه لعل وجهه ان تعين الوقت في نفسه متفرع
على بقاء الافلاك وحركاتها وتكرر الليل والنهار على حالها والنشور انما يتحقق بعد خراب العالم

فلا سبيل للانسان ان يحكم ويقول بان وقت النشور متعين في نفسه وان لم اعلمه بخصوصه بان
يكون في رأس الف سنة او اقل او اكثر لخراب ما به تقدير الاوقات حين تحققها بخلاف الاحوال
المذكورة قبل الانشار فان الانسان يعلم وقتها من بعض الوجوه كالموت فان الانسان وان
لم وقت وقوعه بخصوصه الا انه متعين في نفسه يعلم الانسان ان الموت لاحد متعين في نفسه
بان يكون مثلا في رأس ستين سنة او سبعين وليس بحيث يكون موكولا الى مجرد مشية الله
قوله لم يقض بعد اشارة الى ما في لفظ لما من معنى التوقع وهذا التفسير مبني على ان يراد بضمير
لما يقض الانسان المحمول على الاستغراق كما روي عن مجاهد وقتادة من ان معنى الاية لا يقضي
احد جميع ما كان مفروضا عليه ابدا وان فيها اشارة الى ان الانسان لا يخلو عن تقصير البتة
وقال الامام هذا التفسير عندي فيه نظر لان قوله لما يقض الضمير فيه راجع الى المذكور السابق
وهو الانسان في قوله قتل الانسان ما اكفره وليس المراد من الانسان فيه جميع الناس بل
الانسان الكافر فقوله لما يقض كيف يمكن حمله على جميع الناس ثم ذكر وجها آخر وهو ان يكون
المعنى ان ذلك الانسان المترفع المتكبر لم يقض ما امره به من ترك التكبر او المعنى ان ذلك الانسان
الكافر لم يقض ما امره به من التأمل في دلائل الله والتذكر في عجائب خلقه وآثار قدرته
انتهى كلامه ويمكن ان يقال ارجاع ضمير لما يقض الى جميع الناس لا يستلزم حمل الانسان
المذكور سابقا على الاستغراق بل المراد به الانسان المعهود الا انه اريد بضمير لما يقض جميع
الانسان على طريق الاستخدام لقصد المبالغة فانه اذا لم يخل احد حتى المؤمن عن تقصير ما
فعدم خلو الكافر بالطريق الاولى وما في قوله ما امره موصولة وعائده يجوز ان يكون محذوفا
والتقدير ما امره به فحذف الجار اولا فبقي ما امره ثم حذف الهاء العائد ثانيا ويجوز ان يكون
باقيا على ان المحذوف من الهائين هو العائد الى الانسان والباقي الى الموصول ما عرف وقس
عليه امثاله قوله اتباع للنعم الذاتية فان عادة الله تعالى جارية في القرآن العظيم بانه كلما
ذكر الدلائل الموجودة في الانفس فانه يذكر عقيبها الدلائل الموجودة في الآفاق فههنا لما ذكر
من نعمه الموجبة للشكر ما هو داخل موجود في نفس الانسان من خلقه بانزال النطفة من صلب
الآباء الى ارحام الامهات وما يتعاقب عليه من الاطوار والاحوال الى ان ينتهي الى دار
الابد عقبه ببيان ما انعم به عليه من النعم الخارجة عنه وبدأ بما يحتاج اليه الانسان في
معاشه وبين انه كيف دبر في خلق طعامه الذي هو قوام حيوته واقوى اسباب معاشه
التي يستعد بها للمعاد وذكر ان ذاته كما تكون بنزول ماء الرجل الى رحم المرأة كذلك طعامه انما
يحصل بنزول الماء من السماء الى الارض وبما يتبعه من التدبيرات المتعلقة بتولده من الارض
وبلو

وبلوغه الى اقصى كماله قوله على البدل منه اي من الطعام والتقدير فلينظر الانسان الى انا كيف
صببنا الماء صبا لان موضع النظر والاعتبار هو كيفية تكون الطعام وحدوثه من الارض بالاسباب
المذكورة وكيفية حدوث المطر المشتمل على هذه المياه العظيمة وكيفية بقائه في جو السماء مع غلبة
ثقله وغير ذلك مما يعجز العقل عن ادراكها وجعله من بدل الاشتمال لان انصباب الماء وانشقاق
الارض سبب لحصول الطعام فيكون الثاني مشتملا على الاول فان الواجب في بدل الاشتمال ان يكون
بينه وبين المبدل منه علاقة غير الكلية والبعضية وقد حصل ولا يلزم فيه ان يكون المبدل منه
مشتملا على البدل قوله واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب جعل اسناده الى
نفسه من قبيل الاسناد المجازي لانه اسناد الى غير ما هو له لان المراد بما هو له ما يكون معنى الفعل
قائما به وصفا له وحقه ان يسند اليه سواء كان مخلوقا لله او لغيره سواء كان صادرا عنه باختياره
كضرب او لا كمرض ومات فاسناد نحو الضرب الى من قام به حقيقة والى موجده الذي هو الله تعالى
مجاز ولهذا اشتق اسم الفاعل لمن قام به وان لم يكن موجدا للفعل نحو الآكل والشارب والقائم
والقاعد ولا شك ان شق الارض قائم بمن كربها اي قلبها للحرث وحقه ان يسند اليه فاسناده
الى الله تعالى مجاز وهذا مخصوص بالشق بالكراب واما الشق بالنبات فاسناده الى الله تعالى حقيقة
لا مجاز واسناده الى النبات مجاز لان النبات بمنزلة الآلة مثل اسناد الفتح الى المفتاح والقطع
الى السكين في قولك فتح المفتاح الباب وقطع السكين اللحم قوله لانها تقضب مرة بعد اخرى
فصارت لكثرة قطعها كانها عين القطع فسميت قطعا للمبالغة فيه قوله عظاما الغلب جمع اغلب
او غلباء كحمر في جمع احمر او حمراء واصله في وصف الرقاب يقال رجل اغلب واسد اغلب اي
غليظ العنق وامرأة غلباء اي غليظة العنق وجماعة غلب غلاظ الاعناق وذكر المصنف وجها
لتوصيف الحدائق بالغلب فقوله الاول ان يقال لكل حديقة انها غلباء اي عظيمة غليظة توصيفا لها
بوصف مجموع اشجارها المتكثرة الملتفة المتقاربة بحيث صارت كانها شيء واحد ضخم عظيم فلفظ
الغلباء سواء اطلق على نفس الحدائق او على مجموع اشجارها المتداخلة الاغصان مستعار
من الحيوان الغليظ الرقبة تشبيها لها به في مطلق الغلظ فكل حديقة لما وصفت بالغلباء بهذا
الوجه وصف الحدائق بالغلب والقول الثاني ان يوصف كل حديقة بالغلب توصيفا لكل واحد
منها بوصف كل واحد من اشجارها من الغلظ والعظم فيقال حديقة غلباء باعتبار ان كل شجرة
من اشجارها غلباء اي عظيمة غليظة فتوصيف الحدائق بالغلب بمعنى غلب الاشجار فالغلب
في وصف الحدائق والاشجار في هذا القول ايضا مستعار مما هو وصف الاعناق قال الامام
قوله تعالى وحدائق غلبا فيه قولان الاول ان يكون المراد وصف كل حديقة بان اشجارها متكاثفة

واسناد الفعل بالنبات نفور العصى بعد قوله اي الى السبب او بالجراب بحدث سلمه

وعن الصديق رضي الله عنه انه سئل عن الأب فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه انتهى

متقاربة وهذا قول مجاهد ومقاتل وما لا الغلب الملتفة الشجر بعضه ببعض يقال اغلولب العشب واغلولبت الارض اذا التف عشبها والثاني ان يكون المراد وصف كل واحد من الاشجار بالغلظ والعظم قال عطاء عن ابن عباس رضـ يريد الشجر العظام وقال الفراء الغلب ما غلظ من النخل انتهى
قوله وفاكهة قال الامام استدل بعضهم بان الله تعالى لما ذكر الفاكهة معطوفة على العنب والزيتون والنخل وجب ان لا يدخل هذه الاشياء في الفاكهة لان المعطوف مغاير للمعطوف عليه انتهى العنب والرطب والرمان من الفواكه عند ابي يوسف ومحمد لان الفاكهة اسم لما يؤكل على سبيل التفكه اي التنعم بعد الطعام وقبله وهذا المعنى ثابت فيها وهي اعزها واكملها وليست بفاكهة عند ابي حنيفة رحـ لقوله تعالى فيها فاكهة ونخل ورمان وقوله وقوله قضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة فعطف الفاكهة عليها مرة وعطفها على الفاكهة اخرى والشيء لا يعطف على نفسه هكذا في كتب الفقه والظاهر ان مراد ابي حنيفة رحـ ان نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يتحقق القصور في معنى التفكه به فلا يتناوله اسم الفاكهة على الاطلاق حتى لو حلف لا ياكل فاكهة لا يحنث باكله لكونه غذاء من وجه وان كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافي كونه فاكهة من وجه لان المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى ان الفاكهة من كل وجه مغاير لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه **قوله** لانه يؤم وينتجع اي يقصد جزه لاجل الدواب والنجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه **قوله** لانها تؤب للشتاء اي تعد **قوله** متاعا لكم يجوز ان يكون مصدرا موكدا لفعله المقدر اي متعناكم بها متاعا اي تمتيعا على ان المتاع بمعنى التمتيع كالسلام بمعنى التسليم وان يكون في موضع الحال من فاعل انبتنا اي ممتعين لكم وان يكون مفعولا له اي فعلنا ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم **قوله** وصفت بالمجاز اي على ان يكون صخ بمعنى صاخ نحو صاخ بمعنى استمع لنحو سمع والنفخة ليست بمستمعة بل الناس هم الذين يستمعونها فاسناد الاستماع الى المسموع مجاز مثل عيشة راضية وحكى الامام عن الزجاج ان اصل الصخ في اللغة الطعن والصك يقال صخ راسه بحجر اي شدخه والشدخ كسر الشيء الاجوف ويقال ايضا صخ الغراب بمنقاره اي في دبر البعير اي يطعن فسميت الصاخة الصاكة بشدة صوتها للاذن الجوهري الصاخة الصيحة تصم لشدتها سميت القيمة صاخة لان فيها الصيحة التي تصخ الاسماع بشدة صوتها اي تصمها يقال صخ الصوت الاذن يصخها صخا فهو صاخ واصاخها يصيخها اصاخة فهو مصيخ بمعنى فعل هذا الصاخة حقيقة في النفخة ووجه ارتباط هذه الاية بما قبلها انه تعالى لما ذكر ما انعم به على الانسان من النعم الكائنة في الانفس والآفاق وكان المقصود بذكرها التوبيخ والتقريع على من كفر بها وتمرد عن طاعة من انعم بها واستغنى

ويحتمل ان يكون موكدا لانبات مما غير لفظه لان انبات هذه الاشياء امتاع لجميع الحيوانات منه

عن طلب الخير وقبوله وان يستدل بها على وحدانيته وقدرته على البعث والحساب عقب بما يكون مؤكدا لهذه الاغراض وهو شرح احوال القيمة فان الانسان اذا سمعها خاف فيدعوه ذلك الخوف الى التأمل في الدلائل والايمان بوحدة من انعم بها وقدرته على ما يشاء والاعراض عن الكفران والميل الى الطاعة والتواضع والانقياد للحق فلا جرم ذكر القيمة فقال فاذا جاءت الصاخة وجواب اذا محذوف يدل عليه قوله يوم يفر المرء الى قوله لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه والتقدير فاذا جاءت الصاخة اشتغل كل احد بنفسه وقوله يوم يفر بدل من اذا ولا يجوز ان يكون يغنيه عاملا في اذا ولا في يوم لانه صفة لشأن ومعمول الصفة لا يتقدم على موصوفها وقرأ العامة يغنيه من الاغناء على معنى ان ذلك الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيها بالغني في انه ملك شيئا كثيرا وقرئ يعنيه بالفتح الياء وبالعين المهملة من قولهم عناني الامر اي قصدني **قوله** او للحذر من مطالبتهم بان يقول الاخ ما واسيتني بمالك والابوان يقولان قصرت في برنا والصاحبة تقول اطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح **قوله** وتاخير الاحب فالاحب للمبالغة يعني ان فائدة الترتيب المبالغة في بيان كون ذلك اليوم يوم الفرار كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه فانهما اقرب من الاخ بل من صاحبته واولاده فان تعلق القلب بها اشد من تعلق الابوين لما ذكر الله تعالى احوال يوم القيمة واهوالها بين ان المكلفين فيه على قسمين ومميز احدهما عن الآخر بما يعرض وجوههما يوسف يقال اسفر الصبح اذا اضاء قال المبرد الغبرة الغبار والقترة السواد كالدخان ولا نرى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما اذا اغبرت وجه الزنجي فكانه تعالى جمع في وجوههم بين السواد والغبرة كما جمعوا بين الكفر والفجور وفي الحديث ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيمة حول ذلك التراب في وجوه الكفار

سورة التكوير مكية بسم الله الرحمن الرحيم

تكوير الشيء يستعمل في معنيين الاول تلفيفه وطيه بازالة انبساطه وانتشاره وضم بعض اجزائه ببعض على جهة الاستدارة لتكوير العمامة وفي الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من التشتت بعد الالفة والثاني الغاؤه واسقاطه مجتمعا يقال كورته فتكور اي اسقطته فسقط وقد فسر في الاية بكل واحد من المعنيين ثم ان كان بمعنى التلفيف يحتمل ان يكون المراد تلفيف نفسها وضم اجزائها او تلفيف ضوئها بازالة انبساطه في الآفاق بان يكون التقدير اذا ضوء الشمس كور وتلفيفها على الوجهين كناية عن اذهاب نفسها وازالة عينها عن فلكها فان لف الشيء

الحور الرجوع عما كان عليه من الاحوال منه

وطئته من لوازم رفعه لانه لا يرتفع منبسطا منتشرا فاطلق تكوير نفسها واريد ملزومه الذي هو
رفعها وذهابها وكذا المحو ضوئها لازم لرفع نفسها ما دامت باقية كان ضوؤها باقيا منبسطا
في الآفاق غير ملفوف فتفسيره بالتلفيف يؤول الى تفسيره بالالقاء والاسقاط قال ابن عباس
رض يكور الله عز وجل الشمس والقمر والنجوم يوم القيمة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها
فتصير نارا كذا في البغوي وعن ابي هريرة رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيمة ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن قال وما ذنبهما قال
الامام سؤال الحسن ساقط لان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سببا لمضرتهما
ولعل ذلك يصير سببا لازدياد الحر في جهنم فلا يكون هذا الخبر على خلاف المعقول **قوله** وارتفاع
الشمس بفعل يفسره ما بعده اولى اشارة الى ان النحاة اختلفوا في اعراب الاسماء التي
بعدها افعال مشتغلة عنها بضمائرها انها هل هي مرفوعة بالابتداء كما هو قول الكوفيين والاخفش
فانهم قالوا الاسماء الواقعة بعد اذا مرفوعة بالابتداء وما بعدها من الافعال اخبارها وهي معمولة
لفعل مقدر يفسره ما بعده كما هو عند البصريين وعلى المذهبين الجملة في محل الجر باضافة اذا
اليها واختار المص قول البصريين لان اذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل اولى **قوله** انقضت
اي تساقطت وتناثرت كما قال واذا الكواكب انتثرت والاصل في الانكدار الانصباب قال السماء
تمطر يومئذ بنجومها فلا يبقى في السماء نجم الا وقع على وجه الارض كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عطاء وذلك انها في قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل
بايدي ملائكة من نور فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت تلك الكواكب من ايدي
الملائكة لانه مات من يمسكها **قوله** ابصر خربان فضاء فانكدر قبله اذا الكرام ابتدروا الباع بدر
تقضي البازي اذا البازي كسر دان جناحيه من الطود فمر ابصر خربان الخ والباع يستعمل في الكرم
يقال فلان طويل الباع والمروة يقول اذا الكرام ابتدروا او تسارعوا فعل المكارم بدرتهم اي اسرع
اليهم كانقضاض البازي على الحبارى وخربان جمع خرب بفتحتين وهو الذكر من جنس الطائر يقال
له الحبارى اي ابصر البازي حبارات صحراء فانقض **قوله** من كدرت الماء فانكدر والكدر خلاف
الصفوة يقال كدر الماء يكدر كدورا من باب علم وكدر يكدر كدورة بضم العين فيهما مثل الاول في
المعنى وكدره غيره فانكدار النجوم عبارة عن زوال نوره وضوئه **قوله** واذا الجبال سيرت
اي قلعت عن وجه الارض فصارت هباء منبثا كذا في المعالم او سيرت في الجو كالسحاب كقوله وهي تمر
مر السحاب كذا في الكواشي وقيل سيرها ان تحول عن صفة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا
سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون مثل السراب الذي ليس بشيء وعادت الارض قاعا

صفصفا اي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والعشار جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء والعشراء
الناقة التي اتى على حملها عشرة اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع في تمام السنة وقيل هو اسمها بعد ما وضعت
ايضا ومن عادة العرب ان يسموا الشيء باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك الحد وخص العشار
بالذكر لانها اعز الاموال عند العرب وانها معظم اسباب معاشهم وتعطيلها واهمالها عند مجيء مقدمات
قيام الساعة عبارة عن ان الناس يتركون الاموال والاملاك ويشتغلون بانفسهم كما قال
يوم لا ينفع مال ولا بنون وقال ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة **قوله** او السحاب اي يحتمل
ان يراد بالعشراء السحاب تشبيها بها والعشار وان كان مجازا في هذا المعنى الا ان حمله عليه يوجب
كثرة مناسبته بهذه القرينة لما قبلها وشاع عند العرب تشبيه السحاب بالحامل فاريد بالحاملات
وقرا كما مر في سورة والذاريات والتعطيل الاهمال ومنه قيل للمرأة عاطلا اذا لم يكن عليها حلي
الوحوش اسم لما لا يستأنس من حيوان البر وفسر حشرها بثلثة اوجه الاول ان يجمعها هول ذلك
اليوم من كل ناحية بحيث يختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس
ايضا ونفرتها في الصحارى والقفار والثاني ان يبعثها للقصاص اظهارا للعدل فانه قد ثبت
انه يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت ه عن قتادة انه يحشر
كل شيء حتى الذباب للقصاص والثالث ان حشر الوحوش عبارة عن موتها وهذا الوجه رواه
عكرمة عن ابن عباس رض يقال اجحف بهم الدهر استاصلهم واجحفهم فلان اي كلفهم ما لا يطاق و
سنة مجحفة اي مهلكة مميتة واجحف به اي ذهب به مستاصلا وسيل جحاف بالضم اذا جرف
كل شيء والسنة القحط والشدة في مثل هذه الافعال قد يكون لتكثير المحل وقد يكون لتكثير الفعل و
تكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير والتعرض لحشر الوحوش على الوجه الاول للدلالة على هول ذلك
اليوم فان اجتماعها في موقف القيمة مع الناس مع شدة نفرتها عنهم في الدنيا ونفرتها في الصحارى
يدل على ان هول ذلك حملها على الاجتماع وعلى الثاني لتاييد حشر المكلفين فان الحيوانات اذا
بعثت للقصاص تحقيقا لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا ان لا يحشر المكلفون من الانس والجن
قوله احميت او ملئت فان السجر في اللغة يكون بمعنى الملأ والبحر المسجور اي المملوء وبمعنى
الاحماء كما يقال سجرت التنور اذا احميته ثم قيل وجه احماء البحار انه يحتمل ان تكون جهنم في قعور
البحار الا انها الآن مطبقة لا تصل اثر حرارتها الى ما فوقها من البحار لئلا تنتفع اهل الارض
بها فاذا انتهت مدة الدنيا يرفع طبق جهنم فيصل اثر تلك النيران الى البحار فتسخن فتصير حميما
لاهل النار وقال ابن عباس رض اذا كان يوم القيمة كور الله الشمس والقمر والنجوم في البحر ثم يبعث
عليها ريحا دبورا فتنفخه فتصير نارا وهو قوله تعالى واذا البحار سجرت اي احميت كذا في تفسير الليث

[illegible]

ثالثه قال حشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيمة
سلمه

وايضا ان بعضا غداء للبعض ثم انها اذا اجتمعت في ذلك اليوم ولم يتعرض بعضها ببعض علم ان ذلك ليس الا لشدة هول ذلك اليوم
سلمه

وقيل في وجه استلائها انه لم يخلق الان بين البحار حاجز الا يصل بعضها الى بعض على ما قال مرج
البحرين يلتقيان اي لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فاذا رفع الله ذلك الحاجز فاض
البعض في البعض وتفجر وجرى العذب بالملح وبالعكس فصارت البحور كلها بحرا واحدا انفتق الى الارض
كلها ثم انه يحتمل ان تكون كيفية ارتفاع الحاجز الكائن بينها بان اندكت الجبال ونسفت اجزاؤها،،
وصارت كالتراب الهامل الغير المتماسك فلا جرم تنصب اجزاؤها في اسافلها فتمتلئ المواضع الغائرة
من الارض فيصير وجه الارض مستويا مع البحار ويصير الكل بحرا واحدا مسجورا اي ممتلئا وهذه
الاحوال الست تكون في مبادي قيام الساعة على ما روي عن ابي بن كعب رض انه قال ست
ايات قبل القيمة بينما الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم
فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت وفزعت الجن الى الانس والانس
الى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فيقول الجن للانس
نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تاجج فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة،،
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الريح
فاماتتهم والله اعلم كذا في المعالم ثم شرع في ذكر الاحوال التي بعد قيام الساعة فقال واذا
النفوس زوجت بالابدان بان ردت اليها او بالاشكال والامثال بان يضم كل واحد من الرجال
والنساء الى من كان في طبقته في الخير والشر فيقرن السابق في الطاعات الى مثله والمتوسط الى
مثله واهل المعصية الى مثله قال ابن عباس رض ذلك حين يكون الناس ازواجا ثلثة اي
اصنافا ثلثة السابقون زوج واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والشكل بالفتح المثل قوله
المدفونة حية يقال واد بنته يئدها وأدا وهي موؤدة اذا دفنها في القبر وهي حية وكانت
كندة تئد البنات وكان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق ممن منع الوأد فافتخر الفرزدق
به في قوله ومنا الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم يوأد وقيل واد يئد مقلوب من آد يؤود
اودا اي اثقل يقال آده الحمل اثقله ما آدك ولا يؤوده حفظهما لان الوأد اثقال بالتراب
قوله تبكيتا لوائدها جواب عما يقال ما معنى سوال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به مع ان الظ
ان يسأل الوائد عن موجب قتله اياها فاجاب عنه بان بهذه الطريقة افظع في ظهور جناية،،
الوائد والزام الحجة عليه فانه اذا قيل للموؤدة ان القتل لا يصح الا بذنب عظيم فما ذنبك وباي
سبب قتلت فلا جرم كان جوابها اني قتلت بغير ذنب فيفتضح الوائد فيصير مبهوتا وهذا كقوله
تعالى لعيسى عليه الصلوة والسلام أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانه عليه
الصلوة والسلام لما اجاب بقوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق وما قلت لهم الا ما

واذا الجبال سيرت اي عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لان [illegible] ذكر بعد النفخة الثانية الخ

ما امرتني به اعبدوا الله ربي وربكم كان ذلك اشد في تبكيت النصارى وتوبيخهم قوله
وقرئ سألت بفتح السين والهمزة على البناء للفاعل على ان الموؤدة هي السائلة تسأل
الله او تسأل قاتلها باي ذنب قتلت فعلى هذه القراءة قوله قتلت على بناء المفعول من الماضي
المسند الى ضمير المتكلم وحده كما هو الظ لان الموؤدة لما كانت سائلة كان المناسب ان يحكي بعد
الاخبار عن سوالها كلامها حين سألت وذلك قولها باي ذنب قتلت بضم تاء المتكلم وحده كما
اشار اليه المص بقوله وقرئ قتلت على الحكاية اي على الاخبار عن الواحدة الغائبة قوله وانما،،
قيل قتلت على الاخبار جواب عما يقال ان قراءة الجمهور سئلت وقتلت بضم الاول وكسر الثاني وسكون
تاء المؤنث الغائبة فيهما لكن المناسب ان يقرئ بكسر تاء الواحدة الحاضرة لانه لما اخبر عن
كونها مسئولة كان المناسب ان يحكي بعد ذكر الاخبار الكلام الذي خوطبت به ويقال باي ذنب
قتلت على خطاب الواحدة الحاضرة فما وجه قراءة قتلت على صيغة المؤنث الغائبة وحاصل
الجواب انه ليس المقصود حكاية ما خوطبت به بل المقصود الاخبار عن الموؤدة بمضمون مجموع
قوله واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت والاخبار عن الشيء يستلزم ان يعبر عنه بصيغة
الغائب وما ذكر ان لو كان المقصود حكاية ما خوطبت به بعد الاخبار عنها بمجرد انها كانت،،
مسئولة وليس كذلك قوله ونشرت الصحف اي تفتح بعد ما كانت مطوية فيعطاها الناس،،
منشورة بايمانهم وشمائلهم فيقف الانسان على ما فيها ويحصي عليه جميع اعماله فيقول ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قوله للمبالغة في النشر يريد ان التشديد لتكثير
الفعل وتكريره او لتكثير محله وللمبالغة في سرعة تفرقه وشدة تطايره والحاصل ان النشر
ان كان بمعنى الفتح يصح ان يكون التشديد لتكثير نفس الفعل بحسب الكمية والتكرر وان يكون لتكثير
محله وهو الصحف وان كان بمعنى التفريق يصح ان يكون التشديد لتكثير محله وهو الصحف واصحابها وان
يكون للمبالغة فيه بحسب الكيفية من كونه على وجه السرعة والقوة واما كونه للمبالغة في كثرة نفس
الفعل وتكرره فبعيد لان تفريق الصحف وتفريقه بين جميع المكلفين فعل واحد والكثرة
انما هي في متعلقه وهو الصحف فلا وجه لكون التشديد للدلالة على كثرة نفس الفعل فقول
المص للمبالغة في النشر مبني على ان يراد بالنشر الفتح وبالمبالغة فيه المبالغة بحسب الكمية وقوله
او شدة التطاير مبني على ان يراد بالنشر التفريق بين الاصحاب وان يكون التشديد للمبالغة
فيه بحسب الكيفية وقوله او لكثرة الصحف مشتركا بين المعنيين قوله قلعت وازيلت بحيث
ظهر ما وراءها كما تقلع السقف فينكشف ما كان مستورا به ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء
قد غطاه قال الامام اي كشفت وازيلت عما فوقها وهو الجنة وعرش الله كما يكشط الاهاب

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة رض فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت اي فرقت بين اصحابها عن مرثد ابن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال الخ

عن الذبحة والنطاء عن الشيء **قوله** اوقدت ايقادا شديدا يقال سعرت النار واسعرتها بمعنى
هيجتها والتسعار والمسعر والمسعار الخشب الذي تسعر به النار فظهر ان اسعار النار ازدياد التهابها
لا حدوثها ابتداء قيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم قال الامام واحتج بهذه الآية من قال النار
غير مخلوقة الآن لانها تدل على ان تسعرها معلق بيوم القيامة انتهى ولعل اعتبار قيد الازدياد والاشتداد
في مفهوم التسعير يدفع هذا الاحتجاج **قوله** علمت نفس جواب اذا فانه ذكر من اول السورة
الى هنا اثني عشر شيئا وقال اذا وقعت الاشياء فهنالك علمت نفس ما احضرت فعلم النفس به
جزاء مرتب على الشرط الذي هو وقوع مجموع هذه الاشياء ولما ورد ان يقال وقوع الاشياء
الستة الاول من هذه الاشياء قبل فناء الدنيا حين ما اشرفت الساعة على القيام وعلم النفوس
بما احضرته من الاعمال النافعة والضارة لا يحصل في زمان وقوع هذه الخصال الست فكيف
يصح ان يكون اذا المضافة الى هذه الخصال الست المتقدمة ظرفا للعلم منصوبة به اشار المصنف
الى جوابه بقوله وانما صح الخ يعني ان المراد بما هو الظرف للعلم هو الزمان المتسع المحيط لتلك
الخصال الاثني عشرة ولمجازاة النفوس على اعمالها وابتداء ذلك الزمان المتسع من النفخة الاولى
وهي زمان التكوير وما يتبعه الى ان يتم موقف الحساب والعلم الاجمالي يحصل في اول زمان الحشر
لان المطيع يرى آثار السعادة والعاصي آثار الشقاوة في اول الامر فيعرف بذلك كل واحد منهما
ما قدمه من الاعمال اجمالا واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب في موقف المحاسبة
الا ان المصنف اشار بقوله ولمجازاة النفوس على اعمالها الى ان العلم بالاعمال كناية عن المجازاة عليها
من حيث ان العلم لازم للمجازاة **قوله** ونفس في معنى العموم جواب عما يقال من ان النكرة في سياق
الاثبات للافراد او النوعية لا للاستغراق والعموم والموضع موضع الاستغراق لان العلم بما احضرت
حاصل لكل نفس لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان
بينها وبينه امدا بعيدا فكيف قيل علمت نفس بالتنكير في موضع الاثبات ومحصول الجواب ان ما ذكر
الاكثري لا الكلي مطرد لان النكرة في سياق الاثبات قد يقصد بها العموم ايضا كما في قولهم تمرة خير
من جرادة ونفس في الآية من هذا القبيل **قوله** فلا اقسم كلمة لا يجوز ان تكون صلة فالمعنى فاقسم
وان تكون رد الكلام سابق اي ليس الامر كما تزعمون ايها الكفرة من ان القرآن سحر او شعر او اساطير
الاولين ثم ابتدأ جل ذكره فقال اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عطف على الخنس وكذا
والصبح عطف ايضا والعامل في اذا معنى القسم واذا وما بعدها في موضع الحال اي اقسم بالليل مدبرا او
مقبلا وبالصبح مضيئا وجواب القسم قوله انه لقول رسول والضمير في انه للقرآن وان لم يجر له ذكر
للعلم به وقد وصف هذا الرسول باوصاف ستة الى قوله امين وثم ظرف مكان وهو معمول مطاع اي

اي مطاع هناك والخنس جمع خانس وهو المتأخر بالخفاء والخنوس الانقباض والاختفاء يقال
خنس الرجل من بين القوم خنوسا اذا تأخر واختفى والخناس الشيطان لانه يخنس اذا ذكر الله
عز وجل واذا غفل العبد عن ذكره تعالى يعود ويوسوس اليه واصل الخنوس الرجوع الى الخلف
والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس المستتر به والكناس بيت الوحش وموضعه الذي
يأوي اليه ويستتر فيه يقال كنس الظبي يكنس من باب ضرب وتكنس ايضا اذا دخل فيه واصل الكنوس
الاستتار والجواري جمع جارية والمراد بالكل النجوم تجري في افلاكها غير النيرين فانهما لا يكنسان
فان المراد بكنوس الكواكب استتارها واختفاؤها تحت ضوء الشمس كالظبي المستتر بالكناس ولا
كنوس لهما بهذا المعنى واما ما عداهما وهو الكواكب الخمس من السيارات زحل والمشتري والمريخ
والزهرة وعطارد فانها جوار كنس وهو ظاهر وخنس ايضا من حيث انها ترجع وتستقيم فانها
بينما ترى في آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله فرجوعها من آخر البرج الى اوله هو الخنوس كما ان
كنوسها هو اختفاؤها تحت ضوء الشمس ذكر اهل اللغة ان عسعس من الاضداد يقال عسعس الليل اذا
اقبل وعسعس اذا ادبر وذكر شرف الدين الطيبي ان العسعس رقة الظلام وذلك في طرفي الليل انتهى
وفي التيسير قال محمد بن جرير عسعس الليل وسعسع اذا ادبر فلم يبق منه الا اليسير واختلف المفسرون
في ان المراد منه في الآية اي المعنيين فمنهم من قال ان المراد ههنا اقبل الليل لانه على هذا التقدير يكون
القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله اذا عسعس وبادباره ايضا وهو قوله والصبح اذا تنفس
فان تنفسه يكون بادبار الليل وذهابه كذا قال الامام والاولى ان يقال لان القسم حينئذ يكون باقبال الليل
واقبال الليل واقبال النهار لا بادبار الليل واقبال النهار كما اذا فسر عسعس بادبر وذهب اكثر المفسرين
الى ان المراد منه ادبر الليل وفي الوسيط الاظهر ان عسعس بمعنى ادبر لقوله والصبح اذا تنفس يعني ان
طلوع الصبح لما كان متصلا بادبار الليل كان المناسب ان يفسر عسعس بادبر ليكون التعاقب في
الذكر على حسب التعاقب في الوجود **قوله** اي اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم الفجر لون
الاغبر وهو الشيء الملون بلون يشبه الغبار واضاء يجيء متعديا ولازما وكلاهما يصح ههنا وجعل
تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساط ضوئه بحيث زال به عسعسة الليل وهي الظلمة الحاصلة
في آخره والنفس في الاصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه يشبه ما يقبل باقبال
الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة
فجعل الصبح متنفسا بذلك ثم كني بتنفسه بذلك عن اقبال الصبح وطلوعه واضاءة غبرته لان التنفس
بذلك المعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة وفي بعض النسخ اذا تنفس اي اذا
اضاء غبرته عن اقبال روح ونسيم ولا معنى له كما لا يخفى لان تنفس الصبح ليس عبارة عن اقبال

الروح بل هو عبارة عن طلوعه واذا بخلفه الليل لان يقال ان قوله عبرته عن اقبال الروح ونسيم
بيان لكون تنفس الصبح مستعارة لاقبال الروح والنسيم الواقع عند طلوع الصبح وقوله اي اذا اضاء بيان
لكون التنفس بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوعه الصبح في نجد السنجان في حاصل المعنى **قوله**
سمى جبريل ووصف جبريل ههنا بصفات ست اولها انه رسول اي لا شك انه رسول عن الله تعالى الى الانبياء
وثانيها انه كريم على ربه من كرمه انه يعطي افضل العطايا وهو المعرفة والهداية وثالثها قوله ذي
قوة اي ذي قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روي انه عليه الصلوة والسلام قال لجبريل ذكر
الله تعالى قوتك فاخبرني بشيء من اثارها قال رفعت قريات قوم لوط الاربع بقوادم جناحي حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب واصوات الدجاج ثم قلبتها وروي ان شيطانا يقال له الابيض
صاحب الانبياء قصد ان يتعرض بالنبي عليه الصلوة والسلام فدفعه جبريل دفعة رفيقة دفع بها من
مكة الى اقصى الهند ومنهم من حمله على القوة في اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول
الخلق الى اخر زمان التكليف وعلى القوة في معرفة الله تعالى ذلك مطالعة جلاله وجلاله وابرها عند
ذي العرش مكين اي ذو منزلة ومكانة عند الله من مكانه عنده انه تعالى جعله ثاني نفسه
في قوله فان الله هو مولاه وجبريل وهذه العندية ليست عندية الجهة وهو ظاهر بل كناية عن
الاكرام والتشريف والتعظيم وخامسها قوله مطاع اي مطيعه ملائكة السموات لعلمهم بمنزلته
عند الله وسادسها قوله امين اي هو امين على وحي الله تعالى ورسالاته قد عصمه الله تعالى من الخيانة
والذلل **قوله تعالى** ثم بفتح الثاء اشارة الى الظرف المذكور وهو عند ذي العرش ثم انه اتصل بما
قبله يكون المعنى انه عند الله مطاع في ملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه
وان اتصل بما بعده يكون المعنى انه مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته الى الانبياء وان قرئ
بضم الثاء يكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة الى ما هو افضل واعظم
وهو الامانة **قوله تعالى** وما صاحبكم بمجنون عطف على جواب القسم وكذا قوله ولقد رآه بالافق
المبين اقسم الله تعالى على ان القران كلام الله نزل به رسوله الامين وعلى ان محمدا صلى الله عليه وسلم
ليس بمجنون وعلى انه قد رأى جبريل بالافق المبين **قوله** واستدل اي استدل بهذه الاية على
فضل جبريل على نبينا عليهما الصلوة والسلام بالموازنة بين الذكرين حيث وصف جبريل
بست خصائل كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشان واقتصر في ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بنفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف لانه انما يدل
على مقصود المستدل ان لو كان المقصود من سوق الاية تعداد فضلهما للتنبيه على ان من هو جامع
لصفات الكمال هو افضل وليس المقصود منه ذلك بل الغرض المسوق له الاقسام ان يثبت ان القرآن

قوادم الطير عشر ريشات في مقدم جناحه الواحدة قادمة

حيث جعله امين وحيه وواسطة بينه وبين رسله وهذا من اجل المناصب واشرف المراتب منه

الانتهاء ما يرضى جبريل عليه الصلوة والسلام بهذا التعبير المقتضي لتنقيص البشير النذير السراج المنير وقد قيل الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم
ولو كان جبريل وقيل تنقيص الملائكة مثلا لما جاز ايضا لانهم اجمعوا على انه لا يجوز تنقيص احد منهم بتعيين من يفضل عليه بعينه وفي معناه لا تفضلوني
على يونس بن متى فلو قلت زيد افضل اهل عصره لما شق ما اذا قلت هو افضل من عمرو ابا الحاجب وهذه الصفات اذا سلمت لجبريل فقد جاءت في حق نبينا
في اخر الحاقة انه لقول رسول كريم وان قيل جبريل ذي قوله وما هو بقول شاعر والزمخشري وافق ههنا كما قوله ذي قوة لا نزاع ان جبريل اقوى منه وقوله مطاع مطاع في الملائكة لنبينا عليه الصلوة والسلام طاعة ظاهرة فقال له ملك الجبال ان الله تعالى امرني ان اطيعك فان امرتني ان اطبق عليهم الاخشبين فعلت وله الشفاعة العامة والخاصة واما انه امين قوله عليه الصلوة والسلام اني امين في السماء وامين في الارض وقال الامام ما معناه كما سماه وحي اجرى على نبينا عليه الصلوة والسلام في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فافراد احد التخصيص بالذكر واجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الاخر

ان القران لا سيما هذه السورة المصدرة بما يدل على مقدمات القيمة واهوالها وحقيقة البعث
والجزاء وحي الهي نزل به الملك المقرب عند ذي العرش الامين على وحيه نفيا لقول الكفرة انما
يعلمه بشر وان يثبت ان نبينا صلى الله عليه وسلم رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق وليس كما
يقول الكفرة انه لمجنون ليطمئن انفس السامعين الى استماع القران واتباع الرسول ويرغبوا
فيهما اشد الرغبة وهذا المقصود يستدعي ان يوصف الملك المتوسط بين الله تعالى ورسوله بما وصف
به من صفات الشرف والفضل وذلك لا يستلزم كونه افضل من رسول البشر فان افراد احد
التخصيص بالذكر واجراء صفاته عليه لا يدل على انتفاء تلك الصفات عن الآخر بل الظاهر ان
توصيف جبريل بهذه الصفات وبما هو ازيد منها وافضل انما هو لبيان شرف سيد المرسلين
بالنسبة اليه من حيث ان جبريل عليه السلام مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة
اليه فاي مرتبة اعلى من مرتبة بعد ما ثبت ان السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب
قوله بمطلع الشمس الاعلى افق السماء ناحيتها والافاق النواحي اجمع المفسرون على ان المراد
من الافق ههنا حيث يطلع الشمس اسند لا يوصفه بالمبين فان نفس الافق لا مدخل له في تبيين
الاشياء وظهورها انما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعا للكوكب نير يتبين الاشياء
بضيائه والكوكب المبين هو الشمس واسند الابانة الى مطلعها مجازا باعتبار سببيته له في
الجملة فان البيان في الحقيقة لضياء المطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو اعلى المطالع
وارفعها وهو المطلع الذي اذا طلعت الشمس منه يكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول
والامتداد وذلك عندما يكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها الى برج الاسد وتوجه
النهار الى الانتقاص وانما فعل ذلك حملا للمبين على الكمال فانه كلما كان الكوكب الطالع ارفع واعلى
وكان النهار اطول كان البيان والاظهار اتم واكمل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل
عليه السلام ان يتراءى له في صورته التي خلقه الله تعالى عليها فقال ما اقدر على ذلك وما ذاك
الي فاذن له فاتيه عليها فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأ الافق بكلكله رجلاه في الارض
ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فغشي عليه فتحول جبريل في صورة
بني آدم الى اخر الكلام فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع ما رأيناك منذ بعثت احسن
منك اليوم فقال جاءني جبريل في صورته فلقيني هذا من حسنه **قوله** من الظنة وهي التهمة
اي ليس من الظن الذي يتعدى الى مفعولين اي هو ثقة في جميع ما يخبر لا يتوهم فيه انه ينطق
بشيء منه عن الهوى وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بظنين بالظاء بمعنى متهم فان الظنين
الرجل المتهم يقال اتهمت فلانا بكذا اذا ظننته به اي توهمته فيه ذكره وقرأ نافع وحمزة وعاصم

وابن عامر بضنين بالضاد اي ببخيل يقال ضننت بالشيء بكسر النون اضن به ضنا وضنانة
فانا ضنين اي بخيل فهو من باب علم يقول انه علم الغيب فلا يبخل به عليكم بل يعلمكم ويخبركم به ولا
يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوانا واختار ابو عبيد القراءة الاولى لوجهين
احدهما ان الكفار لم يبخلوه وانما اتهموه فنفي التهمة اولى من البخل والآخر قوله على الغيب ولو كان
المراد البخل لقال بالغيب لانه يقال فلان ضنين بكذا ولا يقال ضنين على كذا وحافة اللسان جانبه
والثنايا من الاسنان جمع ثنية وهي اربعة اسنان في مقدم الفم اثنان منها عليا واثنان سفلى
ووراء الثنايا اسنان اربع يقال لها رباعية اثنان من فوق واثنان من تحت ووراءها انياب
اربع يقال لها انياب اثنان من فوق واثنان من تحت ووراءها الاضراس **قوله** بقول
بعض المسترقة للسمع فسر الشيطان بالمسترقة بقرينة توصيفه بالرجيم وكان اهل مكة يقولون
ان هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه فنفى الله ذلك بهذه الآية وقيل المراد بالشيطان
الابيض الذي كان يأتي الانبياء في صورة جبريل يريد ان يفتنهم فان قيل القول بصحة النبوة موقوف
على نفي هذا الاحتمال فكيف يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قلنا دلائل صحة النبوة وكون القرآن
وحيا الناس ان يحصى فلا جرم امكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي قوله استضلال لهم
فيما يسلكونه شبهت حالهم بحال من ترك الجادة وهي معظم الطريق ويتعسف الى غير المسلك
فانه يقال له اين تذهب استضلالا له وانكارا على تعسفه فقيل لمن ترك الدين الحق وعدل
الى الباطل ذلك القول والمعنى اي طريق تسلكونه ابين من هذه الطريقة التي ظهرت حقيته
ووضحت استقامته واين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال ابو البقاء التقدير الى اين فحذف
حرف الجر كقولك ذهبت الشام اي الى الشام وقال الفراء العرب تقول الى اين تذهب و
ذهبت الشام وانطلقت السوق والى الشام والى السوق ويجوز ان لا يصار الى الحذف
بل الى طريق التضمين فكأنه قيل اين تؤمون وان في قوله ان هو نافية بمعنى ما والذكر بمعنى التذكر
والعظة وخص من العالمين من به حاجة الى التذكر والموعظة وهو من يعلم من الانس
والجن والمخصص هو العقل كما في قوله تعالى الله خالق كل شيء اي شيء ممكن لضرورة انه لا يخالق
نفسه مع انه يطلق عليه اسم الشيء وسمي الدنيا لانها شيء وذلك عن جهات الست خالي واشار
المص الى ما ذكر بقوله تذكر لمن يعلم وقوله لمن شاء بدل من العالمين باعادة الجار بدل البعض
من الكل وان يستقيم مفعول شاء فكأنه قال ما هو الا بيان وهداية للحق اجمعين ما هو الا هداية
لمن شاء الاستقامة منكم بتحري الحق وملازمته وابدله من العالمين مع انه ذكر شامل
لجميع المكلفين لانهم هم المنتفعون به دون غيرهم فكأنه يختص بهم ولم يوعظ به غيرهم تم

ثم يتبين ان مشية الاستقامة موقوفة على ان يشاء الله ان يعطيه تلك المشية لان تلك المشية
صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشية اخرى فظهر من مجموع هذه الايات ان فعل الاستقامة
موقوف على ارادة الاستقامة وهذه الارادة موقوفة الحصول على ان يريد الله ان يعطيه
تلك الارادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فافعال العباد ثبوتها و
نفيها موقوفة على مشية الله وهذا قول اصحابنا وقول المعتزلة ان هذه مخصوصة بمشية
القهر والالجاء ضعيف لانا بينا ان المشية الاختيارية شيء حادث فلا بد له من محدث فيتوقف
حدوثها على ان يشاء محدثها ايجادها ورجع بعود الالزام كذا قال الامام في الكبير **قوله** يا من يشاؤها
اشارة الى ان الخطاب في قوله وما تشاؤن ليس للمخاطبين في قوله فاين تذهبون بل للبعض منهم
وهو ما عبر عنه بقوله لمن شاء منكم فان قوله لمن شاء منكم يدل على ان منهم من يشاء الاستقامة و
من لا يشاؤها فالخطاب لمن يشاؤها منهم وجعل المص الا ان يشاء الله من اقامة المصدر
موقع الزمان كما في نحو اتيك خفوق النجم قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما انزل الله
على الانبياء انه من جعل الى نفسه شيئا من المشية فقد كفر وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وقال تعالى
وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله والآي في هذا اكثر وكذا الاخبار

سورة الانفطار مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ذكر الله تعالى في اول هذه السورة اربعة اشياء من اشراط الساعة اثنان منها
ما يتعلق بالعلويات واثنان اخران يتعلق بالسفليات وقال اذا وقعت هذه الاشياء
علمت نفس ما قدمت من خير وشر ووقوعها عبارة عن خراب العالم وفناء الدنيا والسماء
في هذا العالم كالسقف والارض كالبناء ومن اراد تخريب دار فانه يبدأ اولا بتخريب السقف
وذلك هو قوله تعالى اذا السماء انفطرت ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب ثم انه تعالى
بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الارض بان تنفجر بعض البحار في بعض بارتفاع
الحاجز الذي جعله الله تعالى برزخا يمنع الكل بحرا واحدا وانما يرتفع ذلك الحاجز لتزلزل
الارض وتصدعها ثم انه يخرب آخر الامر نفس الارض التي هي البناء بان يقلبها ظهرا لبطن
وبطنا لظهر يقال بعثرت المتاع وبحثرته اذا جعلت اسفله اعلاه فقوله بعثرت القبور اي
قلبت بان جعلت اسفلها اعلاها وذلك انما يكون باخراج موتاها وقوله بعثرت ما في القبور اذا
استخرجت ما فيه وكشفته وقيل ان بعثر مركب من بعث واثار ماخوذة من الاثارة كبسمل
فانه مركب من باسم ولام مأخوذة من لفظ الله ويعضده قول ابي عبيدة في قوله تعالى اذا بعثر

اي الاية الدالة على ان مشية العبد موقوفة على مشية الله

انتثار الكواكب تساقطها متفرقة يقال نثرت الشيء فانتثر

ما في القبور اثير واخرج كما نقله الجوهري عنه والفلاسفة ينكرون امكان الخرق والالتيام
في الافلاك ودليلنا على امكان ذلك ان الاجسام متماثلة في كونها اجساما والمتماثلات تتحد حكما
فيصح على العلويات ما يصح على السفليات وانما قلنا انها متماثلة لانه يصح تقسيمها الى السماوية و
الارضية ومورد القسمة مشترك بين الاقسام فالعلويات والسفليات مشتركة في انها اجسام
فلا تتخالف فيما هو من لوازم الجسمية **قوله** من عمل او صدقة حمل كل واحد من التقديم والتاخير
اولا على معناهما الحقيقي ثم جوز ان يكون المراد بهما معناهما المجازي بان يكون تقديم الفرائض
بمعنى تكميلها والاتيان بها على حسب ما يليق بها بان يراعي جميع شروطها واراد بها من الاخلاص و
حضور القلب والخشوع وتاخيرها تضييعها وان لا ياتي بها تاما كاملا فان الافراد الكاملة تتقدم في
الارتقاء الى درجات الاعتبار والقبول والافراد الناقصة تتاخر فيه وعلى تقدير ان يراد بهما معناهما
الحقيقي ذكر فيما قدمت واخرت وجهين الاول ان يكون المراد بما قدمته ما عمله بنفسه من الاعمال
الصالحة والسيئة مقدما على موته وبما اخرته ما عمله بعد موته بالسببية بان سنه لمن بعده
حسنة كانت او سيئة فان الاعمال الحاصلة بطريقه من بعده يصدق عليها انها اعمال
الميت اخرها عن موته لكونه سببا لها واسناد الفعل الى السبب شايع كثير مثل بنى الامير والثاني
ان يراد بما قدمته الاموال التي تصدق بها قبل موته لتكون ذخيرة له في النشأة الاخرى وبما اخرته
لورثته وقد مر ان تنكير نفس في الاثبات لا ينافي ارادة العموم بل عموم ما الموصولة ظاهر والعلم
بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب في
الطاعة فان قيل في اي موقف من مواقف القيمة يحصل له هذا العلم قلنا اما العلم الاجمالي
فيحصل في اول زمان الحشر لان المطيع يرى اثار السعادة والعاصي يرى اثار الشقاوة في اول
الامر واما العلم التفصيلي فانما يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة **قوله** اي شيء خدعك وجراك
على عصيانه اشارة الى ان ما في قوله ما غرك استفهامية في موضع الابتداء وغرك خبره وان
غرك بمعنى خدعك والخطاب في قوله يا ايها الانسان يتناول جميع العصاة ونزول الاية في الوليد بن
المغيرة او غيره من الكفرة على ما روي لا ينافي ارادة العموم لما تقرر ان خصوص السبب لا يقدح
في ابقاء اللفظ العام على عمومه وان العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب واشار المص الى ارادة
العموم بقوله وجراك على عصيانه وقيل المراد بالانسان الكافر المنكر للبعث لقوله بعد ذلك كلا بل
تكذبون بالدين يقال اغتره بفلان اذا اجراه عليه وامنه المحذور من جهته مع انه غير مامون
وهو كقوله ولا يغرنكم بالله الغرور فالمعنى ما الذي خدعك وسول لك معصية ربك وامنك من عقابه
والاستفهام بمعنى الانكار والتوبيخ ولما ورد ان يقال الاعتماد بكرم الرب ووجوده يقتضي
ان

ان يغتر الانسان به لان الكرم والجود هو افادة ما ينبغي لا لعوض فاذا لم يكن الكريم مستغنيا
فيما فعله استوى عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب في الاحسان اليهما وهذا يوجب الاغترار به
وقد روي ان عليا رضي الله عنه دعا غلامه مرات فلم يجبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لم تجبني فقال لثقتي
بحلمك وامني من عقوبتك فاستحسن واعتقه ولولا ان كرم الكريم يوجب الاغترار به لما استحسن جواب
الغلام فاذا ثبت ان الكرم يقتضي الاغترار به فكيف جعله ههنا مانعا من الاغترار به اشار المص
الى جوابه بقوله وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار به اي لا نم ان الكرم يقتضي الاغترار به بل يقتضي
الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث ان اهمال الظالم ينافي كونه كريما بالنسبة الى المظلوم
وكذا التسوية بين المطيع والعاصي وبين الموالي والمعادي اساءة للموالي والمطيع فثبت ان محض
الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف اذا انضم اليه صفة القهر ثم اشار الى فائدة اخرى من لذكر الكريم
بقوله والاشعار بقوله والدلالة فانهما معطوفان على المبالغة في قوله للمبالغة فالمعنى على هاتين
الفائدتين لم تغتر بما به يغرك الشيطان من كثرة كرمه مع انها تستدعي الجد في الطاعة قضاء
لحق شكره وفيه اشارة الى ان سبب اغترار ابن آدم تسويل الشيطان بقوله افعل ما شئت فربك كريم كما
روي عن قتادة وقال الحسن غره حمقه وجهله وقال مقاتل غره عفو الله عنه حيث لم يعاقبه في اول
امره وقيل للفضيل بن عياض ان اتاك الله يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال
اقول غرتني ستورك المرخاة اي انك رايت منشرة وقدرته فامهلت فلما رايت كثرة سامحتك
اغترت بها قال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه ان
يجيب بان يقول غرني كرم الكريم وقيل لابي بكر الوراق لو قيل لك يوم القيمة ما غرك بربك الكريم ما تقول
قال اقول غرني كرمك ثم قال ولو قال ما غرك بربك الجبار او القهار لكان فيه اخطار فلما قال بربك الكريم
كان ذلك تلقينا للجواب وقيل في هذا المعنى بقول بعد لاي ما نتنجي عما ارى من سوء افعالك فقلت مولاي
رفقا فقد جرأني كثرة افضالك ولما وصف الله نفسه بالربوبية والكرم واتبعه بقوله الذي خلقك
فسويك فعدلك لتكون كالدليل على ربوبيته وكرمه ودلالته على الربوبية ظاهر لان من فعل هذه الامور
الثلثة في المخلوق فلا جرم يكون ربا مالكا وكذا دلالته على الكرم لانه لا شك ان الخلق كرم وجود
لان الوجود خير من العدم وكذا تسوية الاعضاء وتعديل البنية **قوله** بعده لما فيها حال من المستوى
في مستواه والحال مع عاملة كالبيان لجعل الاعضاء سليمة عما يخل بما فيها فقوله فسويك اي جعلك بشرا
سويا اي تام الخلق سالما عن النقصان في خلقته مشتملا على جميع ما يستعين به في منافعه
من الالات والاعضاء وحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق ذلك العضو لاجلها او نظيره
قوله تعالى اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سويك رجلا وقوله فتمثل لها بشرا سويا

[هامش: فالتعديل اعم من تسوية المزاج ومن تسوية الاعضاء سلمه]

قوله والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء الظاهر انه اراد باعتدال البنية اعتدال الكيفيات المتضادة بكون كل واحدة منها منكسرة نازلة عن صرافتها بحصول التفاعل والانفعال بينها وتناسب الاعضاء كون كل عضو منها معادلا للآخر بان لا يتفاوت بعضها عن بعض مثلا ان يكون احدى اليدين او الرجلين او الاذنين مثلا اطول من الآخر او يكون احدى العينين اوسع من الاخرى قال علماء التشريح انه مما ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى انه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في اشكالها ولا في الاوردة والشرايين والاعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما في احد الجانبين مساو لما في الجانب الاخر كانه عدله **قوله** او معدلة بما تستعد لها من القوى عطف على قوله معتدلة والمنوي في تستعد ضمير البنية بتقدير المضاف وهو الاعضاء والبارز المنصوب راجع الى ما وانث العائد اليه باعتبار كونه عبارة عن القوى والمعنى او التعديل جعل كل عضو من اعضاء البنية معادلا مناسبا لما هي له من القوة كاليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتكلم والعين للابصار الى غير ذلك فالتعديل على هذا بين الاعضاء وما فيها التي هي القوة المودعة فيها وذكر لقراءة عدلك بالتخفيف وجهين الاول انه بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني انه من العدول اي فصرفك عن الخلقة المكروهة التي لسائر الحيوانات الى احسن تقويم والفاء في قوله فسويك وفي فعدلك لافادة ان ما بعدها كلام مرتب على ما قبلها في الذكر لانها عاطفة لتفصيل المجمل على المجمل موضع ذكر التفصيل بعد الاجمال كما تقول اجبته فقلت لبيك والتسوية في الاية تفصيل للخلق والتعديل تفصيل للتسوية **قوله** اي ركبك في اي صورة شاءها اختار ان يكون قوله في اي صورة متعلقا بركبك وان شاءها في موضع الجر على انه صفة لصورة فلذلك قدر الضمير بعد شاء ليربط جملة الصفة بالموصوف و لم يعطف جملة ركبك على ما قبلها لانها بيان لقوله فعدلك اي فعدلك ركبك في اي صورة تقتضيها مشيته وحكمته من الصورة المختلفة مما يشبه الاب او الام او اقارب الام او لا يشبه واحدا منهم ومن الطويل والقصير والحسن والقبيح وصورة الذكر والانثى ويحتمل ان يكون في اي صورة متعلقا بمحذوف هو حال من مفعول ركبك اي ركبك حاصلا في اي صورة شاءها وقيل انه متعلق بعدلك وفيه ان ايا اسم الاستفهام فلها صدر الكلام فلكن يعمل فيها ما تقدمها وكان الزمخشري استشعر هذا الاشكال فيكون في اي معنى التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ثم ابتدا جل ذكره فقال ما اي ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب على ان ما في ما شاء موصولة او موصوفة و هي عبارة عن التركيب فيكون مفعولا مطلقا اي ركبك تركيبا حسنا شاءه من التركيبات وتوصيفه بالحسن لتوافق معنى التعجب المستفاد من قوله اي صورة وهذا لا يحسن ان تكون نحو

[هامش: اي بما تستعد اعضاء البنية اياها سلمه]

[هامش: يريد ان اي للصفة كما في نحو مررت برجل اي رجل اي كامل في الرجولية الا انه لما اريد التعميم لم يذكر موصوفها فكانه قيل ركبك في صورة تقتضيها مشيته اي صورة في اشتمالها على الدلالة على كمال القدرة سلمه]

يجوز التقدم العامل على اسم الاستفهام وان دخله معنى التعجب لابد ان كيف واين وان دخلهما معنى التعجب لا يتقدم عاملهما عليهما **قوله** وقيل ما شرطية وشاء فعل الشرط وركبك جزاء الشرط فيكونان في موضع الجزم والمعنى بما شاء من الصور ركبك عليها والجملة الشرطية في موضع الجر على انها صفة لصورة ايضا والعائد محذوف وهو عليها **قوله** والظرف قبله عدلك معناه ان قوله في اي صورة على تقدير ان يكون ما شرطية متعلق بعدلك ولا يجوز ان يكون متعلقا بركبك لان ما في حيز الشرط لا يتقدم عليه الا يرى انك اذا قلت ان تضرب زيدا اضرب عمرا لا يجوز تقديم عمرا على ان تضرب قد مر انه لا يجوز ان يكون من صلة عدلك لانه استفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فوجب ان يكون متعلقا بمحذوف يدل عليه ركبك ومن جعله متعلقا بعدلك يجعل في اي بمعنى التعجب على معنى فعدلك في صورة عجيبة ويجعل قوله ما شاء ركبك كلاما مستأنفا قال الامام لما اخبر الله تعالى في الاية الاولى عن وقوع الحشر اشار بقوله يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الاية الى ما يدل عقلا على امكانه وعلى وقوعه وذلك لان القادر الذي خلق هذه البنية الانسانية ثم سواها وعدلها اما ان يقال انه خلقها لا لحكمة او لحكمة فان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو غير جائز على الحكيم وان خلقها لحكمة فتلك الحكمة اما ان تكون عائدة الى الله تعالى او الى العبد والاول باطل لانه تعالى متعال عن الاستكمال والانتفاع فتعين الثاني وهو انه خلق الخلق لحكمة عائدة الى العبد وتلك الحكمة اما ان تظهر في الدنيا او في دار سوى الدنيا والاول باطل لان الدنيا دار بلاء وامتحان لا دار الانتفاع والجزاء ولما بطل كل ذلك ثبت انه لابد بعد هذه الدار من دار اخرى فثبت ان الاعتراف بوجود الاله الكريم الذي يقدر على التخليق والتسوية والتعديل يوجب على العاقل ان يقطع بانه سبحانه يبعث الاموات ويحشرهم وهذا الاستدلال هو الذي ذكره بعينه في سورة والتين حيث قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم الى ان قال فما يكذبك بعد بالدين **قوله** اضراب اي اعراض عن حديث الايجاب للارتداع فان كلمة بل لنفي ما تقدم وتحقيق غيره وهو معنى الاضراب والشيء المتقدم ههنا ايجاب للارتداع عن الاغترار بكرم الله عليهم فنفي بكلمة بل ارتداعهم عنه وبين ما هو السبب في اصرارهم عليه كانه قال انهم لا يرتدعون عن الاغترار بالكرم اي عما يكون ذلك الاغترار وسيلة اليه وهو الاصرار على الكفر والمعاصي بل يجترؤن عليه على ان يكون المراد بالاغترار بالكرم لازمه وكيف لا يجترؤن عليه وعندهم ما هو السبب الاصلي لذلك وهو تكذيب يوم الحساب والجزاء على ان يراد بالدين الجزاء والمكافاة يقال دانه دينا اي جازاه ويقال كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى ومنه الديان في صفته تعالى او يراد بالدين الاسلام كما في قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام فيكون المعنى انكم تكذبون بالجزاء على الدين الذي هو الاسلام ليظهر وجه الاضراب **قوله** وان عليكم لحافظين يجوز ان تكون الجملة

[هامش: اي تجازي بفعلك ويجب فعل الجزاء الفعل المبدأ صفة للحكمة سلمه]

حالا من فاعل تكذبون اي تكذبون والحالة هذه ويجوز ان يكون مستانفة اخبرهم بذلك ليزجروا عن
تكذيب ما يكذبونه والمعنى انكم تكذبون بالجزاء والحال ان الكاتبين يكتبون اعمالكم ليجازوا بها فظهر ان المقصود
تخويف ما يكذبونه ويردعونه **قوله** لتعظيم الجزاء اي لبيان انه عند الله تعالى من عظائم الامور فانه لولا ذلك
لما وكل بضبط ما يجازونه الملائكة الكرام عنده فقوله لحافظين في تقدير للملائكة حافظين وكراما صفة
وكذا كاتبين ويعلمون يجوز ان يكون صفة ايضا وان يكون حالا من ضمير كاتبين وان يكون مستانفا
صفهم الله تعالى بكونهم حافظين لحفظهم الاعمال وبكونهم كراما لكرامتهم عند الله تعالى بجدهم في طاعته وبكونهم
كاتبين لانهم يكتبون اعمال بني آدم على علم منهم بجميع افعالهم فان قيل قوله تعالى ما تفعلون يعم افعال القلب
وهي غير مرئية ولا محسوسة فيكون هي من باب المغيبات والغيب لا يعلمه الا الله على ما قال وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو واذا لم يكن هذه الافعال معلومة للملائكة استحال ان يكتبوها والآية تقتضي ان يكونوا كاتبين
كل ما يفعلونه سواء كان ذلك من افعال القلب ام لا اجيب بان ما يفعلون عام مخصوص بافعال الجوارح و
تخصيص كثير شائع وسئل سفيان كيف تعلم الملائكة ان العبد قد هم بمعصية او بحسنة قال وجدوا منه ريح
المسك وان هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقوله تعالى وان عليكم وان كان خطاب مشافهة الا ان الامة
اجمعوا على ان هذا الحكم عام في حق كل المكلفين ثم انه تعالى بعد ان وصف الكرام الكاتبين لاعمال العباد ذكر
احوال العاملين فقال ان الابرار لفي نعيم وهو نعيم الجنة والجحيم النار ويصلونها صفة لجحيم او حال من المنوي
في الخبر ويوم الدين ظرف له **قوله** تعجيب وتفخيم جعل ما ادريك فعل التعجب المقصود به تعجب المخاطب وتفخيم شان
اليوم وهذا المعنى مستفاد بتكريره او لام الثاني تاكيد للاول فصح ان المجموع من قبيل التعجب والتفخيم وعن
ابن عباس رض كل ما في القرآن من قوله وما ادريك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه
قوله لا تدرك دراية دار اشارة الى ان ما ادريك خطاب عام وقال الاكثرون الى انه خطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم وانما خاطبه بذلك لانه ما كان عالما بذلك قبل الوحي وقيل الخطاب للكافر على وجه الزجر
له **قوله** تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا من حيث انه عرفهم انه لا يغني عنهم الا البر والطاعة
يومئذ دون سائر ما كان قد يغني عنهم في الدنيا من مال وولد واعوان وشفعاء فان اهل الدنيا قد كانوا
يتغلبون على الملك ويعين بعضهم بعضا في امور ويحمي بعضهم بعضا فاذا كان يوم القيمة بطل ذلك كله
لان الله تعالى لم يملك في ذلك اليوم احدا شيا من الامور كما ملكهم في دار الدنيا فكيف يكون حال من خالفه
وعصاه ح **قوله** او الخبر المحذوف وذلك لما قال وما ادريك ما يوم الدين قال يوم لا تملك اي هو يوم لا
تملك وقراء الباقون بالفتح ثم اختلفوا في انها فتحة اعراب او بناء ومن قال انها حركة اعراب ذكر والنصب
وجوها احدها ان يكون بدلا من يوم الدين في قوله يصلونها يوم الدين وثانيها ان يكون ظرفا لفعل محذوف
بدل عليه الدين اي يدانون ويجازون في ذلك اليوم وثالثها ان يكون منصوبا باضمار اذكر او اعني فيكون

قال اذا هم العبد بحسنة ح

فيكون مفعولا به ومن قال انها فتحة بناء قال انما بني لاضافته الى قوله لا تملك وما اضيف الى غير المتمكن قد
يبنى على الفتح وانه في موضع رفع على انه خبر مبتدا محذوف اي الجزاء يوم لا تملك بدل عليه الدين

سورة المطففين مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم

قال عطاء بن يسار ويل واد في جهنم لو ارسلت فيه الجبال لماعت من حره وقال الضحاك
ويل هو الشدة من العذاب وقال ابن كيسان هو كلام كل مكروب يتولك ويلك عبارة عن الشقاء
المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه الوجب ان يقول واويلاه ونحوه وهو مبتدا وللمطففين
خبره وجاز الابتداء به اما لانه اسم علم لواد مخصوص واما لانه في الاصل مصدر منصوب باضمار
لا من لفظه فان اصله اهلكه الله اهلاكا او هلك هو هلاكا والويل بمعنى الهلاك او الاهلاك فلما حذف
الفعل وسد الويل مسده عدل الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه كما
قيل في سلام عليك فلما كان الويل في الاصل مصدرا ساد مسد الفعل المختص بصدوره عن فاعل
معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك **قوله** لان ما يبخس
طفيف علة لتسمية من يخون في الكيل والوزن بان لا يعطي المشتري حقه تاما كاملا مطففا يعني
ان الطفيف هو الشيء الحقير القليل والتطفيف في المكيال والميزان نقص شيء طفيف من حق المشتري
بان لا يملأ المكيال الى جوانبه بان يسوي عمود الميزان بنقص شيء قليل من حقه على سبيل الخفية
وذلك لان نقص الكثير يظهر فيمنع منه فالمطفف لا يقدر ان ينقص من حق الناس الا شيا طفيفا
فسمي مطففا لذلك يقال بخسه حقه يبخسه بخسا اذا نقصه **قوله** اي اذا اكتالوا من الناس يريد
ان الاكتيال الاخذ بالكيل كالاتزان الاخذ بالميزان وان اللغة الشايعة اكتلت من فلان ولا يقال
اكتلت على فلان الا انه في الآية اقيمت كلمة على مقام من لوجهين الاول للدلالة على ان الماخوذ
ما على الناس من الحق فانه اذا قيل اكتلت عليه يراد اخذت ما عليه من حق بالكيل واذا قيل اكتلت
منه يراد استوفيت واخذت منه بالكيل والثاني الدلالة على اكتيالهم من الناس اكتيال فيه
اضرار لهم وتحامل عليهم فان كلمة على تدل على الاضرار والظلم يقال تحامل عليه اي ظلمه فقوله اكتالوا
عليه بمعنى اخذوا منه اخذا متضمنا للتحامل والظلم عليه وقيل ان هذا الوجه يابى عنه قوله تعالى يستوفون
لان معناه يكملون ويقبضون حقهم تاما وانما يكون تصور الظلم والاضرار فيه فالوجه الاول
اظهر واقرب **قوله** اي اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يريد ان اللغة الشايعة ان يقال كالوا
لهم او وزنوا لهم ولا يقال كلته او وزنته وان الآية اما من قبيل الحذف والايصال كما في جنيتك
بمعنى جنيت لك وفي الاصل كالوا لهم المبيع فحذف المفعول به للعلم به ثم حذف الجار واوصل
الفعل فلفظ هم منصوب المحل متصل في التقدير عائد الى الناس واما من قبيل حذف المضاف

وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره

وإقامة المضاف إليه مقامه والتقدير كالوا مكيلهم ولم يستحسن أن يكون لفظة هم ضميرا مرفوعا
منفصلا مؤكدا للضمير الفاعل المتصل بالفعل لوجهين الأول أنه ح يفوت ارتباط أحد الكلامين
بالآخر وذلك لأن الكلام الأول وهو قوله إذا اكتالوا على الناس يستوفون مسوق لبيان حال المطففين
في الأخذ ولا يرتبط الكلام الثاني به إلا أن يبين أن حالهم في الدفع تخالف حالهم في الأخذ وهو يقتضي اتحاد
مباشر الأخذ والدفع وفاعلهما فلو جعل المنفصل تأكيدا للمرفوع المتصل لزم أن المقصود بيان
اختلاف الحالين بمباشرتهم ومباشرة غيرهم وليس بمقصود ولا يطابق ما قبله أيضا لأن
المعنى ح إذا أخذوا من الناس استوفوا وإذا تولوا الكيل أو الوزن هم بخصوصهم أخسروا
ونقصوا حق صاحب الحق ولا يخفى أنه كلام متنافر المعنى خارج عن الانتظام والالتئام والثاني
أنه لو كان مرفوعا مؤكدا لوجب أن يكتب الألف بعد واو الجمع في إمام المصاحف كما هو الأصل
في أمثال ذلك فقعدوا وهم وقاموا هم **قوله** ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك
عن بنات الأوبر والعساقل ضرب من الكمأة الواحدة عسقول وهي الكمأة الكبار البيض
يقال لها شحمة الأرض والكمأة واحدها كمء على غير القياس وهو من النوادر يقال هذا كمء و
هذان كمآن وهؤلاء أكمؤ ثلثة فإذا كثرت فهي الكمأة وبنات الأوبر كمأة صغار زغبة على لون
التراب يقال جنيت الثمرة اجتنيها جنيا إذا أخذتها من منابتها يقال جنيتك كذا أي اجتنيته لك يعني
من الكمء من أجودها ونهيتك عن النوع الآخر الذي هو أردأ أنواعها **قوله** وفيه إنكار
وتعجيب من حالهم الإنكار مستفاد من صورة الاستفهام فإن ألا هنا ليست هي التي للتنبيه بل
هي همزة استفهام دخلت على لا النافية فأفادت الإنكار على انتفاء ظنهم والتعجيب مستفاد من
ذكر الظن في موضع ذكر اليقين والإنكار على انتفائه فإن الواجب على العاقل أن يتيقن بالبعث
والحساب والجزاء لتعاضد الدلائل العقلية والنقلية عليها فلا يتجاسر على ما يوجب الافتضاح
والخجالة في يوم الحساب وإن لم يتيقن به فلا أقل من أن يظنه ومن يتجاسر على ارتكاب القبائح
يرى من ظاهر حاله أنه لا يظن البعث والحساب ولا يخطر ذلك بباله فضلا عن التيقن به لأن
الظن كان في حصول الخوف الموجب للامتناع عنها وعدم امتناعه يدل على انتفاء ظنه بذلك
إيجاد ذلك أمر عجيب **قوله** ليحكم بتقدير المضاف أي يقومون لمجرد أمره وحكمه بذلك لا لشيء
آخر ويجوز أن يكون المضاف المقدر للمحاسبة أو الرد أي يوم يقومون لمحاسبة رب العالمين
فيظهر بناء تطفيفهم بذلك القدر الطفيف الحقير خفية وظلما يقتص للمظلوم من الظالم
أو يوم يقومون لرد رب العالمين أرواحهم إلى أجسادهم فيقومون من مراقدهم لذلك وروي
في قيامهم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقوم أحدكم في رشحه إلى أنصاف أذنيه وفي كتبه
ذلك

ذلك القيام أنه عليه الصلوة والسلام قال يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنين من سني الدنيا
لا يؤمر فيهم بأمر وعن ابن عباس وابن مسعود رض يمكثون أربعين عاما ثم يخاطبون وقال
ابن عباس رض وهو في حق المؤمن كقدر انصرافهم من صلوة مكتوبة **قوله** وفي ذكر الظن فإن
ذكره ليس لأجل أمر البعث والقيام والمحاسبة من القضايا التي يكفي للمؤمنين أن يظن
بوقوعه لأنه مما يجب أن يعتقد المؤمن اعتقادا جازما ثابتا بل إنما ذكره للمبالغة في المنع عن
التطفيف لدلالته على أن الظن بالبعث والقيام يكفي في الامتناع والارتداع عن أمثاله فضلا
عن الجزم واليقين وكذا وصف اليوم بالعظيم فإن ما يستعظمه الله لا شك أن يكون
في غاية العظمة وقد مر أن عظمته لعظم ما يكون فيه من الأهوال وكذا ذكر القيام من القبور
للحساب والجزاء لحكم الله بذلك فإن المطفف إذا حكم عليه بذلك القيام والمحاسبة والمجازاة
على تطفيفه يكون ذكر مبالغة في المنع عنه وتعظيما لإثمه لا سيما وقد وصف الله نفسه لكونه
ربا للعالمين المشعر بالمالكية والتربية فلا يشنع عليه الظالم المتوثق لكونه مملوكا مسخرا في قبضة
قدرته ولا يترك حق المظلوم الضعيف لأنه رب العالمين ومقتضى التربية إذ لا يضيع شيئا
من حقوق المستضعفين وأصل المنع عن التطفيف حصل بقوله أولا ويل للمطففين لأنه كلمة
المكروب الواقع في بلية فدل بذلك على أنهم تنزل بهم بسبب تطفيفهم بلية وعذاب هائل فيدعون لذلك
على أنفسهم بالويل والثبور وما ذكر بعده للمبالغة فيه قال أعرابي لبعض من الملوك قد سمعت
ما قال الله في المطففين وأراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل
فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن **قوله** ما يكتب من أعمالهم لما ورد
أن يقال إنه تعالى قد أخبر أن كتاب الفجار في سجين ثم فسر السجين بقوله كتاب مرقوم فصار
كأنه قيل إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه أشار المص إلى توجيه المعنى بأن الكتاب في كتاب
الفجار مصدر كتب يقال كتب كتابا وكتابة ثم إن المصدر إما أن يكون بمعنى المفعول كضرب
الأمير والكتاب الذي فسر به السجين بمعنى السفر الذي كتب فيه فالمعنى الأعمال المكتوبة للفجار
مثبتة في الكتابع الجامع لجميع أعمال الفجرة وإما أن يكون باقيا على معناه ويقدر المضاف فتقدير
كتاب الفجار كتابة أعمال الفجار في الكتاب الجامع وقال التفتازاني قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين
بل هو خبر بعد خبر لأن والمعنى أن كتاب الفجار لفي سجين وإنه كتاب مرقوم وقوله وما أدريك ما
سجين وقع معترضا بين الخبرين وقال الإمام أي استبعاد في كون أحد الكتابين في الآخر إما
بأن يوضع كتاب الفجار في الكتاب الذي هو الأصل المرجوع إليه في تفصيل أحوال الأشقياء أو
بأن ينقل ما في كتاب الفجار إلى ذلك الكتاب المسمى بالسجين وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد

ع هو ديوان الشر دون فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين انتهى

بالكتاب الكتابة فيكون المعنى كتاب الفجار لفي سجين اي كتابة اعمالهم في سجين ثم وصف السجين
بانه كتاب مرقوم فيه اعمال الفجار انتهى كلامه بعبارته **قوله** اي مسطور بين الكتابة الجوهري الرقم
الكتابة والختم فان فسر المرقوم بالمكتوب يكون توصيف الكتاب به للدلالة على انه بين الكتابة
بحيث كل من نظر اليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وامعان توجه وان فسر بالمختوم يكون المقصود الدلالة
على ان ذلك الكتاب يشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من اصحاب النار لان الختم
علامة وكونه علامة الشر مستفاد من المقام لانه مقام التهويل **قوله** فعيل من السجن اختلف
في ان السجين اسم علم لشيء معين او اسم مشتق عن معنى فمن ذهب الى الثاني قال انه فعيل من
السجن وهو الحبس والتضييق كما يقال فسيق من الفسق **قوله** لقب به الكتاب يعني انه في الاصل
من اسماء الصفة وموضوع للمبالغة ساجن ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب تسمية
للسبب باسم المسبب ودلالة على المبالغة في كونه سبب الحبس والتضييق من حيث ان الحبس
الواقع به للخلود والابد وان كان السجين مبالغة المسجون يكون تسمية الكتاب به لكونه مطروحا
في اسفل المواضع واوحشها من حيث الظلمة والضيق وفيه ابليس وذريته فيطرح فيه كتاب
اعمال الفجار من حيث ان اعمالهم لا يقبل فلا يصعد موضع القبول **قوله** وقيل هو اسم مكان
من ذهب الى انه في الاصل اسم علم لشيء معين منهم من قال انه الارض السابعة السفلى وقيل فيها
ابليس وذريته وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سجين جب في جهنم وقال الكلبي ومجاهد
سجين صخرة تحت الارض السابعة وعن ابن عباس رض انه قال لكعب الاحبار اخبرني عن سجين
وعليين فقال كعب والذي نفسي بيده لا اخبرنك عنها الا ما اجده في كتاب الله المنزل اما سجين
فانها صخرة سوداء تحت الارضين السبع مكتوب فيها اسم كل شيطان فاذا قبضت نفس
المرء الكافر عرج بها الى السماء فغلقت ابواب السماء دونها ثم رمي بها الى سجين فذلك هو
السجين واما عليون فانه اذا قبضت نفس المرء المسلم عرج بها الى السماء وفتحت لها ابواب السماء
حتى ينتهي الى العرش قال فتخرج كوة من العرش فتكتب له نزله وكرامته فذلك عليون وقيل حفظ كتاب
الفجار في اسفل المواضع واشدها عذابا الى ان يبعثوا اعلام بسوء احوال اصحابه وخساستهم ثم
ان كان السجين اسما لاقبح المواضع واسفلها لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يقدر المضاف
الى سجين او الى كتاب ليصح الحمل واشار اليه المص بقوله والتقدير ما كتاب السجين **قوله** بالجملة بذكر
ان اتصل قوله ويل يومئذ للمكذبين بقوله يوم يقوم الناس لرب يكون المعنى ويل يوم يقوم
الناس لرب العالمين لمن كذب باخبار الله تعالى وان اتصل بقوله كتاب مرقوم ومعنا مرقوم برقم يدل
على شقاوة صاحبه يوم القيمة يكون المعنى ويل في ذلك اليوم للمكذبين بذلك **قوله** صفة مخصصة او

او موضحة او ذامة التخصيص في اصطلاحهم تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات في مثل رجل صالح
فان الصفة فيه تقلل شركة الموصوف ولم يعينه والتوضيح رفع الاشتراك الحاصل في المعارف اعلاما
كانت او لا نحو زيد العالم والرجل الفاضل ولام التعريف في المكذبين ههنا ليست للاشارة الى النفس الحقيقة
مع قطع النظر عن تحققها في ضمن الفرد وهو ظاهر ولا للاستغراق لان المكذب بالباطل ليس بمراد قطعا فهي
اما للتعريف العهد الذهني فيكون في حكم النكرة كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فالوصف يقلل اشتراكه
ويخصصه بمن يكذب بيوم الدين واما لتعريف العهد الخارجي والمعهود هم المكذبون باخبار الله تعالى
او يكون كتاب الفجار في سجين مرقوم بما يدل على شقاوة صاحبه يوم القيمة وهم وان كانت [illegible]
متعينة الا انهم وصفوا بما هو اخص اوصافهم وهو التكذيب بيوم الدين لزيادة الايضاح ورفع
ما عرض لهم من بعض الشركة والابهام من بعض الوجوه والموصوف المعرف ان لم يعرض له قبل
التوصيف شيء من الشركة والابهام يكون التوصيف لمجرد الثناء كما في بسم الله الرحمن الرحيم
اذ لا يتصور عروض الشركة للمسمى باسم الله او لمجرد الذم كما في نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
والوصف ههنا كما يجوز ان يكون للتخصيص والتوضيح يجوز ان يكون للذم ايضا بناء على ان تكذيبهم
بيوم الدين علم من قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم **قوله** المخدجة اي المنتجة بنتيجة
باطلة والمخدجة نائدة ناقصة منقطعة يقال اخدجت الناقة اذا جاءت بولدها ناقص الخلق و
الاعتداء هو التجاوز عن المنهج الحق وحمله المص على اهمال القوة النظرية التي كمالها ان يعرف الانسان
بها الحق لذاته فشأن ان يعرف وحدة الصانع واتصافه باوصاف الجلال والكمال وتنزهه عما لا يليق
بشأن الالوهية والمكذب بالبعث والقيمة انما يكذبه لاستقصاره قدرة الله تعالى وعدم اعتقاده بكونه
تعالى قادرا على جميع الممكنات او لاستقصاره علمه وعدم اعتقاده بكونه عالما بجميع المعلومات من
الكليات والجزئيات حتى يتنبه بانه عالم بتفاصيل اجزاء الشخص متميزا عن اجزاء غيره وانه قادر
على جمعها واعادة الحيوة فيها ولا شك ان من وصف الله تعالى بما لا يجوز ان يوصف به فقد اهمل قوته النظرية
ولم يستعملها ليكتسب بها العقائد الصحيحة ويعتقدها والاثيم يدل على المبالغة في ارتكاب الاثم والمعاصي والاشتغال
بالشهوة والغضب بحيث لم يتفرغ بذلك للعبادة والطاعة بل للنظر المؤدي الى الايمان بالبعث
والقيمة ومن كان شأنه فقد اهمل قوته العملية التي كمالها ان يعرف الخير لاجل العمل به ثم انه تعالى بالغ
في ذم المكذب بان وصفه بالاعتداء عن النظر في شواهد النقل بانكار النبوة والقدح في كون القران
من عند الله تعالى والاعتداء بهذا الوجه وان كان مندرجا في الاعتداء المذكور اولا الا انه خص بالذكر
للمبالغة في ذم من اتصف به فان امر الارسال والانزال اشرف اثار رحمة الله تعالى وفضله على عباده
ومن انكر سماتهم في غاية الطغيان ولا يستبعد منه تكذيب يوم الدين وفي الصحاح السطر سكون

الطاء الصف من الشيء ويجمع على اسطر وسطور مثل افلس وفلوس في جمع فلس والسطر بفتح
الطاء مثله ويجمع على اسطار مثل سبب واسباب ثم يجمع على اساطير والاساطير الاباطيل الواحد
اسطورة بالضم واسطارة بالكسر انتهى فاساطير الاولين اي اكاذيبهم واخبارهم الباطلة و
الظاهر انه عام في حق جميع الموصوفين بهذه الصفات نظرا الى لفظ كل وقيل المراد به الوليد بن المغيرة
احتجاجا بقوله في سورة ن ولا تطع كل حلاف مهين الى قوله معتد اثيم الى قوله اذا تتلى عليه اياتنا
قال اساطير الاولين حيث نزلت في الوليد بن المغيرة فعلى هذا يكون المعنى وما يكذب بيوم الدين
من قريش او من قومك الا كل معتد اثيم وهو هذا الشخص المعين **قوله** ردع لما قاله اشارة الى ان وجه
الاضراب ههنا ابطال الكلام المتقدم والاعراض عنه لبطلانه مع الشروع في كلام متعلق
به وقد يكون الاضراب بمجرد الاعراض عما سبق وجعله في حكم المسكوت عنه مع الشروع فيما
هو اهتم منه وههنا اوجب عليهم الارتداع عن ذلك القول المنكر ثم اضرب عنه الى بيان ما ادى
بهم اليه كانه قيل ليس الامر كما يقولون من انه اساطير بل افعالهم الماضية كان سببا لحصول
الرين في قلوبهم فلذلك اجترؤوا على ان يقولوا ذلك وفسر الرين بالصداء والدنس واشار
في اثناء تقريره الى تفسيره بالغلبة كما قال ابو عبيد كل ما غلبك فقد ران بك وران عليك
وران على قلوبهم غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت يرين على الميت اي يغلب
فيذهب به ويقال رين بالرجل اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه وقيل الرين ان
يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع على القلب وهو اشد من الرين والاقفال اشد
من الطبع وهو ان يقفل على القلب وقال الزجاج ران على قلوبهم بمعنى غطى على قلوبهم يقال
ران على قلبه الذنب يرين رينا اي غشيه والرين كالصدا يغشى القلب مثل الغيم **قوله**
فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات تعليل لكون الانهماك في المعاصي سببا لغلبة حب
المعاصي عليهم فان من اراد تعلم الكتابة فكلما كان اتيانه بعمل الكتابة اكثر كان اقتداره
على عمل الكتابة اتم واكمل الى ان يصير بحيث يقدر على الاتيان بالكتابة من غير روية وفكر بل يصير
ذلك كالامور الطبيعية التي جبل عليها الانسان فهذه الهيئة النفسانية والملكة الراسخة لما
تولدت من تلك الاعمال الكثيرة كان لكل واحد من تلك الاعمال اثر في حصول تلك الملكة النفسانية
فكذا الانسان اذا واظب على اتيان بعض انواع الذنوب حصلت في قلبه ملكة نفسانية يزول
بسببها اباؤه عن الاتيان بذلك الذنب ويسهل عليه ذلك ولا معنى للذنب الا كل ما يشغلك بغير
الله ويقصد لغير وجهه وينيل مرضاته فيكون ظلمة على القلب فاذا الذنوب كلها ظلمات وسواد
كما ان الطاعات كلها انوار وضياء فكلما كثرت الذنوب ازداد القلب سوادا وبحسب اسوداد

الختم والطبع الاثر الحاصل من نقش الخاتم وربما في الاصل مصدران بمعنى ضرب الخاتم على الشيء كالكتب والثوب لحفظه ومنع الغير من التعلق به سلمه

اسوداد القلب يزداد المرء وقاحة حتى اذا اسود القلب كله والعياذ بالله لم يبق في قلبه
شيء من الحياء والخشية ويرتفع بالكلية ما يمنعه عن اتباع الشهوة والغضب فيغلب عليه
حب المعاصي فيقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولما كانت مراتب الملكات في الشدة والضعف
مختلفة لا جرم كانت مراتب القلب واسوداده مختلفة فبعضها يكون رينا وبعضها طبعا
وبعضها اقفالا وقيل للانسان ثلثة انواع من الذنوب تقابلها في الدنيا ثلث عقوبات الاولى
الغفلة عن العبادات وذلك يورث جسارة على ارتكاب الذنوب وهي المشار اليها بقوله عليه
الصلوة والسلام ان المؤمن اذا اذنب ذنبا ورث في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر
صقل قلبه وان ازداد ازدادت حتى يغلق قلبه والثاني الجسارة على ارتكاب المحارم اما
لشهوة تدعوه اليها او شرارة تحسنه في عينه فتورثه وقاحة وهي المعبر عنها بالرين في قوله
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والثالث الضلال وهو ان يبتلى الى اعتقاد مذهب باطل
واعظمه الكفر فلا يكون يلتفت عنه بوجه الى الحق وذلك يورثه هيئة تمرنه على استحسان المعاصي
واستقباح الطاعات وهو المعبر عنه بالختم والطبع في نحو قوله اولئك طبع الله على قلوبهم وقوله
وختم على سمعه وقلبه وبالاقفال في قوله ام على قلوب اقفالها وما في قوله ما كانوا يكسبون يجوز ان
يكون مصدرية وان يكون موصولة وراجعها محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية على كلا التقديرين
اي غلب على قلوبهم كسبهم او الذي كانوا يكسبونه **قوله** فلا يرونه بخلاف المؤمنين سئل مالك بن
انس عن هذه الاية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه لابد ان يتجلى لاوليائه حتى يروه وعن
الشافعي رح لما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضى وقال مقاتل يعني انهم بعد العرض
والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرونه وهذه الاية من جملة ادلة الرؤية من حيث انه لما
ذكر هذا الحجاب في معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديدا للكفار لا يجوز
حصوله في حق المؤمن فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمن والا لما كان للتخصيص فائدة
واجاب المعتزلة عنه بحمل الكلام على الاستعارة التمثيلية فانه اذا قيل فلان محجوب عن السلطان
يراد انه مهان ومردود عنده والسلطان ساخط عليه غير راض عنه فلذلك حجبه عن رؤيته
وحضور مجلسه ثم انه شبه حال المكذبين في اهانتهم عند الله وكونهم متعلق سخطه بحال المهانين
المحجوبين عن بعض السلاطين فاطلق في حق المكذبين الكلام المقول في حق هؤلاء
المحجوبين على طريق الاستعارة التمثيلية ونحن نصرف النصوص المتعاضدة الدالة على الرؤية
عن ظواهرها بناء على ان النشأة الاخرى مخالفة للاولى في كثير من الامور قال الله تعالى وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وهو تعالى قادر على كل شيء فيقدر على ان يخلق

الرؤية فمن انشاه يوم البعث فيرون من هو منزه عن جميع الجهات الكميات والكيفيات
والكفار لما صاروا المحجوبين في عرصة القيمة عن رؤية الله تعالى فعند ذلك يؤمر بهم الى النار ثم اذا
دخلوها يوبخون بتكذيبهم بالبعث والجزاء وهو قوله تعالى ثم انهم لصالوا الجحيم الى قوله كلا **قوله** تكرير
وهو قوله كلا ان كتاب الفجار لفي سجين لما ذكر حال الفجار المطففين اتبعه بذكر حال الابرار الذين
لا يطففون فقال ردعا للمطففين عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب **قوله** الكلام
فيه ما مر في نظيره يعني ان كتاب الابرار بمعناه الاعمال المكتوبة للابرار على ان الكتابة مصدر
بمعنى المكتوب او كتابة اعمال الابرار على ان عليين في الاصل جمع علي وهو فعيل من العلو للمبالغة
فيه ثم نقل من الوصفية وجعل علما للكتاب الجامع لكونه سببا للعلو صاحبه غاية العلو او لكونه
موضوعا في ارفع المواضع واشرفها والحكم على عليين وهو جمع ما لكتاب المرقوم باعتبار كل واحد
من احاده والمرقوم ان كان بمعنى المكتوب يكون المعنى انه كتاب بين الكتابة بحيث يقرا بلا كلفة
وان كان بمعنى المختوم فالمعنى انه كتاب معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بالنعيم الدائم
وملك لا يبلى وقيل عليون اسم مكان واعرب كاعراب الجمع لانه على لفظ الجمع ثم اختلفوا فروي
عن ابن عباس رض انها السماء الرابعة وفي رواية اخرى عنه انها السماء السابعة وقال قتادة
ومقاتل هي قائمة العرش اليمنى فوق السماء السابعة وقال الضحاك هي سدرة المنتهى وقال
الزجاج اعلى الامكنة فعلى كونه اسم مكان لا يصح ان يحمل عليه كتاب مرقوم الا بان يحمل الكلام على
حذف المضاف من الاول او من الثاني ويكون وما ادريك ما كتاب عليين او هو محل كتاب مرقوم
ولا بعد في ان يكون الكتاب في الموضعين بمعنى السفر المكتوب فيه وان يكون احد الكتابين في الاخر
اما بان يشتمل ما في كتاب الابرار الى ذلك الكتاب الذي وكل الملائكة بحفظه او بان توضع معه و
يحفظ احفظه فكانه تعالى وكل المقربين من الملائكة بحفظ اللوح المحفوظ وكلهم بحفظ كتب الابرار
معه ولا يبعد ان الحفظة اذا صعدت بكتب الابرار فانهم يسلمونها الى هؤلاء المقربين فيحفظونها
كما يحفظون ام الكتاب فكما ان المقصود من وضع كتاب الفجار في اسفل السافلين وفي اخس
المواضع اذلال الفجار وتحقير شانهم فكذلك المقصود من وضع كتاب الابرار في اعلى المواضع
واشرفها تعظيم الابرار وتكريمهم وليكون علم الملائكة بما حفظوه من اعمالهم سببا لشهادتهم
لهؤلاء الابرار فكذلك يحاسبون حسابا يسيرا حيث شهد لهم الملائكة المقربون **قوله** على الاسرة
في الحجال وهي جمع حجلة بالتحريك وهي بيت العروس يزين بالثياب والاسرة والستور فان الاسرة
لا تسمى اريكة الا اذا كانت في الحجال عن الحسن كنا لا ندري ما الاريكة حتى لقينا رجلا من اهل اليمن
اخبرنا ان الاريكة عندهم ذلك لما عظم الله كتاب الابرار في الاية المتقدمة عظم بهذه الاية منز

منزلتهم فقال ان الابرار لفي نعيم ثم وصف كيفية ذلك النعيم بامور ثلثة اولها قوله على الارائك
ينظرون وثانيها قوله تعرف في وجوههم نضرة النعيم وثالثها قوله يسقون من رحيق مختوم وقوله
على الارائك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا من المستكن في الخبر او من الفاعل في ينظرون واما
ينظرون فيجوز ان يكون مستانفا وان يكون حالا اما من المستكن في الخبر او في الظرف اي ناظرين الى
ما اعطوا في الجنة مما يسرهم وحذف المفعول للتعميم **قوله** بهجة التنعم اي اذا رايتهم عرفت انهم اهل
النعمة بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار على ما قال
تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال عطا ان الله تعالى يزيد في وجوههم من النور و
الحسن والبياض ما لا يصفه واصف **قوله** اي مختوم اوانيه ليس مراده بيان ان اسناد
اسناد الختم الى الرحيق من قبيل الاسناد المجازي بل بيان ان الختم على الشيء المكرم المصون
اي الاستيثاق منه بالختم طريقه ان يختم ظرفه واناؤه ويكرم باله واظهار النفاسة كما ان تعيين
مكان الطين لان يختم به لذلك لا لجرار الدبس المنقولة الى بلدة كلي بولي فان العادة ان يختم عليها
بالطين والرحيق من الخمر صفوته وخالصه الذي لا غش فيه ولا شيء يفسده ولعله هو الخمر
الذي وصفه الله تعالى بقوله لا فيها غول وكونه صافيا بهذا المعنى لا ينافي كونه ممزوجا بالتسنيم وفي
الجنة خمر اخر تجري منها انها كالماء وانها من خمر لذة للشاربين الا ان هذا المختوم اشرف
من الجاري وقال ابو عبيدة والمبرد والزجاج المختوم الذي له ختام اي عاقبة لا تحصل الا اول
زمان الملابسة به فالمعنى انه يوجد رائحة المسك عند خاتمة شربه فان ختام الشيء وخاتمته
اخره ووصف الرحيق بان عاقبة شربه هي ريح المسك عبارة عن كونه ممزوجا بالمسك لانه
لو لم يمزج بالمسك لما حصل فيه رائحة المسك فان علقمة والضحاك وسعيد بن جبير ومقاتلا
وقتادة قالوا اذا رفع الشارب فاه من اخر شربه وجد رائحة كريح المسك وقراءة الكسائي
يؤيد الوجه الثاني فان خاتم الشيء بفتح التاء اخره كما يقال خاتم النبيين وقال الفراء وهما
متقاربان في المعنى الا ان الخاتم اسم والختام مصدر كقولهم هو كريم الطابع والطابع **قوله**
فليرتغب المرتغبون يقال نفس الشيء بالضم نفاسة اي صار مرغوبا فيه ونافست في الشيء
منافسة اذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم وتنافسوا فيه اي رغبوا كلهم يباري فلانا
اي يعارضه ويفعل مثل فعله ونفس به بالكسر اي ضن به يقال نفست عليه الشيء نفاسة اذا لم
تره يستاهله كذا في الصحاح وقال الواحدي يقال نفست عليه الشيء انفسه نفاسة اذا ضننت
به ولم تحب ان يصير اليه والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر
به والمعنى وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى لان النعيم الذي هو مكتوم رحيق

فيختم انا الرحيق
بالطين لا باناء ينظر
ثلاثة ختمه للابرار منه

وقال النحوي واصله من الشيء النفيس الذي
كحرص عليه نفوس من الناس وبريده
كل احد لنفسه وينفس به على غيره
الا
بخل به

وبالغة الله في الترغيب
فيه بدلالة على علو شانه منه

المزوال قوله سميت تسنيما وهو مصدر سنمه اذا رفعه فان اصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع ومنه
سنام البعير وتسنم الحائط اذا علوته سميت العين التي في الجنة تسنيما اما لانه ارفع شراب
في الجنة قدرا واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء مسنمة فتنصب في اوانيهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما اشرف شراب اهل الجنة هو التسنيم لانه يشربه المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين واعلم
ان الله لما قسم المكلفين في سورة الواقعة الى ثلثة اقسام المقربون واصحاب اليمين واصحاب
الشمال ثم انه لما ذكر كرامة الابرار المذكورين في هذه السورة بانه يمزج شرابهم من عين يشرب
المقربون صرفا علمنا ان المذكورين في هذه الموضع هم اصحاب اليمين والتسنيم في الجنة الروحانية
هو معرفة الله ولذة النظر الى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج بمطالعة عالم الموجودات
فالمقربون الذين هم افضل اهل الجنة لا يشربون الا من التسنيم اي لا يشتغلون الا بمطالعة وجهه
الكريم واصحاب اليمين يكون شرابهم ممزوجا فتارة يكون نظرهم اليه وتارة الى المخلوقات قوله
وانتصاب عينا على المدح اي بتقدير اعني او على انه حال من تسنيم بمعنى جاريا فان التسنيم لكونه علما
لعين بعينها في الجنة معرفة فيجوز تأخر الحال عنه فالمعنى ومزاجه ذكر الشراب المسمى بالرحيق من الماء
العالي جاريا قوله والكلام في الباء كما مر في سورة الانسان من انها اما صلة الالتذاذ اي يشرب
المقربون ملتذين بها او بمعنى من لان الشرب مبتدأ منها كما هو او مزيدة اي يشربها بتقدير شرب مائها
لان العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها ويحتمل ان تكون بمعنى في اي يشربون وهم فيها والجملة في
موضع الصفة لقوله عينا قوله يعني رؤساء قريش اشارة الى ان سبب النزول ان اكابر
المشركين كابي جهل والوليد بن المغيرة وامثالهما كانوا يضحكون من فقراء المسلمين ويستهزؤن
بهم كعمار وصهيب وبلال وقيل جاء علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين رض فسخر منهم المنافقون
وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت
هذه الاية قبل ان يصل علي رض الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والاصلع الذي انحسر شعر مقدم
رأسه وكانهم قالوا ذلك في حق علي رض لانه كان يحلق رأسه منذ سمع من رسول الله صلى الله عليه
وسلم قوله تحت كل شعرة جنابة ومال علي رض ومن ثم عاديت رأسي واعلم انه تعالى لما وصف كرامة
الابرار في الاخرة ذكر بعد ذلك قبح معاملة الكفار معهم في الدنيا في استهزائهم وضحكهم ثم بين
ان ذلك سينقلب على الكفار في الاخرة والمقصود منه تسلية المؤمنين وتقوية قلوبهم وذكر
من معاملاتهم القبيحة اربعة اشياء اولها قوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا كانوا
يضحكون اي يستهزؤن بهم ويدينهم وثانيها قوله واذا مروا بهم يتغامزون التغامز التفاعل
من الغمز وهو الاشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز ايضا بمعنى العيب يقال غمزه اذا عابه
وما

وما في فلان غميزة اي ما يعاب به والمعنى انهم يشيرون اليهم بالاعين استهزاء ويعيبونهم و
يقولون انظروا الى هؤلاء يتعبون انفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه
في الاخرة من المثوبات وامر البعث والجزاء لا يتيقن به وانه بعيد كل البعد وثالثها قوله واذا
انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين اي معجبين فرحين بما فعلوا بالمؤمنين وهو حال من فاعل
انقلبوا كما ان حافظين حال من فاعل ارسلوا وقرئ فاكهين وفكهين لغتان بمعنى ناعمين ملتذين
وقيل فاكهين اي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر وايثار الحظ العاجل وفكهين معجبين
الجوهري فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر والبطر والفاكه
الناعم المتلذذ بما هو فيه ورابعها قوله تعالى واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون اي هم على ضلال
في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدرى هل له وجود ام لا ثم قال وما ارسلوا عليهم
حافظين معناه ان الله لم يبعث هؤلاء الكفار رقباء على المؤمنين يحفظون عليهم احوالهم
ويتفقدون ما يصنعونه من حق او باطل فيعيبون عليهم ما يعتقدونه ضلالا وانما امروا
باصلاح انفسهم وان تنفس لهم في تتبع احوال غيرهم قوله حين يرونهم اذلاء مغلوبين في النار
مع قوله هل ثوب الكفار الخ ذكر في سبب ضحك المؤمنين من الكفار وجهين الاول ان المؤمنين
يضحكون على الكفار بسبب ما هم فيه انواع العذاب والبلاء المؤبد وانهم اختاروا اللذة
اليسيرة الفانية على راحة الابد بخلاف انفسهم فانهم نالوا بالتعب اليسير راحة الابد ودخلوا
الجنة فجلسوا على الارائك ناظرين اليهم كيف يعذبون في النار وكيف يصطرخون فيها ويدعون
بالويل والثبور ويلعن بعضهم بعضا والوجه الثاني في سبب ضحك المؤمنين منهم ما قيل
من انه يفتح لاهل النار وهم فيها باب الى الجنة الخ قوله حال من يضحكون منهم ناظرين اليهم
والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر في الدنيا والظاهر ان قوله تعالى هل ثوب الكفار
الاية كلام مستانف من قبل الله تعالى او من قبل الملائكة تنبيها لهم على ان اعداءهم قد جوزوا واخذوا
ما فعلوا من ضحكهم بالمؤمنين ليزدادوا بذلك سرورا الى سرورهم لانه يقتضي زيادة في تعظيمهم

فان اهانة الاعداء تعظيم للاولياء **سورة الانشقاق مكية**

بسم الله الرحمن الرحيم وهو الانصداع والانفراج والباء في
قوله بالغمام للالة كما في قولك انشقت الارض بالنبات والمعنى ان السماء تنشق بغمام يخرج منها و
الغمام السحاب حل يكون في ذلك الغمام ملائكة العذاب وكان ذلك اشد وافظع من حيث انه
جاء العذاب من موضع الخير فعلى هذا يكون انشقاق السماء لنزول الملائكة وقيل للسقوط
والانشقاق الجوهري المجرة التي في السماء سميت بذلك لانها كانت المجر يقال لابا المغارسة راء

وقد جوز ان يكون ذكر ما جملة قول المحكي بفتح كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قالوا ذلك بطريق الاستهزاء والتهكم كما في قوله تعالى يا شعيب ما تامرك الآية وفي قوله صلى لا افعل لك

لمكث ان تنشق السماء من ذكر الموضع كانه منفصل ملتئم فينصدع منه **قوله** واستمعت له
الجوهري اذن له اذنا استمع وانشد ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما سمعوا من صالح
دفنوا صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بشر عندهم اذنوا وعن ابي هريرة رضي الله عنه
صلى الله عليه وسلم قال ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقران اي ما استمع الى شيء كاستماعه الى
صوت نبي يقرأ الكتاب المنزل عليه وهو مجاز عن الاعتداد بذلك واستجادته له فان معنى اذن
لغة انه وجه اذنه الى السامع فاذا اطلق في حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الاجابة
والانقياد مجازا واذا اطلق في حق نحو السماء مما ليس من شانه الاستماع والقبول يكون استعارة
تمثيلية بان شبهت حال السماء في انقيادها لتاثير قدرة الله تعالى حين اراد انشقاقها بانقياد
المستمع المطاوع للامر فاستعير لها ما استعمل فيه فهي استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل قال
الامام والمعنى انه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تاثير قدرة الله تعالى في شقها وتفريق اجزائها
فكان في قبول ذلك التاثير كالعبد الطائع الذي اذا ورد عليه الامر من جهة المالك انصت له واذعن
ولم يمتنع فقوله تعالى قالتا اتينا طائعين يدل على نفوذ القدرة في الايجاد والابداع من غير
ممانعة اصلا وقوله ههنا واذنت لربها يدل على نفوذ القدرة في التفريق والاعدام والافناء
من غير ممانعة اصلا وحقيقة لا ان شيء وتطيع لامر الله تعالى فهي مربوبة مصنوعة له تعالى وحكمه
في ذاته الممكن ليس له الا القبول والاستعداد وكل واحد من الوجود والعدم بالنسبة اليه على
السوية وترجيح وجوده على عدمه او ترجيح عدمه على وجوده لا بد ان يكون بتاثير واجب الوجود
وترجيحه فيكون تاثير قدرته في ايجاده واعدامه نافذا من غير ممانعة اصلا **قوله** والاكام وهي
جمع اكم بضمتين مثل عنق واعناق والاكم جمع اكام مثل كتب وكتاب والاكام جمع اكم مثل جبل
وجبال والاكم جمع اكمة مثل ثمر وثمرة والاكمة الجبل الصغير فان زلزلة الساعة تزيل جبال الارض
والاكام وتنسفها نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا فيستوي ظهر الارض
وتنبسط وعن ابن عباس رضي تمد مد الاديم العكاظي لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه
واستوى فعلى هذا قوله تعالى مدت ماخوذ من مددت الشيء فامتد وقيل انه ماخوذ من مده بمعنى امده
اي يزاد في سعتها يوم القيمة لوقوف الخلائق عليها للحساب ولا بد من الزيادة في وجه الارض
سواء كان ذلك بتمديدها او بامدادها لان الخلق من الاولين والاخرين لما كانوا واقفين يوم
القيمة على ظهرها فلا بد من الزيادة في طولها وعرضها روى الامام ابو الليث عن علي بن الحسين عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيمة مد الله الارض مد الاديم حتى لا يكون لبشر من
الناس الا موضع قدميه يعني لكثرة الخلائق فيها **قوله** من الكنوز والاموات الاول عند قرب

بناء امددت الجيش بمدد
اذا الحقت بهم عمن يعينهم
والاستمداد طلب المدد
قال ابو زيد مددنا القوم
اي صرنا مددا لهم وامددنا
بغيرنا صح

قرب الساعة والثاني عند البعث **قوله** وتخلت اي خلت غاية الخلو حتى لم يبق في بطنها شيء
فكانها تكلفت في الخلو اقصى وسعها وطاقتها والا فحقيقة التكلف لا يتصور في الارض والجهد بضم الجيم
الطاقة وبالفتح المشقة والجهد الواقع في تفسير الكدح بفتح الجيم بمعنى المشقة والتعب ولذلك عطف
عليه الكد في الكشاف حيث قال الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه
والكد السعي الشديد في العمل وطلب الكسب قال نفطويه كادح اي كاد تعب من قولهم فلان يكدح لعياله
اي يكسب لهم بالكد والتعب **قوله** لان الانسان كدحه اشارة الى ان ضمير ملاقيه عائد الى الكدح
الا ان الكدح عمل وهو عرض لا يبقى فملاقاته ممتنعة فلا بد من حمل الكلام على تقدير المضاف اي فملاق
جزاء كدحه كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره اي يرى جزاءه او يكون المراد ملاقاة الكتاب
الذي فيه بيان تلك الاعمال والكدح فيها ويؤيد هذا التاويل قوله تعالى بعد هذه الاية فاما من اوتي كتابه
بيمينه الخ وقيل ضمير ملاقيه عائد الى الرب بتقدير المضاف ايضا اي ملاق حسابه وحكمه لا مفر لك منه
وعلى التقديرين تدل الاية على ان الانسان يلاقي جزاء كدحه او كتاب كدحه او يلاقي حساب ربه
وحكمه وهذا المدلول هو الجزاء المحذوف المكني عنه بما يدل عليه **قوله** او فملاقيه عطف على قوله المحذوف
واذا كان فملاقيه جواب اذا يكون قوله يا ايها الانسان انك كادح معترضا على اسلوب قول القائل اذا
كان كذا وكذا يا ايها الانسان ترى عند ذلك ما عملت من خير او شر فكذا ههنا والتقدير اذا كان يوم
القيمة لقي الانسان عمله وقيل ان المعنى محمول على التقديم والتاخير فكانه قيل يا ايها الانسان انك كادح
الى ربك كدحا فملاقيه اذا السماء انشقت وقامت القيمة **قوله** والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه
اشارة الى ان كلمة الى متعلقة بكادح بمعنى ساع وان في الكلام حذف مضاف والمعنى ان جزاء ربك وسعيك
الى مباشرة الاعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي الى لقاء جزائها في العقبى فملاق ذلك الجزاء
لا محالة فعليك ان تباشر في الدنيا ما ينجيك ويسعدك في العقبى واحذر عما يرديك ويهلكك فيها **قوله**
لا يناقش فيه يعني ان الحساب اليسير هو العرض بان يعرض عليه اعماله ويعرف ان الطاعة منها
هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه
لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فانه متى
طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح قالت عائشة رض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش
في الحساب فقد هلك فقلت يا رسول الله ان الله تعالى يقول فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب
حسابا يسيرا قال ذلك العرض ولكن من نوقش في الحساب عذب قال تعالى في سورة الحاقة واما
من اوتي كتابه بشماله وقال في هذه السورة واما من اوتي كتابه وراء ظهره والمصنف جمع بينهما حيث
قال اي يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره لما روي عن الكلبي رح انه تغل يمينه الى عنقه ثم تلوى يده اليسرى

اشار المص الى هذا القول
والكدح اليه السعي الى لقائه
جزائه فان قوله الى اجزاء
ربك اذا كان في تقدير الى
لقاء جزاء ربك كان انسب
ان يعود ضمير فملاقيه الى الرب
بذلك التقدير
سهه

من ورائه فيعطى كتابه بشماله ومن خلف ظهره قال الامام ويحتمل ان يكون بعضهم يعطى كتابه بشماله و
بعضهم وراء ظهره والمأوى في كتابه من غير حجة علم انه من اهل النار فيقول واثبوراه قال الفراء تقول العرب
فلان يدعو لهفاه اذا قال والهفاه وقيل الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهو المواظبة عليه وسمي هلاك
الآخرة ثبورا لانه لازم لا يزول كما قال تعالى ان عذابها كان غراما واصل الغرام اللزوم والولوع **قوله**
وقرأ الحجازيان وهما نافع المدني وابن كثير المكي والشامي هو ابن عامر وفي تيسير القراءات قرأ ابو عمرو
البصري وعاصم وحمزة ويصلى سعيرا بفتح الياء واسكان الصاد مخففا والباقون بضم الياء وفتح
الصاد وتشديد اللام انتهى وقرئ يصلى بضم الياء وسكون الصاد مجهولا اي يدخله غيره فيدعو
الثبور وهو فيها كما قال تعالى دعوا هنالك ثبورا كأنه يدعو الثبور اذا اعطى كتابه بشماله يقول فسوف
يدعو ثبورا بالفاء المفيدة للتعقيب واحدها لا ينافي الآخر نعوذ بالله **قوله** فارغا عن الآخرة
حيث كان آمنا من الحساب والثواب والعقاب ولا يخاف الله ولا يرجوه فتقاعد الكافر عن تعب
المجاهدة بالطاعات من نحو الصوم والصلوة وعن تعب اجتناب المعاصي والمنكرات وبالجملة كان
فارغا عن هم الآخرة والتحزن بملاحظة اهوالها فابدله الله تعالى بذلك السرور والامن والاستراحة
الفانية غما باقيا لا ينقطع بخلاف المؤمن فانه كان متعبا عن المعاصي مجتهدا في الطاعات غير آمن
من العذاب ولم يكن مسرورا في دنياه في اهله فجعله الله تعالى مسرورا في الآخرة فابدله بالنعم
الفاني سرورا دائما لا ينقطع **قوله** ظن ان لن يحور ان مخففة من الثقيلة وسدت مسد
مفعولي الظن والشان مضمر اي ان هذا الكافر ظن ان الامر والشان لن يرجع الى الله والحور
الرجوع والمحار المرجع والمصير وقيل الحور الرجوع الى خلاف ما كان عليه المرء كما قالوا نعوذ بالله
من الحور بعد الكور والمعنى على هذا انه ظن ان لن يرجع الى خلاف ما كان عليه في الدنيا من السرور
والتنعم ثم قال تعالى بلى اي ليبعثن وعلى هذا الوجه الثاني ان الله ليبدل سروره بغم لا ينقطع وبلاء
لا يزول ان ربه كان عالما بما يعمله من الكفر والمعاصي فلم يكن يجوز في حكمته ان يهمله فلا يعاقبه على
سوء اعماله وهذا زجر لكل المكلفين عن جميع المعاصي وكلمة لا في قوله تعالى فلا اقسم يجوز ان تكون
لرد الكلام السابق وابطاله حكى الله تعالى عن الكافر انه ظن انتفاء الحور فاوجبه بقوله بلى ثم
ابطل ظن انتفائه ثم ابتدأ بالقسم فقال اقسم بالشفق ويجوز ان تكون صلة وقد مر مرارا واتفق
العلماء غير عكرمة ومجاهد على ان الشفق اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها ثم
اختلفوا بعد ذلك فذهب عامتهم الى انه هو الحمرة وعن ابي حنيفة رح انه هو البياض بعد ذهاب
الحمرة وكل واحد من البياض والحمرة يجوز ان يسمى بالشفق لان اسم الشفق ينبئ عن معنى الرقة فان
الشفقة رقة القلب ولا شك ان اثر الشمس اعني ضوءها يأخذ في الرقة والضعف من غيبة الشمس الى

ويصلى سعيرا اي يدخل سعيرا او يدخله [illegible] والتصلية الادخال [illegible] الامام ابن الملك حيث قال [illegible] عذابه في النار [illegible] منه

يعني ان علمه تعالى باعمالهم [illegible] كناية عن بعثه [illegible] منه

الى ان يستولي سواد الليل على الآفاق كلها وروي عن ابي حنيفة رح انه رجع عن القول بانه هو البياض واما
عكرمة ومجاهد فانهما قالا ان الشفق هو النهار بناء على ان الشفق هو اثر الشمس وهي كوكب نهاري واثره
هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين احدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام امور العالم
قوله وما جمعه وستره اشارة الى ان ما في قوله وما وسق ليست بمصدرية بل هي اما موصولة او
موصوفة اي وشيء وسقه والعائد لا بد منه على التقديرين والى ان وسق الليل وجمعه للمخلوقات
عبارة عن ستره اياها بظلمته واحاطته اياها بالظلمة فان ظلمة الليل كأنها تجلل الجبال والبحار
والاشجار والحيوانات فكأنه تعالى اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون
وهذا المعنى لا يحصل على تقدير ان تكون ما مصدرية لان المقسم به ح يكون وسق الليل وجمعه
لا ما يجمعه الليل وقيل يحتمل ان يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لانه تعالى قد مدح
المستغفرين بالاسحار فيجوز ان يحلف بهم **قوله** مستوسقات لو يجدن سائقا اوله ان لنا قلائصا
حقائقا القلوص الناقة الشابة والحقائق جمع حقاق وهو جمع حقة وهي ناقة استكملت ثلث
سنين ودخلت في الرابعة وصف الشاعر قلائصه الحقائق بكونها مستوسقات اي مجتمعات ومنضمة
ان يكون لها سائقا **قوله** اوطرده الى اماكنه عطف على قوله جمعه وستره يعني ان الوسق في اللغة
كما يكون بمعنى الجمع يكون بمعنى الطرد والابعاد ايضا كما يقال للابل المسروقة وسيقة لان السارق
يطردها من اماكنها الجوهري الوسق مصدر وسقت الشيء اجمعه وحملته والوسق ايضا الطرد
ومنه سميت الوسيقة وهي من الابل كالرفقة من الانسان فاذا سرقت طردت معا وقال الطرد
الابعاد تقول طردته فذهب والطريدة الوسيقة وهو ما يسرق من الابل **قوله** اجتمع وتم بدرا
مبني على ما تقرر من ان اتسق واستوسق مطاوعان لوسقه بمعنى جمعه شمل وحصله فانه يقال
امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة ثم انه تعالى بعد ما ذكر ما به اقسم اتبعه بذكر
ما عليه اقسم فقال لتركبن طبقا عن طبق والمص ممن قرأ بضم الباء على خطاب الجنس لان النداء
في قوله يا ايها الناس انك كادح للجنس ومن قرأ ليركبن بالياء جعل الكلام اخبارا عن الغائب
وهو الانسان المذكور بالاسم الظاهر وهو بمنزلة الغائب اي ليركبن الانسان ومعنى الاية ان
الناس يلقون يوم القيمة احوالا وشدائد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كأنهم لما انكروا
البعث اقسم الله تعالى ان البعث كائن وان الناس يلقون فيها الشدائد والاهوال الى ان يفرغ
من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار ونظيره قوله تعالى بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن
بما عملتم **قوله** وهو لما طابق غيره يعني ان الطبق في الاصل اسم لما طابق غيره يقال ما هذا
بطبق لهذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق **قوله**

تجليل الشيء ان تلبسه الجل صح

او مراتب من الشدة بعد المراتب عطف على قوله حالا بعد حال اى يجوز ان يكون طبق جمع طبقة وهى
المرتبة من قولهم هو على طبقات والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع
من بعض وهى الموت وما بعده من اهوال القيمة **قوله** او هى ما قبلها اى او المراتب من الشدة هى هذه
المذكورات وما كان قبلها من الدواهى العارضة للانسان من ابتداء وجوده الى موته وعلى تقدير
ان يكون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ذكر فى معنى الاية وجهين الاول ان يكون الاية اشارة الى احواله
عليه الصلوة والسلام فى الظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه تعالى يقول اقسم بالمجد
لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بعاقبة جميلة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم او لتركبن بالمجد
درجة بعد درجة ورتبة فى القرب من الله تعالى والثانى ان يكون ذلك بشارة له عليه الصلوة والسلام
بصعوده الى السموات المشاهدة بملكوتها واجلال الملائكة اياه فيها والمعنى لتركبن بالمجد السموات
طبقا عن طبق فانها سبع سموات طباقا وقد فعل الله تعالى به ذلك ليلة الاسراء **قوله** بعد حال وبعد
المراتب اشارة الى ان عن بمعنى بعد ووجه ذلك ان الانسان اذا صار الى شىء لمجاوزا عن شىء
اخر فقد صار الى الثانى بعد الاول فصح ان يستعمل فيه بعد وعن ايضا لفظ عن يفيد البعد
والمجاوزة فكانت مشابهة للفظ بعد فصح استعمال احدهما بمعنى الاخر **قوله** يوم القيمة خص
يوم القيمة بانتفاء ايمانهم به مع انهم لا يؤمنون باكثر ما يجب الايمان به بل بكله من حيث ان الكلام سوق
لتوبيخ منكرى البعث والقيمة وتفظيع حالهم لانه تعالى حكى عن الكافر انه ظن ان لن يحور ثم حكم بانه
يحور ثم اقسم بتغيرات واقعة فى الافلاك والعناصر على تغير احوال الخلق فان الشفق حالة
مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فانه يدل
على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير احوال الحيوانات من اليقظة الى النوم وكذا قوله والقمر اذا اتسق
فانه يدل على حصول كمال القمر بعد ان كان ناقصا فلما قال بعد ذلك على سبيل الاستبعاد فما لهم لا يؤمنون والاستفهام للانكار والتوبيخ ولا يؤمنون حال من الضمير المجرور فى لهم سلمه
علم ان المراد استبعاد عدم ايمانهم بالبعث والقيمة فان عدم ايمانهم بذلك عند ظهور الحجة و
زوال الشبهات منكر مستبعد جدا فان القادر على تغير اجرام العلوية والسفلية من حال الى
حال ومن صفة الى صفة بحسب المصالح لا بد ان يكون قادرا على جميع الممكن عالما بجميع المعلومات
ومن كان كذلك كان لا محالة قادرا على البعث والقيمة فلذلك فرع عليه استبعاد عدم ايمانهم
بالفاء الدالة على السببية فقال فما لهم الخ وعطف عليه استبعاد عدم خضوعهم وانقيادهم للقران
عند سماعهم اياه من حيث انهم بالغون اقصى درجات الفصاحة والبلاغة الداخلتين تحت
قدرة البشر فعند سماعه لا بد ان يجزموا بكونه معجزا خارجا عن طوق البشر وكونه كلاما آلهيا
فيعلموا بذلك صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى دعوى النبوة فيطيعوه فى جميع الاوامر والنواهى **قوله**
اولا

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى المفصل سجدة وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رايت النبى صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن ابى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم انهم سجدوا وعن الحسن هى غير واجبة

اولا يسجدون للتلاوة اولا بالخضوع والاستكانة ثم جوز ان يراد به نفس السجود عند
تلاوة اية السجدة على ان يكون المراد بالقران اية السجدة بخصوصها لا مطلق القران وايد
هذا الاحتمال بما روى فى سبب النزول **قوله** واحتج به اى بما روى فى سبب نزول هذه
الاية وتذكير الضمير باويل المنزل او الكلام ونحوه ويدل عليه قوله فانه ذم من حيث انه
ضمير فانه لا شك انه لهذه الاية بالتاويل المذكور ووجه الاحتجاج ان الذم على ترك
الشىء يدل على وجوب ذلك الشىء **قوله تعالى** الذين كفروا اظاهر وضع موضع الضمير
للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بما هو العلة فى عدم خضوعهم للقران وتكذيبهم والمعنى
لا يسجدون له بل هم تكذبون به والظاهر ان ما فى ما يوعون موصولة لحذف العائد بمثال اوعيت
الشىء اى جعلته فى وعاء قال تعالى وجمع فاوعى وعلم الله تعالى بما يجمعونه فى صدورهم من
الشرك والتكذيب والعداوة كناية عن مجازاتهم عليه فى الدنيا والاخرة **قوله تعالى**
فبشرهم استهزاء بهم لان البشارة هى الاخبار بالخبر السار وقد استعملت فى الخبر المولم
قوله استثناء منقطع بمعنى لكن الذين امنوا الاية وهو مستثنى من الضمير المنصوب فى فبشرهم
الراجع الى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم ويجوز ان يكون متصلا لان
المؤمنين منهم كانوا من جملة احادهم وداخلين فى عدادهم حيث وافقوهم فى عدم
الخضوع للقران وفى عدم السجدة للتلاوة وفى تكذيبه ثم خالفوهم وهذا القدر من الموافقة
كاف فى الاتصال

سورة البروج مكية

بسم الله الرحمن الرحيم وهى القصور التى تنزل فيها
الاكابر والاشراف اطلق على بروج السماء الاثنى عشر استعارة تصريحية تشبيها لها
بالقصور لكونها منازل السيارات ومقر الثوابت والبرج فى اصطلاح المنجمين اسم
لجزء معين من اثنى عشر جزء من اثنى عشر جزء من خط مدور على الفلك يسمونه
منطقة البروج وكل برج يعرف باسم كوكب ينسب البروج اليه وقيل الاصل المراد
بالبروج ههنا النجوم التى هى منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما ينزل القمر كل ليلة
فى واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها واذا صار القمر الى آخر منازله دق واستتر
ليلتين ان كان الشهر ثلثين يوما وان كان تسعة وعشرين فليلة واحدة واطلاق
البروج على هذه النجوم ايضا مبنى على تشبيهها بالقصور من حيث ان القمر ينزل فيها
بظهورها ايضا بالنسبة الينا لان البرج مبنى عن الظهور والبروج الاثنى عشر منقسمة
الى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير فى تمام هذه البروج الاثنى عشر

في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم بها اظهارا للقدرة
والقول الثالث ان المراد بالبروج عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها والقول الرابع
ان المراد بها ابواب السماء سميت بروجا لظهورها بالنسبة الى من ينزل من السماء ولان
النوازل تخرج منها كما تخرج من القصر قوله واصل التركيب للظهور اي مع الاشتمال على
المحاسن فان القصور لرفعتها وحسنها ظاهرة للاعين ومظهرة للمحاسن فلذلك سميت
بروجا ثم قيل تبرجت المراة اي تشبهت بالبروج في اظهار المحاسن وهو معنى قولهم
التبرج اظهار المراة زينتها ومحاسنها للرجال فالمعنى غير متبرجات بزينة روى ابو هريرة
رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اليوم الموعود يوم القيمة وقيل يحتمل ان يكون المراد
اليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها قوله ومن يشهد في ذلك اليوم
من الخلائق الاولين والاخرين من الانس والجن والملائكة والانبياء اي ومن يحضر
فان الشاهد يطلق على معنيين احدهما الشاهد الذي يثبت به الدعاوي والثاني الشاهد
الذي هو بمعنى الحاضر كما في قوله عالم الغيب والشهادة ويقال فلان شاهد وفلان غائب و
حمل الاية على المعنى الثاني اولى اذ لو كان المراد المعنى الاول لما خلا لفظ المشهود عن حرف
الصلة ظاهرا اذ كان يقال مشهود عليه او مشهود به وحيث لم تات الصلة ظاهرا في الاية
لوجب ان يقال انها محذوفة ومقدرة كما في قوله تعالى ان العهد كان مسؤلا اي مسؤلا عنه والتقدير
خلاف الاصل لا يصار اليه من غير ضرورة في الاية لجواز ان يكون المشهود من شهد بمعنى
حضر وهو يتعدى بنفسه يقال حضره امر كذا واعوذ بك رب ان يحضرون فلذلك قدم المص
تفسير الشاهد والمشهود بان جعلهما من الشهود بمعنى الحضور وفسر الشاهد بالجمع الذين
يحضرون في اليوم الموعود والمشهود بما احضر في ذلك اليوم من العجايب فانه تعالى لما اقسم باليوم
الموعود وهو يوم القيمة تنبيها على قدرها وشرفها من حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوما
تفرد الله تعالى بالملك والحكم فيه عطف عليه الشاهد وهو من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق والمشهود
الذي هو ما في ذلك اليوم من العجائب ولا يخفى ما في هذا التفسير من مناسبة المعطوف للمعطوف
عليه ولانه لا حضور اعظم من ذلك الحضور الواقع في ذلك اليوم وصرف اللفظ الى المسمى الاكمل
اولى ثم شرع فيما بني على جعلهما من الشهادة التي تثبت بها الدعوى فقال او النبي وامته دليله
قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله ولا شك ان تبشيره وانذاره و
دعوته انما هو بالنسبة الى امته فكذا شهادته تكون بالنسبة اليهم وقوله وكذلك جعلناكم امة و
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وفيه ايضا دلالة على ان الشاهد
هذه

هذه الامة والمشهود سائر الامم قوله او كل نبي وامته لقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
فانه يدل على ان كل نبي شاهد على امته قوله او الخالق والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا اي هدا
مطلعا على احوال خلقه قوله او عكسه وهو ان يكون المراد بالشاهد جميع الممكنات الحادثة
وبالمشهود خالقها وصانعها فان كل جزء من اجزاء العالم شاهد لمن تدبره على ان له خالقا باعجبا
خلقه فيكون القسم واقعا بالخالق والخلق والصانع وصنعه قال الشاعر فيا عجبا كيف يعصى الاله
ام كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد ولله في كل تحريكة علينا وتسكينة ابدا شاهد
قوله او الملك الحفيظ والمكلف لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد فيكون كل نفس
مشهودا اي مشهودا عليه يشهد حفظة اعماله عليه قوله او يوم النحر او عرفة والحجيج وهو جمع
حاج كما يقال للغزاة غزي وللعادين على اقدامهم عدي اي يجوز ان يفسر المشهود بيوم عرفة
والشاهد من يحضره من الحجاج وحسن القسم به تعظيما لامر الحج روي ان الله تعالى يقول للملائكة
يوم عرفة انظروا الى عبادي شعثا غبرا اتوني من كل فج عميق اشهدكم اني قد غفرت لهم وان ابليس
يصرخ ويضع التراب على راسه لما يرى من ذلك ودليل من فسر المشهود بيوم عرفة قوله تعالى وعلى
كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويجوز ايضا ان يفسر المشهود بيوم النحر و
الشاهد من يحضره من الحجاج لان ذلك اليوم اعظم المشاهد في الدنيا فانه يجتمع اهل الشرق والغرب
في ذلك اليوم بمنى ومزدلفة وهو عيد المسلمين ويكون المقصود من القسم به تعظيم امر الحج ايضا
قوله او يوم الجمعة والجمع اي يجوز ان يفسر المشهود بيوم الجمعة والشاهد من يحضره من المصلين
للصلوة ولذكر الله والجمع اسم فاعل من جمع القوم تجميعا اي شهدوا الجمعة وقضوا الصلوة
قوله ما يشهد له بيان لوجه تفسير كل واحد من يوم النحر وعرفة والجمعة بالمشهود
فان كل واحد من هذه الايام يحضره المسلمون لما فيه من العبادة ومما يدل على تفسير المشهود
بيوم الجمعة ما روي انه عليه الصلوة والسلام قال اكثروا على الصلوة يوم الجمعة فانه يوم مشهود
تشهده الملائكة وقال صلى الله عليه وسلم تحضر الملائكة ابواب المسجد فيكتبون الناس فاذا خرج
الامام طويت الصحف وهذه الخاصية غير موجودة الا في هذا اليوم فيجوز ان يسمى مشهودا
لهذا المعنى قوله او كل يوم واهله الاول شاهد والثاني مشهود اي مشهود عليه كقوله ان
العهد كان مسؤلا اي مسؤلا عنه عن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما
يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة قوله وقيل انه جواب
القسم على تقدير لقد قتل فانه قد تقرر ان جواب القسم اذا كان جملة فعلية وكان الفعل ماضيا
مثبتا تصدر الجملة بلام الابتداء المفيدة للتاكيد داخلة على كلمة قد نحو والله لقد خرج

ولا يجوز الاقتصار على احدهما الا عند طول الكلام كما في قوله تعالى والشمس وضحاها الى قوله
قد افلح فانه لم يؤت باللام للطول او في ضرورة الشعر حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان
من حديث ولا صال ويجيء في مثله تقدير قد بعد اللام لان لام الابتداء لا تدخل على الماضي
المجرد ومن قال بان قوله تعالى قتل اصحاب الاخدود جواب القسم قال ان اصله لقد قتل فحذف اللام كما
في قوله قد افلح من زكاها ثم حذف قد وقيل في توجيه حذف الجواب عنهما ان الكلام محمول على التقديم
والتاخير كانه قيل قتل اصحاب الاخدود والسماء ذات البروج **قوله** والاظهر انه دليل جواب
محذوف جعل كون جملة قتل اصحاب الاخدود جواب القسم خلاف الظاهر بناء على ما اشار اليه من
ان السورة وردت لبيان شدة عداوة قريش للمؤمنين واستحقاقهم بذلك لعنة الله وعظيم
سخطه وان ذكر قصة اصحاب الاخدود والتعرض لحديث الجنود فرعون وثمود المقصود
منه التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رض عن ايذاء الكفار به ببيان ان حال المؤمنين
مع الكفار في جميع الازمنة مستمرة على هذا المنهج وبالاشارة الى ما حل من نقمة وقهر بالامم
السالفة من المعاندين مثل فرعون وثمود فانها تتضمن وعد المؤمنين ووعيد المشركين
فاذا كان كذلك ظهر ان جعل كفار مكة على طرف وتوجه القسم على اصحاب الاخدود لا وجه
له ولا سيما انه يؤدي الى التقدير والاضمار من غير ضرورة فلذلك قال المص والاظهر انه دليل
جواب محذوف وهو ان كفار قريش ملعونون وتقدير الكلام اقسم ان كفار قريش لملعونون
احقاء بان يقال انهم قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وايراد اللعن بدل القتل اشارة الى
ان القتل كناية عنه من حيث ان القتل لكونه اغلظ العقوبات لا ينبغي الا عن سخط عظيم
موجب للابعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن ثم الاخبار
بان اصحاب الاخدود ملعونون لقوة عنادهم ومبالغتهم في ايذاء المؤمنين يدل على ان كفار
قريش ملعونون ايضا للاشتراك في العلة وسلوك طريق الكناية ابلغ من التصريح وادخل
في افادة التسلية فظهر بما قررنا ان قوله قتل ليس دعاء على اصحاب الاخدود ومن قبيل القسم **قوله**
فاقتلها اي بان تخل في قوة اري بها هذا الحجر الي واضربها به فقتلها فصار ذلك سببا لاعراض
الغلام عن السحر واشتغاله بطريق الراهب حتى صار الى حيث يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الامراض الى اخر القصة والرجفة الزلزلة ويقال تكفأت الاناء اي كببته
وقلبته وتقاعست اي تاخرت فكادت ان ارتدت **قوله** وعن علي رض انه لما اختلفوا
في احكام المجوس انهم اهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها
بعض ملوكهم فسكر فوقع على اخته فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له اخته المخرج ان

ان تخطب الناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان
الله حرم نكاحهن فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له ابسط السوط فيهم فابى ضرب من ابى
منهم فلم يقبلوا فقالت ابسط السيف فيهم فلم يقبلوا فامرت بالاخاديد وايقاد النيران وطرح
من ابى فيها فهم الذين ارادهم الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود ونجران بلد من بلدان اليمن
وقع اليه رجل ممن كان على دين عيسى عليه الصلوة والسلام فدعاهم اليه فاجابوه فسار
اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير وهو قبيلة من اليمن فخيرهم بين النار واليهودية
فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود
اربعون ذراعا فان قيل تعارض هذه الروايات تدل على كذبها قلنا لا تعارض فقيل ان
هذا كان في ثلث طوائف ثلث مرات مرة باليمن ومرة بالشام ومرة بالعراق هكذا قال
الامام ثم قال ويمكن ان يكون المراد باصحاب الاخدود القاتلين ويمكن ان يراد بهم المقتولون والرواية
المشهورة ان المقتولين هم المؤمنون وروي ايضا ان المقتولين هم الجبابرة لانهم لما القوا المؤمنين
في النار عادت النار على الكفرة فاحرقتهم ونجى الله المؤمنين منها سالمين والى هذا القول ذهب
الربيع بن انس والواقدي وتاولوا قوله فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق اي لهم عذاب جهنم في
الاخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا ثم قال اذا عرفت هذه المقدمة فنقول ذكروا في تفسير قوله قتل
اصحاب الاخدود وجوها ثلثة وذلك لان اصحاب الاخدود اما ان يفسر بالقاتلين او بالمقتولين اما
على الوجه الاول ففيه تفسيران احدهما ان يكون هذا دعاء عليهم اي لعن اصحاب الاخدود ونظيره قتل
الانسان ما اكفره قتل الخراصون والثاني ان يكون المراد ان اولئك القاتلين قتلوا بالنار على ما ذكرنا
ان الجبابرة لما ارادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم واما اذا فسر اصحاب
الاخدود بالمقتولين كان المعنى ان اولئك المؤمنين قتلوا بالاحراق بالنار فيكون ذكر خبر لا دعاء
انتهى كلامه **قوله** صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها فان النار انما تكون عظيمة اذا كثر فيها
ما يحترق ويرتفع به لهبها اي جنس كان اما حطب او غيره فالوقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى وقودها
الناس والحجارة فالمعنى في ذات الوقود تعظيم امرها لما كان في ذكر الاخدود من الحطب الكثير ولو لم
يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف اذ من المعلوم ان النار لا تخلو عن حطب ولما كان
الاخدود مشتملا على النار جعل النار بدل اشتمال منه كما في سلب زيد ثوبه ولا فرق بين ان يكون
الاشتمال من جانب البدل او من جانب المبدل منه واذ في قوله اذ هم عليها قعود ظرف لقتل والمعنى
لعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الاخدود يعذبون المؤمنين وقعود جمع قاعد **قوله**
على حافة النار جواب عما يقال ان ضميرهم على مقتضى تفسيره عائد الى اصحاب الاخدود الذين هم

من قبل نجاتهم من عذاب النار
بان نقبض ارواحهم قبل ان
تمسهم النار

الغافلون فامعنى قعود الغافلين على النار مع ان القاعد عليها يحترق ويفنى وتقرير الجواب ان
ضميرهم عائد الى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس عليها ولفظ على مشعر بذلك
نقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يقرب منه فالقائلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون
المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر على دينه القوه في النار **قوله** يتارجح
وما انكروا انكر الاسرا ذا عابه وكرهه اى وما عابوا منهم وما انكروا الايمان ونظيره وهل
تنقمون منا الا ان آمنا بالله وانما قال الا ان يؤمنوا بلفظ المستقبل مع ان الايمان وجد منهم
في الماضي لارادة الاستمرار والدوام عليه فانهم ما عذبوهم لايمانهم في الماضي بل لدوامهم
عليه في الآن حتى لو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكانه قيل الا ان يستمروا على ايمانهم
قوله للاشعار علة لقوله ووصفه مع ما عطف فان كونه عزيزا غالبا لا يغلب ولا يدفع
اشارة الى القدرة التامة وكونه حميدا مستحقا للحمد والثناء ومحمودا على السنة عباده
المؤمنين وما لا يحمده بلسان مقاله يحمده بلسان حاله فان نفسه شاهد على ان المحمود
في الحقيقة ليس الا هو كما قال وان من شيء الا يسبح بحمده فانه اشارة الى كمال علمه لان من
لا يكون تام العلم لا يمكنه ان يفعل الافعال الحميدة والوصف الثالث الى الملك التام وانه
موجد لجميع الكائنات ثم انشاء ابقاها موجودة وان شاء افناها واخر هذه الصفة عن
الاولين لان الملك التام لا يحصل الا عند حصول الكمال في القدرة والعلم فثبت ان من كان
موصوفا بهذه الصفات هو المستحق للايمان به وغيره لا يستحق بذلك البتة فكيف حكم هؤلاء
الكفار الجهال يكون مثل هذا الايمان ذنبا **قوله** بلوهم بالاذى اشارة الى ان اصل الفتنة
الابتلاء والامتحان وان الآية عامة كما تتناول اصحاب الاخدود تتناول كل من امتحن
المؤمنين وآذاهم باي عذاب كان فان اللفظ عام وكذا الحكم فالتخصيص ترك الظاهر بغير
دليل وقال بعض المفسرين الفتنة هي الاحراق بالنار قال ابن عباس ومقاتل فتنوا المؤمنين
حرقوهم بالنار وقال الزجاج فتنت الشيء احرقته والفتين احجار سود كانها محترقة و
منه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون **قوله** العذاب الزائد في الاحراق يعني ان كلا العذابين
يحصلان في الاخرة الا ان عذاب جهنم هو عذاب الاحراق الحاصل بسبب كفرهم و
عذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب الكفر بسبب انهم احرقوا المؤمنين والعذاب
الزائد على عذاب جهنم هو عذاب الاحراق ايضا الا ان العذاب الاول كانه خرج عن ان
يسمى احراقا بالنسبة الى الثاني لان الثاني بانضمامه الى الاول واجتماعه معه قوي واشتد
وكان الاول ضعيفا بالنسبة اليه فلا جرم لم يسم احراقا والحريق اسم كالحرقة بمعنى

فانهم امتحنوا المؤمنين بان عرضوهم على النار و احرقوهم بالتي لم يكن عندهم درجة صدقهم و ثباتهم على ايمانهم منه

والحاصل ان عذاب الحريق لما عطف على عذاب جهنم وجب المغايرة بينهما و ذكر اما بان جعل الحريق على ما انقلب عليهم في الدنيا و يكون تعريفه للاشارة الى الحريق المعهود الذي عذبوا المؤمنين والمؤمنات به فانقلب عليهم وجهنم هي ما اعدت لتعذيب العصاة في العقبى واما ان يكون كل واحد منهما بوصفا مستقلا معدا للتعذيب في العقبى بدخل العاصي في الثاني في زيادة في احراقه منه

بمعنى الاحتراق وفي الصحاح تحرق الشيء بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق و
يحتمل ان يكون المراد بعذاب جهنم العذاب ببردها وزمهريرها وبعذاب الحريق العذاب بحرها
فيرددون بين برد وحر وقيل الحريق من اسماء النار ايضا كالسعير فجعل لهم في الاخرة
عذاب جهنم وعذاب الحريق فيجوز ان يكونا دركتين منها او مكانين فيها وهذا القول نقله
صاحب التيسير وهو راجع الى ما اختاره المص قال الامام انما قال ذلك الفوز ولم يقل
تلك لدقيقة لطيفة وهو ان قوله ذلك اشارة الى اخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات ولو
قال تلك لكانت الاشارة الى نفس الجنات واخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيا
والفوز الكبير هو رضا الله تعالى لا حصول الجنة ولما ذكر الله تعالى وعيد المجرمين ووعد المؤمنين
اردف ذكر الوعد والوعيد بالتاكيد فقال لتاكيد الوعيد ان بطش ربك لشديد والبطش هو
الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف عنفه ومع ذلك انه تعالى قلما يعاجل في بطشه
بل شانه ان يمهل العاصي ويؤخر امر المجازاة الى يوم القيمة لانه حكيم لا يفعل الا على حسب المشية
ووفق المصلحة ولا مصلحة في تعجيل العقاب فلهذا قال انه هو يبدئ ويعيد اى انه يخلق الخلائق
ثم يفنيهم ثم يعيدهم احياء ليجازيهم يوم القيمة فذلك الامهال لهذا السبب لا لاجل الاهمال **قوله**
وهو الغفور لمن تاب قال الامام حكاية عن المعتزلة انهم قالوا هو الغفور لمن تاب وقال اصحابنا
انه غفور مطلقا لمن تاب ولمن لم يتب لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء لان الآية مذكورة في معرض التمدح والتمدح بكونه غفورا مطلقا اتم واكمل فالحمل
عليه اولى انتهى كلامه ولان الغفور صيغة المبالغة وهي تناسب حمله على الاطلاق فان الغافر
ينبئ عن اتصافه باصل المغفرة وهي الستر والغفار يفيد المبالغة في اتصافه بالمغفرة بان
يغفر مرة بعد اخرى والغفور يفيد المبالغة فيه بان يغفر مغفرة جيدة تامة شاملة للمذنبين
مع كثرتهم قال الامام الغزالي الغفار ينبئ عن كثرة الفعل والغفور ينبئ عن جودته وكماله و
شموله فهو غفور بمعنى انه تام الغفران كامله حتى يبلغ اقصى درجات المغفرة انتهى كلامه
ولا يخفى ان الغافرية مطلقا اجود واكمل واشمل فحمل صيغة المبالغة عليه اولى لا سيما في مقام
التمدح الا ان فيما اراد المص بقوله لمن تاب من تاب عن الكفر **قوله** المحب لمن اطاع على
ان الودود فعول بمعنى فاعل وقيل يجوز ان يكون بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه
ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وافعاله
وعلى التقديرين فهو صفة مدح لانه تعالى اذا احب عباده المطيعين فهو فضل منه و
احسان لان ودّه تعالى للعبد عبارة عن ارادة الكرامة والنعمة له واحسانه

وانعامه عليه اذ هو منزه عن ميل المودة ورقتها وكذا اذا احبه عباده العارفون فانما يحبونه
لجلال ذاته ولمزيد انعامه واحسانه اليهم قوله المراد بالعرش الملك والسلطان كما يقال فلان
على سرير الملك والسلطنة وان لم يكن على السرير وكما يقال ثل عرش فلان اذا ذهب سلطانه يكنون
بالعرش والسرير عن الملك قوله ومجده علوه وعظمته اى علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته
وتركيبه فانه احسن الاجسام تركيبا وصورة قوله لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره اشارة
الى ان هذه الاية احتج بها الاشاعرة في مسئلة خلق الافعال بان يقال لاشك انه تعالى يريد الايمان فوجب
ان يكون فاعلا للايمان بمقتضى هذه الاية واذا كان فاعلا للايمان وجب ان يكون فاعلا للكفر ضرورة انه
لاقائل بالفرق لما لعن الله تعالى كفار قريش على كفرهم وايذائهم بالمؤمنين مثل عمار وبلال وغيرهما وشبه
حالهم بحال اصحاب الاخدود في اللعن وما ادى اليه من تكذيب الحق وايذاء اهله تسلية للرسول
عليه الصلوة والسلام والمؤمنين وايعادا للطاغين المتمردين زاد في التسلية والايعاد بقوله
هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود كانوا في بلاد العرب وقصتهم مشهورة عندهم فذكر الله تعالى من
المتاخرين فرعون وقومه ومن المتقدمين ثمود لبيان ان حال المؤمنين مع الكفار في جميع الازمنة
مستمرة على هذا المنهج وانه تعالى قد يبالغ في اهلاك الطاغين بالتكذيب والايذاء ولا يؤخر عذابهم الى
يوم الاعادة فكانه قيل تسل واصبر على مانالك منهم فان جندنا لهم المنصورون وحذرهم عن مثل ما
نزل بمن قبلهم لمشاركتهم بالاولين في سبب مانزل بهم بل الذين كفروا من قومك اشد تكذيبا منهم على
ان تنوين تكذيب للتعظيم والتهويل قوله لايرعوون عن التكذيب اى لاينتهون عنه يقال ارعى
يرعوى اى كف ومنع وارعوى عن القبيح اى امتنع ثم انه تعالى سلاهم بوجه اخر بان بين اقتداره على الذين
كفروا وانهم في قبضته وحوزته كالمحاط اذا احيط به من ورائه فسد عليه مسلكه فلا يجد مهربا قوله
بل هو الذى كذبوا به كتاب مجيد اشارة الى وجه ارتباط هذه الاية بما قبلها وذكر انه تعالى لما عجب من
حالهم ببيان انهم كذبوا تكذيبا اشد من تكذيب من قبلهم من المكذبين بعدما راوا وسمعوا ما نزل
بهم من البلاء لاجل تكذيبهم ترقى في التعجب من حالهم ببيان شرف ما كذبوا به وان الاولين لم يكذبوا
بمثله فتكذيبهم اياه بعدما راوا اثار هلاك الاولين عجيب غاية العجب قوله وقراء نافع محفوظ بالرفع
على انه صفة للقران فالتقدير بل هو قران مجيد محفوظ في لوح وهو في لغة الشيء الذى يكتب فيه
واللوح بالضم الهواء بين السماء والارض ومن قراءه بالضم يفسره بما فوق السماء السابعة
الذى فيه اللوح وفيه كتاب كل شيء وقال مقاتل هو عن يمين العرش وقال ابن عباس رض ان الله تعالى
خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين
المشرق والمغرب وقال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده ودينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن

فمن امن وصدق وعده واتبع رسله ادخله الجنة

سورة الطارق مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اعلم انه تعالى اكثر في كتابه العزيز ذكر السماء
والشمس والقمر لان احوالها في اشكالها وسيرها ومطالعها ومغاربها وكثرة منافعها عجيبة ثم انه تعالى لما
عطف الطارق على السماء ولا يعرف المراد منه بدون التفسير والبيان قال وما ادريك ما الطارق
توطئة لبيان المراد منه وتفخيما للشانه واعلاء لقدره ثم بينه بانه النجم المضيء الذى يهتدى به في ظلمات
البر والبحر فان ذكر الشيء مجملا ثم تفصيله وتعيينه ينبئ عن فخامة شانه واختلفوا في ان تعريف النجم
للاستغراق او العهد الخارجى فقال بعضهم انه للاستغراق كما في قوله ان الانسان لفي خسر وقال الاخرون
انه نجم بعينه ثم قال ابن زيد انه الثريا وقال الفراء انه زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات
وقال اخرون انها الشهب التى ترجم بها الشياطين لقوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب يقال ثقبه ثقبا
اى جعل فيه منفذا ومسلكا ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوبا اى اتقدت واشتعلت ويقال
لمن يوقد النار اثقب نارك اى اشعلها حتى تضيء وثقب النجم اى اضاء وشهاب ثاقب اى مضيء فلعل
المعنى الاصلى للثاقب الذى يفتح المنفذ واطلاقه على المضيء لوجود معنى فتح المنفذ فيه من حيث انه
يثقب بضوئه الظلام او الفلك واطلاقه على من يوقد النار لكونه سببا لحدوث الضوء الثاقب
قوله وقراء ابن عامر وعاصم وحمزة لما بتشديد الميم والباقون بتخفيفها والمص ممن قرا بالتخفيف
ومن خففها كانت ان عنده مخففة من الثقيلة واسمها مضمر هو الشان والامر واللام
في لما هي الفارقة بين المخففة والنافية وما صلة كالتى في قوله فبما رحمة من الله تعالى وعما قليل
وان المخففة مع ما في حيزها جواب القسم اى اقسم ان الشان كل نفس لعليها حافظ ومن ثقلها
كانت ان عنده نافية كالتى في قوله ما ان مكناكم وكانت لما بمعنى الا والجملة ايضا جواب القسم اى
اقسم ما كل نفس الا عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها واجلها واذا استوفت كل ذلك قبضها الى
ربه فالاية تتضمن وعيد الكفار وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم كقوله فلا تعجل عليهم انما نعد
لهم عدا فيعلى هذا الحافظ هو الملك كما قال وان عليكم لحافظين كراما كاتبين قال الزجاج استعملت
لما في موضع الا في موضعين احدهما بعد ان النافية والاخر في باب القسم تقول سالتك
لما فعلت بمعنى الا فعلت وروى عن الاخفش والكسائى وابى عبيدة انهم قالوا لم يوجد
لما بمعنى الا في كلام العرب وقيل ان لما بمعنى الا مع ان النافية موجودة في لغة هذيل وعزى للخفظ
بعلى في قوله تعالى لما عليها حافظ لتضمنه معنى الهيمنة واشار اليه الزمخشرى بقوله حافظ مهيمن عليها
قال حجة الاسلام الغزالى معنى المهيمن في حق الله تعالى انه قائم على خلقه باعمالهم وارزاقهم واجالهم
وانما قيامه عليهم باطلاعه واستيلائه وحفظه وكل مشرف على كنه الامر مستول عليه حافظ له

فهو مهيمن عليه والاشراف يرجع الى العلم والاستيلاء يرجع الى كمال القدرة والحفظ يرجع الى
الفعل الجامع بين هذه المعاني اسم المهيمن انتهى كلامه قال الدهكي في حق القران ومهيمنا عليه
لانه المشرف الحافظ الشاهد المستولي على الكتب السابقة فيعرف به المحرف من الصحيح والمنسوخ
من غيره وهو من آمن غيره من الخوف والاصل ائمن فهو مائمن بهمزتين قلبت الثانية
ياء كراهة لاجتماع همزتين فصار مايمن ثم جعلت الاولى هاء كما قالوا هراق الماء في اراقه
قوله لما ذكر ان كل نفس عليها حافظ الخ اشارة الى وجه ترتب هذه الاية على ما قبلها وذلك لان اجمال ما قبلها متضمن
لمعنى قولنا ان الانسان ليس مما يترك سدى بل له حافظ مطلع على اعماله وارزاقه واجاله واذا استوفى
جميع ما قدر له من ذلك يقبضه اليه ويجعله في البرزخ مدة ثم يبعثه ويحاسبه ويجازيه بالثواب والعقاب
على حسب اعماله لكمال قدرته وحكمته واحاطة علمه بالكليات والجزئيات فان حفظ الاعمال
ينبئ عن ذلك ولما كان ما قبلها متضمنا لهذه المعاني وكانت هذه المعاني سببا لتوصية الانسان بالنظر
في مبدئه ليعرف كمال قدرة المهيمن عليه وسائر صفات كماله ويستدل به على صحة البعث والجزاء
ويجتهد في ان لا يكتب عليه حافظ اعماله سوى ما يفرح به يوم العرض والجزاء فظهر بهذا التقرير
ان ما ذهب اليه شرف الدين الطيبي من ان الفاء في قوله فلينظر الانسان فاء فصيحة تفصح عن ابتناء
الكلام على الحذف والتقدير ليس بوجه اذ لا حاجة في ارتباط الكلام واستغنائه الى الحذف و
التقدير لكفاية المذكور قبله في كونه سببا للتوصية بالنظر بلا ارتكاب الحذف مثل ان يقدر بعد قوله
عليها حافظ ما يدل هو عليه من قولنا وان النفوس لم يخلقوا عبثا وانما خلقوا لاجل امر خطير وهو
ان يعرفوا خالقهم ويعبدوه ويطيعوه في جميع تكاليفه وانه تعالى يبعثهم بعد موتهم ويثيب من اطاعه
ويعاقب من عصاه ومن انكر ذلك فلينظر الى اخر الكلام **قوله** بمعنى ذي دفق اشارة الى ان توصيف
الماء بانه دافق مجرد نسبة مبدا الاشتقاق الى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره
منه كتامر ولابن وفارس اي ذي تمر ولبن وفرس بمعنى تمري ولبني **قوله** والمراد الممتزج من الماءين
في الرحم اشارة الى وجه قوله تعالى من ماء بتنوين الوحدة مع ان الولد مخلوق من ماءين ماء الرجل
الذي يخرج من صلبه وماء المرأة الذي يخرج من ترائبها التي هي عظام صدرها حيث تكون القلادة
وكلاهما من ذكر تربيته الا ان الولد انما يتكون بعد اجتماع الماءين في الرحم وامتزاجهما حتى صارا
شيئا واحدا فلما كان مبدا تكونه هو الماء الواحد الممتزج في الرحم الخارج من بين الشيئين
قال من ماء واحد ولم يقل من ماءين يخرج احدهما من الصلب والاخر من الترائب وكل واحد من
الماءين وان كان خارجا من محل على حدة الا انه يصدق على المجموع الممتزج انه خارج من بين
ذينك المحلين **قوله** ولو صح ان النطفة تتولد الخ جواب عما طعن به بعض الملاحدة في هذه

في هذه الاية بان قالوا ان كان المراد من قوله يخرج من بين الصلب والترائب ان المني انما
ينفصل من تلك المواضع فليس الامر كذلك لانه انما يتولد من فضلة الهضم الرابع وينفصل من جميع
اجزاء البدن حتى ياخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته فيصير مستعدا لان يتولد منه مثل تلك الاعضاء
ولذلك قيل المفرط في الجماع يستولي الضعف على جميع اعضائه وان كان المراد ان معظم اجزاء
المني تتولد هناك فهو ضعيف بل معظم اجزائه انما يتربى ويتولد في الدماغ والدليل عليه انه
يشبه الدماغ في صورته ولان المكثر في الجماع يظهر الضعف اولا في عينيه وان كان المراد ان
مستقر المني هناك فضعيف ايضا لان مستقره هو اوعية المني وهي عروق يلتف بعضها ببعض
عند البيضتين وان كان المراد ان مخرج المني هو الصلب والترائب فليس كذلك بل مخرجه هو
الاحليل كذا نقل الامام شبهتهم ثم اجاب عنها بقوله لا شك ان اعظم الاعضاء معونة في تولد المني
هو الدماغ وللدماغ خليفة وهي النخاع وهو في الصلب وله شعب كثيرة نازلة الى مقدم البدن
وهو الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر على ان كلامهم في كيفية تولد المني
وكيفية تولد الاعضاء من المني كلام بمحض الوهم والظن الضعيف وكلام الله تعالى اولى بالقبول
انتهى والحاصل ان الملاحدة خفي عليهم وجه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب بناء على
زعمهم ان المني ينفصل عن جميع اجزاء البدن فياخذ من كل عضو طبيعته وخاصيته فيستعد لان
يتولد منه مثل تلك الاعضاء فاشار المصنف اولا الى منع زعمهم بانه محض وهم وظن ضعيف والله
تعالى اصدق القائلين وكلامه المجيد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه واجاب ثانيا
بانا لو سلمنا ما زعموه فوجه تخصيص الصلب والترائب بالذكر كونهما اقرب الى اوعية المني التي
هي مستقره بالنسبة الى سائر الاعضاء التي بينها وبين الدماغ تعلق واتصال فان الصلب
محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ ويتشعب منه والترائب منتهى الشعب النازلة من الدماغ
اليها ومتصلة به بوصلة الاعصاب الممدودة بينهما انتهى محصول كلامه ولا يخفى ان جعل الترائب
مخرجا للمني لمجرد تشعب الاعصاب من الدماغ اليها من غير ان يكون لها مدخل في توليد المني ومن غير
انفصاله منها فقط ومن غير كونها مخرجا له لا يخلو عن بعد بل الوجه في تخصيصهما ان يقال على تقدير
تسليم ما زعموا ان النخاع والقوى القلبية والكبدية والدماغية كلها متعاونة في ابراز ذلك النطفة
وتوليده على ما زعموا فنبه الله تعالى على الدماغ بخليفة الدماغ والنخاع في تكون ذلك الماء بذكر الصلب لانه
محل النخاع الذي هو خليفة الدماغ ويتشعب منه والى مدخلية القلب والكبد بذكر الترائب لان
الترائب موضع القلب والكبد ومشتمل عليهما ولا ضرورة الى تخصيص الترائب بالنساء فانه قد
ذهب قوم الى ان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائبه واحتج على ما ذهب

الترائب واحدة الترائب
من عظام الصدر صح

اليه بان الله بين ان الانسان مخلوق من ماء دافق اي ذي اندفاق وانصباب والمصبوب بذلك هو ماء الرجل ثم وصف ذلك الدافق بانه يخرج من بين الصلب والترائب فدل ذلك على ان الترائب ترائب الرجل وعدم التعرض بماء المرأة لا ينافي لان يكون لمائها مدخل في تكون الولد و اجاب القائلون بان الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة عن هذا الاحتجاج بان توصيف هذا الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض اجزائه قوله والضمير للخالق يعني ان ضميرانه للخالق المدلول عليه بقوله خلق فحتم اولا بذكر الفاعل في قوله مم خلق خلق اذ لا يذهب الوهم الى خالق سواه وختم ثانيا بالاضمار قبل الذكر لذلك ايضا ولا خفاء في ان ضمير رجعه للانسان وعلى من صلة لقادر فان قيل ما وجه الاختصاص المستفاد من تقديم قوله على رجعه على عامله وهو لقادر مع انه تعالى قادر على كل شيء قلنا ان التقديم قد لا يكون للتخصيص بل لمجرد الاهتمام او التبرك والاستلذاذ او موافقة كلام السامع او ضرورة او رعاية السجع والفاصلة او ما اشبه ذلك والتقديم ههنا للاهتمام به من حيث ان الكلام فيه بخصوصه والامر بالنظر في مبداء خلقه لكونه مرسلة ومؤديا الى العلم بصحة الرجع كانه قيل فلينظر مم خلق ليعلم ان خالقه من مثل ذلك الشيء الحقير لقادر على اعادته و رده حيا بعد موته فلا يشتغل الا بما يسره في القيمة ان يراه ثم انه تعالى لما اقام الدليل على صحة القول بالبعث والقيمة وصف حاله في ذلك اليوم فقال يوم تبلى السرائر الاية والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهو الذي يكتم ويخفى والمراد بها في الاية ما استتر في القلوب من العقائد والنيات وما اخفي من الاعمال والابلاء هو الاختبار والاختبار الجوهري بلوته بلوا اختبرته واختبرته و ابلاه الله بلاء وابلاء وابتلاه اي اختبره واطلاق الابلاء على الكشف والتمييز من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب لان الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله تعالى عباده بالامر والنهي ليكون كشفا لما علم منهم في الازل قوله وهو ظرف لرجعه قيل عليه لا يجوز ان ينتصب للفصل بين الصلة والموصول بالخبر ان وهو لقادر ولا ينتصب ايضا بقادر لانه تعالى قادر في كل الاوقات لا يختص قدرته بوقت دون وقت الا ان يقال معنى كونه منتصبا برجعه انه منتصب بمضمر دل عليه رجعه اي يبعثه يوم تبلى السرائر واجيب بان الفصل غير مانع من كونه ظرفا لرجعه لانه مؤخر تقديرا وانما مراعاة للفاصلة على ان الظرف اتسع الى غيره قوله في نفسه مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجع الله الانسان في ذلك اليوم فما له من قوة في نفسه يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره في دفعه

بان المصدر العامل موصول لكونه مأولا بان مع الفعل

في دفعه ولا شك انه زجر وتحذير ومن في قوله من قوة لافادة عموم النفي لجميع افراد القوة والانصار قليلا او كثيرا كانه قيل ما له شيء من القوة ولا احد من الانصار قوله سمي به كما سمي اوبا لان الله تعالى يرجعه اي يرجع نوعه بانزال المثل الاول وسمي المطر بمصدر رجع وآب بمعنى ذو رجوع واوب او لانه لكثرة رجوعه جعل نفس الرجوع والاوب مبالغة لان الماء النازل من السماء الى الارض هو الذي صعد منها بان حمله السحاب من البحار صعد منها ثم رجع اليها فسمي رجعا لذلك فانه تعالى يبدئ المطر ثم يرجعه وقتا فوقتا قال الشاعر ربا شماء لا ياوي لقلتها الا السحاب والا الاوب والسبل يقال ربأت الجبال علونها وشماء اي مرتفعة صفة محذوف اي اطلاع جبال شماء اي شامخة مرتفعة والاوب والسبل المطر يصف رجلا يصعد العقاب الشاقة ورجع يتعدى ولا يتعدى يقال رجع هو بنفسه ورجعه غيره قال تعالى فرجعناك الى امك و هذا يعني لا رجعه غيره قوله من النبات بيان ما في ما تصدع عنه الارض فعلى هذا يكون المراد بالصدع نبات الارض سمي به لانه صادع للارض والارض تتصدع به قوله او الشق بالنبات بدل من الصدع للبيان والتفسير والصدع في اللغة الشق ومنه قوله تعالى يومئذ يصدعون اي يتفرقون فذات الصدع اي ذات الانشقاق بالنبات والعيون واعلم انه سبحانه لما ذكر كيفية خلق الحيوان وجعله دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ذكر في هذه الاية كيفية خلقه النبات فالسماء ذات الرجع كالاب والارض ذات الصدع كالام وكلاهما من النعم المعظم لان نعم الدنيا موقوفة على ما ينزل من السماء من المطر متكررا وعلى ما ينبت من الارض كذلك وانه تعالى بعد ان فرغ من بيان دليل التوحيد والمعاد اقسم قسما آخر بقوله والسماء ذات الرجع على قوله انه لقول فصل يفصل به الحق عن الباطل والهزل اللعب والبيان الفصل قد يذكر لا على سبيل الجد والاهتمام بشانه بل يذكر انفاقا من غير ان يقصد بذكره فائدة مطلوبة وهو ذكره بالهزل واللعب وقد يذكر على سبيل الجد والاهتمام بشانه والقران كله من هذا القبيل فانه كله نزل بالجد لا بالهزل واللعب قوله واكيد كيدا اشارة الى ان تسمية ما كان من الله تعالى في حق اهل مكة من استدراجهم والانتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء لهم لان الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز اسناده اليه تعالى مرادا به معناه الحقيقي وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة كثير في القران مثل نسوا الله فنسيهم ويخادعون الله وهو خادعهم والله يستهزئ بهم بعد ما حكى منهم قولهم انما نحن مستهزؤن قوله امهلهم رويدا اشارة الى ان رويدا ههنا صفة مصدر محذوف لا اسم فعل لانه لو كان اسم فعل يكون المعنى امهلهم ارودهم اي امهلهم فيكون الامر بالامهال مكررا

قوله ان النعت ان ... جعل ضمير انه ... الذي ... ان النعت لان الاوب ... قال الامام جعل لا تقدم ... صلة للنعت ... او من الضمير الى المذكور لان ... اولى

ثلث مرات فان مهلا وامهلا وارود بمعنى واحد وفائدة التأكيد قد حصل بالثاني فبقي الثالث
بلا فائدة واما اذا كان صفة مصدر محذوف فانه ح يكون مصغر رود بضم الراء وهو المهل و
يكون التصغير للتقليل فكرر الامر بالامهال لزيادة التسكين والتصبير لان التكرير للتأكيد وخولف
بين لفظي الامر بان بني احدهما من باب التفعيل والثاني من باب الافعال لزيادة التسكين ايضا
وذلك لان المعنى الواحد اذا عبر عنه بعبارتين مختلفتين يرى كانه شيئان مختلفان ان يشتغل
بكل واحد منهما فقصد على حدة ثم انه تع بعد ما سكن رسوله صلى الله عليه وسلم وصبره بان
امره بامهالهم امرا مؤكدا بين ان زمان الامهال قليل بان وصفه بقوله رويدا فان رويدا في
كلام العرب يستعمل على ثلثة اوجه احدها ان يكون اسما للفعل الامر فيعمل عمل الافعال يقال رويد
زيدا اي ارود زيدا وامهله وخله ودعه وارفق به ولا يتصرف في رويد على هذا الوجه
لانه ح يكون من الاسماء الغير المتمكنة والثاني ان يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف
الى ما بعده كما يضاف المصادر فتقول رويد زيد كما تقول ضرب زيد قال تع فضرب الرقاب والثالث
ان يكون نعتا منصوبا كقولك ساروا سيرا رويدا ويقولون ايضا ساروا رويدا فيحذفون
المنعوت ويقيمون رويدا مقامه كما يفعلون بسائر النعوت المتمكنة فعلى هذا يجوز في رويد
امران احدهما ان يكون حالا بمعنى غير مستعجل والثاني ان يكون نعتا كما ذكر وان اظهرت
المنعوت لم يجز ان يكون حالا والذي في الاية مستعمل على الوجه الثالث لعدم ذكر المنعوت قبله
فيجوز ان يكون نعتا كما اختاره المص وان يكون حالا بمعنى غير مستعجل ثم منهم من قال ان المعنى
امهلهم رويدا الى يوم القيمة وانما صغر ما بين الوقتين بناء على ان كل ما هو آت قريب و
منهم من قال امهلهم رويدا الى يوم بدر والاول اولى لان الذي جرى يوم بدر وفي سائر
الغزوات لا يعم الكل واذا حمل على امر الآخرة عم الكل وايا ما كان فهو زجر وتحذير للقوم عما
كانوا عليه وترغيب فيما هو خلاف طريقهم من الطاعات **سورة الاعلى مكية**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** نزه اسمه عن الالحاد فيه اي عن
الميل عن الحق والصواب في تفسيره بان يفسر شيء من اسمائه بما لا يصح ثبوته في حقه تع
نحو ان يفسر الاعلى بالعلو في المكان والاستواء بالاستقرار فيجب ان ينزه كل واحد من
الاسمين المذكورين عن هذا التاويل بان يأول الاستواء بالاستيلاء والعلو بالفوقية و
الارتفاع في الرتب المعقولة كالعلم والقدرة والارادة والكرم والرحمة وغير ذلك من
صفات الكمال فان الموجودات اذا قسمت الى درجات متفاوتة بحسب هذه الصفات الكمالية
يكون الحق تع في الدرجة العليا من درجات اقسامها حتى لا يتصور ان يبلغ موجود ما الى

الى درجة فضلا عن ان يكون فوقه درجة فهو العلي المطلق وكل ما سواه علي بالاضافة الى ما
دونه ودني سافل بالاضافة الى ما فوقه وكما يجب تنزيه ذاته تع عما لا يصح ان يثبت له من الكم
يجب تنزيه اسمائه الدالة على الكمال عما لا يصح منها ذلك كالتاويلات الزائفة ومن تنزيه اسمائه
ابعادها عن ان يسمى بها غيره تع على الوجه الذي يسمى بها الحق تع فان العبد وان صح ان يطلق
عليه انه رحيم حليم كريم محسن ونحو ذلك لكن ذلك الاطلاق بوجه آخر غير الوجه الذي اطلق به عليه
تع ومن تنزيهها ايضا ان يصان عن ذكرها الا على وجه الخشوع والتعظيم ويدخل فيه ان يذكر
تلك الاسماء عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها والمراد باسماء الله تع المعاني
الجارية على الذات حمل مواطأة كالقادر والعليم لا الالفاظ فقط ولا المحمولة حمل اشتقاق بمعنى
نحو القدرة والعلم فانهما من الصفات وان كان قد يتجوز باستعمال احدهما مكان الآخر واعلم ان
للاشياء في وجودا في الاعيان ووجودا في الاذهان ووجودا في اللسان اما وجودها في الاعيان
فهو الوجود الاصلي الحقيقي والوجود في الاذهان هو الوجود العلمي الصوري والوجود في اللسان
هو الوجود اللفظي الدال على ما في الذهن من الصورة العلمية وتلك الصورة هي المنطبعة في
النفس من الوجود العيني الخارجي فلو لم يكن وجود في الاعيان لم ينطبع الصورة في الاذهان
ولو لم تنطبع الصورة في الاذهان لم يعبر عنها اللسان فاذن اللفظ والعلم والمعلوم ثلثة امور
متباينة لكنها متطابقة متوازية وهذا مما يشهد به الذوق السليم بعد المراجعة الى ذكره على
الكلام في مباحث الكيف وبحث الوجود الذهني وظهر بهذا ان الاسم غير المسمى الذي هو الموجود
في الاعيان بالوجود الاصلي كما انه غير الصورة الذهنية التي يعبر عنها بالعلم ومن العلماء من ذهب
الى ان الاسم عين المسمى وان تعدد الاسماء راجع الى تعدد الصفات الذاتية والفعلية
القائمة بذات المسمى وانما ذهبوا اليه زعما منهم بان اسماءه تع لو كانت عبارة عن الالفاظ
الدالة على ما هو في النفس لزم ان لا يكون له تع اسماء في الازل اذ لم يكن في الازل لفظ ولا لافظ
لان كل واحد منهما حادث واجيب عنه بان المراد بالاسماء في قوله تع ولله الاسماء الحسنى
معاني الاسماء المحمولة على الذات حمل المواطأة كما ذكرنا فان معاني نحو القدوس والعالم و
القادر ثابتة له في الازل وان لم يكن الاسماء متحققة فيه فانه تع قدوس وعالم في الازل بمعنى
انه كان متصفا بصفة القدس والعلم فيه ولا محذور في حدوث الاسماء الملفوظة المنصفة
بكونها عربية مشتقة قليلة الحروف او كثيرها لان مقتضى الدليل القاطع ان ذاته تع وصفاته
الذاتية والفعلية قديمات مصونات عن الزوال باعتبار وجوداتها العينية واما وجودها في
اللسان وفي اذهان الانسان فحادثة بحدوثهما **قوله** وقرئ سبحان ربي الاعلى روي عن

علي وابن عمر رضي الله عنهم انهم قرءوا سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل الوجه فيه ان قوله
سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى ولعل مقصود
المص من ايراد الحديث بيان انه صلى الله عليه وسلم بين طريق الامتثال بالامر وموضع الامتثال
به فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة النظم بما روي عنهما نقل عن التفسير الثعلبي ان اول من
قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل قال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل اخبرني عن ثواب من قال في
صلوته او في غير صلوته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت
له في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى و
فوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات
زاره ميكائيل كل يوم فاذا كان يوم القيمة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب
شفعني فيه فيقول الله تعالى قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره الامام ابو الليث
في تفسيره بما شيء من هذا القدر **قوله** خلق كل شيء فسوى خلقه اشارة الى ان حذف مفعولي
خلق وسوى لقصد التعميم وان تسوية خلق المخلوقات خلقها موصوفة بوصف الاحكام والاتقان
سالما عن الخلل والنقصان جامعا لجميع ما يتوقف عليه كماله في ذاته وينتظم به اسباب معاشه
قوله اي قدر اجناس الاشياء اي جعل اجناس الاشياء بمقدار معلوم وكذا جعل انواع
كل جنس واشخاص كل نوع بمقدار معلوم وجعل ايضا مقدار كل شخص في جثته واوضاعه وسائر
صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والالوان والاشكال
والطعوم والروائح والارزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال تعالى وان من شيء الا
عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم **قوله** انبت ما ترعاه الدواب من العشب لا كالاصنام
التي عبدتها الكفرة قال ابن عباس رضي المرعى الكلاء الاخضر وفي الصحاح الرعي بالكسر الكلاء
وبالفتح المصدر والمرعى الرعي والموضع والمصدر والغثاء ما يبس من النبت فحملته الاودية
والمياه الجوهري الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من الغاش وكذلك الغثاء بالتشديد والتغثي جمع الشيء من ههنا و
ههنا وذلك الشيء غاش **قوله** يابسا اسود اشارة الى ان الغثاء بمعنى اليابس وان الاحوى
بمعنى الاسود صفة لغثاء وسبب ذلك السواد اما احتراقه بشدة الحر او ان السيل يحمله فيلصق
به اجزاء كدرة فيسود لذلك او ان الريح يحمله فيلصق به الغبار الكثير فيسود وعلى تقدير كون احوى
حالا من المرعى يكون الاحوى بمعنى الاسود لشدة الخضرة كما قيل مدهامتان صفة لقوله جنتان
اي سوداوان لشدة خضرتهما فعلى هذا يكون في الاية تقديم وتاخير والتقدير الذي اخرج المرعى احوى فجعله
غثاء احوى قال مجاهد ومقاتل والكلبي كان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القران اكثر

ولو تتبعت احوال النباتات و
الحيوانات لرايت في كل منها بحار
فيه العقول روي ان الافعى
بلغت الف سنة عميت وقد الهما
الله تعالى ان تمسح عينها بورق
الرازيانج الغض يرد البصر
بصرها فربما كانت بينها وبين
الريف مسافة طويلة فتطوي
حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج لا تخطئها
فتحك عينها بورقها وترجع
باصرة باذن الله ويروى
ان التمساح لا يكون له دبر
وانما يخرج فضلات ما ياكله
من فمه حيث قيض الله تعالى
له طائرا قدر غذاءه من
ذلك فاذا راه التمساح يفتح
فمه فيدخل الطائر فيأكل ما
فيه وقد خلق الله تعالى له من
فوق منقاره قرنا كحنة تربيعي
لئلا يطبق عليه التمساح
فيه هذا واما فنون هداياته
تعالى للانسان من حيث الجسمية
ومن حيث الحيوانية فمما لا
يحيط به تلك العبارة والتحرير
ولا يعلمه الا العليم الخبير

اكثر تحريك لسانه مخافة ان ينسى وكان جبريل لا يفرغ من اخر الوحي حتى يتكلم هو صلى الله عليه
وسلم باوله مخافة النسيان فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس بعد ذلك شيئا لانه اخبار منه
تعالى واخباره صدق ولا في قوله فلا تنسى نافية وعليه الاكثرون لا للنهي لان الانسان لا ينهى
عن النسيان لانه ليس باختياره ولذلك ثبت الالف في فلا تنسى خطا ولا لفظا ومن جعله
نهيا عن النسيان احتاج الى تكلف في توجيه ورود النهي عما ليس لقدرة العبد واختياره
فيه مدخل بان يقول ان النهي وان كان عن النسيان صورة لكنه في الحقيقة عن سببه وهو
الغفلة عن دراسته وتكريره فكانه قيل فلا تغفل عن قراءته وتكريره فتنساه واحتاج
في توجيه ثبوت الالف الى ان يقول انها مزيدة رعاية لفواصل الآي كالتي في الظنونا والسبيلا
وحمله على الخبر اولى لعدم احتياجه الى تكلف ولانا اذا جعلناه خبرا كان معنى الاية بشارة
الله تعالى اياه بانه اجعلك بحيث لا تنسى واذا جعلناه نهيا كان معناها ان الله تعالى امره بان
يواظب على الاسباب المانعة من النسيان وهي المواظبة على القراءة والدراسة وهذا
ليس في البشارة وتعظيم حاله مثل الاول ولانه على خلاف قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به **قوله**
على لسان جبريل او يجعلك قارئا بالهام القراءة على ان يكون همزة اقرأ للصيرورة اي لصيرورة
الفاعل ذا اصله اي يجعلك قارئا للقران تقرؤه متى شئت بحيث لا ينطق لك لسان شيء
منه وعلى الاول يكون الهمزة للتعدية اي لجعل فاعل اصله مفعولا ويكون المعنى سنعلمك هذا القران
على لسان جبريل حتى تحفظه فلا تنساه من حيث ان جبريل يقرؤه عليك مرارا كثيرة الى ان يستقر
ويتمكن في خاطرك فلا تنساه فعدم النسيان على هذا المعنى متفرع على التعليم والتكرير والتثبت
وعلى كون الهمزة للصيرورة يكون متفرعا على مجرد جعل الله وتصييره اياه قارئا بقراءة ما سمعه من
جبريل مرة واحدة متى شاء بان يلهم الله تعالى قراءته في اي وقت شاء والهام القراءة لا يستلزم كون
اصل المقروء مسموعا من جبريل منزلا عليه بواسطته قال الامام ذكروا في كيفية ذلك الاقراء
والتعليم وجوها احدها ان جبريل سيقرأ عليك القران مرات حتى تحفظه ولا تنساه وثانيها انا
نشرح صدرك ونقوي خاطرك حتى تحفظ بالمرة الواحدة حفظا لا تنساه وذكر وجها ثالثا
لم اقف على معناه اما الصعوبة في نفسه واما السقامة النسخة **قوله** اصلا اي بوجه ما لا بطريق
النسخ ولا بغيره وذكره ليظهر معنى الاستثناء المتصل قوله لتكون ذلك اية اخرى لك **قوله**
ووقوعه كذلك منصوب بالعطف على اسم ان معنى ان هذه الاية تدل على المعجزة من وجهين الاول
انه رجل امي تحفظ لهذا الكتاب المطول من غير دراسة ولا كتبة خارق للعادة فيكون
معجزا والثاني ان هذه السورة من اوائل ما نزل بمكة وفيها اخبار عما سيقع في المستقبل

من امر عجيب غريب مخالف للعادة وقد وقع كما اخبر به ولا شك ان الاخبار عن الغيب
ثم وقوعه كما اخبر به معجزة **قوله** بان نسخ تلاوته فان الانساء الكلي الدائم في جميع الاوقات بحيث
لا يذكر بعد ذلك نوع من النسخ وطريق من طرقه فالمعنى الا ما شاء الله ان تنساه في الاوقات كلها
نسيانا دائما وذلك الانساء هو النسخ او يكون النسيان متفرعا على النسخ فانه تعالى اذا نسخ تلاوة
شيء من الايات وامر النبي صلى الله عليه وسلم بان لا يقرءه ولا يصلي به يصير ذلك سببا لنسيانه
وزواله عنه وايا ما كان فالمستثنى الذي هو ما شاء نسيانه يراد به الايات التي نسخت تلاوتها
والمراد بنسيانها النسيان الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده **قوله** وقيل المراد به القلة
معطوف بحسب المعنى على التفسير السابق فلا يراد بالنسيان حينئذ ما يكون بنسخ التلاوة بل
يراد به النسيان المتعارف الذي يعقبه الذكر بعده ويكون المقصود بالاستثناء تعليل المنسي
بهذا المعنى مع انه لا يبقى منسيا دائما استفاد من العطف والمقام ووجه انفهام معنى القلة من
هذا الاستثناء انه لما ابتدأ بنفي النسيان مطلقا ثم استثنى من مفعول فعل النسيان القدر الذي
تعلق مشيئة الله بنسيانه ولا شك ان تعلق المشيئة بنسيان شيء منه غير معلوم ويجوز ان لا تتعلق
اصلا وعلى تقدير تعلقها بنسيان شيء من ذلك فلا محالة ان ما تعلقت المشيئة بنسيانه اقل
من الباقي بعد الاستثناء فدار امر الاستثناء بين ان ينتفي رأسا وبين القلة والندرة
وما كان كذلك في غاية القلة فهذا وجه حمل قوله تعالى الا ما شاء الله على استقلال ما ينساه **قوله**
او نفي النسيان رأسا مرفوع معطوف على قوله القلة والندرة فعلى هذا لا يكون قوله الا ما
شاء الله جاريا على حقيقة الاستثناء كما في الوجهين الاولين بل يكون مجازا عن نفي النسيان
رأسا لما مر ان قوله الا ما شاء الله من الالفاظ الدالة على القلة واستعمال القلة بمعنى النفي
رأسا على طريق المجاز وارد في كلامهم ومنه قولهم وقليل ما هم في مقام نفي الموصوفين المذكورين
قبل وقول الكلبي انه صلى الله عليه وسلم لم ينس بعد نزول هذه الاية يؤيد هذا الوجه الثالث لكن
حمل الاستثناء الوارد بعد النفي لا يخلو عن بعد فتأمل **قوله** فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء
وانساء تفريع على التفسيرين واشارة الى ان قوله انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل للحكم السابق
المشتمل على الاستثناء بان يجعل علمه تعالى بما ظهر وبما خفي من احوال عباده او من جهره صلى الله
عليه وسلم بالقرآن جبريل وما خفي في نفسه مما يدعوه اليه من مخافة التفلت والنسيان مجازا
عن علمه بما فيه صلاح العباد فلا ينسيه الا ما انساه من الوحي ولا يبقي الا ما ابقاه لمصلحة تعود
اليهم ولو قال بعد هذا القول او فلا تخف فاني اكفيكه ما تخافه لكان اظهر **قوله** ونعدك للطريقة
اليسرى ضمن قوله نيسرك معنى الاعداد والتوفيق توجيها لتعديته بدون اللام فان العبارة

فان العبارة المعتادة ان يقال اجعل الفعل الفلاني يسرا لفلان ولا يقال اجعل فلانا يسرا
للفعل الفلاني كما في الآية وكما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له والاعداد
والتوفيق يتعديان بنفسهما وقوله للطريقة ابراز للموصوف اليسرى واشارة الى وجه تأنيثه
والدين الطاعة ودان له اي اطاعه ودان بكذا او تدين به جعله طاعة والطريقة اليسرى في باب
الطاعة هي طريقة الاسلام التي هي الطريقة السهلة السمحة البيضاء وقال ونيسرك بنون
العظمة ليكون عظمة المعطي دليلا على عظمة العطاء ونظيره قوله تعالى انا انزلناه انا نحن نزلنا
الذكر انا اعطيناك الكوثر وكيف لا وقد كان صبيا لا اب له ولا ام نشأ في قوم جهال ثم انه تعالى
جعله في افعاله واقواله قدوة للعالمين وهاديا للخلق اجمعين الى شريعة لم يهتد الى مثلها
احد من الاولين وان تيسيرا يبلغ الى هذه الدرجة **قوله** بعدما استتب لك الامر بيان
لمعنى فاء التعقيب يقال استتب له الامر اذا تهيأ واستقام يعني انه تعالى لما تكفل له
بتعليم القرآن وتيسير حفظه له بحيث لا ينسى شيئا منه الا ما شاء الله نسيانه او بتيسير
سبل الرشد والتدين امره بتذكير الخلق ودعوتهم الى الحق ليكون جامعا بين منصبي
الاهتداء والهداية ودولتي الكمال والتكميل فان تكميل الناقصين وهداية الجاهلين ارفع
مناصب واولى الفضل والكمال **قوله** لعل هذه الشريطة انما جاءت الخ جواب عما يقال
انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الناس كافة لينذرهم بسوء عاقبة الكفر والعصيان
ويذكرهم ببيان ثواب الطاعة والعرفان فعليه ان ينذر الكل ويذكرهم سواء نفعتهم
الذكرى او لم تنفعهم فان نفعتهم الذكرى بان يقبلوها ويهتدوا ويصلوا الى المطلوب والا فلا اقل من انه
يظهر بها عصيان المعاندين واستحقاقهم للمؤاخذة والعذاب وتنقطع بها حجتهم حيث لا
يمكنهم بعد الانذار والتذكير ان يقولوا انا كنا عن هذا غافلين لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك ونكون من المهتدين فان سنة الله تعالى قد جرت على انه لا يعذب قوما على ما فعلوا
حتى يبعث فيهم رسولا يبين لهم ما يأتون وما يذرون قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا فاذا تقرر انه يجب عليه ان يذكر الكل في كل حال نفع او لم ينفع فما وجه تعليق التذكير
على الشرط في قوله ان نفعت الذكرى واجاب عنه المص بوجوه ثلثة محصول الاول ان ما ذكر من
وجوب التذكير العام عليه في كل حال انما هو قبل الزام الحجة عليهم واتمام دعوتهم بتكرير التذكير
باوضح البيان وابلغ التقرير الى ان يتبين الحق عند طالبه فيتبعوه ويظهر ان من اصر على
الكفر والضلال بعده انما يصر عليه لعناده واتباعه هواه واما بعد ذلك فلا يجب الا بشرط
ظن نفعه فان تذكير من حصل اليأس عن انتفاعه واهتدائه به لا فائدة له سوى اتعاب

النفس التلهف عليهم وحصول الشاذ ان قوله تعالى ان نفعت الذكرى وان كان ظاهره شرطا و
تعليقا لايجاب التذكير على ترتب النفع عليه لكن لم يؤت به في هذا الموضع لتقييد الحكم به وانما اتى به ذما
للمذكرين وتنبيها للرسول صلى الله عليه وسلم انه لا ينفعهم الذكرى كما يقال للرجل ادع فلانا ان اجابك
والمعنى ما اراه يجيبك فكانه قيل فذكرهم وما يظن اتعاظهم وقبولهم منك فاذا لم يكن التعليق والتقييد
مرادا بقي الامر بالتذكير على اطلاقه غير مقيد بشرط رجاء نفعه واما الجواب الثالث فانه محل
بحث وتامل لا يلائمه بعدم وجوب التذكير عليه في كل حال بل ان وجوبه عليه انما هو اذا ظن نفعه
وليس كذلك لما مر ولعل مراده انه صلى الله عليه وسلم وان وجب عليه التذكير العام في كل حال
وان وجوب التذكير عليه غير مقيد برجاء اهتداء المذكرين الا انه اتى بصورة التقييد للاشعار
بان معظم الحكمة في ارسال الرسل وايجاب التذكير عليهم هو انتفاع الامة واهتداؤهم بالذكرى
وان كان الزام الحجة على المعاندين داخلا في حكمة الارسال وايجاب التذكير على الرسل
الا ان هذه الحكمة والايجاب في جنب الاولى كانها ليست بحكمة وكان التذكير انما يجب عليهم للانتفاع
الامة به بحيث اذا ظنوا عدم الانتفاع لا يجب عليهم ذلك وايد هذا التوجيه بقوله تعالى واعرض
عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا **قوله** وهو بنا والعارف والمتردد فان الناس
في امر المعاد على ثلثة اقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه
لا بالنفي ولا بالاثبات ومنهم من اصر على انكاره وقطع بانه لا يكون فالقسمان الاولان يكون
الخشية حاصلة لهما دون الثالث فقوله تعالى من يخشى كما بنا والعارف بالله وبكمال
قدرته وعلمه وحكمته فيقطع لذلك بصحة المعاد ثانيا وايضا من يتوقف الى ان يتبين له الحق
ولا يكون من اهل العناد والاصرار فانه اذا سمع اية التخويف مثل ان من كفر فانه يصلى النار الكبرى
ثم لا يموت فيها ولا يحيى انكسر قلبه فيحمله ذلك على استماع الحق وقبوله بخلاف من غلب هواه وحمله
ذلك على العناد والاصرار فان قلبه يقفل عليه فلا يصل اليه الخوف والخشية فلا ينتفع بالذكر
لان الانتفاع بها مبني على حصول الخشية في القلب ولم يحصل فلا جرم يتجنب الذكرى ولا يقبلها بل
يتباعد عنها ولا ينتفع بها وهو المراد بالاشقى الذي هو القسم الثالث من اقسام الناس **قوله**
الاشقى الكافر يريد ان اللام في الاشقى اما لجنس الاشقى وهو الكافر او لعهد معين من الكفرة
كوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة وابي بن خلف والمفضل عليه على الاول جنس الفاسق و
على الثاني سائر الكفرة فانه قد روي ان قوله سيذكر من يخشى نزل في عثمان رض وقوله ويتجنبها
الاشقى نزل في الوليد وعتبة وابي وانت تعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب
لا سيما ان التقسيم السابق وان القول بان المراد بمن يخشى القسمان الاولان من تلك الا

الاقسام وبالاشقى القسم الثالث يؤيده العقل السليم **قوله تعالى** ولا يحيى حيوة تنفعه لذو في
معنى قوله تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ويقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو
حي ولا هو ميت وقيل روح احدهم في النار تصير في حلقه فلا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها"
من الجسد فيحيى واتى بكلمة ثم لان هذه الحالة افظع واعظم من نفس الصلي فهي متراخية عنه في
مراتب الشدة والكبرى اسم تفضيل لانه تانيث الاكبر فيقتضي المفضل عليه وهو نار الدنيا ان كان
المراد بالنار الكبرى نار جهنم وان كان المراد بها ما في اسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب
الكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يكون المفضل عليه ما في الدركات
التي فوقها فان في جهنم نيرانا ودركات متفاضلة كما ان في الدنيا ذنوبا ومعاصي متفاضلة
فكما ان الكافر اشقى العصاة كذلك يصلى اعظم النيران **قوله** او تكثر من التقوى من الزكاء وهو
بالمد النماء يقال زكى الزرع يزكو زكاء اي نمى وتكثر والزاكي هو النامي الكثير وهذا الوجه يعتضد
بقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون اثبت الفلاح للمستجمعين لتلك
الخصال وكذلك قوله تعالى في اول البقرة واولئك هم المفلحون والوجه الاول يعتضد بوجهين
الاول انه تعالى لما لم يذكر في هذه الاية ما يجب التزكي عنه علمنا ان المراد هو التزكي عن الكفر
الذي تقدم ذكره قبل هذه الاية والثاني ان اسم المطلق ينصرف الى المسمى الكامل واكمل انواع
التزكية وهو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق اليه **قوله** ويجوز ان
يراد بالذكر تكبيرة التحريم كما ذهب اليه الامام الاعظم ابو حنيفة رح فيكون المعنى ح وذكر
اسم ربه لافتتاح الصلوة وصلى عقيبه واحتج بهذه الاية على وجوب تكبيرة الافتتاح"
حيث عدت في جملة ما علق به الفلاح وعلى انها ليست من اركان الصلوة حيث ان
الصلوة عطفت عليها بفاء التعقيب والملابسة بالكل انما تكون بملابسة ركن من"
اركانها لا عقيبها وعلى ان افتتاح الصلوة والشروع فيها غير مختص بلفظ التكبير بل هو
جائز بكل اسم من اسمائه تعالى فالمناسب على هذا ان يحمل التزكي على التطهر للصلوة لتكون
الاية مسوقة لمدح كل من حصل بهذين الشرطين للصلوة وصلى عقيبها والائمة الثلثة فنفوا
ما قالوا وان دلت الاية على مدح كل من ذكر اسم الله فصلى عقيبه لكن ليس في الاية بيان ان
ذلك الذكر هو تكبيرة الافتتاح لجواز ان يكون المراد من ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه وذكر ثوابه و
عقابه دعاه ذلك الى فعل الصلوة فحينئذ تاتي بالصلوة التي احد اركانها واجزائها تكبيرة الافتتاح
كما روي عن ابن عباس رض انه قال في تفسير هذه الاية ذكر معاده وموقفه بين يدي
ربه فصلى له قال الامام واقول بهذا التفسير متعين وذلك لان مراتب اعمال المكلف ثلثة

ان ان ازل
ركبان وان ان
واعلم ورضا
واعلم وراضا

ولا اشتراط اليد اللفظ صلى فوا
الصلوة لذكر نظر الصلوة الاية
ايضا في الدلالة على ان الاية
لا تدل الخصم بالجواز ٢
منه

فالاولى ازالة العقائد الفاسدة عن القلب والثاني استحضار معرفة الله بذاته و
صفاته واسمائه والثالث الاشتغال بخدمته وطاعته فالمرتبة الاولى هي المراد بالتزكية
في قوله قد افلح من تزكى وثانيها هي المراد بقوله وذكر اسم ربه فان الذكر بالقلب ليس الا المعرفة
وثالثها الخدمة هي المراد بقوله فصلى فان الصلوة عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار
قلبه بمعرفة جلال الله لابد وان يظهر في جوارحه واعضائه اثر الخضوع والخشوع انتهى
كلامه واذا حمل التزكي على اداء الزكوة المفروضة يكون الاية نظير قوله واقام الصلوة
وآتى الزكوة وقيل هذا التفسير بعيد من حيث ان عادة الله جارية على تقديم الصلوة
على الزكوة اينما ذكرا معا وهذا التفسير يستلزم مخالفة العادة ورد كما **قوله** وقيل تزكى
اي تصدق للفطر روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال نزلت هذه الاية في هذا يعني ان المراد بالتزكي
اخراج صدقة الفطر قبل المضي الى المصلى وبالذكر ان يكبر في الطريق حين خروجه الى المصلى
وبالصلوة ان يصلي صلوة العيد بعد ذلك مع الامام وقال بعضهم لا ادري ما وجه هذا التاويل
لان هذه السورة مكية بالاجماع ولم يكن بمكة عيد ولا زكوة فطر واجيب بانه لما كان في
علم الله ان ذلك سيكون اثنى على من فعل ذلك فانه قد يخبر عما سيكون كما في قوله سيهزم الجمع
ويولون الدبر قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وقاله وانت حل بهذا
البلد فان السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح حتى قال صلى الله عليه وسلم احلت لي ساعة
من نهار **قوله** فلا تفعلون ما يسعدكم في الاخرة اشارة الى ما دل عليه كلمة بل من النفي المتعلق بالكلام
السابق فانها موضوعة لنفي ما تقدم وتحقيق غيره **قوله** فان السعي للدنيا اكثر في الجملة اي في الكل
قال ابن مسعود رضي الله عنه ان الدنيا احضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها
وان الاخرة نعتت لنا وزويت عنا فاخذنا العاجل وتركنا الآجل وترك الآجل حال اكثر
الناس وجعله للكل تغليبا واقامة للاكثر مقام الكل **قوله** والخطاب للاشقين اشارة بايراده
بلفظ الجمع الى ان الاشقى جنس وهو في معنى الجمع **قوله** فان نعيمها ملذ بالذات بيان لوجه خيرية الاخرة
جعل نعيمها نفس الالتذاذ مبالغة في سببيتها له ونعيم الدنيا وان كانت يستلذ بها الا انها في ذاتها
ليست للاستلذاذ بها وانما خلقت لان يتقوى بها على الطاعة ويتوسل بها الى سعادة الاخرة
بخلاف نعيم الاخرة والفوائد الجمة الفائتة وهي النشر **قوله** من قد افلح بيان لاول ما قد سبق
ومنتهاه قوله والاخرة خير وابقى فان قوله قد افلح من تزكى اشارة الى تطهير النفس عن كل ما لا ينبغي
عن العقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة وقوله وذكر اسم ربه اشارة الى تكميل الروح بمعرفة

ويظهر بهذا كون هذه الاية نظير قوله اذا قمتم الى الصلوة للذكرى اي للذكر نوافل او عقائد وذكر رجوعه الى [illegible] منه

ونكتة الالتفات المبالغة في الذم فان الذم مواجهة ابلغ في الذم منه في الغيبة وفي [illegible] اضمار [illegible] الى انهم لا يستحقون خطاب الله منه

بمعرفة الله وقوله فصلى اشارة الى تكميل الجوارح وتزيينها بطاعة الله وقوله والاخرة
خير وابقى اشارة الى الترغيب في الاخرة وفي ثواب الله في دار كرامته وهذه امور لا يجوز
ان تختلف باختلاف الشرائع فلهذا قال ان هذا لفي الصحف الاولى والصحف جمع صحيفة وهي الكتاب
قيل صحف موسى عليه الصلوة والسلام هي الالواح التي كتب فيها التورية وقيل هي صحف انزلت
عليه قبل ذلك وصحف ابرهيم عليه الصلوة والسلام كتب انزلت عليه وروي ان ابا ذر رضي سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان قال كم انزل الله من كتاب فقال مائة واربعة كتب على ادم عشر
صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف والتورية
والانجيل والزبور والفرقان كذا قال الامام وفي التيسير صحف شيث هي ستون وصحف ابرهيم و
هي ثلثون وصحف موسى قبل التورية وهي عشر والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل كان
في صحف ابرهيم ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا
على شانه

سورة الغاشية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الغشاء الغطاء غشيه يغشاه اي غطاه وكل ما احاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له
وسميت القيمة غاشية لانها تغشى الناس جميعا من الاولين والاخرين ولانها تغشى
الناس بالاهوال والشدائد وقيل المراد بالغاشية النار وسميت بها لانها تغشى وجوه الكفرة
واهل النار كما قال لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقال وتغشى وجوههم النار واتفقوا
على ان هل ههنا وفي قوله هل اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد كما تقول هل رايت صنيع فلان
وقد علمت انه قد رآه تريد ان تحمل المخاطب على ان يقر على مدلول الفعل الذي دخلت عليه كلمة
هل كذا قال الامام في اول سورة الدهر يريد ان الاستفهام في هل اتيك للتقرير لان حمل الكلام على
حقيقة الاستفهام غير متصور ههنا لاستحالته على الله وقد يكون الاستفهام بهل للانكار و
الجحد كما تقول هل يقدر احد على مثل هذا كما يكون لحقيقة الاستفهام وتعيين كل واحد من هذه
المعاني موكول الى شهادة المقام والمقام ههنا مقام التقرير لانه لما عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من حال الغاشية وحال الناس فيها ما لم يكن هو ولا قومه عارفا به على التفصيل لان العقل
دل على ان حال العصاة مخالفة لحال المطيعين واما كيفية تلك التفاصيل فلا سبيل
للعقل اليه فلما عرفه الله تفصيل تلك الاحوال لا جرم قال هل اتيك حديث الغاشية اي حديث
الداهية الغاشية على حذف الموصوف **قوله** وجوه مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف
للخبر اي في تلك الليلة يوم او غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام
اصحاب وجوه بالاضافة الا ان الخشوع والذل لما كان يظهر في الوجه حذف المضاف واقيم المضاف

[illegible] منه

اليه مقامه وانما قلنا ان الذل يظهر في الوجه لانه ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ قال الامام
المراد بالوجوه اصحاب الوجوه وهم الكفار بدليل انه تعالى وصف الوجوه بانها عاملة ناصبة وذكر من صفات
المكلف لكن الخشوع يظهر في الوجه فعلقه بالوجه لذلك انتهى الخشوع والخضوع والتذلل والتواضع
كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعتري الانسان من الذل والخزي والهوان يقال خضع الانسان اذا امال رأسه
الى الارض او دنا منها **قوله** تعمل ما تتعب فيه اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة
على انه خبر بعد خبر وان ناصبة في المعنى لتقييد العمل بانه من قبيل ما تتعب الوجوه فيه فان الناصبة
بمعنى التعبة يقال نصب الرجل ينصب نصبا من باب علم وعلم اذا تعب في العمل واذا كان كل واحد
منهما خبرا بعد خبر يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد من الاخبار الثلثة وتكون الاخبار باسرها
حاصلة في الآخرة فان الكفار لما تكبروا في الدنيا عن عبادة الله تعالى والانقياد لحكمه يكونون
يوم القيمة خاشعين اي ذليلين وعاملين في النار اعمالا يتعبون فيها وهي جرهم السلاسل
والاغلال الثقيلة كما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا وخوضهم في النار كما يخوض
الابل في الوحل بحيث يرتقي عنه تارة ويغوص فيه اخرى والوقوف عراة حفاة جياعا عطاشا
في العرصات قبل دخول النار في يوم كان مقداره خمسين الف سنة والتلال جمع تل وهو الجبل
الصغير والوهد المكان المطمئن والجمع وهد ووهاد والوحل بفتح الحاء الطين الرقيق
والتسكين لغة رديئة **قوله** او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ اشارة الى جواز ان
يكون بعض تلك الصفات حاصلا في الآخرة وهو الخشوع والذلة وبعضها في الدنيا وهو كونها
عاملة ناصبة اي انها خاشعة في الآخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة والمعنى انها لم
تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا لكون ذلك العمل والنصب في غير طاعة الله تعالى ولا يتنبه وصفهم
ببعض الاوصاف العارضة لهم في الآخرة ثم ان يذكر بعض اوصافهم في الدنيا ثم مبادا في
ذكر احوال الآخرة اذا كان له وجه صحيح ومعنى يستقيم مكانه تعالى قال وجوه يوم القيمة خاشعة
لانها كانت في الدنيا عاملة ناصبة في غير طاعة الله تعالى فهي اذن تصلى نارا حامية في الآخرة
فالوجه على هذا المعنى ان يكون قوله تعالى عاملة ناصبة خبر مبتدأ محذوف والجملة في موضع الحال
من ضمير خاشعة والتقدير وهي عاملة ناصبة في الدنيا فيما لم ينتفع به يوم اي غشيت الداهية
الكبرى **قوله** بلغت اناها اي غايتها من اني الحميم يأني انا اي انتهى حره والانا نهاية الحر فعيل
الضريع بمعنى المضرع كالاليم والبديع بمعنى المولم والمبدع والمعنى الامن طعام يحملهم على
ان يضرعوا ويتذللوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة وقيل الضريع
يابس من الشبرق وهو جنس من الشوك يرعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته
وهو

وهو سم قاتل قال الشاعر رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا عاد عنه النحائص
والنحائص جمع نحوص وهي الحائل للابل والاتان وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه الضريع شيء في النار
يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال تعالى في سورة الحاقة فليس
له اليوم ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين وقال ههنا ليس لهم طعام الا من ضريع والظاهران
احد الحصرين ينافي الآخر بناء على ان الضريع غير الغسلين وان كلاهما ينافي قوله تعالى ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم ويمكن ان يقال ان النار دركات متفاوتة على حسب اختلاف المعاصي واهلها فمن
اهل النار من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من
شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد لكل باب منهم جزء مقسوم واشار المص الى هذا الجواب
بقوله ولعله طعام هؤلاء الخ ثم اشار الى جواب ثان بقوله او المراد الخ يعني ان المقصود بهذه
الآية حصر طعامهم المقيد المخصوص بانه مما يكرهه الابل ولا يتناوله لمرارته وخباثته في الضريع
وذلك لا ينافي ان يكون لهم طعام من جنس آخر كالزقوم والغسلين روي ان كفار قريش
قالت الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت قوله لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلو اما ان يتعنتوا
بذلك الكلام كذبا فيرد الله تعالى قولهم ويكذبهم بذلك واما ان يصدقوا فيه فيكون المعنى ان طعامهم
من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع **قوله** ذات بهجة
وحسن على انه فاعل من نعم الشيء بالضم نعومة اي صار ناعما لينا ويكون نعومة الوجوه اي غضاضتها
ونضارتها كناية عن تنعمها وطيب حالها او على ان ناعمة للنسب بمعنى ذات النعمة مثل تامر ولابن
ثم يراد بالنعم لازمها وهو الحسن والبهجة فيكون هذه الاية في المعنى نظير قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة
النعيم او يراد بها حقيقة النعمة فيكون ناعمة بمعنى متنعمة **قوله** رضيت بعملها اشارة الى ان المراد بسعيها
ما سعت فيه وهو عملها وان اللام في لسعيها متعلقة براضية اي قد رضيت في الآخرة سعيها وهو عملها
في الدنيا لما رأت من العاقبة الحميدة والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول ضعف العامل قليلا
فجيء باللام تقوية لعمله فهذه اللام مؤكدة لعمل الفعل وناصرة له على العمل ويجوز ان يكون لام التعليل اي
لاجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه **قوله** علية المحل على ان يكون عالية من العلو في
المكان فان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض قال عطاء الدرجة مثل ما بين السماء والارض او
من العلو في القدر والشرف لتكامل ما فيها من النعيم **قوله** لا تسمع يا مخاطب على ان يكون المسند في
لا تسمع ضمير انت والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب كقوله تعالى واذا رأيت ثم رأيت نعيما وقوله
واذا رأيتهم تحسبهم وقول الشاعر اذا انت اكرمت الكريم ملكته **قوله** او الوجوه فيكون المسند فيه
ضمير هي والتاء لتأنيث الوجوه لا للخطاب **قوله** وبالتاء ناقع لتأنيث لفظ لاغية والباء

لان التأنيث غير حقيقي او لان اللاغية بمعنى اللغو على انه مصدر كالعاقبة قوله او كلمة ذات لغو
على ان تكون لاغية بمعنى النسبة اي ذات لغو صفة لموصوف مؤنث وهو الكلمة او النفس فاللاغية للحدوث
لا بمعنى النسبة قوله فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم وذلك لان المجالس الشريفة في الدنيا تصان
عن اللغو فكيف لا يصان عنه اشرف المجالس في جوار رب العالمين مع ان اهلها انما نالوها
بالجد والادب لا باللغو وسوء الادب فلما نالوا احسن ثواب سعيهم وادبهم رضوانه فكان ذلك
مقتضى طباعهم السليمة قوله والتنكير للتعظيم اي من رفعة شأنها انها تجري على وجه الارض من غير
اخدود ويجري لهم حيث ارادوا واجراءها وماؤها اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل من
شرب منه شربة لا يظمأ بعدها ابدا ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء
قوله رفيعة السمك اي عالية في الهواء فان السمك هو الامتداد الآخذ من اسفل الشيء الى اعلاه
فالمراد برفعة سمكها شدة علوها في الهواء وذلك لاجل ان يرى المؤمن اذا جلس عليها جميع ما
اعطاه ربه في الجنة من النعيم والملك وبرفعة قدر تلك السرر من حيث اشتمالها على جميع
جهات الحسن والكمال في ذواتها واوصافها قوله بالفتح والضم فان فتح نون نمرقة وضمها لغتان
والواو مضمومة فيهما قال الكلبي نمارق مصفوفة اي وسائد موضوعة بعضها الى جنب بعض
كالشيء الذي جعل صفا اينما اراد ان يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند الى اخرى وعلى آرا
دُصنا كأنهن الياقوت والمرجان قوله افلا ينظرون نظر اعتبار حتى يستدلوا به على كمال
قدرة صانع العالم وكمال علمه وحكمته ليثبت عندهم اقتداره على البعث والجزاء فلا ينكروهما
فانه تعالى حكم في الغاشية وهي يوم القيمة وحكم بان بعض اهلها اشقياء معذبون وبعضهم
سعداء منعمون ومعلوم ان ذلك يتوقف على ان العالم له صانع حكيم قادر على جميع الممكنات
فلذلك اتبع امر المعاد بذكر ما يدل على الانكار على ترك النظر الى انواع المخلوقات والحث على النظر
والاعتبار ليتحقق عندهم كمال قدرة الخالق وعلمه فان من نظر الى هذه المخلوقات على هذا
الاتقان والاحكام تيقن ان خالقها متصف بصفات الكمال منزه عن سمات العجز والامكان
ثم انه تعالى لما خلق الناس محتاجا بعضهم الى بعض في امور معاشه فان الانسان
الواحد لا يمكنه القيام بمهمات نفسه الا بان يجتمع مع بني نوعه ويكون كل واحد منهم مشغولا
بمهم آخر حتى ينتظم من مجموعهم مصلحة كل واحد منهم وذلك الاجتماع يستدعي ان يوضع بينهم
قانون الشرع وتكليفهم بالانقياد له بحيث يشتمل ذلك القانون على الوعد والوعيد حتى
يكون اجتماعهم على سنن العدل والاستقامة وذلك يستدعي البعث والقيمة وخلق الجنة
والنار فثبت ان النظر الى انواع المخلوقات يؤدي الى القول بصحة البعث والقيمة قوله تا

ناهضة بالحمل الباء للتعدية اي رافعة اياه ونهض اي قام وناء ينوء اي نهض بجهد ومشقة
وناء بالحمل اذا نهض به مثقلا والوقر بالكسر الحمل ويجمع على اوقار كحمل واحمال يعني ان الحكمة
في طول اعناقها اقتدارها للقيام بالاحمال الثقيلة فانها اذا امالت عنقها الى جانب قدامها
من الارض يتوجه الثقل الى القدام فيسهل عليها رفع ساقيها ثم اذا رفع عنقها وامالها الى جانب
الخلف يسهل عليها رفع قدامها قوله وقيل المراد بها السحاب تشبيها للسحاب بالابل في كثرة ما ينتفع (الخلق صح)
به من حاجة الناس كالابل فلذلك اطلق اسم الابل المشبه به عليه مجازا وقرينة المجاز ذكره
في جنب ذكر السماء والجبال قوله الى عشر العشر يا بين الوردين وهو ثمانية ايام لانها ترد
اليوم العاشر كذا في الصحاح قوله وعن الكسائي بالسين على الاصل هكذا في اكثر النسخ
والصواب وعن هشام وهو ممن يروي قراءة ابن عامر الشامي فانه قرأ بمسيطر بالسين وحمزة
بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي اي يخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان
فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي والخلط المذكور اي خلط حرف بحرف احد معاني الاشمام
في عرف القراء والباقون بالصاد خالصة والكسائي منهم الجوهري سطر يسطر سطرا كتب والمسيطر
والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب
مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر انتهى والمعنى انك ما امرت الا بالانذار والتذكير فاما ان تكون
مسلطا عليهم تحملهم على الايمان جبرا وتدخله قلوبهم كرها فلا وقيل لست الآن مسلطا عليهم
تقاتلهم على الايمان وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر به فنسخته آية القتال قوله والاستثناء منقطع
فعلى هذا يكون من في من تولى شرطية والجزاء هو الاخبار بالتعذيب في الاخرة والمعنى لست
بمستول عليهم لكن من تولى منهم واعرض عن اجابتك وكفر بالله وآياته فان لله الولاية والقهر
يعذبه العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم قالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعا ان يحسن دخول ان
في المستثنى كما في هذه الاية فانك تقول الا ان من تولى وكفر فيعذبه الله واذا كان الاستثناء متصلا فحقها
لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان الا درهما فلا يدخل عليه ان قوله وقيل متصل على انه استثناء من الضمير
في عليهم اي لست عليهم بمسيطر الا على من تولى واقام على الكفر فانك مسلط عليه بما يؤذن لك من قتله
وسبيه واسره وبعد ما قتلتهم في الجهاد يعذبهم الله في الاخرة العذاب الاكبر من القتل ولما استشعر
ان يقال ان الايمان من اعمال القلب فالتسلط على احد باكراهه على الايمان يكون بالجبر على القلب لان
يقبل الايمان وذلك ليس في وسع البشر اذ لا يستولي على القلب احد غير الله تعالى اجاب عنه بان
بان الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم الذي هو من الاسباب المؤدية الى الايمان بمنزلة الاستيلاء
على الايمان قوله وكانه اوعدهم بالجهاد في الدنيا اشارة الى جواب ما يقال من ان السورة مكية

(حاشية: صح ان يكون تقدير الكلام فهو يعذبه الله لانه لما كان الجواب ... الذي بعد الفاء ... فيعذبه الله بالجحيم)

وانه صلى الله عليه وسلم ما كان ماذونا بالقتال الا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل
المتلزم لان يكون المعنى انت متسلط على من تولى عن الايمان وقال على الكفر منهم ومحصول الجواب
ان الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلوة والسلام باذنه للقتال ووعيد الكفار المعاندين
لا على طريق الاخبار بالتسلط في الحال **قوله** اى فذكر الا من تولى واصر فانه يستحق العذاب الاكبر
الظاهر ان من على هذا موصولة وان فيعذبه عطف على كفر ومعلوم ان عذاب جهنم غير متسبب
لكفرهم فلذلك حمل قوله فيعذبه على انه استحق العذاب الاكبر باصراره على الكفر وهذا المصر المعاند
لما لم ينفعه التذكر صار بمنزلة من لم يذكره عليه الصلوة والسلام فلذلك استثنى من جملة من امر
صلى الله عليه وسلم **قوله** ويؤيد الاول وهو ان يكون الاستثناء منقطعا على معنى لكن الله هو المسيطر
عليهم يعذبهم وقوله من تولى من وضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بسبب استحقاقهم لتعذيب الله
ووجه التاييد ظاهر وهو توافق المعنيين ح بخلاف ما اذا كان الاستثناء متصلا على احد الوجهين
فان قراءة الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام على انها حرف التنبيه لا توافقه في المعنى ومن على هذه
القراءة شرطية والجواب قوله فيعذبه الله بتقدير فانه يعذبه الله ولا بد من هذا التقدير لانه لو كان
الجواب الفعل الذى بعد الفاء لقيل فيعذبه بالجزم **قوله** وقرئ بالتشديد والجمهور على تخفيف
باء ايابهم على انه مصدر كصيام وقيام من آب يؤوب اوبا وايابا اذا رجع كصام يصوم
صوما وصياما وقام قياما اصلهما صواما وقواما قلبت الواو ياء فيهما لانكسار ما قبلها واعلالها
في الفعل ووجه قراءة التشديد بوجهين الاول انه مصدر على وزن فيعال من ايب على وزن فيعل
نحو قيل حيثا لا وبيطر بيطارا اصله ايوابا لما اجتمعت الواو والياء وسبقت احديهما بالسكون
قلبت الواو ياء وادغمت فصار ايابا والثانى انه مصدر على وزن فعال من اوب اوابا نحو كلم
كلاما واصله اوابا قلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها كما فى ديوان اصله دوان فعال
ابو اباثم فعل ما تر **قوله** من اياب ثارة ومن الاوب اخرى لمجرد التفنن فى العبارة لما مر ان
الاوب والاياب كلاهما مصدر آب يؤوب اوبا واوابا وايابا **قوله** وتقديم للتخصيص والمبالغة فانه
يفيد معنى ان يقال ان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وان حسابهم ليس بواجب
الا عليه وهو الذى على التغير والتظهير

[illegible] النفر [illegible] والنقطه [illegible] من [illegible] النواة [illegible] النخلة [illegible]

سورة الفجر مكية

بسم الله الرحمن الرحيم اقسم بالصبح او فلقه الاول على ان يكون الفجر
اسما بمعنى الصبح وهو اول وقت ظهور ضوء الشمس فى جانب المشرق والثانى على ان يكون مصدرا
بمعنى انفجار الظلمة عن النهار فى كل يوم اى خروج الصبح بفلقه الظلام اى بشقه يقال فلقت الشئ
فلقا اى شققته روى عن ابن عباس رض ان الفجر هو الصبح المعروف من كل يوم وقيل انفجار الصادق

او

او الكاذب اقسم الله تعالى به لما يحصل به من انقضاء الليل فظهور الضوء وانتشار الناس وسائر
الحيوانات من الطيور والوحوش فى طلب الارزاق وذلك مشاكل النشور الموتى وفيه عبرة عظيمة
لمن تأمل فان الشئ انما يقسم به اذا كان فيه فائدة دينية مثل كونه دليلا باهرا على التوحيد
او على صحة البعث والجزاء او نحوهما او فائدة دنياوية توجب البعث على الشكر او مجموعهما والفجر
يشتمل على مجموع شكر الفائدتين **قوله** او بصلوته بان يراد بالفجر ما وقع فيه مجازا مرسلا واقسم
بصلوة الفجر لانها صلوة فى مفتتح النهار واوله يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار لاستماع ما فيها
من القراءة كما قال تعالى ان قران الفجر كان مشهودا اى يشهده ملائكة الليل والنهار لاستماع
القراءة فيه **قوله** عشر ذى الحجة اقسم به لانها ايام الاشتغال بنسك الحج واعماله والحج المبرور من
افضل الاعمال وانه كفارة لذنوب العمر وفى الخبر ما من ايام العمل الصالح فيه افضل من الايام
العشر ولما فسر الليالى العشر بعشر ذى الحجة فسر المراد بالفجر فجر يوم معين وهو فجر عرفة او
فجر يوم النحر ثم قيل اقسم بفجر يوم عرفة لانه يوم شريف يتوجه فيه الحجاج الى جبل عرفات للوقفة
ويقفون فيه متوجهين فيه الى رب العزة منتظرين اليه فهو مظنة اجابة الدعوات وفى الحديث
الحج عرفة واقسم بفجر يوم النحر لانه يوم عظيم يأتى الانسان فيه بالقربان كانه يريد ان يتقرب بذبح
نفسه فلما عجز عنه فدى نفسه بالقربان كما قال تعالى وفديناه بذبح عظيم ويقع فيه الطواف المفروض والحلق و
الرمى وورد ان يوم النحر يوم الحج الاكبر **قوله** او عشر رمضان عطف على عشر ذى الحجة اقسم الله به
لشرفها وفيها ليلة القدر اذ فى الخبر اطلبوها فى العشر الاخير من رمضان وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر الاخير شد المئزر وايقظ اهله وكف عن الجماع وامر اهله بالتهجد **قوله** وتنكيرها للتعظيم جواب
ما يقال ما بالها منكرة من بين ما اقسم به وتقريره انها الليالى المخصوصة بفضائل عظيمة لا تحصل فى غيرها
على ما اشرنا اليه فنكرها للدلالة على تلك الفضائل المعظمة **قوله** على ان المراد بالعشر الايام لم يجعل
الاضافة بيانية لان الاصل فى الاضافة المغايرة بين المضاف والمضاف اليه وهى انما توجد
اذا فسر العشر بالايام واما اذا جعلت الاضافة بيانية وفسر العشر بالليالى فلا توجد فى الكلام
قوله فى وجه تانيث العشر على تقدير ان يراد بها الايام وهو مذكر قال تعالى سبع ليال وثمانية ايام
والاشياء كلها شفعها ووترها على ان يكون الشفع والوتر معا كناية عن جميع الاشياء من حيث
ان شيئا من اجناس الاشياء وانواعها واصنافها واشخاصها وجواهرها واعراضها لا ينفصل
كونه خاليا عنهما فالقسم بهما اقسم بجميع الاشياء بهذا الطريق وكذا اذا جعل الشفع كناية عن
جميع المخلوقات لانه تعالى خلق من كل شئ اثنين زوجين ذكرا وانثى ناطقا وصامتا عالما وجاهلا
قادرا وعاجزا حارا او باردا رطبا او يابسا فلكيا وعنصريا الى غير ذلك وجعل الوتر كناية

عن الله تعالى لانه فرد لا تعدد فيه وقال بعض المتكلمين لا يجوز ان يقال الوتر هو الله عز وجل لانه تعالى
لا يذكر مع شيء من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز عن غيره وقد روي انه صلى الله عليه
وسلم سمع من يقول الله ورسوله فنهاه عنه فقال قل الله ثم رسوله **قوله** ومن فسرهما بالعناصر والافلاك
الى قوله موجبة للشكر جواب عما يقال من ان المفسرين اكثروا القول في تفسير الشفع والوتر فان منهم
من فسر الشفع بالعناصر الاربع والوتر بالافلاك السبع ومنهم من فسر الشفع بالبروج الاثني عشر
والوتر بالسيارات السبع ومنهم من فسر الوتر بما كان وترا من الصلوات كصلوة المغرب والشفع
بما كان شفعا منها ومنهم من فسر الشفع بيوم النحر لانه عاشر ايام ذي الحجة التي هي ايام الليالي
والوتر بيوم عرفة لانه تاسع تلك الايام وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسرهما بذلك
ومنهم من فسرهما بغير ما ذكر مثل ان يفسر الشفع باليومين بعد يوم النحر والوتر باليوم الثالث ومن
ذهب الى هذا القول قال حمل الشفع والوتر على هذا اولى من حملهما على يومي النحر وعرفة لدخولهما في عشر
ليال اذ لو فسر بعشر ذي الحجة يحمل الشفع والوتر عليهما يستلزم التكرار في القسم بهما ولان بعض
اعمال الحج انما يحصل في هذه الايام التي بعد يوم النحر فحمل لفظ الشفع والوتر عليها يفيد القسم بجميع ايام
اعمال المناسك وفيه بحث لان دخول يومي النحر وعرفة في عشر ليال لا ينافي تخصيصهما بالذكر بلفظ
الشفع والوتر تنبيها على مزيد شرفهما على باقي الايام العشر مع ان حمل اللفظ عليهما روي مرفوعا
كما ذكره المص فالحمل عليهما اولى ومثل ان يفسر الشفع بآدم وحوى حيث شفع بزوجته والوتر بمريم
او الشفع بالعيون الاثني عشر التي فجرها الله تعالى لموسى عليه الصلوة والسلام والوتر بالآيات التسع
التي لموسى كما قال تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات او الشفع بايام عاد والوتر بلياليهم كما
قال تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما او الشفع بالشهر الذي يتم ثلثين يوما والوتر
بالشهر الذي يتم تسعة وعشرين يوما او الشفع بالاعضاء والوتر بالقلب قال تعالى ما جعل الله لرجل
من قلبين في جوفه او الشفع بالشفتين والوتر باللسان قال الله تعالى ولسانا وشفتين او الشفع
بالسجدتين والوتر بالركوع او الشفع بابواب الجنة لانها ثمانية والوتر بابواب النار لانها سبعة او
الشفع بدرجات الجنة وهي ثمانية والوتر بدركات النار وهي سبعة او الشفع بصفات الخلق كالعلم
والجهل والقدرة والعجز والارادة والكراهة والحيوة والموت والوتر بصفات الحق جل ذكره وجود
بلا عدم حيوة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل او يفسر الشفع والوتر بنفس العدد
لانه شفع او وتر فكانه تعالى اقسم بالحساب الذي لا بد للخلق منه وهو بمنزلة الكتاب والبيان الذي من الله تعالى
به على العباد اذ بالحساب يعرف مواقيت العبادات والايام والشهور وقال مقاتل الشفع هو الايام و
الليالي والوتر هو اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيمة وقيل الشفع كل نبي له اسمان مثل محمد و

احمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون والوتر كل نبي له اسم واحد مثل آدم ونوح وابرهيم
وهذا تفصيل اقوال المفسرين في الشفع والوتر ولا اشعار للفظ الشفع والوتر بتخصيص بعض
هذه التفاسير وتعيينه ولفظ الشفع والوتر انما يدل على معنى كلي متناول لهذه الانواع لا على خصوص
شيء منها فاقوال المفسرين في تفسيرهما لا يخلو عن التخصيص بلا مخصص فان ثبت في شيء منها
خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم او اجماع من اهل التاويل حكم بانه هو المراد وان لم يثبت يجب
ان يحمل اللفظ على الكل لان الالف واللام فيهما للاستغراق فلا اقل من ان لا يقطع في حمل اللفظ
على شيء منها بخصوصه بل يذكر كل واحد منها على طريقة الجواز والاحتمال وتقرير الجواب
ان من فسرهما بهذه الوجوه لم يدع انحصار مدلولهما فيما ذكره بل لعل الحامل عليه انه افرد
بالذكر من انواع مدلول الشفع والوتر ما رآه اظهر دلالة على التوحيد كالعناصر والافلاك
والبروج والسيارات او مدخلا في الدين كالصلوات شفعها ووترها او مناسبة لما قبلها كيومي
النحر وعرفة او اكثر منفعة موجبة للشكر كالاعضاء والقلب والشفتين واللسان وكالعناصر
والافلاك والبروج والسيارات فان منافعها اكثر من ان تحصى الا يرى الى منافع الفصول
الاربعة فانها لا تعد ولا تحصى وان ثبت من الشارع تفسيرهما ببعض هذه الوجوه فالظ
انه ليس بناء على تخصيص مدلول اللفظ به بل انه وارد على طريق التمثيل بما رآه في تخصيصه
بالذكر فائدة معتدا بها من الفوائد المذكورة فيجوز للمفسر ان يحمل اللفظ على بعض آخر من محتملات
اللفظ لفائدة اخرى وفي تيسير القراءة قرأ حمزة والكسائي والوتر بكسر الواو والباقون بفتحها
قيل الفتح لغة اهل الحجاز والكسر لغة تميم **قوله** والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة
على كمال القدرة ووفور النعمة فان اصل الدلالة عليهما يحصل بمجرد ذكر الليل من غير التعرض
لانقضائه وزواله بمجيء ضوء النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل وادخال الخلق
تحت لباس الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال القدرة وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث
يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعريض بانقضاء الليل وتعاقب النهار عليه
تتقوى تلك الدلالة فان آية الليل اذا انمحت مع كونها محيطة بجميع اقطار العالم بانبساط آية النهار
وشيوعه برهان قاطع على كمال القدرة واحسان شامل لجميع الحيوانات فكانهم اعيد لهم الحيوة
بعد الموت وتيسر بذلك لطلب الارزاق الممدة للحيوة الدنيوية التي يتوسل بها الى سعادة الدارين
فان قيل القسم بالليل اذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر
هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي بلا اعتبار سيرها بل باعتبار
خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن الآخر **قوله** او يسرى فيه فيكون من قبيل اسناد الفعل

الى زمانه مثل صام نهاره اي صام هو فيه وصلى المقام اي صلى هو فيه والتقييد بذكر على هذا التوجيه لان السير في الليل حافظ للسائر عن حر الشمس فان السفر مع مقاساة حر النهار اشد على النفس وعن شر قطاع الطريق غالبا لانهم مشغولون بالنوم في الليل اكثريا وقيل المراد بالليل اذا يسري فيه ليلة النحر فان الحاج يسري فيها الى المزدلفة بعد الافاضة من عرفات والعامل في اذا معنى القسم اي اقسم به اذا يسري فيه او اذا سار وذهب وانقضى كما قال والليل اذا ادبر قوله وحذف الياء الخ ههنا ثلث قراءات الاولى حذف الياء وقفا ووصلا والثاني حذفها وقفا لا وصلا والثالث عدم حذفها في الحالين وجه الحذف مطلقا التخفيف ومراعاة الفواصل مع الاكتفاء على دلالة كسرة الراء عليها ووجه الاثبات مطلقا ان الياء لام الفعل ولام الفعل لا تحذف في الفعل في الوقف فضلا عن الوصل تقول هو يقضي وانا اقضي وانما تحذف من الاسماء نحو قاض ورام وغاز ووجه الحذف في الوقف مراعاة الفواصل دون الوصل لانه لام الفعل وهو لا تحذف في الوصل فان قيل لم اختير حذفها في الوقف لمراعاة الفواصل وقد تقرر ان لام الفعل لا تحذف في الوقف من الفعل قلنا الفواصل في موضع الوقف والوقف تتغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والاسكان وروم الحركة منها فتتغير هذه الحروف الشبيهة بحروف الزيادة بالحذف اولى قوله وقرئ يسر بالتنوين فان تنوين الترنم يلحق القوافي في الاسم والفعل والحرف بدلا عن حرف الاطلاق اي عن حروف المد واللين لنزاء الترنم لان الالف والواو والياء في القوافي يصلح للترنم بما فيها من المد فبدل منها التنوين اذا قصد الاشعار بترك الترنم لخلو التنوين من المد فان قيل ما فائدة قوله هل في ذلك قسم لذي حجر بعد ان اقسم بالاشيا المذكورة قلنا نعم وهي زيادة التاكيد والتحقيق كمن ذكر حجة باهرة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان ذا لب وعقل يعلم ان ما اقسم الله به من هذه الاشياء فيه عجائب كثيرة ودلائل على التوحيد والربوبية فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه وقيل هذه الاية تدل على ان المراد الاقسام برب هذه الامور لان هذه الاية دالة على ان هذه مبالغة في القسم ومعلوم ان المبالغة في القسم لا تحصل الا بان يقسم بالله رب العالمين قوله سمي به لانه يحجر عما لا ينبغي والحجر بالفتح المنع من الشيء يقال حجر عليه القاضي يحجر حجرا اذا منعه من التصرف في ماله قوله والمقسم عليه محذوف اعلم ان في جواب هذا القسم قولين الاول انه هو قوله ان ربك لبالمرصاد وما بينهما اعتراض والثاني انه محذوف وهو ليعذبن الكافرين يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب واختار المص هذا القول لانه لما لم يتعين المقسم عليه ذهب الوهم الى كل مذهب فكان ادخل في التخويف فلما جاء بعده بيان عذاب الكافرين دل على ان المقسم عليه اولا هو ذلك قوله الم تر يعني الم تعلم لان رؤية البصر وهو ظاهر وانما عبر عن

العلم بالرؤية لان اخبارهم كانت منقولة بالتواتر وهو يفيد العلم الضروري الجاري مجرى الرؤية في الجلاء والخطاب فيه وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم عام لكل من علم ذلك ليكون زجرا للكفار عن مثل ما اداهم الى الهلاك ومحثا للمؤمنين على الثبات على الايمان قوله يعني اولاد عاد يريد ان لفظ عاد ههنا اسم للقبيلة المنتسبة الى عاد بن عوص كما يقال لبني هاشم هاشم ولبني تميم تميم ثم قالوا للمتقدمين من هذه القبيلة عاد الاولى في قاربك وانه اهلك عادا الاولى وللمتأخرين عاد الاخيرة وارم اسم لجد عاد وفي المراد منه في هذه الاية اقوال احدها ان المراد به المتقدمون من قبيلة عاد فانهم كما يسمون بعاد الاولى فكذلك يسمون بارم تسمية لهم باسم جدهم والثاني ان ارم اسم لبلدتهم التي كانوا يسكنون فيها ثم قيل تلك المدينة هي الاسكندرية وقيل هي دمشق ومثل عليهما ان منازل عاد كانت بين عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف كما قال واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف واما الاسكندرية ودمشق فليستا من بلاد الرمال والثالث ان ارم اعلام قوم عاد كانوا يبنونها على هيئة المنارة وعلى هيئة القبور وارم سواء كانت قبيلة او ارضا لا ينصرف للتعريف والتانيث فان جعلناه اسم قبيلة كان قوله ارم عطف بيان لعاد ايذانا بانهم عاد الاولى القديمة وان جعلناه اسم البلدة او الاعلام كان التقدير بعاد اهل ارم ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله واسال القرية قوله هذا اي كون ارم عطف بيان لعاد بان يكونا اسمين للاوائل من قبيلة عاد وهو الذي اشار اليه المص وقيل سمي اوائلهم الخ فاولاد عاد اي المتقدمون منهم كما سموا باسم ابيهم عاد سموا ايضا باسم جدهم ارم فلذلك صح ان يكون ارم عطف بيان لعاد وهم عاد الاولى من غير تقدير المضاف وهو السبط واما اذا كان ارم على اصل وضعه وهو كونه اسما لجد قبيلة عاد فانما يكون عطف بيان لعاد بتقدير السبط قوله ذات البناء الرفيع والعمود الطوال او الرفعة والثبات كل واحد من هذه الاوصاف الثلثة يصلح ان يكون وصفا لارم وهو اسم قبيلة اما وصفه بذات البناء الرفيع فانهم اصحاب المدينة وهي بناء رفيع قيل انهم كانوا ذات ابنية مرفوعة على العمد وكانوا ايضا يجئون الاعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم تتريهم من ارض بعيدة قال تعالى في وصفهم اتبنون بكل ريع آية تعبثون اي علامة وبناء رفيعا واما وصفه بذات العمود الطوال فلما اشتهر من انه كان قد احدهم اثني عشر ذراعا واكثر من ذلك وفي تفسير الكواشي قالوا كان طول الطويل منهم اربعمائة ذراع وكان احدهم ياخذ الصخرة العظيمة فيلقيها على الحي فيهلكهم واما وصفه بالرفعة والثبات فلرفعة قدرهم وثبات اعمارهم وسعة ارزاقهم وقوة اجسادهم واما على تقدير كون ارم اسم بلدة فالصالح لان يكون وصفا له هو ذات البناء الرفيع قيل ان مدينتهم كانت ذات اساطين اي ذات ابنية مرفوعة على الاسطوانة ويصح وصفه ايضا بالرفعة والثبات لا بذات العمود الطويلة قوله فلما تمت

ليس مقصوده من ذكر لفظ اولاد عاد الاشارة الى ان المضاف مقدر لان فيه رسمها باسم ابيهم يأتي ذلك

قال الامام تمت في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وبنى مدينة عظيمة قصورها من
الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار فلما تم
بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء
فهلكوا جميعا ولم يدخل ارم لا هو ولا احد ممن كان معه ولم يقدر عليها احد حتى الساعة غير
ابن قلابة والقصة مستوفاة في التيسير الا ان قال وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في
طلب ابل له فوصل الى جنة شداد فحمل ما قدر عليه مما هناك وبلغ خبره معاوية رضي فاستحضره
فقص عليه فبعث الى كعب الاحبار فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين
في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت
فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذاك الرجل انتهى كلامه وفي قوله بعث عليهم صيحة من
السماء فهلكوا بحث لان قوم عاد هلكوا بالريح وقوم صالح هلكوا بالصيحة لقوله تعالى في سورة
الحاقة فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية الى قوله وجاء فرعون
ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية اي زائدة في
الشدة كزيادة اعمالهم في القبح بين الله في تلك السورة ما اجمله في هذه السورة بقوله
فصب عليهم ربك سوط عذاب حيث لم يبين كيفية ما صب عليهم من العذاب اللهم الا ان
يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد المصوت **قوله** والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة
فالمعنى على الاول لم يخلق مثل هذه القبيلة في البلاد في عظم الجثة وطول القامة وشدة القوة كما
مر من ان طول الرجل منهم يكون اربعمائة ذراع وكان يحمل الصخرة العظيمة فيلقيها على الجمع
فيهلكهم والمعنى على الثاني لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقيل ضمير مثلها راجع الى
العماد اي لم يخلق مثل تلك الاساطين في البلاد ولم يلتفت المص اليه لان السوق يقتضي وصف
ارم بتلك الصفات ومدخلها وتفخيم شانها لا لتعظيم اساطينها والمقصود من ذكر هذه الحكاية
زجر الكفار من مكة لما بين انه اهلكهم بالكفر وكذبوا الرسل مع اختصاصهم بما لهم من وجوه
القوة والشدة فكانه قال ايها الكفرة لا تكونوا آمنين من مثل ما نزل بهم اذا قمتم على كفركم
مع كونكم اضعف منهم من كل وجه اولى واحرى **قوله** قطعوه فان معنى الجوب القطع يقال جبت
البلاد اجوبها جوبا وزاد الفراء جبت البلاد اجيبها جيبا اذا جلت فيها وقطعتها قيل اول
من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة **قوله** او لتعذيبه
بالاوتاد كما روي عن ابن عباس رض ان فرعون انما سمي ذا الاوتاد لان امرأة خازنه حزبيل
كانت ماشطة بنت فرعون وكان حزبيل مؤمنا يكتم ايمانه مائة سنة وكذا المرأة فبينما هي

هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر
بالله عز وجل فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض
واحد لا شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك
تزعم ان الهك واله ابي واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك
فقالت نعم فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري باني الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة
اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله عز وجل والا عذبتك بهذا العذاب
شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهرا ما كفرت بالله وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى
فذبحها على فيها وقال لها اكفري بالله والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو
ذبحت من على الارض على فيّ ما كفرت بالله فاتي بابنتها الصغرى فلما اضجعت على صدرها
وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها وهي من الاربعة الذين تكلموا
اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة اصبري فانك تفضين الى رحمة
الله وكرامته فذبحت فلم تلبث ان ماتت فاسكنها الله الجنة وكان فرعون قد تزوج امرأة
من اجمل نساء بني اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
في نفسها كيف يسعني ان اصبر على ما يفعل فرعون وانا مسلمة وهو كافر فبينما هي تؤامر نفسها اذ
دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة
فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وانما المجنون من يكفر بالله الذي له
ملك السموات والارض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين اربعة اوتاد
يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك
بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله تعالى روحها واسكنها الجنة **قوله** صفة للمذ
كورين فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجرورا بالباء وبعضه معطوفا عليه وتقديم
هذا الوجه يدل على انه المختار عنده من حيث ان الوجه الثاني يحتاج الى حذف العامل وهو اعني
والوجه الثالث يحتاج الى حذف المبتدا فما اختاره المص احسن بحسب اللفظ واختار
صاحب الكشاف كونه منصوبا على الذم بتقدير اعني لكونه صريحا في الذم والمقام مقام الذم فهو
احسن نظرا الى المعنى **قوله** فاكثروا فيها الفساد بان لوجه طغيانهم في البلاد فان الفساد
ضد الصلاح فلما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع الاقسام
الاثم من الكفر والظلم فمن عمل بغير امر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد يتجاوز عن الحد
قوله ما خلط لهم من انواع العذاب فسوط العذاب بانواع العذاب الملتفّ بعضها

ببعض الشناف طاقات السوط الذي يضرب به وجعل العذاب بمعنى المعذب به وجعل اضافة
السوط اليه بمعنى من ويحتمل ان يكون العذاب بمعنى التعذيب والاضافة بمعنى اللام والمعنى صب عليهم
الانواع الملتفة مما يعذب به للتعذيب فان قيل قوله تعالى في سورة الحاقة فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي شديد الصوت او البرد عاتية اي شديدة العصف
وجاء فرعون ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فاخذهم اخذة رابية اي زائدة
في الشدة كزيادة اعمالهم في القبح يدل على انه تعالى صب على كل واحد منهم نوعا من العذاب لا الانواع
المخلوطة المشبهة بالسوط ولذلك قيل في تفسير سوط عذاب لونا من العذاب صب عليهم
قلنا المذكور في تلك السورة صريح في ان ما عذب به كل واحد منهم يغاير لما اهلك به الاخرون بنوع خصوصية
فيه وذلك لا ينافي ان يكون ما ارسل على كل واحد منهم مشتملا على الانواع مما عذب به واقله ان يختلط
ما ذكر في تلك السورة من نحو الطاغية وريح صرصر والاخذة الرابية بالعذاب الروحاني من التحسر على عدم
الاطاعة والهموم والاحزان فان قيل اليس ان قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها
من دابة يقتضي تاخير العذاب الى الاخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا انه يقتضي تاخير تمام الجزاء
الى الاخرة وذلك لا ينافي ان يعجل شيء من ذلك في الدنيا فان الواقع في الدنيا شيء من الجزاء ومقدمة
من مقدماته قوله الجلد المضفور اي المنسوج المفتول قوله يترقب فيه الرصد وهو بفتحتين جمع راصد
كالحرس جمع حارس ويكون مصدرا ايضا كالرصد بالسكون يقال رصده يرصده رصدا ورَصَدا بمعنى
رقبه يرقبه رقوبا ورقبة والرصد الترقب وصفة مفعال قد يكون اسم مكان كالمضمار اسم للمكان
الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه وقد يكون للمبالغة كالمعطار والمعمار والمطعان
لمن يكثر منه هذه الافعال وههنا يتعين الاول للباء الدالة على الظرفية اي انه لبالمكان الذي يترقب
فيه السابلة وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد قوله تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب
الظاهر ان الباء في بالعقاب للتعدية والمعنى تمثيل لاعداده العقاب للعصاة وجعل العقاب
مرصدا لهم الجوهري عن الاصمعي رصدته ارصده ترقبته وارصدت له اعددت له والكسائي مثله
انتهى وههنا لما عدي الارصاد بنفسه حيث قال لارصاده العصاة بنصب العصاة عدي الى العقاب
بالباء والحاصل ان قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد استعارة تمثيلية شبه حاله تعالى في كونه حفيظا
لاعمال العباد مجازيا عليها على النقير والقطمير ولا محيد للعباد عن ان لا يكون مصيرهم الا اليه
بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني او لاخذ المكس ونحو ذلك ولا مخلص لهم
عن العبور الى ذلك ثم استعمل ههنا ما كان مستعملا هناك وعن الكلبي انه قال لا يفوته شيء من اعمال
كما لا يفوت من بالمرصاد شيء وفي الكبير من المفسرين من يخص هذه الآية اما بوعيد الكفار
او

او بوعيد العصاة اما الاول فقال الزجاج يرصد من كفر به وعدل عن طاعته بالعذاب واما
الثاني فقال الضحاك يرصد لاهل الظلم والمعصية وقول المص لارصاده العصاة على انه اختار
قول الضحاك وقال الحسن يرصد اعمال بني آدم وقال الفراء اليه المصير فالآية على هذين الوجهين
تعم المؤمنين والكافرين قوله فاما الانسان متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد يعني ان كلمة اما
المصدرة بالفاء انما تقع بين الكلامين ليربط احدهما بالآخر وتؤذن بالبون البعيد بين
الامرين المتنافيين والكلام السابق لما آذن بانه تعالى اعد لعباده موقف حساب ودار جزاء
يعاقب فيها العصاة المتبعين للشهوات ويكرم فيها بجزيل الثواب من اطاعه وعمل الصالحات
كان محصوله انه تعالى لبالمرصاد في الآخرة ولا يطلب من عباده الا ما يسعدهم فيها ولا يجذبهم الا
عما يرديهم فيها فاما الانسان فانه لا يهمه الا الدنيا ولذاتها وشهواتها فان وجد الراحة في الدنيا
يقول ربي اكرمني وان لم يجد هذه الراحة يقول ربي اهانني فيرى الكرامة في وجود هذه الراحة
والهوان والذل في عدمها ونظيره قوله تعالى في صفة الكفار يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن
الآخرة هم غافلون قوله فلا يريد الا السعي لها الظاهر ان المراد بالارادة الطلب والامر اي لا يطلب
من عباده الا الطاعة لان حقيقة الارادة متعلقة بجميع الكائنات خيرها وشرها ولا يامر الا بما هو
خير ورشد قوله اختبره بالغنى واليسر يعني انه سمى كل واحد من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لانه
اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام
يجزع فالحكمة فيهما واحدة قوله وهو خبر المبتدأ الى قوله ليتوازن قسيمه جواب لما يقال ان اما التفصيلية
لا بد ان يقع بعدها جملتان او اكثر على حسب ما قصد تفصيله بتصدر كل واحد منها بكلمة اما ويكون
قسيمة لصاحبتها ولا بد ان يكون تلك الجملة متوازنة متعادلة بحيث اذا كان الواقع بعد اما في الفقرة
الاولى اسما كان الواقع بعد اما الثانية اسما نحو قولك اما الكافر فمكفور واما المؤمن فمشكور وان كان
شرطا او ظرفا فشرط او ظرف مثل قولك اما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسأت
اليه فهو مسيء اليك وفي الآية قد وقع بعد الاولى اسم وبعد الثانية ظرف فلا توازن بينهما و
محصول الجواب ان المبتدأ مقدر بعد اما الثانية ليتوازنا فان التقدير وان ذكر في الاول دليل على ان
المقصود بالتفصيل هو المحكوم عليه لا الظرف فوجب ان يقدر في الثاني ايضا ليصح التفصيل فيكون
قوله فيقول ربي اهانن خبر لذلك المقدر كالاول والتقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه بالفقر والتقتير
فكانه قيل واما الانسان فقائل ربي اهانن وقت ابتلائه بالفقر وبذلك يحصل التعادل والتوازن
بين القسمين جعل قوله فيقول خبر المبتدأ لئلا يتوهم انه جواب اذا واذا لم يكن جوابا خبر المبتدأ
فانه ح يبقى جواب بلا فاء قوله لتصور نظره نبه على ان حكاية قوله ذم له وتجهيل حيث حكم

بان التوسعة في الدنيا تفضل له واكرام والتقتير اهانة واذلال مطلقا مع ان التوسعة قد
تكون سببا لقصد الاعداء بالقتل والنهب والوقوع في انواع العذاب والتقتير يكون سببا للسلامة
عنها وايضا توسعة الدنيا سبب لالف النفس وكثرة الاشتغال بها وبممارسة اسبابها وذلك سبب
لتاكد حب الدنيا وحب الدنيا سبب لصعوبة الانقطاع عنها وللاستغراق فيها ومن استغرق فيها
ينغلق عليها ابواب عبودية الله فيكون الراحة الدنيا وتوسعتها سببا للحرمان عن النعيم
الدائم والراحة الباقية بخلاف اهل التقتير فانه يسهل له الاشتغال بعبودية الله لارتفاع ما
يمنع عنه في حقه ومن كان لله كان الله له فيحصل له كرامة الدارين وايضا من كانت محبته للدنيا
اشد كان تالمه بمفارقتها عند الموت اتم واكثر فيكون التوسعة اذن سببا للالم الشديد بعد الموت
فكيف يكون تفضلا واكراما فثبت ان كلا واحد من ذينك القولين جهل وخطاء سواء اعترف قائلهما
بالبعث والجزاء روحانيا كان جسمانيا اولم يعترف اما القول بان التوسعة اكرام من المعترف
فلان التوسعة كما يؤدي الى قصد الاعداء في الدنيا يؤدي ايضا الى الانهماك في حب الدنيا وهو
سبب للاستغراق فيها وللتالم الشديد بمفارقتها واما جهل من قال بان التوسعة اكرام وهو ممن
ينكر البعث فللوجه الاول وهو ان التوسعة قد تكون سببا للالام الشديدة في الدنيا بقصد الاعداء واما
جهل من قال بان التقتير اهانة وهو يعترف بالبعث فلان في التقتير خلاصا عن قصد الاعداء في
الدنيا وقد ذكر في بيان كون القولين جهلا وخطاء وجوه اخر احدها ان سعادة الدنيا وراحتها
مع شقاوة الاخرة وعذابها ليست بسعادة وان عناء الدنيا وضيقها مع سعادة الاخرة وسعتها
ليست بعناء وضيق فلا ينبغي ان يقال ان الاول اكرام والثاني اهانة **قوله** مع ان قوله الاول مطابق
لقوله اكرمه متعلق بقوله ذمه على قوليه اي ولاجل ان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة
قد يفضي الى قصد الاعداء والانهماك في حب الدنيا ذمه على كل واحد من قوليه مع ان قوله
الاول وهو قوله ربي اكرمن قول صادق مطابق لما حكى الله من ذاته المقدس انه اكرمه
واما جهل الصريح والاعتقاد الفاسد هو ظن ان قلة الدنيا وتقتيرها اهانة الان كلا القولين ناش
عن قصور نظره واعتقاده ان الكرامة والهوان انما يكون بوجود الدنيا وعدمها ذمه على
كلا قوليه وردعه اي كلا واحد منهما **قوله** ولم يقل فاهانه وقدر عليه عطف على قوله ذمه اي ولاجل
ان التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين لم يقل فاهانه فانه كيف يصح ان يحكي الله من نفسه اهانة
بالتقتير مع ان التقتير قد يؤدي اليها وهو متضمن لجواب ما يقال من انه تعالى لما قال في القسم الاول فاكرمه
ونعمه كان الظاهر ان يقول في القسم الثاني فاهانه فقدر عليه لكنه لم يقل كذلك فما وجهه واجاب عنه
بوجهين الاول ان التقتير ليس باهانة بل قد يؤدي الى كرامة الدارين والثاني ان التوسعة تفضل

تفضل فيكون قوله اكرمه صادقا بخلاف التقتير فانه ترك التفضل فلا يكون اهانة فانه اذا اهدى
احد اليك هدية قلت اكرمني فلان بالهدية واذا لم يهد اليك شيئا لا تقول اهانني **قوله** وقرأ
ابن عامر فقدر بالتشديد بمعنى ضيق عليه بان جعله على مقدار البلغة والمخفف بمعنى قتر والتقتير
التضييق في النفقة حكى الامام عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال يعني قوله كلا اني لم ابتله بالغنا
لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك اما على مذهب اهل السنة فمن محض القضاء والقدر
والمشية والحكم الذي تنزه عن التعليل بالعلل واما على مذهب المعتزلة فبسبب مصالح خفية
لا يطلع عليها الا هو فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لا لهوانه **قوله** اي بل فعلهم
اسوأ من قولهم اشارة الى ان بل في هذا الموضع لترك الاول والاخذ فيما هو اهم وعبر عن الترك
والافعال بقوله بل فعلهم اسوأ تغليبا للافعال على التروك ووجه القراءة بتاء الخطاب بتقدير
قل لهم يا محمد كذا وكذا والنكتة في تقدير قل هي الاشارة الى انهم بحيث لا يليق بخطاب
الله ويجوز ان يكون من قبيل الالتفات للمبالغة في الذم فان الذم على وجهه ابلغ من الذم على
الغيبة ووجه القراءة بالياء في قوله بل لا يكرمون ولا يحضون على طعام المسكين ويأكلون
التراث اكلا لما ويحبون المال حبا جما اسناد هذه الافعال الى ضمير الانسان المتقدم ذكره
وجمع الضمير الراجع اليه مع انه فرد في قوله اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول من حيث
ان الانسان مفرد لفظا جمع معنى لان المراد به الجنس فبالنظر الى الاول ارجع اليه ضمير المفرد
وبالنظر الى الثاني ارجع اليه ضمير الجمع وترك احسان اليتيم على وجوه احدها ترك بره واليه
اشار بقوله بل لا يكرمون اليتيم والثاني دفعه عن حقه الثابت له في الميراث واكل ماله ظلما
واليه اشار بقوله تاكلون التراث اكلا لما اي فسر بقوله لما اي جمعا بين الحلال والحرام فانه لا يورثون
النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم ومن لا يحض غيره على طعام المسكين فان لا يطعمه
بنفسه اولى قال المعنى انه يقال ولا تطعمون مسكينا ولا تأمرون باطعامه ومن قرأ ولا تحاضون
اراد ولا تتحاضون بتائين فحذف تاء تتفاعلون كراهة اجتماعهما والمعنى لا يحث بعضكم بعضا
على اطعام طعام جنس المسكين فحذف المضاف وهو اطعام واقيم المضاف اليه مقامه و
قلبت واو وارث تاء لانضمامها او لا كما في تخمة وتجاه **قوله** ذا لم اي جمع اشارة الى ان معنى اللم في
اللغة الجمع يقال كتيبة ملمومة اي مجتمعة مضموم بعضها الى البعض وانه مصدر جعل نعتا للاكل
والمراد به الفاعل اي اكلا لاما اي جامعا بمعنى ذا جمع مثل ناصب ولابن ثم ان الجمع يقتضي شيئين
فصاعدا والمراد بهما في الاية الحلال والحرام قال الحسن اي يأكلون نصيبهم ونصيب صاحبهم
يجمعون نصيب غيرهم الى نصيب انفسهم وايضا المال الذي يبقى من الميت بعضه حلال وبعضه

حرام وبعضه مشتبه فالوارث يلم الكل اي الاكل يضم البعض الى البعض وياخذ الكل فيأكله
وعلى التقدير بين الاكل الوارث الاكل جمع بين الحلال والحرام والجم الكثير يقال جم الشيء يجم جموما
والمقصود ذمهم ببيان ان حرصهم على الدنيا فقط وانهم عادلون عن امر الاخرة **قوله** ردع لهم
عن ذلك اي الذي ذكر من الافعال والاقوال **قوله** وانكار اي لا ينبغي ان يكون الامر كذلك في الحرص
على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل وحرام وترك المواساة منها
وتوهم ان لا حساب ولا جزاء فان عاقبته ذلك الحسرة والندامة على ايثار الحيوة الدنيا على الحيوة
الابدية **قوله** وما بعده وهو قوله اذا دكت الارض الى قوله يا ايتها النفس المطمئنة وعيد على ما
صدر منه من قوله وافعاله وتركه يا بنه اذا جاء يوم موصوف بصفات ثلث فانه يحصل له
الندامة على ما صدر منه ويتمنى ان لو كان افنى عمره في التقرب الى الله تعالى بالاعمال الصالحة والمواساة
بالمال الجوهري الدك الدق وقد دككت الشيء ادكه دكا اذا ضربته وكسرته حتى سويته بالارض
انتهى وقال الخليل كسر الحائط والجبل وقال المبرد الدك حط المرتفع بالبسط واندك سنام البعير
اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء اذا كانت كذلك فمعنى الدك على قول الخليل كسر كل شيء على ظهر الارض
من جبل او شجر او تل او بناء وذلك حين زلزلت الارض فلم يبق على ظهرها شيء مرتفع بل يخفض
جميع ما عليها او يصير هباء منبثا وعلى قول المبرد معناه انها استوت في الانفراش فذهب دورها
وقصورها وساير ما عليها من الابنية والجبال والتلال والاشجار حتى صارت كالصخرة الملساء
وهذا معنى قول ابن عباس رض تمد الارض يوم القيمة وهذا الدك متاخر عن الزلزلة لان
انكسار الجبال والتلال وانهدام الابنية والاشجار على قول الخليل والاستواء في الانفراش
على قول المبرد انما يكون اذا زلزلت الارض زلزالها بعد زلزلة وحركت تحريكا بعد تحريك حتى تنخفض
ما ارتفع عليها من الجبال ونحوها وامتلأت الاغوار وصارت ملساء وذلك عند انقضاء الدنيا
قوله اي ظهرت ايات قدرته واثار قهره الخ لما ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله تعالى محال لان
لان كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يمتنع ان يكون ازليا امتنع حمل قوله تعالى وجاء ربك على معناه
الحقيقي فلذلك فسره بما هو معنى مجازي له بان يجعل جاء بمعنى ظهر ويقدر المضاف والمضاف اليه مثل
حاله تعالى في ظهور اثار قدرته واثار قهره وسلطانه بحال السلطان اذا احضر بنفسه فانه يظهر
من اثار هيبته وسياسته ما لا يظهر بحضور وزرائه وساير خواصه وعساكره باسرهم فاستعمل
في الحال الاولى ما استعمل في الثانية وذكر الامام في تاويل الاية وجوها اخر منها ان التقدير وجاء امر
ربك بالمحاسبة والمجازاة بواسطة الملك ومنها جاء جلائل ايات ربك فان يوم القيمة يظهر فيه عظائم
الايات وجلائلها فجعل مجيئها له تفخيما لشان تلك الايات ومنها ان وجاء ربك بمعنى ظهر ربك لان معرفته تعالى
تصير

تصير ضرورية في ذلك اليوم فصار ظهور هذه المعرفة كظهوره وتجليه للخلق فقيل وجاء ربك اي زالت الشبهة
وارتفعت الشكوك **قوله تعالى** والملك صفا صفا والظاهر ان الملك اسم من ملائكة السموات وتعريفه
للاستغراق وصفا صفا حال من الملك اي مصطفين يصطفون يوم القيمة صفوفا بحسب منازلهم
ومراتبهم اصطفاف اهل الدنيا في الصلوة وقيل هو ملائكة السموات السبع فاذا نزل اهل كل سماء يوم
القيمة كانوا اصطفوا محيطين بالارض ومن فيها من الجن والانس فيكون سبعة صفوف اهل كل سماء
صف على حدة **قوله** يجرونها تمام الحديث انهم يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش فتشرد شردة
لو تركت لاحرقت اهل الجمع قال الامام قال الاصوليون معلوم انها لا تنفك عن مكانها فالمراد وبرزت
واظهرت حتى رأها الخلق وعلم الكافر ان مصيره اليها انتهى والى هذا المعنى اشار المص بقوله وبرزت
الجحيم فان قيل ما ذكر في الحديث من قوله يجرونها يدل على انفكاكها عن مكانها قلنا هذا ايضا تجوز والمراد
انهم يباشرون اسباب ظهورها **قوله** لئلا يناقض ما قبله علة لتقدير المضاف فانه لو لم يقدر
لكان بين قوله يتذكر وقوله انى له الذكرى تناقض حيث اثبت له التذكر اولا ونفى ذلك عنه اخرا
وبتقدير المنفعة ارتفع التناقض **قوله** اي يتذكر معاصيه اي يتذكر ان ما هو عليه في الدنيا من ايثار
حظوظ الدنيا على راحة الاخرة وترك النظر في ايات الله التي تهديه الى سبل السعادة كان ضلالا
ومعصية على ان يكون المعاصي جمع المعصية بمعنى العصيان لا بمعنى ما به يعصى وان تذكره معرفة انها
ضلال وعصيان وهذه المعرفة يستلزم الندم عليها **قوله** او يتعظ اي يقبل التذكر والارشاد الذي
بلغ اليه في الدنيا ولم يتعظ به ولم يقبله في الدنيا فيتعظ به في الاخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب
بايات ربنا وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تفريطه ايضا واذا حصل الندم فقد حصلت التوبة
ثم انه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله وانى له الذكرى علمنا انه لا يجب قبول التوبة
كما ذهب اليه المعتزلة **قوله** اي لحيوتي هذه يعني ان الحيوة الاخروية التي هي دائمة غير منقطعة
اي يتذكر هذا الانسان يومئذ متمنيا وقائلا يا قوم ليتني قدمت وقت حيوتي في الدنيا لحيوتي
هذه وانما قال لحيوتي ولم يقل لهذه الحيوة اشعارا بان الحيوة كانها ليست الا الحيوة في الاخرة كما
قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي الحيوة **قوله** او وقت حيوتي في الدنيا على ان يكون
اللام في لحيوتي بمعنى في كما في قوله تعالى جامع الناس ليوم **قوله** اعمالا صالحة اشارة الى ان مفعول
قدمت محذوف **قوله** يقول يجوز ان يكون في موضع الحال اي يتذكر قائلا وان يكون عطف بيان
لقوله يتذكر فان قيل قوله تعالى فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وقوله ثم لا يموت فيها ولا يحيى يدلان على
ان الكفرة لا حيوة لهم في الاخرة فكيف يصح حمل هذه الحيوة على الحيوة في الاخرة مع ان الاية في
حق الكفرة قلنا معنى الاية يا ليتني قدمت اعمالا صالحة لتحصل حيوتي في الاخرة فلا اشكال

على ان الحيوة المنفية في الاية المذكورة ليست اصل الحيوة بل الحيوة النافعة على معنى ان اهل
النار في الاخرة كانه لا حيوة لهم **قوله** وليس في هذا التمني دلالة على استقلال العبد بفعله
الخ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الاية على استقلال العبد في افعاله وانها معلقة بقصودهم
وارادتهم فقط بحيث لا مدخل فيها لقدرة الله وارادته وانما المستند الى قدرة الله وارادته عندهم
هو نفس قدرة العبد لا الفعل المترتب عليها وعلى انهم ما كانوا مجبورين عن الطاعات مجبرين على
المعاصي كما ذهب اليه بعض اهل الاهواء والبدع والا فلا معنى للتمني والتحسر وتقرير الجواب ان
المجبور عن الشيء قد يتمنى ان كان متمكنا منه بان يقول يا ليتني كنت متمكنا منه فافعله فانا لا حظه فاذا
صح ذلك من المجبور فلان يصح ان لا يستقل في افعاله اولى فانه يصح منه ان يقول يا ليتني كنت مستقلا في
اثبات الاعمال الصالحة فانيت بها في الدنيا لهذه الحيوة الاخروية قال الامام في استدلال المعتزلة
وجوابه ان فعلهم ان كان معلقا بقصدهم فقصدهم ان كان معلقا بقصد آخر لزم منه التسلسل
وان كان معلقا بقصد الله فقد بطل الاعتزال انتهى كلامه وفيه بحث لان القول باسناد قصد
العبد وارادته الى ارادة الله لا ينافي مذهب اهل الاعتزال كما اشرنا اليه في تقرير استدلالهم
فان القدرة والارادة ليستا من الافعال الاختيارية للعبد عندهم لكنها اذا خلقها الله في
العبد كانت هي كافية مستقلة في افعاله الاختيارية واستقلال العبد في تلك الافعال لا يستلزم
استقلاله في القدرة عليها فان التمكين والاقدار ليس الا من الله بالاتفاق فعلى هذا لا يكون القول
بكون قصد العبد معلقا بقصد الله مبطلا للاعتزال **قوله** الا ان الله لما ورد ان يقال كيف
يصح ان يعود ضمير عذابه ووثاقه على الله مع انه يوهم ان يكون يوم القيمة معذب سوى الله
لكنه لا يعذب احد مثل عذابه وهذا المعنى غير صحيح اشار المص الى دفعه بان المعنى ح انه لا يتولى
عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه اذ الامر كله يومئذ له ولا امر لغيره اصلا فيكون الحاصل نفي
تولي العذاب عما سواه لا نفي مماثلة عذاب الغير بعذاب الله كما توهم فالعذاب والوثاق اسمان
وضعا موضع التعذيب والايثاق والمعنى لا يملك احد التعذيب والايثاق في ذلك اليوم الا الله
وحده والامر كله له فيه **قوله** وقراهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول وعن ابي عمرو انه رجع اليها
في آخر عمره لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراهما بالفتح وضمير عذابه ووثاقه للانسان
السابق ذكره وقيل هو ابي بن خلف وعلى هذه القراءة تفسيران احدهما لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق
بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتوغله في كفره وفساده والثاني انه لا يعذب احد من الناس
عذاب الكافر ولا تزر وازرة وزر اخرى لما وصف الله حال من اطمأن الى الدنيا وصف
حال من اطمأن الى معرفته وعبوديته فقال يا ايتها النفس وتقدير الكلام يقول الله للمؤمن يا ا

بحصول ان التمني قد يكون
على المستحيل والتحسر على
فعلهم الذي كان في ايديهم
ظاهرا وتخلفه ليث الله
وفقني على فعل الطاعة

٥٦٩

يا ايتها النفس تاما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك قال الامام
الاطمئنان هو الاستقرار والثبات وفي كيفية هذا الاستقرار وجوه احدها ان تكون متيقنة بالحق
فلا يخالطها شك وهو المراد بقوله ولكن ليطمئن قلبي وثانيها النفس الآمنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن ويشهد لهذا قراءة ابي بن كعب يا ايتها النفس الآمنة المطمئنة
وهذه الخاصية قد تحصل عند الموت عند سماع قوله الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة
وتحصل عند البعث وعند دخول الجنة لا محالة وثالثها وهو الاولى ان يطابق للحقايق العقلية
فتقول القرآن والبرهان يطابقان على ان هذا الاطمئنان لا يحصل الا بذكر الله اما القرآن
فقوله الا بذكر الله تطمئن القلوب واما البرهان فهو ان القوة العاقلة اذا اخذت تترقى في سلسلة
الاسباب والمسببات فكلما وصلت الى سبب يكون ممكنا لذاته محتاجا الى علة طلب العقل له
سببا آخر فلم يبق العقل عنده بل لا يزال ينتقل من كل شيء الى ما هو اعلى منه حتى ينتهي ذلك
الترقي الى واجب الوجود لذاته مستغن مطلقا عن جميع ما سواه فيبقى العقل عنده واطمأن
اليه ولم ينتقل عنه الى غيره فثبت ان القوة العاقلة كلما كانت ناظرة الى شيء من الممكنات ملتفتة
اليه استحال ان يستقر عنده فاذا انتظرت الى جلال واجب الوجود وعرفت ان الكامل منه استحال ان
ينتقل عنه فظهر بذلك ان الاطمئنان لا يحصل الا بذكر واجب الوجود فقول المص فان النفس تترقى الخ
دليل لحصول اطمئنان النفس بذكر الله **قوله** فيستقر دون معرفته اي عندها **قوله** ويستغني به عن
غيره اي لا يطلب له سببا آخر **قوله** او الى الحق متعلق بقول اطمأنت قال الزمخشري او المطمئنة
الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك **قوله** او الآمنة اراد بها النفس الآمنة قال الامام
نقلا عن القفال قوله ارجعي الى ربك وان كان امرا في الظاهر لكنه خبر في المعنى والتقدير ان
النفس اذا كانت مطمئنة رجعت الى الله وقال الله لها فادخلي في عبادي وادخلي جنتي انتهى
ولعله وجه العدول عن الحقيقة الى المجاز ان الاطمئنان انما يكون بالرجوع اليه على ما اشار
اليه المص في الوجهين الاولين في تفسير المطمئنة فان الخطاب بارجعي يكون طلبا لتحصيل الحاصل
قوله الى امره او موعده رد لتمسك المجسمة بقوله الى ربك بناء على ان كلمة الى للانتهاء الغاية
فلما اول بان يقال المراد الى امر ربك او حكمه او ثوابه او احسانه او نحو ذلك سقط التمسك والجواب
الحقيقي ما اشار اليه آنفا من ان القوة العاقلة بسيرها العقلي تترقى من موجود الى موجود ومن
سبب الى سبب حتى ينتهي الى حضرة واجب الوجود فهناك انتهاء الغايات وانقطاع الحركات
والحاصل انه شبه الحركة في الكيف بالحركة في الاين ثم استعمل في المشبه ما وضع للمشبه به **قوله**
ويشعر ذلك بقول من قال الخ اشارة الى جواب من احتج بهذه الاية على ان النفوس ازلية وتقرير

الاحتجاج انه لا يقال للنفس ارجعي الى ربك الا اذا كانت موجودة قبل هذا البدن وتقرير الجواب
انه انما يشعر بتقدم الارواح على الاجساد وذلك لا يستلزم كونها ازلية قديمة كما ذهب اليه
القدماء **قوله** بالموت متعلق بقوله تعالى ارجعي واشار الى ان هذا الخطاب يوجد عند الموت وكون
الخطاب المذكور عند الموت يشعر بتقدم الارواح على الابدان وان لم يكن صريحا فيه لاحتمال
ان يكون المعنى ارجعي الى ما وعده من الثواب **قوله** او بالبعث عطف على قوله بالموت فيكون الخطاب
المذكور عند البعث والقيمة والمعنى ارجعي الى موعد ربك وثوابه **قوله** او في زمرة المقربين
هذا التفسير ناظر لقوله فادخلي في عبادي والمعنى على الاول ادخلي في عبادي الصالحين وانتظمي
في سلكهم وادخلي جنتي معهم ونظيره قوله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وعلى الثاني
انضمي الى عبادي المقربين فكوني في حالة شريفة وهي انعكاس انوارهم اليك فان الارواح الشريفة
كالمرايا المصقولة فاذا انضم بعضها الى بعض يظهر في كل واحد منها كل ما ظهر في كلها فيكون ذكر الانضمام
سببا لتكامل السعادات الروحانية ثم قوله وادخلي جنتي اشارة الى السعادة الجسمانية قال
الامام ولما كانت السعادة الروحانية غير متراخية عن الموت في حق السعداء قال فادخلي
في عبادي بالفاء الدالة على التعقيب ولما كانت الجنة الجسمانية لا يحصل الفوز بها الا بعد قيام القيمة
الكبرى قال وادخلي جنتي بالواو لا بالفاء وفيه بحث لانه معطوف على مدخول الفاء فيترتب حكم الفاء
عليه ايضا

سورة البلد مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

اجمع المفسرون على ان ذكر البلد هو مكة وفضل مكة معروف فان الله تعالى جعله حرما آمنا
قال في المسجد الذي فيه ومن دخله كان آمنا وجعله قبلة لاهل الشرق والغرب وامره بحج وجعله
كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بازائه وغير ذلك من الفضائل والاجتماع هذه
الفضائل وغيرها في مكة اقسم الله تعالى بها اظهارا لمزيد فضلها وقيد الاقسام بها بحلوله صلى الله
عليه وسلم فيها اشعارا بان شرف المكان بشرف اهله فان التمكن الشريف يجعل المكان معبد
الله تعالى بانواع العبادات ولا شرف للارض افضل منه فكما ان شرف المكان مستند الى شرف
اهله فشرف الاهل ايضا مستند الى كونه معظما لله تعالى عابدا خاضعا له فيكون القسم بالمكان من حيث
كونه موضع عبادة الله تعالى وتعظيمه لا من حيث هو فيكون القسم بالمكان ابلغ في تعظيم الله تعالى من القسم
بالله واختار المصنف كلمة لا في قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد صلة حيث قال اقسم سبحانه بالبلد الحرام
ولم يجعلها نافية لقوله تعالى وهذا البلد الامين فانه تعالى اقسم فيه بالبلد الحرام فكيف يجحد القسم به
وقد اقسم به فهي صلة كما في قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وقد قال في ص ما منعك ان تسجد وقال الشاعر
تذكرت ليلى فاعترتني صبابة وكاد صميم القلب لا يتقطع اي يتقطع ولا صلة وقيل هي نافية والمعنى

والمعنى لا اقسم بهذا البلد وانت مقيم به نازل فيه حال به بل اقسم بك واشار في تفسير قوله تعالى وانت حل
الى ثلاثة اوجه الاول ان يكون الحل نعتا بمعنى الحال كالسقط بمعنى الساقط وعلى هذا تكون الجملة حالية
اشار اليه المصنف بقوله وقيده فان الحال قيد لعامله والثاني ان يكون بمعنى الحلال من حل الشيء يحل
حلا وحلالا والمعنى اقسم بهذا البلد الحرام عند جميع اهل الاديان حتى ان المشركين ايضا يحرمون ان
يقتلوا فيه صيدا او يعضدوا فيه شوكة ثم انهم مع ذلك ومع اكرام الله تعالى اياه يستحلون ايذاءك فيه ولو تمكنوا
منك لقتلوك او اخرجوك منه فانت حل لهم في اعتقادهم لا يرون لك من الحرمة ما يرونه لغيرك والجملة
على هذا اعتراضية اقسم الله تعالى بهذا البلد وبما بعده على ان الانسان في كبد واعترض بهذه الجملة
بين بعض القسم والمقسم عليه تعجبا من جراءتهم وشدة عداوتهم يعني من جملة المشقات التي
خلق الانسان مغمورا فيها ان مثلك مع عظم حرمتك يستحل فيه كما يستحل الصيد في غير الحرم وفيه ايضا
تثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم وبعث له على احتمال اذاهم والثالث ان يكون الحل بمعنى
المحلل فالمقصود انت حل اي لست باثم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح
عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله فاحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق
باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة
يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي
ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث والجملة على هذا ايضا معترضة اقسم ببلده عليه الصلوة
والسلام على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بينهما بان وعده فتح مكة تسلية
وقال وانت حل به فيما يستقبل فان قوله تعالى وانت حل في معنى الاستقبال لان السورة مكية بالاتفاق
وفتح مكة وقع في سنة ثمان بعد الهجرة واين هي من وقت نزولها ونظير هذه الاية في كون اللفظ
للحال والمعنى على الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله قولك لمن تعده الاكرام والحباء انت
مكرم محبو وهو احسن في كلام الله تعالى لان المستقبل عنده كالحاضر بسبب انه لا يمنعه عن وعده
مانع **قوله** وما ولد ذريته اي ذرية آدم ان كان هو المراد بالوالد وذرية ابراهيم ان كان المراد به
بالوالد فعلى الاول يكون القسم بجميع افراد نوع البشر صالحهم وطالحهم اذ هم من اعجب خلق الله
على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبر واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة
الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض مخلوق لاجلهم وامر الملائكة بالسجود لادم وعلمه الاسماء
كلها وقد قال تعالى ولقد كرمنا بني آدم وقيل المراد بقوله وما ولد الصالحون من اولاد آدم بناء على
ان الطالحين كانهم ليسوا من اولاده وكانهم بهائم في صورة البشر كما قال ان هم الا كالانعام بل
هم اضل سبيلا وعلى الثاني يحتمل ان يكون القسم بابراهيم وبجميع اولاده من العرب والعجم ويحتمل

ان يكون قسما به وبآباء المؤمنين ويؤيد الثاني انه شرع في التشهد ان يقال كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم وهم المؤمنون **قوله** او محمد صلى الله عليه وسلم اي او الوالد آدم وما ولد محمد صلى
الله عليه وسلم اقسم ببلده وبابوته آدم وبه وهو آخر اولاد آدم من الانبياء او الوالد ابراهيم وما ولد
محمد صلى الله عليه وسلم اقسم بمكة وبابراهيم بانيها وبمحمد مطهرها من الاصنام والمشركين وروي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال الوالد الذي يلد وما ولد الذي لا يلد فيكون ما في قوله وما ولد للنفي فلا بد من اضمار
الموصول اي ووالد والذي ما ولد وحذف الموصول وابقاء صلته لا يجوز عند البصريين وقيل
المراد كل والد ومولود وهذا معنى حسن لان حرمة الخلق كلهم داخل في هذا الكلام **قوله** والتنكير
اي التنكير في والد للتعظيم ووجه التعظيم ان اريد به آدم او ابراهيم عليهما الصلوة والسلام ظاهر
وان اريد به الذي يلد مطلقا فلتناوله الانبياء ولدلالته على كمال القدرة وتنكير الشيء وابهامه يدل
على ان ذلك الشيء بلغ من الفضل والكمال الى حيث لم يتصور ان يعبر عنه بما يدل عليه بعينه وخصوصيته
وانما الممكن ان يعبر عنه باسم جنسه فهذا وجه دلالة التنكير على التعظيم **قوله** وايثار ما على من
لكان ما ولد من العقلاء بمقتضى التفسير المذكور كان الظاهر ان يقال ومن ولد بدل وما ولد الا انه عدل
الى ما لدلالته على الوصفية وبلوغ الوصف الى اقصى الغاية بحيث يكون الموصوف عجيب الشان
بحسب اتصافه به فان ما تستعمل في الصفات فاذا اردت ان تسأل عن صفة زيد تقول ما زيد
والجواب عنه طبيب او فقيه واذا سألت عن ذاته تقول من هو فالجواب انه وفي شرح الرضي
وتستعمل ما في الغالب في صفات العالم نحو زيد ما هو وما هذا الرجل فهو سؤال عن صفته والجواب
عالم او زاهد ونحوهما وقول فرعون وما رب العالمين يجوز ان يكون سؤالا عن الوصف ولهذا قال
موسى عليه الصلوة والسلام رب السموات والارض الآية ويجوز ان يكون سؤالا عن الماهية واجاب عليه
الصلوة والسلام ببيان الاوصاف تنبيها لفرعون على انه تعالى لا يعرف الا بالصفات وماهيته غير
معلومة للبشر انتهى وقالوا في قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء تقديره فانكحوا الطيب من النساء
فجعلوا الكلمة ما مستعملة في صفة من يعقل ومن لا يستعمل على هذا الوجه ثم ان كلمة ما لشدة ابهامها تدل
على ان الوصف الذي دل بها عليه بالغ الى اقصى الغايات فتفيد في مقام المدح تفخيم شان الموصوف بانه
لا يكتنه في اتصافه بذلك كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي يعلم
انها وضعت موضوعا عجيب الشان بديع الاوصاف فكذا هنا اي اقسم بهذا البلد وبالد وباي شيء
ولده ذلك الوالد اي بمولود عجيب الشان فليحفظ هذا الكلام فانه ينفعك في تفسير قوله تعالى والسماء
وما بناها في سورة والشمس **قوله تعالى** في كبد منصوب المحل على انه حال من الانسان اي مكابدا فقال الامام
وحرف الجر واللام متعلق بان نقول انما انث للمعنا والنصب وفيه وجه آخر وهو ان قوله تعالى في كبد يدل

يدل على ان الكبد قد احاط به احاطة الظرف بالمظروف والكبد في الاصل مصدر وصف به تألم الكبد
يقال الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع فيه استعمل في كل تعب ومشقة وقيل
الكبد هو الاستواء والاستقامة ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنه في كبد اي قائما منتصبا والحيوانات الاخر
تمشي منكسا فهذا امتنان عليه بهذه الخلقة وقيل الكبد شدة الخلق والقوة ويؤيده ما روي عن
الكلبي انه قال نزلت هذه الآية في رجل من بني جمح يكنى ابا الاشد بن كلدة ولم يتعرض المص للوجهين
الاخيرين لان المناسب بهذا الموضع هو الوجه الاول حتى يكون الآية تسلية للرسول صلى الله
عليه وسلم مما كان يكابده من قريش ثم ان فسر الكبد بالتعب والمشقة يحتمل ان يراد بها شدائد الدنيا
فقط او شدائد التكاليف فقط او شدائد الآخرة فقط والكلام النظم من كلام المص انه حمله على الكل
حيث جعل مبدأ الشدائد ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وما بينهما كما يتناول
شدائد الدنيا من قطع سرته والقماطه بخرقة تحبس الاعضاء ومكابدة الختان واوجاعه و
مكابدة المعلم وصولته والاستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الاولاد والخدم وشغل
المسكن ثم الكبر والهرم في جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الاضراس ورمد العين
وهم الدين ونحوها يتناول ايضا شدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في
اداء العبادات كالصوم والصلوة والزكوة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك
وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب الى ان يصل الى موضع الاستقرار اما في الجنة و
اما في النار وقال الامام ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن لذة فهو خلاص عن الالم فاللذة
عند الاكل هي الخلاص عن الم الجوع وعند اللبس هي الخلاص عن الم الحر والبرد فليس للانسان الا
الم او خلاص عن الم وانتقال الى آخر وهذا معنى قوله ولقد خلقنا الانسان في كبد ويظهر منه انه
لابد للانسان من البعث والقيمة لان الحكيم الذي دبر خلقة الانسان ان كان مطلوبه منه ان يتألم
ابدا فهذا لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه ان لا يتألم ولا يتلذذ ففي تركه على العدم كفاية في هذا
المطلوب وان كان مطلوبه ان يتلذذ فقد بينا انه ليس في هذه الحيوة الدنيا لذة وانه تعالى خلق الانسان
في هذه الدنيا في كبد ومحنة فاذن لابد بعد هذه الدار من دار اخرى لينال الانسان فيها ما خلق لاجله
من اللذات والكرامات **قوله** لبعضهم اي لبعض صناديد قريش **قوله** او يغتر عطف على يكابد
لما سلى الرسول صلى الله عليه وسلم وحمله على ان يصبر على اذى قريش بان اقسم على انه خلق الانسان
في كبد اخذ في وعيد من كان صلى الله عليه وسلم يكابد منه اكثر المكابدة او يغتر هو بقوته اشد الاغترار
او في وعيد كل واحد منهم فانهم كانوا متواطئين على انكار البعث والقيمة ولذلك يجترؤن على
ايذائه صلى الله عليه وسلم فقال على سبيل الاستفهام الانكاري ايحسب ان لن يقدر عليه احد على

ان يكون ضمير يحسب لبعضهم او لكل احد منهم اى ايظن ان الشان لن يقدر على بعثه ومجازاته
وارجاع ذلك الضمير الى الانسان على تقدير ان يفسر الكبد بالشدة فى القوة ظاهر لان المراد بالانسان
ح البعض المعهود الذى كان صلى الله عليه وسلم يكابد منه اكثر المكابدة فيكون المعنى كما اذا رجع الى
بعض صناديد قريش واما اذا فسر الكبد بالمحنة والمشقة فح يكون المراد بالانسان الجنس ويكون المعنى
ايظن ذلك الجنس مع انه خلق للامتحان والمشقة ان الشان لن يقدر على بعثه ومجازاته بسوء افعاله
احد بل يقدر على ذلك من خلقه كذلك ولما كان قوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى كبد تسلية له صلى الله عليه وسلم
باعتبار كونه من جملة افراد الجنس المذكور كان قوله ايحسب ذلك الجنس ان لن يقدر عليه احد تعريضا
بالتقريع والتوبيخ للاشقياء المغترين بقوتهم وكثرة اعوانهم باعتبار دخولهم فيه ايضا وان
فى قوله ان لن يقدروا ان لم يره مخففة من الثقيلة بتقدير انه لن يقدر وهى بجملتها سدت مسد مفعولى
الحسبان **قوله** والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة اى انفقت فيما زعمت انه خير وتفضل
ولم يكن الا سمعة او مفاخرة او معاداة او كلا احد ممن يوذونه صلى الله عليه وسلم ذلك المتوغل فى
الايذاء سمى الانفاق اهلاكا من حيث ان الانفاق لما لم ينفع كان ما انفقه هالكا ضايعا فان قيل
كيف يجوز ان يرجع ضمير يحسب الى جنس الانسان وانه يستلزم ان يرجع ضمير يقول اليه ايضا والجنس
فى حكم الجمع وبعضهم لم ينفق مالا اصلا او انفق مالا قليلا لا كثيرا قلنا لا نم الاستلزام المذكور لجواز
ان يكون القائل بعضا منهم للكلهم قال الامام ابو الليث يعنى اباجهل بن هشام يقول انفقت مالا كثيرا
على عداوة محمد فلم ينفعنى ذلك وهو انه ضمن مالا لمن يقتل النبى صلى الله عليه وسلم ويقال انفق ماله يوم بدر
ثم قال تعالى ايظن انه لم يره الله تعالى سوء صنعه ولا يعاقبه عليه **قوله** او بعد ذلك فسأله عنه ابن كسبه
وابن انفقه اشارة الى جواز ان يكون لم يره بمعنى لن يراه بقرينة لن يقدر عليه **قوله** يعنى ان الله
يراه فيجازيه بحصول انكاره حسابه انه لم يره احد حين الانفاق ولم يعلم ان الله رآه فيجازيه مع
انه هو الظاهر بل قال يراه لقصد الاستمرار والدوام **قوله** او يجده فيحاسبه عليه بحصول انكاره حسابه
انه لن يرى ذكره منه احد بعد ذكره ولن يوجد ذكره فى كتابه الذى كتبه الكرام الكاتبين اى بل يرى ذكره منه
ويجده فى كتابه يوم العرض والحساب فيحاسبه عليه قال الامام قوله تعالى ايحسب الانسان ان لم يره
احد فيه وجهان الاول قال قتادة ايظن ان الله لم يره ولم يسأله عن ماله من اين كسبه واين انفقه
والثانى قال الكلبى انه كان كاذبا لم ينفق شيئا فقال الله تعالى ايظن ان الله تعالى ما رأى ذلك منه فعل او لم
يفعل انفق كثيرا او علم منه خلاف ما قال **قوله** ثم بين ذكر اى بين انه قادر عليه فانه تعالى لما حكى عن
ذلك الكافر حسبانه ان احدا لا يقدر عليه وانكر على ذلك الحسبان اقام الدليل على كمال قدرته بقوله
الم نجعل له عينين الى مال الحسن اهلكت مالا لبدا فمن الذى يحاسبنى عليه فقيل الذى قدر على ان يخلق
لك

او لم ينفق صح

لك هذه الاعضاء قادر على محاسبتك فان من قدر على ان يخلق من الماء المهين قلبا عقولا او لسانا
قوالا وسائر الاعضاء السليمة والقوى النوعية فهو على اهلاك ما خلق قادر وبما يخفيه المخلوق عالم
فى العذر فى الذهاب عن هذا مع وضوحه وما الحجة فى الكفر بالله تعالى مع تظاهر نعمه وما العلة فى التعذر
على الله وعلى انصار دينه بالمال وهو المعطى له والممكن من الانتفاع به **قوله** واصله المكان المرتفع سمى
طريقا الخير والشر نجدين لانه لما وضحت الدلائل الدالة على تلك الطريقين صارتا كالطريقين
المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول بتلك الدلائل كوضوح الطريق العالى للابصار فسماهما
بالنجدين لذلك واليه ذهب عامة المفسرين **قوله** اى فلم يشكر تلك الايادى فان شكرها انما يكون
بمجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه من شياطين الانس والجن بان يكون فى جميع ما يفعله
من الافعال البدنية والمالية وتركه تابعا لامر الله تعالى وامر رسوله طالبا لمرضاته ومجتنبا عن
سخطه لا بان يهلك مالا لبدا رياء ومفاخرة ومعاداة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله** استعار لها
لما فسرها به من الفك والاطعام الظان الفك والاطعام فى الاية ليس تفسيرا لنفس العقبة بل
لاقتحامها على ان يكون تقديره وما ادريك ما اقتحام العقبة بتقدير المضاف فان الفك والاطعام
وان كان عقبة اى طريقا صعبا للترقى من عالم الحس والخيال الى عالم الانوار الالهية الا ان نفس
العقبة اذا قورنت بهما فما اقتحامها فينبغى ان يفسر نفس العقبة بمجاهدة النفس والشيطان وترك
مقتضاهما واقتحام العقبة هو الاعمال الصالحة المؤدية الى تلك المجاهدة **قوله** او لتعدد المراد بها الخ
جواب لما يقال من انه قلما توجد لا الداخلة على الماضى الا مكررة تقول لا رايتك ولا ضربتك وقال
تعالى ولا صدق ولا صلى وفى هذه الاية ما جاء التكرير فما السبب عنه وتقرير الجواب ان المراد
بالعقبة متعدد لانها عبارة عن الفك والاطعام واذا تعددت العقبة بحسب المعنى يتعدد
اقتحامها لا محالة فيحسن بذلك دخول لا على اقتحم بدلالة وان لم يوجد التكرير لفظا والفك التفريق
بين الشيئين بازالة احدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة التفريق بينها وبين صفة
الرق بايجاب الحرية وفك الرقبة قد يكون بان ينفرد الرجل فى عتق الرقبة وقد يكون بان يعطى
مكاتبا ما يصرفه الى جهة فكاك رقبته ويحتمل ان يكون المراد بفك الرقبة ان يفك المرء رقبة نفسه بان يشتغل
فى الاعمال الصالحة حتى يصير بها الى الجنة وهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار فيكون قوله او اطعام
الى آخره من قبيل التخصيص بعد التعميم اشارة الى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث خرج به عن ان
يتناوله اللفظ السابق مع عمومه **قوله** مسغبة اى كل واحد منها مصدر ميمى على وزن مفعلة من
سغب يسغب سغبا فهو ساغب وسغبان من باب علم بمعنى جاع يجوع جوعا ومجاعة وذى مسغبة
اى ذى مجاعة ومقربة فى النسب قربا ومتربة وترب الرجل اى افتقر كانه لصق بالتراب تربا

ومتربة فقيد الاطعام بكونه في يوم جاع فيه الناس للقحط لان اخراج المال في ذلك الوقت
اثقل على النفس واوجب للاجر وهو كقوله وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى وقيد
اليتيم بان يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لانه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة
فاطعامه افضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم قوله او مسكينا ذا متربة معناه مسكينا
قد لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه واحتج الشافعي
رح بهذه الآية على ان المسكين قد يكون بحيث يملك شيئا والا لكان تقييده بقوله ذا متربة تكرارا
وهو غير جائز وفيه بحث لجواز ان يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين ويكون الفائدة في
التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح ان اطعام الاحوج افضل والتكرير الذي لا يجوز
هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل قوله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
والكسائي فك رقبة او اطعم على لفظ الفعل الماضي فيهما قال الامام حاكيا عن الفراء ان
هذه القراءة اشبه الوجهين بقانون العربية وذلك لان كان في قوله تعالى ثم كان فعل فاذا قرئ
فك واطعم على لفظ الفعل ايضا كان عطف الفعل على الفعل واذا قرئ على لفظ المصدر على تقدير
هي فك رقبة او اطعام كان عطف الفعل على الاسم وهو غير حسن في قانون العربية وفيه بحث
لان قراءة الرفع لا يستلزم عطف الفعل على الاسم لجواز ان يكون ثم كان في تلك القراءة معطوفا
على اقتحم لا على الفك وقد اشار المصنف الى جوازه في قوله الآتي عطفه على اقتحم او فك قوله عطفه
على اقتحم فيه اشارة الى جواب آخر عن الاشكال الذي اجاب عنه اولا بقوله ولتعدد المراد بها حسن
وقوعها لا موقع لم وتقرير الجواب الآخر ان لا الداخلة على الماضي وان لم يتكرر لفظا فهي متكررة
معنى لان قوله ثم كان من الذين آمنوا تابعة في معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن لكونه معطوفا
على اقتحم فلفظة لا الداخلة على اقتحم يكون داخلة في الذي عطف على اقتحم ايضا فيتحقق التكرير
بحسب المعنى قوله لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة يعني ان كلمة ثم لتراخي الايمان
عنهما في الرتبة والفضيلة لا في الزمان لان الايمان شرط للانتفاع بما اقتحم فيه من الطاعات فيجب ان يكون
مقدما عليها وقيل هي للتراخي في الزمان بناء على ان المعنى ثم كان في عاقبة امره من الذين آمنوا بان
يموت على الايمان فان موافاة الموت على الايمان شرط الانتفاع بالطاعات قوله بالرحمة على عباده اي
واوصى بعضهم بعضا ان يرحم المظلوم او الفقير او يرحم المقدم على منكر فيمنعه منه فان كل ذلك داخل
في الرحمة وهذا يدل على انه يجب على المرء ان يدل غيره على طريق الحق كالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
والمحن التي يبتلى بها المؤمن ويمنعه عن سلوك طريق الشر ما امكنه وبالجملة فقوله وتواصوا بالصبر
اشارة الى التعظيم لامر الله وقوله وتواصوا بالمرحمة اشارة الى الشفقة على خلق الله ومدار امر

ـــلف واجب الطاعة

فان الصبر على طاعة الله كما يكون بالصبر على امتثال الاوامر يكون ايضا بالصبر على الانتهاء عن المنهيات

الطاعة ليس الا على هذين الاصلين وفيه تحريض على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيل
الاصل في التصوف امران صدق مع الحق وخلق مع الخلق قوله او بموجبات رحمة الله على ان يكون
المرحمة مصدرا بمعنى الرحمة ثم يراد بها ما يوجب رحمة الله بمقتضى وعده مجازا بطريق اطلاق اسم
المسبب على السبب تنبيها على كمال في السببية والمرحمة بهذا المعنى اعم من الرحمة بالمعنى الاول وهو الشفقة
لمن يستحقها من العباد ووجه العموم ظاهر واعم ايضا من الطاعة التي اوجب التواصي بالصبر عليها بقوله
وتواصوا بالصبر على طاعة الله لان المراد بالطاعة فعل الواجبات وترك المحرمات وما يوجب رحمة
الله كما يتناولها يتناول السنن والآداب المندوبة والمستحبة فلذلك لم يكتف بذكر التواصي
بالصبر على طاعة الله بل ذكر بعده التواصي بما يوجب رحمة الله ايضا تكميلا للترغيب
في جميع ما هو من معالم الدين وتحريضا على التفاوت في جميع ذلك قوله اليمين او اليمن يعني ان
المراد باصحاب الميمنة اما اصحاب اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم ويسلك بهم عن طريق
اليمين الى الجنة وقد وصف كرامتهم في سورة الواقعة بانهم في سدر مخضود وطلح منضود وظل
ممدود وماء مسكوب الآية او اصحاب اليمن والخير والسعادة فان السعداء ميامين على انفسهم
بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وكذا اصحاب المشأمة اما بمعنى اصحاب الشمال او
هم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم ويسلك بهم شمالا الى النار او بمعنى اصحاب
الشؤم والشر والشقاوة وقد وصفهم الله بانهم في سموم وحميم وظل من يحموم الى غير ذلك
قوله والتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة الموضوعة للاشارة الى الحاضر المشاهد والكفار بضمير
الغائب شأن لا يخفى وذلك لان ذكرهم باسم الاشارة تكريم لهم بانهم حاضرون عند الله في
مقام كرامته وفي كون اسم الاشارة للبعيد اشارة الى علو درجاتهم عن درجة الكفار لان
درجة من حضر عنده تعالى عال عن درجة من غاب عنه وذكر الكافرين بضمير الغائب اشارة الى
غيبتهم عنه تعالى وفي درجة نازلة عن درجة المؤمنين لان درجة من غاب عنه تعالى نازلة عن
درجة من حضر عنده بلا شك قوله من اوصدت الباب اذا اطبقته اوصد افعل من المعتل
الفاء مثل اوصل يوصل وآصد ايضا افعل الا انه من المهموز الفاء مثل آمن يؤمن وهما لغتان
بمعنى اغلق واطبق يقال آصدت الباب واوصدته اذا اغلقته فمن قرأ مؤصدة بالهمزة جعلها
اسم مفعول من آصدت ويجوز ان يكون من اوصدت ولكنه همزت الواو الساكنة لضمة ما قبلها على
لغة من يتخذه مذهبا ويقول مؤسى وعليه قراءة من قرأ بالسؤق والاعناق وكان ابو بكر
راوي عاصم يكره الهمز في هذا الحرف ويقول لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا
سمعته وكانه لم يحفظ عن شيخه الا ترك الهمزة وقد حفظ حفص عنه بالهمزة وهو اضبط

لحرفه من ابي بكر على ما نقله الفراء وان كان ابو بكر اكبر وانفس واوثق عند اهل الحديث ومن لم يهمز
اخذها من اوصدت كما يقال من اوعدت هو موعود وذا موعد ويحتمل ان يكون من آصد شل
آمن لكنه قلبت الهمزة الساكنة واوا لضمة ما قبلها للتخفيف كما خففت في يونس بقلبها واوا وقوله
من اوصدت الباب اشارة الى ما قال بعضهم من ان الايصاد مما يتعلق بالباب فقوله تعالى عليهم
نار موصدة معناه عليهم نار ابوابها مغلقة فلا ينفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها
روح ابد الآباد والا انها جعلت صفة للنار اشعارا باحاطتها بهم كما قال احاط بهم سرادقها
فاصل التركيب موصدة الابواب فلما تركت الاضافة عاد التنوين اليها لانهما يتعاقبان و
الوجه ان يكون نار مبتدأ تخصصا بالصفة وهي موصدة وعليهم خبره اي نار مطبقة كائنة عليهم
اي نار لا فرجة فيها فلا يخلص اليهم روح ولا يخفف عنهم كرب **سورة الشمس مكية**
بسم الله الرحمن الرحيم اقسم الله تعالى بسبعة اشياء على فلاح
من زكى نفسه ترغيبا في تزكيتها بالعلم والطاعة وتحذيرا عن تدسيتها بالجهل والمعصية **قوله**
وضحاها اذا اشرقت اي طلعت وانبسط نورها يقال اشرقت الشمس شروقا شروقا اي
طلعت واشرقت اي اضاءت قال مجاهد والكلبي ضحى الشمس ضوؤها اي نورها المنبسط على وجه
الارض وهو نقيض الظل والمشهور عند العرب ان الضحوة وقت ارتفاع الشمس بعيد الطلوع
والضحى فوق ذلك والضحاء فوق ذلك واختار المبرد الاول حيث قال ان الضحى والضحوة مشتقان
من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الارض المضاد للظل وفي الحديث لا يقعدن احدكم بين
الضح والظل فانه مقعد الشيطان فعلى هذا الضحى هو الضوء المشرق لا الوقت يدل عليه اضافة الضحى
اليه حيث يقال وقت الضحى اي وقت انه وقت اشراق الضوء **قوله** تلاها طلوعه طلوع الشمس
الظاهر ان يقول بدل هذه العبارة تلاها غروبه غروب الشمس وذلك في ليلة الهلال فان تبعية القمر
للشمس في الطلوع لا يظهر للحس لكونه مغلوبا مضمحلا بنور الشمس بخلاف تبعيته لها في الغروب
فانها ظاهر مشاهدة وروي **عن** عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان القمر يتبع الشمس في الاضاءة فانه
اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر يتلو القمر طالعا تابعا لها في الاضاءة ابتداء
بالقمر شمس النهار ثم ثنى بالقمر الذي يتبرأ بالليل **قوله** فانها تنجلي اذا انبسط النهار النهار
ضد الليل فكما ان الليل في الحقيقة ظل الارض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل
فلذلك النهار في الحقيقة هو نور الشمس الذي يتبع ظل الارض ويمحو ظلمة الليل فكلما ازداد نور
الشمس انبساطا وانتشارا ازدادت الشمس انجلاء وظهورا لان انتشار الاثر وانبساطه يستلزم
انجلاء المؤثر وظهوره ولما كان زمان انتشار الاثر وهو زمان ارتفاع النهار زمانا لانجلاء

وقيل موصدة اي مبهمة لا يدرى ما داخلها منها

لانجلاء الشمس وكان الانجلاء واقعا فيه اسند فعل التجلية اليه اسنادا مجازيا مثل صام نهاره
والا فليس النهار في الحقيقة مجليا مظهرا للشمس وكذا الكلام في اسناد تغطية الشمس الى الليل
فان احتجاب الشمس بحيلولة الارض بيننا وبينها لما وقع في الليل صار الليل كانه حجبها وغطاها فاسند
التغطية والتغشية الى الليل لذلك **قوله** ولما كانت واوات العطف الخ جواب لما يقال من انه لا يخلو
من ان يجعل الواو الاولى هي التي للقسم وما بعدها للعطف كما هو مذهب الخليل وصاحبه سيبويه فيلزم
العطف على معمولي عاملين مختلفين وذلك لان النهار المجرور في قوله والنهار اذا جلاها معطوف على
مجرور واو القسم الجارة وهو الشمس والظرف الذي فيه معطوف على معمول فعل القسم الناصب
لاذا الاولى ولا يخفى انه عطف معمولين على معمولي عاملين مختلفين او يجعل كل واحد من الواوات
المذكورة للقسم فيلزم تعدد القسم مع كون المقسم عليه واحدا وقد اتفق الخليل وسيبويه على الكراهة
وقالا استقرأنا وتتبعنا كلام العرب فلم نر موضعا تعدد فيه القسم الا وقد كان لكل واحد من
القسم على مقسم عليه على حدة وحاصل الجواب اختيار كون ما بعد الواو الاولى للعطف ومنع لزوم
العطف على معمولي عاملين مختلفين ح بل هو من قبيل العطف على معمولي عامل واحد كانه قولك ضرب
زيد عمروا وبكر خالدا فان الواو فيه ربط بكرا وخالدا على معمولي ضرب وهما الفاعل والمفعول فكذا
هنا وذلك لان الواو الاولى التقسيمية كما يحمل الجر لنيابتها عن الباء التقسيمية فكذلك تنصب
الظرف الذي بعدها لنيابتها عن فعل القسم واصل الكلام اقسم بالشمس فحذف الفعل وحرف
الجر وانيب الواو منابهما فسرت سريتهما معا ولذلك كانت جارة وناصبة معا فكان المجرور
والظرف اللذين بعدها معمولي عامل واحد واذا عطف بالواو العاطفة عليهما لم يلزم العطف
على معمولي عاملين فلا اشكال وهذا الجواب لا يجري فيما اذا كان فعل القسم مصرحا به كما في
قولك والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس بعد قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فان
الواو عاطفة عطف بها المجرور على معمول الباء والظرف على معمول فعل القسم المصرح به
وهو الظرف الاول فيحتاج الجواب آخر بطرد وهو ان يقال لا نسلم ان الظرف المنصوب معمول
الفعل القسم او للواو النائبة منابه لان تقييد القسم بالزمان غير مناسب حالا كان او
استقبالا بل هو معمول المضاف مقدر مدلول عليه بالقسم من نحو العظمة فان الاقسام بالشيء
تعظيم له كانه قيل اقسم بعظمة الشمس وضحاها وبعظمة القمر اذا تلاها والقمر المجرور وكذا الظرف
بعده معمولان لذلك المقدر فيكون المجرور والظرف في قولك والصبح اذا تنفس معطوفان
على معمولي عامل واحد فان قيل ما ذكرت في تقرير الجواب من ان الواو العاطفة لنيابتها عن
فعل القسم تنصب الظرف بعدها محل بحث لان فعل القسم المضمر بمعنى الحال لانه لانشاء القسم

فى الحال فلا يعمل فى اذا لانه ظرف مستقبل والفعل الحالى لا يعمل فى الظرف المستقبل لان كون
الفعل حاليا ينافى كونه استقباليا واذا لم يصلح فعل القسم المضمر ناصبا لظرف الزمان المستقبل
فكيف تصلح الواو النائبة منابه ناصبة له قلنا فرق بين قولك اقسم بالشمس غدا واقسم بها اذا
اشرق غدا والذى لا يجوز هو الاول لا الثانى فانه يجوز ان يقسم الآن باشراق الشمس فى المستقبل
وسائر ما يترقب وجوده بعد زمان القسم **قوله** وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
لم يرد ان كلمة ما توصف بها نحويا كما يوصف بالذى فان ما ومن الموصولتين لا يوصف بهما ،،
بخلاف الذى بل مراده ان كلمة ما قد تستعمل فى صفة من يعقل كما فى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
قالوا المعنى فانكحوا الطيب من النساء وكلمة من لا تستعمل على هذا الوجه وقوله والشئ القادر
الذى بناها اشارة الى الصفة التى استعملت فيها ما وقد مر هذا البحث فيما يتعلق بتفسير قوله تعالى
وما ولد فى السورة المتقدمة فليرجع اليه **قوله** ولذلك افرد ذكره من بين المخلوقات ولم يكتف ،،
بالقسم بمن هو خالق جميع الممكنات فهو نظير قوله تعالى والشفع والوتر على تقدير ان يفسر بالخلق و
الخالق فكانه جواب عما يقال من ان قوله تعالى وما بناها ان كان قسما بخالق السماء فكيف يصح ذكره
مع مخلوقه فى قرن بل ان يؤخر فى الذكر عنه فانه تعالى لا يذكر مع شئ من المخلوقات على هذا الوجه بل يعظم
ذكره وقد روى انه صلى الله عليه وسلم نهى من قال الله ورسوله عنه وقال له قل الله ثم رسوله وتقرير الجواب
ان افراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق جل ذكره عليه والاقسام بهما ليس لاشتراكهما
فى استحقاق التعظيم تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل النكتة فى ذكر الترتيب ان يتبين وجود صانع العالم
وكمال قدرته ويظفر العقل بادراك جلال الله تعالى وعظمة شانه حسب ما امكن فانه تعالى لما اقسم ،،
بالشمس التى هى اعظم المحسوسات شرفا ونفعا وصفها باوصافها الاربعة وهى ضوءها وكونها متبوعة
للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية ومتغطية بالليل ثم اقسم بالسماء التى هى مسير الشمس
واعظم منها فقد نبه على عظمة شانهما لما تبين ان الاقسام بالشئ تعظيم له ومن المعلوم انهما لحركتهما
الوضعية وتغير احوالهما من الاجسام الممكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة ،،
فتوسل العقل بمعرفة احوالهما واوصافهما الى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق الى جذب
العقول من حضيض عالم المحسوسات الى بقاع عالم الربوبية وبيداء كبرياء الصمدية فسبحان من عظمت
حكمته وكملت كلمته وذكر فى تعريف ذات الله تعالى هذه الاشياء الثلثة وهى السماء والارض والنفس
لان الاستدلال على الغائب لا يمكن الا بالشاهد والشاهد ليس الا العالم الجسمانى وهو قسمان
العلوية واليه الاشارة بقوله والسماء والسفلية واليه الاشارة بقوله والارض والمركب هو اقسام
واشرفها ذات النفس واليه الاشارة بقوله ونفس والطحو كالدحو وهو البسط وابدال الطاء من

البناء ما ارتفع من الارض

من الدار الجائز دار عطاء والكلبى بسطها على الماء وقيل طحاها من تحت الكعبة وان حملنا النفس على ،،
الجسد فتسويتها تعديل اعضائها بعضها ببعض على ما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة
المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احواله وبعض تلك محركة وهى اثنتان
القوة الشهوانية والغضبية وبعضها مدركة وهى عشرة الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس
الباطنة وبعضها لا محركة ولا مدركة وهى سبعة الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة
والماسكة والدافعة **قوله** بتجرد الفعل عن الفاعل اى بتجرد المنوى فى الهمها عما يرجع هو اليه
فان الماءات التى فى قوله وما بناها وما طحيها وما سويها ان كانت مصدرية لا يكون المذكور الا السماء
والارض والنفس وما يتعلق بها من المعانى المصدرية وهى البناء والطحو والتسوية وشئ منها
لا يصلح لان يرجع اليه المنوى فى ضمير الهمها **قوله** الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به استثناء من قوله
بتجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس بشرط فى ارجاع الضمير اذا كان
المرجع اليه لنباهة شانه مما لا يغيب عن العقل كقوله انا انزلناه قرانا ولو يواخذ الله الناس
بظلمهم ما ترك على ظهرها اى الارض **قوله** ويخل بنظم قوله فالهمها بقوله وما سويها فانه على
تقدير ان تكون ما مصدرية يلزم عطف الفعل على الاسم ويكون التقدير ونفس وتسويتها ،،
فالهمها ولا اخفاء فى ركاكة هذا النظم ويمكن ان يقال لا بعد فى ان يجعل ما مصدرية فيكون ،،
فالهمها عطفا على سويها فيكون هو ايضا فى تاويل المصدر على معنى وتسويتها فالهامها فجورها وكو
الهمها كالافعال السابقة وهى بناها وطحيها وسويها فى تجردها عن الفاعل فان قيل الفاء يدل
على الترتيب من غير مهلة والتسوية قبل نفخ الروح والالهام بعد البلوغ فيختل انتظام الالهام
المصدر بالفاء بما قبله على تقدير ان تكون ما مصدرية قلنا التسوية تعديل الاعضاء والقوى
الادراكية وذلك انما يكون بعد البلوغ بحكم الشرع والالهام عبارة عن بيان كيفية استعمال ،،
فى النجدين فى هذا المحل وهذا البيان والتعريف لا يتراخى عن التسوية بذلك المعنى ثم يزداد ،،
الالهام والبيان بحسب ازدياد القوى كيفية وذلك لا ينافى ترتبه على التسوية بلا مهلة **قوله** والالهام
الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وتعريف حالهما من ان احدهما حسن والآخر قبيح والتمكين
من اختيار ما شاء منهما وهو كقوله وهديناه النجدين وهذا الوجه مروى عن ابن عباس وعن
جمع من اكابر المفسرين رحمهم الله ومطابق لمذهب المعتزلة حيث لم يفسر الالهام الفجور والتقوى
بايقاعهما فى القلب وخلقهما فيه وقيل المعنى انه تعالى الهم المؤمن المتقى تقواه والهم الكافر فجوره
قال سعيد بن جبير رضى الله عنه الزمها فجورها وتقواها وقال ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى و
خذلانه اياها للفجور واختار الزجاج والواحدى ذلك وهو صريح فى انه تعالى خلق فى المؤمن

الا انه [illegible] بعد ان [illegible] تاديبا
[illegible] بتوفيقه [illegible]
[illegible]

تقواه وفي الكافر فجوره وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما يعمل الناس و
يكدحون فيه شيء اقتضي عليهم ومضى فيهم من قدر سبق وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وعن زيد بن ارقم رض انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
آت نفسي تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها وقد سبق ان الايات الثلث
ذكرت للدلالة على كونه سبحانه ومدبر الاجسام العلوية والسفلية البسيطة والمركبة فلم
يبق شيء مما في عالم المحسوسات الا وقد ثبت بمقتضى ذلك التنبيه انه واقع بتخليقه وتدبيره و
بعد ذلك لما اختلج في القلب ان افعال الحيوان الاختيارية هل هو بقضائه وقدره وداخل تحت
ايجاده وتصرفه نبه الله سبحانه فالهمها فجورها وتقواها على ان ذلك ايضا منه وبقضائه وقدره
ثم صح ثبت ان كل ما سوى الله تعالى فهو واقع بقضائه وقدره وداخل تحت ايجاده وتصرفه **قوله**
وانماها بالعلم والعمل اي رفعها واظهرها وشهرها بالفضائل العملية والعلمية فان اصل الزكاة
الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع اذا علا وكثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفع
من قدره بالتعديل فاهل الصلاح يظهرون انفسهم ويشهرونها بما سطع من انوار طاعاتهم
ويسارعون الخالصة الى الملاء الاعلى ويلازمون مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف
اهل الفسوق فانهم يخفون انفسهم ويدسونها في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيماء سعادة
يشتهرون به بين عباد الله المقربين ويستعمل التزكية بمعنى التطهير وقد فسرت الاية بحيث
قيل قد ادرك مطلوبه من زكى نفسه بان طهرها من الذنوب بفعل الطاعة ومجانبة المعصية
قوله وهو جواب القسم لم يجعل قوله كذبت ثمود جوابا لان اقسام الله تعالى انما يؤكد به الوعد
او الوعيد وهو ليس شيئا منهما بخلاف قوله قد افلح وقد خاب فان الاول وعد لاهل التزكية بالظفر
بكل خير والثاني وعيد لاضدادهم بالخسران وظهر بذلك ان المقصود من هذه السورة الترغيب
في الطاعات والتحذير من المعاصي **قوله** واصل دسى دسس من التدسيس وهو الاخفاء
ودسى مبالغة في دس اي اخفى قال تعالى ام يدسه في التراب او اجتماع الامثال لما ادى الى
الثقل قلبت السين الاخيرة ياء كما في تقضي البازي وما ذكره المص في تفسير الهام الفجور والتقوى
يدل على انه جعل المنوي في زكيها ودسيها راجعا الى من واسند كل واحد من التزكية والتدسيس
الى العبد لكونهما قائمين به كما يقال احيي ومات ويجوز بهما الذكر مع انه لا مدخل له في ايجادهما وجعل
المنوي فيهما راجع الى الله تعالى والضمير المنصوب فيهما راجع الى الله والضمير المنصوب فيهما راجع
الى من انث حملا على المعنى كانه قيل افلحت نفس او فرقة زكاها الله وقد خابت من دسيها الله
اي اخملها واخفاها في المعاصي عن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة ومقاتل والكلبي ان المعنى قد

روي انه صلى الله عليه الصلوة والسلام اذا قرأ قد افلح من زكاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها الخ منه

اي بتقديره فان كل ما يجري في العالم من الخير والشر فهو بخلق الله تعالى وتقديره واسناد الافعال الاختيارية الى العبد لتباشره لا لايجاده اياها فان الفعل انما يسند الى من قام به لا الى من اوجده فلا يقال ضرب الله او اكل او شرب منه

كان اجواد العرب ينزلون في ارفع المواضع ويوقدون النار بالليل حتى يشتهر اماكنهم ويقصدهم المحتاجون ويهتدي اليهم الطارقون واما اللئام فانهم يخفون اماكنهم على الطالبين فالبار انقى اظهر نفسه باعمال البر والفاجر دسيها منه

قد افلحت وسعدت نفس زكاها الله تعالى واصلحها وطهرها والمعنى وفقها للطاعة قال الواحدي فكانه
تعالى اقسم على فلاح من طهره وخسار من خذله لئلا يظن ان المرء يتولى تزكية نفسه من غير قضاء
سابق وقيل وقد خاب من دسيها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم **قوله** بسبب
طغيانها اشارة الى ان الطغوى مصدر كالدعوى بمعنى الطغيان الا ان الطغوى لما كان اشبه
برؤس الايات اختير على لفظ الطغيان وان كان اشهر من الاول والى الباء فيه سببية ومفعول
كذبت محذوف للعلم به والمعنى كذبت ثمود نبيها صالحا عليه الصلوة والسلام بسبب طغيانها
ومجاوزتها الحد في الكفر ويحتمل ان يكون كذبت منزلا منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول على معنى انها
فعلت التكذيب بطغيانها وهذا هو القول المشهور وهناك قول آخر اشار اليه بقوله او
بما اوعدت به فيكون الطغوى اسما للعذاب الذي اهلكوا به والباء للتعدية ومتعلق بالتكذيب
اي كذبت بعذابها اي بالعذاب الذي اهلكوا به ولم يصدقوا رسولهم فيما انذرهم به من العذاب
وعبر عن ذلك العذاب بالطغوى للمبالغة في كونه مجاوزا عن القدر المعتاد فان الطغيان
في اللغة مجاوزة القدر وكان عذابهم صيحة مجاوزة للقدر المعتاد جعلت نفس المجاوزة
للمبالغة او بتقدير ذي اي بعذابها ذي الطغوى كما عبر عنه بالطاغية في قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا
بالطاغية وهي صفة بمعنى النسب اي بصيحة ذات طغيان قال تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة
اي بالعذاب الذي حل بهم ثم قال واما ثمود فاهلكوا بالطاغية فسمى ما اهلكوا به من العذاب طاغية
بمعنى الطغيان **قوله** واصله طغيا معنى انه مصدر من المعتل اللام اليائي وهذا على لغة من يقول
طغيت طغيانا بالياء ومنها لغة اخرى وهي ان يقال طغوت طغوانا فالواو في الطغوى على هذه
اللغة اصلية وفي الصحاح الطغوان والطغيان واحد **قوله** تفرقة بين الاسم والصفة و
ذلك ان فعلى اذا كانت من ذوات الياء وكانت اسما قلبت ياؤه واوا وان كانت صفة ابقيت
الياء على حالها تفرقة بينهما نقول في الصفة خزيا وريا وصديا فان خزيا صفة بمعنى المستحي
من خزي الرجل اذا استحى وريا من روي يروى ريا وهو ريان وهي ريا وصديا من صدي
يصدى صدا فهو صديان وهي صديا مثل عطشان وعطشى وزنا ومعنى ونقول في الاسم تقوى
وبقوى في اسمي الاتقاء والاستبقاء من تقى الله تقيا خافه وبقيه اي انتظرته وابقاء الياء
على حالها في الصفة اولى من ابقائها في الاسم لان الصفة اثقل من الاسم والياء اخف من الواو
وان قرئ بطغواها بضم الطاء يكون ايضا مصدرا كالرجعى والحسنى الا انه لم يقلب ياؤه واوا
حتى يكون مخالفا للقياس اذ القياس بقاؤها على حالها كالسقيا **قوله** حين قام اي حين
قام ونهض اشقاهم لعقر الناقة امتثالا لامر من بعثه اليه فان انبعث مطاوع لبعث

يقال بعثت فلانا على الامر فانبعث له اى اسرع والمعنى كذبوا نبيهم بسبب طغواهم او كذبوا بذلك
طغواهم حين قام اشقاهم لعقر الناقة واختلف في الاشقى الذي هو عاقر الناقة هل هو شخص
معين او جماعة فمن ذهب الى الاول قال اسمه قدار بن سالف ويضرب به المثل فيقال اشأم من
قدار وهو اشقى الاولين ومن ذهب الى الثاني قال انما جاء الاشقى بلفظ الواحد بناء على ان افعل
التفضيل اذا اضيف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث تقول هذان افضل الناس وهؤلاء
افضلهم والقول الثاني يؤيده قوله فكذبوه فعقروها وكان يجوز ان يقال انبعث اشقوها كما
يقال افاضلهم ويؤيد الاول قوله في سورة القمر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فانه يدل على ان
المباشر واحد معين قوله ومن مالأه اى صاحبه وعاشره معه ملاوة من الدهر اى حينا وبرهة
يقال ملاك الله حبيبك اى متعك به واعاشك معه زمانا طويلا وفي بعض النسخ ومن والاه اى
صادقه وهو من الولي بمعنى الصديق قوله لتوليهم العقر فانهم لما باشروا العقر وتعاونوا عليه
كانوا اشد شقاوة من غيرهم وهم الذين بعثوا هؤلاء المباشرين ورضوا بعقرهم فان درجة
مجرد الرضى والبعث ادون من درجة المباشرة قوله اى ذروا ناقة الله اشارة الى ان ناقة
الله منصوب على التحذير وان لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل وهي ان يذكر المحذر ثم يذكر
بعده ما هو المحذر منه اما بدون العطف نحو اياك والاسد او بمن ظاهرة نحو اياك من الاسد واياك
من ان تحذف او مقدرة نحو اياك ان تحذف بتقدير من او يكون المحذر منه مكررا نحو الطريق الطريق
والذي لا يكون على احد هذه الصور فلا خلاف في انه لا يجب فيه حذف العامل والمعنى ذروا عقرها
واحذروا سقيها شربها وهو نصيبها من الماء وقد تقدم ان تلك الناقة كان لها شرب يوم معلوم
ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر وكانوا يستضرون بذلك في امر مواشيهم فهموا بعقرها ولما
علم صالح عليه الصلوة والسلام ما عزموا عليه قال لهم هي ناقة الله الدائمة الدلالة على وحدانية الله
تعالى وكمال قدرته وعلى نبوتي فاحذروا ان تمسوها بسوء واحذروا ايضا ان تمنعوها من سقياها
وان تستأثروا بها عليها وكان صالح يحذرهم حالا بعد حال من عذاب ينزل بهم ان اقدموا على ذلك
وكان هذا المعنى على هذا التفصيل والبيان متصورة في نفوسهم ومعلومة لهم بما حذرهم مرة
بعد اخرى فلذلك اقتصر عليه الصلوة والسلام في بعض مرات تحذيره على ان قال ناقة الله وسقياها لان
هذه الاشياء كافية مع ما تقدم من البيان ثم ان الله تعالى بين ان القوم كذبوا نبيهم فيما حذرهم منه
وهو نزول العذاب عليهم ان مسوها بسوء وعقروها واسند الفعل الى الجميع لانه كان برضاهم وجمعا
منهم ولم يمتنعوا عن عقر الناقة وهو المراد بقوله فكذبوه فعقروها وقول المص فيما حذرهم منه
اشارة الى قوله ناقة الله وسقياها انشاء لا يحتمل التكذيب فالتكذيب يرجع الى ما دل عليه الكلام فان

[illegible]

معنى قوله اتركوا ناقة الله واحذروها انكم ان لم تتركوها وحالا تعذبوا فكذبوه في هذا الاخبار
المدلول عليه بفحوى الكلام يقال دمدمت الناقة بالشحم اى طليت به واحيطت بحيث لم يبق منها شيء
لم يمسها الشحم ثم كررت الدلالة للمبالغة في الاحاطة قوله او ثمود بالاهلاك يعني ان ضمير سواها يحتمل
ان يعود الى ثمود باعتبار القبيلة كما عاد اليه ضمير بطغواها بذلك الاعتبار ويحتمل ان يعود الى
الدمدمة والعقوبة المذكورة يعني كانه قوله اعدلوا هو اقرب فقوله فدمدم عليهم وان بني احاطة
العذاب بهم بحيث لم يتخلص عنه احد منهم الا انه اكد هذا المعنى بقوله فسواها بينهم اى لم يتخلص عن
تلك الدمدمة والاحاطة احد منهم فان هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه وتلك الصيحة اهلكتهم جميعا
فاستوت على صغيرهم وكبيرهم قوله اى عاقبة الدمدمة او عاقبة الهلاك ثمود يعني ان ضمير سواها
ان رجع الى الدمدمة يرجع ضمير عقبيها ايضا اليها وان رجع الى ثمود فكذلك يرجع اليها
ضمير عقبيها الا انه ح لابد من تقدير ما يضاف اليه العقبى قوله فيبقى بعض الابقاء اى فيرحم
بعض الترحم الجوهري ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت
علي والاسم منه البقيا وكذلك البقوى بفتح الباء وقال ايضا تقول ارعيت عليه اذا ابقيت عليه
ورحمته قوله والواو للحال فقوله ولا يخاف عقبيها في محل النصب على انه حال من المستتر في فسواها
الراجع الى الله جل ذكره اى فسواها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اى عاقبتها كما يخاف
الملوك والولاة لانه تعالى فعل ما فعل بهم بحق وحكمة وكل من كان فعله على مقتضى الحكمة فانه لا يخاف
عاقبة فعله وقيل نفى خوف العاقبة عنه تعالى كناية عن الاستقصاء في مجازاتهم والمبالغة في
استيصالهم لانه لازم لعدم خوف عاقبة التعذيب وقد تحقق منهم الآن ما يوجب تعذيبهم وان
قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليها

سورة والليل مكية

بسم الله الرحمن الرحيم قوله اى يغشى الشمس او النهار او يغطيه
ويستره فان كان المفعول المقدر ليغشى احد الامرين كان عدم ذكره للعلم به فان قوله في السورة
المتقدمة والليل اذا يغشيها يدل على ان المفعول المقدر هنا هو الشمس وقوله يغشي الليل النهار
يدل على انه هو النهار وان كان كلما يستره الليل بظلامه كان عدم ذكره للتعميم قوله ظهر بزوال
الليل هذا المعنى على ان يكون المغشي النهار او كل ما يستره الليل بظلامه قوله او تبين بطلوع
الشمس وهذا على تقدير ان يكون المغشي الشمس قوله والقادر الذي خلق يعني على ان تكون كلمة
ما عبارة عن صفة العالم وانما لم يقل ومن خلق لان في الابهام افادة ان الموصوف الذي استعملت هي فيه بالغ
الى اقصى درجات القدرة والكمال بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وانه لا سبيل للعقلاء الى ادراكه
بخصوصه وانما الممكن هو ادراكه بانه عام صادق وقيل ما مصدرية اى وخلقه الذكر والانثى

[illegible]

قوله ان سعيكم لشتى اشارة الى وجه الاخبار عن السعي وهو مفرد بشتى وهو جمع
شتيت كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وبيانه ان السعي مصدر والمصدر جنس يشمل جميع افراده
لا سيما وقد اضيف الى الجمع فتوجه في المعنى فكانه قيل ان مساعيكم اي مجازا سعيكم بمعنى اعمالكم لشتى
وهو جواب القسم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء على ان اعمال عباده لشتى اي مختلف في الجزاء فمنكم
مثاب بالجنة على اعماله ومنكم معاقب بالنار او مختلف في نفسه متباعد بعضه عن بعض لان بعضه
ضلالة وبعضه هدى فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومطيع وفاجر والشتيت المتباعد المتفرق وشتت
الامر شتا وشتاتا تفرق وامر شت وشتيت اي متفرق وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه
وبعضه ويقرب من هذه الاية قوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة وقوله افمن كان مؤمنا
كمن كان فاسقا لا يستوون وقوله ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا
وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون قوله تفصيل مبين لتشتت المساعي اي
لتباعد الاعمال بحسب تباعد اجزيتها المختلفة وعاقبتها المحمودة والمذمومة التي عبر عنها باليسرى
والعسرى قوله والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية اشارة الى ان عدم ذكر متعلقات هذه
الافعال للتعميم ليذهب ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الاعطاء جميع ما
يتقرب بفعله واتيانه من العبادات القلبية والبدنية والمالية واعطاؤها بذل النفس
بها واتيانها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان ملابسه معصية وكذا ذكر لما لم ينفع مع الكفر عقبه بقوله
وصدق بالحسنى اي بالكلمة الدالة على التوحيد والنبوة وهو كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة الى
قوله ثم كان من الذين امنوا قوله للخلة التي تؤدي الى يسر اشارة الى ان تانيث اليسرى لتانيث
موصوفها المحذوف وهو الخلة او الفعلة والخلة بالفتح الخصلة وبالضم المودة والصداقة
والانسب هنا ومثل الخصلة اليسرى بدخول الجنة لانه يؤدي الى يسر وراحة والعسرى بدخول
الجنة النار لتاديته الى العسر والشدة واشار الى ان تسمية احدى الخصلتين باليسرى
والاخرى بالعسرى باعتبار مؤديهما وعاقبتهما فان كلا ما ادت عاقبته الى الراحة والامور
المحمودة فذلك اليسرى ودخول الجنة كذلك وكلما ادت عاقبته الى التعب والردى فذلك العسرى
كدخول النار فالمعنى من امن بالله تعالى واطاعه في ما امره ونهى عنه نجعله متهيئا لدخول الجنة
فبدخول السين في قوله فسنيسره على سبيل الترفق بالكلام وتلطيفه وهو من الله تعالى قطع ويقين
والظاهر الدلالة على ان الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية معظمه يكون في الاخرة التي هي
امر متراخ منتظر فاذا دخلت السين وهي حرف التراخي يدل ذلك على ان الوعد اجل غير حاضر
قوله نفي او استفهام انكار واذا كان ما نافية يكون مفعول يغني محذوفا اي ليس يغني عنه ماله

ماله شيئا وان كانت استفهامية يكون في محل النصب على انه مفعول يغني اي اي شيء يغني عنه ماله
بمعنى لا يغني شيئا قوله هلك اي مات يقال ردي يردى رديا من باب علم اي هلك واراد غيره وتردى
تفعل منه للمبالغة ويقال ايضا ردي في البئر وتردى فيه اذا سقط فيه او تهور من جبل ونحوه
المتردية ومعنى الاية اذا تردى لدخول النار وتردى فيها فما يغني عنه ماله الذي بخل به وتركه
لوارثه ولم يصحبه شيء منه الى اخرته التي هي موضع فقره وحاجته بمعنى ان الذي ينتفع به الانسان
هو ما قدمه من اعمال البر واعطاء الاموال في حقوقها دون المال الذي يخلفه على ورثته ثم انه تعالى
لما عرفهم ان سعيهم لشتى في العواقب وبين ما للمحسن من اليسرى وللمسيء من العسرى
اخبرهم بانا لما خلقنا الخلق للعبادة وجب علينا بمقتضى الحكمة ان نبين لهم وجوه التعبد وشرح
ما يكون للمتعبد به مطيعا مما يكون به عاصيا اذ كنا انما خلقناهم لننفعهم ونرحمهم ونعرضهم
للنعيم المقيم وقد فعلنا ما كان فعله واجبا علينا في الحكمة وقضينا ما علينا من البيان والدلالة
والترغيب والارشاد والهداية وذكر قوله تعالى ان علينا للهدى ولما استدلت المعتزلة بهذه الاية
على انه يجب للعبد على الله شيء بناء على ان كلمة على للوجوب اشار المصنف الى جوابه بقوله بموجب
قضائنا او بمقتضى حكمتنا قوله وان علينا طريقة الهدى على معنى ان من سلك الطريقة المستقيمة
بالهدى والارشاد والبرهان فانه يصل الى ما ومن اراد الله فعليه قصد السبيل اي مستقيمة يقال سبيل
قصد وقاصد اي مستقيم فالهدى على الاول بمعنى الهداية والارشاد وعلى الثاني بمعنى الطريقة المستقيمة
بالهدى سميت باسم ما يتبين بها مجازا مرسلا قوله فنعطي في الدارين ما نشاء لمن نشاء فيكون قوله
تعالى ان لنا للاخرة والاولى في معرض التاكيد والتحقيق لقوله ان علينا للهدى ولما يلزمه من
الضمان لثواب الاهتداء في الاخرة فان من تفرد بالمالكية في الدارين يملك ارشاد الانام الى
الحق في الدنيا ويكون اثابتهم على الاهتداء في العقبى قوله او ثواب الهداية للمهتدين فيكون ذلك
تتميما لقوله تعالى ان علينا للهدى على معنى ان نهديه في الاولى الى الحق وان نثيبه على اهتدائه في الاخرة
وان سبقت الاية المذكورة لتفرع عليه قوله او فلا يضرنا تركتم الاهتداء فيكون تعليلا للقول المقدر
تقديره علينا ان نهديكم الى طريق مستقيم ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن اساء فعليها
لا نعود منفعة اهتدائه ولا مضرة تركه الاهتداء بهدانا علينا وان اهتداءكم لا يزيد في ملكنا شيئا
لنا الاخرة والاولى فالوجوه الثلاثة لبيان وجه الارتباط بين قوله وان لنا للاخرة والاولى
وبين ما قبله لا لبيان معناه لانه معلوم قوله لا يلزمها مقاسيا شدتها لما دل ظاهر قوله تعالى لا يصليها
الا الاشقى الذي كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر يرده النصوص الدالة على
وعيد العصاة والفساق حمل صلى النار على لزومها والخلود فيها مقاسيا شدتها وحرها بناء على

[illegible] والوعد والوعيد وقد فعلنا

ان لزومها هو كمال الصلي فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلي بهذا المعنى مختص بالكافر وامر
الفاسق مفوض الى مشية الله تعالى فاما ان لا يدخلها او يدخلها ولكن لا يلزمها بل يخرج منها وجعل حمل
صلى النار على لزومها وسيلة الى دفع ما يتوهم من ان منطوق قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى يخالف
مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فانه بمفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصليها ويدخلها وهو
دخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما جعل صلى النار بمعنى لزومها كان
منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف اختصاص الخلود
في الكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم وهو ظاهر **قوله** لقوله يتزكى استدل به على ان
الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل صرفه مصارف الخير فان التزكي سواء كان بمعنى الطهارة من
الذنوب او بمعنى التزائد في الخير لا يكون الا بصرفه في مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون
له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات لا محل لها من الاعراب
لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له وان كان حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتيه متزكيا
اي متطهرا من الذنب او متزايدا في الخير زاكيا رفيع القدر عند الله لا للرياء والسمعة **قوله**
استثناء منقطع لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فهو منصوب على الاستثناء
المنقطع والا بمعنى لكن اي لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اي لابتغاء وجهه ولطلب التوجه الى رتبه
وهو في الحقيقة مفعول له وما ادى من المال للمكافاة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى اداء الدين
فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله تعالى امر به
وحث عليه **قوله** او منصل عن محذوف وتقدير الكلام لا يؤتي ماله لامر من الامور الا ابتغاء وجه ربه
الاعلى فيكون المستثنى داخلا في المستثنى منه حقيقة على هذا المعنى وانما بني الكلام على الحذف والتقدير
مع انه خلاف الاصل لاقتضاء المعنى ذلك فانه لما قال او لا يؤتي ماله متزكيا طالبا لكثرة خيره عند
الله او متطهرا من ذنوبه بناء على ان الحسنات يذهبن السيئات ونفى بذلك كون الايتاء للسمعة
والرياء ثم اتبع ذلك بقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فكانه قيل لا للمكافاة نعمة احد عنده ثم قال
بعد ذكر الا ابتغاء وجه ربه تبادر الى الذهن ان يكون المعنى لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه فيكون
ابتغاء وجه ربه مفعولا له في هذا المعنى فيكون هذه العلة مع العلل المحذوفة تاكيدا وتقديرا للمفهوم
من الكلام السابق **قوله** حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون اي كانوا مسلمين على
تعذيبهم على الايمان يعني ان العبد المؤمن الذي اشتراه ابو بكر الصديق رض واعتقه ليخلصه عن
ايذاء المشركين وتعذيبهم اياه على ايمانه ليس بمنحصر في بلال بل هم جماعة وبلال واحد منهم وروي
ان بلالا لما اسلم اي تغوط على الاصنام وكان صادق الاسلام طاهر القلب فاطلع المشركون
عليه

اي يبعدها ويجعلها
على جانب بنار جنبت
الشيء اي بعدته ،،
فتجنب سمه

وهمن لا يتعول بالمفهوم
فلا سؤال عليه ولا جواب
سمه

عليه فاخذوا يعذبونه في الرمضاء اشد العذاب وهو يقول احد احد فمر ابو بكر رض ببلال وقد شده
امية بن خلف يعذبه فقال اتعذب عبدا على الايمان فاشتراه فاعتقه ثم اعتق ستة على الاسلام
قبل ان يهاجر ست رقاب وبلال سابعهم فلما اعتقه قال المشركون ما اعتقه ابو بكر الا ليد
كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده من نعمة تجزى فوعد الله تعالى بان يرضيه في الاخرة
بثوابه فقال ولسوف يرضى وهو كقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى **سورة والضحى**
مكية بسم الله الرحمن الرحيم فسر الضحى اولا بوقت ارتفاع
الشمس بقرينة عطف الوقت عليه بقوله والليل وفسر في قوله والشمس وضحاها بضوء الشمس ونورها بقرينة
اضافة الضحى الى الشمس لان اضافة وقت ارتفاع الشمس اليها لا معنى له بخلاف اضافة النور اليها
وفسره ثانيا بالنهار كله ولفظ الضحى مجاز في هذا المعنى من قبيل اسم الجزء على الكل وقرينة المجاز مقابلته
بقوله والليل اذا سجى فان المراد به الليل كله فناسب ذلك ان يراد بالضحى النهار كله كما فسر الضحى
بالنهار في قوله تعالى افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم ،،
باسنا ضحى وهم يلعبون اي نهارا بقرينة وقوعه في مقابلة بياتا اي ياتيهم داخلين المساء **قوله**
سكن اهله اشارة الى ان الاسناد مجازي من قبيل اسناد الفعل الى زمانه مثل صام نهاره وكذا
الحال في اسناد سكون الظلمة الكائنة في الليل اليه يقال ركد الشيء اي سكن وثبت وكل ما ثبت
في مكان فهو راكد فيه فسكون الليل اما عبارة عن سكون اهله او عن استقرار ظلامه وكونه بحيث
لا يزداد بعد ذلك **قوله** وتقديم الليل في السورة المتقدمة الخ يعني ان كل واحد منهما له اثر عظيم في
صلاح العالم فاقسم به والليل فضيلة السبق والاصالة لان النهار انما يحدث بطلوع النيرين ونوره
يعود الهواء الى الحالة الاصلية فلذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور كما ان النهار فضيلة
الشرف والاستنارة فقدم بهذا تارة وقدم الليل اخرى كالركوع والسجود في قوله اركعوا ،،
واسجدوا او قوله واسجدي واركعي مع الراكعين فان قيل ما السبب في انه ذكر الضحى وهو ساعة
من النهار وذكر الليل بكليته اجيب عنه بانه وان كان ساعة من النهار لكنه يوازي جميع الليل كما
ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازي جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام وبان النهار وقت السرور
والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى
ساعة والليل له ساعات روي ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت
ماذا امطر فاجيبت ان امطري الهموم والاحزان مائة سنة ثم انكشفت فامرت مرة اخرى
بذلك وهكذا الى تمام ثلثمائة سنة ثم بعد ذلك اظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ماذا امطر
فاجيبت ان امطري السرور ساعة فلهذا السبب ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور

قليلا ونادرا **قوله** لتنزل الاستثناء روي ان مشركي قريش ارسلوا الى يهود المدينة وسألوهم
عن امر محمد صلى الله عليه وسلم فقالت لهم اليهود سلوه عن اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين
وعن الروح فان اخبركم بقصة اهل الكهف وعن قصة ذي القرنين ولم يخبركم عن امر الروح
فاعلموا انه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها فقال صلى الله عليه وسلم لهم ارجعوا ساخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى ان نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تقولن لشيء اني
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره بما سئل عنه ونزل ايضا بقوله ما ودعك ربك وما قلى و
روي ان عثمان بن عفان رض اهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقود عنب فجاء سائل فاعطاه
ثم اشتراه عثمان رض بدرهم فقدمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا ثم عاد السائل فاعطاه
فتعل ذلك ثلثا فقال صلى الله عليه وسلم ملاطفا للسائل لا غضبان عليه اسائل انت يا فلان ام تاجر
فتأخر عنه الوحي اياما لذلك وروي ان خولة رض كانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان جروا
دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل عليه الوحي فقال
قال يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل لا يأتيني قالت خولة فهيأت البيت فكنسته فاهويت بالمكنسة
تحت السرير فاذا جرو ميت فاخرجته فالقيته خلف الجدار فجاء نبي الله صلى الله عليه وسلم يرتعد لحياه
وكان اذا انزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فانزل الله هذه السورة فلما نزل
جبريل سأله النبي عليهما الصلوة والسلام عن سبب تأخره فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه
كلب ولا صورة واختلفوا في قدر مدة انقطاع الوحي قال ابن جريج اثني عشر يوما وقال الكلبي
خمسة عشر يوما وقال ابن عباس رض خمسة وعشرون يوما وقال السدي ومقاتل اربعون يوما
فان قيل ما ذكرت من الروايات يدل على ان احتباس الوحي كان عن قلى فما وجه قوله وما قلى
اجيب بان اقصى ما في الباب انه صلى الله عليه وسلم وقع منه ما هو ترك للافضل والاولى فلا يصير
صلى الله عليه وسلم ممقوتا ومبغوضا وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما جئتني حتى اشتقت
اليك فقال جبريل كنت اليك اشوق ولكني عبد مأمور وتلا وما نتنزل الا بامر ربك قراءة الجمهور
بتشديد الدال من ودعك على انه من التوديع واصله عند الرحيل اي ما قطع عنك وجه قطع
التارك لك وانما اخره لحكمة والتوديع اصله الودع وهو الترك وبناء التفعيل للمبالغة
فيه لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك وقرئ ما ودعك بتخفيف الدال وهو قليل الاستعمال
فانهم اماتوا ماضي يدع ويذر قال المبرد لا يكادون يقولون ودع ولا وذر لثقل الواو في اول
الكلمة واستغنوا عنهما بترك وقد استعملوا مضارعهما لعدم الثقل **قوله** كانه لما بين انه
سبحانه لا يزال يواصله بالوحي والكرامة ذكر في وجه اتصال هذه الاية بما قبلها امرين الاول
انه

انه لما نزل قوله ما ودعك ربك وما قلى وذلك في معنى ان ربك لا يزال يواصلك بالوحي وانواع
الكرامة في الدنيا وحصل له صلى الله عليه وسلم بهذا تشريف عظيم فكانه استعظم هذا التشريف
فقيل له وللاخرة خير لك من الاولى اي هذا التشريف وان كان عظيما الا ان ما لك عند الله
في الاخرة خير واعظم والثاني ان يكون المعنى لا يظن ان ربك ودعك وتركك فلذلك قطع عنك
وحيه اياما بل كل حال تأتي عليك فيما بعد من الازمنة والايام فانها خير لك من احوالك الماضية فان
جملة احوالك انه احتبس عنك الوحي مدة بعد تواتره وتعاقبه فقال الاعداء ما قالوا وقلنا في
ردهم مؤكدا بالقسم ما ودعك ربك وما قلى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الكرامة والموعدة
خير لك مما كان قبل من تواتر الوحي وتعاقبه فالاخرة في هذا الوجه ليست هي الاخرة المتعارفة
المقابلة للدنيا كما في الوجه الاول بل هي بمعنى الحالة الآتية كانه تعالى وعده بانه سيزيده كل يوم
عزا الى عزه وشرفا الى شرفه وجلالا اضعاف ما كان في اليوم السابق وقيل في وجه اتصاله بما قبله
ان انقطاع الوحي لا يجوز ان يكون بناء على انه عزل عن النبوة غاية ما في الباب ان
انقطاع الوحي يدل على الموت بناء على حصول الاستغناء عن امر الرسالة لبلوغ الحكمة منها
الى غايتها فان فهمت منه قرب الموت فالموت خير لك واللام في قوله وللاخرة خير لك من الاولى
لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة وكذا اللام في قوله ولسوف يعطيك ربك الا ان لام الابتداء
لا تدخل الا على الجملة الاسمية فلا بد من تقدير مبتدأ اي ولانت سوف يعطيك وليست بلام جواب
القسم لان لام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد هكذا قال الزمخشري **قوله**
لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد قد استثنى منه النحاة صورتين احدهما ان لا يفصل
بينها وبين الفعل حرف تنفيس كما في هذه الاية وكقولك والله لسأعطيك والثانية ان لا يفصل
بينهما بمعمول الفعل كما في قوله لالى الله تحشرون فاذن يجوز ان يكون كلا اللامين لام جواب
القسم بان اقسم الله على اربعة اشياء اثنان منفيان وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان
مؤكدان وهما كون الاخرة خيرا له من الدنيا وانه سوف يعطيه ربه ما يرضيه قيل على الز
مخشري كيف يكون اللام لام الابتداء ولام الابتداء اذا دخلت على المضارع تخلصه
للحال وهنا لا يمكن ذلك لاجل حرف التنفيس واجيب بانه نص في مريم ان اللام قد تخلع
منها دلالتها على الحال وتكون مجردة للتاكيد واقول كيف يصح ان يقال ان اللام هنا داخلة
على المضارع وقد ذكر ان تقدير الاية لانت سوف يعطيك **قوله** وعد شامل لم الشمول
مستفاد من حذف المفعول الثاني ليعطيك **قوله** وجمع مع سوف فان لام الابتداء لما
تجردت للدلالة على التاكيد وكانت السين تدل على التاخير والتنفيس حصل من اجتماعهما

ان المعطاء المتاخر لحكمة كائن لا محالة وكانت اللام لتاكيد الحكم المقترن بالاستقبال **قوله** ويجدك من الوجود بمعنى العلم اى الم يعلمك الله يتيما فاوى اى جعل لك ماوى تاوى اليه يقال اوى فلان الى منزله باوى اويا على فعول واوية انا ايواء والماوى كل مكان ياوى اليه شىء ليلا او نهارا بقول الله عز وجل حين كنت ضعيفا عضا ما تركناك بل ربيناك وقبلناك الى حيث صرت مشرفا على شرفات العرش وقلنا لك لولاك لما خلقت الافلاك انتظن انا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك وكان يتمه ان اباه عبد الله بن عبد المطلب توفى وام رسول الله حامل به ثم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مع جده عبد المطلب ومع امه آمنة فهلكت امه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد امه بسنتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ولما اشرف جده عبد المطلب على الموت اوصى به صلى الله عليه وسلم ابا طالب لان عبد الله وابا طالب كانا من ام واحدة وكان ابو طالب هو الذى يكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده الى ان بعثه الله تعالى للنبوة فقام بنصرة مدة مديدة ثم توفى ابو طالب بعد ذلك فلم يظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم البتة فاذكره الله هذه النعمة **قوله** عن علم الحكم والاحكام اى وجدك غافلا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها كقوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين وروى انه صلى الله عليه وسلم خرج مع عمه ابى طالب فى قافلة ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها فبينما هو راكب ناقة ذات ليلة ظلماء وهو نائم فجاء ابليس فاخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة وقيل الى ارض الهند ثم رده الى القافلة يقال عال يعيل عيلة وعيولا اى افتقر واعال الرجل اذا كثر عياله اى من ينفق عليهم مثل العائل ذو العيال ثم اطلق على الفقير وان لم يكن له عيال والمشهور ان المراد بالعائل هنا الفقير ويؤيده ما وجد فى مصحف عبد الله رضى الله عنه ووجدك عديما فاغناك بما حصل لك من ربح تجارة سفر الشام مع ميسرة وبمال خديجة رضى الله عنها وبتربية ابى طالب وبمال ابى بكر رضى الله عنه ثم امره بالجهاد فاغناه باعانة الانصار ثم امره بالجهاد فاغناه بالغنائم

سورة الم نشرح مكية بسم الله الرحمن الرحيم

الشرح التوسعة والفسحة السعة ومكان فسيح اى واسع وفسح له فى المجلس اى وسع له وتفسحوا فى المجالس اى توسعوا **قوله** فكان غائبا حاضرا استفرع على انشراح صدره المطهر فانه صلى الله عليه وسلم لما توسع صدره بعد ما كان متمحضا للمناجاة صار متجردا عما سواه كان حاضرا فى بساط قربه مستفيضا لما اوحى اليه من ربه وغائبا عنه من حيث تصديه لدعوة الخلق وتكميل الناقصين وافاضتهم ما استفاده من عالم القدس فكان بلوغه صلى الله عليه وسلم الى

عن ابن عباس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صبى صغير فراه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وهو متعلق باستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى ان يرد اليه محمدا وقال ابو جهل لعبد المطلب لا تدرى ماذا ترى من ابنك فقال عبد المطلب ما رابت قال انى انخت الناقة واركبته من خلفى فابت الناقة ان تقوم فلما اركبته امامى قامت الناقة كان الناقة تقول يا احمق هو الامام فكيف يقوم خلف المقتدى

الى الغاية القصوى فى كل واحد من مقامى الاستفاضة والافاضة نتيجة انشراح صدره لتحمل ما يتعلق بالنبوة فى الجهتين وعلى قوله الم نفسح بما اودعناه فيه الحكم يكون انشراحه نتيجة استكمال العلوم والنبوة بان يكون انساع المحل كناية عن كثرة ما حل فيه وتضيقه كناية عن قلته بل عن خلوه عنه وكذا على قوله ام بما يسرنا لك من تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك فان توسيع الصدر ح يكون بتيسر تلقى الوحى عند نزول الوحى وزوال العسر فان صدره صلى الله عليه وسلم كان يضيق عن تلقى الوحى حين ياخذه الرعدة ويستولى عليها العرق عند نزول الوحى ويقول زملونى وذثرونى فشرح الله صدره بتيسر ذلك عليه **قوله** وقيل انه اى قوله الم نشرح لك صدرك اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه اى حين كان عند حليمة فى السنة التى اعادته فيها الى عبد المطلب وشق صدره واخرج قلبه وغسله وانقاه مما فيه من الدم الاسود ثم جاء بطشت من ذهب قد ملىء علما وايمانا فوضعه فى صدره **قوله** او يوم الميثاق الظاهر ان المراد بيوم الميثاق ليلة المعراج فانها ليلة اوحى الله تعالى فيها الى عبده ما اوحى ووصاه بما شاء ويؤيده ما روى ان هذا حين جاء بالبراق ليلة المعراج والقاضى عبد الجبار طعن فى هذه الرواية من وجوه احدها ان الرواية ان هذه الواقعة انما وقعت فى حال صغره وذلك من المعجزات فلا يجوز ان يتقدم نبوته وثانيها ان تاثير الغسل فى ازالة الاجسام والاخلاق والمعاصى لبست قبل الاجسام فلا يؤثر الغسل فيها وثالثها انه لا يصح ان يملاء القلب علما بل الله تعالى يخلق فيه العلوم والجواب عن الاول ان تقديم المعجزة على زمان البعثة جائز عندنا وذلك هو المسمى بالارهاص ومثله فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم كثير واما الثانى والثالث فلا يبعد ان يكون حصول ذلك الدم الاسود الذى غسلوه من قلب الرسول علامة لميل القلب الى المعاصى واحجامه عن الطاعات فاذا ازالوه عنه كان ذلك علامة لمواظبة صاحبه على الطاعات واحترازه عن الشهوات المنبعثة عن توجه القوة الطبيعية اليها فكان ذلك كتكون تجرد الملائكة عن القوة النفسانية والطبيعية علامة دالة على عصمتهم وايضا فان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد كذا فى التفسير الكبير والمص اشار الى الجواب عن طعن القاضى فى هذه الاية بما حاصله ان المراد من المروى ليس ظاهره بل هو رمز الى توسيع الصدر وتفسيحه فقال ولعل ما روى اشارة الى نحو ما سبق من تفسيح الصدر **قوله** مبالغة فى اثباته وجه المبالغة ان الانكار فى معنى النفى ونفى النفى اثبات فكان المعنى قد شرحنا لك صدرك واثبات الشرح بنفى انتفائه اثبات له بدليل فكان ابلغ من اثباته ابتداء **قوله** ولذلك عطف عليه قوله ووضعنا اى ولاجل ان معنى الم نشرح قد شرحنا عطف عليه ووضعنا لانه بهذا الاعتبار يكون عطف الجملة الخبرية على مثلها والعب

مكان التفاته الى الخلق وعدم لا يعوقه عن الشواغل بلذة المناجاة والاستغراق بما فتح له من المعاملة لمولاه فهو ابدا فى مقام المعية والحضور وانما وصف بالغيبة نظرا الى ظاهر التفاته الى الخلق

انفسح صدره عليه الصلوة والسلام حتى انه كان يسع جميع المهمات لا يقلق ولا يضجر والانفجار بل هو فى حالتى البؤس والفرح منشرح الصدر منشغل بما امر تكلم به

بالكسر الحمل ووصف الحمل بانه انقض ظهره فانه وهنه حتى سمع له نقيض اى صوت ونقيض الرحل صريره
عند تداعى اجزائه الى الانفكاك ووضعه حطه وعفوه فهو كقوله لك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر فيكون الوزر استعارة والوضع ترشيحا لها شبه ما وقع منه قبل البعثة من فرطاته الواقعة
سهوا او خطأ ومن ترك الافضل باتيان الفاضل بدله بالعبء والثقل فاطلق عليه اسم المشبه
وهو الوزر ثم قرن بما يلائم المستعار منه وهو الوضع والحط لا ينافي قوله الذي انقض ظهرك بدلالته
على عظم الذنب فكيف تحمله على ترك الافضل والاولى سهوا او خطأ قلنا زلات الانبياء وصفت
بهذا الثقل مع كونها ادنى درجة من الصغائر التي ارتكبها الامة لشدة اهتمامهم بها وندمهم عليها
وتحسرهم عليها فان خجلتهم بورود العتاب عليهم في ذلك يثقلها عليهم بهذه الدرجة ويورد
عليهم هذه المشقة **قوله** وجهله بالحكم والاحكام عطف على قوله ما ثقل ولعله اراد بالحكمة العلم
المتعلق بتهذيب الاخلاق وتحلية النفس بالفضائل السنية وتخليتها عن الرذائل الدنية وفي
التلويح الحكمة هي العلم النافع المعبر عنه بمعرفة النفس ما لها وما عليها المشار اليه بقوله تعالى
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وبالاحكام العلم المتعلق باصلاح الاعمال والمعاملات الذي
يتوقف عليه حسن المعاشرة بين الناس ويدور عليه حسن انتظام احوالهم ووضع هذا الجهل عنه
بان علمه ما لم يكن يعلمه **قوله** او حيرته اى والمراد من الوزر والثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة
وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بكمال عقله الى عظيم نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم
الى الوجود واعطاه الحيوة والعقل وانواع النعم فيثقل عليه ذلك وكان ينقض ظهره من الحياء
لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى ان نعم الله تعالى لا تنقطع وما كان يعرف انه كيف يطيع ربه فلما جاءه
النبوة والتكاليف وعرف انه كيف ينبغي له ان يطيع ربه في مقابلة نعمه وسهلت عليه تلك الاحوال
فان اللئيم اذا اسبغ عليه النعم المتظاهرة لا يستحي من عدم مقابلتها بالخدمة بخلاف الانسان الكريم
النفس فانه اذا اكثر عليه الانعام وهو لا يقابلها بنوع من انواع الخدمة فانه يثقل عليه ذلك جدا
بحيث يمنعه الحياء فاذا اكلفه المنعم بنوع خدمة سهل ذلك عليه وطاب قلبه **قوله** او تلقي الوحي
اي والمراد من الوزر ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ما اتاه جبريل حين اخذته الرعدة
وكاد يرمي نفسه من الجبل من شدة الفزع ثم انه تعالى وضع عنه هذه الهيبة وقوى قلبه حتى الفه
وصار بحالة كاد يرمي نفسه من الجبل لشدة اشتياقه اليه **قوله** او من اصرارهم وتعديهم
في ايذائه وكان ذلك يثقل عليه جدا في الاوائل حتى كاد ينقض ظهره وتأخذه الرعدة من ذلك
ثم قواه الله تعالى حتى صار بحيث كانوا يدمونه في وجهه وهو يقول اللهم اهد قومي **قوله** فلا تيأس
من روح الله اذا عراك ما يغمك اشارة الى وجه ارتباط هذه الآية بما قبلها فانه تعالى لما ذكر نعمه
صلى

انقض ظهره اى حمله على
النقيض وهو صوت الا
نتقاض والانفكاك
واصل النقيض صوت
انكسار رحل البعير من
الثقل منه

قوله فانه ذكره في موضع
كانه قال الم نشرح لك
علم اجمالا ان ذلك
شرح وحافظ بصورة
وكذلك ورفعنا لك
منه

صلى الله عليه وسلم ما فعل به في ابتداء امره من شرح صدره ووضع وزره ورفع ذكره فانه في ابتداء
امره كان غير عالم بشيء مما يعلمه الآن فوسع صدره بما اودع فيه من الحكم وكان عليه من الاوزار
ما ثقل عليه فوضعها عنه وكان خامل الذكر فرفع ذكره اتبع ذلك بقوله فان مع
العسر يسرا اى فتفكر على ذلك بان في الاحوال وتيقن بان لكل حال من الاحوال العسرة لها انجلا
وانكشافا كما ان كل زمن بعده ربيع واعتدال فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك فقوله
تعالى فان مع العسر يسرا من قبيل تفريع الحكم على الدليل في صورة الاستدلال بالجزئي على الكلي
كما تقول اما ترى الى الانسان والفرس والغنم كلها تحرك فكها الاسفل عند المضغ فاعلم بذلك
ان كل حيوان يفعل كذلك **قوله** وتنكيره للتعظيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر
قوله والمعنى بما في ان مع من المصاحبة المبالغة في معاقبة اليسر للعسر يعني انهما متضادان
لا يجتمعان فلا بد من توجيه كلمة مع في هذا المقام **قوله** تكرير للتأكيد او استئناف الخ يعني ان
الجملة الثانية وهي قوله ان مع العسر يسرا يحتمل ان يكون تكريرا للاولى كقوله ويل يومئذ للمكذبين
فيكون الغرض من تكريره تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما تكرر المفرد في مثل
جاءني زيد زيد لذلك ويحتمل ان تكون الجملة الثانية عدة مستأنفة بان العسر متبوع بيسر آخر
وذلك ان الاسم اذا ذكر معرفا ثم اعيد ذكره معرفا كان الثاني هو الاول فيكون العسر واحدا
مع كونه مذكورا مرتين وذلك العسر اما العسر المعهود الذي كانوا فيه او جنس العسر الذي
يعلمه كل احد والنكرة اذا اعيدت مع الالف واللام كان الثاني عين الاول ايضا كما في قوله تعالى
كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول واذا اعيدت نكرة لا يلزم ان يكون
عين الاول ويسرا الثاني ههنا منكر فيحتمل ان يكون عين الاول في الحال ان العسر الثاني ايضا
هو الاول فيكون قوله تعالى ان مع العسر يسرا تكريرا للاول تأكيدا له وان يكون غيره فيكون الثاني
كلاما مستأنفا مفيدا لان يكون مع عسر واحد يسرين والاستئناف ارجح لما علم من فضل
التأسيس على التأكيد وكلام الله تعالى محمول على ابلغ الاحتمالين واوفاهما والمقام مقام
التسلية والتنفيس فالحمل عليه اولى عن ابن عباس رضي الله عنه قال يقول الله تعالى خلقت عسرا
واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية ووجه تعلق قوله
فاذا فرغت فانصب بما قبله انه تعالى لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده بالنعم الآتية لا جرم
بعثه على الشكر والاجتهاد على العبادة قال الحسن في تفسيره اذا كنت صحيحا فانصب يعني
اجعل فراغك نصبا في العبادة ويدل عليه ما روي ان شريحا مر برجلين يتصارعان فقال
الفارغ ما امر بهذا انما قال الله تعالى فاذا فرغت فانصب وبالجملة امر الله تعالى ان يواصل بين

بعض العبادات وبعض وان لا يخلو وقت من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى

سورة والتين مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم

قوله وقيل المراد بهما جبلان لا نفس هاتين الثمرتين قال ابن عباس رض هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس ولما كانت هذه المساجد في هذه المواضع التي يكثر فيها التين والزيتون لا جرم اكتفى بذكر التين والزيتون وقيل المراد من التين والزيتون بلدان فقال كعب التين دمشق والزيتون بيت المقدس وقيل التين الكوفة والزيتون الشام وسينين وسينا اسمان للبقعة التي حصل فيها الجبل المسمى بالطور وهو الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلوة والسلام عليه اضيف ذلك الجبل الى البقعة التي حصل هو فيها اي وجبل الموضع المسمى سينين **قوله** من امن الرجل امانة فهو امين وامانته ان يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه من حيث ان الله تعالى حفظه عن الفيل واصحابه والتقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه في التاليف والتعديل قومته تقويما فاستقام وتقوم وذكر في حسن تقويمه انه تعالى خلق كل ذي روح منكبا على وجهه الا الانسان فانه تعالى خلقه مديد القامة يتناول ماكوله بيده وقيل انه تعالى خلقه في اكمل عقل وفهم وادب وعلم وبيان والحاصل ان القول الاول راجع الى الصورة الظاهرة والثاني الى السيرة الباطنة وعن يحيى بن اكثم القاضي انه فسر التقويم بحسن الصورة فانه حكى ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم تكوني احسن من القمر فانت كذا فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن اكثم قال لا يحنث فقيل خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرى احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب وقيل كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقتني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور فاخبره الخبر واظهر له جزعا عظيما فاستحضر المنصور فقهاء زمانه واستفتاهم فقال جميع من حضر قد طلقت الا رجلا من اصحاب ابي حنيفة رح فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون الى قوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين فالانسان احسن الاشياء ولا شيء احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك وارسل الى زوجته ان اطيعي زوجك ولا

قال امين على الاول فعيل بمعنى فاعل وعلى الثاني بمعنى مفعول منه

ولا نقص فيها فلذلك كذا في تفسير القرطبي **قوله** ونظائر سائر الممكنات اي وبان خص باستجماع مثال كل ممكن لان مقابلة الجمع يقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد فلذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر اذ كل ما في المخلوقات حاصل فيه **قوله** بان جعلناه من اهل النار يعني ان قوله ثم رددناه الى كناية عن جعله من اهل النار لان اقبح الصور صورة اهل النار وقوله اسفل حال من الضمير المنصوب في رددناه والمعنى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة ان رددناه اي صرفناه عن طريقه في حسن صورته حال كونه اسفل من سفل خلقا وتركيبا واقبح من قبح صورة وخلقة وهم اصحاب النار **قوله** او الى اسفل سافلين وهو النار على ان يكون اسفل صفة لمكان محذوف اي الى مكان هو اسفل امكنة السافلين وعن مجاهد ثم رددناه الى النار والنار اسفل سافلين وعلى الوجهين الاستثناء في قوله الا الذين امنوا متصل والمستثنى منه الضمير المنصوب في قوله ثم رددناه لانه في معنى الجمع لرجوعه الى الانسان المراد به الجنس وقيل هو اي اسفل سافلين ارذل العمر على معنى ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فتقوس ظهره وضعف بصره وسمعه فالاية على هذا نظير قوله ثم يرد الى العمر وحاصل المعنى على الاول ان الكفار تتغير صورهم في النار وعلى الثاني تتغير صورهم بالشيخوخة والهرم ويكون الاستثناء على الثاني منقطعا لانه لم يخرج بالا احد من المذكور من قبله من الحكم الذي اثبت لهم بل اثبت للواقع بعد الا حكم لم يثبت للواقع قبله فيكون الا بمعنى لكن والذين امنوا وعملوا الصالحات اسمه وقوله فلهم اجر خبره ودخول الفاء لتضمن اسمه معنى الشرط والفاء على الوجه الاول للتعليل اي لا يتغير صورهم في النار لانهم مثابون في الجنة **قوله** فاي شيء يكذبك فيما اخبرت به من البعث والجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الدالة على كمال القدرة فان من خلق الانسان من الماء المهين وحسن ظاهره وباطنه باحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة الى ان استكمل ثم نكسه الى ان يبلغ الى ارذل العمر لا شك انه قادر على البعث والحساب والجزاء بل كونه احكم الحاكمين يقتضي ذلك فانه ان كان خلقها لا لحكمة كان ذلك عبثا وهو لا يجوز من الحكيم وان خلقها لحكمة عائدة اليه تعالى يلزم كونه مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا فتعين انه تعالى خلق الانسان لحكمة عائدة اليهم وتلك الحكمة لا تظهر في الدنيا لانها دار بلاء وامتحان لا دار الراحة والجزاء فثبت انه لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى وبعد هذه الحيوة من نشأة اخرى يثاب الانسان فيها باحسن ما كانوا يعملون فالقول بوجود الاله الكريم القادر يوجب على العاقل ان يقطع بالبعث والجزاء كما مر غير مرة **قوله** فالمعنى فما الذي يجعلك على هذا الكذب ايها الانسان المصر على انكار الخبر فان من اخبر عن الواقع بانه لا يقع فهو كاذب في

وقال الفراء ولو قال سافل لكان صوابا لان لفظ الانسان واحد وانت تقول هذا افضل قائم ولا تقول افضل قائمين الا انه قيل سافلين على الجمع لان الانسان في معنى الجمع منه

انكاره واخباره والاستفهام لتوبيخ الانسان الكاذب بسبب تكذيبه بالبعث والجزاء **قوله**
تحقيق سبق من انه خلق الانسان ثم رده الى ارذل العمر بقول الله تعالى اليس الذي فعل ذلك باحكم
الحاكمين صنعا وتدبيرا اي اليس ذكر بابلغ اتقانا للامور من كل اشتمل الا على ان الحكيم هو المتقن
للامور ويلزمه كونه تام القدر كامل العلم ومن هذا شانه كيف يستبعد منه البعث والجزاء او
المعنى اليس الله باقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق والعدل يقال حكم بينهم اي قضى
فالاية وعيد للمكذبين **سورة العلق مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
زعم اكثر المفسرين ان هذه السورة اول ما نزل من القران واول ما نزل منها خمس ايات
من اولها الى قوله ما لم يعلم وقال آخرون الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم وقيل اول ما نزل
يا ايها المدثر **قوله** اي اقرأ القران مفتتحا باسمه او مستعينا به اشارة الى ان مفعول اقرأ محذوف
وهو القران حذف للعلم به اذ القراءة في عرف الشرع لا تستعمل الا فيه وان محل قوله باسم ربك
النصب على الحال والتقدير اقرأ القران مفتتحا باسم ربك او مبتدا به او قل بسم الله الرحمن الرحيم
ثم اقرأ فالاية على هذا التوجيه تدل على انه يجب قراءة التسمية في ابتداء كل سورة كما انزل الله تعالى
وامر به وهذا حجة للامام الشافعي رح في جهره بالتسمية في اول كل سورة مع ما جاء من الحديث   الاحاديث سان
المروية في هذا الباب وان قدر ان المعنى اقرأ القران مستعينا باسم ربك فكانه تعالى امر ان
يجعل الاسم آلة فيما يحاوله من امر الدين والدنيا كما في قولك كتبت بالقلم وتحقيقه انه لما قال اقرأ فقال
لست بقارئ فقال اقرأ باسم ربك اي استعن باسم ربك واتخذه آلة في تحصيل هذا الذي عسر عليك
قوله اي الذي له الخلق وجه عدم ذكر مفعول خلق اولا بوجوه ثلثة الاول ان ينزل خلق منزلة
اللازم فلا يقدر له مفعول بناء على ان المقصود بيان انفراده بالخلق وانه لا خالق سواه فاقتصر
على المقصود ولم يتعرض لبيان متعلق الخلق فالمعنى الذي حصل منه الخلق وتفرد به لا خالق سواه
والثاني ان يقدر له مفعول ويكون بيان تعلقه بمفعول مقصودا الا انه حذف قصدا للتعميم فانه تعالى
لما كان خالق كل شيء لم يكن بعض المخلوقات اولى بتقديره من بعض فقدر له مفعول عام اي الذي
خلق كل شيء وقوله خلق الانسان من علق بعد ما تبين انه خلق كل شيء تخصيص للانسان بالذكر
بعد التعميم اظهارا لشرفه وانه لغاية شرفه صار كانه حقيقة منفردة خارجة من عداد ما سبق
وذلك كتخصيص جبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة والرسل ولان المقصود من توصيف الرب تعالى بالخالقية
تعليل الامر بالقراءة الذي هو في معنى الامر بالعبادة فان قوله تعالى اقرأ في معنى اعبد ربك وتوصيفه بقوله
الذي خلق للايماء الى ان كونه خالق الاشياء يقتضي ان يعبد ويعظم ويدل على وجوب ذكر الانسان لما كان
اشرف مصنوعاته واظهرها صنعا وتدبيرا كان خلقه تعالى اياه ادل على وجوب العبادة فلذلك افرده

ق عائشة رض ما انا بقارئ قالت
اول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... للملك الذي جاءه بغار حراء فقال
اقرأ قال فاخذني فغطني حتى بلغ
مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ قلت
ما انا بقارئ فاخذني فغطني الثانية
حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذني
فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد
ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك
الذي خلق خلق الانسان الى
علم الانسان ما لم يعلم الحديث

افرده بالذكر بعد التعميم **قوله** اظهر صنعا بمعنى انه اكثر اظهارا لصنع خالقه وتدبيره والقياس
ان لا يبنى افعل التفضيل من مزيد الثلاثي الا بزيادة اشد واكثر ولعله انما ارتكب ذلك اختصارا
في اللفظ مع ظهور المراد والثالث ان يقدر له مفعول خاص ابتداء الا انه ابهمه اولا ثم فسره ثانيا
بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان **قوله** جمعه لان الانسان في معنى الجمع والعلق جمع علقة
كتمر وتمرة وهي الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد الى
الاحاد فافاد انه تعالى خلق كل واحد منهم من علقة ولما كان اتفق المتكلمون على ان اول الواجبات
معرفة الله تعالى او النظر في معرفة الله تعالى او القصد الى ذلك النظر على الاختلاف المشهور فيما بينهم
ثم ان الحكيم سبحانه لما اراد ان يبعث رسولا الى المشركين لو قال اقرأ باسم ربك الذي لا شريك له
لابوا ان يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم في ذلك مقدمة تلجئهم الى الاعتراف به حيث امر رسوله ان يقول
لهم انهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم انكاره ثم ان يقول لهم ولا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم
ان يضيفوا ذلك الفعل الى الوثن لعلمهم بانهم تحت هذا التدريج يقرون بان انا المستحق للثناء دون
الاوثان لان الالهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئا كيف يكون الها مستحقا للعبادة وهذه
الطريقة كما يحكى ان زفر لما بعثه ابو حنيفة رح الى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل اليهم وذكر ابا
حنيفة منعوه ولم يلتفتوا اليه فرجع الى ابي حنيفة رح واخبره بذلك فقال له ابو حنيفة رح انك
لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع اليهم واذكر في المسئلة اقاويل ائمتهم ثم بين ضعفها ثم قل
بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي فاذا تمكن ذلك في قلبهم فقل هذا قول ابي حنيفة رح فانهم
ح يستحيون فلا يردون **قوله** تكرير للمبالغة يعني ان اقرأ الثاني تكرير للامر بالقراءة تاكيدا ومبالغة
في الامر بها فيتم الكلام عند اقرأ الثاني ويكون ما بعده كلاما مستانفا بان يكون وربك مبتدا والاكرم
صفته والذي مع صلته خبره وقوله علم الانسان ما لم يعلم بدل من قوله علم بالقلم لكونه بيانا له **قوله**
او الاول مطلق اي امر بمطلق القراءة سواء كانت على طريق التعلم من جبريل او على طريق تكرارها
لنفسه طلبا للثواب واقرأ الثاني امر بان يقرأ للتبليغ وتعليم الامة او بان يقرأ في الصلوة **قوله**
ولعله لما قيل اشارة الى جواز ان يكون اقرأ الثاني جوابا لقوله صلى الله عليه وسلم ما انا بقارئ على معنى
اقرأ فان ربك الاكرم يعلمك القراءة وان لم تكن قارئا **قوله** بل هو الكريم وحده على الحقيقة قال الامام
الرازي الكرم افادة ما ينبغي لا لغرض فمن يهب السكين ممن يقتل به نفسه فهو ليس بكريم ومن اعطى
ثم طلب عوضا فهو ليس بكريم وليس يجب ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب والتخلص عن المذمة
كله عوض وقال الغزالي الكريم هو الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفى واذا اعطى زاد على منتهى الرجاء
ولا يبالي كم اعطى ولا لمن اعطى واذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى

ولا يفزع من لا ذنب له ولا يتجنى ويغني عن الوسائل والشفعاء فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتعلق
فهو الكريم المطلق وذلك هو الله وحده ومن كان على اضداد هذه الصفات فهو اللئيم المطلق انتهى
كلامهما وذكر في بيان الأكرمية انه لا ينعم بما ينعم الا لمحض الكرم بخلاف غيره فانه يطلب به نفعا اما
مدحا او ثوابا او تخلصا عن المذمة وايضا انه يحلم ويعفو وقت الجناية ولا ينقص من احسانه الذي احسن قبلها بل يزيد في احسانه بعد الجناية كما قيل متى زدت تقصيرا تزد في تفضلا
كأني بالتقصير استوجب التفضلا **قوله** لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد بيان لوجه كرمه الزائد
في تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام اظهار كمال الكرم ومزيد التفضل والاحسان
على نوع الانسان والامتنان عليه بافاضة ما هو اشرف آثار كرمه واحسانه عليه وهو تعليم علم
الخط والكتابة ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد وقيل صاحب الحفظ مغرور وصاحب القيد
مسرور يعني من اعتمد على حفظه اغتر حيث نسي ما حفظه ومن قيده وكتب فهو يجد ما كتبه بعد النسيان
فيكون مسرورا بذلك والقلم وان كان لا ينطق الا انه يسمع الشرق والغرب وما دونت العلوم
ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاها
لما استقامت امور الدين والدنيا ذكر الله تعالى نفسه اولا باسم الرب ورتب عليه خلقه الانسان
من العلقة تنبيها على ان الايجاد والاحياء والاقدار والترزيق من باب الكرم والتربية ثم ذكر بانه
الرب الاكرم ورتب عليه تعليم الانسان الخط بالقلم وتعليمه ايضا غير ذلك مما لم يعلمه الانسان تنبيها
على ان الأكرمية انما تكون باعطاء اجل المواهب واعز المطالب وهو التكرم بافادة الفوائد العلمية
وما يؤدي الى تقييدها وضبطها وفيه تشريف بليغ لشان العلم فانه لو كان في جملة المطالب ما هو اشرف
منه لكان ذكره اولى في مقام بيان الاكرمية والمناسبة بحسب الظاهر بين ان وصف الله تعالى نفسه
بانه الذي خلق الانسان من علق وبانه الذي علم بالقلم لكنه في التحقيق في غاية الحسن والانتظام
ذكر لانه تعالى بين اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء واخر امره وهو
صيرورته عالما بحقائق الاشياء قادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها وعلى تعليمها وتبليغها
الى اهل البلدان البعيدة وهو شان عظيم ينتقل من اخس الاحوال الى اعز المراتب واشرفها اي
انه كان في بدء حاله ما سمعنا فاقتضى كرم الربوبية الى ارتقائه ذروة العز والشرف بفضله و
لطفه **قوله** واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا فان قوله باسم ربك الذي خلق خلق الانسان
من علق تدل دلالة عقلية على معرفته بصفات كماله من وجوب وجوده وكمال قدرته وعلمه وحكمته
وقوله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اشارة الى الاحكام التي تتلقى من الدليل السمعي ومنها
معرفة صانع العالم بصفات كماله ونعوت جماله وجلاله فقيل من اول السورة الى هنا هو اول ما نزل
عليه

ان ما يحصل بالنظر من
المعرفة عقلية وما حصل
بالتعليم سمعية
منه

عليه واوحى اليه صلى الله عليه وسلم ثم نزل باقي السورة بعد ذلك بزمان في ابي جهل فامره عليه الصلوة
والسلام بوصفه في هذا الموضع لان تالي آيات السورة انما كان بامر الله وبانه الأبدي ان قوله تعالى
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله آخر ما نزل عند المفسرين ثم هو مضموم الى ما نزل قبله بزمان
طويل وقيل المراد من الانسان المذكور في هذه الآية جنس الانسان وجملته والقول الاول وان كان
اظهر بحسب الرواية الا ان هذا القول اقرب بحسب الظاهر لانه تعالى بين ان الله خلقه من علقة و
انعم عليه بما ذكره من النعم اذا اغناه وزاد في النعمة عليه فانه يطغى ويتجاوز الحد في المعاصي و
اتباع هوى النفس وذكر وعيده وزجره عنه عن هذه الطريقة ثم انه تعالى اكد هذا الزجر بقوله
ان الى ربك الرجعى وتحقيق الكلام في هذه الآية ان الله تعالى لما ذكر في اوائل السورة دلائل ظاهرة على
التوحيد والقدرة والحكمة بحيث يبعد من العاقل ان لا يطلع عليها ولا يقف على حقائقها اتبعها بما
هو السبب الاصلي في الغفلة عنها وهو حب الدنيا والاشتغال بالمال والجاه والتزخرف بالحظوظ
العاجلة فانه لا سبب لعمى القلب في الحقيقة الا ذلك والمصنف اختار هذا القول الثاني حيث قال كلا
ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه فان الكلام السابق دال على انه
تعالى خلق الانسان من العلق ثم علمه ما لم يعلمه فرفعه من حضيض الخسة الى يفاع العلم والمعرفة
وكذلك الكلام اللاحق وهو التعليل بقوله ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فيقدر بعد قوله ما لم
يعلم ما يصح ان يكون كلا ردعا له كانه قيل خلقنا الانسان من علق وعلمناه ما لم يعلم ليشكر تلك
النعمة الجليلة فطغى وكفر كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى اي ما ينبغي للانسان ان ينعم الله
عليه بخلقه وتعليمه ثم هو يطغى اي يفرط في المعصية واتباع هوى النفس لان رأى نفسه قد كثر
ماله فاستغنى به عن غيره قال الكلبي لم يرتفع عن منزلة الى منزلة في اللباس والطعام وغيرهما
وقال مقاتل نزلت في ابي جهل كان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه
قال الاخفش يعني قوله ان رآه استغنى لان رآه فحذف اللام كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم
غناكم فمحله النصب على انه مفعول له وقيل معناه استغنى بماله عن ربه واول هذه السورة يدل على
مدح العلم واخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغبا في الدين والعلم ومنفرا عن الدنيا والمال
قوله واجنحة وهي اجنحة الملائكة ابصر اللعين الاجنحة ولم يبصر اصحابها فقال صلى الله تعالى عليه وسلم
والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا واول القصة ان اللعين قال هل
يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال لو رأيته الحج والعفر بالتحريك التراب وتعفير الوجه كناية
عن السجود على الارض وكان ابو جهل يكنى في الجاهلية بابي الحكم لانهم يزعمون انه عالم ذو حكمة
ثم سمي ابا جهل في الاسلام **قوله** ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة في تقبيح النهي فانه لو قيل ارأيت

الذي ينهاه يدل قوله ينهى عبدا لكان الكلام قاصرا في الدلالة على تقبيح النهي لان نهي العبد عن
تعظيم مولاه اقبح من نهي فرد من افراد الانسان عن الصلوة وتنكير لفظ العبد يدل على كونه كاملا
في العبودية فنهيه اقبح من نهي عبد ما اي عبد كان فكانه قيل نهي اكمل الخلق في العبودية عن عبادة
ربه **قوله** والشرطية مفعول الثاني جعل رايت من رؤية القلب المقتضية للمفعولين وجعل
قول الذي ينهى مفعوله الاول وجعل الشرطية الاولى مفعوله الثاني وهي قوله ان كان على الهدى او امر
بالتقوى مع جوابه المحذوف وهو قوله الم يعلم بان الله يرى ويطلع على ما يزعمه من انه على هدى في
نهيه عن طاعة الله وعبادته او آمر بالتقوى فيما يامر به من عبادة الاوثان وحذف جواب الشرط
الاول اكتفاء عنه بجواب الشرط الثاني لان الشرط الثاني وهو قوله ان كذب وتولى مقابل الشرط
الاول وهو قوله ان كان على الهدى او امر بالتقوى فاذا اجيب الشرط الثاني بقوله الم يعلم بان الله يرى
احواله علم من ذلك ان جواب الشرط الاول من هذا القبيل ايضا وجاز ان تكون الجملة الاستفهامية
وهي قوله الم يعلم الخ جوابا للشرط كما جاز في قولك ان اكرمتك اتكرمني وان احسن اليك فلان
هل تحسن اليه وجعل ارايت الثاني تكرارا للاول لاجل التاكيد وكذا ارايت الثالث وصور المعنى
بقوله والمعنى اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله وحاصله ان نظم التنزيل من قبيل كلام المنصف
وارخاء العنان حيث هضم من حق اهل الحق بان عبر عنه بقوله عبدا ولم يقل نبيا يجتبى صفوة
خلق الله وقال المص في تفسيره ينهى بعض عباد الله وادخل حرف الشرط في الشرطية
الاولى لارخاء العنان صورة للقطع بان ذكر الناهي ليس من الهدى والامر بالتقوى في شيء و
هو في الحقيقة تهكم به ضرورة انه ليس في النهي عن عبادتك والامر بعبادة الاصنام على
هدى البتة فعلى هذا يجب ان يكون الخطاب في قوله ارايت للكافر يصلح ان يكون مخاطبا ممن
له ملكة او للانسان على الالتفات كما في قوله ان الى ربك الرجعى وهذا اظهر واولى لا للنبي عليه الصلوة
والسلام ولا للكافر الناهي لقوله اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله فان الناهي والمنهي خارجان
عن مورد الخطاب فكانه يجعل الغير حكما بين اهل الحق واهل الباطل وهضم من قدر اهل الحق
فيقول ايها الحاكم اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن طاعته وعبادته ويزعم انه على الحق
في ذكر النهي وآمر بالتقوى والمعروف في امره بعبادة الاوثان واخبرني ايضا عما تقول لحق
ان ذكر الآمر والناهي كائن على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح فما علمك في
ذلك الم يعلم بان الله يراه ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك فكون
قوله الم يعلم الخ وعيدا لذلك الناهي **قوله** وقيل المعنى ارايت الذي الخ يعني قيل اذا ارايت كلمة
تعجيب عجب الله عباده من ان ابا جهل في منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلثة اوجه الاول
انه

والحاصل ان ارايت الاول والثالث خطاب مع المنهي والثاني يحتمل ان يكون تكريرا للاول وان يكون خطابا مع الناهي وعلى تقدير كونه تكريرا يحتمل ان يكون ضماير كان وكذب وتولى كلها للناهي وان يكون ضمير كان للمنهي وما بعده للناهي فعلى الاول يكون الكلام باسره في حيز ارايت الاول ثم انه يحتمل ان يكون الشرطيان مفعولا ثانيا لارايت الاول فيكون الكلام مسوقا لوعيد الناهي وهو ما اشار اليه بقوله والمعنى اخبرني عمن ينهى الخ ويحتمل ان يكون الشرطية الاولى في موضع الحال من قوله عبدا والشرطية الثانية من المتكلم في ينهى فيكون الكلام باسره مسوقا للتعجب من حال الكافر واشار اليه بقوله وقيل المعنى الخ وان كان الخطاب الاول مع المنهي والثاني مع الناهي يكون الخطاب الاول مسوقا لتوبيخ الناهي ويكون الخطاب الآخر الواقع مسوقا لوعيد الكافر منه

انه ينهى عبدا من طاعة ربه والثاني ان المنهي عن الصلوة مهتد بصلوته وتعظيمه ربه امر غيره
بتقوى الله بفعله والثالث ان الناهي عن الصلوة مكذب بالحق متول عنه غير قائل به واشار المص
الى ان المعنى على التعجب بقوله فما اعجب من ذا فعلى هذا ضمير ينهى وكذب وتولى للكافر الناهي وضمير
كان وامر للعبد المنهي وكذا على الوجه الثالث واما على الوجه الاول فالضماير كلها للكافر الناهي
قوله ولعله ذكر الامر بالتقوى في التعجب والتوبيخ واجاب المص عن هذا السؤال اولا بان صلوته
صلى الله عليه وسلم صلوة وعبادة في حق نفسه ودعوة بالفعل الى عبادة الله وامر بالتقوى
بالنظر الى غيره فان كل من يراه وهو في الصلوة كان يرق قلبه فيميل الى الايمان والطاعة فكان
فعل الصلوة دعوة وامرا بالتقوى بلسان الفعل وهي اقوى من الدعوة بلسان القول فعلى هذا
يكون النهي عن الصلوة نهيا عنها وعن الامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلوة لحصول
المقصود به واجاب عنه ثانيا بانه لم يقل ينهى عبدا عن الصلوة فقط حتى يتوجه ان يقال انه كما
ينهى عن الصلوة ينهى عن الامر بالتقوى ايضا فلم اقتصر على ذكر الصلوة بل قال ينهى عبدا اذا
صلى وهو شامل لنهيه عنهما معا فليس في الكلام اقتصار على ذكر النهي عن الصلوة فقط وعدم
ذكر المفعول به الغير الصريح لينهى يدل على ارادة العموم اي ينهى عن عامة افعاله المختصة في
تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة وهذه الآية وان نزلت في حق ابي جهل لكن كل من ينهى
عن طاعة الله فهو شريك ابي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلوة في الدار
المغصوبة والاوقات المكروهة لان المنهي عنه غير الصلوة وهو المعصية فان عدم مشروعية
الوصف المقارن وكونه مستحقا لان ينهى عنه لا ينافي مشروعية اصل الصلوة الا انه لشدة
الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهما للنهي عن الاصل احتاط فيه بعض الاكابر
حتى روي عن علي رضي الله عنه انه راى في المصلى اقواما يصلون قبل صلوة العيد فقال ما رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقيل له الا تنهاهم فقال اخشى ان ادخل تحت وعيد قوله ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى فلم يصرح بالنهي عن الصلوة احتياطا واخذ ابو حنيفة رح بهذا
الادب الجميل حين قال له ابو يوسف رح ايقول المصلي حين يرفع راسه من الركوع اللهم اغفر لي
قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي **قوله** ولنسحبنه بها الى النار وذكر في الآخرة و
يحتمل ان يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بانه يمكن
المسلمين من ناصيته حتى يجرونه على وجهه اذا عاد الى النهي فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم
بدر روي انه لما نزلت سورة الرحمن علم القرآن قال صلى الله عليه وسلم من يقرؤها على رؤساء قريش
فتثاقلوا فقام ابن مسعود رضي الله عنه وقال انا فاجلسه صلى الله عليه وسلم ثم قال ثانيا من يقرؤها عليهم

يعني ان الكلام حمل على التوبيخ او التعجب قد اشتمل على التعرض للامر بالتقوى كاشتماله على اداء الصلوة فكان كل واحد من التعجب والتوبيخ واقعا بمقابلة مجموع الامرين بخلاف ما اذا حمل الكلام على الوعيد فان مفهوم الكلام ح ايعاد من نهى عن الصلوة فقط بانه سواء كان على الهدى والامر بالتقوى على زعمه او كان مكذبا او معرضا عن الحق فسوف يعلم حاله و يجازيه عليه ولم يتعرض لايعاده على كونه ناهيا عن الامر بالتقوى مع انه مذنب بذلك الذنبين فيجب ان يوعد عليهما جميعا منه

فلم يجبه الا ابن مسعود ثم ثالث الى ان اذن له وكان صلى الله عليه وسلم يشفق عليه لما كان يعلم
من ضعفه وصغر جثته ثم انه وصل اليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام
ابو جهل فلطمه فانشق اذنه وادماه فانصرف وعينه تدمع فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم
رق قلبه واطرق رأسه مغموما فاذا جبريل يجيء ضاحكا مستبشرا فقال يا جبريل تضحك ويبكي
ابن مسعود رضي الله عنه فقال ستعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود رضي الله عنه ان يكون له حظ في
الجهاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان به رمق فاقتله فانك تنال
ثواب المجاهدين فاخذ يطالع فاذا ابو جهل مصروع يخور فخاف ان يكون به قوة فيؤذيه فوضع
الرمح على منخره من بعيد فطعنه فلعل هذا معنى قوله سنسمه على الخرطوم ثم لما عرف عجزه لم
يقدر ان يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه ابو جهل قال لقد ارتقيت
مرتقى صعبا فقال ابن مسعود رضي الله عنه الاسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له ابو جهل بلغ صاحبك انه
لم يكن احد ابغض الي منه في حال مماتي فروي انه صلى الله عليه وسلم لما سمع ذلك قال فرعوني
اشد من فرعون موسى فانه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال لابن مسعود رضي الله عنه اقطع رأسي بسيفي هذا
لانه احد واقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق اذنه وجعل الخيط ولعل الحكمة سبحانه
انما خلقه ضعيفا حتى لم يقو على حمل الرأس المقطوع لوجوه احدها انه كلب والكلب يجر ولا يحمل
والثاني لشق الاذن فيقتص الاذن بالاذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله لنسفعا
بالناصية فيجر تلك الرأس على مقدمها هذا ما روي في قتل ابي جهل اورده هنا معنى لا لفظا
ليتضح تفسير قوله لنسفعا بالناصية والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم انه
كني بها هنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص السفع بها ان اللعين كان شديد الاهتمام
بترجيل الناصية وتطييبها واللام في لئن لم ينته لام موطئة القسم والقسم بعده مضمر اي
لئن لم ينته والله لنسفعا والجمهور على تخفيف هذه النون والوقف عليها بالالف لانفتاح ما
قبلها تشبيها لها بالمنون المنصوب وقد كتبت في مصحف عثمان بالالف على حكم الوقف وقرئ
لنسفعا بالالف مكان النون اي بقول الله انا الذي اتولى اهانته بيد محمد نظيره هو الذي ايدك
واللام في قوله بالناصية بدل من الاضافة اي لنسفعن بناصيته اكتفي بلام العهد عنها للعلم
بان المراد ناصية المذكور كانه تعالى يقول بالناصية المعروفة عندكم ذاتها لكنها مجهولة عندكم
صفاتها وهي انها ناصية كاذبة قولا خاطئة فعلا ووصفت الناصية بالكذب لانه كان كاذبا
على الله في انه لم يرسل محمدا او كاذبا على رسوله في انه ساحر او ليس بمرسل ووصفها بانها خاطئة لان
صاحبها متمرد على الله ولا خطأ اعظم منه وقوله ناصية بدل من الناصية وجاز ابدالها
من

من المعرفة وهي نكرة لانها وصفت بقوله كاذبة على معنى كاذبة صاحبها وصح بذلك جعلها
بدلا مقصودا بالنسبة والنكرة الغير الموصوفة لا تبدل من المعرفة لانه لا يصح جعلها مقصودا
بالنسبة وجعل المعرفة في حكم السقوط **قوله** اي اهل ناديه قدر المضاف لان نفس المجلس
والمكان لا تدعى **قوله** ينتدي فيه القوم اي يجتمع ومنه دار الندوة بمكة وكانوا يجتمعون فيها
للتشاور ولا يسمى المكان ناديا حتى يكون فيه اهله **قوله** وهو في الاصل الشرط وهو جمع شرطة
بالسكون والحركة وهم خيار جند واول كتيبة تحضر الحرب وفي الصحاح الشرط بالتحريك العلامة
واشراط الساعة علاماتها واشرط من ابله وغنمه اذا اعد منها شيئا للبيع واشرط
فلان نفسه لامر كذا اي اعلمها واعدها له ومنه سمي الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة
يعرفون بها الواحد شرطة وشرطي وقيل سموا شرطا لانهم اعدوا انتهى **قوله** او زبني
على النسب اي على انه بناء للنسبة الى الزبن وهو الدفع وجمع على زبانية ثم غير هذا اللفظ
الى زبانية بان عوضت تاء التأنيث من احدى اليائين بعد حذفها كالاشاعثة في جمع
اشعثي والمهالبة في مهلبي الا ان التعويض في زبانية ظاهر وفي الاشاعثة معنوي وبالجملة
فالمراد بالزبانية ملائكة العذاب وهم الملائكة الغلاظ الشداد وقال مقاتل هم خزنة جهنم
ارجلهم في الارض ورؤسهم في السماء سموا زبانية لانهم يزبنون الكفار اي يدفعونهم في
جهنم وفي الآية قولان الاول انه فليفعل ما ذكره من دعوة اهل ناديه وانصاره والمستعين
بهم في مناصبة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لو فعل ذلك فنحن ندعو الزبانية الذين لا طاقة لاهل
ناديه وقومه بهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته الزبانية من ساعته عيانا وقيل
بل هذا اخبار بان الزبانية يجرونه في الآخرة الى النار والقول الثاني ان في الآية تقديما و
تأخيرا اي لنسفعا بالناصية وسندعو الزبانية في الآخرة فليدع هو ناديه حين فليمنعوه و
حذف الواو من سندع في الامام اتباعا للخط باللفظ فان الواو لما سقطت في اللفظ لاجتماع
الساكنين سقطت في الخط ايضا اتباعا وكلمة ما في قوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون
العبد لربه اذا سجد مصدرية واقرب مبتدأ حذف خبره ويكون من كان التامة اي اقرب
وجود العبد الى ربه حاصل وقت سجوده فانه قد تقرر في النحو انه يجب حذف خبر المبتدأ اذا كان
المبتدأ افعل التفضيل مضافا الى المصدر المذكور بعده الحال او الظرف مثل اكثر شربي
السويق ملتوتا واخطب ما يكون الامير قائما والظرف في معنى الحال واورد الحديث ليبين
ان المراد بقوله واقترب وابتغ قرب المنزلة من ربك وقيل المعنى واسجد يا محمد واقترب يا ابا
جهل حتى تبصر ما ينالك من اخذ الزبانية اياك

سورة القدر مختلف فيها

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم قوله شهادة له بالنباهة اي بالشهرة
في رفعة القدر وكمال الشرف التي تقوم مقام تصريحه باسمه في ارجاع الضمير اليه يقال شيء
نبه ونبيه اي مشهور ونبه الرجل بالضم نباهة اي شرف واشتهر قوله وانزاله فيها جواب
عما يقال القرآن لم ينزل جملة في وقت واحد بل انزل منجما متفرقا في زمان ممتد بين اوله وآخره
ثلث وعشرون سنة فما وجه قوله انا انزلناه في ليلة القدر كذا واجاب عنه بثلثة اوجه
الاول ان المراد ابتدأنا بانزاله على طريق التنجيم والتفصيل في ليلة القدر بناء على ان البعثة
في رمضان والثاني ان السؤال انما يرد ان لو كان المراد انزاله الى الارض والى الرسول صلى الله
عليه وسلم فانه الذي كان منجما في ثلث وعشرين سنة وليس المراد ذلك بل المراد ما روي عن ابن
عباس رض ان جبريل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا
واملاه جبريل على السفرة ثم كان جبريل ينزله على النبي عليهما الصلوة والسلام منجما مفرقا على حسب
المصالح والسفرة جمع سافر بمعنى كاتب من السفر وهو الكتبة والسفرة الكرام البررة هم الملائكة
في السماء الدنيا والثالث ان السؤال انما يرد ان لو كان ليلة القدر ظرفا للانزال على معنى ان الانزال
وقع في ذلك الزمان المعين وليس كذلك بل المعنى انزلناه في فضل ليلة القدر وبيان شرفها وقدرها
وهذا المعنى لا ينافي كون الانزال متفرقا في ثلث وعشرين سنة فان قيل ينبغي ان يقال على الوجه
الثاني انزلناه الى السماء الدنيا لان اطلاقه يوهم الانزال الى الارض والى الرسول قلنا انما اجمل
لان انزاله الى السماء الدنيا بمنزلة انزاله الى الارض من حيث انه تع اذا شرع في امر يتمه لا
محالة ومن حيث ان السماء الدنيا كالمشترك بيننا وبين الملائكة السفرة لانها لهم مسكن ولنا
سقف وزينة فانزال القرآن هناك كانزاله ههنا قوله وهي في اوتار العشر الاخير من رمضان
الجمهور على انها باقية متكررة في كل سنة مختصة برمضان لقوله تع شهر رمضان الذي انزل فيه
القرآن مع قوله انا انزلناه في ليلة القدر فانهما يستلزمان ان تكون ليلة القدر في رمضان والا لزم
التناقض ثم اختلفوا في تعيينها على ثمانية اقوال فقيل هي الليلة الاولى من رمضان وقيل هي الليلة
السابعة عشر منه وقيل التاسعة عشر منه وقيل الحادية والعشرون وقيل الثالثة والعشرون
وقيل الرابعة والعشرون وقيل الخامسة والعشرون وقال ابي بن كعب وجماعة من الصحابة
السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون والذي عليه معظم العلماء انها الليلة السابعة
والعشرون وذكروا فيه امارات ضعيفة احدها حديث ابن عباس رض ان السورة ثلثون
كلمة وقوله هي هي السابعة والعشرون منها ومنها ما نقل ايضا عن ابن عباس رض انه قال ليلة
القدر تسعة احرف وهو مذكور في هذه السورة ثلث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها
انه

وقيل انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لما قال الخليل ان فضلها لنزول القرآن وقد انقطعت وكانت مرة منه

ومنها انه كان لعثمان بن ابي العاص غلام فقال يا مولاي ان البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر
قال اذا كانت تلك الليلة فاعلمني فاذا هي السابعة والعشرون من رمضان روي الحسن عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في ليلة القدر من اماراتها انها ليلة بلجة سمحة لا باردة ولا حارة
تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع يقال بلجت نفسه اي اطمأنت فقوله لا باردة ولا حارة بيان
لما قبله وقال عبيد بن عمير كنت في ليلة السابع والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته
عذبا سلسا ومن قال انها هي الليلة الاخيرة من رمضان استدل بقوله صلى الله عليه وسلم ان
الله تع اعتق في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار الف الف عتيق من النار كلهم
استوجبوا العذاب فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان اعتق الله تع في تلك الليلة بعدد
من اعتق من اول الشهر الى آخره ولان الليلة الاولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة
الاخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وقد علمت فرق ما بين الشكر والصبر فان
الشاكر مع المزيد لقوله تع ولئن شكرتم لازيدنكم والصابر مع الله لقوله تع ان الله مع الصابرين
قوله والداعي الى اخفائها ان يحيى من يريدها الليالي الكثيرة كما اخفى رضاه في الطاعات حتى يرغبوا
في الكل واخفى غضبه في المعاصي ليحترزوا عن كل المعاصي واخفى وليه فيما بين الناس حتى يعظموا
الكل واخفى المستجاب من الدعوات ليدعوه بكلها واخفى الاسم الاعظم ليعظموا كل الاسماء
واخفى الصلوة الوسطى ليحافظوا على كل الصلوات واخفى وقت الموت ليكون المكلف على احتياط
في جميع الاوقات قوله وتسميتها بذلك لشرفها على ان القدر بمعنى المنزلة والشرف نقل عن
الزهري انه قال ليلة القدر بمعنى ليلة العظمة والشرف من قولهم لفلان قدر عند فلان اي
منزلة وشرف ويدل على هذا الوجه قوله ليلة القدر خير من الف شهر ثم ان القدر والشرف
يحتمل ان يرجع الى العامل فيها على معنى ان من اتى فيها بالطاعة صار ذا قدر وشرف ويحتمل ان
يرجع الى نفس العمل على معنى ان الطاعة الواقعة في تلك الليلة لها قدر وشرف زائد قوله
او لتقدير الامور فيها عن الواحدي ان القدر في اللغة بمعنى التقدير وهو جعل الشيء على مقدار
غيره من غير زيادة ولا نقصان وقال سميت بها لانها ليلة تقدير الامور والاحكام عن ابن
عباس رض ان الله تع قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق واحياء واماتة الى
مثل هذه الليلة من السنة الآتية ويسلمه الى مدبرات الامور من الملائكة وهم اسرافيل و
ميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام ونظيره قوله تع فيها يفرق كل امر حكيم واعلم ان
تقدير الله تع لا يحدث في تلك الليلة فانه تع قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل
بل المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة بان يكتبها في اللوح المحفوظ وهذا القول

وفي الحديث ليلة القدر بلجة اي مشرقة والبلجة بالضم والفتح ضوء الصبح صحاح

وكما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى وقت نبا من الساعة ليجتهدوا في الطاعات في كل الاوقات

اختيار عامة العلماء وعن ابي بكر الوراق رح سميت ليلة القدر لانه نزل فيها كتاب ذو قدر على
لسان ملك ذي قدر على امة لها قدر ولعله تعالى انما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلث مرات لهذا
السبب وقال الخليل رح سميت ليلة القدر اي ليلة الضيق لان الارض تضيق فيها بالملائكة فالقدر
بمعنى الضيق كما في قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه **قوله** وذكر الالف اما للتكثير فان العرب تذكر الالف
ولا تريد حقيقتها وانما تريد المبالغة في الكثرة كما في قوله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة بمعنى جميع
الدهر او لما روي عن مجاهد رح انه قال كان في بني اسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد
حتى يمسي فعل ذلك الف شهر فتعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون من ذلك فانزل الله تعالى هذه
الاية لبيان ان ليلة القدر لامتك خير من الف شهر لذلك الاسرائيلي الذي حمل السلاح الف شهر
وهي ثلثة وثمانون سنة واربعة اشهر واصل انا انا حذفت احدى النونات كراهة اجتماع
الامثال **قوله** وما ادريك ما ليلة القدر اي واي شيء اعلمك ما هي اي انك لا تعلم كنهها ولم تبلغ درايتك
غاية فضلها ومنتهى علو قدرها فانها اعظم من ان تبلغ دراية احد وما مبتداء وادريك خبره وما
في قوله ما ليلة القدر مبتداء ثان وليلة القدر خبره ومحل الجملة النصب على انه مفعول ثان لادري و
مفعوله الاول الكاف وادرى مع معموله خبر ما الاولى كما مر ثم بين فضيلة تلك الليلة من ثلثة اوجه
الاول قوله ليلة القدر خير من الف شهر والثاني من فضائل هذه الليلة قوله تعالى تنزل الملائكة
والروح فيها والوجه الثالث من فضائلها قوله سلام هي حتى مطلع الفجر **قوله** وتنزلهم الى الارض
وهو الاظهر لان الاحاديث دلت على ان الملائكة ينزلون ساير الايام الى مجالس الذكر والدين
فلان يحصل ذلك في هذه الليلة مع علو شانها اولى ولان مطلق النزول لا يفهم منه الا النزول من
السماء الى الارض وقيل ان الملائكة ينزلون باسرهم الى السماء الدنيا في ليلة القدر فان قيل
ان الملائكة لهم كثرة عظيمة لا يحتمل الارض كلهم وكذا السماء فانها مملوة بحيث لا يوجد فيها موضع
قدم الا وفيه ملك فكيف يسع الجميع سماء واحدة قال صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع او قائم قلنا اذا وقع التعارض بين الكتاب
وخبر الواحد نقضها بدل على الكتاب مع انه لا تعارض ههنا لما روي انهم ينزلون فوجا فوجا فمن
نازل وصاعد كاهل الحج فانهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك باسرهم لكن الناس
بين داخل وخارج ولهذا السبب مده الى غاية طلوع الفجر ولذلك ايضا ذكر لفظ تنزل الذي يفيد
التدريج والمدة بعد المدة ثم من قال بانهم ينزلون الى الارض اختلفوا في سبب نزولهم على وجوه
فقال بعضهم انه تعالى وعد في الاخرة بان الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليهم ثم قال
انك لو شغلت في الدنيا بعبادتي لتنزل الملائكة حتى يدخلوا عليكم للتسليم والزيارة فان نظر الملائكة

الى

على معنى بان العبادة فيها خير من عبادة الف شهر ليس فيها هذه الليلة كما المستجيل ان يقال انها خير من الف شهر فيها هذه الليلة

الى الارواح ونظر البشر الى الاشباح فكما ان البشر اذا راوا صورة حسنة قبلوه ومالوا
اليه فلذلك الملائكة لما راوا انفسكم وحكي صورة حسنة وهي معرفة الله وطاعته احبوك ورغبوا
في زيارتكم وتمنوا اللقاء لكن كانوا ينتظرون الاذن كما قالوا وما نتنزل الا بامر ربك وقال تعالى
في هذه الاية باذن ربهم فانه يدل على انهم استاذنوا اولا فاذنوا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انهم ينزلون ليسلموا علينا وليشفعوا لنا فمن اصابته التسليمة غفر له ذنبه وقيل ان الله تعالى
جعل فضيلة هذه الليلة في الاشتغال بطاعته في الارض فهم ينزلون الى الارض لتصير
طاعاتهم اكثر ثوابا كما ان الرجل يذهب الى مكة لتصير طاعته هناك اكثر ثوابا فيكون المقصود
من الاخبار بنزولهم فيها ترغيب الانسان في الطاعة ومن الناس من خص لفظ الملائكة
ببعض فرق الملائكة وهم سكان سدرة المنتهى وعن كعب ان سدرة المنتهى فيها ملائكة لا يعلم
عددهم الا الله يعبدون الله تعالى ومقام جبرئيل في وسطها ليس فيها ملك الا وقد اعطي الرافة
والرحمة للمؤمنين ينزلون مع جبرئيل ليلة القدر فلا يبقى بقعة من الارض الا وعليها ملك ساجد
او قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبرئيل عليه السلام لا يدع واحدا من الناس الا صافحهم
وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبرئيل من قال
في تلك الليلة ثلث مرات لا اله الا الله غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وادخله الجنة
بواحدة وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر ينزل الملائكة الذين هم سكان
سدرة المنتهى وفيهم جبرئيل ومعه الوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء
في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع مؤمنا ولا مؤمنة الا سلم عليه الا مدمن الخمر
او اكل الربوا او اكل لحم الخنزير او المتضمخ بالزعفران واول من يصعد الى السماء جبرئيل حتى
يصير امام الشمس فيبسط جناحيه اخضرين لا ينشرهما الا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم
ای المتلطخ
يدعو ملكا ملكا فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبرئيل فيقيم جبرئيل ومن معه من الملائكة
بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشتغلين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين و
لمن صام رمضان ايمانا واحتسابا فاذا امسوا دخلوا السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا
فيجتمع اليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امراة امراة حتى يقولون ما فعل فلان
وكيف وجدتموه فيقولون وجدناه في العام الاول متعبدا وفي هذا العام مبتدعا وفلان كان
في العام الاول مبتدعا وفي هذا العام متعبدا فيكفون عن الدعاء للاول ويشتغلون الدعاء
للثاني ويقولون وجدنا فلانا تاليا وفلانا راكعا وفلانا ساجدا انهم كذلك من ليلتهم حتى يصعدوا
الى السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا الى السدرة فيقول لهم السدرة يا سكاني

حتى تنحّوا عن الناس فإنّ لي عليكم حقًا وإنّي أحبّ من أحبّ الله فذكر كعب أنّهم يعدّون
لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة فتقول الجنة اللهم عجّلهم
إليّ والملائكة وأهل السدرة يقولون آمين آمين وذكروا في الروح أقوالًا أصحّها أنه ملك عظيم
لو التقم السموات والأرضين كانت لقمة واحدة وفي التيسير وينزل الروح في تلك الليلة وهو
ملك من تحت العرش ورجلاه في تخوم الثرى السابعة ورأسه تحت العرش وله ألف رأس
أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبّح الله
بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى فإذا فتح أفواهه
بالتسبيح خرّت ملائكة أهل سبع سموات سجّدًا مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبّح الله غدوة
وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بتلك
الأفواه كلها إلى طلوع الفجر وقيل إنه طائفة من الملائكة لا يراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهّاد
الذين لا تراهم إلا يوم العيد وقيل إنه خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة
ولا من الإنس ولعلهم خدم أهل الجنة وقيل يحتمل أنه عيسى عليه الصلوة والسلام لأنّ
الروح اسمه ثم إنه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع أمة محمد عليه الصلوة والسلام وقيل إنه القرآن
لقوله وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا وقيل إنه الرحمة لما قرئ لا تيأسوا من روح الله
بالضم كأنه تعالى يقول الملائكة ينزلون ورحمتي تنزل في إثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة
الآخرة والأصحّ أنّ الروح ههنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة
في كفّة والروح في كفّة وقوله تعالى بإذن ربهم يدلّ على أنهم كانوا يرغبون إلينا ويشتاقون
فيستأذنون في النزول إلينا فيؤذن لهم فإن قيل كيف يرغبون إلينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا
قلنا لا يقفون على تفصيل المعاصي روي أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلّف مفصّلة
فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخي الستر فلا يرونها فيقولون سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح
ولأنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السموات أحدها أنّ الأغنياء
يجيئون بالطعام في بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء وهم يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون
الله وهذا النوع من الطاعة لا يوجد في السموات وثانيها أنهم يسمعون أنين العصاة وهو لا يوجد
في السموات وفي الحديث القدسي لأنين المذنبين أحبّ إليّ من زجل المسبّحين فيقولون
تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتًا هو أحبّ إلى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون أحبّ
وزجل المسبّحين إظهار لكمال حال المطيعين وأنين العصاة إظهار لغفارية ربّ العالمين
ويجوز أن يكون الروح في قوله والروح فيها مرفوعًا بالابتداء وفيها خبره والضمير المجرور في

والجملة في موضع الحال مما على تنزل

فيها للملائكة ويجوز أن يكون مرفوعًا بالفاعلية عطفًا على الملائكة وفيها متعلّق بتنزّل أو خبر
لليلة **قوله** من أجل كل أمر قدّر في تلك السنة من خير وشرّ أو بما فيه صلاح الخلق في دينه
ودنياه على أن يكون كل أمر ليفهم الدنيا والآخرة فإن قيل من فسّر الليلة المباركة في قوله
تعالى إنا أنزلناه في ليلة مباركة بليلة القدر لما فيها من البركة والمغفرة للمؤمنين يمكنه أن يفسّر
كل أمر بما قدّر في تلك السنة من الأرزاق والآجال ونحوهما إذ لا يلزمه المخالفة بين هذه الآية
وبين قوله فيها يفرق كل أمر حكيم ح وأما من فسّر الليلة المباركة بليلة النصف من شعبان
كما ذهب إليه الأكثرون فإنه يلزمه أن يقول إنّ تقدير الأعمال والأرزاق والآجال والمصائب
ونحوها يكون في ليلة النصف من شعبان لقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فإنّ ضمير فيها يرجع
إلى الليلة المباركة وقد فسّرت بليلة النصف فكيف يمكنه أن يفسّر كل أمر في هذه الآية بما
قدّر في تلك السنة فإنه يستلزم القول بأنّ تقدير المقادير يكون في ليلة النصف وفي ليلة القدر
قلنا يمكنه أيضًا بناء على أنّ ههنا ثلثة أشياء الأول نفس تقدير الأمور والأحكام أي تعيين
مقاديرها وأوقاتها وذلك في الأزل قبل أن يخلق السموات والأرض والثاني إظهار تلك المقادير
للملائكة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ وذلك يكون في ليلة النصف من شعبان وثالثها إثبات
تلك المقادير في نسخ وتسليم تلك النسخ إلى أربابها من المدبّرات فتدفع نسخة الأرزاق والنباتات
والأمطار إلى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والجنود والزلازل والصواعق والخسف إلى
جبريل ونسخة الأعمال إلى إسمعيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب إلى ملك الموت هذا ما حقّقه
من مواضع متعددة والله تعالى أعلم بحقيقة الحال وقيل يقدّر في ليلة القدر ما يتعلق بإعزاز
الدين وما فيه النفع العظيم للمسلمين وأما ليلة البراءة فيكتب فيها أسماء من يموت ويسلّم
إلى ملك الموت **قوله** ما هي إلا سلامة إشارة إلى أنّ قوله هي مبتدأ وسلام خبره ومعناه السلامة
وقدّم الخبر ليفيد الحصر كما في نحو تميمي أنا أي لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات
كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في هذه الليلة إنما هو سلامة
ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوء وفي الحديث أنّ الشيطان لا يخرج في هذه الليلة
حتى يضيء فجرها ولا يستطيع أن يصيب أحدًا بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ
فيه سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها مع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة
في اشتمالها عليها كما يقال إنما فلان حجّ وغزو والمراد أنه أبدًا مشغول بهما ثم أشار إلى
احتمال أن يكون السلام بمعنى التسليم قال الجوهري السلام السلامة والسلام الاسم من
التسليم والمعنى أن ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر أو إلى وقت طلوعه سلام

اي يسلم فيها الملائكة على المطيعين فان الملائكة ينزلون فوجا فوجا من ابتداء الليل الى
طلوع الفجر لترادف النزول وكثرة السلام وتتابعها وصفت الليلة بانها سلام مع ان ازمان
التسليم لا تنفيه الا انه لكثرة وقوعه فيها صارت كانها نفس التسليم فوصفت به كما يقال رجل
عدل او الخليل عليه الصلوة والسلام لما سلم عليه سبعة من الملائكة صار نار نمرود بردا وسلاما
عليه ولا يبعد ان تكون نار الله الموقدة ببركة تسليم الملائكة على المؤمن بردا وسلاما حتى
تقول لهم جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي لكن ضيافة الخليل لهم كانت عجلا مشويا وهم
يريدون منا قليا مشويا **قوله** على انه كالمرجع في انه مصدر ميمي جاء على خلاف القياس فان
قياس المصدر الميمي من الثلاثي ان يجيء على مفعل بفتح العين وكذا اذا كان المطلع بكسر اللام اسم
زمان الطلوع يكون على خلاف القياس فان قياس اسم الزمان من يفعل ويفعل بفتح العين
او ضمها ان يكون على مفعل بفتح العين فظهر ان مطلع الفجر بكسر اللام مخالف للقياس سواء
حمل على المصدر او على اسم الزمان ولا يجوز ان يكون المطلع بمعنى موضع الطلوع اذ لا معنى له هنا
وفي الكشف ان السلام بمعنى الفاعل بمعنى مسلمة سواء كان بمعنى التسليم او السلامة ولا بد من
هذا التقدير ليصح ان تكون حتى غاية له لانه اذا حمل على المصدر لم يجز تعلق حتى به لانه يستلزم
الفصل بين الصلة والموصول بالمبتدأ الذي هو قوله هي وذكر لا يجوز وقيل جاز ان تتعلق
الغاية بتنزل وفيه نظر لان جملة سلام هي فصلت بين العامل والمعمول وهي اجنبية عنهما
الا ان يقال انها في موضع الحال من الضمير المجرور في قوله فيها اي تنزل الملائكة والروح فيها ذات
سلامة او سلام فلا تكون اجنبية عن العامل وفائدة الغاية تعميم السلام او السلامة على
التقدير بين كل الليلة وقيل تم الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدئ فقيل من كل امر سلام هي
اي هي سلامة من كل امر يخوف من بلاء وآفة وكيد شيطان ثم قال حتى مطلع الفجر اي ذلك الى طلوع
الفجر

سورة لم يكن مختلف فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى بيان لوجه توصيف الله تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل
بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وذكر ان طريق الكفر غير منحصر في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل
قد يكون به كتكفير اليهود بتكذيب عيسى عليه الصلوة والسلام وانكار دينه وقد يكون بانكار حكم
من احكام اصل الدين والعدول به عن الحق ككفر النصارى قبل بعثة رسولنا صلى الله عليه
وسلم بالالحاد في صفات الله تعالى والعدول بها عن الصواب كما قالوا في صفة العلم انها اقنوم
من الاقانيم الثلثة انتقل الى بدن عيسى ونحو ذلك **قوله تعالى** منفكين عما كانوا عليه من دينهم
فان قيل كيف يصح ان يفسر قوله تعالى منفكين بالانتهاء عن الكفر الذي كانوا عليه حتى يكون

معنى الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول وانهم
يقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول وانفكوا عنه الى الايمان واتباع
الحق الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وذكر لان كلمة حتى لانتهاء الغاية فيقتضي ان يكون الحال
بعد الغاية مخالفة للتي كانت قبلها وقوله بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول عليه الصلوة والسلام ولا يخفى ان
هذا المقتضى مناقض لمقتضى الاية الاولى بالتفسير المذكور وهذه المناقضة انما لزمت
من ذلك التفسير فيكون ذلك التفسير محالا او باطلا وجوابه ما اشار اليه صاحب الكشاف بحمل
الاية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولونه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لا
ننفك عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية
والانجيل وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله واصحابه اجمعين فاذا بعث نتفق على
تصديقه ونجتمع على قبول دينه والدخول فيه **قوله** وما تفرقوا الا من بعد بعثته الزام عليهم
بعد حكاية زعمهم الباطل وكلامهم الزائغ على سبيل التوبيخ والتعيير اي كانوا يعدون الاجتماع
على الحق وقت مجيئه ثم كان ثمرته انه ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيئه فاذا كانت
الآية الاولى من باب حكاية كلامهم لا اخبارا ابتدائيا منه تعالى عن حالهم وكانت الآية الثانية
وهي قوله وما تفرق الذين الى آخرها اخبارا عن الواقع ارتفع الاشكال لان محصول الآيتين ان
الذي وقع كان على خلاف ما وعدوا واما اذا فسرت الاية الاولى بان يقال لم يكونوا منفكين
من الوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول الموعود في التورية والانجيل فلا اشكال ولا جواب
قوله ومن للتبيين اذ ليس المقام مقام بيان حال بعض من كل واحد من الفريقين ليحمل من
على التبعيض كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لان الكفار كانوا جنسين احدهما
اهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى وكانوا كفارا بالحادهم في دينهم ما كفروا به كقولهم
عزير ابن الله والمسيح ابن الله وتحريفهم كتاب الله ودينه والثاني المشركون الذين كانوا
لا ينسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله الذين كفروا على الاجمال ثم اورد في ذكر الاجمال
بالتفصيل والتبيين وهو قوله تعالى من اهل الكتاب والمشركين وهو في محل النصب على انه حال من
الواو في كفروا اي كائنين منهم ومنفكين خبر كان من انفك الشيء اذا فارقه وانفصل عنه فالمعنى
ان قلوبهم ما خلت عن كفرهم الذي كانوا عليه الى وقت البعثة والبينة الحجة الظاهرة التي بها
يتميز الحق من الباطل وذكر في تعيين المراد بالبينة في هذه الاية احتمالات الاول انها الرسول
فانه صلى الله عليه وسلم رسول باعتبار ادائه الرسالة وتبليغه عن الله تعالى وجل دينه واضحة

على نبوته باعتبار استجماعه مكارم الاخلاق الحميدة المرضية وبلوغه في ذلك الى حد الاعجاز و
واقصى درجات الكمال بحيث الجم الحكماء المهذبين وعجزهم عن ان يتشبهوا به في شيء من
مكارم اخلاقه والثاني انها هي القران والثالث ان المراد مطلق معجزاته صلى الله عليه وسلم وكون
كل واحد منها حجة واضحة على نبوته ظاهر من حيث ان كل واحد منهم يفحم من هو بصدد المعارضة
ويعجزه عن ان ياتي بما يدينه قوله بالفحامه من تحدى به اي باسكاته من طلب منه ان ياتي بمثل
ما اتى به من شواهد نبوته يقال افحم الخصم بفتح الحاء فيهما نحو ما وفحاما اذا بكته حتى ينقطع
صوته وكلمته حجة افحمته اي اسكته في خصومة وغيرها ويقال تحديت فلانا اذا باريته وعارضته
في فعله ونازعته الغلبة قوله بدل من البينة بنفسه اي من غير مضاف فيكون بدل الكل وهذا
على تقدير ان يراد بالبينة الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم قوله او بتقدير مضاف مثل وحي رسول
او كتابه على تقدير ان يراد المراد بالبينة القران او معجزة رسول من الله على تقدير ان يكون
المراد بها المعجزة وعلى التقادير يكون من قبيل بدل الكل ويكون قوله يتلو صحفا صفة رسول
وان جعل رسول ابتداء مخصصا بقوله من الله يكون قوله يتلو صحفا خبره وان جعل مخصصا
بقوله يتلو صحفا يكون قوله من الله في موضع النصب على الحال اما من صحفا او من المنوي في مطهرة
ويكون خبر المبتداء محذوفا والتقدير رسول يتلو صحفا مطهرة كائنة من الله كفى بينة او عظم
او جل او وضح بينة وقوله فيها كتب قيمة مبتداء وخبر والجملة في محل النصب على انها صفة
لقوله صحفا قوله والرسول وان كان اميا جواب لما يقال كيف نسب تلاوة الصحف المطهرة
الى الرسول مع انه كان اميا لا يكتب ولا يقراء عن كتاب وانما يقراء ما اوحي اليه عن ظهر
القلب وتوضيح الجواب انه صلى الله عليه وسلم وان كان اميا يتلو ما اوحي اليه عن ظهر القلب
الا ان متلوه الذي هو القران لما كان مصدقا للصحف الاولين مطابقا لها في اصول الشرائع
والاحكام صار متلوه كانه هو صحف الاولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازا والصحف
جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله فلذلك فسره الزمخشري بقوله قراطيس ونقل عن الراغب
ان الصحيفة اسم للمبسوط من الشيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي يكتب فيها وجمعها صحائف
وصحف وقيل المراد بالرسول هو جبريل عليه السلام فلا اشكال في نسبة تلاوة الصحف اليه لانه
ليس اميا قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه وهو كونهم غير منفكين عن
كفرهم بل ثابتين مستمرين متفقين على ما كانوا عليه من دينهم الى وقت مجيء الرسول وفارقوا
عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان تفرقوا فرقا بان صار البعض منهم مؤمنا وبقي الباقون
على الضلال القديم او بان تردد وتشكك وتحير في دينه ومعتقده الاول وفي ساير الاديان بعدما

ولعل عدم تعرضه لكون
رسول خبر مبتداء محذوف
اي هي رسول لظهوره
لان ما يجوز كونه بدلا يجوز
كونه خبر محذوف تأمل سلمه

اي ما كانوا افترقوا حال كونهم
متجاوزين منفصلين من
الاتفاق عن كفرهم
سلمه

ما كان كل فريق جازما بدينه معتقدا انه حقية فاليهود في يهوديته وكذا النصراني وعبدة
الاوثان وبقي الباقون على كونهم جازمين بكفرهم القديم واشار المص بتفسير هذه الآية على
هذا الوجه الى دفع ما يتوهم من التناقض بينها وبين الآية الاولى كما ذكرناه في اثناء بيان
ما يتعلق بها كانه استبعد ما ذهب اليه صاحب الكشاف من حمل الاية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى
لما كانوا يقولون قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بناء على انه خلاف الظاهر اذ الظاهر انها اخبار
من الله عن حالهم ووجه الدفع ان مقتضى كلمة حتى ان يكون بعد تحقق مضمون مدخولها بخلاف
ما كان قبل ذلك وهذه المخالفة حاصلة على هذا التفسير من غير احتياج الى حمل الاية الاولى
على الحكاية فان الحكم المغيا بالبعثة هو بقاء الجميع على الكفر الذي كانوا عليه وعدم انفكاكهم
عنه فاذا تفرقوا بعد البعثة بان آمن بعضهم او تردد في دينه فقد تحقق مقتضى كلمة حتى
من غير لزوم التناقض بين الآيتين لله دره ما اوجز كلامه واخفى رموزه واشار اليه
قوله او عن وعدهم او ما تفرقوا عن وعدهم بان الرسول الموعود اذا بعث يجتمع على
نصرته واتباع دينه بسبب ان اخلفوا الوعد واصروا على الكفر القديم قوله فيكون كقوله
وكانوا من قبل الآية تفريع على الوجه الثاني ووجه المشابهة بين الآيتين اشتراكهما في كونهما
مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره قبل ان من استفتح به صلى الله عليه وسلم
اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته عند ربه بان يقول اللهم انصرنا عليهم بحرمة
نبيك الذي وعدتنا ببعثته ثم انه صلى الله عليه وسلم لما بعث كفر به لا شك انه كفر بمن صدقه
قبل وكذا الكفر من وعد بانه صلى الله عليه وسلم اذا بعث يتفق على نصرته ثم كفر حين بعثه
قوله للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى يعني ان المقصود
من قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب توبيخهم على التفرق وتعييرهم بذلك وانكار لفعلهم
واهل الكتاب اولى واحق بهذا التعيير والتوبيخ لانهم كانوا عالمين به وبحقية امره لوجود نعته
وصفاته في كتبهم فلذلك خصهم بالذكر فان جحود العالم قبيح واشنع من انكار الجاهل مع
ان تفرق المشركين يفهم من التنصيص على تفرق اهل الكتاب بالطريق الاولى لانهم اذا
تفرقوا مع علمهم كان غير العالم بامره اولى بالتفرق قوله اي في كتبهم بما فيها كل واحد من
حرفي الجر متعلق بامروا والوجه في تقدير كل واحد من الظرفين لا يظهر الا بنقل كلام الامام
بعبارته وهو قوله في قوله تعالى وما امروا وجهان احدهما ان يكون المراد وما امروا في التورية
والانجيل الا بالدين الحنيفي فيكون المراد انهم كانوا مامورين بذلك الا انه تعالى اتبعه بقوله
وذلك دين القيمة على ان ذلك الحكم كما انه كان مشروعا في حقهم فهو مشروع في حقنا وثانيها

ان يكون المراد وما امر اهل الكتاب على لسان محمد صلى الله عليه وسلم الا بهذه الاشياء وهذا
اولى لثلثة اوجه احدها ان الاية على هذا التقدير يفيد شرعا جديدا وحمل كلام الله على ما
يكون اكثر فائدة اولى وثانيها وهو ان ذكر محمد صلى الله عليه وسلم قد تقدم ههنا وهو قوله حتى تاتيهم
البينة وذكر ساير الانبياء عليهم الصلوة والسلام لم يتقدم وثالثها انه تعالى ختم الاية بقوله
وذلك دين القيمة فحكم بان ما هو متعلق بهذه الآية دين قيم فوجب ان يكون شرعا في حقنا سواء
قلنا بانه شرع من قبلنا او شرع جديد اختص به نبينا صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه المتعلق بان
المراد بالامر هل هو الامر الوارد عليهم بالسنة انبيائهم او الامر الوارد بلسان نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم الا ان المص اختار خلاف ما اختاره الامام من الوجهين لما لا يخفى
من ضعف كل واحد من الوجوه الثلثة التي ذكرها لبيان اولوية ما اختاره وقال الامام في
قوله الا ليعبدوا الله ان هذه اللام لام الغرض والمعتزلة لما كانوا يوجبون تعليل افعال الله
واحكامه بالاغراض لا جرم اجروا الآية على ظاهرها فقالوا معنى الآية وما امروا بشيء الا
لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة واهل السنة لما احالوا ان يكون فعل من افعال الله
لغرض بناء على ان من فعل فعلا لغرض فهو ناقص في ذاته مستكمل بذلك الغرض تعالى الله عن
ذلك لم يكن لهم حمل هذه الاية على ظاهرها فاضطروا الى تاويلها فان جعلوا اللام صلة واضمروا
بعدها ان الناصبة والتقدير وما امروا الا ان يعبدوا وعن ابن مسعود رض انه قرأه كذلك
قال الفراء العرب يجعل اللام في موضع ان في الامر والارادة كثيرا اما في الارادة يريد الله
ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفئوا نور الله وقال في الامر وامرنا لنسلم اي ان نسلم و
المص خالفه ايضا في الالتجاء الى التاويل المذكور وحمل الاية على ظاهرها حيث قدر قوله بما فيها
ليكون المعنى وما امروا بما في كتبهم لشيء من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله بالاخلاص على
ان يكون الاستثناء من اعم العام ولم يجعلها على معنى وما امروا بشيء الا بان يعبدوا الله ،،
بالاخلاص حتى يكون المأمور به مذكورا صريحا لكونه خلاف الظاهر من حيث استلزامه لان يجعل
اللام صلة واضمار ان الناصبة والباء الجارة قبلها وكل ذلك خلاف الظاهر وليدل الكلام على
انهم انما امروا في كتبهم بما امروا لاجل عبادة الله بالاخلاص ليكون اشارة الى ان الحكمة
الاصلية في جميع ما يؤمرون به هو العبادة بالاخلاص ليكون تحريضا لهم على تحصيل هذه
الحكمة وتوبيخا لهم على تنكيس امرهم فان اتفاق ما معهم من الكتاب وهذا القران المجيد على دين
التوحيد واخلاص العبادة له تعالى يوجب الاجتماع على قبوله والتدين بدينه والتجنب
عن مخالفته والتفرق عنه وهم قد عكسوا الامر وتركوا طاعته وامتثال حكمه وامره على ان

ان من اليهود من قال عزير ابن الله ومن النصارى من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه و
منهم من قال ثالث ثلثة وعامة اليهود مشبهة والكل شرك مخالف للتوحيد ومناف للاخلاص
العبادة له تعالى فعلى هذا الاحتمال يكون الشرك من اوصاف اهل الكتاب وعطف قوله والمشركين
في اول السورة من قبيل عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الذات فان قيل كيف يتأتى للمص
حمل اللام على ظاهرها ويجعل فعل الله تعالى معللا بالغرض وهو لا يقول به قلنا فعله تعالى وان لم
يكن معللا بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكمة المترتبة على الفعل
تشبيها لها في ترتبها على الفعل بحسب الوجود **قوله** مخلصين حال من الفاعل في ليعبدوا
وكذا حنفاء حال اخرى على قول من جوز حالين من ذي حال واحد ومن المتوالي في
مخلصين على قول من لم يجوز ذلك وفي حصر علة كونهم مامورين بما في كتبهم في عبادة الله
بالاخلاص حيث قيل وما امروا الا لاجل ان يعبدوا الله اي لان يتذللوا ويعظموه غاية
التذلل والتعظيم ولا يطلبوا في امتثال ما كلفوا به شيئا اخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب
الجنة والخلاص من النار دليل على ما ذهب اليه اهل السنة من ان العبادة ما وجبت لكونها
مفضية الى ثواب الجنة او الى البعد والنجاة عن عذاب النار بل لاجل انك عبد وهو رب
فلو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب البتة ثم امرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية
ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه ايضا اشارة الى انه من عبد الله للثواب والعقاب
فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة ونعم ما قيل من آثر العرفان للعرفان
فقد قال بالثاني ومن آثر العرفان لا للعرفان بل للمعروف فقد خاض لجة الوصول والعبادة
هي التذلل ومنه طريق معبد اي مذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان جماعة ،،
عبدوا الملائكة والمسيح والاصنام ولكن في الشرع صارت اسما لكل طاعة لله اديت
له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها الا من يكون واحدا
في صفاته الذاتية والفعلية فان كان له مثل لم يمكن ان يصرف اليه نهاية التعظيم فثبت
بما قلنا انه لابد في كون الفعل عبادة من شيئين احدهما غاية التعظيم ولذلك قيل ان صلوة
الصبي ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وثانيهما ان يكون
مأمورا به ففعل اليهود ليست بعبادة وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مأمور به فاذا لم
يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الامر فكيف يكون ركوع الناقص
عبادة والحال انه لا امر به ولا تعظيم فيه وهذه نكتة تتعلق بالموعظة والاخلاص ان
تأتي بالفعل خالصا لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء الى ذلك

مخلصين وفيه ان انتصابها حالا على انها حال مقدرة لان الاخلاص من افعال القلب يحصل في اثنائه

عما زعم البعض ان الفعل الابتناء بالتعظيم للاسم على سبيل ... سلا

بعزمه على طلب لان الكافر ليس بمخاطب الايمان به لحسن النية في الدين صح لهم ... سلا

النفل فكانه عز يقول عبدي لا تسع في اكثار الطاعة بل في اخلاصها لاني ما بذلت
كل مقدوري لك حتى اطلب منك كل مقدورك بل بذلت البعض فاطلب البعض اطلب
منك شطرا من عشرين من الذهب وشاة من الاربعين لكن القدر الذي فعلته لم ارد بفعله
سواك هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فلا ترد بطاعتك سواي واجعل جميع تفعله لاجلي
وهو قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وجعل جميع ما ياتيه من الطاعات
خالصا لوجهه ينافي ان يستتبع شيئا منها لنفسه كان يطلب به الجنة او النجاة من النار
وان كان لا بد من ذلك وكالمباح الذي لو وجد منه في الصلوة كالحكة والتنحنح فان ذلك حظ
استاه لنفسه فانتفى به الاخلاص فكيف اذا استتبع شيئا منها الغير مثلا ان يريد به الرياء
والسمعة حتى قالوا لو زاد في العبادة عبادة اخرى لاجل الغير مثلا ان يزيد في خشوع
الصلوة لان الناس يرونه ينافي الاخلاص وكذا لا يجوز دفع الزكوة الى الوالدين
والمولودين ولا العبد ولا الاماء لانتفاء الاخلاص فاذا كان طلب صلة الوالدين
والاولاد منضما الى نية اصل القربة منافيا للاخلاص فكيف يبقى الاخلاص اذا انضم اليها
طلب حظ نفسك وقضاء شهوتك **قوله** مائلين عن العقائد الزائغة اشارة الى ان
اصل الحنف الميل والانقلاب والاحنف الذي اقبلت احدى ابهاميه رجليه على الاخرى
وعن ابن زيد الحنف انقلاب ظهر القدم حتى يصير بطنا فالاحنف هو الذي يمشي على ظهر
قدميه من شقها الذي يلي خنصرها وقال الامام وقيل المراد من قوله حنفاء اي مستقيمين و
الحنف هو الاستقامة وانما سمي مائل القدم احنف على سبيل التفاؤل كقولك للاعمى بصير
وللمهلكة مفازة انتهى والمص جمع في تفسير مفهوم الحنف معنى الميل والاستقامة لان الميل
عن العقائد الزائغة انما يكون بالاستقامة فيها **قوله** دين الملة القيمة قيل لا بد من
هذا التقدير لانه اذا لم يحمل على هذا كان من قبيل اضافة الموصوف الى الصفة بمنزلة اضافة
الشيء الى نفسه كما في نحو صلوة الاولى ومسجد الجامع فان تقديرهما صلوة الساعة الاولى ومسجد الوقت
الجامع فحذف المضاف اليه واقيمت الصفة مقامه والملة والدين متحدان بالذات متغايران بالاعتبار
فان الشريعة المبلغة الى الامة بتبليغ الرسول اياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار انها تمل
وتملى ودينا باعتبار انها تطاع فان الدين الطاعة يقال دان له اي اطاعه والدين ايضا
العادة والشان وايضا الجزاء والمكافاة يقال دانه دينا اي جازاه ولهذه المغايرة الاعتبارية
بينهما جاز اضافة احدهما الى الاخر وعن الراغب ان الدين اعم من الاسلام لانه يستعمل
في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق قال ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ
غير

غير الاسلام دينا فلن يقبل منه انتهى وهو لا ينافي اتحاد الدين والملة بالذات غايته
ان يكون الملة ايضا اعم من الاسلام والمراد من القيمة اما المستقيمة او القائمة قال
الزجاج القيمة المستقيمة التي لا عوج فيها يبين الحق من الباطل من قام يقوم اصله
قيومة فادغم كما في سيد وهو كقولهم قام الدليل على كذا اذا ظهر واستقام وعن الخليل
ان القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الاية وذلك دين القائمين لله بالتوحيد و
عن الراغب ان القيمة ههنا اسم للامة القائمة بالقسط المشار اليه بقوله كنتم خير امة
وقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله من قولهم قام فلان بالامر يقوم به اذا اجراه على
وجهه ومنه يقال للقائم بامر القوم القيم وبعض اهل الاديان لما بالغوا في باب الاعمال من غير
احكام الاصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فانهم ربما اتعبوا انفسهم في الطاعات
ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق وبعضهم حصلوا الاصول واهملوا
الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا يضر المعصية مع الايمان فان الله تعالى بين خطأ
الفريقين في هذه الاية وبين انه لا بد من العلم والاخلاص في قوله مخلصين ومن العمل
في قوله ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ثم قال وذلك المجموع كله هو دين القيمة اي الملة المستقيمة
المعتدلة فكما ان مجموع الاعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد ثم القيم من يقوم
بمصالح من يعجز عن اقامة مصالح نفسه فكانه سبحانه يقول القائم بتحصيل مصالحكم عاجلا
وآجلا هو هذا المجموع **قوله** اي يوم القيمة او في الحال يريد ان المراد بنار جهنم اما حقيقة
النار واما ما يؤدي اليها من العقائد الزائغة والاعمال الباطلة بطريق المجاز المرسل
فاستقرارهم فيها على الاول يكون يوم القيمة وعلى الثاني يكون في الدنيا وذكر كفروا بلفظ الفعل
والمشركين بلفظ اسم الفاعل تنبيها على ان اهل الكتاب ما كانوا كافرين من اول الامر لانهم
كانوا مصدقين بالتورية والانجيل ومقرين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم كفروا بذلك بعد
مبعثه بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان وانكار الحشر والقيمة **قوله** في اشتراك
الفريقين في جنس العذاب جواب عما يقال ان المشركين كانوا ينكرون الصانع وينكرون
النبوة وينكرون القيمة واما اهل الكتاب فانهم كانوا مقرين بكل هذه الاشياء الا انهم كانوا
منكرين لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان كفر اهل الكتاب اخف من كفر المشركين واذا كان كذلك
فكيف يجوز التسوية بين الفريقين في العذاب وجوابه ان الفريقين لما اشتركا في اعظم الجنايات
وهو الكفر استحقوا اعظم العقوبات وهو الخلود في نار جهنم فانها نار في موضع عميق مظلم هائل
لا مفزع عنه البتة يقال بئر جهنام اذا كان بعيد القعر ولما كفروا وطلبوا للرفعة صاروا الى اسفل

الساقطين واشتراكهما في هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهما في نوعه **قوله** وقرأ
نافع البريئة بالهمزة على الاصل لانه من برأ الله الخلق برءا فهو البارئ اي الموجد والمخترع
من العدم الى الوجود وقرأه الباقون بغير همزة على التخفيف كالنبي وهي فعيلة بمعنى
مفعولة والقراءة بالهمزة وان كان هو القياس والاصل الا ان ترك الهمزة اجود من حيث
ان جمهور العرب قد استمروا على تخفيف الهمزة فيه وفي النبي فكانت القراءة بالهمزة كالشيء
المرفوض المتروك المخالف للاستعمال وقيل هي من البرى وهو التراب لانها خلقت منه و
رد بان قراءة من قرأها بالهمزة يدل على فساد قول من قال انها من البرى الذي هو التراب لا يرى
انه لو كان كذلك لما جاز قراءتها بالهمزة البتة وتوسيط ضمير الفصل في قوله اولئك هم شر البرية
لافادة الحصر اي شر البرية هم دون غيرهم وكيف لا وهم شر من السراق لانهم سرقوا في
كتاب الله نعوت محمد صلى الله عليه وسلم وشر من قطاع الطريق لانهم قطعوا طريق الدين
الحق على الخلق وشر من الجهال الاجلاف لان الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون اقبح من
كفر الجهال وظهر منه ان وعيد العلماء السوء اعظم من وعيد كل احد ومن تاب منهم واسلم
خرج من الوعيد وقيل لا يجوز ان يدخل في الاية من مضى من الكفار لان فرعون كان شرا منهم
واما الاية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لانهم افضل الامم **قوله**
تعالى وعملوا الصالحات مقابلة الجمع بالجمع فيفهم منها انه لا يكلف الواحد جميع الصالحات بل
لكل حظ فحظ الغني الاعطاء والشكر وحظ الفقير الاخذ والصبر والقناعة **قوله تعالى** جزاؤهم
مبتدأ وجنات خبره وفي الكلام حذف مضاف اي دخول جنات وعند ظرف للجزاء وخالدين
حال وذو الحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين ولا يجوز
ان يكون ذو الحال الضمير المجرور في جزاؤهم كما زعمه مكي محتجا بان المصدر ههنا ليس في تقدير ان
والفعل حتى يلزم ان لا يفرق بينه وبين ما يتعلق به فانه انما يمتنع ان يفصل بينه وبين
ما يتعلق به اذا كان بمعنى ان فعل وان يفعل وليس الامر كما ذكره لان الاحداث منهما جعلت
عاملة فلا بد من ان يكون في تقدير ان والفعل واذا كان كذلك يمتنع الفصل بين المصدر الذي
هو جزاؤهم ومعموله الذي هو خالدين بالخبر الذي هو جنات وذكر الاخوين عن جميع النحاة و
ابدا ظرف زمان وهو تأكيد للخلود اي لا يموتون فيها ولا يخرجون منها **قوله** فيه مبالغات منها
اعلاء قدرهم واجلال شانهم وتقديم مدحهم على بيان مصيرهم ومآلهم مع ان الكلام مسوق
لبيان عاقبة الفريقين لانه لما ذكر حال الكفار بقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و
المشركين اولا ثم ذكر ثانيا حال المؤمنين في قوله وما امروا الا ليعبدوا الله ثم اعاد في اخر

فهذا القائل خص البرية ببني آدم واخرج الملائكة منها لئلا يلزم تفضيل البشر على الملائكة ومن فسر البرية بالخليقة يحمل في الاية دلالة على فضل المؤمنين من البشر على الملائكة منه

فان الضمير الذي اضيف اليه الجزاء لما جعل ذا الحال جعل حالا له فاذا جعل العامل فيه يلزم ان يكون عاملا في الحال ايضا منه

اعاد في اخر السورة ذكر الفريقين فبدأ بذكر الكفار واخبر انهم في نار جهنم واتبع هذا
الاخبار ذمهم بانهم شر البرية علم من ذلك ان الكلام مسوق لبيان عاقبة الفريقين فكان
المناسب لذلك ان يقدم بيان عاقبة المؤمنين على مدحهم بانهم خير البرية فلما عكس هذا
الترتيب احتيج الى طلب النكتة في ذلك وكانت المبالغة المذكورة صالحة لان يكون نكتة
فحكمنا بانها هي النكتة فيه ودلالة جعل الجنات الموصوفة جزاء لهم على تلك المبالغة ظاهر لان
جلالة الجزاء تدل على جلالة شانهم من حيث اتصافهم بما وصفوا به من الايمان والعمل
الصالح والحكم على ذلك الجزاء بانه من عند ربهم يدل على علو قدره وعلو قدره يدل على علو
قدر صاحبه **قوله** وجمع جنات فانه يدل على ان لكل مكلف جنات كما يدل عليه قوله ولمن خاف
مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان فذكر للواحد اربع جنات والسبب فيه انه
بكى من خوف الله وذكر البكاء انما نزل من اربعة اجفان اثنان دون الاثنين فاستحق به جنتين
دون الجنتين فحصل له اربع جنات لسبقه بالبكاء باربعة اجفان وقيل انه تعالى قابل الجمع بالجمع
في قوله جزاؤهم عند ربهم جنات وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة
واحدة لكن ادنى تلك الجنان مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روي مرفوعا ويدل عليه
قوله تعالى وملكا كبيرا **قوله** وتقييدها اضافة فانه يفيد ان يكون المعنى جزاؤهم بساتين اقامة
لا يخرجون منها ولا يبغون عنها حولا فان العدن بمعنى الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام **قوله**
ووصفها بما يزداد لها نعيما فان نقصان البستان وعيبه قد يكون بانعدام الماء فيه وقد يكون
بكثرة الماء فيه بحيث يغرق البستان فيه ثم ان الماء الجاري ازيد لطفا وشرفا من الراكد فالآية
نفي النقصان بانعدام الماء عنها بان وصفها بانها ذوات الماء ثم وصفها بما يزداد لها نعيما بان جعل
ماءها جاريا ونفى نقصانها بكثرة الماء بقوله من تحتها والالف واللام في الانهار للتعريف فتكون
منصرفة الى الانهار المذكورة في القرآن نهر الماء ونهر العسل ونهر الخمر ونهر اللبن وفي توصيفها
بالجري بعد ما جعل الجنات الموصوفة جزاء اشارة الى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كانه تعالى
يقول طاعتك كانت جارية ما دمت حيا على ما قال واعبد ربك حتى ياتيك اليقين فلذلك كانت
انهاري جارية الى الابد ولعل المص اراد بالوصف في قوله ووصفها بما يزداد بها نعيما الوصف
المعنوي الذي هو اعم من الوصف النحوي لئلا يخرج كون تلك الجنات بالنسبة اليهم دار الخلود
عن الوجوه الدالة على المبالغة مع ان الخلود في الجنة خير من الجنة كما ان رضاء الله في الجنة
خير من الخلود في الجنة ولما كان المكلف مخلوقا من جسد وروح وانه اجتهد بهما في طاعة ربه
اقتضت الحكمة ان يجزيه بما يتنعم ويستريح كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة

فان قلت الا ظاهر في الانهار التنصيص قلت انما قيد بالتنصيص لا التعريف منه

وجنة الروح هو رضاء الرب فلذكرا سنانف بيان حصوله للمكلفين في دار الكرامة بقوله
رضي الله عنهم **سورة الزلزلة مختلف فيها** بسم الله الرحمن الرحيم
اضافة الزلزال الى الارض لما دلت على اختصاصه بها وتعرفه بنيها ولم يتبين ان ذلك
المعنى المخصوص بها اي اضطراب هو تبنيه المص اولا بانه الاضطراب الذي قدره الله
للارض عند احدى النفختين فانه قد سبق في علم الله وقضائه ان تجزاء الارض تحرك اشديدا
عند النفخة الاولى لفناء الدنيا وعند النفخة الثانية لبعث الموتى احياء من بطن الارض
كما يخرج الولد من بطن امه فقوله زلزالها مثل قولك لاعطينك عطاءك اي ما قدرت من
تمني ان اعطيكه اياه ونبه ثانيا بان تعريف الاضافة في زلزالها لافادة العموم والاستغراق
كتعريف اللام في قوله ان الانسان لفي خسر فان المصدر المضاف اذا لم يقصد به العهد يفيد
العموم فمعنى زلزالها جميع ما يمكن في حقها من الزلزال وجميع ما يحتمله المحل من خصوصيات
الاضطراب ونبه ثالثا بان تعريف الاضافة فيه للاشارة الى المعهود وهو القدر اللايق بها
في الحكمة وهو الزلزال الشديد الذي يستحقه ويقتضيه في كونها قاعا صفصفا بانقلاع جبالها
وتلالها وتطرح ما عليها كالهباء المنبث حتى تمتد وتتسع لاهل الموقف من الجن والانس وصفوف
الملائكة مع عظم جرمها وصلابتها فانها لا تنتهي الى هذه الغاية الا بزلزال شديد مجرد الذكر
فكان ما سواه ليس زلزالا بالنسبة اليها ونحوه قولك اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق
اهانته تريد ما يستحقانه ويليق بهما من الاكرام والاهانة والزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم
بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد الا في المضاعف كالصلصال والقلقال وقد جاء بناقة
خزعال اذا كان بها ظلع وقسطال وهو الغبار ولبا من المضاعف واما التهيفار فلغة
ضعيفة واللغة الفصيحة فتحه بتشديد الراء وهو الحجر الصلب واما بهرام وشهرام فعجمان
قوله من الدفاين او الاموات فمن قال المراد بهذه الزلزلة الزلزلة الاولى استدل الا
بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة فان المراد بالرجفة فيه ما يكون عند النفخة
الاولى فهو يحمل الاثقال على الكنوز المدفونة في الارض ومن قال المراد منها الزلزلة الثانية
يفسر الاثقال بالاموات وعلى التقدير بين شبه ما في جوف الارض من الدفائن بالامتعة
البيت وانما لا فعبر عنه بالاثقال مجازا وروي عن ابي عبيدة والاخفش انه اذا كان
الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقيل للجن والانس ثقلان
لان الارض تثقل بهم اذا كانوا في بطنها ويثقلون عليها اذا كانوا فوقها وقيل اثقال الارض
اسرارها فيومئذ يكشف الاسرار ولذلك قال يومئذ تحدث اخبارها فتشهد لك او عليك

ويقول الكفر في الارض صح ثابت الكنوز فيها نظهر الارض ذهب ولا احد يلتفت الى فكان الذهب يصيح ويقول اما... تخرب وينادي... سلام

او عليك **قوله** لا يبهرهم من الامر الفظيع الهائل اي يغلبهم اشارة الى ان الاستفهام فيما لها
للتفظيع والتهويل فان كل من رأى تلك الزلزلة الهائلة سواء كان ممن آمن بالبعث والقيامة
او كفر وانكره بجوز ان يقول هذا القول لما يغلبهم من الهول وفرط التحير حين ما غشيتهم
واخذتهم زلزلة الساعة بغتة الا ان المؤمن يقول بعد ما تدارك الامر ورجع اليه عقله وذكره
هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون واما الكافر فامر مظاهر لانه عاش اعمى وحشر
اعمى ولذلك قيل الكافر احمق الحيوة واحمق الموت وبهذا ظهر ضعف استدلال من خص
هذا القول بالكافر بان المؤمن يعلم ما لها ولا يجزع ولا يضطرب بل يستبشر بانها
مقدمة البعث الذي وعده الرحمن لان هذا التبشير لا ينافي الدهشة في اول الوهلة و
ما لها مبتداء وخبر وهي كلمة تعجب اي لاي شيء زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في
جوفها من الاثقال يقولها تعجبا لما يراه من العجائب التي لم تسمع الاذان ولا ينطق بها اللسان
قوله تحدث الخلق اشارة الى ان المفعول الاول لتحدث محذوف وهو الخلق واخبارها مفعوله
الثاني الا ان المقصود لما كان ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق اقتصر على المفعول الثاني
وانما قلنا ان المقصود ذلك لانه لما سئل عما لاجله زلزالها واخراجها كان المقام مقام
ان يبين جواب الارض وتحديثها بان السبب الذي حملها على هذه الزلزلة والاخراج
ما هو وبكفي في هذا البيان ذكر الاخبار التي حدثت الارض ولا حاجة الى ذكر الخلق الا
ان الارض لكونها جمادا لا فهم لها ولا تمييز لم يمكن ان يكون تحديثها لسان المقال لتوقفه على
الحيوة والعقل بل ذلك لسان الحال فان الارض لما بطلت حالتها الاولى واضمحل جميع
ما عليها بسبب الزلزلة دل ذلك على ان الدنيا قد انقضت والاخرة قد اقبلت والمحاسبة
والجزاء قد ادرك وقتهما فلذلك وقعت هذه الزلزلة والاخراج وهذه الدلالة اقيمت
مقام التحدث فعبر عنها به وقال الجمهور ان الله تعالى يجعل الارض حيوانا عاقلا ناطقا و
يعرفها جميع ما عمل عليها فتشهد لمن اطاع وعلى من عصى روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية فقال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان
اخبارها ان تشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا وكذا فهذه اخبارها وقال
سنانه تخبر بما عمل عليها تقول للمؤمن وحد الله تعالى علي وصام وحج وزكى وتقول للكافر
كفر علي واشرك وسرق وزنا حتى يرد الكافر انه سيق الى النار **قوله** او اصل عطف
على قوله بدل ذكر لا انتصاب اذا وجهين الاول انها منصوبة بجوابها وهو تحدث ويومئذ
بدل منها فالعامل فيه هو العامل فيها والثاني انها منصوبة بمضمر تقديره اذكر اذا زلزلت

ما كان الانسان يعرض للانسان عند زلزالها ناطقا مخبرا ان يكون السؤال على طريق التعجب لانه... صح

معنى ان السؤال لما... الانسان بيوم القيامة لا يجوز ان يعم النفختين الا الاول ب... بالنفخة الثانية تحدث اللازم ولم يتعلق بالنفخة الثانية تحدث تعلقه بالنفخة الاولى ب... تعلقه بعظمة تحدث فيه اخبار لانه بعد... صح

او اذا زلزلت يظهر جميع احوال الخلق فيجازى كل واحد بما يستحقه ويدل على هذا المحذوف
ما بعد قوله يومئذ الى آخر السورة ثم يكون انتصاب يومئذ بتحدث ويكون ظرفا له اصالة لا
بدلا من ظرف آخر ولا يجوز ان يكون العامل في اذا نفس زلزلت كما ذهب اليه مكي فيا سا
لها على من وما في نحو من تضرب اضرب وما تفعل افعل فان ما بعدهما يعملان فيهما فكذا يعمل في
اذا وانا قلنا انه لا يجوز في اذا لان اذا مضاف الى الفعل الذي بعده والمضاف مع المضاف
اليه كالشيء الواحد فكما لا يجوز ان يعمل بعض الكلمة في بعض فلذلك لا يجوز ان يعمل المضاف اليه
في المضاف وليس كذلك اداة الشرط مع الفعل لانها ليست بمضافة الى الفعل فاعرف الفرق
بينهما **قوله** اي تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار اشارة
الى ان الباء في بان ربك اوحى لها سببية متعلقة بتحدث وان معنى ايحاء الله الى الارض
تسخيرها وتذليلها بان حملها على التحديث طاعة او كارهة ثم ان كان تحديثها بلسان الحال فطريق
تسخيرها على التحديث هو ان احدث فيها احوالا دالة على الاخبار فمعنى تحديث الارض في الدلالة
ما عليها من الاحوال المحدثة ومعنى الايحاء احداث تلك الاحوال الدالة فيها وان كان تحديثها
بلسان المقال يكون طريق الايحاء والتسخير احياءها وانطاقها بها وامرها بالتحديث **قوله**
اذ يقال حدثته كذا وبكذا اجوابها عما يقال كيف يكون بدلا من اخبارها وهو مفعول ثان لتحدث
عدى اليه الفعل بلا واسطة حرف فقوله بان ربك ان جعل بدلا منه كان هو المقصود
بالمفعولية وقد عدى اليه الفعل بواسطة الباء فاجاب عنه بان كل واحد من الاستعمالين
فصيح فعدى الى المبدل منه بنفسه والى البدل بواسطة الحرف جريا على كل واحد من الا
ستعمالين فكانه قيل تحدث اخبارها تحدث ان ربك اوحى لها او تحدث باخبارها بان ربك
اوحى لها وعلى هذا الوجه كان الظاهر ان يقال يومئذ تحدث خبرها بالافراد ولان ما بعده لما كان
بدلا عنه لزم ان يكون الخبر الذي حدثت الارض به ايحاء الرب لها وهو خبر واحد لا اخبار
متكثرة الا ان ايحاء الله اياها وان كان في نفسه خبرا واحدا لكنه لتضمنه معاني كثيرة وفوائد
عظيمة نزل منزلة اخبار كثيرة فعبر عنه بلفظ الجمع ولما ورد ان يقال ان فعل الايحاء يتعدى
بالى كما في قوله واوحى ربك الى النحل فلم عدى في الاية باللام ولم يقل اوحى اليها اجاب عنه اولا
بان معنى اوحى لها اوحى اليها كما في قوله وشدها بالراسيات الثبت اوحى لها القرار فاستقرت
وثانيا بان اللام على اصل معناها اي فعلنا ذلك لاجلها حتى تتوصل الارض بذلك الى التشفي من
العصاة فقوله اذ لها في ذلك تشف من العصاة بيان لوجه كون الايحاء لاجل الارض **قوله**
من مخارجهم متعلق بقوله يصدر بمعنى ينصرف ويرجع فان الصدر الورود والوارد الجائي

نيهما في موضع النصب على انهما مفعولان لما بعدهما

من محمد بن كعب القرظي معنى هذا الكلام فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثوابه ذلك في الدنيا في نفسه او اهله او ماله ويلقى
الاخرة وليس له فيها خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن فانه يرى عقوبته ذلك في الدنيا في نفسه او اهله او ماله حتى يلقى الاخرة وماله
فيها شر وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه ويؤيده قوله ومن يعمل سوءا يجز به ويؤيده ايضا ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي

٥٩٧

الجائي والصادر المنصرف والمنار فقد وردوا القبور فدفنوا فيها ثم صدروا عنها الى موقف
الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او يروا جزاء اعمالهم **قوله** متفرقين بحسب مراتبهم فان
بعضهم يذهب به الى الموقف راكبا مع الثياب الحسنة وبياض الوجه والمنادي ينادي بين
يديه هذا ولي الله واخرون يذهب بهم بالذلة وسواد الوجه حفاة مع السلاسل والاغلال
والمنادي ينادي بين يديه هذا عدو الله وقيل معنى اشتاتا ان كل فريق مع شكله اليهودي
مع اليهودي والنصراني مع النصراني **قوله** ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر
تؤثران في نقص والعقاب جواب عما يقال ان حسنات الكافر محبطة بكفره وسيئات المؤمن
مغفورة اما ابتداء واما بسبب اجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بها قيل الذي من الخير والشر
وحاصل الجواب الاول ان حسنات الكافر وان كانت محبطة بمعنى انه لا يستحق بها ثوابا الا ان
ذلك لا ينافي ان يرى جزاء تلك الحسنات بان ينقص من عقاب كفره بمقدار تلك الحسنات
وكذا سيئات المؤمن وان كانت مغفورة من حيث انه لا يعذب بها الا ان ذلك لا ينافي ان يرى
جزاءها بان ينقص من ثواب ايمانه وصالح اعماله بمقدار تلك السيئات فاحباط تلك الحسنات
والسيئات لا يكون قادحا في عموم هذه الاية وحاصل الجوابين الاخيرين ظاهر واجيب
عنه ايضا بان معنى الاية فمن يعمل مثقال ذرة من خير وهو كافر فانه يرى ثوابه ذلك في الدنيا
حتى يلقى الاخرة وليس له خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر وهو مؤمن فانه يرى عقوبته
ذلك في الدنيا في نفسه واهله وماله حتى يلقى الاخرة وليس فيها شر وقال ابن عباس
رضي الله عنهما ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله اياه فاما المؤمن فيغفر له
سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته ويعذب بسيئاته **قوله** والذرة النملة
الصغيرة قال الكلبي الذرة اصغر النمل وقال ابن عباس رضي الله عنه اذا وضعت راحتك على الارض
على الارض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة وعلى الوجهين مثقال
ذرة بمعنى زنة ذرة وقرأ هشام باسكان هاء يره في الموضعين وصلا ووقفا والباقي
السبعة يقرؤنها باشباع ضمة الهاء اي موصولة بالواو وصلا وسكونها وقفا كسائر هاء
الكناية وهذه الاية نزلت ترغيبا في الخير ولو كان قليلا فانه يوشك ان يكثر وتحذيرا
من الشر والذنب وان كان قليلا فانه يوشك ان يكون كثيرا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة **سورة والعاديات مختلف فيها**
بسم الله الرحمن الرحيم وهي جمع عادية وهي الجارية بسرعة من
العدو وهو المشي بسرعة والياء منقلبة عن الواو لكسرة ما قبلها نحو الغازيات من

الغزو والضبح صوت يسمع من افواه الفرس واجوافها اذا عدون وهو صوت غير
الصهيل والحمحمة وذكر لانتصاب ضبحا ثلثة اوجه الاول انه مصدر مؤكد لفعله المحذوف اى
تضبح ضبحا على تاويل العاديات بالجماعة او يضبحن جريا على لفظها وهذا الفعل المقدر
فى موضع النصب على انه حال من العاديات والثانى انه مصدر مؤكد للعاديات لان
الشرط فى عامل المفعول المطلق ان يتحد فى المعنى لا فى اللفظ والاتحاد فى المعنى حاصل
هنا لان الضبح لكونه من لوازم العدو صار مدلولا التزاميا له فكان قوله والعاديات
فى معنى والضابحات فصح انتصاب ضبحا به على انه مفعول مطلق له والثالث انه حال من المنوى
فى والعاديات فقوله والعاديات ضبحا اى ضابحة فى العدو على ارادة الجماعة او ضابحات
على اللفظ فقوله ضبحا من باب رجل عدل وكذا الكلام فى انتصاب قدحا فانه يجوز ان يكون مصدرا
مؤكدا لفعله المحذوف اى يقدحن قدحا والقدح الصك والضرب فان الخيل يضربن بحوافرهن
ومناكبهن الحجارة فيخرجن منها نارا ويجوز ان يكون مصدرا للموريات لانها بمعنى القادحات
اى يدل عليها التزاما ويجوز ان يكون حالا من المنوى فى الموريات بان يكون المصدر بمعنى
الفاعل اى قادحة وانتصاب صبحا على الظرف وقد اشار اليه بقوله اى فى وقته **قوله** يغير
اهلها على العدو اشارة الى ان اسناد الاغارة الى الخيل مجاز والمراد اربابها لانهم هم المغيرون
لا خيلهم ومعنى الاغارة فى اللغة الاسراع يقال اغار اذا اسرع وكانوا يغيرون على
العدو صباحا لانهم فى الليل يكونون فى الظلمة فلا يبصرون شيئا واما فى النهار فالناس
يكونون كالمستعدين للمدافعة والمحاربة واما هذا الوقت فالناس يكونون فيه فى الغفلة
وعدم الاستعداد **قوله** فاثرن معطوف على ما قبله من لفظ اسم الفاعل حملا على
معناه لان المعنى والخيل اللاتى عدون فاورين فاغرن فاثرن واصله فاثورن نقلت
حركة الواو الى الثاء قبلها وقلبت الواو الفا فصار فاثارن فحذفت الالف لاجتماع
الساكنين فبقى فاثرن بوزن افلن يقال ثار الغبار اذا هاج واثرته انا اى هيجته **قوله**
غبارا او صياحا قال الامام فى النقع قولان احدهما انه هو الغبار وقيل انه ماخوذ من
نقع الصوت اذا ارتفع فالغبار يسمى نقعا لارتفاعه وقيل هو من النقع فى الماء فكان
صاحب الغبار غاص فيه كما يغوص الرجل فى الماء والثانى ان النقع الصياح من قوله
صلى الله عليه وسلم ما لم يكن نقع ولا لقلقة اى فهيجن فى الاغارة عليهم صياح النوائح
وارتفاع اصواتهن واختار المص بان ضميره راجع الى الزمان الذى وقعت الاغارة
فيه وهو الصبح فيكون الباء بمعنى فى وقيل انه يرجع الى المكان الذى وقعت الاغارة فيه

الضبح هو صوت النفس عند طلب ... او نحوها

فهيجن سار

فيه وذكر المكان وان لم يسبق ذكره صريحا الا ان قوله فالمغيرات صبحا يدل عليه لان الاغارة
لا بد لها من موضع فالباء ايضا للظرفية وقيل انه راجع الى العدو المذكور بقوله والعاديات
اى واثرن بالعدو نقعا فالباء سببية وزاد فى ضميره فوسطن به احتمال رجوعه الى النقع
لقربه ذكرا على ان تكون الباء متعلقا بمحذوف منصوب على الحالية من المنوى فى وسطن اوله
عن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى حى من كنانة وامر عليهم المنذر بن عمرو
الانصارى احد النقباء فتمكث ما شاء الله ان تمكث ولم يأته خبرها فقال المنافقون قتلوا
جميعا فاخبره الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا الخ ويتبين بذلك سلامتهم وانهم توسطوا
فى وقت الصبح جماعة الاعداء فاغاروهم وظفروا عليهم غانمين سالمين وان المنافقين
كاذبون فى قولهم انهم قتلوا جميعا فان جعلنا الالف واللام فى والعاديات للعهد كان المقسم
به خيل تلك السرية وان جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بالخيل يعدون فى سبيل الله واتصفت
بالصفات المذكورة وعلى التقديرين لا يخفى لان يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة
قوله انك كما لهن اعتبره اظهار الشرف اللازم لجعلهن مقسما بها فان الاقسام انما يكون
بما فيه شرف وكمال وعدوهن مسارعتهن فى الارتقاء الى درجات الكمالات الروحانية وضبحهن
ما طرأ عليهن من التعب بسبب اجتهادهن فى مباشرة اسباب ذلك الارتقاء وقوله اذا
ظهر لهن ظرف لقوله والمغيرات على الهوى والماحيات للرسوم البشرية والعادات الطبيعية
وقت ان طلع عليهم صبح العرفان وتجلى لهم انوار مشاهدة صفات الجلال والجمال **قوله** لكنود
لربه متعلق بكنود قدم للفواصل اى انه لكنود لنعمة ربه عن الواحدى ان اصل الكنود منع الحق
والخير والكنود الذى يمنع ما عليه والارض الكنود هى التى لا تنبت شيئا ثم للمفسرين عبارات
فى تفسيره قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة رحمهم الله الكنود قالوا ومنه سمى الرجل
المشهور بكندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبى ان الكنود بلسان كندة العاصى لسيده وبلسان
بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور وروى ابو امامة رض عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الكنود الكفور الذى يمنع رفده ويأكل وحده ويضرب عبده واعلم ان معنى الكنود لا يخرج عما
ان يكون كفرا او فسقا وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس فلا بد من صرفه الى كافر معين على
ما روى انها نزلت فى قرط بن عبد الله وقيل نزلت فى حباحب وكان رجلا بخيلا وكان من بخله
انه كان لا يأخذ النار الا اذا نام الناس فاذا انتبهوا اطفأ ناره لئلا ينتفع بها احد وكان فى
عصر حاتم الطائى المشهور بالسخاء واجتمع معهما فى عصرهما ثالث يقال له الاشعب وكان
مشهورا بالطمع حتى اذا رأى انسانا يحك عنقه يظن انه ينزع قميصه ليدفعه اليه ويؤثره

[illegible]

قوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور فانه لا يليق الا بالكافر المنكر لذكر المامر وان حملناه على الكل
يكون المعنى ان طبع الانسان يحمله على ذلك الا اذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك **قوله** لظهور
اثره عليه اشارة الى انه ليس المراد حقيقة الشهادة لان قوله تعالى لشهيد ذكر مطلقا اي غير مقيد
بزمان فيدل على انه شهيد في عموم الاوقات وليس كذلك بل المراد من شهادته على نفسه بالكنود انه
امر ظاهر لا يمكنه ان يجحده وينكره فصار بذلك كانه شهد به على نفسه بذلك في الاخرة ويعترف
بذنوبه **قوله** او ان الله تعالى على ان يكون ضميرا له للاجل فانه بناء على ان الاصل في الضماير ان
يرجع الى اقرب ما ذكر مما يصح ان يرجع اليه والاقرب في هذه الاية هو لفظ الرب فيكون الاية
وعيدا وزجرا له عن المعاصي من حيث انه تعالى يحصي عليه اعماله وعلى الاول هي تاكيد لكونه
كنودا لنعمة ربه ويؤيد الاول وهو رجوع ضميرانه الى الانسان ان ضمير قوله وانه لحب الخير لشديد
بعده راجع الى الانسان فناسب ذلك ان يرجع ضمير الاية التي قبلها الى الانسان ايضا ليحصل
حسن الانتظام ويحترز عن تفكيك الضماير **قوله** جمع محصلا في المصحف اي اظهر محصلا
مجموعا واصل التحصيل اخراج الشيء المستور باخر المغمور فيه واخذه منه كاخراج اللب من
القشر واخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن والدر من الجبع
والاظهار من لوازمه **قوله** او ميز وفي الكشاف وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل
المحصل اي آلة التحصيل وتمييز الدقيق عن النخالة فانه لابد من التمييز بين الواجب والمندوب
والمباح والمكروه والمحظور فان لكل واحد حكما على حدة فتمييز البعض وتخصيص كل واحد منها
بحكمه اللايق به هو التحصيل **قوله** وتخصيصه لانه الاصل جواب عما يقال لم خص اعمال القلوب
بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور واهمل ذكر اعمال الجوارح واجاب عنه بان اعمال الجوارح
تابعة لاعمال القلب فانه لولا البواعث والارادات في القلوب لما حصلت افعال الجوارح ولذلك
جعل الله تعالى القلوب اصلا في المدح والذم حيث قال وجلت قلوبهم وقال آثم قلبه والعامل في
الظرف وهو قوله اذا بعثر لا يخلو من ان يكون يعلم او بعثر او لخبير او مدلول قوله ان ربهم بهم
يومئذ لخبير لا يجوز ان يعمل فيه يعلم كما زعمه قوم لان الانسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت
وانما يراد منه ذلك في الدنيا فلابد ان يأول النظم على وجه يفيد معنى قولنا افلا يعلم الانسان الآن
ان الله تعالى عالم به اي بجميع ما عمله سرا وجهرا من خير وشر فيجازيه على حسب ذلك ولا بعثر
كما زعمه اخرون لهذا الوجه ولان بعثر اضيف اليه اذا والمضاف اليه لا يعمل في المضاف لانه بمنزلة
ان يعمل بعض الكلمة في بعضها ولا خبير لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها واذا كان كذلك ثبت ان العامل
فيه مدلول قوله ان ربهم بهم يومئذ لخبير اي افلا يعلم الانسان في الدنيا ان الله تعالى يجازيه اذا بعثر
او

ای او لا یعلم ظرف او رب
والنعة اذا بعثر ظرفا
لخ

او افلا يعلم علم الله تعالى اياه اذا بعثر فيكون هذا المدلول الذي قدر عاملا في اذا ساد مسد
مفعول يعلم ويمكن ان يتصور من قال ان العامل فيه اذا هو يعلم بان ما ذكر من ان الانسان لا يراد
منه العلم في ذلك الوقت انما يراد اذا كان ضمير يعلم راجعا الى الانسان وذلك غير لازم لجواز ان
يرجع الى الله عز وجل ويكون مفعولا يعلم محذوفين والتقدير افلا يعلمهم الله عاملين بما عملوا
اذا بعثر على ان يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى افلا يجازيهم اذا بعثر ويكون قوله ان ربهم
بهم يومئذ لخبير تحقيقا وتقريرا لذلك المعنى وتصريحا بالوعيد والتهديد وهذا المعنى صريح لاعتباره
وقوله يومئذ معمول لقوله لخبير وحيلولة اللام بينهما لا تمنعه من ان يعمل فيما قبلها لان حكم هذه اللام
وحقها ان يكون في اول الكلام كان لكنها اخرت لاجل دخول ان على المبتدا حتى لا يجتمع حرفا
تاكيد فان قيل كيف صح ان يكون يومئذ ظرفا لخبير مع انه يوهم اختصاص علمه بهم بذلك اليوم
والحال انه تعالى لم يزل عالما ويمتنع ان يسبقه جهل قلنا ابد افلنا العلم كناية عن الجزاء وهو يتبع يومئذ
فاللازم اختصاص تمام الجزاء بذلك اليوم والامر كذلك **قوله** وانما قال ما ثم قال بهم اشارة الى
جواب ما يقال عبر عن اهل القبور اولا بكلمة ما وهي في الاغلب لا يطلق الا على غير اولي العلم و
اطلاقها على اولي العلم قليل نادر كما حكي ابو زيد سبحان ما سخركن لنا وسبحان ما يسبح الرعد بحمده
وقال تعالى وما ملكت ايمانكم كذا في شرح الرضي والظاهر ان المثالين الاولين من قبيل ما استعمل
فيه كلمة ما في صفات العالم كما مر في قوله تعالى والسماء وما بناها وان المثال الثالث من قبيل قوله
صلى الله عليه وسلم ليس للنساء من الولاء الا ما اعتقن او اعتق من اعتقن الحديث حيث عبر
عليه الصلوة والسلام عن المعتق بفتح التاء بلفظ ما وعن المعتق بكسر التاء بلفظ من الحاقا
للرقيق الذي يتعلق به العتق بالبهايم من حيث انه محجور عن التصرف منها بخلاف المعتق بكسر
التاء فانه لحريته عاد الى حالته الاصلية وهي الانسانية فعبر عنه بمن كذا افاده الشريف الجرجاني
في شرح الفرايض ثم انه تعالى عبر عن اهل القبور بضمير العقلاء حيث قال ان ربهم بهم ولم يقل ان
ربها بها فما الحكمة في ذلك وجوابه انهم ما داموا في القبور اموات وجمادات فعبر عنهم في تلك الحالة بما
يعبر به عن غير اولي العلم وانهم يوم القيمة احياء عقلاء فعبر عنهم بضمير من يعقل باعتبار تلك
الحال توفية للمقامين حقهما **سورة القارعة مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
القرع الضرب بشدة واعتماد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة قال الله تعالى
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة واتفقوا على ان القارعة اسم من اسماء يوم القيمة
سمي بها اما لان الاجرام العلوية والسفلية يصطكان اصطكاكا شديدا عند تخريب العالم
فبسبب تلك القرعة سمي يوم القيمة بالقارعة او لانه تقع فيه الحالة التي تقرع الناس بالاهوال

والافزاع والسموات بالانشقاق والانفطار والشمس والقمر وسائر الكواكب بالانتثار والجبال
بالدك والنسف والارض بالزلزال والتبديل والخسف قال المص في سورة الحاقة في تفسير قوله تعالى
كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار
قوله القارعة مبتداء وما مبتداء ثان والقارعة خبره والجملة خبر المبتداء الاول ووضعت القارعة
موضع الضمير العائد الى المبتداء تفخيما لشانها وافادة لزيادة التهويل وتقدير الكلام القارعة اي
شيء هي ثم زادها تفخيما حيث قال وما ادريك اي اي شيء اعلمك ما القارعة فانها حادثة عظيمة وحالة
هائلة لا تحيط بها دراية دار وما الاولى مبتداء وما الثانية مبتداء ثان والقارعة خبر المبتداء الثاني
والجملة في محل النصب على انها مفعول ثان لادري ومفعوله الاول الكاف وادري مع ما في حيزها في محل الرفع
على انه خبر المبتداء الاول فان قلت اذا اخبرت عن شيء فلا بد وان تستفيد منه علما زائدا وقوله
وما ادريك يفيد كونك جاهلا به فكيف يعقل ان يكون هذا خبرا قلنا حصل لنا بهذا الخبر علم زائد
لانا كنا نظن انها قارعة كسائر القوارع وبهذا التجهيل علمنا انها قارعة فاقت القوارع في الهول
والشدة والفراش جمع فراشة قال الزجاج هو الحيوان الذي يتهافت في النار والمبثوث المتفرق
بثثته اذا فرقته شبه الله الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش المبثوث وفي آية اخرى
بالجراد المنتشر ووجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش المبثوث اختلاف جهات
حركاتهم فانهم اذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم الى جهة غير جهة الآخر كالفراش فانها اذا
طارت لا تتجه الى جهة واحدة بل يختلف جهاتها وقيل الفراش غوغاء الجراد اذا صارت له اجنحة وكاد
تطير ولم تطر بعد فانه يسمى غوغاء وقد شبه الناس به عند البعث من حيث انهم يموج بعضهم
في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول **قوله** وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة اي
هي تقرع يوم يكون ويحتمل ان يكون مفعولا لاذكر مضمرا وقيل القارعة مرفوعة على انها فاعل فعل مضمر
ويوم منصوب به تقديره ستأتي القارعة يوم يكون **قوله** كالصوف ذي الالوان فان الجبال مع
كونها مختلفة الالوان على ما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود اذا انفرقت
اجزاؤها وازيل التالف والتركيب عنها تصير شبيها بالعهن وهو الصوف الملون بالوان مختلفة
اذا جعل منفوشا متبدد الاجزاء قال الخليل النفش مد الصوف حتى ينتشر ووجه الشبه هو التلون
والتفرق جميعا **قوله** بان ترجحت مقادير انواع حسناته اشارة الى ان الموازين جمع موزون
وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله او تثقله رجحانه واضافة المقادير الى الانواع من باب مقابلة
الجمع بالجمع فتفيد انقسام الاحاد الى الاحاد اي ترجح مقادير كل نوع من انواع اعماله الصالحة على
مقدار ما يقابل ذلك النوع من سيئاته يطيب عيشه وقال المتكلمون ان نفس الحسنات والسيئات لا

كانه تعالى يقول قارعة الدنيا في جنب القارعة كانها ليست بقارعة ونار الدنيا في جنب نار الآخرة الشديدة كانها ليست بنار ولذلك قال في آخر السورة نار حامية تنبيها على ان نار الدنيا في جنبها ليست بحامية منه

اي طرق تخالف لون الجبل

لا يصح وزنها بل المراد ان الصحف المكتوب فيها الحسنات والسيئات توزن او يجعل النور علامة
الحسنات والظلمة علامة السيئات فيوزن النور بالظلمة فاما ان يترجح عليها او يخف منها و
قيل الموازين جمع ميزان وذكره بلفظ الجمع تعظيما له عن ابن عباس رض ان الميزان له لسان وكفتان
يوزن به اعمال المكلفين فيؤتى بحسنات المطيع في احسن صورة فيترجح فالجنة له ويؤتى
بسيئات الكافر في اقبح صورة فتخف وزنه فيدخل النار وكيف لا يثقل ميزان حسنات المطيع
وانها في الدنيا كانت اثقل شيء على النفس وحق الميزان الذي لا يدخل فيه الا الحسنات ان
يثقل وكذا المعاصي ولذائذ الباطل اخف شيء على النفس في الدنيا والميزان الذي لا يوضع فيه
الا المعاصي حق له ان يخف قال بعضهم انما كان كذلك لان الحق ثقيل والباطل خفيف **قوله**
ذات حمى على انه صيغة الفاعل للنسبة لا للحدوث مثل تامر ولابن والحمى اشتداد الحرارة يقال
حمي التنور بكسر الميم حميا اي اشتد حره والمعنى ان سائر النيران بالنسبة اليها كانها ليست حامية
وهذا القدر كاف في التنبيه على قوة سخونتها نعوذ بالله من انواع عذابه وعقابه وما
يؤدي اليها قولا وفعلا وخلقا **سورة التكاثر مختلف فيها** بسم الله الرحمن الرحيم
التفاعل يستعمل على احد ثلثة اوجه الاول بمعنى الاثنين فصاعدا والثاني التكلف في اظهار
ما ليس فيه نحو تعاميت عن امر كذا اذا تكلفت العمى عنه ونحوه التغافل والتمارض والثالث
ان يستعمل بمعنى الثلاثي نحو تباعدت عن الامر اي بعدت عنه ولفظ التكاثر في هذه الآية
يحتمل الوجهين الاولين فيحتمل ان يراد مكاثرة الاثنين مالا او عددا بان يقول كل
واحد منهما لصاحبه انا اكثر منك مالا واعز نفرا ويحتمل تكلف الكثرة فان الحريص على
الدنيا يتكلف جمع عمره تكثير ماله وكذا الحريص على الجاه وسائر طرق الهوى وتعريف
التكاثر ليس للاستغراق لان التكاثر والتفاخر في السعادات الحقيقية غير مذموم شرعا
اذا كان على طريق الاعتراف بنعم الله تعالى وقصد الشكر لها او تشويقا للغير الى الاقتداء به كما
ذكر في قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث ومن ذلك ما روي من تفاخر العباس رض بان السقاية
بيده وتفاخر شيبة بان المفتاح بيده الى ان قال علي رض وانا قطعت خرطوم الكفر
بسيفي فصار الكفر مثلة فاسلمتم فشق ذلك عليهم فنزل قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله
اي في الثواب فتعين ان تعريف التكاثر للعهد والمعهود هو التكاثر في الامور الدنياوية
والسعادات الفانية فان اجناس السعادات ثلثة الاول السعادات النفسانية
كالعلم والاخلاق الحميدة والثاني السعادات البدنية كالصحة والقوة والجمال والثالث

قوله قرأت رضا اي مرضيا الاول صاحبها او مرضية والثاني مبني على الاسناد والمجاز منه

اعلم ان اختصار المتعلق يفيد التعميم ولا ينفع ذلك يوم القيامة المال والولد والجاه والشفاعة والحيلة والفصاحة والنسب والاصدقاء والتبع فلو نفع المال لنفع قارون ولو نفع الاولاد لنفع ابا جهل وابا لهب ما اغنى عنه ماله ولو نفع الخلة لنفع الخليل عم اباه آزر لا احد لنفع الخليل عم اباه آزر اعرض عن هذا يا ابرهيم ولو نفع الجمال لنفع اهل الروم لان لهم شيئا اعشار الجمال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ولو نفع الشفاعة لنفع الرسول عم اباه وامه وابا طالب انك لا تهدي من احببت الاية وقالت شفيعي في الخطابات لا شك تشكيه في الهدايات ولو نفع الحيلة لنفع الكفار ومكروا ومكر الله ولو نفع الفصاحة لنفع العرب ولا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ولو نفع العز لنفع ابا جهل ولو نفع الاصدقاء لنفع المنافق الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو ولو نفع الجاه لنفع فرعون ولو نفع التبع لنفع النمرود

السعادات التي تطوف بالبدن من خارج وهي قسمان احدهما ضروري وهو المال والجاه والآخر غير ضروري وهو الاقرباء والاعوان وهذا الذي عددناه في المرتبة الثالثة انما يراد كلها لاجل البدن بدليل انه اذا تألم عضو من اعضائه فانه يجعل المال والجاه فداء له فالسعادات البدنية تكون اصلا بالنسبة اليها وهي انما تقصد لاجلها والسعادات البدنية ايضا يقصدها العقلاء للسعادات النفسانية فان الشخص ما لم يكن صحيح البدن لم يتفرغ لاكتساب السعادات النفسانية الباقية التي هي اصل السعادات اذا عرفت هذا فنقول العاقل ينبغي ان يكون سعيه في تقديم الاهم على المهم والتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب من اسباب السعادة والاشتغال به والسعي في تكثيره يمنع الانسان من تحصيل السعادة النفسانية كالعلم والعمل فيكون ترجيحا لاخس مراتب السعادة على اشرفها وذلك عكس الواجب وضد الحق فلهذا السبب ذمهم الله تعالى بقوله الهيكم التكاثر اي شغلكم التكاثر بكل ما يكون من الدنيا ولذاتها وشهواتها عن السعادة الفانية المؤدية الى السعادة الابدية فان اصل اللاهي المصرف الى اللهو واللعب والتكاثر اذا صرف العبد الى اللهو يكون العبد منصرفا اليه ومعلوم ان الانصراف الى الشيء يقتضي الاعراض عن غيره فتفسير الهيكم عن كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم اصل معناه الا انه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة **قوله** اذا استوعبتم عدد الاحياء الخ يعني ان قوله تعالى حتى زرتم المقابر كناية عن معنى حتى انتقلتم عن ذكر الاحياء عند تفاخركم بالعدد الى ذكر الاموات والنكتة في هذه الكناية التهكم بهم لان زيارة القبور شرعت لتذكر الموت وترك الدنيا والاعراض عن المباهاة بها وهؤلاء عكسوا الامر حيث جعلوا زيارة القبور وسيلة الى المباهاة بالدنيا وكثرتها فعلى هذا يكون المراد بالتكاثر في الاية التكاثر في العدد والكثرة واورد ما روي في سبب نزول هذه السورة من ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وادعى كل واحد منهما انهم اكثر عددا ايضا ليكون المراد التكاثر في العدد **قوله** فكثرهم بنو عبد مناف اي غلبوهم بالكثرة من قولهم كاثرناهم فكثرناهم اي غلبناهم بالكثرة على ما ذكر في باب المغالبة انهم اذا ارادوا الغلبة في فعل نقلوا الافعال اللازمة من باب فعل بضم العين الى باب نصر وبذكرونه بعدما عدا مسندا الى الغالب فيه كما في زيد فكرمته اي غالبني في الكرم فغلبته فيه ومثله كاثرناهم فكثرناهم وقول بني سهم ان البغي اهلكنا اي بغي الاعداء والقتال معهم اهلكنا فعدوا مجموع احيائنا وامواتنا مع مجموع احيائكم وامواتكم ففعلوا ذلك فكثرهم بنو سهم فنزلت الاية فمعناها الهيكم التكاثر باحيائكم فلم ترضوا حتى انتقلتم الى ذكر الاموات مفتخرين بهم فكانه تعالى يتعجبهم ويقول هب انكم اكثر عددا فماذا ينفع ذكر بل الذي

لان زيارتهم للقبور انما وقعت من انتقالهم الى ذكر الاموات فانهم لما انتقلوا الى ذكر الاموات اتوا القبور فعدوها وهذا معنى الكناية فذكر زيارة القبور وارادوا لازمها وهو

يهمكم تحصيل الكمالات النفسانية وقيل المراد بالتكاثر هو التكاثر بالمال واستدل عليه بما روي انه عليه الصلوة والسلام سمع انه يقرأ هذه الاية الهيكم التكاثر ويقول بعدها يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت فعلى هذا يكون قوله حتى زرتم المقابر بمعنى حتى متم فانه كثيرا ما يعبر عن الموت بزيارة القبور فيقال لمن مات زار قبره فمعنى الاية الهيكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك **قوله** وانما حذف الملهي عنه ضمير عنه راجع الى الالف واللام في الملهي والمعنى وانما حذف الذي الهي عنه وعلل الحذف بعلتين الاولى تعظيم الملهي عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين فان عظمة الشيء تكون باعثة على عدم ذكره كما اذا بني الفعل للمفعول لعظمة الفاعل نحو قتل الخارجي اذا قتله الامير والثانية المبالغة والتعميم لكل ما يحتمل ان يشتغل به فانه اذا لم يذكر الملهي عنه يذهب الوهم فيه كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثله الهيكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار او بالجوارح كانواع الطاعات حتى عن التدبير في امر القارعة والاستعداد لها قبل الموت ان نظرنا الى ما قبل هذه الاية او عن التدبير في امر القبر واهواله ان نظرنا الى ما بعد الاية فالمعنى الهيكم التكاثر عما يسعدكم في القبر وينجيكم عن شدائده فتستمر امره حتى زرتموه **قوله** اذا عاينتم ما وراءكم قال الحسن لا يغرنك كثرة من ترى حولك فانك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك فان الله تعالى يقول ولقد جئتمونا فرادى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وهذا يمنعكم عن التكاثر فلذلك رد الله تعالى على الذين الهاهم التكاثر بالعدد والاموال والاولاد وردعهم بقوله كلا اي ليس الامر كما يتوهم هؤلاء من ان فضل الانسان وسعادته بكثرة اعوانه وقبائله واموالهم واولاده فكلمة كلا ردع عن الاشتغال بما لا يعنيه وفي الردع عنه تنبيه على الخطاء الذي يدل عليه ما بعد كلا **قوله** تكرير للتاكيد اي لتاكيد الردع والانذار وهو ردع بعد ردع ووعيد بعد وعيد الا ان الثاني لما كان اشد من الاول وابلغ جيء بينهما بكلمة ثم **قوله** او الاول عند الموت في وقت ما يبشر به المحتضر من جنة او نار او في القبر حين سؤال منكر ونكير بقولهما من ربك وما دينك ومن نبيك والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين ينادي وامتازوا اليوم ايها المجرمون فعلى هذا لا يكون التكرير للتاكيد لحصول التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين ومتعلقيهما فانه يلقى في كل واحد من الزمانين نوعا آخر من العذاب واعادة كلمة الزجر والردع من حيث انه عقب في كل موضع بشيء غير ما عقب به في الموضع الآخر كانه قال لا تفعلوا كذا فانكم تستحقون به من العذاب كذا ولا تفعلوا كذا فانكم تستوجبون به ضربا آخر من العذاب والزجر المعلق بتعدد باعتبار تعدد علته ويكون كلمة ثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور

وجه افادة الحذف تعظيم المحذوف هو ان حذف الشيء وعدم ذكره يكون بسبب تعظيمه بعدا بساحته او لاجل ان لا يحتاج الى ذكره نحو الخليفة تعظيما فكانه قد يتكاثر عن ذكر الله تعالى بسبب تعظيمه ووجه ما يعنيهم الدين

وكذا ما بين القبر والنشر وفي قوله سوف تعلمون خطاء لكم وقوله اى ولو تعلمون ما بين ايديكم من
رؤية الجحيم وغيرها من الاهوال اشارة الى ان تعلمون في المواضع الثلثة بمعنى تعرفون حيث قدر
له مفعول لا واحد او لم يقدر له مفعول بان يجعل المقصود تحقق نفس العلم لا بيان متعلقه لم يكن بعيدا
قوله علم الامر اليقين الخ اشارة الى ان اليقين صفة موصوف محذوف فيكون اليقين بمعنى المتيقن
به وان انتصاب علم بنزع الخافض واتفق المفسرون على ان جواب لو محذوف واختلفوا في تقديره
فقيل تقديره لو تعلمون علم اليقين لتركتم التفاخر والتكاثر وقيل لو علمتم ماذا يجب عليكم لتمسكتم به
وقيل لو علمتم لاى امر خلقتم لاشتغلتم به **قوله** تحذف الجواب للتفخيم اى لتفخيم التهويل فانه اذا حذف
الجواب للتفخيم يذهب الوهم كل مذهب فيكون التهويل اعظم بناء على ان كل واحد من تلك المذاهب المحتملة
مما يجب ان يصرف المكلف ما وسعه من الاهتمام اليه وان يحصله مع انه لم يلتفت الى شيء من ذكر
ولم يحصله قط بحكم احتمال كونه جواب لو وصحته وما يكون جواب لو يجب كونه غير حاصل لعدم حصول
الاول ولا شك ان من تركه مع واجبات كثيرة عظمت جنايته فيعظم خوفه هذا على تقدير ان يكون
الجواب غير متعين عند المخاطب بل ذهب ذهنه بسبب الحذف الى مذاهب محتملة واما اذا كان
متعينا عنده وان كان محذوفا فالحذف ح يكون لتفخيم ذلك المحذوف من حيث ان عدم ذكره
يفيد له ابهاما فيكون حذفه بمنزلة ذكره منكرا ولو ذكر منكرا لفهم منه التفخيم فكذا اذا كان مفهوما
من الكلام على وجه الابهام **قوله** ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جواب لو لانه محقق الوقوع
فان رؤية الجحيم يحصل لهم البتة ولو كان قوله لترون الجحيم جواب لو لوجب ان لا يحصل لهم
هذه الرؤية لان ما كان جواب لو اذا كان مثبتا يدل الكلام على انتفائه وان كان منفيا يدل
على وقوعه بناء على ما اشتهر من ان لو يفيد امتناع الثاني لامتناع الاول وقوله لترون الجحيم
مثبت فلو جعل جواب لو لكان المعنى انكم لا ترونها لكونكم جهالا وهو غير صحيح فان قيل المراد من
هذه الرؤية رؤيتها بالقلب في الدنيا وهذه الرؤية لا تحصل لهم في الدنيا فيصح ان يكون جواب لو
على معنى لو تعلمون اليوم في الدنيا بما بين ايديكم كعلم الامر المتيقن به لترون الجحيم بعيون قلوبكم
ثم لترونها عين اليقين عند معاينتها بعين الرأس قلنا فعل الرؤية اذا تعلق به الاعيان المرئية
يكون الظاهر ان يراد به رؤية العين لا رؤية القلب وترك الظاهر خلاف الاصل ومما يدل على ان قوله
لترون الجحيم لا يصح ان يكون جواب لو ان قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عطف عليه وهو اخبار
عن امر كائن لا محالة ولا يجوز ان عطف ما هو كائن لا محالة على ما لا يقع ولا يوجد مسح في النظم **قوله**
بل هو جواب قسم محذوف فاللام في لترون لام جواب القسم والقسم لتاكيد الوعيد وافادة ان
ما وعد به في قوله سوف تعلمون مما لا ريب فيه وابهم ما وعد به في ذلك القول تفخيما للوعيد بكونه مبهما

مبهما متناولا لامور متعددة ثم اوضح ذلك بقوله لترون الجحيم وذكر في افادة التكرير ثلثة اوجه
الاول تاكيد الوعيد ونون التاكيد يقتضي كون تلك الرؤية اضطرارية بمعنى انكم لو خليتم ورايكم
لما رايتموها ولكنكم تحملون رؤيتها شئتم او ابيتم والثاني ان الرؤية الاولى الرؤية من البعيد فانها
تبرز للغاوين فيرونها وهم في الموقف كما قال تعالى وبرزت الجحيم للغاوين والرؤية الثانية اذا صاروا
الى شفير النار فعاينوا نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها والتي كانت
من البعيد رؤيتها ببعض خواصها واحوالها كرؤية لهبها ودخانها ولا شك ان الرؤية الثانية
اجلى واكشف فلذلك خصت بانها نفس اليقين حيث قيل ثم لترونها عين اليقين والثالث ان
المراد بالرؤية الاولى رؤية القلب وهي المعرفة وبالثانية رؤية العين وهذه المعرفة لا تحصل
لمن اصر على كفره بناء على ان الهاء التكاثر اياه عن النظر في امور دينه واحوال معاده الا عند
الموت وفي القبر وعند البعث الى ان يعاينوها وكونها محقق الوقوع في تلك الاوقات يمنع من ان يكون
لترون الجحيم بمعنى لتعرفنها جواب لو تعلمون كما مر واما اذا كان معناه لتعرفنها في الدنيا فلا يمكن
ان يقال هذه المعرفة متحقق الوقوع فلا يجوز ان يكون لترون الجحيم بهذا المعنى جواب لو وانما قلنا
انه لا يمكن ان يقال ذلك لان الكلام فيمن الهاهم التكاثر عن النظر في امر الدين فلا يكون معرفة
البعث والمجازاة بالجنة والجحيم حاصلة لهم فلا يمكن ان يقال معرفة الجحيم في الدنيا محقق الوقوع
بالنسبة اليهم حتى يتفرع عليه عدم جواز كونه جواب لو فظهر بهذا ان تعليل المص عدم جواز
ذلك بكون رؤية الجحيم محقق الوقوع مبني على ان يكون الرؤية بمعنى الابصار لا بمعنى المعرفة **قوله**
اي الرؤية التي هي نفس اليقين اشارة الى ان انتصاب عين على انه صفة مصدر لترونها
اي لترونها رؤية هي عين اليقين ولعله جعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين
مبالغة وقيل انتصاب عين اليقين على انه مصدر من غير لفظ الفعل حملا على المعنى لان رأى
بمعنى عاين **قوله** والخطاب مخصوص بمن الهاه دنياه عن دينه من كفار مكة الذين نزلت
هذه السورة في حقهم ومن شاركهم في هذا الوصف ملحق بهم سواء كانت من فسقة المؤمنين
او الكفار فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه من الخير والنعمة ولم يشكروا رب النعم حيث
اتبعوا شهوات انفسهم واتخذوا اهواءهم آلهتهم ثم يعذبون على ترك الشكر حتى يظهر لهم ان
الذي ظنوه سببا لسعادتهم هو الذي كان من اعظم اسباب الشقاء لهم في الاخرة ويلزمه
ان يكون النعيم مخصوصا بما يشغله عن طاعة الله وعن الاشتغال بشكره والذي يدل على هذا
التخصيص امران الاول القرينة فان ما سبق من الخطاب كله لمن الهاه دنياه فكذا هذا
والثاني النصوص منها ما روي ان ابا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية قال يا رسول الله ارأيت

واما صلحاء المؤمنين فانهم خارجون عن هذا الخطاب

الدلالة على ان المؤمن لا يؤاخذ بما تناوله من الطيبات في الحلال الذي ينتفع به على الوجه المشروع

الاكلة التي اكلتها معكم في بيت ابي الهيثم الانصاري من خبز شعير ولحم عناق وبسر قد ذنب وماء
عذب ان يكون من النعيم الذي يسال عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرأ و
هل نجازي الا الكفور هكذا رواه الامام وهي تدل على ان السورة مدنية والاكثرون على انها
مكية ورواه الامام ابو الليث هكذا ان ابا بكر رض سال رسول الله عليه وسلم عن الاكلة التي اكلها
معه في بيت ابي الهيثم فقال يا رسول الله اتخاف علينا ان يكون هذا من النعيم الذي يسال عنه
فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قال ثلث لا يسال الله العبد يوم القيمة ما يواري به
عورته وما يقيم به صلبه وما يكنه من الحر والقر وهو مسؤل بعد ذلك من كل نعمة **قوله** وقيل
يعني اي الخطاب عام للكافر والمؤمن الصالح والناس والنعم عام لكل نعمة فيسال كل احد
انه هل شكر على ما انعم عليه من النعم ام كفر لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان اول ما يسال عنه
العبد يوم القيمة من النعيم ان يقال له الم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد وروي
ايضا انه لا تزول قدما عبد حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين
اكتسبه وفيم انفقه وعن شبابه فيما ابلاه وماذا عمل بما علم وقيل اعظم النعم ان يسوغ للانسان
ما ياكله ويشربه ويسهل عليه اذا خرج وقيل النعيم صحة الابدان والانتفاع بمنافع الحواس
فيسال الله العبد فيما استعملها وهو اعلم بذلك منهم وذلك قوله ان السمع والبصر والفؤاد
كل اولئك كان عنه مسؤلا فان النفس الانسانية كانت في اول الخلقة خالية عن العلوم
والمعارف فالله اعطاها هذه الحواس لتستفيد بها العلوم النافعة اعطاها السمع لتسمع
مواعظ الله والبصر لتبصر دلائل الله والفؤاد لتعقل عظمة الله فيسال في اي امر استعملها
فظهر ان الحق ان الخطاب عام للكل لكن الكافر يسال توبيخا لانه ترك الشكر ويسال المؤمن
تشريفا لانه شكر واطاع وفي التيسير ان كلمة ثم في قوله ثم لتسألن يومئذ عن النعيم
للترتيب في الاخبار لا في الوجود فان السوال بانك اشكرت في تلك النعم ام كفرت يكون في موقف
الحساب قبل دخول النار وقيل هو بعد دخول النار يسال الكافر فيها سوال توبيخ كقوله كلما
القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير وقوله ما سلككم في سقر فيسال الكافر فيها ليضطر
الى الاعتراف بالتقصير في شكرها وبقصر همته على استيفاء اللذات كاكل المطاعم الشهية و
لبس الملابس البهية وركوب المراكب السنية وسكون المساكن العالية مشتغلا بانواع اللهو
والطرب ومجانبا عن تحلية النفس بالفضائل العلمية والعملية وقائلا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير فيقال لهم استوفيتم ما اردتم من الحظوظ وشبتم لنا بويلكم هذا فسلكم
الله حتى بقيتم في عذاب الهون **سورة العصر مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
قوله اقسم

قوله اقسم بصلوة العصر لفضلها فانه كثيرا ما يطلق العصر ويراد به صلوته قال تعالى اذن
للعصر اي للصلوة وصلينا العصر اي صلوته ودليل فضلها قوله صلى الله عليه وسلم الصلوة الوسطى
صلوة العصر فثبت به انها افضل الصلوات لان تخصيص الصلوة الوسطى بعد قوله حافظوا على
الصلوات لان تخصيص تنصيص على فضلها وقوله صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما
وتر اهله وماله اي نقص صار موتورا بان قتل له اهله واصيب ماله فلم يدرك بدم قتيله
وضمان ماله الجوهري الموتور الذي قتل له قتيل فلم يدرك بدمه وروي ان امرأة كانت تصيح في
سكك المدينة وتقول دلوني على النبي صلى الله عليه وسلم فراها رسول الله فقال لها ماذا احدثت
قالت يا رسول الله ان زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنا فالقيت الولد في دن من
الخل فهلك حتى مات ثم بعت ذلك الخل فهل لي من توبة فقال صلى الله عليه وسلم اما الزنا فعليك
الرجم واما القتل فجزاؤه جهنم واما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت انك تركت
صلوة العصر ففي هذا الحديث اشارة الى تفخيم امر هذه الصلوة ولان اسواق العرب انما
تقوم وقت العصر لانه وقت ارتفاع الحرارة بسبب انبساط ظل الحيطان على الارض فكان
ذلك وقت تجاراتهم وكسبهم والاشتغال بتحصيل اسباب معاشهم فكان اداء صلوة العصر
اشق والكلفة في ادائها اكثر وقد ثبت ان افضل الاعمال اشقها وقوله صلى الله عليه وسلم من
حلف بعد العصر كاذبا لا يكلمه الله ولا ينظر اليه يوم القيمة ولا يزكيه **قوله** او بعصر النبوة
وهو من زمان بعثته عليه الصلوة والسلام الى انقراض امته في اخر الزمان واحتج من
ذهب الى هذا القول بقوله عليه الصلوة والسلام انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من الامم مثل
رجل استاجر اجراء فقال من يعمل من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من
الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل من العصر الى المغرب بقيراطين
فعملتم انتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل اجرا فقال الله تعالى وهل
نقصت من اجركم شيئا قالوا لا قال فهذا فضلي اوتيه من اشاء فكنتم اقل عملا واكثر اجرا
فهذا الخبر دل على ان العصر هو الزمان المختص به وبامته فلا جرم اقسم الله تعالى به ايذانا
بشرفه فاذا كان الزمان الذي هو كالظرف له ولجريان شرعه ودينه بهذه المثابة من
الشرف فقس عليه شرف نفس المظروف وفي رواية البخاري عن سالم بن عبد الله عن
ابيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين
العصر الى غروب الشمس اوتي اهل التورية التورية فعملوا بها حتى اذا انتصف النهار عجزوا
فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به الى صلوة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا

القيراط نصف دانق والمراد به هنا الحصة والنصيب

قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب اى ربنا

اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم من

شيء قالوا لا قال فهو فضلي اعطيه من اشاء **قوله** او بالدهر واستعمال لفظ العصر في مطلق الزمان

وهو الدهر كثير شايع ويجوز ان يقسم به لما فيه من انواع العجايب بحسب اختلاف فصوله وتعاقب

ليله ونهاره واختصاص كل واحد منها بحكم يختص به مما يتعلق به انتظام احوال المخلوقات وغير ما

هو اعجب من كل عجيب وهو ان العقل لا يتصور ان يحكم عليه لا بالوجود ولا بالعدم اما انه لا يقدر على

ان يحكم بعدمه فلانه يطرء عليه القسمة الى السنين والشهور والايام والساعات ويحكم عليه

بالزيادة والنقصان والمطابقة وكونه ماضيا ومستقبلا فكيف يكون معدوما واما انه لا يقدر

على ان يحكم عليه بانه موجود فلان هذه الامور لا تطرء على الزمان الحاضر لانه غير قابل للقسمة

والماضي والمستقبل معدوم فان يكون ما تركب منهما معدوما ايضا فكيف يمكن الحكم عليه

بالوجود ولان بقية عمر المرء لا قيمة له فلو ضيعت الف سنة ثم تبت في اللمحة الاخيرة من العمر

بقيت في الجنة ابد الآباد فظهر لك ان اشرف الاشياء حيوتك في تلك اللمحة فكان الدهر والزمان

من جملة اصول النعم فلذا اقسم الله تعالى بها نقلست كه پيش شقيق بلخي پيری آمد وگفت كه

بسيار معصيتها كردم اكنون آمده ام كه توبه كنم شقيق گفت كه دير آمدی پير گفت زود آمدم شقيق

گفت چگونه پير گفت هر كه پيش از مرگ آيد زود آمده باشد شقيق گفت زود آمدی

ونيك گفتی وهذه الرواية يؤيد ما ذكرنا من ان اللمحة الباقية اشرف الاشياء لمن تاب فيها

قوله والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران بالجر عطف على الاشتمال قبله اى انه تعالى اقسم

بالدهر كذا وللتعريض بنفي ما ينسبون اليه بقولهم وما يهلكنا الا الدهر ووجه التعريض

انه تعالى لما اقسم به علم انه كساير مخلوقاته التي اقسم بها في السورة المتقدمة مما يتعلق بخلقه

حكمة عظيمة ومصلحة مهمة وانه بمعزل عن ان ينسب اليه شيء من الحوادث كما ظنه الدهرية

والا لكان شريكا له ومبغوضا عنده فلا يقسم به والخسر والخسران مثل الكفر والكفران وهو

بمعناه النقصان وذهاب رأس المال فان رأس المال في حق جنس الانسان هو نفسه وعمره

فهو في جميع سعيه وصرف عمره في المطالب مهلك نفسه ومضيع عمره الا المؤمن العامل فانه

ما اهلك عمره وماله لانه اكتسب بهما سعادة الابد فربح في تجارته حيث ظفر وابالتشريع

الباقي في مقابلة الحبس الفاني **قوله** والتعريف للجنس بشهادة الاستثناء فانه قد تقرر

ان صحة الاستثناء من جملة ادلة العموم والاستغراق **قوله** والتنكير للتعظيم اى لفي خسر عظيم

اى لا يعلم كنهه الا الله والذنب يعظم اما لعظم من في حقه الذنب او لانه في مقابلة النعم العظيمة

و

٦٠٤

وكلا الوجهين حاصلان في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظم **قوله**

وهذا من عطف الخاص على العام اى ذكر التواصي بالامرين بعد ذكر العمل الصالح مع ان العمل

الصالح كما يتناول ما يتعلق بتكميل نفسه يتناول ايضا ما يتعلق بتكميل غيره كالتواصي المذكور

للمبالغة في فضله وشرفه بابراز انه امر مغاير للمعطوف عليه خارج عن مدلوله من غاية

شرفه وذلك مثل عطف جبريل على الملائكة لذلك وان خص العمل بما يتعلق بتكميل نفسه فقط

اى من غير ان يقصد به تكميل غيره لا يكون عطف وتواصوا من قبيل عطف الخاص على العام

بل يكون على ظاهره وهو عطف احد المتغايرين على الآخر وهو ظاهر **قوله** ولعله سبحانه انما

ذكر سبب الربح وهو الامور الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي

بالصبر فانه تعالى لما استثنى من اتصف بهذه الاربعة عن الكون في خسر اشعر ذلك كون

الاوصاف الاربعة علة للاستثناء المذكور وبالربح من استثني وفي جانب الخسران

اقتصر على ذكر الحكم وهو الخسر ولم يذكر سببه فلما اتجه طلب الفرق بينهما تصدى في بيان

الفرق بان المقصود الاهم الفوز بالسعادات الابدية وهو معرفة اسبابه بخلاف الخسر و

معرفة اسبابه فانه لا يتعلق به قصد قاصد فاكتفى ببيان المقصود فصرح ببيان ~~المقصود~~

اسباب الفوز ولم يتعرض بغير المقصود مع ان التصريح المذكور يتضمن الاشعار بان اسباب

الخسران ما هي من حيث انه لما علق الفوز بهذه الاوصاف الاربعة اشعر ذلك انه عند انتفائها

يتحقق الفوز بالمطلوب وهو الخسران كما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الناس رجلان عالم

ومتعلم وسائر الناس همج لا خير فيهم صرح عليه الصلاة والسلام بان من لا علم له حتى يعمل بمقتضى

علمه ثم لم يكن متعلما بتوصية غيره له همج ساقط عن درجة الانسانية وهذا تصريح بما اشعر

سابق كلامه وايضا تعداد مثالب اهل العيب والتعيير بما يقتضي الكرم فلذلك لم يفصل اسباب

الخسران وهذه الآية فيها وعيد شديد من حيث دلالتها على ان الانسان لا ينجو من الخسران بتكميل

خاصة نفسه بل لا بد معه من الاهتمام بشان غيره بنصيحته وامره بالمعروف ونهيه عن المنكر

وكرر تواصي لتضمن الاول الدعاء الى الحق والثاني الثبات عليه او الاول الامر بالمعروف و

الثاني النهي عن المنكر **سورة الهمزة مكية** بسم الله الرحمن الرحيم

في الصحاح اللمز العيب واصله الاشارة بالعين ونحوها يقال لمزه يلمِزه ويلمُزه وقرئ بهما قوله

تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات ورجل لمّاز ولُمَزة اى عيّاب ثم قال والهمز مثل اللمز والاسم

والهماز العيّاب والهمزة مثله ثم قال وهمزه بالرمح طعنه في صدره ولهز الفحل ضرع امه

اذا ضربه برأسه عند الرضاع وقال النهزم التكسير يقال تهزم السقاء اذا يبس فتكسر

وعن ابي بكر الصديق ... عبارة والبسطوا الالهية اذا التواصي ... بالصبر عن المعاصي وبالصبر على حمل النفس على التكاليف ... بالصبر على المصائب

وهزمت الجيش هزما وهزيمة فانهزموا انتهى كلامه وللمفسرين الفاظ في تفسيرها قال ابن
عباس رض الهمزة المغتاب واللمزة العياب وقيل الهمز باليد واللمز باللسان وقيل الهمز بالمواجهة
واللمز بظهر الغيب وقيل الهمز ما يكون جهرا واللمز سرا بالحاجب والعين وقيل لابن عباس رض
من الهمزة واللمزة الذين يهددهم الله بالويل فقال هم المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة
الطاعنون للناس بالعيب وجميع هذه الوجوه متقاربة راجعة الى اصل واحد وهو الطعن
واظهار العيب فما ذكره المص خلاصة هذه الوجوه فقوله لمزة بدل من همزة والتاء فيهما للمبالغة
في الوصف كالتي في علامة وراوية ولذلك يقال رجل همزة وامرأة همزة وقد اطرد ان بناء فعلة
بضم الفاء وفتح العين لمبالغة الفاعل اي للمكثر المتعود لمأخذ الاشتقاق وان اسكنت العين
تكون لمبالغة المفعول يقال رجل لعنة اذا كان يلعنه الناس وضحكة اذا كانوا يضحكون منه
بان يكون سخرة لهم فالاول هو الذي يفعل لغيره والثاني هو الذي يفعل به غيره ولما بولغ في وصفهم
بان عبر عنه بصيغة فعلة بولغ في جزائه ايضا وهو النبذ في الحطمة فان الحطم الكسر فلما عبر
عن النار بصيغة فعلة دل على ان ذلك شانها وعادتها كما ان ذلك الوصف دأبهم وعادتهم فجوزوا
جزاء وفاقا لاعمالهم وزاد عليها بان قوبل كسر الاضلاع بكرهم الاعراض وبان يعبر عن الجزاء
بلفظ النبذ المنبئ عن الاستحقار رد الاستعلاء في مقابلة ظنهم بانفسهم انهم اهل الكرامة والكثرة
نظيره قوله تعالى فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم
بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر **قوله** ونزولها في الاخنس بن شريق وكان
يلمز الناس ويغتابهم وخاصة رسول الله عليه وسلم وقال ابن اسحاق نزلت في الوليد بن المغيرة كان
يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقال المحققون الوعيد الذي
في هذه السورة عام لكل من يفعل هذا الفعل كائنا من كان وذكر لان خصوص السبب لا يقدح
في عموم اللفظ وقال قوم انه مختص باناس كالاخنس والوليد وامية بن خلف ودعوى عموم اللفظ
لا ينافي ان يكون المراد منه شخصا معينا كما لو قال لك احد لا ازورك ابدا فتقول له كل من لم يزرني
لا ازوره يريد به من تخاطبه فقط لا كل احد وقد تقرر في اصول الفقه انه يجوز تخصيص
العام بقرينة العرف ولا يخفى انه لا حاجة الى هذا التكلف **قوله** بدل من كل كانه قيل ويل للذي
جمع او منصوب باضمار اعني او مرفوع بتقدير هو وعلى التقادير فهو وصف معنوي له وانما وصفه
الله تعالى بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب للهمز واللمز من حيث انه اعجب بنفسه بما جمع
من المال وظن ان كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذلك استنقص غيره ولم يجعله وصفا
نحويا للكل لانه نكرة والنكرة وان تخصصت بالاضافة الى النكرة لا يصح توصيفها بالموصولات

كانه قيل ان كنت حطمة وهمزة فانت وراء الحطمة
سا

بالموصولات **قوله** وجعله عدة على ان يكون قوله وعدده مأخوذا من العدة وهي الذخيرة
المعدة لحوادث الدهر من المال والسلاح يقال اعددت الشيء لكذا وعددته له اذا جعلته
عدة وذخيرة **قوله** او عده مرة بعد اخرى على ان يكون مأخوذا من العد وهو الاحصاء
ونقل الى بناء فعل لتكثير الفعل كما في جمع على قراءة التشديد فان جمع المخفف انما يدل على مجرد
صدور الجمع منه ولا يدل على عدد وقوعه وتكرره واما جمع المشدد فانه يدل على كثرة الجمع وتعدده
بان جمع من ههنا وههنا في ازمنة متعددة متطاولة **قوله** ويؤيده انه قرئ وعدده على ان
يكون العدد اسما مضافا الى ضمير المال بمعنى مقدار المعدود وانتصابه بالعطف على قوله مالا
فالمعنى الذي جمع مالا وضبط عدده واحصاه على ان يكون جمع عدد المال عبارة عن ضبط
عدده وكناية عن كثرته وقيل وعدده بفك الادغام فعلا اتصل به الضمير المنصوب بمعنى وعده
فيكون معطوفا على جمع وعلى التقديرين يؤيد قراءة التخفيف ان عدده بالتشديد مأخوذ من العد
بمعنى الاحصاء **قوله** تركه خالدا في الدنيا وجه قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده بثلثة اوجه والمراد
بالخلود في جميع تلك الوجوه الخلود في الدنيا والحسبان حقيقة في الوجه الاول واستعارة
تمثيلية في الوجهين الاخيرين والظاهر ان قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده استيناف على الوجه الاول
وجملة حالية من المنوي في جمع على الوجهين الاخيرين ويجوز ان يكون جملة حالية على جميع
التقادير وتقرير الوجه الاول على تقدير ان يكون الجملة استينافا انه لما قيل جمع مالا وعدده
فكانه قيل ما باله يجمع المال ويهتم به ويتركه بسببه الاستعداد لما بعد الموت فقيل انه لرؤيته
ان الحيوة والسلامة عن الامراض والآفات تدور على مراعاة الاسباب الظاهرة يحسب
حقيقة ان المال سبب خلوده في الدنيا حتى ان نابت نائبة يتداركها بالمعالجات المناسبة
لدفعها حتى كما يحسب سببه وهو الخلود في الدنيا وتقرير المعنى على تقدير كون الجملة حالية قريب
من هذا التقرير ووجه الاستعارة في الوجه الثاني انه ليس ممن يحسب الخلود حقيقة لكن شبه
حاله في حب المال واستغراق همته بجمعه وتكثيره ونسيانه الموت وما بعده من قوارع الآخرة
بسببه بحال من يحسب ان ماله يخلده فاطلق في حقه هذا التركيب مجازا والوجه الثالث قريب
من الوجه الثاني الا ان طريق التشبيه فيه ان يشبه حاله في حب الدنيا طول آماله وتمنياته
الاماني البعيدة وحمله على ان يعمل عمل من لا يظن الموت بل يحسب الخلود بحال من يحسب ان ماله
اخلده في الدنيا فاطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة والحالة المشبهة في الوجهين
هي الغفلة عن الموت وما بعده الا ان تلك الغفلة في الوجه الثاني ناشئة عن حب المال
والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث ناشئة عن حب الدنيا واستغراق

وجه ان النسب تذكر الثاني من الآخر لا بل استعارة الاخرى
سا

وهمه واو فانه على استيفاء اللذات الفانية **قوله** وفيه تعريض وفي تهديد من يحسب ان ماله
اخلده بالويل والهلاك اشارة الى ان ثمه مخلدا ينبغي للعاقل ان يكب عليه الا انه غير المال
وهو العمل الصالح والسعي للآخرة فانه هو الذي يخلد صاحبه في الدنيا بالذكر الجميل وفي الآخرة
في النعيم المقيم وانما قال اخلده ولم يقل يخلده لان المراد ان هذا الانسان يحسب ان المال
ضمن له الخلود واعطاه الامان من الموت فكانه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي
قال الحسن رح ما رايت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه كالموت وفيه ما قال **قوله**
وما اوقده الله لا يقدر ان يطفئه غيره يعني ان اضافة النار اليه تعالى لتفخيمها والدلالة
على انها ليست كسائر النيران وتوصيفها بالموقدة يدل على ان ايقادها مسند الى الله عز وجل
وانها قد اوقدت بامره وقدرته فلا تخمد ابدا وفي الحديث اوقد عليها الف سنة حتى احمرت
ثم الف سنة حتى ابيضت ثم الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة عن علي رض عجبا ممن
يعصي الله تعالى على وجه الارض والنار تسعر من تحته **قوله** تعلو اوساط القلوب يقال طلع
الجبل واطلع عليه اذا علاه والفؤاد وسط القلب يعني ان تلك النار تحطم العظام وتاكل
اللحوم فتدخل في اجواف تحيى الشهوات وتصل الى صدورهم وتعلو على افئدتهم وتستولي
عليها الا انها لا تحرقها اذ لو احرقت لمات اصحابها وقد قال الله تعالى لا يموت فيها ولا يحيى
روي عنه صلى الله عليه وسلم ان النار لتاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم ان الله
تعالى يعيد لحمهم وعظمهم مرة اخرى **قوله** من آصدت الباب قد مر في سورة البلد ان
آصدت الباب واوصدته لغتان بمعنى اطبقته واغلقته وان الاول افعل من مهموز الفاء
مثل آمن والثاني افعل ايضا الا انه من معتل الفاء مثل اوصد يوصد وكونها مطبقة عليهم
كونها بحيث لا فرجة منها حتى يخلص اليهم منها روح ويخفف عنهم كرب **قوله** تحس اي تشان
والاجبال جمع الجبل **قوله** اي موثقين في اعمدة اشارة الى ان قوله في عمد في موضع نصب
على الحال من الضمير المجرور بعليهم والعمد جمع عمود للكثرة كأدم جمع اديم والاعمدة جمعه للقلة
والعمد بضمتين جمع عمود ايضا كرسول ورسل او جمع عماد ككتاب وكتب والمقاطر جمع مقطرة
وهي خشبة فيها خروق تدخل فيها ارجل المحبوسين **قوله** تقطر منها اللصوص اي يلقون على
احد قطريهم يقال طعنه فقطره تقطيرا اي القاه على احد قطريه وهما جانباه فتقطر اي
سقط **سورة الفيل مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
اختلفوا في تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنة و
قيل بثلثة وعشرين سنة وقيل ولد صلى الله عليه وسلم بعد يوم الفيل بخمسين يوما والا

بان خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر منه

والاكثرون على انه في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه باربعين
سنة **قوله** وهو وان لم يشهد تلك الواقعة جواب عما قيل ما وجه قوله تعالى الم تر مع ان اصل
الرؤية ان تكون بصرية وان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى قد رايت وشاهدت وهو صلى
الله عليه وسلم لم يشاهده وحاصل جوابه ان المراد بالرؤية ههنا رؤية القلب وهي العلم وعبر
عنه بالرؤية لكونه علما ضروريا مساويا في القوة والجلاء للمشاهدة والعيان وانما قلنا انه علم
ضروري لان طريق حصوله الخبر المتواتر وهو يفيد علما ضروريا لا سيما قد تايدت الاخبار
المتواترة بمشاهدة آثار تلك الواقعة روي عن ابن عباس رض انه راى من الحجارة التي اهلك
الله بها قوم ابرهة الاشرم عند ام هاني نحو قفيز مخططة بخطوط حمر كالجزع الظفاري
وعن عائشة رض رايت قائد الفيل وسائسه اعميين مقعدين يستطعمان وكان عبد
المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وابو مسعود الثقفي شاهدان من فوق الجبل عسكر ابرهة
حين رماهم الطير الحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم بحيث لا يسمع لهم
ركز فانحطا عن الجبل فدخلا العسكر فاذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل واحد
منهما لنفسه حفرة وملاها من المال وكان ذلك سبب غناهما وهذا كله من آثار تلك الواقعة
فقد شاهدها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل له بذلك علم ضروري بها يوازي العيان فكانه تعالى
قال الم تعلم يا محمد بالاخبار المتواترة والمتايدة بمشاهدة الآثار علما يوازي العيان في الايقان
قوله لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة يعني ان الاشياء لها ذوات ولها كيفيات باعتبارها
تدل على مدلولاتها وكلمة ما تدل على الاول وكيف على الثاني والمقصود في هذا المقام ليس تذكير نفس
تلك الواقعة التي هي هلاك الطائفة المذكورة لان هلاكهم لا يدل باعتبار نفسه على كمال علمه تعالى وقدرته
وانما يدل عليه باعتبار ~~نفسه على كمال~~ ما فيه من وجوه الدلالة وكيفيات الاهلاك فلذلك اختير
ما يدل على الكيفيات على ما يدل على نفس الذات **قوله** فانها من الارهاصات تعليل لكون ايقاع
تلك الواقعة للدلالة على عزة بيته وشرف نبيه والارهاصات من الامور الخارقة للعادة التي
جرت على يد نبي قبل بعثته وقبل التحدي ماخوذ من الرهص بالكسر وهو الصف الاسفل من الحائط
فانه يجوز في مذهبنا تقدم خوارق العادة على زمان البعثة تاسيسا للنبوة ومقدمة لها
كاظلال الغمام وتكلم الحجر والمدر لنبينا صلى الله عليه الصلوة والسلام قبل دعوة النبوة ومن هذا
الفيل اهلاك من قصد تخريب الكعبة المعظمة حال كونها موضع الاشراك بالله تعالى بعبادة
غيره من الاوثان اذ فيه دلالة بعثة من يعظم البيت ويطهره عن الرجس والاوثان و
يدعو الناس الى عبادة الرحمن ويعظم شعائر الله باخلاص الطاعة له ولو كره المشركون

والصحيح ان ابا مسعود كان ضريرا فقعد عبد المطلب حفر بينهما ... اتنا الى تمييز مال ... منه

وهذا البيت مولوه ومسكنه الى ان هاجر عنه بامر الله تعالى ومهبط ما يوحى اليه وقبلته وقبلة امته
الى يوم القيمة تحفظ عن ارجل الاعداء وابد بهم يدل على عزته وشرفه فالدلالة على عزته وشرفه
ووقعت تلك الواقعة قبل بعثته على وجه التاسيس والارهاص والشرم الشق يقال شرمه اى
شقه وابرهة سمى اشرم لانه كان مشقوق الانف واصحمة اسم للنجاشى ملك الحبشة وكان
اصحمة قد بعث ارباط بعسكر من الحبشة الى ارض اليمن فغلب عليها واستقر امره فيها زمانا
ثم نازعه رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح فى امر الحبشة فتفرقت الحبشة فرقتين
فكانت فرقة مع ارباط وفرقة مع ابرهة مكان الامر على ذلك الى ان قتل ابرهة ارباط واجتمعت
الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رائ الناس يتجهزون
ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله الحرام فبنى كنيسة بصنعا لم يبن لملك مثلها وسماها القليس واراد
ان يصرف اليها حاج العرب فسمع به رجل من بنى مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها
فقضى حاجته ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من
العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليهدمن الكعبة ومرض
ابرهة فتساقطت انامله وما مات حتى انشق صدره فخرج قلبه منه ولم يفلت منهم الا وزيره
ابو يكسوم فار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فاخبره بما نالهم فلما
استتم كلامه رماه الطير فسقط فمات فارى الله النجاشى كيف كان هلاك اصحابه **قوله** وقرئ
الم تر اى بسكون الراء وهذا السكون بابه الشعر لا القران لما فيه من اسقاط الالف المنقلبة
قبلها من ترى وان الجازم انما هو سقوط الالف وحدها وكيف منصوب بقوله فعل لا بقوله تر لان
كيف فيه معنى الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله والكيد ارادة المضرة بالغير على الخفية والمراد به ههنا
تعطيل الكعبة وتخريبها فان قيل انما سماه كيدا وامره كان ظاهرا فانه كان يصرح انه انما يريد
هدم البيت وتخريبه والجواب انه وان كان يظهر ان مقصوده هدم البيت واخرابه انتقاما
ممن فعل فى كنيسته الا ان الذى كان يضمره فى قلبه هو الحسد للعرب فكان اصل مقصوده من
هدم البيت ان يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم الى نفسه والى بلدته فكان
هدمه كيدا فى حق العرب **قوله** فى تضييع وابطال يقال ضل اللبن فى الماء اذا ذهب وضاع
فلما ارادوا ان يكيدوا قريشا بالسبى والقتل والبيت بالتخريب والهدم ابطل الله تعالى كيدهم بان
اهلكهم جميعا **قوله تعالى** وارسل عطف على قوله الم يجعل لان الاستفهام فيه للتقرير فكان المعنى
قد جعل ذلك وارسل وابابيل صفة لطيرا اى طيرا جماعات متفرقة لانها كانت افواجا فوجا
بعد فوج وترميهم صفة اخرى لطيرا وحال منها لانها قد خصصت بالصفة **قوله** جمع ابالة و

ضربه ارباط ضربة شرمت انفه فجاء ابرهة من خلفه فقتله سهله

وقيل جمع ابول كعجول وعجاجيل وقال الفراء لو قال قائل انه جمع ابيال كدينار ودنانير كان
صوابا **قوله** والطير لانه اسم جمع فيجوز تذكيره وتانيثه اما تذكيره فلان الجمع مذكر واما تانيثه
فلحمله على المعنى لانه بمعنى الجماعة **قوله** معرب سنك كل ذكر فى بيان ماخذ السجيل اربعة اوجه
الاول انه كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وهما سنك وكل فالسنك الحجر والكل
الطين اى ترميهم بحجارة من هذين الجنسين والثانى انه من السجل وهو الدلو الكبير اذا كان
فيه يقال سجلت الماء سجلا فانسجل اى صببته بالدلو فانصب فقوله من سجيل بمعنى ان تلك الحجارة
كانت مما صب الله تعالى عليهم من خزانة قدرته والثالث انه من الاسجال بمعنى الارسال يقال
اسجلت البهيمة مع امها اذا ارسلت وهذا سجل اى مرسل مطلق والمعنى انها مما ارسله الله
عليهم والعذاب يوصف بالارسال لقوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل وقوله وارسلنا عليهم
الطوفان والرابع انه ماخوذ من السجل الذى هو الكتاب فكان السجيل اخذ منه وجعل علما
للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما ان السجين علم لديوان اعمالهم فكانه قيل بحجارة
من جملة العذاب المكتوب المدون فقوله من سجيل بمعنى مما كتبه الله تعالى فى ذلك الكتاب **قوله**
كورق زرع فسر العصف اولا بورق الزرع الذى شانه ان يقطع فتعصفه الرياح اى تذهب
به الى هنا وهنا وفسر الماكول بانه الذى اكل تبنه بان وقع فيه الاكال شبههم به فى فنائهم و
ذهابهم بالكلية او من حيث انه حدث فيهم بسبب رميهم بتلك الحجارة منافذ وشقوق
كالزرع الذى اكله الدود والدابة الذى اكل حبه وبقى تبنه وعلى هذا التفسير يكون المعنى كعصف
ماكول الحب كما تقول زيد حسن بمعنى حسن وجهه اجرى الحسن على زيد مع انه حال وجهه اعتمادا
على انفهام المعنى المراد شبههم بزرع اكل حبه فى ذهاب ارواحهم وبقاء اجسادهم ثم فسر العصف
ثانيا بالتبن لانه تعصف به الريح عند التذرية وتفرقه عن الحب وفسر الماكول ثانيا بالذى
اكلته الدواب ثم القته روثا فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء
الروث وفيه مبالغة حسنة وهى انه لم يكتف بجعلهم اهون شىء فى الزرع وهو التبن الذى
لا يجدى طائلا حتى جعلهم رجيعا الا انه عبر عن الرجيع بالماكول على طريق الكناية مراعاة
لحسن الادب واستهجانا بذكر الروث كما كنى بالاكل فى قوله تعالى كانا ياكلان الطعام عن نفس
الاكل وما يلزمه من البول والتغوط لذلك روى انه تعالى لما رد الحبشة عن مكة بهذا ما كبت
عظمت العرب قريشا وقالوا هم اهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة دفع عدوهم فكان ذلك نعمة
عظيمة من الله تعالى عليهم **سورة قريش مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
اتفقوا على ان قريشا ولد النضر بن كنانة واختلفوا فى سبب تسميتهم قريشا فقيل سموا

بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار روي أن معاوية
رض سأل ابن عباس رض لم سميت القريش قريشا فقال لدابة في البحر يأكل ولا يؤكل ويعلو
ولا يعلى أي تشبيها لهم بها من حيث اتصافهم بهذه الصفات والتصغير للتعظيم وقيل سموا قريشا لأنهم
كانوا كاسبين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ولم يكونوا أهل زرع ولا ضرع فهو مأخوذ من التقرش
وهو الكسب يقال فلان يقرش لعياله أي يكسب لهم فهو قارش فقريش تصغير قارش والقياس أن
يقال قويرش بتصغير الترخيم وصغر لكونهم حرفت في حارث وقيل إنهم كانوا متفرقين في غير الحرم
فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوها مسكنا فسموا بذلك أي لتقرشهم أي لتجمعهم يقال تقرش
القوم أي اجتمعوا وقرشتهم أي جمعتهم ولذلك سمي قصي مجمعا قال شاعرهم أبوكم قصي كان يدعى
مجمعا به جمع الله القبائل من فهر قال علماء أهل اللغة ألفت الشيء إلفا وآلفته إيلافا والإلف بمعنى
واحد أي لزمته ودمت عليه وما تركته ويقول العرب ألفت كذا أي لزمته فعلى هذا يكون معنى الإيلاف
لإيلاف قريش دائبين الرحلتين وجمعهم بينهما ولزومهم إياهما وثباتهم عليهما متصلا لا منقطعا
بحيث إذا فرغوا من ذي أخذوا في ذه وبالعكس والظاهر على هذا المعنى أن تكون اللام في قوله لإيلاف
متعلقة بما قبلها والتقدير فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش
على ما قد ألفوه من الرحلتين وذكر عطاء عن ابن عباس رض أن السبب في ألفتهم بالرحلتين
هو أن قريشا إذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء
حتى يموتوا وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيبا في
قريش فقال إنكم أحدثتم حدثا تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم و
الناس لكم تبع قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء
إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام لأن بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا
فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام
وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالا ولا أعز من قريش وقال الشاعر فيهم الخالطين
فقيرهم بغنيهم حتى يكون فقيرهم كالكافي فإن قيل كيف كان ما فعل الله بأصحاب الفيل سببا لدوام
قريش على ما ألفوه من الرحلتين أجيب بأن انتظام أحوال مكة لما كان منوطا بهاتين الرحلتين
وإنهم إنما كانوا يربحون في أسفارهم لأن ملوك النواحي كانوا يعظمون أهل مكة ويقولون
هؤلاء جيران بيت الله وسكان حرمه وولاة الكعبة حتى إنهم يسمون أهل مكة أهل الله فكانوا
بذلك آمنين في أسفارهم لا يتخطفون ولا يتعرض بهم في نفوسهم ولا في أموالهم فلو تم للحبشة
ما عزموا عليه من هدم الكعبة لزال عنهم هذا العز والشرف وانقطع تعظيم الملوك واحترامهم إياهم

التخطف الاستلاب الأخذ والمراد الإغارة

إياهم ولصار سكان مكة كسكان سائر النواحي يتخطفون من كل جانب ويتعرض بهم
في نفوسهم وأموالهم فلما أهلك الله أصحاب الفيل وجعل كيدهم في تضليل ازداد وقع أهل مكة
في القلوب وازداد تعظيم ملوك الأطراف لهم فازدادت تلك المنافع والمتاجر فلهذا قال ألم
تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ويجوز أن يكون الإيلاف
تعدية الإلف على أن يكون المعنى آلفه غيره بمعنى ألزمه وألزمه الله أي
فعلنا بأصحاب الفيل ذلك لنؤلف قريشا رحلتيها ونلزمهم إياهما والإلزام ضربان إلزام
بالتكليف والأمر وإلزام بالمودة والمؤانسة وإذا أحب المرء شيئا لزمه ومنه ألزمهم
كلمة التقوى كما أن الإلجاء ضربان أحدهما لدفع الضرر كالهرب من السبع والثاني لطلب
النفع العظيم كمن يجد بيا لا غطيها ولا مانع من أخذه لا عقلا ولا شرعا ولا حسا فإنه يكون
كالملجأ إلى الأخذ وكذا الدواعي التي تكون دون الإلجاء تارة تكون لدفع الضرر وأخرى
لجلب النفع وهو المراد في قوله لإيلاف قريش إيلافهم فإن قيل كيف يجوز أن يتعلق هذه اللام بما
في السورة المتقدمة وحق كل سورة أن تكون مستقلة بنفسها ولا يتعلق ما في إحدى السورتين
بما في الأخرى قلنا من ذهب إلى كون اللام متعلقة بما قبلها طائفتان إحديهما قالوا إنهما
ليستا بسورتين بل هما سورة واحدة واحتجوا عليه بأن أبي بن كعب رض جعلهما في مصحفه
سورة واحدة وبما روي أن عمر رض قرأ في صلاة المغرب في الركعة الأولى والتين وفي الثانية
ألم تر ولإيلاف قريش معا من غير أن يفصل بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وما ذكر من استبعاد
تعلق اللام بما قبلها لا يرد على هذه الطائفة وهو ظاهر والطائفة الثانية وهم الأكثرون
قالوا كل واحدة منهما سورة منفصلة عن صاحبتها وتعلق أول هذه السورة بما قبلها لا ينافي
ذلك لأن القرآن كله كالسورة الواحدة وكالآية يصدق بعضها بعضا ويبين بعضها معنى
بعض وقولهم إن أبيا رض لم يفصل بينهما معارض بإطباق الكل على الفصل بينهما وعلى هذا القول
وهو أن يكون الإيلاف تعدية الألف يجوز أن يتعلق اللام بما بعده وهو قوله فليعبدوا وكما
اختاره المص فيكون الإيلاف مصدر اسم المبني للمفعول مضافا إلى مفعوله الأول وأطلق عن
مفعوله الثاني حيث لم يقيد بتعلقه به ثم جعل المقيد به بدلا عن ذلك المطلق تفخيما لأمر الإيلاف
وتذكير العظيم المنة فيه لكونه نعمة عظيمة قيل والأقرب أن يكون قوله لإيلاف قريش عاما يجمع
كل مؤانسة وموافقة كان بينهم في السفر والحضر وفي جميع أحوالهم وقوله إيلافهم رحلة الشتاء
والصيف من قبيل عطف الخاص على العام تعظيما له كعطف جبريل على الملائكة ووجه التعظيم كون
تينك الرحلتين قوام معاشهم ومدار انتظام أحوالهم لأنهم كانوا يسكنون بواد غير ذي زرع

وفائدة تنزل واو العطف التنبيه على انه كل النعمة والاول اظهر **قوله** والفاء لما في الكلام لما ورد
ان يقال اذا كانت اللام متعلقة بقوله فليعبدوا لزم توسط فاء التعقيب بين العامل ومعموله
ولا وجه له اجاب عنه بان قوله فليعبدوا جزاء شرط محذوف قدم عليه معموله والمعنى ما ذكره و
قدم قوله لايلاف قريش على عامله وعلى الفاء ليكون عوضا عن الشرط المحذوف والرحلة بكسر
الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل اليها واصل الرحلة السير على الراحلة وهي الناقة القوية ثم
استعمل في كل سير وارتحال والايلاف والايناس واحد وضدهما الايحاش فيمتارون اي
يطلبون الميرة وهو الطعام **قوله** او بمحذوف اي اللام غير متعلقة لا بما قبلها ولا بما بعدها قال
محي السنة في تفسيره حاكيا عن الكسائي والاخفش اللام في قوله لايلاف هي لام التعجب كانه يقول
اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته
بقوله فليعبدوا وهذا كما تقول لزيد واكرامنا اياه على وجه التعجب اي اعجبوا لذلك والعرب اذا جاءت
بهذه اللام اكتفوا بها دليلا على التعجب من غير اظهار فعل التعجب انتهى ووجه التعجب انهم كل يوم
يزدادون غيا وجهلا وانغماسا في عبادة الاوثان والله يؤلف شملهم ويدفع الآفات
عنهم وينظم اسباب معاشهم ولا شك انه غاية التعجب من عظم حلم الله وكرمه والظاهر على هذا
الوجه ان يكون قوله فليعبدوا معطوفا على مقدر اي لينتهوا عن هذا الكفران فليعبدوا والفاء
للتعقيب **قوله** كالتضمين في الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالبيت الذي قبله تعلقا
لا يصح المعنى الا به وهذا اكثر لان المعمول يتوقف في تمام معناه على عامله وعلى متعلقه به
قوله اي بالرحلتين اشارة الى المراد بالجوع هو المجاعة الشديدة التي حلت بهم قبل الرحلتين
بسببها لا المجاعة التي اصابتهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبوه وهي قوله
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف
والعظام المحرقة فقالوا يا محمد ادع الله فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم **فدله**
فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط وهذا الاطعام لم يحصل بالرحلتين بل
بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمن على بابه اي طعمهم من اجل جوع عظيم كانوا فيه قبل
الرحلتين وقيل بمعنى بعد اي اطعمهم بعد الجوع الذي اصابهم قال صاحب الكشف الفرق
بين عن ومن ان عن يقتضي حصول جوع قد زال بالاطعام ومن يقتضي المنع من لحاق
الجوع والمعنى على هذا اطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون لابتداء الغاية
والمعنى اطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه اياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق

مطلب الفرق بين عن ومن

سورة الماعون مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم **قوله**

استفهام

استفهام بمعنى التعجب يعني ان هذا اللفظ وان كان في صورة الاستفهام لكن الغرض منه
المبالغة في التعجب كقولك ارأيت فلانا ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه ثم قيل انه خطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب لكل عاقل ورأيت هنا يجوز ان يكون من رؤية البصر او
بمعنى العرفان فيتعدى الى مفعول واحد وهو الموصول كانه قال ابصرت المكذب او عرفته و
ان يكون بمعنى العلم فيكون بمعنى اخبرني فيتعدى الى اثنين الاول الموصول والثاني محذوف قدره
الزمخشري من هو وقدره القرطبي امصيب هو ام مخطئ والمعنى ارأيت يا عاقل هذا الذي يكذب
بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه ايفعل ذلك لا لغرض فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة
الابدية الى نفسه من غير غرض او لاجل الدنيا او كيف يليق بالعاقل ان يبيع الكثير بالقليل
قوله سهل امرها اي امر هذه القراءة او الهمزة اي حذفها يعني ان وقوع حرف الاستفهام في
اول الكلام جعل امر حذف الهمزة سهلا يسيرا مع ان حذفها مختص بالمضارع نحو يرى واري
واما نحو رأيت فلم يسمع من العرب ووجه التسهيل ان الماضي بسبب دخول حرف الاستفهام عليه
شابه المضارع لان في الطلب معنى الاستقبال فاخذ حكم المضارع لذلك مع ان وقوع الهمزة في
اوله ثقل وقوع همزة اخرى بعدها فسهل حذفها لذلك ايضا وحذفها في الآية اسهل من حذفها
في البيت الذي ذكره الزمخشري وهو صاح هل ريت او سمعت براع ردّ في الضرع ما قرى
في العلاب لان البيت وان كان فيه حرف الاستفهام لكن تلك الحرف ليست بهمزة فلو لم يحذف فيه
همزة رأيت لم يلزم الثقل الحاصل من اجتماع الهمزتين بخلاف الآية قوله صاح اصله يا صاحب
فحذف حرف النداء ورخم المنادى فصار صاح وقوله ما قرى اي ما جمع يقال قريت الماء في الحوض
اي جمعت والعلبة ما يحلب فيه من جلد او خشب جمعه علب وعلاب **قوله** وارايتك بزيادة
الكاف فان التاء فيه ضمير مرفوع وانما زيدت الكاف لتدل على احوال المخاطب تقول ارايتك
زيدا وارايتكما زيدا وارايتكم زيدا بمعنى اخبر زيدا واخبرا زيدا واخبروا زيدا ولو كان الكاف
ضميرا لكان اسما منصوبا على المفعولية فلا يجوز ان ينصب زيدا لان الرؤية بمعنى الابصار لا تتعدى
الى مفعولين وكون ارايت بمعنى اخبرني على ان الاستفهام فيه مجاز عن الامر الجامع للطلب
والرؤية مجاز عن الاخبار بطريق اطلاق السبب وارادة المسبب اذ الرؤية سبب للعلم و
صحة الاخبار **قوله** والاسلام وتكذيب الاسلام يكون اما بانكار الصانع او للنبوة او لشيء
من الشرايع والدين المطلق في اصطلاح اهل الاسلام والقرآن هو الاسلام قال تعالى ان الدين
عند الله الاسلام وسائر المذاهب لا يسمى دينا الا بجزء من التقييد كدين النصارى واليهود
قوله والذي يحتمل الجنس فيكون عاما لكل من كان مكذبا بالدين **قوله** وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم

مطلب في بيان معنى ارايت

مطلب صاح ...

فجاءه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه ولم يعبأ به فأيس الصبي فقال له اكابر قريش قل لمحمد
يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم والتمس
منه ذلك وهو صلى الله عليه وسلم ما كان يرد محتاجا فذهب معه الى ابي جهل فقام ابو جهل ورحّب
وبذل المال لليتيم فعيّره قريش وقالوا أصَبَوتَ لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن
يساره حربة خفت ان لم اجبه يطعنها فيّ وكان ابو سفيان ينحر جزورين في كل اسبوع فأتى
يوم من الايام دعّ يتيما سأله لحما والدعّ الدفع بعنف قال تعالى يوم يدعّون الى نار جهنم دعّا
قوله ولا يحض اهله وغيرهم اشارة الى ان مفعول يحض محذوف اي لا يحث بنفسه ولا يأمر به
غيره ولا بد مع تقدير المفعول من تقدير المضاف اي لا يحث غيره على اطعام طعام المسكين من
اجل بخله به واضافة الطعام الى المسكين للاشعار بان ذلك حق المسكين وانه انما منع المسكين
مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع ولو كان مصدقا للحساب والجزاء
لما اقدم على ايذاء الضعيف ومنع المعروف فان دفع اليتيم الضعيف عن ماله وعن حق نفسه
ظلم وحرام لا يقدم المرء عليه الا مع الغفلة عن الحساب والجزاء ودفعه بترك المواساة معه
واعانته بقضاء حوائجه الضرورية وكذا عدم حث غيره على مواساة المحتاجين واطعام
المساكين فانه وان لم يكن في نفسه اثما وحراما لكنه يصلح علامة لعدم اعتقاده بالجزاء وتكذيبه به
من حيث ان السبب في نحو ذلك كله هو التكذيب بالجزاء وانتفاء هذه المبرات كلها لما كان متفرعا
بتكذيب الجزاء رتب قوله تعالى فذلك الذي الى على قوله يكذب بالفاء السببية للايذان بان دعّ اليتيم
وعدم حث غيره على معاونة المحتاجين سببه التكذيب بالجزاء وجعل الزمخشري قوله فذلك جواب
شرط محذوف وجعل تقدير الكلام ان طلبت علمه فذلك الذي يدعّ الى **قوله** يراءون الناس اعمالهم لبيان
معنى المفاعلة في هذا الفعل فان يراءون مفاعلة من الاراءة والمراد انهم يُرون الناس عملهم ويُرونه
الثناء عليه والاعجاب به فان قيل ما الفرق بين عن صلوتهم وبين في صلوتهم فالجواب ان معنى
في ان يكون الانسان شارعا في الصلوة طلبا برضاته وتقربا اليه وتذللا بين يديه ولكن يعتريه
السهو في اثنائها بوسوسة الشيطان او حديث النفس وذلك لا يكاد يخلو عنه احد ومعنى السهو
عن الصلوة عدم المبالاة بها والاعتناء بشأنها بتخريجها عن وقتها المذكور وان شرع فيها في وقتها لما
يريد بها مرضاة الله تعالى والتقرب اليه والامتثال لامره فيخفض ويرتفع ولا يدري ما يفعل وذلك فعل
المنافقين وهو شر من ترك الصلوة لانه استهزاء بالدين فثبت ان السهو في الصلوة من افعال المؤمنين
لانه شروع فيها بنية صحيحة واعتقاد صادق والسهو عن الصلوة من افعال الكافر فانه وان باشر صورة
الصلوة بفعله لكنه ساه غافل عن حقيقته لانعدام قصده ونيته **قوله** او للسببية على معنى فويل لهم
وجه

لانه بخيل بمال غيره منه

فالمعنى انه لتكذيبه بالدين يدعّ اليتيم ولا يواسي الفقراء والمساكين منه

وجه السببية انه لما ذكر المكذب بالجزاء باوصافه الذميمة التي ادى اليها تكذيبه بالدين تسبب
عن ذكره على هذا الوجه الدعاء عليهم بالويل والهلاك والفاء انما تدل على سببية ما قبلها من الاوصاف
لاستحقاقهم بالويل ووضع الظاهر موضع الضمير يدل على سببية ما بعدها من الاوصاف ايضا للاستحقاق
المذكور بناء على ان تعليق الحكم على الموصوف يشعر بعلية الوصف له فان قيل كيف جعل المصلين
وهو جمع قائم مقام ضمير الذي ولفظ الذي ليس بجمع قلنا معناه الجمع لان المراد به الجنس والفرق بين
المرائي والمنافق ان المنافق يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي انما يظهر زيادة الخشوع
وآثار الصلاح ليعتقد من يراه انه من اهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة
ولا يكون المرء مرائيا باظهار فرائض الله تعالى من نحو الصلوة والزكوة لان حقها الاعلان من
اجل انها من اعلام الدين وشعائر الاسلام فيستحق تاركها الذم واللعن فيجب اظهارها نفيا للتهمة
عن نفسه **قوله** او ما يتعاور في العادة اي يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضا
باعارتها واستعارتها وقيل انه اسم لما لا يمنع في العادة ويسأله الفقير والغني وينسب مانعه
الى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفأس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم ونحوها
ويدخل فيه الملح والماء والنار فانه روي ثلثة لا يحل منعها الماء والنار والملح ومن ذلك ان يلتمس
جارك ان يخبز في تنورك او يضع متاعه عندك يوما او نصف يوم واصحاب هذا القول قالوا
الماعون فاعول من المعن وهو الشيء القليل وسميت الزكوة ماعونا لانه يؤخذ من المال
ربع العشر وهو قليل من كثير والمقصود من الاية على هذا الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة
فان البخل بها نهاية الدناءة والمنافقون كانوا كذلك لقوله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
وقال مناع للخير معتد اثيم ومن فسر الماعون بالزكوة كابي بكر وعلي وابن عباس وابن عمر والحسن
وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وغيرهم استدلوا بذكره عقيب الصلوة فانه يدل على ان المراد به
هو الزكوة وبما روي عنه في آخر السورة وهو قوله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله
له ان كان للزكوة مؤديا فانه يوهم ان الماعون هو الزكوة وقيل اصله معونة والالف عوض من
الهاء **سورة الكوثر مكية** بسم الله الرحمن الرحيم
اصله انا اننا تحذف احدى النونات كراهة لاجتماع الامثال والانطاء الاعطاء بلغة اهل
اليمن قال اهل اللغة الكوثر فوعل من الكثرة كنوفل من النفل والعرب يسمي كل شيء كثير العدد او
كثير القدر والخطر كوثرا فهو بناء يفيد المبالغة في الكثرة والافراط فيها قيل لاعرابية رجع ابنها من
السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر اي بالعدد الكثير من الخير وهذا هو معنى الكوثر في اللغة وذهب
اكثر المفسرين الى ان الكوثر نهر في الجنة استدلالا بما روي عنه صلى الله عليه وسلم ولعله انما سمي

ذلك النهر كوثرا لكثرة ما فيه من المنافع على ما قال صلى الله عليه وسلم انه نهر في الجنة وعدنيه
ربي فيه خير كثير فقيل من جملة خيراته انه تتفجر منه انهار الجنة لما روي انه ما في الجنة بستان الا
وفيه من الكوثر نهر جار وقيل انه حوض في الجنة ووجه التوفيق بين هذا القول الاول ان يقال
لعل ذلك النهر ينصب في هذا الحوض او لعل الانهار انما تسيل من ذلك الحوض فيكون ذلك الحوض
كالمنبع وقيل الكوثر اولاده ودليل ان هذه السورة نزلت ردا على ما عابه بعدم الاولاد
فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من اهل البيت ثم العالم ممتلئ منهم
وقيل الكوثر اتباعه واشياعه الى يوم القيمة ولا شك ان له صلى الله عليه وسلم من الاتباع ما
لا يحصيهم الا الله تعالى روي انه صلى الله عليه وسلم قال بينا اكون مع الانبياء اذ يظهر لنا امة
من الناس فنبتدرهم بابصارنا ما منا من نبي الا وهو يرجو ان تكون امته فاذا هم غر محجلون
من اثار الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يظهر لنا مثلا ما ظهر
اولا فنبتدرهم بابصارنا ما من نبي الا ويرجو ان تكون امته فاذا هم الغر المحجلون من اثر
الوضوء فاقول امتي ورب الكعبة فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يرفع لنا ثلثة امثال ما قد رفع فنذكر
كما ذكر في ~~الاول~~ المرة الاولى والثانية ثم قال ليدخلن ثلث فرق من امتي قبل ان يدخلها احد من
الناس ولقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيمة ولو بالسقط
فاذا كان يباهي بمن لم يبلغ حد التكليف فكيف بمثل هذا الجم الغفير فلا جرم حسن منه تعالى
ان يذكره بهذه النعمة الجسيمة فقال انا اعطيناك الكوثر وقيل الكوثر علماء امته وهو لعمري الخير
الكثير لانهم كانبياء بني اسرائيل من حيث ان هؤلاء الانبياء كما يتبعون النصوص المأخوذة من
الوحي في واقعات الاحكام ونوازل الحوادث فلذلك علماء امته يتبعون النصوص الالهية ويستنبطون
منه الاحكام باجتهادهم ثم تفضله عليه الصلوة والسلام على سائر الانبياء من جهتهم ما روي
انه يجاء يوم القيمة الرسل والانبياء ويتبعهم اممهم فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان
ويجاء لكل عالم من علماء امته ومعه الالوف الكثيرة فيجتمعون عند الرسول صلى الله عليه وسلم
فربما يزيد عدد تبع بعض العلماء على عدد تبع الف من الانبياء عليهم الصلوة والسلام و
قيل الكوثر هو القران وفضائله لا تحصى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده
سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
ولو جئنا بمثله مددا وقيل الكوثر هو الاسلام وقيل هو الفضائل الكثيرة التي فيه وقيل العلم وقيل
المقام المحمود الذي هو الشفاعة وقيل الكوثر النبوة ولا شك انها الخير الكثير لانها المنزلة التي ثانيتها الربوبية
ولهذا قال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل المراد من الكوثر جميع ما انعم الله تعالى على محمد عليه

التحجيل بياض في قوائم الفرس او في ثلث منها او في رجليه قل او كثر بعد ان يجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين يقال فرس محجل صح

وقيل الكوثر الذكر الحسن في الدنيا والاخرة قال تعالى ورفعنا لك ذكرك صح

عليه وسلم وهو المنقول عن ابن عباس رض لان لفظ الكوثر يتناول جميع النعم وليس حمله على
البعض اولى من حمله على الباقي فوجب حمله على الكل فيتناول خيرات الدنيا والآخرة وخيرات الدنيا
ما كانت واصلة اليه حين كان بمكة والخلق في كلام الله تعالى مجاز فوجب في حكمة الله تعالى ابقاؤه
في دار الدنيا الى حيث يصل تلك الخيرات فكانت الآية كالبشارة له والوعد بانهم لا يقدرون على ان
يضروه بشيء ولا يصلوا اليه كيدهم ومكرهم بل يزداد امره صلى الله تعالى عليه وسلم كل يوم في القوة و
الازدياد وعبر عما سيكون بصيغة اعطينا لتحقق وقوعه ويجوز ان تكون صيغة الماضي على حقيقتها
بناء على ان الاسعاد والاشقاء والاغناء والافقار ليس امرا يحدث الآن بل كان حاصلا في الازل
بمحض الاختيار والمشية من غير ان يكون شيء منها معللا بعلة اصلا فكانه تعالى يقول يا اخي ناكر
وما فضلناك لاجل طاعتك وحيدا واهتمامك بها والا كان يجب ان لا نعطيك الا بعد اقدامك
على الطاعة بل انما اخترناك واعطيناك بمجرد الفضل والاحسان منا اليك من غير موجب يقتضيه
ولا باعث يؤدي اليه ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم قبل من قبل لا لعلة ورد من رد لا لعلة وكيف
لا يكون الامر كذلك وفعل الله تعالى صفته وما يكون منا من الطاعة وبذل الوسع في تحصيل مرضاته
صفتنا وصفة المخلوق لا تكون مؤثرة في صفة الخالق بل المؤثر في صفتنا انما هو صفة الخالق ولهذا
قال من قال لا اعبد ربا يرضيه طاعتي ويسخطه معصيتي بل يريد ان رضاه وسخطه قد يمان وطاعتي ومعصيتي
محدثتان والمحدث لا يؤثر في القديم بل رضاه عن العبد في الازل هو الذي حمله على طاعته فيما يستقبل
وكذا السخط بالعبد على مخالفته وعصيانه ولا قوة الا به **قوله** شكرا لانعامه عليه لتوله قدم على الصلوة
فان كثرة الانعام توجب مداومة المنعم عليه على شكر المنعم فلما بين الله تعالى كثرة انعامه عليه بقوله
اعطيناك فرع عليه قوله فصل فانه بمنزلة ان يقال فاشكر لكون الصلوة جامعة لاقسام الشكر وهي
ثلثة الاول الشكر بالقلب وهو ان يعلم ان تلك النعم منه لا من غيره والثاني الشكر باللسان وهو ان
يمدح المنعم ويثني عليه والثالث الشكر بالجوارح وهو ان يخدمه ويتواضع له والصلوة جامعة لهذه
الاقسام **قوله** فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة متفرع على ما ذكر من الامور الاربعة وهي قوله
خلاف الساهي عنها المراءي فيها وقوله خلافا لمن يدعهم ويمنع عنهم الماعون وبيان وجه المقابلة ان
الله تعالى وصف المنافقين في السورة المتقدمة باربعة امور اولها البخل وهو المراد من يدع اليتيم
ولا يحض على طعام المسكين والثاني ترك الصلوة وهو المراد من قوله الذين هم عن صلوتهم
ساهون والثالث الرياء في الصلوة وهو المراد من قوله الذين هم يراءون والرابع منع الزكوة وهو
المراد من قوله ويمنعون الماعون فذكر في هذه السورة الكريمة في مقابلة تلك الصفات الاربع صفات
اربعة تقابل تلك الصفات المتقدمة فذكر في مقابلة الذين هم عن صلوتهم ساهون قوله فصل

اى دم على الصلوة وذكر فى مقابلة الذين يراؤن قوله لربك اى اثبت بالصلوة خالصا لوجه الله تعالى لا لمراءاة الناس وذكر فى مقابلة يدع اليتيم ويمنعون الماعون قوله وانحر اى اذبح البدن التى هى خيار الاموال وتصدق بلحومها على المحاويج فان بذل خيار الاموال ينافى البخل وصرفها الى المحاويج يقابل منع الماعون وقول المص قدم على الصلوة من غير تقييد الصلوة بالاضافة الى العيد ونحوه اشارة الى ان المراد بها جنس الصلوة وانما خصت بالذكر لكونها عماد اعمال الدينية وقيل المراد بالصلوة صلوة العيد وبالنحر التضحية والمقصود الامر بتاخير التضحية عن صلوة العيد لانهم كانوا يقدمون التضحية على الصلوة فنزلت هذه الاية قال المحققون هذا القول ضعيف لان عطف الشيء على غيره بالواو لا يوجب الترتيب واقتران ذكر النحر بالصلوة لا يستدعى ان يحمل الصلوة على ما يقع فى يوم النحر فالاقرب هو القول الاول **قوله** ان من ابغضك البغض ضد الحب فالمبغض ضد المحب فقوله من ابغضك اى من لا يحبك بل يعاديك لمخالفتك لهم هو الابتر لبغضه لك فقوله لبغضه لك علة لكونه هو الابتر ومعنى التعليل مستفاد من تعليق الحكم المشتق الذى هو الشانئ وهو المبغض فانه يفيد علية الماخذ وهو البغض وفى الصحاح الشناءة بالفتح والمد مثل الشناعة البغض وقد شنئته شناء وشناءة وشنئا وشنآنا بالتحريك وشنآنا بالسكون اى ابغضته والبتر فى اللغة استيصال القطع وبترت الشئ بترا اى قطعته وبتر بالكسر بترا اى صار ابتر وهو مقطوع الذنب ويقال للذى لا عقب له ويقال لمن انقطع عنه الخير قال السدى كان قريش يقولون لمن مات الذكور من اولاده ابتر فلما مات ابنه صلى الله عليه وسلم القاسم وعبد الله بمكة وابرهيم بالمدينة قالوا ابتر وليس له من يقوم مقامه وورد ان العاص بن وائل كان يقول ان محمدا ابتر لا ابن له يقوم مقامه بعده فاذا مات انقطع ذكره واسترحتم منه فاخبره الله تعالى ان شانئك ومن عاداك هم المبتورون فتولى سبحانه بنفسه اى من غير واسطة جوابهم وسمى نبيه عليه الصلوة والسلام على ما هو سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يشتم حبيبه تولى بنفسه جوابه فقال تعالى ان مبغضك الذى يسبك الى البتر هو المقطوع من خير الدنيا والاخرة المنسى ذكره فيهما وان ذكر ذكر باللعن واما انت فكل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى اخر الدهر فمثلك لا يقال له ابتر قال اهل العلم هذه السورة مع كونها اقصر سورة فى القران قد احتوت على معان بليغة واساليب بديعة منها دلالة استهلال السورة على عظمة العطية من حيث انها عطية رب السموات والارض الذى لا ينقص شيء مما فى خزائن قدرته بكثرة نواله وافضاله والكوثر وان كان خيرا كثيرا فان اعطاءه كثير من كثير ومنها ايراده

وجوب تقديم الصلوة على النحر ليس لان الواو يوجب الترتيب بل لتقدم الصلوة والسلام ابدا ابدا بما بدا الله عز وجل
منه

وانما كان ابتر لانه كان شانئه عدم وبغضا فان من عاداه محمودا قد تكفل الله تعالى باعلاء شانه وتعظيم قدره فقد عادى الله تعالى وخسر الدنيا والاخرة
منه

ايراده بصيغة الماضى مع ان العطايا الاخروية اكثر ما يكون فى الدنيا لم يحصل بعد تحقيقا لوقوعه مع ان الاعطاء لا يستدعى تمكن الموهوب من تصرف الموهوب وقت الهبة فان اقر لولده الصغير بضيعة لم يصح ان يقال انه اعطاه تلك الضيعة مع ان الصبى فى تلك الحالة لا يكون اهلا للتصرف ومنها تاكيد الجملة بان الجارية مجرى القسم وكلام الصادق مصون عن الكذب والخلف فكيف اذا بالغ فى التاكيد فان تقديم المبتدا وبناء الفعل عليه يفيد التاكيد ايضا لاشتمال الكلام به على تكرر الاسناد ومنها الاتيان بصيغة تدل على المبالغة فى الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكوثر لان فى حذفه من فرط الشياع والابهام ما ليس فى اثباته ومنها تعريفه بلام الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على التسبيب فان الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها ما فى قوله لربك من التعريض لمن كانت صلوته ونحره لغيره ومنها تخصيص الصلوة بالذكر للاشارة الى انها عماد الاعمال الدينية وافضلها ثم اشار الى العبادة المالية بذكر ما هو اسنى منها وهو النحر ومنها حذف متعلق انحر اكتفاء بذكره فى الصلوة اذ التقدير فصل لربك وانحر له ومنها مراعاة السجع فانها من الصنايع البديعية الى غير ذلك مما لا يحصى ولا يعد

سورة الكافرون مكية بسم الله الرحمن الرحيم **قوله**

يعنى كفرة مخصوصين وهم الذين قالوا له صلى الله عليه وسلم نعبد الهك سنة وتعبد آلهتنا سنة يريد ان الالف واللام فى قوله تعالى الكافرون وان كانت للجنس بحسب الظاهر حيث وقع الكافرون صفة لاى الا ان المقصود العهد فان تخصيص العام بحسب القرائن شايع كثير كما تقول يا ايها الرجال ادخلوا الدار فانك لا تامر به جميع الرجال بل تامر الذين تشير اليهم باقبالك عليهم وقرينة الخصوص فى الآية هى انه لا يجوز ان يكون قوله لا اعبد ما تعبدون خطابا مع كل الكفرة لان فيهم من يعبد الله تعالى كاليهود والنصارى فلا يجوز ان يقال لهم لا اعبد ما تعبدون ولا يجوز ان يكون قوله ولا انتم عابدون ما اعبد خطابا مع الكل لان فى الكفار من آمن وصار يعبد الله تعالى فبهذه القرينة علمنا ان الخطاب للكفرة المخصوصين الذين سبق فى علم الله تعالى موتهم على الكفر **قوله** فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال يعنى اذا دخل لا على المضارع يجب ان يكون ذلك المضارع بمعنى الاستقبال لا انها لا تدخل ابدا الا على المضارع الموصوف فانها قد تدخل على الماضى بشرط التكرير نحو فلا صدق ولا صلى وكذا تدخل على الاسم نحو لا رجل فى الدار وكذا ما فانها تدخل على غير المضارع كثيرا كقوله تعالى ما كان محمد وما هذا بشرا واختلفوا فى ان التكرير ههنا هل هو للتاكيد ام لا واذا لم يكن للتاكيد فبأى طريق حصلت المغايرة حتى يكون كل جملة لنا سبب معنى على حدة فذهب جماعة الى ان القرينة الثالثة وهى قوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم

تاكيد للقرينة الاولى وهى لا اعبد ما تعبدون وان القرينة الرابعة وهى قوله ولا انتم عابدون
ما اعبد تاكيد للثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد ومثله فباى آلاء ربكما تكذبان وويل
يومئذ للمكذبين ونحوهما وفائدة التاكيد ههنا قطع اطماع الكفار وتحقيق للاخبار بانهم
يموتون على الكفر وانهم لا يسلمون ابدا فان هؤلاء الكفار رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرارا وقالوا لو تريد ان تقع الصلح بيننا وبينك بان نعبد الهك مدة وتعبد آلهتنا مدة فسكت
صلى الله عليه وسلم فى كل مرة ولم يجبهم احتياطا من انه لو شافههم بالرد والتأييس لتأذوا
وحصلت النفرة عن الاسلام فى قلوبهم فوقع فى قلوبهم انه قد مال الى دينهم بعض الميل فلا
جرم دعت الحاجة الى التاكيد ابطالا لزعمهم الباطل فنزلت هذه السورة ونزل ايضا قوله
تعالى افغير الله تامرونى اعبد ايها الجاهلون فتارة وصفهم بالجهل لانه اصل الخبائث وتارة
بالكفر لانه كالثمرة للجهل فلما نزلت السورة وقرأها على رؤسهم شتموه وايسوا منه هذا،،
خلاصة المعنى على تقدير ان يحمل التكرير على التاكيد وذهب آخرون الى ان كل جملة لافادة معنى
على حدة واختاره المص حيث قدمه فى الذكر على احتمال كونه للتاكيد وبين طريق المغايرة،،
ببيان ان كل قرينة مقيدة بزمان غير زمان القرينة الاخرى فحمل القرينة الاولى على الاستقبال
بشهادة كلمة لا الداخلة على المضارع وحمل القرينة الثانية على الحال او الماضى فكان المعنى
لا افعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولست فى الحال او فى الماضى بعابد لما عبدتم
من الاصنام وحمل القرينة الثانية وهى قوله ولا انتم عابدون ما اعبد على الاستقبال بقرينة الكلام
مقابلتها للقرينة الاولى المحمولة على الاستقبال وحمل القرينة الرابعة وهى هذا التركيب بعينه
على استغراق النفى وشموله لجميع الازمنة بناء على ان الجملة الاسمية تفيد الدوام واذا دخلت
عليها حرف النفى تفيد دوام النفى ثم قال ويجوز ان يكونا تاكيدين على طريقة ابلغ اى يجوز ان يكون
القرينة الثالثة تاكيدا للقرينة الاولى على طريقة ابلغ لان القرينة الاولى لنفى الاستقبال والقرينة
الثالثة تفيد دوام النفى فى جميع الازمنة كما مر آنفا فتفيد ما افادته الاولى مع زيادة فكانت،،
تاكيدا لها على طريقة ابلغ وكذا القرينة الرابعة يجوز ان يكون تاكيدا للثانية على ابلغ وجه لان الثانية
حملت بقرينة المقابلة على نفى الاستقبال والرابعة محمولة على عموم النفى فيكون ابلغ منها ويرد على،،
تجويزه ان يكون قوله ولا انا عابد محمولا على الماضى كما اشار اليه بقوله او فيما سلف ان عابد اسم فاعل
وقد عمل فى عبدتم فكيف يصح ان يكون بمعنى الماضى والحال انه انما يعمل اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال
الا ان يقال اعماله حال كونه بمعنى الماضى مبنى على حمله على حكاية الحال الماضية كما فى قوله تعالى وكلبهم باسط
ذراعيه وقوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون ونحوهما **قوله** وهو صلى الله عليه وسلم لم يكن موسوما قبل

قبل البعثة بعبادة الله تعالى وهذا الفرق يقتضى ان يعبر عن عبادتهم بلفظ الماضى وعن عبادته عليه
الصلوة والسلام بما يدل على الحال حيث لم يكن فيما مضى مشتهرا بكونه عابد الله تعالى وفى الفرق المذكور
نظر لانه عليه الصلوة والسلام لم يزل موحدا لله تعالى منزها له عن كل ما لا يليق بجلال ذاته متجنبا عن
اصنامهم يقف على مشاعر ابرهيم عليه الصلوة والسلام ومناسكه ويحج البيت وهذه كلها عبادة
وان عبادة اعظم من توحيد الله تعالى ونبذ الاصنام وقد سمى الله تعالى معرفته عبادة حيث قال
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال المفسرون معناه الا ليعرفون فعبر عن المعرفة
بالله بالعبادة وقد ثبت فى الاحاديث الصحيحة انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يتحنث اى يتعبد قبل البعثة فى
غار حراء وجوابا ان جميع ذلك مسلم الا ان المراد بالعبادة التى نفيت عنه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة
هى اعمال الجوارح الواقعة على سبيل الامتثال لامر الشارع فان العبادة قد يطلق على هذا المعنى
والايمان والنية والاخلاص شروط لصحة العبادة بهذا المعنى واياها اراد من قال فان فقيها واحدا
متورعا اشد على الشيطان من الف عابد وقد اختلف فى انه صلى الله عليه وسلم هل كان متعبدا بالعبادة
بهذا قبل نبوته او لا فقال الامام الرازى وجماعة من اصحاب الشافعى وابو الحسين البصرى واتباعه
الى انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا بهذا المعنى واجابوا عن الطواف والتحنث وغيرهما عن المكارم
بانها ليست بعبادة بهذا المعنى لانها يجب ان يكون مسبوقة بامر الشارع ومامورا بها من قبله فاذا لم يكن
تلك الافعال عبادة بهذا المعنى لم يكن عليه الصلوة والسلام متعبدا قبل البعثة فكان ما وقع منه عليه
الصلوة والسلام قبلها من قبيل الجرى على العادة المستمرة القديمة والمكارم الحسنة المقبولة من غير
ان ينظر الى كونه طاعة الله تعالى اتى به على طريق الامتثال لامر الشارع قال الامام قال فى تفسير سورة
البينة العبادة فى الاصل هى التذلل ومن زعم انها الطاعة فقد اخطأ لان ما وقع من المشركين
من عبادة الملائكة والمسيح والاصنام عبادة وليست بطاعة لانهم ما اطاعوهم لان الاطاعة
عبارة عن امتثال الامر وهم ما امروا المشركين بذلك لكن فى الشرع صارت اسما لكل طاعة
لله تعالى اتيت على وجه التذلل ونهاية التعظيم فظهر بهذا انه لا بد فى كون الفعل عبادة من شيئين
احدهما غاية التعظيم ولذلك قلنا ان صلوة الصبى الغير العاقل ليست بعبادة لانه لا يعرف عظمة
الله تعالى فلا يكون فعله غاية التعظيم والثانى ان يكون الفعل مامورا به فيفعل اليهود ليست بعبادة
وان تضمن نهاية التعظيم لانه غير مامور به انتهى معنى كلامه **قوله** وانما قال ما دون من اى فى القرينة
الثانية والرابعة وهما قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد والمراد بما اعبد فى الموضعين هو الله سبحانه
مع ان اصلها ان لا يطلق على اولى العلم واما كلمة ما فى قوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وفى قوله ولا
انا عابد ما عبدتم فانها واقعة فى موقعها لان المراد بها فيهما الاصنام واجاب عنه بجوابين الاول

لانها جملة اسمية دخل عليها
حرف النفى فتفيد دوام النفى
لتذكر سلمه

لان الشرائع السابقة على
شريعته عليه الصلوة والسلام
صارت منسوخة بشريعته وما
صارت شريعة عيسى عليه السلام متروكة
واما شريعة موسى فقد صارت منقطعة
ان النصارى قد لبسوا عليهم ما فيه
وهم كفار بسبب قولهم
بالتثليث والذين بقوا على
التوحيد كانوا قليلين فلم
يكن قولهم حجة ،،
ثبت انقطاع شريعة ،،
عيسى فما وقع بعد انقطاعها
لا يكون على طريق الامتثال
للشرع سلمه

ان الله تعالى عبر عنه بلفظة ما لا بان يراد به نفس ذاته بل اريد به الوصف وهو الحق والحاصل
ما في قوله ما اعبد على الحق حملا ما في قوله ما عبدتم وما تعبدون على الباطل تحقيقا للتقابل و
الثاني انه لما عبر عن المعبودات الباطلة بما على الاصل عبر عن المعبود بالحق ايضا به
للمطابقة والمشاكلة فان المقابلة يحسن ما لا يحسن حال الانفراد ثم اشار الى جواب
ثالث بقوله وقيل انها مصدرية يحصوله انه انما يحتاج الى الاعتذار باحد الوجهين ان
لو كان ما موصولة وليست كذلك بل هي مصدرية في المواضع اي لا اعبد عبادتكم اي مثل
عبادتكم ولا بد من هذا التقدير لان الشخص لا يفعل نفس فعل غيره ولكن يفعل مثل فعله
وكذا الكلام في اخواتها **قوله** وقيل الاوليان بمعنى الذي والمعنى لا اعبد الاصنام ولا تعبدون
الله والاخريان مصدريتان والمعنى ولا انا عابد مثل عبادتكم المبنية على الشرك ولا انتم عابدون
مثل عبادتي المبنية على اليقين والظاهر ان مقصود القائل حمل هذه القرائن لا ارجع على التاسيس
ببيان التغاير بينها بهذا الوجه ولا دخل له في الجواب اذ لا تعرض فيه لوجه التعبير عنه تعالى
بكلمة ما في القرينة الثانية وانما اخره الى ههنا من حيث ان له تعلقا بهذا الموضع ايضا **قوله**
فليس فيه اذن في الكفر ولا منع عن الجهاد وان كان ظاهر العبارة يشعر بكل منهما فان
قوله لكم كفركم بالله يشعر بالاذن في الكفر وهو غير صحيح لانه صلى الله عليه وسلم بعث للمنع عن
الكفر فكيف ياذن فيه فلما قيل معنى قوله لكم دينكم انكم لا تتركونه ابدا لان الله تعالى قد علم انكم
تموتون عليه كان هذا الكلام تذكرة لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد حيث كان بيانا ″
لمحصل معناه لتوهم هذا المعنى لا يكون مشعرا بالاذن في الكفر ولو كان المراد به الاذن في الكفر
لكان ذلك منافيا له عليه الصلوة والسلام عن الجهاد لان كونه مامورا بان ياذن لهم في الثبات
على الكفر يستلزم منعه عنه فلما لم يكن المراد به الاذن في الكفر لم يكن فيه دلالة على المنع
من الجهاد ايضا وان فسر الدين بالحساب كان المعنى لكم حسابكم ولي حسابي ولا يرجع ″
الى كل واحد منا من عمل صاحبه اثر البتة والدين قد يستعمل بمعنى الدعاء كما في قوله تعالى ادعوا
الله مخلصين له الدين ومعنى الاية على هذا لكم دعاؤكم وما دعاء الكافرين الا في ضلال و
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ويستجيب الذين امنوا ادعوني استجب لكم وفي الصحاح الدين
بالكسر العادة والشان وقال الامام وقيل الدين العادة والمعنى لكم عادتكم الماخوذة
من اسلافكم من الشياطين ولي عادتي الماخوذة من الملائكة ومن الوحي ثم يبقى كل واحد
منا على عادته حتى تلقون الشياطين والنار والقى الملائكة والجنة ولم اجد تفسير الدين ″
بالعبادة ولعل ما في النسخ من تحريف الناسخين سورة النصر مدنية بسم

٦١٤

الله الرحمن الرحيم **قوله** اظهاره اياك على اعدائك النصر
في الاصل الاعانة يقال نصرت فلانا اذا اعنته على تحصيل مطلوبه الذي كان مشتغلا به و
جعل نصر الله تعالى اياه عليه الصلوة والسلام كناية عن اظهاره اياه على اعدائه اي جعله
اياه غالبا على اعدائه يقال ظهرت على فلان اذا غلبت عليه لانه اذا نصر الله عبدا على
اعدائه فبالضرورة تكون غالبا عليهم ولم يبق النصر على ظاهره ليظهر الفرق بينه
وبين الفتح حتى يظهر عطفه عليه مع انه لو ابقي على ظاهره لصح العطف ايضا لان النصر ″
كالسبب للفتح ولا بعد في عطف المسبب على السبب فان قيل لا شك ان فتح مكة وسائر
البلاد وقع بنصرة الصحابة من المهاجرين والانصار فما السبب في اضافة الفعل الصادر
عنهم الى الله سبحانه حيث قيل نصر الله والجواب ان افعالهم مستندة الى ما في قلوبهم من الدواعي
والصوارف وتلك الدواعي والصوارف امور حادثة فلا بد لها من محدث وليس هو العبد
والا لزم التسلسل فلا بد وان يكون هو الله تعالى فيكون المبداء الاول والمؤثر الابعد هو الله تعالى
ويكون المبداء الاقرب هو العبد فمن هذا الاعتبار صارت النصرة المضافة الى الصحابة رض
بعينها مضافة الى الله تعالى وهذه الاضافة لتعظيم المضاف اي نصر لا يليق الا بالله ولا يليق
ان يفعله الا الله والمجيء حقيقة في الاعيان التي تتحرك بالة المشي ومجاز في المعاني والظ
ان يقال اذا وقع نصر الله وحصل الا انه عبر عن الوقوع والحصول بالمجيء للاشعار المذكور
وتوضيحه ان الحوادث التي قدر في الازل وجودها فالله سبحانه قدر لحدوث كل واحد منها ابا
معينة واوقاتا مقدرة لا يحدث شيء منها الا اذا تحقق اسبابها وحضر اوقاتها فشبه كونها
مربوطة معلقة بتلك الاوقات بكونها متوجهة اليها بحيث تقرب منها شيئا فشيئا وشبه وقوعها
عند حضور اوقاتها بمجيئها اليها فاطلق اسم المجيء على ذلك الوقوع ثم اشتق منه لفظ جاء
فكان استعارة تبعية ومثل هذا الكلام يقصد به تنبيه المخاطب على قرب مجيء ما استندت
اليه وتوصية بما يتعلق بمجيئه فقولك اذا جاء غائبك فاصنع كذا وكذا انما يقال للتنبيه والتوصية
المذكورين فلذلك قال المص وقد قرب النصر من وقته وظهر من هذا التقرير ان هذه السورة
نزلت قبل فتح مكة عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينصره على اهل مكة وان يفتحها عليه مع
ان كلمة اذا ظرف لما يستقبل فلا يقال فيما قد وقع وجاء اذا وقع واذا جاء وقيل انها نزلت بعد
فتح مكة وانها فتحت في سنة ثمان ونزلت هذه السورة سنة عشر وروي انه عليه الصلوة و
السلام عاش بعد نزول هذه السورة سبعين يوما ولذلك سميت سورة التوديع وروي انه
عم عاش بعدئذ ولا ستين يوما مستديما للتسبيح والاستغفار عن عائشة رض انه صلى الله

بالمجاز عن غاية كالرأفة والرحمة لان النصر بالمعنى المشهور انما يتقوم بالفاعل الذي لا يستقل بالفاعلية فتوهم هذا المعنى لا يتصور في حقه تعالى فحمل على غاية وهي اظهار النصر كما تشرف الرحمة والرأفة بافاضة الخير على المحتاجين غاية لهم منه

فيكون عطف الفتح على النصر من قبيل عطف اللازم على الملزوم لان الغلبة على الاعداء مستلزم للفتح بلادهم منه

وقيل المراد جنس نصر الله خاصة و اي لا النصر عموم لا فتح مكة خاصة منه

لان فيها توديع الدنيا والتوجه الى دار البقاء منه

عليه وسلم كان بعد نزولها هذه السورة يكثر ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي
وعن ابن مسعود رض لما نزلت هذه السورة كان عليه الصلوة والسلام يكثر ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك اغفر لي انت التواب الغفور وقال مقاتل انه عليه الصلوة والسلام
عاش بعد نزولها حولا ونزل اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعده ثمانين يوما ثم نزل آية الكلالة
فعاش بعدها خمسين يوما ثم نزل لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلثين يوما
ثم نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد عشر يوما وفي رواية اخرى عاش
بعدها سبعة ايام والله تعالى اعلم بحقايق الاحوال قال النحويون اذا منصوب بسبح والتقدير سبح
بحمد ربك اذا جاء نصر الله فكانه تعالى يقول جعلت الوقت ظرفا لما تريده وهو النصر والفتح وكثرة
الاتباع والامم وملائت ذكر الظرف من هذه الاشياء وبعثته اليك فلا تردد الى فارغا بل املاه
من العبودية ليتحقق معنى تهادوا تحابوا وكانه صلى الله عليه وسلم قال باي شيء املأ ظرف هديتك
وانا فقير فقال الله تعالى في المعنى ان لم تجد شيئا اخر فلا اقل من تحريك اللسان بالتسبيح والحمد والاستغفار
فلما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حصل معنى تهادوا فلا جرم حصلت المحبة وكان عليه وسلم حبيب الله
واعلم ان صفات الحق منحصرة في قسمين سلبية وثبوتية والسلوب متقدمة على الايجابات والتسبيح
اشارة الى التعرض للصفات السلبية لواجب الوجود وهي صفات الجلال والتحميد اشارة الى
الصفات الثبوتية له تعالى وهي صفات الاكرام ولما امره بالاشتغال بتوصيف واجب الوجود بصفاته
السلبية والثبوتية ومعرفته بجميع صفات كماله امره وبعده بالاستغفار لان الاستغفار فيه رؤية
قصور النفس وفيه رؤية وجود الحق وفيه طلب لما هو الاصلح والاكمل للنفس من حضرة وهاب العطايا
وبهذا الطريق اعني النزول من المؤثر الى الاثر اشرف طرق السائرين فان لهم طريقين في سيرهم
منهم من يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده ومنهم يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله
ولا شك ان النزول من المؤثر الى الاثر اجل مرتبة من الصعود من الاثر الى المؤثر لان الاستدلال
بالاصل على التبع اقوى من الاستدلال بالتبع على الاصل ولكون هذه الطريقة اشرف الطريقين
قدم الاشتغال بالخالق على الاشتغال بالخلق فذكر اولا من الخالق امرين احدهما التسبيح والثاني
التحميد ثم ذكر في المرتبة الثالثة الاستغفار وهو حالة ممتزجة من الالتفات الى الخالق والى الخلق
ووجه الترتيب ما ذكرنا قوله تعالى يدخلون في موضع النصب على انه حال من الناس ان جعلت
الرؤية بمعنى الابصار او العرفان وان جعلت بمعنى العلم كان مفعولا ثانيا له وافواجا حال من
الضمير في يدخلون والفوج الجماعة الكثيرة روي عن الحسن رح انه قال لما فتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذا ظفر باهل الحرم فليس لاحد به

جواب عما يقال من ان التوبة والاستغفار متقدمة على جميع الطاعات فلم اخرت في الاية منه

به طاقة وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب الفيل ومن كل من اراد بهم سوء ثم اخذوا يدخلون
في الاسلام افواجا من غير قتال كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما كانوا يدخلون فيه واحدا
واحدا او اثنين اثنين قوله جماعات كثيفة الكثافة الغلظة وهو ضد الرقة والمراد بها هنا
الكثرة اي فوجا بعد فوج قوله فتعجب اي قل سبحان الله والحمد لله تعجبا مما اراك من عجيب
انعامه وهو الغلبة على اهل الحرم فان هذه الكلمة يقال عند التعجب عادة فصح ان يفسر الامر
بالتسبيح بالتعجب لذلك سيما المقام مقام التعجب ولعل الوجه في اطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما
ورد في الاذكار ولكل اعجوبة سبحان الله هو ان الانسان عند مشاهدة الامر العجيب الخارج
عن حد امثاله يستبعد وقوعه ويتفعل نفسه منه كانه استقصر قدرة الله تعالى فلذلك خطر على قلبه
ان يقول من قدر عليه واوجده ثم تدارك انه في هذا الزعم مخطئ فقال سبحان الله تنزيها لله تعالى
عن العجز عن خلق امر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بانه تعالى على كل شيء قدير قوله او فصل
تسمية الصلوة بالتسبيح من حيث انها لا تخلو عنه فكانه جزء منها فالتسبيح مجاز مرسل بها وحمل
اللفظ على المجاز لما وجب ان يستند الى قرينة تعينه ايد هذا التفسير بما روي من انه صلى
الله عليه وسلم صلى ثمان ركعات يوم فتح مكة داخل البيت ثم قال بعضهم انه عليه الصلوة والسلام
عنى به صلوة الشكر فصلاها يوم الفتح ثمان ركعات وقال اخرون هو صلوة الضحى وقال اخرون
صلى ثمان ركعات اربعة للشكر واربعة للضحى وقد ورد لفظ التسبيح في القران بمعنى الصلوة حيث
قال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قوله
او فنزهه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما المراد بالتسبيح في قوله تعالى فسبح بحمد ربك فقال تنزيه
الله تعالى من كل سوء فانه تعالى منزه في ذاته عن الامكان وما يتفرع عليه وفي صفاته كالجهل
والعجز بل عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات وصفاته منزهة عن التغيرات وفي افعاله
فان شيئا من افعاله لا يكون لجلب نفع او دفع ضر بل هو مستغن عن كل الموجودات ومستول
عليها بالاعدام والايجاد قوله او فاثن على الله بصفات الله الجلال الثناء اعم من التنزيه
لتناوله التوصيف بالصفات الثبوتية والسلبية الا انه خص الثناء بالتوصيف بصفات
الجلال وهي صفات يقتضي كمال الذات ولا يكون لها اثار في خلقه كالعز والغنى والملك والتقدس و
العلم ونحوها وصفات الاكرام صفات لها اثار في خلقه مثل القدرة والارادة والتخليق والترزيق
والاحياء والاماتة وامثالها وجعل الحمد بمعنى الشكر الذي يكون بمقابلة الفواضل المتعدية وصفات
لئلا يخلو التقييد بالحال عن الفائدة ولا يكون محصل المعنى فاثن مثنيا فان قوله بحمد ربك حال من
المنوي في فسبح اي سبحه حامدا له اي متلبسا بحمده بعد التسبيح كانه يقول لا تبالي لكن الجمع بين

لتغطي التسبيح والتحميد في التلفظ فاجمعهما فيه كما انك يوم النحر شرع لصلوة العيد مقدرا ان تنحر
بعده فيجتمع لك ثوابهما فكذا الامر هنا **قوله** يهضم النفس اشارة الى الحكمة الداعية الى امر النبي المعصوم
من الذنب بالاستغفار وهضم النفس كسرها بان يعدها قاصرا عن البلوغ الى درجة الكمال في
المعرفة والعبادة ويقول ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك ولما كان مراتب
السير الى الله تعالى غير متناهية كان كل مرتبة من مراتب العرفان فوقه مراتب اخر وعلى حسب تفاوت
مراتب العرفان تتفاوت مراتب العبادة والتذلل المتفرعة على معرفة عظمة المعبود فاذا
وصل العبد الى مرتبة في العبودية ثم تجاوز عنه فبعد تجاوزه عنه يرى ذلك المقام قاصرا فيستغفر
الله منه وهذا التقدير انما يحتاج اليه على تقدير ان تكون معنى قوله تعالى واستغفره واستغفر الله
لتقصيرك واما اذا قيل ان معناه استغفر الله لذنب امتك فالامر ظاهر لانه تعالى امره بالاستغفار لذنب
امته في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وههنا لما كثرت الامة كثرت ذنوبهم فصار
الاستغفار لهم اوجب واهم **قوله تعالى** كان توابا لمن استغفر مذ خلق المكلفين يعني ان كان ههنا
للدلالة على استمرار ثبوت خبرها لفاعلها مذ خلق المكلفين ومن كان شانه هذا افلا يقبل استغفارك
وتوبتك فلا يرد ان يقال ان الافعال الناقصة انما تدل على زمان ثبوت خبرها لفاعلها فكان يدل على
ان ذلك الثبوت في الماضي ويكون يدل على انه في الحال او المستقبل فالمفهوم من الاية انه تعالى تواب غفار
في الماضي وكونه توابا في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال او في المستقبل ووجه سقوط
هذا الوهم على توجيه المص ظاهر ومعنى كونه تعالى توابا انه يكثر منه قبول التوبة ويبالغ فيه وفيه
ايماء الى انه يجب على العبد ان يكون مكثرا مبالغا في الاتيان بالتوبة **قوله** وانه نعي النعي كالرمي
والنعي فعيل كالنفي معناهما خبر الموت والنعي ايضا الناعي وهو الذي ياتي بخبر الموت يقال نعاه
ينعاه نعيا اي اتى اليه خبر الموت **قوله** ولعل ذلك اي ولعل الوجه في كون نزول هذه السورة نعيا
له عليه الصلوة والسلام هو انها تدل على حصول النصر من عند الله تعالى وجعله اياه عليه الصلوة و
السلام غالبا على اعدائه وعلى حصول الفتح ودخول الناس في الدين افواجا وذلك يدل على
تمام امر الدعوة وانقطاع الاحتياج اليها بعد بلوغ امر الدين الى كماله وتمام امر الدعوة والتبليغ
يوجب الموت لانه لو بقي بعد ذلك مشتغلا بالتسبيح والحمد والاستغفار فارغا عن امر الامة لكان
كالمعزول عن الرسالة وانه غير جائز اولان الامر بالاستغفار تنبيه على قرب الاجل كانه قيل قرب
الوقت ودنا الرحيل فتاهب للامر ففيه تنبيه على ان العاقل يجب ان يستكثر التوبة اذا قرب
اجله ولهذا سميت سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا ولا باس في ان تذكر
قصة فتح مكة على وجه الاختصار روي انه كان صلح الحديبية وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
اغار

وقد اصطلحوا على وضع [illegible] ان [illegible] والانخفض
[illegible] عندهم [illegible]
[illegible]
[illegible] عند [illegible]
على الصلوة والسلام

اغار بعض من كان في عهد قريش على خزاعة وكانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فجاء سفير ذلك
القوم واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظم ذلك عليه ثم قال اما ان هذا العارض ليخبر في ان
الظفر يجيء من الله تعالى ثم قال لاصحابه رض انظروا فان ابا سفيان يجيء ويلتمس ان يجدد العهد فلم
يمض ساعة ان جاء الرجل يلتمس ذلك فلم يجبه الرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اكابر الصحابة رض
فالتجأ الى فاطمة رض فلم ينفعه ذلك ورجع الى مكة آيسا وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسير
الى مكة ثم يروى ان سارة مولاة لبعض بني هاشم اتت المدينة فقال عليه الصلوة والسلام لها
اجئت مسلمة قالت لا لكن كنتم الموالي وبي حاجة فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب
فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بعشرة دنانير واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته
اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه
السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وجماعة وامرهم ان ياخذوا الكتاب
والا فاضربوا عنقها فلما ادركوها جحدت وحلفت فسل علي رض سيفه وقال والله ما كذبنا رسول
الله فاخرجته من عقيصة شعرها واستحضر النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه
فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا احببتهم منذ فارقتهم لكن كنت غريبا في قريش وكل من
معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا
فقال عمر رض دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله
عز وجل قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رض ثم خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار الى ان نزل بمر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف
من المهاجرين والانصار عنه احد فقال العباس بن عبد المطلب رض لئن دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فركب بغلة رسول الله قال اخرج
الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فياتونه ويستامنونه قبل ان يدخلها عليهم عنوة قال العباس رض فخرجت
واني لاطوف في الاراك التمس ما خرجت له اذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام و
بديل بن ورقاء وقد خرجوا يتحسسون الخبر فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال
ابو الفضل فقلت نعم فقال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا والله رسول الله
قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن
عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه فردفني فخرجت
اركض بغلة رسول الله كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله صلى الله

عليه وسلم على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رض فقال من هذا وقام الي فلما
راى ابا سفيان على عجز الدابة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا
عقد ثم اشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة وسبقته بما يسبق به الدابة البطيء
الرجل البطيء فنزلت عن البغلة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر رض
فقال يا رسول الله هذا ابو سفيان قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه
فقلت يا رسول الله اني قد اجرته يحرى بين العباس وعمر رض بحث طويل فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت (اي اعطيت له امانا) فائتني به قال عباس فذهبت به الى رحلي فبات
عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله فلما رآه قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم
ان لا اله الا الله فقال لا اظن انه واحد ولو كان ههنا غير الله لنصرنا واغنى عنا شيئا وقال
يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله فقال ان في شك في ذلك قال العباس رض قلت له
ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان يضرب عنقك قال فشهد شهادة
الحق واسلم ثم التمس ابو سفيان رض الامان لاهل مكة فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب
هذا الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن فقال ومن يسع داري فقال ومن
دخل المسجد فهو آمن فقال ومن يسع المسجد فقال ومن القى سلاحه ودخل سكنه فهو آمن فخرج
ابو سفيان رض من عنده صلى الله عليه وسلم مسرعا حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلا صوته
يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به قالوا فما قال من دخل دار ابي سفيان فهو
آمن قالوا ويحك وما يغني عنا دارك قال ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ومن دخل سكنه
واغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد الحرام حتى جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووقف على باب المسجد وقال لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم فقالوا اخ كريم وابن اخ كريم فقال
اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء ومن ذلك كان علي رض يقول لمعوية
ابن سوي المولى والمعتق يعني اعتقناكم حين مكننا الله من رقابكم ولم يقل اذهبوا فانتم
~~الطلقاء~~ معتقون بل قال الطلقاء لان المعتق لا يجوز ان يرد الى الرق والمطلقة يجوز ان تعاد
الى رق النكاح واهل مكة كانوا بعد على الكفر وكان يجوز ان يجعلوا فيباح رقهم مرة
اخرى ولان الطلاق يختص النسوان وقد القوا السلاح واخذوا المساكن كالنسوان فلما شبههم
بهن وصفهم بما يوصف به النساء ثم اجتمع الناس للبيعة على الاسلام فجلس لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب رض اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع

والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وكان فتح مكة لعشر ليال
بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة
يقصر الصلوة ثم خرج الى هوازن وتنقيف هذا قصة فتح مكة شرفها الله تعالى **سورة تبت مكية**
بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** هلكت او خسرت فان التباب يستعمل
بمعنى الهلاك كما في قولهم شابة ام تابة بمعنى ام هالكة ومنه قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي
هلاك ويستعمل ايضا بمعنى الخسران ومنه قوله تعالى وما زادوهم غير تتبيب اي غير تخسير بدليل انه قال
في موضع اخر غير تخسير واصل معناه هو الخسران المؤدي الى الهلاك فقيل المراد بيدي ابي لهب نفسه
كما في قوله تعالى بما قدمت يداك اي نفسك ومنه المثل المضروب لمن جنى على نفسه يداك اوكتا وفوك
نفخ قيل مورده ان رجلا اراد ان يعبر البحر على زق قد نفخ فيه وشد وكاءه فلم يحسن احكامه حتى
اذا توسط البحر خرجت منه الريح فكاد ان يغرق فانفق ان رجلا على زورق قد مر بالقرب
فاستغاث به فقال له الرجل يداك اوكتا وفوك نفخ فكان مثلا يضرب للجاني على نفسه وهذا
التعبير شايع في كلامهم يقولون اصابه يد الدهر ويد الرزايا اي اصابه نفسه فعلى هذا يكون
قوله تبت يدا ابي لهب دعاء عليه بهلاك نفسه **قوله** وقيل انهما خصتا الخ يعني قيل المراد
باليدين نفس الجارحتين المخصوصتين والمقصود من الكلام الدعاء عليه بهلاكه بيديه
وخصتا بالدعاء بهلاكهما لقصده بهما رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انذره بعذاب
الاخرة كانه قيل شلت يداه كيف قصد ان يرمي بهما النبي المكرم وهو يدعوه لينجيه من
شقاوة الابد الى سعادة الدارين عن ابن عباس رض انه صلى الله عليه وسلم كان يكتم امره في
اول المبعث ويصلي في شعاب مكة ثلث سنين الى ان نزل وانذر عشيرتك الاقربين فصعد الصفا
ونادى يا آل غالب فخرجت اليه آل غالب من المسجد ثم نادى يا آل لوي فحضر واعنده ثم نادى
يا آل مرة فاجتمعوا عنده ثم نادى يا آل كلاب ثم قال يا آل قصي فقال ابو لهب قد اجتمع عندك قبائل
قريش بطنا بطنا فما عندك فقال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتك الاقربين وانتم الاقربون
اني لا املك لكم من الدنيا حظا ولا من الاخرة نصيبا الا ان تقولوا لا اله الا الله فاشهد بها لكم
عند ربكم فقال ابو لهب عند ذلك تبا لك الهذا دعوتنا فاخذ حجرا ليرميه به فمنعه الله تعالى من
ذلك حيث لم يستطع ان يرميه وهو قوله وتب فنزلت السورة **قوله** وقيل المراد بهما دنياه وآخرته
فاليدان على هذا مجاز مرسل من قبيل اطلاق اسم السبب على المسبب كما اذا اريد به بهما
النفس الا انه ح يكون من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل **قوله** ولانه لما كان من اصحاب
النار كانت الكنية اوفق بحاله اي ادل عليها من اسمه وذلك ان ابا لهب باعتبار معناه الاضافي

تصلح ان تكون كناية عن حاله وهي كونه جهنميا لان معناه باعتبار اضافته ملابس اللهب كما
ان معنى ابو الخير واخو الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا
المعنى يلزمه انه جهنمي فثبت ان هذه الكنية باعتبار معناها الاصلي الاضافي تصلح كناية عن كونه
جهنميا انتقالا من الملزوم الى اللازم وانها اوفق وادل على حاله التي هي كونه جهنميا فلذلك
اختيرت الكنية على الاسم لان اسمه لا يدل على حاله والكنى وان كان المراد بها المعاني العلمية
وهي ذوات المسمى بها لكنهم يعتبرون في الكنى المعاني الاصلية ايضا ولهذا كانت الكنية اوفق
بحاله اي ادل على كونه من اصحاب النار وهذا معنى قول صاحب التلخيص تعريف المسند اليه
بايراده علما قد يكون لكونه كناية عن معنى يصلح له العلم فليرجع اليه **قوله** وقرئ ابو لهب بالواو
مع ان القياس الياء لكونه مضافا اليه كما هو قراءة الجمهور ووجه القراءة بالواو اما التخصيص لما
كان مشهورا بهذه الكنية صارت بمنزلة اسمه العلم فلم يتغير في شيء من الاحوال لان الاعلام
لا تغير كما يقال علي بن ابو طالب ومعاوية بن ابو سفيان لذلك **قوله** وتب اخبار بعد
دعاء يعني ان الجملة الاولى دعاء عليه بالهلاك كقوله قتل الانسان ما اكفره والمقصود بيان
استحقاقه لان يدعى عليه بالهلاك فان حقيقة الدعاء شان العاجز والله تعالى منزه عنه
والجملة الثانية اخبار عن قبول دعائه ووقوع مطلوبه على سبيل التفاؤل في مثل قوله قد فعل
والعاديات في البيت يروى بالواو من عوى الكلب اذا صاح وبالدال من عدا في المشي اي
اسرع ولعل المراد بها الكلاب الكلبة وهي التي باخذها شبه الجنون يسري مرضه الى
من يعضه ووجه دلالة قراءة وقد تب على ان كون الجملة الثانية اخبارا بعد دعائه ان قد
لا تدخل على الدعاء فان قيل اذا دل الدليل على ان المراد بالجملة الثانية الاخبار بعد الدعاء
ينبغي ان يتعين ذلك وينقطع احتمال ان يكون كل واحد منهما اخبارا ولكن يراد بالاول هلاك
عمله وبالثاني هلاك نفسه كما اشار اليه بعد فالوجه في تجويز ذلك الاحتمال مع ان المراد بالدليل
دليل جوازه لا دليل تعينه بالمراد به بحيث لا يصح ارادة غيره فمعنى قوله ويدل عليه اي على جوازه
ولم يجعل الجملة الثانية تكريرا للاولى للتاكيد لانه لو كان الامر كذلك لما تخلل العاطف بينهما **قوله**
والاول اخبار عما كسبت يداه اي اخبار بهلاك عمله وانه محروم عما يترتب عليه من المنافع والثاني
اخبار بهلاك نفسه فانه هالك ضائع في الدنيا والاخرة وانما عبر عن عمله باليدين لان اكثر الاعمال
انما يحصل بمباشرة اليدين **قوله** نفي الاغناء المال عنه الخ يجوز ان تكون ما نافية عارية من
الاعراب المحلي فعلى هذا يكون مفعول قوله اغنى محذوفا اي لم يغن عنه ماله شيئا وهو استئناف جوابا
عما كان يقول ان كان ما يقوله ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي ويتوهم من صلاحيته
وفيه

وفيه تخييل او تهكم بما كان يتبجح به من المال والبنين ويجوز ان تكون للاستفهام الانكاري فتكون في موضع
النصب باغنى اي اي شيء اغنى عنه ماله حين نزل به التباب والبلاء فانه لا احد اكثر مالا من
قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا اعظم ملكا من سليمان عليه السلام فهل دفع ذلك عنه الموت
ولم يصرح في الآية ان المراد من الاغناء الاغناء فيماذا قال بعضهم في عداوة الرسول صلى الله عليه
وسلم فانه كان يعتقد ان يده هي العليا وانه يخرجه من مكة ويذله ويغلب عليه اعتمادا على كثرة امواله
واولاده وقال بعضهم بل المعنى انهما لم ينفعا عنه في دفع النار ولذلك قال سيصلى نارا فانه تصوير للهلاك
بحيث يظهر معه عدم اغناء المال وما كسب ويؤيد هذا المعنى ما روي عنه من قوله ان كان ما يقوله
ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي واولادي **قوله** وكسبه على ان ما في وما كسب مصدرية
قوله او مكسوبه على ان تكون موصولة او موصوفة اي والذي كسبه او الشيء كسبه والموصول وكذا
الموصوف عبارة عن المكسوب فلذلك فسرها به والكسب ايضا بمعنى المكسوب ثم انه يحتمل ان يكون
المراد بماله رأس المال من اي نوع كان وبمكسوبه ما اكتسبه باصل ماله من النتائج والارباح والاتباع
ويحتمل ان يكون المراد بماله الذي ورثه من ابيه وبما كسب الذي كسبه بنفسه ويحتمل ان يكون المراد
بماله ما في يده من المال مطلقا وبكسبه ما اكتسبه من الاعمال او من ولده قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب
ولده وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا في قوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما ياكل الرجل من
كسبه وان ولده من كسبه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم انت ومالك لابيك **قوله** وقد افترسه
اسد اي اهلكه وكان ذلك بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه لشدة عداوته روي عن
عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان
يخرج الى الشام فقال لآتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد اني كافر بالنجم اذا هوى وبالذي
دنى فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال صلى الله عليه وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان ابو طالب حاضرا عنده فوجم لها اي اشتد حزنه حتى امسك
عن الكلام لاجل تلك الدعوة وقال ما اغناك يا ابن اخي عن مثل هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه
فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال ان هذه ارض
مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني من دعوة
محمد فجمعوا احمالهم واناخوا حولهم واحدقوا (اي احاطوا) بعتبة فسلط الله الاسد والقى السكينة على الابل
فجعل الاسد يتخللهم ويتشمم وجوههم حتى وجد عتبة وافترسه فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من يرجع
العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع قد كان لكم هذا عبرة للسيد المتبوع والتابع فعلى هذه الرواية
احتمال ان يكون قوله تبت يدا ابي لهب اخبارا عن هلاك نفسه وقوله وتب اخبارا عن هلاك ولده

عتبة وكون نزول هذه السورة متقدما عن هلاكه لا ينافيه كون الاخبار الواقع فيها بلفظ الماضي لان ذلك مبني على انه كان في معلومه تعالى انه يحصل ذلك **قوله** ومات ابو لهب بالعدسة الجوهري العدسة بثرة تخرج في الانسان وربما قتلت قال الامام هذه الايات تضمنت الاخبار عن ~~الاخبار~~ الغيب من ثلثة اوجه احدها الاخبار عنه بالتباب وقد كان كذلك وثانيها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان كذلك وثالثها الاخبار عنه بانه من اهل النار وقد كان كذلك لانه مات على الكفر وروى ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام دخل بيتنا فاسلم العباس رض واسلمت ام الفضل رض وكان العباس رض يهاب القوم ويكتم اسلامه وكان ابو لهب تخلف عن بدر فبعث مكانه العاص بن هشام ولم يتخلف رجل منهم الا بعث مكانه رجلا آخر فلما جاء الخبر عن واقعة اهل بدر وجدنا في انفسنا قوة وكنت رجلا ضعيفا وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فكنت جالسا وعندي ام الفضل رض جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ اقبل ابو لهب يجر رجليه فجلس على طنب الحجرة وكان ظهره الى ظهره فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب فقال ابو لهب كيف الخبر يا ابن اخي فقال لقينا القوم ومنحناهم اكتافنا يقتلوننا كيف ارادوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض فقال ابو رافع فرفعت طنب الحجرة ثم قلت اولئك والله الملائكة فاخذني وضربني على الارض ثم برك على فضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود فضربته على رأسه وشجته وقالت تستضعفه ان غاب سيده والله نحن مؤمنون منذ كذا وقد صدق فيما قال فانصرف ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ولقد تركه ابناه ليلتين او ثلثا لم يدفناه حتى انتن في بيته وكانت قريش تتقي العدسة وعدواها كما تتقي الناس الطاعون وبقولون نخشى هذه القرحة ثم دفنوه وتركوه فهذا معنى قوله تعالى ما اغنى عنه ماله وما كسب **قوله** وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن حتى يستدل به على وقوع التكليف بما لا يطاق بناء على انه لا شك ان ابا لهب مكلف بان يؤمن بجميع ما جاء به عليه الصلوة والسلام من عنده تعالى ومن جملة ما جاء به من عنده تعالى قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب فهو مكلف بان يؤمن بهذا القول ومضمونه ولو كان فيه ما يدل على انه لا يؤمن لكان مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن وهو في المعنى تكليف بان لا يؤمن فيكون تكليفه بالايمان تكليفا له بان يجمع بين النقيضين وليس ذلك في وسع العبد وطاقته فاذا كان ابو لهب مكلفا بالايمان واستلزم ذلك تكليفه بما ليس في وسعه ثبت بذلك وقوع التكليف بما لا يطاق مع ان العلماء اتفقوا على عدم

قدح السهم بالكسر عود المرى قبل ان يراش وينصل والجمع قداح والقداح بتشديد الدال صانعه والجمع اقداح مختار

والجواب الذي ارتضاه الاتقاني انه يقول ومن فيه ما يدل على انه لا يؤمن لا ينفي ما ابداه بقوله ولا انتم عابدون ما اعبد علي فالقول خوطب به يكلف بالايمان فانه من خوطب به على انه لا يؤمن به مع انه فيه ولا انه الكلمة باطل ولا بعيد فقد وقع بما لا يطاق لان الايمان الذي كلف به يستلزم الايمان بهذا القول فيكون مكلفا بالجمع بين النقيضين منه

٦١٩

عدم وقوعه استدلالا بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فانه يدل على عدم وقوع ذلك وان لم يدل على عدم جوازه والامر في قوله تعالى انبؤني باسماء هؤلاء للتعجيز لا للتكليف وقوله تعالى حكاية عن المؤمنين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ليس المراد بالتحميل التكليف بما لا طاقة لهم به بل ايصال ما لا يطاق لهم من العوارض اليهم واذ قد تبين ان التكليف بما لا يطاق غير واقع باتفاق العلماء فاعلم انهم اختلفوا في جوازه فمنعه الحنفية والغزالي من الشافعي والمعتزلة وجوزه الاشعري ومن تابعه ومن اراد زيادة التفصيل في هذه المسئلة فعليه مراجعة علم الكلام والمراد بما لا يطاق اعم مما كان ممتنعا في نفسه كالجمع بين الضدين او ممكنا في نفسه خارجا عن قدرة العبد كخلق الاجسام واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة الفاسق فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر الى نفسه **قوله** عطف على المستكن في سيصلى اي سيصلى هو وامرأته وحسن العطف على المضمر المرفوع المتصل من غير تاكيد بالمنفصل للفصل بالمفعول وصفته وطول الكلام بين المعطوفين وام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية وكانت في غاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم **قوله** يعني الحطب لنار جهنم جواب عما يقال انها كانت من بيت العزة والسعة فكيف يقال انها حمالة للحطب واجاب عنه بثلثة اوجه الاول ان ليس المراد بالحطب الحطب المتعارف بل المراد به ما حملته من الاثام والاوزار بسبب معاداتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضها زوجها على ايذائه عليه الصلوة والسلام والحطب مستعار لتلك الاثام شبهها بالحطب الحقيقي في ان كل واحد منهما سبب لايقاد النار واشتعالها اما الاوزار فانها توقد بها نار جهنم كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والثاني ان الحطب مستعار للنميمة فانها توقد بها نار الخصومة والحرب كما ان الحطب توقد به نار الدنيا والحرب يطلق عليه اسم النار قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وعلى التقديرين يكون قوله تعالى في جيدها حبل من مسد ترشيحا للاستعارة والاستعارة المرشحة ما اقترن بها ما يلائم المستعار منه وهو هنا الحطب الحقيقي ومما يلائمه ان يلقي حاملة الحبل على جيدها بان يجعله حزمة ويحمله على ظهره بالحبل المرسل على الجيد والثالث ان الحطب على حقيقته الا انها لا تحمله لمصلحة تراجع بها لانها من بيت السعة فكيف يحتطب بنفسها بل المراد انها لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لاجل ان تلقيه بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتأذى به عند خروجه للصلوة وقراءة عاصم بالنصب على الشتم والذم اي اذم حمالة الحطب ومن قراءة مرفوعا جعله نعتا لامرأته وجاز ذلك لان الاضافة معنوية اذ الحمالة للمضي او خبر مبتدأ

كانت تمشي بالنميمة بين الناس مما تحصل به العداوة ص ٩

ومن لطائف هذه السورة ان الكفرة لما طعنوا في محمد صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اسكت انت حتى تستدرج تحت هذه الاية واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فاذا سكت انت فانا اكون المجيب عنكم واشتمهم فقال تبت يدا ابي لهب روي ان ابا بكر رضي كان يؤذيه احد فبقي ساكتا فجعل عليه الصلوة والسلام يدفع ذلك الشاتم ويزجره فلما شرع ابو بكر رضي في الجواب سكت عليه الصلوة والسلام فقال ابو بكر رضي ما السبب في ذلك قال لانكما كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف وجاء الشيطان فعلم منه ان من لا يشافه السفيه كان الله يذب عنه وناصرا له ومعينا وفي سورة الكافرون لما طعنوا في الالهية امر نبيه ان يجيبهم فقال قل يا ايها الكافرون تسلسه

محلوفا اي هي حمالة **قوله** اي مما مسد قال الواحدي المسد في كلام العرب الفتل يقال مسد الحبل يمسده مسدا اذا اجاد فتله ورجل ممسود اذا كان مجدول الخلق والمسد ما مسد اي فتل من الحبال من اي شيء كان اي سواء كان ذلك الحبل مفتولا من جلود الابل او الليف او الخوص او الحديد **قوله** او تصوير لها بصورة الحطابة الظاهر انه على تقدير ان يكون الحطب على حقيقة لان التصوير المذكور انما يظهر ح اي على تقدير ان تحمل حزمة الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون مع كونها من بيت العز والشرف والمقصود من تصويرها بصورة الحطابة تخسيسها وتحقيرها بذلك الفعل ابتداء لها ولزوجها حتى تنزجر عن مثله او بيان ان حالها في نار جهنم تكون على نحو ما كانت عليها في الدنيا جزاء وفاقا لعملها فلا يزال على ظهرها حزمة من حطب جهنم من شجر الزقوم او نحوه وفي جيدها سلسلة من النار كما انها في الدنيا على هذه الصورة **قوله** والظرف وهو قوله في جيدها في موضع الحال من قوله وامرأته وقد مر انها معطوفة على المستكن في سيصلى وحبل فاعل الظرف لاعتماده على ذي الحال **قوله** او الخبر اي او في موضع الخبر على ان يكون وامرأته مبتدأ وحبل فاعل الظرف ايضا لاعتماده على المبتدأ **سورة الاخلاص مختلف فيها**

بسم الله الرحمن الرحيم **قوله** الضمير للشان او لما سئل عنه يعني ان ضمير هو فيه وجهان الاول انه ضمير الشان لانه موضع التفخيم وتعظيم الشيء بعد ذكره مبهما يفيد ذلك فيكون مبتدأ والجملة الاسمية بعده خبره والخبر الجملة لما كان عبارة عن المبتدأ متحدا معه بالذات استغنى عن العائد والثاني انه عائد الى المسؤل عنه المدلول عليه بالسؤال الصادر منهم قبل نزول السورة قال الضحاك رح ان المشركين ارسلوا عامر بن الطفيل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اشققت عصانا وسببت آلهتنا وخالفت دين آبائك فان كنت فقيرا اغنيناك وان كنت مجنونا داويناك وان هويت امرأة زوجناكها فقال صلى الله عليه وسلم لست بفقير ولا مجنون ولا هويت امرأة انا رسول الله ادعوكم من عبادة الاصنام الى عبادته فارسلوه ثانية وقالوا قل له بين جنس معبودك امن ذهب او فضة فانزل الله تعالى هذه السورة فقالوا له ثلثمائة وستون صنما لا تقوم بحوائجنا فكيف يقوم الواحد بحوائج الخلق فنزلت والصافات صفا الى قوله ان الهكم لواحد **قوله** واحد بدل او خبر ثان بيان لاعراب الاية على الوجه الثاني فان هو ح لا شك انه مبتدأ وقوله الله خبره واما لفظ احد فيحتمل ان يكون بدلا من قوله الله وان يكون خبرا بعد خبر والمشهور عند النحاة ان النكرة الغير الموصوفة لا يكون بدلا من المعرفة حتى لا يكون ما هو الاهم في الدلالة على الذات المرادة مقصودا بالنسبة وما هو الاتم فيها توطئة لذكره واحد نكرة غير موصوفة فجعله بدلا من لفظ الجلالة يخالف لهذه القاعدة الا ان هذه القاعدة لما لم تكن متفقا عليها فان ابا

علي جوز ابدال النكرة غير الموصوفة من المعرفة مالا لحصل له مذهب وبنى كلامه عليه حيث جوز ابدال احد من لفظ الجلالة **قوله** يدل على مجامع صفات الجلال اي المستجمع لها يعلم ان مجامع الجميع اسم الفاعل من جامعه اي اجتمع معه او جمعه فان فاعل قد يجيء بمعنى تفاعل سافرت وعاقبت اللص وكون الاحدية جامعة لجميع صفات الجلال وهي الصفات السلبية ان احدية الشيء عبارة عن كونه واحدا في ذاته وصفاته وافعاله والوحدة في ذاته بان لا يكون منقسما الى ابعاض واجزاء خارجية ولا عقلية والله تعالى يجب ان يكون كذلك لانه لو كان مركبا في الخارج لكان مفتقرا الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فيكون مفتقرا الى غيره والمفتقر الى الغير ممكن في نفسه ومبدأ الممكنات يمتنع ان يكون ممكنا في نفسه ولو كان مركبا في العقل لكان مشاركا للغير في ماهية ذلك الغير حتى يحتاج الى فصل يميزه عنه وذلك يستلزم امكان الواجب ايضا لان كل ماهية لما سواه تقتضي الامكان فلو كان تلك الماهية ماهية للواجب لزم امكانه وحده والوحدة في صفاته بان لا يكون له نظير ولا شبيه يضاهيه في شيء من صفاته والوحدة في افعاله بان لا يكون له شريك في شيء منها بان يكون مبدأ الممكنات متعددا وكل ذلك يستدعي الامكان وينافي الوجوب فثبت ان الاحدية مستلزمة لكونه ليس بمركب باحد انحاء التركيب اي لا تركيبا خارجيا ولا عقليا ولكونه ليس بمتعدد باحد انحاء التعدد اي لا يطرء عليه التعدد لا بحسب صفاته ولا بحسب افعاله والاحدية بهذا المعنى يستلزم كونه ليس بجسم لان كل جسم مركب في ذاته من الاجزاء و كونه ليس بمتحيز لان كل متحيز منقسم من حيث ان يمينه مغاير ليساره وكونه بحيث لا يكون ماهية معروضة للتعين بان يكون غيره مشاركا له في الحقيقة الواجبة وخواصها المقتضية للالوهية ومتميزا عنه بحسب التعين العارض لا لانه لو كان كذلك لكان كل واحد منهما مركبا مما به المشاركة والممايزة وقد مر ان التركيب ينافي الوجوب لذاته فثبت ان كونه احدا يستلزم كونه واحدا لا تعدد فيه بوجه ما وانها جامعة لجميع الصفات السلبية واما كون لفظة الله دالة على جميع صفات الكمال فلان الاله هو الذي يستحق العبادة لذاته وقد مر ان العبادة اسم لكل طاعة لله اديت على وجه التذلل ونهاية التعظيم فلا يستحقها الا من يكون مستقلا في الايجاد والتربية بما يليق باحوال المخلوق في جسمانيته وروحانيته وهذا الاستقلال لا يتصور الا ممن كان موصوفا بالقدرة التامة والارادة النافذة والعلم المتعلق بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات وغير ذلك من سائر صفات الكمال فاذا تقرر هذا ثبت ان الاخبار عن مسؤلهم بانه الله احد مع وجازة لفظه اتم بيان واكمل تعريف له بما هو في وسع البشر اذ لا سبيل لهم الى معرفة كنه ذاته وانما الذي

يشير الى جميع صفات الكمال وهو مجموعة ان صفات الجلال

سميت بصفات الجلال لان الجلال هو التنزه الذي يقتضي السلب كما سميت الصفات الثبوتية بصفات الكمال وبصفات الاكرام الذي ينبئ عن الايجاب

في قلوبهم معرفته بصفاته الذاتية والفعلية وبصفاته السلبية وهذا الاخبار كما قال عز شأنه
بهذا الوجه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد **قوله** ولعل ذلك اي ولعل وجه التفرقة
بين السور الثلث حتى وقع الاتفاق على تصدير واحدة منها بقل وعلى عدم التصدير في الثانية
وتردد في الثالثة **قوله** فلا يناسب ان يكون منه اي ان يكون كل واحد من المشاقة ومتابعة
العم المشاقة المخالفة من الشقاق وهو الخلاف كان كلا من المخالفين اخذ في شق وهو الناحية
من الجبل والموادعة المتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه ولفظ الموادعة فيما
عندي من النسخ معطوف بالواو والظاهر ان يعطف بكلمة او ويكون المعنى لان السورة من
اولها الى اخرها اما مشاقة بان يكون قوله لكم دينكم ولي دين تحصيل لما سبق عليه وتأكيد له
واللام في قوله لكم ولي متعلق بالثبات والدوام المقدر وهذا الوجه هو الذي اختاره في تفسير
السورة لعدم استلزامه لكون الاية منسوخة باية القتال بخلاف الوجه الثاني فانه يستلزم ان
يكون اخر السورة منسوخا بها من حيث كونه دالا على الاذن في الكفر واما موادعة بان يكون
المقصود من السورة والموادعة المستفادة من قوله لكم دينكم ولي دين ويكون ما قبله تمهيدا
لها واذا عطف بالواو يكون المعنى ان السورة مشاقة نظرا الى اولها موادعة نظرا الى اخرها وهذا
هو الوجه المرجوح عند المص من الوجهين اللذين ذكرهما في تفسير السورة وبناء الكلام على الوجه
المرجوح لا وجه له فالوجه ان يعطف بكلمة او اما ان المشاقة والموادعة لا يناسب ان يقع
كل واحد منهما من عند نفسه عليه الصلوة والسلام من غير ان يكون مامورا به من قبل الله تعالى
فلانه صلى الله عليه وسلم ارسل لدعوة الخلائق الى اتباعه واطاعته في جميع ما جاء به من عند
الله فكيف يليق به ان يقول لهم من عند نفسه انتم مني في شق وناحية وانا كذلك في شق منكم
لا اتبرأ انا ولا اود ان يوادعهم ويتركهم وما يعبدون ولانه كيف يليق بالمخلص ان يحكم على احد
بقوله من عند نفسه انك ممن ختم الله على قلبه فلا تؤمن ابدا ولا تعبد الله وانما يناسب ذلك
اذا بين الله تعالى ان الامر كذلك وامره ان يخبره بذلك واما ان معاتبة عمه ومشافهته بهذا
التغليظ الشديد لا يناسب ان يقع منه صلى الله عليه وسلم لا من عند نفسه ولا بان تؤمر بذلك
من قبل الله تعالى فلان للعم حرمة كحرمة الاب لان ابا الرجل وعمه شعبتان من اصل واحد كما قال
صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وكل من كان في منصب الرسالة والدعوة الى الحق يجب
عليه ان يكون معاملته مع عامة قومه باللطف واللينة كما قال تعالى لموسى وهرون عليهما الصلوة
والسلام فقولا له قولا لينا وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك فاذا وجب مراعاة اللينة مع عامة القوم فكيف بالعم لا سيما ممن هو على خلق عظيم
ومبعوث

ومبعوث رحمة للعالمين فلهذا السبب لم يقل قل له ذلك لئلا يكون شافها لعمه بالشتم والتغليظ
وان شتمه عمه بقوله تبا لك الهذا دعوتنا فكانه تعالى يقول اسكت انت وتخلق بما انزلت عليك
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فانا اشتمه واجيب عنك فانزل قوله تبت يدا ابي لهب
روي ان ابا بكر رض كان يؤذيه واحد وهو ساكت فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يدفع ذلك الشاتم
ويزجره فلما شرع ابو بكر رض سكت الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رض ما السبب
في ذلك قال لانك لما كنت ساكتا كان الملك يجيب عنك فلما شرعت في الجواب انصرف الملك وجاء الشيطان
فظهر ان الاية والحديث تنبيه من الله تعالى ورسوله على ان من لا يشافه السفيه كان الله تعالى ذابا
ناصرا له ومعينا **قوله** واما هذا فتوحيد بقوله تبارك ويؤمر بان يدعو اليه اخره يعني ان المقصود
من هذه السورة لما كان توحيده تعالى لم يلزم تصديرها بقل بل جاز فيها الامران وذلك لان غاية
ما لزم من عدم تصديرها به ان يكون صلى الله عليه وسلم يعتقد ويتكلم به من عند نفسه ولا
محذور فيه فلذلك جاز فيها الامران الا ان تصديرها به اشهر واكثر لان الدعوة الى التوحيد من
المصالح المتعلقة بالنبوة بل هي اول المصلحة التي امر عليه الصلوة والسلام بالقيام عليها هذا
تقرير مراده من قوله ولعل ذلك الى اخره ويرد على ظاهر كلامه ان قوله بقوله تبارك هو اللازم
من عدم تصدير السورة بقل ويفهم منه ان عدم التصدير يدل على وقوع الكلام من قبله عليه
الصلوة والسلام ويفهم من قوله وتب معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه ان عدم التصدير
يدل على انه عليه الصلوة والسلام لا مدخل له في هذا الكلام وانما يتلوه على انه كلام الله المنزل
اليه وبينهما منافاة فليتأمل واختلف القراء في احد الله الصمد فقراءة الجمهور بالتنوين
وتحريكه بالكسر هكذا احدنِ اللهُ الصمد وهو القياس لانه لما التقى الساكنان التنوين ولام
التعريف في لفظة الله حرك اولهما بالكسر وعن ابي عمرو احدُ اللهُ بضم الدال من غير تنوين
ووجه هذه القراءة ان التنوين نون ساكنة والنون تشابه حروف اللين في انها من حروف
الزيادة فلما شابهتها اجريت مجراها في ان حذفت لالتقاء الساكنين فانه يقال رمى القوم ورمى
القوم ويغزو القوم بحذف حرف اللين لالتقاء الساكنين فكذلك حذفت النون في احد الله
الصمد لذلك ولهذا ايضا حذفت النون الساكنة في الفعل المجزوم نحو لم يك ينفعهم ايمانهم ولا
تك في مرية وعن ابي عمرو احدْ الله الصمد باسكان الدال وقطع همزة الوصل من غير سكت
بينهما على اجراء الوصل مجرى الوقف لاستمرار الوقف عليه وكثرته في السنتهم وقرا اعن نقل
الحركة والتنوين وما ادركت القراء يقرؤونها كذلك وصلا على السكون وقوله تعالى هو الله احد
ثلثة الفاظ كل واحد منها اشارة الى مقام من مقامات السائرين الى الله تعالى فالمقام الاول

وان تعليل وجوب تصدير
احدى السورتين بقل وعدم
جواز التصدير في الاخرى
بقوله فلا يناسب ان يكون
منه تعليل للحكمين المتناقضين
بعلة واحدة ظاهرة
منه

مقام المقربين وهم الذين نظروا الى ماهيات الاشياء وحققوها من حيث هي هي فلا جرم ما
راوا موجودا سوى الله لان الحق هو الذي لذاته يجب وجوده واما ما عداه فممكن والممكن اذا
نظر اليه من حيث هو هو كان معدوما فهؤلاء لم يروا موجودا سوى الحق سبحانه وكلمة هو وان كانت
للاشارة المطلقة ومفتقرة في تعيين المراد بها الى سبق الذكر باحد الوجوه او الى ان يعقبها ما
يفسرها الا انهم يشيرون بها الى الحق سبحانه ولا يفتقرون في تلك الاشارة الى ما يميز الذات
المرادة عن غيرها لان الافتقار الى المميز انما يحصل حيث وقع الابهام بان يتعدد ما يصلح لان
اليه وقد بينا انهم لا يشاهدون بعيون عقولهم الا الواحد فقط فلهذا السبب كان لفظة هو
كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء والمقام الثاني مقام اصحاب اليمين وهو دون
المقام الاول وذلك لانهم شاهدوا الحق موجودا وشاهدوا الخلق ايضا موجودا فحصلت
الكثرة في الموجودات فلا جرم لم يكن لفظة هو كافية في الاشارة الى الحق بل لا بد هناك من
مميز به يتميز الحق عن الخلق فهؤلاء احتاجوا الى ان يقرنوا لفظة الله بلفظة هو فقيل لاجلهم
هو الله لان لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر اليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه فيتميز به
الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث مقام اصحاب الشمال وهو اخس المقامات وهم
الذين يجوزون ان يكون واجب الوجود اكثر من واحد فقرن لفظة الاحد بما تقدم ردا على
هؤلاء وابطالا لمقالهم فقيل قل هو الله احد **قوله** السيد المصمود اليه في الحوائج وهذا
التفسير نقله صاحب التيسير عن ابن عباس رضي الله عنه الا انه ليس فيه لفظ السيد وهو المناسب
لما نقل عن اهل اللغة ان الصمد فعل بمعنى مفعول كالقبض بمعنى مقبوض ومقبوض ماخوذ
من صمده اذا قصده وهو من باب نصره دخل وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما نزلت
هذه الاية قالوا ما الصمد قال صلى الله عليه وسلم هو السيد الذي يصمد اليه في الحوائج وذلك
ان من يقصد اليه في جميع المهمات ويرفع اليه جميع الحاجات يكون هو مستغنيا عن كل ما عداه
وكاملا في جميع صفاته وافعاله فهو غاية السيادة ونهاية رفعة الشان وعلو القدر فقوله
السيد تفسير للصمد وما بعده صفة كاشفة له قال السدي رحمه الله الصمد المقصود اليه في الرغائب
المستغاث به عند المصائب وقال ابو هريرة رضي الله عنه الصمد المستغني عن كل احد والمحتاج اليه
كل احد **قوله** وهو الموصوف به على الاطلاق قال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله ومن جعله الله تعالى
مقصد العباد في مهمات دينهم ودنياهم واجرى على لسانه ويده حوائج خلقه فقد انعم عليه
بحظ من هذا الوصف لكن الصمد المطلق هو الذي يقصد اليه في جميع الحوائج وهو الله تعالى
جل ذكره وقال صاحب التيسير ووقوع هذا الاسم على من يعظم من البشر انما هو على

على الاستعارة لانه ليس لاحد من المخلوقين وان عظم شانه وعلت رتبته الا وهو
موصوف بالنقص عاجز عن البلاغ من يقصده غاية امله فالصمد في الحقيقة من هو
ملجا لكل مستغيث به في نوازله ومن بيده ناصية كل من خليقته **قوله** وتعريفه لعلمهم بصمديته
فان العرب بل اكثر الخلق يعرف انه تعالى هو الذي يقصد اليه في الحوائج وان جميع ما سواه
مفتقر اليه كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلذلك جاء
لفظ الصمد معرفا بخلاف احديته فانه لا يخطر ببال اكثر الخلق ان في الوجود ذاتا لا تركيب
ولا انقسام ولا تاليف فيه بوجه من الوجوه فضلا عن كونه واحدا في صفاته بان لا يكون
له نظير وشبيه وفي افعاله بان لا يكون له شريك فيها وذلك لانهم لا يعرفون من الموجودات
غير المحسوسات وكل محسوس منقسم فتبين انهم لا يعرفون موجودا هو واحد في ذاته لا انقسام
له اصلا فنكر لفظ احد لذلك **قوله** للاشعار الى وجه الاشعار ان قوله الله الصمد جملة
اسمية طرفاها معرفتان فيدل على انه لا صمد في الوجود سوى الله فان مثل زيد الامير يفيد
حصر الجنس على زيد وقصر الصمدية على من اتصف بالالوهية ونفيها عمن سواه يشعر
بان من انتفت الصمدية عنه لا يستحق الالوهية وهذا المعنى انما يحصل بتكرير اسم الله
وجعل الصمد خبرا عنه فانهم لما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان معبوده
من اي جنس هو اجيبوا بانه الله الذي يستقل بالخلق والايجاد ومن ضرورته ان يكون
موصوفا بالصفات الاضافية كالعلم المحيط بجميع المعلومات والقدرة التامة والارادة
النافذة وغير ذلك من صفات الكمال ثم ابدل منه لفظ احد ليفيد انه منزه عن جميع
انحاء التركيب والتعدد وعما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز وكونه حالا في المتحيز
او محلا له ونحو ذلك ثم بين لهم ان الله الصمد اي السيد المستغني عن جميع ما سواه المحتاج
لحوائج كل ذلك بمقتضى حكمته للاشارة الى انه ليس له شريك في ملكه ولا ضد ولا ند له في الوجود
في ذاته وصفاته وافعاله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولو قيل هو الله احد الصمد لكان
غير تكرير اسم الله لكان كل واحد من قوله احد والصمد خبرا بعد خبر على تقدير ان يجعل ضمير
هو راجعا الى المسؤول عنه ويكون لفظة الله خبرا عنه واما ان جعل قوله الله احد جملة
مفسرة لضمير الشان وخبرا عنه فجعل الصمد خبرا بعد خبر للجلالة ويكون المعنى ان الشان
انه تعالى متصف في الواقع بالاحدية والصمدية وعلى كل تقدير يكون الكلام خاليا عن
الاشعار المذكور واذا كرر مع عدم الاحتياج اليه لا بد ان يكون ذلك لنكتة والاشعار
المذكور يصلح ان يكون نكتة فحمل عليه **قوله** لانه كالنتيجة للاولى او الدليل عليها وجه الاول

فلا اذا نفى العالم انتفى نقيضه اى
ان نفى الا يكون عالما لانه يكون الشىء نقيضه
ذكر ان من الاحسن نفى الا ان
بوصف بانه عالم لا انه على النقيض اللازم
لا اصلا
سلمه

ان من له الوحدة في ذاته وصفاته وافعاله بان كان مبدع الكل وحافظه ومدبره فلاجرم
لا يصمد في الحوائج الا اليه فكونه صمدا متفرع على احديته ووجه الثاني ان من كان ملجأ لكل شيء
لابد ان يكون في اعلى درجات الكمال منزها عن جميع وجوه النقصان فوجب ان يكون احدا
قوله لانه لم يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا فان من يجانسهما والجار وان لم يكن
من نوع العرس لكنه من جنسه فان القوة المولدة تكون وسيلة الى توليد المماثل او المجانس
ولا تكون وسيلة الى توليد المباين ونفي المجانسة يستلزم نفي المماثلة على الاخص فنفي كونه
والدا بعلتين الاولى ان الولد لابد ان يكون من جنس والده بصاحبته مع من يجانسه
فلا مجانسة فلا ولادة والثانية ان الولادة مبنية على الاحتياج الى ما يبقيه في حياته و
يخلفه عنه بعد وفاته فلا احتياج ولا فناء فلا ولد يتفرع عليهما فكلمة او في قوله او يخلفه
عنه لتقسيم احوال الوالد وقدم نفي كونه والدا على نفي كونه مولودا مع ان المولودية سابقة
على الوالدية فان الشخص يولد اولا ثم يكون والدا ابتداء على ان نفي كونه والدا اهم بالنسبة الى
كونه مولودا من حيث ان الكفرة ادعوا ان له ولدا ولم يدع احد ان له والدا فان مشركي العرب
قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فلهذا
السبب بدا بالاهم فقال لم يلد ثم اتبعه بقوله ولم يولد تعليلا لقوله لم يلد لانه لما وقع الاتفاق
على انه لم يكن ولدا لغيره ثبت انه لم يلد غيره قوله ولعل الاقتصار على لفظ الماضي وعدم
التعرض بانه هل يلد في المستقبل ام مبني على ان المقصود من الاية تكذيبهم في قولهم ولد الله
وان الملائكة بنات الله وان فلانا وفلانا ابن الله ومرجع الجميع انه تعالى ولد في الزمان الماضي
فلذلك ورد عليهم وكذبهم بان قال لم يلد في الماضي ولو كان المقصود بيان انه تعالى هل يصح ان يلد
في احد الازمنة ام لا لم يصح الاقتصار على لفظ الماضي وليس كذلك قوله وذلك لانه لا يفتقر الى شيء
ولا يسبقه عدم يعني ان قوله ولم يولد تنزيه له تعالى عن النقصان اللازم من كونه معلولا للغير
ومن كونه حادثا فان كل مولود حادث معلول لوالده قوله اي ولم يكن احد يكافئه اشارة الى
ان احدا اسم يكن وكفوا خبره وله ظرف لغو يتعلق بكفوا لما فيه من معنى الفعل والظرف يكفيه
رائحة الفعل اي لم يكن احد شبيها له ويجوز ان يتعلق بيكن لانه فعل والمص اختار الاول حيث
قال يكافئه قوله وكان اصله ان يؤخر الظرف اي الظرف المعهود هنا وهو له لانه صلة اي لغو
وفضلة لا يفتقر اليه الكلام في تمامه والظرف المستقر هو الذي يفتقر اليه تمام الكلام بان يكون
خبرا فيه كما في قوله ما كان فيها احد خير منك فان الظرف فيه مستقر لانه خبر كان واللغو ما يكون الكلام
تاما بدونه كما في قولك ما كان احد خيرا منك فيها فان الظرف فيه لغو لان الكلام تام بدونه فان

قولك ما كان احد خيرا منك كلام تام لاستيفاء كان اسمه وخبره وله في الاية ظرف لغو لان الكلام
تم بدونه باسم كان وخبره والاصل في الكلام الفصيح ان يؤخر الظرف اللغو عن فاعل الفعل ومفعوله
لانهما مقصودان بالنسبة اليه وتقديم المقصود اولى وافصح فيكون تقديم الظرف اللغو فيهما مخلا بالفصاحة
لكونه خلاف الاصل لكن يترك هذا الاصل اذا عرض للظرف اللغو ما يجعله مهما بالنسبة الى
الفاعل والمفعول ويقدم عليهما لكونه اهم منهما نظرا الى ذلك العارض كما يقدم المفعول ونحوه
على الفاعل اذا عرض له ما يجعله مهما بالنسبة الى الفاعل فان المقصود في الاية ليس نفي ان
يكون احد كفوا لشيء ما مطلقا بل المقصود نفي كونه كفوا بالنسبة اليه تعالى ومصب هذا المعنى و
مركزه هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقديم واحراه قوله ويجوز ان
يكون حالا معطوف من حيث المعنى على قوله وكان اصله ان يؤخر الظرف فانه في معنى وله ظرف لغو
فكان اصله ان يؤخر ويجوز ان يكون حالا اي حالا الخ وتقدير الكلام على ان يكون الظرف حالا من المنوي
في كفوا انه لم يكن احد كفوا كائنا له فيكون له ظرفا مستقرا قائما مقام عامله ويجوز ان يكون
له خبر يكن وكفوا حالا من احد لانه في الاصل كان صفة لاحد فلما تقدم عليه انتصب حالا لامتناع
تقدم الصفة على الموصوف وفيه ضمير يعود الى ذي الحال قوله لان المراد منها نفي اقسام الامثال
فان المقصود من قوله لم يلد ان ينفي عنه تعالى القسم المخصوص من اقسام المثل وهو الولد ومن
قوله ولم يولد ان ينفي عنه القسم الآخر وهو الوالد ومن قوله ولم يكن له كفوا احد ان ينفي عنه
باقي الاقسام كالصاحبة والشركاء فحصل بذلك تناسب تلك الجمل باعتبار المسند اليه لكون المسند
اليه في كل واحد من تلك الجمل قسما من اقسام المثل وتناسبها باعتبار المسند ظاهر لان المسند
فيها هو الانتفاء وبذلك يتحقق الجامع بين تلك الجمل التي حالها التوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع
وقد تقرر في بحث العطف ان الحكم في مثل تلك الجمل ربط بعضها ببعض وتوضيح المقام ان الجملتين
اللتين لا محل لهما من الاعراب ولم يكن للاولى حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية قد يكون بينهما
كمال الاتصال بان تكون الثانية مؤكدة للاولى او بدلا منها او بيانا لها وقد يكون بينهما كمال الانقطاع
وذلك يكون بامرين الاول باختلافهما خبرا وانشاء لفظا ومعنى او معنى فقط والثاني بانعدام الجامع
بينهما واذا انتفى الامران ينتفي كمال الانقطاع واذا لم يكن بينهما كمال الاتصال ولا كمال
الانقطاع بل كان حالهما التوسط بين الكمالين بان لم يكن الجملة الثانية مؤكدة
للاولى ولا بدلا منها ولا بيانا لها واتفقتا خبريتين او انشائيتين وبينهما جامع بان يكون
المسند اليه في احدى الجملتين هو المسند اليه في الاخرى نحو يشعر زيد ويكتب او مناسبا
له بان يكونا اخوين او صديقين او عدوين نحو زيد شاعر وعمرو كاتب وبان يكون المسند في

ايضا متناسبين كالشعر والكتابة وكالاعطاء والمنع في قولك زيد يعطي ويمنع فانهما متناسبان بالتضاد فحكم الجملتين العطف واذا لم يكن بين المسندين اليهما تناسب نحو خفي ضيق وخاتم ضيق او كانا متناسبين لكن لم يكن المسندان متناسبين نحو زيد شاعر وعمرو طويل لم يجز العطف قوله وقرأ حمزة ويعقوب الخ قرأ العامة كفوا بضم الكاف والفاء وحمزة اسكن الفاء وابدل الهمزة واوا وقفا خاصة وابدلها حفص واوا مطلقا وقد تقرر ان كل اسم على ثلثة احرف اوله مضموم فانه يجوز فيه الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا قوله فان مقاصده محصورة في بيان العقائد والاحكام والقصص وقيل ان ما في القران علوم ثلثة علم المبدأ وعلم المعاد وعلم ما بينهما اعني الصراط المستقيم وهذه السورة الكريمة كافلة بعلم المبدأ الذي هو ثلث ما تكفل به جميع القران فكانت بهذا الاعتبار معادلة لثلث القران كما روي من قوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران قوله ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك يعني مهمات علوم القران فان المقصود بالذات منها علم المبدأ وصفاته وما عداه ذرايع اليه عن سهل بن سعد رض جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفقر فقال اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم على نفسك واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل ذلك فادر الله تعالى عليه رزقا حتى افاض على جيرانه روي عن بعض الصحابة رض انه قال كنا في تبوك فطلعت الشمس لا ضياء وشعاع ما رأيناها على تلك الحالة قبل ذلك فتعجب كلنا من ذلك فنزل جبريل عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ارى الشمس اليوم طلعت بيضاء وشعاع لم ارها طلعت فيما مضى مثلها فقال ذلك ان معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة فبعث الله تعالى سبعين الف ملك يصلون عليه فهل لك ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع وروي انه قال هل لك ان تصلي عليه ثم ضرب بجناحه الارض فازال الجبال وصار عليه الصلوة والسلام كانه مشرف عليه فصلى هو واصحابه عليه ثم قال عليه الصلوة والسلام بم بلغ ما بلغ فقال جبريل كان يحب سورة الاخلاص يكثر قراءته بالليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده وروي انه صلى الله عليه الصلوة والسلام دخل المسجد فسمع رجلا يدعو ويقول اسألك بالله بالاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد اغفر لي اغفر لي اغفر لي ثلث مرات فقال صلى الله عليه وسلم غفر لك غفر لك ثلث مرات فان قيل لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني اسرائيل لم يتخذ ولدا اجيب بان النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة ومنهم من قال اتخذه ولدا تشريفا كما اتخذ ابرهيم خليلا تشريفا فنفى الامرين في الايتين فقوله لم يلد اشارة

الى نفي

الى نفي الولد في الحقيقة وقوله لم يتخذ ولدا اشارة الى نفي القسم الثاني

سورة الفلق مختلف فيها بسم الله الرحمن الرحيم

الفلق بسكون اللام الشق يقال فلقت الشيء فلقا فانفلق وتفلق اي شققته فانشق وتشقق والفرق والتمييز والتبيين مآله وفرقناه اي بيناه والفرق بين الشيئين فيه معنى الشق اذ به يصير كل منهما فرقة متميزة عن الآخرة والمصنف حكم بان كلا واحد من لفظي الفلق والفرق بتحريك العين فعل بمعنى مفعول اي بمعنى المفلوق عنه والمفروق عنه وذلك انما يتحقق بان يكون الشيء مستورا ومحجوبا بآخر ثم ينشق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المنشق مفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه ثم الظاهر ان يبقى المفلوق عنه على عمومه فان الممكنات باسرها اعيان ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم فان ظلمات غير متناهية وساترة لجميع الممكنات والله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكوين والايجاد فاظهر ما في علمه من المكونات فكانت باسرها مفلوقا عنها كشاة صارت مسلوخا عنها بسلخ ما عليها من الجلد وكصبح صار مفلوقا عنه بازالة ما عليه من ظلمة الليل فظهر ان مفهوم المفلوق عنه عام لجميع الممكنات الا انه منقول عليها بالتشكيك فانه اظهر واولى فيما يخرج من اصل كالعيون من الارض والجبال فانه تعالى فجرنا الارض عيونا وان منها لما يتفجر منه الانهار وكالامطار من السحاب وكالنبات من الحب والنوى والارض وكالاولاد من الارحام فان معنى المفلوق عنه اظهر فيها بالنسبة الى المفلوق على وجه الابداع قوله وتخصيص عرفا بالصبح هذا العرف مبني على ان يكون نور الصبح وضوء النهار اصلا ثابتا يطرء عليه ظلمة الليل فتستره تارة وتنفلق عنه اخرى وهو عكس ما يدل عليه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون فانه يدل على ان ظلمة الليل اصل بيننا وضوء النهار عند طلوع الشمس فيصير كزنجي لبس ثوبا شفافا براقا وينسلخ عنها عند غروبه ويؤيد هذا المعنى تقديم الظلمات في قوله تعالى وجعل الظلمات والنور ويشهد عليه العقل ايضا والاعراض لكل وجهة قوله وتخصيصه لما فيه من تغير الحال جواب عما عسى ان يقال مقام الاستعاذة والاعتصام والالتجاء يقتضي تعظيم المستعاذ به ولا شك ان تعظيمه على تقدير تعميم الفلق بجميع الممكنات اعظم واقوى منه على تقدير تخصيصه بالصبح فان المعنى على الاول قل يا محمد اعوذ اي التجئ واعتصم واحترز برب جميع الممكنات ومكون جميع الكائنات ولا يخفى ان الصبح احد الامور الداخلة في هذا العموم فيكون التعظيم فيه اتم فما وجه التخصيص ومحصول الجواب ان التعميم وان كان له مناسبة بهذا المقام الا ان التخصيص له

وجه آخر يناسب مقام الاستعاذة ايضا فان مقصود العائذ من الاستعاذة ان يتغير
حاله بان يخرج من ضيق الخوف والخشية الى فضاء الامن والسعة ويتخلص عن وحشة الغم
والحزن بنيل الفرح والسرور وتخصيص الصبح ادل على هذا المقصود لما فيه من تغير الظلمة
وزوالها باشراق نور الصبح وتبدل وحشة الليل وثقلته بسرور الصباح وخفته فان الليل
ثقيل يكون الانسان فيه كلحم على وضم وهو الخشب الذي يقطع القصاب اللحم عليه فاذا طلع الصبح
يتبدل ذلك بالخفة والسرور ولهذا يجد كل مريض ومهموم خفة في وقت السحر روي ان يوسف
عليه الصلوة والسلام لما القي في الجب وجعت ركبته وجعا شديدا فبات ليلته ساهرا فلما
قرب طلوع الصبح نزل جبريل عليه السلام باذن الله يسأله ويأمره بان يدعو ربه فقال يا جبريل
ادع انت وأؤمن انا فدعا جبريل وامن يوسف فكشف الله ما كان به من الضر فلما طاب وقت
يوسف قال يا جبريل وانا ادعو ايضا وتؤمن انت فسأل يوسف ربه ان يكشف الضر عن جميع
اهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض الا ويجد نوع خفة في اخر الليل وروي
ان دعاءه في الجب كان يا عدتي في شدتي ويا مونسي في وحشتي ويا راحم غربتي ويا كاشف
كربتي ويا مجيب دعوتي ويا الهي ويا اله آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب ارحم صغر سني وضعف
ركني وقلة حيلتي يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام وفي وقت الصبح ايضا محاكاة لاختلاف
احوال الناس في فاتحة يوم القيمة من حيث ان الخلق في الليل كالاموات والدور كالقبور
ثم منهم من يخرج من داره مفلسا عريانا لا يلتفت اليه ومنهم من كان مديونا فيجر الى الحبس
ومنهم من كان ملكا مطاعا فيقدم اليه المراكب ويقوم الناس بين يديه فكذا الحال في يوم القيمة
بعضهم مفلس عن الثواب عار عن لباس التقوى ومنهم من عليه من حقوق الله وحقوق
عباده ما لا طاقة يتحمل يجر الى الملك الجبار ومنهم من كان عبدا مطيعا لربه في الدنيا فصار ملكا
مطاعا في العقبى يقدم اليه البراق ولما اشتمل وقت الصبح على هذا التغير والتبدل وكان حاكيا
لاختلاف احوال الناس وتغيرها في فاتحة يوم القيمة كان تخصيص الفلق به مناسبا لمقام الاستعاذة
لاشعاره بان من قدر على التغيرات المدلول عليها بالصبح يقدر ايضا ان يدفع عن العائذ كل ما يخافه
ويحذر منه **قوله** ولفظ الرب ههنا اوقع اي اليق وانسب وقع جوابا عما يقال ما السبب
في انه حين امر بالاستعاذة عند افتتاح قراءة القران قال فاستعذ بالله وقال في موضع اخر
وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وقال ههنا اعوذ برب الفلق فعبر عن المستعاذ به باسم
الرب لا باسم الله مع ان اسم الله هو اشرف الاسماء فلم يقل اعوذ بالله بل قال اعوذ برب الفلق
واجاب عنه بان الشر المستعاذ منه في هذه السورة هو الشر المضاف الى عالم الخلق وهو عالم

عالم المحسوسات من الاجسام والجسمانيات وانما سمي عالم الاجسام والجسمانيات بعالم
الخلق لان الخلق هو التقدير والمقدار من لواحق الجسم وشرور عالم الخلق مضار بدنية و
الاعاذة عن المضار البدنية تربية فناسب ذلك ان يعبر عن المعاذ به باسم الرب فكانه قيل
تربية الله اياك فيما تقدم وسيلة الى تربيته لي فيما يأتي من الزمان وكان العبد يقول التربية
والاحسان دأبك القديم فلا تهملني وما في قوله من شر ما خلق يجوز ان تكون موصولة وعائدها
محذوفا اي من شر كل ما خلقه مما يكون له ضرر وان تكون مصدرية اي من شر خلقه اي مخلوقه
تسمية للمفعول بالمصدر ثم الشرور المضافة الى عالم الخلق الى اختياري وطبيعي وقسم
الاختياري الى ما لا يتعدى اثره الى غير فاعله بل يلزمه كالكفر وسائر الاثام اللازمة والى ما
يتعدى اثره كالظلم سواء تعلق بالمال او بالبدن او بالعرض ويدخل فيه افتراس السباع و
عضها واكلها ولدغ الحيات والعقارب **قوله** ليل عظم ظلامه بغيبة الشفق يحتمل ان الارض
ظلمة قال الجوهري الغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل يغسق غسوقا اي اظلم والغاسق
الليل اذا غاب الشفق وكل شيء اسود فقد غسق وغسق الجرح غسقانا اي سال منه ماء اصفر
والغاسق السائل وسمي الليل غاسقا لانصباب ظلامه على الارض وقال الزجاج الغاسق
في اللغة هو البارد وسمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والوقوب الدخول في شيء آخر
بحيث يغيب عن العين يقال وقب يقب وقوبا اذا دخل **قوله** وتخصيصه جوابا عما يقال قوله
من شر ما خلق عام في كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات
والحاسد مع اندراجه تحت عالم الخلق وقد استعيذ من شره آنفا وجه التخصيص الاشارة
الى تفخيم شره لكثرته وعسر دفعه فيه اما كثرته فلان السباع يخرج في الليل من آجامها والهوام
من مساكنها وكذا السراق واهل النهب وسائر مترصدي الفرصة ينتشرون فيه وعن عكرمة
ان عقارب الجن تنتشر في تلك الساعة واما عسر دفع ما وقع فيه من الشر فلان ظلمة الليل
تستر القاصد بالسوء فيأخذ من قصده على غرة وغفلة منه فلا يتمكن من دفعه بنفسه و
لا باستعانة غيره لان الغوث يقل فيه ولذلك لو شهر على انسان بالليل سلاحا فقتله المشهور
عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهارا يلزمه لانه يوجد فيه الغوث **قوله** وقيل المراد به اي بالغاسق
القمر اذا وقب هو القمر وسمي به لانه يكسف فيغسق اي يذهب ضوءه ويسود ووقوبه دخوله في
ذلك الاسوداد او الكسوف ودليله ما روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عائشة رض واشار
الى القمر وقال استعيذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب قال الامام وعندي فيه اي
في تسمية القمر غاسقا وجه آخر وهو انه صح ان القمر في جرمه غير مستنير بل هو مظلم فهذا هو المراد

هذا القيد احترازي للدليل والاشارة الى الدليل اي كما يؤذون الى الدليل وهو قول من قال يرشد المنجم الى وقت الافتقار

من كونه غاسقا واما وقوبه فهو المحاق وانمحاء نوره في اخر الشهر والمنجمون يقولون انه في
اخر الشهر يكون منحوسا قليل القوة لانه لا يزال ينتقص نوره الا ويزداد بسبب ذلك نحوسته
لذلك لا تشتغل السحرة بالسحر الذي يورث التمريض الا في ذلك الوقت وهذا مناسب لسبب نزول
السورة فانها نزلت لاجل انهم سحروا النبي صلى الله عليه وسلم لاجل التمريض واذا في قوله اذا وقب
نصب باعوذ اي اعوذ بالله من كذا في وقت كذا **قوله** والنفث النفخ مع ريق وقيل انه النفخ
فقط اي بلا ريق ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن
تموت حتى تستكمل رزقها الجوهري التفل شبيه بالبزق وهو اقل منه اوله البزق ثم التفل ثم النفث
ثم النفخ **قوله** وتخصيصه اي تخصيص النفث بالذكر من بين طرق السحر ومقدماته والسحر
باي طريق كان يقتضي الناس به فينبغي ان يستعاذ من شر مطلق السواحر فما السبب
في تخصيص السواحر باللاتي يعقدن عقدا وينفثن عليها ومحصول الجواب ان هاتين السورتين
نزلتا لان يستشفى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر السحر الكائن بالنفث في العقد فلذلك
خص ذلك بالذكر روي ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فاندست اليهود
منه فلم يزالوا به حتى اخذ لهم مشاطة رأس رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة اسنان من
مشطه واعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له لبيد بن اعصم
ثم دسها في بئر لبني زريق يقال لها ذروان فمرض النبي صلى الله عليه وسلم وانتثر شعر رأسه ولبث
فيه ستة اشهر وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينا هو نائم اذ اتاه ملكان فقعد احدهما
عند رأسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل قال طب قال
وما طب قال سحر قال ومن سحره قال لبيد بن اعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة
قال واين هو قال في جف طلعة تحت راعوفة في بئر ذروان والجف وعاء الطلع وقشره والراعوفة
حجر في اسفل البئر يترك هناك اذا احتفرت البئر ليجلس عليه من ينقي البئر اذا ارادوا تنقيتها
فانتبه النبي صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال يا عائشة اما شعرت ان الله اخبرني
بدائي ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر
كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة فاخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان
من مشطه واذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فانزل الله تعالى هاتين
السورتين فجعل عليه الصلوة والسلام كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد صلى الله عليه وسلم بعض
خفة حتى اذا انحلت العقدة الاخيرة قام صلى الله عليه وسلم كانما انشط من عقال وجعل جبريل عليه
السلام يقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله يشفيك والمعتزلة انكر

اي ما ظهر باسقط من الرأس من الشعرات عند المشط

يعني كان احمر الماء الذي ينقع فيه الحناء

اي كانه ماء الحناء من شؤم السحر

انكروا صحة هذه الرواية وتاثير السحر فيه عليه الصلوة والسلام وقالوا كيف يمكن القول بصحتها
والله تعالى يقول والله يعصمكم من الناس وقال ولا يفلح الساحر حيث اتى ولان تجويزه يفضي الى
القدح في النبوة ولان الكفار كانوا يعيرونه بانه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار
صادقين في تلك الدعوة ولحصل فيه عليه الصلوة والسلام ذلك العيب ومعلوم ان ذلك غير جائز وقال
اهل السنة هذه القصة قد صحت عند جمهور اهل النقل وصحتها لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم
انه مسحور وذلك لانهم كانوا يريدون بكونه مسحورا انه مجنون ازيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك
دين آبائه فاما ان يكون مسحورا بالم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره احد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط
عليه لا شيطانا ولا انسيا ولا جنيا يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله واما الاضرار به من حيث
بشريته وبدنه فلا يبعد فيه وتاثير السحر فيه صلى الله عليه وسلم لم يكن من حيث انه نبي وانما كان في
بدنه من حيث انه انسان وبشر فانه صلى الله عليه وسلم يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر
البشر من صحة والمرض والاكل والشرب ودفع الفضلات وتاثير السحر فيه من حيث بشريته لا
يقدح في نبوته وانما يكون قادحا فيها لو وجد للسحر تاثير في امر يرجع الى النبوة ولم يوجد ذلك
كيف والله تعالى يعصمه عن ان يصل احد فيما يرجع اليها كما لم يقدح كسر ثناياه يوم احد فيما ضمن
الله تعالى له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس **قوله** وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم
الرجال بالحيل فعلى هذا النفاثات هي جنس النساء اللاتي يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم
وعزائمهم التي تصمموا على امضائها لا مطلق النفوس السواحر وشرهن غلبتهن على الرجال الغالبين
لامرهم المتحرزين عما لا ينبغي في سيرتهم الآخذين بالجد والاستبصار في جميع احوالهم فيغلبن عليهم
بانواع المكر والحيلة فان كيدهن عظيم ويؤيد هذا التفسير قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر النساء
تصدقن فاني اريتكن اكثر اهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير
ما رأيت من ناقصات عقل ودين اذهب للب الرجل الحازم من احديكن والحازم الضابط لامره
المتحرز في سيرته شبهت عزائم الرجال وآراؤهم بعقد الحبال فاطلق عليها اسم العقد وشبه ابطال
تلك العزائم بالحيل بحل عقد الحبال بتليينها بنفث الريق عليها ليسهل حلها فمعنى الآية ان النساء لاجل
استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي الى رأي ومن عزيمة الى اخرى فامر
الله تعالى رسوله بالتعوذ من شرهن فلذلك قال الامام الاجل محمد بن ادريس الشافعي رح ان النساء
شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شر الشياطين وقيل في جوابه ان النساء رياحين خلقن
لكم وكلكم تشتهي شم الرياحين **قوله** وافرادها بالتعريف جواب ما يقال لم عرف النفاثات ونكر
غاسق وحاسد مع اشتراك الجميع في كونه مستعاذا منه وجوابه ان كل نفاثة شريرة فعرف

النفاثات تعريف الاستغراق ليفيد الاستعاذة من جميع آحادها وليس كل غاسق وحاسد
شريرا فنكرا **قوله** لاغتمامه بسروره تعليل لاختصاص ضرر الحسد بالحاسد قبل عمله بمقتضى
حسده اي لاغتمام الحاسد وتحزنه بسرور المحسود بنعمته روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قدر
الحسد ما اعدله يقتل الحاسد قبل ان يقتل المحسود **قوله** وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان
بل الحيوان غيره في ذكر المص لتخصيص كل واحد من الغاسق والنفاثات والحاسد بالذكر مع ان
الشرور المضافة اليها مندرجة تحت شر عالم الخلق لانها اما من قبيل الاجسام والجسمانيات وجها
مستقلا مناسبا له وتوضيح الوجه المذكور لتخصيص الحسد بالذكر ان الحسد لما كان معظم الاسباب الحاملة
للحيوان على اضرار غيره فانه انما يضر غيره غالبا طمعا فيما عنده واستكرها لرؤيته عند غيره كان
الحسد بذلك كانه كل السبب لشر الحيوان وضرره فلذلك لم يكتف باندراجه تحت عالم الخلق بل خص بالذكر
واستعيذ من شره بخصوصه **قوله** ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه
كالقوى فسر الغاسق اولا بالليل المظلم اذا دخل ظلامه في ضوء النهار وستر كل شيء وثانيا بالقمر
اذا دخل في الكسوف ثم فسر النفاثات اولا بالسواحر وثانيا **به** بجنس النساء اللاتي يبطلن عزائم
الرجال ثم فسر الحاسد بالانسان المتصف بالحسد اذا عمل بمقتضى حسده واشار ههنا الى تفسير
كل واحد من هذه الاوصاف الثلثة بتفسير آخر ففسر الغاسق بما يخلو عن حقيقة النور وعما
يضاهيها كالقوى النباتية والحيوانية فانها تشبه النور في كونها سببا لظهور الاشياء كالنور فان
القوة الغاذية النباتية يزيد بها النبات في الطول والعرض والعمق وكذا القوى الحيوانية وهي الحواس
الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب فان كل واحدة منها سبب لظهور ما يختص بها من الآثار
من الحيوان فشابهت النور بذلك والجمادات العنصرية خالية عن حقيقة النور وعما يضاهيها من
القوى النفسانية فهو المراد بالغاسق وشرورها ما يترتب عليها بحسب طبايعها من المضار فقوله
كالقوى تمثيل للمضاهي والمراد بما يخلو عن النور وما يضاهيه هو الجمادات وفسر النفاثات بالنباتات
على سبيل الاستعارة التصريحية بان شبه تزايدها في اقطارها الثلثة بحسب قوتها الغاذية النباتية
بمن ينفث في العقد الثلث فكانه قيل النفاثات قواها فان القوة الغاذية النباتية هي التي تزيد في طول النبات
وعرضه وعمقه وشرها ايضا ما يترتب على طبايعها من المضرات وفسر الحاسد بالحيوان بان جعله
كناية عنه بناء على ان الحيوانية لازمة للحاسد وبني هذه التفاسير ان الانسان لا يتضرر عن الاجسام
الفلكية وانما يتضرر عن الاجسام العنصرية وهي اما جماد او نبات او حيوان فامر الله تعالى بالاستعاذة
عن كل واحد منها بكلام على حدة **قوله** فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده جواب عما يرد على تفسير
الحاسد بالحيوان فانه يفهم من التعبير عن الحيوان بلفظ الحاسد في مقام الامر بالاستعاذة من شر الحيوان
ان

من الاول بيان ما والثانية متعلقة بالظهور منه

ان منشأ شر الحيوان منحصر في وصف حسده وليس كذلك وتقرير الجواب ان باقي الاوصاف الذميمة
والاخلاق الردية وان جاز ان تكون منشأ شر الحيوان وحاملا له على اضرار غيره الا ان غالب ما يحمله
على الاضرار هو الحسد فكان الحسد بذلك كانه الحامل ولا حامل سواه فللتنبيه على هذا المعنى اضيف الشر
الى اللفظ المشتق المشعر بعلية المأخذ له واختلفوا في انه هل يجوز الاستعانة بالرقى والتعويذات ام لا
فمنهم من قال انه يجوز واحتج عليه بما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فرقاه جبريل فقال
بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك والله يشفيك وبما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من دخل على
مريض لم يحضر اجله فقال اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك سبع مرات شفي وبما
روي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل على مريض قال اذهب البأس رب
الناس واشف انت الشافي لا شافي الا انت وبما روي ان عثمان بن ابي العاص الثقفي رضي الله عنه قال
قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد يبطلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل
يدك اليمنى عليه وقل بسم الله اعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما اجد واحاذر سبع مرات ففعلت
ذلك فشفاني الله تعالى وبما روي انه صلى الله عليه وسلم اذا سافر فنزل منزلا يقول يا ارض ربي وربك الله
اعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك ومن شر ما يخرج منك ومن شر ما يدب عليك واعوذ بالله من اسد
واسود وحية وعقرب ومن شر ساكني البلد ومن والد وما ولد وبما روي ان عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى شيئا من جسده قرأ قل هو الله احد والمعوذتين في كفه اليمنى
ومسح بها المكان الذي يشتكي ومن الناس من منع الرقى لما روي جابر رضي الله عنه انه قال نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن الرقى واجيب عنه بانه يحتمل ان يكون النهي عن الرقى المجهولة التي لا يعرف حقايقها
واما ما كان له اصل موثوق به فلا نهي عنه كذا في التفسير الكبير **سورة الناس مختلف فيها**
وقرئ قل اعوذ وتخذ ربعة من الطير
بسم الله الرحمن الرحيم • **قوله** لما كانت الاستعاذة جواب عما يقال لم اضيف لفظ الرب
بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها
والملك والاله الى الناس خاصة وهو رب العالمين وملكهم والههم وليس رب الناس خاصة
ولم لم تعمم الاضافة كما في السورة المتقدمة وتقرير الجواب ان المستعاذ منه في هذه السورة هي
الوسوسة وهي لا تتعلق الا بقلب الانسان فلذلك خص من بين المربوبين من يتضرر بالوسوسة
وهو الانسان باضافة كل واحد من لفظ الرب والملك والاله اليه بخلاف السورة المتقدمة فان
الشر المستعاذ منه فيها هو عالم الخلق فان الغاسق والنفاثات والحاسد من جملة عالم الخلق
وشر عالم الخلق اضرار بدنية لا يتعدى الى القلب فلا تختص بالانسان بل يعم جميع ما له جسم وبدن
فلذلك اضيف لفظ الرب الى ما يعم الانسان وغيره وهو الفلق وهو صلى الله عليه وسلم امر في السورة

الي العدم ونفي عليه العدم … صحاح
وجاء سورتان بالفلق
هذا اعلم نقدر ان يكون المراد بالفلق … الصبح … اضافة الرب الى الصبح … من نبات … الانسان
… والظهور من الشرور … الانسانية من الناس

المتقدمة بان ستعيذ من المضار البدنية وفي هذه السورة من المضار القلبية الا انه ادرج
نفسه الكريمة فيما تقدم في جملة ستجير بشر عالم الخلق حيث لم يقل اعوذ برتي مع انه المناسب
لاسناد العوذ الى ضمير المتكلم وحده وتوجه الامر بالعوذ اليه بخصوصه من حيث ان ماينبغي للمربوب وجه المناسب
الذي يخاف من ان يجيبه مكروه ان ستعيذ بربه بان يضيف ربوبيته الى نفسه ويقول يا رب اعوذ
بك من كذا لكن عدل عن هذا الطريق في السورتين بان اضيف الرب في الاولى الى الفلق وفي
الثانية الى الناس رعاية لجانب الشر المستعاذ منه واشارة الى انه في الاولى يعم الانسان وغيره
وفي الثانية يخص الناس ولا يخص واحدا منهم بل يعمهم ولو اعتبر كل واحد من صفة الربوبية و
الملكية والالهية من حيث كونها صفات البارئ تعالى لكان المناسب تعميم الاضافة بان يقال رب
العالمين وملكهم والههم ولو اعتبر خصوصية المستعيذ لكان المناسب تخصيصها بان يقال ربي
وملكي لكن اعتبر حال الشر المستعاذ منه وعمومه في السورة الاولى لغير الانسان وخصوصه في
الثانية بالناس وعدم اختصاصه بفرد منهم فجعل امر الاضافة على حسبه فكانه قيل في السورة
الاولى اعوذ من شر ما يضر بالابدان والاجسام بربها وفي الثانية اعوذ من شر الموسوس الى
الناس بربهم **قوله** فان الرب قد لا يكون ملكا يعني ان المقصود من عطف البيان ايضاح
متبوعه اما بتعيينه او بتقليل اشتراكه ورب الناس بالاضافة فيه ابهام وشيوع لانه قد يكون
ملكهم وقد لا يكون كما يقال رب الدار ورب المتاع وقال تعالى واتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فلا جرم بينه واوضحه بقوله ملك الناس ثم ان ملك الناس ايضا قد يكون
الها وقد لا يكون فبينه بقوله اله الناس وهو نهاية البيان وغاية التوضيح لان الها مفردا و
مضافا لا يجوز اطلاقه على غيره تعالى **قوله** وفي هذا النظم دلالة على انه حقيق بالاعاذة وجه
الدلالة ظاهر لان من كان رب الناس بان كان مولى نعمهم الظاهرة والباطنة وملكهم الغالب
عليهم والقادر على التصرف فيهم لان الملك هو الذي يفتقر اليه غيره ويكون هو غنيا عن غيره
والههم الذي يستحق العبادة لذاته لكونه في غاية التقدس ونهاية العظمة والكبرياء كيف لا يكون
حقيقا بالاعاذة قادرا عليها **قوله** فانه اي الناظر يعلم او لا بما يرى عليه النعم في بعض من سنيه
لا اصلة بعلم المعبود ان له ربا بعده **قوله** حتى يتحقق انه غني عن الكل لانه اذا تيقن ان كل وجود
وكمال يتبع اصل الوجود انما هو فائض منه سائل من خزائن رحمته التي وسعت كل شيء تحقق
عنده انه غني عن الكل وملكهم **قوله** ويدرج عطف على قوله يستدل يقال درج الرجل اي مشى لما كان
صفة الربوبية مبدأ معارف الناظر وصفة الالوهية منتهاها تدرج في الاستعاذة بذات
المستعاذ به الذي لا يدرك بكنه ذاته بل انما يدرك بحسب صفاته فاستعاذ بمن على صفة الر

اي ويدرج معطوف على
يبتدا اشارة الى
النظام

الربوبية ثم بصفة الملكية ثم بصفة الالوهية كما يتدرج في الاستعاذة المعتادة بمن هو الوسيلة
البعيدة في حصول الامن ثم بالمتوسطة ثم بالقريبة تنزيلا للصفات المتخالفة منزلة الذوات
الاشعار بعظم الآفة علة للتدرج بعد اعتبار كونه معللا بقوله تنزيلا **قوله** وتكرير الناس
قوله اشعار لعظم الآفة علة للتدرج بعد اعتبار كونه معللا بقوله تنزيلا **قوله** وتكرير الناس
يعني ان لفظ الناس المذكور ثانيا وثالثا موضوع موضع الضمير لفائدتين الاولى ان عطف
البيان انما يحتاج اليه ويؤتى به في موضع الاحتياج الى الايضاح والاظهار والفائدة الثانية
ان في اظهار الاسم اشعارا بشرف الانسان ووجه الاشعار انه تعالى لم يكتف بان نسب
صفة ربوبية وملكية والهية الى ضمير الانسان بل صرح باسم الانسان في كل واحدة منها
فلولا ان الناس اشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بهذا الاسلوب **قوله** اي الوسوسة اشارة
الى ان الوسواس اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
بمعنى والوسواس بالكسر مصدر كالزلزال وسمي الشيطان باسم الوسوسة للمبالغة
في اتصافه بها من قبيل رجل عدل اي مبالغ في العدل حتى صار كانه عين العدل فكذا الشيطان
مبالغ في الوسوسة حتى صار كانه عين الوسوسة ويجوز ان يحمل الكلام على تقدير
المضاف اي من شر ذي الوسواس والخناس صيغة مبالغة من الخنوس وهو الرجوع و
التاخر وقيل هو الاختفاء لقوله تعالى فلا اقسم بالخنس يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها
والخناس مجرور على انه صفة للوسواس والوسوسة والتخنس صفتان للشيطان على حسب
حال الانسان كما ورد في الخبر ان الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فاذا غفل وسوس واذا
ذكر الله خنس اي تاخر وقيل الخناس له رأس كرأس الحية يضعه على ثمرة القلب يمنيه اي الملازم
ويحدثه بكلام خفي يصل مفهومه الى القلب من غير ان يسمع صوته والوسوسة الدعوة الى الشر بمعنى
خفية واصل الوسوسة الصوت الخفي وسميت دعوة شياطين الجن والانس الى الشر بالوسوسة
لان شياطين الجن يدعون الى المعصية ويزينها باخفاء ضررها اما بان يغر العبد بسعة رحمة
الله تعالى وعفوه او بان يخيل اليه ان في الموسعة فستتوب بعد ما قضيت شهوتك منها او لانهم
يدعون الى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير ان يسمع صوته وكذا شياطين الانس يدعون
اليها باخفاء جهة كونها شرا واراءة المنافع والمصالح في مباشرتها واظهار انه ناصح له في ذلك
وفي الحقيقة يريد المكر والخيانة او يجعله مغرورا بان يذكر له سعة العفو والرحمة وامكان التوبة
بعد مباشرتها **قوله** وذلك كالقوة الوهمية شبه الشيطان بها من حيث انه يوافق الانسان
في المعاصي والشهوات واذا آل الامر الى الطاعة للملك خنس واعرض عنه واخذ في المكر و
الحيلة حتى يصرفه عنها **قوله** بيان للوسواس او للذي فيكون قوله والناس على التقديرين عطفا

واظهار الاسم
ادخل في الاظهار
صح

والا لم يكن على نباسق الصادر
ثم يجعل مصدرا بل قبل انه
اسم المصدر كما يقال الثمن
لكل واحد وانه اسم
جمع

اي الذي عادته
ان يخنس

على الجنة فيكون الشيطان الموصوف بانه وسواس خناس ضربا بين جني وانسي كما قال شياطين
الانس والجن وكما ان شيطان الجن يوسوس تارة ويخنس اخرى فشيطان الانس يكون كذلك وذلك
لانه يلقي اليه الاباطيل ويري نفسه في صورة الناصح المشفق فان زجره السامع يخنس ويترك
الوسوسة وان قبل السامع كلامه بالغ فيه **قوله** او متعلق بيوسوس فيكون من لابتداء الغاية
اي يوسوس في صدورهم من جهة الجن بان يلقي اليهم مثل ان الجن يضرون وينفعون ومن جهة
الناس بان يلقي اليهم مثل ان المنجمين والكهان يعلمون الغيب **قوله** على ان المراد به ما يعم
الثقلين فلا تكريت بالجني والانسي واستدل من عمم الناس بالثقلين بان الجن قد سمي رجالا
في موضع ونفرا في موضع آخر وقوما في ثالث قال الله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن واذ صرفنا اليك نفرا من الجن ويا قومنا اجيبوا داعي الله من الالفاظ المستعملة في
الناس فتبين بذلك ان اسم الناس يعم الثقلين **قوله** وفيه تعسف لان كونه اسما واقعا على
الثقلين بعيد من اللغة فان اهل اللغة متفقون على ان الجن والانس اسمان يختص
واحد منهما بحقيقة على حدة مباينة للاخرى وان احدى الحقيقتين سميت جنا لاجتنانه
اي استتاره عن اعين الناس والاخرى ناسا لظهور افراده بالبصر على ان الناس من
الايناس وهو الابصار قال آنس من جانب الطور نارا اي ابصر فكما لا يطلق اسم الجن
على بني آدم لانتفاء وجه تسمية الجن جنا فيهم فلذلك ينبغي ان لا يطلق اسم الناس على
الجن بناء على ان وجه تسمية الناس ناسا منتف في الجن واما اذا اريد بالناس في قوله في صدور
الناس الناسي لم يكن تفسيره الى الجن والانس لان مفهوم الناسي مشترك بينهما لان كلا
منهما موصوف بنسيان حق الله تعالى **قوله** ملك الناس لم يقرأ في المشهورة ههنا بالالف كما
قرئ به في الفاتحة لان معنى المالك هو الرب فيلزم التكرار ههنا لاتحاد المضاف اليه بخلاف سورة
الفاتحة فان ما اضيف اليه لفظ الرب غير ما اضيف اليه المالك فلا تكرار فيها واعلم ان في هذه
السورة لطيفة بالغة وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة واحدة وهي انه
رب الفلق والمستعاذ منه ثلثة انواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد
واما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلثة اوصاف وهي الرب والملك والاله والمستعاذ
منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم ان المطلوب كلما كان اهم والرغبة فيه اتم واكثر
كان ثناء الطالب قبل طلبه اكثر واوفر والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن
من الآفات المذكورة وفي هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا ان
في نظم السورتين الكريمتين تنبيها على ان سلامة الدين من وسوسة الشيطان وان كانت امرا

مهما لواحد الا انه اعظم مراد واهم مطلوب وان سلامة البدن عن تلك الآفات وان كانت
امورا مستعدة ليست بتلك المثابة في الاهتمام والمطلوبية ٭ اللهم ثبت قلوبنا على دينك
وارزقنا العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة بفضلك ورحمتك يا ارحم
الراحمين آمين يا خير المسؤولين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد وآله
وصحبه اجمعين وسلم واسئلك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا ارحم الراحمين ان تغفر
وترحم هذا المسكين الفقير كاتب هذه الكلمات وجامع هذه الفوائد ولطائف التحقيقات
اخذا من فوائد ائمة المحققين الثقات شكر الله تعالى مساعيهم وجازاهم احسن المجازاة
الهي وسيدي ومولاي اجعل سعيي وكدي في جمع هذه الفوائد ونظم هذه
الفرائد خالصا لوجهك الكريم وموصلا الى مرضاتك وفضلك العظيم
يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم حمته لان
انتفع به مدة حيوتي والكل من صرف همته بعد موتي الى
ان ينور بصيرته بانوار التنزيل واسرار التأويل غفر الله
ولوالدي ولمن انتفع به ونظر فيه ودعا لهم بالعفو
والغفران والرحمة والرضوان آمين يا رب
العالمين الخط يبقى زمانا في الكتاب
وصاحب الخط رميم في التراب

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بابن (؟) غنب
١١٧٥ وكفى عبده

عدد جز
٥٣